

مائة وخمسون عاما على فن التصوير

عدد تذكاري


قمم عربية



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • أول يناير ١٩٨٩ • جمادى الأولى ١٤٠٩ هـ

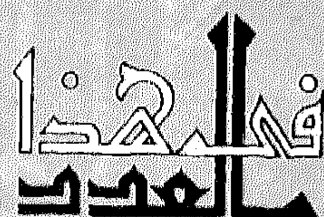
باقة حب للأديب يحيى حقى

في الأسبوع الأول من هذا الشهر يطفىء الاستاذ يحيى حقى شمعة جديدة في عمره المديد اربعة وثمانون عاما من العطاء المتدفق في الابداع الروائي والقصصي والسينمائي وفي فنون متباينة من النثر الادبي بحيوية وحضور في كافة انشطة الثقافة منذ اكثر من ستين عاما .

يحيى حقى ..

قمة فوق توباد الابداع اعطى لقرائه الكثير وحاورهم بلغته الخاصة التي اقتربت من وجدانهم ، واصبحت مألوفة على مسامعهم .

وبهذه المناسبة تقدم الهلال باقة حب جديدة كتبها مصطفى درويش في صفحة ٥٢ من هذا العدد .







صورة الغلاف :
إذا كانت صورة الزفاف اكثر الصور تسجيلا ، فابرز حفلات الزفاف كانت بين فاروق وفريدة ..
انظر اليوم صور تنفرد به « الهلال » فى مناسبة مرور ١٥٠ سنة على التصوير

الغـــلاف
تصميم الفنان :
محمد أبوطالب

فكر وثقافة

● فزورة التاريخ .... أحمد بهاء الدين ٨
● القفز على الأشواك ... د . شكرى محمد عياد ١٠
● نحو موسوعة عربية شاملة ..... مصطفى نبيل ١٨
● نحو علاقات عربية جديدة .... جميل مطر ٢٤
● عصر تسريح الجيوش وتوحيد العالم .... عبدالرحمن شاكر ٢٨
● هل يفوت قطار الثورة التكنولوجية الجديد مصر ؟ .... د . عصام الدين جلال ٣٣
● مستقبل اسرائيل .... مصطفى الحسينى ٣٦
● يحيى حقى محبا وناقدا سينمائيا .... مصطفى درويش ٥٢
● كلمات الحكيم نجيب محفوظ فى أولاد حارتنا .... سليمان فياض ١٦٩
● الضابط الصعيدى موريس فى أوربا .... د . وليم سليمان ١٦٠
● الكلمة الأخيرة .... امينة السعيد ١٩٤

دائرة الحوار

● التحرر من عقدة الأوبرا .... محمد فتحى ٦٠

أحداث لها تاريخ

● لغز حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .... د . احمد عبدالرحيم مصطفى ٦٨

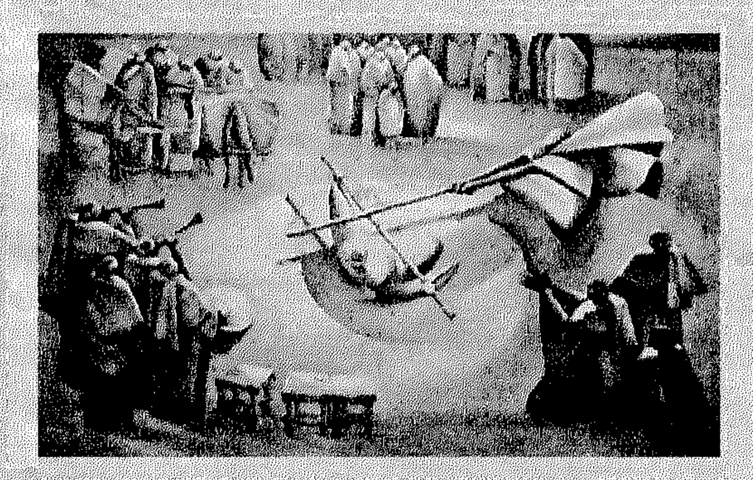
الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .
والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

● ١٥٠ عاما على التصوير ....
.... د . احمد حسين الصاوى ٧٦

جولة المعارض

● الجديد فى المعرض العام للفنون التشكيلية ....
.... محمود بقشيش ١٣٦



رسالة دمشق

● دمشق الأزل بين الجد والهزل - يوسف القعيد ١٤٦

قصة وشعر

● مدافعة "قصة" .... خيرى شلبى ١٧٦
● إلى خورخى لويس بورخيس "شعر" ....
.... عبدالوهاب البياتى ١٥٨

الأبواب الثابتة

(٦)
عزيزى القارىء
(١٧)
أقوال معاصرة
(٤٦)
العالم فى سطور
(١٢٤)
شهريات
(١٨٦)
أنت والهلال

دار الهلال ■

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal U.N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ، الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٣٥٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابوظبى ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٦ ريالات ، كندا ٥ دولارات





نحن أمة تبحث عن المستقبل ...

تراثنا يمتد وراءنا ألوف السنين ، ولكنه سوف يذهب أدراج الرياح إذا وقفنا عنده لانتخطاه ، متجاهلين حاضرنا ، غافلين عن مستقبلنا ..

فإذا تحركنا إلى المستقبل ولو بضع خطوات ، فإن أسلافنا الغابرين سيتحركون فى أجداثهم زهوا بنا وسرورا ، باعثين إلينا إيماءة تقول : إلى الأمام دائما .. إلى المستقبل ياأبناءنا .. اذكرونا بخير واستفيدوا بأفضل ماخلفناه لكم من تراث ، ولكن حذار من الرجوع إلى الوراء ! .. حذار أن تعيشوا معنا فى ماضينا فإننا لانعيش معكم فى مستقبلكم إلا بالذكرى والأسوة الحسنة ! .. اتركونا نطل عليكم من ماضينا البعيد وانتم سائرون إلى مستقبلكم السعيد ! ..

إن ماضى مصر والبلاد العربية محفور فى اعماق الوف السنين التى خلت ، والعالم كله شهيد على ذلك ، ولكن العالم كله مستعد لإلقائنا فى مهملات التاريخ إذا نحن جعلنا ذلك الماضى المجيد حاجزا يقوم بيننا وبين مستقبلنا الواقعى فى عالم جديد قلبته المتغيرات ظهرا لبطن ومازالت تعمل فيه عملها بالتغيير والتطوير بلا انقطاع ! ..

القرن الحادى والعشرون يفتح ذراعيه ، والامم تتقدم نحو ذراعيه المفتوحتين .. فليس يصح فى الأذهان أن ننكص نحن على أعقابنا عائدين إلى القرن الحادى عشر ، مع أننا وصلنا إلى الموقف الفاصل الذى نسأل فيه أنفسنا السؤال الشيكسبيرى المشهور : نكون أو لانكون ؟! ..

والجواب أننا سنكون إن شاء الله ! .. ستبقى لنا كينونتنا إلى الأبد ، وسنلحق بالأمم المتقدمة قبل أن تغيب عن انظارنا وهى راكضة إلى المستقبل غير عابئة بما تثيره وراءها من غبار فى وجوه المتخلفين ! ..

عزيزى القارىء

فى مستهل العام الجديد ١٩٨٩ نقدم إليك هذا العدد الممتاز من « الهلال » .. تذكارا للماضى ، وبشرى للمستقبل ..

لم يبق من القرن العشرين إلا إحدى عشرة سنة تمر كلمحة بارق ! .. إن العد التنازلى يوشك أن يتم ! .. لقد ذاب القرن العشرون كما تذوب الشمعة الصغيرة فى مهب الريح ، كانه لم يمتلىء بالعظائم ولم تنجز فيه البشرية أعظم منجزاتها منذ خطا الانسان على الأرض خطواته الأولى فى الزمن السحيق ..

وبين يدى العام الجديد نقدم إليك ـ عزيزى القارىء ـ سجلا مصورا نادرا يعرض

وموعدنا مع المستقبل

أمامك شريطا حافلا لمائة وخمسين عاما من حياة مصر والبلاد العربية والعالم ، فى الأدب والعلم والفن والسياسة والحرب والنضال الوطنى والقومى والانسانى ..

إن هذا الشريط التذكارى المصور يسجل ملامح مائة وخمسين سنة ، هى عمر « الكاميرا » .. تلك الآلة السحرية التى اخترعها الأوربيون والتقطوا بها الصور « الشمسية » منذ ذلك العهد .. ثم تطورت فى قفزات سريعة حتى بلغت ماهى عليه اليوم من قدرة باهرة تنقل إلينا الصور الحية من القمر والمريخ والكواكب والنجوم السابحة فى أعماق الكون .. فهى أداة يسجل بها الانسان تقدمه العاصف ، ويستخدمها فى دفع هذا التقدم إلى الأمام ..

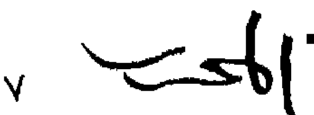
وقد انعقدت بين الكاميرا والصحافة علاقة لاتنفصم ، فالصورة هى الوجه الثانى للكلمة فى الصحافة . وستجد فى هذا العدد من « الهلال » الكلمة المكتوبة التى اخترعها الانسان قبل سبعة آلاف سنة ، وتجد معها الصورة التى ابتكر الانسان أداتها منذ مائة وخمسين عاما فقط .. ولكن الصورة استطاعت فى هذا الزمن القصير أن تنافس الكلمة ذات التاريخ الطويل ، وربما تفوقت الكاميرا فى كثير من المواقف وغلبت الكلمة على أمرها ...

والكلمة والكاميرا تمضيان مع الانسان إلى مستقبله المنشود إنهما سلاحاه أمس واليوم وغدا ، فماذا عن الغد المصرى والعربى ؟! .. ماذا عن المستقبل ، ذلك الشىء المخبوء لنا وراء أستار الغيب ؟! ..

عزيزى القارىء

إن هذا العدد الممتاز التذكارى يقدم إليك رؤية عدد كبير من فضلاء المفكرين والباحثين لمستقبل بلادك فى الاقتصاد والتعليم والتكنولوجيا والعلاقات بيننا وبين قومنا العرب من المحيط إلى الخليج ، ومع الدول الكبيرة والصغيرة ، والعالم الأول والثانى والثالث ، ومع التوسع الصهيونى والهيمنة الاستعمارية سياسيا واقتصاديا ... إلى شئون وشجون أخرى كثيرة يتراكم بعضها فوق بعض حتى ليظن بعضنا الآن فى غمرة اليأس والأسى أنها باتت تسد طريق المستقبل فى وجوهنا ، ولكنها فى الحقيقة سوف تفتح لنا طريق المستقبل إذا عالجناها بالأسلوب الجاد الصحيح ! ..

إن ميثاقنا مع أسلافنا الكرام وأجدادنا الأعزاء أن نكون جديرين بأبوتهم العظيمة . ولن نكون جديرين بهذه الأبوة إلا إذا سارعنا إلى لقاء مستقبلنا فى موعده ، فإن الذين يريدون لقاء المستقبل لايستقدمون عن موعده ساعة ولايستأخرون !



فزورة التاريخ

يحب القارىء عادة من الكاتب إذا طرح سؤالا ، أن يجيب عليه وهذا احيانا ظلم للكاتب ، فالكاتب ليس جهازا مستعدا للرد على كل سؤال ، ومن حق الكاتب ان يطرف بباله سؤال ما ، ويحار معه ، ولا يجد له ردا أو تفسيرا ... فيطرح هذا السؤال على القارىء حتى إذا كان لايفعل إلا انه يشركه في حيرته فهذا أمر مفيد ، يسحذ الأفكار ، وقد يخف لنجدته كاتب او مفكر آخر ...

وهذا اولا ـ سؤال يلح عليّ منذ هويت قراءة التاريخ ، ثم فلسفة التاريخ بشتى مدارسها ولكننى اجده سؤالا شديد الصلة بحاضرنا وبكل مانفكر فيه من مشاكل ...

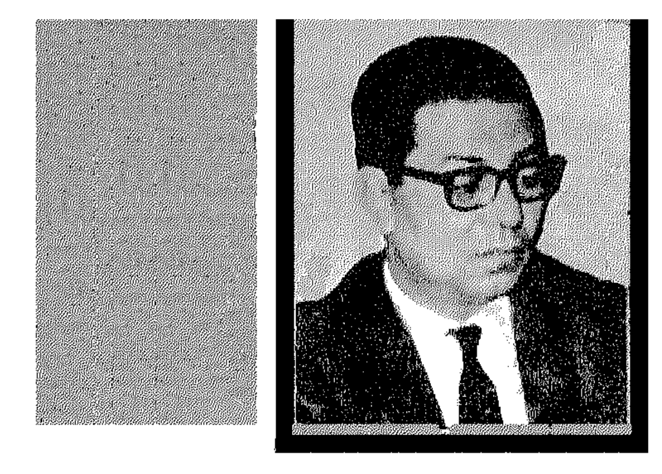
وكان آخر ما أهاجه فى خاطرى ، الالعاب الاوليمبية الأخيرة التى جرت فى كوريا الجنوبية (والأمر لا علاقة له بالرياضة التى لا افهم فيها شيئا على الاطلاق) ..

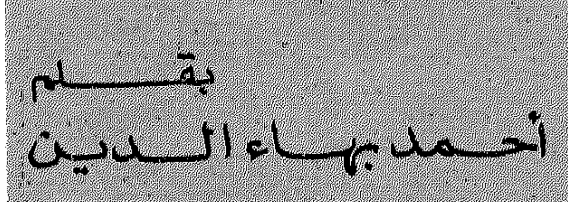
هل طالت « الفزورة » ؟

الحكاية أن بعض الأقلام التي اشتهرت بالمناداة بالديمقراطية السياسية والنعم السحرية التى تجلبها على الشعوب ! وفى نفس الوقت ، بالطبع ، اللعن الشديد للدكتاتورية والويلات التي تجلبها على الشعوب وأنتم ادرى بالقاموس فى الحالتين ...

وعندما بهرت الألعاب الأوليمبية ـ دورة سيول ـ العالم ، كنت اقرأ نفس الاقلام تتنافس في تمجيد المعجزة الكورية ! وماحققته في فترة قصيرة . صناعاتها . انتاجها . النظام الرائع في دورة سيول الذوق الذى لامثيل له الذى تفوق على لوس انجلوس واكتسحها ...

وكنت اسال نفسى : ألم يفكر هؤلاء فى ان هذا التقدم المذهل قد تم فى ظل حكم عسكرى فاسد ومتوحش من ابشع ماراى العالم المعاصر من دكتاتوريات ؟ حتى ان التظاهرات الشعبية مازالت حتى الآن تجتاح كوريا لمحاكمة الدكتاتور





العسكرى السابق الذى ترك الحكم ؟ .. وأن الشباب الكورى انتهز فرصة اقتراب الألعاب الأوليمبية والعالم الذى سينظر كله الى سيول ، فأسقط الحكم الدكتاتورى قبل الألعاب بشهور منتهزا الحرج العالمى والضغوط الدولية ؟

ألم يجدوا أى تناقض ؟

ولست هنا ادافع بالطبع عن الدكتاتورية وأهاجم الديمقراطية . على الأطلاق . ولكننى منذ صارت قراءة التاريخ أحد همومى ، وأنا أسأل هذا السؤال : ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعبا ما ، يكون متقدما ناهضا ، يضمحل ويتقهقر ؟ وأحيانا ـ أو كثيرا ـ مايحدث هذا لنفس الشعب ولكن فى عصور مختلفة ؟ ..

هذا اعقد سؤال فى فلسفة التاريخ ليس له جواب فى حدود ما أعرف .. الذى اعرفه ان التقدم والتخلف عملية اعقد من هذا التبسيط . ديمقراطية أو جواب دكتاتورية وان العوامل الداخلة فيه سياسية واقتصادية وفكرية واجتماعية . وظروف العصر . وتطور العلم . ونوع القيم والمعتقدات السائدة ... الخ .

ان المفكر السياسى لديه رد . والمفكر الاجتماعى لديه رد ، وفيلسوف الحضارات لديه رد .. إلى آخره ولكن لاتوجد اجابة واحدة تقنعنى . بل اكاد اقول ان مجموع هذه الاجابات لايقنعنى . احاول دائما ان أبحث عن البعد الآخر المفقود . أو الابعاد الأخرى المفقودة .

اذا كان الشعب كجسم إنسان له العقل والقلب والايدى والأقدام والدورة الدموية . اى « إكسير » يدخل هذا الجسم فيجعله نشيطا دؤوبا طموحا خلاقا تتعلق مخيلته بالاعلام الكبار . او ينسحب من الجسم فيجعل الجسم نحيلا والعقل هزيلا والهمة متدنية ؟

هل هو سؤال فى فلسفة التاريخ ؟ ربما .

ولكنه سؤال يلزمنا جدا فى حياتنا المعاصرة ان نعثر له على جواب .

احمد بهاء الدين



الجامعة المفتوحة

القفز على الأشواك

بقلم:
د. شكري محمد عياد

في تصور مستقبلي للتعليم

نقرا بين الحين والحين عن مشروع الجامعة المفتوحة ، ويقال إن ثمة لجنة مشكلة في وزارة التربية والتعليم لبحث التخطيط والتنفيذ . ولابد ان هذه اللجنة تقوم بأبحاث او تكلف بعض الخبراء بأبحاث ، ولكن مثل هذه الأبحاث إن وجدت فهي لاتنتشر ، شانها شأن البحوث الكثيرة التي تتداولها ندوات المتخصصين ، ولا نعرف عنها اكثر من بعض العناوين ، وناهيك بندوات الاقتصاديين ومؤتمراتهم ، ومشاكلنا كلها اقتصادية في الأساس ، ومن حق الناس ان يعلموا ويفهموا ، لأنهم بالعلم والفهم قادرون على ان يشاركوا في إصلاح الحال ، وبغير العلم والفهم عبء على اكتاف المصلحين .

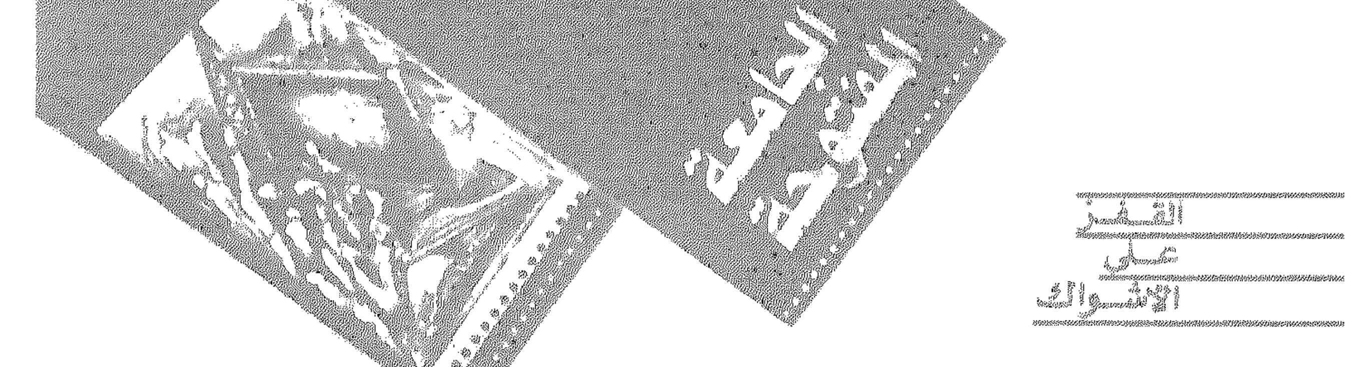
● وقد قيل عن التعليم إنه استثمار بشرى ، فالحديث عن التعليم قريب من الحديث عن الاقتصاد ، والحديث عن الاقتصاد يمكن ان يكون مدخلا الى الحديث عن التعليم ، وكلاهما ينبغى ان يكون مطروحا للنقاش على أوسع نطاق .

فكرة الجامعة المفتوحة مأخوذة فى أغلب الظن عن هيئة الاذاعة والتليفزيون البريطانية ، وقد شاهدت بعض برامجها ، واعجبت بغزارة مادتها وبراعة عرضها . وشاهدت كذلك بعض البرامج التى تنتجها



دائرة المعارف البريطانية ، ولاحظت كيف تستغل هذه المؤسسة العريقة وسائل الاتصال الحديثة لجعل مادتها العلمية اكثر تشويقا وفائدة . ولكن مشكلتنا نحن فى استعارة التكنولوجيا الحديثة هى نسياننا أنها لاتخرج عن كونها أدوات ، تحقق السرعة والانتشار والضبط فى الانتاج . أما المنتجات نفسها فعمل الفكر الانسانى . إن الحسّابة (الحاسب الالكترونى) تؤدى عمليات عقلية معينة بسرعة تفوق اضعافا مضاعفة سرعة الانسان ، ودون ان يعرض لها الخطأ أو النسيان ، ولكنها لاتعرف الا العمليات التى زودها بها المبرمج ، وليس فى استطاعتها ابتكار الحلول أو وضع النظريات . واذا كانت كل بضاعة الحسّابة من البرامج هى بعض الألعاب وجدتها لاتحسن الا هذه الألعاب . وما اشبهها الا بجنى الحواديت ، تدعوه فيلبى ، وتأمره فيطيع ، ويأتيك بما تريد فى لمح البصر ، ولكنه لايشير عليك بما ينبغى أن تريد .

فقبل استخدام الحسّابة فى التعليم ، وقبل تنظيم الجامعة المفتوحة ، يجب ان نفكر فيما نريده من التعليم ، وماذا يجب ان نعلمه للصغار أو للكبار ، وكيف يكون اسلوب التعليم وافيا بهذه الأغراض ، سواء اكان التعليم شفهيا فى قاعة مفروشة بالحصير ، أم كان معبأ فى



شرائط يديرها المدير وقتما يشاء ، أو يرسلها المرسل على أجنحة الأثير فتدخل فى وقت واحد الى كل البيوت .

وأعتقد أن المشرفين على جهاز الاذاعة والتليفزيون عندنا سوف يرحبون بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم فى مشروع الجامعة المفتوحة . فهم منذ الآن يفسحون فى ساعات ارسالهم مددا لا بأس بها لما يسمى البرامج التعليمية . وهذه البرامج يمكن ان تعتبر نواة للجامعة المفتوحة أو اعدادا لها ، وأغلب الظن أن المنطق السائد فى عملها سوف يتحكم أيضا فى الجامعة المفتوحة إن لم تتغير النظرة إلى التعليم واستخدام التكنولوجيا الحديثة فى التعليم . وقد استخدمت كلمة « اعداد » فى هذا السياق قاصدا معناها الدقيق : فكما أن المدرسة الاعدادية تعد الطالب للثانوية ، والثانوية للجامعة ، فمن المعقول جدا ان تكون البرامج التعليمية الحالية اعدادا لهذه الجامعة المفتوحة . وقد قيل بالفعل إن الغرض من الجامعة المفتوحة ، أو أحد أغراضها ، هو أن « تخفف الضغط » عن الجامعات .

وهذا هو الخطأ الكبير .

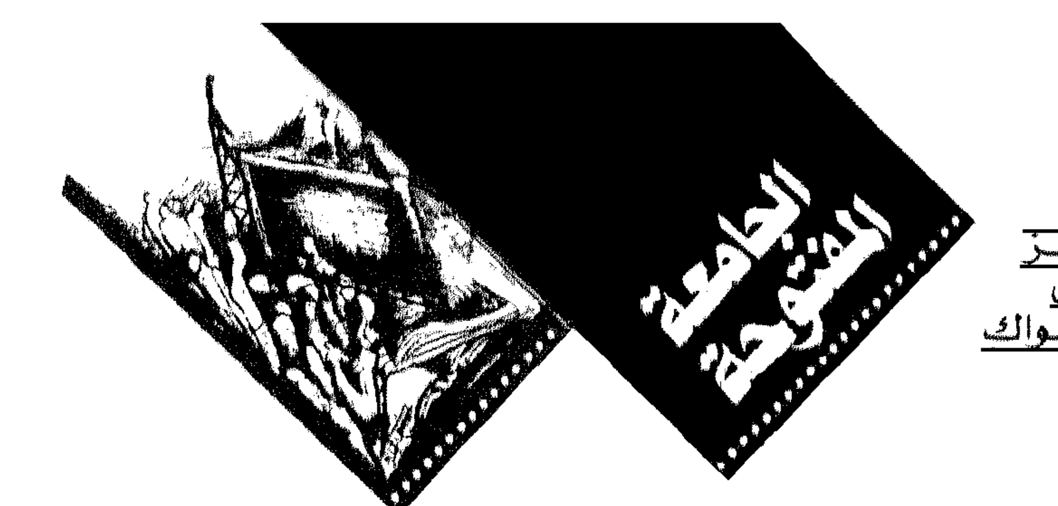
فالتعليم عندنا مرتبط بالشهادات . وهذه « الفلسفة » الفجة تمد سلطاتها على البرامج التعليمية فى الاذاعة والتليفزيون ، وقد شاهدت وسمعت عددا من هذه البرامج - فى مصر وغيرها - فهالنى جمودها وسقمها . ولا أظن أحدا يمكن أن يجادل فى أن الصفة الغالبة على التعليم عندنا هى التلقين . ودروس الاذاعة والتليفزيون أكثرها تلقين بحت يميت الفكر ويحيل الانسان إلى آلة صماء تردد ماحفظته أو تطبق القواعد التى أودعت فيها ولاتحير جوابا اذا طرح عليها مشكل جديد . فكأنه حسابة صغيرة بدون مزايا الحسّابة . ولعل هذه « الفلسفة » ميراث من عهد دنلوب ، مستشار « وزارة المعارف » الانجليزى الذى أرسى قواعد « التعليم الحديث » فى مصر وجعله موجها الى تخريج صغار الموظفين فى حكومة الاستعمار ، وقاوم أشد المقاومة فكرة « الجامعة المصرية » ، ولعله أيضا سمة من سمات عصر التخلف الذى انتهت اليه الحضارة العربية الاسلامية قبل المواجهة الأخيرة بينها وبين الحضارة الغربية الناشئة المقتحمة . ومع ذلك يقتضى الانصاف لأنفسنا أن نقرر أن أعظم المجددين تأثيرا فى الثقافة العربية الحديثة ، ابتداء من رفاعة رافع الطهطاوى إلى طه حسين ، كانت نشأتهم الأولى فى الأزهر قبل ان يتصلوا اتصالا مباشرا بالثقافة الغربية فى أرفع صورها .

● فكرة الجامعة المصرية

وقد قامت الجامعة المصرية (الأهلية)

لتتم عملية تحديث الثقافة العربية على أساس صحيح بعيد عن نهج دنلوب الاستعمارى . وبقيت اهلية الى ان حصلت مصر على استقلالها المشروط وأصبحت - نظريا - دولة مستقلة ذات سيادة ، تسعى الى التحديث بمحض ارادتها . ولاشك أن أساس التحديث هو تحرير الفكر . ولذلك أرادت الجامعة الناشئة أن تكون معقلا للفكر الحر ، وفى سبيل الدفاع عن حرية الفكر خاضت الجامعة معارك كثيرة ، ولم يكن صراعها ضد النهج الدنلوبى التلقينى هو أقل هذه المعارك ضراوة . وما كتبه طه حسين فى مقدمة « الأدب الجاهلى » عن تعليم الأدب فى المدارس وثيقة تؤرخ لإحدى مراحل هذا الصراع . وكتاب « إحياء النحو » لابراهيم مصطفى والضجة التى قامت حوله وانتهت باشراك صاحبه فى اللجان التى شكلت لوضع كتب النحو المقررة فى التعليم العام مرحلة أخرى . ولا يزال الصراع ممتدا الى ايامنا هذه ، وان غطت عليه مشكلات عويصة أخرى أشد إلحاحا . فطوال العقود الأربعة التى أعقبت إنشاء الجامعة (١٩٠٨) ، أى إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية بقليل ، كان الصراع الطبقى كامنا تحت المطالب الوطنية والتحررية الغامضة ، ولذلك كان ابناء الفقراء لايتطلعون إلى إتمام تعليمهم فى الجامعة التى كانت مصروفاتها ، إلى جانب ما يمكن ان يتكلفه طالب يأتى من قريته أو مدينته الصغيرة ليقيم فى القاهرة ، أو الاسكندرية من بعد ، كافية لإعاشة اسرة كاملة من الأسر الفقيرة . بل كان التعليم الثانوى نفسه مطلبا غير يسير ، وكان الكثيرون يقنعون بتعليم متوسط ، زراعى أو صناعى . ومن ثم كانت الشهادة الجامعية علامة على منزلة اجتماعية ، لا على درجة من الكفاءة العلمية فحسب . ولما بدأ القلق الاجتماعى يساور النفوس ، كان مطلب المساواة فى التعليم سابقا على كل مطلب آخر ، إذ كانت « الشهادة » ، ولا سيما « الشهادة العالية » ذات قيمة رمزية فضلا عن قيمتها المادية كجواز مرور الى وظائف الحكومة . وأخذت الصحافة تلح على ما سماه بعض كتابها « تكافؤ الفرص » ، ثم كان الشعار الذى أطلقه طه حسين « التعليم كالماء والهواء » ، وقد جعله قانونا حين تولى وزارة المعارف فى الوزارة الوفدية الأخيرة سنة ١٩٥٠ ، ولكنه وقف دون التعليم الجامعى ، الذى لم يلبث ان تقررت مجانيته فى عهد عبد الناصر .

وهكذا لم تعد الجامعة مشغولة فقط بقضايا التحديث وحرية الفكر ، بل ظهرت مشكلات اخرى أهمها مشكلة تكدس الطلاب مع قصور الأدوات ، وما أدى اليه ذلك من هبوط مستوى المتخرجين . وصنعت الجامعة بدورها - ودون ان تقصد - مشكلة اخرى للمجتمع ، وهى مشكلة البطالة - السافرة او المقنعة - بين متخرجيها فى الوقت الذى تشكو فيه قطاعات الاعمال من نقص العمالة المدربة ! وهكذا يرتد الصواب او الخطأ



القفز على الاشواك

في السياسة الاجتماعية اليها هى نفسها ، مضاعفا مائة مرة ، من خلال التعليم .

لقد حققت السياسة الاجتماعية أهدافها من الناحية المعنوية فقط . فرفع الانسان الفقير رأسه لأنه أصبح ، من حيث الرموز الاجتماعية وعلى رأسها رمز الشهادة الجامعية ، مساويا للغنى . ولكن التغيير المعنوى لايكفى ، بل يمكن أن يكون ضارا بل مدمرا ، اذا لم يصاحبه تغيير اقتصادى مواز . بعبارة اخرى ، لايمكن ان يكون للمساواة فى التعليم معنى اذا لم يكن للتعليم مردوده الاقتصادى .

وما دام التعليم مربوطا بالشهادة التى تؤهل صاحبها للالتحاق باحدى وظائف الحكومة ، ووظيفة الحكومة لاتفى بضرورات الحياة ، فإن قيمة التعليم لاقتصاد الفرد تساوى بالضبط القيمة المادية لهذه الوظيفة ، واذا اتسع الفارق بين القيم المعنوية والقيم المادية فى حياة الفرد فهذا نذير بتضاعف القلق الاجتماعى .

● هل تغير المجتمع حقا ؟

إن الذى يتأمل مشكلات التعليم عندنا فى الوقت الحاضر ، لا يجد مناصا من الحكم بأن مجتمعنا لم يتغير تغيرا جذريا خلال العقود الأربعة الأخيرة .

فـ« تذويب الفوارق بين الطبقات » ، وهو الشعار الاجتماعى الذى أملى مجانية التعليم بجميع درجاته ، لم يحدث . ومن ثم فقد ظهر بجانب التعليم العام المجانى تعليم خاص بمصروفات باهظة ، يتمتع فيه ابناء الأغنياء برفقة ابناء الأغنياء أمثالهم ، فلا يجلس « ابن المدير بجانب ابن البواب » كما كان يقال . وبجانب هذه الميزة الأساسية توفر لهم المدارس الخاصة مزايا قليلة أخرى ، منها انهم يجلسون فى فصول أقل ازدحاما ، وأنهم يتلقون دروسا اكثر فى اللغات الأجنبية .

وبما أن أبناء الفقراء ـ رغم ذلك ـ يتفوقون عليهم ويسبقونهم الى مقاعد الجامعة التى مازال معيار القبول فيها هو مجموع الدرجات (هناك تفكير فى تغييره) ، فإن الحديث يتردد بين أونة وأخرى عن إنشاء جامعة حرة بمصروفات ، واذا تذكرنا أن الجامعة الأمريكية بالقاهرة هى جامعة حرة أيضا ، وأنها تتقاضى مصروفات لايقدر عليها الا ذوو الطول ، ولكنها تشترط مجموعات عالية ، حكمنا فإن الجامعة الحرة المقترحة لن تضم إلا الخائبين فى الدراسة من ابناء الأغنياء ، اى ان مهمتها لن تعدو اعطاء « الرمز الاجتماعى » ، بدون اى مدلول علمى ، لهؤلاء الخائبين . وفى مقابل ذلك نجد فكرة الجامعة المفتوحة ، التى تخفف

ضغط ابناء الفقراء على الجامعات الحكومية ، وتمنحهم - مثل هذه الجامعات - شهادة ترضى بها تطلعاتهم الاجتماعية (قدر الامكان) .

ومعنى ذلك أن التعليم عندنا مازال يدور حول محور « الشهادة - الرمز الاجتماعي » ، وان مجتمعنا مازال يعاني من التفاوت المخيف بين الأغنياء والفقراء ، وما ذلك الا لأن السياسة الاجتماعية لم تستطع أن تقرن المساواة المعنوية بالمساواة فى فرص النجاح المادى ، من خلال تعليم يفي بالغرضين معا . مازال مجتمعنا ينظر الى التعليم على انه وجاهة وزينة ، ويسلم - وان زعم غير ذلك - بأن النجاح المادى يتحقق بالوراثة ، وراثة الجاه والنفوذ قبل وراثة المال ، ولا يتحقق بالانتاج على كل حال .

قبل الأربعين سنة الأخيرة ، كانت التركيبة الاجتماعية فى مصر جامدة ومازال النمو الاقتصادى محدودا .

وخلال الأربعين سنة الأخيرة ، تغيرت أشياء كثيرة فى التركيبة الاجتماعية ومازال النمو الاقتصادى محدودا .

وكان للتعليم دور فى المرحلتين . لم يكن هو الدور الموجه بكل تأكيد ، فالتعليم يتبع السياسة وينفذ أغراضها ، ولكنه أصبح المسئول فى نظر السياسيين ، وفى نظر الجمهور ، عن اختلال التوازن بين البنية الاقتصادية والاهداف الاجتماعية . وأبرز مظاهر هذا الاختلال هو قصور موارد الدولة عن توفير التعليم المناسب لكل من هم فى سن التعليم (تعليم الكبار لم يعد له مكان فى زحمة المشكلات) . ولكن من مظاهره أيضا إدخال الحسّابة (الكمبيوتر) فى برامج التعليم مع أن معظم المدارس لاتتمتع بدورة مياه نظيفة . **ولعلى لا ابالغ اذا قلت ان فساد الاخلاق وانحطاط معايير التعامل يرجعان - قبل كل شىء - إلى ذلك الاختلال بين البنية الاقتصادية والأهداف الاجتماعية .**

وبما ان التعليم أصبح هو المسئول - عدلا أو ظلما - عن هذه الحال ، فلابد أن تبدأ التغيير من التعليم .

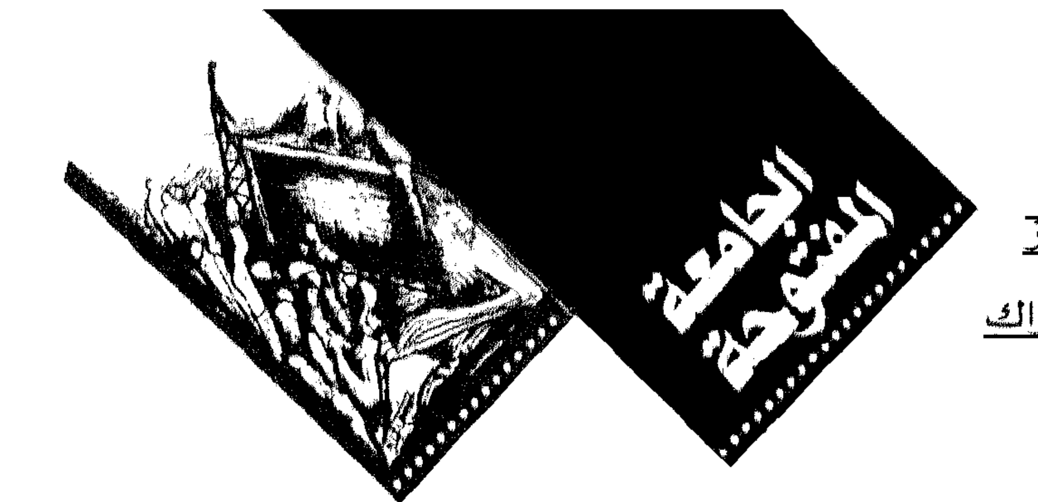
ونقول - كما قلنا مرات كثيرة - إن مسئولية التغيير لاتقع على عاتق الدولة وحدها . فالدولة هى المؤسسة فى المجتمع ، ولكنها لاتشل عمل غيرها من المؤسسات ، ولا تنفخ الروح فى موات . ولعل المسئولية الأولى تقع على الفكر والحوار ، ثم على جهود المخاطرين ، الذين ينفرون من الطرق المسلوكة . فكل فكر لايقترن بالعمل هو ضرب من الأحلام ، والتصورات المستقبلية التى تبدأ من الكمبيوتر ليست الا سخرية من أمة فقيرة .

إن العملية التعليمية مشروطة بظروف الزمان والمكان ، وفى ضوء هذه الظروف تحدد الأهداف ، وتختار الوسائل التكنولوجية المناسبة لتحقيق الأهداف .

● قصور مستقبلى يناسب الحال

وقد تحدثنا فى السطور السابقة عن ظروف العملية التعليمية فى الوقت الحاضر ، وجذورها فى التاريخ القريب . ولعلنا نتفق على ان آفة التعليم فى الوقت الحاضر هى انه غير منتج ، ومن ثم فعلاجه ان يوجه نحو الانتاج ولكننا يجب

القفز على الاشواك



ان نتفق ايضا على ان تحويل الناس الى آلات منتجة ليس بالهدف الانسانى المرموق ، واننا لانريد من التعليم ان يخرج الانسان المنتج فحسب ، بل نريد الانسان المنتج المثقف ، اليقظ ، الذى يتذوق الفن الجميل ، ويحسن التفكير فى الأمور العامة . اى أننا نتمسك بالقيم الانسانية فى التعليم ، تلك القيم التى تحتضنها المؤسسات الثقافية والتعليمية فى العالم ـ المتمدن ، فى مواجهة طغيان الحضارة المادية . ومن المؤسف أن تعليمنا الذى لم يعد الشباب اعدادا حسنا ليكونوا منتجين ، لم يجعل منهم أيضا شبابا مثقفين **لأن القيم المعنوية التى اهتم بغرسها لم تكن قيما انسانية بل قيما سياسية سطحية .**

وأول ماينبغى الأخذ به ، ليستقيم حال التعليم عندنا ، أن ننزل « الشهادة » منزلتها الصحيحة : فلا تكون رمزا اجتماعيا ، ولا جواز مرور الى الوظيفة ، بل مجرد شهادة بان فلانا الفلانى اتم دراسته فى موضوع كذا فى معهد كذا ، يمكنه ان يعلقها فى برواز فى منزله او محل عمله ، وكثير من الناس يتباهون بهذه الأوراق ، ولكنها لاتؤخذ دليلا على اكثر من منطوقها الصريح ..

ثم اتصور بعد ذلك أن يستبدل بمعاهد التعليم العام على اختلافها ، من نظرية وعملية ، نظام كنظام التلمذة الصناعية الذى كان سائدا طوال العصور الوسطى وعصر النهضة .

ولايحسبن أحد أن هذا الاقتراح رجعة الى الوراء ، أو رفض للمدنية الحديثة . فمن خصائص هذه المدنية اسقاط الحواجز بين المؤسسات وبين الحياة العامة . جلسات المجالس النيابية تعرض على شاشات التليفزيون . الممثلون فى المسرح يختلطون بالمشاهدين وفى المدرسة ايضا : مجالس الآباء تجمع المعلمين وأولياء الأمور . وفى الجامعات تجرى الأبحاث العلمية لحساب المؤسسات الصناعية .

فالتصور الذى اقترحه يستلهم هذا التطور ، ويسبقه بدرجة أو درجات ، ويتيح لنا بذلك فرصة لنتقدم الصفوف ، بدلا من أن نبقى دائما فى المؤخرة .

والأمر واضح فى الجامعات ، التى يجب ان تتحول جميعها الى مراكز أبحاث .

وتبقى « الجامعة المفتوحة » **معرضا عظيما للثقافة الانسانية تصقل الأذواق وتهذب العقول ، بدلا من كونها رقعة جديدة تحاول ـ عبثا ـ أن تسد خرقا من الخروق الكثيرة فى سياسة التعليم .**





● « إذا كانت ثمة موانع فى الوصول إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة فلا يمكن اعتبار هذه الموانع حقا دوليا »

الرئيس الفرنسى ميتران

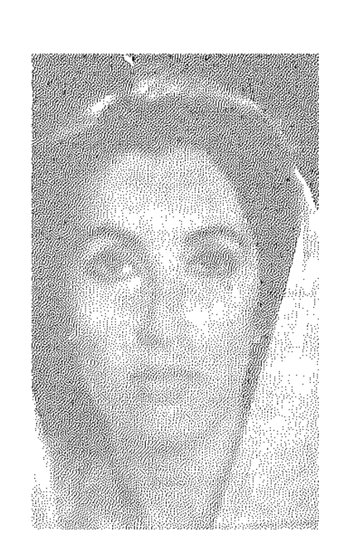
● « لم يعد الاتحاد السوفييتي يشكل تهديدا للولايات المتحدة »

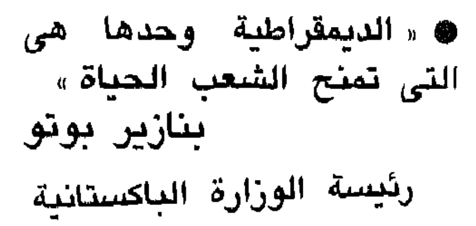
ريجان

● « ليس بالديمقراطية وحدها يعيش الانسان »

كارلوس مينيم

مرشح الرئاسة الأرجنتينية





● « الديمقراطية وحدها هى التى تمنح الشعب الحياة »

بنازير بوتو

رئيسة الوزارة الباكستانية

● « الانتفاضة أصبحت دواما »

الشاعر سميح القاسم

● « الانتفـاضـة أعطـت الفلسطينيين حصـانـة ضـد اليأس »

الشاعر محمود درويش

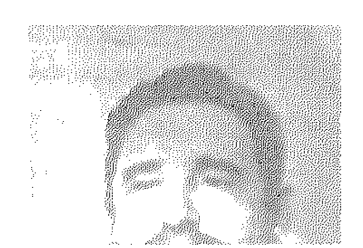
● « إنى شديد التشاؤم من تطور الاوضاع فى الشرق الأوسط »

صموئيل لوس

سفير الولايات المتحدة السابق فى اسرائيل

● « لم أكذب أبدا فى موسيقاى »

الموسيقار السوفيتى: ديمترى شوستاكوفيتش



● « نحن لانتخلى عن مبادئنا من أجل حفنة من الميداليات فى الاوليمبياد » !

فيدل كاسترو

نحو موسوعة عربية شاملة

بقلم: مصطفى نبيل

عندما نتحدث عن المستقبل وآفاقه الواسعة ، ونبحث عن الحلقة الرئيسية الناقصة في الحقل الثقافى ، والخطوة التى تسبق سواها ، وتملك آلية خاصة تؤدى إلى الارتقاء بالمعارف ، وتضم جمّاع المعرفة ، تبرز الحاجة لإحياء مشروع دائرة المعارف العربية .

فالكل يجمع على حاجة البنية الثقافية العربية المعاصرة إلى حركة موسوعية شاملة ومتجددة ، تساهم فى إثراء العقل العربى حتى يأخذ مكانه من جديد فى مسيرة التقدم الإنسانى .

وما أكثر الدعوات التى ألحت وطالبت بإقامة هذا الصرح الكبير ، وما أكثر اللجان والهيئات التى تكونت فى مصر وفى بقية الدول العربية ، ومع هذا بقيت الموسوعة مجرد حلم يراود المثقفين ، وحرم القارىء العربى من دائرة معارف شاملة بالمفهوم الحديث ، وإنشغل الجميع بما تحت مواقع أقدامهم عوضا عن الغد البعيد ، وانصرفوا إلى الآنى بديلا عن المستقبل ، وبالسهل بديلا عن الجهد الدءوب ، مع تقاعس فى تعبئة الجهود من أجل أجيال قادمة .

ومنذ أن نشر المستشرق الايطالى كارلو فللينى فى مجلة الهلال فى مايو عام ١٩٣٦ مقالا يدعو فيه إلى إقامة موسوعة عربية ، ويبين الصعوبات الجمة التى

واجهتها إيطاليا لإقامة موسوعتها الكبرى ، وتتوالى المقالات بأقلام كبار الكتاب تطالب بإقامة دائرة معارف عربية ، وفى كل مرة تنتهى الدعوة بإقامة اللجان لبحث المشروع ، ولكن سرعان ما يفتر الحماس وتخمد الهمة ، ويتوارى المشروع ليحل محله الأسهل والأسرع من الأفكار ..

ولايحول ذلك من إعادة طرح الفكرة ، والتذكير الدائم بأهميتها ، وتأمل أسباب الفشل والعجز عن تنفيذها ، حتى نرى اليوم الذى يوضع فيه مشروع الموسوعة على الطريق الصحيح ، وأن تؤسس جمعية أو هيئة علمية مستقلة وتتضافر جهود العلماء العرب بروح الفريق من أجل إصدار الموسوعة العربية على النحو الذى سبق وأصدرت الموسوعات الكبرى .

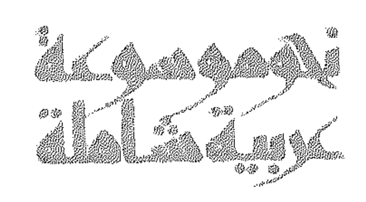
وندرك ونحن ندعو لاقامة الموسوعة ضخامة المشروع وجسامة الجهد المطلوب ، وأنه من ذلك النوع من المشروعات الذى لايرى نتائجه بالضرورة أولئك الذين بذلوا الجهد فى إقامته ، فهو يتطلب قدرا هائلا من العمل الدءوب وإنكار الذات ، مع مصادر تمويل لاتنضب .

ولكنه فى ذات الوقت اللبنة الأولى فى حركة الاستنارة ، والمكمل الطبيعى لإقامة الجامعات الكبرى والأكاديميات العلمية ، وهو الذى يتيح المعرفة الانسانية للجميع .

ويتفق المؤرخون على أن إصدار دائرة المعارف الفرنسية كانت وراء قيام الثورة الفرنسية ، وتحطيم سجن الباستيل ، كما يؤكدون على الدور البارز الذى قامت به الحركة الموسوعية فى النهضة الأوربية الحديثة ، فنشر المعارف على أسس عقلانية ثابتة هى التى تؤكد الحقوق المتساوية للمواطنين ، وهى التى تفجر الطاقة الإنسانية من أجل التقدم والعدل .

لذلك فمشروع الموسوعة هو بحق مشروع الصناعة الثقيلة فى مجال الفكر ، وعمل جذرى ينزه العلم عن الأغراض ، ويصفى المعارف من الخرافات ، ويؤكد الهوية الثقافية ، فلا يوجد شعب يعتز بهويته وثقافته وتراثه الانسانى ، الا ولديه دائرة معارف بلغته تعكس رؤيته للماضى وللمستقبل ، وتقدم كل المعارف الانسانية وتحافظ على تراثه الفكرى ، فالمعرفة البعيدة عن الغرض والمنزهة من التحيز ، تحسم العديد من القضايا الخلافية ، التى ما تكاد تهدأ حتى تعود الى التفجر من جديد فى حياتنا الفكرية ، وهذه المعرفة هى التى تحقق الميزان الدقيق بين الوافد والموروث ، وتقدم لأولئك الذين ينادون بالحفاظ على التراث امكانية توثيقه مع التمييز الدقيق بين الأصيل والمزيف . وتقدم ايضا لأولئك الذين يؤمنون بالوحدة العربية الأساس الأكيد لوحدة الثقافة العربية ، بدلا من مجرد ترديد الشعارات ، علاوة على أن الموسوعة العربية الشاملة هى المتمم الضرورى للاستقلال ورمز التقدم العلمى والثقافى .

ويقتضى مواجهة التحدى الحضارى الذى نعيشه أن نفتح عقولنا ، ونقرأ كل أنواع المعارف ، وأن ندرس كل فروع المعرفة ، واستخداماتها التطبيقية والعلمية ، ونطرح كل القضايا من غير محظورات ، وبذلك نكف عن أن نكون مجرد مستهلكين ، وأن نشارك فى التحكم فى العلوم وتطويعها لاحتياجاتنا ،



والموسوعة العربية هى خطوة هامة تعطى الأمل فى تحقيق ذلك .

ويمكن أن تبدأ الموسوعة العربية بالتأليف والتعريب معا ، التأليف فى الانسانيات مثل الفلسفة والتاريخ والاجتماع ، ويكتفى فى المرحلة الأولى بتعريب المادة العلمية مثل الطب والهندسة والرياضيات معتمدين على الموسوعات العالمية المختلفة ، مع وضع برنامج لزيادة المؤلَّف وتقليص المُعَرَّب مع نمو المعارف العلمية .

وعند الحديث عن الموسوعات يقفز الى الذهن الموسوعات الكبرى مثل الأمريكية والسوفييتية والبريطانية والفرنسية ، ويغيب نجاح دول صغيرة ومحدودة الإمكانات فى اصدار دوائر معارف تسجل تطور المعرفة بلغتها القومية ، ويصل عدد دوائر المعارف فى العالم الى الألف ، واستطاعت دول صغيرة مثل بلغاريا واليونان من الدول الأوربية ، ومثل سرى لانكا من الدول الآسيوية من أن تصدر كل منها موسوعتها الخاصة ، ولا يفوتنا أن نذكر أيضا دائرة المعارف اليهودية التى تصدرها الوكالة اليهودية .

الموســـــوعــات وعصـر النهضـــة

واصدار الموسوعات ارتبط ارتباطا وثيقا بالتقدم ، والنهضة ، ولم يكن ظهور دوائر المعارف فى عصر النهضة صدفة ، بل اقترن بالانفجارات العلمية فى أوربا فى القرنين السادس والسابع عشر على يد علماء تجريبيين أمثال كوبرنيكوس وجاليليو وبيكون ونيوتن وهى الانفجارات التى نقلت الغرب من ظلام العصور الوسطى الى العصور الحديثة ، وحققت له السبق فى المعارف والغلبة فى الناحية السياسية على بقية العالم ، وأول دائرة معارف أوربية نشرت فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وانجزها لفيف من علماء فرنسا فى عصر التنوير ، بإشراف ديدرو (١٧١٣ ـ ١٧٨٤ م) وظهرت فى ٣٥ جزءا فى الفترة مابين سنة ١٧٥٠ و١٧٨٠ ، وشارك فى تحريرها عدد كبير من العلماء والمفكرين منهم فولتير وروسو ومونتسيكيو ، وفى بريطانيا صدرت دائرة المعارف البريطانية فى الأعوام ١٧٦٨ ـ ١٧٧١ فى ثلاثة أجزاء ، ثم أخذت فى التطور وأصبحت دائرة معارف عالمية .

وبذل الروس جهدا كبيرا فى اخراج دائرة معارف باللغة الروسية ، وكانت أول دائرة معارف كبرى هى دائرة معارف بروكجاوس وافرون فى ٨٢ جزءا ظهر آخرها عام ١٩٠٧ ، ثم ظهرت دائرة معارف سوفييتية كبرى من ٦٥ جزءا عام ١٩٤٧ ، وتصغر وتتجدد طبعاتها على التوالى .

وبدأت اليابان بترجمة دائرة المعارف البريطانية ، ثم أخذت بعدها فى اخراج دائرة معارف خاصة بها .

● الموسوعات العربية

وفى التراث العربى الكثير من الأعمال الموسوعية ، فإذا كانت الموسوعات فى المغرب الأوربى نتاج عصر النهضة فقد سبقها العديد من الأعمال الموسوعية فى

الشرق مثل : معجم ديوان الأدب لأبى ابراهيم الفارابى ، ومعجم تاج العروس للزبيدى ، ومعجم الصحاح للجوهرى ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، وأساس البلاغة للزمخشرى ، والمصباح المنير للفيومى ، ومحيط المحيط للبستاني ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى .

كما شهدت مصر المملوكية في القرون الوسطى أعمالا موسوعية هامة ، حتى أطلق الأستاذ عبدالله عنان على القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) عصر الموسوعات ، عندما ظهر فى مدارس مصر المملوكية وفى أروقة الأزهر الشريف وبين الوراقين عدد من العلماء الموسوعيين ، ويعتبر أبوالعباس القلقشندى (المتوفى سنة ٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) صاحب أهم هذه الموسوعات ، وهو مولود فى قلقشندة أحد قرى القليوبية ، وصاحب كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الانشاء » جمع بين دفتيه كل معرفة عصره ، ووصل بموسوعته الى مالم يصل اليه احد من قبله فى التوسع والتبسط فى المادة ، وقد اصدرت دار الكتب فى القاهرة الكتاب كاملا فى أربعة عشر مجلدا .

كما كان شهاب الدين النويرى (المتوفى عام ٧٣٢ هـ - ١٣٣٢ م) أحد رواد مدرسة الموسوعات ، وقد ظهر فى عصر الناصر قلاوون ، وكتب النويرى مقدما موسوعته : « فامتطيت جواد المطالعة ، وركضت فى ميدان المراجعة ، حيث ذل لى مركبها وصفا لى مشربها ، أثرت ان أجرد منها كتابا أستأنس به وأرجع اليه وأعول فيما يعرض لى من المهمات عليه ، فاستخرت الله وأثبت منها خمسة فنون حسنة الترتيب بنية التقسيم والتبويب » .

وأنجز موسوعة ضخمة تشمل المعارف الأوربية والتاريخية ، التى لم يسبق أن جمعت بين دفتى كتاب ، وأطلق عليها « نهاية الارب فى فنون الأدب » ، واذا كانت لم تتناول المواد العلمية مثل الطب والرياضة والكيمياء ، فإنها أفاضت فى فروع المعرفة المختلفة مثل أنواع الحيوان والنبات ، وصدرت فى واحد وثلاثين مجلدا .

أما ثالث الموسوعات المصرية فكتاب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » لشهاب الدين أحمد بن فضل العمرى (المتوفى عام ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م) وعنى فيه بدراسة الجغرافيا والأمور السياسية اى الممالك وطبائعها وخواصها ، ودرس تاريخ الأمم وأحوالها ، وخاصة امم الشرق النائية مثل الهند والصين والتتار ، وقدم المعروف من علم الفلك ، والف موسوعة كبرى تصل الى عشرين مجلدا ، ويسميه مؤلفه « أثر الحياة » وأنه « قطع فيه الأيام والليالى » .

ويرى البعض أن هذه الموسوعات لاينطبق عليها المفهوم الحديث لدائرة المعارف العصرية ، الا انها مجهودات فردية تمثل العصر الذى كتبت فيه ، والبداية التى لو تطورت لوصلت الى الموسوعات بمعناها الحديث ، وهى بحق بداية الأعمال الموسوعية .

● جيل الرواد

وإذا قفزنا من العصور الوسطى الى

نحو موسوعة عربية شاملة

العصر الحديث ، نجد الاتجاهات الموسوعية واضحة في جيل الرواد ، وكانت دائرة المعارف الشاملة حلما يداعب الكثيرين ، وقام على باشا مبارك ورفاعة الطهطاوى وعباس محمود العقاد ، بتقديم نظرات موسوعية شاملة وقام مفكر مصرى هو محمد فريد وجدى بإخراج دائرة معارف القرن العشرين .. فى عشرة مجلدات ، وظهرت العديد من المجهودات الفردية لكبار الكتاب تمثلت فى عدد من الأعمال مثل :

● موسوعة الاعلام ، مكونة من عشرة اجزاء ، وتتناول اعلام العالم العربى وبعض المستشرقين كتبها خير الدين الزركلى .

● معجم قبائل العرب من ثلاثة مجلدات لمؤلفه عمر رضا كحاله ، الذى يتناول كافة القبائل العربية .

● دائرة المعارف للبستانى ١١ جزءا تنتهى بحرف العين عام ١٩٠٠ .

● قام د . عبدالرحمن بدوى بمفرده باصدار الموسوعة الفلسفية بعد القائمة الكبيرة من المؤلفات التى اصدرها .

● دائرة المعارف الاسلامية ، التى ترجمت الى اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية ، وصدرت ترجمتها العربية فى القاهرة فى اعداد دورية منذ عام ١٩٣٣ ، واضيفت اليها تعليقات وشروح وكان يصدرها احمد الشنتاوى ، ود . ابراهيم زكى خورشيد ، ود . عبدالحميد يونس وصدر منها ١٤ مجلدا .. ولم تكتمل ؟ !

● الموسوعة العربية الميسرة نقلا عن موسوعة كولومبيا الامريكية ، مضافا اليها مواد عربية والتى ظهرت فى مجلد واحد عام ١٩٦٥ باشراف محمد شفيق غربال ، وشارك فى تحريرها د . ابراهيم مدكور واسماعيل مظهر ود . زكى نجيب محمود وفؤاد صروف ومريت غالى وقسطنطين زريق واشرفت على اصدارها مؤسسة فرانكلين الامريكية

بالاضافة الى عدد من الموسوعات المتخصصة تتناول مسائل طبية واقتصادية وتاريخية وسياسية

وتم انجاز عدد من هذه الموسوعات فى وقت لم يكن لدينا فيه كل هذه الجامعات ، وليس لدينا كل هذه المطابع ودور النشر المنتشرة فى ارجاء الوطن العربى ، وقبل ظهور تلك الثورة الهائلة من فوائض رءوس الاموال الناتجة عن الثروة النفطية .

وبقى ان تتحول هذه المجهودات الفردية إلى مجهود جماعى يصب فى الموسوعة العربية الشاملة .

● مشروع الموسوعة !

والمذهل حقا ، ان مشروع الموسوعة العربية ، قائم منذ فترة بعيدة على رأس اهتمامات الادارات الثقافية ، بدا التفكير فيها عندما كانت الثقافة مجرد ادارة تتبع وزارة المعارف ، وانتقل المشروع عندما اصبحت للثقافة وزارة خاصة بها هى وزارة الارشاد القومى ، والتى قامت بالعديد من المشروعات الثقافية الهامة وعجزت عن القيام بهذا المشروع الكبير ، وبقى مجرد مشروع فى اوراقها ، وهى

تتحول عام ١٩٧٠ الى وزارة للارشاد والاعلام ، ثم عندما انفصلت الثقافة عن الاعلام من جديد عام ١٩٧٣ ، ومع توزع مسئولية الثقافة على العديد من المؤسسات وزارة الثقافة والمجلس الوطنى للآداب والفنون والمجالس القومية المتخصصة لشئون الثقافة ومع كل هذه التغيرات ، اكتفى بتكوين اللجان واصدار المذكرات !!

بل وقامت الهيئة العامة للاستعلامات فى الستينيات يتبنى مشروع لاقامة موسوعة مصرية ، عندما كان يتولاها د . محمد حسن الزيات ، وتحددت الموضوعات والعناوين وكلف عددا من الكتاب وقاموا بعملهم وحصلوا على مكافآتهم ، وبقيت مواد الموسوعة فى الاضابير لم تصدر !!

وانتقل مشروع الموسوعة العربية الى جامعة الدول العربية ، الى الادارة الثقافية فى بداية الخمسينيات وتبنى الفكرة وزراء المعارف العرب فى اجتماعهم الاول فى القاهرة عام ١٩٥٣ ، وقامت لجنة تضم الأساتذة احمد امين وشفيق غربال وساطع الحصرى ، ومحمد بديع الشريف

واعدت مشروع الموسوعة الذى قدرت تكاليفه يومها بسبعة الاف جنيه ، على ان تصدر الموسوعة فى اربعة مجلدات بعد مراجعة الموسوعات المختلفة ، وتعريب كل المصطلحات الاجنبية ، ولم ير المشروع النور !!

وانتقل مشروع الموسوعة منذ عام ١٩٦١ بندا دائما على جدول اعمال مجلس الجامعة العربية واجتماعات وزراء التربية والتعليم العرب ، **وعندما اقيمت المنظمة العربية للتربية والعلوم انتقل اليها واصبح لدينا مجموعة لا باس بها من القرارات والدراسات والتوصيات وأعمال اللجان والتى تحتاج الى مَن ينقلها الى حيز التنفيذ !**

وتتغير المؤسسات والفشل واحد ، فبعد ان انتقل مشروع الموسوعة الى الجامعة العربية برزت ذريعة جديدة والقت الحكومات العربية المسئولية على الجامعة العربية والعكس ، وتعثر المشروع نتيجة المناقشات الاقليمية والخلافات السياسية والخلط فى اوليات العمل الثقافى .

ويقدم مشروع الموسوعة العربية نموذجا صارخا لتبديد الوقت وضياع الجهد ، وكيف يصبح « الكلام » بديلا عن الفعل ، وكيف تهدر الفرص المتاحة ، وضياع الامكانيات القائمة فقد رأينا كيف توفرت الارضية الصلبة لاقامة مشروع الموسوعة العربية ، فقد اتسم التراث العربى فى كثير من مراحله بالموسوعية ، وظهر جيل من الرواد انجز الكثير من الاعمال الموسوعية **وتبدد هذا كله امام العجز عن العمل بروح الفريق .**

هل حان الوقت بعد كل هذه التجارب الفاشلة .. ان نبدأ من جديد ؟! وان تصب كل المشروعات القائمة فى مشروع واحد ، ومؤسسة واحدة مستقلة ، على نحو ما تالفت به الهيئات التى انجزت الموسوعات الكبرى ، وان توضع تحت يدها كل الامكانيات ، ويتجمع داخلها كل العلماء العرب حتى نسد الثغرة الاساسية فى الحياة الثقافية العربية ؟ !

نحو علاقات عربية جديدة

يسود المنطقة العربيـة شعور بالتفاؤل حول احتمال تحقيق حالة من التضـامن او التهدئة بين الدول العربيـة . والخلط بين المفهومين قد يؤدى الى زيادة التوقعات والامـال وهو ما يؤدى بدوره الى خيبـة امل جديدة ، هل ما يجرى على السـاحة العربية الان سعى نحـو تضامن عربى ام هو محاولة لتحقيق تهدئة فى الصدمات والخلافات العربية ؟

بقلم : جميل مطر

● التضامن يعني بين اشياء كثيرة ان الاطراف تقاربت رؤاها ومصالحها واجتمعت على شعور بالمنظر المشترك او الهدف المشترك بحيث تصبح اكثر استعدادا لتبادل تنازلات والتوقف عن تصفية حسابات قديمة ونزع جذور الخلافات والصراعات بينها . هذه شروط لايتوفر الان واحد منها . فالرؤى والمصالح متباعدة بمدى تباعد طباع وخلفيات القادة والحكام الذين مازالوا فى غـالبيتهم يعتمدون على أمزجتهم ومصالحهم الشخصية لتعريف وتحديد رؤى ومصـالح اقطـارهم . اما الشعور بالخطر المشترك فلم يكن فى يوم من الايام دافعـا للتضـامن العربي . فما اكثر الخطر المشترك الذى شعرت به شعوب العرب ولم تشـعر به قياداتها . وما اكثر الشعور بالخطر الذى شعر به قادة العرب ولم تشعر به شعوبهم .

لذلك فالاحتمال الاكبر ان التضامن العـربى لن يكون احدى سـمات المرحـلة القادمة ، وأن الهـدف الحقيقى من كل التحركات الجارية حاليا هو تحقيق تهدئة فى المصادمات العربية . والتهدئة مطلوبة لأسباب متعددة ، اهمها انهـا اذا تحققت فسوف تخفى أهم أوجه القصـور فى الهيكل العـربى الراهن . وهو انهـيار مراكز القوة العـربية ، وانهيار نظام التوازنات العـربية الذى كان احد الضـمانات الرئيسية لاستمرار خصوصية وعروبة المنطقة

● عناصر القوة

لقد اعتمد نظام التوازنات العربية فى مختلف مراحل تطوره على ثلاثة من عناصر القوة : العنصر البشرى والعنصـر الايديولوجى والعنصـر الاقتصادى . فى مرحلة من المراحل اجتمعت لمصر ثلاثتها ، ثم فقدتهـا واحدا بعـد الاخر وخصـوصا حين أصبح العنصر البشرى سلعة فائضة وعبئـا على العنصرين الاخـرين .

وفى مرحلة ثانية وفى ظل انحسار دور مصر ، وبالتحديد منذ بدايات السبعينيات ، تقاسم ساحة التوازنات العربية عنصرا الاقتصاد والايديولوجية . وفى المرحلة الثالثة ـ الراهنة ـ والتى بدأت منذ اعوام قليلة .. دخلت المنطقة العربية مرحلة انحسار وربما انهيار هذين العنصرين . اذ لم تعد هناك اطراف عربية تقوى حتى على الزعم بانها تشتق قوة ونفوذا منأيديولوجية أو عقيدة واضحة المعالم تلتزم بها بصراحة وأمانة . بمعنى اخر تفتتت المنطقة الى أطراف ليس بينها من لديه من مقومات القوة ما يؤهله لاحتلال موقع قيادى أو لبعث نمط جديد من توازنات القوة .

وكان أول من شعر بهذه الحالة الجديدة طرفان احدهما كان يتمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الاقتصادى ، والاخر كان يتمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الايديولوجى . ولذلك لم تكن مصادفة أن تتزامن الدعوة جادة الى تنظيم تكتلات اقليمية مع التوجه الى انشاء تحالفات مع دول غير عربية. فى الحالة الاولى كان الهدف ان ينشأ تكتل اقليمى حول قطب اقوى نسبيا ، يكتسب القطب من التكتل مقومات قوة تساند مكانته فى المنطقة العربية ، وتكتسب بقية أطراف التكتل هوية اقليمية تحصن بها نفسها ضد احتمالات تطاير الاجزاء الصغيرة فى منطقة عواصف شديدة . فى الحالة الثانية شعر الطرف العربى الذى تمتع بقوة نسبية استنادا الى العنصر الايديولوجى باستمرار انحسار هذا العنصر وانكسار فاعليته فى المنطقة فلجأ الى تعويض هذا النقص بتحالف مع طرف غير عربى يهدد سلامة وامن حكومات عربية متعددة.

هذا الوضع ، أو التوازن الجديد ، لم يستمر طويلا حيث كان معدل انهيار عناصر القوة اسرع كثيرا مما توقعت مختلف الاطراف .

اذ تراجعت وبشدة عائدات النفط ، وأصبحت المنطقة بأسرها باستثناء قطر او قطرين تعانى من ارتفاع هائل فى حجم مديونياتها الدولية ، وتفشت البطالة ليس فقط فى دول الفائض البشرى ولكن ايضا فى دول الندرة البشرية والطفرة النفطية . وحدث انكشاف أمنى رهيب ، وزاد معدل هروب رءوس الاموال الخاصة الى اوربا وأمريكا ولتشارك فى وضع المعجزات الاقتصادية الجديدة فى دول جنوب شرقى آسيا وخصوصا فى تايلاند وسنغافورة ، وفى نفس الوقت بدأت تنضج على امتداد المنطقة العربية بأسرها ثمار النمو « الشيطانى » للغبانات الاجتماعية « الشيطانية » التى غرسها النفط منذ ـ وطوال ـ عشرين عاما .

● أسلوب التهدئة

أمام هذه المشكلات فضل معظم القادة والحكام الاخذ باسلوب التهدئة سواء لتأمين جبهاتهم الداخلية او لتأصيل المواجهات الخارجية . داخليا نما الاتجاه نحو الانفتاح السياسى والتعددية ، ولكنه النمو المشروط بمبادىء وفلسفة واهداف التهدئة ، أى ملتزم بعدم السعى لتحقيق تحول سياسى . فالحزب الاوحد أو الحزب الحكومى يظل المهيمن والاحزاب الاخرى تدور

فى فلكه ، ولكى يحافظ على الهيمنة يجرى تطوير برامجه واهـــدافه ومبادئه وعقيدته بحيث تتسـع لكل **الاجتهادات والتفسيرات ، وبذلك لا ينفرد حزب اخر بتبنى خط سياسى متميز أو مختلف او يجند شخصيات لها وزنها فى النخبة السياسية او يستدرج فئات ونقابات الى تشكيلاته ·**

وكما كانت مصر البادئة بالاخذ بأسلوب التهدئة الداخلية وتبعتها ـ بعد مقاومة ـ وتبعتهـا دول عربية تتزايد باستمرار ، كانت ايضا البادئة بالاخذ بأسلوب التهدئة فى السياسة الخارجية · ولكن هنا اختلف وتبـاين رد الفعل العربى ، فالمقاومة كانت شديدة وان تعددت أسبابها واغراضها ، الا أن الترحيب كان ايضا ملحوظا من اطراف لم تتمكـن وقتذاك من الاعـلان عن ترحيبها لاسباب تتعلق بتوازن القـوة العربية القائم حينئذ · نشبت الحرب العراقيـة الايرانية وتدهورت علاقات عربية متعددة كتعبير عن رفض بعض الاطـراف لسياسة التهدئة ثم اشتدت معـدلات الانهيـار وتوالى الازمات القطرية حتى كاد الكل يجمع على ضرورة الاخذ بسياسة التهدئة، أملا فى أن يتمكن كل طـرف من التفرغ لمعالجة مشـكلاته ، وتفويت الفرصة على الاخرين الذين اعتادوا التدخـل فى الشـئون الداخلية لاشقائهم ·

ولكن الى متى تسـتمر الاطراف العربية فى انتهاج اسلوب التهدئة فى علاقاتها بمجتمعاتها او بالاطراف الخـارجية ؟

الاجابة موجودة فى رحم أسلوب التهدئة · المتهدئة لا تحـل مشـكلات ولا تسوى أزمات · اقصى ما تستطيع تحقيقه هو تأجيل الانفجار · هى اذن اسـلوب من أساليب الهـروب من المواجهة ودليل عجز وعدم قدرة على استئصال اسبابها ·

التهدئة تختلف عن التضـامن ، فالتضامن يعنى نقلة ايجابية جريئة ، واستعدادا لتبادل الجهود والتنازلات وتخصـيص موارد قطرية لتحـقيق أهداف فوق القطرية وقدرة ابداع لتطوير مصالح واهداف مستقبلية · والتهدئة قد تبدو ضرورية كخطوة نحو تحقيق التضـامن · ولكن بشرط أن تكون جزءا عضويا من خطة السعى نحو التضامن وليست مرحلة قائمة بذاتهـا ·

● امر مختلف

ان الخطأ الشـائع الذى يقع فيه كثير من منظرى السياسة وممارسيها هو تصورهم أن الدول العربية يمكن ان تؤسس العلاقات بينها على أسس وقواعد السـلوك الدولى المتعارف عليها · فالدول الكبـرى مثلا تدخل فيما بينهـا على أسس وقواعـد السلوك الدولى المتعـارف عليها · فالدول الكبرى مثلا تدخل فيما بينها حروبا باردة وتقيم وفاقا دون أن يخل هذا او ذاك بقواعد السلوك الدولى، فالتمثيـل الديلوماسى لا ينقطـع ، والتجارة لا تتوقف ، والحدود لا تغلق فى وجه المواطنين والشعوب ورءوس الاموال ، والمفاوضات والمشـاورات تتواصـل · اما فى منطقتنا العربية وبين الاشقاء العرب فالامر مختلف ، وسيظل مختلفا · الحـاكم العربى

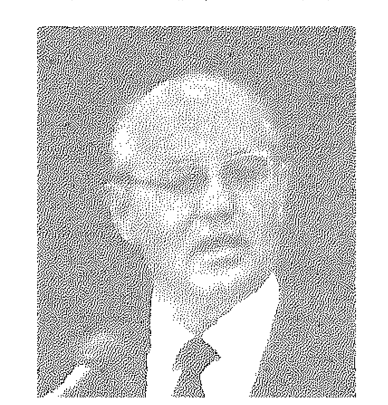
يضـــع قراره في شــأن داخلي او خارجي وعينه على اشقائه وشعوبهم وفي ذاكـــرته الخصبة تاريخ طويل سطرته سياسات هيمنة ، وحوادث ثأر واغتيالات وتحالفات ، وتجارب وحدوية ، وأساطير مذهبية ودينية ، وانساب قبلية ، ومصاهرات عائلية، وحدود سياسية مشكوك فيها · انه **تاريخ امة واحــدة لم تفلح خريطتها السياسية في تفتيتها امما متعددة ،**

نحن على اعتاب مرحلة ســوف تشهد محاولات مكثفة لتحقيق تهدئة في الخصومات والصراعات العربية، وفي مقدمتها محاولة استعادة مصر لمكانها في مؤسســات القرار العربي المشـترك كالقمة وجامعـــة الـــدول العربية · أقول استعادة مكانها ولا اقول استعادة مكـانتها ، ليس فقط لأن المكانة لا تمنح لانها تفرض نفسها بممارساتها ومبادئها ، ولكن أيضـا لان المتصوران احداهداف - وربما احد شروط التهدئة العربية - هو ان تعود مصر بشكل وفي اطار يسمح بتطويعها ويمنـــع انفلات طموحـاتها وتسرب مشكلاتها الداخلية ويضيف من بريق او عواقب تجاربها · كان أمل بعض الاطراف العربية التي اشــتركت - بداية أو بعد حين - في عملية عزل مصر ان هـــذا العزل سيحقق هذه الاهداف واهــداف اخرى · وخاب الامل فالاشعاعات التي تسربت من مصر استمرت تصـيب بالنفع أو بالضرر معظم المنطقة العربية ، وهذه احدى حقائق المنطقة ، يسهل ادعاء تجاهلها ولكن يستحيل اغفالها ·

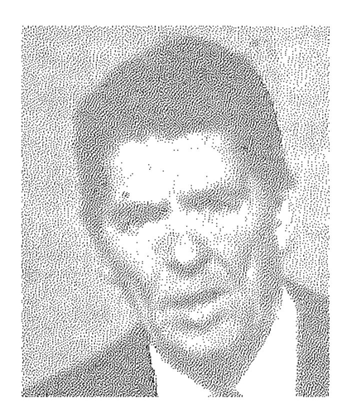
كذلك تشمل خطة التهـدئة مشكلة العلاقة بين بغـــداد ودمشق ، وهي المشكلة التي استعصى حلها على كل مجالس العرب وأموالهم ونفوذهم ، في حين لم يستعص عليها حل المشكلة المصرية - العـــربية والتي ان كنا نذكـــر كانت تبدو أشد المشــكلات تعقيدا واقلها حظا في أمل التهدئة · وتشمل الخطة ايضا تهدئة لبنان ، فلبنـــان لكثــرة جروحه التي اهمل العرب علاجها فتقيحت صار ملعبـا لكل الجـــوارح والقوارض العــربية والدولية ، وهناك المشكلة الفلسطينية التي يشترك معظم العرب مع غيرهم في محاولات تهدئتها ·

تهدئة المنطقة العربية قد تتحقق ولكن لفترة قصيرة :

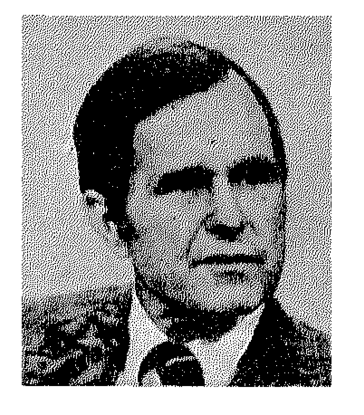
وأسباب ذلك واضحة ، اولها وكما اشرت من قبل لأنها مجرد تهدئة ·· وليست تضامنا واندماجا اذ سعيا نحو ازالة جذور الخلافات العربية ، وبناء مستقبل أمة واحــدة · ثانيهـا انها شكلية وجزئية ، تهتم بالمظهـر ولا تهتم بالمشكلات الاعمق كمشكلة جنوب السودان ومشــاكل الاكراد ، ومشــكلات المواطن العربي وحقوقه السياسية والانسانية · ثالثها انها تهدئة قد تؤدي الى زيادة هيمنة الدولة الاقوى او الاكبـــر على الدول او الدويلات الاضعف والاصغر في تكتل اقليمي او اخــر · رابعها واخرها وربما أهمها ، ان التهدئة تعود بمصر الى الساحة العربية · وسواء عادت مصر مشاغبة أو طيعة ، فالعودة في **حد ذاتها تعني صداما مع اهداف خطة التهدئة ، لأنهــا اما أن تطرح كل ما في جعبتها من افكار واقتراحات ومشروعات ومشكلات .وازمات ، او ان تقبل بدون مبرر شكلي لم تتحمله، ولن تتحمله اطراف اخـــرى ، لمدة طويلة ·**







رونالد ريجان



جورج بوش

عصر تسريح الجيوش

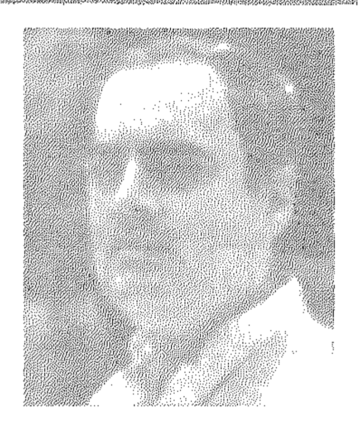
بقلم: عبد الرحمن شاكر

لولا أن كارثة الزلزال فى أرمينيا ، قد أعجلت الرئيس السوفييتى ميخائيل جورباتشوف عن مواصلة رحلته فى نيويورك ، ومنها الى كوبا ، ثم الى لندن . وجعلته يعود الى بلاده للإشراف على مواجهة تلك الكارثة وتضميد جراحها الأليمة .. لكان للمبادرة التى أعلنها فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة .. بتخفيض الجيوش السوفييتية فى أوربا بمقدار نصف مليون رجل ، وعدة ألوف من الدبابات ، دوى أكبر بكثير مما ظفرت به ، وغطت عليه أنباء الكارثة فى أرمينيا .

كان هذا الاعلان من جانب جورباتشوف ، قبيل لقائه مع الرئيس الأمريكى ريجان فى نيويورك ، وخليفته الذى سوف يمثل البيت الأبيض خلال شهر يناير من العام الجديد ، جورج بوش .. كان هذا الاعلان هو الهدية التى حملها معه جورباتشوف الى نصف الكرة الغربى ، إردافا للاتفاق الذى وصل اليه فى نهاية العام الأسبق مع ريجان بإزالة الصواريخ المتوسطة والقصيرة المدى من



مرجريت تاتشر



راجيف غاندى



هيلموت كول

وتوحيد العالم

أوربا ، والتى تم تدمير الكثير منها بالفعل - مما جعل المسز تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا تقول بأن الحرب الباردة قد انتهت ... وقد كانت حشود الصواريخ ، ودونها الدبابات والجيوش تقف على أهبة الاستعداد لتحويلها الى حرب ساخنة فى أى وقت .

ولعل من أسباب إقدام جورباتشوف ، على سحب هذا العدد الهائل من القوات من أوربا وتخفيض عددها فى الاتحاد السوفييتى ذاته ، أن الحرب الحديثة لو نشبت فلن تكون فى حاجة الى كل هذا العدد من المقاتلين ، فإن حرب الازرار التى تطلق الصواريخ الطويلة المدى من قواعدها ، حاملة الرءوس النووية ، كافية لدمار العدو ، وهى فى الواقع كافية لدمار العالم ، إن انطلقت من أحد المعسكرين أو كليهما سيان .. لذلك كان الاقتناع باستحالة الحرب فى هذا العصر النووى ما بين القوى الكبرى أمرا يفرض نفسه ، ويفرض على الجميع البحث عن طريق للعيش معا دون حروب ..

وحيث إن الحرب النووية أصبحت على هذا القدر من الاستحالة . لأن خطرها يبدد الوجود الانسانى برمته ، فلم يعد هناك معنى بالتالى للاحتفاظ بجيوش جرارة تستخدم الأسلحة التقليدية ، كالدبابات والمدافع .. ويصبح المعقول والمنطقى هو سحب تلك الجيوش وتخفيض عددها ، وتسريح أفرادها واستخدامهم فيما هو أفضل من انتظار لحظة اندلاع الحرب .. التى أصبحت مستحيلة .

وبالبدء فى تسريح جيوش القوى

الكبرى فى العالم ، على نحو مبادرة جورباتشوف ، التى أستجاب لها قادة حلف الأطلنطى المجتمعون فى بروكسل ورحبوا بها ، رغم فتور رد الفعل الأمريكى ازاءها يدخل العالم مرحلة جديدة ، يصبح فيها تسريح الجيوش ، وليس تجييشها هو المدخل الى توحيد هذا العالم ! وهذا

تحول ديالكتيكى فى مجرى تطور الجماعة الانسانية ، من شأنه أن يطرب له فقهاء الماركسية فقد كانت تعبئة الجيوش خلال ما مضى من عمر الانسانية ، هو أداة توحيد العالم ، أو بالأقل أجزاء كبيرة منه وفيما مضى .. والامبراطوريات الكبرى التى قامت فى التاريخ كالأمبراطورية الرومانية ، والاسلامية ، ثم أمبراطوريات المغول بقيادة جنكيز خان وخلفائه ،

وصولا الى الأمبراطورية البريطانية والفرنسية وسواها ، وانتهاء بمحاولة هتلر فى الحرب العالمية الثانية لتوحيد أوربا على الأقل تحت قيادته .. كل هذه المحاولات والمشاريع "الوحدوية" كانت اداتها الجيوش ، بما فى ذلك توحيد قومية مبعثرة فى دويلات ، مثل وحدة المانيا التى فرضها بسمارك بالحديد والنار ، ووحدة بين اكثر من قومية ، مثل وحدة شعوب الاتحاد السوفييتى التى ورثها عن الإمبراطورية الروسية ، وهلم جرا ... غير ناسين أو متناسين أيضا أن الوحدة ما بين الولايات المتحدة الامريكية . قد فرضتها جيوش أبراهام لنكولن المظفرة فى الحرب الأهلية الامريكية.

● أحتراق الأصابع

أن توازن القوى الدقيق ، الذى وصلت اليه البشرية فى العصر النووى ، قد املى ، ويملى نظرة جديدة الى كثير من الأمور ، أولها وأهمها أن الحرب الشاملة التى لابد أن يستخدم فيها السلاح النووى الذى تحمله وسائل حمل جبارة من الصواريخ والطائرات والغواصات الخ ، قد أصبح معناها فناء الحياة الانسانية ، ومن ناحية أخرى ، فقد سادت فترة من الفترات أصبحت فيها الحروب الصغيرة التى تدعمها القوى الكبرى ، ووقودها هو الشعوب التابعة او شبه التابعة تعتبر بمثابة الاداة المتاحة للصراع بين القوتين العظميين للسيطرة على العالم او أجزاء منه ، حتى شرعت أصابع هاتين القوتين ذاتها تحترق فى لعبة الشطرنج النارية هذه ، كما حدث للولايـات المتحدة الأمريكية فى حرب فيتنام ، وكما يحدث الآن للاتحاد السوفييتى فى افغانستان .. فدعم أحد أطراف صراع محلى بالأسلحة التقليدية يقابله دعم الطرف الأخر سواء بسواء ، حتى يختل الميزان فيصبح التدخل بقوات الدولة الكبرى هو الخطوة التالية ، لتكتشف فى نهاية الأمر انها اصبحت هى الخاسر الأول ، مادامت لاتستطيع الاقدام على تحويل الحرب ، الى حرب شاملة تعصف بالجميع ، إذن فقد آن أن تنتهى بدورها مرحلة الحروب الصغيرة كما انتهت مرحلة الحروب الكبيرة سواء بسواء ، ذلك هو القانون الذى اوشك أن يفرض الاعتراف به على الجميع ، بعد أن وصلت قدرة الانسان

التدميرية الى أبعاد لانهاية لها .

● المسألة الفلسطينية وحقـــوق الشعـــوب :

والقضية الفلسطينية ليست بعيدة عن هذا القانون رغم التفوق الظاهر للجيش الإسرائيلى ، ومحاولة الدولة الصهيونية ممارسة دور "القـوة الكبرى" فى المنطقة ، وفى "بر الشام" ، على وجه اخص ، فإن عاما كاملا مر على الانتفاضة الفلسطينية فى الأرض المحتلة ، قد اكد أن الجيوش لاتستطيع أن تستمر طويلا فى احتلال أرض يرفض أهلها ذلك الاحتلال ، دون أن تصاب بجراح عميقة تمتد الى كيان الدولة التى تفرض الاحتلال ، حقا إن تضحيات الشعوب من أجل حريتها تكون عادة اكبر بكثير من تضحيات المعتدين ، ولكن الروح المعنوية لطالبى الحرية أطول نفسا بكثير من روح مَنْ يقمعونها . فالجيل الفلسطينى ، من "أطفال الحجارة" الذين ولدوا تحت الاحتلال ، يشعرون بأن قضية حياتهم أن يتخلصوا منه ، وأنه لامستقبل لهم إلا بخروجه ، والقرارات الأخيرة التى اتخذها المجلس الوطنى الفلسطينى ، انها هى استجابة لارادة ذلك الجيل ، الذى يمسك بالحجارة فقط فى مواجهة أعتى الأسلحة الأمريكية فى أيدى الصهاينة ، ويعجزون حتى الآن عن إثنائهم عن ارادتهم فى الاستقلال والتخلص من الاحتلال . لذلك لم يسع جورباتشوف فى بيانه امام الأمم المتحدة إلا أن يذكر القضية الفلسطينية ، ويلوم الولايات المتحدة الأمريكية على منعها إعطاء تأشيرة دخول لعرفات كجزء من محاولاتها عرقلة التوصل الى تسوية سلمية تتيح للشعب الفلسطينى استرداد حقوقه على أرضه المحتلة ، فكل تأخير فى ذلك معناه الوقوف فى وجه حركة التاريخ ، ومن يختار هذا الموقف عليه أن يدفع الثمن عاجلا أو آجلا مهما طال وقوفه .

قانون التسوية السلمية للمنازعات المحلية هو الذى يفرض نفسه الآن ، لأن كل حرب صغرى ، يعنى أستمرارها احتمال نشوب حرب كبرى لايطيقها الجنس الانسانى . وكل تسوية لابد أن تبدأ من الاعتراف بالواقع ، واقع كل شعب مهما صغر يعيش على بقعة من هذه الأرض يرفض أن يحكمه أحد إلا ابناؤه ، وذلك أمر لم يواجهه الاتحاد السوفييتى خارج حدوده فقط ، كما فى أفغانستان مثلا ، ولكن ايضا داخل حدوده التى تسع أكثر من قومية ، فربما كانت الحسنة الوحيدة لكارثة أرمينيا انها غطت على النزاع المستعر ما بينها وبين جارتها السوفييتية أذربيجان حول أقليم "ناجور نوكارباخ" الذى يقع داخل حدود هذه الأخيرة ، وتسكنه أغلبية أرمينية ، إن حل مشكلة هذا الاقليم بالقوة المسلحة ، واستخدام الجيوش كأدوات أمن داخلية ، لن تجدى ، قس على ذلك كافة التوترات الداخلية التى تنبعث من مختلف القوميات كما هو الحال بالنسبة لدويلات البلطيق .

إن مايدور داخل الاتحاد السوفييتى الآن هو صورة مصغرة لما يحدث فى

العالم ، فهو أولا يدل على أن هذا العصر هو عصر المساواة مابين القوميات صغرت أم كبرت ، ويدل أيضا على أن القضية المذهبية قد تراجعت الى الوراء إذا ما قيست بالقضية القومية ، فالبشر ينشدون المساواة فى الحقوق الوطنية ، ربما أشد من حقوق الطبقات فى مجتمع متجانس أو متعدد القوميات .

فى عدد يناير من الهلال العام الماضى قلنا إن الخطوة التالية بعد لقاء ريجان وجورباتشوف ، أن يلتقى هذا الأخير مع نظيره الصينى دينج سياو بنج ، حول مفهوم جديد للاشتراكية . ولم ينصرم هذا العام الأخير ، (١٩٨٨) إلا وقد بدأ التمهيد لهذا اللقاء .

● يفرضه اعتراف الدولتين بأن الاشتراكية كما طبقت فيهما على صور مختلفة ، ليست الكلمة النهائية فى تطور العالم ، فكل منهما تعترف الآن ، بأن قصب السبق التكنولوجى ، لايزال معقودا للدول الرأسمالية الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية واليابان والدول الرئيسية فى غرب أوربا ، وأن على النظام الاشتراكى الذى قام فى كل الاتحاد السوفييتى والصين ، أن يسعى لاكتساب منجزات الثورة التكنولوجية التى تحققت بإعادة اقتصاديات السوق محل قسط كبير من التخطيط المركزى ، وفتح الأبواب للتعاون المثمر مع الدوائر الرأسمالية فى الغرب .

أما بالنسبة للقضية الاقتصادية ، باعتبارها جوهر النضال الاشتراكى فى العالم ، فقد اقترب جورباتشوف من فحواها الصحيح فى هذا العصر ، وهو أن المساواة ما بين الشعوب تأتى أولا ، فى الحقوق السياسية ، ثم فى ضمان حد أدنى من مستوى المعيشة لها ، وذلك ما جعله فى خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، يقترح إطالة أمد سداد ديون دول العالم الثالث الى مائة عام ، والتنازل عن جزء من أصول هذه الديون ، وأنه فى هذا الموقف إنما يعبر عن أن فحوى الاستغلال الرئيسى فى العالم المعاصر ، هو فى تكبيل دول العالم الثالث بتلك الديون والاشتراطات فى المطالبة بأقساطها وفوائدها من خلال المبادلات الظالمة للسلع الصناعية مع منتجى المواد الخام من دول العالم الثالث .

أن توحيد العالم يقتضى مواجهة مشكلات الديون والمجاعات ونقص الموارد والأوبئة وأخطار تلوث البيئة باعتبارها عناصر مشتركة فى تهديد كيان الجماعة الانسانية ، ولاشك أن البدء فى تسريح الجيوش ، وتوفير النفقات الباهظة التى تنفق على تعبئتها ، وعلى صنع أسلحتها الفتاكة ، سوف يتيح تخصيص قدر أكبر من الانتاج العالمى لحل تلك المشاكل ، حيث لم يعد أمام الجنس البشرى إلا مواجهة مشاكله كوحدة واحدة ، بعد أن أصبح انقسام العالم الى معسكرات متنازعة لايعنى إلا خطر الدمار الشامل ، وأصبح على البشرية أن تختار ما بين الوحدة العالمية أو الانتحار !

هل يفوت قطار الثورة التكنولوجية الجديدة مصر؟

بقلم: د. عصام الدين جلال

منذ أوائل القرن التاسع عشر اهتمت مصر بإنشاء المعاهد العلمية وارسال البعثات لتربية الكوادر كما انشأت نواة للصناعة الحديثة في عهد محمد على وسبقنا بذلك دول الشرق والعديد من دول اوربا.

وبعد أكثر من قرن ونصف تقف مصر على مفترق الطرق بين عبور فجوة التخلف العلمى والتكنولوجى وبين النقوص فى اوحال التخلف إلى اعماق أكثر غوزا.

● فرغم نمو الهياكل التعليمية والعلمية وتضاعف عدد متخرجيها فان عقبتين اساسيتين تبددان عائد هذه الجهود.

أول هذه العقبات وأسهلها تخطيا هو تدهور النوعية وانعدام فرص التميز وارتقاء القدرات الذاتية، ورغم المحاولات المتكررة فلم تفلح كل التجارب لتغيير السياسة التعليمية وسياسة البحث العلمى فى علاج القصور ومازال التدهور فى الكيف والنوعية يمثل المتخرجين والبحوث فى مصر بصفة عامة.

ثانى هذه العقبات واكثرها تعقيدا وإهمالا هو افتقار مصر إلى سياسة للتنمية التكنولوجية ولعل الكثيرين يتصورون أن التعليم والبحث العلمى يفرزان قدرات وإمكانيات تكنولوجية وهذا بعيد عن الحقيقة كل البعد فان التعليم والبحث العلمى ليس إلا خطوة تأهيل نحو مسار التنمية التكنولوجية.

وفى الحقيقة ان الدول النامية مثل كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة لم تعتمد على البحث العلمى فى النهضة التكنولوجية الكبيرة التى حققتها فى مجالات السلع الاستهلاكية وآلات الانتاج والسفن والالكترونيات على مستوى

هل يفوت قطار الثورة التكنولوجية الجديدة مصر؟

منافس مع الدول المتقدمة .

كل هذا التقدم ليس بالضرورة يرتكز إلى اكتشافات جديدة او اختراعات مبتكرة ولكنه يرتكز أساسا على تنمية القدرة على استيعاب كامل للتكنولوجيا المنقولة من الخارج والقدرة على محاكاتها وتطويرها وملاءمتها لظروف الانتاج المحلى والاستهلاك العالمى .

ولعل اوضح مثل هو صناعة السيارات فى كوريا التى بدأت مع الصناعة فى مصر والآن مازالت مصر تعتمد اعتمادا شبه كامل على الاستيراد والتجميع فى حين ان كوريا تمثل اكثر المنافسين نموا فى الاسواق العالمية لصناع السيارات المتقدمين فى اليابان وامريكا واوربا . وهذا شأن هذه الدول فى كثير من الصناعات الأخرى .

والفرق هو اننا اظهرنا عبقرية فذة على مدى اكثر من ربع قرن ان لا نتعلم ولا نتقدم ولانحاول واستلنا إلى الاعتماد على الغير وقبول التبعية . فى حين ان كوريا خططت منذ اواخر الخمسينيات (فى نفس مراحل التنمية فى مصر) على ان تتعلم من كل اتفاق أو تجارة او معونة وتصر على ان تترجم كل هذه إلى معلومات وخبرة وقدرة . واقامت النظم المالية للتدعيم والحفز على تحقيق القدرة الذاتية والاعتماد على الذات ووفرت الدولة كل المساعدات والخدمات والحماية اللازمة لزيادة الاعتماد على الذات خطوة فى كل عام . وحمت السوق ومنحت الحوافز لموردى التكنولوجيا المتقدمة اذا نقلوا معها الخبرات والمعرفة والقدرة وليس لرأس المال الاجنبى الذى بدون تنمية للمعرفة والقدرات يتحول إلى اداة للاستعباد واستنزاف الموارد والمديونية كما هو حادث فى مصر والدول العربية والافريقية .

وهذا التخطيط العلمى والفنى والاقتصادى والمالى والتسويقى والتشريعى والاعلامى منطلقا من ارادة سياسية حاسمة هو مانسميه بسياسة التنمية القومية للتكنولوجيا . ولم تهتم كوريا باعطاء البحث العلمى اولوية إلا فى اوائل الثمانينيات بعد ان حققت قدرات تكنولوجية كفلت لها الاعتماد على الذات

والمنافسة بارخص التكاليف ومازلنا فى مصر نخلط بين الامور وندعى ان مراكزنا العلمية والتعليمية المتأزمة هى طريقنا إلى التنمية التكنولوجية . فى حين ان سياستنا الاقتصاديه والمالية وتشريعاتنا وتخطيطنا هو تدعيم وأستمرارية لنظام الاعتماد على الغير والتبعية واقامة فجوة لايمكن تخطيها بين هذه المراكز التعليمية والعلمية والانتاج وبحيث لاتمت نشاطات هذه المراكز فى الأغلب والاعم الى حقيقة

الاولويات والمرحلة والامكانيات . وعليه نستمر فى الاعتماد على موردى التكنولوجيا تسليم المفتاح فى مجالات لايصح ان تخطر على البال مثل الانشاء والبناء وهى الصناعة التى اخترعناها فى مصر منذ ثمانية آلاف عام .

ومصر ليست فقيرة فى علمها او خبرتها او ابنائها الذين يحملون اعباء التنمية فى العالم العربى بل ويسهمون اسهاما رائعا فى تنمية الولايات المتحدة وكندا واستراليا . ولكننا نفتقر إلى السياسة والاولويات القومية والاهداف المحددة والقدرة على تجنيد الأقتصاد والسوق والتشريع والتمويل والتخطيط بتناسق فى خدمة تحقيق هذه الاهداف القومية المحددة .

ورغم اننا انشغلنا فى اطفاء الحرائق واختراق الاختناقات على مدى اربعين عاما فان هذا فى عالمنا المعاصر لايمكن ان يقبل كمبرر لاهدار الامكانيات وتناسى المستقبل .

واليوم نحن نقوم بانشاء مراكز جديدة علمية للطاقة المتجددة والالكترونيات والهندسة الوراثية فى تباطؤ غريب فى عالم تكسب وتخسر فيه الاسواق العالمية فى شهور وتلغى صناعات وتكنولوجيات فعالة امام التجديد والابتكار .

ومع هذا فان انشاء هذه المراكز يتبع نفس الطريق الضال الذى انشأنا عليه مراكزنا ومعاهدنا على مدى قرن من الزمان . ننشئها بؤرا معزولة عن احتياجات وقدرات الانتاج ولانخطط للظروف التشريعية والاقتصادية والتمويلية التى تخلق طلبا على إنتاجها او قدرة على استيعابه فى الصناعة او الخدمات . واكثر ما اخشاه أن نستمر فى متاهات إنشاء المعاهد والمراكز مع استمرار الاعتماد على الغير والتبعية والارتكان الى ضعف الهمة وعتاقة الرؤيا بما يضيع معه مستقبلنا على غير ما نستحق ومانستطيع .

ان السياسة القومية الوحيدة التى نجحنا فيها هى خلق العقول وتصديرها وبالتالى تصدير عائدها وارباحها إلى الغير مع تحمل التكلفة والمصاعب فى دائرة العجز والفقر والمديونية .

ان كل مكونات النهضة التكنولوجية متوفرة فى مصر وكذلك يتوفر فيها الحافز والدافع والفرص لأنه ليس لنا بديل عنها لانتشالنا من ضائقة حاضرنا وحتى السياسة القومية للتنمية التكنولوجية تمت صياغتها ومناقشتها فى العلميين والصناعيين والاقتصاديين والحكومة واتفق الجميع عليها منذ خمس سنوات ولكننا مازلنا ندور فى متاهة التسويف والتواكل والاستسلام بل الواقع المرير .

فهل آن الاوان ان نعترف بفضل الله علينا بوضع حد لاهدار مواردنا وقدراتنا وفرصنا والتقدم فى عزم لملاحقة بل ومسابقة العالم المتقدم .



أى مستقبل ؟

فإسرائيل تصف نفسها ويصفها أصدقاؤها بانها "الدولة اليهودية" ، بينما كان حلم الحركة الصهيونية التى اقامتها أن تكون "دولة اليهود" ، الدولة التى يهاجر اليها اليهود كلهم من أطراف الأرض ، أو على قولها "يعودون" ليبنوا دولتهم ، فيصبحوا "شعبا كسائر الشعوب وأمة بين الأمم" .

وبعد اربعين سنة من اقامة الدولة "عاد الى صهيون" من كل أربعة يهود واحد ، وبقى ثلاثة حيث هم ، ومن هاجر منهم فمن "منفى الى منفى" ، فالعالم الواسع عند الصهيونية هو المنفى . بل انهم لا يريدون العودة ، بل انهم يصلّون كل يوم ثلاثا "من أجل العودة الى صهيون" دون نية "العودة" ، وكيف يصبحون "شعبا كسائر الشعوب" بينما ثلاثة ارباع "الشعب" يحملون جوازات سفر دول العالم أو معظمها ، وبينما نسبة غير قليلة من "مواطني" الدولة يحملون أيضا جوازات سفر دول أخرى ؟ وبينما تعداد اليهود الذين يعيشون فى الدولة "يزيد قليلا عن نصف تعداد اليهود الذين يعيشون فى مدينة واحدة ، نيويورك" حتى أن الصهيونى الأمريكى البارز "لوم دايان" قال عنها وعن اسرائيل انه "اذا



كانت اسرائيل هى مركز العالم اليهودى ، فان نيويورك هى مصدر وجوده" وليس فقط بتعداد يهودها وانما بأموالهم التى يمدون بها اسرائيل وبنفوذهم الذى يحميها .

وكيف يصبحون "أمة بين الأمم" ، بينما "دولتهم" وبعد أربعين عاما منذ أقاموها ، مازال شغلها اليومى هو الدفاع عن شرعيتها ، وعن شرعية وجودها وعن شرعية سلوكها معا ، وبينما مازال مطلبها الذى ترفعه كل يوم .. ومن موقع القوة ! هو المطالبة "بالاعتراف بحقها فى الوجود" .

حتى علم الآثار ، الذى عرفه العالم استجلاء لغابر التاريخ وكشفا عنه ، أصبح فى "الدولة اليهودية" اداة لاثبات الوجود . حتى قال فيها الكاتب الامريكى الفذ جور فيدال "انها دولة اثرية ، فى حرب مع جيرانها جميعا ، ولا تحب العالم وبالتالى لا يحبها" .

فاى مستقبل ؟

مفارقات الشتات

واصبحت المفارقات فى علاقة "الدولة اليهودية" مع يهود العالم اكثر من التوافقات أو أغلب .

فاذا كان لاسرائيل ان تصبح "دولة اليهود" فعلى يهود العالم ان يهاجروا اليها . بل بغير هذه الهجرة ، فانه حتى "الدولة اليهودية" قد لا تبقى .

لكنه اذا كان "للدولة اليهودية" ان تقوى لكى تبقى ، فعلى يهود العالم أن يبقوا حيث هم يمدونها بالمال ويذودون عنها بالنفوذ .

فاى مستقبل ؟

اى مستقبل لهذه "الدولة" التى نزح منها ، حسب اكثر تقديراتها الرسمية اعتدالا ، واحد من كل عشرة من سكانها فى السنوات العشرين الأخيرة ، ناهيك عن ان هؤلاء النازحين ، فى اغلبهم ، هم الأكثر فتوة (فئات الأعمار بين ٢٥ و٤٠ سنة) والأكثر كفاءة (فى الولايات المتحدة وحدها ٣٢ الف أكاديمى و٨ الاف مهندس نازحين من اسرائيل) ، والأكثر قدرة على الابداع والانجاز والأوفر مبادرة .

وأى مستقبل لهذه "الدولة" التى



تعرف أن طوق نجاتها الوحيد من "الغرق فى المحيط العربى" الذى اصبح فى داخلها هو المزيد من الهجرة اليهودية . ودعك من أن اليهود لا يهاجرون اليها ولا يريدون ، المسألة أن اليهود فى العالم كله يتناقصون . فتعدادهم فى عالم اليوم يقارب ١٣ مليونا حسب احصاءات المنظمة الصهيونية العالمية ، وحسب تقديرها سيصبح تعدادهم بعد ١٢ سنة (فى سنة ٢٠٠٠) حوالى ٩ ملايين .

اى مستقبل لدولة معين سكانها ينضب ؟

دولة خيبة الأمل

وهذه "دولة" الآمال الخائبة ، فضلا عن الأحلام الضائعة .

فاذا كانت الصهيونية قد قنعت من حلم "دولة اليهود" بواقع "الدولة اليهودية" ، فهذا حلم ضائع . اما الامال الخائبة ، فهى امال هؤلاء اليهود المتدينين الذين ظنوا "العودة الى صهيون" كفيلة لهم بـ "حياة يهودية كاملة" فوجدوا أنفسهم مواطنى دولة حكامها يجاهرون بالالحاد ، ويحددون اليهودية بأنها "تمايز اليهود عن الأغيار" ويسعون الى احلال "القومية" التى لم يعرفها اليهود من قبل ، محل "الدين" الذين عاشوا القرون وعبروها واخترقوها يحملونه فى وجدانهم ، واذا بالصهاينة يفشلون فى خلق "الأمة" ويضيقون الخناق على "الدين" الذى يراه هؤلاء المتدينون ويريدونه "دينا كسائر الأديان" .

وخابت أيضا امال من داعبتهم احلام "صهيونية اشتراكية" تصحح وضع الهرم الاجتماعى اليهودى المقلوب فى الشتات و"تعيد اليهود الى قيمة العمل أو تعيد قيمة العمل الى اليهود" كما قال فيلسوفهم "بوروخوف" ، فانشقوا أو تابعوا انشقاق اسلافهم عن ماكانوا فى صفوفه وأحيانا فى طلائعه من حركات اشتراكية واحزاب ، ليقيموا اشتراكيتهم على "ارض اسرائيل" فلا يمضى طويل وقت حتى ينهار الحلم ، ويرون "الكيبوتز" صورتهم المثالية للمستوطنة الاشتراكية يبتلعه اقتصاد السوق . واذا عماده ليس العمل اليهودى-الذى "عادت قيمته الى اليهود أو عادوا اليها" ، انما عماده عمل مأجور ملوث بالتمييز العرقى .

يستخدمون العرب الذين افقروهم ويميزون اليهود عليهم فى الاجر والرعاية ، بل ويستخدمون المهاجرين اليهود الذين جاءوا من بلاد العرب ، وايضا يميزون انفسهم عليهم فى السلطة التى اتتهم من ملكية الكيبوتز "الجماعية الاشتراكية" ويتحول ابناء "الكيبوتز" او اصحابه الى نخبة "اسبرطية" تتمتع بالامتيازات وتتميز بالصلف وتتيه بالزهو على من سواها من "المواطنين" بانها "الاكثر ولاء للدولة" ، وكأن لها على ولائهم مطعن .

وأيضا خابت امال هؤلاء اليهود الذين هاجروا من بلاد العرب ، حيث كانوا ـ معظمهم ـ فى صفوف طبقاتها الوسطى ، أو كانوا متميزين فى تلك الطبقات ، وما لبثوا ان وجدوا اغلبيتهم فى "الدولة اليهودية" محصورة فى قاع المجتمع ،

دون فرصة تذكر للنمو او للصعود أو للانتقال ، فهذه "دولة" اقامها يهود اوربا لأنفسهم وعلى هيئتهم وقياسهم ، وعلى من يريد "الصعود" من سواهم فعليه ان "يتماثل" معهم ، ينضو عنه تراثه وثقافته ويهوديته الشرقية الاصلية ، ويرتدى "يهودية أخرى" غريبة وغربية ، نمت أو بالاحرى تعوّق نموها ، فى أحياء اليهود المعزولة فى مدن أوربا ، وأصبحوا ، هؤلاء اليهود الشرقيون ، لا يسمعون عن ثقافتهم ، بل وعن يهوديتهم ، الا الزراية ، بينما لا يرون فيها ما يزرى ، فهى توصف بألسنة يهود المعازل الأوربية بأنها "شرقية" وبأنها "عربية" ، ولذلك فهى لزوما "متخلفة" ، بينما الذى يميز اسرائيل هو "تفوقها النوعى على العرب" الذين هو ضمان أمن اسرائيل ، ناهيك عن بقائها .

فأى خيبة للآمال !

اليهود يضطهدون اليهود

وبررت الحركة الصهيونية حلم "دولة اليهود" الذى اختزله الواقع الى "دولة يهودية" ، بأن هدفها ومسعاها ومبررها هو "تحرير اليهود" ، فاذا الدولة اليهودية هى اكبر مستودع فى العالم للتفرقة والتمييز ضد اليهود !

ففى الجيش الاسرائيلى ما يسمى «خريطة عملياتية (أى غير رسمية) للأمن الطائفى» على أساسها يعامل الجيش جنوده اليهود . وتقسمهم الخريطة الى الفئتين المعروفتين : "الاشكناز" اى اليهود الأوربيين و"السفارديم" اى اليهود الشرقيين ، وتعتبر هذه الخريطة أن الفئة الأولى "أكثر ولاء للدولة ، وأكثر كفاءة" وبالتالى فمن المفروض أن تشكل هيكل الجيش والمؤسسة الأمنية كلها ، بينما تعترف للفئة الثانية بالولاء الشديد للدولة ، لكنها تراها ذات كفاءات غير مستوية ، وبالتالى فمهمتها ان تزود الجيش ومؤسسة الأمن بالطاقة البشرية الكبيرة الحيوية لمهمات الأمن . أى بالوقود البشرى .

وطبقا لهذه الخريطة ، كان ٦٧٪ من الانفار وضباط الصف فى الجيش الاسرائيلى فى اواخر السبعينيات من "السفارديم" ، بينما كان نصيبهم بين صغار الضباط حتى رتبة نقيب ٣٠٪ ، تتضاءل الى ٣٪ (ثلاثة) بين كبار الضباط ، أما مجموعهم فى سلك الضباط فلم يزد على ١٧٪ ومن بين ٢٥ ضابطا برتبة لواء فى الجيش الاسرائيلى ، كان ثلاثة فقط من السفارديم ، واحد منهم فقط يحتل منصبا عسكريا فعليا .

ويقول عالم الاجتماع الاسرائيلى سامى سموحة (ويبدو من اسمه انه شرقى ـ سفارادى) الذى رسم هذه الخريطة او كشف عنها ، ان هذا ليس وضعا مؤقتا ولا عابرا ، والاسباب عديدة : فالجيش الاسرائيلى هو امتداد للهاجاناة ، التى اقامها المهاجرون اليهود الاوربيون الذين اقاموا الدولة ، فاقاموا الجيش على عقلية غربية أوربية ، واعتبروها متفوقة ، واعتبروا تفوقها هو الذى يضمن "التفوق النوعى" على الجيوش العربية ، واعتبروا هذا "التفوق النوعى" ضرورة وجود لاسرائيل .

لكن سموحة يقول ان المسألة أعمق ، فكما الجيش كما المجتمع ، فهو يقرر انه فى اسرائيل هناك تطابق بين الخريطة



الطبقية والخريطة الطائفية ، فالشريحة الهامشية فى المجتمع ، معظمها يهود شرقيون ، وشريحة العمالة الدونية ، كلها شرقيون تقريبا ، وشريحة العمالة الماهرة ، معظمها شرقيون ، وفى الطبقة الوسطى وحدها يوجد قدر من التوازن بين الشرقيين والاشكناز مع افضلية للاخيرين ، اما الطبقة الوسطى ـ العليا ، فمعظمها من الاشكناز ، ونخبة السلطة اشكنازية بالكامل تقريبا .

ويقول انه مع ذلك فمازالت المسألة اعمق ، لأن هذا التطابق بين الخريطتين الطبقية والاجتماعية قد تحول الى ظاهرة دائمة فى المجتمع ، ينتقل من جيل الى جيل ويكتسب شرعية اجتماعية .

فأى تحرير لليهود !

وقالت الصهيونية ان دافعها وغرضها معا هو "تحرير اليهود من العداء للسامية" .

وبعدما اقامت الدولة اليهودية ، اكتشفت ان جرائم النازية قد حذرت العالم وطهرته من هذا العداء للسامية ، أو العداء لليهود .

فانزعجت ، لأن اليهود ، عندما لا تواجههم "مشكلة يهودية" بهذا المعنى ، فهم لا يهاجرون ، لا "يعودون الى صهيون" ، يبقون حيث هم .

واعتبرت "الدولة اليهودية" اختفاء "المشكلة اليهودية" من "الشتات" ، عرضا لمرض مستفحل ، وعدم واقعية واحد معالم التفسخ والاحتضار" ، كما يورد ميخائيل روزنيك ، وهو أستاذ مرموق لفلسفة التربية فى الجامعة العبرية .

بينما يرى يهود "الشتات" (اى الذين لم يهاجروا الى اسرائيل) ان اليهود فى اسرائيل ، هم بالاحرى الذين يواجهون "مشكلة يهودية" أمنية وديموغرافية . فجيرانهم لا يريدونهم ، لأن غير اليهود الذين يعيشون معهم سيصبحون اكثر منهم عددا فى مستقبل منظور .

"الدولة اليهودية" لا تستطيع ان تقيم وفاقا بينها وبين يهود العالم الذين تعتبرهم "امتدادها الطبيعى" فى هذا العالم .

فأى مستقبل ؟

وارادت الصهيونية ان تحرر اليهود من عقد المنفى ، لكن بن جوريون عندما ابلغ فى ١٩٧٥ بان الامم المتحدة ادانت الصهيونية بالعنصرية كفكر وكحركة ، لم يجد ما يقوله سوى "ليس مهما ما يقول الأغيار ، المهم هو ما يقول اليهود" .

وهى عقدة من عقد "المنفى"

وعندما تجد اسرائيل نفسها معزولة عن العالم وأمامه ، لا شغل لها فى مجتمع الدول سوى الدفاع عن سلوكها ، لا تجد ما تقوله سوى "العالم كله ضدنا" .

وهى عقدة اخرى من عقد "المنفى"

سوى انها قبل اقامة "الدولة" كانت صيحة مريرة عاجزة ، اما بعد اقامة "الدولة" فترجمت نفسها فى الاعتماد على القوة العسكرية دون غيرها من وسائل الدول .

وبررت الصهيونية حلمها او مشروعها بانها تبغى تحرير اليهود من "الطفلية الاقتصادية" لكنها ـ الحركة الصهيونية ـ لما اقامت الدولة ، لم تلبث ان وجدت انها اقامت دولة ذات اقتصاد طفيلى ، يعتمد على العون من الخارج ، ويقول مفكر استراتيجى امريكى مرموق ـ انتونى كورد سمان ـ انه "لن يلبث أن يتحول الى اقتصاد متسول" .

بينما يقول مفكر اسرائيلى ان اقتصاد اسرائيل قد تحول الى "اقتصاد مضاربات ، غير منتج ، يبتعد باجماله عن جوهر الحلم الصهيونى الذين تطلع الى مجتمع يهودى عامل ومنتج ، ويبدو احيانا ان اقتصاد المنفى دخل من جديد الى تخوم دولة اسرائيل"

فاى مستقبل ؟

إنكار اليهودية

و"الدولة اليهودية" هى الدولة الوحيدة فى العالم التى لا تنتمى الى "مجموعة طبيعية من الدول"

واعتبرت "الدولة اليهودية" ان "الشتات" اليهودى يعوضها عن ذلك ، رغم ان حلمها ، أو الحلم الذى قامت كى تحققه هو ان ينتهى "الشتات" واعتبرته "كتلتها الطبيعية" .

انما فوق عجزها عن اقامة وفاق بينها وبين هذا الشتات ، فهى لا تفتأ تهدده ، وفى "يهوديته" ، فلو أخذت اسرائيل بالتعريف الأورثوذكسى لليهودى ، لانكرت على غالبية الشتات "يهوديته" ، وفى هذه الأغلبية معظم اليهود الأمريكيين مصدر المال الذى يدعم والنفوذ الذى يحمى . والضغط فى اسرائيل للأخذ بهذا التعريف قوى ومتزايد .

ثم انها تطالب هذه "الكتلة الطبيعية" بولاء مزدوج ، تطالبهم بالولاء لها ، لا موازيا وانما متقدما على ولائهم للبلدان التى يحملون جنسيتها ويعيشون فيها .

لكن كثرتهم تقول لاسرائيل "انا امريكى أولا ، أو أنا فرنسى أولا ثم يهودى ثانيا" ، حتى ولو كانوا يقولونها ، رعاية لمصلحة ظاهرة وحاكمة .

وتقول هذه الكثرة للاسرائيليين : لقد حققتم مشروعكم ـ الدولة ـ فلماذا تحاولون تخريب مشروعنا ـ الاستقرار .

فاى مستقبل ؟

المسكينة العظمى

واسرائيل اصبحت الدولة الاعجوبة بين الدول ، فهى "الدولة المسكينة" التى يحاصرها بحر من العرب "يناصبونها العداء وتتعاظم قوتهم كل يوم" ، لكنها تتصرف كأنها "دولة عظمى" ، فتفرض ارادتها وسطوتها على هؤلاء العرب ، ولا تفتأ تتحدث عن "ذراع اسرائيل الطويلة"

وتقرر بقنابل الطائرات ان لها ، ولها وحدها ، حق تحديد سقف التطور العلمى والتكنولوجى للعرب أجمعين ، على نحو ما فعلت بالمفاعل النووى العراقى .

حتى اصبح العالم يحار كيف يعاملها "هل هى دولة من الدول تدافع عن "مصالحها الامنية المشروعة" أم هى عنصر لعدم الاستقرار فى النظام الدولى كما قال دبلوماسى اسرائيلى بارز .

فاى "دولة" ؟

أى "دولة" تلك ، التى يأخذ فيها فريق



من الناس "القانون بيدهم" فى ادق ما يعنى الدولة ـ اى دولة ـ من امور ، فتقول حركات مثل "حركة المستوطنات" و"هتحياه" و"موراشا" و"كاخ" وغيرها ان الحكومة التى تتنازل عن اى جزء من الأراضى المحتلة حكومة غير شرعية ، وكلها حركات مسلحة برضا الدولة أو برضوخها ، بمقتضى الاستيطان الذى هو "من مقتضيات أمن اسرائيل" .

فهنا "مقتضيات أمن اسرائيل" تتحدى امن اسرائيل ، ان رأت حكومة ذات يوم ان الانسحاب من الأراضى المحتلة يوفر لاسرائيل الأمن .

فاى دولة ؟

ماذا لو ؟

أى دولة هذه التى تقوم على حلم تحقيق "القومية" و"الاستقلال" لشعب تصورته لنفسها (بقى معظمه خارجها يحمل جنسيات دول اخرى) ثم لا تلبث ان تجد نفسها "رهينة" و"ملحقا" لدولة اخرى ، وتجد نفسها كذلك بحكم الضرورات التى كانت هى صلب اقامتها ؟ أو كما يقول "بيتر جروز" وهو كاتب امريكى صديق لاسرائيل ، يعمل مديرا لتحرير مجلة "فورين افيرز ـ الشئون الخارجية" ومديرا لبرنامج الشرق الأوسط فى "مجلس العلاقات الخارجية الأمريكى" الذى هو من أهم المؤسسات الفكرية للسياسة الامريكية ان لم يكن أهمها جميعا . يقول جروز "اسرائيل محمية اقتصادية لدولة اجنبية كبرى هى الولايات المتحدة ، لهذا فان وضع اسرائيل الاقتصادى لم يعد مسألة داخلية ينبغى إبقاؤها فى ايدى الاسرائيليين" و"بذلك تلاشت رؤيا الاستقلال الاقتصادى التى عوّل عليه الحالمون الصهيونيون الذين أقاموا الدولة" و"عاجلا أو اجلا ، سيكون للامريكيين شاءوا او أبوا ، كلمتهم فى تحديد الأولويات السياسية لاسرائيل" .

ولقد رأت اسرائيل فى ضمان الولايات المتحدة لوجودها ، ثم لأمنها ، ثم لرخائها ايضا ضمانا ما بعده ضمان .

لكن ما فاتهم ان يروه ، كما يقول دبلوماسى اسرائيلى مخضرم هو سميحا دينتز الذى عمل فى سفارتها فى واشنطن من بعد حرب ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٨ ، وزيرا مفوضا ثم سفيرا ، يقول ان ما فاتهم ان يروه "هو ان اسرائيل ليست الرصيد الاستراتيجى الوحيد للولايات المتحدة فى هذه المنطقة ، فهناك ايضا : النفط وطرق نقله الى مواقع استهلاكه فى الغرب .

على أى حال ، فهو لا يمد هذه النظرة التحذيرية على استقامتها ، فيقول ان المصلحة الامريكية الاصلية هى النفط وطرق نقله ، وهى التى بيد العرب ، وان مكان اسرائيل فى هذه المصلحة الامريكية هو مكان "وظيفى" .

اى انه اذا تغيرت المصلحة ، أو تغيرت الموازين التى تحكمها ، تغير المكان الوظيفى ، الى حد انه يمكن ان يفقد وظيفته .

وفى اسرائيل ، هذا قلق كبير على مستقبل "الدولة" يعبرون عنه بالقول انه لا احد فى اسرائيل يجرؤ ان يسأل نفسه "ماذا لو غيرت الولايات المتحدة موقفها ، او فقدت مصالحها فى المنطقة ، أو تغيرت اقدارها ومقاديرها ، أو تغيرت موازين القوى ، أو تغيرت قواعد الصراع الدولى ، أو حل فى علاقات السوفييت والامريكيين نوع من الوفاق الايجابى بدلا من الاستقطاب أو ما سبق بينهما من وفاق "بالامتناع" ، بل اذا حل السلام الشامل الذى تقول اسرائيل انها تنشده ؟

وهو سؤال اصبح من الشيوع ، بحيث يختصره الاسرائيليون فى كلمتى : "ماذا لو ؟"

لكن الاسرائيليين لا يسألون انفسهم : و"ماذا لو ؟" استجمع العرب أمرهم ، وغيروا ما بأنفسهم ، واستبدلوا بضعفهم قوة ، واحتكموا على النفط وسيطروا على طرقه

فأى دولة ؟

لا بالحرب ولا بالسلام

وأى مستقبل ينتظر دولة تواجه مأزق امن ، لا تخرجها منه الحرب ونتصور أنه لن يخرجها منه السلام ؟

وقد بدأ مأزق الامن مع النشأة ، بل هو صلب هذه النشأة ذاتها ، فقد بنت الحركة الصهيونية تصورها عن "دولة اليهود" على وهم اخر من الاوهام ، وهم ان فلسطين التى تسميها "ارض اسرائيل" هى "ارض بلا شعب" وبالتالى يستحقها هذا "الشعب اليهودى" الموهوم ، والذى لا ارض له ، لم تكن المسألة تدور بين المعرفة والجهل ، لأن العالم كله كان يعرف أن هذه الأرض هى أرض شعب اخر ، لكن المسألة هى ان الطمع فى الحقائق لا تبرره الا اوهام ، وقامت الحركة الصهيونية فنظمت وخططت وعملت وتآمرت متذرعة بهذا الوهم ، وجاءت بمن استطاعت ان تجىء به من اليهود ، ووجدت ان اقامة الدولة تقتضى ان تضعهم وتضع نفسها فى خدمة القوى التى بيدها الامر ، فلم تتردد ، لم يجعلها تتردد ان هذه القوى التى بيدها الامر كانت قوى معادية للامةالتى ينتمى اليها الشعب صاحب الأرض ، بل ان ذلك بالذات كان يناسبها ، فالطامع لا يعنيه الا المغتصب ، وكانت هذه هى البذرة الاصلية لمأزق الامن ، جاءت "الدولة اليهودية" محمولة على موجة معادية ، وقاتلت الحركة الصهيونية لتقيم "الدولة" ونجحت ، واقامتها وان يكن على قسم من "ارض اسرائيل" ، واذا كان اصحاب الأرض قد غلبوا ، فانهم لم يستسلموا فبدأ نمو مأزق الأمن .

فالعرب لم يعترفوا بان هزيمتهم فى ١٩٤٨ و١٩٤٩ هزيمة نهائية ، فانتهت تلك الحرب بهدنة مسلحة ، ادت الى حرب اخرى ، ومن حرب الى حرب ، كما هو معروف .

وفى كل حرب "انتصرت" اسرائيل ، وهذا ايضا معروف ، حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، رات فيها اسرائيل "هزيمة فى البداية ونصرا فى النهاية" .

لكن "النصر" فى هذه الحروب جميعا كان نصرا كالهزيمة .

لأن هذا "النصر" لم يحقق لها اعتراف العرب .

ولأن هذا "النصر" هو الذى قاد



"الدولة اليهودية" الى ان تصبح تابعة ، ملحقة ، رهينة لقوة دولية كبرى على نحو ما راينا ونرى .

ولأنه من مفارقات هذه الحروب جميعا ، أنه كلما كان النصر العسكرى الاسرائيلى واضحا وحاسما ، كلما ضؤلت ثماره السياسية ، مثلما حدث فى حروب ١٩٥٦ و١٩٦٧ و١٩٨٢ ، وكلما كانت نتيجة القتال "بين بين" استطاعت اسرائيل ان تجنى بعض الثمار ، مثلما حدث فى حرب ١٩٤٨ . حيث جنت اقامة "الدولة" وان لم يكن على "ارض اسرائيل" كلها ، ومثلما حدث فى حرب ١٩٧٣ حيث جنت اسرائيل سلاما مع مصر .

وكان من شأن هذه المفارقة ان تعلم اسرائيل درسها ، فكان من شأن نتيجة حرب ١٩٧٣ مثلا ، ان تعلم الحركة الصهيونية ان طريقها الى حل مأزق الأمن هو "مبادلة الأراضى بالسلام" على نحو ما حدث مع مصر .

لكنها لم تتعلم .

هل نقول لأنه ليس ممكنا ان تتعلم ؟

لم تتعلم "الدولة اليهودية" ان الحرب لن تأتيها بالأمن ، رغم ان مأزق الامن اصبح يبتلع ثلث ناتجها الاقتصادى ، ورغم ان كل حرب "ظافرة" تزيد من هذا العبء ، ورغم ان كل حرب "ظافرة" تؤدى بها الى امتداد اوسع لما تعتبره "مصالحها الأمنية" حتى وصلت هذه "المصالح" الى حدود الهند شرقا والمحيط الاطلسى غربا وجنوب اوربا شمالا ، والمحيط الهندى وجواره فى شرق افريقيا جنوبا .

وكأنها امبراطورية عظمى من امبراطوريات التاريخ .

أليست مفارقة ان هذه "الدولة المسكينة" ترى لنفسها "مصالح أمنية" تفوق احلام الاسكندر الأكبر ، وحدود الامبراطورية الرومانية واطماع بونابرت ؟

وهل تطيق "دولة" مثل اسرائيل بحجمها وبعدد سكانها من اليهود ، وقدرتها الاقتصادية مضافة اليها معونات الامبراطورية التى تحميها ومعونات يهود العالم ، هل تطيق هذا الدور ؟

أم أنها لا تستطيع أن ترى ما تحت انفها من حقائق ؟

فأى مستقبل ؟

والدولة اليهودية تعتصم بالحرب لأنها تخاف السلام .

تخاف ان حل السلام ان تفقد وجهها فى المطالبة بالعون ، سواء من الولايات المتحدة او غيرها من الدول ، أو من يهود العالم .

وهى فى غياب العون لا تستطيع ان تعيش ، فقد جاءت الى هذه الأرض بشعب يريد ان يحيا الرخاء فى اقتصاد فقير بالضرورة ، وعودته أن له "حقا" فى ان يعيش الرخاء على حساب الاخرين .

فهى تؤسس "حقها" فى المعونة الامريكية بالقول ان حاجة الولايات المتحدة اليها ، لا تقل عن حاجتها هى الى الولايات المتحدة .

لكن الامريكيين فى الحقيقة يشكون فى ذلك ، ويقول "بيتر جروز" الذى سبق ذكره ، ان هناك نزاعا امريكيا ـ اسرائيليا خفيا حول شرعية المعونة الامريكية ،

التى ينفقها الاسرائيليون على الاستهلاك ، ويرون ان لهم حقا فيها "لأنهم يعيشون على جبهة استراتيجية "الحياة عليها قصيرة" .

فاذا حل السلام ، لم تعد "الدولة اليهودية" هى هذه "الجبهة الاستراتيجية" التى يتحدث عنها الاسرائيليون ، أو لم تعد لها هذه الاهمية ، ومن شأن هذا ان يأكل مبرر المعونة .

حتى ولو أتى هذا التغير بطيئا ، وهو بالضرورة سيأتى بطيئا .

وتخاف ان حل السلام ان يستعيد اليهود الشرقيون وهم الان اغلبية السكان وعيهم باولوية هويتهم الشرقية التى يسميها الاشكناز بازدراء "عربية" .

تخاف المؤسسة الصهيونية ـ ان حل السلام ـ ان يتوحد اليهود الشرقيون مع العرب ضد المؤسسة الصهيونية .

تخاف السلام لأسباب تمتد من أكبر القضايا الى التفاصيل والعوامل الثانوية والتنبؤات الاحصائية .

ولأنها تخافه ، فانها لا تريده قائما حتى على شىء من العدل .

فهى تعرف ان العرب مستعدون لقبول سلام قائم على قدر من العدل .

لكنها بعد ان حاربت هذه الحروب كلها وقاتلت هذا القتال وحققت هذه الانتصارات اصبحت تخشى ان قدرا من العدل فى صلب السلام ، سيؤدى الى ان "يطمع بها العرب" .

لذلك لا تريد الا سلاما تفرضه وان يكن من خلال "شكل" المفاوضات . تريد سلاما يقنع العرب بقوتها وسطوتها وبانها لا تهزم ولا تتراجع .

اى تريد سلاما مستحيلا .

وحتى لو حصلت عليه . لو حصلت على سلام يعطيها ما تحتل من الاراضى ، اليست هذه بذرة حرب جديدة ؟

وحتى لو حصلت على السلام على هذا النحو ، فالمفارقة فيه تصل الى حد الكارثة بالنسبة للدولة اليهودية . ففى ظل هذا السلام يصبح العرب هم اغلبية سكانها خلال ربع قرن من الزمان او يزيد قليلا .

وتكف اسرائيل عن ان تكون "دولة يهودية" وتجد الحركة الصهيونية نفسها صفر اليدين ، فبعد ان ضاع الحلم يضيع الواقع الذى حققته .

وقد تؤجل هجرة يهودية يشجعها السلام هذه "الكارثة" لكنها لن تلغيها .

وهذا كله اذا حققت اسرائيل السلام بشروطها ، وفى الوقت ذاته اقرت لسكان ما ستضمه من اراض بحقوق المواطن .

فاذا انكرت هذه الحقوق ألقت ظلالا كثيفة على "ديمقراطيتها" فى نظر قسم من شعبها اليهودى ، وفى نظر العالم ، وهذه "الديمقراطية" هى احدى وسائلها فى استدرار التعاطف والمعونات .

وحتى اذا قبلت سلاما قائما على قدر من العدل ، فانسحبت من الأراضى التى احتلتها فى ١٩٦٧ ، فان "الاغلبية العربية" سوف تتأجل ، انما ليس وقتا طويلا . الى حوالى النصف من القرن المقبل ، بدلا من حوالى الربع منه .

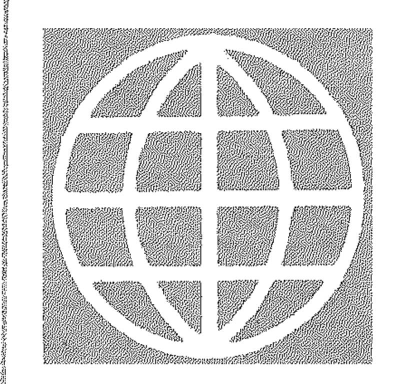
وهذا هو مأزق الأمن الذى لم تحله الحرب ، ولا تثق اسرائيل ، بل لا تعتقد ، بأن السلام قادر على اخراجها منه ، وعندها فى هذا ما يقرب من اليقين .

لذلك تجد نفسها محكومة بالمضى من حرب الى حرب .

كانه قدر !

فاى مستقبل ؟

بل ، وياله من مستقبل !



العالم في سطور

القاهرة

● ١٨٨٩ : عندما اتفقت الأبراج


شارلى شابلن

ظاهرة غريبة يحتفل بها العالم هذا العام

فابتداء من شهر يناير الحالى يمر قرن كامل على عام ١٨٨٩ . ذلك العام الذى ولد فيه قرابة عشرين عبقريا فى كافة انحاء العالم .. فى ميادين متباينة من العطاء الانسانى ويبدو كأن النجوم قد اتفقت فى سمائها العليا ، فى تلك السنة ، ان تمنح ابناءها اقصى درجات العبقرية فى السينما والرواية والموسيقى والسياسة والفن التشكيلى ومجالات اخرى متعددة .

ولانه ليس للعبقرية وطن ، فسوف نجد ان عباقرة عام ١٨٨٩ قد جاءوا من انحاء شتى من العالم من مصر والهند والمانيا وبريطانيا وامريكا اللاتينية .. وغيرها من دول العالم .. فى مصر ولد كل من عبد الرحمن الرافعى (٥ فبراير) عباس العقاد (٢٩ يونيه) وطه حسين (١٤ نوفمبر) وعبد الوارث عسر ..

وقد ولد الزعيم الهندى جواهر لال نهرو فى نفس اليوم الذى ولد فيه طه حسين . اما شهر ابريل فقد شهد ميلاد ثلاثة من عباقرة العصر : اولهم المؤرخ الانجليزى المعروف « آرنولد توينبى » صاحب كتاب « دراسة التاريخ » (١٤ ابريل) والممثل المعروف شارلى تشابلن (١٦ ابريل) .. ثم المواطن النمساوى ادولف هتلر (٢٠ ابريل)

وفى الخامس من يوليو عام ١٨٨٩ ولد الفنان المتعدد المواهب جان كوكتو (فرنسا) وهو شاعر ورسام ومخرج سينمائى ومسرحى وموسيقار وقد تميز فى كافة هذه الفنون جميعها بنفس الدرجة . اما الموسيقار البولندى آرثر روبنشتين فقد ولد فى الحادى والعشرين من يناير .. بينما ولدت الكاتبة الشيللية جابريللا ماسترال - الحاصلة على جائزة نوبل عام ١٩٤٥ - فى منتصف العام .

وابناء هذا العام من العباقرة - فى الغالب - من الفقراء العصاميين الذين تمكنوا من شق جبل الطموح . كما ان اغلبهم مات بعد ان تخطى السبعين من العمر ماعدا هتلر فعرفوا الشيخوخة وعايشوها كما توقف اغلبهم عن العطاء فى السنوات العشر الاخيرة . من حياتهم مثل طه حسين وتشابلن وتوينبى .

اغرب ابناء هذا العام ايضا ، مولود من حديد

يتمتـــع بنفس الشهـرة وعبقرية البناء والمكان .. وهو برج ايفل المشهور ..
السؤال : هل اتفقت الابراج فى هذا العام على ان تمنح العبقرية لعدد كبير من ابنائها ام انها مصادفة لم تتكرر قط فى تاريخ البشرية سوى فى عام واحد هو : ١٨٨٩ .

تـل أبيـب

● إسرائيل .. فى صنـــدوق أســـود

أموس عوز هو احد اهم الادبـاء الاسـرائيليين المعاصرين وهو يهودى عربى جاءت اسرته من الجزائر ، وهران وعرف معسكرات الكيبوتـز .. وعانى مثل الكثيرين من السفارديم من العنصرية التى يمارسها الاشكيناز ازاء اليهود الشرقيين .

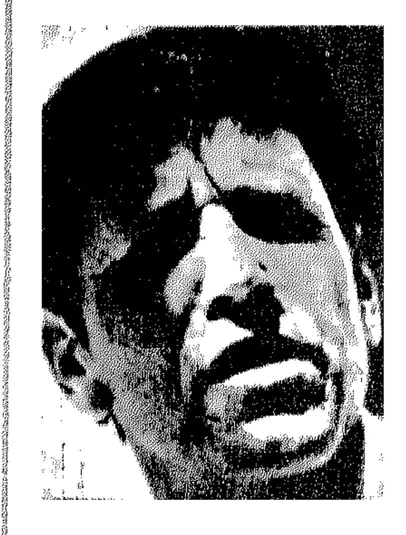
وينتمى اموس عوز الى اليســار الاســرائيلــى المؤسس لحركة السلام الآن .. وقد فازت روايته الاخيرة الصندوق الاسود اخيرا بجائزة فيينا ضمن الجوائز الاوربية التى تمنح للادب الاجنبى فى فرنسا وتحكى الرواية عن امرأة تدعى « الانا » تكتب الى زوجهـا السابق خطـابا تخبره فيها انها لاتعرف اخباره منذ سبع سنوات وتحدثه عن ابنهما « بواز » الذى ينظر اليها على انها امرأة عاهرة . وتقول أنها تزوجت من يهودى متطرف يدعى ميشيل أنجبت منه فتاة .

وتـرسل المـرأة الى زوجهـا السابق رسـالة اخرى .. ثم ثالثة .. وتخبره انه كان شخصا نبيلا معها ، وهى تقر بذلك . لذا فانها تدعوه الى ان يأتى وينام معها من جديد .. وتطلب منه ان يساعدهـا بالنقـود لكن الرجل لايرد على رسائلها .. ثم يوافق ان يمارس معهـا لعبـة الصنـدوق الاسود المغلق .. فدائما وراء الصندوق الاسود لكل طائرة حكاية خيانة .

والزواج الثانى للمرأة كان فاشلا وغير متكافىء انه بين اثنين من اليهود ينتمى كل منهما الى ثقافة مختلفـة : السفـارديـم والاشكيناز .. والزوج رجل يطمع فى ان يكون سياسيا مرموقا . اما الصغير بواز فهو يجد نفسه فى عالم اسود ملىء بالخيانة وقد افتقد قيمه الانسانية .

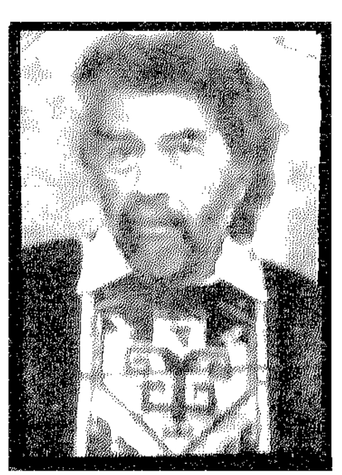
ويقــول الكـاتب عن روايته فى مجلة « حدث الخميس » ان اغلـب شخصياتها متعصبون وهم الى نهاية سوداء مثل جميع المتعصبين ويقول الكـاتب « اناضـل منذ سنوات من اجل السلام الآن ، مناضلا من اجل الوصول الى التفاوض مع الفلسطينيين افهمـونـى جيدا لست مسالما ولكن يجب ان نقر ان هناك فى اسرائيل مناطق مأهولة بالسكان العرب .. وهذا الأمر سيودى بنا الى بلفاست جديدة حتى لو قدمنا الاراضى المحتلة فـوق طبق من فضة ، واعتقد أيضا ان حربا لايجب ان تحل المشكلة .. فيجب ان تحل المشكلة الفلسطنيه ..

اموس عوز



بغداد

● النقد الغبي .. والرواية الجديدة



ــ الان روب جرييه

فى اطار مهرجان المربد التاسع عشر الذى عقد فى بغداد الشهر الماضى ، راح الكاتب الفرنسى المعروف الان روب جرييه يرد على العديد من التساؤلات حول الرواية الجديدة .. واهتم بشكل خاص بأن يتحدث الى القارىء العربى عن المفهوم الصحيح لهذه الرواية . فمن المعروف ان جرييه هو احد كبار المنظرين والمبدعين ادبيا وسينمائيا لهذا النوع الادبى .. ويمكن اعتبار ان ماجاء على لسان جرييه فى احاديثه التى جاءت فى هذا المربد ابرز ماقيل عن الرواية الجديدة .. ويهمنا هنا ان نقتطف اهم ماجاء من اقوال :

«الشىء الوحيد الذى ينسجم مع ذاته ومتكامل هو الموت فقط .. واذا كان العلم حيويا دائما يكون هناك فراغ .. ففى كل الميادين فى الفلسفة وعلم النفس وكل النشاطات الاساسية حدث نفس الشىء وفى كل هذه الميادين ظهرت نظريات تبحث عن فراغ دائم .. ويصح هذا القول على الروائى فانا مثلا بدأت باحثا ببيولوجيا علميا ثم بدأت بكتابة رواية . لماذا ؟ لاننى شعرت بغرابة العالم وقلت فى نفسى انا لا افهم مايحدث . ولا اننى لا افهم هذا العالم كرست نفسى للكتابة ولدى انطباع ان هذا هو التعريف الاولى للحداثة .. ففى هذه الروايات لم تعد التناقضات شيئا سيئا عما كانت فعندما نجد هذه التناقضات فى شخصية روائية من زمن بلزاك فانها تعتبر عيبا فى الرواية كما يراه بلزاك ويؤدى ذلك حسب مفهومه الى تناقضات فى مجمل بناء الرواية ولكن فى القرن العشرين نعرف ان الحقيقة ليست عقلانية» .

ويقول جرييه عن تطور الرواية الجديدة .

« فى الخمسينيات : كانت الرواية الجديدة موضة دون ان يقرأها احد وكان يقال عنى اننى اطرد الإنسان من عالمى الروائى .. واكتب رواية محايدة او رواية بدون مؤلف واشياء لامعقولة وان هذه الاشياء هى التى أطلقت شهرتى اى اننى اصبحت مشهورا قبل ان استقطب قراء عديدين . وفى السبعينيات لم تكن كتاباتى موضة ، بل اخذت تستأثر باهتمام القراء مثلما حدث ايضا مع مرجريت دوراس وهى التى مضت عليها اعوام طويلة وهى كاتبة غير معروفة .. أما الآن فقد باعت روايتها « العاشق » اكثر من مليون نسخة وترجمت الى أربعين لغة» .

«وفى هذا العقد ــ الثمانينيات ــ حدث شىء غريب اصبح عندنا قراء عديدون وعدنا الى واجهة الموضة من جديد . انها ظاهرة غريبة حقا .

اذكر ان روايتى «الغيرة» ظلت ولسنوات

عديدة لايقرأها احد ففى طبعتها الأولى بيع منها ٣٠٠ نسخة فقط ، واشك ان كل من اشتراها قرأها . اما الان فان الشباب يقرءون رواياتى ويشترونها باسعار غالية» .

ويقول الكاتب أيضا « يجب ان يخلق الكاتب نفسه ، ويخلق قراءه الخاصين» .. اما عن النقد الغبى التقليدى ـ كما اسماه ـ فقد اتهمه انه يريد طرد الانسان من العالم الروائى وان يضع المكان محله « لقد تغير مفهوم الانسان اولا فمنذ كانط وهايدجر، وهوسول ، كان العرى فى داخل الانسان كان الانسان انذاك يخرج من ذاته ليأكل الاشياء بينما كان الوعى هو الباقى يبحث عن نفسه ـ الوعى ليس له دواخل ـ لان الانسان بدأ يلقى وعيه على الاشياء ..

باريس

● الأدب .. وليد الصدمات

القنان .. حالات ابداعية ..



ـ كرستيان روشفود

وهذه الحالات لاترتبط شرطيا بأى من الظواهر المحيطة بها . مهما كانت الاسباب . ولذا فابداعه بين ارتفاع وانخفاض تبعا لهذه الحالات ..

ويمكن ان نطبق هذه الاقاويل ، بالضبط ، على حالة الكاتبة الفرنسية المعروفة كرستيان روشفور

فقبل ثلاثين عاما بالضبط وفى عام ١٩٥٨ اطلت على العالم بروايتها الرائعة « استراحة المحارب » .. التى اعتبرت اولى الروايات الهامة فى الادب النسوى .. واعتبرت فصلا بين عهدين من ابداع المرأة .. وكلما جاء ذكر هذا النوع من الادب . ذكر اسم كرستيان روشفور وروايتها والتقطت السينما هذه الرواية فاخرجها روجيه فاديم فى فيلم قامت ببطولته برجيت باردو عام ١٩٦١ حول امرأة تجد متعة جبارة فى ارتباطها برجل سكير يتفنن فى اهانتها ..

وطوال ثلاثين عاما قدمت كرستيان العديد من الروايات .. ولكنها جميعا كانت أقل اهمية ومستوى من « استراحة المحارب » .. وقيل ان الكاتبة اسيرة لرواية واحدة لايمكن ابدا ان تطالها .. وتردد انه من الافضل أن تتوقف عن الابداع .

وفى الشهر الماضى اعلنت اكاديمية ميدتشى الادبية عن منح جائزتها السنوية فى الرواية لكرستيان روشفور عن احدث رواياتها الاخيرة « باب العمق » وكان معنى هذا الخبر ان الرواية الثانية عشرة للكاتبة قد استطاعت ان تقف شامخة فى ابداع الكاتبة مثل روايتها الاولى فجائزة ميدتشى تمنح للادب التجريبى المميز .

وتتناول الكاتبة فى روايتها الجديدة ذكريات طفلة صغيرة تتكلم عن الحياة العاطفية والجنسية لابيها وهذا الاب ليس سوى موظف بسيط . وجد نفسه وحيدا مع ابنته الصغيرة فراح يعشق نساء القرية وكان لايتورع ان

يمارس الحب امام عينيها فاصبحت كيانا كبيرا قبل ان تبلغ سن الانوثة وكما صدمت كرستيان قراءها في روايتها الاولى من خلال بطلتها جينفيف .. فانها عادت لتصدمهم مرة اخرى في هذه الطفلة المرأة وقال الناقد ايف سالج - في مجلة جوردو فرانس - ان الكاتبة صنعت نموذجا ادبيا مهانا ويثير الشعور بالاهانة .. والاحتقار ..

من بين الروايات الاخرى التي نشرتها السيدة روشفور خلال عمرها في العطاء .. « وردة لموريسوف » و «الاطفال اولا» .. و.. العالم مثل حصانين » و« الربيع في موقف انتظار السيارات »

روما

● الرابح الحقيقي في الجوائز الأدبية

أكثر من الف ومائتي جائزة ادبية تمنح سنويا في ايطاليا ..

أجل . الف ومائتان جائزة .. وليس في الأمر خطأ مطبعي بالمرة .. فاذا كانت فرنسا تفخر انها تقدم سنويا ٣٥٠ جائزة . فان هذا العدد الذي يمنح في ايطاليا يحث على التساؤل : هل الحركة الأدبية مزدهرة إلى هذا الحد في ايطاليا . فالجوائز الأدبية تمنح عامة للأدب المميز . ويعني هذا الرقم اذن أن هناك الف ومائتي كتاب يصدر سنويا وتستحق الجائزة ..

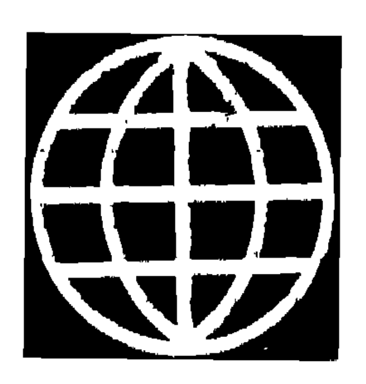
أشهر هذه الجوائز « بوكاشيو » التي تمنح في فلورنسا للمقال الأدبي . أما جائزة ستريجا ، التي تأسست عام ١٩٤٧ ، فهي تمنح في روما . والمحلفون في هذه الجائزة يزيدون عددا عن المائة متخصص من أدباء وصحافيين وأساتذة جامعة وسياسيين .

والجائزة الثالثة تعرف باسم فيرچيو وقد تم تأسيسها عام ١٩٢٩ وتمنح من قبل احدى دور النشر المعروفة في مدينة روما وهي دار اينوري .

وفي عام ١٩٦٣ انشأ اتحاد الصناعات جائزة أدبية تحمل اسم كامبيللو . وهي جائزة نقدية تمنح للنقاد والكتاب . وقد حصلت عليها هذا العام الكاتبة روزيتا لوى عن روايتها « الشارع الواسع » .

أما أكثر الجوائز أهمية - بعد جائزة مونديللو - فهي جائزة باناكاريللا ويمنحها اتحاد المكتبات لاكثر الكتب الأدبية مبيعا بينما تمنح جائزة باجوتا لأحسن رواية ايطالية نشرت في نفس العام .

وتقول جريدة ليبراسيون - ١٧ نوفمبر ١٩٨٨ - ان موسم الجوائز الأدبية الايطالية يبدأ عادة في الربيع . وينتهي في شهر سبتمبر . وترى أن هناك اتهاما موجها إلى الناشرين في أنهم يضغطون على هيئات التحكيم في الجهات التي تمنح الجوائز من أجل أن تخصص الجوائز السنوية للكتب التي تنشرها هذه الدور .. وهي سمة معروفة في كافة الدول الأوروبية





كتاب الهلال
يقدم:
الأعمدة السبعة للشخصية المصرية
تأليف: د. ميلاد حنا
يصدر ٥ يناير ١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم
١٩٣٤
تأليف: ألبرتو موراڤيا
ترجمة: محمد عبد المنعم جلال
تصدر في ١٥ يناير ١٩٨٩

يحيى حقي

محباً وناقداً للسينما

بقلم : مصطفى درويش



« نشأت فى اسرة تتعشق السينما رجالا وصبيانا ، لايخرج حديث مائدة العشاء عن ذكر الافلام القديمة والحديثة والقادمة . وعن ترديد اسماء الممثلين فى ايطاليا والمانيا وامريكا والمقارنة بينهم .

لااشترك فى الحديث ـ لصغر سنى ـ بل تلتقط أذناى منهم كل كلمة تقال »

هكذا حكى صاحب « قنديل ام هاشم » الذى لايجيء ذكر لاسمه الا وتذكر هذه النفيسة التى يزداد ماتقطره من زاد على مر الايام عطرا وسحرا .

● قصة حب

هكذا حكى « يحيى حقى » لنفسه ولنا فى فاتحة المجلد العاشر من الكتابات النقدية « فى السينما » كيف وقع فى غرام السينما قبل خمسة وسبعين عاما او يزيد ، اى وهو يتحسس طريقه صبيا لايزال .

وعلى كل ، فهذه الفاتحة الصغيرة الكبيرة القيمة قد كشفت لنا عن جانب مضيىء فى صاحب « القنديل » انفرد به دون ادبائنا الكبار جميعا ، وهو شغفه بالسينما ، واتقاد شرارة هذا الشغف ، فى قلبه على وجه انعكس فى شدة اهتمامه بالفن السابع وحسن تلقيه لما كان يشاهد من افلام ، وسرعة تصديه بالكتابة فيما ارتآه منها حدثا سينمائيا هو فى الغالب كذلك بفضل رؤية عميقة تستند الى ذكاء وعلم وسع الكثير من لغة العصر .

واول ما يلاحظ على هذه الكتابات انها رفيعة المستوى فى الاسلوب لاتجنح الى استعمال غريب الالفاظ بل على العكس تميل الى ماكان منها سهلا ممتنعا يسيل سيل نبع وديع لايعكر صفوه لفظ واحد خارج ثقيل .

ولاغرابة فى هذا ، وقد عاش فى بيت وصفه فى حديث اجراه معه الأديب « فؤاد دوارة » صاحب الفضل فى خروج هذه الكتابات الى النور منذ خمسة وعشرين عاما الا قليلا ، وصفه بانه كان يغلب على جوه اولا : شيء من الاعجاب برشاقة اللفظ والابتهاج بالتوفيق فى العثور عليه .

وثانيا : نوع من الحياء بحيث ينتبه الى زلة اللسان مهما كانت طفيفة .

● قوى الظلام

وكم هو مثير للحزن ، ان معظم هذه الكتابات قد شاءت لها الاقدار الظالمة ان تنشر فى صحف قليلة التوزيع والتأثير كما المساء والتعاون .

وان تحجب بذلك عن قراء صحف ذات جلال فى كل العهود مثل الاهرام والاخبار .

فلو لم يحدث هذا العزل غير العادل لكان للنشر اثر كبير . ولما انحدر النقد الى مستواه المتدنى حاليا

ولن اتوقف ولو قليلا عند وليمة الكلمات فى كتابات واسلوب اديبنا الموهوب فهى



يحيى حقي
محبًا وناقدًا للسينما

وليمة دسمة غنية عن اى بيان .

وانما اتوقف عند ظاهرة صفاء ونقاء هذه الكتابات وخلوها من شوائب العبارات العوراء التى تمتهن النقد بالكراهية والقبح والبذاءات .

خذ مثلا ماكتبه فى نقد فيلم « البوسطجى » المأخوذ عن رائعته التى بنفس الاسم .

● القاعدة والاستثناء

انه قلق ازاء اخراج « حسين كمال » لهذا الفيلم غير مرتاح له ارتياحا تاما .

فماذا كتب ؟

بداءة كتب انه قبل ان يرى الفيلم لأول مرة فى الاسبوع الثانى من عرضه قد استمع لاراء عديدة عنه تتراوح بين الثناء الشديد والذم الشديد .

(هذه ذريعة لبيان انه – وهو صاحب القصة – لم يشاهد الفيلم قبل عرضه على الجمهور ، بل ان مشاهدته له قد تأخرت الى مابعد انتهاء الاسبوع الأول) .

وما ان انتهى من هذه المقدمة التى كشفت عن قلة ذوق صانعى الفيلم حتى انتقل الى تباين الاراء فيه متخذا منها برهانا على انه « قد شذ عن بقية افلامنا العديدة التى لاترتفع لمستوى النقد . وهذا نجاح من العدل والانصاف ان نقر له به مهما اختلف حكمنا عليه .

انه جعلنا نترك مقالب الزبالة أو مقابر الاموات لنخالط الاحياء فى العمار ، اصحاء كانوا ام معلولين فالمطلب الأول فى العمل الفنى هو دبيب الحياة فيه » .

● الفلك المستقل

وبعد الكلام عن القصة والخيطين اللذين انعقدا فيها واراد لهما القدر ان يتشابكا .

الخيط الأول مفتول بصدقه فتلا فوتوغرافيا عن الواقع ، وهو مصرع « جميلة » الخاطئة على يد ابيها

والخيط الثانى من محض الخيال . مأساة البوسطجى ، هذا الشاب القاهرى الذى يفترسه الملل فى الصعيد المحايد الذى لاعليه ولا له يقلب كما ابله دوستيافسكى كل مجتمع يخالطه .

استطرد فى محاولة منه لتبرئة الفيلم من تهمة اهدار صاحبه روح القصة ، قائلا :

« دعوا القصة جانبا . الفيلم عمل فني مستقل بذاته . اننا نحاسب من داخله لا من خارجه . والمخرج هو صانع الفيلم لا كاتب القصة ، وكل نجاح او فشل للفيلم ينبغى ان ينسب كله للمخرج »

● غربة ورجاء

ولكنه ها هو ذا قريبا من نهاية المقال يستسمح الاستاذ « حسين كمال » فى ان يقول له ناصحا بان « لايرسل الفيلم ، لمهرجان كما هو ، فان حساسية الذوق فى اوربا تأبى ان يرى المشاهد بعينه منظر السكين فى يد الاب وهو يطعن بها ابنته

كانها شاة او دجاجة .

والقصة تركت جميلة ولاشيء يدل على قتلها الا دق اجراس الكنيسة » .

متمنيا عليه وعلى شركة القاهرة للانتاج السينمائى لو كان فى استطاعتهما اعداد خاتمة اخرى غير هذه الخاتمة .

وطبعا لم تسمع لا الشركة ولا المخرج لقول الاديب الاريب . وبقيت الخاتمة كما هى دون اى تعديل .

مثل اخر لهذا النقد الفريد الأقرب الى التلميح منه الى التصريح ماكتبه فى حق فيلم « الحياة ، الحب ، الموت » ، لصاحبه المخرج الفرنسى « كلـود لولـوش » المعروف بغلوه فى الانتصار للصهيونية

فى هذا الفيلم عالج « لولوش » قضية الحكم بالاعدام وهل يجوز للمجتمع ان يقتل القاتل فيماثله بل قد يفوقه قسوة .

● مصائب قوم

والبطل الذى وقع عليه اختياره للفيلم فتى اسمر اللون منحدر من اصل جزائرى ، عنين مصاب بمرض نفسى دفع به الى خنق عدد غير قليل من المومسات .

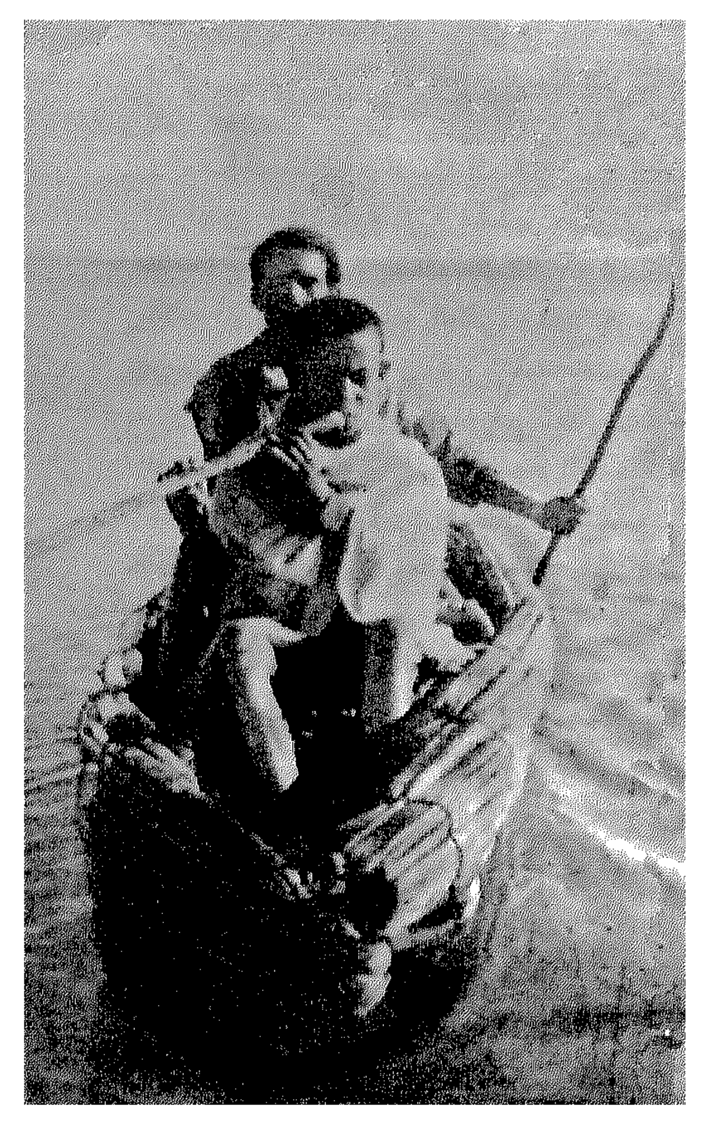
وزاد المخرج من تعدد وتشابك الخيوط التى تصور هذا البطل رجلا ممزقا بين العقل والجنون ، بين الاستقامة والشذوذ بان جعله ايضا لصا يسرق وفى يده مسدس يهدد به ضحاياه .

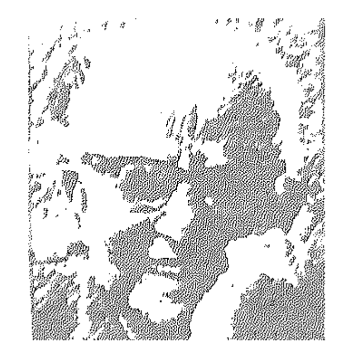
ومع كل ذلك فالمخرج يقول ان قتل مثل هذا الرجل المريض الضعيف جزاء على جرائمه ، انما هو نوع من السادية .

ولذلك اطال فى تصوير عذابه فى السجن انتظارا ليوم اعدامه .

بل صوّره لنا وهو يقاوم جلاديه ساعة ان سحبوه للمقصلة ، فاذا بهم يجرونه بعنف جرّا

— يحيى حقى عند اعالى النيل حيث ينـابيع الشـمس ..





يحيى حقي
محبا وناقدا للسينما

● صدمة عنيفة

وفى رأى أديبنا صاحب الكتابات ان السادية التى اراد المخرج ان يحاربها قد استهوته ، « فاذا به اشد اسراعا وغلوا الى الوقوع فى مخالبها ، فان هذا الذى فعله باعصاب المتفرجين ما هو الا اغراق فى السادية يزيد بكثير عن حاجة الدفاع عن القضية التى يريد ان ينتصر لها . وهذا مثل للشىء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده .

وهنا لم يستطع اديبنا الساخر ان يقاوم اغراء روح الدعابة التى اشتهر بها ، فاذا يقلمه يجرى فى ختام المقال « الحكم بالاعدام » على الوجه التالى « لقد خرجنا من الفيلم ونحن نتقزز من سادية « لولوش » ونسينا قضيته لم نعد نسأل انفسنا هل يستحق هذا المتهم الضعيف الاعدام او لايستحقه ؟ ولعلنا فى ضمائرنا نقول ان الذى يستحق الاعدام هو « لولوش » نفسه » !!

وروح الدعابة او الفكاهة هذه هى ثانى مايلاحظ على كتابات « يحيى حقى » فى السينما .

وليس هذا بغريب على اديب قرأ « البخلاء » « للجاحظ » وهو صغير وتتلمذ على الشيخ « محمود شاكر » وهو كبير (١٩٣٩) .

واكاد اعتقد ان رؤية « حقى » الفكاهية التى ما ان تقع على شىء فى الحياة الا وترى بروح الابتسام مافيه من نقص ونقائض ومفارقات ، هذه الرؤية هى من اهم وجوه كتاباته فى السينما .

● السجل العتيد

انظر مثلا الى لوحته التى رسم فيها ليلة افتتاح اول ندوة للسينما فى حدائق قصر عابدين بالفيلم السوفييتى « عطيل » .

انك لن تستطيع بعد ان تفرغ من قراءتها الا ان تبتسم احيانا وتقهقه ضاحكا احيانا اخرى .

ذلك انه صور لنا فيها كيف « انت له تلك الليلة التى علق عليها هو واخرون اكبر الامال بنكبة مخجلة » وكيف كانت « بمثابة سجل ناطق صارخ بجميع عيوبنا التافهة والجسيمة معا ، والاصيلة والدخيلة معا » .

ومن بين عيوب هذا السجل العتيد التى سلط الناقد الساخر عليها الضوء اننا بدلا من ان نستعد ثم نبدأ أندببنا وقلنا نبدأ ثم نستعد .

وهذه هى المصيبة

لا فى الغفلة والتقصير فالادراك لاينقصنا ولابذل الهمة . بل فى ترتيب الاولويات مع انه من البديهيات .

وها هو ذا ، بعد ان قلب صفحات سجل عيوبنا يقف منها ساخرا سخرية مريرة ، عندما يقرأ معنا برنامج الندوة المتضمن خلاصة للفيلم وبيانات عنه .

● التقصير

« فاذا به مشحون بالاخطاء المطبعية حتى فى النص العربى .

« الفيلم يدرس شعور الغيرة » جاء بدلها « الفيلم يدرس الشعور العيرة » كأنه اعلان عن دكان حلاق .

« ان دماثة ديزدمونا على نقيض عنف عطيل » اصبحت ان دمامة ديزدمونا على بعض عنق عطيل » .

لم توصف الحلوة بالدمامة الا فى بلدنا .

سألت محمد افندى قال لى انه احمد افندى ، واحمد افندى قال لى انه فرج افندى ثم قيل لابد من احالة التحقيق للنيابة الادارية .

(من المفيد التنبيه هنا الى ان اديبنا هو اول واخر مدير لمصلحة الفنون التى نظمت تلك الندوة التى اطلقوا عليها اسم ندوة الفيلم المختار .

وهذا سر سؤاله عن الشخص الذى يحمل اوزار وتبعات التقصير فى تنظيم تلك الندوة) .

ومهما يكن من امر هذا العناء المتصل الذى جرى احتماله املا فى الفيلم الموعود المنتظر ، فانه لما اطفئت الأنوار ووجدنا فى الظلام رحمة فاذا عطيل لايظهر على الشاشة البيضاء لأنها اشد منه سوادا ، لم نر عليها الا وهم اشباح مبهمة ، وتحت اقدامها كلام منطمس بالعربى والفرنسى .

وسألت فقيل : ان الة العرض كان ينقصها نوع من الفحم لم نجده فى السوق .

تعالى يافرج افندى ، قال انه محمد افندى ومحمد افندى قال انه احمد افندى ، وقيل انه لابد من احالة التحقيق على النيابة الادارية » !

وآخر مايلاحظ على الكتابات ان « يحيى حقى » وهو يختار مايعرض له بالنقد من الأفلام التى اتيح له ان يشاهدها خلال عقدى الخمسينيات والستينيات لم يقع اختياره الا على الهام منها اما لموضوعه واما لما يتحلى به من براعة فى حرفة السينما ، مع جنوح واضح منه الى الافلام التسجيلية لاسيما ما كان منها يدور حول مصر .

ومن هنا تمهله فى الوقوف عند افلام تسجيلية منسية مثل فيلم المخرج « ولى الدين سامح » عن الحياة اليومية عند المصريين زمن الفراعنة وفيلم المخرج « احمد راشد » « العار لأمريكا » وفيلم « الفلاح الفصيح » للمخرج الراحل « شادى عبد السلام » و« ينابيع الشمس » للمخرج النيوزيلاندى « جون فيينى » الذى جاء الى مصر قبل ربع قرن من عمر الزمان ، ولا يزال على ارضها يعيش .



يحيى حقي
محبا وناقدا للسينما

بل انه افرد لكل واحد من المخرجين الاخيرين صاحبى « الفلاح » و« الينابيع » اكثر من مقال .

● تمنيات وأحلام

وكم كان اديبنا بعيد النظر عندما دعى الله فى ثالث واخر مقال له عن « الفلاح الفصيح » ان « يحرس نجم « شادى » فى ضلوعه ، وان ينجيه من المخاطر مخاطر الاغترار بالنفس تأتيه من داخله ، ومخاطر العقبات الجسام التى تلقيها فى طريقه تحكمات الروتين الحكومى أو بعض الذين يعدون كل نصر لغيرهم هزيمة لهم . او الذين يمنحهم فقرهم الغنى ثراء فاحشا فى الهجوم والتجريح »

ولاعجب فى كل هذا الحماس للسينما التسجيلية فى فنان ولهان يحب شعب

ـ شعوب وقبائل وادى النيل

مصر يحلم بفيلم عن « النخلة تلك الشجرة العجيبة ذات الخط الواحد ام الخير والبركة » .

ويحلم بفيلم اخر عن الغراب « هذا الطائر العجيب الذى يعيش بيننا ولانتنبه له كثيرا » .

وبفيلم ثالث عن « نيلنا العظيم من منبعه الى مصبه . يعرض علينا حياته وشطآنه وصخوره ومختلف شعوبه وحيوانه ونباته » .

وفى الحق ، فلم يتحقق من هذه الأحلام سوى فيلم واحد ، « ينابيع الشمس » الذى استغرق اعداده خمسة اعوام كاملة (من ١٩٦٢ الى ١٩٦٧) .

كما استغرق تصويره ستة شهور ، واقتضى السفر الى اوغندا والحبشة والسودان والصعود الى اعالى جبال القمر ، هذا الفيلم التحفة معروض الان فى القاهرة (ابريل ١٩٧٠). سأوارى وجهى من الخجل اذا لم يشتد الاقبال عليه ، اتمنى ان ارى على باب السينما زحاما لايقل عن الذى تحظى به افلام الجنس والجريمة أو رعاة البقر الامريكان » .

ولابد انه اخفى وجهه خجلا عندما علم ان الفيلم قد فشل ، فلم يستمر عرضه فى دار السينما سوى أسبوع بالكاد كان هو الأول والأخير .

● الصيحة والصدى

وكم كان متفائلا اديبنا عندما كتب مناديا « هيا بنا نعرضه سريعا فى المدارس والقرى ، وفى التليفزيون بعد وقت غير طويل والمسامح كريم يامؤسسة السينما .

ثم نبذل كل جهدنا ـ وهذا هو الأهم ـ فى الترويج لهذا الفيلم فى الاسواق الخارجية للعرض السينمائى والتليفزيونى .

يكفى ان اسم مصر سيتردد على الالسن ، ويعود مقامها الجليل فى الحضارة الى الاذهان » .

كم كان متفائلا فشىء من هذا لم يحدث لم يعرض « ينابيع الشمس » لا على الشاشات الكبيرة او الصغيرة فى الخارج حتى هذه الساعة .

كما لم يعرض على شاشات تليفزيون بلدنا الا فى العام الماضى بمناسبة اعادة الاحتفال بوفاء النيل .

ولست اشك انه لو وصل الى علم اديبنا صاحب « دمعة وابتسامة » ما واجه « ينابيع الشمس » من اهوال تفوق كل خيال لاستمر هادئا متفائلا لاتفارقه ابتسامته الوديعة المشبعة بروح العطف .

فهو من تلك الفئة القليلة التى لاترى مايدور حولها بمنظار قاتم .

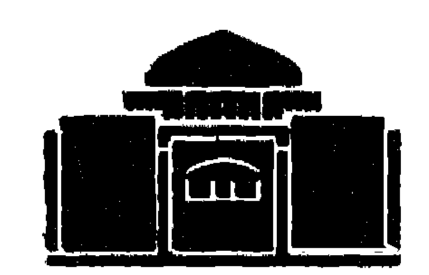
هو من القلائل اصحاب القلوب الكبيرة التى تحمل لنقائص الانسان ونقائضه عطفا كثيرا ورثاء غير قليل .

التحرر من عقدة الأوبرا

بقلم : محمد فتحي

● الطبول الأوبرالية لافتتاح "المجمع الثقافي التعليمي" الجديد آخذة في الارتفاع .. ومشاركتنا في الاحتفال بهذه المناسبة لا تمنعنا من مد البصر لتمحيص الدور الممكن والواجب لهذا الصرح الجديد ، وسط نبض الواقع الثقافي لحياتنا الراهنة ، بعد أن تنتهي مظاهر "الفرح أو الزفاف" الواجبة ..

وطالما كانت وقفتنا أمام صرح من صروح الفن والعلم والتحضر فلا بأس من أن يكون زادنا بعض الحس الحضاري وبعض العلم والفن .. وطالما ارتفعت أصوات الطبول الأوبرالية لابأس من أن تكون وقفتنا تمحيصا لتاريخ وحاضر ومستقبل فن الأوبرا ، عالميا ومصريا ، لنعرف مدى قدرتنا على هذا الفن والحجم الذي يجب أن يشغله في مدينة الوجدان العربي ، إلى جوار الاحتياجات الثقافية الأخرى التي يفرضها الوعي بجوانب مسيرتنا الثقافية وظروف حياتنا ..





خلال عشاء عمل (فى إحدى المجلات الثقافية) استأذنت فى الانضمام الى حوار كانت الدكتورة رتيبة الحفنى أحد طرفيه . وكان الحديث يدور حول الموسيقى العربية ، ودور الفنان محمد عبد الوهاب فيها . ولاأدرى بأسا من تجاوز موضوع هذا الحديث مباشرة الى التعبير عن إعجابى بموقف للدكتورة رتيبة ، اكثر إفصاحا وإبانة ، يضعنا مباشرة فى قلب مشكلتنا . فالدكتورة رتيبة ، وهى من هى فى دنيا الأوبرا ، لاتكل من الدعوة الى الموسيقى العربية ، وبرنامجها التليفزيونى الذى يحمل هذه اللافتة ماهو إلا إشارة بليغة الدلالة ، ولكنه ليس الاشارة الوحيدة ، فما من مرة قرأت أو إستمعت للدكتورة رتيبة إلا ووجدتنى مع الموسيقى العربية ، والتراث ، ومن فات قديمه تاه .. وعدم الارتياح الى الموجات الحديثة المتميعة .. بل ومع استنهاض الهمم ضد الغزوة الحضارية التى تحاول النيل من وجداننا .. إلا ووجدتنى باختصار مع استحالة ولادة فن جديد من خلال الثورة لمجرد الثورة ، ومع فهم التطور على أنه انطلاق من التراث وتواصل معه ..

وقد يرى البعض فى ذلك تناقضا تعانيه واحدة من رائدات الأوبرا فى مصر ، بينما أجده عونا على كشف "حالة الوحام الأوبرالى" التى يعيشها قطاع من مثقفينا اليوم ، ذلك أن تحرر الدكتورة رتيبة من عقدة الأوبرا ، بسبر "العالم الأوبرالى" على نحو متعمق يسر لها أن تضع قدمها على الطريق الصحيح ، دون مبالغة فى تصور احتياجاتنا أو إمكاناتنا الأوبرالية ..

ولعل المفارقة الثانية التى تكمل إطار "حالة الوحام الأوبرالى" هى تسمية "الأوبرا الجديدة" التى نصر على أن يكون علما على المؤسسة الثقافية الجديدة فى أرض الجزيرة ، بينما يسميه اليابانيون "المجتمع التعليمى الثقافى" . ودع عنك مسألة كون قوانينهم لاتسمح بمنح لدول كى تبنى دورا للأوبرا ، أو مسألة عدم وجود دار للأوبرا فى اليابان نفسها ، رغم وجود عشرات مما هو شبيه بالمبنى الجديد ، وربما مما هو أرقى منه .

وصحيح أن المراجع الفنية لاتنسب الى اليابانيين إنجازات أوبرالية متميزة تدفعهم إلى الاحتفاء بالأوبرا . لكن هذه المراجع لاتنسب لنا ايضا اية إنجازات تبرر مثل هذا الوحام ..

وليست المسألة مجرد خلاف حول تفصيلة صغيرة أو حول مسألة شكلية ، لأننا بصدد عينة دالة تشير الى توجه يمكن أن يكون عاما فى شئون الثقافة ،



دائرة
الحوار

ونقصد بذلك ثقافة المهرجانات والسياحة و .. أو ثقافة التباهى والاكسسوارات والتسميات البراقة اللامعة ، التى لا علاقة لها بواقع الحال ، وهو توجه دفع مثقفا مصريا مثل احمد عبدالمعطى حجازى الى دق نواقيس التحذير ..

● طبيعة القضية المطروحة

ولعل الخطوة المنطقية التى تأخذ بيدنا وتضىء المسألة إضاءة معقولة هى تحديد المشكلة التى نحن بصددها تحديدا صحيحا .

ولايمكن أن يفوت أحدا فهم مقدار فجيعة رجل الشارع فى مصر من اختفاء دار الأوبرا القديمة ، على النحو الذى اختفت به ، حتى لو لم تكن اقدام هذا الرجل قد تخطت عتبتها مرة واحدة ..

وليس من الصعب فهم مدى تأثر الضمير الفنى لمثقفى الامة مما أصاب الفنون عامة مع زوال مبنى الأوبرا القديم ..

ولايمكن ان ننسى انه مر علينا جميعا يوم كنا نحلم فيه بـ "مصانع كبرى ، ومزارع خضراء ،وتماثيل رخام على الترعة واوبرا .. فى كل قرية عربية" ..

لكن هذا كله قضية ـ أو قضايا ـ وما نتكلم فيه قضية مختلفة تماما ، رغم مايبدو من ربط خاطىء نشأ بين القضيتين ، ومضى يتدعم على نحو آلى مع الأيام ..

ولا يمكن أن تكون القضية انه صار لدينا مبنى يتمتع بإمكانات فنية رحبة ، وبالتالى يكون من مظاهر النكوص الا نسميه اوبرا ، والا نقدم عليه الأوبرات ـ فالأوبرا ليست مبنى كما يتضح حالا ـ وإلا لكنا كمن وجد إطار سيارة وهو فى طريقه الى هدف ما فبات شاغله اقتناء سيارة يصلح لها هذا الاطار .. وهذا الهدف الجديد ، علاوة على استحالته ، قادر على ان يزاحم هدفه الاساسى الى حد التشوش ..

ولا أعتقد ، ونحن نتحدث عن مؤسسة عامة ساهمت مع الحكومة المصرية فيها بمنحة لها وزنها الحكومة اليابانية ، لا اعتقد أنه يمكن أن يكون هناك خلاف حول ان القضية المحورية هى احتياجات الجمهور المصرى ومصالحه (التى تتضمن حتى ما يمكن أن يعود عليه من مكاسب سياحية) وما يمكن أن يحققه المشروع الجديد لخدمة هذه المصالح .. ولان حالة الوحام الأوبرالى على اشدها لابأس من ان يكون الحديث عن الأوبرا بدايتنا ..

● الأكثر إحتياجا الى الامكانات المادية

إن الأوبرا ليست مجرد نوع من الدراما الموسيقية ، بل هى الاكثر تكلفة إطلاقا فى دنيا الفنون .

وإنطلاقا من ذلك لم يقدم تاريخ الأوبرا - العالمي - أصوات دارسين للفن يصفون الأوبرا لا بالبذخ فقط ، بل بالاسراف الى حد السفه ..

هذا كما أن الأوبرا على الجانب الآخر ذروة من ذرى الاداء الفني ، توظف جهود وغناء الأفراد والجماعات (ثنائي وثلاثي ورباعي .. حتى الكورال) إلى جوار جهود الراقصين فرادى وجماعات (ممن ينتمون الى الألوان الشعبية وحتى الباليه) وجهود الأوركسترا ، وذلك كله مع جهود عناصر العرض المسرحي العديدة المألوفة : التمثيل والديكور والأزياء والاضاءة . وإن كان في ثوب بالغ البريق والبذخ ..

ومن هنا شهد تاريخ الفنون أيضا وجهات نظر يعتد بها ترى في هذا العمل الأوبرالي أو ذاك ما يضاهي مجمل ما انجزته الحضارة الغربية كلها (!!)

وقبل أن نتبين معا عدم قدرتنا على الانجاز الفني الذي يبز مجمل ما انجزته الحضارة الغربية ، دع عنك الاسراف الى حد السفه ، ليأذن القارىء لي في أن أعبر سريعا على تاريخ الأوبرا - اربعة قرون - فلا اقف إلا عند مسلمة تبين أن عدد الدول والأوبرات التي عرفتها سجلات هذا الفن محدود للغاية ، حتى أن الولايات المتحدة ، بغناها وجلالة قدرها ، وقفت عند صنع كوميديات موسيقية لم تستطع ان تخطو الى ذرى الاجادة المطلوبة مع فن الأوبرا الكلاسيكي ، وبالتالي عجزت - امريكا - عن أن تشغل مكانا مرموقا في سجلات هذا الفن ..

● إشكالية التوجه الأوبرالي

هذا عن تاريخ الأوبرا . أما حاضرها فيجبهنا بمسلمة اخرى تدور حول تحول الأوبرا ، على ضخامة وثراء الجمهور العالمي لريبرتوارها الى فن متحفي منذ منتصف القرن العشرين ، إذ يزيد عدد الأوبرات القديمة التي تقدم مجددا ، ويزيد كثيرا على إبداع أعمال جديدة يمكن أن تقف الى جوار خلاصة الأوبرات العالمية الباقية ..

ويؤكد الدارسون الذين يتطرق حديثهم الى مستقبل هذا الفن ، يؤكدون المحدودية الشديدة لآفاق خلق أعمال أوبرالية جديدة . لأن المكونات الأساسية للأوبرا - الدراما والموسيقى - يمران بأزمة أساسية وليست طارئة فجمهورهما اخذ في التذبذب والتقلص ، على نحو كبير ، مع دينامية المشاكل الاقتصادية وتضاعف حجمها ..

● الأوبرا في مصر

واستأذن قبل الانتقال من الحديث عن ماضي وحاضر ومستقبل الأوبرا عالميا ، الى الواقع العربي (أو بالاحرى المصري) لفن الأوبرا .. استأذن في ملاحظة عابرة وإن كانت ضرورية تتلخص في أن التحولات الفنية التي شهدها فن الأوبرا ، على امتداد تطوره ، ارتبطت ارتباطا وثيقا بدواعي ظهورها في المجتمعات المعينة في كل مرحلة من المراحل ، وأن فن الأوبرا ظل حكرا على فئات المجتمع العليا في هذا البلد أو ذاك الى أن ظهرت حركات الأوبرا القومية .

وينبغى الاشارة هنا الى أن النظر لمحاولة الخديو إسماعيل الأوبرالية لايمكن أن تستقيم إلا فى إطار تصورات مرحلتها ، التى كانت تسعى الى أن تكون مصر قطعة من أوربا ..

نأتى بعد ذلك الى أوضاع الأوبرا فى مصر التى بدأت علاقتها بهذا النوع الفنى عن طريق الفرق الأوربية التى كانت تزورها ، لتقديم خدماتها الى الجاليات الاجنبية الموجودة على أراضيها ..

وجاء بناء دار الأوبرا دعما لهذه الظاهرة التى أخذت فى الانتشار بصورة حثيثة بين بعض المصريين ، الى جوار أعضاء الجاليات الاجنبية . ومع فترة المد التى عاشتها الفنون خلال الستينيات شهدت دار الأوبرا المصرية رواجا فنيا عاما ، ومزيدا من الفرق الزائرة فى مجالات فنية شتى ، كما شهدت إرساء دعائم فرقة الأوبرا المصرية و ..

لكن الاحتراق المفجع لدار الأوبرا فى أوائل السبعينيات جاء بمثابة ضربة قاضية وجهت لهذا الفن والفنون المرتبطة به .. وفرقة الأوبرا المصرية تعمل بلا ميزانية منذ سنوات ، كما أنها لم تقدم أى عمل جديد طوال أربعة مواسم (سنوات) ، ولايزيد عدد حفلاتها على ١٢ حفلة فى السنة ..

● تصورات مضللة

ورغم أن الفرقة تضم كفاءات نادة حتى من نجوم الجيل الثانى فإنها تظل بعيدة عن الفرق المتكاملة ، والأهم أن صلتها بالجمهور جد واهية .. ولعل آخر إشارة الى ذلك جاءت خلال موسمها الأخير الذى قدمت فيه عملين لفردى (لاترافياتا وعايدة) ..

ولعله المكان المناسب للتحذير من الخلط بين ماعرف تحت اسم "السياحة الثقافية" وبين الخدمة الثقافية للجمهور ، ولا ينبغى المبالغة فى مظاهر أقبال الجمهور (المجانى بالذات) على وقائع هذه السياحة ، لأنه خليط من الاحتياج الحقيقى والاهتمام الحقيقى ، ومن المباهاة المريضة والاهتمام المزيف ، الذى تلتقى على صنعه الغريزة الجمعية ، والضجة الاعلامية ، وربما سمعه الفنانون الزائرون ..

هذا بوجه عام هو الموقف الأوبرالى على الساحة المصرية عشية افتتاح المبنى الجديد فى أرض الجزيرة . لكن مجمل الملابسات يطرح مجموعة من التصورات المضللة حول "الوحام الأوبرالى" عامة وعزوف الجمهور المصرى عن الأوبرا خاصة . ولعل أول هذه الملابسات أن سبب العزوف يرجع الى حرمان مصر من دار للأوبرا سنوات . وإن كان ذلك بين الأسباب الكابحة بلا جدال فإنه ينبغى عدم المبالغة فيه فالحركة المسرحية ـ مثلا ـ التى ازدهرت خلال الستينيات ، دخلت اليوم طورا جديدا من حياتها ورواجها ، بينما

مسارحها موجودة كما هى (١) ، ويظل قياسنا هذا مع الفارق فى مدى جماهيرية وقبول وتكاليف كل من الأوبرا والمسرح ..

والتصور الثانى أن الاعلام قادر - حين يهتم بالأوبرا - على إحداث انقلاب فى حالة العزوف هذه ، ولاجدال فى تأثير الاعلام على الناس لكن دعونا لانبالغ فى حجم هذا التأثير بالذات إذا سلمنا بأن فعاليته ترتبط بتيسير سبل الاتصال بين الناس وبين مايلبى احتياجات حقيقية لديهم ، ولا يمكنه مهما فعل أن يفبرك مثل هذه الاحتياجات أو أن يصنع من رائحة الفسيخ عطرا ..

والكلام الكثير عن قرب موقع « الأوبرا الجديدة » من منطقة فنادق وسط القاهرة ، الأمر الذى يجعلها مركز رواج سياحى ، بين هذه التصورات المضللة .. فهناك فارق كبير بين إمكان النجاح السياحى عند تقديم أوبرا عايدة بين أعمدة الأقصر أو عند سفح الهرم ، وعند تقديمها على مسرح مهما كانت فخامته وإمكاناته الفنية فذلك ليس مطلب السائح فى مصر ، لأنه سيجد فى بلده أو قريبا منها مالابد وأن يفوق - وبكثير - ماسيراه على خشبة "أوبرانا" ، لأن الكفاءات الفنية هى العنصر الحاسم فى تقديم عمل فنى على هذا القدر من الشمول ، بالذات والمبنى الجديد ليس مجهزا بالفعل لتقديم أوبرات أو فرق عالمية وفق اشارات تطالعنا فى خفر مثل قول د . رتيبة الحفنى : "لانستطيع مقارنة هذا البناء بالعديد من دور الأوبرا فى العالم ، فاليابانيون شيدوا مركزا ثقافيا تعليميا ونحن الذين نتحايل لتحويله الى دار للأوبرا" . وقول عبد الله العيوطى مدير المسارح بالأوبرا « أن التجهيزات المعدة للفنانين والفنيين غير مكتملة وفق التصميم اليابانى للمبنى » وقول يوسف السيسى « إن تعداد الفنون التى تقدم فى قاعة واحدة يفسدها » وفى النهاية لا اعتقد أن سائحا يمكن أن يلتفت كثيرا الى الفرجة على الانجاز المعمارى التقنى اليابانى المصرى المشترك فى حد ذاته ، لأنه لن يكون تخريجا من كلام د . رتيبة الحفنى مفاجأة لأى معنى بالأمر ..

ورغم الاتفاق مع من يرون فى المركز الجديد معملا لتكوين المواهب الشابة ومنفذا طبيعيا لمتخرجى أكاديمية الفنون فالأمر فى حاجة الى تمحيص أبعد مدى . فضعف إمكانات أكاديمية الفنون وتدنى معدلات التحصيل فيها لم يعد خافيا على مطلع . المهم أنه نتيجة لوضع الأكاديمية فى إطار ظروف اجتماعية واقتصادية وفنية معقدة صار متخرجوها يتسربون الى دائرة واسعة تمتد بين ملاهى شارع الهرم وبين العواصم والمدن الأوربية الكبيرة ، والأهم أن الأوضاع والمشاكل العامة لاتسمح بتلبية ما تحتاجه الفرق الفنية من دعم فى إطار التصورات الباذخة ، كما أن قدرة هذه الفرق على التمويل الذاتى بعيدة المنال فى إطار الجمهور الحالى والمتوقع لهذه الفنون .

ولايملك مجتهد إلا أن يسلم بوجود موضوعات تصلح لأوبرات مصرية وعربية ، وبأن كتابنا قادرون على كتابتها .. لكن تنفيذ هذه الأوبرات شىء آخر تماما .. ولعل هذا بين ماقصد اليه الاستاذ

دائرة الحوار

لويس عوض وهو يحذر : "إن هناك إتجاها المسه عند البعض حيث يريدون أن يركبوا هذا الجواد باسم القومية المصرية لاظهار المواهب قبل الأوان ، سواء من مؤلفي الأوبرا أو غيرهم .. وكل هؤلاء في مرحلة الاجتهاد »

● عوامل خصام

لقد وقفنا طويلا عند التصورات "الأوبرالية" المغلوطة سعيا وراء أقصى إضاءة ممكنة ، لكنه لابأس من التطرق أخيرا الى عوامل فنية واقتصادية موضوعية تباعد مابين جمهورنا والأوبرا ..

ولعل أول هذه العوامل ماعبرنا عليه سريعا من أن الأوبرا نبت لم ينم ويزهر ويترعرع بصورة طبيعية وفي تفاعل حي مع وجداننا .

تبقى مسألة ظروفنا الاقتصادية ويكفي أن تذكر في هذا الصدد أن أحد مسارح لندن قدم قبل اسابيع اوبرا عايدة بتكلفة متواضعة قدرها ١,٥ مليون استرليني لواقع عشرة آلاف كرسي طوال فترة العرض (أسبوع) أى بواقع ١٥٠ جنيها إسترلينيا للتذكرة في المتوسط ، ويمكن أن ننتقل من هذه النقطة مباشرة إذا ادركنا أن الميزانية المكرسة للانفاق على مختلف المجالات الثقافية ، وفق مايذكره وزير الثقافة ، هو ستة ملايين جنيه ، ولك أن تتصور "الرثاء" الذى يمكن أن ينظر به أجنبي إلينا ونحن نسأله عونا لحل مشاكلنا الأوبرالية ..

● تسمية الأشياء بمسمياتها

بعد هذا التفصيل المسهب لاشك في أنه ليس من مصلحة أحد .. لا جمهورنا ولا مثقفينا ولاحتى أحلامنا أن نمضي مغمضي العيون في الربط بين بعض المشاعر والأحلام ، وبين مسألة الدور الوظيفي للمبنى الجديد . وهذا لايعني اننا ندعو الى نفي فن الأوبرا والأوبرات منه بقدر ماندعو الى الحنكة والتروى والاستيعاب الواعي ، بل ومحاولة الاستفادة السياحية منه ، على ان يتم ذلك في اطار نظرة الانسان المتوازن المتفتح الذى لايرى خيرا في ان يتعرف على ثقافات الاخرين ، وان يعرفهم على ثقافته بعيدا عن العقد ومركبات النقص ، وترجمة ذلك فيما يخص موضوع الحديث يعني ان تشغل الادوار او المشاهد الاوبرالية المصرية والعربية حيزا متواضعا يتوازن مع امكاناتنا واحتياجاتنا الحالية والمستقبلية ، ذلك فضلا عن تقديم نماذج من فنون العالم الراقية ، وان نستخدم ذلك كله بوعي في تنمية مدرستنا القومية ابداعا واداء وتذوقا ، بنسق تطورى بعيد عن القفزات التي لا نلبث ان نكتشف مع الزمن انها كانت في الفراغ .

والطريف ان ذلك يتماشى ، ناهيك عن

ظروفنا مع مايراه المنظرون الاجانب لمستقبل فن الاوبرا ، واتجاهه الى الاعتماد على المسرح الاستعراضى الحديث ، والوقائع او المشاهد شبه الاوبرالية ، وغير ذلك من الاشكال ، المخلطة التى تعد لورش ومسارح المعاهد الفنية فى الاساس ..

وغنى عن القول انه ينتظر المركز الثقافى التعليمى الجديد عشرات من الاولويات التى تمليها احتياجات ثقافية حقيقية تلح على الشارع المصرى وتحتاج الى اهتمام ودعم مثقفينا . ولااعتقد ان تجربة وزير مثل فاروق حسنى فى حاجة الى من يفصل الادوار التى تقوم بها المراكز الثقافية التعليمية فى مختلف العواصم الراقية من عالمنا ، لكن يهمنى التنويه هنا لان مثل هذه المراكز بالذات (وليست المؤسسات الأكاديمية) هى التى ربت لنا اعلاما فى قامة توفيق الحكيم وسلامة موسى ، ويمكن ان يفيد فى هذا الصدد ايضا نتاج التجارب الميدانية البليغة الفائدة التى صاحبت معرض الكتاب وشهر رمضان و.. لو لم نضيعها ..

وعند هذا الحد لاشك انه يبدو للقارىء ، معى غرابة الوحام على تسمية « الاوبرا الجديدة » بكل مايجر اليه من تداعيات ولا ادرى السر فى عدم تسميتنا الاشياء بمسمياتها الحقيقية . ان المسالة تتجاوز هنا الاستقامة المنطقية اذا عرفنا تأثير الكلمات على الانسان وتوجهاته ، وعلى وضوح تصوراته وتحديد اهدافه .. بالذات والمركز الثقافى التعليمى مؤسسة جديدة يجرى تشكيل هياكل المسئولية فيها بعد ..

بقيت فى النهاية ملاحظات سريعة يحسن ان اوجزها هنا : لعل اولها ان تسمية « الاوبرا الجديدة » اقدم من تسلم فاروق حسنى مسئولية وزارة الثقافة ، وان المرة الاولى التى ثبت فيها اسم « المركز الثقافى التعليمى » الى جوار التسمية التى تعبر عن وحلم قطاع من مثقفينا كانت خلال افتتاح الرئيس حسنى مبارك للمبنى الجديد ، وان وجود الدكتورة رتيبة الحفنى على راس هذا المجمع ، بما تتحلى به من تقدير للامور ، بعيدا عن العقد الاوبرالية ، يزيد من امالنا فى ان نرى المجمع الجديد بعد الافتتاح (الفرح) وفى نشاطه الاعتيادى (الحياة)

مدينة حقيقية للوجدان العربى .. وذلك فى اطار مدينة ثقافية توظف بصورة تكاملية لخدمة قاطنى القاهرة والجيزة بالاضافة الى زوارها والسائحين فيها عربا واجانب وتضم ليس فقط مسارح وقاعات ومعارض المبنى الجديد ، ولا مبنى متحف الحضارة ومتحف الفن الحديث وقاعة النيل فقط ، بل تمتد الى حديقة الحرية وحديقة الاندلس ومتحف مختار والقبة السماوية ..



ففى عام ١٩٤٤ أقال الملك فاروق وزارة الوفد التى كانت قد فرضت عليه فى فبراير ١٩٤٢ وأسفر عن رغبته فى ممارسة الحكم المطلق من خلال ماعرف باسم أحزاب الأقلية وورط مصر فى حرب فلسطين دون استعداد وأبدى رغبته فى فرض دكتاتورية عسكرية برأسها هو ولو أن دوائر لندن لم تكن تحبذ مثل هذا الأسلوب وتفضل العودة إلى ممارسة الأسلوب الديمقراطى فى الحكم بمعنى عودة الوفد بحيث يمتص الأثار المترتبة على الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين . وأسفرت انتخابات ١٩٥٠ عن أغلبية وفدية واضطر الملك إلى أن يعهد برئاسة الوزارة إلى مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد الذى سبق له أن رأس الوفد المصرى الذى وقع على معاهدة ١٩٣٦ التى نصت على قيام تحالف بين مصر وبريطانيا والتى أبدى المصريون فى أعقاب الحرب العالمية الثانية رغبتهم فى

في يوم السبت الموافق ٢٦ يناير ١٩٥٢ اندلع في القاهرة حريق التهم القطاع التجاري في وسط المدينة بوجه خاص . وقد بدأ هذا الحريق بإشعال النيران في كازينو أوبرا في الساعة الثانية عشرة والنصف وبعد قليل أحرقت سينما ريفولي ثم امتد الحريق إلى مناطق أخرى وظلت النيران تشتعل في عدة أماكن في القاهرة حتى الساعة الحادية عشرة مساء بعد أن تم إحراق ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب وناد . وقتل ستة وعشرون شخصا وأصيب خمسمائة واثنان وخمسون . وقدرت الخسائر بحوالي مائة مليون جنيه مصري . وحتى الآن لم يتم تحديد المتسببين في الحريق الذي تدل ملابساته على أنه كان وليد تدبير مسبق . وقبل أن ننطرق إلى شتى الإتهامات التي وجهت من جانب الأطراف العاملة على مسرح السياسة المصرية نجد لزاما علينا أن نلم بالظروف التي أحاطت بمصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

في ٢٦ يناير ١٩٥٢

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

تعديلها أو إلغائها . ولم يكن الملك يرحب بوصول الوفد إلى الحكم لأن هذا الحزب منذ قيامه كان يعارض الحكم المطلق مستندا إلى ماكان يتمتع به من شعبية ، ولهذا سعى الملك جاهدا إلى الاشتراك مع وزارات مابعد الحرب العالمية الثانية في حل مشكلة العلاقات المصرية البريطانية وهي المشكلة التي عقدها اتجاه الانجليز إلى تقديم تنازلات شكلية في الوقت الذي تشبثوا فيه بالبقاء في منطقة قناة السويس بدعوى الدفاع المشترك وهو ما اعترض عليه المصريون . ولما كان الملك فاروق أميل إلى التنسيق مع الغرب بهذا الصدد دون أن يمس الشعور الوطني المصري فإنه لم يكن يعترض على خطة إدخال دول غربية اخرى في الدفاع المشترك مع مصر وهو مارفضته حكومة الوفد الأخيرة التي لم تجد في المقترحات الغربية مايتمشى مع الأماني الوطنية بل اعتبرتها وسيلة لادخال

مصر فى الأحلاف المعادية للاتحاد السوفييتى دون مافائدة تعود على البلاد . وبعد أن وصلت المفاوضات المصرية ـ البريطانية إلى طريق مسدود أقدمت حكومة الوفد فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان اللتين عقدتا فى عام ١٨٩٩ .

وكان إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ التى وصفها أمين عثمان بأنها زواج كاثوليكى بين مصر وبريطانيا ودفع حياته ثمنا لهذا التصريح ـ مؤذنا بفترة يشوبها التوتر خاصة وأن بريطانيا أعلنت تمسكها بالمعاهدة وذهبت إلى عدم قانونية إلغائها من طرف واحد . ولكن الحكومة المصرية عمدت إلى طرد الموظفين البريطانيين والخبراء الملحقين بسكك حديد الحكومة وشركة مصر للطيران وفى العديد من الوزارات . ورغم اعلان الحكومة المصرية مقاطعة البضائع الانجليزية فإنها لم تطبق تطبيقا واسعا خشية أن تتأثر مشتريات الانجليز من القطن المصرى تأثر اتفاقية الأرصدة الاسترلينية . إلا أن العمال المصريين ـ الذين كان عددهم يربو على ثمانين ألفا ـ تركوا المعسكرات الانجليزية التى كانوا يعملون بها وقطعت الحكومة المصرية الامدادات التموينية عن الجيش البريطانى ونظمت « كتائب التحرير » التى كان معظم أفرادها من الطبقة العاملة وكان يقودهم طلاب ينتمون إلى عدد من الأحزاب العاملة على الساحة السياسية . وبدأ الفدائيون المصريون يهاجمون القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس : فقتلوا بعض ضباط وجنود القوات المحتلة وألقوا القنابل على العسكريين والمعسكرات وأطلقوا الرصاص على القطارات الحربية والدوريات والمنشآت . **كما وصل إلى منطقة القناة البوليس الاحتياطى المصرى الذى بدأ أفراده منذ ١٧ نوفمبر الاشتراك فى القتال والتنسيق مع الفدائيين وتقديم كل الدعم لهم .** ومن الطبيعى ألا تقف القوات البريطانية مكتوفة الأيدى ازاء كل هذه التطورات ، بل عملت على البحث عن القناصة والذخيرة فى القرى الواقعة على طول الطريق الممتد بين التل الكبير والاسماعيلية مما أدى إلى وقوع مصادمات بين الفدائيين وبين الجنود البريطانيين .

وعندئذ بدا التناقض الكامن فى الموقف الداخلى فى مصر ، فالملك فاروق ـ الذى اضطر إلى التوقيع على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ـ لم يكن راضيا عن كل هذه التطورات التى كان يمكن أن تهدد عرشه ورغبته فى الاشتراك فى الدفاع المشترك مع الغرب ، ومن ثم تربصه بوزارة الوفد على أمل أن تمكنه الظروف من التخلص منها . وفى ديسمبر ١٩٥١ عين رئيسا لديوانه الدكتور حافظ عفيفى سفير مصر السابق فى لندن الذى كان معروفا بميوله الانجليزية منذ أن ألف كتابه « الانجليز فى بلادهم » . وأدى تعيين حافظ عفيفى إلى خروج التظاهرات التى نددت بهذا الاجراء وهتفت بسقوط عفيفى وحافظ عفيفى (الملك) ! وفى نفس الوقت عين الملك عبدالفتاح عمرو سفير مصر السابق فى بريطانيا المعروف بميوله الانجليزية مستشارا له للشئون السياسية الخارجية ـ وكانت حكومة الوفد قد أبعدته عن منصبه . ومما زاد فى حدة التوتر الذى ألم بمصر خلال هذه الفترة العاصفة أن أوائل يناير ١٩٥٢ شهدت إحراق كنيسة السويس مما أثار ردود فعل



ـ الملك فاروق



ـ حافظ عفيفى



ـ مصطفى النحاس

قوية فى الدوائر القبطية : فعقد المجلس المحلى اجتماعا طويلا برئاسة البطريرك لدراسة منع الاحتفال المعتاد بميلاد السيد المسيح فى ٧ يناير وأرسلت برقيات من مختلف المحافظات تستنكر الحادث وتطالب باتخاذ خطوات حاسمة ضد من تسببوا فيه ، بل وبخروج الوزير القبطى ابراهيم فرج من الوزارة . على أن الوزارة أمكنها معالجة الموقف بسرعة مما أدى إلى عدم أنشقاق الصف الوطنى ، خاصة وأن صحيفة (النيل) الناطقة بلسان الأقباط اتهمت الانجليز بتدبير الحادث وهو ماكانت تردده الصحف الوطنية الأخرى .

● تهديد بريطانى

وإزاء كل هذه التطورات درست السلطات البريطانية مسألة إقامة حكومة عسكرية فى منطقة قناة السويس بحيث تستطيع مواجهة نشاط الفدائيين المصريين ، ولو أن السفير البريطانى فى القاهرة كان ضد فرض هذه الحكومة على اعتبار أنه يتضمن أخطارا مادية على الأرواح فى الدلتا ولأنه لاينطبق إلا على وضع ينعدم فيه التعاون من الجانب المصرى . ولكن قامت القوات البريطانية بتمشيط بعض المناطق وأزمعت تجريد البوليس المصرى ، وبخاصة قوات البوليس الاحتياطى (بلوكات النظام) من السلاح وأسرت ثلاثمائة من رجال البوليس فى التل الكبير وعلى رأسهم ضابط كبير برتبة لواء . وقد هدد محافظ بورسعيد القائد العام للقوات البريطانية فى منطقة قناة السويس ـ الجنرال إرسكين ـ باتخاذ اجراءات عنيفة ضد البريطانيين إذا لم تتوقف العمليات البريطانية لتطهير مدينة الاسماعيلية ـ وكان تعليق السفير البريطانى فى القاهرة أن اللذين أوصيا بهذا التهديد هما رئيس الوزراء المصرى (مصطفى النحاس) ووزير داخليته (فؤاد سراج الدين) وفسرت الدوائر البريطانية هذا التهديد على انه

قد يعني أن السلطات المصرية تتجه إلى أن تأمر البوليس المدنى فى الاسماعيلية بالتدخل ضد الانجليز ولم تستبعد اصطدام القوات المسلحة المصرية بالقوات البريطانية . وكان السفير البريطانى قد اشار من قبل إلى احتمال أن تدبر الحكومة المصرية أعمالا انتقامية ضد المدنيين البريطانيين فى القاهرة ، كما اشارت وزارة الدفاع البريطانية إلى ان ثمة احتمالا لهجوم جوى مصرى دون إنذار على منطقة القناة ، وأن وسيلة تلافى هذا الاحتمال هى تدمير الطيران المصرى فى قواعده . وفى ٢٣ يناير اجتمعت هيئة اركان حرب الامبراطورية البريطانية فى لندن وتداولت فى أمر احتمال قيام المصريين بإجراءات عنيفة ما لم تتوقف فى الحال العمليات البريطانية لتطهير الاسماعيلية خاصة وان الجنرال إرسكين كان يشك فى صدور توجيهات للبوليس المدنى فى الاسماعيلية باعتراض هذه العمليات شكه فى احتمال تدخل القوات المسلحة المصرية .

ثم وجهت السلطات العسكرية البريطانية إنذارا إلى مساعد محافظ الاسماعيلية أصرت فيه على نزع سلاح البوليس الاحتياطى (بلوكات النظام) فورا وإجلائه عن منطقة القناة ومن مواقعه فى الاسماعيلية واشارت إلى انه فى حالة فشل المحافظ فى الاستجابة للانذار فإن القوات البريطانية ستتولى تنفيذ نزع السلاح والاجلاء وهو ماتم بالفعل فى صبيحة يوم ٢٥ يناير بعد أن صدقت الحكومة البريطانية على ذلك . وحوصر مركز بوليس الاسماعيلية ومبنى المحافظة المشغولين برجال البوليس وطلب من ضابط الاتصال المصرى ان يدخل ويسلم أمرا بالاستسلام . وقد رفضت القوة الاستسلام بعد أن صدرت إليها أوامر وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) بالدفاع إلى آخر طلقة وتبودل إطلاق النار وفى حوالى الساعة التاسعة والنصف احتلت القوات البريطانية - التى استعملت مختلف الأسلحة بما فيها الدبابات - مبنى المحافظة واسرت قوة البوليس الموجودة فيه ، وفى حوالى الساعة الثانية عشرة والربع استسلم بوليس المحافظة بعد أن قتل من المصريين اكثر من خمسين جنديا وجرح آخرون .

وكان لابد أن تترتب على مجزرة الاسماعيلية ردود فعل قوية . ففى الصباح الباكر من اليوم التالى لحدوثها غادر عدد من بلوكات نظام الأقاليم - يتراوح عددهم مابين مائتين وثلاثمائة - ثكناتهم بالعباسية ومعهم أسلحتهم وهم فى حالة شبه تمرد واتجهوا إلى جامعة القاهرة وهم يهتفون : « أين السلاح ... نريد أن نتوجه للقتال » . وفى حوالى الساعة الحادية عشرة غادر جنود البلوكات ومعهم فريق من طلبة الجامعة فى تظاهرة كبيرة اتجهت إلى مجلس الوزراء ، وفى نفس الوقت كان عدد آخر من هؤلاء الجنود قد اتجهوا منذ الصباح إلى الأزهر وخرجوا مع بعض الطلبة فى تظاهرة اتجهت إلى قصر عابدين . ورغم صدور الأوامر بتفرقة هذه التظاهرات بكل الوسائل ولو أدى الامر إلى إطلاق النار كان التراخى يبدو على جنود البوليس

لاشتراك بعض زملائهم فى التظاهرات . ورغم اتصال دوائر وزارة الداخلية بمحمد حيدر باشا ـ القائد العام للقوات المسلحة ـ وطلبها إنزال قوات الجيش إلى المدينة للمعاونة فى حفظ النظام فأنه قدم مبررات لعدم الأخذ بهذا الطلب منها تجنب وقوع تصادم بين الجيش والجمهور الذى قد يسىء الظن بالجيش وتتولد فى نفسه الكراهية له . **وحوالى الساعة الثانية عشرة والنصف كان المتظاهرون قد أشعلوا النار فى كازينو أوبرا ومنعوا رجال المطافىء من إطفاء النيران . وبعد وقت قليل امتدت النار إلى سينما ريفولى ثم إلى سينما مترو . وحينئذ جرى الاتصال من جديد بحيدر باشا الذى كان هو وضباط الجيش والبوليس مع الملك الذى دعاهم إلى حفل غداء بمناسبة ميلاد ولى العهد (الأمير أحمد فؤاد) . ويبدو أن دوائر القصر كانت تتصنع المماطلة فى إنزال الجيش بعد أن فشلت قوات الشرطة فى السيطرة على الموقف ولهذا امتدت الحرائق إلى دور سينما أخرى وإلى بعض المحلات التجارية . ولم تصل قوات الجيش إلى وسط المدينة إلا حوالى الساعة الخامسة والنصف ولكنها لم تطلق النار فى الوقت الذى كانت فيه الحرائق لاتزال مشتعلة وكان فيه السلب والنهب على قدم وساق فى وسط المدينة . ولم تهدأ الحالة وتتوقف الحوادث إلا قبيل منتصف الليل وفى نفس الوقت اعلنت حكومة الوفد الأحكام العرفية وفى اليوم التالى اقالها الملك .**

وقد اتفقت جميع الأطراف على أن الحريق قد جرى تنفيذه على أيدى مجموعات جيدة التدريب على القيام بمثل هذا العمل ، ولكن كلا من القصر والانجليز والوفد قد وجه الاتهام بالصورة التى تبرؤه وتخدم أهدافه ومصالحه . فقد اتهمت الدوائر الوطنية المصرية المخابرات البريطانية بالتدبير والتنفيذ كما اتهمت الملك بالتواطؤ . واتهم الانجليز حكومة الوفد وفؤاد سراج الدين بالذات ، كما اتهموا أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى والاخوان المسلمين والشيوعيين.وقد جارى الملك الانجليز فى اتهاماتهم واضاف السوفييت إلى قائمة المتهمين . أما سلطات الدولة الملكية الرسمية فلم تختلف كثيرا عن اتهامات دوائر القصر .. بل لم يستبعد من دائرة الاتهام حتى الجيش ممثلا بتنظيم الضباط الأحرار وبخاصة جمال عبدالناصر وخالد محيى الدين .

وإزاء تضارب كل هذه الاتهامات وعدم العثور على دليل قاطع على من تكون له يد فى تنفيذ الحريق الذى قيدته أحكام التاريخ حتى الآن ضد مجهول تصبح مهمة المؤرخ شاقة بنفس الصورة التى كانت عليها مهمة المحققين الذين استجوبوا بعض المتهمين ولم يتوصلوا إلى تحديد المسئولية بصورة واضحة ونهائية . وكثير من التطورات والأحداث التاريخية لم يمط اللثام عن المتسببين فيها ومن ذلك الاضطرابات التى وقعت فى الاسكندرية فى ١١ يونية ١٨٨٢ وراح ضحيتها كثير من المصريين والأجانب . وقد بذلتُ جهدا كبيرا فى الاطلاع على الوثائق البريطانية والفرنسية المعاصرة لهذا الحادث ولكننى لم أعثر على مايدل على أى نوع من التدبير ـ بل أن مسئولا فرنسيا كبيرا ذكر أن حدوث مثل هذه

الاضطرابات أمر طبيعي فى الموانى التى يختلط فيها عدد كبير من الجنسيات . وهناك ايضا حريق الريخشتاج الذى أستغله النازيون عقب وصولهم إلى الحكم فى القضاء على الحزب الشيوعى الألمانى بعد أن اتهموه بتدبير الحريق . وأغلب الظن أن مذبحة الاسماعيلية قد اغرت أطرافا عدة بالصيد فى الماء العكر خاصة وأن البوليس الاحتياطى قد اشترك فى تظاهرات ٢٦ يناير وأن الملك قد دعا ضباط الجيش والبوليس إلى مائدة غداء بمناسبة مولد ولى العهد . ويبدو أن السلطات البريطانية حين خططت لعملية الاسماعيلية كانت تتوقع أن تتطور الأمور إلى ما يساعد على حل الموقف لصالحها وإنهاء حالة التوتر المترتبة على إلغاء معاهدة ١٩٣٦ والعودة إلى ماكانت عليه الأحوال قبل الالغاء : أى استئناف المفاوضات حول الدفاع المشترك وهو ماقامت به وزارة على ماهر التى خلفت حكومة الوفد وكانت السراى طرفا فيها . وشبيه بهذا فإن ضرب الأسطول البريطانى للاسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢ كان فى نظر وزير الخارجية البريطانى لورد جرنفل إجراء من شأنه أن يحسم الموقف الدولى والمحلى المحيط بمصر ويمهد لحل مناسب من وجهة النظر البريطانية ـ فمن رأى لورد جرنفل أن قيام الأسطول البريطانى بتظاهرة بحرية فى المياه المصرية لايصح أن يمر بدون استعراض قوته بما يرهب الثوار المصريين ويواجه الدول العظمى التى كان مندوبوها مشتركين فى مؤتمر استانبول بأمر واقع . ومما يؤكد هذا الاحتمال أن بريطانيا أعربت قبل فجر ٢٧ يناير ١٩٥٢ عن استعدادها للتدخل فى حالة فشل الجيش المصرى فى إعادة القانون والنظام وطلبه المساعدة البريطانية وبذلك يتوفر حل للموقف المتوتر ، خاصة وأن القيادة البريطانية فى منطقة قناة السويس كانت قد أعدت خطة لاحتلال القاهرة بحجة حماية أرواح البريطانيين والأجانب . فإذا كان ثمة تدبير للحريق فإن أصابع الاتهام تشير إلى الانجليز والسراى وربما يكون بعض الضباط الأحرار قد أزمعوا استغلال الموقف لتجربة قوتهم تمهيدا للقضاء على النظام القائم فى مصر ، خاصة وأن أحد الضباط الأحرار ـ وهو عبدالمنعم عبدالرءوف ـ قد أشار فى مذكراته إلى أن عبدالناصر اخبره بأنه هو وبعض زملائه فى تنظيم الضباط الأحرار قد حصلوا على متفجرات من مخازن الجيش وأودعوها منازلهم وانه ابدى رغبته فى استعمال هذه المتفجرات فى حرق أجزاء من القاهرة وانها قد جرى نقلها بعد الحريق إلى خارج المدينة . ومن ثم فإن كل الأطراف سعت إلى خدمة أهدافها باستغلال الحريق بالشكل الذى طمس دلائل التخطيط والتحريض .

● مخابرات أمريكا فى القاهرة ●

وقد جزعت الدوائر الأمريكية نتيجة لأحداث الحريق وارسلت بعض كبار رجال مخابراتها إلى القاهرة لتحرى الموقف والبحث عن حلول مناسبة لوجهات النظر الغربية خاصة وأن هذه الدوائر قد شكت فى أن يكون للشيوعيين دور فيما حدث . ومن رجال المخابرات هذه كيرمت روزفلت

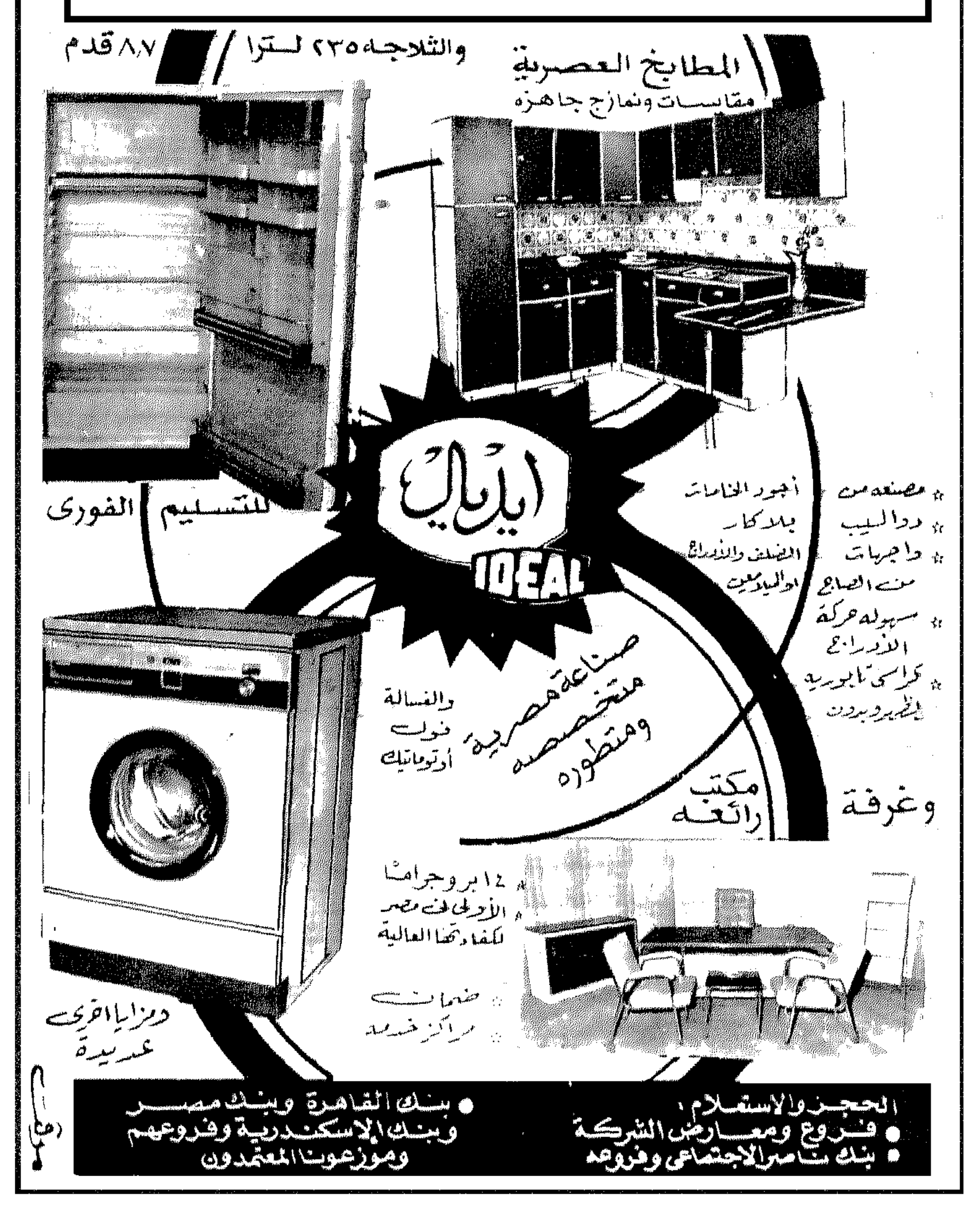


الذى لعب دورا هاما فى إسقاط حكومة الدكتور محمد مصدق فى ايران والتمهيد للنفوذ الأمريكى وللمشاركة الأمريكية فى استغلال نفط إيران ، ومنهم مايلز كوبلاند الذى لم يلبث أن نشر كتابه المشهور « لعبة الأمم » الذى شرح فيه بعض الخطط الأمريكية فى الشرق الأوسط التى كانت تستند أساسا إلى الانقلابات العسكرية التى جرت تجربتها للمرة الأولى فى سوريا فى عام ١٩٤٩ . فهل كان حريق القاهرة مقدمة للقضاء على النظام القائم فى مصر الذى أصبح عبئا على المصالح الغربية .

وأيا ما كانت الحقيقة بالنسبة إلى حريق القاهرة فلاشك أنه كان بداية نهاية العهد القديم الذى فشل فى حل مشاكل مصر الداخلية والخارجية وبالتالى اسهم فى التمهيد للفترة التالية التى سجلت منعطفا حاسما فى تاريخ مصر المعاصر . فلقد نصح الأمريكان دوائر القصر بالقيام بالاصلاح وحين تبين أن هذا الاصلاح لايتم كما يجب طفقوا يبحثون عن بديل . ثم ساندوا النظام الجديد على أمل أن يقوم بالاصلاحات التى كان يتطلبها الموقف وأن يساير الغرب فى مخططاته الرامية إلى احتواء الاتحاد السوفييتى ومنع انتشار الشيوعية فى مصر وغيرها من مناطق الشرق الأوسط . ورغم أن الأمريكان كانوا قد أبدوا اهتمامهم بما كان يجرى فى مصر وأن الملك فاروق حاول أن يضرب بهم الانجليز على أمل أن يستطيع تنفيذ خططه فى مصر ، ورغم أن المخابرات الأمريكية قد أقامت علاقات مع بعض الضباط الأحرار ومع بعض ساسة العهد القديم فى مصر ، فإن الدوائر الأمريكية لم تشأ العمل من وراء ظهر حلفائها الانجليز ، ولكن حريق القاهرة يشبه فى بعض نواحيه مقدمات بعض الانقلابات التى جرت فى أمريكا اللاتينية وبخاصة فى شيلى حيث أمكن القضاء على حكومة سلفادور أللندى بعد أن قامت المخابرات الأمريكية بتحريض عمال النقل على إيقاف المواصلات مما مهد لدخول الجيش إلى المسرح السياسى وقضائه على أللندى وأنصاره من الشيوعيين . إن كل ذلك لايخرج عن كونه مجرد افتراضات إلى أن تظهر بعض الوثائق التى قد تميط اللثام عن هذا الحدث الهام ـ وقد تمر فترة طويلة قبل أن يتم العثور على ماقد ينير الطريق أمام المؤرخين لحل هذا اللغز .

نحن نقدم دائما كل جديد ومتميز

لخدمة وراحة عملائنا ... وبأسعار لا تقارن





بقلم : د . أحمد حسين الصاوى

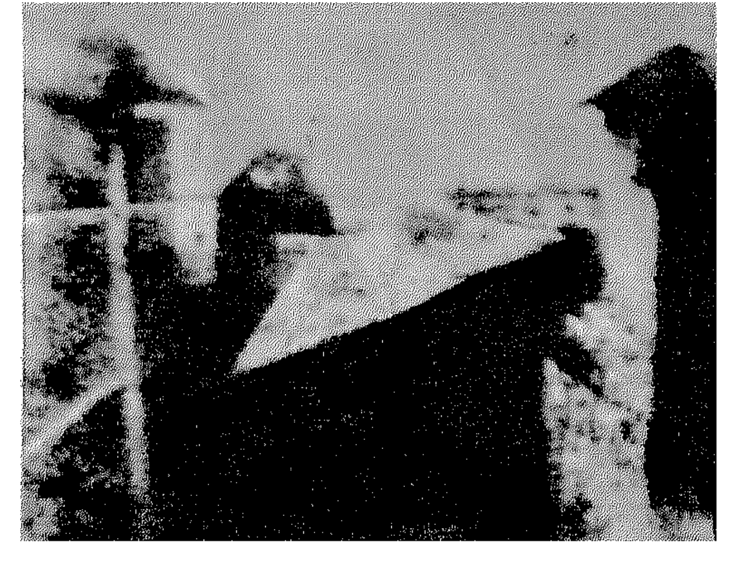
أصبحت الصورة الفوتوغرافية جزءا من حياتنا . نراها فى كل مكان ونستعملها فى كل غرض ونحتاج اليها فى كل وقت ، وأصبح لاغنى عنها لوسائل الاعلام بالذات : الصحافة ... الإذاعة ... التليفزيون . وأصبحت الكاميرا تشترك مع ذاكرة الانسان فى استرجاع بعض مخزونها من اللحظات التى مرت وتباعد بها الزمن ، ثم تتيح الاطلاع على ماتسترجعه من اللقطات لغير صاحبها . واستطاعت الصور ان تلغى المسافات وتستحضر مختلف لحظات الزمن ... القريب منها والبعيد ، وتجعلنا بذلك ننتمى الى العالم كله ، بل الى الكون كله .

١٥٠ مائة وخمسون عاما على فن التصوير

ان الصورة تلعب الآن دورا خطيرا فى حياتنا ، انها تكشف لنا مالا تراه العين ، اذ تنقلنا الى داخل الخلية البشرية ، وتقودنا الى اعماق الكهوف المظلمة ، وتجعلنا نعيش مع الحدث لحظة وقوعه فى اى مكان من سطح هذا العالم ، بل وفى اى مكان وصل اليه الانسان خارج نطاق هذا العالم . والصورة ـ مع هذا ـ سجل أمين لومضات التعبير عن المشاعر الانسانية من فرح وحزن ودهشة وهلع وغضب ، فهى تقتنص البسمة والضحكة والتقطيبة والدمعة والضمة ... وغيرها .

ولقد حقق فن التصوير عبر مسيرته الطويلة من التطور والتقدم مافاق خيال الناس وجاوز نطاق أحلامهم . وساعد تقدم العلوم والفنون المتصلة بالتصوير على ان يحقق هذا الفن الساحر إنجازا وراء إنجاز . وقامت وسائل الاعلام بدور أساسى فى دفع عجلة هذا التقدم وفى الافادة من نتائجه على السواء .

ولعل من ابرز تلك الانجازات : امكان طبع الصور الفوتوغرافية (الظلية) بطريقة « الهافتون » ، والتصوير الطبى بأشعة إكس ، والتصوير بالألوان ، والصور المتحركة (سينما ـ تليفزيون ـ فيديو) ثم التطور المذهل فى صناعة الكاميرات ودقة أدائها الذى يكاد يبلغ حد الاعجاز . ومازالت خطوات ذلك التطور تتتابع وتتلاحق . ففى الشهر الماضى فقط اذاعت وكالات الانباء العالمية هذا النبأ :





ـ اعلى : اقدم صورة فوتوغرافيا للمصور نيبيس ١٨٠٦ واسمها « نظرة من الشباك »

ـ اسفل : اقدم صورة مطبوعة الى الحفريات فى سجن مدينة بومباى « الصورة سلبية »

ـ من مجموعة الفنان محمد صبرى

« انتج احد مصانع المانيا الغربية أحدث كاميرا فى العالم ، اذ انها تلتقط مائة صورة فى الثانية الواحدة ، وتم استخدامها فى تصوير انفجار معدني ويعد هذا التطور فى صناعة الكاميرات على قدر كبير من الاهمية ، حيث يمكن استخدام تلك الكاميرا فى الأغراض العلميةوالبحوث ، كما أنها ستساعد فى ايجاد مواصفات أمان للمحطات النووية »

إن التصوير الفوتوغرافى ، ذلك المنجز الحضارى الساحر ، الذى قام على العلم والفن معا ... يبلغ عمره هذا العام قرنا ونصف قرن من الزمان . وقد اصدرت مجلة « لايف » الامريكية فى شهر سبتمبر الماضى عددا خاصا حافلا يذكر الناس بهذه الحقيقة : انه فى عام ١٩٨٩ تمر مائة وخمسون عاما على اختراع التصوير .

ويعرف التصوير الفوتوغرافى (Photography) بأنه : مزيج من علم وفن لانتاج الصور على اساس التفاعل بين الضوء وسطح مادة محسس كيميائيا داخل صندوق مظلم . والكلمة مشتقة من اليونانية ، وهى من مقطعين يعنيان معا « الرسم بالضوء » ولذا فنحن نطلق على هذا الاختراع احيانا « التصوير الضوئى » أو « التصوير الشمسى »

ويعتمد إتمام عملية التصوير فى الاصل على مدى حساسية مركبات الفضة للضوء . فعندما « يعرض » برومايد الفضة ، منتشرا فى وسط ملائم مثل الجيلاتين ، للضوء فانه يتغير كيميائيا بحيث يصبح قابلا « للاظهار » فاذا ماعولج بعد هذا « التعريض » بمحلول معين (مظهر) فانه يتصلب ويتخذ شكلا يتفق وماتعرض له من اشعة ضوئية . ويعد هذا الاظهار يمكن ازالة الاجزاء غير المتصلبة من الطبقة الحساسة بمحلول اخر ، فنحصل بذلك على صورة « سلبية » وينقل هذه الصورة الى سطح حساس اخر ، باستعمال الضوء كذلك ، نحصل على الصورة « الايجابية » وعلى ذلك فان عملية التصوير الفوتوغرافى ـ كما يعلم دارسو هذا الفن وممارسوه ـ تتم فى ابسط اشكالها بالخطوات التالية :

١ ـ اعداد السطح الحساس للصورة السلبية .

٢ ـ « تعريض » هذا السطح للضوء المنعكس عن الجسم المراد تصويره ، من خلال فتحة آلة تصوير (كاميرا)

٣ ـ الاظهار بعد ازالة اجزاء السطح غير المتصلبة ، والغسيل ، والتجفيف

٤ ـ اعداد السطح الحساس للصورة الايجابية .

٥ ـ طبع الصورة السلبية على هذا السطح

٦ ـ الاظهار والغسيل والتجفيف .

والمعروف ان عملية التصوير الفوتوغرافى مرت بعدة تطورات أدت إلى تعديلات اساسية فى هذه الخطوات ، كما ادت إلى إلغاء بعضها أو اختزالها .

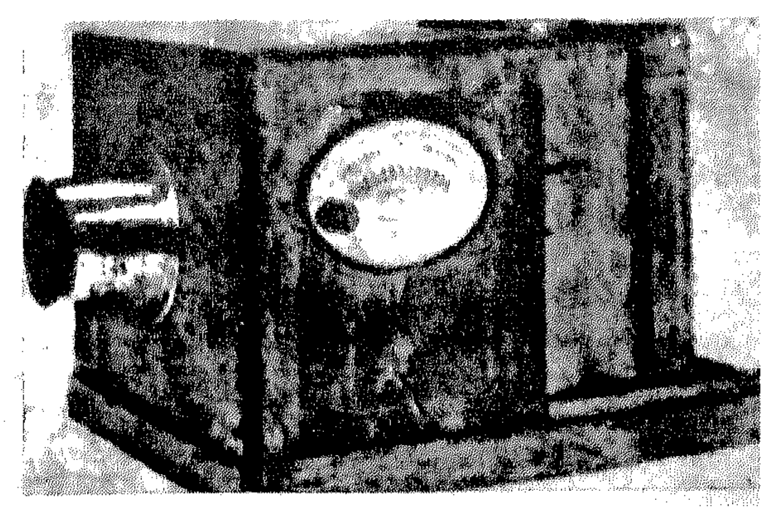
والحقيقة ان الفضل فى اختراع هذه العملية أو اكتشافها لايعود الى شخص واحد بعينه ، وانما هى نتيجة لسلسلة

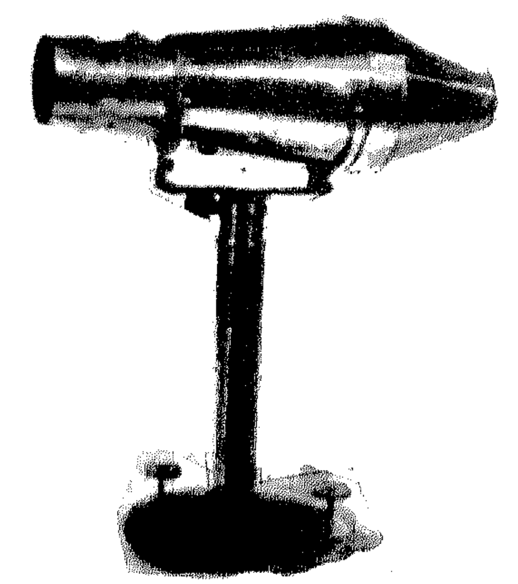
ملاحظات علمية مبكرة من جانب قدامى المشتغلين بالكيمياء حول اثر الضوء وتفاعلاته مع مختلف المواد ، وهو موضوع يتصل مباشرة بما يعرف بمجال « التصوير الكيميائى »

ان تحول املاح الفضة الى اللون الاسود كان معروفا للكيميائيين في اواسط القرن السادس عشر ، عندما اجرى العالم الالمانى ج . هـ . شولتز تجاربه على مزيج من نترات الفضة ومسحوق الطباشير .

تتابعت التجارب وتعددت . ولكن السطح المحسس باحد مركبات الفضة كان يحتاج لكى يتفاعل مع الضوء الى وقت طويل جدا من التعريض . وكذلك لم تنجح التجارب المختلفة فى التوصل الى طريقة لازالة الاجزاء غير المتصلبة من السطح الحساس .

أما آلة التصوير نفسها أو « الكاميرا » فقد تطورت عن « الصندوق المظلم » القديم أو « الصندوق ذى الثقب » (Camera Obscura) وكان أول من وضع نظريته العالم العربى الحسن بن الهيثم فى اوائل القرن الثانى عشر ، ثم عرفه روجر بيكون الانجليزى فى القرن الثالث عشر . وكذلك وصفه ورسمه فى أحد مخطوطاته عبقرى عصر النهضة المعروف ليوناردو دافنشى فى نهاية القرن الخامس عشر . وتتابعت التطورات على يد « باتيستابورتا » و « باربارو » ثم الفلكى المشهور « كبلر » وغيرهم ... حتى امكن





اعلى — كاميرا من اوائل اجهزة التصوير ابتكرها لوى داجير « ١٨٤٠ »

اسفل — اول كاميرا صنعت فى العالم على شكل مخروطى كانت عام ١٨٤٠ اخترعها الرياضى المجرى ماكس بانزفال

انتاج الكاميرا الصغيرة المتنقلة بعدساتها ومراياها فى اوائل القرن الثامن عشر .

واكتمل اختراع التصوير الضوئى أو الفوتوغرافى عندما اجتمع الركنان اللذان تقوم عليهما عملية التصوير - اى الالواح المحسسة والكاميرا - فى وحدة واحدة ، حققت للبشرية ذلك المنتج الرائع الذى اصبح من ابرز معالم التطور الحضارى الحديث :

● فقد حدث ان اهتدى « لويس سنيفلدر » الألمانى فى اواخر القرن الثامن عشر الى فكرة الطبع على الحجر (الليثو غراف) واهتم « نيسيفور نييس » الفرنسى بتطوير هذه الفكرة وتحسينها . وقام فى سبيل ذلك باجراء عدة تجارب تهدف الى نقل الاشكال المراد طبعها الى سطح الحجر عن طريق « تحسيس » هذا السطح و « تصوير » الاشكال عليه ضوئيا بدلا من رسمها باليد . ثم تطورت الفكرة الى استعمال سطح لوح معدنى لذلك بدلا من سطح الحجر .

● والتقى « نيسيفور نييس » بمواطنه الفنان « لوى جاك ماندى داجير » الذى كانت له هو الاخر تجاربه فى الاسطح المحسسة ومدى صلاحيتها لالتقاط الصور . وأثمر التعاون بين الرجلين ، فاكتشفا حساسية مركب يوديد الفضة للضوء . ثم مات نييس وواصل داجير تجاربه ، فتوصل الى ان اللوح المغطى بهذا المركب اذا تعرض في الكاميرا لضوء منعكس من جسم ما ثم عولج ببخار الزئبق ، انطبعت عليه صورة ذلك الجسم بوضوح .

● واكتمل بذلك اختراع التصوير الفوتوغرافى ، وابلغت به أكاديمية الفنون والعلوم الفرنسية فى اول عام ١٨٣٩ ، ونسبت الطريقة الحديثة لالتقاط الصورة على لوح معدنى الى داجير وسميت « داجيريو تيب » وفى اغسطس من العام نفسه أعلن داجير اكتشافه الى جماهير باريس . ومالبث ان نجح فى اختصار زمن التعريض للضوء من بضع ساعات الى اقل من ٣٠ دقيقة .

● وتزامنت مع جهود داجير الفرنسى جهود اخرى قام بها « ويليام فوكس تالبوت » الانجليزى الذى ركز اهتمامه على استخدام سطح الورق بدلا من سطح المعدن .

وهكذا سمع العالم عن اختراع عجيب ، وولدت لغة جديدة يستطيع ان يفهمها كل البشر . واستمرت مسيرة التطور والتقدم فى هذا الاختراع طيلة قرن ونصف قرن من الزمان ، حقق خلالها اغرب الانجازات وأكثرها إثارة .

وفى حياتنا الحاضرة عدة مجالات تعتمد على التصوير اعتمادا أساسيا فى تحقيق الغايات التى يتوخاها العاملون فيها :

● ففى المجال الرياضى مثلا تسجل آلات التصوير ذات السرعة الفائقة وآلات الفيديو أروع اللحظات واهمها فى مختلف المباريات ، بل ان لصورها القول الفصل

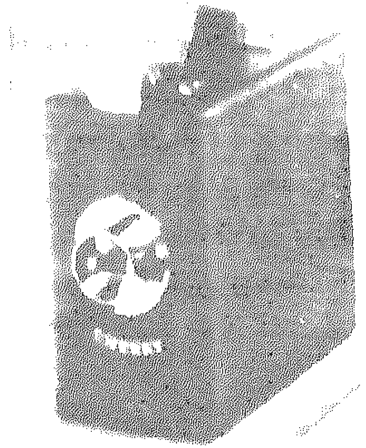


فى نتائج هذه المباريات اذا اختلف الحكام أو التبس الامر على المشاهدين .

● وفى مجال العلوم كان التصوير هو الاداة الرئيسة فى اكتشاف كثير من الحقائق الباهرة . فمع الدأب والاصرار والقدرة الابداعية للعلماء ، استطاعوا عن طريق التصوير اكتشاف وجود عدد من الكواكب والنجوم ومعرفة الكثير عن تكوينها ودراسة الظروف المحيطة بها. ومع الجلد وتكرار التجارب وانفاق الكثير من الوقت والجهد بين جدران المختبرات استطاع علماء آخرون تصوير ادق ما فى الطبيعة وأخفى ما فى جسم الانسان . صوروا الخلية البشرية وكرات الدم والميكروبات ومراحل نمو الجنين ، وسجلوا شكل الذرة ونواتها وحركة النيوترونات والبروتونات . وساعد هؤلاء وأولئك بما صوروه على نشر المعرفة العلمية وتبسيط اعقد التفصيلات فى الحقل العلمى للانسان العادى ، وابرزوا بذلك معجزة الخلق الكبرى بكل أبعادها .

● وفى مجال الاعلان والتسويق تقوم الصورة بأدوار البطولة . فإذا كان هدف الاعلان المتطور هو جذب الانتباه ثم تسويق المنتج ، فإن المصور المتخصص فى فن الاعلان يساعد تماما على تحقيق ذلك الهدف بما يسبغه على السلعة المنتجة من « شخصية » وباستعمال الظلال والالوان والحيل والايحاءات ، والتركيز على التفصيلات ذات الدلالة ،





اعلى – صورة لهرم سقارة التقطها المصور الانجليزى فرانسيس فيرث

اسفل – اول كاميرا آلية صنعها اليابانيون فى عام ١٩٠٣ تصور الناس فى داخلها الشيطان

والاستعانة بكل ماهو جميل وشيق ومثير من الاشكال واللمسات ، يمكن للوحة الاعلانية ان تحدث أثرها المطلوب فى نفس القارىء والمشاهد .

لقد كانت رحلة التصوير عبر قرن ونصف قرن من الزمان شاقة وشيقة معا . وبعد ان استعرضنا ابرز معالمها وأسخى معطياتها ، سوف نحاول فيما بقى من المقال ان نقدم بعض ما يمثلها من لقطات ومشاهد .

ولقد عرفت مصر التصوير الضوئى قبل ان تعرفه أمم كثيرة ، وبخاصة فى الشرق .. عرفته بعد اختراعه بسنوات ، اى فى حوالى منتصف القرن التاسع عشر واقتصرت ممارساته عندئذ على التقاط صور شخصية (بوتريه) للحكام وكبار رجال الدولة بوساطة أولئك المصورين الاوربيين الذين كانوا يجوبون الافاق للارتزاق من هذا الفن الجديد ، ولعل اول من التقطت له صورة من هذا القبيل كان عباس باشا الاول الذى حكم مصر من عام ١٨٤٨ الى عام ١٨٥٤ . اما الصور الفوتوغرافية التى تعرفها لمن سبقه من الحكام (جده محمد على وعمه ابراهيم) ، فقد نقلت فيما بعد عن لوحات مرسومة باليد لبعض كبار الفنانين الفرنسيين والايطاليين .

وتتابعت اللقطات التى سجلها الاختراع الجديد فى القرن الماضى : صور شخصية للوالى سعيد باشا (٥٤ - ١٨٦٣) وعدد قليل من رجال حكومته ، ثم الخديو اسماعيل وفردينان دىلسيبس ، ومناظر ساكنة من قناة السويس ، وبعض الاثار المصرية ، وميناء الاسكندرية .

ولما قام الزعيم احمد عرابى بحركته الوطنية حرص على ان تلتقط له ولكل من زملائه العسكريين صور فوتوغرافية محمود سامى البارودى - عبد العال حلمى - على فهمى . وكذلك فعل حكام مصر وباشاواتها : الخديو توفيق - مصطفى رياض - محمد شريف - نوبار ، وغيرهم .

وخلدت الكاميرا فى تلك الايام ايضا صورة الداعية الثورى العظيم جمال الدين الافغانى والمناضل الوطنى عبد الله النديم . ومن نجوم الادب والفكر والصحافة والفن سجلت العين السحرية للاختراع الجديد صور : سليم وبشارة تقلا والشيخ على يوسف وعلى مبارك وابراهيم المويلحى وعبده الحامولى وألمظ .

ونقلب صفحات سجل تاريخ مصر فى تلك الايام فنجد صور الزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد والشيخ محمد عبده والخديو عباس حلمى واحمد لطفى السيد وسعد زغلول والشيخ حسونة النواوى والشيخ محمد بخيت وعبد الحميد البكرى وتوفيق البكرى والشيخ سلامة حجازى وغيرهم ... وغيرهم .

ويهل القرن العشرون ، وتنجح مطابع الصحف المصرية فى حفر

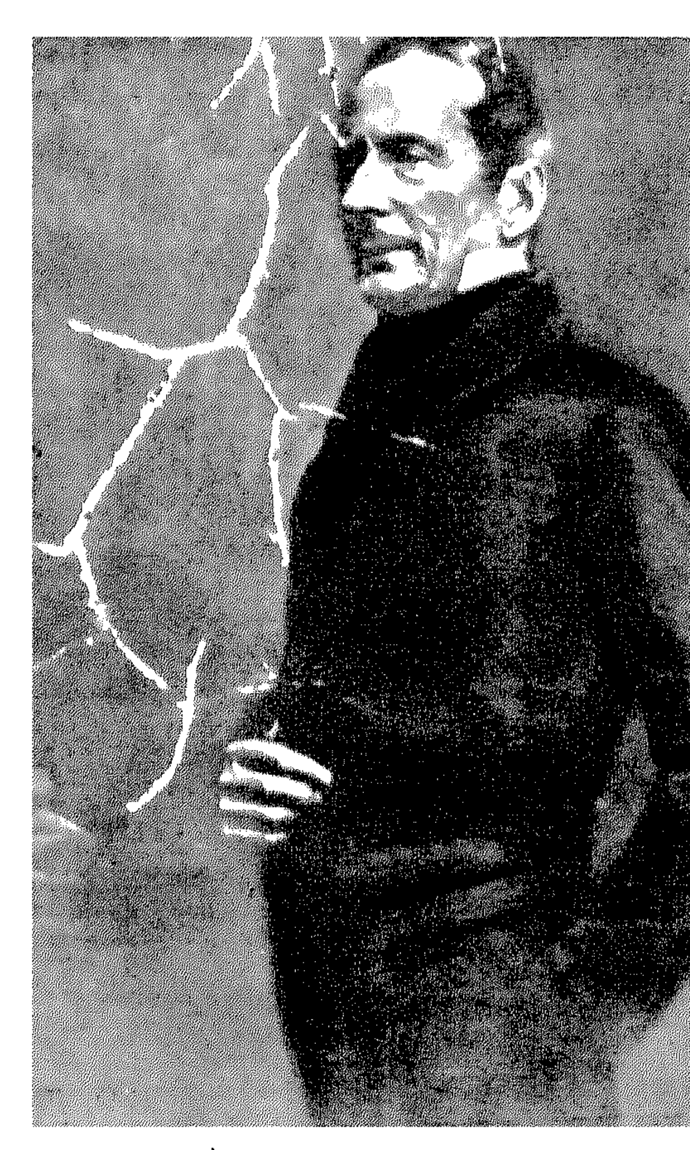
رواسم (كليشهات) الصور الظلية (الهافتون) ، فتقدم لقرائها مع الكلام المكتوب صور الشخصيات وصور الحوادث كلما امكن ذلك : الوزراء ، محاكمة دنشواى ، مناظر طبيعية ، أسلحة عسكرية ... الخ .

وتنشب الحرب العالمية الاولى (الحرب العظمى) فتنشر الصحف مع ابنائها الكثير من صور الاشخاص والقطع الحربية وميادين القتال . وتشهد الصحافة المصرية في اثناء الحرب ظهور مولود جديد هو المجلات المصورة .

وتقوم ثورة ١٩١٩ ، وتسجل الكاميرا كثيرا من احداثها وشخصياتها : الزعماء الوطنيين ، قوات الاحتلال ، مظاهرات الطلبة ، المظاهرات النسائية ، الشهداء والجرحى ، محاكمات الثوار .....

وتحصل مصر على استقلال محدود، ويصبح لمصر دستور وبرلمان ، وتتابع الاحداث السياسية ، ويستمر صراع القوى ، وتسجل الكاميرا المتطورة كل ذلك : اعضاء لجنة الدستور ، الملك يفتتح البرلمان ، سعد زعيم الشعب يلقى خطاب العرش ... ثم : مقتل السردار ، محاكمة المتهمين ... وبعد ذلك جنازة سعد ، الحكام الجدد ، نواب الشعب يحطمون السلاسل على مدخل البرلمان

ونواصل تقليب صفحات سجل الصور ، فاذا مئات ومئات من صور



ـ صورة نادرة للشاعر الفرنسى لامارتين وهى من اوائل الصور التى طبعوا على ورق

اقطاب النهضة الوطنية التى مهدت لها ثورة ١٩١٩ فى مختلف جوانب الحياة المصرية : سيد درويش ومحمد عبد الوهاب وام كلثوم وكامل الخلعى وداود حسنى وزكريا احمد ومحمد القصبجى .. فى حقل الموسيقى والغناء ، نجيب الريحانى وجورج ابيض ويوسف وهبى وعلى الكسار ، وعزيز عيد فى المسرح ، طلعت حرب ومدحت يكن وفؤاد سلطان فى الاقتصاد ، على ابراهيم وسليمان عزمى وعبد الحميد سليمان وعبد العزيز اسماعيل ونجيب محفوظ فى الطب ، محمود تيمور وطه حسين واحمد أمين وعباس العقاد وابراهيم المازنى وتوفيق الحكيم فى الادب ، احمد شوقى وخليل مطران وحافظ ابراهيم فى الشعر ، واسحق حلمى وسيد نصير وابراهيم مصطفى فى الرياضة وغيرهم وغيرهم وغيرهم فى كل مجال

وتمضى الايام .. حافلة بالكثير من الاحداث ، نابضة بالكثير من المتغيرات . وتتحرك الكاميرا فتكتب الصورة مع الكلمة صفحات وصفحات من السجل التاريخى الضخم لمصر الحديثة والمعاصرة :

قيام الجامعة ، التوسع فى التعليم ، المنشئات الكبرى ، الاثار المكتشفة ، المشاهد الطبيعية ، المنتجات ، الانجازات الصناعية والزراعية ، وسائل النقل والمواصلات ، الانشطة الرياضية ... ثم الحكام والساسة ، الافراح والاتراح ، النمو والتطور ، المظاهرات والانتفاضات ..

واصبحت الصورة تزاحم الكلمة فى وسائل الاعلام المطبوعة التى أسرفت فى استخدام هذه اللغة الجديدة ، وساعد ظهور السينما وتطورها على الوعى بهذه الوسيلة الجديدة فى التعبير .

ويستطيع ابناء هذه الايام ان يقرءوا بالتفصيل ـ ومن خلال الصور وحدها ـ تاريخ مصر فى الثلاثينيات واحداث فترة الحرب العالمية الثانية وما تبعها من سنوات ، ثم احداث ثورة يوليو وانجازاتها وتطوراتها حتى الوقت الحاضر .

بل يستطيع ابناء هذا الجيل أن يعرفوا الكثير عن احداث العالم من خلال ما كانت تنشره الصحف المصرية من صور خارجية تصل اليها من وكالات الانباء والمراسلين بالبريد ثم باللاسلكى ، وتحتل من صفحاتها مكانا مرموقا .

ولا جدال كذلك فى ان التليفزيون الذى يعتمد على الصورة المرئية قبل الكلمة المسموعة اصبح ينافس وسائل الاعلام الاخرى منافسة قوية ، ويمثل احد المعالم الاساسية فى حياتنا اليومية .

وبعد ، ألست معى أيها القارىء العزيز فى أنه قد تحقق الان المثل الصينى القديم الذى يقول ان الصورة خير من الف كلمة كما تحققت المقولة الصحفية الحديثة التى تؤكد ان الصورة قد تفوق فى قيمتها ما يساوى مساحتها من الكلام المكتوب ؟

الصحافة المصريه والصور

كانت الصحف المصرية فى النصف الثانى من القرن الماضى تنشر احيانا بعض الرسوم اليدوية المحفورة على قوالب خشبية او معدنية . اما الصور الفوتوغرافية المطبوعة بطريقة التدرج الظلى ، اى باستعمال الشبكة عند الحفر (الهافتون) ، فقد عرفتها الصحافة المصرية فى آخر القرن . ويسجل لصحيفة « الأهرام » انها نشرت اول صورة من هذا النوع فى مطلع عام ١٨٩٥ .

واستمرت « الاهرام » و« المقطم » تنشران صورا من هذا النوع وصورا لبعض اشخاص تطلب السلطات القبض عليهم بين حين وآخر . ولكن ذلك كان على فترات متباعدة .

اما اول صورة فوتوغرافية تتصل بالمادة الصحفية فقد نشرتها صحيفة « الجريدة » على الصفحة الأولى . وكان ذلك بمناسبة إعلان الدستور العثمانى ، ففى يوم ٢٨ يوليو عام ١٩٠٨ نشرت الصحيفة على صدر العمودين الأولين من الصفحة صورة لمدحت باشا وتحتها عبارة « مدحت باشا ـ ابو الدستور والاحرار » .

وقد تعددت الصور على الصفحة الأولى حتى احتلت احيانا صدر الصفحة كلها . مثل صور اعضاء الوزارة المصرية الجديدة . يوم ١٩ نوفمبر عام ١٩٠٨ .

ونشرت « المؤيد » صورة إبراهيم الوردانى قاتل بطرس غالى باشا فى ملحق العدد الصادر يوم ٢١ فبراير عام ١٩١٠ .

وفى اثناء الحرب العالمية الأولى اصبحت الصور الفوتوغرافية من المعالم المهمة فى الصحف . سواء أكانت شخصية أم تمثل مناظر متصلة بعمليات القتال . ولعل اهم ماحدث وقتئذ فى هذا الصدد هو بدء ظهور المجلات المصورة . عندما صدرت مجلة « اللطائف المصورة » عام ١٩١٥ .

وازدهرت الصورة الفوتوغرافية فى الصحافة المصرية بعد الحرب . فتتابع صدور المجلات المصورة (المصور ١٩٢٤ . الدنيا المصورة ١٩٢٩) وساعد على ذلك استعمال الطريقة الغائرة (الروتوغرافيور) فى طباعة هذه المجلات . وزاد حجم الصور المستخدمة فى الصحف وكثر عددها وتنوعت موضوعاتها . وافردت بعض الصحف صفحات كاملة لنشر الصور . وبلغت كل من « الاهرام » و« السياسة » و« البلاغ » و« الجهاد » و« كوكب الشرق » و« المصرى » مستوى رفيعا فى هذا المجال

واستطاعت « الاهرام » ان تنشر فى ربيع عام ١٩٤٢ اول صور مرسلة باللاسلكى .

وساعد التقدم الكبير فى سرعة التقاط الصور الفوتوغرافية فى اثناء الحرب العالمية الثانية ومابعدها . وكذلك فى سرعة طبعها وارسالها بمختلف الطرق (حتى عبر اسلاك التليفون) على احتلالها مكانا مرموقا بين المواد الخبرية فى الصحف . واصبحت الصور بذلك عنصر سبق صحفى له اهميته وخطورته فى صحافتنا المعاصرة .



الشيخ امين الخولى ـ مدرسة الأمناء



مصطفى لطفى المنفلوطى



عباس محمود العقاد

كامل الكيلانى



ابراهيم عبدالقادر المازنى



الشيخ عبدالعزيز البشرى



عبدالرحمن عزام باشا فى طريقه ليتسلم منصبه وزيرا مفوضا لمصر فى بغداد
والاديب احمد امين فى طريقه لحضور مؤتمر المتنبى فـــى دمشـــق عام ١٩٣٦

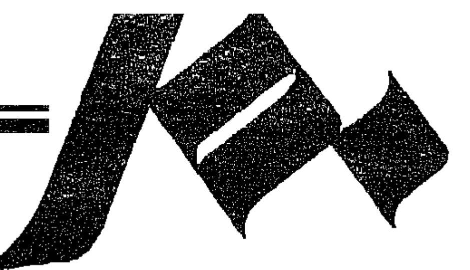


الامام محمد عبده .. فى شبابه



أحمد عبدالرزاق السنهورى فقيه القانون

الأديب احمد حسن الزيات .. صاحب الرسالة والرواية



علماء ومفكرون



هيئة التدريس الاولى بالجامعة المصرية الوليدة عام ١٩٢٥، حلت محل الجامعة الاهلية القديمة التى انشئت عام ١٩٠٨، ويظهر فيها من اعلامنا فى الصف الجالس: احمد لطفى السيد وعن يمينه منصور فهمى، وفى الصف الواقف: الدكاترة على العنانى، طه حسين، احمد ضيف



هيئة المجمع اللغوى القديم فى العشرينيات (قبل إنشاء مجمع اللغة العربية الحالى
والجالسون من اليمين: على حامد، ميرزا رفيع مهدى، الشيخ رشيد رضا، ادريس راغب
الشيخ سيد المرصفى، مخمد نافع، محمد امين واصف، صالح جودت المحامى. والواقفون
عبدالله امين، محمد على الدسوقى، صادق عنبر، محمد كامل حجاج عبدالقادرفؤاد
المانسترلى، احمد حسن الزيات (بالعمامة)، عبدالفتاح عباده، يوسف احمد، الشيخ عمر
محمد



أحمد حسنين باشا ، واكتشاف جبل العوينـات بصحراء مصـر الغربية



العالم المصـرى العبقرى على مصطفى مشرفة باشا



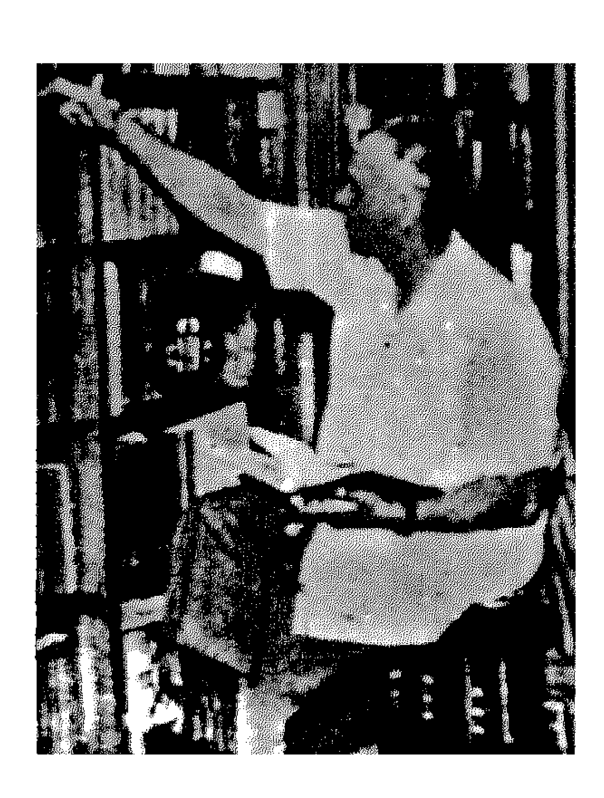
حسن صبرى باشا الذى مات وهو يلقى خطاب العرش فى البرلمان عام ١٩٤١ عن يمينه الاقتصادى الكبير طلعـت حـرب باشا وعن يساره حافظ عفيفى باشا



الدكاترة زكى مبارك .. الأديب الذى لم يأخذ حقه .. صاحب السفر العظيم « النثر الفنى » و « ليلى المريضة فى العراق » .



محمد فريد أبو حديد .. الأديب صاحب «الملك الضليل» وغيره .



الدكتور أحمد زكى ، الرجل الذى أدب العلم .. فى مكتبته عندما كان يرأس تحرير الهلال



لقطة فريدة لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين مع
رفيقة حياته السيدة سوزان وولديه مـؤنـس وأمينـة



شباب ومفكرون



الشاعر إسماعيل صبرى باشا

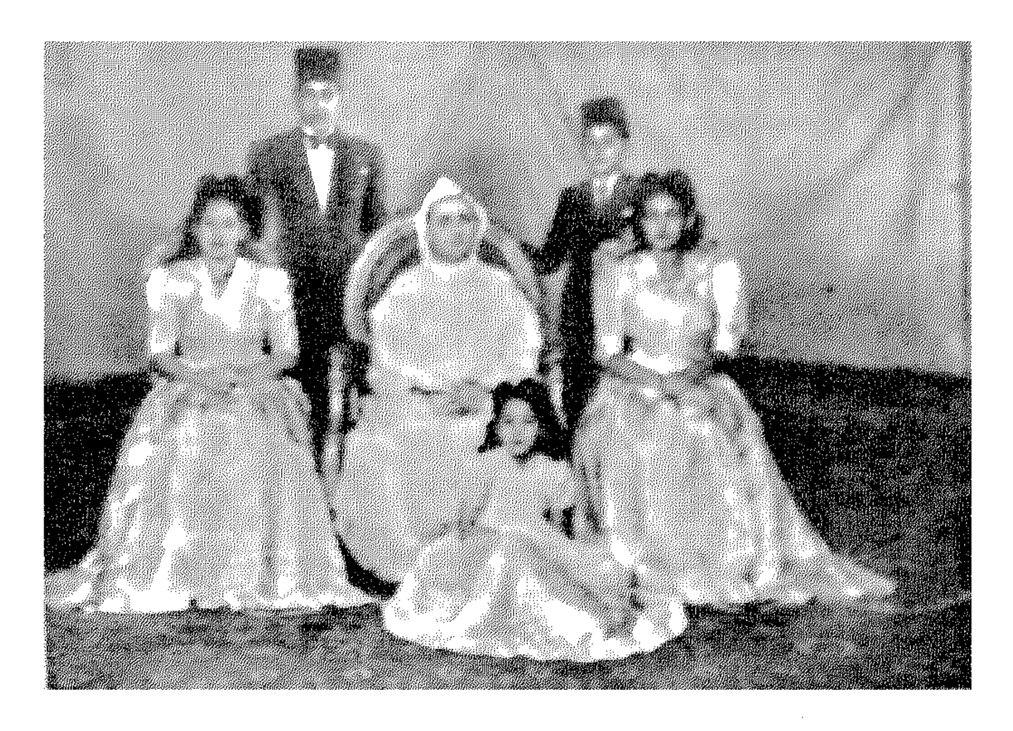


د . محمد حسين هيكل



امير الشعراء احمد شوقى وولداه على وحسين





لقطة نادرة للملك محمد الخامس مع اسرته ويظهر فى الصورة الحسن قبل توليه الحكم ، فى اقدم عرش عربى .



أحد اجتماعات جامعة الدول العربية ويراسه مصطفى النحاس ، ويظهر فى الصورة الشقيرى وعزام . والامير فيصل ومحمد صلاج الدين

استقلال الجزائر احد الأهداف العربية الغالية التى تحققت ،
وفى الصورة أحمد بن بيلا فى القاهرة بين عبدالناصر وعامر .



عبدالقادر الجزائرى



● سعيد بن علي ، واقدم صور لأحداث عمان .

أحداث عربية



لورانس العرب الذى عمل على فصل العروبة عن الاسلام .



الشريف حسين قائد الثورة العربية



صورة نادرة للملك سعود واخوته واولاده بعد استيلائه على الدرعيه ..



الزحف الايطالي على ليبيا



● الملك إدريس السنوسى
مع الرئيس محمد نجيب .



إدريس السنوسي فى زى النضال
ضد الاستعمار الايطالى





المؤتمر الفلسطينى الثالث ، الذى عقد فى حيفا عام ١٩٢٠ ، والذى كان التنظيم الذى يعبر عن الشعب الفلسطينى فى مواجهة الخطر الصهيوني . ورأس المؤتمر موسى الحسينى



الحاج امين الحسيني والملك فيصل ملك العراق وقائد الثورة العربية خلال الحرب العالمية الأولى .



كان لليهود الحق دائما فى الوصول إلى
حائط المبكى ، نساء يهوديات إلى جانب الحائط

مناحيم بيجن يخطب خلف خريطة تصل بأهداف الدولة الصهيونية إلى ضفتى نهر الأردن وليس الضفة الغربية وحدها .

عبدالقادر الحسينى خريج الجامعة الامريكية فى
القاهرة واستشهد وهو يدافع عن القدس فى حرب ١٩٤٨

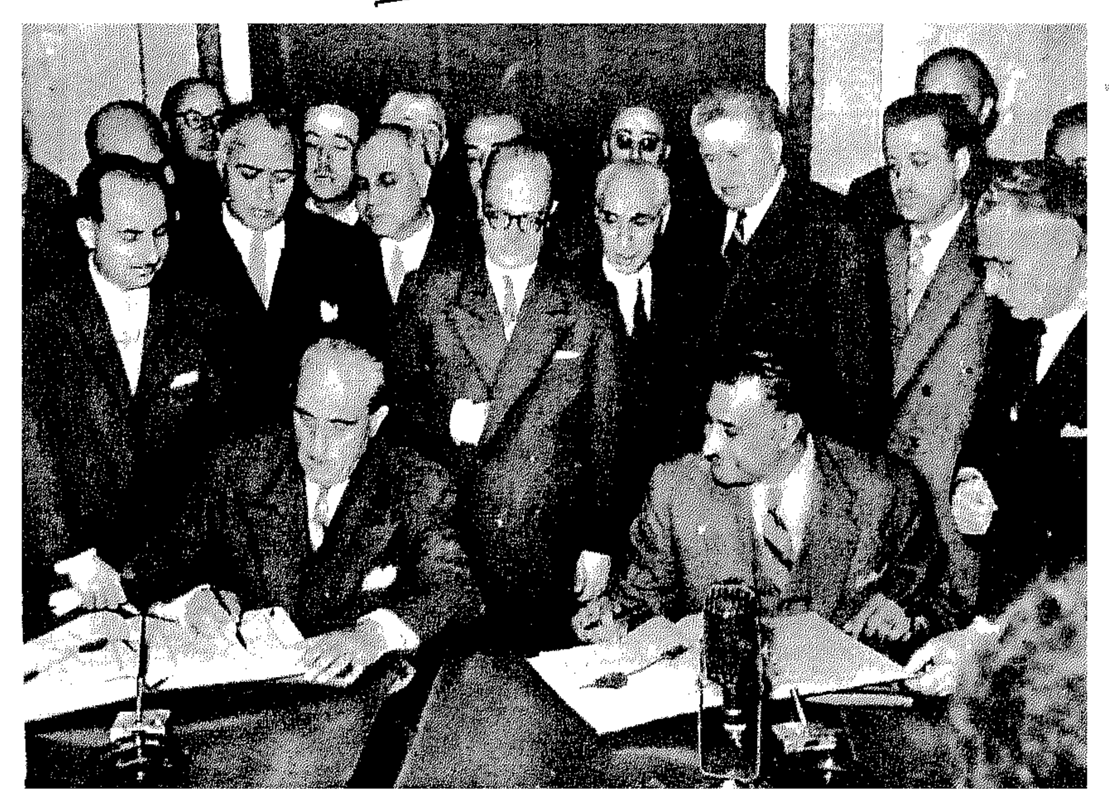


الشيخ عز الدين القسام ، أول من
بدا الكفاح الفلسطينى ضد الانجليز



سجلت الكاميرا الاجتماعات الفلسطينية
ضد الغزو الصهيونى (١٩٣٣)





وثيقة الوحدة المصرية السورية يوقعها جمال عبدالناصر وشكرى القوتلى .



استقلال اليمن الجنوبية فى نوفمبر عام ١٩٦٧ ، ويظهر أول رئيس للجمهورية قحطان الشعبي ، ومحمد على هيثم وسيف الضالعي وآخرون .



اول مؤتمر قمة عربى (١٩٦٤)

جسدت الصورة الفوتوغرافية وقائع الغناء في مصر ، وسجلت حياة فناني الطرب الخاصة والعامة ، ومع بداية القرن العشرين حرص الفنان على تسجيل هذه الحياة بالوقوف دائما أمام الكاميرا المليئة بالابهار ، ليطل منها إلى عيون وقلوب المحبين له .



كامل الخلعي في قمة اناقته ، صورة تمثل عصرا باكمله



القارىء والمنشد الشيخ على محمود .. يتوسط مجموعة من مساعديه وعلى اليسار الملحن العملاق الشيخ زكريا احمد عندما كان في بطانة الشيخ على



سيد درويش (١٨٩٢ - ١٩٢٤) فى إحدى صوره الاخيرة ، وقد أصابته البدانة بشكل ملحوظ

سينما ومسرح



لقطة طريفة تصور حالة استعداد قبل تصوير مشهد من فيلم «سي عمر» يبدو فيها الريحاني ونيازي مصطفى في حالة قراءة . اما عبدالفتاح القصري فقد اسلم امره وشاربه للماكيير ١٩٤٢



جورج ابيض في احدى مسرحياته الاولى "البيت المحاصر" وحوله يوسف وهبي وفتوح نشاطي وزينب صدقي



سراج منير . وامينة رزق في إحد الافلام الاولى التي اخرجها محمد كريم



بدايات على الكسار على المسرح



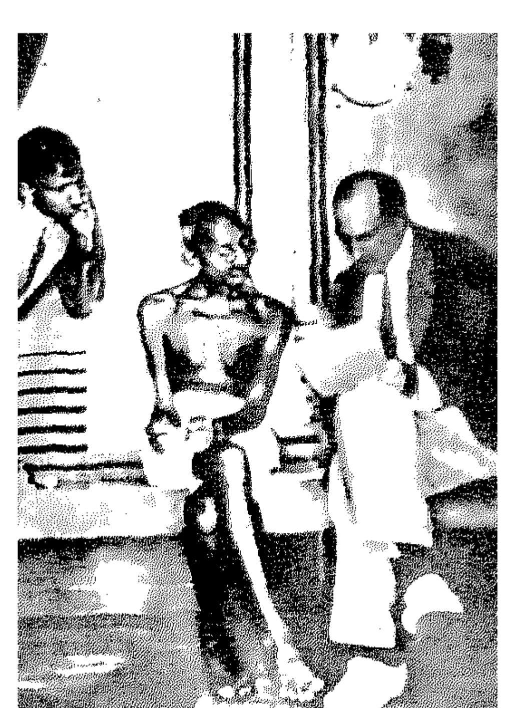
يعقوب صنوع اول من اضحك
الناس على المسرح العربى

يوسف وهبى . عينان تبرقان امام وميض
الجواهر فى رواية "المهرجان" .

أحداث اجتماعية مصرية



لقطة عائلية قديمة للزعيم سعد زغلول وحرمه السيدة صفية ومعهما والدها مصطفى فهمي باشا ووالدتها



غاندى على سطح السفينة التى توقفت به فى ميناء بورسعيد ..فى طريقه الى لندن



الملكة نازلى .. كان المسموح بنشره وقتئذ «راس» الملكة فقط



الزعيم مصطفى النحاس باشا نائما على دكة، فى محطة السكة الحديد ببنى سويف بعد ان اغلق اسماعيل صدقى باشا فى وجهه الطريق ، للقيام بجولة سياسية فى اقاليم الصعيد .. عام ١٩٣١

الملكة السابقة ناريمان تستقبل بعض زوجات الدبلوماسيين وظهر فى اقصى اليسار الأميرات فايزة وفوزية وفايقة شقيقات فاروق

أحداث اجتماعية مصرية

الخديو محمد توفيق فى ليلة زفافه بحرمه امينة الهامى



فاروق وفريدة .. ليلة الزفاف الملكى .. من الصور المشهورة

أحداث اجتماعية مصرية



في إحدى حفلات عيد ميلاد الملك .. فاروق وفريدة



سعد زغلول ومصطفى النحاس ، عائدان من المفاوضات في لندن



الملكة نازلي ورياض غالي الذي تزوج ابنتها فتحية . ثم قتلها في امريكا



تشرشل يزور مصر اثناء الحرب العالمية الثانية ومعه الأمير محمد على توفيق ولى العهد ومصطفى النحاس ولورد كيلرت وحرمه وامين عثمان واحمد حسنين



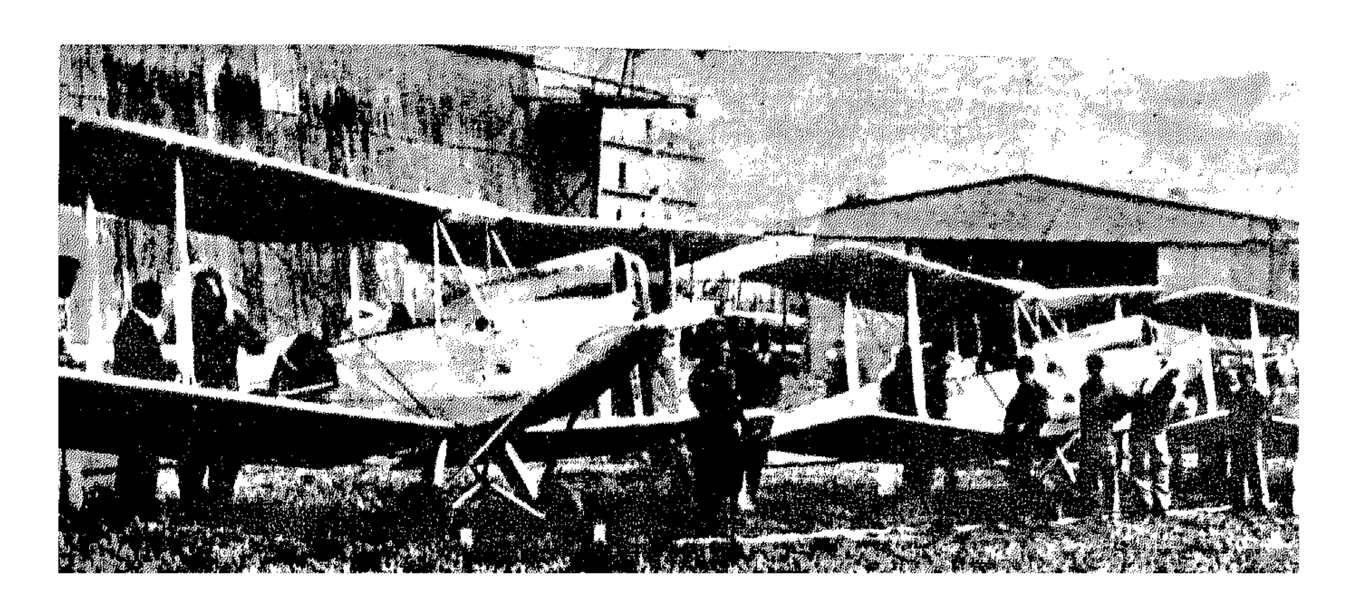
فوزية شقيقة فاروق عندما كانت امبراطورة إيــران



حفل زفاف المحامية مفيدة عبدالرحمن والأستاذ محمــــــــد عبداللطيــف ..



حادث ٤ فبراير وحصار قصر عابدين وانذار الملك ، والذى كان بداية اعصار فى الحياة السياسية المصرية

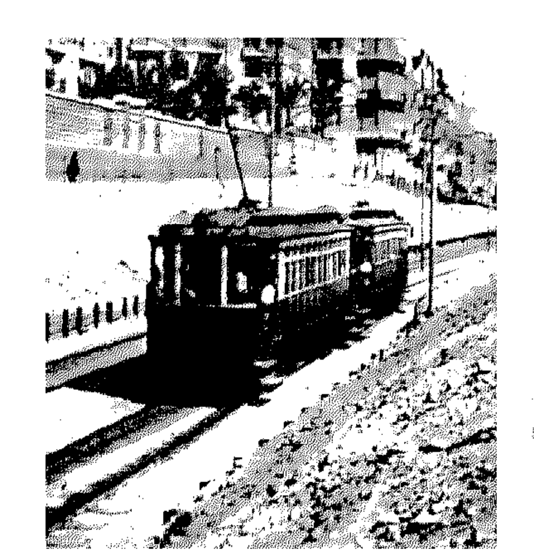


أول سرب مصرى يصل من بريطانيا ، وتم الاحتفال به فى مطار الماظة سنة ١٩٣٢



الملكة نازلى مع فاروق وبناتها الثلاث فريال وفوزية وفوقية

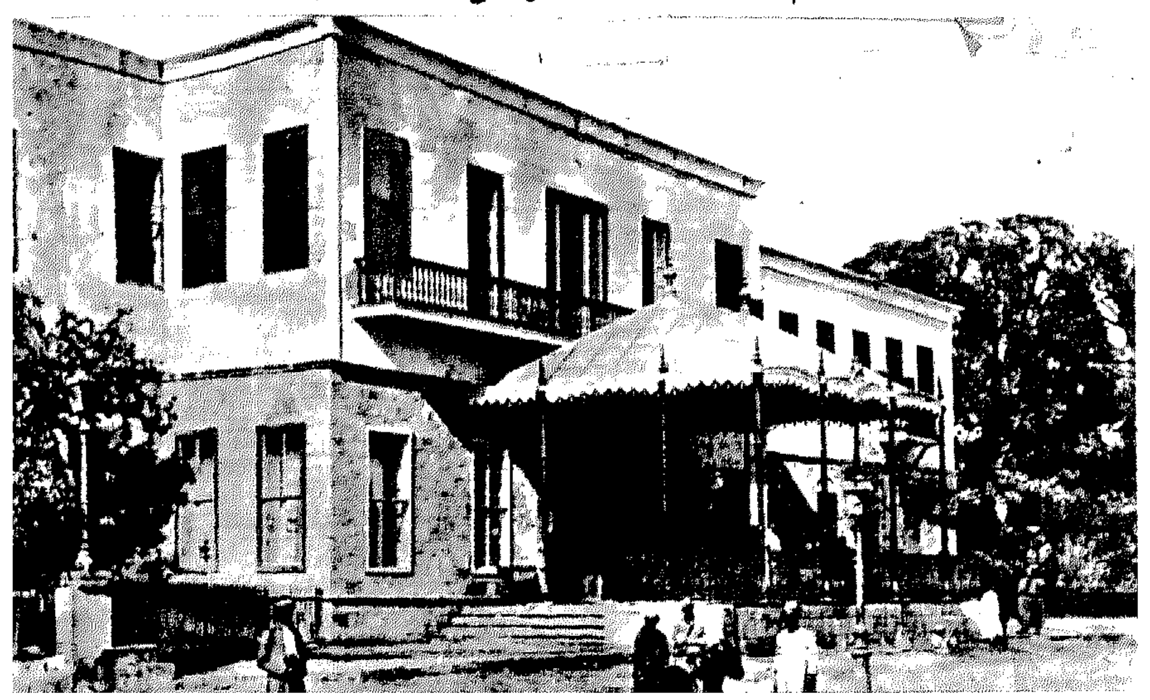
أحداث اجتماعية مصرية



● ترام الإسكندرية عام ١٩٥٠



هدى شعراوى فى السادسة من عمرها ، والتى قادت الحركة النسائية



قصر شبرد أقيم بجوار حديقة الأزبكية ، اقام فيه نابليون فترة من الزمن



صفية زغلول تقود الثورة بعـــد نفي سعد زغلول إلى جبل طارق .



نعيمة الأبويى اول محامية مصرية



لطيفة النادى أول قائدة طيران مصرية

أحداث مصرية

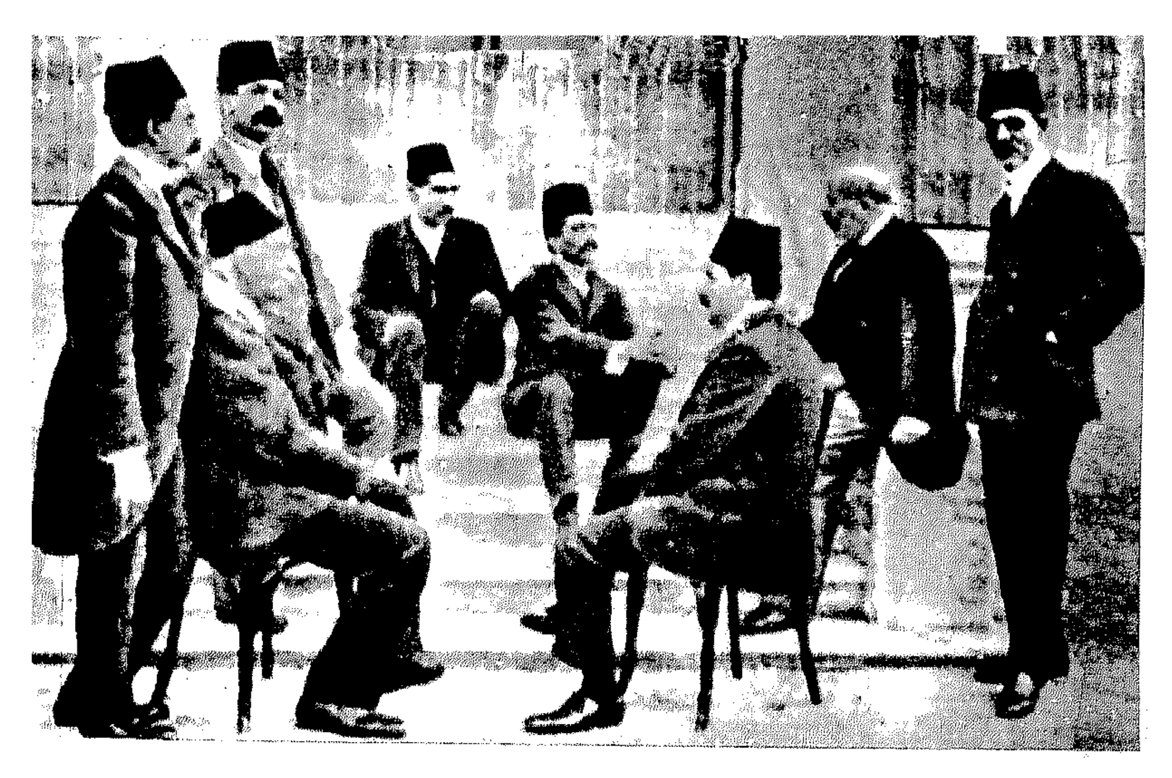
الزعيم أحمد عرابي في السنوات الأخيرة من حياته بعد أن عاد من المنفى في صورة عائلية اجتمع فيها آل عرابي من أبناء وأحفاد ..



الزعيم سعد زغلول
فى أواخر حياته



صورة غير مألوفة للسلطان حسين ، التقطت قبل أن يتولى عرش مصر بسنوات فى ديسمبر ١٩١٤



الأمير فؤاد الأول فى اجتماع اللجنة التى
تشرف على انشاء اول جامعة مصرية عام (١٩٠٨)



أحداث مصرية

صورة التقطت فى بورسعيد جمعت ثلاثة من اقطاب السياسة الاستعمارية وهم من اليمين وقوفا كيتشنر والملك جورج الخامس والخديو عباس حلمى التقطت الصورة عام ١٩١١

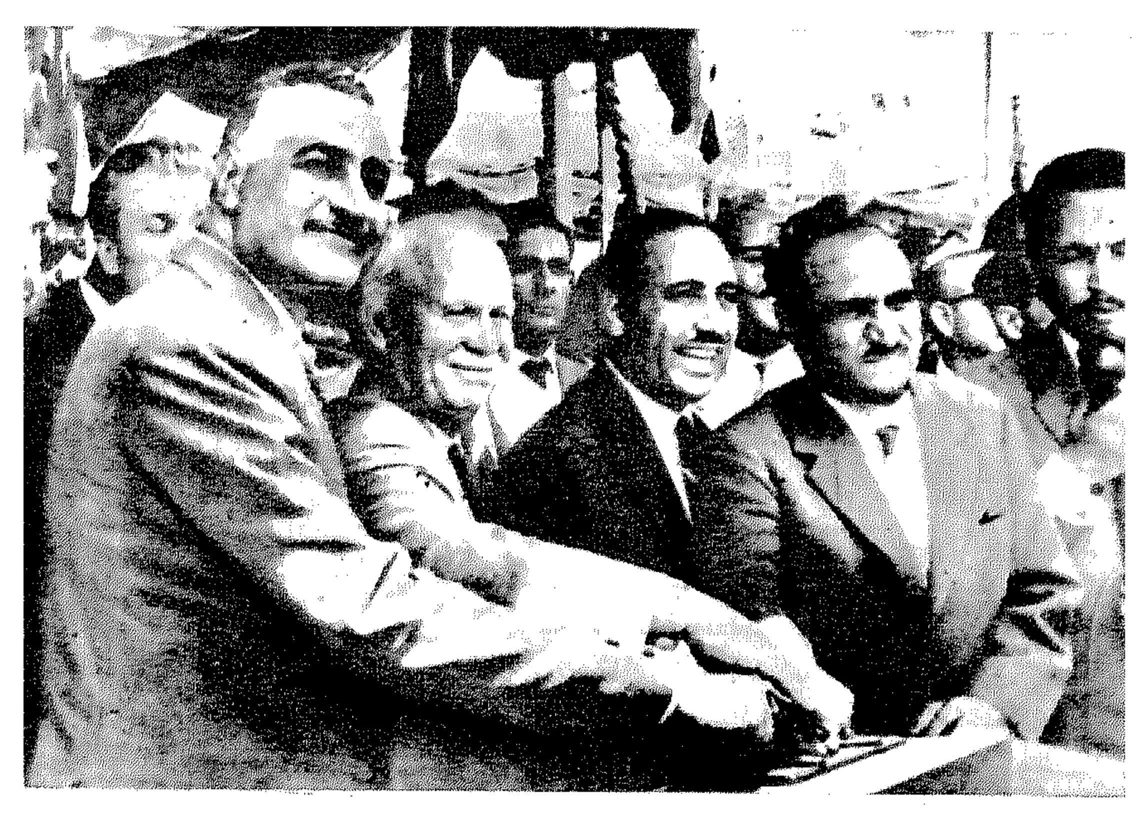




الخديو عباس حلمى الثانى الذى تولى حكم مصر بين عامى ١٨٩٢ و ١٩١٤



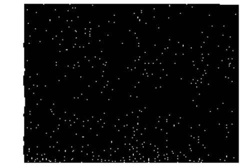
الجنود الانجليز فى طريقهم إلى مدينة دنشواى ..

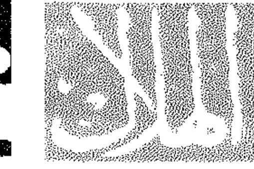


عبد الناصر وخرشوف وعبد السلام عارف وعبد الله السلال
عند تحويل مجرى النيل (١٩٦٤)



عبدالناصر .. ضابط فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ انطلاقة لشرارة الثورة .





• رأى فى الثقافة •

• « تراث » الانتفاضة بين الوثائق والابداع الفنى

انا واثق تمام الثقة من أن هذا الكلام سيؤخذ باعتباره كلاما لاحد أبناء البيت ودون حساسية اعتباطية ·

فثقتي الشخصية في مواهب المبدعين الفلسطينيين كبيرة ، فقد كان اخونا محمود درويش ، وهو القيمة الشعرية الكبيرة ، هو أول الداعين لرفع نير « هذا الحب القاسى » الذى أمطرهم به بعض الكتبة ، او بعض المتحمسين بغير وعى ، وعاملوهم « عمال على بطال » ، و « كهوجة » ادبية سياسية ابداعية خرافية ،وأنهم ـ الفلسطينيون ـ هم أول من يفرق بين « الوثائق » النضالية التى كتبها سياسيون ومناضلون في السجون والمعتقلات أو فى أتون حمى النضال الذى ينمو منه أبناء هذا الشعب العظيم فى الاراضى المحتلة ، وبين « الابداع » الشعرى والقصصى والفن الحقيقي الذى لا يمكن أن يكون هو بدوره الا خارجا من أتون هذه النار المشتعلة « معمدا » بماء الحياة ·

وأنا هنا ادعو الى هذه التفرقة من ناحيتين ·

من ناحية « النشر » وتقديم كل منهما للناس ·· فبالنسبة « للوثائق »النضالية افضل أن يخصص لها « سلاسل » خاصة تضم ما انتج مثلا فى معسكرات انصار وغيرها من السجون السجون ، والسجون الشوارع ، تضم ما انتج من المعارك المعارك ، ومعارك الشوارع حتى تميز عن الابداع الادبى والفنى سواء كان هذا شعرا او قصة أو تصويرا ، وهو ما يجب او يؤخذ بالشدة النقدية ليوضع فى مكانه الطبيعى بين الابداع العربى ·

هذا من ناحية النشر ·

ومن ناحية التقييم فان من يتعامل مع هذه الوثائق هم علماء الاجتماع ودارسو الحركة النضالية بما يفيد هذا درسهم بابعاد انسانية يحتاجها هذا الدرس، اما الابداع الفنى والادبى فهو موضوع نقاد الفن والادب بما يقتضيه ذلك من فارق نوعى خاص اظن ان نقادنا العرب ليسوا فى حاجة الى من يدلهم على مواصفاته ·

هذه التفرقة الضرورية من ناحية النشر والتعامل مع النصوص هى التى تميز الحياة الثقافية الفلسطينية ، بما تتمتع به من وعى فنى ووعى سياسى ، ولن يجعلها تخلط الامور والمستويات والانواع كما فعلت حركات سياسية أخرى فى مراحل بعينها ·· فخسرت هذا وذاك ·

هل هذه طريقة « مصرية » فى النظر الى الامور ·· ربما ؟!

• عبده جبير

• مجـــلات •

قضايا فكرية



قضايا فكرية : العدد الثاني عن الانتفاضة

العدد الماضي ـ السادس ـ من سلسلة كتب « قضايا فكرية » التى يصدرها ويشرف عليها المفكر المعروف محمود أمين العالم كان مخصصا لدراسات عن « الصراع العربى الصهيوني .. الجذور والمواقف » .. أما هذا العدد الجديد فيحاول أن يكون استكمالا وليس اغلاقا لما طرحه العدد السابق ، فيرصد عبر دراساته ومتابعاته وشهاداته الخمسين الاحتمالات الممكنة لمستقبل هذا الصراع .

ويحاول هذا العدد أن يقدم ـ وكما تقول افتتاحية ـ ما يشبه الوثيقة للآفاق المحتملة التى يتصورها المشاركون فى هذا العدد من مفكرين وباحثين وساسة عرب مهتمين بالقضية الفلسطينية ، بغية بلورة امكانية أفضل فى اكتشاف فعل ثورى افضل فى الصراع ضد اسرائيل كأداة للصهيونية والامبريالية .. تماما كما اسهم أول حجر فلسطيني فى اكتشاف مسار الانتفاضة التى تبلغ الآن عامها الأول .

وعلاوة على مقدمة محمود أمين العالم التى تناقش ما هو عليه حال القضية المستفيضة الان وتتحسس مسارها عبر المستقبل من خلال دعوة الى حوار عربى موضوعى وعمل نضالى مشترك ، تقرأ ايضا للدكتور عبد الوهاب المسيرى عن حاضر الصهيونية ومستقبلها ، كما تقرأ لاشرف راضى عن « الصراع الطائفى فى المجتمع الصهيونى ومستقبله» ،كما وللدكتور عبد الرازق حسن عن « البعد السكانى فى الصراع العربى الاسرائيلى » ، وللدكتور اسامة الغزالى حرب عن « مصر ومستقبل الصراع العربى الاسرائيلى » ، وللدكتور جودة عبد الخالق عن « العرب ومواجهة المشروع الصهيونى » وللدكتور عبد الرازق حسن عن «الاقتصاد العربى وامكانيات المواجهة مع المشروع الصهيونى » وللدكتور خليل حسن خليل عن « جبهة اقتصادية عربية فاعلة » وللدكتور السيد عليوة عن « مستقبل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى ظل التسوية »وللدكتور محمد السيد سعيد عن« حرب الكواكب بين امريكا واسرائيل » وللاستاذ محمد سيد احمد عن « الوضع الدولى ومستقبل النزاع العربى الاسرائيلى » وللاستاذ مصطفى مجدى الجمال عن أساليب المواجهة بين عقلانية المسئولية الثورية وعبث البرجوازية الصغيرة »

وللدكتور اسعد عبد الرحمن عن « الانتفاضة الفلسطينية : الاساليب ـ المسار ـ النتائج ـ الآفاق » بالاضافة الي شهادات لخمسين كاتبا ومفكرا وقراءتين تحليليتين للشهادات لكل من عصام فوزى واشرف حسين ومراجعات الكتب وكل من بدوى محمود وحسين حمودة ٠٠

٤٨ : مجلة جديدة مشرقة من داخل فلسطين

حمل الينا الشاعر الفلسطيني سميح القاسم عددا واحدا من مجلة عربية جديدة لم يستطع الخروج باكثر منه (حيث تحرم القوانين الصهيونية الفاشية الخروج باكثر من نسخة من اى مطبوعة مع أى مسافر) تخطفته أيدى المشتاقين من الاصدقاء والزملاء بشوق ولهفة وفرح وفخر ايضا ٠

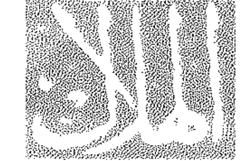
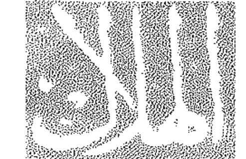
فهاهم الكتاب العرب فى الاراضى المحتلة ـ اولا ـ يستطيعون ان ينتزعوا من بين انياب التنين منظمتهم المستقلة المعبرة عن تجمعهم ، ففى اتحاد الكتاب العرب (الفلسطيني) الذى قام منذ اكثر من عام (٣١ـ٨ـ١٩٨٧) فى الناصرة من أجل « اعادة الاصطفاف بما يسد ثغرة تلو ثغرة وبما يحول دون سيل التشريد والتهويد ٠ ولاعادة صياغة المواقف والشعارات وبلورة الرؤية والرؤيا معا ٠٠ لان الاسئلة تتكاثر وتتشابك وتمتد وتحتد، تنبع من كل لغات الارض لتصب فى لغتنا الجميلة، التي ـ كما يقول سميح القاسم ـ وهبت هويتنا القومية والحضارية تالقها وعنفوانها ،لغتنا التي كان علينا ان نثبت وجودها حتي نثبت وجودنا ، وان نثبت وجودنا حتي نثبت وجودها، من اجل هذا قام اتحاد الكتاب العرب فى فلسطين المحتلة ، كيانا ديمقراطيا اختار سميح القاسم رئيسا له بالانتخاب الحر المباشر ، وبعد مؤتمر تاسيس ضم كل من سمحت له ظروفه بالحضور وهم جميع الكتاب العرب فى فلسطين الا اولئك الذين تضمهم السجون الاسرائيلية خلف اسوارها ، وما ان قام حتى شارك فى الدفاع عن حرية الكاتب العربى فى اسرائيل ، وعن زملاء القلم المسجونين ، والمشردين ، وعن القيم الثقافية الفلسطينية العربية الاصيلة التي يريد المستعمر ان يهيل عليها التراب ، فاصدر البيانات واقام المؤتمرات والندوات وشارك فى المسيرات من اجل حرية الوطن وحرية مبدعيه ٠٠ ولم يقف عند هذا الحد بل بدأ فى اهدار المطبوعات حتى اصدر مجلته هذه التى تحمل عنوان عام النكبة (٤٨) لتؤكد أن عرب ٤٨ لم يذوبوا فى اسرائيل ، وما زالوا يتمسكون بثقافتهم ولغتهم ٠

وها هي ذى المجلة ـ ثانيا ـ لا تكتفي بنشر ابداعات الكتاب العرب فى اسرائيل ، ولا بنشر وثائق هامة (بيانات الاحتجاج والمطالبة بحرية الكتاب) ولكنها مدت يدها ايضا الى الوطن العرب فحفل العدد بدراسات عن اعمال لكتاب عرب من بلدان عربية مختلفة ، ونصوص متعددة لكاتب عالميين تدل على حيوية الحركة الادبية العربية فى فلسطين المحتلة ٠

● اشارات ثقافية

اقدمت مجلة « اكتوبر » ــ ونمسك عن تحديد العدد الذى تم به النشر عامدين ــ على نشر مجموعة خطابات كان استاذنا نجيب محفوظ قد كتبها لصديقه الدكتور طبيب أدهم رجب ، خلال الاربعينيات ·

ويثير نشر هذه الخطابات تساؤلات عديدة، لما تضمنته من اخبار شخصية كتبها صديق الى صديقه ، دون أن يخطر على باله انها ستكون معروضة للقارىء ، سيما وان هذه الخطابات صوت ــ بمعيار القارىء العادى ــ مايسىء الى نجيب محفوظ ، كشخصية عامة ، ومن هنا كانت التساؤلات عن السبب فى أن الدكتور ادهم رجب دفع بهذه الخطابات الى النشر العام، وفى الوقت الذى حصل فيه نجيب محفوظ على جائزة ادبية عالمية ، وقوبل هذا الحدث ، على المستوى الشعبى بتظاهره احتفال واحتفاء ، واذا كانصديق نجيبمحفوظ قد تساهل فى اخراج هذه الخطابات من مكمنها القديم ، فكيف اجاز ناشر هذه الخطابات لنفسه ، أن ينشر على الملأ ما يسىء الى نجيب محفوظ ، واليست المجلة التى اشاعت هذه الاساءات مسئولة هى الاخرى ؟ مما لا شك فيه ان « حياة » الكاتب بكل ما فيها ، كتاب مفتوح امام النقد الادبى ، لان احداث هذه الحياة ووقائعها وسماتها العميقة ، حيثيات تفسر الاعمال الادبية للكاتب ، بل ان هذه الخطابات فيها فعلا ما يفسر بعض اعمال نجيب محفوظ ، كرواية « ثرثرة على النيل» وغيرها ، ونشر خطابات الفنانين والكتاب ، ليست حدثا جديدا على الحياة الادبية ، وقد سبق ان قرانا كتابا كاملا بعنوان « اناتول فرانس فى مباذله » وكما هو واضح منعنوان الكتاب ، ففى صفحاته كل ما يخجل ، واذا كان ذلك ، فلم الاعتراض على نشر بعض خطابات نجيب محفوظ بما حوته مما يسىء اليه يخيل الى انذلك يرجع الى سببين : ان الكاتب عندنا، وفى الشرق عامة ، يكاد أن يكون ــ ــ فوق كونه مبدعا فنانا ــ فهو قدوة سلوكية ، بمعنى انه يقترب من المصلح الاجتماعى ، وبالتالى ، فهو امام القارىء الهادى ، والمواطن والمواطن العادى ، مسئول ليس فقط عن كتاباته ، بل ايضا عن سلوكه ، وفى مقدمة كتاب العقاد ، « عبقرية الصديق » يعترف العقاد صراحة ،انه يريد أن يقيم « مثلا عليا » من الشخصيات التاريخية التى يكتب عنها ، فهو بوضوح يتخلى عن وظيفة المؤرخ ويرتدى مسوح المصلح الاجتماعى وهذا السلوك من مفكر كبير مثل العقاد ــ وقد لا نوافقه على ذلك ــ يكمن وراءه ، الاثر الذى يتاثر به القارىء العادى والمواطن العادى وهو يتمثل الشخصية التاريخية التى يقرا عنها ، ولعل ذلك يكون مبررا بالنسبة للقارىء الشرقى · الذى يتخيل الكاتب ويتخيل الشخصية

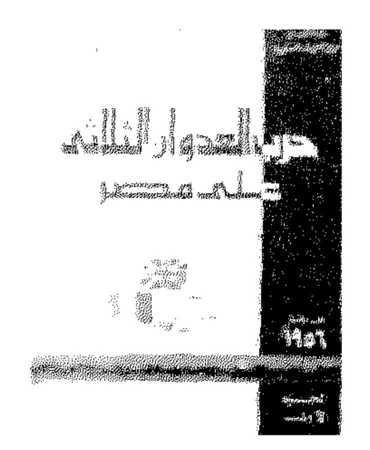




التاريخية ، غير مثقلة بالسلوك المشين اجتماعيا ·

السبب الثانى الذى من اجلـــه نعترض على نشر هذه الخطـــابات بعبلها ، اننا نرى ان يكون مجـــال مثل هذا النشر ، فى كتب النقـــــد المتخصصة ، وليس فى مجلة عامة ، ففى كتب النقد المتخصصة بقارئــــها المتخصص المحدود ، مجـــال لتشريح حياة الكاتب او الفنان ، لتفســـــير اعماله وارجاعها الى جذور، ودراسة شخصية الكاتب او الفنان ، دراســـة جامعة ، دون قيد ، اى قيد ، وبالتالى فان اعتراضنا لا يعنى قصور القارىء فى بلادنا ، بل يعنى ان لكل مجـــال مقالا ، وهو ما لم يلتــزم بـه نشـــر الخطابات بكل ما فيهـــا ، بما يسىء الى نجيب محفـوظ كمواطن عـــادى احبه القارىء العادى ويتمثله مثلا اعلى ·

محمد روميش

• مكتبـــة الهـــلال .



الكتاب : حرب العدوان الثلاثى على مصر

تاليف : هيئة البحوث العسكرية

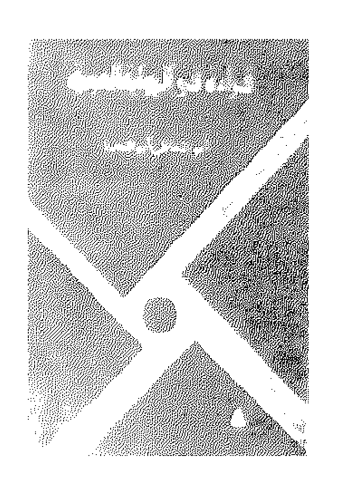
الناشر : ادارة الدفاع ٣٠٤ ص ٥٠ج٠م٠

هذا هو الجزء الاول من مجلدين تنوى هيئة البحوث العســـــكرية بالقوات المسلحة المصرية استكمالهما قريبـــا ، وفيهما تنشر هيئة البحوث العسكرية ـ ولاول مرة ـ كل الوثائق الهـــامة الخاصة بحرب العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيـه كـل مـن اسرائيــل وبريطانيـــا وفرنسا ، لذلك فقـــد اعتمدت هيئة البحـوث ايضا على الوثـــائق والدراسات البريطانية والاسرائيلية والفرنسية علاوة عـــلى المراجع العربية التى تعرضـــت لهذه الحــرب · وبذلك تدخل وزارة الــدفاع مجال نشر الوثائق من اجل تشكيل رؤية مصرية رسمية للحـــروب التى خاضـــتها مصر بـدءا بحرب ١٩٥٦ ·

يضم هـــذا المجــــلد علاوة على اســتعراض تاريخى يبدأ من نـهاية القرن الثامن عشر وحتى الخمسينيات مــن هــذا القرن، استعراضا لفكرة حفر قناة الســـويس وازدياد اهتمام الــدول الاوربيـــة بمصر التى

اصبحت محط انظارهم٠

بالاضافة الى ذلك يضم الكتاب عدة خرائط وملاحق ووثائق ياتى فى مقدمتها نص « مقارنة عامة قبل عقد الصفقة» ونص « مقارنة عامة بعد عقد الصفقة »ونص «معاهدة سيفر السرية ـ ٢٤ اكتوبر ١٩٥٦ » ، ونص « تقدير القيادة العامة للقوات المسلحة للموقف العسكرى فى شرق البحر المتوسط ـ سبتمبر ١٩٥٦ م » « والنص الحرفى لتعليمات العمليات الحربية رقم ٥٠ لسنة ١٩٥٦ بتاريخ اول سبتمبر ١٩٥٦ ، والنص الحرفى لخطة قادش الاولى بتوقيع كله من راف الوفوموطى ديان، وقائمة شاملة لاهم التواريخ وتعريف بالشخصيات التى ذكرت فى الكتاب ، ووضع قوات المعتدين والقوات المصرية ٠

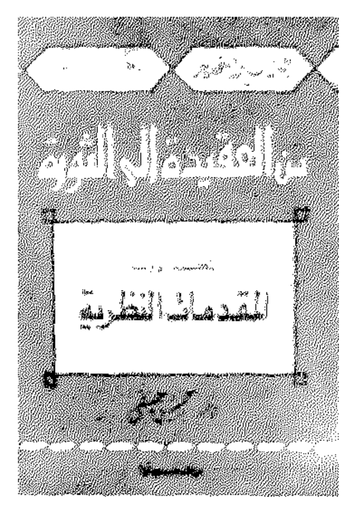


الكتاب : قراءة فى الروايه العربية

تاليف : ابو المعاطى ابو النجا

الناشر : هيئة الكتاب ـ القاهرة ١٩٢ ص ، ١٥٠ ق٠م

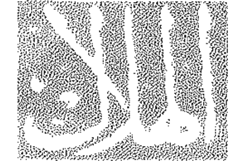
أبو المعاطى ابوالنجا كاتب القصة المعروف له اختياراته الفنية التى يتبنى الكتابة عنها بين الحين والاخر ٠
فقد اختار عددا من أبرز كتاب الرواية فى الوطن العربى وتناول اعمالهم بالتحليل والقاء الاضواء على رؤيتهم للحياة والانسان في طموحاته وامانيه واخفاقه واحباطاته فى ضوء نظرة شاملة للمجتمع العربى وظروفه ومشكلاته ٠٠ فيتناول رواية جبرا ابراهيم جبرا البحث عن وليد مسعود ، ورواية عبد الرحمن منيف « النهايات » ورواية سليمان فياض «أصوات» وروايتى حنا مينا « حكاية بحار » و «المرفأ البعيد » ٠



الكتاب : من العقيدة الى الثورة

تاليف : د٠ حسن حنفى

الناشر : مكتبة مدبولى ٠ القاهرة ٣١٧٢ ص ، ٥٠ ج٠م٠

في خمسة مجلدات ضخمة يقدم لنا الباحث والمفكر المعروف الدكتور حسن حنفي ما يشبه الملحمة الفكرية التي يقدمها كمشروع جيل كامل يقدم خلاله مسالة التراث والتجديد ليضع شروط النهضة بعد ان وصف ابن خلدون نشاة الحضارة وتطورها وانهيارها في السبعة قرون الاولى ، يقيل الاصلاح الديني من عثرته بعد كبوته ، ويحول الى نهضة شاملة ويعيد بناء العلوم القديمة التي تكونت في فترة الانتصار ، وتوقفت بنهاية الفترة الاولى وينقلها الى فترة الهزيمة حتى يتطابق « الروح » مع اللحظة التاريخية التي نمر بها .

وقد جاءت المجلدات الخمسة من السفر الكبير ليناقش الاول المقدمات النظرية التي يستند عليها المفكر في دراسته، والثاني يناقش مسالة التوحيد، والثالث مسالة العدل ، والرابع مسالتي النبوة والمعاد والخامس الايمان والعمل والامامة . انه جهد ضخم استغرق من مؤلفه نحو عشرين عاما من البحث والنظر لذا لزم التنويه .



الكتاب : القضية المصرية كتاب مجهول للمنفلوطي

تحقيق وتقديم : د. علي شلش

الناشر : رياض الريس للنشر لندن : ١٦٤ ص ٩ . ج . م .

ضمن بحثه وتنقيبه الدءوب في التراث الادبي ها هو الناقد الدكتور علي شلش يقدم لنا عملا مجهولا من اعمال ذائع الصيت مصطفى لطفي المنفلوطي تتعرف اليه الاجيال الجديدة من القراء لاول مرة الا وهو نص يسمى « القضية المصرية » وهو مجموعة من المقالات السياسية التي كان المنفلوطي قد نشرها في ذيل كتابه « النظرات » في طبعته الرابعة علاوة على ان المحقق قد اكد لنا هنا ان نص الكتاب كله كان قد صدر من قبل دون اى اشارة الى مؤلف او طابع او ناشر ، وان هذا الكتاب قد صادرته السلطات ، ومع ذلك فقد عوقب عليه المنفلوطي .

يصدر هذا الكتاب في سلسلة الاعمال المجهولة التي اصدرت منها دار رياض الريس عدة اعمال .

مهرجان القاهرة السينمائى

بين الأرنب ومقصلة الرقابة

الفوضى التى صاحبت حفل افتتاح مهرجان القاهرة السينمائى الدولى الثانى عشر ، هذه الفوضى من النوع الذى يضرب به المثل فى سوء النظام.
ومن عجب ان السبب ارنب ، وبالتحديد ارنب المنتج « ستيفن سبيلبرج » والمخرج « روبرت زيمسكى»
وكلاهما من سحرة مصنع الاحلام فى هوليوود .
وكلاهما يستطيع ان يصنع من الفسيخ شربات .

سايجون كان لها نصيب فى المهرجان



ولن اتحدث طويلا عن هــذا الارنب الذى تســـبب فى تلك الفوضى التى صاحبت عرض الفيلم الذى يدور حوله وجودا وعدما فى حفل الافتتاح ، وهى فوضى لم ار لها مثيلا فى اى مهرجان من المهرجانات •

فما اكثر ما كتب عنه تمجيدا له فى صحافتنا الغراء ، بحيث لا يبقى لى الا ان اقول عنه هنا انه ارنب «والت ديزنى» القديم •

وان الجديد فيه انه يلعب دوره هو ورفاقه من الرسوم المتحركة فى الفيلم مع شخوص انسانية من لحم ودم

على راسها المخبر « فاليســانت » (توم هو سكنز) الحاصل على جائزة احسن ممثل فى مهرجان كان عن الدور الذى اداه فى « موناليزا »

وفوق هذا فمزج الرسوم المتحــركة ببنى الانسان لم يستمر على الشاشــة امامنا لثوان كما حدث من قبــل فى بعض الافلام ، وانما امتــدت مــدة ظهوره فى « الارنب روجـــــر » الى تسعين دقيقة او يزيد •

● القديم والجديد

ومن عجائب المهرجــان الاخرى ان يزيد نصيب السينما الســـورية من العروض على نصيب السينما المصرية ذات الامجاد والجلال •

حقا كانت الســينما المصرية ممثلة بفيلمين احدهما « لفاتن حمـــامة » سيدة الشاشة العربية، وهو « يوم حلو •• يوم مر » والاخر « عنبر المــوت » الماخوذ عن قصــة « ليوسف ادريس » والذى اخرجه « اشرف فهمى »

وهو من الافلام المصرية القليلة التى تقول شيئا جديدا •

وبالنظر الى انه اتى بجديد ، فقــد كان لابد ان تنقسم حوله الاراء •

وكان لابد ان يثير فزعا فى قــلوب الرقباء ومع ذلك فرغم هذين الفيلمين تسلطات الاضواء على السينما السورية لا لشىء ســـوى تكريم المهرجـــان « لدريد لحام » بعرض افلامه ، وهــو ما كان سببا فى مجيئه الى القــاهرة والذى لاشك فيه ان اســـتقبال الجمهور لدريد لحام ليلة الافتتاح كان اكثر حرارة وحماسا من اســتقباله للارنب الهمام •

ولقد امتاز المهرجان بكثرة الافــلام وبحسن الانتقاء ففضلا عن « لحــام » كرم المهرجان الممثل الايطالى الكبيــر جيان « ماريا فولونتى »

● الخـــداع

وخصص عروضا لاروع ما ابدع كل من « ساتياجيت » (الهندى) و « كارلوس ساورا » الاسبانى و « مارتا ميزيروش » (المجرية) و « جوران باسكالوفيتش » (اليوغوسلافى) و « اندريه زولاسكى » (البولندى)

وعلاوة على ذلك فقد كان ثمة برامج للسينما الكسيكية والاسبانية «كاتالونيا» والامريكية المستقلة او كل من السينما الارجنتينية واليونانية ابان عقـــد الثمانينيات •

هذا فضلا عن افلام وقع عليهـــا الاختيار من بين روائع تظاهرة اسبوعى المخرجين التابعة لمهرجــــان كان ، مشاركة من مهرجان القـــاهرة فى الاحتفال بانقضاء عشرين عاما على تلك التظاهرة ، او بمعنى اصــح تلك

النافذة التى ساعدت محبى الفن السابع فى بحثهم عن المجهول من سينما العالم الفسيح .

ولم يعكر صفو هذه الوليمة الكبرى سوى حوادث قليلة من فعل الرقابة ، بينها قرارها بمنع عرض فيلم « لاعبا الشطرنج » للمخرج « ساتياجيتراى » بمقولة انه معاد للاسلام !!

وغنى عن البيان ان هذا المكان لا يتسع للحديث بتفصيل او باختصار عن افلام الممثلين والمخرجين المكرمين ولا عن افلام البرامج السينمائية الوطنية القادمة الى المهرجان من مشارق الارض ومغاربها .

او عن مواقف الرقباء ازاء جميع الافلام التى لها شان فى دنيا الابداع ، وهى مواقف تتسم بالهلع والمقت الشديد لكل ما هو جديد .

وما اشك لحظة فى ان القول بخلاف ذلك ينطوى على كثير من الوان الخداع او الانخداع .

● وليمة كبرى

وعلى كل فاول ما يلاحظ على افلام المهرجان هو تنوعها .

فهناك الافلام التاريخية مثل « الفلاحون ضد الثورة » وفيه يتناول المخرج الفرنسى « فيليب دى بروكا » احداث الثورة الفرنسية من منطلق التعاطف مع اعداء ثورة الحرية والمساواة والاخاء !!

والافلام الكوميدية مثل « ازدهار الطفولة » وفيه تمثل « ديان كيتون » دور امراة غير متزوجة ، ناجحة فى دنيا المال والاعمال تجد نفسها فجاة امام زلزال كاد يقوض طموحاتها بسببه طفلة لها من العمر ثلاثة عشر عاما الت اليها بالوراثة تنفيذا لوصية احدى القريبات البعيدات .

● الامريكى القبيح

وهناك ايضا افلام الرعب مثل رائعة السينما الامريكية المستقلة «كرب» والافلام السياسية وفى مقدمتها «ووكر» للمخرج الانجليزى « اليكس فوكس » و « سايجون » و « رصاصات حية » رائعة « ستانلى كوبريك » الاخيرة ومما يلاحظ على هذه الافلام انها جميعا تعرض لسياسة الولايات المتحدة فى نيكاراجوا وفيتنام بالنقد الشديد .

والحديث عن الافلام التى تعرض للسياسة فى المهرجان يسحبنا الى « رامى وجولييت » للمخرج الدنمركى « اريك كلاوس » ، وفكرته مستوحاة من مسرحية شكسبير « روميووجوليت » .

« ورامى » فى الفيلم فتى فلسطينى يقيم مع عائلته فى مهجر الدنمرك حيث يلتقى بفتاة « دنمركية » جولييت ، فيبادلها حبا بحب وهياما بهيام .

ولكن المحبين مقصوصا الجناح ، مشتعلان بقيود العصر .

هى بفرانك وعصابته من الشباب الدنمركى الذى يرى « رامى » شيطانا اسود .

وهو بابيه الذى يرسله الى المانيا لاستخراج جواز سفر مزور بهوية تركية لاحد الثوار الفلسطينيين .

والحديث عن حب « رامى » و « جولييت » يجرنا هو الاخر الى الحديث عن ظاهرة غريبة فى افلام المهرجان التى مدارها الغرام والهيام .



شهريات



فاتن حمامة .. نجمة المهرجان

فلاحون ضد الثورة .. فيلم ضد الثورة

● **سن اليأس**

فارفع هذه الافلام شأنا من الناحية الفنية ، نرى الحب فيها وقد التهبت نيرانه بين ارملة ورجل فى الغالب شاب يصغرها فى السن بكثير .

واهم هذه الافلام «الضابط والزهرة» (يوغوسلافى) و « زمن اللامبالاة » للمخرج الايطالى « ماورو بولينيفى » و « الرغبة الجامحة » لصاحبه المخرج الايطالى « جيان فرانكو متجوزى » و « الجوزاء .. النجم التوئم » للمخرج السويسرى « جاك ساندوز » و « سحر القمر » للمخرج الكندى « نورمان جويسون »

ومن عجب ان احد الافلام القليلة الذى كان الغرام والهيام فيه بين شابة وشاب فى عمر الزهور - وهو فيلم « لحن » الذى اشترك فى اخراجه كوكبة من مبدعي السينما - هذا الفيلم كان نصيبه مقصلة الرقابة ، وبئس المصير .

هذه الوان يسيرة من وليمةمهرجان القاهرة ، وكانت خليقة ان تجعل من المهرجان حدثا فنيا بلا شوائب ، لولا الارنب « روجر » ولولا رقابة تدور فى حلقة جهنمية من الموانع لا ارى منها خلاصا فى زمن قريب .



بقلم : محمود بقشيش

الجديد فى المعرض العام للفنون التشكيلية

فى التصوير والنحت

نحت .. بازميل الفنان سمير [illegible]



عندما ابتكر الفنان « عبد القادر رزق » فكرة هذا التجمع السنوى للمبدعين ، فى مجال الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، كان يهدف الى تقديم صورة موضوعية لحركة الابداع فى هذين المجالين .. اللذين اندمجا فى اطار مايسمى الآن بالفنون التشكيلية . وكان مجرد قبول اشتراك فنان فى هذا المعرض يعنى الاعتراف به مبدعا .. مع ترك باب التشجيع مفتوحا فى تجمع آخر .. اطلق عليه « سوق الفنون التشكيلية » غير ان باب المعرض العام ترك مفتوحا ـ فيما بعد ـ لكل المستويات بلا تمييز ، حتى اوشك ان يفقد مبرر وجوده .

● غير أن الحياة عادت له من جديد مع ظهور فكرة المسابقة المفتوحة ، فقد حرك السباق بين الفنانين بعض الركود .. ولولا سوء الادارة فى تطبيق الفكرة ، والانحياز الصارخ الى اسلوب فنى بعينه ، والانحصار داخل المنفعة (الشللية) لكان لهذا المعرض شأن آخر . وكان من اليسير التكهن باسماء الفائزين قبل الاعداد لتنفيذ المعرض! . ولم يكن أمام من يحترم نفسه من الفنانين الا الانصراف عن المسابقة . وتكرر الانصراف .. وكان من الطبيعى ان تفشل تلك التجربة ، التى كان من الممكن ـ فى تقديرى ـ أن تحقق نجاحا ، لو اديرت بموضوعية .. فالمسابقة كانت حافزا لتقديم الجديد ، والمثير ، والمبهر احيانا ـ تأمل المعارض التى اعقبت الغاء المسابقة ، تجد صورا « كربونية » لا تسمح الا بالنادر من المثير للاهتمام . ان اختفاء نظام المسابقة ليس السبب الوحيد ـ بالطبع ـ لما نراه من ركود أو قل تعثر فى حركة الابداع التشكيلى المصرى ، فهناك ـ على سبيل المثال ـ عدم قدرة الفنان على التفرغ الكلى لفنه .. بسبب ملابسات ليس هذا مجال مناقشتها ؛ بالاضافة الى انصراف وسائل الاعلام شبه الكلى عن التعريف بانجازاته ، وانصراف الفنان ذاته عن الاحتكاك (الحقيقى) بانجازات الموروث الاوربى الانسانى ، والموروث المصرى والعربى ، وأعنى بالحقيقى : الاستيعاب والنقد ، لا الانبهار والنقل .

● الغاء وسم العارى

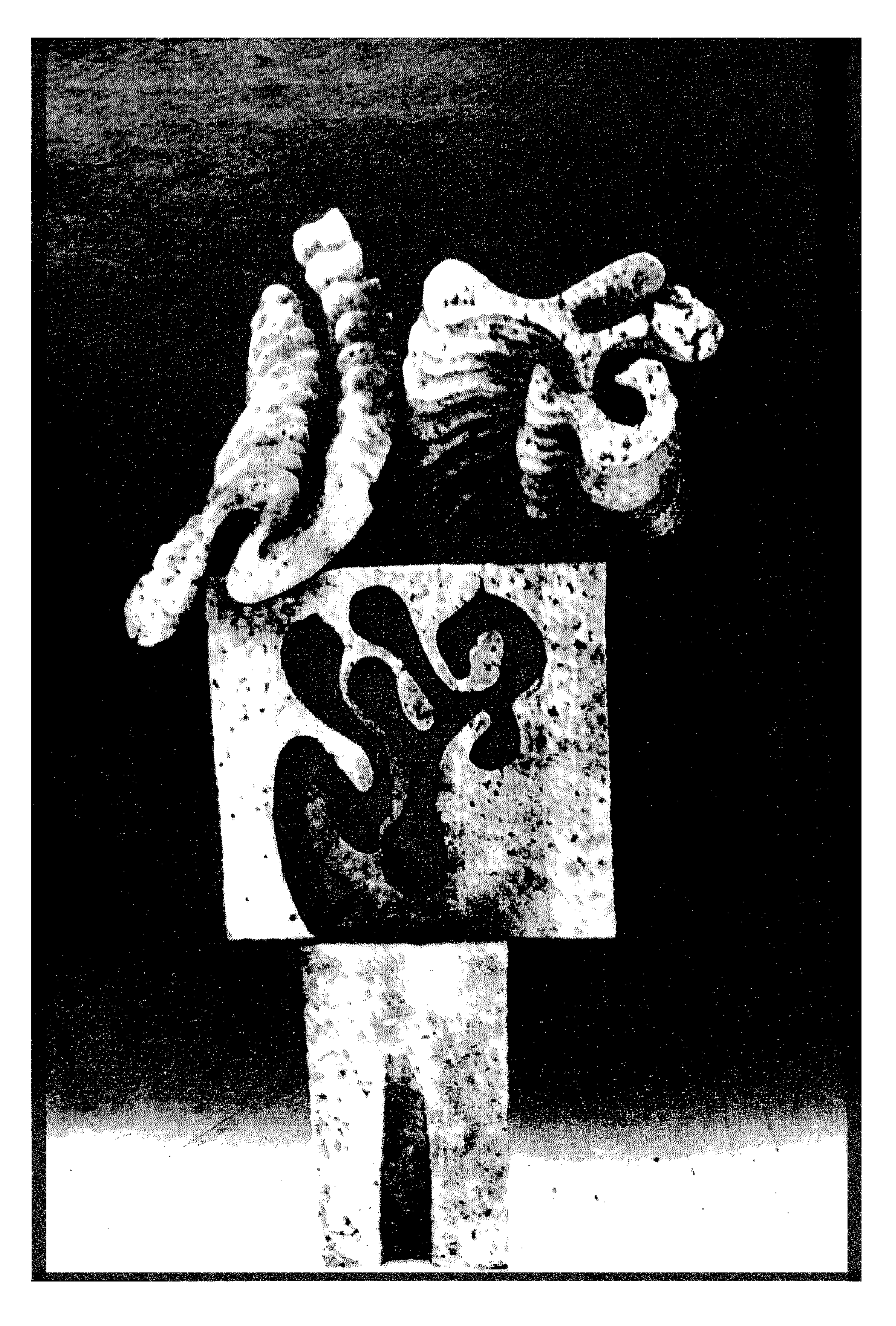
ان ذاكرة الامة مهما أصيبت بعطب فان ما يتبقى فى مخزونها يكشف عن نفسه فى الابداع ، وهذا ما نراه ـ على سبيل المثال ـ فى معرضنا الذى نقدمه . فرغم الاختلاف الظاهر تجد روحا خاصة تسرى ، تشكل على مستوى الجوهر كيانا كليا ، أراه فى حرص العارضين على البناء ، والميل الى الهندسية ، ووضوح معالم العناصر ، وما يرتبط به من ايحاء بالسكون ، وعلى مستوى الاخلاق .. تراه فى الانصراف عن الطابع الفضائحى (الذى يتكاثر فى أنف ...



ابتهالات الفنانة نعيمة الشيشينى

الغربى) أو بمعنى آخر الابتعاد عـن كل مايراه رجال‌الدين خادشا للحياء· تجول ما شئت بين زحام اللوحـــات والمنحوتات فلن تجد فنانا واحـــدا توغل فى كوامن وجه أو جسد انسانى مستهدفا فضح رغائبه ، وربما تكون قد سمعت عن استاذ باحدى الكليات الفنية قد غطى تمثال « فينوس » لان عريها كان خادشا لحياء الطلبة !··

ـ ابداعات خطية للفنان صالح رضا





وباركت الكليات الفنية ـ فيما يبدو ـ هذا التصرف العجيب ، فكانت سباقة الى الغاء رسم العارى ، للاحياء والتماثيل على السواء !·· وتنامت الموانع،فاختفى الانسان نفسه ـ عاريا أو لابسا ـ بالتدريج من لوحات ومنحوتات فنانينا !·· واللافت للنظر أن أكثر المدافعين عن وجه الانسان ، وضرورة وجوده فى اللوحة ، قد طرده من لوحاته الواقعية ، أو انفلت هو نفسه من كل هذا الى أسلوب تجريدى ، يقطع معظم الطريق على المشابهة مع الواقع !

ان اللوحات التى احتل فيها«الشكل الانسانى » موضعا مرموقا ·· فى المعرض ·· قليلة ، ويمكن حصرها ، تقريبا ، فى لوحات : أحمد نبيل وفتياته الحالمات ، وصبرى منصور وسيداته الفطريات ، ورباب نمر ومسوخها البشرية وسيد عبد الرسول ووجوهه العرائسية ، وعلى دسوقى وفتياته البريئات ، ومحسن حمزة ووجوهه الغائبة فى غلالات زرقاء ، وانجى افلاطون وفلاحاتها السعيدات، ومحمود أبو العزم وشخوصه الموجودة فى عرض مسرحى · عبثى ·

● الحروفيون

يمثلهم فى المعرض الفنانون : نعيمة الشيشينى · محمد حجازى · محمد طوسون · عبد الصبور عبد القادر · ان تيار الاهتمام بالحرف والكلمة العربية يمتد فى ربوع العالم العربى منذ النصف الثانى من أربعينيات هذا القرن ، استجابة لتيار فكرى ، يرى فى الحرف العربى قداسة روحانية ، لارتباطه ـ أولا ـ بالقرآن الكريم ، ولانصرافه ـ ثانيا ـ عن أى درجة من درجات المشابهة مع الواقع الحسى ، ويرى بعض المنظرين أن على الفنان العربى أن يقدم ما هو مختلف عن الابداع الغربى ، وأن هذا « المختلف ·· المتفرد » مجاله الحروف والكلمات العربية وحدها · وبغض النظر عن الاتفاق والاختلاف مع هذا « المختلف ·· المتفرد » فالذى لا شك فيه هو أن وجود أول دولة «ثيوقراطية» اسلامية فى القرن العشرين قد أسهم فى هذا المد المتزايد على امتداد الساحة العربية · غير أن الحرف العربى فى مصر قد تلون بتراث الصورة المجسمة، التى تحاكى بدرجة من الدرجات واقعا مرئيا،وان تضمنت تلك الصورة ـ بالضرورة ـ رموزا أوسع من حدود الشكل المرئى ، فتحولت الكلمات عند « حامد عبدالله» الى كيانات نحتية ، وعند « نعيمة الشيشينى » و « أبو خليل لطفى » الى أشكال سديمية ، يلعب فيها « المدى » و « الضوء » دورا فعالا ، ويحتفل « محمد حجازى » بالعمق فى الصورة وكذلك « محمد طوسون » ·

ان « المدى » فى لوحات هؤلاء الفنانين دال، أى ليس تجريديا تماما، لهذا حملت لوحاتهم ايحاءات متفاوتة بانتمائها الى موضوع « المنظر الطبيعى » أكثر من انتمائها الى عالم المجردات البحتة ، ففى لوحة « نعيمة الشيشينى » ـ على سبيل المثال ـ يطالعنا ما يشبه الحروف المشبوكة والمتقافزة نحو مجهول ما · ويقوم « اللون » بدور فعال فى فصل المسافات ، وتأكيد الملمس ، فتزداد الحروف الذهبية صلابة ، وتزداد

الخلفية الزرقاء اتساعا . ان حروف الفنانة لا تصف ولكنها توحي ، ورغم صلابتها بالقياس الى خلفيتها الزرقاء فانها تبدو مع حوافها المهشمةوالذائبة في الخلفية مقاومة تلك الصلابة ، كما تقاوم أن تصاغ في « شكل ! » .. وتتجلى لنا تلك الهيئـــة العجيبة ، الجامعة بين الشيء ونقيضه بين الشكل واللاشكل ، بين الصلابة واللين ، في مربع المساحة ، موحية باقتطاعها من فضاء لا حد له ، هو السماء نفسها، ولابد أن يكون موقعنا عندئذ في بؤرة صحن الجامع ، نرفع وجوهنا ابتهالا اليها ، فنرى الدعوات قد جسدت !

لهذا لايجب تطبيق مصـــطلح « التجريد » تطبيقا ميكانيـكيا ، او مدرسيا ، بل يجب ان نضيف اليـــه ما يربطه بملابساته الجسدية . ان هؤلاء الفنانين المصريين الـــذين يستلهمون « الحـــرف » العـــربي تجريديون .. غير ان تجريديتهم لهـا مذاق مصري ، يتناسل من ذاكـــرة تحتفل بالبناء المجسم .

● الرمبرانتية الجديدة

نسـبة الى « رمبرانت » : أول من احتفل – بصورة ناضجة – بالقيمـة التعبيرية للضوء . وليست الرمبرانتية الجديدة أسلوبا فنيا جديدا ، ولكنني أسوق هذا التعبير للايضاح فقـط . وربما تأثر الفنانون الذين سأذكرهم بعد قليل به . المهم انهم يهتمـون – مع اختلاف رؤاهم – بالقيمة التعبيرية للضوء المتحرر من مصـدر ثابت .. فالاشكال المجسدة في لوحاتهم تتلقى او ترسل بعض اجزائها ذلك «الضوء» المجهول الذي يقوم بأكثر من دور . ولابد من سيادة الظـلال الليلية حتى يقوم الضوء بأدواره المتعـددة . من أبرز ممثلي هذا التوجه : احمد نوار . صبري منصور . مصطفى عبد الفتاح – محسن حمزه – محمد شــاكر . وكاتب هذه السطور .

ان ذلك الضـــوء الذي تحرر من « ميكانيكية » الاضاءة الواقعية يقدم لكل فنان ما يتسق مع طبيعتـــه ، فيصبح عند « نوار » قذيفة مقتحمة ، وعند « منصور » همسا فجريا ،ويتسلل الضوء في تجاويف قرية « مصـطفى عبد الفتاح » ، ويصير غلالة تـذوب الاشكال في لوحات « محسن حمزة » ، بينما تلتمع الاجزاء المضـيئة عند « شاكر » باضاءة كشافية مسرحية . واذا كان الضوء بطبيعته كاشــفا للحقيقة فهو عند « عبد الفتاح » غطاء للاسرار . مثير للتساؤل والدهشة ، والقلق أيضا .. بسبب حرصه على أن تنتقل عيوننا باستمرار بين نقاطه الضوئية المنتشرة في كل اتجـاه ، على النقيض من « محسن حمـزة » الذي يحرص على اغرائنا بالتوقف عند وجه انساني محـرف . يولـد من الظلال المعتمة . تتراقص على عينيه وأنفه التماعات شاحبة ، وتنفتـح شفتاه عن همس خاص .. موجـه لنا موح برغبة دفينة في العناق !

● الفن والعمارة

ضم المعرض عددا قليلا من الاعمال، تصنف في معارضنا – عادة – ضمن اطار التصوير . تجمع بين التجسيم النحتي ومسطح اللوحة التصويرية . وربما كان من المفيد ان يجتهد النقـاد المصريون في ابتكار مسميات جـديدة للاجناس الفنية المختلفة ، تضيء لهـا طريق تطـــورها . ان بعض تلك الاعمال يصلح لان يكون واجهـات معمارية ، أمثال لوحة « وفيق المنذر »، و « فرغلي عبد الحفيظ » ، وبعضـها بعد تصميما جديدا لمسطحات معمارية مثل لوحة « عبد الخالق حسين » .. كما توجد في المعرض عديد من اللوحات



الجمعة .. للفنان محمد عبلة ..



تحت هـــذا العنوان أقام اتيليه القاهرة للفنانين والكتاب معرضـــا في المدة من ٩ حتى ٢٢ ديسمبر ١٩٨٨ لاطفال الارض المحتـــلة من سن ٦ سنوات حتى ١٣ سنة . وعلى منضدة في ركن قاعة العرض وضعت كراسات رسم والوان ، ودعـوة للاطفـــال المصريين أن يرسموا .. وان يكتبوا رســـائل فنية . عاطفية . تعلن تضـــامنهم مع اخوتهم في الارض المحتلة .

ما أجمل هذا الحوار وأبلغه !.

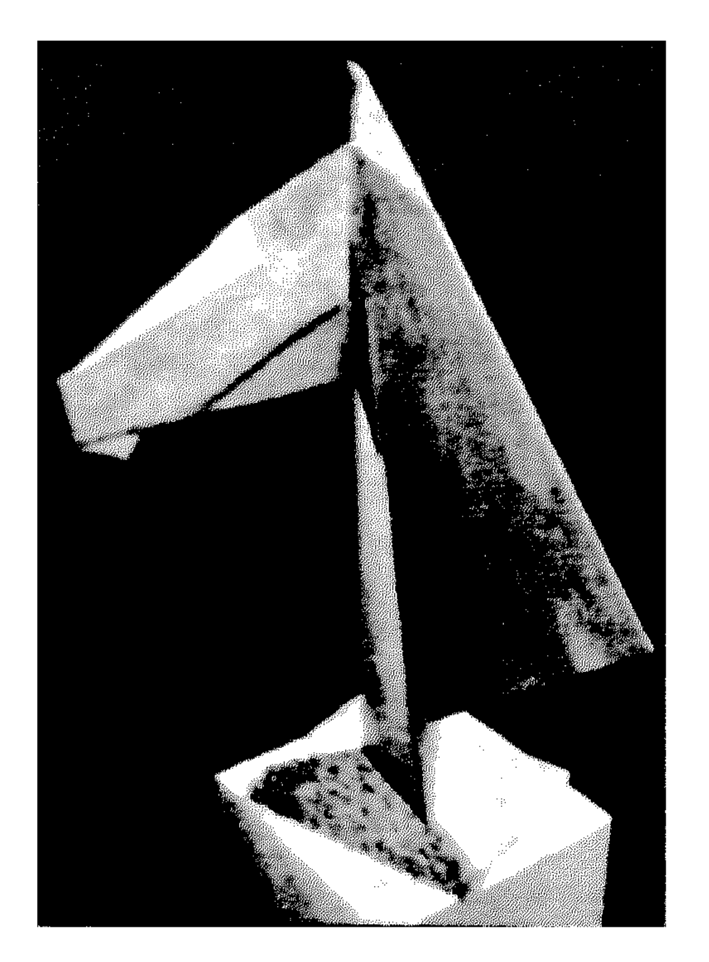
اطفال الارض المحتـــلة يرسمون احتجاجاتهم وتحديهم لقوى القهر ، كما يرسمون في نفس الوقت لوحات تعبر عن أمنيات السلام ، ويرد عليهم بعض الاطفـــال المصريين بالتـــأييد والحب . الذى أدهشني هو ارتفاع

أتمنى أن اراها فوق مسطحات معمارية كبيرة مثل لوحات : محمود عبد الله · أحمد فؤاد سليم· مصطفى عبد المعطى · أحمد نوار · أحمد عبد الكريم · عبد الرحمن النشار ·

● لمحات

● عز الدين حموده : عرض لوحة واحدة ، ورغم انها شوهدت مرات من قبل فانها تجعل متأملها يدرك ان لوحاته التجريبية او تلك التى تقترب من مشارف التجريد لا تقل فى مشقة الاداء عن لوحاته فى موضوع « البورتريه » ذات الطابع الكلاسيكى ، ففى الحالين يحتفل بنفس الدرجة بالتفاصيل التى لا يتقنها غير رسام حاذق ، بالاضافة الى ان لوحاته التجريدية غير مقطوعة الصلة بالواقع المرئى ·

● زينب عبد الحميد : التزمت منذ



راس حصان للفنان محمد رزق

درجة الوعى ، فقد التقط الطفل الفلسطينى بذكاء ثنائية دراما الواقع ·· المتمثلة فى « الحجارة » و « الحمامة » !·· لم يعد للمدافع اثر !·· لا شىء سوى الحجارة ، ولا بأس من البدائل المتاحة كالمقاعد او العصى !·· اما حمامات السلام ، المغسولة باللون الابيض ، فتظهر فى بعض اللوحات محلقة ، تقود المظاهرات ، حاملة بمناقيرها العلم الفلسطينى !





ـ ـوات بعيدة بموضوع واحد هـو زحام الاحياء الشعبية ، غير أن احياءها دائما ترى ، وترسم بمنظور عين الطائر المحرف حتى يبدو الزحام: زحام الخطوط السوداء الدقيقة والمتقاطعة .. زحام العناصر المعمارية فى تداخل منمنماتى !

● عباس شهدى : قدم هذا العام لوحة من افضل اعماله اتسمت بالبساطة والعمق والايحاءات الشعرية ، والالوان الموقورة الرمادية واسلوبها الذى يعكس هضما للاسلوب الاكاديمى والاساليب المعاصرة مما انقذ لوحته من « الحياد » المدرسى ، و« المبالغات» التعبيرية ، فجاءت اشجان قاربه المستقر على الشاطىء والمشدود الى حبل شعبانى ثقيل .. هامسة رقيقة .

● محمد رزق : مصور تجريدى . قدم واحدة من افضل اعماله فى هذا المعرض . تتميز لوحته بحيوية الالوان ، وبراعة اللمسات .. وخاصة تلك اللمسات الخاطفة ، المحملة بالدرجات المضيئة ، وكذلك قدرته على توليد عناصر اللوحة الهندسية والتلقائية .

● محمود عبد الله : على النقيض من الحدة العاصفة التى تتبدى فى لوحة « محمد رزق » نلتقى بلوحتى « محمود عبد الله » بالفتى الرقة بالوانها الـ « بونبونيه » ـ على حد تعبير الفنان « بيكار » ـ واستلهامها للحروف العربية .

● حامد صقر : لوحاته لفتت اليها الانظار لما تتمتع به من اتقان، وصفاء وحوار محسوب بين الاشكال الهندسية: المستقيمة والمقوسة ، ودرجات التظليل المتدرجة والتى تكشف عن براعة فى الرسم .. اراد لها الفنان ألا تتشتت فى استعراض لونى ، فاكتفى بدرجات لون واحد ، وان سمح بالقليل من تسرب درجات خافتة من الوان أخرى .

● النحت

اختفت المفاجآت فى تصوير ونحت هذا العام .. باستثناءات نادرة هى انصراف بعض كبار الفنانين وظهور بعض الوجوه الجديدة .. منهـا : الفنان الشاب « فيصل سيد احمد » تلميذ النحات المعروف « عبد الهادى الوشاحى » . قدم فى المعرض منحوتة ثنائية تضم شكلين انسانيين عاريين واقفين ، يتسمان بالتحريف الرشيق ، والليونة العضوية ، والترابط المتين ، والحوار الذكى بين كتلتى المنحوتتين والفراغات البينية والفراغات المؤطرة، ولاشك أن الفنان قد اختار فى منحوتته المزدوجة طريقا صعبا يستحق عليه الثناء .

● ملاحظة

ان الطابع « السكوني » الذى يطبع معظم لوحات « التصوير » ينتظم فى اطاره معظم الابداعات النحتية . ولو حاولت بنفسك ان تلخص المنحوتات المعروضة الى خطوط مجردة لما وجدت غير السيادة لنوعين من الخطوط : الخط الافقى والرأسى .. يتلوهما بعدة درجات الخطوط المقوسة . أما الخطوط ذات الطابع « الديناميكى » كالخطوط المائلة أو المتكسرة فلا نكاد نلتقى بها فى المعرض . لهذا يندر أن تجد المنحوتة تتحدى الفراغ !..

ان فنانا مثل « صبحى جرجس » ـ على سبيل المثال ـ يعلن صراحة بالقول والفعل ، أى بمنحوتاته الخلية .. أنه يقيم صلحا ، وتوافقـا مع الفراغ .. بل يتمنى ان تذوب كتلة

فيه ويمنح هذا الصلح ـ المختار ـ منحوتاته هشاشة ، تزداد بمصاحبة كائناته الانسانية ·· الفطـرية ·· الورقية ·

● لمحات

● محمد سـيد توفيق : تتسم منحـوتاته بالاقتصـاد البليـغ ، والدراسة المتأنية ، المتقنة ، لحـركة النور والظل ، الهمسية ، فى معظم الاحوال ·· خاصة فى مجموعتـه المستلهمة من الخرط العربى ·

● سمير ناشد : لا يكتفى بانزلاق الفراغ الخارجى كما يفعل « محمـد توفيق » بل يتوغل فى كثيـر من الاحيان بالفراغ داخل المنحـوتة ، دافعا للكتلة نبضـا أكثر حـرارة ، ويشـترك مع « توفيق » فى بلاغة الايجاز ، وتعد منحوتته المستلهمة من كلمة « لا » من أجمـل منحوتات المعرض ·

● عبد الهادى الوشاحى : علاقة منحوتاته بالفراغ علاقة متوترة !··· فمنحوتاته حادة التكوين · طائرة فى كثير من الاحيان · لا تعرف ليـونة لاستدارات · ومنحوتته فى المعرض تمثل كيـانين انسانيين يـكادان أن ينفلتا من جاذبية الارض ·· لا فى رقصة حالمة بل فى انتفاضة عصبية تنقل عدواه الى المشاهد !

● صالح رضـا : يشـارك «الوشاحى» رفضه للطابع السكونى ، وان اتسمت حركيته بطابع مشرق ·· غنائى · وتدفق تلقـائى واستلهام الخرط العربى وايمـاءات الحروف العربيه ·

● فنان كل عام

عودنا الفنان « رمزى مصطفى » أن ننتظر منه الجديد كل عام،ويكاد يكون الفنان الوحيد الذى يقـدم فى المعرض السنوى ما يثير اليه الانتباه ·· والسرور ·· فأعماله تعد عروضا فنية خاصة ذات طـابع مشرق ·· كاريكاتيرى ·· وقدم لنا هذا العام أسرة ريفية تركب عجلة وتحملمعها التليفزيون الملون ·· وعلى الرغم من اسـتمتاعنا واستمتاع جمهـور المشاهدين بهذا المعرض الفنى المرح فاننا نشفق على الفنان ونتساءل عن الكيفية التى يحتفظ بها بتلك الاعمال اذا لم يشترها أحد !··

● تحية وداع

وقبل أن أغـادر أوراق المعرض العام احب ان اتوقف دامعا للغيـاب المفاجىء لاحد اعلام النحت المعـاصر هو الفنـان المرحوم « صـلاح عبد الكريم » ·· وأذكر اننى كنت اتابع بشغف تركيبا بالحديد المخردة كان يشكل به شكل سمكة متوحشة · كان هذا عام ١٩٥٨ وكان قد عـاد وشيكا من بعثتـه الى فرنسـا وايطاليا ·

ولم يكن يريد لسمكته تلك الا ان توضع فى غرفة الاستقبال بمنزلة ، واذا بالناقد والفنان « بيكار » يلمحها فانبهر بها ، ولم يكتفبالاعجـاب بل دفعه الى الاشتراك بها فى بينالى « ساو باولو » ·· وفوجىء الجميع بما فيهم الفنان نفسه بأنه الفـائز بالجائزة الاولى ·· فى الوقت الذى كانت فيه خامة الحديد فى مصـر غير معترف بها كخامة للنحت !·· وواصل انتصاراته الدولية والمحليـة مؤيدا بتشـجيع أول من وقف الى جواره أستاذه واستاذنا الفنـان الكبير « حسين بيكار » ·· ويفتح « صلاح عبد الكريم » الطريق أمام العديد من الفنانين فى مصر والعالم العربى لاستخلاص حكمة الحديد !

وفى لقـاء من لقاءاتى الاولى به قال ضاحكا : لقـد صرت نحـاتا بالمصادفة !

يوسف القعيد
يكتب من
بلاد الشام

احدى بوابات دمشق القديمة

دمشق الأزل بين الجد والهزل

●● والعنوان ليس من عندى ، انه مأخوذ من الاصل والأساس من عنوان مسرحية الكاتب والمخرج المسرحى العربى العراقى : قاسم محمد : "بغداد الأزل بين الجد والهزل" . وهى مسرحية تراثية ، تعيد خلق بغداد منذ كانت ، من خلال كتب التراث .

كانت زيارتى لدمشق هى الثانية ، منذ احدى عشر عاما بالضبط ، زرت دمشق ، وفي كلا الزيارتين لم يتعد الأمر مدينة دمشق وعزائى الوحيد ، ان الناس ، هناك ، تطلق على دمشق تعبير الشام ، مثلما نسمى نحن ، هنا ، القاهرة ، مصر كلها وفعلا من يزور دمشق ، يكون قد زار الشام كله ●●

والتشابهات تتعدى أخلاق الشام على دمشق ومصر على القاهرة ، فقد اكتشفت وسمعت فى الاحياء الشعبية الدمشقية هذه المرة ، تعبير بر الشام . وتذكرت على الفور الكلمة شديدة الخصوصية التى نقولها عن بر مصر . وهى الكلمة التى تثبت عدم وجود اى مرادف آخر لها فى كل لغات العالم .

وعندما يزور الانسان مدينة ما للمرة الأولى ، فإنه يبدو مشغولا بطقوس التعارف وتقديم النفس ، وبذر بذور الحب الأولى . ولكنه فى الزيارة الثانية



دمشق الأزل
بين الجد والهزل

يشقى نفسه كل لحظة بالمقارنات بين الأمس الذى كان . واليوم الذى هو كائن ، يسأل نفسه : كيف كانت المدينة وكيف أصبحت ؟

على ان السؤال كان سؤالين بالنسبة لى . سؤال أول عن صراع الأمس واليوم فى حياة دمشق وسؤال ثان عن القاهرة ودمشق ، ذلك ان اوجه التشابه بين العاصمتين لا يسكن خانة الماضى فقط . ولكن هذا التشابه ممتد ومستمر حتى زمننا الحاضر ..

وهكذا قضيت اسبوعا في دمشق ، أرى فأعود الى الذاكرة مرة اسأل عن ماضى المدينة كيف كان ومرة اخرى أعود الى قاهرتى ويبدأ سيل المقارنات التى لا تنتهى .

□ باب فى الاشتقاق □

يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان " إن دمشق قد سميت بهذا الاسم لأن الناس دمشقوا فى بنائها ، اى اسرعوا وتعجلوا ، ويقال طبية دمشق ، بمعنى طبية سريعة . أما أصل لفظ الشام . فيعود الى نوع من الغزل فى المنطقة كلها عندما قيل انها تبدو مثل شامة على خد السماء .

الاراميون عندما سكنوا دمشق اسموها دار ميسق . بمعنى الدار المسقية أو المروية . وعندما احتلها اليونانيون والرومانيون سميت "داماسكس" وهو نفس الاسم الذى يطلقه الاوربيون اليوم عليها ، كما كانت تدعى جلق ..

□ فذلكة تاريخية □

يختلف المؤرخون في تحديد تاريخ بناء دمشق . البعض يقول انها بنيت عام ١١٩ قبل الميلاد ، والبعض الآخر يرى انها تأسست عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وهناك من يقول بان سيدنا ابراهيم الخليل ، عليه السلام قد ولد قبل بنائها بخمس سنوات كما ورد فى معجم البلدان .

وان كان هناك من يذهب الى ان الفضل فى بنائها يرجع الى جيرود بن سعد بن عاد بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام . ولكن هناك من يقول ان اليونانيين هم الذين بنوها وذلك بفضل معرفتهم بحركات الكواكب وحسن اختيارهم لموقعها ، فقالوا بانهم "وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارنتها . وبنوا دمشق فى طالع سعيد ، واختاروا هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين" .

وكثير من المؤرخين يعتبرون دمشق اقدم عواصم العالم كله الآن ، فقد ظلت تحتفظ بدورها كعاصمة منذ اقامتها وحتى لحظة كتابة هذه الاسطر . ذلك انه حدثت تغييرات عديدة فى مواقع العواصم التى سبقتها . الا دمشق ظلت هى العاصمة منذ انشائها وحتى الآن .

والناس فى دمشق تحكى عنها ما يصل الى حدود الاساطير . هناك من يقولون ان آدم نزل الى جوارها . وانه فيها قتل قابيل اخاه هابيل . وان اول



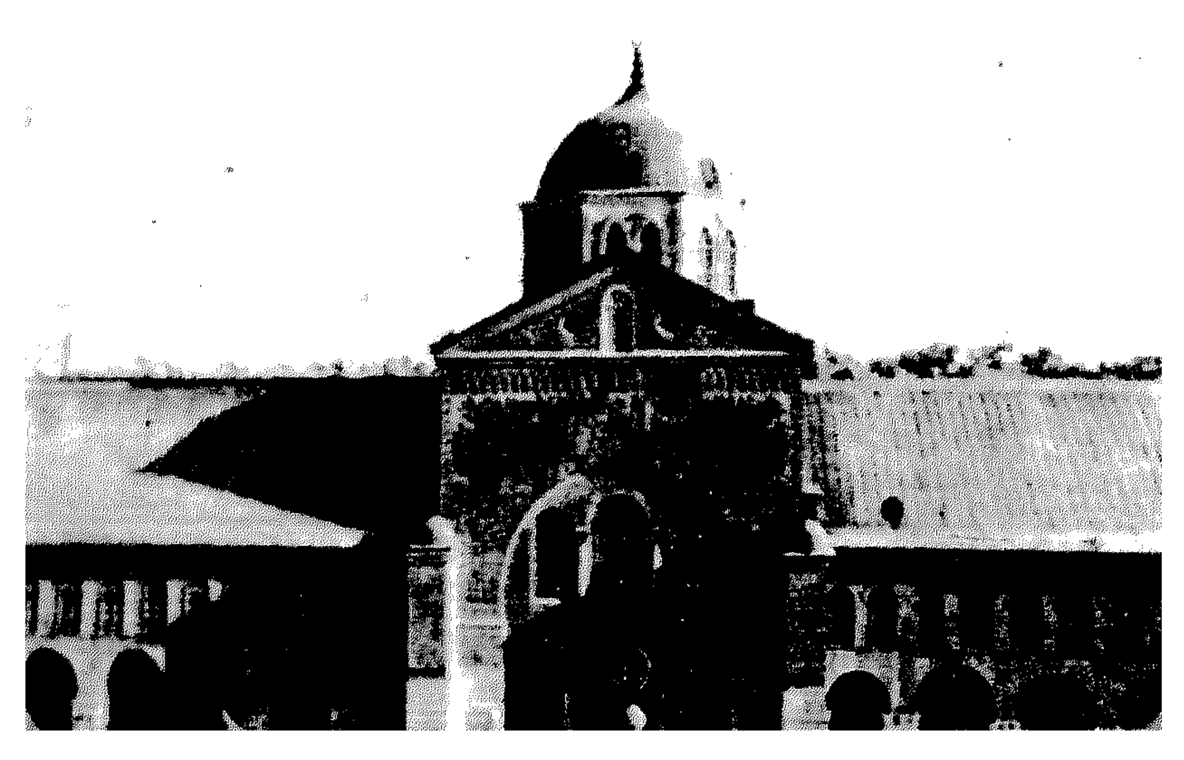
دمشق .. وجه القرن التاسع عشر .. الصورة محفوظة في جامعة هارفارد

جدار بني بعد طوفان نوح بني فيها ، وان سيدنا ابراهيم ولد بعد بنائها بخمس سنوات . وان نبي الله موسى عندما خرج من مصر على رأس شعبه سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد اتجه اليها .

ان هناك حالة من الربط بين قصة الكون ونشأة الحياة وبناء دمشق ، وقد يقود هذا الى الاساطير القديمة . والاسطورة تعبير عن حالة من العشق لهذه المدينة . تحاول ان ترفعها بعيداً عن حدود الواقع الذى تراه كل يوم . الاسطورة في هذه الحالة لبست ضروبا

ـ المسجد الاموى .. واجهة دمشق





ـ اثار رومانية قديمة .. مجـــاورة للعمارة الاسلامية الحديثة

دمشق الأزل
بين الجد والهزل

ولكنها محاولة لتجميل وجه الواقع كثيرا .

□ سكانها القدامى □

في دمشق الكثير جدا من اضرحة الصحابة رضوان الله عليهم ، فيها قبر يقال انه لأم عاتكة اخت الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما . وبها قبر بلال بن رباح وكعب الاحبار ، وثلاث من زوجات النبى عليه الصلاة والسلام ، وقبر فضة جارية السيدة فاطمة رضى الله عنها .

هناك ايضا ، وفي الناحية الشمالية من المسجد الأموى ، يوجد قبر محرر القدس ، البطل الاسلامى العظيم صلاح الدين الايوبى ، وقبر معاوية بن ابى سفيان ، ونور الدين محمود .

غير انى حزنت كثيرا . لأننى عرفت ، بعد العودة الى القاهرة فقط ، ان الظاهر بيبرس مدفون في دمشق ايضا . وانا تربطنى بالظاهر بيبرس صلة من نوع خاص . فهو الذى بنى قرية الضهرية ، التى ولدت فيها ، وعشت فيها سنوات عمرى العشرين الأولى . وقد بنى الظاهربيبرس سبع قرى تحمل اسم الضهرية . بعضها في مصر والآخر في الوطن العربى . وقد اهتديت حتى الآن الى اربعة منها . ثلاثة في مصر . والرابعة في فلسطين المحتلة . حزنت لأننى قضيت سبعة ايام في المدينة التى ينام فيها الرجل الذى بنى قريتى ، دون ان ازور قبره واقرأ له الفاتحة . باسم خمسين الف فلاح مصرى هم كل سكان قريتى الضهرية ..

□ شواهد الماضى □

دخل العرب دمشق بقيادة ابى عبيدة بعد معركة اليرموك عام ٦٣٥ ميلادية . وصارت من اهم المدن الاسلامية ابان الحكم الاموى ٦٦١ - ٧٥٠ م . ومن اهم اثارها المسجد الاموى الذى كان في الاصل كنيسة شيدها الامبراطور ثيودورسيوس الأول سنة ٣٧٥ ميلادية .

والدمشقيون يقولون ان المسجد الاموى هو اكبر مسجد بني على الارض قاطبة حتى الآن . وقد زرت هذا المسجد مرتين . الأولى لحظة انتصاف الليل والاخرى لحظة انتصاف النهار . في الزيارة الأولى كان معي محمد امين ابو الشامات محافظ دمشق صديقي القديم . وزميل رحلتى الى كوريا الشمالية منذ عامين .

والمسجد الاموى بنى في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك ، الذى جلب من اجل اتمامه ١٢ ألف عامل ، واكتمل بناؤه بعد عشر سنوات ، وبلغ ما انفق عليه احد عشر مليونا من الدنانير ، في تلك الايام التى كان الدينار فيها يساوى الكثير جدا .

وتبلغ مساحة الجامع ١٥٫٧٠٠ متر مربع ومساحة الحرم ذاته ٥٠٢٢ متراً . وقد تعرض لاكثر من حريق . اشهرها الحريق الذى تعرض له خلال هجوم تيمور لنك على دمشق وذلك سنة ٧٤٠ هجرية .

وفيها قلعة دمشق التى بنيت فى أول العصر السلجوقى . ثم اعاد بناءها الملك العادل شقيق صلاح الدين من جديد سنة ٦١٥ هـ . وفى القلعة ١٢ برجا يبعد كل منها عن الآخر ثلاثين متراً .

وهناك بيت المال ، الموجود فى وسط صحن المسجد الاموى . وهو مغطى بالفسيفساء وكانت تحفظ فيه اموال الدولة التى تجبى من الزكاة ، كما كان يحفظ فيه مال اليتامى .

ومن منشآت دمشق البيمارستان ، الذى شيده السلطان نور الدين زنكى فى القرن السادس الهجرى ، وهو يحتوى على اربعة إيوانات خصص كل واحد منها لعلاج مرض معين .

□ مصر الشام □

يقول المقدسى عن دمشق فى القرن الرابع الهجرى :

ـ دمشق هى مصر الشام ، وهو بلد فرقته الانهار ، واحدقت به الاشجار ، وكثر بها التجار مع رخص الاسعار . لا ترى احسن من حماماتها ولا احزم من أهلها .

ويكتب الرحالة الشهير ابن جبير عنها :

ـ دمشق هى جنة المشرق .

ويقولون انه كان لدمشق سبعة ابواب ـ تعجبت لأن للقاهرة نفس العدد من الابواب ـ وان هذه الابواب كانت جزءا من سور دمشق القديم ، الذى كان يحيط بها منذ ١٥٠٠ سنة ولكن لم يبق من هذه الابواب السبعة سوى ثلاثة ابواب فقط هى : باب توما وباب مشرقى وباب السلام . وبالقرب من باب توما عدد من الكنائس القديمة منها كنيسة حنانيا والقديس بولس

ونهر بردى يتحول عند دمشق الى مجموعة من الانهار الصغيرة ، يجعل بعض الاجزاء منها اجمل الف مرة من فينسيا نفسها ونهر النيل يفعل نفس الشىء مع القاهرة ، فهو يتحول الى عدد من الافرع وان كان عددها اقل بكثير من عدد افرع بردى . ويقال ان عدد افرع بردى كان سبعة فقط فى الزمان القديم .

وفى دمشق سوق قديمة . مثل سوق الموسكى فى مصر هو سوق الحميدية . وهناك لافتة معلقة فى أول السوق ، فيها جزء من بيت شعر لأمير الشعراء احمد شوقى . يلخص فيه مجد دمشق . يقول :

ـ وعز الشرق اوله دمشق .

وكما نجد فى القاهرة قلعة عظيمة . فى دمشق قلعة ونفس الحال . فكما ان القاهرة مسكونة بالراحلين العظام . منقوشة فى مكان بآثار الماضى الجميل ، فدمشق تعانى من زحام هذا الماضى ، فى كل مكان من دمشق ، تجد من يقول لك قف . هنا مجد الماضى الذى كان فى يوم من الأيام .

على ان الدور الذى لعبته القاهرة ودمشق من اجل الدفاع عن الحضارة العربية والاسلامية لابد وان تضاف لهما فيه مدينة اخرى هى بغداد ..

□ مدن ثلاث □

والتاريخ لا يعتمد على الصدفة أبدا ..

عندما كانت الحضارة العربية



والاسلامية في مجدها . في زمن المد والتقدم . تناوبت العواصم الثلاث . قيادة الامة العربية . انتقل الحكم من هذه المدينة الى تلك بصورة فريدة .

وعندما بدأ الجزر في الحضارة العربية . وجاء ما يقول عنه المؤرخون وعلماء الاجتماع زمن الانحطاط . قامت المدن الثلاث بالدفاع عن آخر ما تبقى من الحضارة . حيث كان الابقاء على الثقافة والفكر والفن والآثار هو خط الدفاع الاخير عن الضمير العربي والعقل الاسلامي معاً .

بل ان هذه المدن حاربت معاركها كلها باعتبارها معركة واحدة . هبت دمشق لتدفع الغزاة عن بغداد . ووقفت القاهرة لتصد الغزاة مرة عن بغداد واخرى عن دمشق . بل ان القاهرة كانت تخوض المعارك دفاعا عن أمنها شمال دمشق . ذلك ان المدن الثلاث . ومن

ـ علماء العرب .. متناثرون بتماثيلهم النصفية في حدائق دمشق

- النقش بالصدف .. احدى الحرف الدمشقية المشهورة

- صورة لاحد المساجد التى تميز الوجه الاسلامى لدمشق!

دمشق الأزل
بين الجد والهزل

كانوا يقودونها ادركوا ان المصير واحد والعدو واحد . والخطر ايضا واحد .

وفى زمن الاحتلال الاستعمارى الغربى تحولت المدن الثلاث الى مراكز للمقاومة والكفاح ضد المستعمر . دافعت القاهرة عن دمشق وبغداد قبل ان تدافع عن مصر . وسارت المظاهرات فى دمشق احتجاجا على ما يجرى فى القاهرة . ووقفت بغداد لأن ما اصاب القاهرة ودمشق سبب حالة من الالم . كانت المدن الثلاث تخط ـ دون ان تدرى ـ الكلمات الأولى فى سجل الحس القومى والانتماء القومى ، حتى قبل ان تتخلق هذه الكلمات وتتحدد معانيها بالصورة التى عرفناها فيما بعد .

وجاء حلم الوحدة ، الترجمة الدقيقة والحرفية ، لكل تراث الماضى . وغنى المغنى ان الوحدة لن يغلبها غلاب . وقالت المطربة انه من الموسكى الى سوق الحميدية ، ستعرف الطريق من غير دليل . لكن الغلاب غلب مشروع الوحدة . ومازال يحاول ان يطارد الحلم فى كل ارجاء الوطن العربى ..

لكن ثبت ان العدو الواحد قادر على ان يوحد العرب . فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ . كان الخندق واحداً . والخطر واحداً . ولذلك دافع العرب جميعا عن السويس والجولان . ووقفوا حول القاهرة ودمشق . وستبقى هذه الحرب العظيمة آخر رمق فى حياة مشروع الوحدة الذى لابد من ان تعود اليه من يوم لآخر .

□ الخطـــر □

زرت دمشق لحضور مهرجان دمشق المسرحى الثانى عشر . وتجولت فى مكتباتها . وشاهدت المدينة جيدا فى هذه الرحلة اكثر من الرحلة الأولى .

ليس هذا مكان الكتابة المتوسعة عن المهرجان . ولكن يمكن القول بصورة عامة ان المهرجان اثبت لى اننا ندخل عصـرا ، يتــراجــع فيــه المؤلف المسـرحى . ويدخـل الى الساحـة المخرج المسرحى . الذى يصبح فى بعض الأحيان كاتب العمل . وصاحب العرض كله . وفى هذا خطر حقيقى على النص المسرحى بمعناه الذى عرفناه به . اخشى ان ندخل الى عصر يصبح النص المسرحى فيه مجرد هيكل أو خطة عامة للعرض المسرحى . اكثر من كونه نصا أدبيا ..

ايضـا ادركت ان التجريب فى المسرح العربى يعانى من حالة غربة حقيقية ، التجريب وجبة يقوم بها المثقفـون وهم الذين يتعـاطونهـا ويتعاملون معها بعيدا عن الجماهير الحقيقية . وربما يكون هذا مطلوبا فى بعض الاحيان ولكن استمراره يخلق لدينا مسـرحين . مسرح تجـريبى للمثقفين ومسرح عام لكل الناس وهذه الثنائية والازدواجية بالغة الخطورة على مستقبل المسرح العربى .

قال لى وزير الاعلام السورى محمد سليمـان ، ان كتب نجيب محفوظ موجودة فى كل مكان . وان هناك

تعليقين على نوبل نجيب محفوظ ، نشرا فى الصحف السورية لا يعبران عن رأى الحكومة السورية ولو كانت هناك علاقات رسمية بين البلدين لأرسل الرئيس حافظ الأسد برقية تهنئة له .

قلت للوزير :

- ولكن يحسب للقاهرة اننا هنا . فى حين ان هناك العديد من القيود على سفر السوريين الى القاهرة .

فى مكتبات دمشق يبدو ان ثمة ازمة فى استيراد الورق . ولذلك جرى تقليص الصادر من الكتب . فالاستيراد يعانى من ازمة السيولة النقدية للعملات الصعبة . ولكن القليل الذى ينشر ليقول انه هنا توجد حضارة ثقافية عظيمة .

وجدت اعمال نجيب محفوظ فى المكتبات ولكن كما توقع نجيب نفسه قبل ان اسافر الى دمشق ، وجدت الاعمال المطبوعة فى بيروت فقط . ولكن اعمال القاهرة لم اجدها أى وجدت الاعمال "المزورة والمسروقة" حسب تعبير نجيب محفوظ نفسه .

على ان مشكلة نقص الورق فى سوق النشر السورى جعلت الكفة تصبح اكثر رجحانا لصالح سوق النشر اللبنانى . فبدلا من ان يلعب النشر السورى دوره فى تنوير النشر اللبنانى وتثويره . اذ بالناشر اللبنانى يحاول ان يجرى عملية لبننة للكتاب السورى . وهذا الوضع مرتبط بحدود الأزمة ..

على ان تطوير مدينة دمشق واغراقها بالعديد من الكبارى العلوية . واختفاء معظم المقاهى من شوارعها يمثل خطرا حقيقيا على روح المدينة .

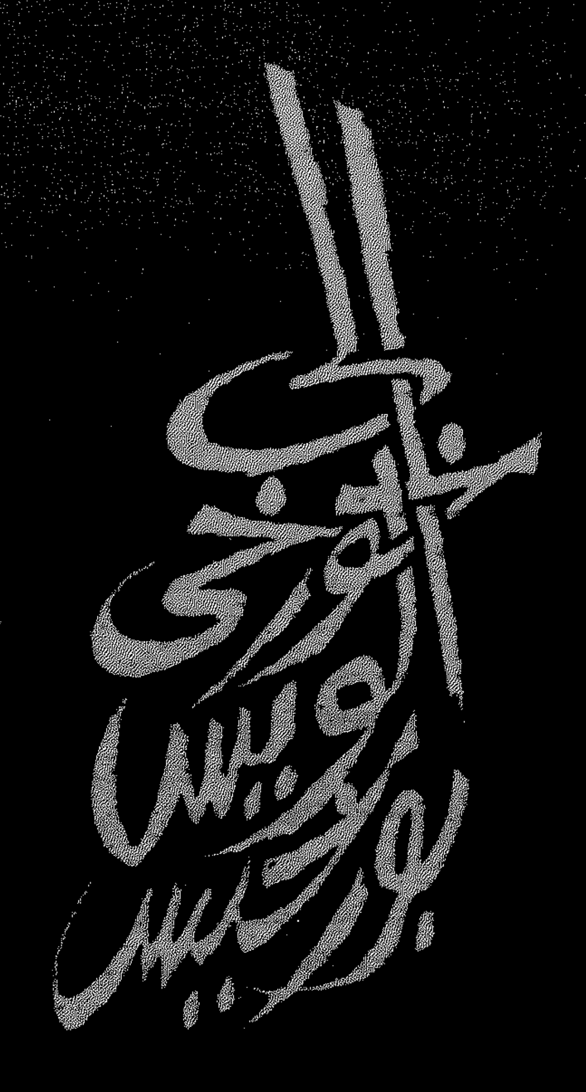
وهو نفس الخطر الذى سيهدد قلب القاهرة القديمة ايضا وبنفس المقدمات تقريبا .

وان كانت هناك حالة من تدارك هذا الخطر ، يقودها الآن محافظ دمشق الشاب محمد امين ابو الشامات حيث يقوم بعملية نبيلة وجسورة من اجل الحفاظ على روح المدينة . ولكن الجهد الحكومى فى هذه الأمور . يبقى محدوداً مالم يصاحبه جهد من كل الناس . وادراك حقيقى ، لأن من ليس له قديم لن يكون له جديد أبداً . وان الحفاظ على دمشق القديمة . هو نوع من الدفاع الذاتى ضد محاولات التغريب والغزو الثقافى القادم من الخارج .

لابد من الحفاظ على الاسواق القديمة والبيوت الدمشقية العتيقة ، وتلك مسألة لا تقل اهمية عن تحديث دمشق . بل ان التحديث يصبح لا معنى له أبداً . مالم يبدأ بالحفاظ على القديم أولا . وترميم القائم فعلا . ثم تأتى المزاوجة مع الجديد الذى يكتسب شرعية وجوده من كونه يصبح ابنا لهذا القديم . بل وجزءا منه .

ذلك ان العراقة لا تباع ، والماضى لا يشترى ، والتاريخ ليس معروضا فى الاسواق . وفى الوقت الذى يعانى فيه البعض - مثل امريكا - من الجوع للحضارة . والبحث عن الاصالة . لدينا نحن زحام رهيب منها . وان كنا لم نعرف بعد كيف نستفيد من هذا القديم .

ذلك هو مكمن الخطر كله ..



اعمى ، لكنك تبصر فى عين الكلمات
تتعرى باللمس المرآة
ورفوف الكتب الغرقى بالنور
ونار اللوحات .
تبصر – ماخلف الباب
ووراء قناع الاسطورة –
مدنا تحت الشمس تموت
فرسا فى غابة عباد الشمس جموح
نهرا ينبع من جبل مسحور
ثوبا يصطاد غزالة
كانت جارية فى قصر الواثق بالله
كانت نافورة
فى ازمان اخرى ، فى قصر الحمراء .
اعمى لكنك تبصر
وجهى الاخر تحت قناع الموت
وضياعى فى ملكوت المنفى :
من منا الاعمى
فى سجن الحرية ؟
يبكى تحت الاسوار الحجرية ؟
ويموت وحيدا فى الغربة
محكوما بشروط اللعبة

١٩٨٤

عبد الوهاب البياتي



الضابط الصعيدى موريس فى أوربا

بقلم
د. وليم سليمان قلادة

قد يكون من المعتاد أن يجرى البحث عن اثار الحضارة المصرية فى المتاحف والمعابد والمقابر القديمة، ولكن الحقيقة هى أن المصريين ساهموا بدور أساسى فى الثقافة العالمية - ومازال تأثيرهم حيا مستمرا حتى اليوم، فى مختلف المجالات، أبعد مدى من الحدود الجغرافية لبلادهم.

وغالبا ما تحجب عوامل كثيرة الوعى بهذا الدور: مثلا المشاكل اليومية الحادة التى تستغرق كيان البشر، أو المحاولات النشطة لتحجيم الدور المصرى الآن - فيكون من الملائم أن تغمر انجازات المصريين التاريخية إن لم يكن بالانكار، فعلى الأقل بالاهمال والنسيان.

على أن أشد العوامل فتكا بالوعى بهذا الدور - هو جهل المصريين أنفسهم به.

وعلى سبيل المثال - هل يعرف المصريون أن بعضا من أرقى مدن أوربا أطلق عليها اسم واحد من أبناء مصر "الصعايدة" الأمجاد..

وأن الخاتم الرسمى لبعض المقاطعات السويسرية نقش عليه رسم ثلاثة من هؤلاء - أبناء منطقة طيبة، محافظة قنا حاليا.. وأن ذكرى بعض هؤلاء تعتبر هناك من الأعياد الرسمية..

وأن مصرية عاشت فى وسط أوربا، وجسدها مدفون فى إحدى كنائسها - يرسمون صورتها وفى يدها ابريق ماء وفى الأخرى "المشط" الذى تستخدمه المصريات منذ العصر الفرعونى، يرسمونها على هذا النحو تخليدا للدور الذى قامت به هذه المصرية فى العناية بالمرضى فى هذه المناطق - وفى تعليم أهلها النظافة، منذ أكثر من خمسة عشر قرنا.

وأن مئات الكاتدرائيات والكنائس والأديرة والهياكل والمنشآت المتنوعة - تحمل أسماء مواطنينا الكرام ابناء طيبة العظيمة..

هذه هى قصة "الكتيبة الطيبية" The Theban legion - la legion Thebaine التى كانت فى القرن الثالث الميلادى جزءا من الجيش الرومانى الكبير .. فقد كان على رأس الامبراطورية وقتئذ دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) يعاونه مكسيميا نوس (٢٨٥ - ٣٠٥م) وكونا جيشهما من كل الشعوب الخاضعة لسلطانهما ، فكانت فيه كتيبة من شباب مدينة طيبة - الأقصر حاليا ، مكونة من ٦٦٠٠ جندى مسيحى .

وصدرت الأوامر بارتحالها من مصر الى أوربا لمساعدة مكسيميانوس فى حروبه بإقليم غاليا (فرنسا) .

وكان من المعتاد أن تقدم العبادة للآلهة الوثنية قبل بدء المعارك - وهكذا صدر الأمر للكتيبة المصرية أن تشارك فى تقديم البخور فى هذه العبادة . ولكن جنود الكتيبة رفضوا معلنين انهم وإن كانوا يؤدون واجباتهم للدولة ، فهم مسيحيون لايعبدون إلا الاله الحقيقى رب السماء والأرض .

وإزاء هذا الموقف امر الأمبراطور بأن تقف الكتيبة صفوفا ، وفى كل صف ، وبعد كل تسعة جنود ، يجلد العاشر ثم تقطع رأسه . ولكن الباقين ازدادوا إصرارا على مسيحيتهم ، فأمر الأمبراطور بتكرار جلد العاشر وقتله .

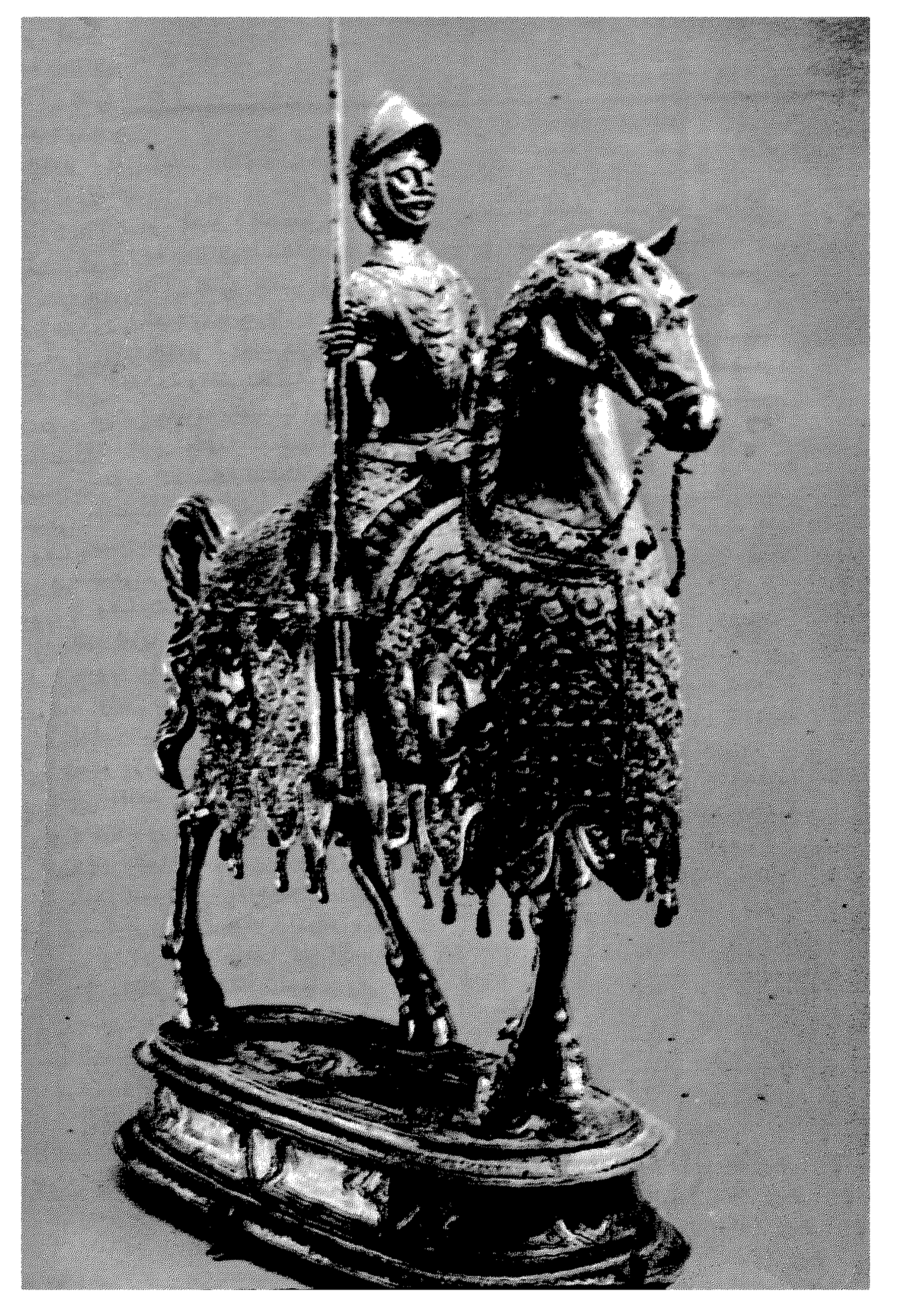
أما قائد الكتيبة الضابط الصعيدى "موريس" والضباط زملاؤه فكانوا يشجعون جندهم أن يثبتوا على إيمانهم

وحينئذ أصدر الأمبراطور أمرا بقتل جميع أفراد الكتيبة حيثما تكون معسكراتها . حدث هذا فى السنوات الأخيرة من القرن الثالث الميلادى .

يقول الأب بول دورليان مؤلف كتاب "قديسو مصر" : « هكذا استشهد البعض فى آجون بسويسرا ، والبعض فى آجوليا بشمال إيطاليا، وغيرهم فى تريف (على نهر الموزيل بين فرنسا وبلجيكا) .. فكانت مذبحة هائلة ومجزرة همجية فظيعة - تناثرت فيها أشلاء المصريين فوق وادى آجون وارتوت أرضه بدمائهم » (P.d'Or-'le ans, Les Sainto d'egypte, Jerusalem, gentll, نقلا عن ايريس حبيب المصرى ، قصة الكنيسة القبطية ، الجزء الأول ، ص ١٣٣)

وتخليدا لذكرى هذا الموقف العظيم ، غير سكان الوادى اسم مدينة آجون وأطلقوا عليها اسم قائد الكتيبة المصرى فصار اسمها حتى اليوم "سان موريس" فى مقاطعة فاليه Saint maurice envvalais واقيمت بها فى منتصف القرن الرابع كنيسة - ذكرتها المخطوطة التى سجلت وقائع الاستشهاد ، وأظهرت اثارها الحفائر التى أجريت فى الموقع .

ولقد كان استشهاد الجنود المصريين ، وما صاحبه من شجاعة وصمود ورجولة - هذا كله كان يملأ المشاهدين إعجابا بهم وتقديرا لهم ، وكان يدفعهم للتساؤل عن سر هذه العظمة ، وهكذا بدأ تحول سكان هذه



المناطق من الوثنية الى المسيحية . وارتبطت أسماء العديد من أفراد الكتيبة بمختلف المدن والقرى - وفي مقدمتهم القائد موريس ، الذى اطلق اسمه على مدينتين ، الأولى سبق ذكرها والثانية "سان موريتـز" (بالنطق الالمانى) فى مقاطعة انجاندين ، وأقيم له تمثال فى ميدان كبير بها .

فيرينا - من بلدة جرجوز مركز قوص ، محافظـة قنا

وتعتبر فيرينـا - المصريـة الطيبية ، واحدة من أكثر القديسات شعبية فى سويسرا وجنوب المانيا - وذلك بسبب ما تم على يديها من أعمال الشفقة والمحبة وما أجرته من معجزات ، ولأنها ساهمت فى تحـويـل سكـان المنطقـة الى المسيحية .

ولقدكانت فيرينا ابنة لعائلة متميزة فى طيبة وعهد بها والدها الى الاسقف خيرمون الذى عمدها وعلمها . ولقد كان معتادا وقتئذ أن يصاحب المجندين فى ارتحالهم - بعض من أفراد أسرهم لخدمتهم : مثل الامهات والزوجات والأخوات .. وهكـذا صحبت فيرينـا الكتيبة الطيبية وهى تذهب الى أوربا . وبقيت فى ميلان مع القسم الذى عسكر من الكتيبة فيها .

وحين سمعت باستشهاد إخوتها وبلدياتها الذين صحبتهم من مصر - عبرت جبال الألب الى أجونوم . وظلت هنـاك تـواصـل الصـوم والصلاة . ثم آوت الى مغارة لتتعبد فيها وتعيش من شغل يديها . وفى نفس الوقت كانت تعنى بالمرضى وتعلم الفتيات السلوك الصحى والنظافة . وتهتم بالفقراء ، وتغسل جروح البرص وتدهنها بالأدوية . وتمت على يديها بمعونة الله معجزات كثيرة جعلت الجماهير تنجذب نحوها وتحبها وتستجيب لتعليمها .

ولعل أعجب مايرتبط بهذه الفتاة المصرية ، ويجعل صلتها بوطنها الأصلى ماثلة دوما أمام الشعوب التى تعتز بذكراها - هو صورتها المتداولة شعبيا فى تلك البلاد . ففيها تظهر فيرينا ممسكة فى يدها اليسرى بمشط مزدوج مماثل لما تستعمله المصريات منذ العهد الفرعونى وحتى اليوم . ويحتفظ المتحف المصرى والمتحف القبطى بنماذج له . وكانت تعلم به النساء العناية بشعرهن . ولها صـورة ممسكة بالمشط ويتدلى شعرها مضفرا بنفس طريقة نساء الريف المصرى حتى اليوم .

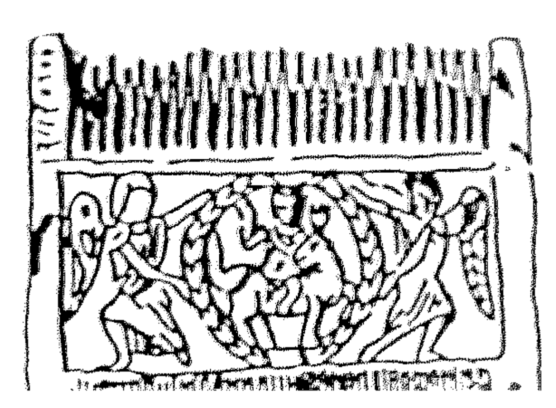
أما يدها اليمنى ففيها ابريق ماء للغسيل ، والصورة تعبر عن جهدها



ـ نموذج لأحد الأختام الرسمية لمدينة زيوريخ

ـ نقش الشهيدين وهما يحملان رأسيهما بيديهما ..





فى العناية بالمرضى وغسل جروحهم . ومازال اسمها من أكثر الأسماء شعبية وتسمى به الفتيات فى الجزء الألمانى من سويسرا حتى اليوم .

ولقد أقيمت على المكان الذى كانت تقيم فيه كنيسة حفظ فيها جسدها . ومنذ ذلك الوقت تعتبر هذه البقعة من أحب الاماكن التى يحج اليها الناس من سويسرا وبرجنديا والألزاس والغابة السوداء . ومن العسير بيان الكنائس التى بنيت على اسم هذه القديسة الشعبية ـ فهناك أكثر من مائة كنيسة باسمها فى مختلف المقاطعات السويسرية .

الأختام الرسمية لمدينة زيوريخ

يصور النقش الذى حفر فى ختم برلمان مقاطعة زيوريخ ، وكذا ختم حكومتها ـ يصور هذا النقش ثلاثة أشخاص بلا رءوس ، ولكن كل واحد منهم يحمل راسه على يديه .

فما هو أصل هذا النقش الغريب ؟

تسجل المخطوطات والتقاليد التاريخية ، أن ثلاثة من أفراد الكتيبة الطيبية ـ فيلكس وأخته ريجولا واكسبرانتيوس ـ كانوا فى موقع على ضفاف بحيرة زيوريخ ، فقبض عليهم .

واعترفوا بانتمائهم الى الكتيبة الطيبية والى قائدها موريس ورفاقه الذين أستشهدوا . وإذ صمم الثلاثة على التمسك بإيمانهم ، تعرضوا لتعذيب شديد ، حدثت أثناءه معجزات كثيرة . ثم قطعت رءوسهم .

وتروى المصادر التاريخية أنه بعد أن سقط الثلاثة على الأرض - سمع صوت يدعوهم للنهوض لنوال أكاليل الشهادة . فانتصب الثلاثة واقفين ، كل واحد يحمل رأسه بين يديه ، وساروا حوالى خمسين مترا - ثم ركعوا على الأرض ورقدوا .

واقيم فى مكان أستشهادهم ومكان دفنهم ديران وكنيسة ، ولهذه المنشات تقدير روحى عميق وإعزاز شعبى كبير فى المنطقة وهى الدير الكبير grossmunster الذى اقيم على مكان الدفن - فى مكان أقدم كنيسة هناك . ونقلت الى الدير اجساد الشهداء وفى الموقع الذى قطعت فيه رءوسهم أقيمت كنيسة الماء Wasserkirche - كما أنشىء أيضا فى هذا المكان دير للراهبات Frauenmunster وفيه كنيسة مشهورة أقيمت فى الضفة الأخرى لنهر ليمات ، ورسمت فيها بالفسيفساء ثمانى صور تصور مراحل قصتهم . ونقلت الى الدير من الدير الكبير بعض من اثار هؤلاء الشهداء .

وقد بنيت عام ١٩٥٠ كنيسة حديثة فى زيوريخ تحمل أسماء هؤلاء الشهداء .

وتعيد المدينة لذكرى هؤلاء الشهداء يوم ١١ سبتمبر من كل عام .

والأمر الذى يشد الانتباه هنا ، هو أن هذا اليوم نفسه يوافق رأس السنة القبطية (أول توت) .

ولقد كانت وقائع هذا الاستشهاد ، بالاضافة الى المعجزات التى حدثت فى هذا المكان - هذا كله ساهم فى حفز سكان المنطقة الى ترك الوثنية واعتناق المسيحية .

وثمة سؤال هام

ماهو المضمون الذى تريد هذه المدينة السويسرية أن تعبر عنه بهذا النقش الذى مازال مستخدما حتى اليوم ؟

يبدو أن المدينة - بالاضافة الى تخليد ذكرى هؤلاء الشهداء ، تريد أن تقدمهم لأبنائها مثلا عليا فى الامانة ، وأداء الواجب والاخلاص الذى لايتزعزع ، حتى الموت . فكل مواطن يجب أن يتقدم لعمله مستعدا للتضحية بكل ما يملك . كجندى يحمل رأسه بين يديه .

ويأتى سؤال آخر

هل من صلة بين هذا النقش ، وما يجرى فى الصعيد أثناء جلسات الصلح بين العائلات التى تتقاتل - اذ يحمل من يعرض الصلح "كفنه" بين يديه ، مستعدا لتقديم رأسه ليحل السلام والعلاقات الطيبة محل العداوة والكراهية والثأر ...

★ ★ ★

ولقد سجلت تفاصيل أستشهاد

الكتيبة الطيبية فى عدة مخطوطات · الأولى كتبها . اسقف ليون عام ٤٣٤ ، ومحفوظة بمكتبة "الناسيونال" فى باريس . والثانية مكتوبة فيما بين عامى ٤٧٥ و ٥٠٠ م بواسطة كاهن الكنيسة التى اقيمت فى مارتينى Matrigny فى اواخر القرن الرابع وذلك فى نفس موقع استشهاد بعض افراد الكتيبة . ولهذه المخطوطة نسختان - واحدة محفوظة فى دير أينزيدلن بسويسرا ، والثانية فى الناسيونال بباريس .

وبالاضافة الى هذه المخطوطات فإن سير الشهداء المكتوبة فى بدايات القرون الوسطى تتضمن أسماء كثيرة من افراد الكتيبة وتورد وقائع استشهادهم .

ونشر الاستاذ الدكتور سمير فوزى جرجس استاذ ورئيس قسم التاريخ بمعهد بوخمان فى زيوريخ دراستين عن الكتيبة الطيبية .

الأولى عن : الكتيبة الطيبية فى سويسرا The theban legion in switzerland, st. pachom's publications, Witenuresen-strasse 2, 8180 Bulach, Switzerland

والثانية - عن الكتيبة الطيبية فى ضوء المصادر القبطية المبكرة وفى علم الاشتقاق Etymology المصرى القديم .

وتفضل سيادته بإهداء الدراستين للكاتب - وكانتا مرجعين رئيسين لهذا المقال .

وقد ذكر الدكتور سمير أنه بعد دراسات أخرى بخصوص الكتيبة من بينها ترجمة انجليزية للمصادر التاريخية التى سجلت أخبار الكتيبة الطيبية .

وكتب الدكتور سمير فوزى جرجس فى بداية تأريخه لهذه الكتيبة المصرية ، إنه ليس ثمة ماهو أكثر قيمة يقدمه لوطنه الأصلى - من أستعادة ذكرى إخوتنا الذين صاروا أهم رسل مصر إلى اوربا ، شهادة خالدة لايمانهم الثابت . كما انه ليس ثمة ماهو أكثر قيمة يقدمه للبلاد التى يعمل بها حاليا - سويسرا - من المساهمة فى اظهار تاريخ واحد من اهم الأسس الرئيسية لتراثها الروحى .

★ ★ ★

ويعتبر شهداء الكتيبة الطيبية من اكثر القديسين شعبية فى المنطقة من بحر الشمال الى البحر المتوسط - فى سويسرا وشمال إيطاليا وغرب المانيا وفرنسا . واعتبر الكثير من المدن والقرى هؤلاء القبط شفعاء لهم : ففى سويسرا على سبيل المثال موريس فى المدينتين المسميتين باسمه ، واورسوس فى سولوثرن ، وفيكتور فى جنيف ، والثلاثة حاملو رءوسهم فى زيورخ ، وفيرينا فى زرزاخ .. الخ . وهكذا بالنسبة لايطاليا والمانيا.

وفرنسا ، وتحتفل هذه البلاد باعياد قديسيها فى شهرى سبتمبر واكتوبر .

ولقد بنى على اسم قائد الكتيبة اكثر من ٦٥٠ منشأة ـ كنائس واديرة وهياكل وغير ذلك ، ويعتبر عيده فى -Appen zell I.R.H عيدا رسميا للمقاطعة .

الأصول المصرية لبعض الأسماء

وفى دراسة دقيقة لبعض اسماء أفراد الكتيبة يكشف الاستاذ الدكتور سمير فوزى جرجس عن اصولها المصرية فاسم "موريس" او "موريشيوس" يظهر فى البرديات القبطية اليونانية فى صورة "موريكيوس" ومنه يشتق المؤنث "مراكيا" أو "مراقيا" الذى يطلق الآن على منطقة بضواحى الاسكندرية . كما كانت تسمى الفيوم بحيرة موريس .

وقد ذكر الشيخ رفاعه الطهطاوى أن البحيرة التى فى الفيوم تسمى أيضا بركة (أى بحيرة) « مريس » ، باسم ملك يقال انه احتفرها . وهى أهم جميع البرك لشهرتها فى الأزمان الحالية بعموم نفعها لبلاد الفيوم خاصة ولعموم الديار المصرية بأسرها (انوار توفيق بنى اسماعيل . الاعمال الكاملة نشرد . محمد عمارة ، الجزء الثالث ص ٥٣)

وقد ورد هذا الاسم ـ مذكرا ومؤنثا ـ فى النصوص القبطية وبرديات العصر البطلمى . ويقول الاستاذ الدارس إن



وضع التاء محل الكاف يعتبر ظاهرة متداولة فى الكتابات القبطية المبكرة .

كما يوجد هذا الاسم فى شواهد قبور العصر القبطى والبطلمى . ومازال الاسم متداولا بين المصريين حتى اليوم .

ويبدو اسم "فيرينا" مكونا من الكلمتين القبطيتين القديمتين "فرى VRE" بمعنى "ثمرة" و " نى NE` بمعنى "المدينة" اى طيبة ـ فهكذا كانت الكلمة تفهم حين لايذكر بعدها اسم مدينة اخرى . فيكون معنى الأسم "ثمرة طيبة" أو "بنت طيبة" .

وبالنسبة لاسم "فيكتور" فهو مطابق للأسم القبطى "بقطر" المتداول حتى اليوم بين الأقباط . فحرف "بB" ينطق "ڤ V" إذا جاء بعده حرف متحرك .

... أما فى بلادهم ...

وعلى الرغم من شهرة الكتيبة الطيبية وافرادها فى مختلف بلدان اوربا ، فإنهم - بالكاد - مجهولون من ابناء وطنهم ومن أخوتهم ابناء كنيستهم القبطية ، التى تربوا فيها وتعلموا منها ايمانهم - الذين نشروه فى أوربا . ولا يتضمن "السنكسار" ، وهو الكتاب الذى يتضمن اخبار قديسى الكنيسة - اسماءهم . ولا تحمل اية كنيسة فى مصر اسم القديس موريس او أى من زملائه .

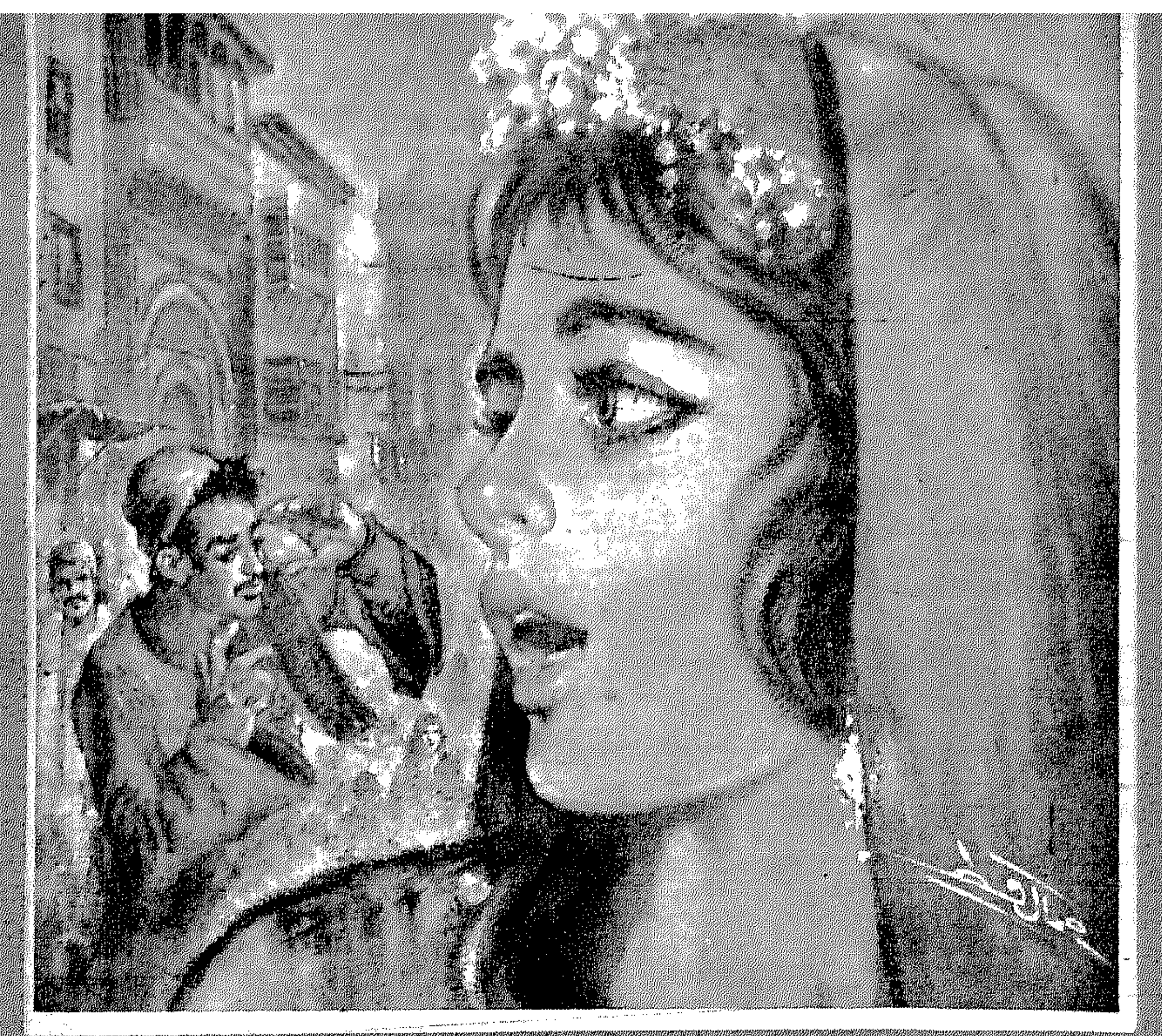
وتجدر الاشارة الى ان الاستاذة ايريس حبيب المصرى أوردت أخبار هذه الكتيبة فى الجزء الأول من تاريخها المستفيض للكنيسة القبطية . وكان هذا فى أوائل الستينيات ، وقد ذكرت انه كان فى حديقة السفارة السويسرية بالقاهرة . تمثال للقديسة ڤيرينا .

هذا - وقد سبق ان ذكرنا ، أن تاريخ استشهاد الكتيبة يتوافق مع الشهر الأول من التقويم القبطى . بل لقد رأينا أن عيد قديسى زيوريخ الثلاثة يقع فى اليوم الأول من السنة القبطية ، وأذن ، فمن الراجح أن استشهاد هذه الكتيبة كان أحد العوامل الرئيسية فى تحديد بداية التقويم القبطى - تقويم الشهداء . مع العلم أيضا بأن تولى دقلديانوس العرش (٢٨٤ م) كان معاصرا تقريبا لهذه الأحداث .

لهذا فإنه يكون مطلبا قوميا أن يستعيد المصريون ذكر مواطنيهم الذين صار لهم هذا التقدير فى بلاد الغربة فيكون لهم مكانهم المناسب فى كتب التاريخ وفى الكتب الدراسية - فى التاريخ والمطالعة .

وأن توضع أسماؤهم فى "السنكسار" بدءا من اليوم الأول من السنة . وأن تبنى على أسمائهم الكنائس والهياكل فى المدن الجديدة والقديمة .

وعلى وجه الخصوص - يكون لهم فى بلدهم الأصلى طيبة - الأقصر ، صرح كبير يذِّكر المقيمين والوافدين من بلاد الغرب ، من سويسرا والمانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها - بأنه من هذا المكان خرج الأبطال القديسون الشهداء الذين لهم هذا الفضل والتقدير فى تلك البلاد ، وقد يكون من المفيد أن تكون الدعوة إلى زيارة الاماكن المصرية الأصلية التى فيها ولد افراد الكتيبة الطيبية - محلا للدعاية السياحية عنها ولاننسى فى هذا المجال بلدة جراجوز مركز قوص محافظة قنا ، البلدة التى خرجت القديسة ڤيرينا - بنت طيبة ...



كلمات الحكيم

نجيب محفوظ

في أولاد حارتنا

بقلم
سليمان فياض

● بلهجة توراتية ، كتب الحكيم « نجيب محفوظ » أمثولته « أولاد حارتنا » ..

من رحم الحضارات البشرية الشرق - أوسطية صاغ الحكيم نجيب ملحمة اسطورية ، محددة المكان والزمان ، وفي لا زمان ولا مكان ، ملحمة استقى نسيجها وشخوصها من أحداث التاريخ الشعبى ، وأسفار الرعاة والحضريين والتجار والحرفيين ، والحكام والمحكومين ، والسادة والعبيد ، فمن رحم الواقع تولد الأسطورة الأمثولة ، ملحمة تعكس سعى الأسرة الانسانية للقوة ، وللحب وللرحمة وللعدل ، وللحرية ، وللسلام ، وللأخاء ، وللمساواة .. ملحمة تعكس مناهج ومراق للوصول ، عن طريق القوة بدءا والحب والرحمة تلوا ، والقوة مع الحب والرحمة ، ثم لايجدى النهجان ، فتولد قوة العلم الساحرة التى توأد بدورها ، لانها لم تتجاوز سعر الفرد إلى سعر المجموع ، ولم تخرج من أسر الكهانة ، لتكون مشاعا للجميع بين الجميع ، مثل كتاب الحكمة للاله توت الذى سعى إليه الأمير الفرعوني « نفرروهو » ليعرف ماكان ومايكون وماسيكون ، ولقي حتفه حين شاء إشاعته ، متجاوزا الكهان والفراعين .

بلهجة توراتية حكى فيها الحكيم نجيب محفوظ أسفار أدهم ، وجبل ، ورفاعة ، وقاسم ، وعرفة ، فى إصحاحات قاص سمير ، على أنغام الرباب لم يدّع النبوة يوما ، ولم يسع لحظة ليكون له اتباع ، ولم يهدف ليقص قصة نبى ، ولا زعيم ، فهمه أن يحكى من منظوره على الرباب ، تطور الروح الانسانى والسعى البشرى ، لتحقيق حلم العدل ، والمسلواة ، والسلام ، عبر أجيال من الحاكمين والمحكومين وحراس العهود المتوالية من الباطشين المضيعين ضياع الحاكمين والمحكومين ..

وفى اللهجة التوراتية ، عبر أمثولة ملحمة أسطورية تناثرت « حكم » الحكيم نجيب محفوظ على ألسنة الحاكمين والمحكومين والفتوات ، وأصحاب الأسفار فى « أولاد حارتنا » .. مثلما تولد الماسات فى طبقات الفحم ، واللآلىء فى تجاويف الأصداف ، « حكم » تذكر العارفين ، بحكم الحكماء المصريين الأقدمين السبعة : وبينهم أمينمويى ، وايبور .

● من سفر أدهم ●

* لايهدد السلامة مثل طلبها بأى ثمن .

* ملعون البيت الذى لايطمئن فيه إلا الجبناء الذين يغمسون اللقمة فى ذل الخنوع ، ويعبدون مذلهم .

* ليس الطريق مسدودا فى وجهك إلا أن تسده بيديك .

* لاينبغى أن تدلل امرأة حتى لاتفسد حياتك .

* المناجاة اذا تواصلت إلى غير نهاية فقدت كل معنى .

* الحكم الصحيح لن يكون إلا عند الامتحان .

● لاشىء حقيقى فى هذه الدنيا ، هى البيت الكبير ، هى الكوخ الذى لم يتم ، هى الحديقة ، هى عربة اليد ، هى الأمس واليوم والغد ..

● الحزن جمر مدفون تحت الرماد .

● الحزن قبيح .. لكن كلانا مصاب .

● الحيوان وحده هو الذى لايهمه إلا الغذاء

● العمل لعنة .. لاتزول إلا بالعمل .

● الهواء يثمل بأنفاس الحب والحب ينذر بالمآسى .

● مادمت لا استطيع أن أرد الحياة فلا يجوز لى أن أدعى القوة أبدا .. غلبنى الموت .

● اليأس قوة .

● قاتل أخيه لا أب له ، لا أم له ، لا أخ له .

● على القاتل أن يحمل ضحيته

● من يذق ألمى تهن عليه الشماتة

● لم أبك على القتيل وحده ولكن على القاتل أيضا .

● الموت نهاية كل حى ، فما وجه الشماتة فيه .

● إذا لم يكن الجزاء من جنس العمل فعلى الدنيا العفاء .

● من سفر جبل ●

● الخطأ كثير والعقاب كثير ، ولكن حتى الحشرات المؤذية لا تيأس من العثور على ظلّ .

● الفتوة وحده يعيش فى بحبوحة ورفاهية وفوق هذا الفتوة الأكبر ، وناظر الوقف فوق الجميع ، أما الأهالى فتحت الأقدام .

● شعراء المقاهى فى حارتنا لايروون إلا عهود البطولات متجنبين الجهر بما يجرح مراكز السادة ويتغنون بمزايا الناظر والفتوات ، بعدل لانحظى به ، ورحمة لانجدها ، وشهامة لانلقاها ، وزهد لانراه ، ونزاهة لانسمع عنها .

● لن نلقى فى الحارات الأخرى إلا حياة أسوأ من الحياة التى نكابدها هنا .

● سيد الناس يضرب الناس ، ويظلم الناس ويغتال الناس ، أنت تعرف من هو سيد الناس .

● الواحد حيران ، لا عند الأولاد راحة ، ولا عند الفتوات راحة ، ولا عند ناظر الوقف راحة ..

● عندما يحترموننا أحياء نحترمهم أمواتا .

● لايهمنا عقاب القاتل بقدر مايهمنا إرهاب الآخرين .

● الكلام مضيعة للوقت .

● إذا ضاعت هيبتنا ضاعت حياتنا .

● من العار أن أرى أهلى يبادون وأنا أنعم بظلك .

نجيب محفوظ

فى أولاد حارتنا

● لم نخلق لنقتل وإن فاق عدد قتلانا الحصر .

● مادام يوجد فتوات فلابد أن يوجد مهاجرون .

● أسرتنا المجيدة تجرى فى دمائها الجريمة منذ القدم .

● الصبر على مانلقى خير من التسكع بين غرباء سيكرهوننا .

● بالقوة تهزمون البغى ، وتأخذون الحق ، وتحيون الحياة الطيبة .

● « اهذا هو حال الشعراء يارضوان ؟ تروون حكايات الأبطال ، وتغنون على الرباب ، فإذا جد الجد ، تقهقرتم إلى الجحور ، وأشعتم التردد والهزيمة ؟ ألا لعنة الله على الجبناء » .

● « ما أيسر أن يقوم العدل دون إراقة نقطة دماء » .

● « إنك لاتكره الظلم إلا إن وقع عليك » .

● « الشماتة ليست من شيم السادة » .

● ماينبغى لرئيس القوم أن يسرقهم .

● إما حياة تقوم على النظام ، وإما فوضى لن تبقى على أحد ..

● إما النظام وأما الهلاك .

● ما إن يأنس أحدكم فى نفسه قوة حتى يبادر إلى الظلم والعدوان .

● أفة حارتنا النسيان

● من سفر رفاعة ●

● لكل إنسان عفريت هو سيده ، وكما يكون السيد يكون العبد .

● عيبكم أنكم تخافون الموت أكثر مما ينبغى لذلك سيطر عليكم خنفس ، وتسلطن بيومى وصادر إيهاب أرزاقكم .

● الضعيف هو الغبى الذى لايعرف سر قوته وأنا لا أحب الأغبياء .

● الابن الحبيب من يعمل

● « لايحول بيننا وبين السعادة إلا العفاريت الكامنة فى أعماقنا » .

● شفاء المرضى لن يقلق إلا العفاريت .

● إذا لم يكن عندك كرامة ، فمن الخير أن تسكت

● ضيع الجبن الشرف .

● عيبك فى لسانك

● كلنا مدينون بحياتنا لغيرنا .

● لاسعادة بلا كرامة

● دع أعمال النساء للنساء .

● السيد هو الطيب ، وخير الناس أطيبهم

● ستكونين أجمل وأفضل عندما تقهرين الغرور

● السعادة لايستحقها إلا من ينشدها مخلصا

● أنا ما عرفت الأصدقاء حتى عرفتهم

● من الناس من يعشق عفريته

● إن تخلصنا من العفاريت تطهرنا من الحقد والطمع والكراهية وسائر الشرور .

● عندما يلمس الأقوياء سعادة الضعفاء سيدركون أن قوتهم وجاههم وأموالهم المغتصبة .. لاشىء ..

● أنا صديق المساكين .

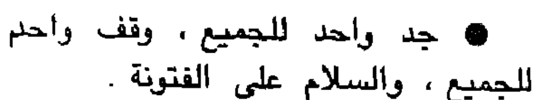
● حارتنا حارة الحكايات .

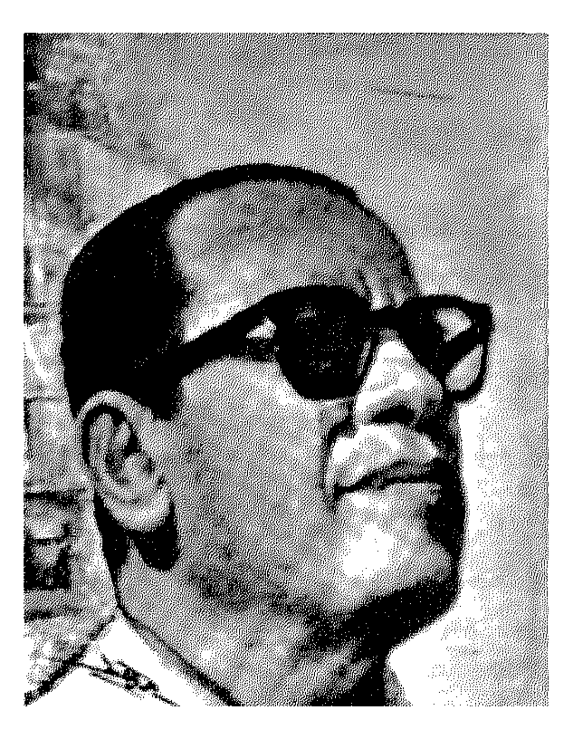
لو .. لو .. لو .. ماذا أفدنا من لو .. علينا أن نعمل ..

● غايتنا الشفاء لا القتل .. خير للانسان أن يُقتل من أن يُقتل ..
● حول أكوام الزبالة تكثر الكلاب الضالة .

● من سفر قاسم ●

● فى حارتنا أما أن يكون الرجل فتوة ، وإما أن يعد قفاه للصفع .
● رعى الغنم خير من التسوّل .
● الأغنام ترعى جميعا فى إخاء لاينعم بمثله . أصحابها القساة من أولاد حارتنا .
● ما الفتوات إلا لصوص فجرة وسفاكو دماء .
● حتى غنمى لا تلقى منى إلا المودّة .
● أولئك هم الطيبون حقا من أهل الحارة سيرة عطرة ونهاية مؤسفة .
● إن الذكرى الطيبة تبقى وهى أثمن من قطعان المعز والضأن .
● لن يكشف الدم عن النقود المفقودة .
● لولا غباوتكم ماكان منقذكم راعى غنم .
● الحكمة أجلّ من الفتونة .
● الحظ إذا ضحك ضحك معه كل شىء حتى الفقر .
● لايدرى أحد متى ترضى النساء ومتى تغضب .
● إذا قالت الجارية فقد قالت السيدة .
● لو بدانا بعويس لأرسلنا إلى مستشفى المجاذيب ..
● سيرتى كالعطر على كل لسان
● إنك لأديك تبدوا احيانا كالغريب فى دارك ألا تدرى أن ذلك يؤلمنى .
● أهل حارتنا لايرون فى الحب إلا وسيلة للاستغلال .
● المرأة المحبة لعبة فى يد الرجل إلا إذا كان الرجل محبا مثلها .
● الناس يعبدون القوة ، حتى ضحاياها .
● العبرة بالقوة التى تصنع الخير .
● السعادة الصافية لايمكن أن توجد أبدا إلا إذا توفرت أسبابها للجميع .
● تعاسة الآخرين تفسد على سعادتى .
● لايسعد الانسان بالفتونة ، وحدها ، بل لايسعى بالفتونة إطلاقا .
● الفتونة شر يجب أن يذهب .
● أخشى أن تكون أيام الراحة قد ولت .
● لاتغتر بكلام العيال . عندما ترتفع النبابيت تمتلىء الجحور بهم .
● سيقتلك الأقوياء ويهزأ بك الضعفاء .
● فى سبيل من تعرض نفسك للهلاك ؟ ليس فى حارتنا إلا حيوان أو حشرة ، ولديك من الأسباب مايضمن لك حياة رغيدة طيبة ، فاعقل وتمتع بحياتك .
● ما فائدة الحزن ؟ وما جدوى الانفراد ؟ النجوم لاتجيب ولا الظلام ولا يجيب القمر .
● حارتنا التعيسة فى حاجة إلى النظافة والكرامة .
● القوة عند الضرورة والحب فى جميع الأحوال .
● ماذا أبقيت لمن يجىء بعدك .
● كيف تأمن من الغرباء ولا تأمن لجاريتك .
● أنت سيد ، حتى على عهد الرعى كنت سيدا .





● جد واحد للجميع ، وقف واحد للجميع ، والسلام على الفتونة .

● إذا هلكنا اليوم تبددت الآمال الكبار .

● العدل ؟ ياكلاب ياأراذل .. هذه كلمة السر عندكم إذا اعتزمتم النهب والسرقة .

● شر المتاعب ماتجيء صاحبها من نفسه .

● لايطالب مخلوق بما فوق طاقة البشر .

● الجبن أفسد الرجال .

● لن تطهر حارتنا من الفتونة إلا بالقوة ولن تحقق شروط الواقف إلا بالقوة .. ولن يسود العدل والرحمة والسلام إلا بالقوة .. وستكون قوتنا أول قوة عادلة غير باغية .

● لايغيب عنى الأمل ولو فى الظلام .. وما أكثر الاصدقاء الصادقين وإن بدوت وحيدا .

● الشجاعة أخطر مايلزم حارتنا كى لاتقضى العمر تحت الأقدام ، فلا تنصحينى بالسلامة .

● ليس الطريق واحدا .

● لم يعد ثمة مايبقيك فى الحارة ، ارحل فانك اليوم وحيد .

● لم يبق فى الظلام إلاّ ندامى الموت .

● ما أغنى الأموات عن إخلاصنا .

● انت أول من يحتاج إلى أنيس .

● لن يحمينا إلا القبر .

● اذكروا دائما أننا لانهاجم إلا للقضاء على الفتونة .

● لن يجدينا تذكر الأخطاء .

● إنكم تنظرون إلى بعضكم بعين ، وتنظرون بالأخرى إلى فتونة الحارة .

● الغضب سيعميكم عن عدوكم الحقيقى .

● مجيئكم بعددكم الوفير ينم عن الارتياب .

● بيدكم أنتم ألا يعود الحال كما كان .. راقبوا ناظركم فإذا خان اعزلوه .. وإذا نزع أحدكم إلى القوة اضربوه .. وإذا أدعى فرد أو حيٌّ سيادة أدبوه .. بهذا وحده تضمنون ألا ينقلب الحال إلى ماكان ..

● من سفر عرفة ●

● حظنا من الدنيا الذباب ومن الآخرة التراب .

● ليست الفتونة هى السبيل الوحيد إلى الثروة .

● لا أمان لأحد مع وجود الفتوات .

● القتلة « لايبالون بإخفاء جرائمهم ولا يتجرأ أحد على الشكوى ، أو يجد شاهدا واحدا .

● التسليم هو أكبر الذنوب جميعا .

● مسير الحي إلى حارته وأهله .

● للمقبرة ميزة جليلة ، هى أنها لايمكن أن تسرق .

● النقود تكثر بالصبر .

● كل هذا الجمال قد تطيح به عصا فتوة أحمق .

● المشغول بالعمل يَنْسى .

● طول العمر من دواعى الحزن فى الدنيا .

● الفتوات يهددون العرض والرزق والحب والسلام .

● نحن فى حاجة إلى قوة لتخلصنا من العذاب .

● أرباحى تفيض عن حاجتى فلابد أن يشاركنى فيها إنسان ..

● مايكدر صفوى هو مايكدر حارتى وما يؤمننى هو ما يؤمنها .

● للدعاء قيمة عندما كانت للعمر قيمة .

● القتلة لايبالون بإخفاء جرائمهم ، ولايتجرأ أحد على الشكوى ، أو يجد شاهدا واحدا .

● الأمر لايستوجب أن نتناقر كالديوك .

● إما أمن الجميع أو لا أمن لأحد ..

● لو رأيت الأعين الحاقدة لا أيقنت أن ما ننعم به من سلام ما هو إلا خيال .

● بات الزمن أثقل من الذنوب .

● ما أسهل الخيال خارج البيت .

● جدّنا من دنيا ، ونحن من دنيا أخرى .

● أنا عندى ما ليس عند أحد .

● أنت أطيب من صادفت فى حياتى ، ولكنك أتعسهم جميعا ..

● الهرب أيسر على واحد منه على اثنين .

● الغضب يشتعل فى الخارج كالنار .

● تجمد البصر وانقلب المستقبل ماضيا ..

● فى حارتنا الاشاعة حقيقة ، والحقيقة حكم ، والحكم هو الاعدام .

● لايبكى ميت على فقد بصره .

● لن تهلك مادمت تطيعنى .

● تعود مثلى على مقت الآخرين لك .

● من يغدر منا بصاحبه فقد غدر بنفسه .

● لن أعود إلى سجنك ، ولن أفرط فى راحة البال التى أجدها فى هذه الحجرة .

● ما جدوى الشباب والحياة والموت يتبعنا كالظل .

● لايقهر الموت سوى الموت .

● إذا حسنت أحوال الناس قل شر الموت .

● هذا السجن لم يعد يمدنى إلا بأفكار الموت .. الطرب .. والشراب والراقصات ليست إلا ألحان الموت .. أشم رائحة القبور فى أصص الأزهار ..

● أما وقد مات فحق للميت الاحترام ..

● لاتخف .. الخوف لايمنع من الموت .. ولن تتاح (لك) لكم الحياة مادمتم تخافون الموت ..

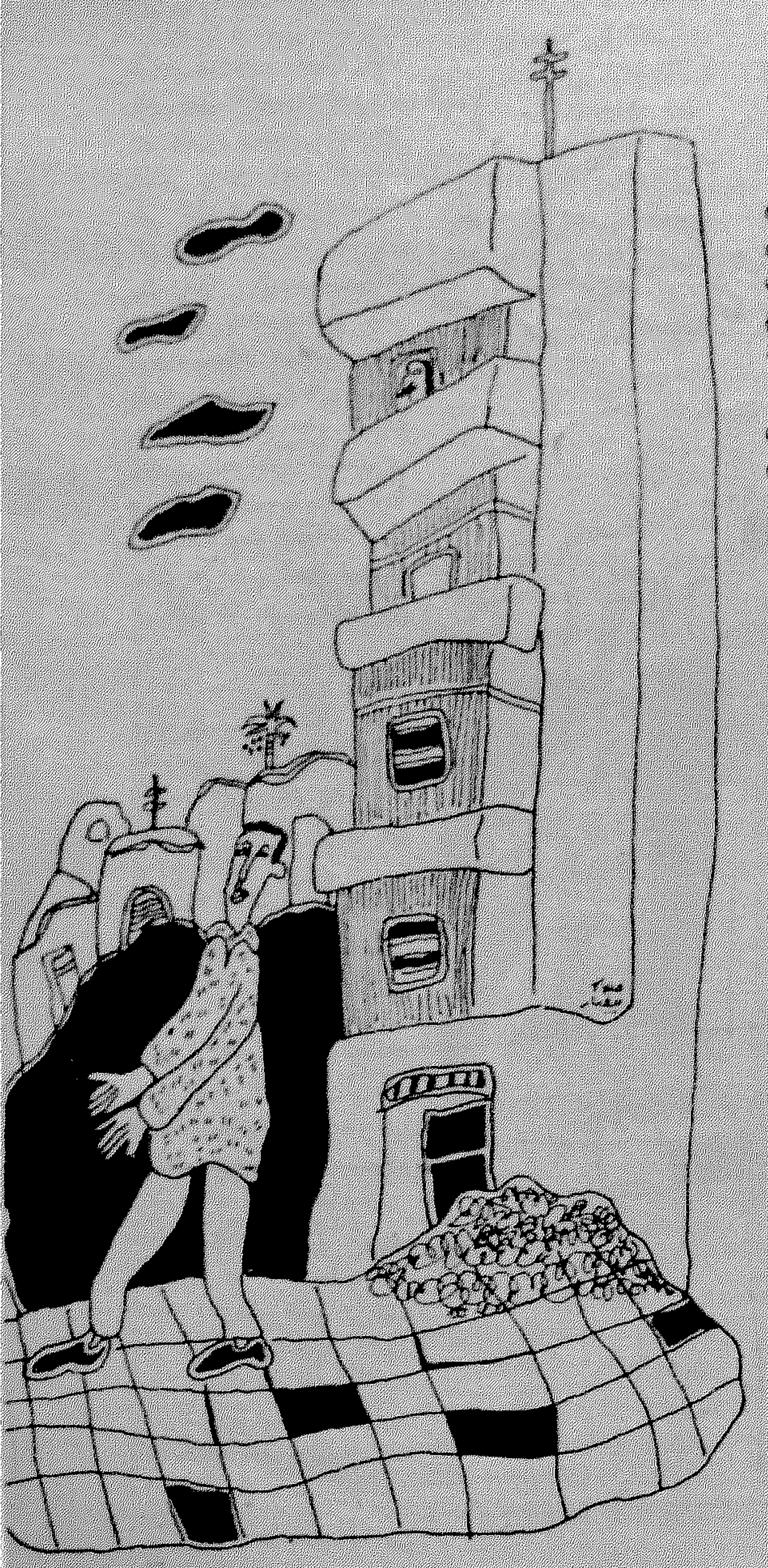
قصة قصيرة

مدافعة

خيرى شلبى

اخيرا بدا الشارع يتضح امامى بصورة شبه جلية ، فعرفت اننى يجب ان ادخل حارة ها هنا يقبع على ناصيتها دكان كبابجى، فاظل ماشيا فيها اتعسر فى بلاطها العريض المتقصص من بعضه ناعما زلقا تحيط به اخاديد من مياه الغسل والمجارى والمطر القديم: البيت الذى اقصده مميز ، اذ هو جديد نوعا ، وبارز عن كل البيوت بضلع انيق مزدوج يحمل فوقه ثلاث بلكونات ، البلكونة الاولى يحتلها رجل بلدياتى ، ليس يمت لى باية صلة قربى ، لكنه يعرف ابى واهلى معرفة جيدة ، ويعرف اننى مغترب فى هذه المدينة من اجل التعليم، وهو - كما يلوح لى كلما قابلته فى البلدة اثناء اجازة العيد - يحيينى ويقدرنى لاننى اتغرب من اجل التعليم متحديا الفقر الذى يعيشه ابى العجوز الغلبان بحمل اخوتى الكثار، ودائما يوصينى بان ازوره فى منزله ، وقد وصفه لى حتى حفظته تماما .

رايت نفسى جالسا فى داره . راح يستقبلنى بحفاوة بالغة . احاط بى زوجه واولاده ، صاروا يدللوننى ، يعزمون على بالعشاء ، يظهرون امامى ذكاءهم وشطارتهم فى المدرسة، ويبرزون اطقم الاكواب التى اشتروها من السعودية حيث كان بلدياتى يعمل هناك لاكثر من خمس سنوات تبع احد المقاولين ، ويقدمون لى مشروبات متعددة تثبت لى ان عندهم اكثر من خلاط للعصير . فى الصالة المربعة ثلاث من الكنب البلدى وبعض كراسى منجدة من النوع المسمى بالاسيوطى . على الترابيزة - المصنوعة خصيصا - تليفزيون ملون مفتوح على التمثيلية . على الرف راديو كبير جدا مفتوح على ام كلثوم . على الكنبة جهاز تسجيل كبير ايضا مفتوح على



احمد عدوية !! ..
بدا لى اننى احب هذه الاسرة رغم ذلك الصخب وهذه « الغلوشـــة » . وبدا ايضا اننى رغـــم ذلك غير مســتريح فى جلســتى هذه مع كل ما يحيطونه بى من كرم واهتمام زائد كانما قد زارهم بالفعـل النبى . شىء ما فى اعماقى كان يمنعنى من الانطـــلاق والاندمـــاج الحقيقى . ذكريات البلدة اللطيفة التى راحت تحكيهـــا الزوجة فى ود وحلاوة، تذكرنى بالبلدة وبهـــا هى نفســها ايام كانت صبية حـــلوة فاتنة نتعشـــقها ونؤلف فى حبها الاغانى والمواويل حتى هـــذه الذكريات الحميمة رحت استقبلها بابتسامة شاحبة معلقة على شفتى اكســـرها احيانا بضحكة جوفاء او بهزة راس غائب عن الوجـــدان . النكت العتيقة التى اشتهرت فى بلدتنا زمنا طـــويلا لكونها مشاهد حقيقية لناس من اهلنا ، والتى كان مجـــرد تذكرها يصيب المرء بهســتيريا الضحك المتواصل الى ان توجعه بطنه وتعصر عينـــاه كل دموعها .. حتى هـــذه النكت رحت استقبلها هى الاخـــرى بضحك فاتر ولا اشارة فى حكى جوانب منهـــا

تزيد فكاهتها عمقا كما كان من المفروض ان يحدث . وكنت اشعر انني ربما كنت السبب في كل هذا الهياج الاسرى الصاخب اذ ان كل هذه الاصوات منطلقة للعمل على ارضاء مزاجي بأى شكل ، صحيح ان فيها ما يخدم حبهم للاستعراض الفطرى ولكنني اشعر كما لو كنت سيد الموقف واذا مال مزاجي نحو صوت اسكت ما عداه من الاصوات ! ..

ثم بدا كانني اعرف سر هذا القلق الذى يعتريني مشوها هذا اللقاء الذى تم بعد الحاج ، معلقا اياى في فراغ كئيب ممرور ! .. ثم بدا كأن هذا السر ربما يكون رغبتي في ان انفرد بالرجل بلدياتي: فها انذا ـ بشكل خفي ـ اتحين الفرص واكاد ادبر تدبيرا للانفراد به، لولا ان الاولاد يحيطونني تماما بود واحترام وعواطف بريئة ساخنة . شعور بالحرج المرير يكبلني فيما لو ظهر أمام الاولاد انني راغب في الانفراد بابيهم !هذا امر سوف يشغلهم لابد! وسوف ينزعجون منه لا محالة او يتساءلون ما الامر ؟! ..

ثم بدا لي ان الامر

مدافعة



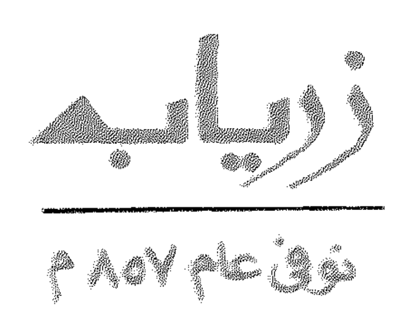
في غاية الفظاعة ، اذ انني في حقيقة الامر كما يلوح لي ـ كنت قد صادرت الخطة التي اتضح لي انني في حقيقة الامر جئت الى هذا المكان من اجل تنفيذها : وهي ان ارسم علامات الحزن والكدر على وجهي تمهيدا لان احكي عن شيء هام ضاع مني في زحام المدينة التي بلا خلق او ضمير ! زوادتي مثلا وفيها مصروف الاسابيع المقبله ! كتب الدراسة واود شراء غيرها ! ازعم انني افكر في ارسال برقية الى البلد ابلغهم فيها بالخبر غير انني متخوف من شدة انزعاج « الجماعة » عند تلقيهم البرقية ولهذا فسوف ارجيء الامر مضطرا لحين السفر ! ازعم كذلك انني افكر في الاقتراض من صاحبة البيت الذى اسكن مع رفاقي حجرة فوق سطحه !! هدفي من كل هذه المزاعم ثقتي في ان بلدياتي تركبه النخوة فيعرض على قرضا حسنا ! يمد يده في جيبه العامر يغمزني ببضع جنيهات ادبر بها نفسي مؤقتا ، واحنا خوات يا راجل اللسان يكب على القاضي مفيش داعي تقلق البلد ! .. وحينئذ رايتني مقبلا

على مطـــاعم المدينة بواجهاتها اللامعـــة ادخلها منتفـخ الاوداج منغمسا بلذة فائقة فى رائحة الشـواء الشهى التى تدير كيانى وتوقظ باعماقى جوعا ابديا لم اكن اعلم قبـلا انه فى .. ثم رايتنى جالســا على رصيف احـــدى المقــاهى التى لم اكن رايت فى حلاوتها قــط والجرسون ينحنى امامى واضعا صـينية حافلة بالاكواب والاطبـاق .. ثم رايتنى بين زمــلائى الطلبة فى حوش المدرسة امام « الكانتين » وانا فى مقدمتهم امسك طبقا من المهلبية بالكريمة كان السبب فى ان اضحــك مثلهم واكتشــف انهم جديرون بأن احبهـــم واصاحبهم هكذا !! ..

انبعث فى اذنى رنين ملعقة تـدور فى كـوب زجاجى ، وبدا اننى قد عدت الى منزل بلدياتى من جـــديد ولكن فى حجرة اخرى بها سرير سفرى عليه فرش اشـد كلاحةمن بطانية مخلفات الجيش التى نتغطى بها انا ورفاقى فى غـــرفة السطح ، تذكـــرت ان هذه الحجــــرة التى نجلس فيهـــا الان هى حجرته قبـل الزواج . وكنت اشعر ان انفرادى به الان يعبر عن رغبـة قديمة شديدة الاهميــة بالنسبة لى غيـــر اننى لست اذكـــرها الان على وجه التحديد !! .. ثم بـدا اننى اشـــــعر بالغثيان ، اكاد اتقيــا روحى ، افعـــل بعض حـــركات توحى باننى اتهيأ للانصراف مـــع اننى اشـــعر فى قرارة نفسى برغبة فى البقاء برهة لعلنى اكتشف سر حرصى الدفين على هذه الفرصـة النـادرة التى هى بين يـــدى الان . اشتد شعورى بالغثيان والمرارة الغامضــــــة المبهمة . بدون مقدمات وجـــدتنى افرك يـدى قائلا للرجل بـلدياتى : ما يلزمش اى خدمة ؟!. فاذا هو قـــد نهض فى التو قائلا : شـــكرا يا حبيبى ما يلـــزمش انت ؟! . قلت بحماسة: مش عـــايز فلـــوس ولا حاجـــــه ؟! اطلب ما يهمكش . تبســـم الخبيث فى عبه قائلا : يعنى الحاله رايجـــه معـــاك ؟! . شـــعرت باستياء شديد من هـذا التعريض المستتر خاصة ان لهجته فيها ايحـــاء ودى بأنه يأخــذ عرضى هـذا على نحـــو عكس مظهرا – بطريقة ملفوفة – استعداده لمساعدتى . تزايدت ضـــربات قلبى واشتد عنفها فاشـــتد ضـــيق انفاسى ، قلت دون نظر فى العواقب : طبعا رايجه والحمـــد لله اطلب وانا رقبتـــى جيب المؤمنين عمار !.. ثم ارتعدت مفاصــــلى حين رفع عينيه وسلطهما فى عينى بخبث شـرير لكنه حميم مـــع ذلك ! خفت ان يتمـــادى فى العشم قائلا طب ورينى اللى معاك عشان اطمئن عليك ! قررت التعجيـل بالانصـــراف ! .. ثم رايتنى اعدو راكضا فى شارعكئيب عليل المضوء عريض البلاطاتالارضية تتخللها اخاويد ميــاه عطنة والارض زلقــــة والبيوت على الصفين المتقـــابلين كنمور متهالكة تترصد بعضهـا بعضا من تحت الجفون الساجية ، وصـــوت صديقى بلدياتى يلاحقنى من شرفة الـدور الاول صائحا : بس خد امـــا اقول لك ! اســـمع بس ماتبقاش عبـــل ! وكان صوت ضحكاته الساخرة الصاعقة يجلجـــل فى اذنى فيما انزع نفسى من هذه الحارة الى افق عريض لا ادرى مـــداه لكنـــــه رمادى ملىء بالرياحالعنيفة المتعاكسة المليئة بالضباب والتراب تكاد تقتلعنى من الارض ولم اكن اعرف الى اين ينبغى ان اسير ولكننى مع ذلك كنت اســـير مدافعا دفـع الرياح لى من جميع الاتجاهات !!



نواصل في هذه الحلقة تقديم ثلاثة من مفكري الاسلام هم زرياب . وحافظ الشيرازي والبخاري .. ونلقي الضوء على دورهم البارز وماقدموه من فضل من خلال فكرهم وابداعاتهم التي اسهمت في بناء الحضارة الانسانية .



ركن من اركان الغنــاء العربي بالاندلس، وصاحب اكبر تاثير في فنون الحياة الرغدة في اسبانيا ، وهو تأثير سرعان ما انتقـل الى الاقطار الاوروبية الاخرى ، واقطار المشرق العربي .

لقب بزرياب لسواد لونه وفصاحة لسانة ، تشبيها له بطائر مغرد أسود هو الزرياب . وقد نشأ ببغـداد ودرس الغناء على يــد ابراهيم الموصلي ، ثم ابنه اسحاق ، وغنى لهـارون الرشيد . فلما ظهر صيته وخشي اسحاق منافسـته له ، عمل على ابعـاده عن بغداد،فتوجه الى الاندلس حيث لقي منأميرها الاموي عبد الرحمن بن الحـكم حفاوة كبيرة واقام معــه بقصره في قرطبة .

وهو الى جانب اجادته للغناء والعزف ، كانشاعرا مطبوعا ، محيطا بالكثير من الفنون ، عارفا بأحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادر العلماء ، واجتمعت فيه كافة صفات الندماء .

وهو اول من ادخل غناء المشارقة الى المغرب ومن اوائل من غنى الموشحات وقد كانت أوتار العود قبله اربعة فزادها الى خمسة . واخترع مضراب العود من

في التاريخ الإسلامي

بقلم: حسين أحمد أمين



قوادم النسر بعد أن كان يصنع من الخشب • واشتهر مذهبه فى التعليم ، فكان يبدأ بتعليم تلاميذه الايقاع لضبط حركات اللحن ، ثم الغناء على الايقاع دون ترسل ، ثم الغناء بايقاع وترجيع •

غير أن اسهامه فى الحضارة الانسانية كان فيما يعرفبفنون الحياة الرغدة:

لقد نتج عن غنى الاندلس ، ونشاط اهلها ، والتنوع الكبير فى محاصيلها الزراعية ومعادنها ، تكثير مباهج الحياة ونشأة صناعات عديدة لانتاج السلع الكمالية ، سواء لاستهلاك السوق المحلية أو للتصدير • ومن بين هذه السلع المنسوجات الفاخرة من الصوف والكتان والحرير ، وأنواع الفراء المستخدمة فى تحلية الثياب ، والاوانى الخزفية كما اكتشف فى قرطبة فى أواخر حياة زرياب سر صناعة الكريستال • وكانت هناك وفرة من العمال المهرة فى انشاء المبانى وتجميلها ، وتحسين أو اختراع الانواع المختلفة من الآلات الموسيقية ، وفى العديد من ضروب الصناعات الجلدية المزركشة ومن بينها فن تجليد الكتب ، وفىصناعة الادوات الدقيقة من الحديد ، وصناعة الاوانى وتماثيل الحيوانات النحاسية والبرونزية بعد تطعيمها بالذهب والفضة ، وصياغة الحلى والمجوهرات ، ونحت العاج ونقش الخشب • وكلهافنون وصناعات سرعان ما اضحت قرطبة فيها منافسا قويا للدولة البيزنطية •

ولكى نستخدم كل هذه العناصر المختلفة وغيرها معا فى تشكيل نمط حقيقى للحياة الرغدة ، كان لابد اولا من خلق مستوى رفيع من الذوق لدى افراد الطبقة العليا من المجتمع • وقد كان هذا هو بالضبط الدور الرئيسى لزرياب خلال طوال حياته بالاندلس الحكم فى مجال الازياء والذوق بصفة عامة • وهو الذى حدد أسبقية تقديم المأكولات المختلفة فى الولائم ، بعد أن كانت صنوف الطعام تقدم للمدعوين أما مجتمعه او دون ترتيب معين • وترتيب زرياب لها هو الذى نلتزم به نحن اليوم فى ولائمنا • كذلك فقد نشر فى الاندلس وصفات طهوية احضرها معه من المشرق وزاد عليها اختراعات من عنده • وكلها مما لم يكن لأوروبا به عهد • وقد بين للناس أن الاكواب الزجاجية الرشيقة يمكن أن تكون أكثر اناقة وانظف استخداما من كئوس الذهب والفضة ، فانتشر استخدامها من وقته حتى فى قصور الخلفاء والامراء والاثرياء • كما عنى بتصفيف شعر النساء وغيره من أساليب التجميل وتفنن فيها • وابتدع سنة سار الناس عليها بعده ، وهى ارتداء ملابس تختلف مادتها باختلاف فصول السنة •

كل هذا وغيره اضحى مقبولا وسائدا لدى افراد الطبقات العليا فى الاندلس غير أن زرياب كان يضع نصب عينه كذلك أن يمتد الاستمتاع بأطايب العيش الى الطبقات الادنى ، وذلك بتركيزه على رفاهة الذوق والحاسة الجمالية والبساطة ، وتجنب التكاليف الباهظة ، او الانفاق الذى لا يخدم غرضا جماليا •

حافظ الشيرازي

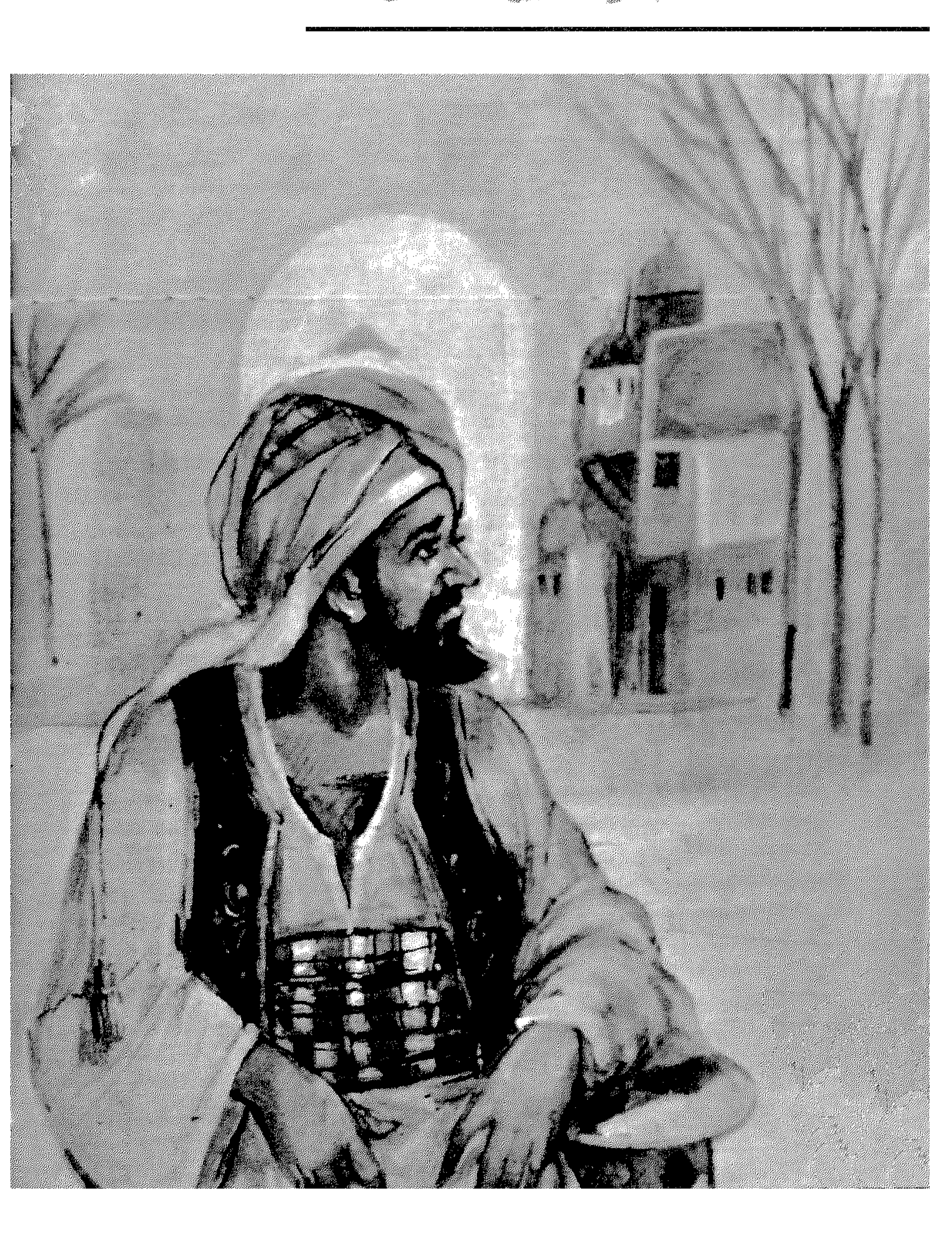
١٣٢٠ - ١٣٩٠ م

اعظم شعراء الفرس . لم يكن مجرد صانع ماهر للكلمات والصور ، ولا مجرد مبدع لقوالب جديدة فى الشعر ، وانما اودع هذه الاشكال والقوالب والكلمات معانى خالدة ، وفلسفة راقية حرية بالقبول فى اى زمان ومكان .. واذا كان حافظ يتحدث الينا بهذه النضارة فى القرن العشرين كما كان يتحدث الى الفرس فى خضم ازمات طاحنة مرت بها بلاده ، فلأن روحه سمت فوق الفساد المادي الذى ميز عصره ، ولانه وجد فى عبادة الجمال الخالص السبيل الوحيد الى فهم اللاعقلانية المتجلية فى مصير الانسان.

كانت فارس في زمنه تموج بالثورات ، وشاهد بعينه قتل الملوك وتدمير المدن وسفك الدماء في الحروب . غير انه كان ينظر الى هذه الاحداث بجلال روحي وكانما هي امواج صغيرة في البحر المحيط ، وتركز بصره علي وحدة الطبيعة ومعنى الكون وغايته . ومع أن فكره كان يثور من آن الى اخر فتستبد به العاطفة، فقد كان دوما يعود الى رصانته العقلية وطمانينة النفس وسط عالم مضطرب .

ولحافظ من الشهرة والتاثير فى الاداب الاوروبية ما لا يدانيه فيهما غير عمر الخيام من بين كافة شعراء العالم الاسلامي .

عرفته أوروبا في القرن الثامن عشر ، وفتن به الانجليز والالمان والفرنسيون بالاخص ، واستلهمه شعراؤهم ، واصبح فى وعيهم مجسدا للروح الشرقية . وقد عنى الالمان به عناية لا تعدلها عنايتهم باى شاعر شرقي اخر ، وكان من بين شعرائهم وادبائهم من اقبل من اجله علي دراسة اللغة الفارسية ــ غير ان اعظم من تاثر به ، وكتب علي غرار شعره ، واستلهم روحه وافكاره ، هو الشاعر الكبير جوته



فى مؤلفه « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » ٠

وقد انقسم الغربيون فى فهمهم وتفسيرهم لاشعار حافظ قسمين متنافرين الاول لا يريد أن يأخذ بظاهر اللفظ ، ويرى فى حافظ ـ كما فى الخيام ـ معنى صوفيا باطنا ، قائلا ان النعيم الذى يتحدث عنه ليس النعيم الارضى ، بل نعيم الجنة والعشق الذى يتغنى به هو العشق الالهى المعروف عند كبار الصوفية ، والخمر التى يكتب فيها هى المعرفة بالاسرار الربانية ٠ وكلها تاويلات ثار عليها الفريق الثانى وعلى رأسه جوته الذى اصر على تفسير حافظ كما يبدو من اقواله ٠ وقد

أعجب جوته بما فى شعر حافظ من معانى الاقبال على الملذات ، والتمتع بكل ما تأتى به اللحظة الحاضرة واللحظة الماضية فى اللحظة الحاضرة والسخرية من الزاهدين فى الدنيا ٠ فنراه يقول : ان شعره تفيض منه حيوية متدفقة فى غير اسراف ، سعيد حكيم ، يأخذ بحظه من متع الحياة ، وينفذ من بعيد الى طوايا الالوهية ٠ ومن الضرورى تعمق المعانى التى يوردها ، ولكن على أن نأخذ بما يقتضيه صريح لفظه ، ودون أن نلجا الى التأويلات الخيالية التى تحيل الظاهر الى باطن ، وكل صريح الى رمز ٠

والاتجاه الغالب بين مستشرقى اليوم هو الى اعتبار حافظ جامعا للناحيتين معا : الحسية الدنيوية ، والصوفية الربانية ، والى هذا يعزى ما هو ملموس فى شعره من تناقض ٠ ولهذا الجمع بين النقيضين تفسيران : طبيعة الفرس انفسهم وطبيعة نظرتهم الى الوجود التى تسمح لان يكون الفرد منهم فى آن واحد مسلما تقيا ومتحررا غير مبال بما يصنع ، ومتصوفا ظاهريا ٠ ثم ان الشعر الغنائى الدنيوى الذى نضج فى فارس فى القرن العاشر الميلادى والقرن الحادى عشر ، انضافت الى صوره صور من الشعر الشعبى الصوفى الذى ينقل لغة الحب الدنيوى الحسى الى العشق الالهى ٠ وقد اجتمع التياران فى شعر حافظ فاتسم بهما معا فى حرية فنية لاحد لها ، ومع تلاعب فذ سمح لكافة الامزجة ان ترى فيه ما تهوى ان ترى فيه ٠ أو على حد قول الشاعر الاديب المستشرق فريدريش ريكارت فى قصيدة له عن حافظ : « ان حافظا حين يبدو انه لا يتحدث الا عما هو غير حسى انما يتحدث عما هو حسى وحينما يبدو انه يتحدث عما هو حسى لا يتحدث الا عما هو غير حسى ٠ ان سره ليس بغير حسى ، لان حسيه غير حسى ! » ٠

● كلمة « نجمة » ومشكلتها ! ●

● ليست هذه الرسالة من قبيل الالحاح فى الجدل حول صحة استخدام كلمة "النجمة" للدلالة على الكوكب ، وجاء ردكم مستفيضا وكان من الواضح انكم لجأتم الى القياس والاجتهاد "لتصوتوا" فى صف الدكتورة نعمات أحمد فؤاد ، وقد اثرت الانتظار حتى اقرأ كلمة "المعجم الوسيط" فى هذا الأمر فلم تكن لدى نسخة منه وكان اعتمادى على المعجمات السابقة وفى مقدمتها "لسان العرب" والآن تيسر لى الاطلاع على ما جاء بالمعجم الوسيط عن "النجمة" بمعنى "الكوكب" : وهو :

ـ النجمة : واحدة نجم السماء "محدثة"

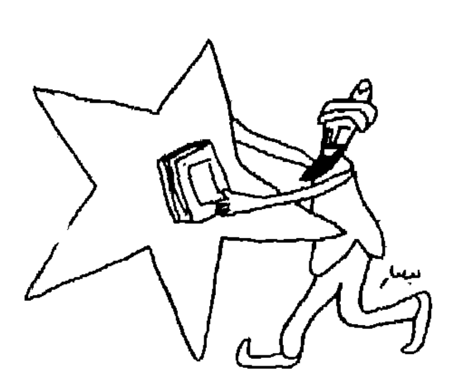
ومن هذا يتبين ان الكلمة ليست عربية فصيحة فاستخدامها للدلالة على الكوكب استخدام حديث ليس له جذور فى اللغة ، واثباتها فى "المعجم الوسيط" لا يعنى تعريبها وانما يعنى اثبات طور من أطوار استخدامها على السنة المحدثين ..

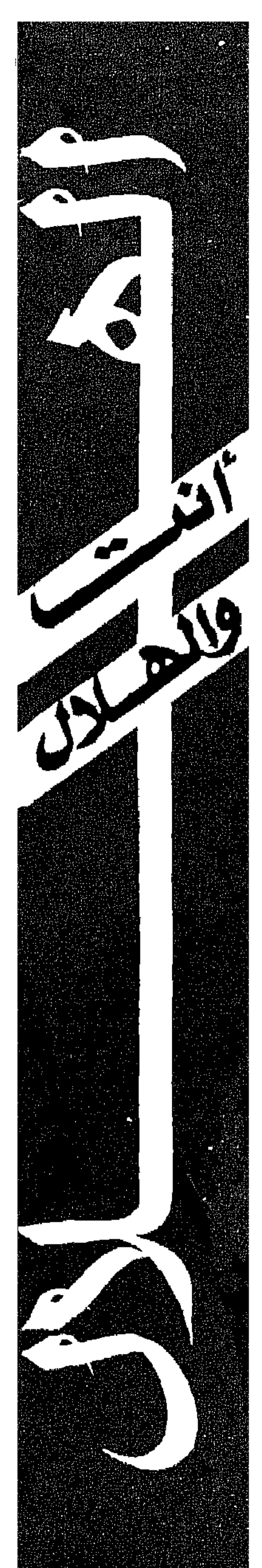
وأنتم تعلمون ان اللغة فى الأصل سماع وما كتبتموه عن المعانى التى وردت "للنجمة" كنت أعرفه قبل الرد ولكن المسألة كانت محصورة فى سلامة إستخدامها للدلالة على الكوكب .

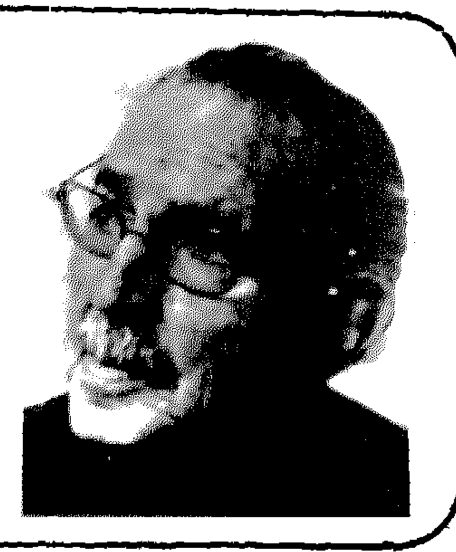
أحمد قاسم أحمد
مدير تعليم بالمعاش
قنا ـ شارع على بن أبى طالب

● تعليق

ـ الشعر الجاهلى وكلام الجاهلية كله ـ لو وصل الينا ـ لوجدنا فيه "النجمة" فقد كانت الجاهلية تستخدم الالفاظ مؤنثة ومذكرة على حسب المقام .. وانا لم الجأ الى القياس والاجتهاد فقط ، ولكنى ذهبت فى الاعتقاد بصحة كلمة "النجمة" مذهب الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فقد كان يستعملها ..







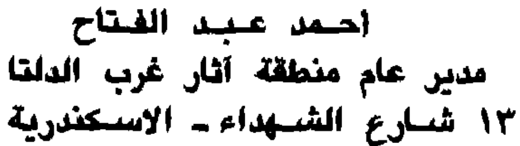
• إسـتدراك •

سقط سهوا إسم المهندس المعمارى الكبير " حسن فتحى " بإعتباره صاحب الكلمة التى بدأ بها المقال المنشور فى العدد السابق بتاريخ ١٩٨٨/١٢/١ بعنـوان " سحر الخيـال فى الواحات البحرية " بقلم وداد حامد .

• هرم ميدوم .. والهلال •



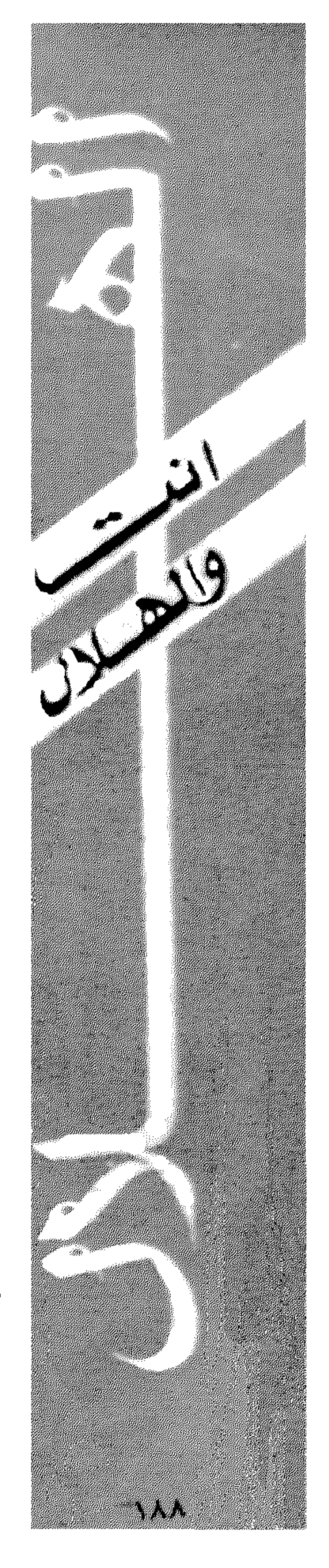
● ورد بعدد الهلال نوفمبر ١٩٨٨ موضوع (كيف تعيش مجلة شهرية مائة عام) ، لوحة فوتوغرافية لهرم ميدوم التليد بمركز الواسطى - محافظة بنى سويف ، والذى يرجع لعصر الأسرة الثالثة والذى يعد من روائع الآثار المصرية ، غير انه قد اشير اليه وطبقا للعبارات المدونة بأعلى الصورة على انه أحد آثار أمريكا اللاتينية ، وليس هذا صحيحا بطبيعة الحال فنرجو تصحيحه ، لأن كلا من الهرم المذكور ومؤسسة دار الهلال من الصروح العظيمة لمصر الخالدة والتى يأبى الانسان أن تغفل الذاكرة نسبتهما لمصر ، وننوه بهذه المناسبة ببالغ الامتنان بمنجزات دار الهلال لأجيال والتى تعد بمثابة جامعة عظيمة لنا نحن أبناء الشعب المصرى انتماء لكافة الأجيال وكافة العصور السابقة والاتية باذن الله .



احـمد عـبـد الفـتاح
مدير عام منطقة آثار غرب الدلتا
١٣ شـارع الشـهداء - الاسـكندرية

• عالمية نجـيب محفـوظ والحركة الثقافية المصرية •

● حينما نطل فى هذا العيد الأدبى الكبير لنجيب محفوظ ونحن نجوب شوارع الثقافة وندخل إلى أروقتها نجد جوا من التناقض بين هؤلاء الرواد المتفجرين بالابداع من أعماق الصمت والعزلة وبين ،



الأساليب التى تحرك الحركة الثقافية على المستوى العام وبالتحديد على المستوى الرسمى . ان الصخب والضجيج يغلفان مواقعنا الثقافية بغلاف (رسمى) من التمييع والتسطيح ولا نبالغ ان قلنا انهما سيفان يئدان المواهب المتميزة فى مهدها ، بل ان المبدعين يطردون في بعض المواقع ويتركونها حزنا ويأسا وقرفا لأن الجهاز المسمى بالثقافة الجماهيرية هو المسيطر على كل المرافق والأبنية الثقافية في مصر وهو الذى يباشر كل الأنشطة الثقافية فى كل الأقاليم سواء فى الفنون أو الآداب ، وكيف يرعى هذا الجهاز موهبة رعاية صحيحة والذى يباشر العمل الثقافى فيه موظفون جاء بهم التنسيق الوظيفى للقوى العاملة ؟!!

كيف يرعى هذا الجهاز ندوة جادة فى مناخ يعج بالصياح والهتاف ويألف الموالد والأفراح التى تقام باسم الثقافة والأدب ويتصدرها دراويش الموالد ومتعهدو الحفلات ؟!!

نعم من حقنا جميعا أن نفرح بأديبنا الكبير ونحن نكرمه لكن لا يجب أن تكون صورتنا الحقيقية هى صورة دراويش الموالد ومتعهدى الأفراح .

وفى هذا المناخ العربى المزدهر بالتواصل الثقافى والفكرى تجىء أرفع جائزة للابداع العربى في وقتها المناسب لتصدر من القاهرة عاصمة الثقافة العربية وباسم (نجيب محفوظ) لتكرم العطاء المتميز الذى يضيف الى رصيد هذه الأمة خاصة والانسانية عامة .

إن الأديب الكبير نجيب محفوظ ظل طوال حياته الأدبية يمارس نشاطا مركبا من العمل والابداع واللقاء بالأصدقاء من الأدباء والفنانين ومتابعة كتابات الأجيال الجديدة ورعاية ما يتاح له وتتيحه القدرة أن يرعاه وهو بهذا يواصل نفس النهج الخلاق الذى نهجه العقاد والحكيم .

ولذلك فتكريم (نجيب محفوظ) الحقيقى والذى يتمناه هو أن نقف على صيغة صحيحة مرنة ومنطلقة لمتابعة ومباشرة العمل الثقافى ورعاية المواهب حتى لو اقتضى ذلك الغاء هذا الجهاز المسمى بالثقافة الجماهيرية واعادة تهيئة المناخ التهيئة السليمة .

صبرى عبدالله قنديل
كفر الزيات

● كبرياء ●

سيبقى على الهجران . قلبى ويكبح
غـراما بـه رغم النوى ليس يبـرح

وينفـر إقبـالـى وتقصيك مقلتـى
ولـن يستبينـى ذا النـداء الملـوح

بـزهـر وأطيـاب ورى ونشـوة
وليـل بـه الأقمـار تـزهـو وتمـرح

فكل الـذى يسعى لنبعك ظـامئـا
بفـوز لـه سـعـى وينجـح مطمـح

وكـل شفـاه تشتـهـى لثـم زهـرة
زهـورك تسقيـهـا الـرحيـق وتمنـح

وتختـال اذ تهفو العيـون لحسنهـا
وتـزهـو بجمـع المـعجبيـن وتفـرح

فـأى جنـان تلـك مـادام بـابهـا
لكـل مـريـد يبتـغـى الفـىء يفتـح

وهـل انتهى يـومـا اليـك واجنـح
وشـوقى الى مغنـاك بـالكبـر ينضـح

ومثلى كطير يهجر الدوح إن راى
علـى غصنـه قيثـارة الغيـر تصـدح

خطاى بدرب القيظ . ما كَل عزمها
وكبـرى قـوى السيـر لا يتـرنـح

وطيـرى سيبقى عن رياضـك نائيـا
وان كـان يهـذى بـالغـرام ، ويفصـح

أحمد محمود مبارك
الاسـكـنـدرية

● بين الوهم والحقيقة ●



ياحبيب العمر مـا بـال الأمـل
لاح مثـل النجـم حينـا وأفـل

اتـرانـا قـد ضللنـا دربنـا
وانحـدرنا فى سـراديب الفشـل

وسـرينـا خلـف أطيـاف المنى
بينمـا الأطيـاف وهـم للمقـل

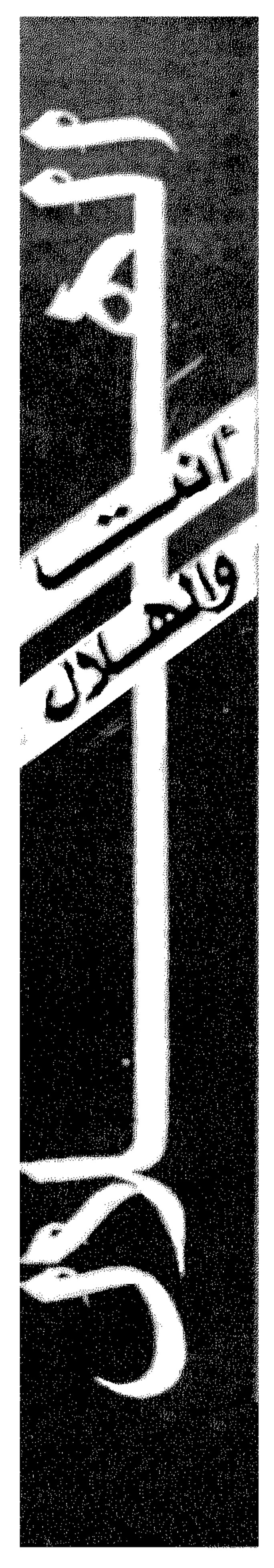
ياحبيب العمر دع عنك الأسى
فـالأسى المكبوت مفتـاح العلـل

واحتمل ما اسطعت نيران الجوى
فبلـوغ القصـد ينسيك الكلـل

واذا استعصى عليـك المـرتجى
ذات يـوم لا تقل ضـاع الأمل

هـكـذا الأقـدار يقضـى أمـرهـا
فـإذا الأقـدار شـاءت لا تسـل

عبده محمد سلطان
أوسيم ـ الجيزة



● أريد الرحيل ●



أريد الرحيل
لأرض جديدة
ارض بعيدة
أرض ما أدركتها العيون
ولا دنستها ذنوب البشر
أريد التنقل بين الكواكب
فيوما اسافر بين النجوم
ويوما انام بحضن القمر
وحينا اغنى مثل الطيـور
وحينا اظلل مثل الشجر
اريد الرحيل لأرض المحبة
ارض التسامح
أرض السلام لكل البشر

* * *

اريد الرحيل لأرض الفضيلة
لأن الحياة هنا مستحيلة
لأن الرذيلة
ستقتل فينا الصفات النبيلة
وتحرق كل المعانى الجميلة
فيا أرض احملها مثل عمرى
وارحل عبر السنين الطويلة
اين الطريق المؤدى اليك ؟
وكيف الوصول ؟
واين الوسيلة ؟

عبدالعزيز جويدة
الجيزة

● برنارد شو حياته وإنتاجه ●

● قرأنا فى تعليقات الصحف لمناسبة فوز الأديب الكبير نجيب محفوظ بجائزة نوبل ، أن بعض أدباء أوربا قد رفضوا هذه الجائزة ، ومن بينهم الكاتب الانجليزى برنارد شو ، فلماذا رفضها ، وما هو انتاجه الأدبى الذى استحق عليه هذه الجائزة الكبيرة ؟! .

عبدالوهاب شعبان عبدالواحد
اسيوط ـ الحمرا

تعليق :

ـ جورج برنارد شو كان يكتب بالانجليزية ولكنه ايرلندى الأصل والمولد .. عاش اربعة وتسعين عاما (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠) واكثر انتاجه مسرحيات (٤٧ مسرحية) بعضها مترجم الى العربية ، وله كتابات كثيرة في الموسيقى والادب والسياسة وغيرها ، واسلوبه من ابرع الأساليب .. وفى سنة ١٩٢٥ منح جائزة نوبل فى الأدب فلم يقبلها لانه كان قد اغتنى بالمال ولم يعد فى حاجة إليها من هذه الناحية ولا من الناحية الأدبية لأنه كان اشهر من نوبل وجائزته ، وقد شبهها بانها كطوق النجاة الذى يقذف للغريق بعد نجاته من الغرق .

● رسالة من كاتب قصة ●

● الاستاذ المحرر بالمجلة ـ جاء فى عدد نوفمبر ٨٨ تعليق على القصة القصيرة التى من "تأليفى" قصة العربة الطائشة و"هذا" القصة صحيحة فكيف تكتب "نقد" لها لقد قام "بقرائتها" أستاذ كبير فى اللغة العربية قال انها ممتازة جدا

"ولماء" قرأت التعليق اندهشت جدا .

أننى كنت أريد ان تنشروها فى المجلة بدون اى أجر "ومكافأ" وعلى "العموم" "أنتوا" كده تحطمون الادباء وهذا كان له ضرر "نفسيا" على اعصابى التى صارت بمجرد ان قرأت النقد "وهذا" قصة كانت "ليست لها أى مثل" فى قوتها التى يتحدى اى انسان يكتب "ذى هذا القصة" وأنا غاضب جدا "وارجوا" ان تنشر القصة بدون نقد لأن "هذا النقد" جعل زملائى المدرسين يأخذون هذه "الخطاه" وصاروا يتحدثون "بهذا القصة" وأنا رغم أننى مدرس فأننى اكتب "قصص وروايات" من ٢٠ سنة ولم يحدث

أن غلطت فى أى كتابة أكتبها لذلك أرجو "ان تهتمون" بالموضوع "وتنشرون" هذه القصة الصحيحة واكون "صريح" معكم لأننى لا تفوتنى "قراء" المجلة "رغم وحيث وكل ما من نشر الا فى انه جيدا"

وأخيرا أنا فى شدة الزعل منكم فلأ "تخصرون" "كاتب كويس زى أنا"

القصاص : خيرى السيد ابراهيم

طما ـ مدرسة نجع عزوز أبوبكر الابتدائية بسوهاج

● تعليق

ـ فى رسالتك هذه أكثر من ثلاثين غلطة نحوية ولغوية وإملائية وضعنا لك بعضها بين أقواس ، فضلا عن العامية فى التعبير التى تبلغ حد "الأمية" تقريبا ، فبالله عليك هل أنت فعلا مدرس بمدرسة ابتدائية فى سوهاج ؟! .. اذا كنت كذلك فعلا ، فكيف يتعلم التلاميذ المساكين على يديك القراءة والكتابة وأنت تحتاج الى من يعلمك إياهما ؟! .. إننى انصحك ياعزيزى أن تحاول استكمال معرفتك بالقراءة والكتابة قبل ان تكتب "هذا القصة" على حد تعبيرك الذى يبعث على الضحك ، وشر البلية ما يضحك .. وياوزير التربية والتعليم .. هل عندك نبا بامثال هذا المدرس ؟! .. وعفاء على اللغة العربية ! ..

● مع الأصدقاء ●

● **وائل وجدى ـ الجيزة ـ ٢٥ شارع بابل ـ الدقى :**

ـ اقصوصتك التى أرسلتها الينا بعنوان "أمل" هى احدى أقاصيص مجموعتك التى نشرتها سنة ١٩٨٥ كما تقول فى رسالتك ، ولهذا لا نستطيع نشرها مرة أخرى ..

● **أحمد السيد محمد موسى ـ طالب بمدرسة شبين القناطر الثانوية :**

ـ سطورك التى ارسلتها الينا بعنوان "احساس" ليست شعرا لأنها خالية من الوزن ، ولكنك مازلت صغير السن ، ولعلك لم تتعد السابعة عشرة من عمرك ، فالأيام متسعة لك لتتعرف على الأوزان واللغة وكل ما يلزمك لكتابة الشعر .. أما سطورك هذه فهى "سجع" وليست شعرا .. اجتهد لتنجح فى

الثانوية العامة ان شاء الله .

● **مصطفى هاشم الشوربجي ..**

- لم تخبرنا عن عنوانك .. قصيدتك عنوانها "جائزة نوبل ونجيب" وليس فيها عن نجيب وجائزته الا ثلاثة أبيات من بين سبعة عشر بيتا لا شأن لها بموضوع الجائزة ..

● **عبدالعزيز الشراكى - كلية التربية بالمنصورة :**

- اجتهادكم فى الشعر والنثر يوجب تشجيعكم والشكر لكم ، ولكننا نرى أنك مازلت فى بداية طريق الشعر وطريق النثر ، فحاول الاتقان قبل ان تطرق أبواب النشر ..

● **عبده محمد سلطان - صقيل - اوسيم - جيزة :**

- أبياتكم التى عنوانها "الداء والدواء" تدل على أنكم قطعتم شوطا فى الشعر ، ولكن الوزن فى قولكم "ياأهل مصر ازرعوا وشيدوا فيها" .. غير موزون ، ولو قلت : "ياأهل مصر ازرعوا أو شيدوا فيها" لاستقام لك هذا الشطر فى بحر "البسيط" الذى منه قصيدتك هذه .. فأنت تعلم أن سقوط حرف واحد من التفعيلة يكسرها .. وقد جمعت كلمة "داء" فصيرتها "داءات" .. والصواب "أدواء" ..

● **سيد أحمد عبيد - نجع حمادى :**

- إنك ياعزيزى تحتاج الى الصبر ، فعنوان قصيدتك "أوريد البقاء" والصواب "أريد" .. وتقول فى قصيدتك "تصلقت" والصواب "تسلقت" .. وتقول : "إنى أبغ البقاء" .. والصواب "أبغى" .. وتقول : "أأتصر على البقاء ؟" ولا ندرى كيف جئت بهمزتين للاستفهام هنا ؟! .. الصواب : "اتصر ؟" ..." .. ويشفع لك أنك ناشىء وأن هذا الكلام هو أول كلام لك فى الشعر .. والطريق يبدأ بأن تتعلم اللغة العربية ، نحوها وصرفها وعروضها واملاءها ، ثم تكتب بعد ذلك ما شئت !

● **ونزجى الشكر والتحية الى اصدقائنا : رضا ابراهيم عبدالمعطى .. أبو بكر محمد محمد حسانين .. جمال عطا أحمد .. عبدالناصر عبدالرحيم أحمد .. رفعت محمد بروبى .. رهام صلاح الدين حسن وهدان .. محمد سعيد رشاد . محمد ابراهيم الفرحاتى .. اشرف محمد أبوالعز .. أسامة عبدالمنعم أحمد .. يوسف عبدالعزيز .. عاصم فريد البرقوقى .. رفعت عبدالوهاب المرصفى .. سعيد محمد كامل سراج الدين .. محمد الطاهر محمود .. حمدى جنيدى عبدالقوى .. ابراهيم حلمى .. عكاشة فهيم غازى .. عبدالرحيم الماسخ .. عبدالعزيز بيومى على .. احمد عامر .. محمد صلاح الدين هلال .**

الكلمة الأخيرة

لم يبدع جرجى زيدان فى عمل بقدر ماأبدع فى عمل مجلة ثقافية كمجلة الهلال ، فهى كانت النواة وجوهرة دار الهلال التى وصل عمرها الآن إلى نحو مائة سنة . وجاء إبداعه هذا ليحقق القول المأثور .. لايصح إلاالصحيح ، ولايبقى إلا الأصح ، لانه انتقى من الأدب درره الأدبية ، وجعله قبلة محبى الأدب جميعا بحيث أن كل العالم العربى ، لم يكن يتردد شهريا عن شرائه ، أولى المجلات العربية كلها وليستقى منها المعرفة ، ويعتمد عليها اعتمادا كليا كمرجع أدبى لا يبارى .

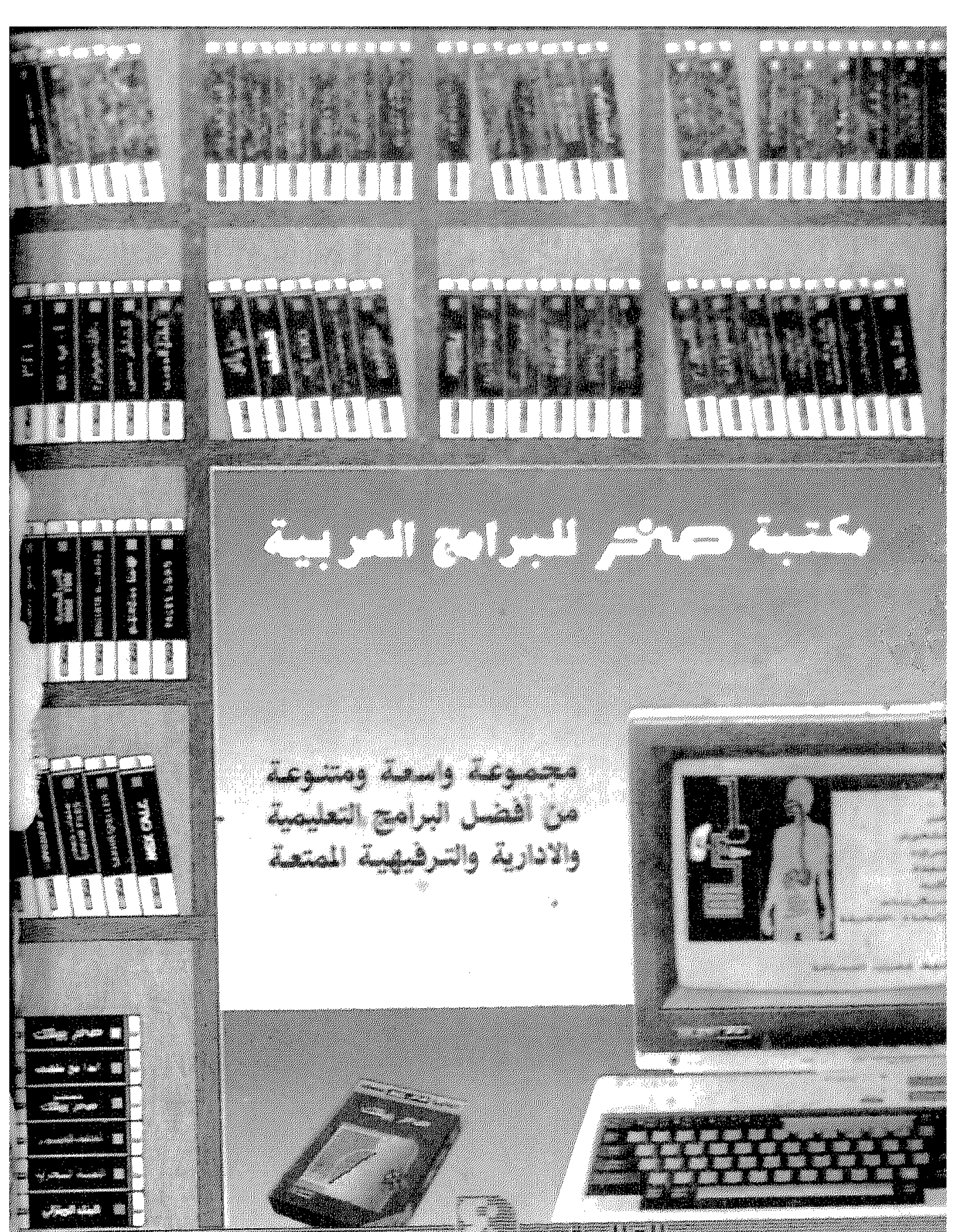
كانت "الهلال" هى الأصل فى بناء هذه الدار الكبرى ، ولكن الظروف الخارجة عن إرادتنا سياسيا واقتصاديا التى بدأت تتأثر بها بلادنا ، حالت بين القارىء العربى الملهوف على قراءة "الهلال" فضلا عن أنه عجز عن أن يجدها بنفس المستوى العظيم الذى أعتاد عليه .

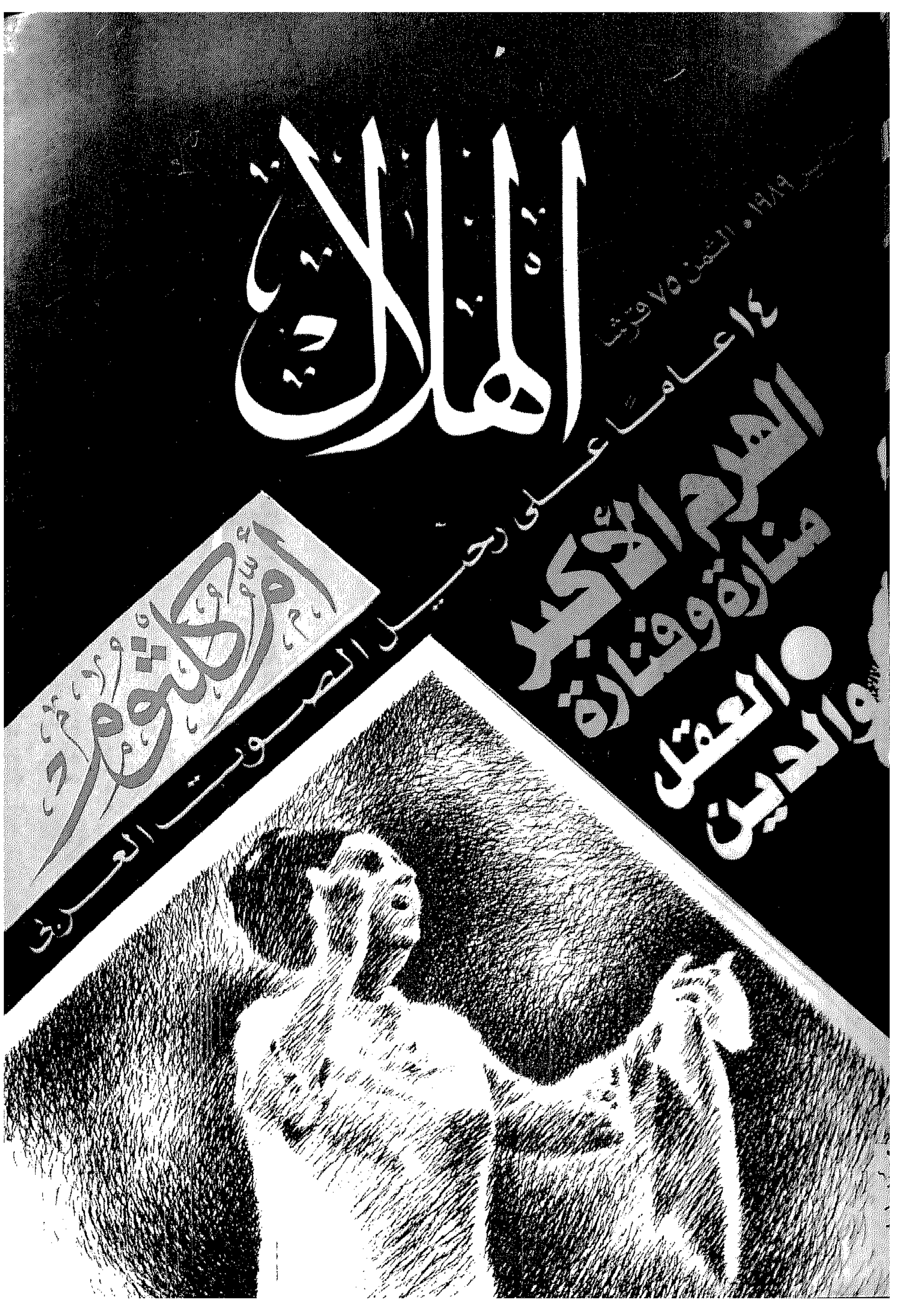
ثم كانت الظروف السياسية التى باعدت بين صحافتنا وقرائها فى العالم العربى كله ، عاملا من عوامل الإساءة إلى القارىء العربى الذى اعتاد على استقاء المعرفة من مجلة الهلال .

ونحمدالله أن كل هذه الظروف التى مرت ب "الهلال" قد أخذت فى طريقها إلى الزوال ، ولسوف يظهر "الهلال" مرة أخرى فى ثوبه الثقافى المتميز ، وسيجد فيه إخواننا العرب أينما كانوا المرجع والسند الأدبى العربى بكل جواهره وإبداعاته .. إنها الهدية التى نتقدم بها للشعب العربى مع بداية هذا العام المبارك بإذن الله .

أمينة السعيد




مكتبة صخر للبرامج العربية
مجموعة واسعة ومتنوعة
من أفضل البرامج التعليمية
والادارية والترفيهية الممتعة
al Alamiah
العالمية



الهلال
١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا
١٤ عاماً على رحيل الصوت العربي
أم كلثوم
الهرم الأكبر
منارة وفنارة
العقل والدين

قمم عربية

● بريشة : الفنان محمد ابوطالب



الدكتور محمد صلاح الدين



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

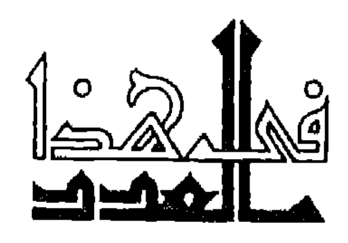
السنة السادسة والتسعون • فبراير ١٩٨٩ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ

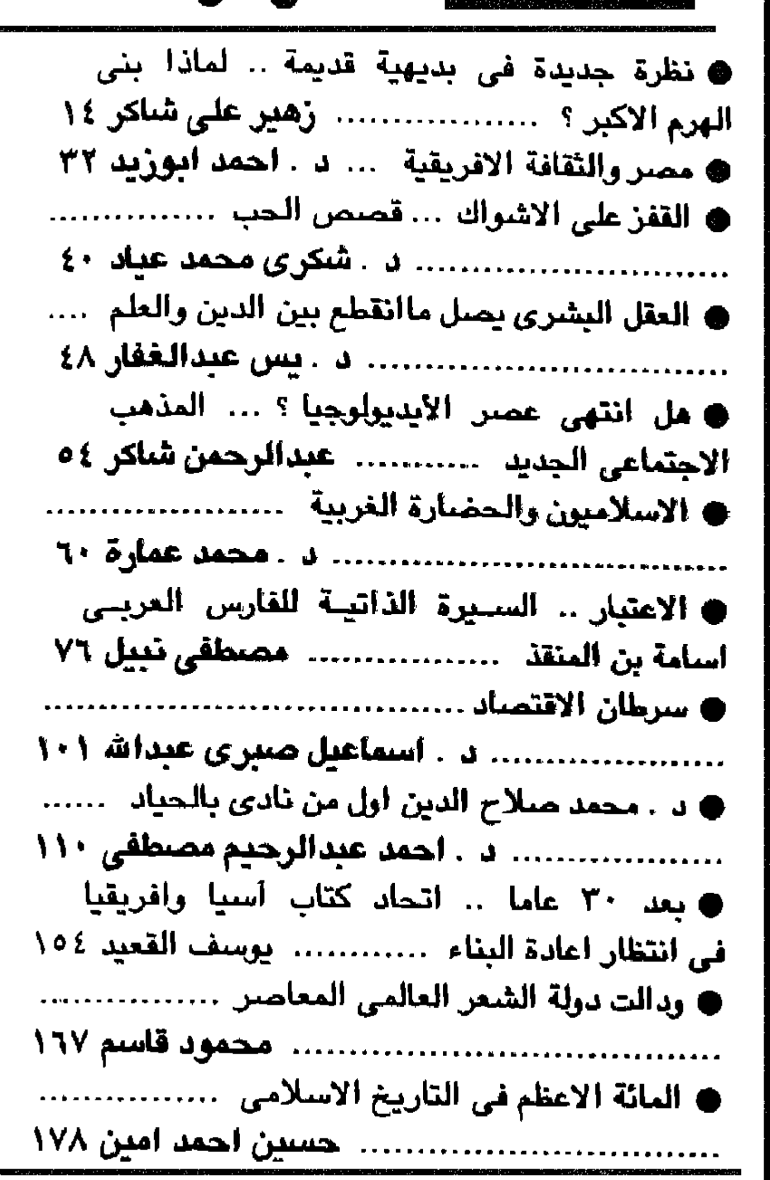
لاتنسى مصر، ابناءها المخلصين ..

والدكتور محمد صلاح الدين واحد منهم، كانت حياته صورة مشرقة للمناضل الوطنى، ساهم فى بناء وزارة الخارجية المصرية كمؤسسة وطنية عندما تولى وزارة الخارجية كوكيل للوزارة ثم وزيرا للخارجية فى فبراير ١٩٥٠، فى مرحلة دقيقة، اعلن خلالها حياد مصر فى الحرب الكورية، واصر على رفض الاحلاف الغربية.

واذا كانت ثورة ٢٣ يوليو قد قامت بعد عجز الحياة السياسية وفشل الاحزاب السياسية القديمة، فإنه يبقى بعض الرموز ومنها صلاح الدين الذى دافع حتى اللحظة الاخيرة عن كل القيم الوطنية واذا كان قد وقع صدام أقدار بين الثورة والقوى السياسية القديمة، فقد بقى صلاح الدين يتمتع بتقدير خاص من قائد الثورة جمال عبدالناصر. كما جاء فى مذكرات ابراهيم طلعت.

اقرا مقال د. محمد صلاح الدين ص ١١٠





فكر وثقافة

● نظرة جديدة فى بديهية قديمة .. لماذا بنى الهرم الاكبر ؟ .... زهير على شاكر ١٤

● مصر والثقافة الافريقية ... د . احمد ابوزيد ٣٢

● القفز على الاشواك ... قصص الحب .... د . شكرى محمد عياد ٤٠

● العقل البشرى يصل ماانقطع بين الدين والعلم .... د . يس عبدالغفار ٤٨

● هل انتهى عصر الأيديولوجيا ؟ ... المذهب الاجتماعى الجديد .... عبدالرحمن شاكر ٥٤

● الاسلاميون والحضارة الغربية .... د . محمد عمارة ٦٠

● الاعتبار .. السيرة الذاتية للفارس العربى اسامة بن المنقذ .... مصطفى نبيل ٧٦

● سرطان الاقتصاد .... د . اسماعيل صبرى عبدالله ١٠١

● د . محمد صلاح الدين اول من نادى بالحياد .... د . احمد عبدالرحيم مصطفى ١١٠

● بعد ٣٠ عاما .. اتحاد كتاب آسيا وافريقيا فى انتظار اعادة البناء .... يوسف القعيد ١٥٤

● ودالت دولة الشعر العالمى المعاصر .... محمود قاسم ١٦٧

● المائة الاعظم فى التاريخ الاسلامى .... حسين احمد امين ١٧٨

دائرة الحوار

● كيف يدخل العرب حضارة المعلومات .... حافظ احمد امين ٩٠



الغلاف
تصميم الفنان :
محمد ابو طالب



قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار لموضحة بعاليه عند الطلب :

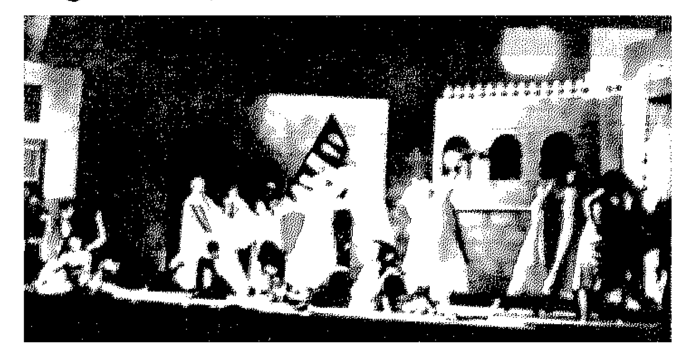
● حل مقترح لـ "فزورة التاريخ ... سـر النهوض والتقدم .... محمد فتحى ٩٤

جولة المعارض

● قراءة نقدية فى بينالى القاهرة الدولى الثالث .... محمود بقشيش ١٣٠

فنون

● أم كلثوم والغناء العربى ...... كمال النجمى ٢٧
● الازيـاء .. مـرآة صادقـة لحالتك الاقتصادية والنفسية .... نجوى صالح ٦٦



● انقلاب .... صافيناز كاظم ١١٨
● إليا كازان حياة بلا حياء .... مصطفى درويش ١٥٨

قصة وشعر

● جبال من القش "شعر" ...... سليم الرافعى ١٢٤
● كشف « قصة » .... جمال الغيطانى ١٤٦
● رجع النداء « اقصوصة » عبدالحكيم قاسم ١٦٤

الأبواب الثابتة

(٦)
عـزيـزى القـارىء
(٨)
العـالـم فـى سـطور
(٢٦)
اقـوال معـاصـرة
٨٩
لغـويـات
(١٢٣)
شـهريـات
(١٧٢)
العـالـم غـدا
(١٨٦)
انـت والهـلال
(١٩٤)
الكلمـة الأخـيرة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal U.N




سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ، الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٣٥٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابوظبى ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٦ ريالات ، كندا ٥ دولارات



الحضارة قديمًا

مصر ـ كما اعتدنا ان نقول ـ امة تبحث عن المستقبل ، اى تبحث عن الانعتاق من التخلف الذى يتمثل فى حاضرها المربوط الى عجلة الماضى السحيق فى كثير من مقومات حياتها المادية والفكرية .. وقد تضخم حجم التخلف فصار كالنير الثقيل على ظهرها ، ترزح تحته ، ويحاول بعض عقلائها ان يجدوا لمشكلتها معه حلا يتفق والعقل والعلم فى عصر لا اعتماد فيه الا على العقول والعلوم .. ولكن فريقا اخر ينظرون الى وراء ويرفعون أكف الضراعة الى السحب السارية فى الجواء أن تمطر عليهم المن والسلوى ! ..

منذ خمسة الاف سنة شيدت مصر الهرم الأكبر ، بحثا عن المستقبل وتوطيدا للمجتمع المصرى الذى كان يبنى نهضته الزراعية الكبرى على ضفاف النيل وعلى اطراف الصحراء . ولم تكن الأهرام مجرد مقبرة للفراعين كما توهم المؤرخ الاغريقى هيرودوت منذ اربعة وعشرين قرنا ونسج على منواله فى هذا الوهم جميع المؤرخين وقارئى التاريخ حتى اليوم ، فانقلب الوهم على مر السنين كأنه حقيقة

عزيزى القارىء

فى هذا العدد من "الهلال" تجد نقضا دامغا لهذا الوهم القديم الذى تناقلته الدهور كالحقيقة المسلم بها من الجميع ، فالاهرام ـ كما سترى ـ انما بنيت فى الاصل لتجمع للمصريين القدماء بين فوائد الفنار والبوصلة والمرصد والخريطة الجغرافية ومقياس الارتفاعات والنتيجة او "الروزنامة" السنوية وبيان مسارات الشمس والقمر والكواكب .. وتضمنت تقويم مجرى النيل وضبط الجهات الاصلية عند فيضان النيل ، وشق الترع واقامة الجسور وحرث الأرض فى ذلك العصر الذى شهد فى مصر منذ خمسين قرنا اول "انقلاب زراعى" شامل ، سبقت به مصر العالم كله وتركته وراءها يجمع غذاءه من الغابات والمراعى ..

تقرأ ذلك كله فى مقالة ذكية المنطق جاءت فى وقتها لتنبهنا الى ان الهرم كان مشروعا زراعيا علميا رائدا جبارا ، اسهم فى صنع مصر التى عرفها العالم كله كاول وطن للانسان المتحضر ..

كانت العلوم التى تراكمت فى عقول المصريين القدماء فى عصر بناة الأهرام ثورة بعيدة الأثر ، اتاحت لهم ان ينفردوا بمعجزة الأهرام .. وقامت حضارتهم الفذة على ثورة معلومات رائعة لم تتح لغيرهم فى حينها فتفوقوا بها وسبقوا العالم أجمع ..

والان .. بعد خمسة الاف سنة من بناء الأهرام ، تقف مصر مشدوهة حيال ثورة

وعدينا : ثورة المعلومات

المعلومات ، تحاول أن تلحق بأذيال الحضارة الاكثر جدة وتقدما التى يوشك المتقدمون في عالمنا الحاضر ان يؤسسوها ويغلقوا ابوابها فى وجوه المتخلفين ! ..

ومن عجب أن الذين كانوا أصحاب اول انقلاب زراعى فى العالم قد فاتهم الانقلاب الصناعى الأول ثم فاتتهم الوثبات التكنولوجية الهائلة .. وها هم أولاء قاعدون مع الخالفين من الأمم الفقيرة اللاهثة ، بينما تشتد الأمم المتقدمة ركضا للدخول من باب حضارة المعلومات ! ..

إن ماضينا لا يمسك بتلابيبنا لنقف عنده ، ولكنه يطلق أيدينا وسيقاننا للريح لكى نعدو لاحقين بالمستقبل ، فان ماضينا كان أول خطوة للبشرية نحو المستقبل الممتد بلا نهاية ، وكانت الأهرام بناء حضاريا يرمز بخلوده الى هذا المستقبل المفتوح قبل أن يتخذ الفراعين ركنا صغيرا فى داخلها مدفنا لرفاتهم الراقدة فى انتظار يوم النشور ..

عزيزى القارىء

إن غلاف هذا العدد من "الهلال" هو رمز لماضينا ومستقبلنا .. فالهرم ـ كما ستقرأ ـ كان مشروع الحضارة المصرية الأولى .. ومن قمته ـ على الغلاف ـ تطل ملامح صوت مصرى عظيم غاب شخصه منذ اربعة عشر عاما ، ولكن هذا الصوت العظيم ـ صوت أم كلثوم ـ لم يتبدد فى الفضاء ، بل تجمعت نبراته أنغاما تحدو ركب المصريين فى تحركهم إلى المستقبل .

واذا لم نتفهم مغزى الهرم ، ولم نتحرك على صوت أم كلثوم الصادح من قمة الهرم ، صرنا كهضبة الهرم التى اندثرت محاسنها التالدة ، واغرقت فى الجمود ، حتى اوشكت الا تدور مع دوران الأرض ، أو كما قال شوقى أمير الشعراء :

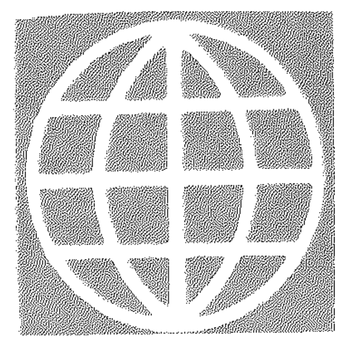
تكاد لإغراقها فى الجمود ... اذا الأرضُ دارتْ بها لم تَدُرْ

عزيزى القارىء ..

نشكر لك تعضيدك الدائم لنا وقد تلقينا آراءك المتعلقة بالأعداد الماضية ، واغتبطنا باستقبالك الحميم لهلال راس السنة الجديدة (يناير ١٩٨٩) .. واقنعتنا حفاوتك أنه كان العدد المناسب فى الوقت المناسب ، واذا كانت عنايتك قد التفتت الى التجديدات فيه ، فنرجو أن يكون التجديد فى الأعداد القادمة تعزيزا للوشائج الوثيقة بينك ـ عزيزى القارىء ـ وبين مجلتك التى لم تنقطع وشائجها قط مع أجيال القراء منذ سبعة وتسعين عاما ، وستبقى موصولة إن شاء الله على مر السنين .

وما اكثر الكلمات التى يمكن أن تقال فى هذا المقام ، ولكن ما اضيق ما يتيحه لنا المجال .. فإلى اللقاء ! ..





العالم في سطور

حصاد العلم في العالم

فى الأيام الاخيرة من كل عام ترشح الجرائد والمجلات العالمية للقارىء احسن اعمال المبدعين التى كاد النقاد أن يجمعوا على الرضا عنها والاعجاب بها .

واهم الاعمال التى ظفرت بهذا الرضا ، وبهذا الاعجاب فى غير مشقة خلال العام الماضى لعلها فى عالم الكتاب غير الروائى .

"صعود وسقوط القوى العظمى" الذى قدم فى مجلة الهلال على ثلاث حلقات وفيه يعرض صاحبه "بول كندى" لنظرية النسبية التاريخية ، ويبين من خلالها ما تواجهه الولايات المتحدة من تحديات فى المستقبل مردها ليس فقدان القوة ، وانما ازدياد منافسيها قوة .

وفى عالم الكتاب الروائى تقف قصة "الحب فى زمن الكوليرا" فى الصدارة لا تنافسها فى هذه المنزلة قصة أخرى .

ولا غرابة فى هذا فصاحبها الأديب الكولومبى "جابريل جارسيا ماركيز" الحائز على جائزة نوبل .

وخلفية أحداث القصة مدينة خيالية فى امريكا الجنوبية باتت واقعية بفضل سحر بيان ماركيز .

فاذا ما انتقلنا الى عالم الموسيقى والرقص ، وجدنا ان "بيتهوفن" فى المقدمة بفضل تسجيل سيمفونيتيه الاولى والسادسة : الجديد فيه ان الفرقة التى عزفت السيمفونيتين بقيادة المايسترو الانجليزى "روجير فورينجتون" قد راعت فى عزفها ان يكون على آلات مطابقة للآلات التى كان يعزف بها فى زمن إبداع تلك السيمفونيتين اى منذ مائة وسبعين عاما او يزيد ، ولوجدنا ان اوبرا "البوهيمية" لبوتشينى قد احتلت مركزا مرموقا بفضل المخرج الايطالى "لويجى كومنشينى" الذى استطاع أن يترجمها إلى عمل سينمائى أوبرالى من الدرجة الأولى .

ومن عجب أن التى مثلت وغنت دور "ميمى" مطربة "سوبرانو" سوداء

اما فى الرقص فقد كان التميز من حظ فرقة باليه لينينجراد "كيروف" عندما رقصت "بحيرة البجع" لتشايكوفسكى فى لندن اثناء موسم الشتاء .

وفى دنيا المسرح التقليدى كانت مسرحيتا "اليكترا" و"الملك لير" فرستى رهان فى الصراع من اجل المركز الأول .

وماساة "سوفوكليس" تعرض لمحنة "اليكترا" (فيناشو) مع امها "كلوتمنسترا" قاتلة ابيها "اجامنون" بالاشتراك مع عشيقها "اجيستوس" .

سلام بومباى



وهى تعرض لها من زاوية انها لم تتحرك لقتل أمها انتقاما لأبيها من منطلق العدالة الإلهية ، وإنما من منطلق آخر هو الكراهية المرضية .

إن "إليكترا" وفق رؤية "ديبورا وارنر" مخرجة المسرحية ونجم فرقة شكسبير الملكية الصاعد ليست الا صورة نسائية لهاملت .. امراة استحوذت عليها فكرة الانتقام .

أما مسرحية شكسبير التى اخرجها "روبين فيليس" ومثلها "ويليم هت" ، فتعيد تفسير شخصية الملك لير وهو حسب تفسيرها عبارة عن ملك مخرف سلطاته آخذة فى التقلص والاضمحلال ، وبناته بنظامهن وقسوتهن التى لا تلين انما يمثلن المنطق والصحوة فى مواجهة خرف الشيخوخة .

ولو انتقلنا الى المسرح غير التقليدى ، فقد يهم القارىء ان يعرف ان "معجزة الحب" للمخرجة الامريكية "مارتا كلارك" هى المسرحية التى احدثت اكبر ضجة فى مهرجان "سبلويتو" بايطاليا .

وهى عبارة عن لوحات سيريالية مدهشة يتحرك داخلها مهرجون وجوقات وعرايا ، تنطلق منها اغانى طيور وصور ولفت بحيث تقول الشىء الكثير عن الحب والعنف .

وهنا قد يكون من المناسب ان اشير الى اجماع النقاد على الاعجاب بأداء "فينسيا ريد جريف" لدور ليدى "تورنس" فى مسرحية "اورفيوس يهبط الى الجحيم" لصاحبها الاديب الامريكى "تينيسى ويليمز" ؛ وذلك رغم مواقفها المؤيدة لحق شعب فلسطين فى وطن على ارض فلسطين .

وان اشير كذلك الى حماس نفس النقاد لأداء "فيوناشو" لدور "اليكترا" وهو حماس وصل الى حد ترشيحها لوراثة عرش المسرح الانجليزى فى زمن قريب .

كان من العسير على النقاد اختيار احسن فيلم من بين آلاف الافلام التى انتجت للشاشتين الكبيرة والصغيرة على مدار العام فى مختلف أنحاء العالم .

وعلى كل ، فالذى لفت نظر النقاد هو السينما الدنمركية بفيلميها "وليمة بابيت" و"الغازى بيلى" اللذين احدثا دويا كبيرا

والاول للمخرج الدنمركى "جابرئيل اكسل" عن قصة للاديبة الدنمركية "ايزاك دينيس" وقد فاز بجائزة اوسكار لاحسن فيلم اجنبى .

اما الفيلم الثانى فللمخرج الدنمركى "بيل اوجوست" عن قصة للأديب الدنمركى "مارتين اندرسن نكسو" من اربعة اجزاء ، وقد توج بجائزة كان الكبرى "السعفة الذهبية" لعام ١٩٨٨ .

وفيه يحكى المخرج "اوجوست" ببساطة أسرة قصة اب "لاس" (ماكس فون سيدو) وابنه الصغير ابان النصف الاخير من القرن التاسع عشر .

انهما هاربان من الفقر فى السويد الى الدنمرك حيث يعملان فى مزرعة تعد بحق رمزا مصغرا للعالم ، رمزا لعدن بعد السقوط .

ولعل "ماكس فون سيدو" - وهو ممثل سويدى - بفضل ادائه لدور الأب ؛ لعله احسن ممثلى العام .

وليس من شك ان افضل عمل سينمائى اول هو الفيلم الهندى "سلام بومباى" للمخرجة الهندية الشابة "ميرانايير"

ومحوره الصغير "كريشنا" واسم شهرته "شايبو" (شيال الشاى والخبز فى اللغة الهندية)

وما يتعرض له - هو ورفاقه اولاد الشوارع - فى ازقة وحوارى فيلم بومباى .

العـــالم فى سطور

أنتيـــب بفـرنســا

جائزة نوبل علـى جثتـى

"الضابط والعدو" عنوان احدث رواية نشرها الكاتب البريطانى المعروف جرهام جرين فى الشـهـور الاخيـرة . وكعادته ، فمع كل رواية جديدة تثور عدة تساؤلات عن الكاتب وعطائه وما يمكن ان يقدمه فى ابداعه الجديد .. فجرين كتب الـرواية والأقصوصة والمسـرحية والنقد السينمائى . والسيناريو كما كتب للاطفال . واثار حوله من الغموض حين كتب عن تجربته كعميل سرى بريطانى .

وقد استغلت مجلة "لير" هذه المناسبة وراحت تطرح على الكاتب العديد من الأسئلة حول زمن اعتزال الكاتب وعن دور الكاتب فى كتابة سيرته الذاتية . وعن عـلاقته بجائزة نوبل .

قال الكاتب ان روايته الاخيرة تـدور حـول الحـرب .. وسؤال بطله الدائم عن طيبة قلب الاعداء .. فهل الاعداء دائما اشرار . ام انهم يتمتعون مثله بطيبة قلب .. ويرى جرين ان عنوان الرواية مستمد من عبارة كتبها مؤلف انجليزى مغمور يدعى جورج بومنجهام . وهو اكثر كتـاب القرن العشرين سخرية ..

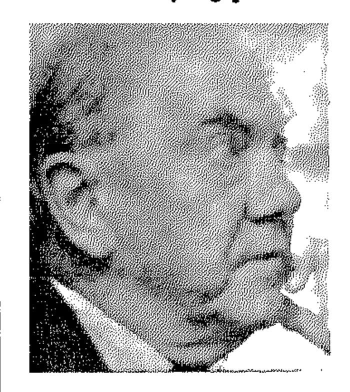
ويرى جرهام جرين - ٨٤ سنة - انه لا يوجد سن معين لانسحاب الكاتب من عالم العطاء . فقد تصور عندما نشر روايته "موسم الامطار" عام ١٩٦٠ انها ستكون آخر رواياته .. ولكنه سيظل يعمل ولا يزال حتى الآن ..

وقد استفاد جرين من احلامه التى يراها . فيروح دوماً يفسرها ثم يحولها الى قصص ويقول ان السن قد يجيء ضد الكاتب فى شيء واحد . هو قدرته على القـراءة والتحصيـل .. ويعترف انه قـد كسب الكثير من الأدب فاشترى بيوتاً فى مدن عديـدة اختارها للاقامة فيها مع اسـرتـه فى كـابـرى ، وباريس ، ولندن وانتيب بفرنسا . وقال ان اسوا رواياته ، فى نظره ، هى التى جلبت له الاموال الكثيرة ..

وعن سؤال حول جائزة نـوبل قـال انها أشبـه باليناصيب . يتم دائما اختيار اسم واحد من بين مئات المرشحين . وقال : انا لا اعتمد على كسب اليانصيب . اذا حصلت على جائزة نوبل . فأؤكد ان هذا سيسبب لى السعادة . وسيوفر لى الكثيـر من النقود ، التى علىّ ان افرغ وقتى كى اجـد وسيلة لصرفها ..

ويؤكد جرين انه لن يحصل ابداً على جائزة نوبل ليس لأنه مشهور . ولكن لأن احد اعضاء لجنة منح الجائزة قد صرح يوما : لن يفوز جرهام جرين بالجائزة الا على جثتى .

جرهام جرين



مونـتريـــال القـاهــرة

كل المخلوقات .. من نسـل ادم

فوجئت بها فى مكتب اديبنـا الكبيـر نجيب محفوظ .. جلست تنتظر لقاءه فى احدى الصالات بجريدة الأهرام . لا احد

يعرفها .. قالت انها كاتبة من كندا .. وليس اكثر .. اقتربت منها وسالتها "السيدة انطونين ماييه" .. بكل تواضع ردت : اجل ..

انطونين ماييه في القاهرة دون ان يحس بها احد .. اهم كاتبة في كندا . جاءت مع وفد سياحي لقضاء عطلة رأس السنة ورحلت ..

تعمدنا نكتب هذه السطور لنكشف مدى علاقتنا بمدى ما يحدث في العالم .. فانطونين ماييه قد نالت جائزة جونكور عام ١٩٧٩ عن روايتها "بيلاجي لاشاريت" . كما رشحت لنفس الجائزة قبل ذلك بعامين .. ولولا المصادفة وحدها ما احسسنا بوجودها .. وقد جاءت لزيارتنا ، في فوج سياحي ضم عشرات الأدباء دون ان نحس بهم .

وماييه ، ٥٥ عاماً ، هي احدى الكاتبات الكنديات اللائي يكتبن مباشرة باللغة الفرنسية وهي مهتمة بتاريخ اجدادها من الذين هاجروا الى كندا وصنعوا حضارة وتاريخاً في القرن السادس عشر .. وحول هذه الفترة قدمت روايتها "بيلاجي لاشاريت" . حول امراة اشترت عربة ظلت تشترك بها في الحروب الاهلية عشر سنوات الى جوار قائد آمنت به واحبته .. لقد ادخرت ثمن هذه العربة سنوات طويلة .. وحاربت ايضا طوال سنوات .. وفي النهاية ماتت بجوار عربتها دون ان تحقق لنفسها شيئا ..

اما احدث رواية قدمتها الكاتبة فهي "اليوم الثامن" حول ماذا حدث في الكون في اليوم الثامن لخلق العالم .. لقد انجب آدم وحواء مجموعة من الابناء .. راح كل منهم يقطع في الأرض مسافات حتى استقر في منطقة ما . فراح يعمر فيها ويعيش وينجب الأولاد .. وترى ماييه ان كل مخلوقات العالم من حيوانات واسماك قد جاءوا من ضلع آدم . وانها خرجت معه من الجنة من اجل تعمير الأرض .

اهم مافي زيارة ماييه للقاهرة .. اننا اكتشفنا أن الشارع الضخم الذي تقيم فيه بمدينة مونتريال الكندية يسمى "شارع انطونين ماييه" منذ عدة سنوات .. لفتة نحب ان ننقلها الى من لا يهمهم الامر ..

لنـــدن

تولستوي . السماء . الوطن . النساء



تولستوي

ما اكثر الكتب التي الفت في حق تولستوي وسيرته . وهاهو ذا "ا . ن . ويلسون" الاديب البريطاني المتخصص في كتابة القصص الكوميدية . هاهو يتصدى لسيرة عملاق الادب العالمي ، فيكتب عنها مجلدا ضخما (٥٨٤ صفحة) يعرض فيه لعلاقة تولستوي بالله وروسيا والنساء .

وفي رأيه ان الاديب الروسي حاول حل مشكلته مع السماء من خلال اعتناق عقيدة مسيحية مستقلة عن الكنيسة .

وهو في ممارسته لهذه العقيدة كان ناقرا من الدين المنظم رسميا وحياة المدينة .

مؤثرا حياة زاهدة بين



الفلاحين قوامها الاكتفاء الذاتي .

داعيا الى تجنب شرور اللحم والخمر والتبغ والجنس .

وعن علاقة "تولستوى" بروسيا - وهي علاقة اتسمت بازدواجية منقطعة النظير - كتب الأديب الانجليزى يصفها بعبارات موجهة منه الى تولستوى على الوجه الآتي :

"من ناحية انت تعرف انك ولدت في امة لها رسالة سماوية .

قدرها هو الابقاء على شعلة الحقيقة مضيئة هذا في الوقت الذى تنحدر فيه سائر الامم الى هاوية الانحلال .

(الحقيقة قد تكون المسيحية الاورثوذكسية او الماركسية اللينينية .. ولكن الشعور واحد في كلتا الحالتين)

انت تعرف ان الروس لا يفوقهم احد في اى شيء من الشعر حتى العاب الجمباز .

وانهم اصحاب جميع الاختراعات .. الباليه . الدراجات آلات الاستهلاك الداخلي .

انت تعرف ان ثروة روسيا من الروح تفوق ثروة اى بلد آخر .

اشجارها (البريوزكا) ، ثلجها ، جليدها ، صبغها كل ذلك ازهى وامجد من تعبيرات الطبيعة في اى بلد من البلدان ذات الليالى البيضاء .

ومع ذلك ، فثمة عيب وحيد ، الا وهو ان الحياة فيها لا تطاق" .

يبقى موقف تولستوى من النساء .

وهنا استند صاحب السيرة فيما استند اليه لالقاء الضوء على مذكرات زوجته "صوفيا بيهرز" التى عقد قرانه عليها ولها من العمر ثمانية عشر ربيعا .

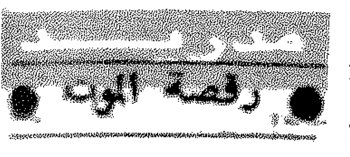
فقبل اسبوع من ليلة الدخلة طلب اليها ان تقرأ مذكراته .

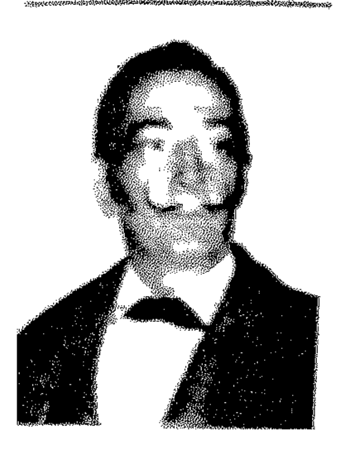
وياليتها ما قرأت ما انطوت عليه تلك المذكرات من اعترافات مدارها مغامرات تولستوى مع النساء .

فبعد ثمانية وعشرين عاما من هذه الواقعة كتبت "سونيا" في مفكرتها :

" ما ازال اتذكر اوجاع الغيرة ، هول اول تجربة مفزعة مع انحطاط الرجال" .

وفي رأى "ويلسن" اننا لو قرأنا مذكرات "تولستوى" و"سونيا" معا لوجدنا انفسنا امام جو من الكراهية العائلية قد لا يكون له مثيل في تاريخ الزواج .





مات أكثر فناني العصر جنونا سلفادور دالي (١٩٠٥ - ١٩٨٩) وكان أول طلب « لسلفادور دالي » آخر الرسامين السرياليين العظام ، فور وصوله الى أحدى مستشفيات برشلونه التي جرى نقله اليها لاشتداد العلة عليه ، هو أن يجيئوا اليه بجهاز تليفزيون يتيح له متابعة أخبار مرضه على الشاشة الصغيرة .

لقد جاءه الاحساس العميق بالموت مبكرا ، عندما اكتشف ، وهو طفل - أن اسم«سلفادور» الذى اختير له ليس الا اسم شقيق له كان قد مات .

ومن المدهش أن احدى الصور المتكررة

فى اعماله منذ البدايات، هى صورة حمار ميت حط على جثته حشد من الذباب غفير .

وفى « كلب اندلس » اول مغامرة سينمائية له مع المخرج « لويس بونويل » - نرى نفس الحمير الميتة فى آلات بيانو محشورة .

ورغم ان « دالى » اكثر السرياليين شهرة لدى العامة ، فانه يعتبر فى عرف معظم اتباع جماعة السريالية مسرفا فى التقليد ، وفى الجنوح الى اليمين المتطرف .

ولقد وصلت به قنزحته الاجتماعية الى حد تلوين ردود فعله للموت بالوان غير مألوفة .

فمثلا عندما ووجه بموت العمال فى حادث واختلاط جثثهم بحطام قطار لم يستطع ان يمنع نفسه من وصف موتهم بانه من النوع الذى يدغدغ !!

الا انه عندما جاء الموت سيدة غنية من اوساط الارستقراطية كان على معرفة بها اذا به يصفه بانه موت مدمر اما موت اتباع الجنرال « فرانكو » فيصفه بالبطولة . لقد افزعت الحرب « دالى » وحاول جاهدا تجنبها ومع ذلك فقد كان صعبا عليه الا يستجيب لها ، والا يجد فيها حافزا على مزيد من الحيوية والنشاط .

والحرب الاهلية الاسبانية التى رسمها فى صور مرعبة مزدحمة بحيث تتوالد وتتآكل ، هذه الحرب لم تكن فى رأيه سوى ظاهرة طبيعية مثلها مثل زلزال او ثورة بركان .

وفى الحق ، فقد كان لفرانكو فى قلب « دالى » حب ومنزلة وصلت به الى حد اقتراح عمل تماثيل تذكارية من العظام المذابة للجنود الفاشيين الذين استشهدوا اثناء القتال .

ولكن « فرانكو » كان اعقل من ان يقبل العمل بمثل هذا الاقتراح الواضح الشذوذ .

ومعروف عن « دالى » حبه للمال حبا جما وسعيه فى سبيل الاستمتاع به الى افانين وضروب لهو ولعب استبيحت فيها اللذات الى درجة الابتذال .

والذهب فى ميزان القيم عند دالى يفوق فى القيمة جميع الاشياء الاخرى فيما عدا الوسخ

ومما يحكى عنه انه عندما اخرجته الحركة السريالية من رحمتها لثبوت انجذابه نحو النجاح المالى ، وبهذه المناسبة قام الشاعر السريالى « اندريه بريتون » بنحت اسم جديد له من حروف اسمه الاصلى وهو « افيدا دولارز » (مفجوع الدولارات) ، لم تصبه دهشة ولم يهتم او يهتز .

ورغم انه كان وقتذاك مريضا يعانى من ارتفاع درجة الحرارة، فان هذا لم يمنعه من التعليق بصوت خافت وقياس الحرارة فى حلقه على تسمية « بريتون » قائلا ان الهذيان هو ارفع وسائل التعبير الشعرى .

ومن يومئذ وحتى هذه الساعة لم يغير « دالى » رأيه هذا .

قبل نقله الى المستشفى كان « دالى » يعيش فى متحفه بمدينة «فيجيريس» من اعمال كتالانيا حيث رسم احسن ما ابدع .

ويعتبر « مسرح متحف دالى » (هكذا اسماه) اكثر متاحف اسبانيا شعبية ، لايفوقه فى ذلك سوى متحف البرادو فى مدرية .

نظـــرة جـــديـــدة فـــى بـــديهيـة قـــديـمـة

لِماذا بُنِي الهَرَمُ الأكبر ؟

بقلم : زهــير غــلى شاكر

تكاد تكون من البديهيات المسَّلم بها ، أن الهرم الأكبر ـ ثم الهرمين الآخرين الأقل منه حجما ـ قد بنيت خصيصا لكي يكون كل منها قبرا لفرعون مصر بديهية بسيطة شديدة الإقناع ، يزيد من قوة إقناعها التراكم الهائل من شهادات المؤرخين القدماء والمحدثين ، وعلماء التاريخ والآثار ، حتى لتكاد لاتقبل المناقشة .

وأعترف للقارىء أن هذه البديهية ـ أو ما يبدو كأنه أمر بديهى ، قد كان منذ زمن بعيد يمثل عندى فى آن واحد : غصة فى حلقى ، وتساؤلا محيرا يحتاج إلى إجابة واضحة كيف يكرس هذا الشعب الكبير ، المتحضر فى زمان قل فيه المتحضرون ، الجزء الأكبر من طاقته العاملة اليدوية والفنية ، مضافا إليها تلك التكاليف الباهظة من المواد والحيوانات والآلات ، لمدة تقل أو تزيد عن عشرين عاما ، لمجرد أن يبنى قبرا يدفن فيه فرد ؟

● مهما قيل عن عظمة ذلك الفرد ، وعن خضوع ذلك الشعب ، مهما قيل عن إيمان الشعب بأن فرعون إله أو نصف إله ، مهما قيل عن ولاء الشعب لآلهته وديانته وكهنته وطقوسه ونظامه الحاكم ، يظل العقل عاجزا عن تصور أن يرسل هذا الشعب عشرات الألوف من رجاله . ثلاثة أشهر من كل عام ، عاما بعد عام ، عشرين أو ثلاثين مرة متتالية ، ليقيم هذا الصرح الشامخ ، من أجل ذلك الهدف ـ بناء قبر .

وأعجب منه أن تتكرر هذه المهزلة ، ولو



- رسم لبناء الاهرام كما تخيله الفنان ج . بيش

بدرجة أقل - فى جيلين تاليين ، يقام فيهما قبران ثان وثالث لملكين آخرين هما خفرع ومنقرع . بل وأعجب من ذلك مرة أخرى ، أن يتوقف هذا الجهد الخرافى فجأة - أو يكاد - بعد ذلك ، إلا من أهرامات صغيرة متناثرة لبعض الملوك الآخرين . ثم ينتهى ما يسمى « عصر بناة الأهرام » . ثم لا تتكرر هذه الظاهرة بعد ذلك قط فى التاريخ المصرى الطويل ، رغم أن الديانة المصرية وإيمان الشعب بها لم يتغيرا تغيرا يذكر لعدة قرون ، ورغم أن مصر حكمها بعد بناة الأهرام ملوك كثيرون ، منهم من هو أعظم ثراء ، وأوسع نفوذا ، وأعتى جبروتا من خوفو وأولاده ، لم يخطر ببال واحد منهم أن يصنع لنفسه مثل تلك « القبور » أو قريبا منها .

● الصورة قبل الأهرام :

ولعلنا إذا استطعنا أن نمد بصرنا عبر القرون ، ونتخيل ما كانت عليه أرض مصر وسماؤها قبل بناء هذه الأهرام ، وأن نجمّع بعض الحقائق المعروفة التى تبدو كأنها متفرقة لا رابط بينها إلا المصادفة ، لعلنا نستطيع أن نجد الاجابة المقنعة على هذا السؤال المحير . فمن هذه الحقائق مايلى :

أولا : أن الأهرامات كلها : صغيرها وكبيرها ، ما سبق منها هرم خوفو وما تلاه ، قد بنيت فى منطقة واحدة هى منطقة مصر الوسطى ، الواقعة بين منف القديمة (ميت رهينة الحالية) وهضبة الأهرام أو شمالها ببضعة كيلو مترات ، وهى المنطقة التى تضم : سقارة ودهشور والجيزة وميدوم إلخ ..

وتتميز هذه المنطقة ذاتها بأن مجرى النيل فيها كان يتسع ويتفرق إلى عدة فروع كبيرة وصغيرة ، وأن مياه الفيضان كانت تغمر هذه المساحة الهائلة ، فتصبح بحيرة موسمية مترامية الأطراف ، لايحدها إلا المقطم من جهة الشرق ، وهضبة الأهرام وانحداراتها من جهة الغرب . مسطح هائل من الماء ، ثلاثة أشهر من كل عام ، لا تظهر فيه أية معالم ، سوى بعض التلال الرملية الواطئة التى أقيمت فوقها تجمعات سكانية متشابهة ، وقليل من الأشجار والنخيل ، ثم لا شىء سوى الماء . لا شىء .. ولا معلم يهتدى به الملاح السائر بسفينته أو زورقه على صفحة هذه البحيرة . لا شىء يعينه على تحديد الاتجاه الذى يسير فيه ، أو يعينه على تمييز شماله من جنوبه ، أو شرقه من غربه - إن كان سائرا بالليل - قبل أن تخترع البوصلة بآلاف السنين .

ثانيا : أن جميع هذه الأهرامات قد أقيمت على الحافة بين الوادى من ناحية ، والصحراء الغربية من ناحية أخرى . هذه الصحراء المنبسطة التى تشبه بدورها بحرا متراميا من الرمال والتلال القليلة المتشابهة . مرة أخرى بلا معالم يهتدى بها المسافر فيها ، بخلاف الصحراء الشرقية الغنية بجبالها ووديانها ومعالمها الثابتة . وأيضا بخلاف الصعيد الذى

تتحدد فيه المعالم . بمجرى النيل وسلاسل الجبال على جانبى الوادى .

ومن المعروف بالطبع أن الفراعنة كانوا يبنون قبورهم جهة الغرب ، ولكن يبقى التساؤل . لماذا لم يبنوا هرما واحدا على الضفة الغربية للصعيد الأعلى ، فى وادى الملوك مثلا ؟

ثالثا : إن الفيضان كان عندما يأتى ، يزيل جميع المعالم والحدود التى صنعها الانسان فى باقى شهور السنة . وعندما ينحسر تبقى الأرض صفحة منبسطة خالية من العلامات ، ويحتاج الأمر إلى إعادة تحديد معالمها مرة أخرى ، بعمليات مساحية دقيقة ، تعتمد بالضرورة على نقطة أو عدة نقاط « ثابتة » ، يتم منها قياس الأبعاد ـ أو رصدها .

رابعا : أنه بعد بناء الهرم الأكبر بصفة خاصة ، بدأت عملية استمرت حوالى مائتى عام ، هى بقية عمر الأسرة الرابعة (بناة الأهرام) والأسرة التى تلتها ، **وتمت خلالها نهضة زراعية ورعوية هائلة ، تضمنت إنشاء العديد من مشروعات الرى الكبرى فى منطقة الدلتا ، من شق الترع ، وتقويم مجرى النيل ، وتسوية الأراضى ، وردم المستنقعات ، وإقامة الجسور . وهو ما كان يستلزم بالضرورة وجود ما يسمى فى علم المساحة الحديث « روبيرات » ، أو نقطا معلومة الموقع والارتفاع بشكل دائم لا يتغير ، تقاس منها ـ أو ترصد ـ ارتفاعات وانخفاضات وأبعاد غيرها من النقط .**

خامسا : يضاف إلى هذه الحقائق ، وإن كان ليس أقلها أهمية ، المقاسات الدقيقة التى بنيت عليها الأهرامات ، وبخاصة الهرم الأكبر ، الذى بلغت درجة الدقة فى بنائه أن الخطأ فى مقاييسه لا يتجاوز جزءا واحدا من ٢٥٠٠ جزء ، أى أقل من نصف ملليمتر فى المتر الواحد ، أو أقل من ١٠ سنتيمترات فى طول الهرم كله ، والذى يبلغ ٢٣٦ مترا .

ومن ناحية أخرى ، وضعت خطوطه البسيطة الحاسمة ، بحيث تنطبق وجوهه الأربعة على الجهات الأصلية الأربع انطباقا شبه تام ، لا يقل فى دقته عن مقاييس الهرم نفسه .

أما النسب بين أطوال الهرم وبين ارتفاعه ، فإنها لم توضع أيضا كيفما اتفق ، بل ضبطت بحيث تكون النسبة بين ارتفاع الهرم وطول قاعدته ، هى نصف النسبة الدائرية المشهورة «ط» ، وبخطأ لا يكاد يذكر . وليت شعرى لماذا يتحرى من يريد بناء « مجرد قبر » كل هذه الدقة وكل هذا الضبط !!

● ثم بعد الهرم الأكبر :

فلنتخيل إذن أنه فى وسط هذه المساحة الهائلة المنبسطة الخالية من المعالم الثابتة ، وضعت كتلة حجرية ضخمة ، ذات مقاييس واتجاهات معروفة بالضبط ، ونسب دقيقة مشهورة ، فى مكان محدد تحديدا لا يقبل الخلاف ، وعلى ارتفاع ظاهر لكل عين ، تراه على بعد

عشرات الكيلومترات بل مئاتها ، لا تخطئه العين بشكله المميز الفريد ، سواء فى ضوء النهار أو حتى على خلفية من الضوء الباهت الذى لا تخلو منه سماء مصر ، حتى فى أشد الليالى حلكة وأكثفها غيوما .

ثم لنرى ماذا يفيد ملاحنا التائه ، ومسافرنا القادم من الصحراء ، ومساحنا الذى يريد أن يعيد تحديد الأراضى بعد الفيضان ، ومهندسنا الذى يعمل فى شق الترع وبناء الجسور .

١ ـ أما الملاح فقد وجد أمامه منارة أو فنارا لا يحتاج إلى أى ضوء ، يهتدى به فى سيره طوال العام ، ويعرف بمجرد النظر إليه مكانه الذى هو فيه ، والاتجاهات الأصلية المحيطة به ، ويعرف من الحجم الذى يظهر له فيه الهرم ـ عل وجه التقريب ـ بعده عن هضبة الأهرام ، فيستطيع بذلك أن يتجه إلى المكان الذى يقصده دون خطأ يذكر .

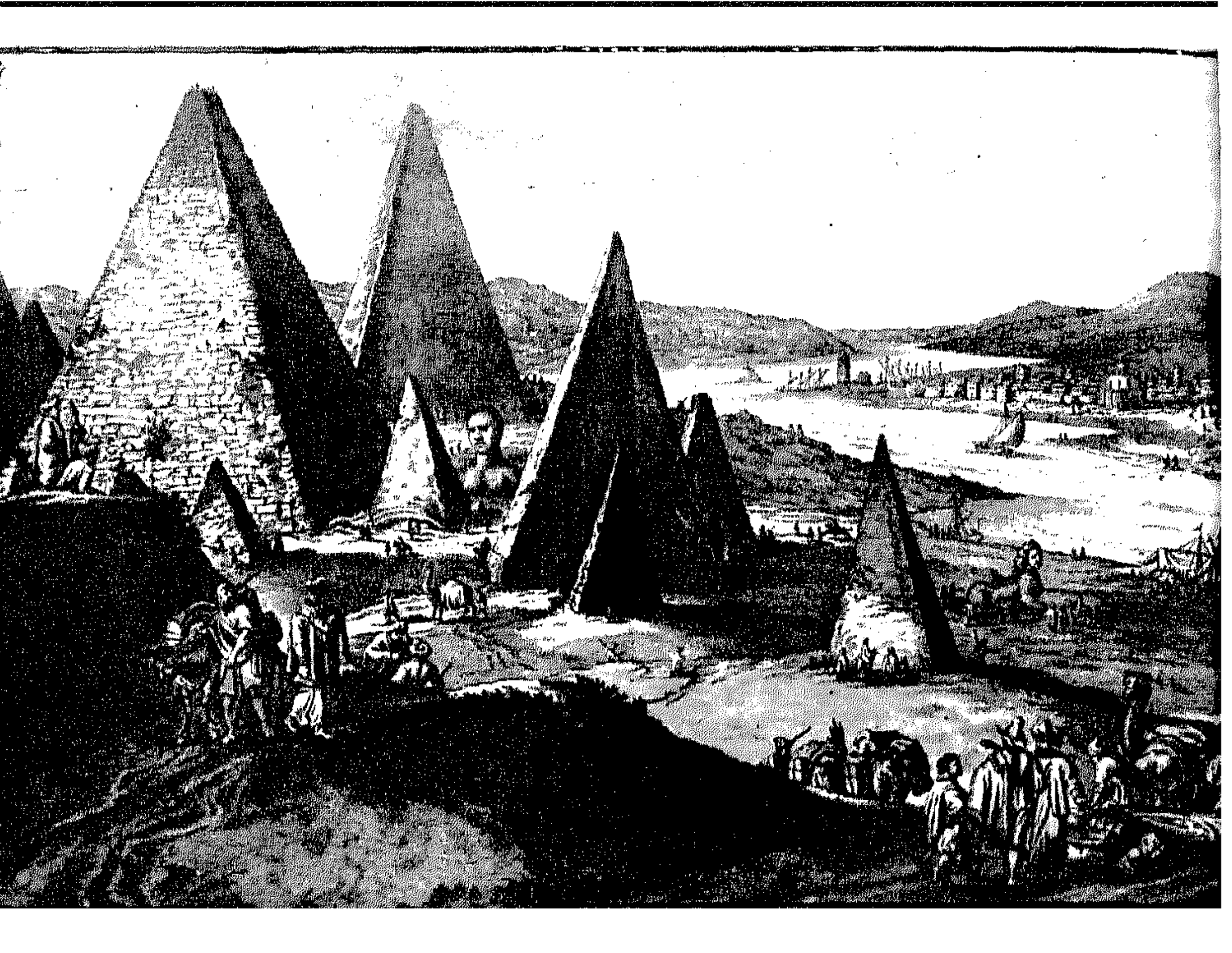
ونفس الشيء بالنسبة للجندى العائد من غزو الصحراء أو المتجه اليها ، أو المسافر العادى فى هذا البحر المترامى من الرمال .

٢ ـ وأمّا المساح والمهندس ، فقد قيض الله لهما نقطة ثابتة الموقع ، والارتفاع ، والمقاسات ، والاتجاه ، كلها فى أن واحد . يستطيع الواحد منهما ، باستخدام آلة بسيطة لقياس الزوايا ـ أن يحدد زاوية ارتفاع قمة الهرم وزاوية ارتفاع قاعدته ، ثم تصبح أمامه مسألة بسيطة من مسائل حساب المثلثات (الذى لا تشك قد برع فيه الفراعنة ، وإلا لما استطاعوا أن يبنوا الهرم نفسه) . مسألة يحلها طالب فى السنة الأولى الثانوية فى عصرنا هذا ، يعرف بها على الفور : بعده عن الهرم ، والناحية التى يقف فيها منه ، والمسافة الرأسية التى تفصله عن قمة الهرم أو قاعدته ، ثم مكانه بالنسبة لأى نقطة أخرى معلومة الموقع والمنسوب بالنسبة لنفس الهرم .

وبالطبع ـ كانت حسابات صاحبنا المساح تزداد دقتها كلما ازداد قربه من الهرم ، وتزيد نسبة الخطأ فى حساباته كلما ابتعد عن الهرم ، أى كلما صغر فى عينه الحجم الذى يظهر له فيه . حتى إذا بلغت المسافة بينه وبين الهرم ٢٠ كيلو مترا مثلا ، أصبح الخطأ كبيرا لايمكن التجاوز عنه ، ولا الاعتماد على النتائج الحسابية المترتبة عليه .

ولكن من السهل أن نتصور إمكانية التغلب على هذه المشكلة ، لو افترضنا وجود نقط محلية ثابتة متفرقة ، كالأهرامات الصغيرة أو المسلات مثلا ، معلومة أماكنها وارتفاعاتها بالنسبة إلى النقطة الثابتة الرئيسية ـ الهرم الأكبر ـ فيسهل الرصد أو القياس منها فى الدائرة المحيطة بها ، ثم نسبتها إلى نقطة معلومة أخرى ، وهكذا .

٣ ـ ونستطيع أن نضيف إلى هذه الفوائد فائدة أخرى يحتاج إليها الفلكى الذى يرصد النجوم . فهو فى حاجة أيضا إلى نقطة واضحة غاية الوضوح ، ثابتة على الأفق ، ينسب إليها مواقع النجوم ،



تصور للاهرامات يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر الميلادى

ومسارات الكواكب ، ودورة الشمس والقمر ، فيراقب سيرها ويقيس زواياها ويسجل أوضاعها بالنسبة إلى هذه النقطة الثابتة ـ وهى رأس الهرم فى هذه الحالة ـ بأقل قدر من الخطأ . هذا فضلاً عن تحديد اليوم من السنة تبعا لموقع الشمس وهى تغرب فوق رأس الهرم ، يتغير موضع غروبها بتغير فصول السنة . فتكون رأس الهرم بمثابة نتيجة سنوية يقرؤها الفلكى المتخصص بدقة تامة ، ويعرف منها حتى الفلاح البسيط تاريخ يومه على وجه التقريب .

● جهاز حضارى للجميع

إذن فإننا بإقامة هذه الكتلة الحجرية الهائلة ، نكون قد منحنا كل ملاح ، ومساح ، وفلاح ، ومهندس ، وفلكى ، وجندى ، ومسافر على أرض منطقة مصر الوسطى والصحراء المجاورة لها ، بضربة واحدة ، جهازا يملكونه جميعا (على المشاع) ، ويستخدمونه دون أن يصيبه البلى لعدة

آلاف من السنين . جهازا يؤدى فى وقت واحد ما تؤديه ، فى أيامنا هذه الأجهزة التالية مجتمعة :

١ ـ الفنار
٢ ـ البوصلة
٣ ـ الخريطة
٤ ـ روبير الارتفاعات
٥ ـ المرصد والتقويم

ألا يستحق هذا الجهاز الهائل الخالد ، أن يكدح من أجل بنائه شعب متحضر ، مدة عشرين أو ثلاثين عاما ؟ !

ألم يكدح نفس هذا الشعب ، بعد أربعة آلاف سنة من بناء الأهرام ، لكى يشق الترع والرياحات ويبنى القناطر فى عهد محمد على ؟ ثم ليصل البحرين الأبيض والأحمر بقناة السويس فى عهد اسماعيل ؟ بل ألم يكدح جيلنا نفسه ، لمدة عشر سنوات أو تزيد ، ليقيم السد العالى ، وهو واحد من مشروعات الرى ، شبيه بالمشروعات التى يقول التاريخ إنها استغرقت مائتى عام تالية على عصر الأهرامات ، والتى تولدت عنها نهضة زراعية هائلة فى الدلتا ، والتى كان الهرم الأكبر ـ فى اعتقادى بما يقارب اليقين ـ حجر الزاوية فى بنائها ؟

صحيح أن العهود التى أقيمت فيها هذه المشروعات قد تميزت بدرجات متفاوتة من القهر وطغيان الحكام ، سواء فى تسخير الشعب لانجازها ، أو فى إلزامه بالتقشف والحرمان والانصباط ، والطاعة العمياء للسلطة المستبدة الظالمة فى كثير من الأحيان . **ولكن الشعب إذا كان من الممكن تسخيره فى عمل مفيد يعود عليه وعلى أولاده بالنفع ، فإن من المستحيل فى تصورى أن يحتمل هذه السخرة وهذا القهر من أجل غرض سخيف مثل ... بناء قبر .**

● الهرمان الثانى والثالث :

ثم جاء الهرم الثانى ، أصغر من سابقه ، ولكنه أقيم على ربوة عالية ، فأصبحت رأسه فى نفس مستوى رأس الهرم الأكبر أو أعلى قليلا . وحددوا مكانه إلى الجنوب الغربى من الهرم الأكبر بالضبط . فأصبح قطراهما الشماليان الشرقيان واقعين على خط مستقيم واحد . توأمان عملاقان لا تخطئهما العين من على بعد مئات الكيلومترات .

وأصبح وضع كل منهما إزاء الآخر ـ فى ذاته ـ هو الدلالة الحاسمة على الاتجاه . فإذا ظهرا لك متجاورين ، فأنت تنظر إلى اتجاه الشمال الغربى (أو الجنوب الشرقى) . وإذا حجب أحدهما الآخر ، فأنت تنظر فى اتجاه الشمال الشرقى (أو الجنوب الغربى) . وإذ اظهر لك بين هذا وذاك فأنت فى اتجاه بين الاتجاهين ، وهكذا .

بقى فى هذه البوصلة عيب طفيف ، ليس قد يقع فيه التائه فيختلط عليه الأمر ، ولايميز بين الهرم الأكبر وأخيه الأوسط ، نظرا لتشابههما وتقارب ارتفاع قمتيهما .

وجاء الحل البسيط المباشر ، هرم ثالث أصغر بكثير من سابقيه ، يقام إلى الجنوب الغربى أيضا من الهرم الأوسط ، ولكن

بالتقريب هذه المرة لا بالضبط . فالمطلوب منه فقط أن يعين الرائى على تمييز الهرم الأوسط (وهو القريب من الهرم الصغير المتميز بحجمه) عن أخيه الهرم الأكبر .

وتمت المنارة ، وانضبطت البوصلة ، واكتملت الخريطة ، بلا لبس ولا خطأ . أعجوبة من أعاجيب العقل الانسانى !

ومن الطريف أن نشير إلى أن فكرة البوصلة هذه ، قد استخدمها فن العمارة الاسلامية ، ومازال يستخدمها ، عند بناء المآذن العالية ، إذ يوضع فى رأس المئذنة هلال كبير ، يبدو لأول وهلة وكأنه نوع من الزينة . ولكنه فى الحقيقة يؤدى وظيفة البوصلة . فإذا نظر إليه الرائى بحيث تكون دائرته كاملة الاستدارة ، فهو مواجه لاتجاه القبلة . ويراعى البناءون ضبطه على هذا الوضع بدقة كبيرة . أما المساجد ذات المئذنتين ، فيضبط الخط الوهمى الموصل بين المئذنتين بحيث يكون عموديا على اتجاه القبلة ، فيستطيع من يريد الصلاة وهو على بعد عشرات الكيلو مترات من المسجد ، أن يعرف الوجهة التى يصلى إليها ، بمجرد النظر إلى هاتين المئذنتين التوأمتين .

ونفس هذه الفكرة مطبقة فى كثير من الكنائس فى البلاد الأوروبية ، فيضعون فوق أبراج الكنائس سهما يشير إلى الشمال ، وديكا متحركا يشير إلى اتجاه الرياح ، رغم أن مدى الرؤية هناك اقل مما هو عندنا ، بسبب الأحوال الجوية والعوائق المادية ، كالأشجار والمبانى العالية ، والتى تخلو منها ، أو كانت تخلو منها سماء مصر ، فى العصر الذى بنيت فيه الأهرامات .

● ملوك مدفونون . ولكن

ومع ذلك .. تبقى حقيقة مؤكدة . أن كلا من هذه الأهرامات قد استخدم بالفعل لدفن الملك الذى بناه ، وربما أيضا زوجه أو أولاده ، وهذا ثابت مقطوع به فى التاريخ وفى الاكتشافات الأثرية . أول دليل عليه هو البعثة التى أرسلها المأمون ابن الرشيد ، لتكتشف مدخل الهرم الأكبر . وتقول المصادر العربية إن هذه البعثة قد توصلت بالفعل إلى اكتشاف المدخل والممرات المؤدية إلى حجرة الملك ، ثم وجدت هناك تابوتا به رجل ميت ، فأخرجوه ودفنوه على الطريقة الاسلامية .

نحن لا نجادل فى أن الملوك كانوا يدفنون فى تلك الأهرامات . ولكن ما لا يقبله العقل هو أن يكون الهدف الوحيد ، أو الهدف الاساسى ، أو حتى أحد الأهداف الهامة لهذا البناء الشامخ ، هو أن يضم رفات إنسان .

فكثيـر من الصـروح الشـامخـة والمشروعات الكبيرة دفنت فيها أجساد بانيها ، أو سجلت عليها أسماؤهم ، تخليدا لذكراهم وتذكيرا للناس بأن الفضل فى إقامة هذا البناء العظيم ، يرجع إلى هذا الرجل العظيم ، ولذلك فقد دفن فيه جسده ، أو نحت عليه اسمه أو رسمه .

واقرب مثال إلينا : المساجد العريقة التى تزخر بها مصر نفسها ، والتى قصد

منشئوها إلى تحقيق أغراض دنيوية وأخروية عديدة ، ليس أقلها : إقامة الصلاة ، واجتماع المسلمين ، ونشر التعليم ، وإيواء المسافر ، وجمع الصدقات إلخ ... ثم بالاضافة إلى ذلك - لا قبل ذلك - يدفن الملك أو السلطان ، أو الولى الصالح فى نفس المسجد ، تخليدا لذاكره ، وتذكيرا للناس بفضله .

فالقول بأن الهرم قد بنى خصيصا ليكون قبرا للملك ، لا يقل سخفا - فى رأينا - عن القول بأن المساجد قد بنيت لكى يدفن فيها السلاطين والأولياء ، أو أن السد العالى قد بنى لكى تنشأ جنوبه بحيرة تحمل اسم جمال عبدالناصر ، أو أن قناة السويس قد شقت لكى يقام على مدخلها تمثال لفرديناند ديلسبس .

ونعود إلى نظرية « القبر » هذه . ما منشئوها ، وما أصلها ؟

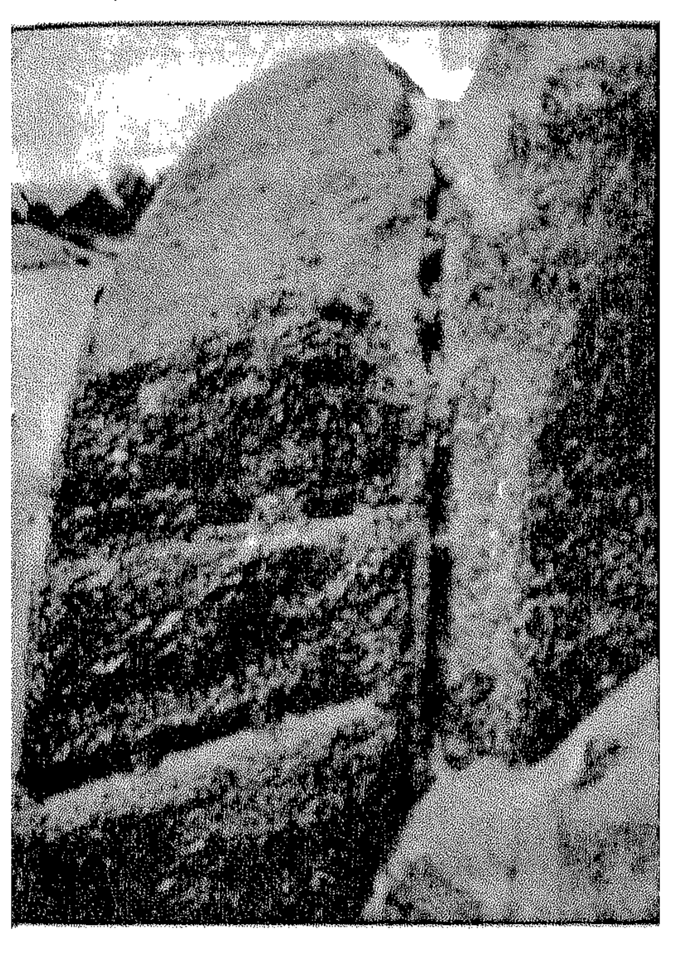
أما القرآن الكريم ، فقد سماها « أوتادا » ولم يسمها « قبورا » تسمية توحى بالثبات والرسوخ وامتداد الأسباب إليها ، كما تمتد حبال الخيمة (أو أسبابها فى اللغة العربية القديمة) ، فتربط قماش الخيمة الرخو إلى نقطة « ثابتة » هى الوتد ، أو كما تمتد خطوط الربط المساحى - فى رأينا - فتصل بين الشىء غير المستقر ، وهو الوادى الذى تتغير ملامحه بعد كل فيضان ، وبين « الوتد » الثابت المستقر .

هذا عن القرآن الكريم - أصدق الحديث - لا نجد فيه إشارة من قريب أو بعيد إلى أن هذه الصروح كانت قبورا ، مع كثرة ما جاء فى الكتاب الكريم من إدانة لطغيان الفراعين وتجبرهم . فمن أين إذن جاءتنا حكاية « القبور » هذه ؟

● رواية هيرودوت

إن اقدم نص معروف لنا ذكرت فيه هذه الأهرامات ، ووردت فيه الاشارة إلى انها بنيت لتكون قبورا ، هو كتابات المؤرخ الاغريقى « هيرودوت » ، الذى عاش ومات فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وأمضى عدة سنوات فى مصر ، يجوس خلالها

طريقة الثقوب التى استعملت فى قطع الصخور لبناء الهرم

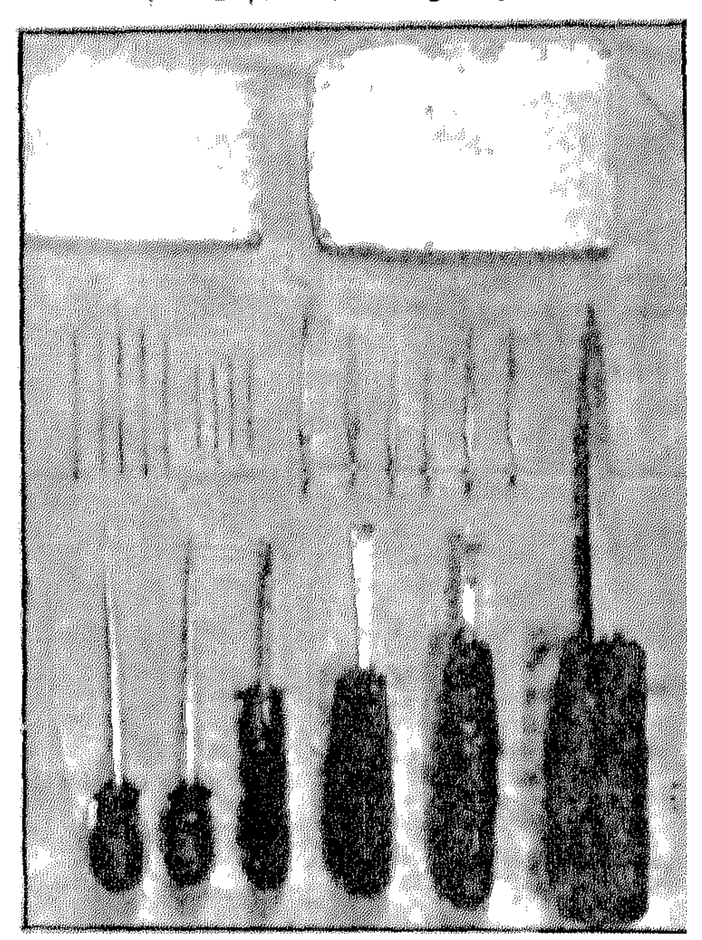


ويشاهد معالمها ويسجل ما نمى إليه من تاريخ دولها وملوكها ، بالاضافة إلى مشاهداته وانطباعاته الشخصية عن عادات أهلها وتقاليدهم وديانتهم الخ .. سجلها كلها فى كتابه التاريخى عظيم الأهمية .

ونلاحظ على هذا المصدر الهام ـ وربما الوحيد ـ عن عصر بناة الأهرام ، ما يلى :

١ ـ أن المدة التى تفصل عصر بناة الأهرام عن عصر هيرودوت هى حوالى

الادوات البرونزية التى استعملت فى قطع احجار الهرم وصقلها



ألفى عام ، وهى بالتقريب نفس المدة التى تفصل زمان هيرودوت عن زماننا هذا . فقد عاشت الأسرتان الثالثة والرابعة اللتان بنتا الأهرامات ، فى القرنين السادس والعشرين والخامس والعشرين قبل الميلاد (٢٦١٣ ـ ٢٤٩٤ ق . م) بينما عاش هيرودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد كما ذكرنا (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) . وهى مدة تكفى لاندثار كثير من المفاهيم والمعلومات القديمة ، وزوال كثير من الاستخدامات التى كانت تستخدم فيها الأهرامات ، أو انقضاء الغرض منها ، بعد أن تمت المشروعات التى أقيمت ، أو تيسر إقامتها ، بفضلها .

٢ ـ أن هيرودوت نفسه لم يذكر كلمة « القبر » صراحة فى معرض حديثه عن الأهرامات ، وإنما كان يستخدم عبارات مثل « وبنى الملك فلان لنفسه هرما ... » ، والاعتماد هنا على الترجمة الانجليزية لكتابه المكتوب أصلا باللغة اليونانية القديمة . فهو لم يذكر صراحة كلمة « قبر » ، رغم أنه أفاض فى شرح نظريته عن الطريقة التى بنيت بها الأهرامات ، والتكاليف التى تكبرها المصريون لاقامتها .

٣ ـ أنه اعتمد ـ حسب قوله هو نفسه ـ فى كلامه عن طغيان الملك خوفو والملوك التالين له ، اعتمد على كلام الكهنة المصريين المعاصرين له ، والذين كان أكبر انتقاد وجهوه إلى الملك خوفو هو ما فحواه « أنه أوقف بناء المعابد ، وتقديم

القرابين للآلهة ، وكرس كل طاقات شعبه لاقامة هرمه »

ولعل فى هذه العبارة وأمثالها ما يشير إلى سبب سخط الكهنة الذين قابلهم هيرودوت ، على الهرم وبانيه ، لأنه أوقف الانفاق على معابدهم ، وتقديم القرابين لآلهتهم ، فأصاب مصالح أسلافهم الأقدمين ونفوذهم فى الصميم . كل ذلك ، لكى يبنى هذا الهرم الذى لم يتبق فى سجلاتهم ولا فى ذاكرتهم عنه ، إلا ما يوحى بأنه قد بناه من أجل مجده الشخصى ، سواء فى هذا العالم أو فى العالم الآخر . حقد قديم توارثوه عشرات القرون ، ونقلوه إلى مؤرخنا ، الذى أخذ كلامهم على علاته ، وسجله ـ مشكورا ـ فى كتابه .

٤ ـ أن من يتأمل فى السبب الذى أدان به الكهنة بناء خوفو لهرمه ، وسخطهم عليه الذى دام ، حتى عهد هيرودوت ، ألفى عام ، يجد فى طيات هذا السبب نفسه ما يدحض نظرية « القبر » هذه . فإذا كان خوفو قد بنى هرمه ضد رغبة الكهنة ومصالحهم ، ضاربا بسخطهم وسخط آلهتهم عرض الحائط ، فكيف نتصور أن يكون غرضه الأساسى من بنائه ، هو تخليد جسده وروحه فى العالم الآخر ، الذى تحكمه نفس الآلهة التى اهمل معابدها ، وأوقف قرابينها ، وأسخط كهنتها ؟

أليس التفسير الاقرب إلى المنطق انه قصد بذلك العمل الكبير إلى اغراض « دنيوية » ، ومادية ، من نوع الأغراض التى ذكرناها ؟

فرواية هيرودوت ـ إذن ـ أقل ما يقال فيها أنها أولا ضعيفة ، وثانيا غير محددة ، وثالثا مشوبة بالهوى والغرض من ناقليها ، ورابعا تعتبر دليلا ضد نظرية القبور ، لا دليلا على صحتها . رواية تدل ـ إن دلت ـ على أن الأهرامات قد بنيت لتكون أدوات حضارة لشعب حى .. لا قبرا لرجل ميت

● اصبع الاتهام

ويبقى السؤال : من أين جاءت هذه الفكرة إذن .. بل هذه الاشاعة ـ إذا أردنا أن نسمى الأشياء بأسمائها ؟

فى ظنى أن إصبع الاتهام تشير إلى النظرة الاستشراقية المتعالية التى تتميز بها غالبية كتابات الأوروبيين عن الشرق واهله وأمجاده . خليط من الاستهزاء ، والسطحية ، والاستظراف أحيانا ، تظهر بعض بذورها فى كلام هيرودوت نفسه عن بعض عادات شعب مصر والأمم الشرقية الأخرى .

فمنذ خضعت بلادنا ، ومنطقتنا ، بل العالم كله ـ عسكريا وحضاريا ، للغزوة الأوروبية الحالية ، التى بدأت بعد عصر نهضة أوروبا ، تصدى علماء تلك الحضارة الغالبة لدراسة تاريخنا ، بل ولغتنا وديننا وجميع شئون حياتنا تقريبا .

وقاموا ـ نعم ـ بجهود عظيمة مشكورة فى كثير من الاحيان ، جهود لا ينكرها إلا جاحد أو مكابر .

ولكن بقيت عندهم تلك النظرة العجيبة ، التى تتوقع الغرابة ، وتبحث عن التفسيرات المثيرة لدهشة القارىء الغربى ، ثم ذلك الدافع الدفين للتقليل من شان منجزات شعوب الشرق ، ونسبتها إلى الأوهام تارة ، وإلى الشهوات الدنيئة أخرى ، او إلى خضوع الشرقيين للحكام مرة ثالثة . ومن بينها .. حكاية ، أو إشاعة « القبر » هذه ، التى جاءتنا عن ذلك الطريق ، فصدقناها وأجريناها مجرى البديهيات .

● قمة المهزلة .. الهابطون من السماء

بل لقد بلغت ببعض مفكريهم سعة الخيال ، ولا أقول الحقد الدفين ، أن ينشىء نظرية طويلة عريضة ، ويؤلف فيها كتابا يقرؤه الناس ، ليقول إن الأهرام قد بناها أشخاص يسميهم آلهة ، أو رواد فضاء جاءوا من كواكب بعيدة ليقيموا هذه الأهرامات ، ثم عرجوا مرة أخرى إلى حيث جاءوا .. إلى السماء !

يتكلف المؤلف كل هذه الجهد ليقيم هذه النظرية ، فى هذا القرن العشرين بعد الميلاد ، لمجرد **أن نفسه لا تطيق أن يصدق أن شعبا من الشعوب المغلوبة ، وهو الشعب المصرى فى هذه الحالة ، هو بانى هذه الصروح فى فترة من فترات تاريخه البعيد .**

ورغم أن هذه النظرية لا تستحق الرد أصلا ، لتهافتها الواضح ، فلا بأس أن نذكر فى إيجاز حقيقة واحدة تهدمها من أساسها .

فالثابت أن صناعة بناء الأهرام قد تطورت فى مصر على مدى حوالى ثلاثة قرون ، ابتداء من المصطبة الواحدة ، إلى المصطبتين ، إلى الهرم المدرج ، إلى الهرم الناقص ، إلى الهرم المدبب ذى الزاوية الحادة ، إلى الهرم المفلطح ذى الزاوية المنفرجة .. حتى تكاملت ووصلت إلى ذروة الاتقان والضخامة فى بناء الهرم الأكبر . ثلاثمائة عام من التجربة والخطأ والتعديل والتحسين . ثلاثمائة عام لم تكن «آلهة» المؤلف المذكور فى حاجة إليها ، ولا كان رواد فضائه ، الذين بلغوا من التقدم والمعرفة أن يعبروا الفضاء بين الكواكب ، محتاجين إلى أن يمضوها فى التجربة والخطأ .

والأعجب من هذه الفكرة المذهلة ، أن بعض مفكرينا ـ من أبناء بناة هذه الأهرام نفسها ـ قد تلقفوا تلك الفكرة ، وطبلوا لها وزمروا ، وكأنها الوحى المنزل ، أو التفسير النهائى القاطع للغز عملية بناء الأهرام .

فالعيب ـ كل العيب ـ ليس فى الغريب المستهزىء ، بل فينا نحن ، عندما نتلقف كل ما يقولونه عنا ، فنصدقه دون تمحيص ، ناسين ـ أو متناسين ـ أن الحضارة ولدت ونشأت وتطورت على هذه الأرض .

تحضرنى فى هذه المناسبة عبارة نجيب محفوظ التى ختم بها رائعته المظلومة (أولاد حارتنا) :

« ولكن آفة حارتنا .. النسيان » .




رونالد ريجان

● " احيانا اتعجب لحال الرؤساء الذين لم يكونوا ممثلين وأتساءل كيف تمكنوا من اداء رسالتهم " .

رونالد ريجان

الرئيس السابق للولايات المتحدة

● " التاريخ سيقول عن ريجان انه رئيس درجة ثانية بتقدير جيد جدا " .

چورج ويل

الصحفى الأمريكى

● " صناعة الولايات المتحدة تتدهور بسبب تسابق مديريها نحو الربح السريع على حساب الاستثمار الطويل الأجل " .

أكيو موريتا

رئيس شركة سونى

● " ادمان المخدرات خطأ لانه سلوك مخالف للأخلاق . وهو كذلك لانه يستبعد العقل ويدمر الروح " .

جيمس ويلسون

عالم الاجتماع الامريكى


ميشيل روكار

● " تبين لى ان السياسيين كثيرو الكلام " .

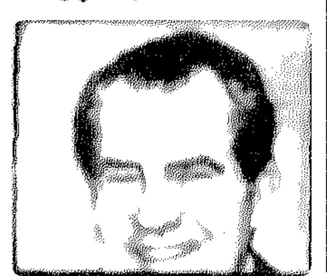
ميشيل روكار

رئيس وزراء فرنسا

● " الحرب الباردة تحتضر " .

نيكولاى شيشلين

مستشار جورباتشوف

ريتشارد نيكسون


● " نحن على حافة انفجار فى المعركة سيغير الشكل الراهن للعالم " .

ريتشارد نيكسون

فى ذكراها الرابعة عشرة

أم كلثوم والغناء العربي

بقلم: كمال النجمى



منذ افتتاح دار الأوبرا الجديدة فى القاهرة ، لم تنقطع عنى رسائل يسألنى كاتبوها :
- ماهو الفرق بين أم كلثوم ومطربات الأوبرا ؟.. ولماذا نحس أن غناءهن لا يشبه غناء أم كلثوم ، ولا يشبه الغناء المصرى أو العربى كله ؟!..
سؤال لم يجد إجابة شافية حتى اليوم ، على كثرة الثرثرة التى سمعها الناس عن الغناء الأوبرالى وغير الأوبرالى منذ صارت دار الأوبرا شعلة مضيئة على شاطىء النيل .. ولهذا ظل السؤال حائرا يتردد على ألسنة الناس الذين بهرتهم تلك الأضواء !..



● ويمكن أن يقال باختصار إن أم كلثوم كانت تغنى بالصوت الطبيعى ، أما مغنيات الأوبرا فيغنين بالصوت المستعار ، والفرق بين الصوتين واسع من الناحيتين الفنية والفسيولوجية ، حتى لتتشعب منه فروق جوهرية كثيرة يعرفها المشتغلون بالغناء والموسيقى كما يعرفها أطباء الفم والأسنان والأنف والأذن والحنجرة وسائر الأطباء البشريين .

هناك فروق فنية وعلمية وتشريحية بين إخراج الصوت المستعار من الرأس - كما يقول الموسيقيون - وإخراجه من الحنجرة والصدر .. وهذه الفروق لا يمكن إغفالها ولا تخطيها ، لأنها تتعلق بوظائف الأعضاء المتحكمة فى الصوت والتنفس والبلع وتحريك اللسان والشفتين ، أما سقف الحلق فيرتفع خلال غناء الرأس المستعار ، ويكون أقل ارتفاعا عند غناء الحنجرة الطبيعى مهما ارتفعت طبقته ..

ولهذا ينصح مدرسو الغناء الأوبرالى تلاميذهم فى كليات الموسيقى المصرية ومعاهدها أن يمتنعوا عن "تعاطى" الغناء العربى ، لأن الغناء الأوبرالى يحتاج إلى الوضع الصوتى الخاص به ، وهو لا يتفق والوضع الصوتى للغناء العربى المؤدى بالصوت الطبيعى ..

وهكذا يعيش الصوت الأوبرالى محكوما بالتشكيل الفسيولوجى والفنى الصارم الذى يشبه وضع القدمين فى حذاء من الحديد كما كان أجداد الصينيين واليابانيين يفعلون فى الماضى بأقدام بناتهم طلباً لبقائها صغيرة .. جميلة ، فى زعمهم !..

وكنت مرة أتحدث إلى الموسيقار محمد عبد الوهاب عن عبقرية أم كلثوم الغنائية المنقطعة النظير - وعبد الوهاب من أكثر الناس معرفة بها وتقديرا لها - فقال لى : إن أم كلثوم - رحمها الله - لم تكن تستطيع الغناء بالصوت المستعار حتى ولو اجتهدت فى ذلك ، لمكان النشأة العربية الخالصة من صوتها ، وانطباع أوتار حنجرتها على أصول الغناء العربى ، ونطق اللسان العربى ..

قلت : لاغرو ، فالغناء العربى هو ابن اللغة العربية ، ولا يمكن طرد الغناء العربى من وطنه إلا إذا أمكن طرد اللغة العربية !.. يعلم هذا كل من ألقى السمع وهو شهيد ..

إن أم كلثوم كان عليها أن تختار بين الغناء الأوبرالى الأوربى والغناء العربى ، ولم يكن هذا الاختيار لحسن الحظ مطروحا عليها فى الواقع ، لأن فن الأوبرا الأوربى وإن دخل مصر فى عهد الخديو اسماعيل قبل مائة وعشرين عاما ، لم يجد فى مصر أصلا يرتكز عليه .. ولابد لنا اليوم كما كان لابد لنا أمس من فن غنائى عربى متطور ينحسم معه التطفل على "النوتة" الموسيقية الأوربية الحافلة ، فتتطور موسيقانا وتبقى مع ذلك قائمة إلى جانب الموسيقى الأوربية قياما مستقلا ، لا قيام الخادم فى حضرة المخدوم ، ولا التابع تسليما وتعظيما للمتبوع !..

هذا المعنى الواضح كان أعداء الغناء العربى - وما زالوا - ينكرونه ويسخرون منه ، ويرونه من المستحيلات !..

وبين العشرينيات والثمانينيات رفع راية هذا الفريق من أعداء الغناء العربى ، أديبنا الكبير الدكتور حسين فوزى - رحمه الله - فقد كان ينكر الغناء العربى إنكارا مطلقا وينادى بوضعه فى المتاحف مع خوذات سلاطين المماليك وعباءات الإخشيديين والطولونيين .. وعاش الدكتور حسين فوزى يصطلى بعداوة الغناء العربى حتى طار به ضرام هذه العداوة فى أواخر السبعينيات إلى جامعة تل أبيب ، يحاضر فيها ضد العرب ، ويدعو الصهيونيين فى اسرائيل إلى حلف "حضارى" مع الدعاة الغلاة من أمثاله ، غفر الله له !..

وفى منتصف الستينيات كان الدكتور حسين فوزى رئيسا للجنة الموسيقى فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، فرفض بإباء وشمم منح الجائزة التقديرية لأم كلثوم ، لأنها - فى رأيه - لا تغنى ولا تعرف الغناء الأوبرالى ، ولكنه لم يقل ذلك بل قال : إن أم كلثوم ليست ملحنة ، وإنما تكون الجائزة للمبدع ، وهو الملحن ، وأم كلثوم ليست مبدعة فكيف نعطيها الجائزة ؟!..

لقد أخطأ - رحمه الله - فى هذا الكلام كما أخطأ فى كل كلمة قالها طوال حياته المديدة ضد الغناء العربى ، فقد أسهم صوت أم كلثوم إسهاما جوهريا فى خلق أسلوب التلحين العربى الحديث المتطور ، وتحديد مساره ، وتوسيع آفاقه ، وأتاح صوتها للملحنين أن يجوبوا من الآفاق الباهرة مالم يكونوا يحلمون به ، ولا كانوا يستطيعون الوصول إليه لولا وجود هذا الصوت الفذ الذى حملهم إلى تلك الآفاق !..

لقد فتح صوت أم كلثوم أبوابا للتلحين الجديد المتطور كان يتعذر أن تنفتح لملحنى عصرنا لولا إمكاناته الفنية الجبارة التى يعتبر وجودها مجتمعة فى صوت واحد ، سخاء على عشاق الغناء لا يسمح به الزمان إلا مرة كل بضع مئات من السنين !..

فصوت أم كلثوم - كما قلنا غير مرة - بمساحته الخصبة المزدهرة ، ومقاماته

المصقولة المضبوطة ذات التناسب العجيب ، وذبذباته السحرية ، ونبراته الوضيئة التي تتمثل فيها الوان من الجمال والجاذبية والقوة ، لا نهاية لها .

.. صوتها هذا الذي أهدته الأقدار لعصرنا ، هو الذي أشعل مواهب الملحنين ، وأثار التنافس بينهم ، وألهمهم الحانا حاولوا ما وسعهم الجهد أن تكون على مستواه ، وحرصوا أن يلبوا متطلباته من الألحان التي لا يستطيع صوت سواه أداءها والتصرف في أدائها وإضافة اللمسات الفنية إليها لتكوين مذاقها الفني الفريد الذي ربط المستمعين به أكثر من ستين عاما ، ومازال يربطهم به ، ولن يزال ..

● عندما ظهرت أم كلثوم في العشرينيات كانت الأصوات المشهورة حينذاك لا تخرج عن دائرة الصراخ "العثمانلي" والنواح الغجري ، على النحو الذي ذكره بالتفصيل تقرير علماء الموسيقى المصاحبين للحملة الفرنسية بقيادة بونابرت سنة ١٨٩٨ .. فكان ظهور أم كلثوم بعد أن مهد لها ظهور المشايخ الفنانين النابغين في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، بشيرا بانقضاء تلك المرحلة الفنية المتخلفة التي تحدث عنها العلماء الفرنسيون ..

ولما أخذ الشيخ أبو العلا محمد يلحن لها في العشرينيات وضح له أن صوتها يتطلب مستوى من الألحان أرقع بكثير من الألحان التي درج ملحنو ذلك العهد على تلحينها للمطربات والمطربين ..

وبعد الشيخ أبي العلاء ارتبطت أحلام دعاة التجديد بصوت أم كلثوم ، فقد وجدوا فيه الوسيلة المثلى لإقناع المستمعين بقضيتهم في تجديد الغناء وتطويره ، وبدون صوتها كانت حركة التجديد والتطوير ستبقى حلما يلوح للنائمين ولا سبيل إلى تحقيقه في اليقظة بأي حال ..

● لا يخطر على بالنا أن نغمط الملحنين مثقال ذرة من جهدهم وفنهم وحقهم ، وإنما نتحدث هنا عن إبداع أم كلثوم الذي أنكره أعداء الغناء العربي ، ونحاول أن نفصله بشعرة دقيقة جدا عن إبداع الملحنين ، لأن أم كلثوم اشتركت بصوتها وفنها اشتراكا فعالا في خلق الألحان إلى الحد الذي جعل السامعين لا يتصورون هذه الألحان بدون صوت أم كلثوم وأدائها ومشاركتها في تشكيله وإقراره على صيغته النهائية التي تصل إلى المستمعين !..

إن أم كلثوم تأخذ اللحن فتكلثمه ـ على حد تعبير عبد الوهاب ـ أي تجعله لحنا كلثوميا خالص المذاق واللون والرائحة ، وتصب فيه نبراتها ، وتفرشه على قدر يناسبه من مساحة صوتها التي تتسع لكل الألحان ، وتهيىء له عمليات فنية دقيقة متأنية ذكية ، حتى تجلوه في آخر الأمر على صورته الكلثومية التي يحار في روعتها السامعون ، وتلبس قلوبهم وعقولهم وأجسادهم كأنها مس من الوجد الصوفي ، أو طائف من السحر العجيب !..

● جددت أم كلثوم فن الغناء العربي وردته إلى أسلوبه الحضاري ، أو إلى قريب من ذلك الأسلوب الأصيل الذي خذلته حناجر المطربين والمطربات طوال عهود

التدهور القومى والاجتماعى التى استعجمت فيها الطبقات الحاكمة فى مصر والبلاد العربية ، ورانت الجهالة والمسكنة على جميع الطبقات ..

وكان ما صنعته أم كلثوم فى الغناء العربى شبيها بما صنعه محمود سامى البارودى فى الشعر العربى .. كلاهما رد فنه الجميل إلى الطريقة العربية .. واكتملت بتحرير الغناء العربى بعد الشعر العربى ، ثورة مزدوجة لهذين الفنين الجميلين الكبيرين ، تعبيرا عن عودة الروح العربية القومية فى الفن والأدب بعد طول غياب !..

ومضت أم كلثوم خلال عشرات السنين ترفع راية الغناء العربى وسط ملايين المستمعين فى البلاد العربية من المحيط إلى الخليج ، فلم يكن لمستمع عربى ولاء فنى إلا لهذه الراية الخفاقة التى يضمر ويبدى لها إعجابا كالتقديس ..

وبلغت أم كلثوم فى هذا المجال مالم يبلغه فنان ولا شاعر ولا أديب ، حتى لم يعد اسمها مرادفا لاسم "مصر" فقط ، لأن كل بلد عربى أخذ لنفسه نصيبا من اسم أم كلثوم فصار اسمها مرادفا لاسم كل بلد عربى .

ونظر الأوربيون والأمريكيون إلى أم كلثوم بدهشة بالغة ، وتحدثوا عما كانوا يسمونه "ظاهرة أم كلثوم" وتساءلوا : كيف تسنى للعرب وهم الأمة الممزقة أن يتحدوا هكذا فى الذوق الفنى والشعور القومى حيال أم كلثوم ؟!

والآن بعدما انقضى على رحيل أم كلثوم أربعة عشر عاما .. ماذا يمكن أن يقال ؟!

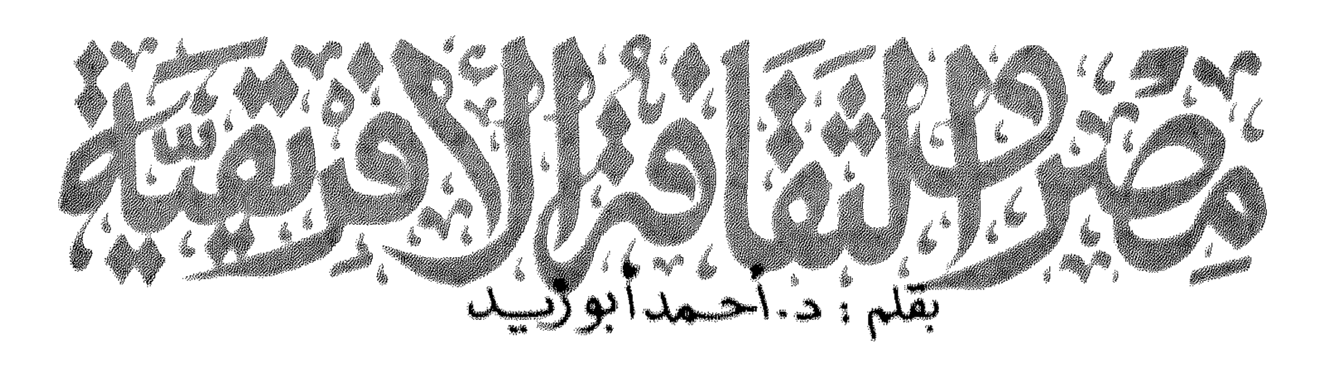
لقد أدت أم كلثوم دورها كاملا فى تأسيس فن الغناء العربى المتطور وتشييد صرحه ، وكان دورها فى هذا المجال دور المبدع والمخترع والمنشىء ، واكتسبت بعملها هذا ولاء المستمع العربى فى عصرها الذى امتد طويلا ، ومازالت تكتسب ولاءه وهى بعيدة عنه كل البعد ، وسوف يبقى ولاء المستمع العربى منصرفا إلى أم كلثوم مائة سنة أخرى ، أو بضع مئات من السنين ، مادامت البضاعة الجديدة للمغنين والملحنين هى النقل الحرفى والتقليد القرودى الأعمى للغناء الأوربى ، والتجاهل التام لذوق شعبنا ووجدانه الخاص وعبقريته الموسيقية الخاصة ..

على أن المقلدين القروديين ليسوا وحدهم الآن فى ساحة العداوة للغناء العربى ، فقد انضم إليهم فى الزمن الأخير غربان الملاهى الليلية الذين هم مطربو ومطربات أشرطة الكاسيت التى توزع بالملايين ..

إن ولاء المستمع العربى للغناء العربى ، قد اخترقته عوامل التدهور والانحلال التى اخترقت حياة المجتمعات العربية ، ولكن المجتمعات العربية اعتادت أن تتخطى دائما ظلمات التدهور الاجتماعى والقومى والسياسى والفنى .. وسوف يكون تراث أم كلثوم زادا للأجيال القادمة فى عملها الذى لابد منه لرد الأمة العربية إلى روحها وشخصيتها ، وإضاءة طريقها من جديد !.. وسلام على أم كلثوم فى الخالدين !..

● هامش

- لم نتناول فى هذا الحديث مشكلة العلاقة بين الصوت العربى والصوت الأوبرالى فى المسرح الغنائى ، فليس هنا مكانها ، وقد نخصها بالحديث فى مناسبة اخرى ..



مصر والثقافة الأفريقية

بقلم : د. أحمد أبو زيد

كانت مصر دائما ومنذ عصور ماقبل التاريخ على صلة وثيقة بافريقيا جنوبى الصحراء ، وكان هناك من العلماء ، وبخاصة علماء الأنثربولوجيا فى القرن التاسع عشر ، من يرى أن الثقافات الافريقية ـ بالمعنى الواسع لكلمة ثقافة ـ مستمدة في الأغلب من الحضارة المصرية القديمة ، ومع أن هناك بعض الخلاف والجدل حول طبيعة الاحتكاك الثقافى بين الطرفين والتأثيرات المتبادلة بينهما فإن ذلك الخلاف لم يصل أبدا الى حد إنكار وجود هذه العلاقة وتلك التأثيرات إنكارا تاما كما أنه لم تثر أية شكوك حول الدور الذى لعبته حضارة مصر فى ظهور وتطور تلك الثقافات الافريقية ، رغم اختلاف الأراء حول تقدير حجم ذلك التاثير بالنسبة لمناطق معينة بالذات من القارة الواسعة ، المترامية الأطراف ، ولا تزال الكشوف الأركيولوجية على أية حال تكشف لنا عن مزيد من تفاصيل تلك العلاقة وتلقى عليها أضواء جديدة وتعطيها أبعادا لم تكن معروفة من قبل .

● ولذا فإنه يبدو من الغريب أن يغفل طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر) الحديث عن افريقيا وثقافاتها والعلاقات بينها وبين مصر القديمة من ناحية ، والدور الذى يمكن أن تلعبه الثقافات الأفريقية فى تشكيل الثقافة المصرية وضرورة الاتجاه نحو تعريف خصائص وملامح ومقومات هذه الثقافات والافادة منها فى اثراء ثقافتنا المعاصرة من الناحية الأخرى ، ووجه الغرابة هنا أن طه حسين كان يعطى كثيرا جدا من الاهتمام للثقافة الغربية وثقافات البحر المتوسط ـ او بحر الروم ـ وبخاصة ثقافة اليونان .. وليس هناك من ينكر أهمية

الثقافة اليونانية ولا علاقة اليونان بمصر ، فمصر هى بالضرورة وبحكم موقعها جزء من حوض البحر المتوسط وثقافاته ، ولكن مصر جزء أيضا من افريقيا وثقافاتها ، وليس ثمة مايدعو الى اغفال هذه الحقيقة او تجاوزها من أجل اثبات ضرورة التوجه نحو ثقافات بحر الروم والثقافات الغربية ، فالثقافات الأفريقية تتكامل بالضرورة مع ثقافتنا المصرية حتى وان لم نكن نشعر بذلك أو ندرك هذه الصلة ادراكا تاما .

ومع ذلك فقد يكون لطه حسين بعض العذر فى انصرافه عن الحديث عن الثقافات الافريقية لأن القضية الأساسية التى كانت تشغل باله فى ذلك الحين كانت محاولة التدليل على أن العقل المصرى والعقل اليونانى متأثر كل منهما بالآخر وأن العقل المصرى ليس عقلا شرقيا ، وقد دفعه ذلك إلى أن يثير منذ بداية الكتاب مسألة اذا ماكانت مصر من الشرق الثقافى أم من الغرب الثقافى ، وكان يأخذ الشرق فى كتابه على أنه الشرق الأقصى ولذا لم يتردد فى أن يجزم بأن العقل المصرى متصل منذ العصور الأولى بشعوب بحر الروم وأنه ليس بين الشعوب التى نشأت حول بحر الروم فرق عقلى قوى .. وهذا كله صحيح ، ولكن المشكلة

د . طه حسين



هى ان هذا الحماس الذى يبديه طه حسين لاثبات هذه الحقيقة أو على الأصح تأكيدها أدت به الى اغفال العلاقة القوية بين مصر وافريقيا وعدم الاهتمام بدراسة الأصول المصرية للثقافات الافريقية والتأثير المتبادل بينهما ، وتبين كيف يمكن ان يكون ذلك مصدرا لتنويع ثقافة مصر فى الوقت الحالى وفى المستقبل ، مادام (مستقبل الثقافة فى مصر) مرتبطا بماضيها البعيد حسب عبارة طه حسين نفسه ، ومادام طه حسين لايحب أن يفكر (فى مستقبل الثقافة فى مصر الا على ضوء ماضيها البعيد وحاضرها القريب ، لأننا لانريد ولا نستطيع أن نقطع ما بيننا وبين ماضينا وحاضرنا من صلة ، وبمقدار ما نقيم حياتنا المستقبلية على حياتنا الماضية والحاضرة نجنب انفسنا كثيرا من الأخطار التى تنشأ عن الشطط وسوء التقدير والاستسلام للأوهام والاسترسال مع الاحلام) ـ على مايقول هو أيضا فى بداية الفصل الثانى من الكتاب ، ولذا فانه ينتهى فى هذا الفصل أيضا الى أن (العقل المصرى منذ عصوره الأولى عقل ان تأثر بشىء فانما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط ، وإن تبادل المنافع على اختلافها فانما يتبادلها ، مع شعوب البحر الأبيض المتوسط) .

وما يقوله طه حسين عن العلاقات القديمة بين مصر وشعوب البحر المتوسط وثقافاته يصدق على العلاقات القديمة بين مصر وشعوب القارة الافريقية وثقافاتها ، بل ان الاتجاه المصرى القديم نحو افريقية كان بغير شك أقوى منه نحو اليونان وأقدم بكثير خاصة أن مصر كانت ترتبط بافريقيا ارتباطا عضويا لأن أرضها

هى من خلق النيل الذى ينبع من داخل القارة ، ولأن مصر كانت دائما المدخل الشمالى لكل الثقافات والأديان الكبرى والتنظيمات الاجتماعية والسياسية الى القارة ، وقد تكون هناك بعض الشكوك والجدل حول الدور الذى لعبته مصر فى تاريخ أوربا وحضارتها القديمة ومدى تأثر الحضارة اليونانية مثلا بالحضارة المصرية القديمة ، ولكن مثل هذه الشكوك لايمكن أن تثور حول دور مصر فى افريقيا على ماذكرنا وكما تبين البحوث الانثربولوجية الحديثة .

★ ★ ★

وليس من شك فى أن الدراسات الانثربولوجية لم تكن قد تقدمت فى الثلاثينيات من هذا القرن حين أملى طه حسين كتابه (١٩٣٧/١٩٣٨) إلى الحد الذى وصلت اليه الآن ، وبعد نصف قرن كامل من املاء ذلك الكتاب ، وبذلك فلم تكن الصورة عن العلاقة بين حضارة مصر وثقافات افريقيا ، أو بعضها على الأقل ، قد اتضحت بمثل الوضوح الذى هى عليه الآن بعد أن قام عدد من علماء الأنثربولوجيا البريطانيين والفرنسيين باجراء بحوث ميدانية بين كثير من القبائل الكبرى فى جنوب السودان وشرق القارة وغربها ، وقد كشفت هذه البحوث عن أن بعض القبائل مثل الأشانتى والايبو والاكان فى غرب القارة والباجندة فى شرقها كانت على درجة عالية من التقدم السياسى والاجتماعى والفكرى ، بل بعضها كانت له ممالك وامبراطوريات واسعة كما كانت تعتنق أفكارا دينية متطورة او على جانب كبير من النضج والعمق ، وأن هذه النظم تكشف عن تشابه كبير وعميق مع النظم والأفكار التى كانت تسود فى مصر القديمة وبخاصة فى المجال الدينى والمجال السياسى ، ويتمثل ذلك بشكل واضح فى وجود نظام الملكية المقدسة أو الملك الإله الذى يميز الحضارة الدينية فى مصر القديمة ، وقد شغل هذا التشابه بال الكثيرين من علماء الانثربولوجيا والتاريخ على السواء وظهرت حوله كتابات كثيرة جدا .

والطريف أن بعض الأنثربولوجيين الأوائل الذين عملوا فى مصر سواء قبل انشاء الجامعة المصرية مثل اليوت سميث أو بعدها مثل ايفانز بريتشارد اهتموا فى كتاباتهم بتبين العلاقة بين مصر وافريقية وأوجه الشبه بين الديانة المصرية القديمة وديانات القبائل الأفريقية ، وكان اليوت سميث فى الأصل أستاذا للتشريح وعمل فى مدرسة الطب القديمة ثم جذبته الحضارة المصرية فانشغل بها عن مهنته الأساسية وأعطى معظم اهتمامه بعد ذلك بمحاولة اثبات أن الحضارة ظهرت أول ماظهرت فى مصر ومنها انتشرت الى بقية أنحاء العالم وعنى بوضع خرائط تبين مسار الثقافة الى تلك الأنحاء المختلفة بما فيها افريقيا ، أما ايفانز بريتشارد فقد عمل أستاذا بكلية الأداب فى الثلاثينيات وبذلك عاصر طه حسين ، وقد قام بأبحاثه الميدانية الرائدة بين عدد من قبائل جنوب السودان مثل الدنكا والشيلوك والزاندى والأنواك والنوير وأعطى هو أيضا جانبا من اهتمامه لتبيين أوجه الشبه بين نظام

الملك الإله فى مصر ونظام الزعامة السياسية الدينية عند الشيلوك بالذات **وليس من المعقول أن مفكرا واسع الأفق مثل طه حسين لم يكن على علم بكتابات هذين العالمين وغيرهم من العلماء الآخرين واتجاهاتهم الفكرية ، ولكن اهتمامه الرئيسى بالتدليل على أن العقل المصرى ليس عقلا شرقيا كان وراء ذلك الاغفال لشان العلاقة بين مصر وثقافات افريقيا .**

ولكن من الانصاف أيضا أن نشير الى أن خضوع مصر والمجتمعات الأفريقية للاستعمار كان يضع عوائق وقيودا وحواجز كثيرة أمام الاتصال بهذه المجتمعات والتبادل الثقافى معها ومعرفة ماأحرزوه من تقدم ثقافى ، وذلك حتى لاتظهر وحدة الفكر الأفريقى ، وكانت المجتمعات الافريقية تظهر للعالم على انها مجتمعات منعزلة ومتخلفة وبدائية ، ولذا لم تعط مصر افريقيا ما تستحقه من عناية واهتمام ولم تعط مسألة العلاقات الثقافية القوية بين حضارتها العريقة ومظاهر الحضارة التى لاتزال واضحة فى بعض النظم والأفكار الأفريقية المعاصرة كل ما تستحقه أيضا من عناية واهتمام ، ولم تدرس الثقافات الأفريقية دراسة متكاملة شاملة وكلية كما ينبغى ، ولذا فإن كل ابعاد ذلك الاتصال والتأثير المتبادل لم يكن واضحا كما يجب بل ولم يكن الكثيرون بحكم الأوضاع السياسية السائدة فى مصر وكل افريقيا يهتمون بتعرف دلالات تلك المشابهات او الى أى حد يمكن الافادة من تلك العلاقات الثقافية والحضارية فى توجيه السياسة الثقافية فى مصر ورسم الخطوات العامة لمستقبل هذه الثقافة ، ويبدو أن هذا هو بالضبط ماكان يهدف إليه الاستعمار ، أعنى عزل مصر وشمال افريقيا العربى الاسلامى سياسيا وثقافيا عن بقية أنحاء القارة الافريقية الزنجية السوداء .

ولم تبدأ هذه الحواجز فى التساقط إلا فى الستينيات بعد أن نالت هذه المجتمعات الافريقية (السوداء) استقلالها بفضل الحركات السياسية الاحيائية التى حمل لواءها سياسيون ومثقفون وزعماء أفارقة من أمثال نكروما وجومو كينياتا وجوليوس نيريرى وغيرهم ، وساندهم فيها عدد كبير من الافارقة الفلاسفة والمفكرين والأدباء والشعراء الذين رفعوا راية دعوة الزنوجة من وساد الشاعر المارتنيكى الشهير ايجيه سيزير ، وافلح كل هؤلاء الساسة والمفكرين والكتاب والفنانين فى جذب أنظار العالم الى الثقافة الافريقية العميقة المتنوعة والى مجالاتها الواسعة العريضة ، وقد بدأت مصر تسمع عنهم وتستمع اليهم وعرفت أشعار سنجور وروايات آتشبى مثلما عرفت جهد نكروما ونيريرى وحركة ماوماو التى قادها جومو كينياتا ، وقرأت مصر بعض أعمال هؤلاء الأفارقة مترجمة الى اللغة العربية وأدركت عمقها رغم قلة ماترجم منها إلى الآن ، كما أدركت أن هذه الأعمال تكشف عن أعماق وآفاق افريقية اصيلة تختلف أشد الاختلاف عما الفته مصر فى الكتابات الغربية ، وزاد الاهتمام بافريقيا على المستوى الرسمى والاكاديمى ، وشاركت مصر فى عدد من المنظمات والمؤسسات الأفريقية مثل منظمة الدول الأفريقية واتحاد الجامعات الافريقية وغيرهما ، وكان فى ذلك اعتراف

مصر والثقافة الأفريقية

(رسمى) بالبعد الافريقى فى حياتنا السياسية والثقافية على السواء ، وأنشأت مصر معهدا للدراسات الأفريقية تابعا لجامعة القاهرة ، تخرج فيه عدد كبير من الدارسين المتخصصين فى الشئون الافريقية وثقافاتها وان لم يظهر تأثيرهم حتى الآن واضحا الوضوح الكافى فى الحياة الثقافية فى مصر ! ولكن مجرد وجود هذا المعهد والرسالة التى يضطلع بها هو اعتراف آخر بتلك العلاقة القوية بين مصر والقارة الافريقية ، وهى علاقة ثقافية قديمة ينبغى العمل على تطويرها وتوجيهها بحيث تصبح الثقافة الافريقية جزءا من حياتنا الثقافية فى المستقبل .

★ ★ ★

والواقع أن ثمة مايشير الى أن هذه العلاقات بين مصر وافريقيا ترجع الى ماقبل عصر الاسرات بل والى ماقبل ظهور الزراعة المستقرة فى أرض مصر ، وذلك حين كانت أرض مصر يرتادها بعض الجماعات التى تعيش على القنص قبل أن تعرف مصر الزراعة ، وربما لاتكون هذه الجماعات قد أسهمت كثيرا فى ارساء حضارة مصر ، بل ومن المحتمل ألا يكون لهذه الجماعات نفسها قدر كبير من الثقافة نظرا لطبيعة حياتها والفترة المبكرة التى عاشت فيها ، ولكن العلاقات القوية المستمرة مع افريقيا بدات على مايقول علماء الأركيولوجيا والأنثربولوجيا منذ دخول الزراعة الى مصر وظهور المجتمع الرراعى المستقر فى الألف الخامسة ق . م ! وهى الفترة التى يشير اليها بعض الانثربولوجيين بعصر الثورة الزراعية ، وإن كانت الزراعة لم تنتقل إلى افريقيا جنوبى الصحراء الا بعد ذلك بوقت طويل نسبيا يرده البعض الى أوائل الألف الثالثة ق . م . أو مابعد ذلك .

ولقد انتقل تاثير الحضارة المصرية الى افريقيا بطول مجرى النيل ، وهو انتقال لا نجد له مثيلا بالنسبة للتأثير الحضارى المصرى بطول ساحل البحر المتوسط مثلا ، ومن المؤكد أن التاثير الحضارى المصرى وصل الى بلاد كوش حوالى النصف الثانى من الألف الرابعة ق . م ، وفى الوقت ذاته قام نوع من (الجسر) الثقافى ـ ان صح هذا التعبير ـ بين حوض النيل وحوض النيجر وامتدت التاثيرات المصرية بذلك الى غرب القارة ويستوى فى ذلك انتقال الزراعة او انتقال الفكر السياسى الدينى الذى كان قد تبلور فى مصر وتمثل ـ كما ذكرنا ـ فى نظام الملكية ونظام الكهنة وظهور فكرة الملك الإله .

ومن المؤكد أن هذه الفكرة تطورت فى مصر ذاتها ولم تفد اليها من الشرق كما كان المظنون من قبل ، أى أن تطور هذه الأفكار والآراء والتصورات كان يرتكز الى قاعدة افريقية خالصة ، فالأفكار المتعلقة بالموت والموتى مثلا كما تعبر عنها كثير من الرسوم ، وكذلك شكل الحكومة تختلف كلها اختلافا واضحا عن الممارسات التى كانت توجد فى آسيا الصغرى مثلا ، وهذا هو مايجعلنا نقول ان نظام الملك الإله هو (اختراع) مصرى افريقى بحت ، وقد وجدت لعدة قرون وحتى الآن فى يوغنده ورامبيا ، وقد تختلف الآراء حول مدى

اسهام مصر واسهام افريقيا فى ذلك ولكن المهم هو انه كان على أقل تقدير تأثير متبادل بين مصر وتلك المناطق والمجتمعات الضارية فى داخل القارة الافريقية ، وان هذه العلاقة الثقافية التى تتمثل فى تشابه بعض النظم تشابها قويا كانت علاقة قديمة ولابد من أن تؤخذ فى الاعتبار حين نتصور مستقبل الثقافة فى مصر ، وبالتالى الثقافات التى يجب أن نأخذ منها فى رسم ذلك المستقبل .

فالاتصال المصرى الأفريقى كان اذن اتصالا قديما وكان يتم عن طريق البر والنهر والبحر على السواء ، كما كان يتخذ أكثر من شكل واحد ولكنها كلها اشتركت فى خلق التبادل الثقافى أو التأثير الثقافى المتبادل والى هجرة الحضارة المصرية وانتشارها فى انحاء مختلفة من القارة الأفريقية باعتبار الحضارة المصرية كانت اكثر تقدما وتطورا من ثقافات المجتمعات الأفريقية ، وان كان ذلك الاحتكاك يؤدى بالضرورة الى تبادل التأثير والاستعارات الثقافية .

وقد نشأ هذا الاتصال نتيجة لعدة عوامل .

كانت هناك أولا التجارة بين مصر وبعض مناطق افريقية حيث كانت مصر تحصل على العاج والأخشاب الثمينة وتستجلب العبيد من الجنوب فى مقابل ارسال الآلات الموسيقية والنسيج من الكتان وصناعات السلال المصرية وما الى ذلك من الصناعات الدقيقة المتطورة ، وقد أثر ذلك كله فى مجتمع كوش الذى يصفه بول بوهانان بأنه مجتمع افريقى اصلى وأصيل ، ثم جاء وقت كانت فيه مملكة كوش أقوى وأكثر تقدما من مصر وذلك فى بداية الألف الأولى ق . م وحتى حوالى القرن الرابع الميلادى ، وهى فترة شاهدت تراجع الحضارة المصرية والقوى المصرية أمام هجمات الحيثيين ، وغيرهم من شعوب آسيا الصغرى حتى حققت مصر لحكم مملكة كوش ذاتها ، ومع ذلك ظل تأثر الثقافة المصرية القديمة يتجه نحو الجنوب حتى وان لم يصاحبه هجرة الناس أو انتقالهم ، وقد حملت كوش هذه الثقافة المصرية ونقلتها الى كل المناطق التى خضعت لسلطانها حتى منطقة مروى التى تولت نشر كثير من عناصر تلك الثقافة الى انحاء ومناطق أخرى من أفريقيا ، وظلت مروى تلعب هذا الدور الى أن ضعفت هى ذاتها فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين وظهرت امبراطورية الحبشة وما ارتبط بذلك من دخول المسيحيين اليها وقيام حضارة أثيوبيا المسيحية ، وقد انتشر مع التجارة من مروى الى المناطق الأخرى التى خضعت لنفوذها التنظيمات السياسية والعسكرية التى أصبحت تميز الممالك والامبراطوريات الأفريقية فى القرون الوسطى بما فى ذلك نظام الملكية الذى يعكس كثيرا من ملامح النظام المصرى القديم .

● اهتمام منذ قديم الزمان

وكان هناك ثانيا حركات الكشف فى افريقيا وهى حركات اهتم بها المصريون القدماء لاستكشاف داخل القارة الافريقية ، وقد سلكت هذه الرحلات طريق النهر منذ حوالى الألف الثالثة ق . م ، كما اتجهت رحلات القوافل بطريق البر جنوبا

نحو كوش أو أرض « النوبيين السود . تحمل معها فى طريق العودة الأبنوس والعاج والعبيد على ماذكر ، وكانت هناك أيضا الرحلات البحرية منذ عصور الأسرات المبكرة ، اذ كانت تخرج المراكب منذ الألف الثالثة ق . م . إلى بلاد بونت ومن أشهر هذه الرحلات ، التى كنا نتعلمها فى المدارس منذ الصغر الرحلات التى كانت ترسلها حتشبسوت الى هناك لتحمل المتاجر ولقد أفلح المصريون فى وقت من الأوقات فى جلب الأفيال واستخدامها فى الحروب ، بل ان مصر أرسلت حوالى عام ٦٠٠ ق . م ، اسطولا يتولى أمره بحارة فينيقيون ليدور حول القارة كلها من الشرق الى الغرب ، ويقال ان هذه الرحلة استغرقت ثلاث سنوات حتى عاد الأسطول مرة أخرى الى البحر المتوسط عن طريق مضيق جبل طارق (أو أعمدة هرقل) ، وبصرف النظر عن دقة هذه الرواية فانها تكشف عن مدى اهتمام مصر بكشف القارة وأن تلك الكشوف تعدت خط الاستواء .

ولم يقتصر ذلك الاهتمام على مصر الفرعونية بل ان شمال القارة ظل يهتم بكشف داخل القارة أيام الرحالة العرب المسلمين الذين وصلوا الى غرب افريقية .. فالعرب فى المغرب مثلا كانوا يرسلون (بعثاتهم) حوالى عام ٧٣٠ لتحرير تجارة الذهب من سيطرة غانا وقد سجل الفزارى ذلك ، كذلك يحدثنا ابن حوقل حوالى عام ٩٥٠ عن أحوال التجارة المنظمة بين غانا وشمال افريقيا ويصف لنا نهر النيجر الذى كان يظنه نهر النيل واستمرت الرحلات بعد ذلك واشتهر منها رحلة ابن بطوطة عام ١٣٥٢ التى وصل فيها الى مالى . والطريف أنه لم تظهر أية خريطة أوربية عن غرب افريقيا الا بعد زيارة ابن بطوطة باثنى عشر عاما ، وتمر القرون لكى نجد فى آخر الأمر اهتمام الخديو اسماعيل بحركات كشف منابع النيل واسهام مصر فى ذلك بما فيها مغامرة أمين باشا الشهيرة .

ولقد كانت مصر دائما هى المدخل الشمالى للأديان السماوية الى القارة مثلما كانت هى المدخل الى رحلة فكرة الملك المقدس أو الملك الإله فى حضارتها القديمة ، فعن طريق مصر دخلت اليهودية والمسيحية والاسلام الى القارة ، واذا كنا نتكلم دائما عن أن مصر هى هبة النيل وأن النيل هو أجمل أرض مصر وأصل حضارتها فانه بدون بحيرة تانا التى يبدأ منها النيل الأزرق الذى يحمل الماء والطمى ، وانه بدون النيل الأبيض الذى يبدأ من مخرج بحيرة فيكتوريا فى يوغنده لما كان النيل ولما كانت أرض مصر وحضارتها ، فاننا نستطيع أن نقول بالمثل ان مصر كانت تحمل فى المقابل الى افريقية تيارات الفكر والدين والحضارة ، ولكن الحضارة المصرية القديمة لم تكن الحضارة الوحيدة التى حملتها مصر الى افريقيا ، فالتراث اليهودى لم يكن لينشأ وينمو ويتطور ويدخل الى افريقيا لو لم يكن قد تم انتشال ذلك الطفل الشهير (موسى عليه السلام) على مايقول على المزروعى وانقاذه من الغرق لكى تتبناه امرأة فرعون وينشأ ويتربى فى بلاط الفرعون ثم يأتى بعد ذلك بنواميس بنى

اسرائيل وشريعة موسى والديانة اليهودية ، وبالمثل فان المسيحية وصلت الى افريقية عن طريق مصر مثلما دخلها الاسلام ، واصبحت افريقية بذلك ملتقى للثقافات الدينية الكبرى الوافدة اليها من مصر مثلما كانت ملتقى للديانة المصرية القديمة واديان افريقيا التقليدية ، بكل مايحمله ذلك من تطور الفكر الدينى والاجتماعي والسياسى على عكس ما كان يقال فى كثير من كتب الرحالة الغربيين الاوائل .

وكثير من الأفارقة أنفسهم يفخرون بالحضارة المصرية القديمة ويعتبرونها حضارة افريقية فى الأول بل وحضارة (سوداء) أيضا ، وأنها هى أصل ومبعث حضارة الأغريق ، والمؤرخ والعالم السنغالى الشهير الشيخ أنتاديوب يرى أن حضارة مصر هى التى وضعت الأساس الحقيقى لمعجزة اليونان الفعلية وأن تأثيراتها لم تقتصر على الشعوب والقبائل السوداء فى افريقيا وحدها وانما تعدت ذلك الى أفارقة (الشتات) فى الأمريكتين .

ولسنا هنا على أية حال فى معرض تعداد الشواهد والبيانات التى تشير الى قوة العلاقة بين افريقيا ومصر خلال كل تاريخ مصر الطويل ، وإنما الذى يهمنا هو أن هذه العلاقات كانت قائمة بالفعل وانها علاقات قديمة قدم التاريخ المصرى كما أنها استمرت استمرار ذلك التاريخ واستمرار المجتمع المصرى ورغم كل ماطرأ على مصر وعلى أفريقيا من تغيرات وأحداث وأنها صمدت لكل الظروف والمحاولات التى كانت تهدف الى قطع العلاقة بين مصر والقارة التى تنتمى اليها بحكم الموقع والتاريخ والتراث والمصالح وان هذا كله من شأنه أن يدعو الى أن ننظر الى البعد الأفريقى فى نظرتنا الى مستقبل الثقافة فى مصر .

وصحيح أننا لازلنا نجهل الكثير عن ذلك البعد الأفريقى كما نجهل الكثير جدا عن الثقافات الافريقية ذاتها ولكن هذا الجهل ذاته يجب أن يكون دافعا الى الاهتمام بالقارة وثقافاتها ، فليس ثمة مايبرر أبدا اقتصار مصر على الأخذ بثقافة الغرب - رغم اهميتها - أو التنكر للتراث الثقافى الافريقى الذى بدأ يجذب اليه اهتمام العالم وتقديره ، ولقد أفلح عدد من الشعراء والأدباء الروائيين والمسرحيين والفلاسفة فى أن يفرضوا انفسهم على الثقافة العالمية ويكشفوا عن عمق الثقافة الأفريقية وتنوعها .

وليس من شك فى أن مصر فى ضوء كل هذا التاريخ الطويل خليقة بأن تعطى ذلك التراث ما يستحقه من عناية وأن ندرسه وندرس تاريخ العلاقات المصرية الأفريقية ونفيد منها فى تعرف طريق مستقبلنا الثقافى الذى يجب أن تكون نظرته كلية شاملة تأخذ فى اعتبارها البعد الافريقى مثلما تأخذ بالضبط البعد الاسلامى العربى والبعد المتوسطى والبعد الغربى ، فهل نحن فاعلون ؟ .



بقلم: د. شكري محمد عياد



يبدو ان حديث التعليم سوف يطول بنا جداً . والحق ان التعليم يجب أن يناقش على أوسع نطاق ، وأن مشكلاته يجب أن تدرس كأحسن ما يكون الدرس ، أي كما يدرس القمح في الجرن لفصل الحب من التبن ، فبذلك فقط نميز ما يصلح لغذاء الآدميين ، وما لا يصلح إلا للبهائم . والتعليم في هذا العصر بالذات هو مفتاح المستقبل (مع أنه مهم في جميع العصور ، وحسبك أنه يشغل القسم الأكبر من جمهورية افلاطون) . والمتخصصون في حضارة اليابان يعزون تقدمها إلى عاملين اثنين لا ثالث لهما : أحدهما التعليم ، اما الثاني فلا تؤاخذوني إن كنت قد نسيته ، واغلب ظني انه محافظة المجتمع الياباني على تقاليده العريقة (وهذا بالضبط هو ما يتعرض لأشد الخطر في يابان الحاضر والمستقبل ، وما يجب أن نتنبه إليه حتى لا نفقد انفسنا في غمرة الذهول أمام المعجزة اليابانية) .

● الم اقل لكم إن حديث التعليم سوف يشغلنا طويلاً ؟ فها نحن اولاء ولما نكد نشرع فيه ، قد أخذ بنا يمنة ويسرة ، مرة نحو القديم جداً ومرة نحو الحديث جداً ، ويكفي أن ننظر حولنا لنرى المعضلات تتراكم ، والحلول تقترح - ويشرع في بعضها - تحت ضغط الضرورة ، أو إغراء التحديث ، دون نظر إلى الغاية ، أو إعداد للوسائل . فلنتنفس برهة ، ولنملأ رئتينا بالهواء قبل أن نخوض في هذه اللجة .

وهل ثمة هواء أطيب من ذلك الذي يأتي


احسان عبدالقدوس


محمود تيمور



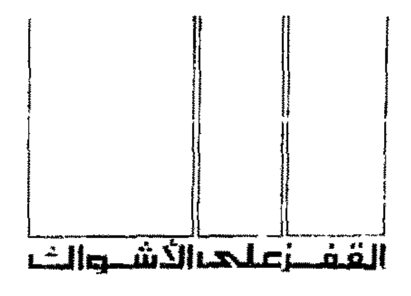
محمد عبدالحليم عبدالله

من جهة المحبوب ، وهل ثمة حديث أعذب من حديث الحب ؟

فليكن حديثنا هذه المرة ، وللمرة الأخيرة (وعد لا أضمن الوفاء به !) عن سيرة الحب ، وقصص الحب !

وعذرى ، أيها المتزمتون ، أن الحب تهذيب للنفس ، ومعراج إلى التصوف . وما دمنا نريد أن ننظر فى أمور التعليم فلا أظن أن الكثيرين سوف يخالفوننا فى أن الشباب قد يتعلمون من قصص الحب أحسن مما يتعلمون من قصص الجريمة . وفى العالم العربى الآن جيلان على الأقل تربوا على قصص المنفلوطى المترجمة ، ولوثوا بدموعهم صفحات "مجدولين" و"الشاعر" و"الفضيلة" و"فى سبيل التاج" ، وأعانتهم هذه القصص على عبور مرحلة المراهقة بأقل ما يمكن من الخسائر ، وإذا كانوا لم يستفيدوا منها شيئا آخر فقد استفادوا على الأقل شيئا من جمال التعبير .

وأذكر من أيام الصبا ـ ولم أكن قد بلغت تلك السن الخطرة بعد ـ أنى اكتشفت هذه الروايات عند قريبة لى معلمة ، وكانت شديدة المحافظة عليها ، والضن بها ، لا تعيرنى إياها إلا واحدة واحدة ، وبشرط سرعة الرد ، ولم يكن هذا الشرط ضروريا ، إذ كنت ألتهم الرواية فى ليلة . وكانت أكثر روايات المنفلوطى تداولاً ، وأعمقهن تأثيراً ، رواية "مجدولين" التى كان عنوانها الأصلى "تحت ظلال الزيزفون" ، وقد جعله المنفلوطى عنواناً ثانويا على عادة كثير من الكتاب فى تلك الأيام "مجدولين ـ ولعله كتبها هكذا "ماجدولين" ـ أو تحت ظلال الزيزفون" . والرواية وكاتبها ـ الفونس كار ـ ليست لهما مكانة كبيرة فى الأدب الفرنسى ، بعكس رواية "الفضيلة" ، وعنوانها الأصلى "بول وفرجينى" التى لم تحظ فى صورتها العربية بمثل حظ الأولى . ولعلك تعرف الآن سيدات فضليات ، أعمارهن غالباً بين الستين والأربعين ، واسمهن مجدولين . فقد جعل المنفلوطى هذا الاسم شائعاً فى وقت من



الأوقات ـ هو الذى كان شديد الخوف من طغيان الحضارة الغربية ! ـ وبذلك شجع الناس على أن يسموا بناتهم فيما بعد سوزان ، وديزى ، وداليا ، الخ .

اما قريبتى التى أعارتنى هذه الروايات فلا تحضرنى ذكراها اليوم إلا وجرت معها اسفاً على شبابها الضائع ، كانت تكبرنى بسنوات غير قليلة ، وتنتمى إلى تلك الطبقة من المعلمات اللائى كانت وزارة المعارف تحرم عليهن الزواج . وعندما رفع عنهن ذلك القيد الجائر كانت قد جاوزت تلك السن التى ترغب الخطاب . وبعد أن عنست جاءها الخاطب ، تاجر فى سوق الخضار . رضيت بنصيبها ، وختمت حياتها التعيسة معه أسوأ ختام .

● المرأة والقصص

دعيت الروائية الإنجليزية المشهورة "فيرجينيا وولف" مرة لإلقاء محاضرة بعنوان "المرأة والقصص" . وفى الأدب الإنجليزى روائيات قبلها ظفرن بشهرة عالمية ، منهن چورچ إليوت ، وچين أوستن ، والأختان برونتى . وربما كان أول ما يتبادر إلى الذهن من عنوان كهذا أن تتحدث الروائية المعاصرة عن الروائيات السابقات ، أو عن الأوسع شهرة منهن ، ولكنها ـ وهى صاحبة الأسلوب الروائى الذى يعتمد على الاستبطان ، جعلت تتأمل العنوان وما وراءه وما يخطره بالبال ، فوجدته محتملاً لمعان ثلاثة : فلعل الذى يطرح هذا السؤال يريد أن يعرف شيئا عن طبيعة المرأة وعلاقتها بالقص ، أو عن صفات الأعمال القصصية التى تكتبها نساء ، أو عن النساء وما يكتب عنهن من قصص . وقد رأت أن هذه المسائل جميعها مرتبطة بقضية واحدة وهى وضع المرأة الاجتماعية . وكان حكمها فى المسألة الثانية ذا صلة بالأولى والثالثة . وهذا الحكم هو أن المرأة يجب أن تستقل بمعاشها ومعيشتها ، أو على حد تعبيرها أن يكون لها مالها الخاص وغرفتها الخاصة ـ إذا كان لها أن تكتب قصصاً . ومن هذه العبارة الأخيرة أخذت عنوان كتابها النقدى اللطيف الذى بنته على تلك المحاضرة : "غرفة تخصنى" .

واحب ان اضيف إلى هذه المسائل الثلاث مسألة رابعة ، وهى علاقة القصص بالمرأة القارئة . فكما نتساءل عن طبيعة المرأة كما يتصورها القصاص ، وعن الأعمال الروائية التى تكتبها النساء ، والتى تكتب عن النساء ، فيجب أن نتساءل ايضاً عن الأعمال القصصية التى تكتب للنساء ، اى الأعمال التى يكتبها الكاتب وفى ذهنه جمهور معين ، معظمه من النساء .

ومع التسليم بأن هذا السؤال الأخير لا خرج عن نفس الدائرة ، وهى وضع لمرأة الاجتماعى ، نقول إن له تميزه

واهميته ولا سيما فى مجتمعاتنا العربية فقد لاحظت من السنين الطويلة التى قضيتها فى التدريس أن الفتيات أشد إقبالا على القراءة عموماً من الفتيان ، وفى مقدمة قراءاتهن يأتى الشعر (الحديث) والقصص . ولابد لمؤرخ أدبنا المعاصر أن يلاحظ أن أوسع شعرائه وروائييه شهرة يتجهون بوعى إلى جمهور نسائى .

وقد كانت قريبتى المعلمة واحدة من طليعة الجمهور النسائى القارىء فى العالم العربى . ولا أحسب أن المنفلوطى كان له اهتمام خاص بهذا الجمهور ، فقد كان يكتب للجمهور العريض ومعظمه من الرجال . ولكن الجو النفسى العام فى الفترة التى أطلعت معظم كتاباته ـ بين موت مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ والثورة المصرية الكبرى سنة ١٩١٩ ـ كانت فترة خيم فيها اليأس على النفوس ، فترة الآمال المحبطة التى تضخم فيها ديوان المراثى ، وشاع تعاطى المخدرات كما انتشرت دور اللهو الرخيص ، فكانت روايات المنفلوطى التى تصور الحب البرىء المحروم وتستمطر الدموع على حظوظ المحبين وتنسب كل شىء إلى القدر ، بلسماً لجراح الرجال والنساء جميعاً ، ولا سيما الشباب . **وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ وكانت فترة شبيهة من بعض الوجوه بالفترة السابقة ـ ظهر فى مصر أيضاً كاتب** روائى أعاد سيرة المنفلوطى ، وهو **صديقنا المرحوم محمد عبد الحليم عبد اللـه ، حين كتب روايتـه الأولى "لقيطة"** ، وهى قصة فتاة تفقد آمالها فى الحب والسعادة لجريمة ارتكبها أبواها قبل أن تولد . ولكن عبد الحليم كان من الذكاء والحساسية بحيث واكب الجو الاجتماعى المتغير من حوله ، فأصبحت شخصيات الرجال والنساء فى رواياته التالية ـ والحب هو موضوعها الأساسى دائما ـ أشد صلابة وتعقيدا ، وأقدر على تبادل الحب ـ أو تبادل الإيذاء .

ولم يكن عبد الحليم ـ على كل حال ـ يتجه إلى جمهور القارئات خاصة دون القراء أو قبل القراء ، مثله فى ذلك مثل سلفة المنفلوطى ، فكلاهما لم تؤهله نشأته الريفية القحـة ولا بيئته التعليميـة والاجتماعية لأن يتقن الحـديث إلى النسـاء . ولكنه . عـاصر رعيـلاً من الروائيين ، منهم المشهور ومنهم الأقل شهرة ، ومنهم من خرج من دنيانا ومنهم من لا يزال يكتب وتنشر قصصه ورواياته على أوسع نطاق ويشاهدها الناس على شاشات السينما والتليفزيون . هذا الفريق ينتمى بنشأته وثقافته إلى مجتمـع المدينة ، كما أن علاقاته الاجتماعية تربطه بالشرائح العليا من هذا المجتمع ، وخبراته فى وسائل الإعلام تتيح له معرفة أوثق بميول الجمهور القارىء ، وقد أصبح معظمه من النساء .

قصة الحب هى اللون المفضل عند هذا

الفريق أيضا . ولكن ما أبعد الفرق بينها وبين القصص التى عربها المنفلوطى ! وهم كذلك يختلفون اختلافاً بينا عن معاصرهم محمد عبد الحليم عبد الله الذى تفرد بموضوع الشاب الريفى القادم إلى المدينة حين يصطدم فى نموه العاطفى بتقاليد غريبة وشخصيات غريبة ، وذلك قبل أن يغوص ، بشجاعة أكبر وواقعية أكبر ، داخل التركيبة الاجتماعية لمجتمع الريف نفسه حيث يصبح الحب قريناً للجريمة . لقد عانى كتاب القصة والرواية ، منذ بدءوا يقبلون على هذا الفن ، من غياب عنصر المرأة فى مجتمعاتنا . ولم يتخيلوا أن أدباً قصصياً أو روائياً يمكن أن يقوم دون ان يهتم أساسا بالعلاقات بين الرجل والمرأة . وصرح محمود تيمور بهذه الشكوى فى مقدمة إحدى مجموعاته القصصية الأولى ، رغم أن محمود تيمور كان يعتنق المذهب الواقعى الذى لا يحتم بالضرورة أن تبنى القصة أو الرواية على العلاقات بين الجنسين ، ولا أن تكون هذه العلاقات ، إذا وجدت ، محصورة فى إطار عاطفة "الحب" بطقوسها الرومنسية (كما اثبت نجيب محفوظ فيما بعد ، فمعظم اعماله تدور فى تلك الحقبة نفسها ، التى شكا محمود تيمور من أن أوضاعها الاجتماعية لا تساعد القصاص) . ولكن الحقيقة ، كما يمكننا أن نراها الآن ، هى أن المناخ الفكرى فى عقد العشرينيات كان مناخاً رومنسيا ، ولذلك بدا غياب المرأة عن المجتمع للرواد الذين أرادوا كتابة قصص عربى ، غير متسترين بالترجمة كما فعل المنفلوطى ، مشكلة صعبة الحل . ونحن نعرف كيف ظل "حامد" هيكل حائراً بين قريبته عزيزة التى محقت التقاليد شخصيتها وبين زينب الفتاة الريفية التى لا تستطيع أن تعطيه "الحب" بطقوسه الرومنسية . (أقترح أن يقوم أحد الباحثين بدراسة مقارنة بين شخصية البطلة الريفية فى الأعمال الروائية العربية الأولى مثل "زينب" وبين نظائرها فى الآداب الغربية الرومنسية وشبه الرومنسية مثل "جرازيلا" لامرتين « وتس » توماس هاردى . وأزعم أن رومنسيتنا لم تتحمس للحياة الفطرية كالرومنسية الغربية ، بل تميزت دائما بموقف مزدوج ومتناقض من المدنية) .

ونعرف أيضاً كيف بقى "إبراهيم الكاتب" حائراً بين الممرضة مارى المسيحية الشامية وبنت خالته شوشو والفتاة المصرية المتحررة ليلى ، التى يعجب بها ولكنه لن يتزوجها . إننا لانتكلم عن هذه الشخصيات والعلاقات كما لو كانت منقولة عن الواقع ، هذا بديهى ، ولكن يكفى أن تكون ممكنة فى تصور الكاتب وقرائه ، لكى تكون لها دلالتها الاجتماعية . إن دعوة قاسم أمين ، عند مفتتح القرن ، إلى "تحرير المراة" لم تكن تعنى مطلقاً أن تكون لها المسئولية الاخلاقية الكاملة عن افعالها ، فالاعتراف

بهذه المسئولية يتضمن درجة من الحرية الفردية لم يكن الرجل نفسه يحلم بها . كانت ليلى إذاً نموذجاً فريداً فى زمانها ، بل ومتقدمة . بمعيار الحرية الفردية واستقلال الشخصية ، حتما على نساء الثمانينيات . أما نمط الحرية الذى شاع فى أوائل الثلاثينيات فلم يكن يعدو درجة من حرية الاختلاط خارج نطاق الأسرة والأقارب الأدنين ، بعد أن هُجر النقاب ، وأصبح التعليم حقاً مقرراً للفتاة . ولو أن نسبة الفتيات اللائى كن يصلن إلى التعليم الجامعى المختلط كانت ضئيلة جداً .

ولكن الطريق انفسح ـ شيئاً فشيئا أما القصصيون الشبان الذين أرادوا أن يكتبوا عن الحب فى بيئة مصرية ، كتابة يزعمون أنها واقعية . وكان رائد هذا الرعيل المحامى محمود كامل صاحب مجلتى "الجامعة" و"الـ ١٠ قصص" . كانت بطلاته من خريجات "الساكركير" أو "المير دى دييه" ، أما أبطاله فهم غالباً فنانون أو شعراء (بالفرنسية) أو موظفون فى السلك السياسى . وكان يخلع على بطلاته نعوتا غريبة مثل "كانت تشبه أميرة هندية" أو نحو ذلك . ولا أدرى كيف كان أبناء تلك الطبقة ينظرون إلى قصصه ، وأغلب الظن لم يعرفوا عنها شيئا ، فقد كانوا لا يقرءون ـ إذا هم قرءوا ـ سوى الفرنسية . أما نحن الذين كنا نعيش فى القرى والمدن الصغيرة ونخرج إلى الطريق بالجلباب والشبشب فقد حلت قصص محمود كامل عندنا محل قصص المنفلوطى .

● زخرفة الواقع

لم تعد قصص الحب تحملنا إلى عالم خاص بها ، كل ما فيه حب فى حب . فليس لأبطاله شغل فيما يبدو إلا اللقاء وتبادل الشكوى وذرف الدموع وكتابة الرسائل الغرامية . عالم لا يشبه عالمنا ، ولا يفترض فيه ذلك ، وأوضح دليل هو تلك الأسماء الأعجمية . ولكنه يغذى فى نفوسنا تلك العاطفة المبهمة ، الخجولة ، المنطوية ، عاطفة حب الحب ، بكلمات ناعمة تشبه الترانيم السحرية . أصبح لقصة الحب ، على يدى محمود كامل ، شبه بالواقع، واقع نسمع عنه ولا نعرفه ، ولكننا نستطيع أن نحلم بأن نعيشه يوما ، وأن ننسى حب الحب الذى لا سبيل إليه ، بحب مضمخ بالعطور ، مائس فى شفوف الحرير .

وخرجنا من التجربتين لنستقبل اليأس من الحب الحقيقى . وأين نجد فى الحياة التعسة حولنا مجدولين أو فرجينى أو الأميرة الهندية ؟

ولكن محمود كامل فتح الطريق لمن بعده . وساعدت الظروف الاقتصادية والسياسية على ظهور المرأة أكثر فأكثر ، وبجراة وثقة متزايدة ، فى المجتمعات العامة ، وإن لم تكتمل لها الحريتان اللتان

تحدثت عنهما فرجينيا وولف - حرية المعاش وحرية المعيشة - إلا فى حالات شاذة .

هذه المرحلة الحرجة من تطور المرأة الاجتماعى هى المرحلة التى تصورها روايات إحسان عبد القدوس . وقد كان إحسان يتخصص فى قصص الحب لأن المرأة يشغلها التفكير فى الحب أكثر مما يشغل الرجل ، والمرأة قارئة أكثر مواظبة من الرجل . وشخصية البطلة فى روايات إحسان أهم من شخصيات الأبطال الرجال ، إلى درجة أنك تشعر فى كثير من الأحيان شعوراً غريباً بأن الرجال يرسمون كما تتصورهم المرأة ، حتى إذا لم يكن ضمير المتكلم فى الرواية لامرأة . ونساء إحسان لسن قويات الشخصية ، ولا مستقلات الإرادة ، ولكنهن يتقن إلى التحرر من الضغوط الاجتماعية التى لا تسمح لهن بممارسة الحياة كما يمارسها الرجال . والقدر الذى يحصلنه من الحرية لا يلبث أن يفقد حين يقابلن رجل الأقدار الذى هو فى الغالب نذل ساحر ، ومع أن الكاتب يشعرنا بأن البطلة قد ارتكبت خطأ اجتماعياً او اخلاقياً حين تورطت فى علاقتها معه ، فإنه يصور هذه النتيجة كما لو كانت قدراً محتوماً .

إن الخطورة فى روايات إحسان عبد القدوس ليست فى منافاتها للأخلاق كما اتهمت علنا ، بل فى أنها لا تساعد المرأة على عبور هذه المرحلة من تطورها الاجتماعى ، حتى كأنها تزين لها البقاء فيها ، بأن تزيل من نفسها الشعور بالقلق لأنها لم تحقق بعد شخصيتها المستقلة . الحب عنده حب مريض لأنه حب مسلوب الإرادة ، وقصة الحب اعتذار عن أخطاء الحب ، أو تمهيد لها (أختار أخف العبارات) . وأنا أصف هذه الظاهرة بالخطورة لأن الأدب ليس مجرد مرآة للواقع (دعونا من قضية "استقلال العمل الأدبى" فهى هراء) ولكنه كثيراً ما ينجح فى صنع نماذج يحتذيها الواقع . لقد قيل ان موجة من الانتحار شاعت بين الشباب الأوربى فى أواخر القرن الثامن عشر بعد أن نشر جوتة " آلام فرتر " ، وإن كثيراً من شباب الروس فى ستينيات القرن الماضى قلدوا شخصية "بازاروف" العدمى الرافض فى رواية تورجنيف " الآباء والبنون " .

● كاتبات الرواية

لعلنا لا نخطىء إذا قلنا إن كثيراً من النساء العربيات قد استطعن ، فى هذه السنوات الأخيرة ، أن يحققن استقلالية المعاش والمعيشة ، التى تحدثت عنها فرجينيا وولف ، وبذلك أصبحن مؤهلات ، لأول مرة ، لكتابة الرواية .

وأود ، ابتداء ، أن اقول إن فكرة

"الأدب النسائى" لا مكان لها فى اعتبار النقد . فليس للأدب الذى تكتبه المرأة صفات خاصة تميزه عن الأدب الذى يكتبه الرجل . نعم ، إن المرأة تعبر ، بالضرورة ، عن تجارب حياتها ، ولكن معظم هذه التجارب يشترك فيها المرأة والرجل . ثم إن الرجل لابد له من أن يفهم المرأة ، كما أن المرأة لابد لها من أن تفهم الرجل . والاختلاف فى خامة الحياة التى تصاغ منها الأعمال الأدبية لا يقف عند حدود "محيط المرأة ومحيط الرجل" بل يتنوع إلى مالا نهاية . فلو صنفنا الأدب طبقاً لمادته لوجب أن نجعل لكل إقليم فى الصعيد أو الدلتا أو الشواطىء مثلاً أدبه الخاص ، ولكل مهنة ، كالطب والمحاماة والهندسة ، أدبها الخاص .

وأحسب أن ڤيرجينيا وولف عندما قالت إن المرأة لن تكتب الرواية إلا حين تصل إلى هذه الدرجة من الاستقلال ، لم تنكر قيمة روائية مثل إميلى برونتى أو جين أوستن ، ولكنها أرادت أن رواياتهما كتبت فى محيط ضيق (نسائى نعم ، ولكن هذا لا يجعل الروايات نفسها نسائية) . فالعبرة فى الفن ليست بالمادة الروائية ، بل بالإبداع الروائى ، وقوة الإبداع واحدة لدى الجنسين . والذى تعنيه ڤرجينيا وولف - على ما يبدو لى - هو أن أفق المرأة الكاتبة سوف يتسع ، ومادتها الأدبية سوف تغزر ، حين تمارس الحياة كما يمارسها الرجل . وعند ذلك ستكتب روايات كالتى يكتبها الرجل .

ونحن اليوم فى حاجة إلى مثل هؤلاء الكاتبات ، لا ليكتبن أدباً نسائيا ، بل ليثبتن أن مثل هذا الأدب لا وجود له ، وأن الصورة التى رسمها الرجال للمرأة الحديثة صورة زائفة ، لا لأنهم عجزوا عن فهم المرأة ، بل لأنهم لم يحتضنوا قضيتها الاجتماعية ، ولأنهم اهتموا بارضاء قارئاتهم ، أكثر من اهتمامهم بكشف الحقائق لأولئك القارئات . والكاتبة الحديثة حقا ، المستقلة حقا ، قلما تكتب الآن قصة حب ! ربما لأنها مشغولة ، مثل الرجل ، بمسائل أخطر واشد إلحاحاً وامس بالواقع من الحب (تلك العاطفة التى يمكن أن تستغرق الحياة وتأكلها) . نعم ، إنهن ، مثل الروائيين المجيدين من الرجال ، يصورن العلاقات بين الرجل والمرأة فى مجتمع لم يعد يقيم الحواجز بينهما ، وينظرن إليها ، كما ينظر أندادهن من الرجال ، بمنظار مركب من ثقافات متعددة نفسية وانثروبولوجية واجتماعية . ولعل هؤلاء وهؤلاء يصورون غياب الحب أكثر مما يصورون الحب . **ولكن غياب الحب لا يعنى انعدامه فى نفس الإنسان ، بل قد يعنى ضرورة الكفاح لإيجاده . وياله من تطور رائع ! من حب الحب بلا أمل فى وجوده ، إلى نعى الحب تمهيداً لبعثه !**



العقل البشرى

يصل ما انقطع بين الدين والعلم

بقلم : د. يس عبد الغفار

ان المفهوم السائد عن العلم والدين اليوم هو انهما جانبان متباينان بل متنافران من جوانب الفكر الانسانى ، وان اية محاولة لعرضهما فى اطار واحد سوف تفضى لا محالة فى النهاية الى سوء فهم للنظرية العلمية والعقيدة الدينية على السواء . بل ان بعض المفكرين يرون فى النظرية العلمية والعقيدة الدينية ضدين يتصارعان فى معركة دامية . وفى الحقيقة فان الامر قد لايكون على هذا النحو ، فشتى اعمال الانسان وسلوكياته مردها رغبات ودوافع واعية او مستترة ، وككل مافى الحياة فان وراءها من الاسباب ماقد يستطيع أو لا يستطيع الانسان فهمه وتحليله ، ولكنها تبرر تماما القول القديم انه « لاشىء يأتى من عدم »

ويقوم البحث العلمى على اساس من رغبة الانسان الملحة فى كشف نواميس الطبيعة ، بينما ترجع الضالة الدينية فى الانسان الى رغبته الشديدة فى ان يتفهم الكون والحياة لا على سبيل المعرفة المكتسبة من التجربة الواقعية ، وانما على سبيل خبرته فى الحياة تلك الخبرة التى ترضى طبيعته العقلانية . ومن هنا اختلفت الوسيلتان فبينما ينهض العلم على دراسة قوانين الطبيعة من خلال مدخل تجريبى موضوعى فان الدين يعتمد على التجربة الانسانية الذاتية فى الحياة ، التى تقوم بالدرجة الاولى على الاحساس

كان عنوان المقال الاصلى « الجوانب الاخلاقية فى حياة الطبيب » ، ولكنى عندما شرعت فى كتابته وجدتنى منساقا رويدا فى استسلام تام لمناقشة حول العلاقة بين الدين والعلم .

ولاغرو فالطب ضرب من العلم ، والاخلاقيات ضرب من الدين . وعندما اتممت النص وجدته مغايرا للعنوان الاصلى . وبرغم هذا شعرت ان موضوع العلم والدين أجدر من مجرد التركيز على الجوانب الاخلاقية فى حياة الطبيب ، ومن ثم كان لزاما علىَّ ان استبدل بالعنوان الاصلى عنوانا اخر والحقيقة ان قضية العلم والدين هى قضية العصر وستظل قضية عصور قادمة .

الشخصى . وما التعبيرات التى كثيرا مانسمعها عن « الطبيعى فى مواجهة الخارق للطبيعة » او « المادية فى مواجهة الروحانية » الا شواهد على هذا التباين المستقر فى الاذهان بين العلم والدين .

وإذا امعنا النظر فى هذا الامر من وجهة النظر الاجتماعية الانثروبولوجية فاننا نتبين هدفا مشتركا لكل من العلم والدين ، الا وهو السعى وراء الموضوع عن كل مايؤدى الى مدلول متماسك فى نطاق كل منهما .

فمفهوم العلم هو صدق التنبؤ بالحدث وامكان التحكم فيه .

وفيما يتعلق بالدين فالمقصد هو توضيح الهدف الاخلاقى ومعنى الذات .

وفى النهاية فان الهدف الاخير لكليهما هو الحفاظ على بقاء المجتمع ، والحيلولة دون اضمحلاله وفنائه .

وخلاصة الامر : انه بينما تنصرف اهتمامات العلم الى محاولة التعرف على اسباب الظواهر الكونية ، فان هم الدين هو الكون ذاته .

◉ الصلة بين العلم والدين

قد لايعرف البعض ان العلم الحديث قام على اساس من الدين ، ولكن الحقيقة هى ان العلم الحديث نشأ ثم تطور نتيجة لتركيز الفكر الانسانى حول فكرة الخلق التى اوردتها الاديان فى الكتب المقدسة .

ومن ناحيه اخرى فان الايمان بوحدانية الله ، والبعد عن تأليه الطبيعة وهما ركيزتان اساسيتان فى الدين ، قد شجعتا الانسان على استكشاف الطبيعة وتسخير مواردها لصالحه . ومن هنا كانت نشأة العلوم الطبيعية التى تطورت بعدئذ الى العلم الحديث .

وفى هذا الصدد فانه يمكننا ان نقول : « وانه ان كان جسم العلم من صنع الإغريق ، فان فيتاميناته وهرموناته كانت هى الدين »

ويمكن القول على سبيل التشبيه بانه ان كان الدين هو كتاب الله المنزل فان العلم هو كتاب الطبيعة ، وهما الكتابان اللذان اراد الله ان يعرّف بهما نفسه لخلقه .

وهناك ادراك متزايد حول ما انزله العلم بالبشرية من اضرار بالغة ، فهناك الفزع الدائم من التلوث البيئى وما يسببه الاستخدام المتزايد للعقاقير الكيميائية فى مجال العلاج الطبى ، وفوق هذا كله ذلك الكابوس المخيف الذى يجثم على صدر البشرية من احتمال قيام حرب نووية والتلوث الناجم عن استخدام الطاقة النووية ، وهى احدى الثمار المريرة للفكر العلمى فى ازهى اطواره . وهكذا اصبح رجال العلم ـ على مختلف تخصصاتهم وجها لوجه ـ أمام مشكلات اخلاقية عصية الحل وقضايا اجتماعية أليمة الاثر نتيجة لبعض بحوثهم العلمية « البحتة »

وفى المقام الثانى : ان مانشهده من اندلاع الحروب وقيام الثورات فى شتى انحاء العالم ينهض دليلا على عجز العلم عن تقديم السلام لهذا العالم المضطرب .

وفى المقام الثالث : فان اهمال العلم



للجانب الروحى للانسان ، قد اوقع الانسان فريسة للمعاناة والتوتر العصبى وعدم الرضا والاضطرابات النفسية ، التى يزخر بها المجتمع الغربى الذى افرز ويعيش النمط العلمى .

وفى المقام الرابع : فان مايعترى النظريات العلمية من تغير دائم هو سمة مزعجة من سمات العالم ، فان « اللايقينية » و« النسبية » عند انيشتين هما فى حقيقة الامر نقيضتان اساسيتان فى شأن العلم اليوم .

● حاجة الدين للعلم

الدين قوة . وقد دعا الاسلام الى استخدام القوة لنشر الدعوة وقهر اعدائه .

« واعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » صدق الله العظيم « الانفال ٦٠ »

وإذا كان العلم يرمى الى تسخير موارد الارض لمصالح الانسان ، فانه بذلك يشكل الوسيلة التى يتحقق بها وعد الله للانسان باستخلافه فى ارضه .

« ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون » صدق الله العظيم « الانبياء ١٠٥ »

وان العلم بما كشف عنه من الظواهر الكونية الباهرة قد هيأ للانسان فرصة معرفة الخالق العظيم من خلال خلقه البديع ، وان « الجمال المقدس » و« التصميم البديع » و« موسيقى الخلق » و« رقصة الخلق » ماهى الا عبارات طالما رددها ويرددها رواد العلم عندما تكشفت لهم اسرار الخلق منبئة بعظمة الخالق .

ان حاجة الاسلام للعلم تتعرض اليوم لأخطار لم يسبق لها مثيل من قبل ، ولعل اظهرها ما يهدد بتقويض الاديان عامة من تلك الضغوط الخارجية التى تتعرض لها الاديان من قبل مبادىء المادية العلمية ، والتفسير الاقتصادى للتاريخ مما ترك بصماته على شرائح كثيرة من المجتمع الاسلامى .

ولعل العلاج الامثل لهذا الموقف هو التوغل الحكيم فى العلم .

والسؤال الان هو اذا كان العلم والدين فى حقيقة الامر تجمعهما رسالة واحدة ويربطهما هدف واحد ، رغم مافى ظاهر الامر من تنافر بل تناقض بينهما . واذا كان خير الانسان يتحقق تماما وجزما بالاخذ بهما معا فهل من وسيلة للخلاص من هذا التنافر الظاهرى ، والجمع بينهما فى نسق واحد او من صيغة تدمجهما فى مفهوم واحد .

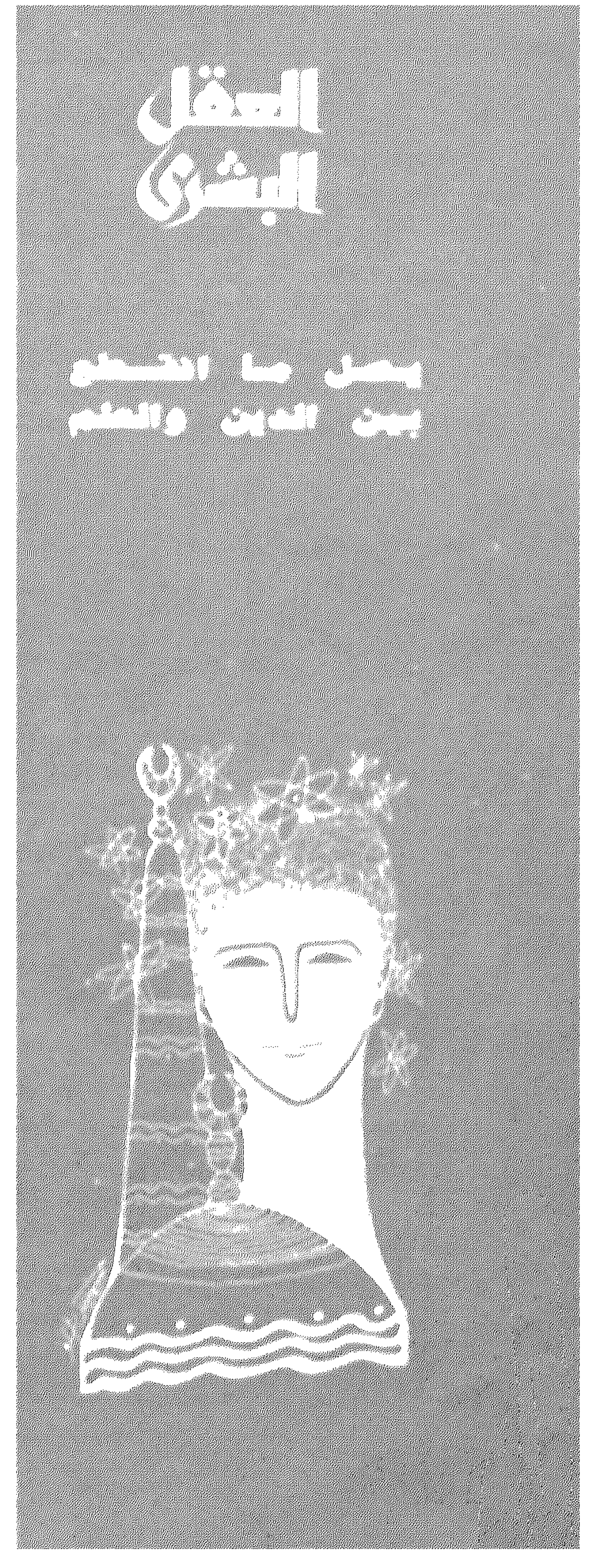
والجواب هو انه وان كان هذا الامر يبدو فى الوقت الحاضر متعذر التحقيق الا انه لايخلو من الامل .

ويتمثل هذا الأمل فى القاء الضوء على هذا البرزخ الذى يقع بين الدين والعلم ، ولا ينتمى صراحة الى أحدهما ألا وهو العقل الانسانى ، وان بحوثا تجرى فى هذا الاتجاه قد تكون كفيلة بتقليص الفجوة التى تفصل بين العلم والدين .

ولعل الدراسات التى يقوم بها الان فريق من العلماء على رأسهم د . سبرى الحائز على جائزة نوبل فى الطب سنة ١٩٨٣ . على العلاقة المتبادلة بين العقل والمخ قد تلقى شعاعا من نور على ذلك البرزخ ، ولعله من المناسب هنا أن أورد

نص كلمات سبرى لانها تعكس فكر الخاصة من العلماء المحدثين والمرموقين . يقول د / سبرى « فى ضوء تصاعد المشاكل اليوم فى شتى انحاء العالم ، وفى غيبة التحكم فى الانفجار السكانى فان المنافع الاجتماعية النسبية طويلة الامد التى يستطيع التقدم العلمى والتكنولوجى ان يحققها تبدو آخذة فى التناقص . وفى نفس الوقت فان القيمة الانسانية المنبثقة من العلم الذى يدرس علاقة المخ بالعقل والعلوم الاخرى تتخذ موقفا استراتيجيا ذا اهمية قصوى ، بسبب دورها الرئيسى فى البحث عن الضوابط النهائية لاولويات المسائل ومؤشرات اتخاذ القرار . وان المفاهيم الحديثة حول العلوم التى تدرس علاقة المخ بالعقل ، هذه المفاهيم الرافضة لمذهب الاختزال (Reductionism) ، ومذهب الجبرية الميكانيكية (Mechanistic determinisn) من ناحية ، ومذهب الازدواجية (Dualism) من ناحية اخرى سوف تفتح الطريق الى مدخل عقلانى لنظرية القيم والى امتزاج طبيعى بين العلم والقيم والدين » .

وفى هذا الصدد لعله ينبغى علىَّ ان اشير الى ماكتبه حجة الاسلام الامام محمد ابو حامد الغزالى عن اقسام العقل . فقد صنف العقل البشرى اربعة انواع . النوع الاول : هو العقل الذى يفرق بين الانسان والحيوان ، وبمقتضاه يكتسب الانسان خبرة العمل اليدوى فى الزراعة والصناعة ، والثانى : هو العقل الذى يمد الانسان بخاصية الاستنتاج والاستنباط . الثالث : هو العقل الذى يمنح الانسان المعرفة المكتسبة من التجربة والخبرة .



اما الرابع : فهو العقل الذى ينهى الانسان عن المنكر . ومن الواضح ان العقل الرابع هو قمة العقل البشرى الذى ينشده د . سبرى فى بحوثه . ورجوعا الى الامام الغزالى ، **فان كل عقل ينشأ من سابقه كما انه يمهد للاحقه ولعل الامام الغزالى فى قوله هذا يلمح الى نظرية التطور** Evolution ، وبناء عليه يمكننى تلخيص العلاقة بين العلم والدين على النحو التالى :

اولا : ان العلم ومايمثله من معرفة ومفاهيم ونمط ، والدين بما يمثله من قيم وعقائد وسلوك ليسا ضدين بل هما وجهان لعملة واحدة هى الحقيقة ، حقيقة الحياة بوجهيها الكون والانسان .

ثانيا : ان العلم والدين وان اختلفا وسيلة وسبيلا فانهما يتفقان غاية ومقصدا .

ثالثا : ان الغاية المشتركة لكليهما هى حياة افضل للانسان ، وفهم اعمق للحياة وحفاظ اكثر للبيئة وعمران اكبر للكون وبقاء أدوم للكائنات جميعا .

رابعا : مادامت الغاية واحدة ومادام احدهما يتمم الاخر فان اندماجهما فى مذهب واحد امر طبيعى .

خامسا : ان هذا الاندماج ليس ممكنا فحسب بل هو ضرورة حتمية لصالح كل منهما . فحينئذ يصحح الدين مسار العلم ويشد العلم ازر الدين .

سادسا : هذا هو المذهب الشمولى الذى ننادى به والذى نرى فيه خلاص البشرية اليوم وغدا .

سابعا : ان مذهب الثنائية ـ على النقيض ـ الذى يعزل العلم عن الدين ويعتد بالمادية العلمية ، والذى ارسى قواعده كارل ماركس يرفضه علماء العلم الحديث اليوم . واعتقد ان علماء الدين كذلك يرفضونه

ثامنا : لتجسيد هذا المذهب الشمولى نطالب العلم بأن يتحول من العكوف على دراسة ظواهر الكون الخارجى الى الانكباب على دراسة الكون الاخر . الا وهو الجانب الداخلى للانسان ، وهى دراسة لم يحفل بها ، واغفلها بحجة انها لاتدخل فى اختصاصه لانها لاتخضع لانماطه التقليدية الموضوعية ، وعندئذ سوف تنكشف له آفاق رحبة فى المجالات الفكرية والثقافية والاخلاقية والجمالية والروحية .. « **يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** »

تاسعا : ونطالب العلم بأن يطور النموذج العلمى التقليدى حتى يستطيع ان يستوعب كثيرا من الجوانب الدينية بادئا بجانب القيم والاخلاقيات .

عاشرا : ان هذا لم يعد اليوم حلما او اغراقا فى الخيال فقد بدأ بالفعل .

حادى عشر : ان البحث فى ماهية العقل الانسانى بالاسلوب العلمى يشكل مدخلا مؤملا الى هذا الاتجاه .

ثانى عشر : على علماء الدين وعلماء العلم الحديث والفلاسفة ان يجدوا صيغة للمزج بين العلم والدين على أساس من هذا المنطلق .

ثالث عشر : الى ان يتم هذا فانه يجب العمل دائما على التوفيق بينهما ورسمهما فى صورة واحدة او على الاقل ابرازهما فى اطار واحد .

هل انتهى عصر

● المذهب الاجتماعي الجديد

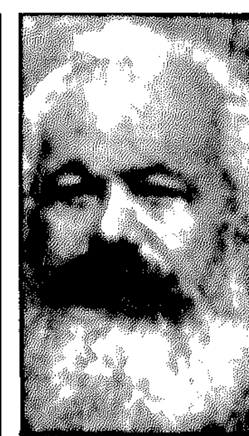
بقلم : عبد الرحمن شاكر

إذا صح ماقررته الماركسية ، من أن المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية ، إنما هي انعكاس للأوضاع المادية في المجتمع ، التي يمثل مستوى التطور في قوى الانتاج القاعدة الأساسية لها ، وعلى هذه القاعدة يقوم « البناء الفوقي » من الأوضاع السياسية ، والقيم الفكرية ، والوعي الاجتماعي السائد ، فإن التطورات الرئيسية الجارية في عالم اليوم ، وفي مقدمتها الثورة التكنولوجية ، والتقارب ما بين المعسكرين الدوليين ، في محاولة من المعسكر الاشتراكي للحاق بركب تلك الثورة .. هذه التطورات من شأنها أن يتولد عنها مذهب اجتماعي جديد ، بينه وبين الماركسية علاقة مركبة تنطوي على السلب والايجاب ، أو طبقا للتعبير الماركسي ذاته ، علاقة ديالكتيكية .

● فالمذهب الاجتماعي الجديد ، يمكنه أن يواصل الاستفادة من المنهج الماركسي في التحليل الاجتماعي ، فهو بذلك يبنى على بعض النتائج الرئيسية ، التي توصلت إليها في هذا الصدد ، وخاصة في علاقة الأفكار ، بالأوضاع المادية والطبقية في المجتمع ، ومن ناحية أخرى يتخطاها في نتائج أخرى تفصيلية ترتبت على تحليلها لأوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية ، أدنى بكثير مما عليه عالم اليوم ، بما في ذلك ماحققته الماركسية ، باعتبارها نظرية سائدة في قطاع كبير من المجتمعات الانسانية ، شكلت ماعرف باسم المعسكر الاشتراكي ، أو منظومة الدول الاشتراكية .

فجزء من العلاقة الديالكتيكية المركبة ، مابين المذهب الاجتماعي الجديد ، والنظرية الماركسية ، أنه لا يناقش مقولاتها فحسب ، من حيث صحة بعض تصوراتها أو خطأ بعضها الآخر ، بل أيضا من حيث ماحققته هذه النظرية ،

الأيديولوجيا ؟





كارل ماركس   جورباتشوف

التى اصبح لها تاريخ مؤثر فى حياة الجماعة الانسانية ، من تطور فى كيان هذه الجماعة وفى وعيها على حد سواء .

وربما كان أقرب تسمية للمذهب الاجتماعى الجديد ، الذى نزعم تخلقه فى عالم اليوم ، هو « الانسانية العلمية » ، وهو تعبير استخدمه بعض العلماء الأمريكيين ، الذين أشرفوا على اعداد موسوعة « الكتب العظمى » فى الفكر الغربى (الذى هو عندهم جماع الفكر الانسانى) ، واختاروا من بينها كتاب « رأس المال » لكارل ماركس ، باعتباره واحدا من هذه الكتب ، التى شكلت معالم هذا الفكر ، وأثرت تأثيرا بعيدا فى مجرى الحياة الانسانية ، وفى هذا الصدد نلمح عنصرا مشتركا ، مابين هذا المذهب ، والماركسية ، فقد سمى كارل ماركس مذهبه باسم « الاشتراكية العلمية » ، وهؤلاء اطلقوا على مذهبهم اسم « الانسانية العلمية » ، فأضافوا كلمة « العلمية » الى تسميتهم مثل ماركس سواء بسواء ، وعندهم ـ كما عند ماركس ايضا ـ أن هذا المذهب ، من شأنه أن يمثل فى ضمير الجماعة الانسانية ، أو فى بعض صفوفها الرئيسية على الاقل ، كطائفة العلماء مثلا ، مكان العقائد الدينية ، حيث أدخلت الاكتشافات العلمية ، على الوعى الانسانى ، تصورات جديدة لم تتضمنها تلك العقائد ، تشمل علاقة الانسان بالكون ، بما فى ذلك نظرية دارون عن أصل الأنواع التى اعتبرت الانسان مجرد احدى حلقات التطور البيولوجى ، فى المملكة الحيوانية ، وكبرى تلك الحلقات ، وكان كارل ماركس ، يعتبر نظريته فى تطور المجتمع الانسانى ، تكملة لنظرية دارون عن أصل الأنواع ، وقد أهدى نسخة من كتابه رأس المال ، الى تشارلز دارون ، الذى رفضها فى استياء ، كأنما أراد أن يقول لماركس ، إنه لا ينقصه المزيد من « وجع الدماغ » الذى أصابه بسبب نظريته هو عن أصل الأنواع ، حتى يحمل مؤونة نظرية أخرى عن تطور المجتمع الانسانى ! .

على انه ـ علميا أيضا ـ ينبغى أن تترك مسألة العقائد الدينية جانبا ، فإذا كان بعض العلماء ، أو المتأثرين بما يعرف باسم النظريات العلمية ، يختارون العلم عقيدة لهم ، بديلا عن تلك المعتقدات ، فإن تاريخ الجماعة الانسانية ، قد دل على أن العقيدة الدينية تشغل فى الضمير

الانسانى موقعا أكبر بكثير مما قدره لها بعض المحللين الاجتماعيين ، بما فى ذلك ماركس ذاته ، فإذا كان ماركس قد أرجع سيادة العقائد الدينية فى المجتمعات السابقة على العنصر الصناعى العلمى ، إلى شعور الانسان بالعجز أمام الطبيعة من ناحية ، ومن ناحية أخرى إلى الأوضاع الطبقية ، التى جعلت الدين يستخدم فى بعض الأحيان « كأفيون للشعوب » ، لالهائها عن معاناتها فى حياتها الدنيا ، فإن الحقيقة الرئيسية ،

وهى ان الانسان هو « الحيوان » الوحيد الذى يعى الموت ، ويعرف أنه نهايته المحتومة ونهاية كل حى ، هذه الحقيقة تجعل حاجة الانسان الى معتقد دينى ، خارج عما يقدمه العلماء من نظريات عن علاقته بالكون ، حاجة اساسية مستمرة تكفيه غائلة الوقوع فريسة الياس ، من عبثية الوجود !.

فإذا نحينا مسألة العقائد الدينية جانبا ، وقد شرعت الدوائر الماركسية ذاتها تراجع موقفها من تلك القضية على اساس ماتقدم ، فإن الجانبين السياسى والاجتماعى ، للمذهب الاجتماعى الجديد ، أو الانسانية العلمية ، وعلاقتهما فى ذلك بالماركسية يكونان هما الأولى بالدرس والتأمل .

● النظرية والتركيب الطبقى

إذا كان كارل ماركس قد اعتبر نظريته فى « الاشتراكية العلمية » هى نظرية طبقة عالمية ، هى « البروليتاريا الصناعية » ، التى لا تملك شيئا سوى قوة عملها تبيعها للرأسمالية فى سوق الانتاج .. وأن هذه الطبقة بعد أن تكتسب وعيها الطبقى الذى جاءها من صفوف خارجة عنها ، جاءها من العلم ، المتوفر عنده وعند أمثاله من « الانتلجنسيا » أو فئة المثقفين ، ممن انفصلوا بالعلم عن أصولهم البرجوازية ، وانضموا الى الطبقة صاحبة المستقبل ، التى سوف تعيد تشكيل المجتمع الانسانى ، بحيث يصبح مجتمعا خاليا من الطبقات .. فإن المذهب الاجتماعى الجديد ، إنما يتشكل بعد أن أصبحت فئة الانتلجنسيا هذه ، أو المثقفين ، من العلماء والمهندسين والفنيين ، ومن يعرفون باسم « التكنوقراط » ، هى القوة الرئيسية فى

الانتاج ، بدلا من « البروليتاريا » ، وتتصاعد مكانتها ويتعاظم دورها باطراد الثورة التكنولوجية وتطبيقها على آفاق تزداد اتساعا من الحياة الانسانية ، وليست هذه الحقيقة مقصورة على المجتمعات « الرأسمالية » الغربية ، التى

تحققت فيها الثورة التكنولوجية فحسب ، بل ايضا على المجتمعات الاشتراكية التى حققت قدرا هائلا من التطور الصناعى ، ويكفى أنها كانت رائدة الجماعة الانسانية فى اكتشاف الفضاء ، وتتطلع الآن عبر « بريسترويكا » جورباتشوف ، والانفتاح الصينى بقيادة (دنج سياو بنج) ، الى اكتساب منجزات الثورة التكنولوجية ، فى الغرب الرأسمالى واليابان ، وتتنازل عن كثير من تزمتها « الاشتراكى » ، من أجل هذه الغاية .

هذه الطبقة بدورها ـ طبقة المثقفين أو التكنوقراط ـ هي طبقة عالمية ، مثلها فى ذلك مثل « بروليتاريا » كارل ماركس ، وإذا كان ماركس قد أوكل الى البروليتاريا العالمية مهمة انجاز الثورة الاشتراكية العالمية ، فإن الواقع التاريخي قد أوكل تلك المهمة الى البلدان المتخلفة صناعيا ، والتي لم تبلغ البروليتاريا فيها مبلغها فى الدول الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، وكانت الاشتراكية التى تحققت فى بعض تلك البلدان المتخلفة ، مثل روسيا والصين ودول شرق أوربا ، أداة للحاق بركب التطور الصناعى ، الذى أحرزته الدول الرأسمالية المتقدمة ، ونجحت الاشتراكية فى تحقيق التنمية الصناعية المطلوبة فى تلك البلدان ، وإن كان التقدمان العلمى والصناعى لم يتوقفا فى الدول الرأسمالية ، بل أنجزت فيها الثورة التكنولوجية ، أو الثورة الصناعية الثانية ، التى تحاول الدول الاشتراكية من جديد اللحاق بها عن طريق اعادة ـ ترتيب أوضاعها الاقتصادية بما فى ذلك اعادة اقتصاد السوق .

المنظور الاشتراكى كما توقعه كارل ماركس لم يتحقق ، وانما تحقق شىء مخالف له حين أصبحت الاشتراكية أداة للتنمية فى مجتمعات متخلفة من ناحية ، وأصبح الاصلاح الاقتصادى فى المجتمعات المتقدمة ، ورفع مستوى معيشة الطبقات العاملة فيها كافيا لتجنب الثورة البروليتارية ، بينما بقى التفاوت الطبقى على حاله وربما يزداد .

وفى الظروف المعاصرة فإن قضية التفاوت الطبقى لا تشغل بال طبقة الانتلجنسيا أو التكنوقراط فى كلا المعسكرين ، بل ان مهمتها كطبقة عالمية ، هى استكمال أسباب الثورة التكنولوجية من ناحية ، ومن ناحية أخرى حل المشكلات « الكونية » التى تتعلق بوجود الانسان على الأرض ، مثل مشكلات تلوث البيئة بفعل التطور الصناعى ، وما يقال عن تآكل طبقة الأوزون على نحو يهدد استقرار المناخ على الكرة الارضية ، ونقص الموارد الطبيعية فى الغذاء والطاقة ، فى مقابل الانفجار السكانى الذى يأتى بالدرجة الأولى من المجتمعات غير المتطورة صناعيا ، أو دول العالم الثالث . فالتفاوت الطبقى لايعنى طبقة التكنوقراط الا من هذه الزاوية ، زاوية تخلف المجتمعات غير الصناعية ، التى أصبحت هى البروليتاريا الجديدة فى عالم اليوم ، وإذا لم تستطع اعادة ترتيب أوضاعها الاقتصادية بحيث تكفى سكانها مطالب العيش ، **وإذا لم تساعدها الدول المتقدمة صناعيا على ذلك ، بما فى ذلك معالجة مشكلة المديونية فيها** ، فإن تهديد استقرار الجماعة الانسانية ربما يأتى من أبناء تلك البلاد ، بما فى ذلك شيوع التخريب والارهاب فى الدول المتقدمة ، فى عصر استفحلت فيه وسائل الدمار من مختلف الأنواع ، وأصبح من الميسور التوصل الى أسرارها والتفنن فى تركيبها بوسائل بدائية .

إن مذهب « الانسانية العلمية » لايكفيه تحصيل العلم الطبيعى ، ولكن علم الانسان ينبغى أن يأتى فى مقدمة اهتماماته ، وفى عالم اليوم الذى تلتقى فيه -

اطرافه المختلفة ، بعد انقسام طال مداه ، فان تغييرا رئيسيا ينبغى أن يدخل فى اعتبار الفئة التى تتصدر تطوره فى مختلف المجتمعات ، وهى فئة التكنوقراط ، تغييرا يأتى من التقاء الأطراف التى تولدت من مجتمعات متفاوتة فى تاريخها ومنهج تطورها ، والأفكار التى كانت تسودها .. وبالقدر الذى تتخلى فيه الدول الاشتراكية عن جمودها المذهبى ، وحلم الغاء التفاوت الاجتماعى فى المنظور القريب ، فإن انعدام الشعور بالمسئولية الاجتماعية بالمرة - على المستوى العالمى - هو أمر محفوف بالخطر ، واذا كان الفيلسوف الأمريكى « جورج سانتايانا » ، قد علم أبناء مجتمعه أن مهمة « الثراء » هى تحقيق المستوى الأرفع من الحياة ، وليس نشر العدالة فى توزيع الثروات ، فإن « جورج برناردشو » قد علم العالم أن الفقر هوة تحت أقدام المجتمع ، وليس من المحتم ألا يقع فيها غير الفقراء ! .

لقد راق لبعض المعلقين أن يعتبروا التطورات الحالية فى المجتمعات الاشتراكية ، وخاصة « بريسترويكا » جورباتشوف اعلانا بافلاس الاشتراكية ، وتراجعا نهائيا عنها ، ولكن ذلك غير صحيح بالمرة ، فالواقع هو أن الاشتراكية قد أثبتت جدارتها كأداة للتنمية السريعة للمجتمعات التى حرمت السبق فى التطور الصناعى بل كانت فريسة للمجتمعات المتقدمة التى سبقتها الى هذا التطور ، وإذا كان تطوير اقتصاد الدول الاشتراكية حاليا يحتاج الى استخدام بعض أساليب الرأسمالية ، فإن المجتمعات الرأسمالية بدورها لم تستطع تخطى أزماتها الا بالاصلاح الاقتصادى الذى تصدى له أمثال « جون ماينارد كينز » ، الذى دعا فى بريطانيا الى رفع أجور العمال حتى يتحقق الطلب الفعال على المنتجات الصناعية ، وبذلك لاتقع أزمات مدمرة فى الانتاج ، وكذلك سياسة « النيوديل » ، التى اتبعها « فرانكلين روزفلت » خلال أزمة الثلاثينيات فى هذا القرن ، واستطاع بها تخطى الأزمة الاقتصادية الخانقة ، عن طريق استخدام ألوف المتعطلين فى مشروعات حكومية لانشاء الطرق وما إليها ، مما عاد بأكبر الفائدة على الاقتصاد الأمريكى ، وفى عصر أوشكت فيه القوى الكبرى أن تتجه الى تخفيض ميزانيات التسلح الباهظة ، فان تصريف الانتاج المدنى المتزايد فيها لن يتاح بالقدر الذى يجنبها أزمات الانتاج ، مالم تزد من سعة أسواقها الخارجية على استيعابه ، وزيادة افقار الدول النامية عن طريق الديون والمبادلات التجارية الظالمة معها ، معناه على الأقل التهديد باغلاق هذه الأسواق فى وجه صادرات الدول المتقدمة ، والمخرج الوحيد المتاح لذلك ، هو مساعدة الدول النامية على تطوير اقتصادها على نحو يجعل اسهامها فى التقسيم الدولى للعمل أقرب الى تحقيق نوع من « الكينزية » الدولية ، إن صح التعبير .

إن توحيد العالم ، من خلال سياسة التقارب ما بين المعسكرين الرئيسيين فيه ، وتصدر طبقة التكنوقراط لقيادته ، من خلال مذهب « كالانسانية العلمية » ، يتطلب بالدرجة الأولى أن يكون هذا المذهب انسانيا بحق ، بقدر ماهو علمى ! .



كتاب الهلال
يقدم :
البحث عن ملامح قومية
بقلم
محمود بقشيش
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم :
رسالة البصائر في المصائر
بقلم : جمال الغيطاني
تصدر في
١٥ فبراير ١٩٨٩

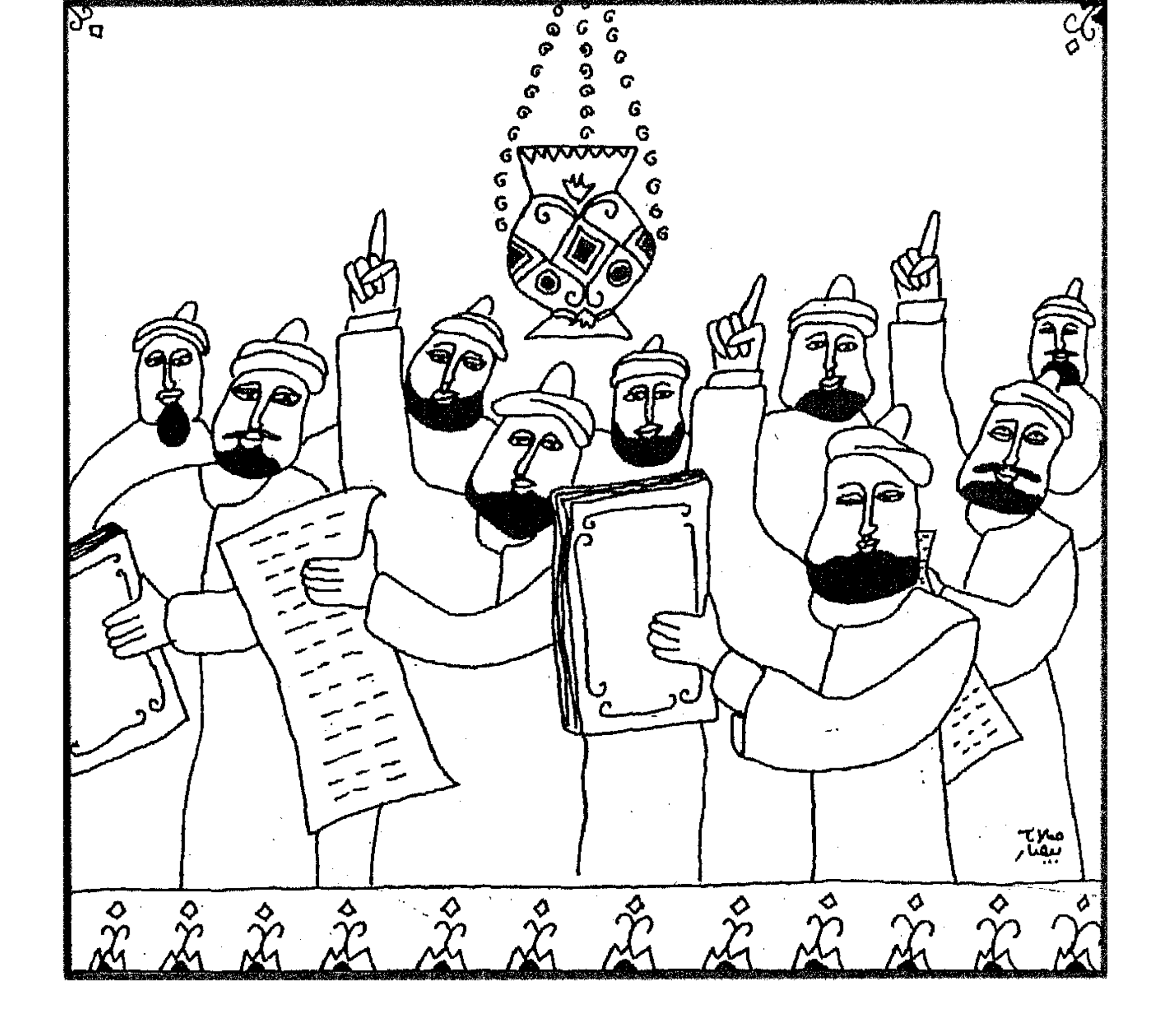


بقلم : د . محمد عمارة

منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة لوطن العروبة ومعالم الاسلام ، وضح تميز هذه الغزوة عن سابقتها الصليبية « ٤٩٨ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١ م » .. تلك التي مثلت احدى حلقات الصراع التاريخي والحضاري القائم بين حضارتنا العربية الاسلامية وبين النزعة العدوانية والاستعلائية للحضارة الغربية ..

ولقد تمثل هذا التميز للغزوة الحديثة عن سابقتها الصليبية ، بما حملته الغزوة الحديثة من « الفكر التغريبي » الذى جاءت به ، وعملت على اشاعته فى المناخ الاسلامي ، مستهدفة اجلاء الفكرية الاسلامية عن العقل المسلم ، واحلال فكرية التغريب محل فكر الاسلام ، على امل ان يتحول العقل المسلم الى هامش يدور فى فلك الحضارة الغربية ، الامر الذى يضمن بقاء بلادنا ، بموقعها ومواردها ، هامشا للامن الاوربي ومنجما يستغله المغامرون والمستثمرون والمحتكرون الاوروبيون !؟

ومنذ اللحظة الاولى تميز التيار الاسلامي عن غيره من تيارات المقاومة ، الوطنية والقومية ، بالوعى لخطر « التغريب » ، وبادراك المخاطر المتمثلة فى الغزو الفكرى والحضارى، فكانت دعوته الى التجديد الاسلامى السبيل الى بلورته البديل الحضارى ، الاصيل والمعاصر فى ذات الوقت ، والقادر على انهاض الامة لتتحرر من كل الوان الغزوة



الحديثة : العسكرية والاقتصادية ، والفكرية ، جميعا ... فعلى حين توهمت بعض التيارات الوطنية والقومية ان الانخراط فى نمط الحضارة الغربية هو سبيلنا الى القوة فالتحرر من الغزوة الغربية ، كان وعى التيار الاسلامى بان التصدى للقسمات الحضارية الغربية المصادمة لنمطنا الحضارى الاسلامى المتميز ، هو ميدان هام من ميادين الصراع فى سبيل الاستقلال .. ومن ثم ، فلقد ابصر هذا التيار ان الاستقلال المنشود هو « حضرى » ، بقدر ما هو « سياسى » و « عسكرى » و « اقتصادى » !! ولذلك ، فان صفحة تصدى التيار الاسلامى لنقد الحضارة الغربية ، والتحذير من مخاطر التغريب على هويتنا الحضارية المتميزة ، والدعوة الى بعث حضارى عربى اسلامى جديد .. هى صفحة ناصعة ومشرقة فى السجل النضالى لهذا التيار !

ولقد كانت طلائع هذا التيار الاسلامى متمثلة فى حركة (الجامعة الاسلامية) ، تلك التى تبلورت من حول جمال الدين الافغانى (١٢٥٤ _

الإسلاميون

والحضارة الغربية

١٣١٤ ـ ١٨٣٨ ـ ١٨٩٧ م) وضمت العديد من قادة الفكر والنضـــال الاسلامى ، من امثال الامام محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) وعبد الرحمن الكواكبى (١٢٧٠ ـ ١٣٢٠ هـ ١٨٥٤ ـ ١٩٠٢ م) وعبد الحميد بن باديس (١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م) ٠٠ الخ الخ الخ ٠٠

فالافغانى ـ رائد هذا التيار ـ كان حــربا على المد الاســتعمارى الغربى اينمـــا حل او ارتحل ٠٠ بالسلاح ، وبالقلم ، وبالتنظيم ٠٠٠ فى الافغـان ، والهنـــد ، ومصر ، وفارس ، والحجــاز ، والسودان ، وتركيا ، والعراق ٠٠٠ الخ الخ ٠٠ وتنظيم (الحزب الوطنى الحر) ، الـــذى اقامه ، سريا ، بمصر فى سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادى ٠٠ ثم تنظيم (العـروة الوثقى) ، السرى ، الذى تزعمه فى الثمانينيات، والذى امتدت فروعه (عقوده) من مصر والسودان الى الهند ٠٠ كل ذلك كان بعضا من جهود هـــذا التيار ، تصديا لهجمــة الاستعمار على ديار الاسلام ٠٠

واذا كان الافغانى قد قاد القتـال ضد الانجليز فى افغانستان ٠٠ ومهد للثورة المصرية التى قادها احمـــد عرابى باشـــا (١٢٥٧ ـ ١٣٢٩ هـ ١٨٤١ ـ ١٩١١ م) فى مطـــلـــع الثمانينيات ٠٠ ودعـا المصريين الى العصيان المدنى ، وللثورة المسـلحة ضد الاحتـــلال الانجليزى ٠٠ فان كتاباته فى كشف اهداف الاستعمار ووسائله تشكل واحــــدة من اعمق واخلص وارقى صفحات ادبنا السياسى الحديث ٠٠ انه القائل : « أنرضى ، ونحن المؤمنون ، وقد كانت لنا الكلمة العليا ، ان تضرب علينــا المـــذلة والمسكنة !؟ وان يســتبد فى ديارنا واموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يحترم شريعتنا ، ولا يرقب فينا الا ولا ذمة !؟ بل كل همه : ان يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منا اوطاننا ، ويستخلف فيها ،بعدنا ، ابناء جلدته ، والجالية من امته !؟

والخائن ـ عنـد جمـــال الدين الافغـــانى ـ ليس ، فقط ، من يسلم بلاده للعدو ، بل ومن يركن للدعة حيث يستطيع زلزلة اقدام الغزاة ٠٠ « فلسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ، ويسلمها للعدو بثمن بخس

او بغير بخس ـ وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس ! ـ بل خائن الوطن : من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى ارض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها ! » .

والاستعمار الذى حاربه الافغانى ـ وتيار (الجامعة الاسلامية) ـ لم يكن الاحتلال العسكرى وحده ، ولا السيطرة الادارية والحكومية فقط .. فالرجل قد ابصر المضمون الاقتصادى لهذه الهجمة الاستعمارية .. وادرك دور الامتيازات التى منحها ويمنحها لحكام المسلمون للدول الاستعمارية ، دورها فى التمهيد للغزو العسكرى ، وفى تاييده واطالة اجله .. فكتب يقول : « ان مصدر الشقاء ومنبع البلاء فى الشرق وممالكه انما كان من الامتيازات الاجنبية ؟ » .

وعندما منح الشاه الايرانى ناصر الدين (١٢٤٦ ـ ١٣١٣ هـ ١٨٣١ ـ ١٨٩٦ م) اصدقاءه المستعمرين الانجليز ، ابان زحف نفوذهم على بلاد فارس ، عندما منحهم امتيازات اجنبية ، منها الاراضى ، والمبانى ، والمياه .. ومنها انشاء « بنك » يمسك زمام الحركة المالية فى ايران .. عندما اقدم الشاه ناصر الدين على هذه الفعلة ، اثار الافغانى شعب فارس وعلماءه ضد هذه الامتيازات، وتحدث عن « البنك » ودوره فى السيطرة الاستعمارية التى تسلب الامة قدراتها ومقدراتها ، فقال : « .. والبنك ! وما ادراك ما البنك ؟ هو اعطاء الاهالى كلية بيد عدو الاسلام ، واسترقاقه لهم ، واستملاكه اياهم ، وتسليمهم له بالرياسة والسلطان ؟ » .

وصراع الافغانى ونضاله ـ على راس تيار (الجامعة الاسلامية) ـ من اجل تحرير مصر ـ لما ابصر من دورها القائد والرائد ـ يحتل مكانا متميزا وبارزا وشهيرا فى كفاحه العملى وفى كتاباته السياسية .. وكذلك متابعاته لقضية السودان الوطنية ، والثورة المهدية فيه .. وقس على ذلك ما صنع لتحرير الهند .. وايران .. وافغانستان ..الخ .

اما فى المغرب العربى فان نضال تيار (الجامعة الاسلامية) ـ الذى تمثل فى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ، بقيادة ابن باديس

الإسلاميون

والحضارة الغربية

ـ هو الذى انقذ هذه البـــلاد من « الفرنسة » ، وصد عن ذاتيتهـــا الحضارية ذلك المسحق الذى مارسه الفرنسيون المغزاة بوحشـــية فاقت التصورات .. ثم تصـــاعد هـــذا النضال حتى حمل الثوار الســلاح فحرروا الارض واعادوا الامة الى احضان العروبة وحمى الاسلام !؟

هذا على الصعيد السياسى ...

اما على الصعيد الاجتماعى فلقـد قدمت الغزوة التغريبية فكر الحضارة الغربية الاجتماعى ، ذلك الذى تمثل فى :

● « « الليبرالية ـ الراسمالية » : التى تغلب جانب « الفـــرد » على « المجموع » ، الى الحد الذى اثمر ذلك الحقد المدمر بين الطبقات .

● و « الشمولية ـ الاشتراكية » ـ فى صورتها الغربية ـ والتى هى رد الفعل الحاقد على الحالة الاجتماعية (لليبراليتهم ـ الراسمالية) ـ الامر الذى هدد ويهدد المجتمعات الغربية بالكوارث ..

وامام هذا الطـــرح الاجتمـــاعى « التغريبى » قدم تيار (الجسامعة الاســـلامية) : « عدل الاســـلام الاجتماعى » ، المركوز فى الدين ، والمتسق مع طبيعة الامة ، والبرىء من تطرف « الافراط » و « التفريط » كليهما ..

« فالاشتراكية الغربيـــة » (برای الافغانى) ـ ما احدثها واوجدها الا حاسة « الانتقام » من جور الحكـام والاحكام ، وعوامل الحسد فى العمال من ارباب الثراء ، الذين انما آثروا من وراء كدهم وعملهم .. واستعملوا ثروتهم فى السفه .. وهـــــذه الاشتراكية الغربيـــة هى الان محض خور ، بعد ان كان المنتظر منها كـل نفع .. فكل عمل يكون مرتكزا على الافراط لابد وان تكـــون نتيجته التفريط ؟ » .

ثم يمضى الافغانى ليعرض للفكر الاجتماعى الاسلامى المتميز ، فيقول : « اما الاشتراكية فى الاسلام ، فهى ملتحمة مع الدين الاسلامى ، ملتصقة فى خلق اهله ، منذ كانوا اهل بداوة وجاهلية ! » .

ثم يضرب الامثلة على تطبيقات

الاسلام بميـــــدان « الاشتراك » فى الثروة ، دون تجريد الناس منهــــا بـ « اخاء ومؤاخاة » الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، بعد الهجرة ، بين المهاجرين والانصار .. ويخلص الى ان تطرف الفكر الغربى ، قد جعـــل الاشتراكية هناك « كلمة حق يراد بها باطل » .. بينما هى فى الاسلام : وسط .. وخير الامور اوساطها .. ولذلك « فهى عين الحق ، والحق احق ان يتبع ! » ..

اما معالم هذه الوسطية ، فى الفكر الاجتماعى ، لدى تيــار (الجــامعة الاسلامية) ، فيمكن تحديدها فى :

١ ـ ان الاسلام يجعل المال ملكا لله .. والناس مســتخلفون فى هذا المال .. اى ان « ملكية الرقبة » لله .. وللناس فيه « ملكية المنفعة » ، التى هى « الوظيفـــة الاجتماعية » للمال ..

٢ ـ وان « تكافل الامةالاجتماعى » هو البديل والعاصم من « الصـــراع الطبقى » المدمـــر لوحـــدة الامة وتضامنها ·

فعندما يلمح الامام محمد عبـــده اضافة القران الكريم كلمة « المــال » لضمير « المجمع » فى سبع واربعين اية ، على حين اضيف هــذا اللفظ لضمير « الفرد » سبع مرات فقط .. يقول : « ان الله ينبه بذلك علىتكافل الامة فى حقوقها ومصالحها ، فكانه يقول : ان مال كل واحد منكم هـــو مال امتكم ؟ » ·

اما عبد الرحمن الكواكبى فلقـــد راى المال مستمدا من « فيض الله ، اودعه فى الطبيعة ونواميسها » .. وراى ان « العمل » هو الســـبيل للاختصاص بشىء من هذا المال .. « فالمال هو قيمة الاعمال ! » ·

وهكذا تميز الفكر الاجتماعى لتيار (الجامعة الاسلامية) عن « فكرية التغريب » .. بل وتصدى لفكرية التغريب على هذه الجبهة الاجتماعية ايضا ·

اما «التغريب» ، بمعنى «التحديث» على النمط الغربى ، وبناء النهضة الحديثة على النموذج الغربى ، فان لمقاومته ، وللتصدى لتيــاره صفحة مشرقة اخرى فى سجل تيار (الجامعة الاسلامية) .. لها ، هى الاخرى ، حديث قادم ان شاء الله ·

الأزياء

مرآة صادقة لحالتك الاقتصادية والنفسية !

نجوى صالح

لم تقل المرأة وداعا لورقة التوت الا عندما خرج زوجها الشجاع لاصطياد الحيوانات البرية وعاد بجلودها لتصنع منها أول زى عرفه التاريخ !

إلا أن السحرة الذين لا يودون تضييع أوقاتهم فى البحث عن فريسة ، وجدوا من السهل أن يصطادوا بسهامهم الطيور ليصنعوا من ريشها مع الخرز الملون مجموعة من الأزياء الغريبة !

وبدأت تتطور الأزياء ، حتى أصبحت في عصرنا الحالى تاخذ شكل التأثير النفسى ، فالبلياتشو مثلا يرغمك على الضحك بكرنفال الألوان فى ملابسه ، والضابط بزيه يجبرك على الشعور بالاحترام والهيبة ، وروب المحامى يترجم وقار العدالة وسلطة القانون ، والممثل يوهمك باتقان الخيال عن طريق الزى المناسب ، فما هى حكاية الأزياء وتطورها من الناحية الاقتصادية والنفسية ؟

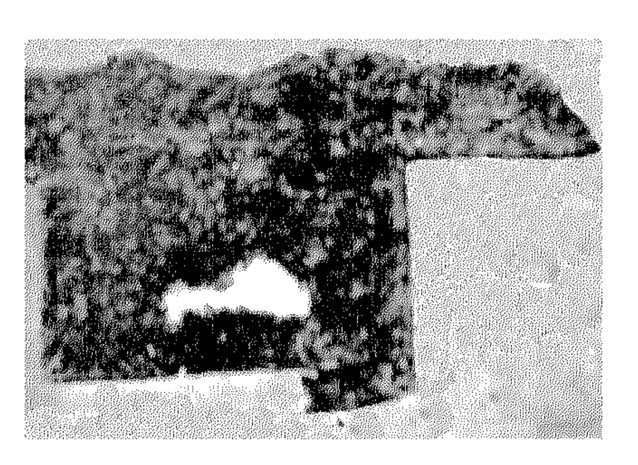
فى سبعينات القرن الثامن عشر اتسمت الملابس ببذخ ملحوظ ، وكانت على شكل طبقات



الأزياء

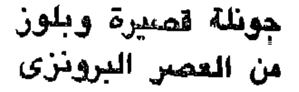
تمثال من العصر اليونانى
يرتدى الكتان الشفاف مزينا
بمفتاح النيل

قميص من العصر البرونزى



ان ملبسك يدل عليك ، ويوضح الى أى شعب تنتمى والى اى طبقة ، ويدلنا على حالتك الاقتصادية . هل انت فقير أم غنى ؟ هل تشغل منصبا رسميا يدعوك الى أن تبدو فى بزة معينة تدل على هذه الوظيفة .. أم أنك مجرد شخص عادى لا قيمة اجتماعية لك فى السلم الوظيفى ؟

الواقع أن لكل زى وظيفة يؤديها فى المجتمع ، حتى الأطفال قد يتقلدون بملابس معينة مثل الرجل الوطواط .. أو "سوبرمـان" ، أو يتنكرون فى زى ضابط .. حتى يهابهم أترابهم فى اللعب ، ثم ان بعض النظم السياسية تتبع نظام الزى الواحد وهو ما يوحى بوحدة الصف . فقد جبل الإنسان منذ بدء الخليقة على استخدام الملابس .. لسترة جسمه من تقلبات الطقس .. وعلى الحفاظ على الوظائف الحيوية للجسم .. وهذا ما نادت به الحضارة الصينية القديمة والحضارة اليونانية .. على عكس الحضارة الحديثة التى ترى أن أساس استخدام الملابس هو سبب عقلى صرف الا وهو الخجل ،



جونلة قصيرة وبلوز
من العصر البرونزى

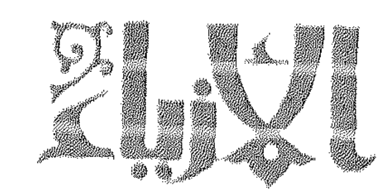
وقد جاء هذا التفكير ـ كما يقول المؤرخون ـ قبل الاحساس الدينى أو السحرى أو الجمالى أو الاجتماعى . أو حتى اختلاف الاصول الانسانية أو الاحساس التقليدى .. أى أن الدافع الأول لسترة الجسد هو الخجل أولا .. وقد يؤكد هذا أن الانسان الأول حينما ارتدى الملابس كانت بمثابة "ساتر" يحميه من تقلبات الطقس ، لكنها كانت بعيدة كل البعد عن القيمة الجمالية ، وبالرغم من ذلك فقد زينوا حوائط الكهوف برسوم ضحاياهم من الحيوانات التى لا تخلو من اللون والحس الجمالى ذى القيمة العالية فنيا .

وسنجد ان هذه "السواتر" المصنوعة من جلود الحيوانات استمرت بنفس الشكل حتى العصور الوسطى فى مجتمع الصيادين فى التزويج "الفاكنجز" وافريقيا .

أما بالنسبة للحضارات الجديثة فنجد عدة عناصر قد تداخلت ومنها الخجل والحس الجمالى .. والسحر والحسد ..

كل هذا ادى الى تطور الزى فى بعض الشعوب مثل افريقيا .. والهند .. والمكسيك ..

فنجد ان السحر والخوف من الحسد ادى الى ابتداع ملابس تميل الى التغريب .. وتوحى بالخوف مثل ارتداء



الملك فرانسوا الأول في ملابس عصره الباذخة الى اليسار اليزابيث البرتغالية (١٩٢٥ - ١٩٣٥)



الأزياء

رءوس الحيوانات .. حتى يتشبه الانسان بصفات هذا الحيوان .. وهو ما يسمى بالوشم الذى تطور الان حتى اصبح لصيقا بالجسم بواسطة الرسم بالابر .. أو وضع طيات من الأقمشة الهائلة حتى يبدو فى حجم غير حجمه الطبيعى ، ثم التزين بريش الطيور او أسنان الحيوانات وأنيابها مع الخرز الملون .

● أزياء الكهنة القدماء

من أهم الأزياء التى ظهرت فى ظل الحضارات القديمة واكتسبت تطورا ملحوظا هو زى الكهنة القدماء اى الزى الدينى . فقد بدأ زيا متواضعا خشنا ، عبارة عن جلباب واسع به حزام على الوسط .. وبدأ الدين يكتسب اهمية سياسية على وجه الخصوص .. فتطورت الأزياء فى الحضارات القديمة مثل الصين واليونان ثم مصر الى زى مكون من قطعة قماش واحدة مليئة بالطيات التى تعطى اتساعا وفخامة . ولكن نوع القماش يختلف من طقس الى اخر .. ففى البلاد الباردة يصنع من الصوف وفى الطقس الحار كان الكهنة الهندوس يرتدون زيا متسعا من قماش رقيق ، ينفذ منه الهواء بسهولة .

وقد تطورت ملابس رجل الدين حتى يومنا هذا تطورا طفيفا فهى مازالت تتسم بصفة خاصة تميزها عن الملابس الاخرى حتى تحتفظ بتلك المهابة الخاصة .

أعلى قيمة فنية فى الزى الفرعونى

وقبل أن نصل الى أوربا حيث أمسكت بزمام تصميم الأزياء وتطورها .. وأثرت فى جميع أنحاء العالم . لا يفوتنا أن نقف عند أهم الحضارات التى استمرت سبعة الاف سنة والتى تميزت بأزيائها الخاصة .. الحضارة الفرعونية .. وهى من أقوى الحضارات المدونة فى سجلات والمتمثلة فى تماثيل يسهل من خلالها معرفة كل ما يخص الحياة فى هذا العصر ، خاصة الأزياء التى كانت تتسم بالتنوع والجمال والقيمة الفنية المتفردة بين الشرق والغرب .

ومصر من أكثر البلاد التى تعرضت لانتعاش اقتصادى ، برغم الحروب والمستعمرين ، ولكن بالرغم من الحالة السياسية ، وبالرغم من الأزياء الوافدة مع المستعمرين ، والتى تتسم بالغنى والبذخ فان الزى الفرعونى حافظ على بساطته المعهودة ، وقيمته الفنية العالية ، سواء للرجال أو النساء ، والملابس الفرعونية ملابس يتضح فيها مدى الطبقية التى تميزت بها .

ولا يمكن ان تتعدى طبقة على طبقة اخرى فى تقليد الملبس ، ان زى الكاهن غير السياسى .. يختلف عن الملوك والامراء غير الفلاح أو عامة الشعب . ان البلد المتطور فى فن الازياء يجب ان يلازمه ازدهار فى صناعة النسيج وهذه الصناعة ازدهرت بشكل واضح فى عهد توت عنخ آمون ، فقد وجدت فى مقبرته

دراسة كاملة عن كيفية تحمل الانسجة المختلفة .. والالوان المختلفة .. وقد نبغ الفراعنة فى صناعة نوع من القماش الرقيق يصلح لعمل "البليسيه" وهو الزى الذى ترتديه الأميرات ، وقد انجزوه فى اتساق مدهش ، كل كسرة من لونين مختلفين ، مثلا من الأبيض والأسود .

وقد ازدهر فن الصباغة فى عصر "رمسيس" كما استخدمت الألوان المدرجة من اللون القاتم حتى اللون الفاتح على قماش رقيق من الكريب القطنى أو الحريرى .

كان الشكل الدارج للفستان المصرى عبارة عن شكل مثل الانبوبة المستقيمة مع حمالات عند الاكتاف من اللون السكرى ، ثم تطور الى المقلم المحلي "بالجلونة" الملونة ، وقد كان منتشرا بين طبقات الشعب المختلفة .

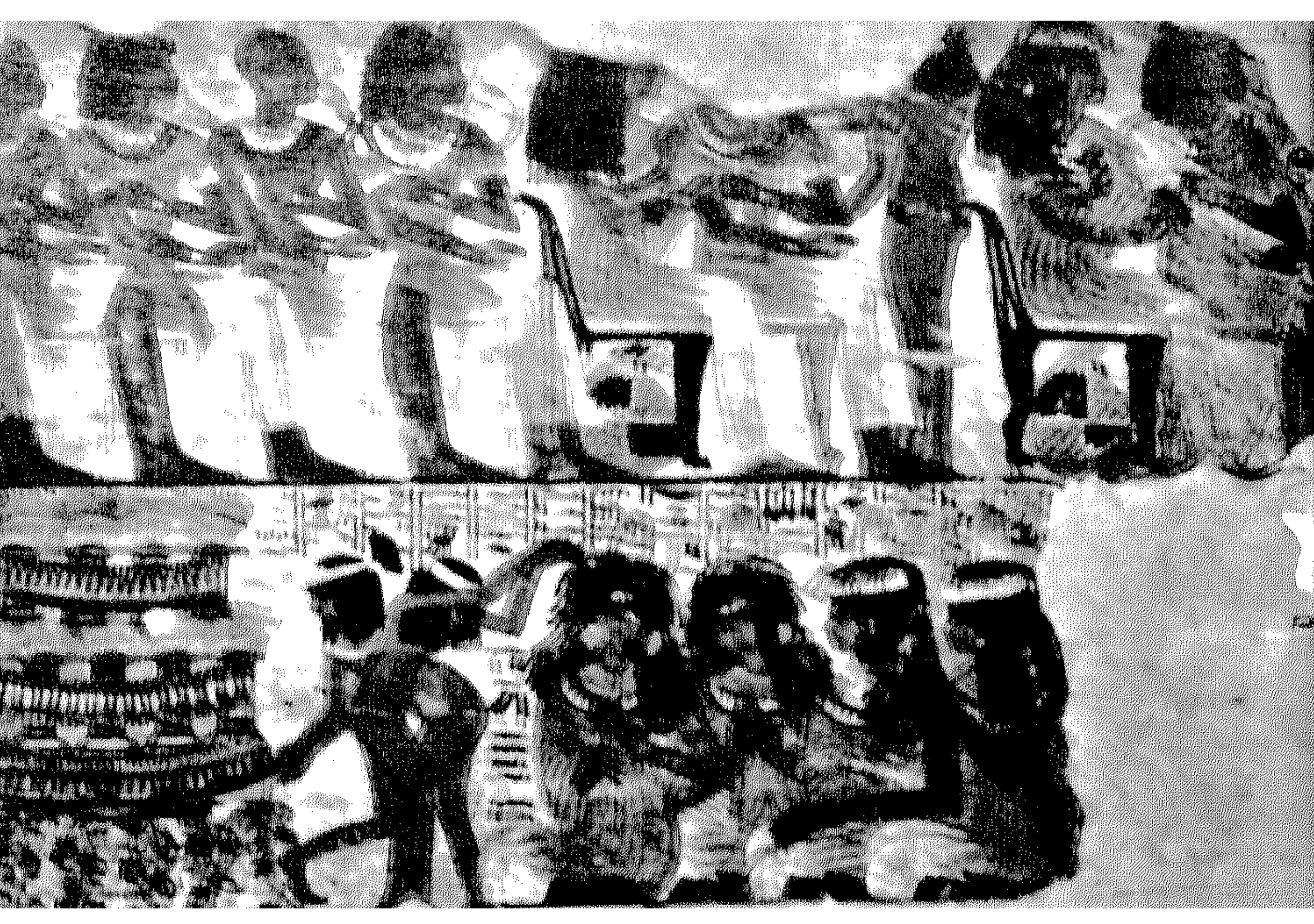
ثم ادخل عليه الصبغات الطبيعية مثل الاصفر ويصبغ من "الصفران" أو الاحمر من البنجر ، والحمالات من اللون الذهبى ، وينثر عليه بعض اللآلىء الملونة مع الشرائط الطويلة المختلفة الألوان من الأمام والخلف وهذا الاخير كانت ترتديه طبقة الجوارى فى القصور الملكية فى الأسرة الثامنة عشرة .

حينما امتدت الأمبراطورية المصرية حتى استولت على سوريا ضمن مستعمراتها تحت حكم "تولموسيس الثالث" كان الزى الفرعونى قد اخذ شكلا مدروسا فقد اصبح من الوان متعددة ـ ولكن اكثره بالنسبة للاميرات من اللون السكرى فستان متسع من البليسيه يضمه حزام من الذهب الخالص اعلى الفستان ملتصق بالجسم ، ويكمل هذا الزى الاكسسوار من عقود واساور وحلق فى الاذن ، وخلخال فى القدم ، ثم تاج المرأة الفرعونية وهى الباروكة الضخمة ، وتعتمد الازياء المصرية على التزين بالقلائد من الذهب الخالص والفاروز واللابيس الازرق ، ثم الايشارب الطويل ، فهو فى الواقع فستان بسيط حالم يؤكد جماله الاكسسوار المحيط به ، ولكن حينما ننتقل الى الشرق أو الغرب نجد ان اساس الزخرف فى الفستان يحتوى على جميع الزخارف الممكنة والآلىء ولكن احتفظ الزى المصرى ببساطته الذى يمكن ان نطلق عليه السهل الممتنع .

● عصر التصميم

من القرن الرابع عشر بدأت الميكنة فى المجتمع الأوربى .. وفى فرنسا على وجه التحديد ، تدخل فى كثير من مظاهر الحياة اليومية وبدأ الناس يستشعرون ثقل الملابس الضخمة الطويلة خاصة الرجال فى ازيائهم الصاخبة المزينة بالساتان والدانتيل ، واصبح العصر اكثر سرعة .. وظهر بعض الذين يمكن ان نطلق عليهم اسم "ترزى" وليس بمصمم وهذا يوضح ان الازياء هى نتيجة مطلب معين لمواجهة الحياة اليومية ، وبعدها بدأ العصر الحديث بإيقاعه السريع فى القرن السادس عشر حتى القرن العشرين ، وظهر مصممو الازياء ، وظهر ما يسمى بالموضة ، وهنا يجب ان نركز على ان الانسان فى اى مكان يهوى التقليد مما سهل كثيرا مهمة مصممى الازياء الذين تحكموا فى موضات الازياء فى العصر الحديث ، علما بأن الرغبة فى التقليد كانت راسخة عند الانسان الأول ومازالت ..





إلى اعلى : بنات من الأسرة الثامنة عشرة

عصر توت عنخ آمون المرأة والرجل يرتديان ملابس متشابهة

فنجدها فى الأطفال حينما يقلدون أزياء ابائهم أو رعاة البقر ، وايضا الملابس المسرحية وتقمص الشخصيات المختلفة ، وهناك من يودون التميز فى المجتمع ، فاذا اراد الرجل ممارسة السلطة ، نجده يرتدى "روب" المحامى أو بدلة ضابط البوليس كنوع من التقليد لممارسة الاستعلاء والتميز على الجمهور .

واذا انتقلنا الى طبقة الاغنياء ، فاننا نجد ان ملابسهم الخاصة تعبر عن التميز الطبقى والثراء .

وبتطور الأزياء ، وجدنا ان شعبا بأسره يتوحد زيه ، كما نجد لدى الشعب الصينى ، فماوتسى تونج تقلد هو وشعبه بزة قطنية زرقاء موحدة ، تنقل للمشاهد الاحساس بالوحدة والقوة والمهابة .

ومما نشاهده أحيانا أن كثيرا من زعماء العالم الثالث يظهرون فى ملابس غريبة ، تجلب الرهبة والشعور بالغرابة لمن يراها ، وهذا يميزه عن عامة الشعب وخير مثال على ذلك هو "عيدى امين" الذى هرب من البلاد ـ بعد صدور الحكم عليه بالاعدام .

ومن خلال الدراسة التاريخية لتاريخ الأزياء ، نجد انه لا النظام السياسى ، ولا الاختيار الفردى ، ولا الخيال الفنى ، هو الذى يتحكم فى نوعية الازياء وتطورها ، ولكن الظروف الاقتصادية لها دخل كبير فى هذا الامر ، وايضا وجد تشابه كبير فى الازياء بين الاندونيسيين والسود الافارقة ، والزى المستخدم فيه "الخياطة" الذى ارتداه الأرمن والهنود والتركمان .

"الاعتبار"

بقلم: مصطفى نبيل

مايسجله المؤرخون ليس المصدر الوحيد للتعرف على الصراعات التاريخية الكبرى ، فيوجد إلى جانب أعمال المؤرخين مصادر اخرى لاتقل أهمية ، وتساهم فى إلقاء الضوء على جوانب هامة لتلك الصراعات ، واستطاع عمل فنى مثل رواية تشارلز ديكنز «قصة مدينتين» أن يقدم جوانب للثورة الفرنسية غابت عن كتب التاريخ .

ومن أكثر المواد التاريخية تشويقا وإثارة هو ماتتناوله التراجم الذاتية لكتاب خاضوا غمار تلك الأحداث ، عندما يجد القارىء نفسه أمام مصدر حى ، تلمس خلاله طبيعة العصر ، ويصل إلى أبعاد إنسانية ، ويقدم صورا حية ومشاعر نابضة بالحياة ..

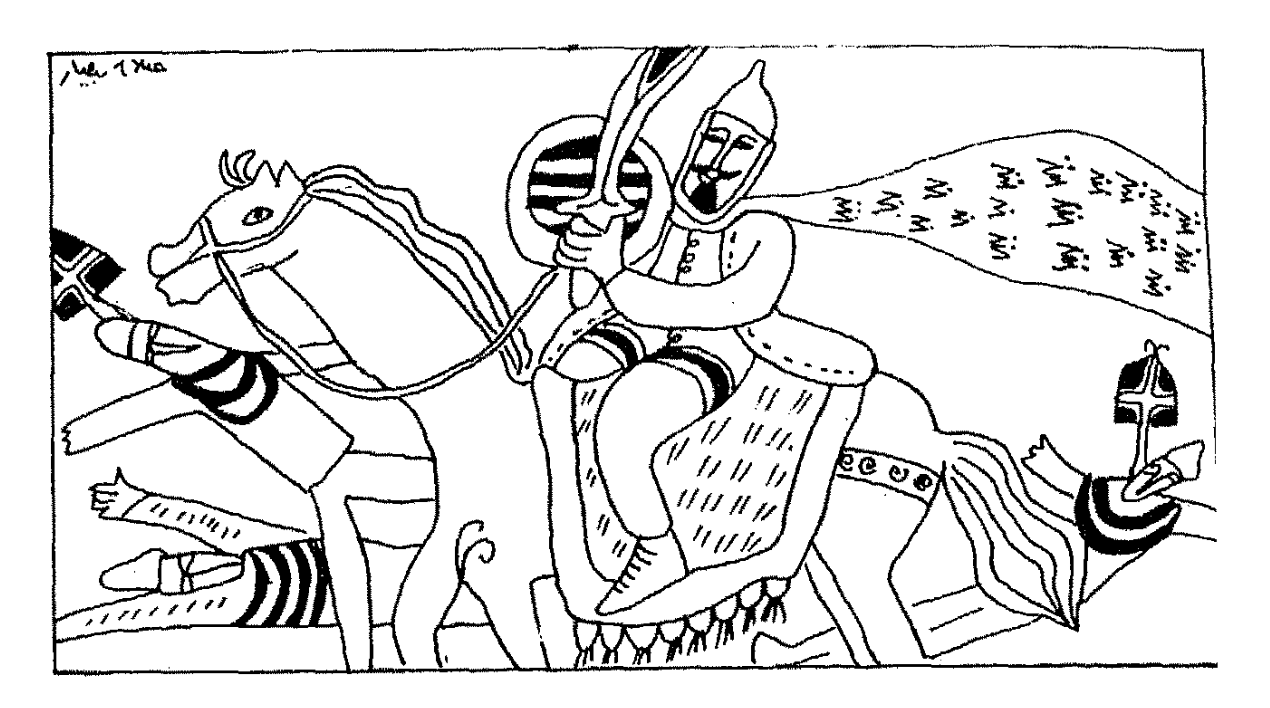
● ومن هنا جاءت القيمة التاريخية لكتاب « الاعتبار » السيرة الذاتية للفارس العربى أسامة بن المنقذ الذى شاهد وشارك فى الحروب الصليبية ،

والذي بقى وثيقة مجهولة محفوظة فى مكتبة الاسكوريال حتى نشرها المستشرق الفرنسى هرتويج دربنورج ، وترجم بعدها الى عدة لغات منها الفرنسية والروسية

والانجليزية ، وقام الدكتور فيليب حتى بنشر المخطوط ، وصحح أخطاءه النحوية . بعد أن أملاه صاحبه وقد تخطى التسعين من عمره .

ولا يلجأ الكاتب لتسجيل سيرته الذاتية ، إلا عندما يدرك ذاته وعصره ، إدراكا طاغيا ، وفى السيرة الذاتية لأسامة تظهر شخصيته العريضة بنبلها وفروسيتها وعمق قيمتها ، وينقل أحد فصول الصراعات الكبرى بين الشرق والغرب ، بكل تناقضاته وكوارثه وأحزانه ، عاش فيه أسامة الهزيمة والنصر ، وتراوحت مشاعره بين اليأس الأمل . فما أغناه من مصدر ، فى ظل الاهتمام المعاصر بتلك الأيام ، وعكوف مئات المؤرخين الباحثين يفتشون وراء غبار المعارك ،

السيرة الذاتية للفارس العربى أسامة بن المنقذ



وبين أشلاء الضحايا ، وبين صليل السيوف وصيحات المنتصرين ، يجمعون أجزاء الصورة التى يريدون إعادة تشكيلها وإنقاذها من براثن الماضى .

وشاء القدر لفارس الحروب الصليبية وكاتبها ، أن يعاصر أهم فصولها ، فقد ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) قبل نهاية القرن السادس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، وتوفى عام ٥٨٤ هـ (١١٨٨م) ، وقد أن لتلك الحرب أن تلفظ أنفاسها ، وجاء مولده فى نفس العام الذى ألقى فيه البابا أورباتوس خطبته التاريخية ، ونادى بالتعبئة وشن القتال لانتزاع كنيسة القيامة من أيدى من أسماهم بالأشرار، وعلى إثر ذلك الخطاب تنادى الافرنج للحرب ، واستجاب للنداء نحو مائة وخمسين ألف رجل ، وحملوا السلاح وتوجهوا إلى بيت المقدس ، فى قتال شرس اختلطت فيه آمال الأتقياء مع جشع التجار ، وطموح القادة مع أحلام المغامرين . وهى الحرب التى صور دوافعها وليم شكسبير على أنها ماقامت إلا لتمنع القتال بين الإفرنج أنفسهم ، فجاء فى



● هذه الرسوم من كتاب "المخزون جامع الفنون" فى الفروسية والذى الفه خزام ومحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس

ينبغي أن يحترز بنفسه وركبتيه أن لا ينحني في السبق

"الاعتبار"

الفصل الأول من مسرحيته الملك هنرى الرابع ، على لسان الملك هنرى قوله :

لذلك يا أصدقائى
بقدر مايتعلق الأمر بقبر المسيح
الذى يقف جنده الآن تحت الصليب المقدس
نلتزم ونتعهد بالقتال
ونعقد العزم على أن نقوم فى التو واللحظة بتجنيد قوة الانجليز
الذين صبت أسلحتهم فى أرحام امهاتهم
لمطاردة هؤلاء الوثنيين فى تلك الساحات المقدسة .

وقبله قدم أسامة شهادته من الجانب الآخر بعد أن عاش عهود الحكام المجاهدين الثلاثة ، عماد الدين ، ونور الدين ، وصلاح الدين ،

● التراجم الذاتية

إذا كان الغربيون قد قدموا بجرأة بعد مرحلة أسامة اعترافاتهم فإن الشرقيين قد تعودوا كتمان حياتهم الخاصة ، لذا ندرت السير الذاتية فى التراث العربى ، واختلف تناولها ، وتميل إلى ذكر العام بدل الخاص ، وتتجنب الحديث عن «الأنا» ، وجاءت مذكرات الأمير العربى أسامة بن المنقذ اطرف واهم هذه المذكرات ونموذجا حيا يروى خلاله ببساطة مغامراته فى السلم وفى الحرب ، ويتجرد فى أحكامه من الهوى ، وقد أملاها فى دمشق بعد أن أرعشه الكبر عن حمل السيف وقيده الهرم عن الرحلة والسفر ، وأودع فيها كل خبرته التاريخية للاعتبار والدرس .

يبدؤها منذ الطفولة «أيام الحلم والأسطورة» ، ومع التسليم بما ذكره الدكتور عبدالرحمن بدوى من أن ... «كل ترجمة ذاتية مهما يكن من دقة صاحبها وبراعته فى الوصف ، ومهما يكن حرصه على أن يكون صريحا ، قاسيا فى تشريح نفسيته والكشف عن نواحى حياته الحساسة المستورة ، هى مزيج اشترك فى تكوينه الحقيقة والخيال ..»

ولعل الخيال أو الصور التى أوردتها المذكرات هى مانبحث عنه ، فهى تروى صور الإفرنج لدى العرب فى هذه المرحلة التاريخية ، فقدمت ترجمته الذاتية العديد من اللمحات الهامة التى لاتوجد عند سواه من الكتاب والمؤرخين ،

وجاءت سيرته وهو فى طليعة المقاتلين ضد الغزو ، ولم يذكر فيها مآثره ، وإنما توزعت فى كتب سواه ، ونوه عنها «أبوشامة» فى تاريخه «الروضتين» ، بما أبداه من ضروب البسالة فى حصار قلعة «حارم» ، والتى ذكرها المقدسى وابن الأثير ، وكان قريبا من صلاح الدين الأيوبى يطلب صلاح الدين مشورته ، وقد عملا معا فى بلاط نور الدين ، واتخذ صلاح الدين من ولده مرهف مرافقا وجليسا له . ويسجل أسامة فضل صلاح الدين .. «نادانى إليه مكاتبة مولانا الناصر الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، جامع كلمة الإيمان ، رافع علم العدل والإحسان ، محيى دولة أمير المؤمنين ... فاستنقذنى من أنياب النوائب برأيه

الجميل ، وحملنى إلى بابه العالى بإنعامه الغامر الجزيل ، وجبر ماهاضه الزمان منى ، ونفق على كرمه ماكسد عنه سواه .

وكان بذلك فارسا شاعرا يجالس الأدباء والأمراء ، ويقاتل بين الجنود وعاش حياته مغتربا فى المدن التى شهدت ألاعيب السياسة وكانت ساحات قتال .

● اطلال حصن سيجر

ولنبدأ معه فى مسرح طفولته وصباه وريعان شبابه ، تقوم فوق تل صخرى اطلال حصن يسمى سيجر ، يجرى من حوله نهر العاصى ، يبعد هذا الموقع مسافة خمسة عشر ميلا إلى الغرب من مدينة حماة ، وهذا التل وذلك الحصن شهد أغلب الأحداث التى رواها أسامة فى مطلع شبابه وسيجر هى تحريف شيزر ،

ولد أسامة فى شيزر لأب صالح يزهد فى السياسة ، فتنازل عن إمارة شيزر لأخيه عز الدين بن العساكر ، ويسجل اسامة قول والده ... «والله لا وليتها ، لأخرجن من الدنيا كما دخلتها» ويقدم والده ، فارسا شجاعا أديبا شاعرا تقيا يخرج إلى الصيد ، وعندما يستريح يتلو القرآن ، «يركض نهاره ، ولايتصيد إلا على حصان ، ونحن معه أربعة أولاد نتعب ونكل ، وهو لايضعف ولايكل ولايتعب ، ويطرد اليمامير فى أرض حصن الجسرة ، فصرع منها يوما خمسة أو ستة على فرس له دهماء ، وكنا إذا ما وصلنا موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة يقرأ القرآن ونحن نتصيد حوله ، ولم يكن له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج ونسخ كتاب الله » وفى موضع آخر يقول .. «كان الوالد ، كثير المباشرة للحرب ، وفى بدنه جراح هائلة ، ومات على فراشه» ، «وما رأيت الوالد نهانى عن قتال ولا ركوب خطر قط ، مع ما كان يرى فى وأرى من إشفاقه وايثاره لى»

ولم يكن غريبا أن يكون اسامة إبنا مخلصا لوالده ولعصره .

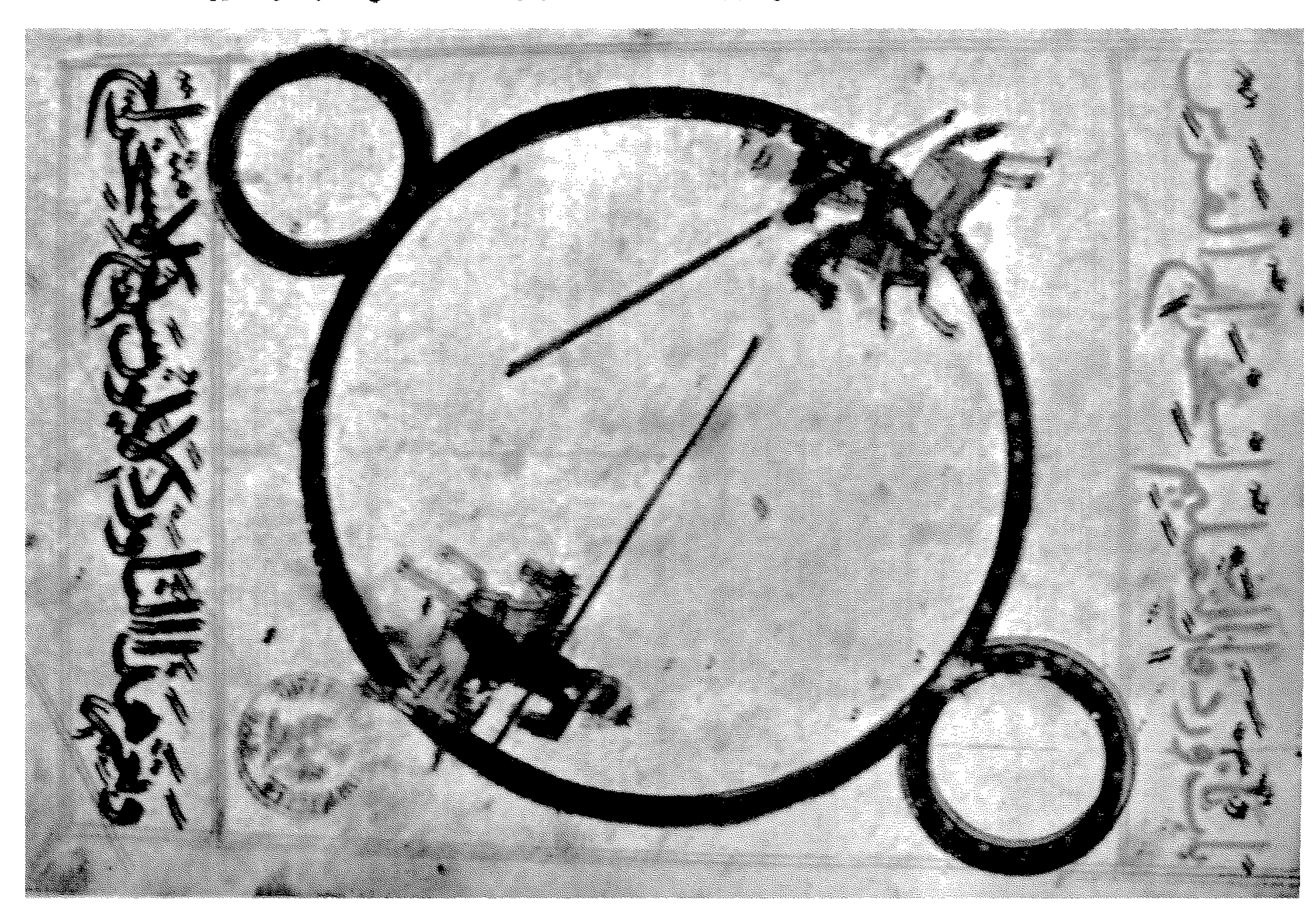
أما والدته ، فكانت توزع السلاح على الرجال ، وعندما حوصرت القلعة يوما بالاعداء ، أخذت ابنتها الكبيرة واجلستها على شرفة تطل على الوادى ، وجاء إليها اسامة يطلب السلاح ، ويسأل عن أخته .. «أى شىء تعمل هاهنا ..؟ » قالت .. «يابنى إذا رايتهم قد وصلوا إلينا ، دفعتها ورميتها إلى الوادى ، فأراها قد ماتت ولا اراها مأسورة ..»

ولم يكن غريبا أن تخلق هذه البيئة فارسا يقتحم المخاطر ، ومقاتلا عنيدا ونستدل فيما يرويه وما يتوزع على كتبه وفى المصنفات التاريخية ، انه كان مقداما رابط الجاش ، فارسا «القوى عنده للضعيف والفرد للكل» ، وكان جسيما مثل أبيه ، ذا جبهة عالية وشعر حالك ، ذو انف مقوس ولحية مدببة ، يضع برتقالة ويقف بعيدا عنها أربعين خطوة ويصيبها ، نظر إلى الحياة ـ وهو الصياد الماهر ـ كالغابة لايسلم فيها سوى القوى .

● الرحيل إلى مصر

عاش أسامة فترة فى كنف عمه ابن عساكر ، حاكم شيزر الذى كان يعده للإمارة من بعده ، فلم يكن له أولاد ، غير أن هذا لم يدم طويلا ، فالاقدار شاءت أن يرزق العم أولادا ، فتحول الحب والرعاية إلى خوف وحقد ، ولم يكن امام أسامة إلا أن يترك شيزر إلى الموصل ، ملتحقا بعماد الدين زنكى ، ولعل ذلك كان من حسن حظه ، فقد نجى من كارثة الزلزال

● رسم من كتاب "تبصرة ارباب الالباب" في كيفية النجاة من الحروب" محفوظة في مكتبة اوكسفورد



التي أصابت شيزر سنة ٥٥٢ هـ ، وقضت على أسرة بني منقذ بكاملها .

وسافر بعدها إلى القاهرة من دمشق ، وكان معه والدته وزوجه وأخوه محمد ، املا ان يتمكن من القيام بدوره في صد الغزاة .

وكان أسامة يواجه أحداثا جساما وتواجه بلاده في ذات الوقت صراع اقدار ، بعد ان نزحت الجيوش الغازية إلى الشرق سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) وبدات تقيم الإمارات الصليبية في بر الشام ، وكانت سوريا وفلسطين تعاني من التشرذم السياسي ، والمنافسة والقتال بين الحكام المحليين ، وكان غياب حاكم قوي يوحد البلاد يغري الصليبيين ، فالدولة الفاطمية تتفكك ، وقد انتزع الترك السلاجقة قواعدها في الشام ، واشتعلت الخصومة بين الخلافتين العباسية والفاطمية ..

وبدأ عماد الدين زنكي يسعى إلى توحيد البلاد الممتدة من الموصل إلى مصر ، وواصلها نور الدين محمود من بعده ، وأكملها صلاح الدين ، فبعد وفاة عماد الدين عام ١١٤٦ م انتقلت الولاية على المناطق السورية إلى ابنه نور الدين محمود الذي كان في مواجهة مع كل من الافرنج والفاطميين ، ووطد صلاح الدين مركزه في مصر بعد أن أصبح قائداً للجيش بعد وفاة عمه ، ونجح في القضاء على الحكم الفاطمي ، ونصبه الخليفة سلطانا .

هذا هو السياق التاريخي الذي كتب فيه أسامة ترجمته الذاتية .

قوبل أسامة في القاهرة بالحفاوة ، منذ وصوله إليها وحتى رحيله منها ، وحرص على النأي . بنفسه عن الفتن ومؤامرات القصور .. «جرت أسباب أوجبت سيري إلى مصر ، فأخرني الحافظ لدين الله (الخليفة الفاطمي) ساعة وصولي ، فخلع على بين يديه ، ورفع لي تخت ثياب ومائة دينار ، وخولني دخول الحمام ، وأنزلني دارا من دور الأفضل بن امير الجيوش (بدر الجمالي) ، وهي في غاية الحسن وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة ، وآلتها من النحاس ، كل ذلك لايستعاد منه شيء ، واقمت بها مدة إقامة في إكرام واحترام وإنعام متواصل» .

ولايستطرد في وصف الحياة الاجتماعة والثقافية في القاهرة ، وهو الشاعر الأريب ، فقد اقتحمت حياته الفتن والمنازعات السياسية ، ورغم تمسكه بالحيطة والحذر ، وتجنبه الدسائس السياسية ، فقد لاحقته الدسائس واتهمته حاشية السلطان العادل بالتحريض على قتله ، وأيد التهمة أن الوزارة آلت إلى صديقه أبي الفضل عباس بن يحيى ، الذي كان أسامة في صحبته قبل مقتل السلطان ، وأعقب ذلك قتل الخليفة الظافر ، قتل الخليفة ووزيره ووجد أسامة نفسه في موضع الاتهام ، وثار انصار الخليفة عليه ، ودار القتال في الشوارع والبيوت ، ووصف ماجرى بقوله .. «القتال بيننا وبينهم في الشوارع والأزقة ، خيالتهم تقاتلنا في الطريق ، ورجالتهم يرموننا بالنشاب والحجارة من على السطوحات ، والنساء والصبيان يرموننا بالحجارة من الطاقات ..»

ويرسم بقلمه صورة بائسة للحياة السياسية في القاهرة مع نهاية العصر الفاطمي الفساد وتطاحن الجند والأمراء ، وتعدد الجماعات المسلحة ، بعضها من لداته برقة وبعضها مغاربة وفرقة ثالثة من السودان ، وبعدها الترك والغز والديلم

"الاعتبار"

مضافا إليهم العربان ، يتقوى كل أمير بأحد هذه الفرق ، ضد السلطة المركزية . وانصراف الأهالي إلى الزوايا وانتعاش الحركة الصوفية ، فاهتزت القيم ، وزلزلت العروش ، مما افسح المجال .. «الصراع الكباش ونطاح العنزان» !

ونجح بصعوبة بالغة فى استمراره على الحياد بين الفرق المتصارعة ، وحافظ على صلاته بالسلطان ، إلى أن اوفده الملك العادل (ابن سلار) وزير الخليفة الفاطمى فى مهمة سياسية إلى نور الدين ، يطالبه بمنازلة الإفرنج فى طبرية حتى يشغلهم وتتمكن القوات المصرية من الهجوم على قواتهم فى غزة .. «تأخذ معك مالا وتمضى إليه لينازل طبرية ، ويشغل الفرنج عنا ، لنخرج إلى غزة» ويجيبه نور الدين .. اهل دمشق اعداء ، والإفرنج اعداء ، ما آمن منهما إذا دخلت بينهما .. » ، ويجمع أسامة بعض الفرسان ويقوم بالمهمة بنفسه ... «فأقمت بعسقلان لمحاربة الافرنج أربعة شهور ، هجمنا فيها مدينة بينى (فى فلسطين) وقتلنا نحو مائة نفس .. وجاءنى كتاب الملك العادل يستدعينى فسرت إلى مصر ..»

وعاد مرة أخرى إلى القاهرة والفوضى قائمة .. وترك وراءه فى القاهرة عائلته .. «اتصلت بخدمة الملك العادل نور الدين ، وكاتبت الملك الصالح فى تسيير أهلى وأولادى الذين تخلفوا بمصر ، فرد الرسول واعتذر بأنه يخاف عليهم من الافرنج» وكتب إلى أسامة يطلب منه العودة إلى مصر .. «وأنت تعرف مابينى وبينك ، وإن كنت مستوحشا من اهل القصر فتصل إلى مكة ، وأنفذ لك كتابا بتسليم مدينة أسوان إليك ، وأمدك بما تتقوى به على المحاربة ، فأسوان ثغر من ثغور المسلمين ، وأسير إليك اهلك وأولادك ..»

ونصحه نور الدين قائلا .. «ما صدقت متى تخلص من مصر وفتنها ، تعود إليها ، العمر أقصر من ذلك ، آخذ لأهلك الأمان من ملك الإفرنج ، وأبعث من يحضرهم» ..

ورغم الأمان وقع أهله فى أيدى الإفرنج أسرى امام ساحل عكا !

● صراع وتفاعل

تتضمن الأحداث الكبرى ، القضايا الهامة والتفاصيل الصغيرة ، والقى أسامة الضوء على مجموعة من التفاصيل الصغيرة التى تتناول الصراع بين الشرق والغرب الذى كانت أحد فصوله الحروب الصليبية ..

ويذكر المؤرخ البريطانى المعاصر السير ستيفن رونسيمان ...

«علاقة الشرق بالغرب ، سلسلة طويلة للتفاعل والاختلاط بينهما ، الذى نمت الحضارة الغربية من خلاله ، وكانت الحملات الصليبية حلقة مأساوية هدامة ، فقد كان فيها كثير من الشجاعة وقليل من الشرف ، كثير من التقوى وقليل من التفهم ، والمثل العليا لطختها القسوة والجشع ، والتفانى والجلد لوثهما الإحساس الذاتى الأعمى ، وضيق الافق بالسمو الأخلاقى عن الآخرين .. »

وكان العرب يعرفون الافرنج ـ قبل هذا الفصل من الصراع ـ من خلال الدراسات التى كتبت فى القرن التاسع ، وتوجد

سلسلة متصلة الحلقات من الدراسات الشرقية عن الغرب رصدها برنارد لويس فى كتاب "كيف اكتشف المسلمون اوربا"، فقدم الخوارزمى الى المعرفة العربية الكثير من الحقائق، وقلت معرفة العرب بما يجرى وراء اسبانيا وفرنسا وروما واليونان، ولم يمض وقت حتى توسعت المعرفة العربية، ووصلت الى الجزر البريطانية وايرلندا والدول الاسكندنافية مع بداية القرن العاشر فى كتب كل من ابن الفقيه والمسعودى، وساهمت كتب الرحلات فى المزيد من المعرفة، فوصف هارون بن يحى روما، وكتب ابراهيم بن يعقوب عن الايرلنديين وعاداتهم وملابسهم، ووصف صيدهم للحيتان، وذكر بوهيميا وتجارتها وصناعتها الجلدية والقطنية، علاوة عن ان معرفة عرب الاندلس لاوربا كانت اكثر دقة فى كتابات الادريسى ...

وها هى ذى جحافل الافرنج تأتى الى بر الشام، فى صراع اقدار، وقد تصوروا انفسهم ارفع منزلة من اهل الشرق، فما هى صورة الغرب فى مخيلة المسلمين فى هذه الرحلة التاريخية، هذا ما تجده متفرقا فى الترجمة الذاتية لأسامة بن المنقذ ..

يسجل الاثر الذى تركه الافرنج فى مخيلة المسلمين بقوله : "انهم بهائم، فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير"، وأدى التفاعل الذى وقع خلال اوقات السلم الى مزيد من فهم كل فريق للاخر، ونشأت علاقات عملية جديدة، عندما اتفق الفريقان على حماية التجار والمسافرين، ووضعوا بعض الانظمة لذلك، بل وفى كثير من الاحيان تأثر الغزاة بحياة الأهالى، واقلع الافرنج عن لباسهم الاوربى، وارتدى بعضهم الملابس العربية، وفضل قادتهم سكنى البيوت الشرقية الطراز، وتزوج رجال من الشرق نساء من الغرب والعكس، ونشأ جيل من ابنائهم اطلق عليه "بولان"، كما وجدوا انفسهم داخل شبكات التحالفات والخصومات العربية، وادرك كلًا الفريقين ان كل منهم لديه نسق حضارى كامل.

وتناول اسامة فى العديد من اللمحات التفاعل الداخلى بين البشر فى لحظات الصراع الحاد، والتى تقوم على التجربة الشخصية، فكان عدوا للافرنج وصديقا لهم، عندما رأى الدول والامارات الاسلامية تسقط تحت سنابك خيلهم، وهو يشاهد هزيمتهم واندحارهم، اطلق عليهم الفاظا مثل شياطين وكفار، وفى موضع اخر يطلق على فرسان الداوية ـ فرسان المعبد ـ كلمة اصدقائى، ويلاحظ انهم ـ "لعنهم الله، اكبر الناس احترازا فى الحرب" !

وسبق له أن سافر من بلدته شيزر الى انطاكية التى يحتلها الافرنج حتى يتعرف على حياتهم.

ويتأمل نظام الفرسان الذى يتبعوه بقوله .. "والافرنج، خزلهم الله، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية الا للفرسان، ولا عندهم ناس الا الفرسان، فهم اصحاب الرأى وهم اصحاب القضاء والحكم" ويبدى دهشته ان حكمهم لا يستطيع ان ينقضه حتى الملك .. ويحكى التجربة التالية .. «حاكمتهم مرة على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس (إمارة صليبية)، وبيننا وبينهم صلح، فقلت للملك فلك بن فلك ـ

الاعتبار

حاكم بيت المقدس - هذا تعدى علينا واخذ دوابنا ، وهو وقت ولاد الغنم ، فولدت وماتت صغارها ، وردها علينا بعد ان اتلفها" وطلب الملك من بعض فرسانه التحكيم فى القضية .. قالوا قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم ، "فتوسل الىّ ، وثقل علىّ ، وسألنى حتى اخذت منه اربع مائة دينار ، وهذا الحكم لا يقدر الملك ان يغيره ولا ينقضه" .

ويستنكر عدالتهم فى معاملة المتهمين ، ومعاقبتهم بالقائهم فى الماء أو المبارزة . وأرجلهم مصفدة ، والنجاة تصبح دليل براءتهم ، دون الاحتكام لمن يحدد العقوبة وطريقة تنفيذها .

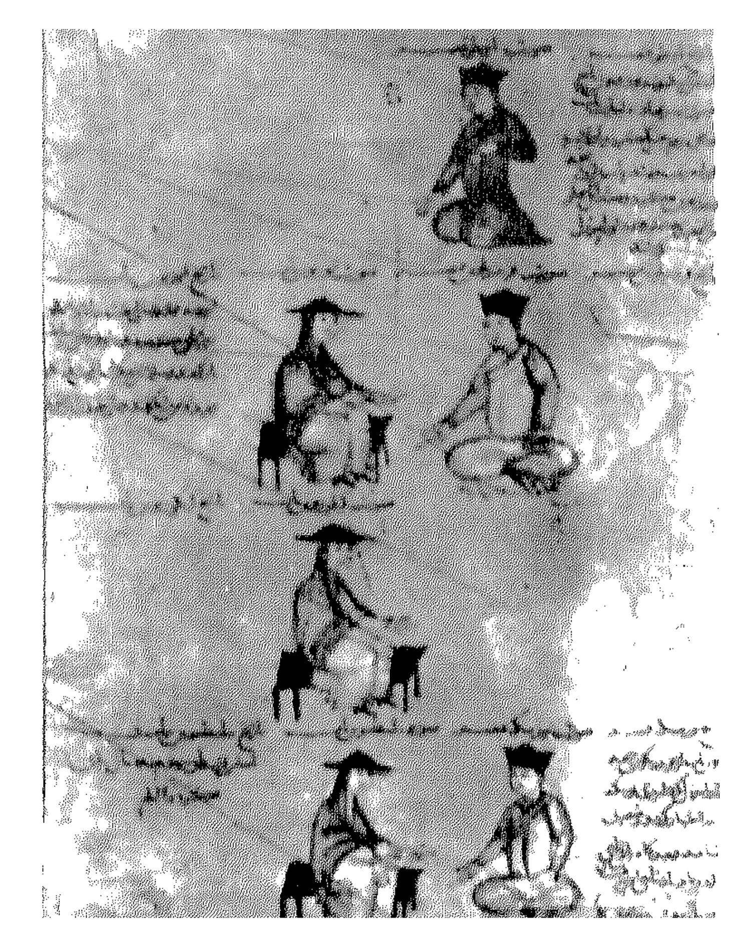
وذكر ان الملك قال له مرة : "وحق دينى لقد فرحت فرحا عظيما عندما قالوا انك فارس عظيم ، وما كنت اعتقد انك فارس ، قلت : يامولاى ، أنا فارس من جنسى وقومى .."

● الافرنجية والاسكافى

« لايتكلمون إلا بالافرنجي. ماندرى مايقولون .. » ويظهر تأثير اللغات الإفرنجية فى كتاباته ، ويستخدم كلمات مثل البرجاس اى البورجوازى ، والبرونس اى الأمير ، والداما أى السيدة ، ويتمسكون بأبناء جلدتهم مهما كانت المغريات ويدلل على ذلك بقوله .. « صار لوالدى عدة من الجوارى من سبيهم ، وهم نعنهم الله جنس ملعون لايألفون لغير جنسهم ، ورأى منهم جارية مليحة شابة . فقال لكهرمانة داره ، أدخلى هذه الحمام ، واصلحى كسوتها ، وأعديها للسفر ، وسيرها إلى الأمير شهاب الدين صاحب قلعة جعبر (على نهر الفرات) وكتب إليه .. « غنمنا من الأفرنج غنيمة قد نفدت لك سهما منها » ، فوافقته وأعجبته واتخذها لنفسه ، وولدت له ولدا أسماه بدران ، كبر ومات والده وتولى بدران البلد والرعية وامه الآمرة الناهية ، ولكنها تدلت بحبل وهربت من القلعة ، ومضت إلى بلدة للافرنج وتزوجت بافرنجى إسكافى ، وتخلت عن ابنها وقلعته ! »

ومع الصداقات التى تكونت تكثر الحكايات ، « فى عسكر الملك فلك فارس محتشم وصل يحج ويعود ، فآنس بى وصار ملازمى ، يدعونى أخى ، وبيننا المودة والمعاشرة ، فلما عزم العودة إلى بلاده ، ومرهف معى وهو ابن اربع عشرة سنة ، قال لى .. يا اخى ، انا سائر إلى بلادى ، وأريدك تنفذ معى أبنك ، يبصر الفرسان ويتعلم العقل والفروسية ، وإذا رجع كان مثل رجل عاقل ، فطرق سمعى كلام مايخرج من رأس عاقل ، فإن ابنى لو اسر مابلغ به الأسر أكثر من رواحه إلى بلاد الافرنج ، وقلت له : وحياتك هذا الذى كان فى نفسى ، ولكن منعنى من ذلك أن جدته تحبه ، وماتركته يخرج معى حتى استحلفتنى أن أرده إليها ، سأل : امك تعيش .. ؟ قلت : نعم . قال .. لاتخالفها .. »

ويقارن فى تجاربه بين الطب فى الشرق والطب عند الافرنج ويروى القصة التالية : « طلب صاحب المنيطرة - بلده شمال لبنان عند نهر ابراهيم - من عمى طبيب يداوى مرضى من اصحابه ، فأرسل



البابا والاباطرة فى رسم شرقى



امراة انجليزية كما تخيلها الانسان العربى

له طبيبا عربيا يقال له ثابت ، فما غاب عشرة أيام حتى عاد ، فقلنا له : ما أسرع مادويت المرضى .

اجاب : أحضروا عندى فارسا ظهر فى رجله دمله وامرأة لحقها نشاب (رمح) فعملت للفارس لبيخه ففتحت الدمله وصلحت ، وحميت المراة ورطبت مزاجها ، فجاءهم طبيب افرنجى ، فقال لهم : هذا مايعرف شيء يداويهم ، وقال للفارس أيما تحب تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين .. ؟

قال : أعيش برجل واحدة . قال : إحضروا لى فارسا قويا وفأسا قاطعا ، وحضر الفارس والفأس فحط ساقه على قرمة خشب ، وقال للفارس إضرب رجله بالفأس ضربة واحدة واقطعها فضربه وما إنقطعت وضرب ضربة ثانية فمات من ساعته ، ونظر للمراة وقال : هذه امرأة فى رأسها شيطان قد عشقها ، إحلقوا شعرها ، ولما عادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل ، قال : الشيطان قد دخل فى رأسها ، وأخذ الموس وشق رأسها صليبًا وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح فماتت فى وقتها .

فسألتهم : هل بقى لى حاجة قالوا : لا .

ولكن مايلبث ان يقول : وشاهدت من طبهم خلاف ذلك ، ويذكر قصتين يبين فيهما مهارتهم فى صناعة الدواء .

● إبحث عن المراة

ويتطرق الحديث عن عادات الافرنج وتقاليدهم ، وتأتى طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة كنقطة اختلاف جوهرية بين



الشرق والغرب ، فأول مايلفت نظر أسامة مضمون هذه العلاقة فأفاض فى شرحها ونقدها ، وهو ذات الموقف الذى اتخذه بعد تسعة قرون رفاعة رافع الطهطاوى عند زيارته لباريس عام ١٨٢٦ ، ووصف الفرنسيين بقوله : **« ومن خصالهم الرديئة قلة عفاف كثير من نسائهم ، وعدم غيرة رجالهم فيما يكون عند الاسلام من الغيرة »**

وهى ذات كلمات أسامة .. « ليس عندهم شىء من النخوة والغيرة » يمشى الرجل مع امرأته ويلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث ، فإذا طولت خلاها مع المتحدث ومضى »

ويؤكد رأيه بالعديد من القصص والحكايات ويبدى دهشته من أن بعض النسوة قد لبسن الشغوف المطرزة ، وجلس على الدواوين ، يستمعن إلى انغام العود والرباب . ويحكى كيف جاء إفرنجى يوما ووجد رجلا فى فراشه مع امرأته ، فسأله : أى شىء أدخلك عند امرأتى ؟ قال : كنت تعبانا دخلت لأستريح . قال : وكيف دخلت إلى فراشى ؟ أجاب : وجدت فراشا مفروشا نمت فيه . قال : والمرأة نائمة معك . قال : الفراش لها ، وهل أقدر منعها من فراشها . قال الزوج : وحق دينى إن عدت وفعلت ذلك مرة أخرى تخاصمنا أنا وأنت »

ويعلق أسامة قائلا : « وكان هذا كل تفكيره ومبلغ غيرته »

ويحكى قصة اخرى جرت وقائعها فى حمام المعره ، عندما دخل أحد الفرسان الافرنج إلى الحمام ورأى فى الحمام عربيا حليق العانة ، فطلب منه ان يعلمه كيف يفعلها ، وبعد أن علمه طلب منه أن يعلم امرأته ، وأرسل فى طلبها ، واستلقت على ظهرها وعلمها ، وزوجها قاعد ، وشكره الزوج على حسن صنيعه !!

ويكرر تعليقه قائلا : « ليس فيهم غيرة ولا نخوة ، وفيهم الشجاعة العظيمة ، وماتكون الشجاعة إلا لمن عنده النخوة والانفة »

وانتقل هذا الموقف فى الشرق من الاجداد للأبناء ، وأصبح المتفرنج ، يتركز فى وضع المرأة .

وهذه بعض شذرات من سيرة أسامة الذاتية ، الذى توفى فى مساء الاثنين ٢٣ رمضان سنه ٥٨٤ هـ فى دمشق بعد حياة حافلة ، وفى السنة التالية للعام الذى استرجع فيه صلاح الدين بيت المقدس ، ودفن عند جبل قاسيون .

وبقيت السيرة الذاتية لأسامة بن المنقذ تبحث عن من يقدمها إلى القارىء العربى باسلوب عصرى ، كما فعل رشدى صالح وقدم السيرة الذاتية للمفكر العربى عبدالرحمن بن خلدون فى عمل أدبى راق هو « رجل فى القاهرة » أو كما اعاد الكاتب الأمريكى مايكل كلايتون صياغة مغامرات الرحالة العربى ابن فضلان فى بلاد الصقالبه ، واطلق عليها « أكلة الموتى » وحققت أعلى ارقام للتوزيع فى العالم ..

وعندها ستتحول شهادة أسامة بن المنقذ على عصر باكمله إلى عمل حى جذاب .



● تصف العامة رجلا خابت آماله وركبه الحزن والهم ، بانه « صَدْمَانْ .. وندمان» .. ويظن بعضهم ان كلمة «صدمان» جاءت من الفعل «صدم .. يصدم» .. اى ان هذا الرجل «مصدوم» على حد قولهم ! .. والصواب ان الفعل هو « سدم .. يسدم » .. واصل « السّدم » بفتح وتشديد السين وفتح الدال ، هو الغم والهم مع الندم والغيظ .. والحزن .. ويقال : « رجل سدمان » اى بهِ سدم .. ويقال ايضا : « سدمان .. ندمان » .. اى به حزن وندم .. ولا يقال فى الفصيحة «صدمان» بالصاد ! ..

● شاع قولهم : فلان يشعر بالاحباط ، اى باليأس وعدم جدوى ما يعمله ، ويقال فى الفصحى : حبط عمله ، يحبط ، حبوطا .. فالشعور إذن يكون بالحبوط ، لا بالاحباط .. إلا أن هذا التعبير الشائع يصح إذا أريد ان العمل قد احبطه شخص من الاشخاص أو ظرف من الظروف ..

● تقول العامة : «فلان كان غاضبا فذهبنا اليه نستعتبه» .. وقولهم «نستعتبه» ليس معناه «نعاتبه» بل معناه «نسترضيه» .. اى : كان غاضبا فذهبنا إليه نسترضيه .. وفى القرآن : «ولاهم يُستعتبون» اى لا يسترضيهم احد ، وَهم الكفار ..

● «المترفون » كلمة ينطقها بعضهم بفتح الراء ، وبعضهم ينطقها بكسرها ، ويظن كل منهما ان نطقه وحده هو الصحيح .. والحقيقة أن النطقين صحيحان .. فإن «المترفين» بفتح الراء هم الذين اترفوا ـ الفعل مبنى للمجهول والهمزة التى فى اوله عليها ضمة ـ اما «المترفون» بكسر الراء ، فهم الذين ترفوا ـ بفتح التاء وكسر الراء ـ ترفا .. فالنطق بفتح الراء او كسرها صحيح ..

● يستعمل بعض الريفيين كلمة «حصيد» بدلا من «حصاد» .. وهو استعمال صحيح فكلمة «حصيد» مثل كلمة «حصاد» فى هذا الموضع .. وفى القرآن الكريم : «منها قائم وحصيد» ..

● يقال : «هذا يوم عصيب» اى : شديد .. والفعل «عصب .. يعصب .. عصبا» .. وعصبه : شد وثاقه ومنعه الحركة ، ومنها قولهم : عصب عينيه اى : شد عليها عصابة تمنع الرؤية ! ..



كيف يدخل العرب حضارة المعلومات؟

بقلم: حافظ أحمد أمين

عندما بدات المصانع تنتشر فى اوروبا الغربية منذ منتصف القرن الثامن عشر ، اطلقوا على الظاهرة ((الثورة الصناعية)) ، وكانت هذه الثورة تعنى ثلاثة امور :

الامر الاول : انتقال اكثر من خمسين فى المائة من قوة العمل من الاعمال الزراعية الى الاعمال الصناعية ٠

الامر الثانى : ميكنة الزراعة ، مما ساعد على اتمام الامر الاول ، وعلى مضاعفة الانتاج الزراعى ٠

الامر الثالث : تحول المجتمع كله من قيم الزراعة ونظمها وعاداتها الى قيم الصناعة ونظمها وعاداتها ٠

وبعد حوالى قرنين ، بدات فى الانتشار الاجهزة الالكترونية ، فى المصانع والمكاتب والمنازل وفى كل مكان ، فاطلقوا على هذه الظاهرة « ثورة المعلومات » ، يقصدون بها ايضا ثلاثة امور :

الامر الاول : انتقال قوة العمل من الاعمال الصناعية والزراعية الى الاعمال الخاصة بالمعلومات (الاتصال الاعلام ، التعليم ، التدريب ٠ الخ) ٠

الامر الثانى : انتفاع الصناعة والزراعة والخدمات بهذه الاجهزة الالكترونية ، مما ساعد على اتمام الامر الاول ، وعلى مضاعفة الانتاج الصناعى والزراعى والخدمى ٠

الامر الثالث : تحول العالم كله من قيم الزراعة والصناعة ونظمهما وعاداتهما ، الى قيم مجتمع المعلومات ونظمه وعاداته ٠

واذا كانت الثورة الصناعية قد اقامت حضارة جديدة ، بدات فى اوروبا الغربية ، ثم انتشرت فى كل ارجاء العالم ، فان ثورة المعلومات تقيم الان حضارة جديدة شديدة الاختلاف ، تنتشر فى بقع مختلفة – فى وقت واحد ، وبسرعة فائقة –

فى كل ارجاء العالم ، حتى أن كبار المؤرخين والمفكرين يصفون الحضارة الجديدة بانها حضارة عالمية •

عندما ينتقل العالم من حضارة ، الى اخرى شديدة الاختلاف ، تتغير النظم والمفاهيم ، والقيم والتقاليد ، وهذا ما نلاحظه الان حولنا ، مع انتقالنا الى مجتمع المعلومات :

ـ لم يعد التعليم مقصورا على المدارس ، او الثقافة مقصورة على قارئى الكتب ، او المشاركة السياسية مقصورة على الانتخابات ، او اعتماد الناس فى حل مشاكلهم مقصورا على الحكومة •

ـ لم تعد هناك مهنة انجح من مهنة ، ولا شهادة دراسية افضل من شهادة اخرى ، وانما اصبح العمل الانجح هو ما يؤديه الفرد بصب واخلاص وذكاء ، والشهادة الافضل هى ما تشير الى اكتساب صاحبها للعلوم الجديدة والمهارات الحديثة •

ـ لم تعد اهم مواصفات العاملين ان يكونوا مطيعين مثابرين ، ولا اهم مواصفات الرؤساء ان يكونوا حازمين حاسمين ، ولا اهم مزايا العمل توفير الاجر المرتفع والامان للعاملين وانما اصبحت اهم مواصفات العاملين ان يكونوا مبدعين منتمين ، واهم مواصفات الرؤساء ان يكونوا منظمين للطاقات الابداعية لدى العاملين ، واشاعة جو البهجة والانتماء فى مناخ العمل ، وكانهم رؤساء الفرق مسرحية او موسيقية ، كما اصبح اهم ما يوفره العمل للعاملين فيه ، تنمية المهارات وتحقيق الذات •

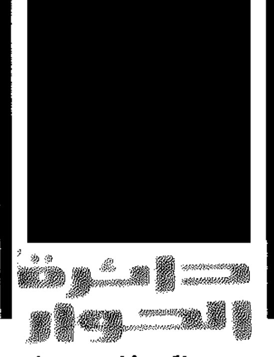
ـ لم تعد الصفوة هم اثرياء الاقطاع والراسمالية ، او المحتكرين لوسائل الانتاج ، وانما اصبحت الصفوة الجديدة هم المؤمنين بقيم الحضارة الحديثة ، المتفوقين فى مهاراتها ، المتكاملين مع نظمها •

ـ لم يعد الحاضر مجرد امتداد للماضى ، وانما اصبح ايضا مقدمة للغد ، واصبح ادراك شكل المستقبل هو الذى يساعدنا على فهم الكثير من انشطة الحاضر وظواهره •

ـ لم يعد مقدار التخلف يقاس بالمسافة التى تفصل بين حالة التخلف وحالة الفرد فى الحضارة الصناعية، وانما اصبح يقاس بالمسافة التى تفصل بين حالة التخلف وحالة التاقلم مع الحضارة الجديدة •

ـ لم يعد الصراع بين المتحمسين لقيم الحضارات الزراعية (انصار الاصالة) ، والمتحمسين لقيم الحضارة الصناعية (انصار المعاصرة) ، صراعا ذا معنى ، فى ظل تراجع قيم الحضارات الزراعية والصناعية ـ على حد سواء ـ امام قيم الحضارة الجديدة ، واصبح الصراع الحقيقى الان بين قوم يبنون المستقبل ، وقوم غارقين فى الماضى والحاضر ، ولهذا فاننا نلاحظ اليوم تعاونا بين احزاب الحضارة الزراعية واحزاب الحضارة الصناعية ـ بشقيها الراسمالى والاشتراكى ـ فى مواجهة المبشرين بحضارة المستقبل •

ـ لم يعد مكان العمل مقصورا على العمل ، ولا البيت مقصورا على الراحة والكسل ، وانما تداخلت اوقات العمل مع اوقات الفراغ ، فاصبح العمل مكانا لتنمية المهارات وممارسة الهوايات بجانب الانتاج ، واصبح



البيت مكانا للاعمـــال الانتـاجية والخدمية بجانب الراحة وممارسة الهوايات ٠ لم يعد العاملون ينتظرون انتهاء ســاعات العمل حتى يبدأوا ممارسة الحياة الممتعة المريحة ، بل اصبحوا يفكرون طول الوقت فى كيفية رفع انتاجيتهم واثراء حياتهم العقلية والروحية ، وهذا من اعظم ما تقدمه الحضارة الجديدة للانسان ٠

وهكذا ٠٠٠ مفاهيم عديدة جديدة، تحل مكان مفاهيم اصبحت عقيمة ، ونظم ومهارات حديثة ، تكتسح النظم والمهارات القديمة ، فمـــاذا نفعل بانفسنا وبحياتنا ، حتى لا نتخلف عن حضارة تفرض نفسها الان على العالم كله ؟

نعيش الان عصر انتقـــال سريع عنيف ، وعندما تصبح الفجوة بين الحـاضر والمستقبل عميقة واسعة ، ينقسم الناس الى فريقين :

فريق شجاع متفائل ، يستجمع كل طاقته ليقفز فوق الفجوة حتى ينجح فى تخطيها ٠

وفريق خـــائف متخاذل ، يخشى القفز فيحـــاول التمسك بالماضى ، وينادى بالرجوع اليه ، ولكن تيـار التاريخ يدفعه الى الامام ، فيوقعــه فى بحر الاحباط والقلق والاغتراب ٠

هنا يثار السؤال المهام ، ماذانفعل حتى نكون من الفريق الاول فنفــوز بالنجاح ، ولا يصيبنا ما يصيبالفريق الثانى من فشل ومرارة ٠

لعل اول ما يجب ان نفعله هو ان نحدد لانفسنا القيم الخالدة التى لا تتغير بتغير الحضارات ، حتى لانفرط فيها ونحن نتخلى عن كثير من القيم الاخـــرى التى لا تنـاسب الحيـــاة الجديدة ٠

والقيم الخـــالدة هى قيم كـــل الحضارات وكل الديانات وكل المذاهب كالصـــدق والامانة والاخلاص والعفة وغيرها من القيم التى تعتبر اساس الاستقرار والانتماء ، وعماد التعاون والامان ، ذلك ان اية حضارة لاتقوم الا بها ٠

هذه القيم يجب ان نعرفها جيدا ، وان نتمسك بها بقوة ، وان نفـــرق بينها وبين قيم اخرى كان اجـــدادنا يعتبرونها خالدة ، لانها كانت تناسب حضارتهم ، وتحتاج اليها مجتمعاتهم ٠٠ فمجتمع الصيد ـ مثلا ـ يقدس القوةوسرعة الحركة ، ومجتمع الرعى يقدس الشجاعة والكرم ، ومجتمـع الزراعة يقدس الصـــبر والطاعة ، ومجتمع الصـــناعة يقدس النظـــام والدقة ، وهكذا ٠٠ قيم تختلف اهميتها باختلاف المكان والزمان ، وباختلاف العمل الذى يمتهنه اغلب السكان ٠

الامر الثانى الذى يجب ان نفعله هو ان ندرك شكل الحضارة الجديدة ، والقيم التى تناسبها ، فاذا كـــانت الحضارة الجديدة ـ مثـــلا ـ هى حضارةعشرات المهن المتداخلة ، والتى لا تتضمن مهنة غالبة ـ اذ لن يعمل فى كل من مهنة الزراعة او الصناعة او التجارة او الاعلام او الفنون ٠٠٠ الخ اكثـــر من عشرة فى المائة من القوى العاملة ـ فان ذلك يعنى ان اهم ما سيتصف به انسان المستقبل « المرونة » و « القدرة على التـاقلم والمشـاركة » ، واسوأ ما يصف بـــه

« الجمود » و « التعصب » .

الامر الثالث الذى يجب ان نفعله هو التخلص من الاصنام داخل رءوسنا ، ذلك ان القيم التى غرست فينا منذ الصغر ، فتأصلت وتفرعت وصعب اقتلاعها ، من اهم المعقبات التى تحول دون فهم القيم الجديدة ، فالمساهمة فى الحضارة القادمة لن تبدأ الا بعد هدم هذه الاصنام ، لان المفاهيم الجديدة لن تجد لها مكانا فى رءوسنا وهى محشوة بمعتقدات انتهى زمانها ، وتتسبب فى الوان من التعصبات لا حصر لها .

يحضرنى بهذه المناسبة نصيحة قيمة ، قالها لى استاذ الرياضة فى المدرسة الثانوية : « اذا امضيت وقتا طويلا فى التفكير فى مسألة هندسية ، ولم تصل الى حل ، اخرج من راسك كل ما فكرت فيه ، واقرأ المسألة وارسمها من جديد ، ثم ابدأ مرة اخرى من الصفر » .

هذا ما يجب ان نفعله نحن الان ، بعد ان حاولنا طويلا حل مشكلات لم نصل فيها الى حل مقنع .

الامر الرابع الذى يجب ان نفعله هو الا نتوقع طول الوقت ان يأتى حل مشكلاتنا على يد الحكومة ، والا نعتمد دائما عليها فى اعالتنا واصلاح حالنا ، ففى الحضارة الجديدة ستترك الحكومات اكثر سلطاتها للجماعات الصغيرة جدا ، او للتكتلات الكبيرة، ففى ظل التقنيات الحديثة لن يصبح الفرد منتجا حقا الا اذا عمل ضمن جماعة صغيرة ، او فى مؤسسة عالمية كبيرة ، ولن يتم اى اصلاح الا عن طريق هذه المؤسسة او تلك الجماعة، اما ان نظل طول الوقت فى انتظار ما ستفعله الحكومة نحو تدبير شئوننا فهذا هو الفشل بعينه .

الامر الخامس هو ان نكف تماما عن ترميم اصنام انتهى زمانها ، فهناك كثير من النظم والمؤسسات التى لم يعد ينفع فيها اى ترميم ، والاصلاح الحقيقى لن يكون الا بتركها للزوال ، مع تدريب العاملين فيها على النظم والمهارات الحديثة .

توجد الان عملة رديئة تتزايد الان فى الاسواق ، هذه العملة اسمها (عدم القدرة على التأقلم مع الثورة الجديدة) : ثورة المعلومات .

ولهذه العملة وجهان ، الوجه الاول هو (اللامبالاة) ، الوجه الثانى هو (العدوانية) ، فعندما يفشل الانسان فى تطوير قيمه ومهاراته وعاداته ، ليتعايش مع الشكل الجديد للحياة ، فانه يفعل احد امرين : اما ان ينعزل ويصبح سلبيا لا مباليا ، او ان يتحول الى ارهابى .

الاول (السلبى) يتصيده تجار المخدرات .

والثانى (الارهابى) : يتصيده تجار الاسلحة .

لهذا كان اهم دور للكتاب والفنانين ، وللمفكرين والمصلحين ، فى اوقاتنا هذه ، مساعدة الناس على التأقلم مع الحضارة الجديدة ، حضارة المعلومات ، وذلك بتحفيزهم على فهم شكل التغيرات التى تحدث فى العالم الجديد ، وتوجيههم الى طريق اكتساب مهارات المستقبل ، والايمان بقيمه ، والتوافق مع نظمه ، مع التركيز على توضيح المكاسب الكبيرة التى يمكنهم ان يجنوها من وراء ذلك ، والاخطار التى ستواجههم ان استسلموا للامبالاة او العدوانية .



حل مقترح
لـ « فزورة التاريخ »

سر النهوض والتقدم

بقلم : محمد فتحى

افتتحت مجلة الهلال العدد "المستقبلى" الذى أصدرته فى يناير ١٩٨٩ بـ "فزورة التاريخ" التى طرح فيها الأستاذ أحمد بهاء الدين سؤالا محوريا فيما يخص المستقبل :

ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم ؟ وما الذى يجعل شعبا ما ، يكون ناهضا ومتقدما ، يضمحل ويتقهقر ؟

ورغم أن هذا السؤال هو أعقد أسئلة "فلسفة التاريخ" كما يرى الأستاذ بهاء .. فإن إلحاحه وأهميته يبرران عدم إغفال طريق من الطرق ، التي يمكن أن تؤدى حتى إلى طرف من إجابته .. وربما كانت قراءة تجارب الاخرين ـ بالذات إن كانت قد حظيت بدرس وافر ـ أحد أيسر السبل فى محاولة الاجابة ..

وأستاذن فى اختيار تجربة الانطلاق اليابانية كدليل فى هذا الصدد . وان كان الاقرب الى واقع الحال ألا يسأل القارىء : ولماذا اليابان ؟ فالواجب أن يكون المرء محددا فى توجهه إلى أقصى حد ..



احمد بهاء الدين

● الثابت أن اليابان لم تكن فى بداية القرن إلا دولة من الفلاحين والصيادين ، وأنها بدأت مسيرتها نحو التقدم من واقع العزلة والتخلف ، وأنها قد تحولت الى ما يشبه الانقاض ، عشية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ..

والثابت أيضا أن اليابان صارت اليوم صاحبة ثانى أقوى اقتصاد فى العالم الراسمالى ، بل أنها توشك على تجاوز الولايات المتحدة ، من حيث الناتج القومى بالنسبة للفرد ..

لقد كان الانتاج الصناعى اليابان عام ١٩٥٢ (عام انتهاء الاحتلال) يناهز ثلث انتاج بريطانيا أو فرنسا ، ولم يحل عام ١٩٧٠ حتى كان قد تجاوز مجموع انتاج البلدين معا . ذلك بينما قفزت انتاجية العامل اليابانى الى خمسة اضعاف مثيله الانجليزى ووصل اجره ـ اليابانى ـ الى ضعف اجر العامل الانجليزى ..

ومما يلفت النظر أن اليابانيين حققوا قفزة التحديث بأقل قدر من الصدام مع تقاليدهم .. أو على أقل تقدير دون أن يصل الأمر الى حد وقوف تراثهم حجر عثرة فى سبيل التقدم ..

كما أنهم حققوا ما حققوه وثلاثة أرباعهم يعيشون على شريط ضيق خانق ، يمتد بين طوكيو وهيروشيما ، على المحيط الباسفيكى ..

هذا كما أن الانجاز اليابانى الفذ قد تحقق فى بلد لا يعيش ظروفا طبيعية سهلة ، إذ اعتادت الزلازل والاعاصير على ضرب اراضيه من كل جانب ، ناهيك عن افتقاره للمواد ذات القيمة الاستراتيجية ، حتى امتد اعتماده على الخارج الى الخامات الاساسية (يستورد حوالى ٩٠٪ من خاماته) ناهيك عن قوت يومه .

وقبل الانتقال من هذه النقطة ينبغى التأكيد على أن التجربة اليابانية ليست بالمعجزة ـ كما جرت العادة فى وصفها ـ لأنها من صنع بشر ، ولأن شروطها تتكرر فى عدد من التجارب الاخرى (والمعجزات لا تتكرر) .. هذا كما أن التجربة اليابانية عامرة بالمثالب والنواقص ، كغيرها من التجارب الانسانية .. ومثالبها تتراوح بين مظاهر مثل معاناة النظام الاقتصادى من انفصام أو ثنائية تتمثل فى عمل ٣٠٪ من اليابانيين فى المجالات المعتمدة على التقنيات المتقدمة ، صاحبة الانتاجية البالغة الارتفاع ، بينما يعمل ٧٠٪ منهم فى مجالات عمل صغيرة ، أقل كفاءة بما لا



يقاس .. ومثل موجة الافلاس المتزايدة التي يروح ضحيتها ما يقرب من ٢٠ الف خلية انتاجية سنويا .. وبين مظاهر من لون اخر مثل اتهام شبه ثابت لواحد من أهم رؤساء وزرائها بالرشوة (قضية حصول تاناكا على مليوني دولار من شركة لوكهيد للتوصية بشراء طائراتها) ومثل زحام المتناقضات والخزعبلات فى الشارع اليابانى ، وبقاء معدلات الانتحار على ارتفاعها ، وطبيعة الشرائح التى تقدم عليه ..

إن هذه العوامل مجتمعة تجعل الانجاز اليابانى ، وبعيدا عن الطوباوية ، انجازا فذا بكل المقاييس ، الامر الذى يزيد من قيمة الشروط التى تقف وراءه . فما هى اسرار هذا الانجاز ياترى ؟

● أسرار الإنجاز اليابانى

قد يكون صحيحا أن المعونات الأمريكية التى انهالت على اليابان خوفا من سقوطها في براثن الشيوعية قد لعبت دورا فى نهضتها ، لكن الأكيد أنها لم تكن صاحبة الدور الحاسم أو الأساسى . فكم من دول حصلت على مثل ما حصلت عليه اليابان ، بل وعلى ما هو أكثر منه ، دون أن تصنع ما صنعت اليابان ..

وقد يكون صحيحا أن غياب الأعباء العسكرية قد لعب دورا فى نهضة اليابان ، لكنه لم يكن ايضا بالدور الحاسم اذ ان كثيرا من الدول تعفيها ظروفها من الإنفاق العسكرى الضخم ...

يرجع الكثيرون الانطلاقة اليابانية الى ما يسمونه **بعبقرية التقليد أو الحذق فى سرقة منجزات الغرب التكنولوجية وتقليدها ..**

ويرجع اخرون (مثل أدوين ريشوير سفير الولايات المتحدة فى اليابان سابقا) الأمر الى **رغبة اليابانى الجامحة فى التعلم ، التى لا يتمتع بها اى انسان اخر (!!) ..**

ويرى اخرون (مثل عالم الاجتماع الأمريكى عزرا فوجل فى كتاب : اليابان رقم واحد دروس لأمريكا) يرى أنه **إذا كان للدارس تفسير النجاح اليابانى بعامل واحد فلابد ان يكون هذا العامل هو "السعى الجماعى الموجه لجمع المعرفة"**

ويركز اخرون (مثل المفكر اليابانى أهيرو كواساكى فى : سقوط القناع اليابانى) على علاقة اليابانيين بالعمل ، تلك العلاقة التى دفعته الى التأكيد على **أن الحياة خارج العمل كما يفهمها الغرب ليست موجودة لدى اليابانى ، فليس عنده خط فاصل يحدد أين ينتهى العمل وأين تبدأ الحياة ..**"

ويرى البعض (مثل عالم الاجتماع الأمريكى جورج لودج) أن اليابانيين استطاعوا المحافظة على القيم الجماعية **"إذ تمكنوا من المحافظة على مفهوم تضامن الجماعة حتى فى المدن الصناعية الجديدة ، بفضل وعيهم ـ مسبقا ـ باهمية هذا التضامن وبانه العنصر الذى يمكن ان يصون مصالحهم الفردية على المدى القريب والبعيد معا .. .**

اذا كان كل من العلماء السابقين ، وكلهم دارس جاد للتجربة اليابانية ، قد ركز على هذه السمة أو تلك من سمات المجتمع اليابانى ، فإن النظر الى هذه السمات فى تكاملها ، وفى تفاعلاتها الدينامية ، يمكن أن يضع يدنا على السبب الحقيقى للانجاز اليابانى وهو فى رأينا : وجود استراتيجية متكاملة للاستفادة ، الى اقصى حد ممكن ، من طاقات الانسان اليابانى ، فى إعمار مجتمعه . من خلال **العمل الجماعى المبدع** واتاحة ما يتطلبه ذلك من معارف ، مع استيعاب كل ما يؤدى اليه من تطور .. وذلك كله فى اطار حلم قومى ناهض ، ومنظومة مناسبة من القيم ..

وفهم معنى **العمل المبدع** ، بعيدا عن التصورات الرومانسية والنرجسية ، على انه **"اضافة الى افكار الاخرين وتطويرها"** يضعنا بخطوة واحدة على الطريق الذى يبدأ برفض ما يراه البعض من أن التجربة اليابانية نقلا أو تقليدا أو سرقة ذكية ...

● توظيف المعرفة

ولأن هذه التجربة عمل يستند الى استراتيجية متكاملة للاستفادة من الجهد **الابداعى** للانسان اليابانى، كان لابد لها من مراحل متداخلة أولها تحصيل ما هو موجود من معارف بشرية ، وهذا ما جعل المعارف والمعلومات تشكل محورا أساسيا من محاور التجربة . فمنذ فترة حكم الامبراطور ميجى (المستنير) حول عام ١٨٦٨ قرر قادة اليابان ، من القوميين الذين أرادوا تجنيب الأمة الصدع أمام تيار المؤثرات الغربية ، قرروا فتح الباب واسعا أمام الاستفادة من دروس البيض ووسـائلهم ، بل واقتنـاص اسلحتهم ذاتها ...

واذا كان الثابت أن كمية المعارف والمعلومات التى سجلت باليابانية فى العصر الحديث تزيد كثيرا عما تم تسجيله بأى لغة اخرى فإن معظم ما يدرج تحت هذا البند يحتوى أساسا على مناقشات تحليلية للمعلومات ، وعلى أفكار تستوعب تلك المعلومات وتستند اليها .. ووفق منطق العمل الابداعى الذى لابد أن يعتمد على اخر المعارف ، شاعت حركة واسعة النطاق تسعى الى تعويد كل مواطن على أن يبدى رأيه فى المعلومات المتصلة بمجال تخصصة ، وإلى أن يضيف اليها بعد استيعابها (فوجل) .

واذا كانت أساليب جمع المعلومات وتحصيل المعارف ليست موضوعنا هنا ، فإنه من الضرورى التأكيد على أن عملية اكتساب المعرفة فى اليابان عملية شاملة ومستمرة ، تبدأ بالتعليم الالزامى فى المدارس التى تشرف عليها الدولة ، ويجرى فى تكافؤ تام للفرص يسقط الحواجز الاجتماعية ويتيح امكانية التقدم أمام الجميع ، مما يؤدى الى الاستفادة من أفضل العناصر البشرية دون تمييز .. ويستمر هذا التكافؤ فى الفرص حتى المراحل الدراسية المتقدمة ، فالمعاهد العليا مفتوحة هى الاخرى دون حواجز اجتماعية .

والمهم أن تحصيل المعارف لا يقف عند نهاية سلم المؤسسات التعليمية ، إذ أن هناك أشكالا للتعليم ، فيما بعد المعاهد العليا ـ فى المؤسسات الانتاجية مثلا ـ



لها علاقة وثيقة بجمع المعرفة والخبرة بصورة جماعية، ثم توظيفها لخدمة الانتاج والتطوير الشامل للمجتمع ..

وإلى جوار تأثير ذلك كله فى تربية استعدادات اليابانى على تقبل التغيير وتبنى نقاط قوة الاخرين فانه يساعد على امتصاص النسيج الاجتماعى اليابانى عناصر جديدة دوما، جعلت اليابانيين اكثر قدرة على التوائم مع العصر، ومسايرة "لغاته" وهضمها وتمثلها، فى سلوك عملى يتكيف مع الواقع اليابانى ويطوره باضافات ابداعية.

وهكذا فان اهتمام اليابانيين بالمعرفة ليس اهتماما عشوائيا، وانما هو اهتمام نابع من الحاجة الاجتماعية، ويرتبط بالعمل الانمائى، وبمجموع المعنيين لا بافرادهم ..

واعتمادا على معرفة من هذا النوع يجيء العمل الذى لا يعرف الكلل، والذى لا ينفصل فى تصور اليابانى عن الحياة (كواساكى)، وبتظام وانضباط مدهشين، تدعمه بنية عمل وانتاج متماسكة، تتميز بروح اجتماعية تشيع علاقات التماسك والتكافل بين المشاركين فيها، وذلك الى جوار الولاء والانتماء لمجتمعهم الصغير ومجتمعهم الكبير على حد سواء (فوجل) ..

وذلك كله بالاضافة الى أن اليابانى يعيش ببساطة متقشفة قل نظيرها فى الغرب (جيلان).

غير أن الذى يدفع بهذه العناصر جميعا الى افق ابداعى، فى تطور مستمر، هو كونها تجرى فى اطار جماعى عام قابل للاثراء، جرى تحديده عند الانطلاق وان ظل يواكب كل الانشطة، ويقوم على ضبط خطوها مستعينا بمنظومة من القيمة، تعمل على حث الحلم الجماعى باستمرار ..

وهنا ينبغى الاشارة الى مجموعة من المحاذير التى يجب الانتباه اليها عند الحديث عن التجربة اليابانية .. اذ يجب الحذر من مقولات مثل كون اليابانيين يشكلون "شعبا مجدا" يتمتع بـ "إرادة عنيدة" نحو التقدم، ويتملكه "حب لكل ما هو جديد" (جيلان). ذلك ان الله لم يحاب شعبا من الشعوب، ويضمن مورثاته البيولوجية (الجينات) ما لم يضمن مورثات الشعوب الاخرى .. ولسنا فى حاجة الى الذهاب بعيدا وقصص النجاح الذى تحرزه الأدمغة العربية المهاجرة - رغم مصاعب ومثالب الغربة - تحيطنا من كل جانب .. فلماذا ياترى يتعذر على هذه الأدمغة النجاح ما بقيت فى المحيط العربى .. وما علاقة ذلك بما يهبه الله لعباده ..

هذا كما أن الارادة العنيدة ليست صفة ميتافيزيقية بل هى نتاج اكتمال الوعى بالنفس وبالتحديات، بكل ما ينطوى عليه ذلك من مسئولية .. وقد حفز هذه الارادة فى الظروف اليابانية شعور رفائق بعدم الامان، وصل الى حد الخوف من الموت جوعا، ما لم يعتمد اليابانى على نفسه ..

● استراتيجية العمل الجماعى المبدع

ولعله من المناسب هنا معاودة التأكيد

على تجاوز اهمية الشروط السابقة حدود التجربة اليابانية ، وعلى كونها تظل صحيحة بالنسبة للتجارب الأخرى ، التى تواصل ازدهارها ما التزمت جهود الانسان فيها **بهذا السعى الجماعى الموجه للعمل المبدع** . لكنها تبدأ رحلة تدهورها ، اوتدخل دروبا جانبية معوقة ، ما أن تضل طريقها الى هذا السعى ، او تقصقص منظومة القيمة السائدة ريش الابداع فيتحول المجتمع الى تدمير انجازاته .

وهكذا يمكن تلخيص حاجتنا المستقبلية ، وهى ما قصد اليه - بالمناسبة - الاستاذ احمد بهاء الدين ، فى الوصول الى استراتيجية واضحة للاستفادة من جهود الانسان العربى وفق الشروط التى اتضحت على مثال التجربة اليابانية ، ولابد أن تتسم بنود هذه الاستراتيجية بصفة التلاحم - بدلا من صفات الانفصام الحالية - بين مختلف عناصر الخطة :

التلاحم بين تعليم الانسان وعمله وبين عمله ووظيفته المتمثلة فى إعمار الكون وبين وظيفته وابداعه واحلامه

على ان تحث منظومة القيم - والقيمة - السائدة هذه العلاقات لا أن تنال منها .. ضرورة الاطار الديمقراطى .

يبقى التأكيد على عامل لا يمكن بدونه الخطو خطوة واحدة الى الامام وهو الاطار الديمقراطى لذلك كله . ذلك أن شيئا ذا بال لا يمكن أن يتحقق (فى أى تجربة) دون مشاركة اصحاب الشأن فيه ، على اوسع نطاق ، وليس من الممكن الحديث عن اخراج الناس من حالة "الانامالية" (أنا مالى) التى تخنق انسانيتهم دون السعى الدءوب الى مشاركتهم الديمقراطية ..

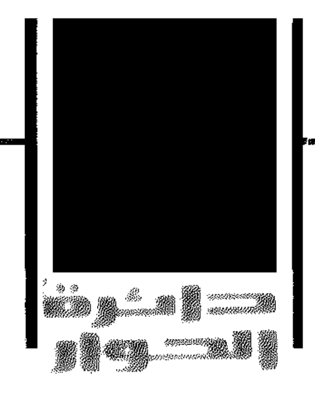
غير أنه ينبغى لنا ونحن نتحدث عن "الاطار الديمقراطى" ان نتحلى بالواقعية بعيدا عن التهويمات الرومانسية التى لا صلة لها بواقع الحياة وحتى نوضح هذه النقطة لا بأس من مثال .

لعل القارىء يذكر "بوبى ساندز" الذى كان عضوا فى الجيش الجمهورى الايرلندى ، وحكم عليه بالسجن ١٤ سنة ، لأن البوليس عثر فى بيته وسط الظروف البريطانية الايرلندية العاصفة ، على مسدس بدون ترخيص ...

راح الرجل - فيما بعد - يجاهد من أجل هوية السجين السياسى لا المجرم المجرد ، وكانت الحكومة البريطانية ترفض ذلك رفضا قطعيا ، وترد على الهيئات العالمية التى اهتمت بالأمر (منظمة الأمم المتحدة ، ومنظمة حقوق الانسان ، وهيئات الجماعة الأوربية ..) بأن ساندز ورفاقه ليسوا سوى مجرمين نكرات ..

آنئذ أقدم بوبى ساندز على **خطوة فاضحة** اذ تقدم من سجنه مرشحا فى الانتخابات البرلمانية ، وطالب جمهور الدائرة التى رشح نفسه فيها تأييده ، لا من اجل افكاره السياسية وانما من اجل المطلب الخاص بهوية السجين السياسى ..

وجرى الأمر كله وسط موقف غاية فى الحرج . كان بوبى ساندز قد اعلن هو ورفاقه فى السجن اضرابا عن الطعام (حتى الموت) من اجل الحصول على



هوية السجين السياسى ، وكان واضحا انه يسعى الى استعارة الهوية البرلمانية بعض الوقت ، فاذا نجح عن هذا الطريق فى احراج الحكومة ومنحته هوية السجين السياسى تنازل عن المقعد البرلمانى .. وان ركبت الحكومة رأسها واصرت على رفضها سيكون بوبى ساندز قد قدم علامة استفهام هائلة حول فحوى الديمقراطية ، وأهمية صندوق الاقتراع ، بل وطبيعة الشرعية التى تستند اليها الحكومة ذاتها .

وقادت الحكومة البريطانية حملة شرسة ومكثفة ضد انتخاب ساندز ، مخوفة الناس من ان انتخابه يعنى اعطاء تفويض برلمانى لقاتل . لكن الناس اختاروه فى النهاية ، وفاز بالمقعد البرلمانى للدائرة ، ومع ذلك استمرت الحكومة فى رفض مطلبه ورفض المساعى العالمية بصدده ، واصر بوبى ساندز على "أن الموت افضل من العبودية" وكانت النهاية المؤسية ..

ولا يظنن أحد أن الطراز الكورى الذى اختاره الاستاذ أحمد بهاء الدين ليفضح من خلاله دراويش الابهار السطحيين (سواء فى حديثهم عن الديمقراطية أو الالعاب الأوليمبية) لا يظنن أحد أن الطراز الكورى هو ما اعنى من اطار ديمقراطى ، ذلك أن ما يهمنى التأكيد عليه هو أن قيما كالديمقراطية ليست مجرد صياغات لفظية ، وانما واقع اجتماعى حى تسرى عليه قوانين التغير والتحور والنمو والانتكاس ، وعلى من يريد أن يتقدم ان يكدح ويبدع مفاهيمه ، أو الاطار المناسب لما يروقه من مفاهيم . ذلك بالاضافة الى التأكيد على العلاقة الجدلية بين مستوى المشاركة فى النهوض من خلال العمل الجماعى المبدع وبين اشتداد عود الديمقراطية (النضال الديمقراطى الكورى وسقوط الديكتاتورية) ..

بقيت ملاحظة أخيرة اذ اعتقد ان المراقب الواعى يتفق معى ابتداء على زيف الصور الطوباوية "الصافية الألوان" .. الأمر الذى اكدنا عليه منذ البداية (فى تعداد المثالب التى تعتور التجربة اليابانية) . ولايدفعنا الى انهاء المقال بهذه الملاحظة الا تأكيد امكانية نهوضنا الاجتماعى نحن بالذات (رغم كل المثالب) فهذا هو بيت القصيد فى كل من الفزورة التى طرحها علينا الأستاذ احمد بهاء الدين ، وهذه الكلمات التى أحاول الوقوف بها الى جانب دعوته ..

وان صح ما وصلت اليه فى دراستى للتجربة اليابانية فلا باس فى اضافة فزورة جديدة حول ذلك التصور العبقرى الذى يمكن ان يبدع استراتيجية تحول شعبنا الى العمل الجماعى المبدع ، مع منظومة القيم المناسبة التى تضمن بقاء الغالبية العظمى على هذه الحال ..

سرطان الاقتصاد

بقلم : د. اسماعيل صبرى عبدالله

يتناول د . اسماعيل صبرى عبدالله - وزير التخطيط الاسبق واحد ابرز الاقتصاديين المصريين - الظروف الصعبة التى يمر بها الاقتصاد المصرى فى ظل المتغيرات التى تشهدها الان . فى هذا البحث يناقش الاسباب الحقيقية للتضخم المستمر الذى لم يعد احد يوقفه .

• التشخيص •

لاينفك أكثر المواطنين يشكون من الغلاء المتزايد ، وهم على حق فى شكواهم . ولست أرى مايبشر باختفاء اسبابها فى أجل قصير أو حتى متوسط . ومايستوقف النظر هو حديث الحكام عن الغلاء كما لو كان زلزالا لايعرف الناس حتى الآن كيف يتوقعون حدوثه ، وبالتالى لامجال لمحاسبتهم عليه . فكل الظواهر الاجتماعية من فعل البشر . وما لوجود الدولة فى المجتمع من مسوغ فى التحليل الأخير الا دورها فى تأمين الناس من الخوف واطعامهم من الجوع .

إن مثل الحكومة حين تدعو المواطنين لمقاومة الغلاء كمثل أخرى تدعوهم الى التسلح لحماية أنفسهم ضد إجرام هيمن على المجتمع وعجزت هى عن أن تسيطر عليه . وليس لحكومة عاجزة من سبيل الا أن تترك مكانها لمن هو أقوى منها عزيمة وأعظم حزما . ومسئولية الحكومة عندنا أكبر بكثير فواقع الأمر أن الحكام وتابعيهم من الكتبة يلبسون حقيقة أن الحكومة تصنع الغلاء بيدها ، ولولا سوء سلوكها ماعرف الناس غلاء عاما ومتزايدا . والتعامل مع الظاهرة على أنها غلاء ، مبنى على قدر كبير من الخبث فهو يصرف



الناس عن محاسبة الحكومة وراء وهم محاربة التجار الجشعين والرقابة الأمنية على الأسواق ومقاطعة الجزارين ونحو ذلك مما لاغناء فيه . فنحن بصدد مايسمى التضخم . ولايعرف علم الاقتصاد شيئا مايسمى الغلاء العام فى الأسعار ، فى حين أن اهله كتبوا طويلا وكثيرا عن التضخم وتعريفه وأسبابه وطبيعته واجراءات كبحه ثم تصفيته .

وابسط تعريف للتضخم هو أنه زيادة كبيرة فى القدرة الشرائية فى الاقتصاد القومى عن السلع والخدمات المعروضة فيه ، أو بعبارة مصورة : نقود كثيرة تجرى وراء سلع قليلة ، أى الزيادة الشرهة فى الطلب الكلى (أى الطلب على كل السلع والخدمات) أمام عرض كلى (بنفس المعنى) لايزيد الا النذر اليسير . وواضح . ان **التضخم بهذا المعنى يختلف جوهريا عن ارتفاع سلعة أو مجموعة معينة من السلع** . فهذا الأخير من شأنه أن يهبط بالطلب عليها مع زيادة الطلب على سلع بديلة . كما أنه فى مدى أطول يغرى المنتجين بزيادة المعروض منها على حساب انتاج سلع أخرى ، أما اذا ارتفعت الأسعار جميعا فلا يمكن تفسير الأمر على أساس اختلال التوازن بين العرض والطلب على أى سلعة بعينها ، وإنما يجب البحث عن التفسير فى سياسات حكومية أخرى تبدو لمن لايعرف وكأن ليس لها علاقة بالأسعار . واصطلاح التضخم ومقابله فى اللغة الانجليزية يفيد معنى قريبا من الورم الذى يتنامى على سطح القوة الشرائية المطروحة فى الأسواق . وهو بالطبيعة ظاهرة مرضية تستدعى العلاج وليس بالقطع أزمة صحية عارضة .

● الأسباب ●

لاخلاف فى أن السبب الأول والأهم هو عجز الموازنة العامة للدولة الذى تغطيه بقروض من البنك المركزى أو البنوك التجارية التى تغطى بدورها هذا القرض بخلق كميات موازية من وحدات النقد . والصورة القديمة لذلك تتمثل فى طبع أوراق بنكنوت حيث يعد البنك المركزى - وفقا لقانونه - أذونات وسندات الخزانة غطاء كافيا لاصدار كميات مماثلة من العملة الورقية . **ولكن تطور نشاط البنوك التجارية فى المائة عام السابقة جعلها قادرة بدورها على خلق وحدات نقدية لاتتجسد الا فى شكل قيود فى دفاتر تلك البنوك** . ومن ثم تسمى أحيانا النقود المصرفية ، أو نقود الودائع . ولامجال لإغراق القارىء فى شرح كيف يحدث ذلك من الناحية الفنية . ويكفى أن نقول أن المقرر دوليا هو أن حساب السيولة (وهى تعبير آخر عن النقود) يشمل البنكنوت المتداول مضافا إليه الودائع تحت الطلب فى البنوك التجارية (ن ١) وكذلك الودائع غير الادخارية وان كانت لأجل



(ن ٢) ومن يبحث تطور حجم السيولة المحلية فى مصر كما ترد فى التقرير السنوى للبنك المركزى يرى أن أهم بند فى زيادتها يتمثل فى حجم البنكنوت المتداول مضافا اليه قروض البنوك التجارية للحكومة (ولا يشمل قروض القطاع العام) .

وفى الأصل الدولة لاتملك شيئا وليس لها أى دخل . ومن ثم فهى تجبى الضرائب والرسوم وما إلى ذلك من الايرادات السيادية لتنفق على الخدمات السيادية (الأمن الخارجى ، الأمن الداخلى ، النقل ، القضاء ، المالية ، التخطيط .. الخ) ثم اتسع المفهوم الاجتماعى لدور الدولة ليشمل نوعا من إعادة توزيع الدخل بالاقتطاع من دخول القادرين والأغنياء لأداء خدمات مجتمعية أساسية مثل الصحة والتعليم . ومن هنا كان مبدأ تصاعد الضريبة كلما زاد الدخل . أما الدولة كمالك للقطاع العام فعليها أن توظف صافى أرباحها (بعد سداد الضرائب) فى استثمار انتاجى جديد . فالدولة هنا منتج كبير يشتغل بتنمية القاعدة المادية للمجتمع عليه مسئوليات المنتج (دفع الضرائب) وله حقوق المنتج فى استثمار فائض أرباحه . تلك قواعد أولية فى علم المالية العامة أعتذر عن التذكير بها . وماحملنى على ذلك الا الوهم الشائع الذى تردده الحكومة ويكرره الكتبة الى حد الغثيان المتمثل فى الزعم بأن عجز الموازنة يرجع الى خسائر القطاع العام وهذا كذب محض حيث يحقق القطاع فى مجموعه (خسائر وأرباح) ايرادا صافيا بعد دفع الضرائب يؤول

للخزانة حوالى مليارين من الجنيهات سنويا . ويرجع العجز فى الحقيقة الى واقع أن ايرادات الدولة السيادية لاتغطى انفاقها الجارى . **وليس فى هذا مايدهش لأن الدولة قد اعتمدت منذ عهد السادات سياسة التوسع فى الأعفاء من الضريبة حتى قال وزير مالية سابق ان الاعفاء اصبح الأصل وأداء الضريبة هو الاستثناء . ومن اهم عيوب التوسع فى الاعفاء انه يخلق لدى دافع الضريبة مسوغا للتهرب منها . فلماذا يدفع الصغار اذا تمتع الكبار بالاعفاء . واذا استخدم بعض رجالات النظام نفوذهم السياسى لارغام مصلحة الضرائب على اجراء تقديرات تافهة لصافى دخولهم فما الذى يمنع غيرهم من استخدام الرشوة للحصول على نفس المزايا .** لهذا أصبح ضروريا مراجعة الاعفاءات الضريبية مراجعة شاملة تقصر الاعفاء على مدى أهمية المشروع للاقتصاد القومى ومستوى الأرباح المتوقع له وأجل تنفيذه بغض النظر عن ملكيته . ومن الضرورى أيضا فصل موازنة القطاع العام (النشاط الانتاجى للدولة) بأرباحه وباستثماراته عن موازنة الدولة .

ومهما يكن من أمر فان عجز الموازنة المتكرر الذى يصل حاليا الى حوالى ١٥ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى بالرغم من تجميد أو تخفيض انفاق الدولة على خدمات التنمية الاجتماعية يؤتى ثماره المرة فى زيادة معدلات التضخم وهذا يؤكد جانبا هاما فى التضخم . **لقد قلنا انه مرض وآن الآوان لان نضيف أنه ورم خبيث يتكاثر تلقائيا كما تفعل الخلايا السرطانية .** ويعبر الاقتصاديون عن هذا الجانب بتعبير مستعار من الفيزياء هو « التسارع » وفى الفيزياء يعنى التسارع (أو العجلة كما يسمى أحيانا) معدل الزيادة فى السرعة . وفى الاقتصاد يعنى التسارع معدل الزيادة الدورية فى معدل التضخم . فاذا كان معدل التضخم فى سنة ما مثلا ٢٠ ٪ وأصبح فى السنة التالية ٣٠ ٪ يكون معدل التسارع ٥٠ ٪ وترجع هذه الظاهرة الى حقيقة أن التضخم من الظواهر الاقتصادية النادرة التى لاتحمل فى طياتها وسيلة الحد منها أو تصفيتها كما رأينا فى حالة ارتفاع سعر سلعة معينة . **والذى يحدث هو أن التمويل بالعجز فى سنة مايعنى ارتفاعا عاما فى الأسعار يؤدى بدوره لزيادة الانفاق الحكومى المطلوب لأداء نفس الخدمات فى السنة التالية .** وهكذا يزيد العجز فى هذه الأخيرة وتبدأ دورة جديدة من ارتفاع الأسعار . وفى الوقت ذاته يدرك الناس حقيقة أن النقود تفقد قوتها الشرائية بانتظام . ويؤدى توقعهم استمرار ذلك الى مبادرتهم الى شراء سلع ليسوا فى حاجة اليها ابتداء من السلع المعمرة الى أى شىء صالح للتخزين . ويعبر

الاقتصاديون عن هذه الظاهرة باصطلاح « تفضيل السلع أو الهرب من النقود » وهو أمر يزيد من معدلات التضخم بطبيعته ويلكرر مفعول التسارع الى ما لا نهاية (فقد جاوز ١٠٠٠ ٪ فى اسرائيل قبل ثلاث سنوات وفى بعض بلدان أمريكا اللاتينية حاليا) ولايمكن وقف التسارع ثم تخفيض معدل التضخم الا بمجموعة متسقة من السياسات التى تفترضها الدولة بكل حزم . وعلى العكس اذا استمر التضخم ورأى الناس الأسعار ترتفع من شهر الي شهر بل من يوم الى يوم يكون التضخم قد أفلت من كل سيطرة لأيمكن ، التعامل معها الا بأساليب جراحية خطيرة والأمر الذى يخفى الآن انفلات التضخم هو أن مصر لم تعرف فى الماضى تضخما بمعدلات التضخم الحالى . ولذلك لم يدرك الناس معنى تلك المعدلات ولم يتوقعوا مايمكن أن تؤول اليه الأوضاع توقعا صحيحا . ولكن الظاهرةالتضخمية قد بدأت تدخل ضمير الناس وتؤثر فى توقعاتهم . ويظهر هذا بالذات فى شراء العقارات الزراعية والمبنية مهما كان عائدها تافها وحتى لو كان معدوما ، لانهم يقدرون أن الزيادة المتوقعة فى أسعارها ستكون أكبر بكثير من أى عائد نقدى دورى .

وهناك مصدر أخر للتضخم هو عجز ميزان المدفوعات فهذا العجز يعنى فيما يعنى تراجع سعر صرف الجنيه فى مقابل العملات الأخرى . وينعكس هذا التراجع فى شكل ارتفاع فى أسعار الواردات يؤثر فى معدل التضخم العام مباشرة اذا كانت الواردات استهلاكية وبطريقة غير مباشرة اذا كانت الواردات آلات ومعدات أو مستلزمات انتاج ويؤدى الافراط فى الاقتراض الخارجى فى أول الأمر الى زيادة القوة الشرائية فى السوق (صافى مايحول نقدا) ثم عن طريق ارتفاع تكلفة المعدات ومستلزمات الانتاج والخدمات (الخبراء الأجانب) الذى ينعكس فى أرتفاع أسعار المنتجات . **ومن ناحية ثالثة يؤثر عبء سداد الفوائد والأقساط سلبيا على ميزان المدفوعات ويهوى بالجنيه المصرى الى درجات أدنى** ، وتحاول الحكومة تكرار نفس الدورة . وأود أن أؤكد فى هذا الصدد الرابطة الموجودة بين عجز الموازنة والاعتماد على الغير عن طريق « المعونات » الأجنبية كذلك لاصحة لمقولة استيراد التضخم من الخارج . فمنذ أوائل الثمانينيات نجحت الحكومة الغربية فى السيطرة على التضخم بحيث هبطت معدلاته الى أقل من ٥ ٪ فى الولايات المتحدة

وثمة عوامل أخرى ساهمت فى التضخم ولكن بقدر أقل بكثير من السببين السابقين ونضرب لذلك مثلا بدخول العاملين فى الخارج المحولة الى الداخل . فكونها محولة من الخارج يعنى بالدقة أن الاقتصاد المصرى لم ينتج من السلع والخدمات مايساويها كما هو

الأصل العام فى الدخل المتولد من النشاط الاقتصادى فى الداخل .

● النتائج ●

لايمكن حصر وتحليل النتائج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى ترتبت أو يمكن أن تترتب على استمرار التضخم وتسارعه فى هذا المقام المحدود . ولذلك اكتفى بذكر أبرزها .

فالتضخم أخبث وسيلة لاعادة توزيع الدخل لصالح الأغنياء وضد مصلحة الفقراء بشكل تلقائى ومستمر « فالغلاء العام » لايعنى ارتفاع ثمن كل شىء بنسبة موحدة هى معدل التضخم . ويقول الاقتصاديون ان التضخم يفيد أصحاب الدخول المتغيرة (وفى المحل الأول رجال الأعمال) حيث تتزايد دخولهم بمعدل يفوق معدل التضخم عادة ، وأنه يضر بأصحاب الدخول الثابتة . **والمثل الصارخ لذلك هو الأجور التى تظل تلهث للحاق بمعدل التضخم دون نجاح او بنجاح محدود** . والى جانب هذه الكتلة الضخمة يمكن أن نذكر أصحاب العقارات محددة الأجرة منذ الستينيات . وآليات السوق هنا تعمل فى الواقع على تخفيض استهلاك الفئات الشعبية والمتوسطة بل وطرد بعضها تماما من السوق نتيجة لارتفاع الأسعار ، فى حين يعنى هذا الارتفاع نفسه انتفاخا فى أرباح رجال الأعمال وغيرهم من الوسطاء .

وكذلك يصطحب التضخم باختلاف فى الأسعار النسبية . والمقصود بالسعر النسبى لسلعة ماهو سعرها مقوما بوحدات من سلعة أخرى بعد الغاء دور النقود .

وتلعب هذه الأسعار دورا أساسيا فى توجيه الانتاج . فمثلا كان سعر الفراولة منذ ثلاث سنوات حوالى ثلاثة جنيهات للكيلو الواحد ، ثم حضت وزارة الزراعة الناس على زراعتها . وقد زرع بالفعل آلاف الأفدنة . ولم ينجح التصدير . فانخفض السعر الى حوالى جنيه واحد فى الموسم الأخير . وفى الوقت ذاته رفع التضخم سعر الخيار الى حوالى جنيهين من إنتاج « الصوبات » وفى هذا اخلال واضح بالأسعار النسبية . ولذلك من الوارد أن يزيد محصول الخيار ويستغنى كثيرون عن زراعة الفراولة . ويمكن عندئذ أن تتغير الأسعار النسبية لكلا المحصولين . **ونجد نفس الظاهرة فى العلاقات الأجرية حيث نجد سكرتيرة تعرف الانجليزية والآلة الكاتبة تحصل على مرتب يفوق مرتب وكيل الوزارة بشكل واضح** . كما أن الأجور فى شركات القطاع الخاص غير المشتغلة بالانتاج السلعى (وبالتالى لاتحتاج لعمالة كبيرة) أعلى بشكل واضح من أجور موظفى الدولة والقطاع العام . وأخيرا نجد أجور الوحدات الصغيرة فى القطاع الخاص أدنى من أجور القطاع العام . وكل تخطيط علمى يقتضى التعامل مع أسعار نسبية

تعكس تكلفة الانتاج المتفاوتة من سلعة لأخرى .

يفقد التضخم المستمر والمتزايد العملة الوطنية وظيفة من أهم وظائفها وهى كونها وعاء الادخار ، أو مستودع القيم كما يقول الاقتصاديون . فاذا سلمنا جدلا بأن معدل التضخم فى مصر ٣٠ ٪ فقط كما أعلن رئيس مجلس الوزراء فى مجلس الشعب نرى أن البنوك تعطى لأصحاب الودائع فائدة سلبية تقدر بناقص ١٩ ٪ لأنهم يحصلون على فائدة اسمية ١١ ٪ فى حين تنقص قيمة مدخراتهم المودعة لدى البنوك بمعدل ٣٠ ٪ سنويا . وقد أدى هذا الوضع الى اقبال عدد كبير من المدخرين الى شراء دولارات بأى وسيلة لتصبح مدخراتهم دولارية . وقد بلغت نسبة الودائع الدولارية فى العام الماضى ٤٠ ٪ من اجمالى الودائع فى كل البنوك المسجلة لدى البنك المركزى ولايدخل فى هذه النسبة الودائع لدى المصرف العربى الدولى (الذى يتعامل بالدولار وحده) ولا ما تسلمته شركات توظيف الأموال ووفقا لدراسة قام بها صندوق النقد الدولى تعد نسبة الادخار بالعملات الأجنبية فى مصر أعلى نسبة بين كل بلدان العالم الثالث . وقد اسهم هذا الاتجاه فى تخفيض سعر صرف الجنيه بالدولار لأنه خلق طلبا داخليا على الدولار غير الطلب الراغب فى تسوية مدفوعات خارجية . ولذلك لامجال للدهشة اذا انخفض سعر صرف الدولار الأمريكى ازاء العملات الأخرى فى حين استمر فى الارتفاع فى السوق المصرية وحدها . ومن جهة أخرى نذكر بأن انخفاض سعر صرف الجنيه من العوامل الهامة فى تسارع التضخم فى مصر .

ويرتبط تدهور سعر صرف الجنيه كذلك بخروج الأموال من مصر تبحث عن التوظيف الذى يحافظ على قيمة المال الموظف وهكذا يخرج الكثير من مدخرات الفئات الوسطى فى المجتمع ليودع فى البنوك أو يوظف فى حافظة أوراق مالية مثلا . وبهذا لاتقتصر هجرة الأموال الى الخارج على كبار الرأسماليين الذين يؤثرون الاستثمار فى اقتصاد مزدهر ومحصن ضد التقلبات الحادة وغير المنظورة ، لاسيما إذا كان مصدر تكوين رأس المال مشوبا بعدم المشروعية . وقد استخدمنا كلمة خروج بدل التعبير الشائع « هروب » رءوس الأموال عن عمد . وذلك لأن قانون النقد الصادر فى ١٩٧٧ والذى مازال ساريا حتى الآن لايحرم بحال تحويل أى وديعة دولارية أيا كانت قيمتها الى الخارج بدون أبداء أى مسوغ . وهو مايظهر فى بيانات البنك المركزى عن حساب المدفوعات تحت بند « مدفوعات بدون مستندات » تمييزا لهذا النوع من التحويلات عن التحويل لسداد واردات عينية أو خدمية او لأغراض السياحة أو التعليم أو العلاج . فلم تكن شلركات توظيف الأموال الباب الوحيد لخروج

الأموال من مصر . وليس للدولة أن تحتج عليها بدعوى أنها كانت تمارس ذلك فى خفية عن أجهزة الدولة **لأن الدولة تعطى للمصرف العربى الدولى صلاحيات كاملة فى تحويل الأموال فى أى اتجاه وعدم تمكين اى سلطة مصرية ربما فى ذلك السلطة القضائية ـ من الزام هذا البنك بتسليم أى بيان وارد فى حساباته لأن الدولة تسلم بتمتع تلك الحسابات بالسرية المطلقة .**

وقد اقتصرنا عند هذا الحد على أبرز النتائج الاقتصادية . ونكتفى بواقع أنها تعنى أن التضخم يضاعف عدد الفقراء والمحرومين وكذلك عدد مايضطرون لتخفيض استهلاكهم وان ظل فوق مستوى الفقر بكثير ، وأنه يسلب الاقتصاد المصرى موارد مالية ضخمة فيعطل من عجلة زيادة الانتاج وترشيد الاستثمار بما يفضى الى تعقيدات كبيرة فى ادارة الاقتصاد القومى ناهيك عن تنميته على نحو مطرد . واجتماع هذين الأمرين يعنى ضرورة فتح الباب أمام القلاقل الاجتماعية (التى يمكن أن تتخذ فى الظاهر شعارات لاعلاقة لها بقضايا الفقر والتخلف) ويغلب أن تنتهى تلك القلاقل الى هز عناصر الاستقرار السياسى على نحو يفتح شهية المغامرين والانقلابيين من كل صنف .

● المقياس ●

وليس أدل من اغتراب المجتمع المصرى عن التضخم كمفهوم وكظاهرة يعيشها الناس من عدم الاهتمام فى دوائر السلطة بقياس معدل التضخم وأضيف أيضا تهاون قوى المعارضة فى المطالبة بقياس دقيق ومقنع لهذا التضخم . والمقياس المستقر فى العالم كله هو تطور الرقم القياسى لأسعار البيع للمستهلكين من سنة الى أخرى ، وحتى من شهر الى آخر كما نقرأ جميعا فى الصحف الأجنبية عن معدل التضخم الشهرى فى البلدان الصناعية . وهذا الرقم القياسى هو المتوسط المرجع لأسعار أهم مجموعات السلع الاستهلاكية بما فيها المسكن والنقل وخدمات التعليم والعلاج ... الخ .

ومعنى الترجيح اعطاء وزن معين لكل مجموعة وفقا لنصيبها الفعلى من انفاق الأسرة الاستهلاكى كما يتبين من دراسات ومسوح ميزانية الأسرة التى تتجدد عندنا مرة كل عشر سنوات بالتقريب . ويصدر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء رقما قياسيا من هذا النوع سنة الأساس فيه (التى تعطى قيمة اجمالية ١٠٠) هى ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ . ووفقا لهذا المؤشر ارتفع الرقم القياسى العام لأسعار المستهلكين فى الفترة مابين سنة الأساس وشهر يونيو ١٩٨٣ أربعة أضعاف فوصل الى ٤٢٢ ثم مرتين فيما بين يونيو ١٩٨٣ ويونيو ١٩٨٧ حين بلغ ٨٤٠ وترى غالبية الاقتصاديين المصريين أن هذا الرقم القياسى يقصر عن التعبير عن واقع الغلاء كما يحسه المواطنون فى الأسواق .

ويتركز نقدهم فى أن جهاز التعبئة العامة

والاحصاء أعتمد لفترة طويلة على الأسعار الرسمية بغض النظر عن احترامها فعلا متجاهلا حقيقة ممارسة أسعار أعلى منها فى مواقع كثيرة . كما أن الجهاز يحسب تكلفة خدمة مثل التعليم على أساس أنها متاحة مجانيا للجميع بغض النظر عن انتشار المدارس الخاصة والدروس الخصوصية . وهناك مثال آخر للقصور البالغ وهو رقم الخاص بتكلفة المسكن التى تظهر فى حساب الرقم القياسى أنها

زادت خلال أكثر من عشرين عاما مضت بنسبة ٢٩,٨ فقط . وواضح هنا أن الجهاز يعتمد تثبيت ايجارات المساكن القديمة ولا يأخذ فى الحسبان الايجارات الجديدة وما يتحمله المستأجر من مبالغ نقدية تسمى « الخلو » أو مقدم الايجار أو تكلفة التشطيب .. الخ ، كذلك هو يهمل ما يتحمله مستأجر المسكن من أعمال صيانة جسيمة ليظل المسكن صالحا للسكن ... وعلى أية حال يظهر الرقم القياسى المنتقد معدل تضخم فيما بين يونيو ١٩٨٦ ويونيو ١٩٨٧ يبلغ ٢٥,١ ٪ وقد آن الآوان لأن تتدخل الحكومة فى الأمر لتحصل على معدل التضخم الفعلى وتعلنه على الكافة حتى يتيسر لكل الأطراف متابعة النمو السرطانى ومعرفة معدلات تسارعه . فكل سياسة اقتصادية لا تأخذ فى الحسبان قضية التضخم تكون غير واقعية ولا مجدية .

• العـلاج •

لقد أطلنا فى الحديث عن أمور يجب أن يعرفها الناس ، وهى ليست موضع جدل يذكر بين المتخصصين ، كما أنها تخلو من المسحات العقائدية . أما العلاج فيحتاج الى مقال آخر ، كما أنه يثير الخلاف لأنه يمس بالحماية أو بالنقص مصالح طبقية واضحة . ونكتفى بالأساس العام للعلاج الذى يمكن أن يلتقى حوله كثير من الاقتصاديين وهو :

مصر عاشت حوالى خمسة عشر عاما تنفق اكثر مما تنتج بنسبة وصلت فى بعض السنوات الى ٢٠ ٪ من الناتج المحلى الاجمالى . ويتعين الآن تصفية هذا الحساب . ومعنى ذلك أن مصر تحتاج الى سياسة تقشف جادة . والى هذا الحد يظل اتفاق الرأى بين الاقتصاديين قريبا من الكمال . ولكننا نلح على شرطين لابد من توافرهما معا فى اى سياسة تقشف جادة حتى تنجح :

ضرورة توزيع اعباء التقشف بين طبقات وفئات المجتمع على نحو يحقق أكبر قدر ممكن من العدل ، كذلك لابد من مناقشة واسعة وعامة حول عناصر سياسة التقشف تجرى فى جو ديمقراطى تماما وتهدف الى الوصول الى تفاهم عام بين مختلف القوى والتيارات السياسية وبالتالى تصبح مقبولة جماهيريا .

الدكتور محمد صلاح الدين

أول من نادى بالحياد ووقف ضد الأحلاف

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

لمع نجم الدكتور محمد صلاح الدين خلال المفاوضات المصرية ـ البريطانية التى جرت فى عامى ١٩٥٠ ـ ١٩٥١ واحرز خلالها شعبية كبيرة بسبب مواقفه الوطنية وتمسكه بحقوق بلاده .. وقد أطلقت عليه الصحافة المصرية حينئذٍ اسم "السياسى الصامت" بسبب حرصه الشديد على عدم الإسراف فى الإدلاء بالتصريحات ، كما أطلق عليه اسم "السياسى المبتسم" لأنه كان يخاطب مستمعيه والابتسامة لا تفارق شفتيه .

● ولد محمد صلاح الدين فى طنطا فى عام ١٩٠٢ وهو ابن طبيب انتمى إلى أسرة بحى الخليفة فى القاهرة . وقد انخرط منذ شبابه فى العمل الوطنى ـ فاشترك فى ثورة ١٩١٩ التى كان خلالها عضوا فى لجنة الطلبة العليا عن مدرسة الحقوق وهى اللجنة التى كانت تنتمى إلى "الوفد المصرى" . ومنذ ذلك الوقت انغمس فى النشاط الوطنى : فكان يخطب فى المحافل وينظم التظاهرات ويطبع البيانات والمنشورات الوطنية ويوزعها على المواطنين ويقدم الاحتجاجات إلى مختلف الجهات ، وكل ذلك مما لفت إليه نظر الزعيم سعد زغلول الذى قربه إليه ـ وازمع وهو رئيس للوزراء فى عام ١٩٢٤ ـ إرساله فى بعثة دراسية الى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه فى القانون . ولو أن سقوط الوزارة على اثر مقتل السردار فى عام ١٩٢٤ قد اجل سفره . وخلال دراسته فى فرنسا أرسل الوفد مكرم عبيد إلى لندن



صورة نادرة يصافح فيها جمال عبد الناصر د . محمد صلاح الدين اثناء اجتماع لجنة الدستور عام ١٩٥٢ .

للدعاية ضد وزارة محمد محمود ، واستعان مكرم بمندوبين عن الجمعيات الطلابية المصرية فى مختلف العواصم الاوروبية الذين عقدوا فى لندن بحضوره مؤتمرا عاما اشترك فيه محمد صلاح الدين باعتباره احد اعضاء الجمعية فى باريس . وبعد ان اتم دراسته عاد الى مصر حيث لم يلبث ان اصبح احد كبار المحامين الوطنيين . وقدر مصطفى النحاس - خليفة سعد - كفاءته ونزاهته فاختاره مديرا لمكتبه فى رئاسة مجلس الوزراء ثم سكرتيرا عاما للمجلس وفى مرحلة تالية عينه وكيلا لوزارة الخارجية . وفى عام ١٩٣٠ كان قريبا من النحاس خلال تفاوضه مع آرثر هندرسون ،

ثم كان له دور فى أعمال الجبهة الوطنية التى تولت المفاوضات فى عام ١٩٣٦ . وفى عام ١٩٥٠ تم تعيينه وزيرا للخارجية فى آخر وزارة وفدية وذلك برغم اعتراض الملك فاروق على ترشيحه بحجة صغر سنه.

الدكتور محمد صلاح الدين

(وكان حينئذ يبلغ الثامنة والأربعين !) ولو انه يحتمل أنه كان يريد أن يعين فيها احد رجاله ، إلا أن النحاس تمسك به تمسكه بالدكتور طه حسين .

وحين اضطلع بمفاوضة الإنجليز في عامي ١٩٥٠ ـ ٥١ كان قد قرأ كل ما يتعلق بالقضية المصرية من وثائق رسمية كما كان قد حضر في سكرتارية النحاس كل مفاوضة اجراها واطلع على محاضر المفاوضات التي اجراها سواه . يضاف الى هذا أن دراسته في مصر كانت قانونية وأن دراسته العليا في باريس كانت قانونية ـ سياسية مما ساعده على الإلمام بكل جوانب القضية المصرية . كما اشتغل بالصحافة فترة لا باس بها وبالمحاماة فترة أطول . وهكذا فإن دراسته وتجاربه كانت تؤهله للتفاوض بمهارة لانتزاع حقوق مصر من المستعمر البريطاني .

● مطالب مصر

وفي ٢٤ ابريل ١٩٥١ حددت حكومة الوفد على الوجه التالي :

١ ـ الشروع في إجلاء القوات البريطانية عن مصر بمجرد عقد الاتفاق على الا يتجاوز ذلك مدة سنة .

٢ ـ تسليم القاعدة البريطانية في قناة السويس إلى القوات المسلحة المصرية بمجرد اتمام الجلاء .

٣ ـ اعطاء أولوية خاصة لتزويد الجيش المصري بالأسلحة والمعدات اللازمة في اقرب وقت باعتبار مصر قائمة في منطقة استراتيجية .

٤ ـ وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري وتمتع السودانيين في نطاق هذه الوحدة وفي مدى عامين بالحكم الذاتي .

٥ ـ عقد اتفاق بين الطرفين يمكن بمقتضاه عودة القوات البريطانية إلى الجهات التي يتفق بين الحكومتين على ضرورة عودتها إليها للمعاونة في الدفاع عن مصر في حالة وقوع اعتداء مسلح عليها او في حالة اشتباك بريطانيا في حرب نتيجة لاعتداء مسلح على البلاد العربية المتاخمة .

٦ ـ إذا عادت القوات البريطانية الى مصر وفقا للبند السابق يتعين الشروع في إجلائها عنها بمجرد انتهاء العمليات الحربية على ان يتم الجلاء برا وبحرا وجوا في مدة اقصاها ثلاثة شهور .

٧ ـ إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وجميع ملحقاتها وكذلك اتفاقي ١٨٩٩ (الخاصين بالسودان) بمجرد سريان الاتفاق الجديد .

وفي اوائل صيف ١٩٥٠ رحب وزير الخارجية البريطاني ـ إرنست بيفن ـ بفتح باب المفاوضات واقترح أن يجرى أولا بين رئيس اركان حرب الامبراطورية البريطانية ـ فيلد مرشال سير وليم سليم ـ والحكومة المصرية بحث رسمي ، باقل علانية ممكنة ، للنواحي العسكرية للمسالة التي تواجه بريطانيا في الشرق الاوسط . ووافقت الحكومة المصرية على ذلك على أساس مبداى الجلاء ووحدة وادى النيل .

وجاء وليم سليم إلى مصر في صيف ١٩٥٠ واوضح للمسئولين انه لا يمكن فصل المسالة السياسية عن المسالة العسكرية واكد وجود "الخطر الروسي

الداهم" وانه لا يمكن لدولة واحدة مقاومته ، وان الحل الوحيد هو تكتل الدولة ذات المصلحة في مقاومته على ان تتنازل كل منها عن سيادتها ، ملوحا بأن بريطانيا ذاتها قد تنازلت هي وغيرها من البلدان عن بعض سيادتها وقبلت وجود قوات اجنبية على اراضيها خاصة بعد ان اطرحت الولايات المتحدة سياسة العزلة واشتركت اشتراكا فعليا في مشروعات الدفاع عن العالم الغربي . واضاف وليم سليم أن مصر والشرق الأوسط سيكونان مجالا لاهتمام السوفييت في حالة نشوب الحرب وانه ليس باستطاعتها ان تنجو بنفسها اذا ما اثرت الحياد - إذ لا تستطيع الحياد إلا إحدى دولتين : إما قوية (ومصر حينئذ قوية) أو صغيرة لا يطمع فيها احد . فإذا عجزت مصر عن البقاء على الحياد اضطرت إلى الدفاع الذي يستلزم حلفاء ، وبريطانيا هي الحليف . وأوضح سليم انه يتطلع إلى نظام للدفاع يظهر بجلاء أن وجود الجيوش البريطانية في منطقة قناة السويس لا يعني الاحتلال باي حال ، بل هدفه الدفاع لمواجهة الموقف الدولي ، وأن باستطاعة السلطات العسكرية المصرية أن تجد نظاما يخدم مصالح البلدين المشتركة .

ورد مصطفى النحاس على كل هذه الحجج بقوله إن الشعب المصري لا يمكن ابدا أن يركن إلى وعود جديدة أو يقبل نظريات مستحدثة ترمي في النهاية إلى إبقاء قوات اجنبية على الأراضي المصرية تحت اى اسم أو باية صفة ، وان ثقة الشعب المصري قد ضعفت في وعود بريطانيا ونظرياتها وكذلك بالنسبة إلى الدول الكبرى المسيطرة على العالم ، وانه يجب البحث عن طريقة اخرى في تعاون من نوع جديد يحقق الجلاء عن قناة السويس ويكفل المصالح المشتركة ، وانه لا توجد قوة في العالم تستطيع ان تقنع الشعب المصري بان مصر ستكون مقصودة لذاتها بالهجوم بحكم ان وجود جيش اجنبي على اراضيها هو الذي سيعرضها للهجوم الروسي . وفي ٦ يونية ١٩٥٠ ادلى النحاس ببيان شامل عن مطالب مصر وأهمية الجلاء عن قناة السويس خاصة وان الدول المجاورة لروسيا - كتركيا وإيران - وهي الدول المعرضة لخطر الغزو المباشر ، لم تكن فيها قوات احتلال اجنبية وان بريطانيا في يدها الكثير من القواعد الجوية والاستراتيجية في البلاد المحيطة بمصر كمالطة وقبرص وبرقة والاردن مما يسهل إرسال القوات منها الى مصر في حالة نشوب الحرب . واوضح النحاس أن مصر مصممة على جلاء القوات البريطانية عن اراضيها جلاء ناجزا وانها ستقوى جيشها وتزوده باحدث الأسلحة والعتاد على ان تتبادل الحكومتان الراى حين تنشب حالة تهدد الامن في الشرق الأوسط . وإذا وقع اعتداء مسلح على مصر أو إذا دخلت بريطانيا الحرب نتيجة لوقوع اعتداء مسلح على إحدى الدول المجاورة لمصر فإن مصر تتعاون عسكريا داخل حدودها وفي نطاق إمكانياتها مع بريطانيا للدفاع . وفي مثل هذه الأحوال اذا تبين ان من الضروري استقدام قوات بريطانية إلى الأراضي المصرية فإنها ستلقى جميع التسهيلات لاستقبالها بعد الاتفاق عليها مقدما على ان تغادر القوات البريطانية الأراضي المصرية بمجرد انتهاء العمليات الحربية .

ولكن سليم اصر على ضرورة وجود القوات البريطانية على الأراضي المصرية

الدكتور محمد صلاح الدين

فى وقت السلم بحجة ان دول الدومنيون (الكومنولث) لم تكن تقبل إرسال قوات لمساعدة مصر إذا لم تكن القوات البريطانية فى مصر بالفعل . ثم بين لوزير الخارجية المصرى انه ليس من مصلحة مصر إزالة المنشاة والقواعد البريطانية من منطقة قناة السويس ثم محاولة إعادتها بعد ذلك على اساس جديد على اعتبار أن ذلك غير عملى ، وذهب إلى ان من الضرورى ، لأسباب تتعلق بالدفاع ، وجود قوات عسكرية لتكون فى حالة تسمح باستخدامها فى وقت قصير وان يكون بها فنيون وموظفون إداريون . وكان رد صلاح الدين ان مصر مصممة على الدفاع عن

نفسها وهى توافق على عقد محالفة دفاعية مع بريطانيا بشرط الجلاء الناجز الكامل ، وان تكون هذه المعاهدة معاهدة الند للند على قدم المساواة . إلا ان الجانب البريطانى اصر على ضرورة توافر قاعدة

صورة حديثة للدكتور محمد صلاح الدين (على اليسار) مع شقيقه .



تكون معدة لاستقبال جميع النجدات فى الحال وهذه القاعدة هى قناة السويس .

● تيار الوحدة من قديم الزمن

اما فيما يتعلق بالسودان فقد أصر الجانب المصرى على ضرورة وحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى فى حين اصر الجانب البريطانى على ضرورة أن يكون للسودانيين رأى فى تقرير مصير بلادهم . واستغل السودانيون النزاع المصرى - البريطانى فى التوصل إلى الاستقلال عن كل من دولتى الحكم الثنائى مما جعل الجانب المصرى يتهم الانجليز بمحاولة فصل السودان عن مصر وإلحاقه بالامبراطورية البريطانية . وعلى حين كانت حكومة الوفد تربط بين مسألتى الجلاء والسودان كان الجانب البريطانى يصر على فصل كل من المسألتين عن الأخرى . ولم يبد اى من الطرفين رغبة فى التوصل إلى حل وسط مما جعل المفاوضات تتسم بالتوتر والتصلب . فقد ابدى البرلمان البريطانى تمسكه بعدم الجلاء عن مصر دون احتياط للمستقبل ، فى حين تعرضت حكومة الوفد لضغط المعارضة والصحافة المصرية التى كانت تثير روح العداء للانجليز وتتهم الحكومة بالفساد واستغلال النفوذ ، فى الوقت الذى كان فيه الرأى العام يضغط على الحكومة عن طريق التظاهرات والاضطرابات . ولما كان الانجليز على بينة من حقائق الموقف فإنهم اصطنعوا البطء فى إجراء المفاوضات على امل استهلاك صلابة المفاوضين المصريين الذين قد ترغمهم الظروف على التضحية بالمكاسب الآجلة والتركيز على هدف مباشر .

وحاولت الولايات المتحدة التى أبدت انزعاجها من الموقف فى ايران وانعكاساته المباشرة فى منطقة الشرق الأوسط ومن ثم مساندتها للموقف البريطانى من المفاوضات من زاوية اتخاذ الاحتياطات اللازمة للدفاع عن الشرق الأوسط حاولت أن تتوسط بين طرفي التفاوض . ولفت صلاح الدين نظر الامريكان إلى انه لا ينظر إلى الدفاع من وجهة نظر مصر وحدها ، بل أيضا من وجهة نظر بريطانيا كذلك ولكن بشرط أن يتحقق ذلك بطريقة معقولة من زاوية الدفاع عن الشرق الأوسط ، مشيرا إلى أن من حق دول المنطقة قبل غيرها أن تدافع عن أراضيها ومؤكدا ان مصر ستحافظ على فعالية قاعدة قناة السويس حتى تكون صالحة للاستعمال فيما لو نشبت الحرب . واضاف إلى ذلك ان مما لا شك فيه أن المحصلة النهائية ستتوقف إلى حد كبير على المساعدة التى سوف تقدم للجيش المصرى وعلى المساعدة الاقتصادية التى ستقدم لشعوب المنطقة . ولخص وجهة نظره بان مصر والبلدان العربية مستعدة للمساهمة بنصيبها فى الاستعداد العام لمواجهة العدوان والمحافظة على السلام وعلى وحدة الأمم الحرة فى العالم ، ولكنها من ناحية اخرى تصر على أن يكون لها الرأى الأول فى أراضيها وعلى أن تأتى المساعدة التى تبذلها بلدان أخرى فى المحل الثانى وحين يحتاج إليها الأمر بشرط الا يترك كل عبء الدفاع على عاتق بلدان تقع خارج المنطقة .

كما اصر صلاح الدين على ربط مسألة الجلاء بمسألة السودان وهو ما لم تقبل به كل من بريطانيا والولايات المتحدة . وحين لوح السفير الأمريكى فى القاهرة - جيفرسون كافرى - بالخطر السوفييتى

الدكتور محمد صلاح الدين

الذى ادعى انه اخطر من الامبريالية البريطانية واكد على ضرورة بقاء القوات البريطانية استعدادا لمواجهة الروس كان رد صلاح الدين انه يدرك خطر "الامبريالية الروسية" التى كانت بعيدة عن إدراك الشعب المصرى الذى لم يسبق له ان راى جنديا روسيا او تعرض للاحتلال الروسى . وحين لوح الجانب البريطانى بأن السودانيين لا يقبلون بالسيادة المصرية اجاب صلاح الدين بأن من حق السودانيين ان يقرروا مستقبلهم ولكن ليس فى الوقت الذى يسيطر فيه الإنجليز على السودان مما يشكل نوعا من العداون .

ولما كانت السفارة البريطانية فى القاهرة تعتقد ان حكومة الوفد تخشى ان تواجه قلاقل قد لا تستطيع السيطرة عليها ومن ثم تفضيلها عدم التوصل إلى اتفاق سيىء قد يثير ضدها الرأى العام فإنها بينت لحكومتها نوع المصاعب التى تواجهها حكومة الوفد مما جعل الحكومة البريطانية تتشدد فى موقفها خاصة وقد تولى وزارة الخارجية البريطانية هربرت موريسون المعروف بميوله الصهيونية وكان يختلف عن إرنست بيفن المتهم بميوله العربية من زاوية خطط الدفاع البريطانية . وإزاء مساندة الدول العربية لمصر فى موقفها من المفاوضات ابدت الولايات المتحدة انزعاجها وسعت إلى التوصل إلى حل وسط يقضى باشتراك قوات متعددة الأطراف فى الدفاع المشترك وهو مالم يوافق عليه صلاح الدين ولم يرفضه فى الوقت الذى ابدت فيه الدوائر البريطانية استعدادها لاحتلال القاهرة فيما لو لم يتسن التوصل إلى حل مرض وهو ما كانت تعارضه الولايات المتحدة بسبب ما قد يترتب على ذلك من آثار ، ولو ان الجانب البريطانى لم يكن يخشى شيئا بسبب سيطرة القوات البريطانية على الموقف تماما فى منطقة قناة السويس وإمكان الانجليز الرد على اى عمل عدائى مصرى دون استخدام القوة وذلك نتيجة لسيطرتهم على الانابيب التى تمد القاهرة بالكيروسين وعلى المواصلات التى تربط مصر بالعالم الخارجى . وإزاء التدخل الأمريكى بدا العسكريون والدبلوماسيون الانجليز والامريكان يضعون الخطط الخاصة بإنشاء قيادة للشرق الاوسط تضم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزيلنده وجنوب افريقيا وتركيا واسرائيل والبلدان العربية بما فيها مصر - وكانت تركيا واليونان قد انضمتا إلى حلف شمال الاطلنطى . وبحلول اغسطس ١٩٥١ كانت الولايات المتحدة وبريطانيا قد قررتا إنشاء قيادة للشرق الاوسط من شانها ان تساعد المصريين والبريطانيين على حل خلافاتهم حول مستقبل قاعدة قناة السويس .

● القرار .. لم يجد قبولا

ولكن هذا الحل لم يجد قبولا من محمد صلاح الدين مما ادى إلى قلق النحاس الذى لم يستطع ان يفعل شيئا بحكم ان وزير خارجيته كان الوزير الوحيد فى حكومة الوفد الذى يتمتع بشعبية حقيقية ومساندة عامة بحيث كان اكثر خطورة وهو خارج الحكم منه وهو فى السلطة . وحلا للموقف راى السفير الامريكى فى القاهرة ضرورة إقصاء صلاح الدين عن وزارة الخارجية اثناء وجوده فى باريس ، وهو ما

كان يحث عليه كل من فؤاد سراج الدين (وزير الداخلية) والسراى (١) التى كانت تسعى جاهدة حتى ذلك الوقت إلى عدم تفجير الموقف بإقالة الوزارة الوفدية برمتها .

وكسبا للوقت انضمت تركيا إلى الولايات المتحدة وبريطانيا فى دعوة مصر إلى الاشتراك فى قيادة الشرق الأوسط . إلا أن البعثة الأمريكية - البريطانية الفرنسية لم تصل إلى انقرة حتى ١٣ اكتوبر ، وحينئذ كانت حكومة الوفد قد ألغت معاهدتى ١٨٩٩ و ١٩٣٦ . وفى ١٣ اكتوبر قدم المشروع الى الحكومة المصرية التى رفضته رسميا فى ١٥ أكتوبر مما جعل الملك فاروق ، الذى كان اميل الي المشروعات الغربية ، يتحين الفرص لاقالة الوزارة الوفدية التى كان موقفها من المفاوضات - فى رأيه - كفيلا بتفجير الموقف الداخلى بالشكل الذى قد يتهدد عرشه . ولم يستطع فاروق ان يقبل وزارة الوفد التى وضعته فى مركز حرج امام الرأى العام وسمحت بالعمل الفدائى فى منطقة قناة السويس ولم تتراجع عن إلغاء المعاهدة وتحريض العمال المصريين فى منطقة القناة على ترك الخدمة فى المعسكرات البريطانية . ولكن حريق القاهرة الذى شب فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ سهل له إقالة الوزارة الوفدية فى اليوم التالى .

ويصف محمد صلاح الدين الفترة الممتدة بين حريق القاهرة وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بأنها "الفترة التى نفذت فيها السياسة الامريكية الخبيثة فى مصر ثورة استبدادية لمصلحة الملك ضد الديمقراطية المصرية" . فقد اقدم الضباط الأحرار فى بداية الثورة على وقف الحياة النيابية وحل الاحزاب القائمة بحجة تطهيرها وقاموا بمحاكمة بعض زعمائها امام "محكمة الثورة" . ورغم ذلك فقد القى محمد صلاح الدين فى عام ١٩٥٤ خطابا فى نقابة المحامين طالب فيه الضباط بالدستور . وفى اثناء العدوان الثلاثى اجتمع هو وفؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وارسلوا مذكرة إلى الرئيس جمال عبد الناصر يضعون فيها خبرتهم وتجاربهم تحت تصرفه وقالوا فى مذكرتهم إنهم لا يريدون من وراء مطلبهم هذا سوى ان يكونوا مجرد مواطنين متطوعين فى المعركة . وبعد انتهاء العدوان الثلاثى شكلت محكمة خاصة لمحاكمة مقدمى المذكرة لانهم وقفوا فى المحكمة وطالبوا بإيجاد مؤسسات دستورية وقوانين وقضاة لا يخضعون لسلطة الحكام . وبعدها عمل صلاح الدين مستشارا ووضع القوانين والانظمة لوزارة الخارجية الكويتية ثم انتقل إلى تونس حيث قام بتدريس القانون الدولى فى الجامعة إلى أن عاد إلى القاهرة فى يونية ١٩٧٤ .

وفى ختام هذه الكلمة لابد من توجيه تحية صادقة إلى هذا الوطنى الغيور الذى خدم مصر بقدر جهده وقاسى فى المنفى الام الغربة ومرارتها مما أورثه المرض ، راجين أن يكرمه الوطن فى شيخوخته ومرضه على ما بذله من جهده فى النضال الوطنى .

(١) رسالة من جيفرسون كافرى إلى وزارة الخارجية بواشنطن بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ .



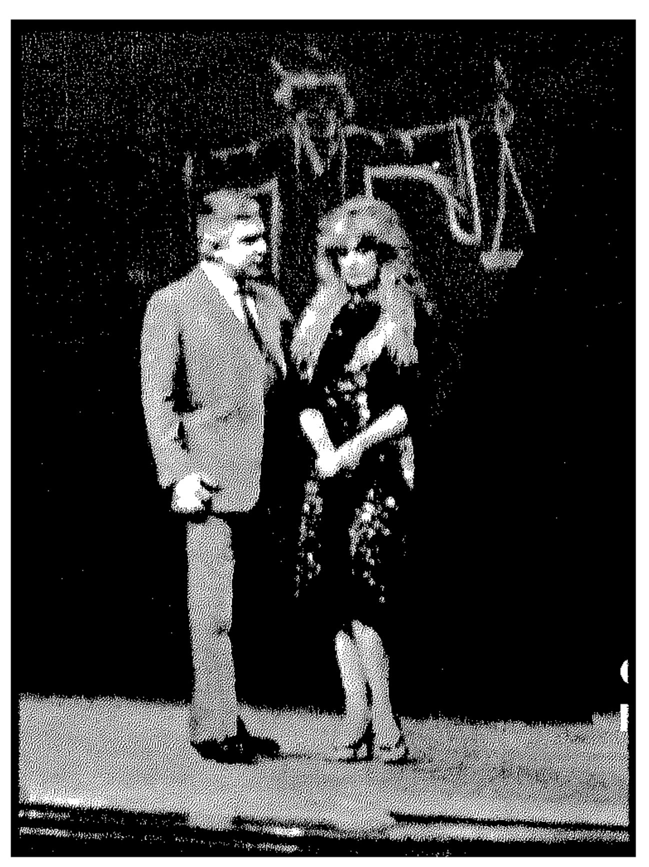


بقلم : صافى ناز كاظم

المخرج الفنان جـــلال الشرقاوى وراء هـــذا «الانقلاب» : مخرجا ومنتجا ومنفذا لعمل مسرحي نادر الدقة والانضباط والنظـافة من منظور رؤية مسرحيـة فنية منفصلة عن تحفظات الرؤية الفكرية والمنظـور الاسلامي الذي احمله .

● جلال الشرقاوى رجل مسرح من الجرس القديم ـ ان جاز لنا هذا التعبير ـ تميـــزت اعماله منذ البداية بالحيوية وخفـــة الظل والحضور المتأجج والايقاع الذى لا يسمح بدبيب نملة ملل واحـدة . يلجأ الى الابهار نعم لان نزعتـــه الاساسية ، التى تقوده فى تشـكيله الفنى ، تهدف الى تقديم عرض يجمع بين الفكرة الجادة التى تلمس محزات سياسية لها طابع الاثارة وبين المرح والمتعة وجذب الجماهير . برز جـلال الشرقاوى فى مرحلة الستينيات كواحد من اهم ثلاثة مخرجين : هو وســعد أردش وكرم مطاوع . افضل اربعـــة اعمال له فى فترة الستينيات ومطلـع السبعينيات عرضان من تاليف نجيب سرور هما : « آه ياليل يا قمر » سنة ١٩٦٧ و « ملك الشحاتين » ١٩٧٠ ١٩٧١ ، وعرضان من تاليف على سالم هما : « عفاريت مصر الجـــديدة » و « انت اللى قتلت الوحش » ١٩٦٨ ، ١٩٦٩ . العرضان المذكوران اولا كانا شعرا حاول من خـــلالهما ان يلامس فكرة تقديم الاوبريت الغنائى حـــول محاور لها اسقاطات سياسية تتلخص فى النهاية بادانة القهر والاســاليب البوليسية ، اما العرضان المذكـوران ثانيا من تاليف على سالم فكانا يحققان تقديم الكوميديا المرة التى تدور كذلك حول نفس محاور ادانة القهـر وكبت الحريات . وكانت كل هذه العـروض من انتاج مسرح القطاع العــام اى مسرح الدولة التى تســتهدفها تلك





لقطتان من اوبريت « انقلاب » بطولة نيللي- وايمان البحر درويش

العـــــروض بالنقد واللمز مما كان يضطره الى الالتفاف حـــول الفكرة بالرمز غير المباشر وموازنة التمـرد بالتلطف • ثم دارت الايام واختـــلف الزمن وتغير موقع جلال الشرقاوى من مخرج خاضع لتعليمات لوائح القطاع العام الذى يعمل فيه موظفا وفنـــانا خاضعا لضغوط دولة بوليســـــية ديكتاتورية فى الستينيات الى صاحب فرقة فنية قطاع خـــاص فرقة الفن لا يخضع فيها الا لنفسه ولحسـابات المكسب والخسارة فى ظرف سـياسى يسمح بطقس من الحــــريات فى الثمانينيات اكبر كثيرا فى مساحتهـا من اى فترة سبقت سواء فى الستينيات او السبعينيات •

عناصر مبدعة

دار الزمن واصبح جلال الشرقاوى فى موقعه الجديد هذا الذى تشـــكل منذ عام ١٩٨٢ وقدم العديد من الثمار اخرها هذا العرض للاوبريت الغنائى « انقلاب » موضوع هذا المقال •

آخر عرض شـــاهدته لجـــلال الشرقاوى كان « ملك الشــحاتين » وكنت سعيدة به غاية السـعادة وكان ذلك منذ ثمانية عشر عاما تقريبـــا ولذلك لم اكن قلقة وانا ادخل مسرح فرقة الفن بشارع رمسيس لاشاهد آخر اعمال جلال الشرقاوى : « انقلاب » ، فقد كنت انشد الحد الادنى وهو : الا اشعر بالضجر الذى خيم على قلبى فى تجارب عروض مسرح قطاع خـــاص



لا داعى لنكرها • كل العناصر وراء « انقلاب » عناصر مبدعة فى فنها — تختلف معها فى الفكر او الاتجاه لكنك لابد ان تعترف بقوتها واصالتها: « صلاح جاهين » مؤلف العرض شعرا ودراما ، « محمد نوح » مؤلف العرض موسيقيا ، « ايمان البحر » الذى تميز اسلوبه فى الغناء بالنبل والسلاسة والاقتراب من القلب ، « نيللى » التى تلتقى بكل المقاييس مع نظائرها من نجمات الاستعراض فى العالم• تجييش **كل هذه العناصر الاساسية القوية لابد ان تريح المخرج وتقلقه فى ان واحد اذ لابد ان يستحضر لها ذهنه المتوقد كاملا ليستطيع ان يسيطر على حركة هذه العناصر معا فى انسجام لتنصهر فردية كل عنصر فى وحدة كلية ، وتنمحى رغبة كل شخصية فنية فى البروز وحدها والهيمنة لتصب كل الشخصيات امكانياتها فى بؤرة العمل•** مثل المخرج هنا مثل قائد عربة تسوقها جياد متمردة عفية لابد ان يفرد لهـا بدوره عضلاته القوية ويقظته القصوى ليبلغ بها مقصده المنشود فى سلامة• وهذا ما فعله وبلغه جلال الشرقاوى فى اوبريت « انقلاب » ، اول اوبريت غنائى مصرى متكامل يعرض على خشبة المسرح منذ اوبريت « العشرة الطيبة » لسيد درويش •

***

محور الاوبريت « احمد محروق الهمزانى » ، الذى يؤديه « ايمان البحر » ، شاعر سياسى تحريضى يؤلف ويغنى اغنيات تعبر عن الشعب المقهور وتقود وعيها للنهضة والثورة• نتيجة لذلك هو نزيل شبه دائم للسجون والمعتقلات يقضى من الوقت داخلها اكثر مما يقضى خارجها • يعيش فى غرفة بسيطة معتمة السلم فى حى الحسين وله اصدقاء من الحرافيش والصعاليك والحشاشين كلهم ضحايا المجتمع الذى يحكمه القهر وكبسات البوليس المروعة • فى حياة احمد قصة حب كبيرة بطلتها ابنة عمه « ليلى عثمان الهمزانى » التى تؤديها الفنانة « نيللى » • تتم خطبة ليلى واحمد رغم معارضة ام ليلى التى لا تحب احمد لانه نزيل السجون معظم الوقت ولانه بسبب ذلك لم يتمكن من التخرج فى الجامعة وظل فى السنة الاولى بكلية الهندسة بينما تخرجت ليلى فى الجامعة ، كذلك قام ليلى استطاعت بحكم خلفيتها الاجتماعية ان ترتفع بأبى ليلى طبقيا بينما ظل شقيقه والد احمد مجرد فلاح فقير هو وزوجته الريفية البسيطة لكن ليلى بقوة حبها لاحمد تستطيع أن تصمد عشر سنوات تنتظر امكانية أن يتوب (!). احمد عن خطه السياسى ونهجه الفنى الثورى وتدعوه الى كتابة ما يمكن ان يرضى الاذاعة والتليفزيون لكى تنتشر موهبته ويلمع نجمه ويحقق النجاح الذى يلقى قبولا لدى اسرتها والطقس العام • لكن احمد يرفض أن يسخر موهبته لغير خدمة قضايا الشعب ولو كان الثمن التشرد والملاحقة البوليسية • وفى أحداث سبتمبر الشهيرة عام ١٩٨١ عندما تم القبض على كافة ممثلى الشعب من شيوخ وقسس ويمين ويسار وتيار اسلامى يتم القبض على احمد بينما هو يستمع الى تحذير صديقه « حسن الاسمر » المغنى الشعبى بالهرب •

يدخل احمد السجن ويتم استدعاء ليلى الى المباحث وتمارس عليها الضغوط لكى تتخلى عن احمد وتفسخ خطبتها منه . وتتوحد شخصية الضابط الكبير قائد حملة الاعتقال ويؤديها فنان الاوبرا « حسن كامى » - مع شخصية سفير الدولة الذى يتقدم باغراءات المال والجاه ، لكى يتزوج ليلى التى تغلب على امرها فى البداية ثم تستكين لحياتها المرفهة الجديدة .

تتغير ظروف البلد وتأتى الانباء بالافراج عن المعتقلين كافة ويخرج احمد مع صديقه المغنى الشعبى حسن الاسمر ويتساءل كيف لم تستقبله ليلى حتى يعرف انها تزوجت وهنا ينهار احمد - كما انهار من قبل قيس بن الملوح ، مجنون ليلى القديم - ويغنى مشببا بها - متغزلا فى محاسنها ذاكرا لها باسمها صراحة - وتصل اصداء الاغنيات الى زوج ليلى فتثور غيرته ويقسو عليها بينما هى تحاول أن تنقل اليه خبرا يسره بانها تحمل له جنينا فى رحمها .

وتذهب ليلى غاضبة الى بيت اهلها ثم تقرر ان تواجه احمد لتطلب منه عدم ذكر اسمها ، فيزداد انهيار احمد وينغمس فى المخدرات مما يؤدى به الى الهلوسة ويدخل مستشفى الامراض العقلية حيث تحاصره الكوابيس والرؤى الكئيبة التى تصور له ليلى ضحية تحت براثن زوجها الذى يمثل رموز كل قوى القهر والسحق ، فيفر من المستشفى مدفوعا لانقاذها ويدخل بيت ابيها حاملا مسدسا وهو يدعوها الى الهرب معه بينما ليلى منحازة الى زوجها الذى كان قد جاء منذ برهة لتسامحه وتعود الى بيتهما .

يصاب احمد بالهزيمة والاحباط ونراه بين مجموعة من مجاذيب الحسين فى حلقة ذكر يغنى « أغثنا أمركنا » ، ثم يستدير فجاة ليطلق الرصاص على زوج ليلى الذى كان يهبط من سيارته وتطوقه قوات البوليس مصوبة نحوه بنادقها وعندها تقتحم ليلى الموقع لتوقف هذا القتال الذى اندلع بمشهد ختامى مفاده أن تبادل العنف ليس وسيلة للوصول الى حل المشكلات ، وتعلن انها تحمل جنينا - هو الجيل الاتى - الذى سوف تعمل على تنشئته لكى يختلف عن ابيها وعن زوجها وعن حبيبها احمد : فهى ترفض النماذج الثلاثة والمفروض انها سوف تطرح الافضل بديلا عنهم جميعا . وينتهى الاوبريت .

***

هذا هو الخط العام للاوبريت وهو كما يتضح ملىء بالنقاط غير المنطقية، فما الذى وجده شاعر ثورى مثل « احمد الهمزانى » فى شخصية مثل « ليلى » لكى يحبها كل هذا الحب الذى يؤدى الى انهياره وهى الشخصية التى اختارت ان تستسلم وتخضع للزواج من رمز القهر ، وما هى المؤهلات التى تحملها مثل هذه الشخصية - اعنى شخصية ليلى - لكى تملك قدرة رفض نماذج ابيها وزوجها وحبيبها وترشح نفسها لكى تتحمل مسئولية طرح البديل الذى يفترض ان يكون هو الامل المرتقب رغم أنه جنين من تزاوجها مع القهر وهى التى تحددت ملامحها منذ بداية العرض الى نهايته كعامل مثبط معارض مقاوم لكل مقومات شخصية احمد الثورية والفدائية حتى يمكن ان يقال انها المسئولة مسئولية مباشرة عن سقوطه منهارا حتى حافة الجنون واعماق اليأس .

ومع ذلك فلقد استطاع جلال



انقلاب

الشرقاوى ان يجعلنا نتسامح ونتجاوز هذه الرؤية العامة غير المستقيمة بنجاحه فى كسبنا الى جزئيات أرضنا وانعشتنا ، فنحن مع تجسيده الفذ للقهر الكريه والغطرسة البوليسية المهيمنة والخانقة ، وتوحيده بين القهر البوليسى والزوج المستبد حين صور لحظة الزفاف لحظة اغتصاب الذى اداهما بامتياز واقتناع الفنان « حسن كامى » ، ونحن مع مشاهد الحب الرقيقة التى تؤرقها ضغوط الواقع والتزاماته على احلام المثل العليا والغايات النبيلة ، تلك المشاهد التى تألق فيها « ايمان البحر » مع «نيللى» غناء وحركة وشفافية ، ونحن مع مشهد ادانة احداث اعتقالات سبتمبر الغاشمة عام ١٩٨١ ، الذى كان لوحة جماعية تثلج الصدر وتبرد العين ومع مشهد لوعة الام الذى آتته «زينب يونس » بأسى صادق وحزن جليل ·

ونحن مع الانضباط الراقى بين المشاهد السينمائية وعبورها وتبادلها — فى دقة مذهلة — مع مشاهد المسرح الحية ، مما أعاد الى هذه الفنية القديمة فى الاخراج الرونق والجدة والتوظيف الذى يلبى احتياج الضرورة بالقدر المطلوب · لكننى لم استطع ان أهضم الخلط بين الاسلام والدروشة او الانجذاب اذ يوحى المشهد الاخير بذلك ، خاصة وان العرض يقع بين قوسين يمثلان رمزا اسلاميا ، فهو يبدأ بلقطات على الشاشة تركز على كلمة « الله » المضاءة على واجهة مسجد الحسين وينتهى بنفس اللقطات بما يوحى بأن ما يحدث يتم فى اطار اسلامى وهذا غير صحيح وغير مقبول وكان من الواجب ان يتجنب العرض هذه الايحاءات ·

بقيت كلمة عن البناء الموسيقى الجميل والممتع والانسانى ، الذى أقامه الموسيقار محمد نوح على الصياغات الشعرية الفذة للراحل الشاعر صلاح جاهين · ويحكى ان محمد نوح شاهد مع صلاح جاهين عرض أوبريت « الشخص » للرحبانية فثارت غيرة صلاح جاهين وقال لصديقه : « ألا نستطيع أن نقدم « اوبريت » مصرى اعلى منها ؟ ·

وكان التحدى حين جلس الفنانان صلاح جاهين ومحمد نوح معا · عام ١٩٨٣ يكتبان هذا العمل ويجدلانه شعرا وموسيقى بحب وتوافق وتعاون ليخرج من بين أيديهما جياشا ساخنا مطربا للنفس والاذن · وقد استطاع محمد نوح ان يعطى كل صوت ما يفجر امكانياته ويريحه سواء أكان صوتا أوبراليا مثل « حسن كامى » ، أم صوتا شعبيا مثل « زينب يونس » أم بلديا مثل « حسن الاسمر » · ولقد استطاع « ايمان البحر » من خلال موسيقى محمد نوح أن يطلق طبقات صوته التى تعود أن يحبسها فتأكدت قوة صوته مع احتفاظه بدفئه وحساسيته وسماته الودودة الراقية · وكذلك بدا لى كأنى اسمع صوتا جديدا لنيللى أنضج واعرض وادق مما تعودنا سماعه منها من قبل ·

***

اهم ما فى هذا العرض الريادى التى لم اشعر فيه بلحظة ملل ، بل اكثر من ذلك اننى خرجت منه منتعشة احتضن هواء الساعة الواحدة والنصف صباحا الثلج بصدر رحب مستعدة كذلك لتلقى رذاذ المطر ·

رأى فى الثقافة ضرورة « نادى الرواية »

اصبحت الرواية العربية فى مصر الآن موضع اهتمام العالم أجمع ، هذه حقيقة "جديدة" يجب الالتفات اليها بجدية ، ويجب العمل على تنميتها دفعا لحركة الابداع فى هذا الفن الذى يكاد يصبح الآن "ديوان العرب الجديد" ربما لأنه أكثر أشكال الفن - فى تقديرنا على الأقل - تعبيرا عن العصر الذى نعيش فيه بمشاكله وتعقيداته المركبة .

وإذا بحثنا عن "مكان واحد" يلجأ اليه من يريد من المترجمين او النقاد او حتى المبدعين عن الاطلاع على "تراث" الرواية العربية فى مصر فإننا سنفاجأ بأنه غير موجود . لذا فالضرورة تقتضى الآن أن ينشأ ناد جديد للرواية تكون مهمته الأولى جمع النصوص وما كتب عنها من كتب ودراسات وابحاث ورسائل جامعية ، وجمع أرشيف كامل من الصور والمعلومات عن كتاب القصة والرواية وما ترجم لهم حتى يكون مركزا علميا قائما على أسس حديثة يلجأ اليه من يريد البحث أو الترجمة او الدراسة .

فهناك نصوص روائية وقصصية عديدة غير متوفرة خاصة من أعمال الرواد القدامى ، ومن الممكن أن يكون صعبا نشرها من جديد ، كما أن مشكلات عديدة تحدث بالنسبة لقضية ترجمة النصوص ، أو العثور على ببلوجرافيا للكتاب أو أعمالهم ، والحل الوحيد لكل هذه العقبات التى تقف فى طريق تنمية إبداع الرواية المصرية هو إنشاء ناد جديد يعمل بروح جديدة تكون مهمته الأولى أن يكون محجا لمن يريد أن يعرف الصورة على حقيقتها وفى إطارها الشامل .

● عبده جبير

لقاء بين عدد من كتاب مصر وأميل حبيبى

يوم الجمعة الموافق ١٣ من يناير الماضى عقد بأتيليه القاهرة للكتاب والفنانين لقاء تعارف بين الاديب الفلسطينى الزائر لاول مرة لمصر "اميل حبيبى" وعدد من كتاب مصر وشعرائها على راسهم محمد عفيفى مطر وعبد الحكيم قاسم وعبده جبير ونصار عبد الله ومحمد سليمان وعبد المنعم رمضان وإبراهيم عبد المجيد ومحمود الوردانى واعتدال عثمان ومدحت الجيار وغيرهم .

رحب الجميع بهذا اللقاء المفتوح وتركوا المضيف الكبير لكي يعبر عن مشاعره بهذا اللقاء ، واحاسيسه التى يستشعرها في اول زيارة له لمصر فى حياته المديدة .

قال "اميل حبيبى" انه جاء إلى بلده مصر وهو مشحون منذ الطفولة بثقافتها التى تلقاها فى المجلات والصحف والكتب التى كانت ترد الى فلسطين قبل النكبة عام ١٩٤٨ وانه كان هو وزملاؤه فى هذه الفترة البعيدة يشاركون فى المعارك الأدبية والسياسية فيتحزبون لهذا الكاتب فى معركته ضد خصمه ، كما يتحيزون لهذا الحزب او الاتجاه السياسى وكان مايجرى فى مصر يجرى فى فلسطين ، وحين ذهب العقاد الى زيارة فلسطين بدعوة من مكتب الاستعلامات البريطانى نظم اميل حبيبى بنفسه مقاطعة لجولة المحاضرات التى قام بها هناك فى نفس الوقت الذى رحب وحشد الجماهير لعدد آخر من الكتاب المصريين الذين جاءوا بدعوات من هيئات فلسطينية لالقاء محاضرات هناك .

قال اميل حبيبى انه وحتى الآن يتابع الثقافة العربية الآتية من مصر حتى جيل الشباب وإن كان يأسف الى انه يطلع على الانتاج المصرى بصعوبة وبعد سنوات من صدوره إلا انه اكد على ان ادباء الداخل الفلسطينى يعرفون كل مايجرى فى ساحة الثقافة المصرية ويتابعونها .

وتوقف اميل حبيبى امام حصول كاتبنا الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل وقال إن نجيب محفوظ هو معلم . ودائما لدينا فى فلسطين نقاش ، وهو نقاش حق عن كل مايقوم به نجيب محفوظ وكل ما يكتب ، ولا يعنى هذا ان نمحو تراثنا او اننا نستطيع


اميل حبيبى

ان نمحو تراثنا . فها نحن اولاء بسموخنا وبزلاتنا ، بحسناتنا وبسيئاتنا هكذا نحن ، شعب ضمن الشعوب . نحن لسنا متعالين . نحن شعوب مضطهدة ويكفى ان يدرك العالم اننا متساوون مع بقية شعوب الأرض .

نحن متساوون مع الآخرين ، ومع ذلك ، وحين نراجع حضارات الشعوب الاخرى نستطيع ان نتباهى على بقية الشعوب الاخرى بحضارتنا .

كل تاخرنا الذى نعيشه الآن لم يولد فى وسطنا آفة النازية وكل تقدم المانيا وحضارتها وثقافتها لم يمنع ان تنشا النازية بين ظهرانيها . يعيروننا بان بتاريخنا ارتكبت مجازر قديمة وطائفية ، ولكن كل مجازرنا تظهر نقطة فى بحر امام ما ارتكبه من مجازر داخلية فى تاريخ اوربا .

واضاف الزائر الكبير : لقد سئلت ماهى مشاعرك ساعة وطات قدماك ارض مصر . فقلت ان من له صديق مثل الشعب المصرى فلا خطر على مستقبله .

ثم دار نقاش مفتوح حول اعماله الأدبية ونشاطاته السياسية وتلامسه مع التراث العربى فافاض اميل حبيبى إفاضة العاشق لتراثه المستوعب له مؤكدا على ضرورة الاستفادة من تراثنا العربى العريق .

المسرح الراقص وتجديد الدماء

كما قال وكرر الدكتور على الراعى فإن الخروج من ازمة المسرح المصرى التى يعانيها الآن ، يمكن أن تكون عبر تجديد دمائه ، بأشكال مسرحية جديدة ومستحدثة ، ودفع المحاولة الرامية الى تطعيمه بالمسرح الغنائى الراقص وماطرأ عليه من تجديدات .

ولعل فى بعض المحاولات الجادة التى جرى عرض بعضها فى الفترة الراهنة بعض الأمل فى السير فى هذا الطريق .

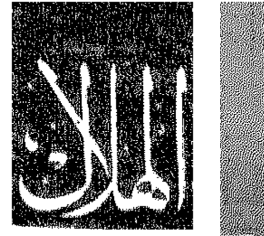
وضمن هذه العروض المتميزة جاءت هذه الليلة المسرحية التى قدمتها فرقتان ، اولاهما هو عرض "تانز تياتر" او المسرح الراقص الذى انبثق فى المانيا فى السنوات الأخيرة ورأينا العام الماضى تجربتين له قدمهما الناقد والراقص الألمانى "توربرت سيرفوس" . كانت التجربتان ناضجتين مما دفع بعض العاملين فى مجال الابداع المعاصر إلى معاودة الكرة ، فدعى توربرت سيرفوس ليعرض عمله الاخير "سيزيف" وليختبر إمكانيات المسرح الراقص مع مجموعة من الراقصين تحت إشراف الدكتور عبد المنعم كامل ، ومع ممثل واحد هو احمد كمال ، وذلك من خلال إعداد اول نموذج للمسرح الراقص فى مصر ، مستوحيا فى عمله أسطورة جلجامش من حضارة ما بين نهرى دجلة والفرات

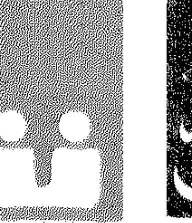
وهذا المسرح الراقص موجود فى اصوله في الطقوس البدائية وفى كتابات "روبرت آرتو" عن مسرح القسوة ، وفى تجارب الباليه الحديث خاصة التعبيرى منه . ويعتمد الابداع فى مسرح الرقص ، بعد التفكير والاطلاع والتحضير الرقيق على الارتجال حول موضوعات مستقاة من واقع الحياة اليومية العادية والعلاقة بين الفرد ونده ، وبين الفرد والمجموعة ، ويستعمل المخرجون المصممون للرقص على التجارب الشخصية لاعضاء الفرقة فى إبداع اعمال تسعى الى توضيح حقيقة العلاقات بين الناس بعيدا عن التمويه الذى عودتنا عليه الأنواع التقليدية للفن .

ومسرح الرقص لايرفض استعمال اللغة (او اى اداة اخرى للتعبير) وكانه يرفض الحدود الضيقة للأدوات التى تخفى فى المسرح المعاصر اكثر مما تظهر من احاسيس وافكار .

عرض "سيزيف" رقصة يؤديها خمس نساء يتوسطهن رجل واحد ، وهى تحكى قصتهم المشتركة حسبما يتذكرونها ، أو







حسبما تتراءى لهم : كيف يتشاحنون ، وكيف يتعاونون ، وكيف يؤدون لعباتهم مرة بخبث ومرة ببراءة ، اطفالا كبارا أو كبارا كالأطفال .

اما عرض جلجامش فقد صمم رقصاتها ايضا "سيرفوس" وبمشاركة عبد المنعم كامل وعدد من اعضاء فرقة باليه القاهرة وبالاشتراك مع فرقة الورشة بإشراف حسن الجريتلي ، وبصياغة موسيقية من انتصار عبد الفتاح ، ومن ترجمة الدكتورة منى ابوسنة .

عرضان شائقان ظهر فيهما اتقان التدريب وجديته والجهد الشاق الذى بذله جميع العاملين فيهما .

إشارات ثقافية

معرض الكتاب و ١٣ مليون كتاب

والهلال يعد مادته للطبع اقيم معرض القاهرة الدولى الحادى والعشرون للكتاب بارض المعارض بالقاهرة بمشاركة من ٥٢ دولة من مختلف قارات العالم منها ٨ دول تشترك لاول مرة هى الجزائر والمغرب والأردن والكويت من الدول العربية ، و ٤ اوربية هى بلجيكا وهولندا واسبانيا والمجر .

اما المحور الثقافى الرئيسى هذا العام فقد خصص لكاتبنا الكبير "نجيب محفوظ" حيث خصص جناح لكل اعماله ومؤلفاته العربية والمترجمة (ما عدا أولاد حارتنا !؟) من خلال دور النشر العربية والاجنبية .

قدر المعروض من الكتب هذا العام بـ ١٣ مليون كتاب لأكثر من ١٨٠٠ ناشر ، وقد وجهت الدعوة لعدد كبير من الكتاب والنقاد والشعراء العرب ، ادونيس ، ومحمود درويش وسميح القاسم وإميل حبيبى ، والطاهر بن جلون ، محمد برادة ، ومحمد نبيس ، وعبد الوهاب البياتى ، ونزار قبانى ، وسعاد الصباح ، وغيرهم من الكتاب العرب والعالميين وبالطبع بمشاركة واسعة من الكتاب والشعراء المصريين ، ولنا عودة تقييمية للمعرض بعد إنتهائه .

• مكتبة الهلال .

محمد على علوبة

ذكريات اجتماعية وسياسية

الكتاب : ذكريات إجتماعية وسياسية
نص : محمد على علوبة
تحقيق : بإشراف عاصم الدسوقى

الناشر : هيئة الكتاب ـ ٣٢٨ ص ، ٣ ج م .

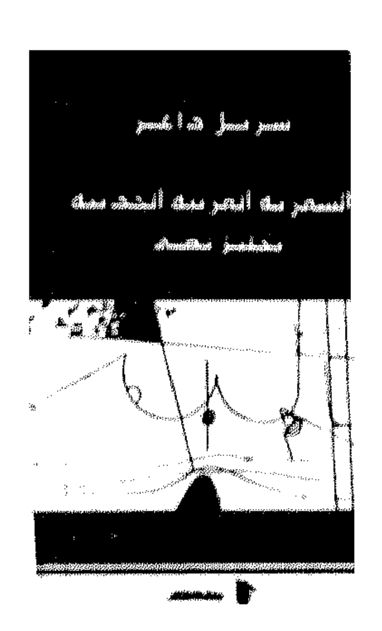
عن مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر صدرت مؤخرا مذكرات محمد على علوبة احد الشخصيات

التى لعبت دورا سياسيا فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ، فقد كان عضوا بالحزب الوطنى القديم ، ثم انتقل الى الوفد ، ثم اسس حزب الاحرار الدستوريين وظل سكرتيرا لـه حتى عام ١٩٣٤ ، كما انه تقلد العديد من المناصب الوزارية والدبلوماسية ، وكان طوال الوقت مفكرا يشارك الراى فى قضايا الاسلام والسياسة والعروبة العمل الاجتماعى العام .

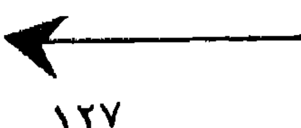
والنص المنشور كان قد املاه علوبة على كاتبها محمد عبد الهادى ، الموظف بجمعية التقريب بين المذاهب والمراجع انه املاها عليه مابين عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ، لذلك فإنها اقرب إلى التاليف التاريخى منها الى اليوميات ، حيث كان علوبة فى ذلك الوقت قد مضت عليه السنون لكن المحقق يؤكد ان هناك جزءا كتبه علوبة فى الفترة مابين ٢٥ يوليو ١٩٢٠ وحتى ١٩ يناير ١٩٢١ على شكل يوميات .

وتاتى هذه المذكرات على اى حال لتضيف جديدا فى مكتبة المذكرات التى توالت صدورا فى السنين الأخيرة لتغنى مكتبتنا العربية بهذا النوع الشائق والهام من النصوص الاساسية .

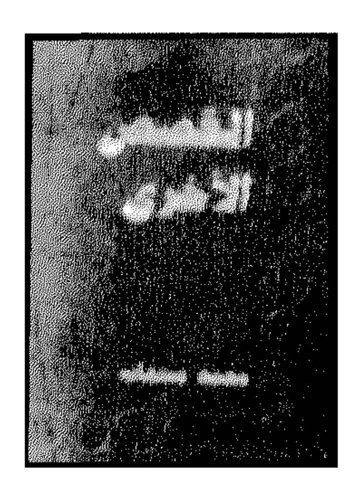
الكتاب : الشعرية العربية الحديثة (تحليل نصى)
تاليف : شربل داغر
الناشر : توبقال - المغرب
١٧٢٠ ص ، ٤٢ د . م .



إختار مؤلف هذا الكتاب ان يلجا الى نصوص ممثلة لاتجاهات شعرية حديثة عبر مجلات "الاداب" و "شعر" و "مواقف" ليدرسها ويحلل نصوصها ، وإن كانت هذه النصوص قد تمثلت عبر شعراء من كل من العراق وسوريا ومصر وفلسطين ولبنان وتونس والمغرب الأدبية بنسب مختلفة مؤكدا على ان اختياره للمجلة الأدبية وليس دواوين الشعراء لانه يرى انها تناسب اغراض دراسته وحدودها التى اختط لها طريق البرهان عبر طرق طويلة معقدة ، وهذه الطريقة لبرهانه التى يطمح اليها تبسط تعقد العملية الشعرية ، وتسهل التصرف العينى المغرب لها ، لانها توفر لغة اصطلاحية عينية يشترك فيها الكاتب والقارىء والقصيدة بحيث يسهل التحاور بين الأطراف الثلاثة فى نسق يقوم - كما يقول - على الحقائق الناجزة والمثبتة ، لا على النوايا المضمرة ، ويقوم على الوقائع لا على الظنون والميول .



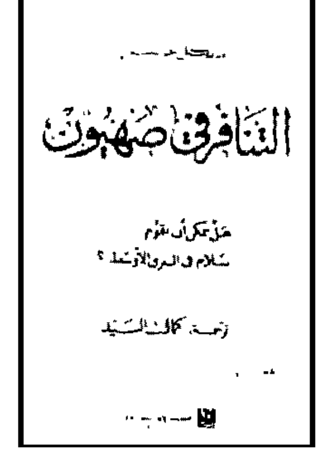
الكتاب القصص الأخرى
تأليف محمد مستجاب
الناشر مكتبة مدبولي
١٤٣ ص . ٢ ج م



هذا هو الكتاب الثالث للكاتب محمد مستجاب بعد روايته من التاريخ السرى لنعمان عبد الحافظ ومجموعته القصصية "ديروط الشريفة" فيها نفس النهكة المميزة له فى اسلوبه الساخر الذى يقوم على المفارقة بالموقف والنقد فى بعض واصبح ممز له بين اقرانه من كتاب القصة المصرية الحديثة . يرتفع فى بعضها الى مصاف الأدباء المتمكنين ، وإن كانت روح الدعابة تغلب عليه احيانا فتتحول القصة او المواقف الى "قفشة او لحظة ضاحكة . كانه فى الاغلب الأعم من هذه المجموعة يقف عند حدود الأدب الرفيع الذى يستحق البحث والدراسة .

تضم هذه المجموعة اربعا وعشرين قصة قصيرة نشرت متفرقة فى الصحف والمجلات مابين عامى ٦٩ و ٨١ ، وهى وإن كانت متفرقة المعانى والمواضيع ، يعكس مجموعة ديروط الشريف التى تتميز بوحدة الموضوع ، فإن اسلوبه المميز يجعلها اقرب الى العمل الواحد الابعاد والمرامى .

الكتاب التنافر فى صهيون
تأليف مايكل جانسن
ترجمة كمال السيد



السؤال الذى يعد بمثابة العنوان الأساسى الثانى لهذا الكتاب صاغته كاتبته على النحو التالى : هل يمكن ان يقوم سلام فى الشرق الأوسط ؟

ومن خلال هذا السؤال تنطلق لتصف وصفا وافيا للاستقطاب الأيديولوجى والسياسى بن اليهود الأسرائيليين على إمتداد السنوات الاربع الأخيرة ، ذلك الاستقطاب الذى بدأ بالظهور عام ١٩٦٧ واصبح حادا بشكل خاص خلال وبعد غزو اسرائيل للبنان ، وتركز على التباين الصارخ بين تطور حركات اسلام المعارضة لاى حرب توسعية جديدة والصعود المطرد لليمين المتطرف

الذى يسعى الى طرد الفلسطينيين من ديارهم .

ومؤلفة الكتاب كاتبة وصحافية أمريكية تعيش وتعمل فى الشرق الأوسط منذ اكثر من عشرين عاما . كتابها "معركة بيروت" كان اول الكتب عن غزو لبنان ، وقد استمدت مادتها من اطراف الصراع الذى سعت للكشف عنه بشكل مباشر .

الكتاب : الأعمدة السبعة للشخصية المصرية

تأليف : د . ميلاد حنا

الناشر : دار الهلال

ما أكثر الكتب حول "شخصية مصر" ولكل



عصر رجاله الذين يقدمون تصورهم عن "الشخصية المصرية" فالدكتور طه حسين وغيره اكتشف علاقة مصر واليونان وحضارة البحر المتوسط ورفاعة الطهطاوى ابرز الجانب الحضارى للاسلام ، ونجيب محفوظ يفخر بانه نتاج مزيج من الحضارة الفرعونية والحضارة الاسلامية .

وها هو ذا الدكتور ميلاد حنا - المهندس وخبير الاسكان المعروف - يقدم رؤية من منطلق أن المصرى متأثر بالزمان والمكان .

فعبر الزمان كانت الرقائق الحضارية المتتالية : المرحلة الفرعونية بكل شموخها فداخل كل منا فرعون صغير أو كبير وهناك تأثير المرحلة التالية المسماة الرومانية - اليونانية ويليها ويتداخل معها المرحلة القبطية المسيحية ويتربع فوق كل ذلك الحقبة الاسلامية .

فمصر غيرت الديانة واللغة ثلاث مرات عبر تاريخها الطويل .

وتأثرت مصر بالمكان فهناك الانتماء مصر العربى وهو إنتماء أصيل ومستمر وهذا لايتعارض مع الانتماء الى حوض البحر المتوسط واخيرا الانتماء اى افريقيا وهو إنتماء سيحل مشاكل مصر فى القرن القادم .

على أن هذه الاعمدة السبعة للشخصية المصرية يشترك فيها اغلبية المصريين وبدرجات متفاوتة . ولكن بجوار ذلك هناك انتماءات شخصية لكل منا للأسرة والقرية والمهنة والحزب والايديولوجية ثم الانتماء الى الانسانية جمعاء .

إن كتاب "الاعمدة السبعة للشخصية المصرية" هو تعبير عن فكر د . ميلاد حنا ورؤيته السياسية والحضارية والفلسفية لهذا العصر الذى يعج بالافكار والتيارات والصراعات ، ولكن المؤلف لن تتلبنن وستعبر فوهه البركان فى أمان .



بقلم : محمود بقشيش

قراءة نقدية فى :

بينالى القاهرة الدولى الثالث

فى المؤتمر الصحفى الذى أقيم لاعلان نتيجة البينالى الثالث ، طرح عدد من الفنانين سؤالا واحدا ، بصورة مختلفة ، عن الأساس المنهجى الذى استندت اليه « لجنة التحكيم » فى تقويمها للأعمال الفنية ، التى جاءت من الشرق والغرب ، وتنتمى الى ثقافات فيها كثير من الاختلاف . وكانت اجابتها « الجوهرية » : إن الفن الحديث قد بدّد « الأطر المرجعية » للأحكام النقدية ، ومن هنا لا مفر أمام الناقد من الاستسلام لمداعبات ومشاكسات العمل الفنى مع حاسة العين .. وصولا الى الحاسة السادسة ! (التى جاءت ـ بالمصادفة ـ شديدة التطابق والاحكام بين الحكام الأربعة !) .

● ويبدو أن الفنان «عز الدين حمودة» ـ رئيس اللجنة ـ قد لاحظ أن إعلان لامنهجية الاحكام النقدية قد صدم جمهور الحاضرين ، ولم يجد وسيلة للتخفيف عنهم إلا بالقسم بأغلظ الايمان .. بأن اللجنة كانت صادقة ، ولم تتعرض لأى ضغط مُوَجّهٍ ! .. امّا الفنان «بيكار» فكان اكثر وضوحا ، فقد أعلن انه اتفق مع الفنان «حمودة» فى أن توضع الملامح القومية ضمن تقويم أعمال الفنانين المصريين والعرب .. دون الزام الضيوف القادمين من أوربا الغربية والشرقية وأمريكا اللاتينية بهذا الشرط ؟!

- لوحة الفنان احمد فؤاد سليم الفائز بالجائزة الكبرى للبينالى مقاس ١٣٥ × ١٢٥ سم





من العجيب أن نسمع ما سمعناه في الوقت الذى (يكاد) «النقد» أن يتجه الى أن يكون علما مستقلا . وبلفظة «يكاد» أعنى الاعتراف الضمنى بوجود بُعْد ذاتى فى الحكم النقدى . لاشك أن الفن المعاصر قد تعدد وتنوع بتعدد الفنانين وتباين مستوياتهم .. غير أن هذا التعدد الحادث - فى معظمه - تعدد فى الهامش لا الجوهر ، ونستطيع تطبيق هذا الحكم على ما نشاهده فى مئات الاعمال الفنية المعروضة فى معرض البينالى ، كما يستطيع المشاهد المدقق اكتشاف الأصول المرجعية لتلك الأعمال ، فمن العارضين من استلهم الاسلوب التكعيبى دون الالتزام بحرفيته ، ومنهم من لم يقطع الجسور مع كثير من أسس التصميم فى عصر النهضة رغم انتمائه الى «التجريد المطلق» .. ومنهم من احتفظ من الكلاسيكية ببعض ملامحها الاخرى كاللون وطريقة التجسيم ووضعهما فى علاقات تناقض هذا القديم ومنهم من استلهم التأثرية ، والتعبيرية دون الالتزام بحرفيتهما . وسيجد المشاهد ، أيضا ، من استلهم المنمنمات الاسلامية ، ومن وقع فى هوى الفن الفرعونى .. الخ .. والمتأمل لبينالى القاهرة لايكتشف تلك الأصول المرجعية فقط بل يصادف ميلا عاما الى «الوقار» فلا تجد فى المعرض الجديد .. المسالم - المستفز .. سواء على مستوى الشكل أو المضمون .. ما يدعو الى التساؤل عما اذا كانت القاهرة - الاسلامية - ذات المشكلات الظاهرة والباطنة .. قد اثرت فى اختيار مايناسبها من أساليب وفنانين !

لكن ... على الرغم من اعتراف اللجنة بلامنهجية التحكيم فإننى اتعاطف مع كثير من نتائجها ! .. لهذا سأقصر حديثى على (بعض) الأعمال الفائزة ، و (بعض) الاعمال التى لم تفز وإثارت اهتمام النقاد والجمهور رغم سوء حظها !

● الفرسان الثلاثة !

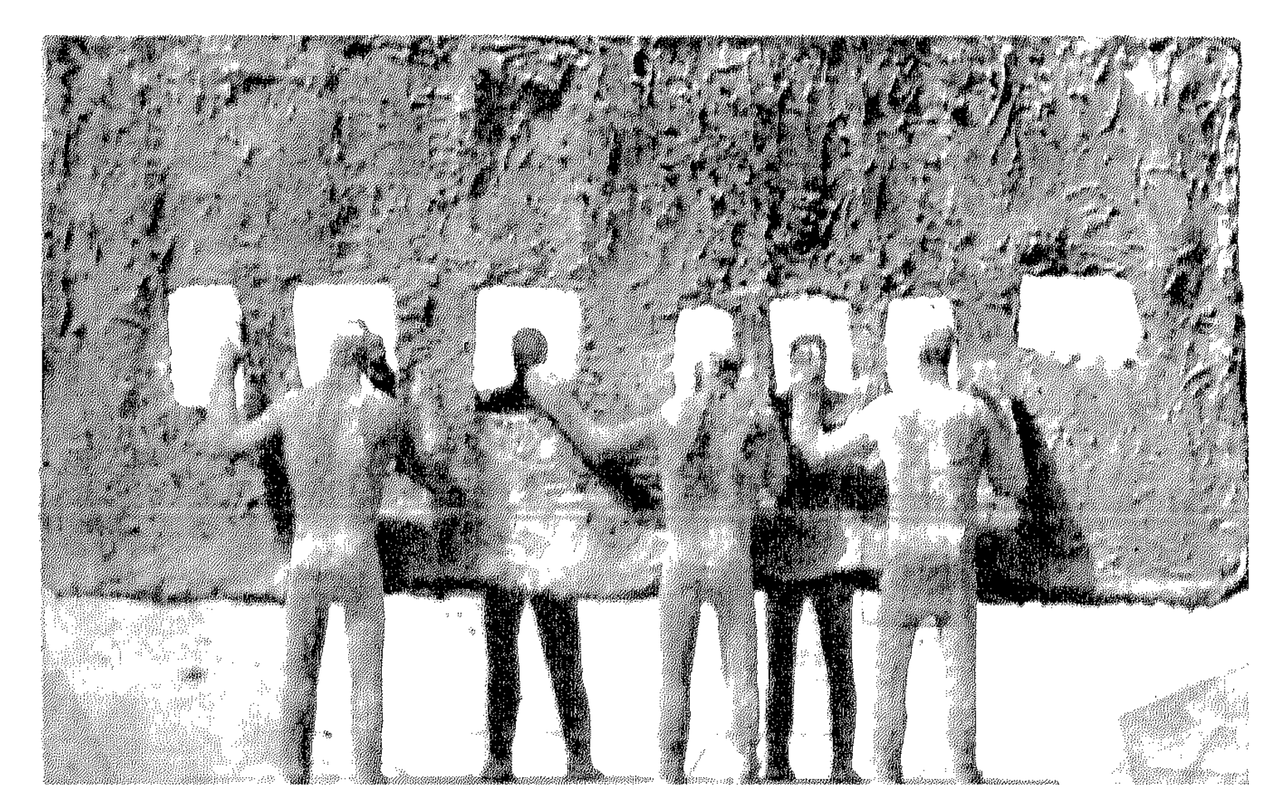
● احمد فؤاد سليم : فاز بجائزة البينالى الكبرى باجماع لجنة التحكيم . قدم مجموعة من اللوحات تميزت بجمال العرض وأناقته ، وصراحة اللون ، وبشكل عام اتسم عالم اللوحات بالرقة ولكنها الرقة التى تماثل رهافة المديه ! ولوحاته ساحة للتعدد ، والاختلاف ، والمفاجآت غير المتوقعة . ربما تأثر الفنان بالمنمنمات الاسلامية ، وربما استلهم منها ما تتميز به من امتلاء سطح المنمنمة الواحدة بأحداث متوافقة ، وأحداث متخالفة فى نفس اللحظة ، مما يفتح الطريق أمام الايحاءات الروائية . ويحرص «سليم» على تقديم ما يخالف به المألوف من تصميمات عصر النهضة ، فقد يضع مايستحق أن يوضع فى بؤرة اللوحة - من وجهة النظر التقليدية - فى جانب هامشى .. غير انه يفاجئك باحاطة هذا الموضع الهامشى بأكبر قدر من الاهتمام .. فبعد أن تكون قد ظننت أن اللوحة قد انتهت يفيقك بكيانات حروفية تتدلى من فضاء مغطى بشرائح لونية مخططة . صريحة . تشكل فيما بينها نسيجا مركبا - كما فى احدى اللوحات - ومع ميله ، المحسوب - بين مايوحى بالمسطح ومايوحى بالمجسم .. قد يفاجئك بما يصدم ويثير الدهشة ويبدد الانتباه فى وقت واحد ! .. كما فى لوحة كرّس لها كل قدراته فى استنساخ شكل طعنة سكين فى اللوحة ، بلغ من الدقة فى رسمها درجة مقنعة بأن ماتراه حقيقة ! .. وشَغَلَتْ العابرين بضرورة التحقق من حقيقة تلك الطعنة الظالمة ! .. ولست ادرى لم فعل الفنان هذا ؟ .. هل كان يود أن يحرك مخاوفنا على النسيج المشغول بالألوان البراقة

ام كان يريد أن يثبت انه يستطيع الرسم الدقيق . الواقعى ولكنه اختار «التجريد» اسلوبا ومنهجا ؟ .. مهما كانت الاسباب فهو يحتفظ دائما بجملة تشكيلية اعتراضية .. وهذه الجملة الاعتراضية لاتشتق من النسيج الرئيسى للعمل الفنى بل تتناقض تناقضا متفاوتا من عمل الى آخر . وأفضل هذه الجمل على الإطلاق جملة : «الفضاء» .. والفضاء عنده ليس مساحة باردة تفصل بين جملتين .. بل حالة مشحونة بتوتر كامن .. أو فى الطريق الى الظهور !

● **فرغلى عبد الحفيظ** : فاز بجائزة التصوير عن عرضه البانورامى ، الذى يدور حول مفردته الملحة : العروسة او المومياء أو العروسة المومياوية ، فهى كل هذا ، وأضاف اليها «فضاء» من الايحاءات البيئية ، وومضات تومض فى بعض مواضع المشهد الطبيعى ـ المؤلف ، مع السماح بتخفيض ما الفناه من الوانه البراقة . الفوسفورية ! .. ويواصل كزميله «سليم» وبطريقة مغايرة العلاقة بين المجسم والمسطح من العناصر ، وبالتحديد : بين «العروسة» المجسمة (خارج اطار اللوحة) وقريناتها المسطحات داخل اطار اللوحة الواحدة ـ المزدوجة . ويقوم «الفضاء»

فى أعمال الفنانين بدورين مختلفين ، فهو «وصفى» عند «فرغلى» ؛ يعبر عن تمدد المكان واتساعه ، بينما يقوم عند «سليم» ـ بالاضافة لما سبق ـ بغزوات مثيرة ضد العناصر الاخرى ، وان التقيا معا فى هوى الألوان الصريحة ، وإذا كان «سليم» قد اتجه الى استلهام المنمنمات الاسلامية والحروف العربية فإن «فرغلى» قد استلهم بعض ملامح الفن الفرعونى : أبرزها الطابع الهندسى ، كما استلهم بعض الخامات من البيئة الريفية : مثل

الانسان والحاجز .. نحت للفنان محمد العلاوى ثالث المصريين الفائزين



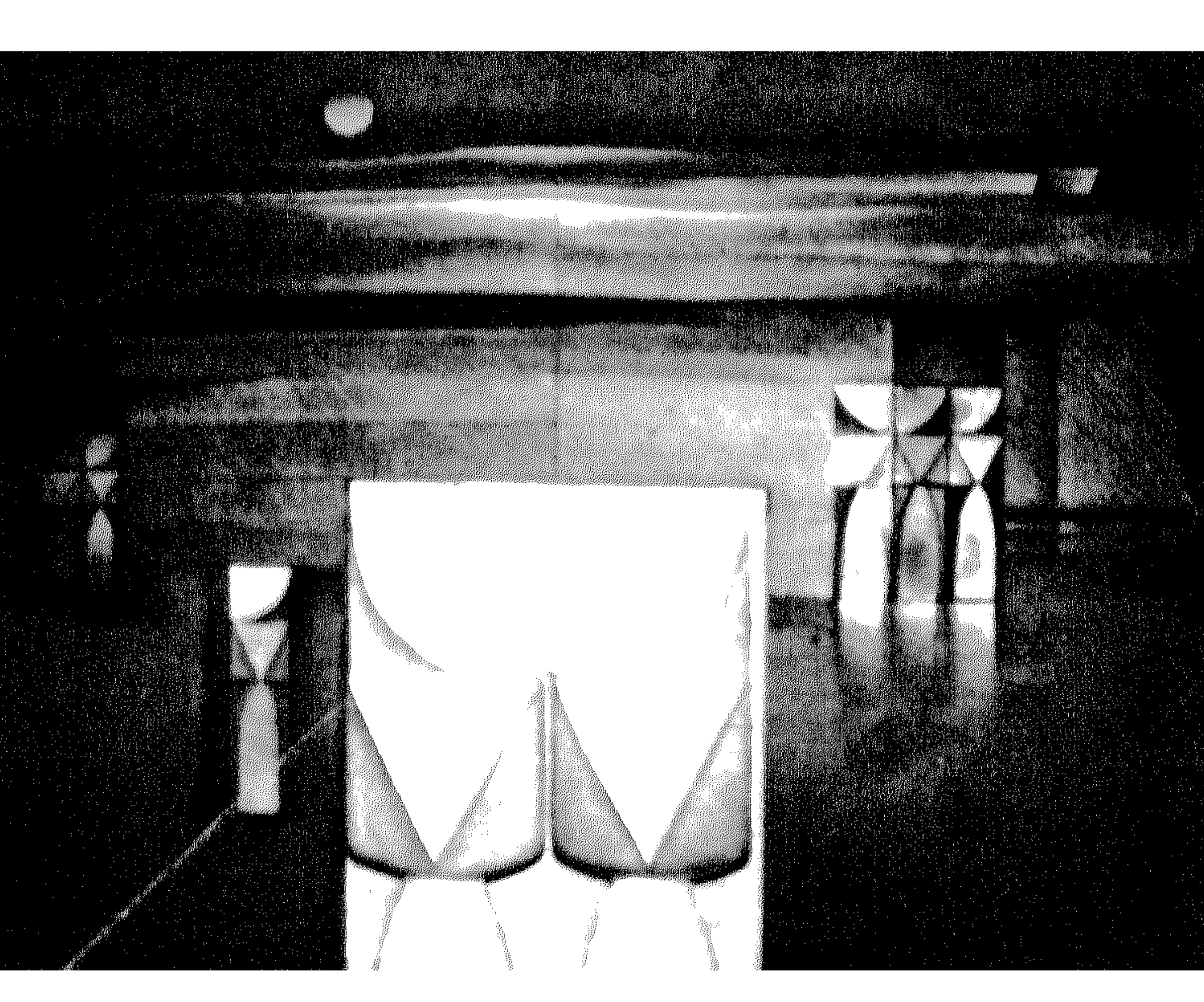


جائزة التصوير للفنانة
الاسبانية اجويدا دى لابيس

البوص والخيش . ولايسمح المجال بالاستفاضة فى التحليل النقدى لأعماله وإن كان من الممكن القول بأن «فرغلى» يميل الى التركيب ، والبريق اللونى الأخاذ الذى يصرف بالفه اى احتفال بالرموز .. وإذا كان لهذا البريق ميزة أخرى فهى تخفيض الطابع السكونى للوحاته ، وتأييد الاشراق والمتعة !

● محمد العلاوى : ثالث المصريين الفائزين نحات . قدم ثلاث منحوتات من افضل اعماله ، التزمت بالثنائية الرمزية التى الفناها فى قاموسه النحتى الخاص : «الانسان والحاجز» ؛ الانسان ثابت الملامح ، بينما تتغير صورة الحاجز .. الذى ينتحل ـ غالبا ـ صورة ايحائية للقاهر المتسلط ، ويظهر فى ثلاثيته تلك : مرة فى شكل طائر جارح منقض على فريسة بشرية ، ومرة يلبس قناع جدار عال يفصل بين مجموعتين بشريتين . إنسانه ليس دالا على فرد بعينه أو واقع بعينه بل انسان

لوحة للفنان فرغلى عبدالحفيظ
الفائز بجائزة التصوير فى البينالى





مطلق .. مجرد رقم . بلا وجه . لاتدرى ان كان عاريا أم لابسا .

غير انه ـ أى الفنان ـ «بوعى أو بغير وعى» يستعير من النموذج الفرعونى فى النحت الوقفة الرزينة ، والبنية المتينة ، والبساطة .. التى أضاف اليها خشونة فى الملمس . وتتسم عروضه النحتية بطابع مسرحى . درامى . يحرك المشاعر ، ويترك فى النفس أثرا لايمحى ، ويثير الرغبة فى تأمل ماهو خارج حدود العمل الفنى .

● بعض الفائزين الأجانب

● فازت بجائزة «التصوير» ، ايضا ، الفنانة الاسبانية «أجيدا دى لابيسا» . قدمت ثلاث لوحات قياس كل منها : ١٩٥ × ١٣٠ سم . بخامات مختلفة مثل الاكليريك والكولاج .

يحفل عالم لوحاتها . التجريدية . بالثنائيات المتضادة = اللمسات الانفعالية . العشوائية ، والأطر المستقيمة . الصارمة تقطع سيل هذا الاندفاع بحسم صادم .

والثنائيات المتناظرة = اللوحات الثنائية الملتصقة . تلصق فوقها ، ايضا لوحات ثنائية أخرى على ورق شفاف .

والثنائيات المتناظرة والمتخالفة = تظهر فى المقابلات بين الشرائط الورقية الملصوقة على اللوحة ، والشرائط المرسومة «طبق الأصل» من ورق اللصق .

.. ومادام الرقم (٢) هو الأساس فمن المنطقى أن تحصل على رقم (٤) .. ويظهر هذا الشكل الرباعى فى الشكل المرسوم على اللوحة الملصوقة فوق اللوحة المزدوجة ! ..

خيل الى أن هذا الشكل يشبه وجها بشريا ! .. كما ذكرنى بلعبة كنا نمارسها ونحن صغار ، بأن نطبق ورقة مرتين ، ونقص جانبا منها ، لنحصل على شكل رباعى !

اتشحت لوحاتها بغطاء لونى شحيح .. ربما لكى لانبتعد عما تريده لنا من تركيز فى استقبال عالمها الشطرنجى . إن لوحاتها توحى بالذكاء ، ولكنه ذكاء مبدد . لايبوح بشىء !

● «فيرناندو بلفير» . حفّار ونحات اسبانى . فاز بجائزة الحفر أو «الجرافيك» . عالمه على النقيض من عالم «لابيسا» الذاتى . المقفل ! يرى أن «الفن» حرفة لابد من اتقانها ، لاصطياد موقع فى سوق المال ! .. قدم لوحات فى مجال «الجرافيك» ومنحوتات برونزية ، كُرّست جميعها من أجل «الاعلان» عن سلع ، أو شركات ، أو مطاعم . وهو يجيد «حرفة» الرسم أجادة لفتت اليه الأنظار . تتسم رسومه بتوابل الاعلان كالطرافة والاغراء واثارة أكبر قدر من الانتباه . وهو يميل الى الاسلوب التكعيبى دون الالتزام به حرفيا ، وقد انعكس هذا الميل على منحوتاته ورسومه بالتلخيص والصلابة وتماسك التكوين والعناية بالخطوط والمسطحات الصريحة .

● لقد اعتدنا أن نشاهد المحيط بنا من كائنات حية فى صورة كيانات عضوية . متماسكة متناغمة فى حركاتها تحت قيادة «الرأس» .. لكن الا يخطر ببالك احيانا ان ترى تلك الكيانات مفكوكة الأوصال ورغم ذلك تبدو موصولة بجهاز القيادة ؟! .. هذا ما حققه الفنان السويسرى «كلود ساندوز» الحائز على جائزة فى «الجرافيك» .. فى لوحاته المطبوعة بأناقة ودقة ، والمجسدة لعالم خيالى طريف ، يتسم بالطابع الروائى ، ويصلح لمصاحبة قصص الأطفال . وإذا تأملنا تصميماته الفنية

«غابة من الارقام تحاصر ظلالا بشرية» للفنان التشيكي لوبو ميروسيك



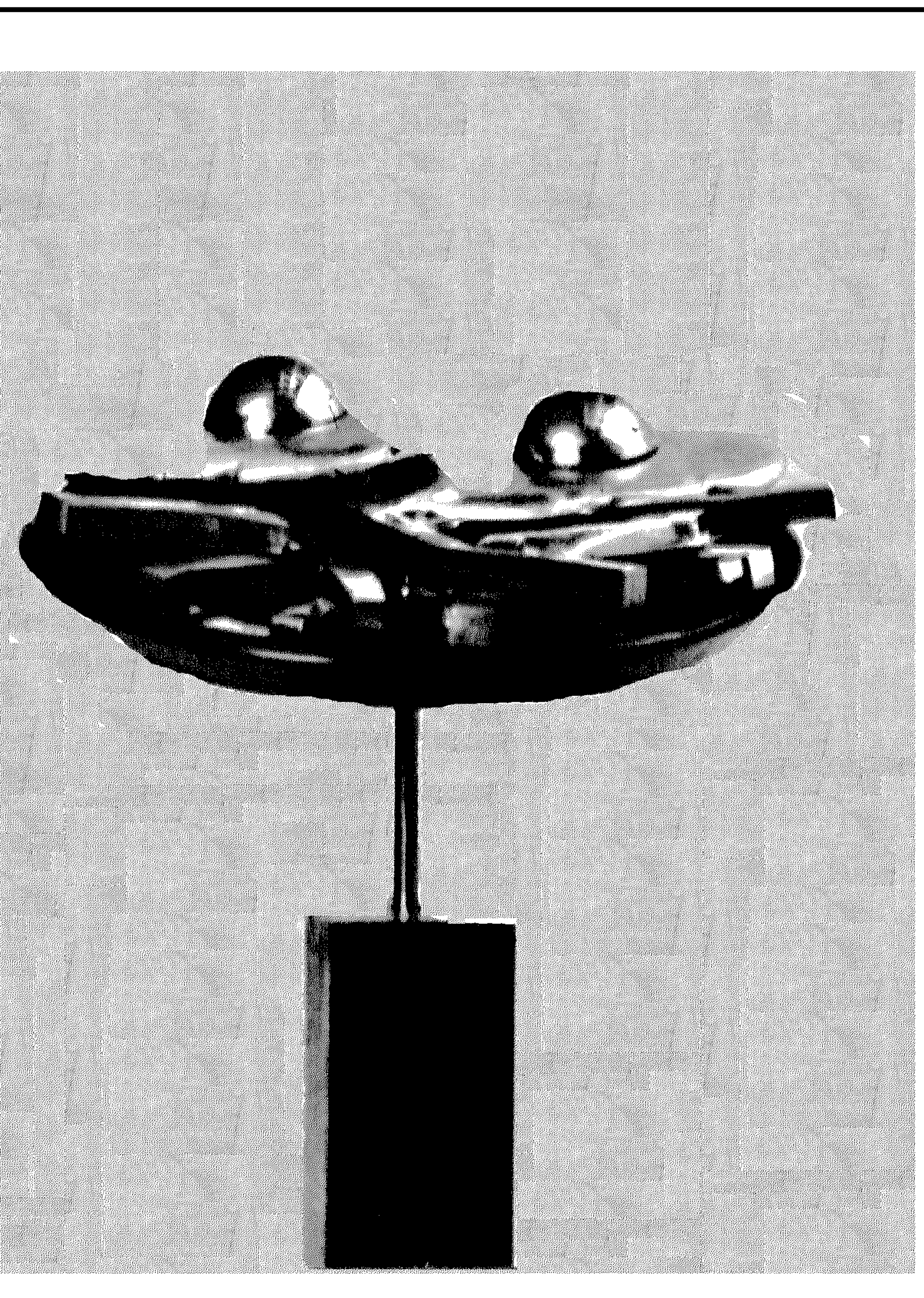


وجه من الذهب والفضة والبرونز للفنان الاسبانى فيرناندو بيليفر «جائزة الحفر»

فإننا نراها تلتزم بأسس التصميم فى عصر النهضة ، من التزام بوحدة المكان ، ووحدة الحدث ، وإن تجلت احداث لوحاته فى صور خيالية طريفة كما أشرت ، وألوان براقة .

● من الأعمال التى تثير الاعجاب عند اللقاء بها .. عمل فنى للفنان الايطالى «فرانكوبرديني» الذى فاز بجائزة النحت . يجمع العمل ، ببراعة ودقة ، بين الرسم المسطح على مادة «بريسبكس» البلاستيكية . الشفافة . والشكل الهندسى المعمارى . المجسم . لكن .. على الرغم من تلك الدقة والبراعة ، ما تكاد تندمج فى أعمال فنية أخرى

لوحة للفنان السويسرى كلود ساندوز حكايات شرقية واشكال غربية (جائزة الجرافيك)





حتى تكون تلك الأعمال قد تبخرت من ذاكرتك . ربما بسبب طغيان الطابع التزييني ، وتراجع - او بدقة - اختفاء ما أراه ضروريا فى كتلة النحت من توتر «كامن» أو «ظاهر» ، لهذا رجحت عندى كفة زميله الفنان «امبرتو ماستروياني» (والذى لم يحصل على شيء) لما تتمتع به كتله البرونزية من دينامية وجراة واندفاع ، وتكشف منحوتاته عن التزام بالمنهج التكعيبي فى تشكيل العناصر ، وبما تمنحه بانتقالاتها المباغتة من النور الى الظل من حركة وحيوية ، كما تكشف منحوتاته عن استلهام لملامح المنهج «المستقبلي» الذى ارتبط باسم الفنان «بوتشيوني» .. ومن معالم هذا المنهج هو وضع الكتلة فى حالة اشتباك عنيف مع الفراغ المحيط ، والفراغ البيني - إن وجد !

● المانيا .. شرقا وغربا !

يثبت «الجرافيك» الالمانى - سواء ما جاء منه من المانيا الشرقية او الغربية - قدرة الفن على تجاوز الحواجز السياسية .. ليس فقط بسبب الجوار العارض فى قاعة النيل ، ولكن بالانتماء الواضح الى اسلوب ، ومزاج فنى ، تسوده وحدة فى الملامح الجوهرية لاتخطئها العين . ولو تبدلت الأسماء فلن يدرك احد ان شيئا ما قد تغير ! يسود كلا الجناحين اسلوب تعبيرى لاذع . جهير . خشن . يميز التعبيرية الألمانية عن تعبيرية بلدان اخرى . كما يسود كلا الجانبين طابع احتجاجي ؛ احتجاج ضد انسحاق العمال ، واحتجاج ضد الحرب ، ودموع وصراخ فى البرارى .. فى الجناح الشرقى ، واحتجاج ضد وطأة التكنولوجيا على ذوات البشر ، وضياع الفرد فى عالم غريب عنه .. فى الجناح الغربى ! .. ولقد تعاطفت مع لوحة للفنان الشرقى «كارل جورج» لشحنتها التعبيرية الحادة التى لاتخلو من همس شعرى .. خاصة فى الاضاءة القمرية التى تتسلل على كتلة جسد المراة الصارخة ، وكتلة ظهر الآخر او الأخرى (لا أدرى) .. بينما يركز اضاءة كشافية على المنديل المنساب ، الذى يغطى الوجه ، تاركا مساحة مرموقة لصرخة قادمة من الفم .. تشق فضاء قائما . ممتدا ! .. وتعاطفت مع لوحة الفنان الغربى «بيترتوما» الوحيدة التى اشترك بها فى البينالى ، وأثارت انتباه الجميع ، للطريقة البارعة التى جسد بها فكرة من الأفكار التى تعد الآن دارجة .. فالاحتجاج على التكنولوجيا ، والانزعاج من بعض آثارها السلبية على الانسان لاجديد فيه . الجديد فى اللوحة هو النجاح فى اصطياد لحظة حقيقية كاشفة فاللوحة عبارة عن لقطة فوتوغرافية لوجوه وجدت فى مشهد او احتفال عام . الغى منها الدرجات الظلية الوسطى ، وابقى على الاسود والأبيض فقط .. والمدهش ان الوجوه جميعا - وهى وجوه لأشخاص حقيقيين - بدت واجمة . مكتئبة . يفصل الوجه اللاصق بالوجه الآخر ، مساحات لاحد لها من الغربة . اما الشكل الوحيد الملون ، والملصق فى الجباه ، فكان نماذج من دوائر كهربية مقفلة .. موحيا بشخوص مبرمجين ، اشبه بآلات سجينة . مُسَيَّرة . ولم يكتف الفنان بتصادم الأسود والأبيض ، بل اراد للون الاسود ان يحمل رسالته الغاضبة الى المشاهد فسكب سائلا اسود كثيفا (البلاك) فوق الجميع ! .. والمدهش ايضا ان ترتفع نبرة الاحتجاج عند فنانى الكتلتينْ الاشتراكية ، والغربية ، وفنانى العالم العربى ، خاصة

«الكويت» ، بينما اختفت تلك النبرة من اللوحات المصرية بصورة تكاد تكون كاملة !

● لمحـــات

● **سامي محمد** : فنان من الكويت . اعده من افضل النحاتين العرب . سبق له الفوز بالجائزة الأولى فى النحت فى بينالى القاهرة الأول . يسود أعماله مذاق درامى لاذع ، يتمثل شكليا فى ثنائية : الشكل المكعبى الصارم ، والكيان الانسانى أو بدائله الرمزية في علاقة متصادمة معه ، متوترة دائما .. لايستطيع المشاهد الانفلات من أثارها العاطفيـة المباشرة ، كما لاتستطيع ذاكرته الا أن تحفظها ! .. وعندما التقيت بمنحوتته فى البينالى الثالث ـ وهى للأسف من اقل أعماله شأنا ـ حدث أن تقززت من الكتلة الواصفة لهيئة جثة قد تعفنت وتهرات تحت وطأة المكعب الثقيل . الصارم .. رغم إدراكى بأن ما أراه عمل فنى ! .. وعندما تجاوزت صدمة الوهلة الأولى تساءلت : أليس ماأراه مجرد وصف توضيحى . خارجى . يبتعد أشد البعد عما نطلق عليه لفظة «دراما» ؟ .. فى المنحوتة قوة واحدة ساحقة هى كتلة المكعب .. ولاشىء أخر ولاشك أن «سامى محمد» قد ادرك ذلك .. فاظهر فى جانب من جوانب مكعبه السفلى مايوحى بزلزال قادم يهدم كل شىء !

● **يوسف احمد** : فنان من قطر . اعده من أفضل الرسامين العرب ، ومن افضل من استلهموا ايحاء شكل الكتابة العربية فى لوحاتهم ، وسبق له الفوز بجائزة صدام الكبرى ، بالاضافة الى العديد من الجوائز الدولية ، وهو يكون من ايحاءات الكتابة وتنوع ذبذبتها كيانات معمارية . رمزية . ولوحاته فى البينالى تكشف عن براعة وحساسية فائقة تجذب عين المشاهد وعواطفه جذبا . واللوحات مرسومة أو ـ بالدقة ـ مهشرة على ورق اسود ، بسن أو بسنون دقيقة ، ويرجح أن يكون هذا الورق ورقا حساسا للتصوير .. وربما بسبب التباس المصطلحات احتارت اللجنة فى تصنيف أعماله : أهى «تصوير» أم «رسم» ولهذا أبعدته عن التحكيم !

● **بافل بيوفتشى** : أحد نجوم الجناح اليوغوسلافى المتميز ، ذلك الجناح الذى اسىء اليه بسبب حشره حشرا فى قاعة لاتناسبه ، وكان الأنسب له أن يعرض فى قاعة النيل . قدم «بافل» خمسة رءوس أو وجوه بشرية قـائمة بـذاتها ، ومكتفيـة بكتلها المشحونة بالانفعال ، ومصاغة ببراعة وتمكن . وإذا كان «برانكوزى» ، بمثاليته ، قد أوجد اشهر «رءوس» النحت المعاصر بمنحوتته الانيقة التى تمثل وجه عروس الشعر ، فقد أخرج «بافل بيوفتشى» وجوها خشنة . مشحونة بالتوتر . بها ندوب فاضحة وصادمة ، تكشف عن معارك ضارية خاضتها تلك الوجوه فى أرض الواقع المشترك !

● **مرسلاد بيربر** : فنان «جرافيك» ومصور يوغوسلافى . أبعد ـ للأسف ـ عن التحكيم بسبب خروجه على شرط المدة المقررة للانتاج ، ولولا ذلك لكان من حقه أن يفوز ! .. واذكر انه عندما اقيم له معرض فى مصر فى أواخر الستينيات او أوائل السبعينيات استقبل استقبالا حسنا ، واعتبره بعض النقاد ردا على الموجة السياحية فى الفن المصرى ، وقدم فى ذلك المعرض كما قدم فى البينالى استلهامات لأيقونات القرن السابع عشر ، وجاءت لوحاته مزجا ذكيا بين كلاسيكية ، وضع الوجوه والألوان والاشتقاقات الزخرفية التى تتسق مع تلك الفخامة ، وقد مكنته قدراته فى الاستنساخ والتجسيم الايهامى من اقامة توازنات دقيقـة بين المسطح الـزخرفى



على الصفحتين لوحتان من حضارتين
متبـاينتيـن اهـم مـا يميـزهمـا
هـو عنصر الحـركـة والاغـتـراب



والمجسم التصويرى . كما يمزج فى نفس الوقت بين مجالين فى الابداع التشكيلى : «الجرافيك» او الرسم المطبوع و «التصوير» اى الرسم المباشر .

واخيرا ..

إن هناك أسماء أخرى تستحق الاهتمام لولا ضيق المساحة .. من بينها :

مجدى عبد العزيز (مصرى) شانسيه كالديرون (اسبانيا) حسن الصحاف (البحرين) سليان احمد باجبع (السعودية) احمد راشد دياب (السودان) ليث فتاح (العراق) عبد الرسول سلمان . عبدالله القصار . عنبر وليد (الكويت) .سوكيروف شيوفان (بلغاريا) أندرزيج كولبانوفيتش . رومان اريتموفسكى (بولندا) بافل سوكودولاك . لوبومير دوسيك . مارى بلابو ليلوفا (تشيكوسلوفاكيا) خالد بن سليمان (تونس) أنديز بارجيللى (قبرص) خوان موريرا . ادوارد روبين جارسيا (كوبا) راتكو فولانوفتشى (يوغوسلافيا) .



يقولون : تلك الجبال استوت … على الصخر .. ما اكذب الراويه!
جبال من القش مدخولة … اذل من الطين فى الخابيه
يقولون : احرقها دينهم … فما الدين ؟ ما القيم العاليه ؟
ايلتهم الدين تلك الذرا … بانياب مفترس طائفيه

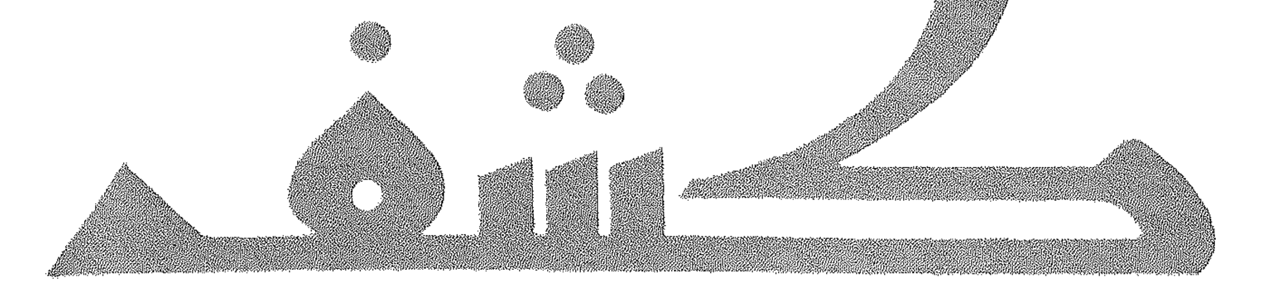
وتخضر منه الصحارى .. فمن … علا بالجبال على الماديه
تكبرت الارض فى قمة … فزلزلت القمة الابيه
من الجاهلية اصنامها … ومن قبليتها الخاليه
وانشابها الحقد من كرمة … تمج افاعيها السماويه

ويعصرها الجيل من ضلة … وبغى باكواسه الداميه
ولو اقلع الثلج عن كبره … لذاب خشوعا على الرابيه

ايبنون معبدهم حوله ؟ … وما فيه من نبضة حانيه
صلاة الذئاب عواء سرت … من الكهف آياتها الضاريه
غرائز وحش صحا جائعا … فدب دبيبا الى الهاويه ..

دعوا المرسلين واديانهم … ولا تركبوا الدعوة الهاديه
فقد خجلوا فى نبواتهم … - وانتم بنوها - من الماشيه ..





قصة: جمال الغيطانى

.. مدة أنقضت ، زمن غير قصير . حتى أدرك كنه الصلة بين قدرته على استعادة ملامحها ، وحضورها ، وبين تخلصه من علامات هذا العرض البغيض ، يثقله اذ يبدأ ، يسد عليه جهاته ، لم يعرفه فى سنى عنفوانه ، وأوان شدته ، لم يلمح نذره ، خاصة وأن المسافة لم تكن اتسعت بعد ، اما الأن فما أشد الفارق ، وأوعر القفر ..

، اذ يبلغ ارهاقه مدى . يبدأ هجوعه بعد نصب ، متمنيا الافلات من أرق بغيض يقضه قضا ، أرق يلح ويجثم ويضمضم ، خاصة عند سفره ، فى الليالى التى يمضيها بعيدا ، وتلك التى تسبق رحيله .

بمجرد تلون الرؤى ، تميع الصور ، تداخل اللحظات المولية بالآنية بالمقبلة . لحظة الاجتياز التى لا يمسك بها الوعى ، اجتياز برزخ مابين النعاس واليقظة ، ينتفض !

يقوم بغتة ، خطر غامض ، شائه الملامح ، لا يدرك مصدره ، يدهمه ، يوشك على تمام الاحاطة به وتطويقه ، يهرع نبض قلبه مرجوفا ، يبقى آيسا من عون ، فى داخله تشتد زلزلة ، ويلوح انخساف أمر !

يشتد وعيه أنه مغادر ، مفارق ، مقلع بعد لحيظات الى أبد لا يعرفه ، ماتبقى من زمنه الخاص مقدار طرفة عين ، اما شمس الغد فلن تطلع عليه .

يفزع

يجتاز الفراغ بكينونته الجثمانية من سفل الى علو ، تتباعد أطرافه ، ساعيا صوب غوث غير مرتجى ، قاصدا الهواء ، الفراغ ، يشرع فى الافلات مما يحيط به ، يفتح النافذة حتى وان نزل بلادا تتدنى فيها الحرارة ، ويحتوى الجليد سائر الموجودات . يبقى تحت وطأة انتظار المحق ، المحو . لكنه لا يكتمل ، لا ينتهى عنده ، انما يستمر فى عبوره . لكن مع تكرار الأمر ، مع تأكيد الطبيب المداوى أن الداء ليس عضويا ، انتبه الى بدء الفكاك مع طلة ملامحها ، بزوغها من داخله ، يمعن البصر صوبها وهو حسير ، واذ ينزل به همود يعى انه نجا ، ولكن .. الى حين . لا يعى متى لاحت له الصلة والرابطة بين هذا الوجه الذى لم يعلق نظره به الا لحظات عابرة ، مارقة ، حتى شك فيما جرى ، وأتى عليه حين من الوقت لم يدر ان كان مارآه حقيقة أو وهما ، كانت الملامح التى رأها ، اطلع عليها ، التى حدق اليها فى هذه اللحظات النهارية النائية . المشعة بالضوء الساطع ، تراوحه ، تفارقه ، تدنو ، تبعد ، حتى ايقن فى الفترة الأخيرة أن الأمر متصل ، ذو وشائج ..

متى رآها ؟ متى وقف على هذه اللحظة ؟

لا يمكنه القطع ، او التحديد . لا يقدر على القول أن هذا جرى يوما بعينه ، اثنين أو ثلاثاء ، ذاكرته لم تع ، لم تستوعب ، لكنه يوقن أن هذا جرى فى أيام أوجه ، ومرحلة شدته ، وايناع فتوته .

كان يعمل رساما فى القسم الفنى بالمؤسسة التعاونية ، يوميا يقطع الطريق من بيته فى الحى القديم الى منطقة الدقى الحديثة ، يبدأ رحلته اليومية فى وقت مبكر ، إن صيفا او شتاء ، يمضى عبر السكة الجديدة ، ثم الموسكى ، ميدان العتبة العتيق ، معظم المتاجر لا تزال مغلقة ، فارق كبير بين هدوء الشارع اول النهار وصخب مابعد ساعتين ، يجتاز قلب المدينة الحديث ، وجرى النهر .

الى يمين الميدان الذى تحيطه اشجار مورقة ، خضراء فى تلك الفترة ، يقع مبنى المؤسسة ، عمارة أعدت فى الأصل لتكون مقرا للسكنى ، لكن الادارة استأجرتها كاملة من المالك .

فى الطابق الرابع القسم الفنى . فى الحجرة الداخلية متضدة الرسم . اعتاد الجلوس فوق مقعد مرتفع ، مصباح قوى مثبت بذراع معدنية الى سطح المتضدة الخشبى المائل ، يضيئه أحيانا عندما يمعن فى التفاصيل ، أو فى أيام الشتاء الرمادية ، الكابية .

انها ايام قصية الآن ، لكنه يعى منها الضوء ، وامتداد الافق ، وتوثب روحه عند عبور النيل . لا تلوح بقايا للكدورات التى عرفها وقتئذ ، لم تمس منه العصب ، لم تنفذ الى صميم النخاع .

لا تزال التفاصيل جلية فى ذاكرته ، أبعاد الغرفة . لون الطلاء ، ملامح بعض من اعتاد رؤيتهم وقتئذ ، عامل المصعد ، فى مقدمة ذقنه وشم أخضر مستدير ، مدير الادارة . مشيته المتمايل ، امراة راسخة القوام ، مهيبة الجمال ، لا يستعيدها الا اثناء خطوها ، لا يراها الا مرتدية قميصا اصفر من القطن ، لظهورها أزيز ، لتقدمها وقع ، اسمها هيام ؟ ، ربما ... لا يذكر ، زوجها اصلع تماما ، رآه مرة واحدة عندما جاء ليصحبها ، تبقى منه نظارته السوداء الاطار ، وزجاجها السميك . وتهدل ثيابه ، وهمس جرى بين زميلين حول خشونة مظهره ، ونعومة حضورها الهادىء .

يذكر زميلا هادئا ، متحنيا دائما ، غاب عنه سنوات ، ثم لمحه صدفة يقف خلف مكتب الاستقبال بأحد الفنادق الحديثة .

اذ يستعيد هذه الايام المولية يراها مندغمة ، لحظة من هنا ، هبة من هناك ، نفحة باقية ، وأخرى مطموسة ، ظهور شخص كان صاحبا ، اقبال امراة ، يد تمسك قلما ، صوت يجيب على رنين الهاتف ، ما

اكثر الأمور التى تستعصى على الاستعادة . عبثا يحاول ، كأن شخصا اخر عاشها . اما عمره الذى كان يجتاز العشرينيات وقتئذ ، فمنفصل عنه ، تام الكينونة ، كأنه يمتد الى شخص آخر ، تبدو الأوقات التى كانت متصلة ، متناثرة ، ما من واحدة مكتملة ، عدا تلك اللحظة ، كل زمن وهن إلاها ، كل ما عبره تميع عداها ..

اى رداء كان يستره ؟ اى وضع اتخذ ؟

بالتأكيد ، الالتفات صوب النافذة ، اذ يشعر باجهاد نظره لطول انكبابه ، يولى وجهه الطريق ، كان باستطاعته رؤية جزء من النهر ، وعدد من الاشجار الخضراء التى اجتثت من جذورها فيما بعد ..

فى مواجهة النافذة تماما تقوم عمارة مرتفعة ، يرى الجانب الخلفى منها ، حيث نوافذ الحجرات ، والمطابخ ، وفتحات التهوية ، تطل على الشارع الرئيسى المحاذى للنهر ، تصله منه روائح خاصة لازمته مدة ، لم تتكرر عبر مكان آخر ، طعام يطهى ، ورائحة خبيز كعك وأقراص حلوى فى الفرن الواقع تحته مباشرة .

نافذة مفتوحة ، او اخرى مواربة ، تطل خادمة لتنفض سجادة ، او تتطلع الى لا شىء ، لا ينظر متلصصا ، يحيد ببصره بعيدا عند ظهور شخص ما حتى لا يظن به أحد سوء القصد والنية .

هذا الصباح . رأى النوافذ كلها مغلقة ، لم يلحظ ذلك الا فيما بعد ، حتى بدا الأمر وكأنه تمهيد خفى .

لا يمسك حتى الآن بحواف البداية . لكنه يعى الانبثاقة ، بل انها تكررت داخله مرات فيما تلى ذلك ، يندلع لها نبضه مع أن ربع قرن مضى ، فوجىء بمصراعى النافذة المواجهة له تماما ، ينخفض مستواه قليلا . فتحا . حركة قوية ، عفية ، بدون تمهيد او تأن ، كأن ريحا عاصفة مصدرها داخلى ، لكنه رأى ذراعيها على امتدادهما ، تسندهما حتى لا يرتدا فيكون انغلاق !

انثى ..

شابة ، ذات بهاء واكتمال ، مرمرية التكوين ، فواحة الحضور ، ضاجة الحيوية ، عارية تماما ، كما وفدت لحظة انضمامها الى الخليقة ، رآها باذغة ، متدفقة ، فانصهر الفراغ ، ونبع الضوء منها . لم يعد الا هى ..

ارتج عليه فلم يدر مايفعل ، لكنه شد ، اوثق الى وجودها ، حام منجذبا الى فلكها ..

نهدان مشرعان ، بضان ، فى أوجهما ، استدارة كتفين متناسقين عنق طيع ، اما الخصر فيرق ويدق حتى ليستعصى على المرء تصور امكانية احتوائه على شىء !

فيما بعد ، لم يدر كيف ألم بتقبب أردافها ، وتناغمهما ، وحسن تجاور

شطريهما ، مع انها لم تستدر ، ولم تغير وضعها ، كيف أطلع على أطرافها السفلى ، على قدميها وتناسقهما ؟ مع أن شطر الجدار حجب وأخفى ، فكأنه نفذ عبر حجب المادة ، وأحاط بها من جهاتها ، لكم استعاد حركتها ، تلفتها يمينا ، ثم شمالا ، رفعت رأسها تجاهه ، بالضبط ناحيته ، اليه صوبت عينيها الفوسفوريتين ، نفثت طلاتها ، فثبت ، وتركزت كل الجهات عندها ، الاصلية والفرعية معا ..

لم يتخلله ارتباك انما نشوة غامضة ، لم يعرفها من قبل ولا من بعد ، مزيج من رعشة حسية . وانبثاق داخلي .

وجهها متلألىء ، مشعة ، اما الابتسامة فمنبعثة من ملامحها بأسرها ، يؤطر وجهها شعر اسود ، فاحم ، ولد تناقضا خفيا مع بشرتها الضوئية التى كان بامكانه ادراك نعومتها وطلاوتها من مكانه رغم المسافة التى فكر فى اجتيازها . ولو فعل .. لمضى الى هلاك .

انفراجة ثغرها ، لحظ تبسمها ، بهاء تواجدها ، هذا كله بدد سائر الموجودات المادية حولها ، حتى اوشك ان يراها واقفة فى فراغ مبين ، ما عداها عدم ..

استوعبها فى مجملها ، وقفتها ، امتداد ذراعيها ، تناسقها ، اصولها الكامنة ، وفروعها البادية ، وعندما تأهب ليرجع الكرة ، فوجىء بها تتراجع قليلا . بدأ انسحابها متمهلا ، بطيئا ، لم يدر من يدفع مصراعى النافذة ، لكنهما انغلقا بقوة ، توارت ، اختفت ، ولكن بعد نفاذها الى لب كينونته ، وعميق مسامه ، غلب على بقية يومه دهشة وعجب وطوال الليل انتشى فلم ينم الا فجرا ، وصل المكتب مبكرا ، خفيفا ، مشرقا . وبقيت النافذة مغلقة .

عبر ايامه التالية علق بصره بها ، لكن لم تظهر ، لم يفض بما راه الى مخلوق وإن اثقله الأمر ، شغله ونال منه . اخذ الحيطة ، خشى ان يجرى انبثاقها فجأة ، اثناء انحنائه على لوحة . او عند خروجه من الغرفة ، أمل فلزم ، لكن عبثا ..

مع بدء ايوائه الى فراشه تغمره نشوة ويتفجر داخله فيض ، حتى ليود المضى فى عمق الليل الى مكتبه ، لعل وعسى ، وعند بدء مشيه تتسع خطاه ، يخف تعبه ، لطالما تعجل طلوع النهار، ثم الوصول .

احب الخلوة ، آثر الانفراد ، النأى عن الخلق ليستعيد بمفرده ما رأى ، ليسترجع الرؤيا ، الجسد النافر ، الداعى ، ملاحة الوجه ، جمال لم يطلع عليه من قبل ، رصده فى لمحة ، لكنه أودع داخله أثرا لا يمحى ، لا يزول ، لا تبهته الليالى ، وتوالى ساعات الكدر او الصفو ..

أحيانا يجد المتعة فـى استـعـادة التفـاصيـل . التعلق بأمل الظهور ، لكن .. عبثا ، لم تفتح النافذة قط ، فكأنها اوصدت الى أبد أبيد .

حتى بدأ الوهن ينال منه ؟

لا يمكنه القطع او التحـديد ، لكن فى الشهر الاخير الذى سبق انتقاله من مقر عمله هذا ، خطر له ان يرقب باب العمارة ، لعله يراها داخلة او خـارجة ، مـا أيسر ذلك ، البناية مطلة على النيل ، لا يفصله عنها الا عرض الطريق ، فـوق مقعد حجـرى قديم . بين شجرتين عتيقتين ، ثبت .

بدأ فى السادسة صباحا . ليس معتاداً خروج امرأة قبل هذه الساعة ، لكنـه آثر الحيطة . اذا لم تكن موظفة او طالبة فعليه الانتظار ، ربما تمضى لشراء حاجة او لزيارة اقارب ، يوم بأكمله ، من شروق الشمس الى مابعد غـروبها ، لم يفارق بصره مدخل الـعمـارة رمـاديـة الطلاء ..

فى سنواته التالية . كلما مر فى الشارع ذاتـه ، تطلـع الى المبنى ، يدور حوله ، فى وقت خـريفى ، ومساء موشـك على الاكتمال . رأى النافذة مفتـوحـة ، لم يكن باستطاعتـه الصعود الى الغرفة التى شغلته ست سنوات متصلة . المؤسـسـة الغيـت ، المالك استرد المبنى ، يقيم فيه الآن آخرون لا يعـرفهم ، المـلابس المغسولة ظهرت فى الشـرفات الخلفيـة ، يجهل من يأوى الى الغـرفة التى لـزمها سنوات متتالية ، لا



يعرف من يتطلع عبر النافذة التى رأى منها ما رأى، طال وقوفه فى الطريق. خشى أن يسأله أحدهم عن تطلعه، عن تعلق بصره بالطابق السادس فى هذا البناء، مضى حسيرا، خاويا..

من يدرى، ربما انتقلت الى منطقة أخرى من المدينة، ربما تزوجت، ربما رحلت الى مكان ما فى العالم، ربما تتنفس هواء غربة.

فى إحدى الامسيات جلس امام التليفزيون، أم كلثوم تشدو، تتمايل، تتنقل الكاميرا بين المستمعين فى صالة المسرح والمنصة، رأى رجالا ونساء. هى.. هى، لمحها. لا يمكن ان يخطئها أبدا، يعرف صبوحة الوجه، ودقة الملامح، مال ممسكا بحافتى الجهاز، حدق وأطال، لكن لم تظهر صورتها قط، حتى عندما عادت الكاميرا الى المستمعين صورت آخرين. بعد انتهاء الاغنية تراجع منهكا، متعبا.. التسجيل قديم، تمت اللحظات المصانة الى بداية الستينيات.. أحقا هى أم شبه له؟

أين هى الآن؟ أين؟

لابد أن ملامحها تغيرت، ربما أصابها مرض، ربما أدركها وهن، ربما لم تعد فى بهاء اللحظة، فى هذه الليلة ادرك ان ملامح الوجه نال منها الوقت، لم تعد واضحة، محددة، كان يدركها فى مجملها، ولكن التفاصيل التى استرجعها حولا كاملا اندغمت، انطمست..

دهش وهو يمعن الرحيل داخل ذاته. أحقا هو الذى عاش اللحظة المتفجرة بالجمال، الاستثنائية، التى أعمت بصره عما عداها؟ أهو ام شخص آخر لا يمت اليه بصلة؟

مضت السنوات بسرعة، كأنه ماض فى طريق طويل، منقسم الى مراحل، لا تتضح له كل منها الا بعد تمامها، اذ تنتهى يقوم حاجز مستحيل اجتيازه، او التراجع عبره، كأن يدا خفية تدفعه دائما صوب نقطة يجهلها، مع كل خطوة تبهت الصورة، وتتميع الكينونة، لكم سافر، رحل وحط، راح وجاء، اعتل وقام، فرح وحزن، طرب وشجى، لكم تبدلت به المواقع، بعض من تصور انهم مقيمون ابدا فارقوا، ومن توهم دوام وئامهم بغير خلل، وقعت الوحشة بينه وبينهم.

لكن فى حله وترحاله، فى بسطه او طيه، فى اقباله او ادباره. لم تندثر هذه اللحظة وان غامت. لم تفن وان خبت، لم تنمح وان تميعت.

تعاوده فى مواقف شتى، فى لحظات لم يعد لها، وأوقات يبدو ذهنه خلوا تماما منها، فجأة.. تنبثق، فوَّارة، متدفقة، فاذا كان صامتا غمغم وهمهم، واذا كان فى حركة كف وتوقف،

وإذا ضمته صحبة

انفرد ، ربما هج مسافة ليخفف من الاندفاع المتوالي في أعماقه ، والذي يدفع به الى الرغبة في الصياح ، او ذرف الدمع ، او نطق الحسرة الموجوعة . أوقات ينوء بالحمل ، فيلفظ آهة يدهش لها محاوروه ، يستفسرون عما به ، ماجرى له ، هل يشعر بمكروه ، لكنه يكتم ولا يبوح ..

الـغـريـب .. ان لحظات ود شتى . وأوقات صفاء مع ذوى الود والقربى ، اوشك على البوح ، احيانا يشتد به الدافع أن يحكى ، أن يفضفض ، أن يروى للآخرين باللفظ المسموع حتى يسمع نفسه أيضا . لكنه اذ يهم . يفاجأ بقلة حيلته ، وانتفاء رغبتـه .. لم يشـأ مشاركة آخرين له ، فى الشهور الاولى التالية ، كثيرا ماتساءل ، هل بدت لغيره ، هل رأى آخر ما رأى ؟ ويتمكن منه غيظ لو أتاه الخاطر بمجرد احتمـال ايجابى ..

ما رآه لم يقصه على أحد ، لم يصفه لمخلوق ، أما رغبته التفوه به ، فيحققها اذا خلا بنفسه ، خاصة فى الفنادق النائية ، فى البلاد القصية التى اغترب فيها أياما معدودات .

اذ يعمق الليل ، ويمعن فى وحدته ، يحـدق فى الفـراغ المكـانـى الضيـق ، يحاول استدعاء اللحظة ليـراهـا ، جليـة ، سافرة ، وكثيـرا ما تنتفض رغبتـه ، فيسرى عنده شبق غريب ، حتى ليراها منحنيـة ، معـانقـة ، منفرجة ، فيقدم على بـذل الجهـد الأتم لمضاجعة العدم .

احيانا يوغل ، لكنه كلما بذل الهمة ازدادت الملامح بعداً ، عندئذ يلفظ ، يحدث نفسه بما رأى فى هذا اليوم البعيد ..

- انا من شاهدها ، انا من اطلع عليها ، هى نظرت الىّ ، كانت عارية كلحظة ولادتها ، لم تحتجب للتو ، انما بقيت تضوى فى مجال بصرى ..

حتى دهمـه ذلك العرض ، اكتمال وعيه بأوان المفارقة ، ما أقطع اكتمال الوعى بانقضاء المدة بعد دقائق ، بعد ثوان ، كالمعصوب فى الثوانى الأخيـرة منتظـرا رصـاصـات الفـريق المتأهب ، لكنه وحيد تماما ، خلو من كل عون ، لن يطأ ارضا أحبها . وميناء اعتادت البهجـة ان تلامس روحه اذ يصله ..

فى العتمة المطبقة لاح له هسيس ضوء ، ورؤى بعيدة ، اطياف من وقفتها ، تطلعها نحوه ، شروعها ـ الذى كـان ـ تجاهـه ، لم يستعـد التفاصيـل ، انما المعنى ، وبقدر تشبثه تنتظم انفاسه ، وبقدر تعلقه اليائس الضارى بالعبيد العتيق يخف الخطر ، أدرك الصلة وكنه الرابطة . بيـن قـدرتـه على استرجاع قبس من اللحظة المنقرضـة ، المـوليـة ، وبيـن استطـاعته استنفـار قـوى تـوشـك على الأفـول ، تمكنه من الطفو .

بعد ٣٠ عاما

اتحاد كتاب اسيا وافريقيا في انتظار اعادة البناء

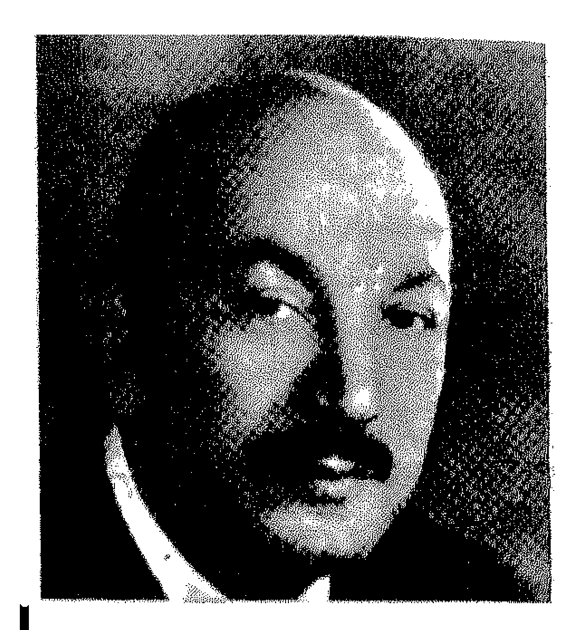
بقلم: يوسف القعيد

●● ((والآن : ماذا سنفعل بهذا الاتحاد ؟!))
كان هذا هو سؤال لطفي الخولي الاول بعد اعلان عودة اتحاد كتاب آسيا وافريقيا الى مصر . لكي يستانف نشاطه منها بعد عشر سنوات من تجميد دوره في القاهرة . واستئناف هذا العمل بصورة مؤقتة من طشقند .

● وسؤال لطفي الخولي يطرح الطريقة الصحيحة للتعامل مع هذا الاتحاد العائد الى مصر . ذلك ان العودة جاءت أيضا في ظروف تتغير فيها امور الاتحاد والعالم كله بصورة شديدة الوضوح

عاد الاتحاد الى مصر في الشهر الاخير من عام ١٩٨٨ . اى بعد ثلاثين عاما بالضبط من انشائه ، وخلال هذه السنوات الثلاثين . تغير كل مافي الدنيا وليست مجرد فكرة اتحاد كتاب اسيا وافريقيا .

والاتحاد كان الابن البكر لمنظمة تضامن شعوب اسيا وافريقيا . ولكن في حين تطورت منظمة التضامن واصبحت في عضويتها دول من امريكا اللاتينية وبعض دول اوربا الاشتراكية فان الاتحاد بقي اتحادا يقوم على أساس جغرافي أى لكتاب اسيا وافريقيا فقط . مع ان كتاب امريكا



احمد حمروش

اللاتينية فعلا يمرون بنفس الظروف ولهم القضايا نفسها - والهموم ذاتها ·

والمنظمة والاتحاد معا نشأ في اواخر الخمسينيات عندما كانت معظم هذه الدول محتلة · وكان النضال ضد المحتل هو كل دورهما السياسى وكان الاتحاد السوفييتى حسلم كل الباحثين عن الخلاص ·

وكانت أوربا الاستعمارية · قد أصبحت قارتين · اوربا الغربية واوربا الشرقية · وكانت امريكا تبحث لنفسها عن دور خاص بها · بين الدول اوربا الاستعمارية · وحلم الاتحاد السوفيتى وكان العدو الاسرائيلى مجرد افتراض ذهنى فى مشروعات المستعمرين

كان العالم قد تذوق طعم الكيانات الكبرى · ولذلك كان الهدف الجوهرى للاتحاد هو اقامة اكبر قدر من الصلات بين ادباء اسيا وافريقيا دون ان يكون من اهدافه ان يقيم جسور اتصال بين ادباء وكتاب اسيا



لطفى الخولى

وافريقيا وباقى كتاب العالم · ان من ينظر الى الامر بروح اليوم قد يجد فيه نوعا من الشوفينية الاسيوية الافريقية ولكن هذه الشوفينية كانت مبررة ومشروعة منذ ثلاثين عاما · والان لا مفر من اعادة النظر فى هذا الامر الذى نراه الان وكأنه نوع من الانكفاء على الذات ·

اى لا مفر من ان يكون ضمن اهداف الاتحاد اقامة جسور حوار مع باقى الحضارات الاخرى وكذلك اجراء اتصالات · - وباستثناء كتاب الكيان الصهيونى وكتاب الكيان العنصرى فى جنوب افريقيا - فان الاتصال بكافة الكتاب فى العالم امر لابد منه الان · ذلك ان كتاب اسيا وافريقيا الذين كانوا ينظرون الى العالم منذ ثلاثين عاما اما من خلال العداء او الاحساس بالدونية عليهم الان ان يحاولوا مشاركة هذا العالم بعد ان تغيرت كافة الظروف ·

عضوية هذا الاتحاد مشكلة اخرى فعند نشأته كانت عضويته من كتاب فى بلدان آسيا وافريقيا : اما اعضاء

اتحاد كتاب اسيا وافريقيا
فى انتظار اعادة البناء

اتحادات الكتاب فى هـــذه البلدان او فى لجان التضامن مع شعوب اسيا وافريقيـا ٠

وهذا المقياس القديم للعضوية لم يعد صالحا الان ٠ لانه من نتيجة ذلك ان نجوم اسيا وافريقيـــا فى الادب ليس لهم اى مكان فى الاتحاد ٠

والاسئلة على ذلك كثيرة ٠ فان كنا نعتبر ان الاسماء المحلقة فى ســماء القارتين الان هم : اســماعيل قــدرى الالبانى ٠ دياشار كمــال التركى ٠ وسليمان رشدى الهندى ٠ سنجد ان هؤلاء لا وجود لهم فى الاتحاد ٠ اما لانهم ليسوا اعضاء فى الاتحادات الخاصة ببلدانهم او لاسباب اخرى٠ وعندما جرى ترشيح سليمان رشدى لعضوية هيئة الرئاسة ٠ قام رئيس الوفد لكى يقول ان رشدى لا يغضب فهو يعيش فى انجلترا ٠

الحل فى نظـــرى هو البحث فى السماح للعضوية المفـــردية ٠ وان يكون المقياس الوحيد هو الابـــداع الادبى بصرف النظر عن تفاصـــيل وتعقيدات العلاقة ما بين الـــكاتب واتحاد الكتاب فى بلده ٠ وبعيدا عن موقف هذا الكاتب او ذاك من السلطة الحاكمة فى بلده٠حتى لا يقال مستقبل هذا الاتحاد انمـا قد يتحول الى حركة تحرر لبلدان اسيا وافريقيا بعـــد سنوات ٠

ان حال الاتحاد بعد هذه السنوات الثلاثين من عمره ٠ حيث قضـــى عشرين عاما فى القاهرة وعشـــر سنوات فى طشقند ٠ حـال الاتحــاد لا يحتاج الى تعديلات او تغييـــرات ولا الى عملية ترميم او جراحـــة او تجميل ٠ ولكن يحتاج الى بنـــاء جديد تماما ٠ حتى يتم بناء المؤسسة بعيدا عن الاشخاص ٠ مهمـــا كانت قدرة هؤلاء الاشخاص على الانجـاز الضخم والكبير ٠ فقد ثبت بالدليل ان المؤسسة ابقى من الافراد واكثر قدرة على الاستمرار على الرغـــم من كافة التغيرات ٠

وجوهر الاساس عندى فى عمليـــة البناء من جديد هو حجم القضـــية العضوية اولا واخيرا ٠

التعارف وتبادل الخبرات والنشـــر من اهم اهداف قيام هذا الاتحـــاد ٠ والاتحاد وله مجلة « لوتس » ٠ التى اصبح لها الان كتاب لوتس والمجـــلة يراس تحريرها الكاتب الفلســطينى زياد عبد الفتاح ٠

والمجلة تترجم ثقافات الكتاب الى الانجليزية والفرنسية علاوة على نشرها فى الاصل بالعربية ٠ وفى خطـــة المجلة ان تصدر طبعة روسية من هذه المجلة ٠ وان كان هذا المجهد جيـــدا الا انه لابد من اضافات له ٠

لماذا لا تكون هناك طبعة صينيـــة من لوتس وطبعة هندية ٠ حيث أن من يقرءون بهاتين اللغتين يزيـــدون عن المائة مليون من كل لغة ٠ على حدة ٠ على ان تتبعها طبعات فى اللغــات الافريقية الاسيوية ٠ عـــلاوة على ما يصدر الان ٠

ثم ان عملية ترجمة النصـــوص الادبية الى الانجليزية والفرنســية يجب ان يعاد النظر فيها ٠ فالمفروض ان يقرا الكاتب التركى لكاتب صينى

وان الصينى لهندى · اى ان تكون هناك حركة ترجمة اسيوية افريقية داخليه · تنشر مباشرة من لغة الى اخرى دون المرور بلغة وسيط فى المنتصف · هذا الوسيط هو الانجليزية او الفرنسية ولا يجب ان ننسى ان الفرنسية هى لغة المستعمر لا المحتل الفرنسى فى حالة افريقيا · وان الانجليزية هى لغة المحتل فى بلدان اسيا ولا يجب ان يكون المدخل هو لسان المحتل الذى حمل عصاه ورحل منذ حوالى ربع قرن مضى ·

ان الاتحاد يوشك ان يصبح عربيا ، الامين العام عربى وهو لطفى الخولى وفى مجلس الرئاسة ثلاثة من ابناء الوطن العربى هم : نجيب محفوظ ومحمود درويش والكاتب السورى على عقله عرسان ·

ومع هذا فان الاتحاد لا يوجد فى داخله اى شكل من اجل الاتصالات العربية ، واتحاد الادباء العرب جرى نقله الى بغداد بعد كامب ديفيد ولذلك فان الطلب من اتحاد كتاب آسيا وافريقيا : اما ان يحاول اعادة اتحاد الادباء العرب الى القاهرة · او ان يضيف شكلا ما من اشكال الاتصال العربى فى داخله لان هذا الاتصال سيعطى الكتاب العربى فرصة ان يظهروا فى الاتحاد الكبير بصورة اكثر تحضرا · وبموقف عربى متجانس ـ ولا اقول موقفا واحدا ـ يظهر تفاصيل الوجه العربى فى مثل هذه اللقاءات الدولية ·

لقد عاد الاتحاد الى مصر · وهو مكسب كبير للاتحاد والكتاب ولمصر · واصبحت مصر دولة المقر والامين العام من ابناء مصر · وهذه الامور ليست حلية نضعها على صدر مصر · بقدر ما هو مسئولية تاريخية على مصر ان تقوم بها ·

واول هذه المستويات ان يتم تطبيع العلاقات بين اتحاد كتاب اسيا وافريقيا واتحاد الكتاب فى مصر · الذى يأخذ موقفا بالغ الغرابة من الاتحاد حتى الان · حيث يبدو وكأنه غير معنى بالامر كله · وهو موقف من الصعب العثور على تفسير له · ففى حين نجد ان كل كتاب مصر هم ابناء اتحاد كتاب اسيا وافريقيا وان العلاقات بينهم وبين الاتحاد الاسيوى الافريقى اكثر من جيدة على مستوى الافراد ولكن هذه العلاقة لا وجود لها على مستوى المؤسسات · اى اتحاد كتاب مصر واتحاد كتاب اسيا وافريقيا ·

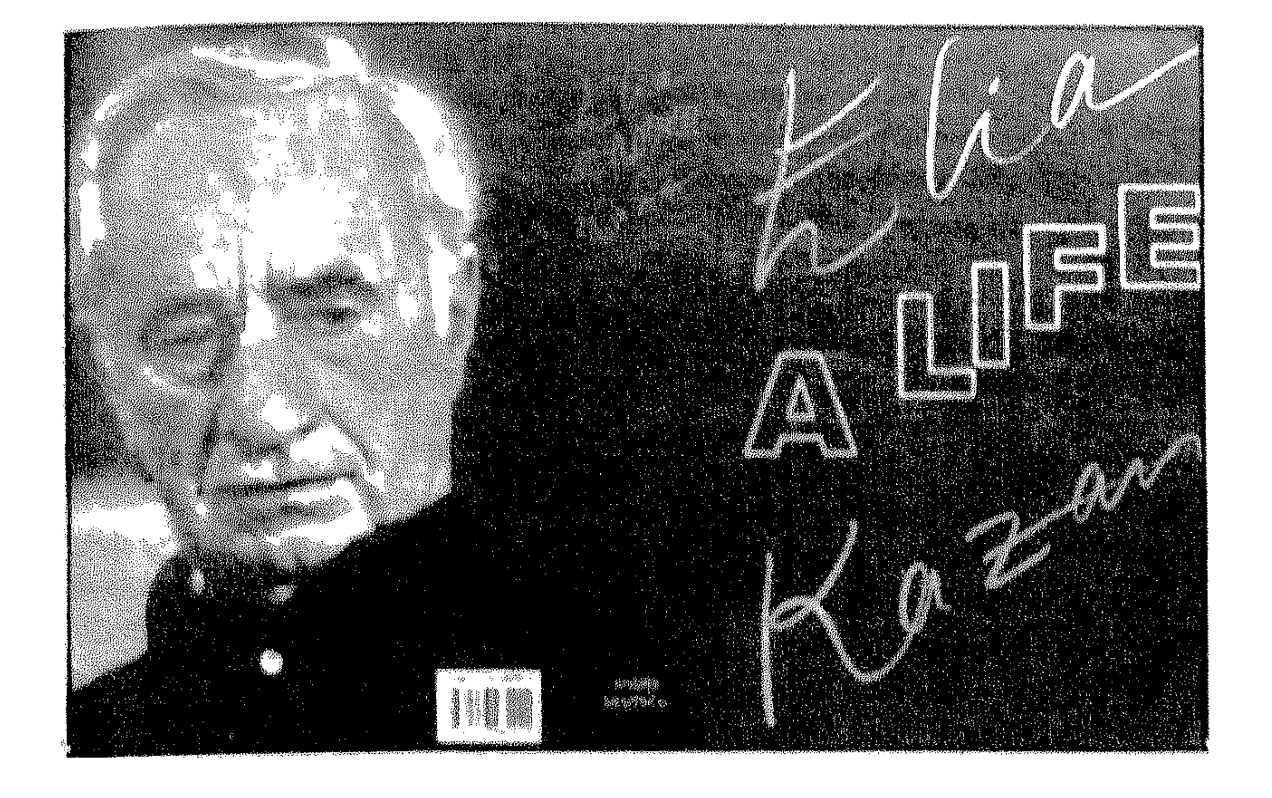
لقد كانت عودة اتحاد كتاب اسيا وافريقيا الى مصر هى الجهاد الاصغر ··

وقد نجحت مصر فى هذا الجهاد الصغير ··

اما الجهاد الاكبر والحقيقى فهو ان يكون هناك دور مصرى فى تطوير هذا الاتحاد والخروج به من عقد الخمسينيات الى افاق زماننا المختلفة والاكثر رحابه · وكذلك احتواء كافة المتغيرات التى طرأت على العالم منذ ان انشىء هذا الاتحاد وحتى الان ··

لقد تم الجهاد الاصغر

ولكن ما اصعب الجهاد الاكبر القادم ·



إلياكازان

حياة بلا حياء

بقلم: مصطفى درويش

يقص علينا المخرج المسرحي والسينمائي والكاتب الامريكي الشهير المنحدر من أصل يوناني في مجلد كبير من ثمانمائة واربع وثمانين صفحة .. يقص كيف تطاولت على حياته الأيام والسنون منذ تحركت أوصاله في بطن امه قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بقليل في اسطنبول عاصمة خلافة آل عثمان .. وحتى الآن ..

ومن العسير ، إن لم يكن من المحال ، أن أصف فى ورقات قلائل كل ما جاء فى هذا المجلد غير العادى الذى يعرض فيه صاحبه لسيرته على نحو مكشوف غير مألوف فى ذكريات الفنانين ، لا ارى له فى ذلك شبيها سوى اعترافات « جان جاك روسو » فى سالف الزمان ..

نفس لوثة الجنس عند « روسو » ، نفس عقدة الأضطهاد المترسبة المتعصبة ، نفس غلبة الشعور الفياض الحاد على التفكير المتأنى العميق ، هذا إلى رهبة الغربة وليدة الحرمان من نعمة الانتماء إلى الزمان والمكان ..

نفس المركبات نفس الجروح ، نفس الرغبة فى التشفى والانتقام ، كل هذه الأوجاع كما قفزت قديما من اعترافات « روسو » نراها تقفز الآن من صفحات « الياكازان » .

● العرى .. لماذا ؟

ولو قرأنا بعين بصيرة لاتغفل ماكتبه كازان عن حياته لوجدنا أمامنا مبدعا مدفوعا بسنين من الذنب والندم ، الكاثوليكية والتحليلات النفسية ، العجز فنيا عن التعبير عن الذات الحقيقة ..

مدفوعا بكل هذه الاسباب الى تعرية جسده وروحه للقارىء .. ماضيا فى هذا السبيل الى حد التحدى ، مغاليا فى ذلك الى درجة حدت باحد المعلقين الى وصف ما كتب بالمجلد الوغد ..

ولا غرابة فى هذا الوصف ، فكازان فى حشد كلمات هذا المجلد الذى يقرا بلهفة وشغف ومتعة ، إنما يعرى نفسه وهو فخور نشوان . .

بفضل هذه التعرية المدهشة ، نعرف أنه منذ صباه ماهر فى التسلل كثعبان ، قادر على الغش والكذب والتلون المخادع كحرباء ، خبير فى فن الرياء والألتواء والنفاق الى حد الهوان فلان أسلافه اليوننين قد جاءوا الى العالم الجديد مهاجرين فارين من الاضطهاد فى اناضول تركيا ، فقد كتب قائلا انه كان دائما يرسم على شفتيه ابتسامة يخفى بها حقيقة عواطفه ، وذلك على عادة اهل اليونان فى دار خلافة آل عثمان .

« وكازان » يتخذ من الغلو فى حملته على ابيه ، وعلى البيض المعتنقين للبروتستينية المنحدرين من اصول انجلو سكسونية مبررا لمسلكه هذا .

● الباب الضيق

فالأب كان بائع سجاد فى نيويورك ، غليظ القلب ، افتقد « كازان » فى ظله الفهم والرعاية والحنان .

ورفاق الدراسة فى كلية « ويليمز » كانوا من تلك الأقلية البيضاء الغنية التى تحتقر كل من كان مثله غريبا فقيرا ، تعتبره ليس أهلا لمشاركة أبنائها حياتهم الاجتماعية بما تحتوى من الوان اللهو واللعب ..

وعلى كل ، فقد استطاع « كازان » من خلال بابى « جماعة المسرح » و « الحزب الشيوعى » الامريكى أن يخرج من عزلته ، يتخلص من الشعور بغربته ، ويمضى فى طريق بناء مستقبله الى أمام ولكن انتماءه لهذا الحزب لم يستمر طويلا ..

فبعد سنة من التحاقه به ، اذا به يستقيل محتجا على تدخله فى شئون « جماعة المسرح » مؤثرا الحرية على الألتزام .

وهذه اللحظة القصيرة من حياة « كازان » فى غضون الثلاثينيات نراها بعد ذلك بسنين تلعب دورا كبير الاثر فى مسيرة تلك الحياة ..

● اليوم المشئوم

ففى بداية الخمسينيات .. واثناء اوج مجده

إليا كازان

حياة بلا حياء

في هوليوود ، جرى استدعاؤه للمثول امام « لجنة المجلس للنشاطات غير الامريكية .. حيث طلب اليه امر كريه ، هو ان يذكر اسماء من كانوا رفاقه في خلية الحزب الشيوعي قبل عشرين سنة .

ويتردد غير ان تردده لم يكن من النوع الذي يدوم طويلا ..

فهاهو ذا امام تلك اللجنة متطوعا بافشاء اسماء احد عشر رفيقا ممن كانوا معه اعضاء في الحزب المذكور ..

وهذه الشهادة التي اعتبرها اليسار داخل الولايات المتحدة وخارجها خيانة لاتغتفر ، تشق كتاب « كازان » كله كالاسفين ـ ظاهرا وخافيا ـ سيخ ملتهب كالجمرة لم تنطفيء ، رغم كر السنين ، مغروز في قلب المخرج والكاتب الكبير وعن يوم العاشر من ابريل لسنة ١٩٥٢ ـ ذلك اليوم المشئوم الذي خان فيه « كازان » رفاق السلاح يقول في كتابة « كان ثمة ايام تمنيت لو تغتفر » .

ولكنه سرعان ما يستدرك قائلا « انا رجل لايغفر .. لا اطلب من اعدائي المغفرة ، كما انني لا اغفر لهم » .

وفي صفحات اخرى من كتابه نجده يصرح بان « الانتقام كان احد الدوافع المحركة ، له في الحياة .. الانتقام بشكل او بآخر من أبيه واهماله لشأنه ، من زملاء الدراسة واحتقارهم له ، من الحمر ومكائدهم التي لا تنتهي .

وهو في سعيه للانتقام يرى في كل شخص غير معجب بكتبه وافلامه عدوا .

فاذا كان هذا الشخص سياسيا فلاشك انه من الشيوعيين الأوغاد ..

واذا كان امراة فلا جدال انها من ساقطات النساء .

● جيكل وهايد

اما كيف اقنع « كازان » نفسه بالادلاء باسماء من كانوا في يوم من الايام من الرفاق والأصدقاء فهذا حسبما جاء في الكتاب لمما يدخل في باب العجب العجاب ..

بداعة عاهد « كازان » نفسه والاصدقاء الا يبوح باي اسم مكتفيا بالاعتراف على نفسه ..

وهو ما كان يمثل في نظر اليسار القديم حدا ادني معقولا وان كان مريبا من التعاون مع لجنة النشاطات غير الامـريكية السيئـة السمعة ..

ثم اخذ في التراجع عن تعهده هذا خطوة .. خطوة .. كيف ؟ استشار زوجته « مولي » (التي كانت متطرفة في عداء الحمر الى ابعد الحدود) .

فصاحب الاستديوهات المليونير الواسع الثراء « سبيروس سكوراس » الذي اعطاه نسخة من كتاب « هربرت فيلبريك » « عشت حياة بوجوه ثلاثة » ..

فمنتج « شجرة تنمو في بروكلين » اول فيلم اخرجه في هوليوود «بد لايتون » الذي كان احتقاره للشيوعين لايفوقه الا الاحتقار الذي يحمله للاحرار ..

واخيرا قيصر شركة فوكس للقرن العشرين « داريل زانوك » الذي اخذ باقتراحه اخرج كازان فيلما معاديا للشيوعية «رجل على حبل مشدود» لعله اسوا افلامه ..

وطبعا لم تخرج نصيحة الاربعة له عن كلمات « زانوك » الخالده « ليس المطلوب ان تكون على حق ، وانما المطلوب ان تفوز »



كازان مع فيفيان لى وكيم كنتر اثناء تصوير "عربة اسمها الرغبة" عام ١٩٥٠

وضرورة التمسك باهدابها ، والسير على هديها .

● أصدقاء العمر

ولا تقف هذه الحكاية المليئة بالمضحكات والمبكيات والاهات والحسرات عند حكمة هذه الكلمات البينات ..

إنه لايزال حائرا .

وها هو ذا فى غابات كونكتيكت يتنزه مع صديق العمر الكاتب المسرحى « ارثر ميللر » الذى كان يشاركه فى اشياء كثيرة من بينها نجاحات المسرح فى برودواى ، الجذور التقدمية ومارلين مونرو ..

(وان كان لايبدو ان « ميللر » كان على علم بان « كازان » كان منغمسا فى علاقة غرامية اثمة مع ملكة الاغراء ..

وأثناء الحديث ـ وقبل الفراق ـ فوجىء « ميللر » بخبر جنوحه الى التعاون مع لجنة النشاطات غير الأمريكية طوقا للنجاة .

وجاء تعليقه ـ بعد ان سمع الخبر المفجع ـ هادئا رزينا «لاتقلق بالنسبة لما قد افكر فيه .. انا موافق على اى تصرف لك ، لانى اعرف ان

قلبك فى المكان الصحيح » .

يلاحظ ان هذه الكلمات المنسوبة الى « ميللر » لم يرد لها اى ذكر فى كتابه « حياة .. الزمن ينحنى ..» ١٩٨٧ .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد وصف « ميللر » فى كتابه المذكور وقع حديث الغابات هذا عليه بأنه كان مميتا ..

ولم يكتف « كازان » بالحصول على موافقة صديق العمر ، بل تواعد مع صديق عمر آخر الكاتب المسرحى « كليفورد او ديتس » على العشاء فى احد المطاعم حيث استأذنه فى ذكر اسمه للجنة .

وما ان حصل على موافقته ، حتى توجه الى استديو استاذه « لى ستراسبرج » حيث استأذن زوجته « بولا ستراسبرج » فى ذكر اسمها هى الاخرى .

● الثمن والحقيقة

وكان اسم الممثل والمغنى الشعبى « تونى كرايير » واحدا من بين الاسماء التى جاء ذكرها على لسان « كازان » فى اليوم المشئوم ..

وعندما مثل « كرايير » امام اللجنة حيث سئل عن حقيقة علاقته بكازان ، اذا به هو الاخر يرد متسائلا هل كازان هذا هو الذى وقع عقدا بخمسمائة الف دولار فى اليوم التالى لقيامه بافشاء الاسماء لهذه اللجنة .. ؟ ..

وعند ملاحظة « كرايير » هذه يقف « كازان » حانقا محاولا مقارنتها بالأسلوب الذى اشتهر به « هتلر » فى خداع الراى العام .. أسلوب الكذبة الكبيرة يسهل تصديقها لا لشىء سوى انها كبيرة ..

ومع ذلك فالحقيقة العنيدة تقف الى جانب ملاحظة « كرايير » مؤيدة مكذبة « كازان » ففى خلال عقد الخمسينيات الذى شهد فيه « كازان » بما شهد آخرج أهم افلامه .

وفى وصف مكانته فى غضون هذا العقد الذى تحول فيه الى مخبر يقول وملؤه الفخر .

● الشبح والضمير

«عندما كنت استطيع ان اصنع اى فيلم أريد» وهو وصف ينصرف ايضا الى المسرح حيث كان يستطيع ان يخرج اية مسرحية يشاء ..

يعترف « كازان » فى كتابه بشبح الضمير المكروب يطارده فى الاحلام .

فاحيانا ينصرف تفكيره .. وهو نصف مستيقظ الى الرجل الطيب « تونى كرايير » ويتساءل ما الذى يفعله الآن وحتى فى اليقظة بعيدا عن عالم الاحلام ، كان يجد نفسه مواجها ببعض المواقف المحرجة مثل ذلك الموقف الذى التقى فيه مصادفة بالممثل الكوميدى الراحل « زيرو موستل » واحد ضحايا موجة الماكرثية العاتية .

فاذا به « يلف عنقى بذراعه ، ويضغط قليلا ، وهو يقول بصوت يقطر الما لم اسمع له مثيلا من قبل « لماذا هذا الذى فعلته » .

او مثل تلك الدعوة التى ارسلها اليه الممثل « كارل مالدن » لحضور ليلة افتتاح مسرحية له فى برودواى .

واذا به يسمع ان دعوة مماثلة قد وجهت الى الممثل « سام جاف » .

ولكن عندما اخبره صاحب الدعوة « انه سيجلس معى فى نفس الصف ، رفض سام الذهاب » .

او مثل تلك الرسالة التى تلقاها من مجهول وهو يخرج آخر فيلم له «آخر اقطاب المال» (١٩٧٦) .

واذا به عندما يفضها يقرأ الاتى

« اليا .. انت قطعة وسخ .. اقرأ المحضر طية واخجل من نفسك .. حيوان مثلك عليه ان ينظف المراحيض ، لا ان يصنع الافلام » .

اما المحضر فقد كان المحضر الرسمى للجنة المجلس للنشاطات غير الامريكية « ١٤ يناير ١٩٥٢) .

ورغم ذلك فالاكيد انه كان اثناء اليقظة دمويا .

«ففى اقل من سنة ، توقفت عن الشعور بالذنب او حتى بالتحرج من شهادتى » . مرتاحا اشد ارتياح الى وجوده فى معسكر الحرب الباردة معتقدا اعتقادا جازما ان ثمة منظمة ضده من الشيوعيين واتباعهم من السذج المغفلين .

وطبعا انعكست اثار هذه الحملة على افلامه ، وآية ذلك « الزوار » (١٩٧٢) الفيلم الذى انتجه واخرجه ثم ذهب به الى مهرجان كان .

فلو لم يكن المخرج « جوزيف لوزى » وهو الآخر احد ضحايا الماكرثية - رئيس لجنة التحكيم وقتئذ لكانت جائزة المهرجان الكبرى من نصيب فيلمه « الزوار » .

● الثراء والشهرة

والاكيد .. الاكيد ان نجاحه ابان الخمسينيات بافلام مثل « يحيا زاباتا » « عربة اسمها الرغبة » «فى جبهة العيناء» «شرق عدن » ، الطفلة العروسة » و « وجه بين الجماهير » .

ونجاحه فى تحريك ممثلين كبار مثل « فيفيان لى » ، « مارلون براندو » « جيمس دين » وغيرهم كثير .

كل هذا النجاح كان لابد ان يكون له ثمن باهظ ، هو فقدان السمعة الى يومنا هذا ..

ومع ذلك .. فبفضل هذا النجاح تحققت « لكازان » مكاسب من بينها المال والبنون .

● خوارق

وفوق هذا مغامرات لا عد لها ولا حصر مع نساء جميلات ساحرات ، وذلك رغم انه وباعترافه ، لايحمل سوى خصية واحدة ، اما الاخرى فقد فقدها اثر مرض ألم به وهو فى سن الصبا والبراءة .

وتبريرا لاتصالاته الجنسية المسرفة مع الممثلات وغيرهن من الحسناوات الراغبات فى الشهرة والمال - تلك الاتصالات التى عانت منها زوجته الأولى عناء شديدا على امتداد ثلاثة عقود من عمر الزمن - يقول « كازان » .

« اعتقد انه من المحتم على المخرج وممثلاته ان يقع بينه وبينهن هذا النوع من الاتصال » .

وهو يصف علاقته « بمارلين مونرو » متلذذا وكأنه بعد ان بلغ من الكبر عتيا (٧٨ سنة) قد ارتد مراهقا ..

ولولا خشية الاطالة لنقلت وصفه لها وهى معه فى مخدع واحد ، ومن فوقهما تطل صورة صديق العمر « ميللر » قبل ان يصبح زوج ملكة الأغراء الثالث والأخير .

ولا استطيع ان انهى الكلام دون ان اقف عند وصف « كازان » لهذه العلاقات الجنسية بأنها « مصادر معرفة .. تعليمى » .

ثم تعليقه على مافعل قائلا :

حقا أذيت بعض الاشخاص الذين كنت اعزهم وبخاصة زوجتى الأولى .. ولكن هل حاولت ان تشق طريقك فى الحياة دون ان تؤذى شخصا ما ؟ » .

سؤال أراه ذا دلالة .

سؤال من فنان كبير آذى الكثيرين ، غير مقتنع فى داخله بما فعل فى حق الآخرين .

لايزال فى حيرة يعانى ، وفى حيرة يبقى ..





من هنا بدأت ، من هنا حتى النخلة الصفراء الصغيرة . بذلك يبدأ الجرن ، يمتد تحت النخلات الحمراء ، والوالدة وبنت عيشة ، وعلى الناحية البحرية منها تكون النخلة الصفراء الكبيرة . نخلات خمس ، واحدة بعد الثانية ، ينتثرن من الشرق إلى الغرب على طول الجرن ، من أوله لأخره . نخلات إناث طيبات ، يتحملن بالبلح فى المواسم ، فضليات ، إلا من ذكرين فحلين سامقين متغطرسين واقفين على الناحيتين القصويين الشرقية والغربية ، يتفضلان على الإناث باللقاح ، إذا تطل كيزان الطلع من بين جريدهما ، ثم تكبر الكيزان ، تطيب ، تتشقق من جوانبها فتبين زهرات دقيقات تنفج غبارها . وللغبار رائحة فواحة ، يحملها الريح ناحية الإناث ، مفتوحات للقبل على مراسيل الريح ، وعلى أيدى المؤبرين ، فتطيب فى أرحامها ، فتصير بلحاً أخضر ، ثم يحمر أو يصفر ، ويتشكل ، كل نخلة وطبيعتها فى فاكهتها ، الكل يصير قنانى عسل ، ثم يسكر الرجلان من النخيل ، يطوحان جريدهما مع الريح ، يفح الخوص الحانا فحلة مهتاجة . كيف يفخر الرجل بما جابت إمرأته له من أبناء رحمها ؟ أضحك .

من هنا بدأت رحلتى كل يوم ، من عند بيتنا حتى النخلة الصفراء الصغيرة حيث نلعب ، نحن لمة العيال ، نلعب على شفا اجتماع الرجال تحت النخلة فى ضحى شتوى مشمس يلعبون السيجة أو يثرثرون أو ينعسون ، لكن عيونهم علينا والأذان ، ونحن نلعب . نمد عالمنا لآخر ماتطول أشواقنا ، وعيدان الحطب تستحيل إلى مهارى من حسان الخيل ، نركبها ، نطرد الجياد السباقين ، نسافر بها فى الأفاق ، وهى تصهل ، ونحن نزعق بأفراسنا .. اللحاق .. اللحاق . وتأتى صيحه الرجال ، أن كفوا !! نكف ، تعرى الحطبات من أحلامنا ، من زينتها ، من بهجتها ، من نشاطها العارم ، نلقى بأعوادنا ، نلقى بها فى عرض باحتنا ، ندوسها ، نمشى من الغرب إلى الشرق ، من أول الجرن حتى أخره . نمشى ناحية الحقول . بذلك يبدأ الزرع فى الغيطان . ونكون جعنا .

أهى النسائم الصبحية المثلوجة أجاعتنا ؟ والشمس



الذهب تتلون بألوان المـزروعات والأرض والماء . نجرى على شط الترعة . نخطف عيدان الخس من وسط مخمـل البـرسيـم الكثيـف ، وأعـواد الحلبة . ثم نحط على غيط الجزر الذى حصد نبحث بأصابعنا فى الطين عما غفل عنه الحاصد ، فلو فعلنا من أناقة مالك الحزين فى لقط الديدان من شقوق الأرض ، ورشـاقـة الهـداهـد . نتـزاحم كـالأغنـام علـى الجزرات ، يمتلىء فمنا بمختلـف طـعـوم العصارات ، ثم تفيض من أشـداقنـا ، ثم نصرخ ونقفز من فرط التذاذنا ، ثم تطيـر سحـابتنـا نـاحيـة الجرن ، أهذا اشتداد اللعب ؟ أم نداء قلوب الآباء على أبنائهم ؟

ثم مرضت شهورا طويلة ، وأبى بجانبى يلازمنى ، يمرضنى ، أطل فى عينى أبى ، أرى تقلـب الـعلـة والأوجـاع . وبـعـد مـابـرئت ، أنظـر ... وغـابـت الـعينـان الرحيمتان بى . اتهمت كـآبـة غـرفتـى ، والحيطـان . ثقـل الحبس علـىّ ، نـهضـت ، أمشـى بآلامى ، اتلفت ، أنشد أبى .

من بيتنـا بـدأت البحث . أمشى مثقلا بأدوائى . أمشى بعض الشارع مابين صفى الـدور حتى النخلة الصفراء . أخافنى خلو الساحة من الرجال والعيـال . واصلت سيرى تحت النخل ، آه يا أبى !؟ هل تأخذ بيدى ؟ أمشى ناحية الغيطان ، بذلك يبدأ الزرع ، شرعت عينى ، التقتـا بعينى أبى ، فـرحـان بقـدومى ، إبتسامه يغطى الأفق ، تمتد يداه عبر الزرع تحمـلانى من تحت إبطى حتى أستريح فى دفـء حضنه وأنام .

هذا البيت لم يعد لنا . يحوشنى الخجل عن تأمل ملاعب طفولتى . أمشى من قدامه لا ألتفت . هياكل الدور ورسومها تغيرت ، حتى النخلـة الصفـراء الصغيرة ، إنها طالت ولم تعد تعطى بلحاً فى المـواسم . والجـرن امتلأ بالدور . أمشى بين الصفين مثقـلا بالعلة وكبر السن .

أحتمـل السلام ، ومصافحة الرثاء لى ، وضحكـات الـعيـال وفرارهم من هيئتى الـغـريبـة .. أمشى خطـواتى ، اشـرع عينـى ، يصـادفـان الصمـت فى عمـق الأفق . أكدح جهدى ، أغالب وحشتى وكآبة نفسى . أصل الخطوة بـالخطـوة الى قلب الحلم

.. ودالت دولة

الشعر العالمي

المعاصر

بقلم : محمود قاسم

هل نحن في زمن الشعر؟
سؤال يتبادر الى الذهن حين يجد المرء نفسه محاطا باكثر من الف شاعرعربي وعالمي جاءوا من شتى بقاع الارض من اجل القاء قصائدهم طوال ثمانية ايام كل منهم مشغول بترديد القصيدة العصماء التي سيلقيها امام كل هذا الحشد من الناس ..يروح يتناغمها ويحفظها ويعشق ابياتها ومعانيها . ثم يجد نفسه في قاعة فخمة وامام جمهور كبير .. فتسرى فيه الحمية .. ويتحول الى وهج من النار وينطق شعرا ..

● اما الشعر .. فهو على رقاب العباد الجالسين يستمعون .. ولكل منهم حظه المرتبط بالقدر..فكثيرا مايصعد «مستشعرون» لالقاء قصائد ليست من الشعر في شيء . وتصيبهم حالة الالقاء .. ويطول زمن القصيدة المزعومة حتى اذا انتهى صاحبها منها .. طلع « مستشعر » اخر وكرر القاء ابياته الخاوية المعنى والحس فوق رقاب العباد ..

هذه الحالات المتعددة جعلت المرء يسأل : اذا كان هذا هو حال الشعر والشعراء العرب .. فما هو الحال في العالم من حولنا .. ؟ .. تردد هذا السؤال اثناء مهرجان المربد التاسع الذى دعي لحضور جلساته العشرات من شعراء العالم .. وطوال أيام المهرجان كان هم المرء أن يحتك بهؤلاء الشعراء ويعرف ماذا حدث للشعر في البلاد التي ينتمون اليها ؟. ولماذا لم يعد الشعر هو لغتهم الاولى

مثلما يحدث فى عالمنا العربى ؟٠٠

خلاصة هذه اللقاءات والاتصالات أن الشعر العالمى المعاصر ليس فى أحسن أحواله ٠ وانه فن ينحسر مثل العديد من الفنون التى اكتسبت شعبية وحضورا فيما قبل ٠ مثل القصة القصيرة والمسرح ٠ وأن الشعر لم يعد فنا مميزا ، كسابق عهده فى لغات عديدة من العالم ٠

والشعراء الذين التقينابهم يمثلون حالات شعرية ٠ ولا نستطيع أن نجزم انهم افضل النماذج فى بلادها ٠ ولكن اغلبهم معروف وله عطاء متدفق مثل برجيتا بوست (فنلندا) التى نشرت سبعة دواوين ، والياس سيمو بولوس من اليونان ، وهنرى بيل من كندا ٠ وماكس شوارتز من الولايات المتحدة ، وسيدنى سلتون من مورشيوس ، وكيشتوف كونشروفسكى من بولندا ، ثم مظفر أوزجان ، وعلى بشكلو اوغلو من تركيا ٠ فضلا عن اسماء عديدة من فرنسا وايطاليا والهند واليابان والسويد والنرويج وأمريكا اللاتينية وافريقيا واستراليا ٠

يمكن ان نوجز أهم الملامح العامة للشعر العالمى من خلال انطباعات اثناء هذه اللقاءات :

● بالنظر الى اغلب الشعراء الذين جاءوا الى المربد من اقطاب الارض ، سنجد ان قرض الشعر ياتى فى مكانة تالية من العطاء الثقافى والنشاط الحياتى ٠ فاغلبهم يمارس الصحافة أو النقد الادبى أو فنون أخرى كالتصوير والكتابة قبل ممارسة الشعر ٠ وقرض الشعر ، فى الغالب ، حالة من الاستفادة من موهبة متدفقة منحها الله للشاعر ٠ وهى شهادة لا يجب كتمانها سواء كان هناك رد فعل ام لا ٠٠

● ابتعد اغلب الشعر العالمى الحديث عن الاغتراب الادبى ، والتجريب الشكلى بصورة ملحوظة واهتم شعراء المربد من الاجانب بكتابة التعبير السلس الفهم ٠ القريب من الاسماع والقلوب ٠٠

● جاء ذلك ، لان الشاعر - خاصة فى العالم الثالث - قد اهتم بالقضايا الانسانية العامة من خلال ما هو خاص مثل قضايا تحرر المراة والحب والسلام العالمى ٠

● تخلى الشعر العالمى المعاصر عن غنائيته وثرائه وتنوعه ، وذلك مثلما جاء على لسان الباحث البولندى يانوش وانسكى : « وهذه من وجهة نظرى صورة تبدو لى شبه قاتمة ٠ واننى اشدد على استخدام قلمه ٠ واخشى ، ولا اقول « ارى » ٠ وهذا ايضا يتعلق بالمستقبل » ٠

واللغة الشعرية الحديثة جامدة. تقريرية اشبه بحجارة مرصوصة الى جوار بعضها ، خالية من الحياة ٠ قد تكمن فائدتها فى ان المرء يمكن ان يجد خلفها ظلا يتظلل به ٠ مثلما جاء فى قصيدة « المنظر بمستوى الاطباق الطائرة » للشاعر كيشتوف كونشروفسكى من بولندا حيث راح يتحدث عن التلكس والشوارع والمدن

بمنطوق المخلوق المجرد من كل شيء يدور حوله • فهو يرى الاشياءتتحرك دون ان يهمه معرفة دوافع هذه الحركة ولا ابعادها ••

ايها الرجل اسكت

وقد اخترنا نماذج من الشعراء المحدثين ينتمون الى ثقافات مختلفة واجيال متعددة • واتجاهات ادبية عديدة • فالشاعر اليونانى الياس سيموبولوس ـ ٧٤ عاما ـ يمثل نموذجا واضحا لما يحدث فى الشعر خلال نصف قرن • حيث قدم اعظم اشعاره واغزرها انتاجا فى فترة ازدهر فيها فن الشعر عالميا • وعندما استشعر ان القرض لم يعد الفن الاول فى العالم ، اتجه الى النقد الادبى وتوقف عن العطاء تقريبا منذ اكثر من عشرة اعوام • فقد نشر فى الفترة بين عامى ١٩٦١ و ١٩٧٢ ستة دواوين امتلات فيها قصائده بحب الحياة وايمان بدور الشاعر فى التمازج مع عناصر الطبيعية المتناثرة فى الكون • ومن دواوينه : « منزل عش البلبل » • و « النهر المريض » ١٩٦١ و « شهادات » ١٩٦٨ • و « زهور جركيو » ١٩٧٠ • و « كراس الارض » ١٩٧١ • ثم « الشهادات الصغرى » اخر ما نشر عام ١٩٧٢ • .وتتضح مدى اهمية علاقته بالشعر فى احدى قصائده التى كتبها منذ ربع قرن :

انا شاعر همجى
اعيش فى متسع ابياتى
وشعبى يتاوه
لا اقول شيئا عن مصيرى
فما فائدة يومى
سوى كى اتكلم عن الناس
ينتمون الى عصر قديم
سحيق فى قدمه •

اما النموذج الثانى الذى اخترناه من الشعر العالمى فهو نموذج الشاعرة الفنلندية المعروفة برجيتا بوشت ـ ٤٨ عاما ـ وهى احدى المؤمنات بالحركة النسوية • ومن المعروف ان عضوات هذه الحركة من النساء يملن الى كتابة الرواية او الاخراج السينمائى اكثر من كتابة الشعر • وتعتبر برجيتا بذلك حالة فريدة فى النسوية وان كانتتمارس كتابة الرواية والمقال الى جانب قرض الشعر •



الشاعر اليونانى الياس سيمو بولوس



الشاعر الامريكى ماكس شوارتز

وتعكس الشاعرة افكارها وايدلوجيتها فى قصائدها • فهى مشاركة دوما لكافة الانشطة النسائية فى اوروبا • وفى عام ١٩٨٤ القت قصيدتها « سبع خطوات لمسيرة السلام » اثناء لقاء القمة الامريكى السوفييتي الذى عقد فى هلسنكى • وكانت من بين ١٢٥ امرأة مرن مشيا على الاقدام بين مدينتى نيويورك وواشنطن (٥٠٠ كيلو مترا) من أجل دفع حركة السلام• وقد اخترنا ان نقدم لبرجيتا احدى قصائدها النسوية التى نترجمها عن اللغة الفرنسية :

ليس لدى نية السكوت •
فالرجال يعلنون ان مستعمرتهم لم تتقوض •
اعرف عن يقين
ان اغلب الرجال
لا يعرفون عم يتكلمون
ولا لمن يوجهون الكلام
أو لماذا
أنوى مقاطعة نقاشهم دائما
وان اسالهم : ماذا تريدون منا فعلا •

ضميرك لا يعنى شيئا

ويمثل الشاعر ماكس شوارتز حالة من الابداع • فهو مصور• وممثل وشاعر •• وكما جاء على لسانه فهو رجل قادم من الماضى لا يؤمن بالحداثة• ويصر ان يرتدى ملابسه على غرار رجال الوسترن الامريكى ـ رغم أصله الالمانى ـ ويمشط شعره مثلما يفعل الهنود الحمر • وهو مشغول دائما بتصوير الاشياء من حوله • وهو يحمل على صدره أربع كاميرات تصوير فوتوغرافى من احجام وانواع مختلفة يستعملها فى نفس الان لتصوير زوايا مختلفة لحدث واحد ••

ويفضل شوارتز كتابة المطولات الشعرية • وفى اشعاره يحمل كافة هموم الكون فوق تعبيراته المنتفضة • هموم عن الحروب • وهموم عن المجاعات • وغزو الاليات لحياة الانسان الفطرى ، واغلبها ممزوج بهمومه الفردية التى تعبر عن تمرد الشاعر ضد كل ما يراه فى مجتمعه ، مثلما جاء فى قصيدته التى ترجمها عبد الواحد محمد :

انا
مثل شجرة وقفت طويلا فى بطن الشمس
وقبلت الشفاه النارية وبشرتها المنتفخة
يداخلك شعور انها تعرف انك اصبحت نفسك
وانك كائن حى
أنت ، ماذا لو اقسمت ان تحمل
هذه النيران • وهذا المجتمع فوق ظهرك
وعلى ملامحك للابد • وفى قلبك كذبة
من خلال الطريقة التى عرفت بانك تكشف فيها
عن مصيرك
وانك ضمير لا يعنى شيئا

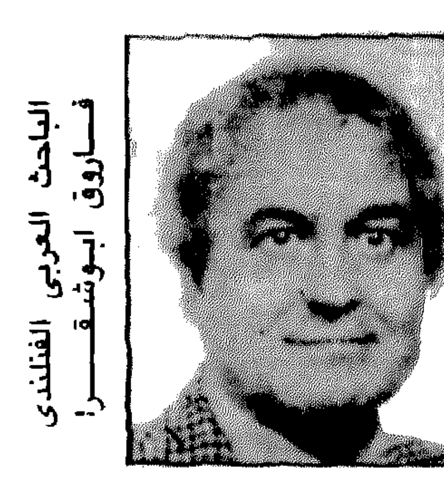
وقد كشف شوارتز عن مكانة الشعر

في حياته من خلال الحديث الــــذي ادلى به لجريدة القادسية ـ ٣٠ نوفمبر ١٩٨٨ ـ حيث راح يتحدث عن الموسيقى وفرق الغناء الشعبية وفن التصوير ٠ ولم يقترب من الشعر سوى في عبارات موجزة ٠

في كل صخرة فلسطيني

يقترب الشعر في امريكا اللاتينيــة من بعض الشعر العربي الجاد ٠ حيث تختلف احوال الشعر في دول العالم الثالث عن شكلها ومضمونها في دول العالم الاكثر ثـــراء ٠ فالشاعر في امريكا اللاتينية ، يتجه الى القصيدة ليعبر بها عن مشاعر القهر والمعـاناة الاقتصادية والسياسية والقصيدة هى انسب فنون الابداع لمثل هذه الحالات٠ مثلما فعل الشاعر الكولومبى خوان مانويل روكا في أغلب أشــــعاره المنشورة في دواوين مثل : « لقـــــاء الغرباء » ١٩٧٩ ٠ و « رسائل مـن المنام » ١٩٨٠ ٠ وفي قصـــيدته الى فلسطين يقول : (مترجمة عن خليـل الخوري) ٠

رايت وردة تشبه منقار طوقان
رايت ولدا يعـزف على الكمان في المنتزه
رايت الريح تمر مكسوة باشــجار اللوز
بيد انني لن استطيع الكلام الان ٠
الا عن وردة الدم ببيروت
وعن الولد الذي لا وجه له ٠٠ في بيروت



الباحث العربي الفنلندي
فـــاروق ابوشقـــرا

الا عن الريح المكسوة بالتاوهات ٠
في كل صخرة يختبيء فلسطيني
الطريق الذي يؤدى الى بيتي يطول
لانني اتذكر وانا اسير
انه لو قيل ان فلسطينا غير موجودة انئذ ٠
ينتشر مركز حيـــاتي في السكون كله
يكون هناك خارج الخريطة
في بلد احلامي

والشعر على رقاب العباد

هذه نماذج من أبرز العطـــــاءات الحديثة في الشعر العالمي ٠٠ وقـــد راعينا في اختيارها ان تــكون ممثلة جيدا لاقطار مختلفة في حضارتهـــا وثقافتها ٠ وكذلك ان تكون متباينــة الاجيال ٠٠ منها من تجاوز السبعين٠ ومنها ما هو اقل من الاربعين ٠

السؤال الان : هل دالت دولة الشعر في العالم ؟ ٠٠ وهل هى حالة نـكوص مؤقت ٠٠ ؟ أم أننــــا سـنشهد لهـذا جديدا مع مطلع القرن القادم لهـــذا الفن الذي لم يبرع فيه طيلة الامـــد البشرى سوى اسماء قليلة ٠٠ لــكن من مارسوا كتابته كثيرون٠٠ والسؤال ايضا ٠٠ اذا كان هذا هو ما يحــدث في العالم ٠٠ فلماذا كل هذا السيل الجارف الذي لا يتوقف من الاشعار العربية المسلطة على رقاب العباد ٠٠؟





قانـــون لحقوق الحيوان

وافقت الحكومة والبرلمان السويدى عام ١٩٨٨ على مد مظلة الرخاء والتشريع لتشمل الحيوانات الداجنة ، وهكذا صارت مخلوقات من قبيل الابقار والخنازير والدواجن تتمتع بما يتضمنه قانون خاص بها من حقوق (!) ووفق عدد من الاجراءات التى بدأت فى السريان صار محظورا أن «تعالج» بالمضادات الحيوية والهورمونات ، إن كان الغرض من ذلك مجرد تسمينها بهدف الاستفادة الاقتصادية ..

هذا كما صار من حق الدجاج الا يحبس فى «عششه» على مدار اليوم ومن حق الأبقار والخنازير أن توفر لها فرص الوصول الى المراعى ومقالب القمامة .. ونص القانون على وجوب حماية كل الحيوانات من أية معاناة غير ضرورية عند الذبح ..

وكانت كاتبة الأطفال السويدية المعروفة استريد لندجرين (٨١ سنة) إحدى القوى المحركة لهذه الاجراءات حيث شرعت ، بعد عملها المشهور الذى سعت بطلته الشابة الى جعل حياة حيوانات المزارع قضية قومية ، شرعت ـ لندجرين ـ فى نشر مجموعة من الأعمال الساخرة ـ عادة ما كانت نماذج مكبرة لقصص الأطفال ـ أضفت فيها الصيغة الدرامية على ما تشهده حظائر الحيوان من قسوة وبلادة وأججت هذه الأعمال من انشطة جماعات حماية الحيوانات وحين عرض قانون حقوق الحيوان على البرلمان السويدى فى يوليو الماضى اقره البرلمان بأغلبية ساحقة ..

وتؤكد مواد القانون على توفير ظروف حياة مريحة للحيوانات ، فكما تنص مواده يجب السماح للابقار بالرعى ، ويجب ان تتوافر للخنازير الأماكن الكافية للغذاء والنوم .. باختصار ضرورة اخذ مصالح الحيوان نفسه بعين الاعتبار عند تقرير شئونه وضرورة اختبار كل التقنيات الجديدة ، قبل استخدامها ، من حيث فائدتها وملاءمتها للحيوان ..

وبالطبع تحتج جهات عديدة على

القانون الجديد - كما احتجت من قبل على قصص لندجرين - فقد امتعض الفلاحون من القانون لأنه يصورهم فى هيئة المستبدين المسيئين للحيوان عن غير حق ، كما اعترضت مؤسسات الصناعات الغذائية عليه من حيث زيادته اعباءها المالية ، ذلك بينما يبدى البعض حيرتهم من الكيفية التى يمكن بها تطبيق مواد القانون الجديد ، فكيف يتأتى مثلا معرفة إن كان الخنزير راضيا وسعيدا عن هذا الأجراء أو ذاك ..

حبوب الاجهاض

خلال معركة الرئاسة الأمريكية كان الاجهاض بين المحاور التى دار حولها الصراع . وكان بوش (على خلاف دوكاكيس) يقف ضد الاجهاض باعتباره جريمة ، ووعد حال فوزه وتسلمه السلطة بالعمل على الغاء القرار الذى أصدرته المحكمة العليا الأمريكية قبل ١٥ عاما ، وأجاز حق المرأة الأمريكية فى التخلص من جنينها ..

وبعد نجاح بوش تخوض المنظمات والهيئات المؤيدة والمعارضة للاجهاض صراعا شرسا بينما تدعو بعض الأوساط العلمية للنظر الى جذور القضية واسبابها الحقيقية ، ومناقشاتها من منطلقات علمية وإقتصادية واجتماعية وتربوية .. بعيدا عن المصالح الانتخابية الضيقة ، حتى يتم التوصل إلى حل جذرى لها ، بالذات مع وجود مليونى امريكية تقدمن على الاجهاض سنويا ..

وعلى الجانب الآخر من المحيط تدور معركة شرسة حول نفس القضية مع ظهور حبوب RU 486 التى تجعل الاجهاض عملية يسيرة آمنة لا تتطلب اكثر من تناول حبة مثل حبة الاسبرين (!) وتعفى المرأة من مخاطر التدخل الجراحى .

وعلى أثر طرح هذه الحبوب فى السوق الفرنسية تعهدت جماعات مناهضة الاجهاض بمكافحة استخدامها حتى النهاية ، وقررت مقاطعة كل منتجات الشركة الصانعة ، من الأسبرين حتى المبيدات الحشرية ، كما أمطرت مديرى الشركة بتهديدات مختلفة فيما يخصهم ويخص عائلاتهم .. وكان نتيجة ذلك كله أن أعلنت الشركة الصانعة سحب العقار من السوق تغليبا للاعتبارات التجارية وعدم الاضرار بالموقف المالى للشركة ..

لكن قرار الشركة حظى بادانة فورية من أطباء الولادة وامراض النساء خلال مؤتمر دولى كانوا يعقدونه فى ريودى جانيرو ، وبادانة منظمة الصحة العالمية وغيرها من المنظمات المهتمة بصحة المرأة .. هذا كما عبرت الحكومة الفرنسية ، على لسان وزير الصحة عن موقفها الحاسم الى جوار العقار - لصالح النساء والصحة العامة - وأمرت الشركة المنتجة (تملك الحكومة ٣٦٪ من اسهمها) بعدم سحب الدواء من التداول .. الجدير بالذكر أن الجدل كان قد انتهى فى فرنسا منذ عام ١٩٧٥ عند تقنين عملية

الاجهاض ، لكن يبدو أن التطورات على جانبي المحيط ستعيد مشكلة الاجهاض الى المشاكل الساخنة التى يعانى منها العالم المتمدين ..

اغتيـــال غاندى الامازون

كشف اغتيال فرانسسكو منديس الذى كان يعرف بغـاندى الأمـازون (يوم ٨٨/١٢/٢٢) عن أبعاد جديدة للمعركة الشرسة التى تدور بين الجماعات البيئية المختلفة والأوساط المناهضة لها .. إذ تبين أن منطقة الأمازون وحدها ـ على سبيل المثال ـ شهدت مقتل ١٠٠٠ من المتشيعين لحماية البيئـة من ملاك الأراضى الى نواب البرلمان ، خلال ثمانى سنوات !!

والجدير بالذكر أنه يجرى سنويا حرق ٢٠ مليون فدان من الغابات الاستوائية البكر فى منطقة الأمازون ، ذلك بالاضافة الى القضاء على قبائل الهنود الحمر ، كما فعل ٤٠ الف من الباحثين عن الذهب عندما شردوا قبائل «يانومانى» بعد ان غزوا اراضيهم وقضوا على ماقبها من معالم حضارتهم ..

والمعطيات الجديدة التى تتكشف حول الصراع البيئى ماهى الا نذير جديد بمشاكل البيئة المتفاقمة التى أخذت تلح بشكل درامى على حياة المجتمع المعاصر

.. وقد تضمن جدول أعمال الأمم المتحدة لأول مرة خلال عام ١٩٨٨ مناقشة قضية المناخ الدولى بوصفه ميراثا عاما للبشرية ، وقد تقدمت مالطه بهذا الاقتراح مشيرة إلى الاخطار التى تهدد الكوكب عامة من جراء التأثيرات غير المحسوبة على المناخ ..

هذا كما شهد عام ١٩٨٨ تشريعات واجراءات تتخذ على مستوى دول بأكملها مثل التشريع البرازيلى حول حماية غابات الامازون ، ومثل عمل جواتيمالا على زراعة ٥٢ مليون شجرة ، ومثل الاجراءات التى اتخذتها ٧ من بلدان امريكا اللاتينية .

لكن اغتيال منديس كشف عن أبعاد اكبر للمشكلة تتجاوز كثيرا انشطـة المحـافـل العلميـة والـدبلـومـاسيـة والتشريعية ..

والأمل معقود على صوت العقل الذى أخذ بالارتفاع فى عالمنا خلال عام ١٩٨٨ ، حتى تكرس البشرية جهدا وإمكانات اكبر لمواجهة الخلل فى التوازن البيئى بالذات والكوارث التى تقض مضاجع البشرية (موجات الجفاف والفيضانات والاعاصير ..) لن تهدأ حتى يتم التوصل إلى حلول جذرية على مستوى الكوكب ككل .

طفرة في تخزين المعلومات

فوق نظام التشغيل والبرنامج الخاص والمعلومات الخاصة الموجودة في الكمبيوتر يحتاج التعامل معه إلى الاستفادة من كثير من المعلومات الأخرى والمتنوعة ، التي يمكن تغييرها وتعديلها حسب الظروف والحاجة .

وقد عمل المتخصصون منذ اختراع الكمبيوتر على ايجاد أفضل وسيلة يمكن أن يسجل عليها أكبر قدر من المعلومات التي يستطيع الكمبيوتر التعامل معها وكانت هذه الوسيلة في البداية بطاقات ورقية مثقوبة ، ثم تطورت إلى شرائط واسطوانات مغناطيسية ، ومع اوائل الستينيات لم يكن في الامكان تخزين اكثر من ٣ آلاف معلومة فوق كل سنتيمتر مربع ، لكنه بات بالامكان اليوم تسجيل واختزان ما يقرب من خمسين الف معلومة فوق هذه المساحة ..

ويرجع الفضل في ذلك إلى الاسطوانة البصرية التي يجرى حفظ المعلومات فيها وقراءتها بواسطة اشعة الليزر .. والطريف أن هناك اكثر من ٥٠ مؤسسة عالمية تعمل على تطوير (وليس مجرد إنتاج) هذه الاسطوانة البصرية ، بالاضافة إلى مايزيد على ٣٠ مؤسسة تتنافس على إنتاج اجهزة

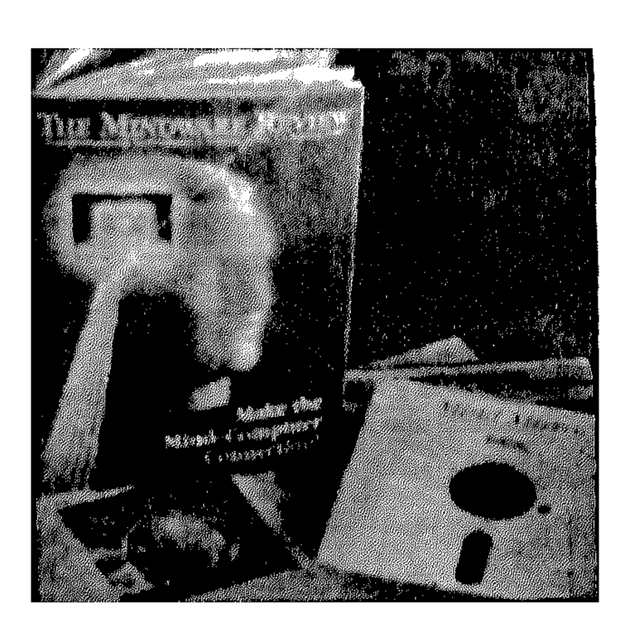
القراءة والكتابة التي تتعامل مع هذه الاسطوانات .. والمتوقع أن تصل السوق الأمريكية ، فيما يخص هذه الاسطوانات ، عام ١٩٩٠ إلى اكثر من ٩ ملايين اسطوانة تزيد قيمتها على ٨ مليارات دولار ..

وتعتمد هذه الاسطوانة على حفر شعاع الليزر - ادق الاشعة المعروفة - ثقبا دقيقا أو نتوءا للتمييز بين مجموعات الواحد والصفر التي يعتمد عمل الكمبيوتر على ترجمة كل شيء عليها ، ثم يعود شعاع ليزر آخر ليترجم الثقوب والنتوء إلى معلومات مرة أخرى .. ويعود الفضل في اكتشاف هذه الاسطوانة إلى تقنيات الفيديو البصري ..

من الجدير بالذكر أن محدودية طاقة التخزين كانت أحد العوامل التي تحد من إمكانات أجهزة الكمبيوتر وتبقي وظائفها في إطار العمليات الحسابية التكرارية البعيدة عن المناورة « والذكاء » ، مع التطورات التي تجعل هذه الطاقة بلا حدود من وجهة النظر العملية . ينفتح الباب واسعا أمام أداء الكمبيوتر للوظائف « الذكية » كما يتضح في الفقرة التالية .



برامج كمبيوترية ذكية



حتى وقت قريب كانت برامج الكمبيوتر محض براجماتية تصمم لمساعدة أصحاب الوظائف المختلفة ، ومعالجي الأرقام ، في أداء بعض العمليات التكرارية . لكن السنوات الأخيرة شهدت ولادة أنواع جديدة من البرامج الأكثر ذكاء ، التي تستهدف إثراء حياة هذا أو ذاك من البشر ، حتى أن أسرة جديدة من البرامج باتت تحمل تسمية mind ware ، بعد أن ظلت البرامج ، لعشرات السنين تحمل اسم « Soft ware» إشارة إلى أنها تعمل بنفس الطريقة وبنفس الامكانات مع كل مستخدم لها ..

والبرامج التي تحمل اسم « mind ware» تركز على الجوانب السيكولوجية للمستخدم اكثر مما تركز على المشاكل العملية . وهى تحاول مساعدة الناس فى الوصول إلى مستوى جديد من فهم النفس ، والعيش بصورة صحيحة . ويعتمد بعض هذه البرامج على تقنيات الذكاء الصناعى ، الأمر الذى يمكن مستخدمها من تمحيص الآراء ووجهات النظر مع الكمبيوتر .

وقد نشر أخيرا أول فهرس (كتالوج) يصف نحو خمسين من اكثر هذه البرامج تميزا ، وبينها برنامج مرآة العقل الذى يمثل بعض ظواهر الحياة ، ويهدف إلى تمكين المرء من التعامل مع اى نوع من الشخصيات بصورة فكهة ظريفة . هذا كما يحوى الفهرس عددا كبيرا من برامج تطوير الذات .. ويتوقع خبراء التعامل فى سوق البرامج أن تتحول برامج « mind ware» إلى صناعة كاملة على مدى شهور ..

انجاز ليزرى فذ

الدكتور أحمد زويل العالم المصرى الذى يترأس مركز معهد تكنولوجيا كاليفورنيا الأمريكى لليزر (كالتيك) ، والذى احتلت انجازاته عناوين الصحف خلال العام الماضى ، قضى ثلاثة اسابيع استاذا زائرا فى الجامعة الأمريكية

بالقاهرة ، وحاضر عن انجازه العلمى فى جامعتى القاهرة وعين شمس بالاضافة الى الكلية الفنية العسكرية ..

والليزر حزمة من الأشعة الضوئية الموحدة الاتجاه وطول الموجة (الضوء الطبيعى والعادى متعدد الموجات تنبغث اشعته فى كل الاتجاهات) تمضى مترابطة دون تشتت ، مما يميزها بخصائص مختلفة ، الأمر الذى فتح الباب امام استخدامات عديدة لحزم الليزر فى مختلف المجالات الطبية والصناعية والزراعية والفنية و.. دع عنك الاستخدمات العسكرية والعلمية البحتة ، مما جعل قوام صناعة الليزر يقفز الى عشرة ملايين دولار سنويا فى أمريكا حاليا ..

والانجاز الفذ الذى حققه فريق د . أحمد زويل يتمثل فى التوصل الى نبضة ليزر يمكن ان تستخدم فى تصوير ما يحدث خلال اجزاء من المليون من الثانية ، بل وخلال أزمنة تقل مئات المرات عن هذه الاجزاء ، الامر الذى فتح الباب امام تصوير (وفهم أوضح) لكثير من العمليات الفائقة السرعة التى لم يكن امام الانسان من قبل الا التخمين عن كيفية حدوثها ..

فعلى سبيل المثال ظل الانسان يخمن طويلا ما يحدث فى التفاعلات الكيميائية التى تستغرق اجزاء من الثوانى ، دون ان تتاح له فرصة التأكد من تخميناته ، اذ كان الامر يتطلب طريقة تصوير اسرع



العالم المصرى احمد زويل

بكثير من سرعة التفاعل ، حتي يمكن ان تمتلك شريطا مصورا لما يحدث ..

ويقوم فريق العالم المصرى أحمد زويل اليوم بتوصيف ما يحدث بين العناصر البسيطة فى التفاعل الكيميائى ، مصورا مراحلها بالتفصيل عبر اجزاء من المليون من الثانية .. لكن الطريقة تفتح افاقا باهرة : فى المرحلة الأولى لفهم ما يجرى فى عالم الدقائق على اتساعه ، فمثل فهم نواميس تكون المادة الوراثية فى خلايا الانسان مثلا ، وتحديد نتائج تكون الاحماض الامينية والبروتينات .. الخ . الأمر الذى يمكن فى مرحلة تالية من معرفة الخلل الموجود فى مثل هذه العمليات (فى حالة الأمراض الوراثية مثلا) والعمل على تصحيح الخلل أو اكساب تفاعلات المواد الدقيقة ـ أيا كانت ـ خصائص جديدة ..

بقلم : حسين أحمد أمين

ابن خلدون

١٣٣٢ - ١٤٠٦م

مؤسس علم الاجتماع ، ومؤرخ ، وصاحب اهم كتاب فى التراث العربى كله ، وهو ((المقدمة)) التى وضعها لكتابه ((العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، فى ايام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من السلطان الاكبر » ٠ وقد اعتمد ابن خلدون اعتمادا كبيرا فى تاريخه لدول الشرق العربى على من سبقه من المؤرخين ، خاصة الطبرى وابن الاثير ٠ اما الفضل الاكبر لهذا التاريخ ففى الاجزاء الخاصة بشمال افريقيا الذى تناول تاريخه واوضاعه بحياد وموضوعية خليقين بالاعجاب ، وبتوسع جعل الكتاب المرجع الرئيسى لتاريخ تلك المنطقة من الفتح العربى حتى زمن المؤلف ٠

ولابن خلدون مصنفات اخرى فى المنطق والرياضيات والصوفية ، وشرحان لديوانين من الشعر ، وسيرة ذاتية ٠ غير انه بالاستطاعة القول فى يسر بانه نو ان جميع هذه المؤلفات فقدت ، بما فى ذلك كتاب « العبر » ، ولم يبق غير « المقدمة » ، لظل ابن خلدون يحتفظ بمكانته السامية فى تاريخ الفكر الانسانى دون ادنى انتقاص ٠ وقد وصف المؤرخ البريطانى ارنولد توينبى هذه المقدمة بقوله : « ان ابن خلدون وضع فيها فلسفة وقاعدة للتاريخ لا نشك فى انها اعظم عمل من نوعه قام به عقل بشرى فى اى زمان ومكان » ٠

في التاريخ الإسلامي



يعالج ابن خلدون في مقدمته على ما نسميه الان « الظواهر الاجتماعية » (وما يسميه هو « احوال الاجتماع الانساني ») ، راميا الى الكشف عن القوانين التي تخضع لها هذه الظواهر في نشاتها وتطورها • وهي قوانين لم يعن احد قبل ابن خلدون بالكشف عنها ، ولا درسها عالم قبله كما تدرس ظواهر الفلك والطبيعة والكيمياء ووظائف الاعضاء وما الى ذلك من العلوم • فقد كان المعتقد ان ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين ، وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات المشرعين ودعاة الاصلاح • فجاء هو مبينا انها لا تسير حسب المصادفات والاهواء ، ولا حسب ما يريده لها الافراد ، وانما تسير في نشاتها وتطورها ومختلف احوالها حسب قوانين ثابتة مطردة ، كالقوانين الخاضع لها القمر في تزايده وتناقصه ، والنهار والليل في اختلافهما باختلاف الفصول •

وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي عاش بين اهلها ، وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب وغيرها ، والموازنة بينها جميعا للتمييز بين العناصر الثابتة والطارىء العرضي ، ثم الانتهاء الى استخلاص القوانين •

وعنده أن المجتمع ضروري للانسان ، لان الانسان مدني بالطبع • والنظم الاجتماعية تتغير من مجتمع لآخر وفق ما يكتنف المجتمع من عوامل تشمل المناخ والتضاريس والتربة والغذاء والموارد المعدنية والخصائص الذهنية والنفسية للشعوب •• ويمر المجتمع البشري باطوار متتالية شان الفرد الذي يمر بمراحل منذ ولادته حتى وفاته • وللدولة ايضا ـ كما للفرد ـ عمر طبيعي • وعمرها هو في العادة ثلاثة اجيال ، والجيل أربعون سنة ، فعمرها اذن مائة وعشرون عاما • وفي هذه الاجيال الثلاثة يمر المجتمع بمراحل أربع : البداوة ، وهي التي يقتصر الفرد فيها على الضروري في معيشته ، وتتميز بخشونة العيش ، وتوحش الافراد وبسالتهم • وبوجود العصبيات القائمة على النسب • ومرحلة الملك ، وفيها تتركز السلطة في يد شخص او اسرة او فئة • وهي مرحلة لا تختفي فيها العصبيات تماما ، بل تظل عالقة بعض الشيء في نفوس الافراد ، غير ان المجتمع يتحول اثناءها من الشظف الى الترف ، ومن البداوة الى الحضارة • ثم مرحلة الحضارة والنعيم ، وفيها ينسى الافراد عهد الخشونة ، ويفقدون روح العصبية والرغبة في الغزو ، وينصرفون عن الانتاج والعمل الى الملذات فيصبحون عيالا على الدولة ، وتقل كفاءة الحكام وتزيد غطرستهم وانغماسهم في المتع الحسية • اما المرحلة الرابعة فمرحلة الضعف والاستكانة وفساد الخلق والاضمحلال وتصبح الدولة فريسة سهلة للعدو الخارجي •

ويورد ابن خلدون الى جانب هذه الفكرة الاساسية في المقدمة ، ملاحظات ثاقبة في كل من السياسة والاقتصاد والدين واللغة والتربية والتعليم ، منها : « أن الامم الوحشية اقدر على التغلب على من سواها » ، « وان المغلوب مولع ابدا بالاقتداء بالغالب سواء في الزي او السلوك » ، و « ان الدعوة الدينية اذا اضيفت الى العصبية صارا مزيجا لا يمكن مقاومته ، ويزيد من قوة الدولة وقت نشأتها » ، و « أن الزراعة انما يعتمد عليها في معاشها الامم المستضعفة لما تجره في رأيه من مذلة » ، « وأن الصناعات انما تزدهر بكمال العمران الحضاري وتتحسن نوعيتها وتكثر اذا زاد الطلب عليها ، فاذا هرمت الحضارة في احد

الامصار تدهورت الصناعة فيه » ، « وان اقتصاد الدولة يظل سليما مزدهرا طالما كان ثمة توازن بين نشاط الفرد وروح المبادرة عنده وبين سيطرة الدولة ٠فالقيود التعسفية تضر بالنمو الاقتصادى ، والظلم احد العوامل المؤدية الى خراب الدولة» والتربية عنده عرضة للتغير تبعا للتغيرات الاجتماعية ٠ وهو لا يجيز للمعلم ان يلجا الى العنف والقسوة مع الطالب لان من شانهما ان يضرا باخلاقياته وسلوكه الاجتماعي ٠ وغاية المعلم ينبغي ان تكون تعهد ملكات الطالب بالرعاية حتى تتفتح وتزدهر ، وتعويده السلوك القويم لا عن طريق التلقين وحده ، وانما ايضا بان يكون المعلم هو نفسه قدوة لتلميذه ٠٠ ثم مئات ومئات من الملاحظات المماثلة التي يصعب تلخيصها في هذا الحيز ٠

وقد تردد العرب فى تقدير الفضائل العلمية لابن خلدون زمنا طويلا ، ونقموا عليه ملاحظاته عن العرب ، كقوله « ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط » ، و « انهم اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب » و « ان معظم من اشتغلوا بالعلوم في الدولة الاسلامية كانوا من الفرس لا العرب » ، ووصفه للشعب المصرى بانه اميل الى اللهو والعبث وعدم الاكتراث بالمسئولية ، «يتصرف وكانما قد فرغ من يوم الحساب ! » وهو موقف من العرب دعا وزير المعارف العراقيعام ١٩٣٩ من اجله الى ان ينبش قبر ابن خلدون وان تحرق كتبه ! وقليلون هم المثقفون الذين اعترفوا بفضله قبل بداية قرننا هذا ، واشهرهم المقريزى ، ثم محمد عبده الذى لفت الغربيون نظره وهو فى اوروبا الى ضرورةاهتمام العرب بهذا الفيلسوف ابن خلدون دراسة علمية رصينة ، وذلك فى رسالته التى كتبها بالفرنسية عام ١٩١٧٠



٨١٠ - ٨٧٠ م

اشهر علماء الحديث ٠ تعتمد شهرته على جامعه فى الحديث ((الجامع الصحيح)) الذى يعتبره اتقياء المسلمين ((اجل كتب الاسلام وافضلها بعد كتاب الله)).

كان ميدان الحديث فى زمنه قد اضحى بحرا خضما يختلط فيه الصحيح بالزائف ، والحقيقة بالخرافة ، قد اتخذه قوم بضاعة يطلبون بها ما عند الناس ، وضيعوا حدوده ، واستدروا به الولاة ، واستطالوا بروايته على الكافة ٠٠ وقد اثار هذا الاضطراب الضارب اطنابه جزعا حقيقيا لدى لفيف من الاتقياء واجلة علماء الدين ٠ راعهم ما يحدثه الاختلاق من اثر ضار فى تكييف دين الاسلام وخشوا ان يتعرض هذا الدين لذات الخطر الذى تعرضت له الاديان قبله اذ انصرف اتباعها عن كتبهم المقدسة الى قراءة كتب احبارهم ٠ وقد عمد بعضهم

من اجل محاربة اختلاق الاحاديث الى اختلاق الاحاديث التى تنهى عن اختلاف الاحاديث ! غير ان البعض الاخر - كالبخارى ومسلم - ابى ان يهبط الى هذا الدرك ، واقبل على وضع اسس لعلم الحديث والمعايير الصارمة الواجبة لانتقاء الاحاديث الصحيحة ، وقد روى البخارى انه انما اضطلع بمهمة جمع الصحيح



من الحديث حين رأى نفسه في المنام يطرد الذباب عن النبي ، وفسر له احـــدهم الذباب بأنه تلك الاكاذيب التي اقحمت على احـاديث الرسول .

وقد اظهر البخاري في اختياره للاحـاديث براعة فائقـة ، ومحصها تمحيصا دقيقا ، كما انه كان عظيم الامانة في ايراد المتن ، وبذل جهدا لا يبـارى لكي يصل الى اضبط ما يمكن الوصول اليه . وكان المعيار الرئيسي الذي أخـذ به هو التحقق من الرواة والمحدثين وهويتهم ، ومن تقوى رجـال الاسناد وسـلامة طويتهم ، وخلوهم من الاهواء الحزبية او المذهبية او القومية . فان ثبت لديه توفر النزاهـة والورع فيهم ، ولم يعرف عنهم كذبا متعمدا على النبي ناجما عن هوى او رأى او قلة دين ، اعتبروا ثقات ، وان ثبت الاتصال الزمني بين هؤلاء المحـدثين وكتبة الحديث الواردة اسماؤهم في الاسناد ، اعتبر الحديث صحيحا .

وقد اجتمع لدى البخاري حين اقدم على تدوين صحيحه زهاء ستمائة الف حديث ، لم ير منها ما هو جدير بصفة الصحيح غير سبعة الاف وثلاثمائة وسبعة وتسعين . فان نحن نحينا جانبا الاحاديث المكررة في مختلف ابواب كتابه لم يبق من الاحاديث غير الفين وسبعمائة واثنين وستين حديثا (اى حديث واحـد من بين اكثر من مائتي حديث تتناقله العامة) .

وكان انتقاء البخاري للاحاديث الصحيحة ـ كما قلنا ـ على اساس صحة السند لا المتن . فالاسناد عنده هو « قوائم الحـديث » ، ان سقط سقط ، وان صح السند وجب قبـول الحديث مهما كان مضمون المتن ، وحتى ان تجـافى مع المنطـق او التاريخ الثابت . ومع انتقادنا لهذا الموقف على اساس سهولة اختراع المدلسـين لسلاسل ذهبية من الاسناد ، فلا مفر من الاقرار بانه موقف ينطوى على تقـوى خالصة ، ويقوم على اساس له منطقه الخاص ، اذ هو يرى أن عقول عامة البشر قد لا ترقى الى درجة فهم كل ما عناه الرسول باحاديثه ، وانه من قبيل الخيـلاء والعجب الواهم ان نرفض كل ما قصر فهمنا عن ادراكه .

فان كان ابن خلدون قد دعا في مقدمته الى ان يكون اساس تمييز الصحيح مـن الزائف هو التمييز بين الممكن والمستحيل ، وان كان ابن عبد البر والنووى نفيـا صفة الحديث الصحيح عن كل ما يخالف المنطق ويتجافى مع حقائق التـاريخ ، فقد كانت الشكليات وحدها ، عند معظم مدوني الحديث ، هي الحكم بصدد صحته و ضعفه . كل ما هناك هو انهم كانوا اذا ووجهوا بحديثين متناقضين صحيحي الاسناد ظاهرا ، ولم يكن من السهل تفضيل اسناد على اسناد ، حاولوا التوفيق بينهما ، فان تعذر التوفيق طبقوا نظرية الناسخ والمنسوخ .

كان شرط البخاري اذن في صحيحه ان يخرج الحديث المتفق على ثقة نقلتـه الى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات الاثبـات ، ويكون اسناده متصلا غير مقطوع . وقد التزم بهذا الشرط في امانة يندر أن يتوفر مثلها في عـالم من العلماء ، حتى لقد روى عنه قوله « ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين » . كما كان البخاري غاية في الحياء والتواضع رغم علمه الواسع ، وكان يقول : « ارجو ان القى الله ولا يحاسبني انى اغتبت احـدا » . ويشهد على هذا كلامه في التجريح والتضعيف ، فان اقصى ما كان يقوله في المحدث الساقط او المتروك : « فيه نظر » ، او « سكتوا عنه » ، ونادرا ما كان يقـول صراحة : « فلان كذاب » .

أبو العلاء المعري

٩٧٣ - ١٠٥٧ م

شاعر وكاتب فلسفي عربي من معرة النعمان شمالي الشام . ويشير اللقب الذي يطلق عليه احيانا ، وهو ((رهين المحبسين » الى لزومه داره والى فقده بصره نتيجة اصابته بالجدري وهو في في الرابعة .

والمعري ظاهرة فريدة وغير متوقعة في الادب العربي ، ولا عرف معاصروه من المسلمين كيف يصنفونه وقد حيرهم شعره ، واراؤه الفلسفية ، وبعض مظاهر سلوكه ، كتحريمه على نفسه اكل الحيوان والطير ، متاثرا في ذلك بالفلسفة الهندية . وقد اختلف الناس في امر عقيدته ، وهل كان ملحدا او مؤمنا . واكثر الناس على انه كان متشككا . ولعل اكبر ما احفظ اعداءه عليه حملته على رجال الدين في عصره ، وطعنه في اولئك الذين يعرضون تدينهم على الناس جهرا في رياء ونفاق . والمؤكد ان في ارائه جراة لا عهد لنا بها في غيره من كبار كتاب العرب وشعرائهم .

اتخذ العقل رائدا ، وحكم على الناس والاشياء بحرية بدت شائنة لدى الحكام والطبقات العليا في عصره . وقد بدا منه في خضم تاملاته في المأساة الانسانية بغض عنيف للظلم والنفاق والحزازات ، وسخرية بحماقات البشر ، وتصوير لزمنه ورجاله دون وجل او محاباة . وقد كان في قصائده الاولى المجموعة في ديوانه «سقط الزند» مجرد تلميذ للمتنبي . غير انه في «اللزوميات» شق لنفسه طريقا مستقلا ، وبرز انسانيا عظيما ومفكرا عقلانيا صارما . ومن الطبيعي ان يجد المحدثون عقلية اقرب اليهم واشبه بهم من عقلية غيره من مفكري العرب .

ومع ذلك فانه مما يفسد علينا بعض الشيء لذة مطالعة شعره (خاصة اللزوميات) ونثره (واشهر كتبه النثرية « رسالة الغفران ») ما يتميزان به من تكلف وصنعة واغراب وشطط ، وما فيهما من تشبيهات غامضة ملتوية واستعارات بعيدة . وكثيرا ما يكون فيهما اسراف في اظهار علمه باللغة ، فاذا به يورد الكثير من الغريب الذي لم يقصد به الا غرابته .

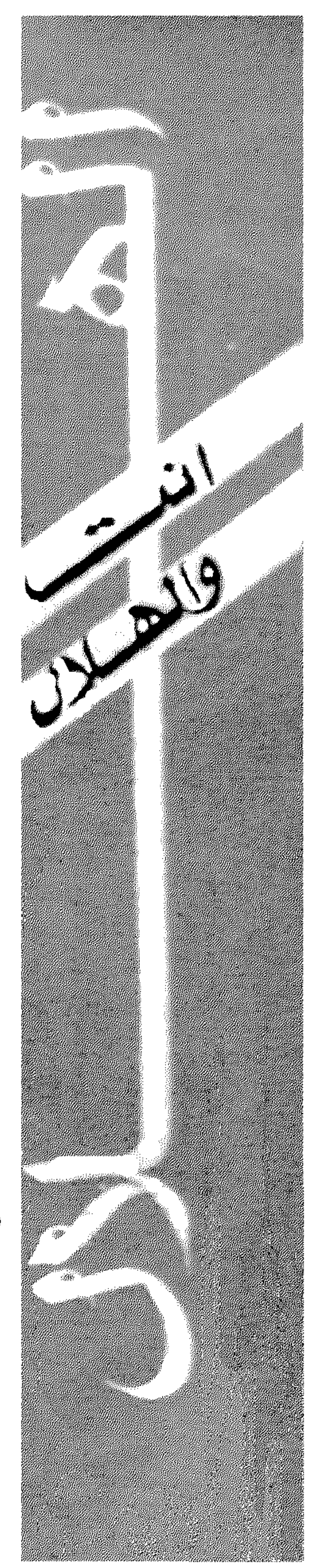
فاما عن موضوعاته ، كالزهد والتشاؤم والاحتقار لامال الناس وامانيهم ، وغرور البشر وجهلهم ، وحيرة العقل في فهم الكون وتخبطه في معرفة الحقيقة ، فجلها امور سبق للكثيرين الخوض فيها . وامتلاء شعره بهذه الموضوعات جعل الكثيرين يرونه ليس من الادب ، وانه الى صنع الفلاسفة اقرب . ومع ذلك ، فان قوة تعبيره ، وصدقه ودقته ، وقدرته على ان يجعل من ادبه مراة ناصعة لعقله القوي وشخصيته الفذة معا ، جعلته من احب

المؤلفين العرب الى نفوس المثقفين العرب في القرن العشرين ، خاصة ممن تاثروا بالفكر الغربي ·

ولم تكن فلسفة ابى العلاء سلبية كلها ، فقد كان يؤثر الورع والاستقامة على الصوم والصلاة ، ويرى ان الانسان الصحيح الايمان هو الذى يحارب الشر في نفسه وفي مجتمعه ، ويتصدى بالمقاومة لاولئك الذين يستغلون استعداد العامة للخنوع وللتصديق الخرافات ، بقصد اكتساب السلطة والمال · غير انه لا مفر كذلك من اعتباره المتشائم الاكبر فى الفكر الاسلامى والعربى ، شديد الشبه بشوبنهاور فى الفكر الغربى ، ينظر الى الفناء على انه خلاص سعيد من حياة فانية ، ويرى اثما أن ننجب الابناء فنعرضهم لالوان الشقاء المختلفة التى يتعرض لها كل كائن حى ·

اما عن كتابه « رسالة الغفران » الذى يتحدث فيه عن الشعراء الزنادقة الذين غفر لهم ورفعوا الى الجنة (وهى مكان حوادث القصة) ، فقصة جريئة خلط فيها الجد بالهزل ، وسخر فيها من العقائد والافكار الشائعة عن الحياة الاخرى ، وضمنها قدرا ضخما من المعارف المتنوعة ، وحديثا طويلا عن الزنادقة ومعتقداتهم · وقد جاء بعده بقليل ابن شهيد الاندلسى فقلد الرسالة فى كتابه « التوابع والزوابع » · وكتاب ابن شهيد هذا هو الذى يرجح ان يكون دانتى قد تاثر به في كوميديته الالهية لا كتاب المعرى · غير ان الراجح كذلك ان يكون كل من المعرى وابن شهيد قد اخذ الفكرة من المقامة الابليسية فى مقامات بديع الزمان الهمذانى ·





● حول أدب أكتوبر ●

● بقدر ما أسعدني نشر كلمتي حول (أدب اكتوبر) في هلال ديسمبر ٨٨ أتعسني رد الدكتور الطاهر مكى على مقال الناقد أحمد محمد عطية فقد ابتعد هذا الرد تماما عن تقاليد الحوار وحدود الموضوعية حين اقتحم بلا حذر متاهة التجريح ، ومنحدر التعالى الذى لا يليق بأستاذ يعرف قدر الكلمة ، ويدرك قيمة الجهد الانسانى ·
·· ان ما ورد فى رد الدكتور مكى فى عنفوانه تحول بكل الاسى والاسف الى وثيقة ضده ، وضد كل أعيان النقد فى زمن الاقطاع الادبى ··
·· سامح الله د· الطاهر ، فقد ضغط فى رده وبكل قواه على جروحنا المزمنة ، وكثف الظلام حولنا ·

محمد السيد سالم

● ملاحظات على العدد الماضى ●

● ارجو أن تتقبلوا بصدر رحب هذه الملاحظات على عدد يناير ١٩٨٩ من « الهلال » فقد كان رائعا ولكن روعته لم تستطع اخفاء النواقص التالية :
ـ موضوع « المائة الاعظم » ملخص من دائرة المعارف الاسلامية ، وهذا الموضوع غير موجود فى فهرس المجلة ·
ـ كلمات الصور فى موضوع « فن التصوير » ليست دقيقة ، فمثلا صورة سيد درويش بصفحة ١٠٧ كتبتم تحتها « سيد درويش ١٨٩٢ ـ ١٩٢٤ » أى أنه ولد سنة ١٨٩٢ وتوفى سنة ١٩٢٤ والصواب أنه توفى سنة ١٩٢٣ ، وقلتم : « وقد أصابته البدانة بشكل ملحوظ » وهذا غير دقيق لانه كان ضخم الجسم طولا وعرضا ـ كما خلقه الله ـ ولم يكن بدينا بسبب مرض من الامراض ، وقد مات فجأة بلا مرض·
ـ فى صفحة ١١٧ صورة كتبتم تحتها : « الملكة نازلى مع فاروق وبناتها الثلاث » ·· وليس فى الصورة فاروق ، كما أن الملكة نازلى وبناتها غير موجودات ، وانما الموجودة هى الملكة فريدة فى ليلة زفافها ، وحولها ثلاث طفلات وطفل واحد وكانت مهمته ومهمتهن حمل ذيل فستان زفافها ، وبعد أن حملوه كافأتهم بصورة تذكارية معها ··
ـ فى صفحة ١١٩ صورة مكتوب تحتها : « لطيفة النادى ·· أول

قائدة طيران مصرية » ·· والاسم محرف وصوابه : « لطفيــة » ولم تكن أول قائدة طيران ولا اخر قائدة ، بل كانت أول طيارة مصريــة ، أى مجرد قائدة طائرة لا قائدة طيران ، والفرق كبير ، والدقة ضرورية ··

في صفحة ١٢٧ كتبتم : « الامير فؤاد الاول ·· الخ » المعروف ان الامير لا يلقب بالاول ولا بالثانى ، وانما صار الامير فؤاد يلقب بالاول عندما اصبح ملكا على مصر سنة ١٩٢٢ ·· فصار اسمه ولقبه « الملك فؤاد الاول » وذلك بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير المشهور .

ـ في صفحة ١٢٢ صورة تحتها : « الجنود الانجليز فى طريقهم الى مدينة دنشواى » ·· وقد كانت دنشواى « قـرية » لا مدينة ، ودخـلت التاريخ باسمها : « قرية دنشواى » وتسمى فى الوقت الحـــاضر « الشهداء » وهى من « مدن » محافظة المنوفية ··

ـ اخر الاغلاط غلطة مطبعية ، ففى صفحة ١٢٣ صورة لعبد الناصر وخروشوف ، مكتوب تحتها اسم « خروشوف » بدون الواو التى بعد الراء ، فتحول من اسم رجل الى اسم خضار الخرشوف !! ··

« قـــارىء »

● **تعــليق الهلال :**

ـ ملاحظاتك على كلام الصور كلها صحيحة ، أما قولك ان موضوع « المائة الاعظم » منقول من دائرة المعارف الاسلامية ، فغير صحيح، لان المعلومات التى يتضمنها الموضوع موجودة فى جميع المراجــع التاريخية التى كانت مصدرا لدائرة المعارف ، فضلا عن أن الموضــوع يتضمن وجهة نظر الكاتب ، وقد سقط اسم هذا الموضوع من فهــرس الهلال سهوا ، فمعــذرة ··

● شهر فبراير ●

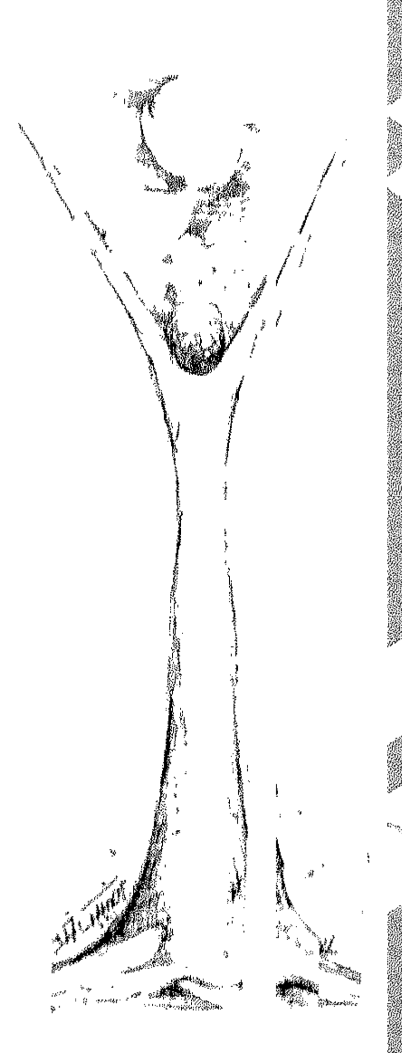
● بمناسبة شهر فبراير الحالى ، ما هو أصل اسم هذا الشــهر وما هو الشهر المقابل له فى الشهور العربية ؟!

حسن رجب سليم ـ جرجا

● **تعـليق الهـــلال :**

ـ فبراير اصله باللاتينية « فبرواريوس » وكان فى التقويم الرومانى هو الشهر الثانى عشر من السنة ، وكان مارس بداية السنة ، واســم فبراير مشتق من فعل فى اللغة اللاتينية معناه النقاء والطهارة ، وليس فى الشهور العربية القمرية ما يقابل فبراير ولا أى شهر فى الســـنة الميلادية ، لان الشهور العربية قمرية والشهور الميلادية شمسية ·· ولكن العرب استعاروا التقويم السريانى وفيه كلمة « شباط » وهو الشــهر المقابل لفبراير ومعنى شباط بالسريانية « شهر النوم » ! ··

أنت والهلال



● سر !.. ●

ارمنى يا دهر ·· فى تيه الصحارى
والقفـــار
واجدل الليـل على عينى ·· سورا
وجــــدار
واخنـق الانفـاس فى صـدرى ··
وصـادر كل نسـمة
واعصب الشمس اذا طـلت ··
وقيد كل نجمـة
ثم دعنى ·· فى متاهات الضـياع
لا تقــل انى اموت
فانا حى ·· سابقى ··
اسبح الفجـر بنور الامنيـات
واغـاريد الصـغار
انت لن تقتـل فى الامنيـات
لا ·· ولن تخـرس انغـام الصـغار
ارمنى يا دهـــر فى تيـه الصحارى
والقفـــار
وانتظـر حتى اعود
فانا سـوف اعـود

نصر عبد القـادر

● الى المجمع اللغوى ●

● راجعت مادة « شكل » فى « المعجم الوسيط » بغية العثور على جمع كلمة « مشكلة » لان من الشائع جمعها على « مشـاكل » وهناك تخطئة لهذا الجمع والصواب جمعها على « مشكلات » غيـر ان المعجم لم يذكر الكلمة بالمرة وذكر كلمة « المشـــكل » بمعنى الملتبس ولم يذكر جمعها ، وهكذا لم استطع الافادة من المعجـم بوجود ضالتى المنشودة ، وهو من اعداد اهل اللغة ، هـــذا فى الوقت الذى ذكر فيه معجم « المنجد » الكلمتين « مشكل ومشـكلة » بمعنى الامر الصعب او الملتبس وجمعهما على « مشاكل ومشكلات » والمرجو ممن له صلة بهذا الامر فى المجمع اللغوى توضيح الجمع

الصحيح . وان كنت مع الذين يخطئون جمعها التكسيرى ويقرون جمعها الصحيح أعمالا لقاعدة تقول ان كل ما جرى على الفعل من اسمى الفاعل والمفعول وأوله ميم فبابه التصحيح .. نحن فى الانتظار كما نرجو تلافى هذا النقص فى الطبعات التالية اذ لا يليق أن يسبقهم « المنجد » الذى أعز بجهد خاص فى الوفاء .

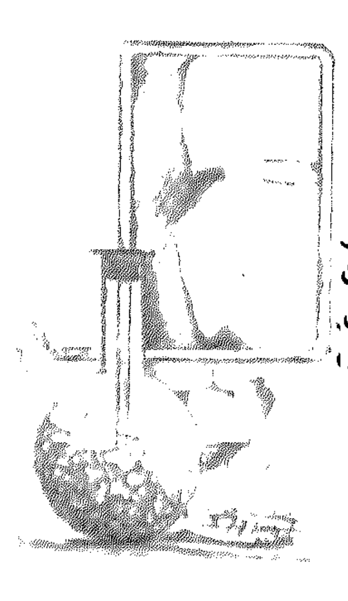
احمد قاسم احمد
قنا ـ ش على بن أبى طالب

● الحقيقة ●

● نظمت أبياتا من الشعر التفعيلى ، من بحر الرجز ، وهذه هى الابيات ، فأرجو ابداء رأيكم :

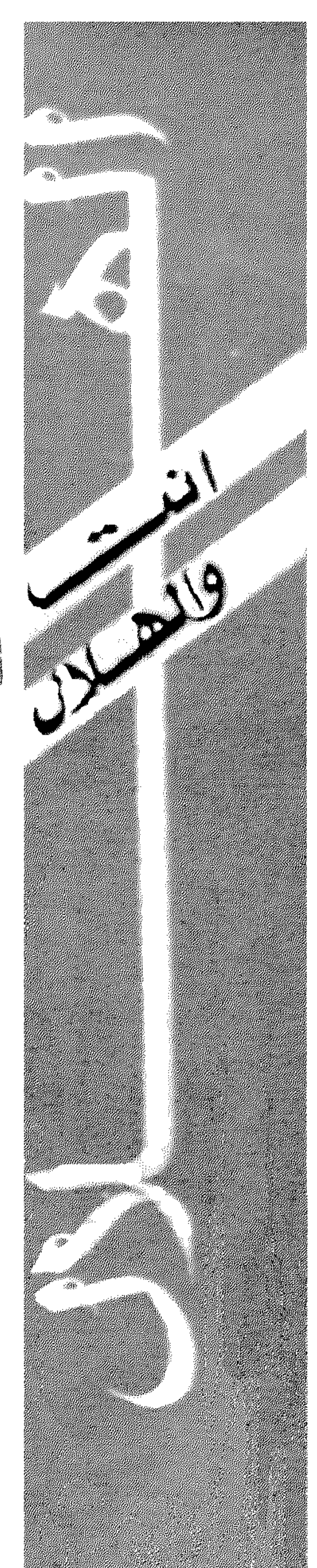
تكورت مثل ثمرة البرتقال واستدارت
سطعت على الكون فى كرم حاتمى
فظهر كل شىء « واضح » جدا واختفى الظلام الذى سيطر « كثير » على الكون .
بدت المبانى بكل علوها وشموخها .
اختفت خفافيش الظلام والفئران المذعورة من عتمة الليل
بدت الحياة « مملؤة » « افراح » ومسرات
ولكن اختفت البسمة من فوق شفتيه وليدا صغيرا
لم يبلغ « الاحدى عشرا شهرا » فنظرت له وقالت له هكذا هى الحياة
فاختفت البسمة مرة أخرى وظهر « شحوبا » على وجهها
واحتضنت وليدها فى ابتسامة وبشر وحب

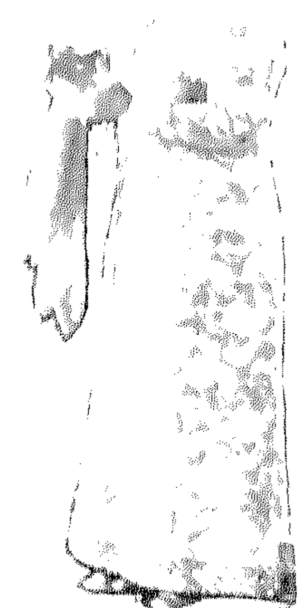
أوفى عبد الله الانور
بكالوريوس علوم
سوهاج



● **تعليق الهلال :**

ـــ الحقيقة يا عزيزى أن هذه السطور ليست شعرا من بحر الرجز ولا من أى بحر آخر ، وانما هى نثر خالص ، وقد استشرت فيها الاغلاط النحوية واللغوية ووضعناها لك بين اقواس لتتعرف عليها ، وأشدها وأكثرها سوءا ، خطؤك الذى تقول فيه : « الاحدى عشرا شهرا » .. فما هذه الاعداد يا عزيزى ومن أية لغة هى بالله عليك ؟! .. حاول أن تشغل نفسك بالعلوم لا بالشعر ..





● إلى أم كلثوم فى ذكراها ●

لماذا نموت مع الحب ...
كالعطر ينمو مع الزهر ...
ماذا لو اقتاد أهل الهوى خطو قلبى
الى جنة القرب ، لم يتركوه
لدى الباب .. يحضن أطلال أحبابه ...
بعد ترحالهم تحت شمس الاصيل
تميل وتغرب .. كيما يعود
الى قصة الامس .. اين شدوت
فصوتك ـ فى كل وقت ـ ربيع
وقلبى يمام يحوم

عبد الرحيم الماسخ
سوهاج

● تشـيكوف ●

● لماذا يشبهون نجيب محفوظ بالقصصى الروسى تشيكوف ، فهل السبب أنهما فازا بجائزة نوبل ، وما هى حقيقة الموهبة الادبية لتشيكوف ؟ ولماذا لم يحصل العقاد والمازنى والدكتور هيكل عـلى جائزة نوبل ؟!

عبد الرءوف وهبى البطل
دمنهور

● تعليق الهلال :

ـــ اعتاد النقاد تشبيه أديب بأديب ، وقد تأثر بتشيكوف كل من طالع قصصه ومسرحياته ، ولكن لم ينسج على منواله كل من طالعه وأعجب به .. وتستطيع أن تقول ان نجيب محفـــوظ قرأه واستفاد منه ولم يتأثر به ، لان تكنيك نجيب أكثر تطورا من تكنيك تشيكوف ، ونقصد بالتكنيك « بالنون بعد الكاف » الاسلوب الفنى الشامل ، ثم أن نجيب محفوظ متقدم على تشيكوف بمرحـــــلة تاريخية .. ولم يحصل تشيكوف على جائزة نوبل فقد توفى سنة ١٩٠٤ وهو فى الرابعة والاربعين من عمره وكانت هذه الجـــائزة يومئذ فى سنتها الرابعة لانها بدأت سنة ١٩٠١ ولعل تشيكوف لو عاش عشر سنوات أخرى لحصل عليها ، ولكن هذه الجائزة لـــم

يحصل عليها أحد من الادباء الروس الا سنة ١٩٥٨ عندما حصل عليها باسترناك ·· أما العقاد والمازنى وهيكل والادباء المصريون فلم تكن لجنة نوبل تعرف عنهم شيئا ، لان مصر كانت فى وقتهم مجرد مستعمرة بريطانية ولم يكن للادب المصرى وزن عند الاوربيين·

● الحب والأمل ●



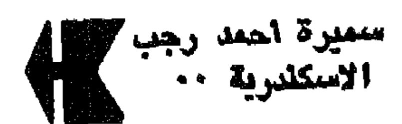
نادى الحداة وما فى الركب من احد
يرنو اليك فما يبكيك يا رجـــــل
ان الجراح التى ما زلت تلعقـــها
ضاق الحداة بها والركب والسـبل
سلمى صباها استوى منكل ناحية
وانت صبحك ريث والصـــبا عجل
فاطو الجوانح انا لا صــديق لنا
والشامتون كثير ، حســبك الامل

محمود عبد الحفيظ عبد العزيز
كفر صقر

● مقالة بهاء الدين ●

● سررنا بمقالة الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين فى عـــدد يناير الماضى ·· حبذا لو نشرتم فى كل عدد مقالة موجـزة لكاتب كبير تتصدر العدد بعد باب « عزيزى القارىء » ·· كما أعجبنـــا بفكرة باب « الكلمة الاخيرة » فى الصفحة الاخيرة من هلال يناير، ونرجو أن يتداول الكتابة فى هذا الباب عدد من كبـــار الادباء والصحفيين المصريين والعرب ··

سميرة احمد رجب
الاسكندرية ··



● انفلات العبير ●

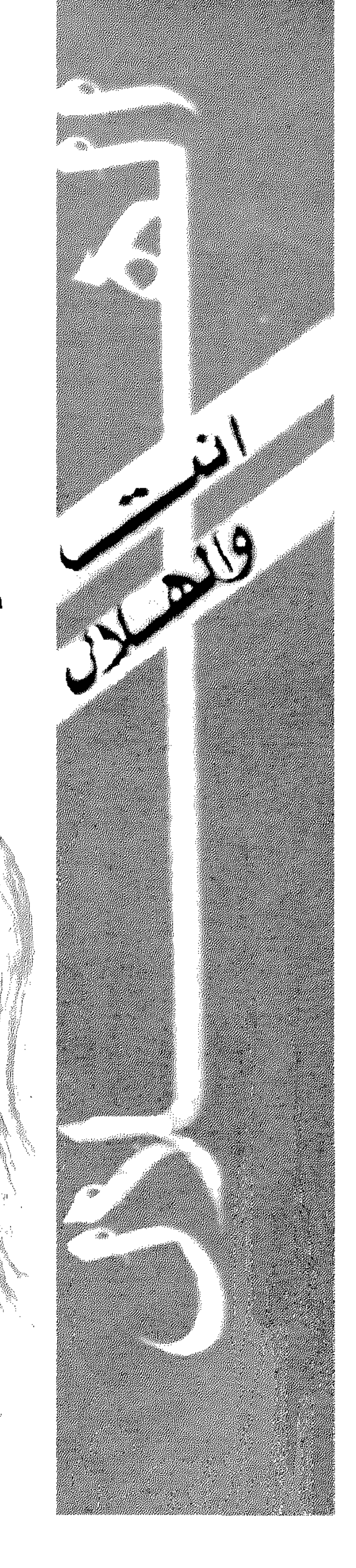
وأخشى عليك من القسوة المستبدة بين زوايا العيون ..
أخاف على قلبك اللؤلؤى اذا كدرته عواصفك المحكمة ..
تنوشينه باحتدامات ليل الظنون ..
وتشتعلين مع اللحظة المعتمة ..
وأخشى عليك انفلات العبير اذا قطرته الشفاه ..
وأخشى عليك من العابرين لروضة حسنك ، كي يسرقوا منك
بعض العبير ، وكي يرشفوا من رحيق الورود ..
ومن فوح هذا الرضاب الرطيب الودود ..
فان فشلوا باح ثغرك فى صده بالشذى ،
بسحر حدائق ، « بابل »
ففى الحالتين ، همو الكاسبون ..

جميل محمود عبد الرحمن
سوهاج

● العشق الطفولى ●

يولد الليلة فى شرفة بيت ..
فى (سويس) الياسمين القمرى ..
فاذا أقبلت الظلمة من آخر بستان مسائى
أضاءتها القناديل التى تسكن فى دمع حبيبى
هادئا كنت على الشرفة فى بوح السماء
نقطة رائعة التكوين محمولا على العمر ..
بدايات من الركض الطفولى على الشاطىء
فى حلم المغيب
ايها الساكن فى جرح اشتياقى البدوى
من ترى يرضع خديك من القمح ..
ويؤوى بين فوضى شعرك الطفل حنين الكستناء
هذه قافلة العشق الطفولى
وهذا أول العمر الاليف المخملى ؟!

عبد الناصر عبد الرحيم أحمد
السويس



● مع الأصدقاء ●

● رفعت عبد الوهاب محمد الموصلي ـ شبرا ـ القاهرة :

ـــ قصيدتكم « اشراقات رمضانية » ـ من بحــر الكامل ـ تقول فيها أشياء حسنة ولكنها لا تزيد عما يقوله الناس في كلامهم العادي ولا يصح أن تقف على كلمة « هلالك » في الشطر الاول من البيت الذي تقول فيه : « ما ان يطل على الربوع هلالك ·· حتى يضاء الكون بالانوار » ·· ولو قلت « هلاله » لصح لك وزن هذا الشطر ·· ثم انك تجمع كلمة « شهر » على « اشهار » والصواب « شهور » و « أشهر » ··

● رمضان الهجرسي :

ـــ تقول في قصيدتك « قبل الميلاد » هذه الكلمات : « يا من في رغيف الشمس ، عجلت بسماء الحرية ·· هذا لساني تشطره البيد » ·· فهلا قلت ما يسهل فهمه ؟! ·· شعرك يشبه معـــركة بين الالفاظ والاستعارات البعيدة ، وكلمة من الشرق وأخرى مـن الغرب ! ··

● الحسين محمود خضيري ـ الاقصر :

ـــ كلامك الذي بدايته « اذا ما اتوك بزيف الخبر » كـــلام موزون ولكن يصعب البحث عن معان للكلام ··

● جمال عطا أحمد ـ أسيوط :

ـــ الاوزان في قصيدتك صحيحة ولكن أين مضمون الكلام ؟!

● عماد رفعت السيد بكير ـ قويسنا ـ طالب ثانوي :

ـــ محاولاتكم في الشعر طيبة ، ولكن لا تتشغل فتعطي هذه المرحلة من حياتك بغير دروسك ! ··

● سعيد عبد الله سعيد ـ عدن ـ اليمن الديمقراطية :

ـــ نشكركم على حسن ظنكم ، أما روايات الهلال فلها شكل خاص في الطباعة لا يمكن تغييره وفقا لكل رأي يصـــل الينا من أعزائنا القراء ·· ومع ذلك فان شكل غلاف الروايات دائم التجدد من عدد الى عدد ! ··

● عبد العزيز الشراكي ـ قرية المنصورة :

ـــ أبياتك التي تقول فيها : « حينا طفل صـــغير جاهل ·· غير شرعي عجوز في الطفولة » ليست من الشعر الذي نرجـو أن تتمكن من نظمه عندما تنضج أدواتك ·· لا تتعجـل فمازلت طالبـا ناشئا ··

● ونشكر أصدقاءنا : وائل وجدي ·· هشـــــام محمد عبد الوهاب ·· ماهر مصطفى أحمد ·· اشرف محمد عبـــــده البكلاوي ·· خالد محمد فازي ·· سعيد لمعي جرجس ·· ابو بكر محمد محمد حسانين ·· رفعت محمد برويني ·· حسين علام ··

إن العمارة التى تناسبنا هى عمارة آبائنا ، أما العمارة الغربية (عمارة أنكل سام) فكل خطوة وراءها دولار ، بمعنى أنها مكلفة للغاية ولا تتناسب مع قدراتنا ، وعلينا بالتالى أن نعود إلى تراثنا القديم فى العمارة الإسلامية ، والتى تشكل عمارة المستقبل ، خاصة أنها تحيط الإنسان بالنواحى الروحية والمادية .

وفى رأيى أنه لا يوجد على الإطلاق أى تعارض بين المحافظة على الطابع الأصيل للعمارة ، وحركة التوسع العمرانى .

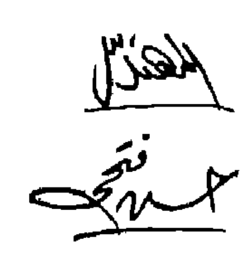
وإذا أردنا أن نتحدث عن العلاقة بين الكم والكيف فى مجال العمارة ، فلا يعبر ذلك بالضرورة عن تناقض ، بل على العكس في كثير من الأحيان يكون الكيف مؤثرا فى الكم ، ومتأثرا به بدرجة أو بأخرى والعكس صحيح . ولكن التعارض قد ينشأ بين حركة التوسع العمرانى ، والمحافظة على الطابع الأصيل للعمارة ، عندما نغلب "الكم" على "الكيف" ،

وعلينا ألا نتعامل مع البناء والمعمار بمعزل عن حضارة وثقافة المجتمعات .

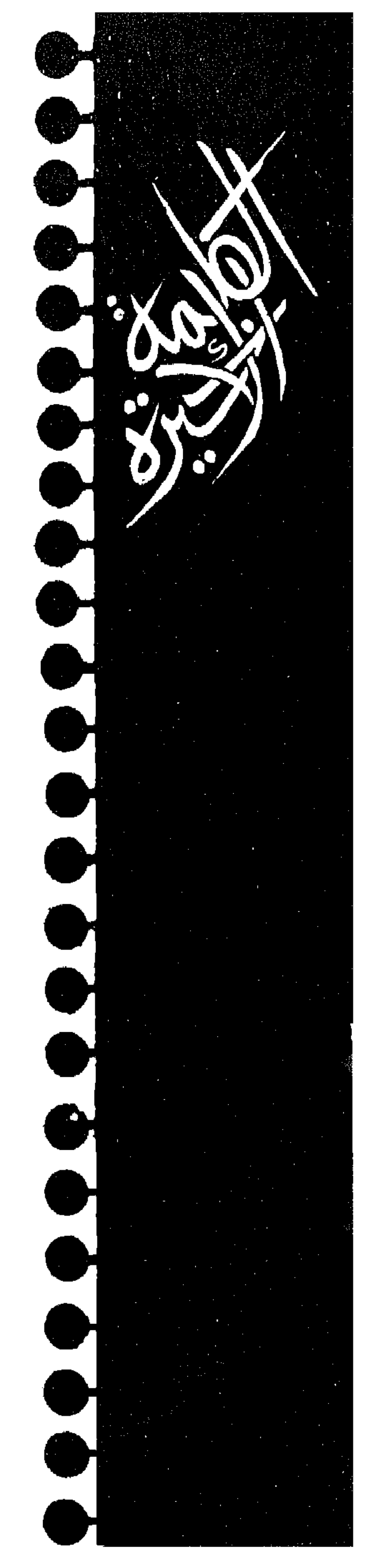
ومن عيوب العمارة الحديثة على سبيل المثال تلك الواجهات الزجاجية التى لا تمنع الأشعة فوق البنفسجية للشمس والتى تحتاج إلى موازنتها بعمليات تكييف صناعية باهظة ، فواجهة زجاجية مساحتها ٣ × ٣ أمتار تدخل ٢٠٠ كيلو سعر حرارى وبالتالى تحتاج إلى تبريد قوته طنان فى الساعة .

لقد كان تخطيط المدينة والبيت العربى يراعى أن تكون الشرفات والأبواب على الداخل ، وبالتالى نحمى بيوتنا من أشعة الشمس ومن الأتربة .

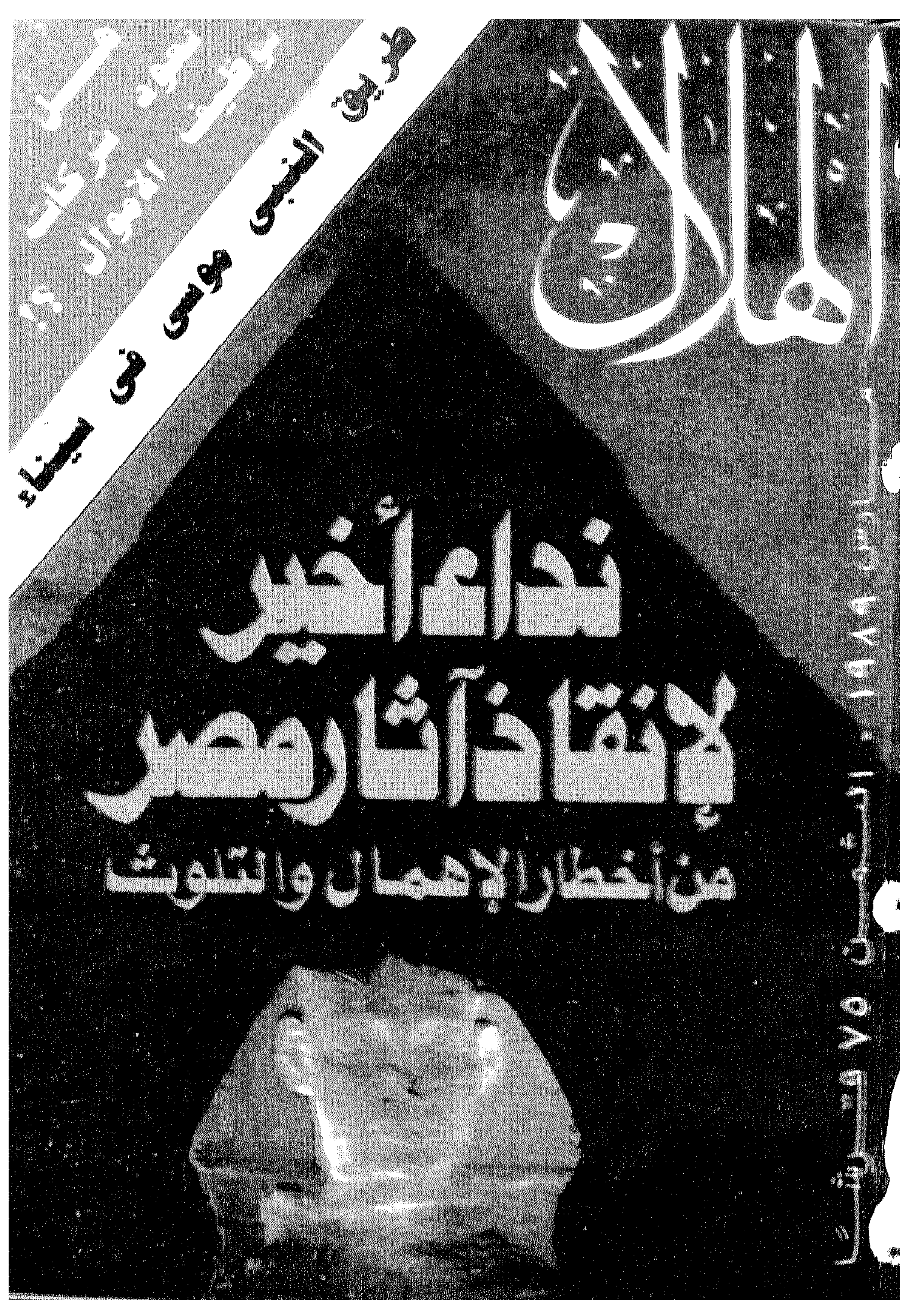
وفى كل ماذكرته فإن المسألة لا تكمن فى الرقابة فقط ، فالاهتمام بالعمارة يجب أن ينبع من الشعوب أفرادا وجماعات .



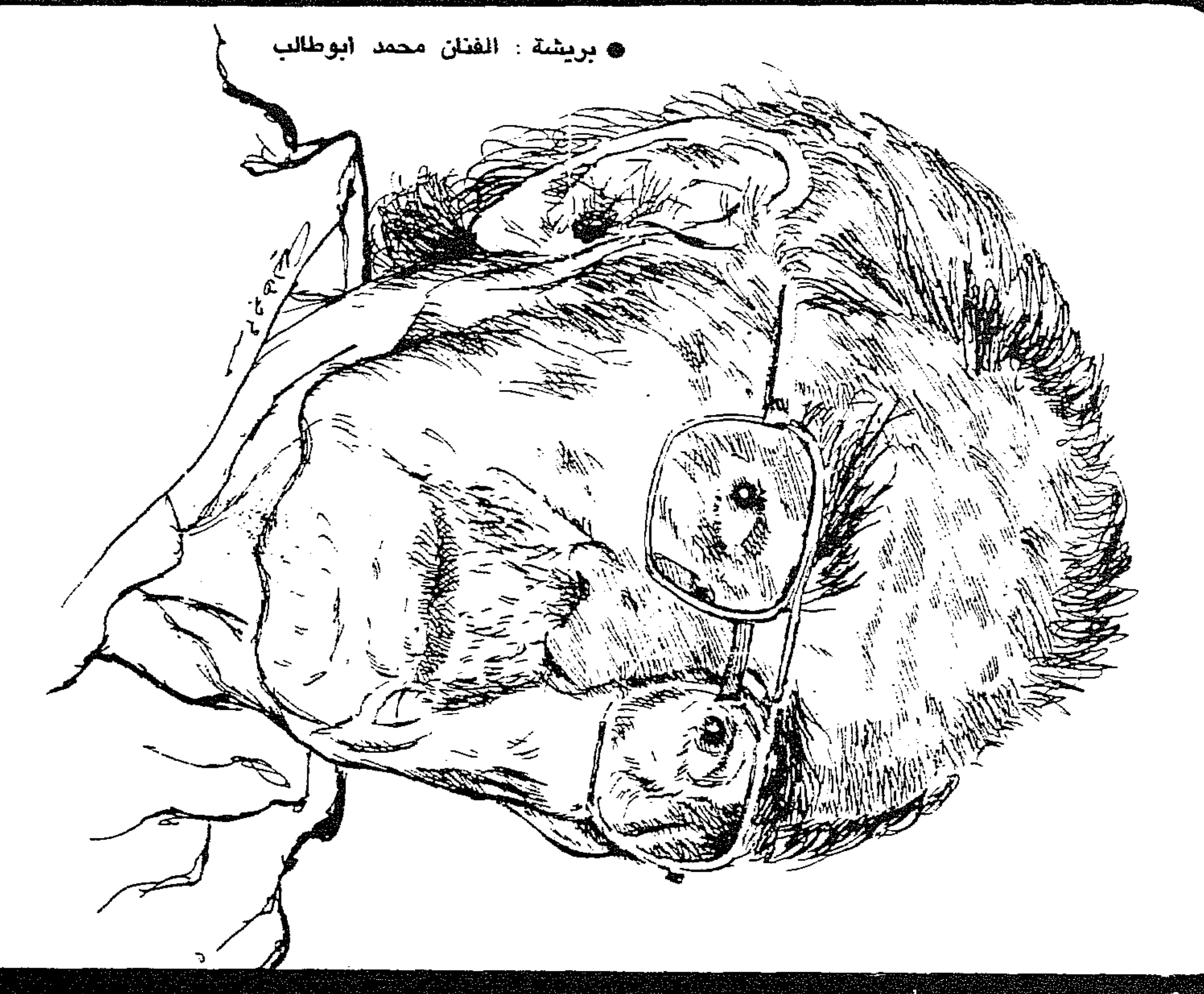





منسق الكلمات
البديل الأمثل للطابعة التقليدية . يوفر الوقت والجهد والمال
- سهل الإستخدام
- تنظيم شكل الرسالة
- استخدام طابعات مختلفة
- المزج بين اللغتين العربية واللاتينية
- إدخال او مسح حرف او كلمة او سطر
- يطبع الرسائل بطريقة اسهل، انظف، ادق
- تحديد، نقل، نسخ، مسح، طباعة او حفظ فقرة اتوماتيكيا
- البحث عن اي كلمة او جملة في النص و إبدالها اتوماتيكيا
- إمكانيات كمبيوترية اخرى: ملفات، حسابات ... الخ
سعره لا يزيد عن سعر الطابعة الالكترونية
al Alamiah
العالمية
الكويت الشركة العالمية. تلفون ٢٤١٤١٤٠
الامارات اليوسف لانظمة الكمبيوتر. تلفون ٢٢٤٢٦١
البحرين الزياني للخدمات التجارية. تلفون ٥٣١١٧٧
مصر الجبسية للحاسبات الالكترونية ٢٠٨٨١١٠٤
الاردن مركز الكمبيوتر الاردني. تلفون ٦٧٩٦١٦
السعودية العالمية العالمية الرياض. تلفون ٤٧٧٠١٠٦
العراق المنشأة العامة للاجهزة الدقيقة. تلفون ٧١٩٦١٣٢
سوريا مركز الكمبيوتر العربي. تلفون ٢١٦٢٨٢
لبنان ميكروكمبيوتر سيستمز. تلفون ٣١٩٨٢٤
تونس شركة الكمبيوتر والبرمجيات. تلفون
الجزائر المؤسسة الوطنية لانظمة الإعلام. تلفون
المغرب إيكوام ش. م. تلفون
فرنسا الاستشاريون للخدمات المعلوماتية ١٤٧


الهلال
طريق النبى موسى فى سيناء
نداء أخير لإنقاذ آثار مصر
من أخطار الإهمال والتلوث

قمم عربية



● بريشة : الفنان محمد أبوطالب

المهندس حسن فتحي



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجى زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • مارس ١٩٨٩ • رجب ١٤٠٩ هـ

حسن فتحي، صاحب عمارة الفقراء، أحد المعماريين القلائل المؤمنين بالهندسة المعمارية العربية، افنى عمره من أجل أن يرى مشروع قرية "القرنة" النور، ولكن كثيرا من المعوقات وضعت فى طريقه، بالرغم من اعتراف العالم بروعة عمارته.

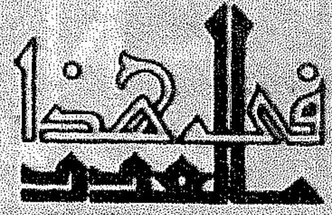
تقوم نظريته على الايمان المطلق بالطبيعة، لذلك شكل بيوت قرية "القرنة" من الطين لأن الانسان ينسجم جسمانيا أو عقليا فى مكان من نفس خامته التى شكل منها.

يعرفه العالم اجمع، وجاء تكريمه عظيما كأفضل مهندس معمارى فى العالم وحصوله على الجائزة عام ١٩٨٧ من الاتحاد الدولى للبناء وبرغم هذا الكفاح الطويل وهذا التكريم العالمى، لم نتذكره إلا بعد فوزه بالجائزة العالمية مؤخرا.

إقرأ مقال د. منى زكريا
صفحة ١٤٢

فكر وثقافة

● من أجل حماية آثار مصر ....
.... د . رشدى سعيد ١٦
● الحب شعرا والحب نثرا .... كمال النجمى ٢٢
● القفز على الأشواك .. تربوية أم رجعية فى فلسفة التعليم .... د . شكرى محمد عياد ٢٨
● المستقبليات علم أم ايديولوجيا ....
.... د . عبدالعظيم انيس ٣٤
● تطوير اللغة العربية وهموم أخرى ....
.... د . الطاهر أحمد مكى ٣٩
● السعى إلى البلاط الأصفر ....
.... عبدالرحمن شاكر ٤٨
● حسن البنا والتجديد الدينى ....
.... د . محمد عمارة ٥٤
● وثائق هيكل تتكلم ....
.... د . أحمد عبدالرحيم مصطفى ٦٠
● قصة خروج النبى موسى من مصر ....
.... د . محمد إبراهيم مرسى ٦٦
● أندلس الشاعر .. سميح القاسم ....
.... د . حسن فتح الباب ٩٦
● نجيب محفوظ ناقد مثقف ....
.... د . محمد رجب البيومى ١٠٢
● رسالة لندن .. كتاب بريطانى جديد حول « أيام » طه حسين .... د . رشيد العنانى ١١٠
● حسن فتحى شيخ البنائين د . منى زكريا ١٤٢
● مستقبل الطاقة النووية فى مصر ....
.... د . على فهمى الصعيدى ١٦٦





الغلاف :
تصميم الفنان :
محمد ابو طالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الأسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

● المائة الأعظم فى التاريخ الاسلامى .... حسين أحمد أمين ١٧٨

دائرة الحوار

● لماذا قامت شركات توظيف الأموال ؟ .... د . جلال امين ٨٠

● معايير نجاح التجمعات الاقليمية العربية .... جميل مطر ٨٨

جولة المعارض

● خطوط الاتصال والانفصال فى معارض الشهر .... محمود بقشيش ١٣٠

فنون

● نظرة طائرة على سينما الفواجع والمواجع .... مصطفى درويش ١٢٤

● عناق الأدب والسينما ...... رأفت الخياط ١٦٢

قصة وشعر

● فخاخ العيون الجميلة " اقصوصة " .... عبدالحكيم قاسم ٩٤

● قصيدتان " شعر " ...... حرزالله بوزيد ١٠٩

● الانتفاضة والوعد الحق .... « شعر » إبراهيم صبرى ١١٦

● تفسير جديد لنظرية النسبية " قصة قصيرة " .... شحاتة عزيز جرجس ١١٨

الأبواب الثابتة

(٦) عزيزى القارىء

(٩) العالم فى سطور

(٢٧) أقوال معاصرة

(١٢٣) لغويات

(١٥١) شهريات

(١٧٢) العالم غدا

(١٨٦) أنت والهلال

(١٩٤) الكلمة الأخيرة يحيى حقى

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت . اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات .





• عرابى وسعد زغلول وجمال عبدالناصر حلقات فى ثورة واحدة

• لم ير الشرق بعد سعد خطيبا

شعبنا المصرى يعرف شهر مارس او شهر آذار بأنه شهر الربيع ، ويصف شاعرنا احمد شوقى هذا الشهر بأنه « حديقة الأرواح » .. فى قوله :

آذار أقبل قم بنا ياصاح   حى الربيع حديقة الأرواح

لكن يوم ٩ من آذار او من مارس سنة ١٩١٩ جعل من شهر مارس أو آذار ربيعا للورد والريحان فى مواكب الحرية ، وشهرا للحرية والديمقراطية ، سالت فيه نفوس الشهداء الأبرار دفاعا عن مبادىء ثورة ١٩١٩ الشعبية المجيدة التى كانت اول ثورة من نوعها فى تاريخ مصر كله .

نبتت البذور الأولى لثورة ١٩١٩ فى تراب ثورة عرابى التى اخمدها الاستعمار البريطانى سنة ١٨٨٢ .

وبهزيمة الثورة العرابية تحولت مصر من تابع للسلطنة العثمانية إلى تابع للأمبراطورية البريطانية ، وصارت قطعة ارض بلا جنسية ولا هوية ، حتى إن المعتمد البريطانى الجنرال ونجت قال لسعد زغلول ورفاقه الذين ذهبوا إليه فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ يطلبون الاستقلال لمصر : لقد رضى الشعب المصرى أن يكون عبدا للعثمانيين أربعمائة سنة ، فكيف لا يرضى الآن أن يكون عبدا للبريطانيين ؟ !

لقد كانت مصر فى نظر سادتها الجدد مجرد قطعة شطرنج انتقلت من لاعب مهزوم إلى لاعب منتصر ، فكان لابد للشعب المصرى من أن يحطم هذا الصلف الاستعمارى المهين ، فاندلعت الثورة المصرية فى ٩ مارس ١٩١٩ تحت شعار : الاستقلال التام او الموت الزؤام ، الذى نحته قادة الهتافات الثورية بالأزهر الشريف .

السبعينية لثورة 1919



احمد عرابى

سعد زغلول



جمال عبد الناصر

ودخل شهر مارس منذ ذلك اليوم تاريخ مصر كشهر للثورة الشعبية المصرية الاولى في القرن العشرين ، كما دخل شهر يونيو سنة ١٧٨٩ تاريخ فرنسا كشهر لثورتها الكبرى ، وكما دخل شهر اكتوبر سنة ١٩١٧ تاريخ روسيا كشهر لثورتها الاشتراكية .

إن ثورة ١٩١٩ هى الجمرة التى اشتعلت منها كل التحركات الثورية فى مصر على مدى السنين ، فمظاهرات سنة ١٩٣٥ الثورية التى استشهد فيها الطلاب هى بنت ثورة ١٩١٩ ، وانتفاضة سنة ١٩٤٦ عقب الحرب العالمية الثانية ضد قوات الأحتلال البريطاني هى أيضا بنت ثورة ١٩١٩ .

لولا ثورة ١٩١٩ لما جاءت ثورة ١٩٥٢ على النحو الذى رأينا فإن كل الأفكار الوطنية التى حركت عبدالناصر وزملاءه فى ثورتهم كانت ممتدة الأصول والجذور الى ثورة ١٩١٩ ذات المثل العليا التى ظلت مطروحة فى الساحة الوطنية من ايام سعد إلى ايام عبدالناصر .

إن جمال عبدالناصر هو مكمل دور سعد زغلول ، برغم كل تناقض يبدو على السطح ، وبرغم كل الأفكار الغوغائية التى تحاول أن تحفر هوة سحيقة بين هذا الزعيم وذاك .

لقد صار سعد بقيادته لثورة ١٩١٩ زعيما للشرق العربى كله ، أو كما قال أمير الشعراء شوقى :

لم ير الشرق مثل سعد خطيبا   هزه من بطاحه ورعانه

ولو عاش شوقى إلى عهد عبدالناصر ، لقال فيه شعرا يتضمن هذا المعنى أيضا



الربيع السبعين لثورة ١٩١٩

، فإن الشرق العربى كله كان يهتز لكلمات عبدالناصر كما اهتز لكلمات سعد .

وقد خرجت ثورة ١٩٥٢ من أحشاء ثورة ١٩١٩ كما خرجت الثورات الفرنسية التى تعاقبت طوال القرن التاسع عشر بعد ثورة ١٧٨٩ التى كانت هى الثورة الأم الولود ، حتى بلغ المد الثورى فى فرنسا أقصاه باندلاع ثورة « كومونة باريس » الاشتراكية سنة ١٨٧١ ولكن الرجعية الفرنسية قضت عليها بالتعاون مع الرجعية البروسية الألمانية وجميع رجعيات أوروبا حينذاك .

وكانت ثورة ١٩٥٢ المصرية أقصى ما بلغه المد الثورى فى مصر ، فرفعت الشعارات الاشتراكية والتحررية والقومية وحققت بعضها ، وحاربت الاستعمار والصهيونية ، وأيقظت شعوب أفريقيا وآسيا ، ثم تلقت الضربة التامرية المشتركة من التحالف الرجعى الاستعمارى الصهيونى العالمى .

وفى عامنا الجديد هذا ـ ١٩٨٩ ـ تحتفل الثورة الفرنسية بمرور مائتى عام على ميلادها التاريخى الذى لم يعد يخص فرنسا وحدها ، بل أصبح يعم كل المهتمين بمصير الحرية فى العالم .

ومنذ عامين ـ ١٩٨٧ ـ أحتفلت روسيا بالذكرى السبعين لثورتها الاشتراكية التى بلغ تأثيرها إلى كل ركن فى العالم ، ولا نشك فى أن عشرات السنين سوف تمر على مولد ثورة ١٩٥٢ المصرية ، وسوف تكون كل ذكرى قادمة لها أعلى شأنا ، واضوا فى عيون العالم مما سبقها من ذكريات هذه الثورة التى يحاول خصومها جاهدين أن يطفئوا نورها بأفواههم .

أما ثورة ١٩١٩ المجيدة فها نحن أولاء نحتفل بالربيع السبعين لها فى شهر الربيع ! ..

لقد مرت على مصر سبعون سنة من العمل فى ظل مبادىء وأحلام ثورة ١٩١٩ سواء تحت أسم هذه الثورة مباشرة أو تحت الأسماء الثورية التى خرجت من رحمها وحاولت أن تحقق مالم يتحقق من أهدافها بأن تجعل رقعة الأهداف أوسع مدى ، وأقدر على تلبية متطلبات التطور العاصف الذى يجتاح العالم كله ! ..

مرحى ، مرحى لشهر آذار ، شهر الربيع ، شهر ثورة ١٩١٩ العظيمة ! ..

ومرحى لثورة ١٩١٩ فى ربيعها السبعين ، وفى كل ربيع قادم على مر الدهور ! ..





العالم في سطور

• باريس •

مظاهرة مصرية

مصر موجودة الآن ، وبشكل مكثف في كافة وسائل الاعلام الفرنسية : في الصحف والمجلات وبرامج الإذاعة والتليفزيون وايضا في جميع واجهات المكتبات .

ظاهرة بدأت مع مطلع العام دون سابق تمهيد . ظاهرة لعبت المصادفة دورا رئيسيا فيها . فقد دفعت دور النشر المختلفة ، مرة واحدة ، بتسعة عشر كتابا عن مصر وتاريخها الفرعوني . وعن الحملة الفرنسية على مصر .

وقد تلقفت وسائل الاعلام هذه الكتب وراحت تنشر فصولا منها . وتقدم عروضا عنها في مئات الصفحات فضلا عن آلاف الصفحات المنشورة في هذه الكتب الضخمة الحجم . وهي مؤلفات مكتوبة مباشرة باللغة الفرنسية . إلا بعض القليل المترجم عن اللغة الألمانية ..

وشمبليون هو الشخص المدلل دوما في هذه الظاهرة . حيث ان هناك اربعة كتب ضخمة عن حياته وإنجازاته في المصريات .. ومن هذه الكتب : شمبليون ، حياة الضوء كتبه جان لاكوتير . وهو كاتب معروف تخصص في الكتابة عن الزعماء الكبار . فاصدر كتبا ضخمة عن ديجول وجمال عبدالناصر .

اما الكتب الثلاثة الأخرى فقد كتبها كل من هيرمين هرتلبن و «في خطى شمبليون» و «شمبليون المصرى» وكلاهما من تأليف كرستيان جاك .

وقد قام معهد الشرق الفرنسي باعادة طبع «وصف مصر» مرة اخرى بشكل مميز . اما دار هاشيت فاختارت ان تقدم كتابا عن تاريخ مصر من خلال الآثار الموجودة في المتحف المصرى بميدان التحرير .

وعن مصر المعاصرة قدم «ميشيل روتشر» كتابه «النيل ، مسافر في مصر عام ١٨٥٠» وهو عبارة عن مجموعة من الصور النادرة التي التقطها المؤلف اثناء زيارته لمصر . مع القيام بالتعليق على هذه الصور .


شمبليون في ملابس عربية

ويعتبر كتاب «البحث عن مصر المنسية» لجان فيركوته أكثر هذه الكتب مبيعا من بين التسعة عشر كتابا . حيث بيع منه في شهر واحد قرابة ستين الف نسخة .

كما شارك في هذه المظاهرة ايضا مؤلفو الحكايات المصورة من خلال إعادة طبع مغامرات تان تان التي تحمل عنوان «سيجار فرعون» ..

السؤال الآن .. هل من حق المصريين ترجمة هذه الكتب وقراءتها ... ام يتركون الآخرين يؤلفونها .. ويقرأونها ؟

● باريس ●

ثورة لأكثر من مائة عام

يحتفلون في فرنسا هذه الأيام بذكرى انقضاء مائتي عام على الثورة الفرنسية عندما عصفت جماهير باريس الغاضبة بسجن الباستيل ، وماتلى ذلك من إجراءات ثورية انتهت باعلان الجمهورية وإعدام لويس السادس عشر في يناير ١٧٩٣ ، وأسرعت دور النشر الباريسية بإصدار كتابين عن الثورة الأول تحت اسم «الثورة (١٧٧٠ - ١٨٨٠) (هاشيت) للمؤرخ الفرنسي «فرنسوا فورية» الذي قام أثناء شهر يناير بزيارة القاهرة والقى محاضرتين عن الثورة بالمركز الثقافي الفرنسي .

أما الكتاب الثاني فقد صدر تحت اسم «قاموس نقدي للثورة الفرنسية» (فلامريون) لنفس المؤرخ مشتركة معه «موتا اوزوف» .

والقاموس عبارة عن مجلد ضخم (١١٠ مقالات) ساهمت في كتابته كوكبة من الباحثين بارشاد «فوريه» الذي بدأ حياته السياسية يساريا ثم اخذ يتحرك شيئا فشيئا نحو الوسط شأن المثقفين الفرنسيين من نفس جيله وهو من مواليد ١٩٢٧ وبعد انتهاء الحرب العالمية انضم إلى الحزب الشيوعي . ولكنه مالبث أن تركه عام ١٩٥٦ .

ومعروف عنه أنه كان من المعارضين لحرب الجزائر ومن الذين ساعدوا في تاسيس الحزب الراديكالي الاشتراكي تحت زعامة «ميشيل روكار» رئيس وزراء فرنسا حاليا . وهو حزب لم يعمر طويلا ..

وهم في فرنسا يعتبرونه نجما من نجوم مثقفي حقبة مابعد الماركسية .

وفي وصف نفسه قال انه طفل اليسار الذي تتوتر علاقته باسرته من حين لآخر .

ولو تاملنا قليلا مقالات قاموسه عن مؤرخي الثورة لوجدنا أن الوقائع التاريخية لاتتحدث مفصحة عن نفسها ، وان اختلاف التفسير لها حد كبير .

وفي مقال او بمعنى اصح دراسة عن الارهاب «لفوريه» نراه فيها يسعى إلى التمييز بين ثورتين واحدة طيبة (١٧٨٩) والاخرى شريرة (١٧٩٣/٩٤)

واظنه ليس أول من قال بان الارهاب لم يكن ضروريا ، ولا مبررا .

● بوخارست ●

الإنسان... كائن مهاجر

آخيرا سمحت السلطات الرسمية في بوخارست برومانيا بتوزيع روايات الكاتبة هيرتا موللر بعد ان قررت العودة للاقامة بصفة نهائية في بلادها بعد ان هاجرت إلى برلين الغربية منذ اكثر من عشر سنوات ..

الرواية التي سمح بنشرها هي . تطور الإنسان فوق الارض وتدور حول رجل يدعى قندش يعمل طحانا ويسعى للهجرة من رومانيا إلى المانيا الغربية . وهو يبذل كل ما بوسعه لتحقيق هذه الأمنية . وينجح في الهجرة بالفعل . ثم يعيش في المهجر ويشعر بحنين جارف للعودة إلى الوطن ويرى هذه العودة بمثابة حج .. ثم يعود من جديد إلى مسقط راسه .. ويكتشف أن الإنسان في حالة منفى دائم بين وطن يعيش فيه .. وآخر للهجرة اليه ..

الغريب أن هذه الحالة مرت بها الكاتبة نفسها بعد ان كتبت الرواية . فقد كتبت الرواية قبل سنوات من هجرتها إلى المانيا

الغربية وتعيش هناك منذ عام واحد لا اكثر .

ولدت هيرتا موللر فى عام ١٩٥٣ . وهى روائيه وشاعرة . من اهم كتبها «زهرة الداليا البيضاء» و «ماكينة خياطة» . و «قهر» .. وهى كلها روايات مكتوبة بلغة وطنها .. ولم يترجم اى منها إلى لغة اجنبية سوى «تطور الإنسان فوق الأرض» حيث ترجمت فى عام ١٩٨٨ إلى اللغة الألمانية .

ويعتبر النقاد ان اهمية ادب هيرتا موللر هو انها تمثل الأقلية الجرمانية الموجودة فى رومانيا تمثيلا جيدا .. ويقول جيرار موديال فى جريدة ليبراسيون ان الحنين والمنفى والجذور الضائعة كفيلة ان تصنع من الكاتب العادى موهبة لامعة . اما الكاتبة فتقول انها قد انتهت اخيرا من كتابة رواية حول إمراة تصل من بلد شمولى إلى احدى الدول الغربية وتحاول أن تتكشف هذا العالم الجديد الذى وفدت اليه . وهى تهتم برصد كافة مظاهر الحياة هناك وتكتشف ان فى كل وطن توجد اسباب مختلفة لتدمير معنويات الإنسان ولكن هذه الأسباب والوسائل تختلف من نظام سياسى لآخر .. وهى نفس الثحية الأدبيه التى ركزت عليها الكاتبة فى كل رواياتها السابقة ..

• لندن •

المرأة ... والرواية البوليسية

لعلها المرة الاولى التى تختار مجلة تايم الامريكية صورة إحدى كاتبات الرواية البوليسية فيليس جيمس على غلافها الأول كجزء من ظاهرة ادبية شهدها العالم هذه الأيام . بعد أن سيطر عدد من النساء المسنات على إبداع الرواية البوليسية . وارتفاع توزيع أرقام رواياتهن بشكل ملحوظ ..

لماذا برزت المراة بهذا الشكل الحاد فى كتابة الرواية البوليسية ؟

هذا هو السؤال .. فاذا كانت اجاثاكريستى قد تميزت ككاتبة طوال أربعين عاما فان سنوات ازدهارها قد شهدت ادباء آخرين لهم نفس التميز مثل جورج سيمنون (فرنسا) وريمون شاندلر (الولايات المتحدة) لكن لا احد يطاول الآن كلا من باتر شيا هاى سميث (امريكية) فيليس جيمس وروث راندل (بريطانيا) وكل منهن تجاوزت الستين من العمر .

لم يستطع احد أن يعطى التفسير المقبول لتميز النساء على الرجال فى مجال الرواية «البوليسية الحديثة . ولكن كل مايقال الآن أن هناك موهبة خاصة لدى فيليس جيمس فى حبك الحكايات الغامضة حول جرائم القتل التى تحدث عادة فى غرف مظلمة وبعيدا عن أعين الشهود . وعلى الكاتبة أن تجمع قرائنها بدقة شديدة لاينفذ من طياتها شعاع واحد من الشك والارتياب ..

وفيليس جيمس (٦٨ عاما) كاتبة جديدة فى عالم الابداع ، وجاءت شهرتها عام ١٩٨٠ حين باعت روايتها الاولى «القاتلة» مائة الف نسخة واطلقت عليها الصحافة انذاك لقب ملكة الجريمة . ويقال أن فيليس قد أعادت للرواية البوليسية رونقها القديم . فمن المعروف أن هذا النوع من الأدب قد امتزج بانواع اخرى كالمغامرات والجاسوسية وعنصر الحركة . اما هى فترى ان هناك مقومات خاصة للرواية البوليسية وعناصر محددة كالجثة التى مات صاحبها فى ظروف غامضة ، والعقد التى كلما انفكت واحدة انعقدت بقاياها اكثر واكثر .

وفى السنوات التسع



الماضية نشرت فيليس ثماني روايات بمعدل رواية كل عام من أشهرها «جريمة في بلوزة بيضاء» .

أما الكاتبة الثانية روث راندل فهي تكتب نوعا آخر من الرواية البوليسية ، كان تمزج الجرائم بالتجسس وبعناصر أخرى غامضة . وفي روايتها «فك الذئب» تتحدث عن عملية تجسس متبادلة بين عميلين من موسكو ولندن ..

وحسب رأينا فإن أياً من هؤلاء الكاتبات لن تطاول أبداً ملكتبته بلترشيا هاي سميث . ويكفي أنها الكاتبة الوحيدة في أدب النوع الذي يتناول النقاد مؤلفاتها بالتحليل والمتابعة الدائمة .

هوليوود

ابن الزبال ذو الوجهين

تثير سيرة حياة نجوم السينما دائما ، شهية القراء لمعرفة المزيد عنها .. وفي مكتبة السينما هناك دائما الجديد من الكتب المثيرة عن حياة هؤلاء النجوم . لكن أكثر هذه الكتب امتاعا هي التي يقوم النجوم بسردها وتسجيلها بأقلامهم دون الاستعانة بالمحترفين من كتاب المذكرات ..

وقد اختار كيرك دوجلاس لمذكراته عنوانا مثيرا هو «ابن الزبال» . وهي ترجمة غير دقيقة لكلمة تعني معنى قبيحا باللغة العربية . فأبوه هو جامع قصاصات الأقمشة من الزبالة ويعيد بيعها الى تجار الجملة ..

ولاشك أن دوجلاس قد تعمد اختيار ـ العنوان كي يؤكد أنه ـ خلف كل من سبارتاكوس وفان جوخ و الفايكنج ، عناوين الشخصيات التي جسدها دوجلاس ـ مهاجر طموح أخذ يكافح في مجالات متعددة حتى تميز كممثل ومخرج ومنتج ..

ويؤكد دوجلاس في مذكراته على ثلاثة محاور اساسية أولها أنه لاينسى قط أنه ابن مهاجر يهودي روسي إلى الولايات المتحدة . وأن هذا دفعه إلى مناصرة إسرائيل دوما .. فقدم العديد من الأفلام التي تؤيدها في حربها ضد العرب مثل «الحاوي» ١٩٥٣ و «ظل العملاق» ١٩٦٧ فضلا عن تصريحاته العدائية دائما ضد العرب !



أما المحور الثاني فهو الحكايات العديدة وراء أفلامه المشهورة مثل «سبارتاكوس» ، و«التنظيم» وطائر فوق عش المجانين الذي اشترى حق انتاجه عام ١٩٥٦ ، وعندما عاقته ظروف الإنتاج دفع به بعد ذلك بعشرين عاما لابنه الممثل والمنتج مايكل دوجلاس .

ويتركز المحور الثالث لمذكرات كيرك دوجلاس على النساء اللائي تعرف عليهن . من زوجاته الى

الممثلات اللاتى عمل معهن : مارلين مونرو ، وريتا هيوارث ، وجوان كراوفورد ، ومارلين ديتريش وبيير انجلى التى احبته الى درجة الجنون فى عام ١٩٥٣ .. وايضا برجيت بلوبو التى مثلت امامه فى مستهل حياتها

كيرك دوجلاس هو نموذج لنجم مشهور مزدوج الوجه .. فهو جذاب ومثقف ، ويجيد اختيار الشخصيات التى يمثلها ويكسبها رونقا كما انه ايضا متعصب لايخفى عنصريته ضد العرب ، سواء فى افلامه أو فى كتاباته .

• لوس انجلوس •

الكرة الذهبية والطريق إلى أوسكار

كما توقع الكثيرون جاءت نتائج الكرة الذهبية التى تعد اذا ما استثنينا اوسكار اكثر جوائز السينما داخل الولايات المتحدة قيمة من الناحيتين الادبية والدعائية .

وآية ذلك انها تعتبر مؤشرا هاما لمن ستحجب عنهم او تمنح لهم جوائز اوسكار من صانعى الافلام بعد اسابيع معدودة .

فلقد كان ثمة شبه اجماع على ان جائزة احسن فيلم وممثل درامى ستكون من نصيب « الرجل المطر » وبطله « داستن هوفمان » وان جائزة احسن فيلم وممثل مرح ستكون من نصيب « كبير » وبطله « توم هانكس »

اما جائزة احسن ممثلة مرحة فستكون من حظ « ميلانى جريفيث »

وفعلا تحقق لهذه الافلام ، ولهؤلاء النجوم ما توقع لهم فى شبه اجماع ، وفازوا بالكرة المشتهاة .

اما المفاجأة الكبرى التى لم ترد على بال احد ، فهى منح جائزة احسن ممثلة درامية لا لنجمة واحدة وانما لثلاثة نجوم بالمشاركة ، وهن « جودى فورست » و « سيجورنى ويفر » و « شيرلى ماكلين » عن ادوارهن فى افلام « المتهم » ، « غوريلات فى الضباب » و « مدام سوزاتسكا »

والجدير بالذكر أن « ماكلين » قد حصلت على جائزة التمثيل فى مهرجان فينيسيا (١٩٨٨) عن ادائها فى الفيلم الأخير .

اما الفيلم الاجنبى الذى توج بالجائزة فهو « نساء على شفا انهيار عصبى » للمخرج الاسبانى « بيدرو المودوفار »

وما كان يمكن لهذا المخرج الجرىء ان يحتل مكانته العالمية الحالية ، لو كان « فرانكو » ونظامه لايزالان على قيد الحياة .

• ليون •

السينما والثورة

اقام معهد لوميير اسبوعا حول الثورة الفرنسية والسينما العالمية فى مدينة ليون . وقد جرى اختيار الافلام من بين اعمال سينمائية انتجت بدءا من ١٩١٩ وحتى ١٩٨٢ .

وكان من بين الافلام المختارة « المارسييز » (١٩٣٧) رائعة جان رينوار ، التى قام باخراجها اثناء فترة حكم فرنسا بالجبهة الشعبية ، وهى فترة لم يكتب لها أن تطول .

ولعله الفيلم الوحيد فى تاريخ السينما الفرنسية بل قل العالمية الذى انتج بفضل اكتتابات شعبية تحت رعاية الاتحاد العام للعمال والحزب الشيوعى الفرنسى .

كما كان فيلم « لو قصت على حكاية خرساء » لصاحبه المخرج الفرنسى « ساشا جيترى »

من بين ما عرض في الاسبوع

وجدير بالذكر هنا ان « ارسون ويلز » من بين ممثلي هذا الفيلم ، وان المطربة الشهيرة « اديث بياف» قد ساهمت فيه باغنية من اغاني الثوار

وكان «مدام دى بارى» ١٩١٩ للمخرج ارنست لوبيتش من ابرز الافلام الاجنبية التي جرى عرضها في الإسبوع .

وفيه لعبت الدور الرئيسي «بولا نجرى» نجمة اغراء العشرينيات وشاركها في البطولة « اميل ياننجز » الممثل الالماني الذائع الصيت .

كما كان لمأساة «دانتون » حظ كبير في الاسبوع فقد عرض عنها فيلمان احدهما « دانتون » للمخرج الروسي « ديمترى بوكوفسكى »

والآخر « موت دانتون » الماخوذ عن مسرحية للاديب الالماني « بوخنر » بنفس الاسم .

ومحورها الصراع بين « دانتون » « وروبسبيير » من اجل العقول والقلوب .

وهو صراع انتهى بالاثنين الى المقصلة .

فيينا

هندكة : السيرة الذاتية للنص



«سوف يسيطر هذا النمساوى الصغير على اوربا»

عبارة قالها ذات يوم أحد النقاد معلقا على رواية جديدة صدرت آنذاك للكاتب المعروف بيتر هندكه (٢٥ عاما) وقد قيلت هذه العبارة عندما كان هندكة في الخامسة والثلاثين من العمر ..

ولم يبالغ الناقد في كلمه وحدة قالها عن الكاتب الذى لفت اليه الانظار في عام ١٩٦٦ عندما قدم مسرحيته «دعوة إلى الجمهور» ثم توج نجاح هذه المسرحية عندما القى خطبة شديدة اللهجة ضد «جماعة ٤٧» وهي جماعة ادبية لعبت دورا كبيرا في احياء الادب الالماني عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ومن ابرز كتابها هاينريش بل وارنست يونجر ..

ومع مطلع عام ١٩٨٩ ، اختار الكاتب ان يعود ثانية الى النمسا ، بعد اقامة اختيارية في فرنسا لعدة سنوات ، وحمل معه الى المطابع نصا ادبيا جديدا يحمل عنوان « غروب كاتب » ..

ومن عنوان الكتاب تصور البعض ان هندكة يتحدث عن افوله بعد رحيله الى فرنسا لكنه راح يتناول بالنقد والتحليل التقارب الغريب بين قصائد الشاعر السريالي رينيه شار - مات في فبراير ١٩٨٨ - وبين الرسام التعبيرى بول سيزان .

وفي كتابه راح هندكه يؤكد ان الكاتب يجب ان يتوغل دوما في اعماق النص الذى امامه من خلال مفهومه للعالم من حوله .. في شكله الظاهرى واغواره العميقة في محليته ، وعالميته .. فيما هو نسبى وايضا فيما هو مطلق ..

ويرى هندكه أن كتابة النص الأدبي هي حالة من استمرار الحياة ، ولذا فانه يهتم بما اسماه بالسيرة الذاتية للنص مثل اهتمام كتاب آخرين بالسيرة الذاتية لمؤلف النص ..

السينما.. ياله من عالم ساحر

بنظرا لأن السينما فن ممتع . فان للكتب المنشورة عن السينما جاذبية خاصة .. ولذا فهي مرتفعة الاسعار من ناحية .. وفاخرة الطباعة عادة من ناحية اخرى .. وهي كثيرة لدرجه يصعب حصرها كتب عن النجوم المشهورين واخرى عن تاريخ السينما او عن ظاهرة ما من الافلام فضلا عن الموسوعات الضخمة التي لا تتوقف المطابع عن طبعها في كل عام مع اضافات جديدة بالاضافة الى ظاهرة اخرى جديدة هي ان هناك مؤلفين تخصصوا في تحويل افلام السينما المشهورة الى روايات .. اجل .. وليس العكس .. وكتب اخرى عن فنون اخرى تتعلق بالسينما كالموسيقى والمونتاج والاخراج والتصوير وهلم جرا ..

وفي الشهر الماضي زخمت المكتبة السينمائية العالمية بالعديد من الكتب الجديدة . كتب عن نجوم ظلوا ، ولايزالون ، حديثا للناس ، مثل جان مورو التي قال عنها تريفو انها مثيرة كامرأة وحساسة كممثلة .. والتي عملت في السينما الفرنسية والبريطانيه والايطالية والامريكية طوال اربعين عاما بلا توقف ، اما الممثل المعروف جيرا ديبارديو فقد نشر عن حياته كتابا يحمل عنوان «رسائل مسروقة» في اسلوب روائي بالغ الجاذبية ..

ومن الموسوعات السينمائية الجديدة قدم جيل هورفلور قاموس الاشخاص في السينما اما اهم الكتب النوعية فهو يحمل عنوان « سينما الكونج فو » حول هذا النوع الغريب من الافلام التي زحفت من الشرق الاقصى نحو العالم ابتداء من الستينيات .. وكان بمثابة زحف شرقي واضح على العالم . لكن الامريكيين ما لبثوا ان استوردوه وصبغوه بالامركة .. ثم اعادوا تصديره الى العالم بشكل جديد .

وعن فن الافيشات قدم الان بواريه كتابه « ٢٠٠ فيلم في الشمس » . فمن المعروف ان افيشات الافلام

حقا .. ما امتع فن السينما .. وما أوسع عالمها واكثره جاذبية .. ليس فقط على الشاشة .. بل فيما تحدثه حولها من متعة .. وما تثيره من غموض واسرار .



جارينا غلاوى ممثله ومؤلفة

تعلق عادة تحت اشعة الشمس مباشرة .. وان هذه الاشعة تكسبها رونقا خاصا ثم لا تلبث ان تفقدها هذا الرونق فتصبح باهتة الالوان .

وعن حياة النجوم قدم المخرج جيمس كاميرون كتابا عن الممثل روبرت دى نيرو الذى اسماه بامبراطور الممثلين المعاصرين . فهو جديد مع كل دور .. ومجنون يتقمص الشخصيات وصادق في التعبير يهمنا ان نذكر ان كاميرون هو الذى كتب السيناريو لسلسلة افلام رامبو .

وفوق هذا ثمة كتب اخرى عديدة مثل «الديكور السينمائي» لالكسندر تراوز ، و «السنوات المدهشة» عن عصر ازدهار الافلام الاستعراضية في الاربعينيات والخمسينيات

من أجل

حماية آثار مصر

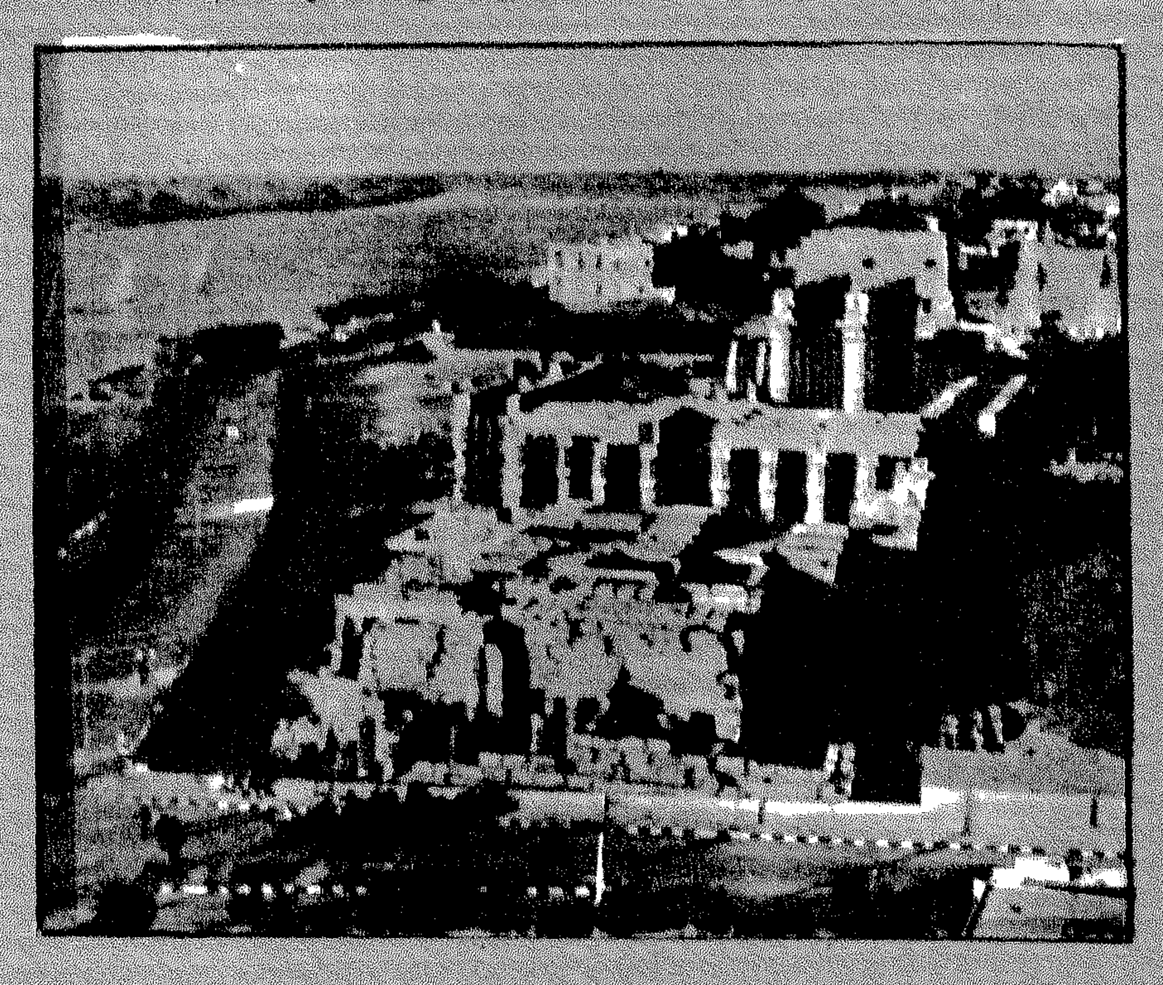
بقلم : د. رشدى سعيد

- التعدى على الاثار جريمة قوميّة..!
- مطلوب "حرم" لكل أثر ومقاومة التلوث

يتعرض مابقي من آثار مصر الباهرة للانظار والالباب إلى واقع جديد وعوامل إتلاف نتيجة تغيير موازين البيئة وزحف العمران وتزايد زائرى الاثار واتساع التجارة غير الشرعية فيها ، وهذه المؤثرات وغيرها ان لم نستطع ان نعالجها بالحسم والجدية فاننا معرضون لكى نفقد اثارنا فى غضون الخمسين الى المائة عام القادمة .

وعلى الرغم مما تعرضت له اثارنا فيما قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادى من تحطيم ونهب واهمال قام به الغزاة او المغامرون فان مابقى لنا من اثار يتعرض اليوم الى نوعية جديدة من الاتلاف ذى الاثر الأكيد والبطىء .

لقطة للكورنيش قبل ان يصبح مرتعا خصبا للوريات والسيارات الضخمة والتى تؤثر اهتزازاتها على اغلى اثار فى العالم !



● ويبدو ان المسئولين فى حاجة الى تبصيرهم بهذا الخطر الداهم ، اذ انهم لم يقوموا بيادرة عملية ، أو جادة تنم عن قلقهم على اثار مصر ، او لايقاف هذا الاتلاف او على اقل الايمان كبح معدلاته . ولايستطيع المرء الا ان يستنتج ذلك بعد اول زيارة لمدينة الاقصر حيث يمكن وقف تدهور الكثير من الاثار ، بقرارات ادارية بسيطة لاتحتاج الى الرجوع الى لجان ، أو الدخول فى متاهات التوصيات المتضاربة ، أو مجابهة جماعات ضغط المصالح الخاصة ـ والا فكيف يمكن تفسير اطلاق مرور كافة السيارات بما فيها اللوريات ذات المقاطير الضخمة والاوتوبيسات المهولة فى الكورنيش الذى يحف معبد الاقصر (وهو الذى اقتطع اصلا من المعبد) ان هذا الجزء من طريق الكورنيش فيما بين المعبد وفندق ونتر بالاس يعج بحركة السيارات والسواح ، وترك الامر على هذا الحال يعرض المعبد

حماية آثار مصر

للاتلاف ويجعل حركة عبور وسير الاف الزوار عرضة للخطر الشديد ـ وليس اسهل على محافظ الاقليم من ان يمنع المرور فى هذا الجزء ويقصره للتجول الحر للمشاة . ان ماتنفثه السيارات من سموم وماتثيره حركتها من هز لقوائم المعبد يبدو واضحا لكل زائر حصيف !

● زحف العمران

واول عوامل الاتلاف الجديدة تأتى من اتساع العمران وزحف المساكن العشوائية دون ضابط نحو الاثار حتى تكاد ان تتداخل فى عقر مواقعها ، ومعظم هذا الزحف يحدث بوضع اليد ودون سند قانونى . ومن هنا يجيىء دون تخطيط فيشوه المكان من الناحية الجمالية ويعرض الاثار للتلف نتيجة فساد الصرف الصحى لهذا الاسكان الجديد وطريقة التخلص من قمامته او ضوضائه .

ولما كانت مصر عامرة بالاثار فهناك حاجة ماسة الى وضع سياسة قومية تحدد اولا المواقع الاثرية الهامة التى ينبغى اعتبارها محميات قومية ذات حرم مناسب ، ويكون التعدى عليها جريمة قومية تصل الى درجة الخيانة الوطنية ، وتحدد ثانيا المواقع ذات احتمالات تواجد الاثار ولما كانت مثل هذه المناطق كثيرة العدد وكبيرة المساحة والكثير منها يقع داخل زمام مدن نائية ، فان الامر يحتاج الى ايجاد جهاز خاص للقيام فى اسرع وقت بالمسوح الاثرية لهذه المواقع لتقرير الاحتفاظ بها كمحميات قومية ان كانت تستحق ذلك او نقل مابها من اثار وتركها لكى تضم الى زمام المدن .

ولايتم رسم السياسة القومية لحفظ الاثار دون سن قانون يحتم على القائمين على كافة مشروعات التعمير والتوسع الزراعى بضرورة مسح مناطق مشروعاتهم اثريا قبل البدء فى تنفيذ هذه المشروعات للتاكد من خلوها من الاثار .. وليس هذا القانون بجديد او غريب فهو موجود ، ومطبق حاليا فى الكثير من بلاد العالم المتقدم بما فى ذلك الولايات المتحدة الامريكية التى لايقارن تراثها الاثرى باية حال مع تراثنا الاثرى .

صدور مثل هذا القانون سينشط اعمال البحث عن الاثار ويرفع مستوى مهنة الاثريين ويفتح امامها مجالات جديدة للعمل وستنشأ نتيجة له مؤسسات خاصة وعامة للقيام بعمليات المسح والانقاذ كما سيدفع الى رفع مستوى الاثـريين وتدريبهم على الطرق العلمية لمجابهة تحدى عمليات التوسع العمرانى فى مصر .

ولى فى هذا المجال تجربة شخصية قد يكون من المفيد ان اذكرها ففى اوائل السبعينيات واثر قرار مد خط انابيب السوميد لنقل البترول من خليج السويس الى غرب الاسكندرية رأيت مع بعض زملائى الاثريين التقدم الى الشركة المنفـذة للمشروع (شـركـة بيكتـل

الامريكية) للقيام بعمل مسح اثرى لخط الانابيب ، خاصة وانه كان سيشق طريقه تحت منطقة دهشور الغنية بالاثار وقد وافقت الشركة المنفذة بل ورحبت بالعرض واغلب الظن ان هذا الترحيب كان نتيجة خبرتها بالولايات المتحدة حيث يستحيل تنفيذ مشروع مماثل دون مسح المنطقة اثريا وانقاذ اثارها ان احتاج الامر الى ذلك ، على ان الجانب المصرى رفض العرض ولم ير فيه اية فائدة على الرغم من ان تكاليف المسح الاثرى لم تكن لتمثل شيئا يذكر من جملة تكاليف المشروع ، ولقد اسفت لقرار الجانب المصرى ولكن هذا يدخل مرة اخرى فى باب ضرورة تبصير المسئولين بالخطر المحدق بالاثار .

اما عن محميات الاثار فقد انتهك حرم الكثير منها مثل وادى الملوك والملكات بالاقصر ومناطق ابيدوس بالبلينا ومعبد ادفو وسقارة والجيزة وغيرها الكثير وازالة هذه الانتهاكات والتعديات وايجاد حرم مناسب لاثار هذه المناطق سيحتاج بعد طول هذا الاهمال الى اعادة تسكين سكان هذه المناطق بعد عمل مسح اجتماعى على حالتهم لمعرفة انسب طريق لتوطينهم فى مناطق جديدة دون الاخلال بارزاقهم - واذا كانت مصر بعد بناء السد العالى قد استطاعت ان تنقل وتعيد توطين شعب النوبة بأكمله فإنها بالعزم وحسن الادارة القادرة لاعادة توطين هؤلاء الابناء الذين يتكدسون فى حرم المناطق الاثرية فى مساكن بائسة وعشوائية .. ونحن بذلك لانخدم هؤلاء الابناء فقط وننقلهم الى المستوى اللائق وكلنا سنحمى اثارنا ونعيد اليها المهابة والكرامة فضلا عن اننا سنمنع عنها اثر مياه الصرف الصحى على جدران وارضية الاثار .

ولست اعتقد ان اعادة توطين سكان المناطق الاثرية ونقلهم الى مقار جديدة سيحتاج الى أموال صعبة المنال فدخل زيارة الآثار وحده كاف فى غضون سنوات قليلة للقيام بهذا العمل دون اى صعوبة . فالقضية الحقيقية هى فى ان يبصر المسئولين بالخطر المحيق بالاثار نتيجة تزايد سكان هذه المناطق وازدحامهم .

● ازدياد أعداد السائحين والزوار

وثانى عوامل الاتلاف التي جدت على اثارنا هو هذا التزايد الهائل فى اعداد السائحين وزوار الاثار ، واتساع مجال سياحة المجموعات التى تكاد أن تصبح الطريق الوحيد لزيارة مصر والتى تساق لزيارة المعابد والمقابر فتدخلها مجموعة وراء مجموعة مما يعرض الكثير من الآثار وخاصة القليلة التهوية الى خطورة تآكلها سواء من اللمس او دبيب الارجل او من تفاعلها مع مايخرج مع النفس من ابخرة وغازات . والاستمرار فى السماح لزيارة آثار مصر ومقابر ملوكها بهذه الطريقة الفجة ينم مرة اخرى عن حاجتنا الملحة الى تبصير المسئولين بمغبة هذا الفعل - واغلب الظن انهم يتبعون سياسة قديمة رسمت عندما لم يكن يزور الاثار الا قلة صغيرة . اما اليوم وقد ازدادت وفود السواح والزوار فان الامر يحتاج الى سياسة جديدة لحماية الاثار قليلة

حماية آثار مصر

التهوية ، والتى لاتتحمل هذه الجموع الحاشدة وفتحها فقط للمختصين والمشغلين بعلوم الآثار ، ومن الناحية العملية فان هذه السياسة يمكن تنفيذها على خطوات بحيث يبدأ برفع ثمن تذكرة دخول المقابر الى مبلغ كبير ، وليكن مائة دولار مثلا تزاد عاما بعد اخر حتى تمنع الزيارة نهائيا فى غضون الاربع او الخمس سنوات القادمة . وظنى ان هذا العمل لن يؤثر على السياحة بشكل ملحوظ فلدى السائح اماكن اثرية جليلة فى الهواء الطلق كما ان لديه ان كان جلدا ، امكان زيارة الاماكن قليلة التهوية بعد ان يدفع ثمن صيانتها .

● الهواء الملوث وارتفاع منسوب المياه الجوفية

وثالث عوامل الاتلاف يأتى من تأثير الهواء الملوث عليها ، وهذه قضية تؤثر على كافة مبانى مصر ونوعية حياة وصحة ابنائها وهى قضية حيوية ينبغى اعطاؤها الاهتمام الكافى من المسئولين عن شئون البيئة . على ان مهمة حفظ الاثار تستتبع ابعاد السيارات وعوادمها من الاثار وعلى قدر الامكان وذلك بتخصيص شوارع كاملة بمدن الاثار للراجلة فقط .

وتأتى بعد ذلك التأثيرات الاخرى كارتفاع منسوب المياه الجوفية وتراكم الاملاح بفعل الخاصة الشعرية على جدران المعابد والاثار وتآكل الحوائط والالوان وهذه مسائل متخصصة ينبغى ان تؤخذ بالجدية ، وتوضع فى ايدى العلماء والمتخصصين دون ضجيج الدعاية او ضغط جماعات المصالح الخاصة ورجال المقاولات ـ هذا وقد تكون ابسط الحلول هى انجحها فاحاطة الاثار المهددة بمصارف عميقة قد يكون مناسبا لتقليل مشاكل نشع المياه وهذا هو نفس الحل الذى يقوم به بسطاء الفلاحين عندما يجابهون مشكلة مماثلة .

★ ★ ★

عدم تنفيذ اى من الاقتراحات السابقة التى لاتحتاج إلا إلى قرارات إدارية بسيطة لاينم فقط عن عدم إدراك المسئولين عن مدى التردى الذى وصلت إليه آثار مصر ، إنما ينم ايضا عن النظرة السائدة بين معظمنا عن آثار مصر ، والتى تنعكس فى طريقة معاملتها ، فالمصريون لايرون فى الآثار تراثاً صنعه الأجداد يفخرون به بل يرونها كميان قديمة لاعلاقة لهم بها فائدتها استجلاب العملات وجذب السائحين وتنشيط الاقتصاد ، وليس هذا مستغرباً فنحن لانعلم ابناءنا شيئاً يذكر عن تاريخ بلادهم المجيد إذ يكاد يخلو برنامج التعليم العام من ذكر تاريخ مصر القديم .

ولايكمل الحديث عن حفظ اثار مصر دون التعرض الى ضرورة انشاء شرطة خاصة لحماية الاثار التى اصبحت تجارتها غير المشروعة تدر الملايين وعصاباتها ذات سطوة ونفوذ ، ولكن الاهم من ذلك هو ان يكون للهيئة المهيمنة على الاثار تنظيم ادارى جيد يتتبع الاثار ويمنع تسربها ، ويحمى المسئولين عن حفظ الاثار من مغريات هذه التجارة غير المشروعة فيمنع تشغيلهم فى مساقط راسهم وينظم طريقة نقلهم من مكان الى اخر .

وقد رأيت فى المانيا بعينى راسى كتالوجات فاخرة تصور تحفاً مصرية بها ادق التفاصيل عنها توزع على جامعى التحف الأثرياء حتى يختاروا منها مايشاءون والتحف موجودة بمصر تصور فقط عندما تجد شارياً لها .

وفى مجال حفظ الاثار تأتى عملية المتاحف المصرية ومخازنها فليس من المفهوم ان لاتوجد فى متاحف مصر اجهزة امان الكترونية فى وقت انتشرت فيه هذه الاجهزة فى ابسط المنازل .

وعلى الرغم من انى من غير المتحمسين لفكرة عرض اثار مصر خارج حدودها الا انى على استعداد لقبول الفكرة لو اننا استطعنا الاستفادة منها فى اعادة تنظيم متاحفنا بحيث تعود كل مجموعة بعد عرضها فى الخارج لكى توضع فى متحف مستقل بارض جديدة تخصص للتحف المصرية والتى تملأ المخازن فى كل مكان ، اما المتحف المصرى ذلك البناء الجميل والشامخ فينبغى تطويره لكى يكون عارضا لأعظم اثارنا دون ازدحام .

ومنذ اكثر من اثنتى عشرة سنة اثير فى مجلس الشعب المصرى عندما كنت عضوا فيه موضوع عرض اثار مصر خارج حدودها وطريقة رصد الاموال المحصلة منها التى لم تكن حتى ذلك الوقت تعرض على مراقبى الحسابات . وفى تصورى ان الامور لابد وان تكون قد استقامت وان مصر قد استطاعت ان تستفيد ماليا من هذه العروض ولو بجزء من المكاسب المادية لها لكى تقوم فورا بانشاء مدينة المتاحف هذه .



والحديث عن الاثار وحفظها لابد وان يتطرق الى موضوع السياحة التى ارى انها فى حاجة الى اعادة تنظيم بعيدا عن الشعارات المرفوعة حتى تاتى بالنفع المرجو منها لمصر ، وحتى يتم توزيع عائدها على اكبر عدد من المصريين - فالبادى للعين المدققة ان السياحة بوضعها الحاضر تضيف على مصر الرسمية اعباء كثيرة ولاتدخل من العملة الصعبة مقدارا موازيا لما ينفق عليها ، كما ان سياحة المجموعات لاتدر ربحا الا لمنظميها الذين يعيشون خارج مصر كما ان ناتجها لايتوزع على جموع الناس . ولى مع القارىء حديث اخر عن هذا الموضوع الذى يعلق عليه الكثيرون وهم تحسين ميزان المدفوعات المصرى .

الحب شعرا .. والحب نثرا

بقلم : كمال النجمي

إذا وجدت أيها الصديق القارىء تفاوتا فى هذا الكلام ، فالسبب اننى لا أكتبه بل امليه ، ولست معتادا الاملاء ، فقد عشت سنين لا تحصى ، أكتب بيدى ! ..

وضعت القطن الطبى فوق عينى الاثنتين ، وفوق القطن الضماد ، ورقدت لا أرى شيئا ، فقد مرضت عيناى فجأة .. وفحص الطبيب عما فيهما فحصا دقيقا فلم يجد شيئا ، أو لعله لم يعرف شيئا فيما وجد ، فالمرض غامض ، ولا ادرى عاقبته ، ولا الطبيب يدرى ! .. وقد أصاب هذا المرض شقيقى الأكبر - رحمه الله - وعاش به صابرا محتسبا عشرين سنة حتى توفاه الله منذ عامين ، ولا أدرى كم أعيش به ، وهل أستطيع أن اقرأ واكتب كما كنت فى سالف الأيام ، بل كما كنت منذ بضعة أيام ! ..

آخر مقالة قرأتها قبل أن أستسلم للقطن الطبى والضماد كانت عن « الحب » .. من مقالات صديقنا الأديب الكبير الدكتور شكرى عياد فى الهلال .

أذكرتنى مقالته اديبا عربيا كبيرا آخر تلوح لى صورته كلما وردت على سمعى « سيرة الحب » ، وهو الاستاذ مصطفى صادق الرافعى رحمه الله ..

كان الرافعى محترف حب - إن صح التعبير - لا يرى امرأة حسناء أو شبه حسناء ، إلا وقع فى حبها من فوره ، قبل أن يعزز النظرة الأولى بنظرة ثانية ..

وكان - وهو الشديد التدين - لا يبالى أن يتعشق راقصة أو ممثلة أو ملكة جمال ، فقد كان الحب عنده ارتفاعا بالفكر والعاطفة والخيال ، وليس له من هذا الحب إلا ما تمسكه احلام نومه أو احلام يقظته ! .. وكانت كتابته فى الحب لونا من أوهام الذكاء والعاطفة ، فإذا افاق من اوهامه ، صاح متعجبا يسأل نفسه : أفى الممكن هذا ؟ ! .. أفى المترادف شرعا ان ترقص هذه الجميلة وتصلى ؟ ! .. فقد كان - رحمه الله - يظن أن كل حسناء يحبها لابد أن تكون صوامة قوامة وإن كانت تمضى



مى زيادة



صادق الرافعى





عبد القادر المازنى

الليل كله فى صالات الرقص ! ..

وفى كل مرة يتيّمه الحب حتى يصيبه بالخبال ، فيتصور الغانية التى يهواها مخلوقا سماويا ، ثم يرى بعينيه رجلا غليظ الشاربين ، يمسكها من ذراعها البضة فتنقاد اليه انقياد المرأة المحترفة اللعوب الى من يتحظاها وينفق عليها من جيبه ! ..

والرافعى هو الذى مهد الكلام فى الحب لكل من تكلم فى عصره عن الحب ، ولكن أحدا لم يتكلم مثله ، وحتى الأدباء الذين رفعوا راية التجديد وكتبوا القصة والمسرحية فى ذلك العصر لم يحسنوا الكلام فى الحب بأساليبهم الجديدة كما تكلم الرافعى فى مقالاته القصصية ورسائله الغرامية وتهويماته الشعرية النثرية التى ليس لها مثيل فى الأدب العربى ، قديمه وحديثه ..

وكان طه حسين والعقاد والمازنى وجميع ادباء الجيل الماضى متهمين عند الرافعى بانهم لا يحسنون شيئا فى فلسفة الحب والجمال ، ولا طاقة لهم على التوسع فى الكلام إذا قيل لهم : تكلموا أيها الأدباء الكبار عن المراة ، وما حول المرأة من عالم يصنعه الخيال ، وعالم يصنعه الواقع ، وما بين هذين من خفقان الشاعر صاحب القلب المسكين ! ..

وللرافعى كتب فى الحب ، اشهرها « أوراق الورد » و « السحاب الأحمر » .. وهما لون من الشعر مكتوب بالنثر ولكنه يحمل من حقيقة الشعر اكثر مما تحمله دواوين كثيرة من الغزل الموزون المقفى ! ..

وكان الرافعى فى شبابه يحاول أن يقول الغزل الفسلفى منظوما فاعجزه ذلك ، فترك النظم إلى النثر ، واعلن ان الشعر العربى بأوزانه وقوافيه لا يتسع لبسط المعانى التى يريد التعبير عنها ..

وكانت تعجبه حرية الشعراء الأوربيين فى كتابة الشعر ، ويتمنى لو استطاع أن ينسج على منوالهم ، ولا يبالى ـ وهو شيخ الأدب العربى والمدافع عنه تحت

الحب شعراً والحب نثراً

راية القرآن ـ ان يقول بملء فيه : إن الشعر العربى بأوزانه وقوافيه يحجز الشاعر عن بسط شعوره ، فإذا بسطها وشرحها وافاض فيها سقطت طبقة هذا الشعر وصار نظما كنظم المتون ! ..

وهكذا وضع الرافعى معانيه الشعرية فى مقالات وكتب نثرية ، كانت هى الشعر الحقيقى له ، بلا قواف ولا اوزان .. اما شعره الموزون المقفى فقد خف ميزانه ، فانصرف عنه ، واوشك ان يتبرأ منه ، لولا كبرياؤه ! ..

لم يكن الرافعى على حق فى موقفه من الشعر العربى ، وزعمه انه لا يتسع لبسط المعانى ..

بلى ، إن الشعر العربى بأوزانه وقوافيه ليتسع لبسطه كل معنى يخطر على القلب ، إذا كان صاحبه شاعرا يمتلك اداة التعبير التى يمتلكها الشاعر المطبوع على قول الشعر..

ولكن الشاعر حين يتحول إلى « فيلسوف » مثل الرافعى ، يجد أن بسط فلسفته فى القوافى والأوزان امر بالغ المشقة ، فيصرخ محتجا ، زاعما أن القوافى والأوزان تمنعه ان يبسط فلسفته تمام البسط وان يعبر عنها بحذافيرها ، ويرسمها شذرة هنا وشذرة هناك ، بلا قيد ولا شرط !

وجميع الذين حاولوا ذلك فى الجيل الماضى ، ذاقوا مرارة الفشل ، وعلى رأسهم الرافعى والمازنى والعقاد وعبدالرحمن شكرى ! ..

هؤلاء البلغاء لم يكونوا شعراء مطبوعين ، بل كانوا من كبار الناثرين المتقحمين على الشعر ، فغلبهم الشعر بسلطانه القاهر ، وأعادهم الى عالمهم النثرى الفسيح ، يسرحون فيه ويمرحون كيف شاءوا ، وكان النثر بالغ السخاء عليهم ، فتوجهم ملوكا فى دولته ، واجلسهم على عروشها !

ولم يكن الرافعى يفرق بين الافكار الفلسفية التى تحتاج بطبيعة تركيبها الفكرى واللغوى الى تعبير نثرى ، وبين الالهام الشعرى البحت الذى يتسع الشعر لبسط معانيه إلى آخر المدى إذا كان قائله شاعرا مطبوعا حقا على الشعر ، لا ناثرا مطبوعا على النثر ، يعبر عن شعوره نثرا ، ويظنه شعرا ، أو يريده أن يكون شعرا ..

وإنما تضيق ضرورات الشعر عن المعانى التى تحاول ان تركب جناحه الرقيق وهى ليست شعرا خالصا ، ولا هى فى حاجة إلى ركوب جناح الشعر الرقيق مادامت قادرة على ركوب حصان النثر القوى المتين ! ..

وإذا كانت ملكة الابداع الشعرى عند شاعر كالرافعى مصحوبة بملكة فلسفية عنيدة لا يستطيع الفكاك منها ، خيل إلى هذا الشاعر أن الشعر بأوزانه القديمة


عباس محمود العقاد

والجديدة لا يتسع له ، وأن . « من نكبة الشعر العربى انه لا يتسع لبسط المعانى » . على حد قول الرافعي ! ..

ان الشعر باوزانه ليتسع لبسط المعانى ، بشرط ان تكون من معانى الشعر لا من معانى الفلسفة غير المتصلة بالشعر اتصالا ضروريا أحيانا ، وقد هجر الرافعى الشعر المنظوم لأنه لم يستطع تحويله إلى فلسفة . وما من شعر بحت يمكن تحويله الى فلسفة كاملة أو إلى نصف فلسفة ، وإن كانت الفلسفة قادرة على خدمة الشاعر خدمة كبيرة إذا اجتمع في يديه عنان الشعر الخالص ، ولم يكن أصل موهبته النثر لا الشعر ! ..

والرافعي كان شاعرا في نثره ، اما شعره المنظوم فقد غرق فى التعمل والحيلة لادخال هذا المعنى أو ذاك فى قفص الأوزان ، حتى بلغ شعره المنظوم درجة التكلف .. وبخاصة شعر الحب ، وعلى الأخص شعر فلسفة الحب ! .. وقس على الرافعي المازنى ، وقس على المازنى العقاد ، واضرب بقياسك هذا كل من نسج على منوالهم في عصرهم وقبل عصرهم وبعده ..

ولم تغب عن فطنة الرافعي درجة التكلف التى وصل اليها شعره ، فانشأ يكتب عن الحب نثرا ، ومن ذلك ما كتبه فى رسائل « أوراق الورد » .. ولم يودع هذه الرسائل صندوق البريد ، وإنما أودعها كتابه هذا وحده ، ليقراه الناس وتقراه محبوبته مع الناس .. وان قيل فيما قيل إنه أرسل بعض هذه الرسائل إلى محبوبته فعلا .. وتلقى منها الرد تهديدا بالشكوى إلى النيابة العامة ! ..

والمدهش أن يقع هذا التهديد بالشكوى إلى النيابة من اديبة تعرف شطحات زملائها الادباء ، وهى « الآنسة مى » اديبة العشرينات والثلاثينيات المتالقة ادبا وجمالا ...

ولكن يبدو انها كانت معذورة ، فإن بعض رسائل أوراق الورد لا تقل تكلفا فى الحب ـ مع انها كلام منثور ـ عن شعر الرافعي الموزون المقفى ! .. لقد هرب الرافعي من التكلف المنظوم فوقع في التكلف المنثور ، ومن حق « مى » أن تشكو عاشقها المتكلف الى النيابة ! ..

ثم إن الآنسة « مى » كادت تغرق فى رسائل الحب ، فقد انهمرت عليها الرسائل من جميع الأدباء فى عصرها : خليل مطران . جبران خليل جبران .. ولى الدين يكن .. اسماعيل صبرى .. مصطفى صادق الرافعى ، فضلا عن الرسائل الأخرى الشبيهة بالرسائل الغرامية ، ومن بينها رسائل العقاد التى كان ظاهرها يشبه الصداقة ، وباطنها لا يشبه الحب الصادق !

وفي كتاب « أوراق الورد » رسالة غرامية عنوانها « اما قبل » .. وهذا التعبير جاء به الرافعي معارضا قول الناس في رسائلهم : « اما بعد ... » ولم يستعمل احد هذا التعبير إلا الرافعي في عصره ، وربما استعملوه من بعده .. ولعلي رأيت بعضهم يكتبه هنا أو هناك أو يرفعه لافتة فوق مقالاته ، ولا بأس في ذلك ، فما اظرفها لافتة ! ..

ولما بعث الرافعي برسالة « اما قبل » الى الآنسة « مي » ردت عليه ، أي كتبت اليه بخط يدها ولم تزد أن كتبت على غلاف أحد كتبها وقد أهدته اليه « أما بعد فاليك ياصديقي ، جواب « اما قبل والسلام .. » .. وياله من إهداء ارادت به مي أن تزيد الرافعي خبالا ! ..

وطفق الرافعي يقرأ كتاب « مي » من أوله إلى آخره عدة مرات حتى يفهم ماذا فيه من الجواب الذى تشير اليه ، حتى وجد في نهاية الكتاب كلمات تقول فيها « سابين لك افتقارى إلى العطف والحنان ثم أبكي أمامك وأنت لا تدرى .. » ! .. وامسك الرافعي بهذه الجملة كما يمسك الغريق بقشة ! ..

كان الرافعي طفوليا في حبه على حدة ذكائه ، فكيف خفي عليه أن ما تقوله له « مي » عن افتقارها الى العطف والحنان .. الخ هو كلام مطبوع في كتاب صدر قبل أن يكتب هو ورقة الورد التى سماها « اما قبل » ؟! وهل ثبت لدى الرافعي الفطن الاديب أن « مي » لم تهد هذا الكتاب الا اليه وحده وأن افتقارها الى العطف والحنان وهو افتقار مطبوع بحروف المطبعة يمكن أن يكون افتقارا اليه وحده من دون سائر أهل الأدب والفكر وأهل العطف والحنان الذين كانوا يهرعون الى ندوتها في القاهرة كل ثلاثاء بينما كان الرافعي قابعا في طنطا يدبج « أما قبل » ؟! .. وكأنه لم يسمع قول الشاعر إسماعيل صبرى باشا :

إن لم أمتع بمي ناظرى غدا أنكرت صبحك يايوم الثلاثاء

رحم الله الرافعي « ومي » وأدباء ذلك العصر الذين عاشوا في أحلام الرومانتيكية وحلاوتها وعرفوا الزمان في شبيبته فظفروا منه بالسرور والحبور ، على ما كان يثور بينهم من معارك تشيب لها الولدان !

أما « أوراق الورد » فإنها تفصح عن شعور بعيد المدى وعاطفة عميقة الغور وشاعرية مرهفة كحد السيف ، لولا انها واقعة تحت ضوابط عقلية ولغوية ، غارقة في تهاويل وطلاسم تظن معها أنها من عمل الجن لا من عمل الانسان .. وما كان اروعها لو أنها تحررت من هذه التهاويل والطلاسم والضوابط العقلية واللغوية .. وما اشعرها لو أنها كانت شعرا لا نثرا ..

لا اقصد بالتحرر من الضوابط اللغوية أن يخرج تعبير الرافعي من نسجه الذى انفرد به وامتاز به على غيره .. وانما اقصد الا يكون التعبير محتجزا وراء سد عال من البراعة اللفظية البحتة ، وهي غير الفصاحة وغير الاناقة الفكرية فهاتان لا غبار عليهما ، بل لاغنى عنهما لمن اراد أن يكتب كلاما فوق كلام عامة الناس .

والحديث عن الحب شعرا ، والحب نثرا لم يكتمل بعد ، فليتنا نلتقي على تكملته في مناسبة اخرى .. إذا أسلست لنا طريقة « الاملاء » قيادها .. إن شاء الله .. ■



● « انا لاامقت الحكومة . »

چـورج بـوش

رئيس الولايات المتحدة



جورج بوش

● « مصر أوسع ملعب سياسى فى المنطقة»

محمد حسنين هيكل



محمد حسنين هيكل

● « عندما أردت أن أصبح مخرجا ، اصبحت مخرجا ، فالسينما تستطيع أن تتعلمها بنفسك »

ديدرو المودوفار

المخرج الأسبانى

● « أزمة الشرق الأوسط اجهدت كل الأطراف »

فيرنون والترز

رئيس وفد الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة سابقا

● « لن أقلد نجيب محفوظ ، فلى طريقتى ورؤيتى واسلوبى »

عبدالحكيم قاسم

الأديب المصرى

● « من لـه صديق مثـل الشعب المصرى ، فلا خطر على مستقبله »

إميل حبيبى

الاديب الفلسطينى

اميل حبيبى



● « ما اسهل أن يكون المرء شجاعا بأثر رجعى »

ينينجر

رئيس البوند ستاج "برلمان المانيا الغربية" سابقا

بقلم: د. شكري محمد عياد

طوبوية أم رجعيه في فلسفة التعليم

البحث في مشكلات التعليم ، في هذه الأيام ، يعني الإبحار بين صخرتين : صخرة تسمى "الخيالية" ، وصخرة تسمى "الرجعية" .

ولعلك تلاحظ أن الذين يتهمون بأنهم خياليون ، يتعامون عن الواقع ، ولا يتعلمون من التجارب ، ليسوا عند أنفسهم إلا اشتراكيين مخلصين ، يتمسكون بنص دستورنا الاشتراكي ، الذي جعل التعليم بجميع مراحله حقا مكفولا لجميع المصريين ، وأن الذين يرمون بالرجعية والدوران على الدستور وتحويل "الانفتاح" إلى رأسمالية غير مفيدة ، هم عند أنفسهم أناس واقعيون ، عمليون ، اصلاحيون ، لا يتعبدون للنصوص (مادام تغيير الدستور أو تعديله ، على الأقل في مسألة الاشتراكية ، غير ممكن في الوقت الحاضر) بل يعنيهم أن يرتفع الدخل القومي ، ويسعد الجميع ، وهذا لا يتحقق إلا بزيادة الانتاج ، واستيراد التكنولوجيا المتقدمة .

● وهكذا نرى أن البحث في مشكلات التعليم يضعنا في قلب مشكلاتنا الاجتماعية ، ونحن نحب أن نفكر في هذه المشكلات على ضوء اثنينية أخرى ، غير اثنينية الاشتراكية المتهمة بالخيالية ، والرجعية المنعوتة بالواقعية ، بل نتمنى لو نستطيع ، في واقعنا المأساوي الراهن ، أن نتخلى عن هذه الأسماء بكل ما فيها من ارتباطات حسنة عند البعض ، سيئة عند الآخرين ، والاثنينية التي نقترحها هي اثنينية القيم الاجتماعية والقيم المادية .

وأظن ـ ابتداء ـ أن هاتين التسميتين لا تحملان مثل تلك الارتباطات ، فكلا النوعين من القيم ، الاجتماعية والمادية ، مطلوب ومحبوب .

وليعذرنا الذين لا يريدون أن يتحدثوا

عن التعليم إلا بمنطق "الخطة التعليمية" و"المناهج الدراسية" والمراحل والسنوات والفصول واعداد المعلمين الخ . فنحن كما ترى نتكلم عن قيم ، اى عن فلسفة اجتماعية كامنة وراء هذه التفصيلات ، ونحن - لكى نكون صرحاء - نشك فى فائدة بحث التفصيلات قبل أن نبين الأهداف العليا التى نسميها بالقيم .

فالأهداف منها القريب والبعيد ، الدانى والعالى ، واظن أن الطلاب فى معاهد المعلمين لا يزالون مطالبين بتحديد "الهدف الخاص" و"الهدف العام" فى راس المذكرة التى يكتبونها عند تحضير كل درس . وأظنهم لا يزالون يقفون حائرين أمام هذين البندين اللذين يطالبهم بهما أستاذ التربية العملية ، وينتهون إلى أن يكتبوا تحتهما كلاما انشائيا لا معنى له والسبب فى هذه الحيرة أن القيم أو قرين الأهداف العليا المبتغاة من عملية التعليم كلها غير واضحة فى أذهانهم ، كما أنها غير واضحة - وليغضب من يغضب ! - فى أذهان واضعى السياسة التعليمية فى بلد لايزال ينظر شزرا الى كلمة "فلسفة" ، ويسىء الظن بكل شىء "نظرى" على اعتبار أنه قرين للخيالى ونقيض للعملى المفيد ، ولذلك جرت العادة منذ أوائل هذا القرن على إسناد السياسة التعليمية وضعا وتخطيطا وتنفيذا إلى من اصبحنا نسميهم "رجال التعليم" ، وهم المعلمون المهنيون الذين تخرجوا فى كليات التربية ، وحصل قادتهم على دكتوراه التربية (غالبا من امريكا) ، وقاموا يبشرون "بالتربية الحديثة" فى بلادنا **التى لايزال نصف اهلها من الاميين ، والنصف الباقى - إلا من رحم ربك - يختلفون الى المدارس سنين تطول او تقصر ويخرجون منها وعقولهم لا تختلف كثيرا عن عقول الأميين ، بل ربما قلت إنهم يفقدون من الخبرة المباشرة بالناس والاشياء ما يحصله هؤلاء .**

فأقطاب التربية الحديثة مشغولون بالمشكلات الجزئية فى عملية التعليم ، ونشاط المتعلم ، عن السؤالين الجذريين : ماذا يريد المعلم من المتعلم ، وماذا يريد المتعلم من المعلم ؟ ربما ترجموا هذين السؤالين - كمهنيين حاذقين - باثارة الاهتمام من جهة ، واكتساب المهارات من جهة أخرى . ولكن الاهتمام بماذا ؟ واكتساب أى مهارات ؟ هذا ما لا يبحث فيه المهنيون . إنما هو شغل الفلاسفة اصحاب النظريات واين هم ؟

● استاذ انجليزى لفلسفة التربية

قبل ان أحدثك عن هذا الأستاذ ، اريد ان أفضى اليك ، ياقارئى العزيز ، بسرٍّ من أسرارى .

فقد اصبحت أتذوق الحديث عن الماضى : أعرف لذة أن يكون الانسان تاريخا حيا ، وإن لم يكن تاريخا موغلا فى القدم ، خمسين سنة أو أقل قليلا أو أكثر

قليلا (أدعوا لى بطول البقاء حتى أحدثكم عما كان قبل مائة عام) . وما لى أقول إنه سر ؟ وهل استطعت أن أخفى سرا عن قرائى ؟ ألم أحدثكم عن بكائنا ، ونحن صبية ، على روايات المنفلوطى ؟ ألم أحدثكم عن البهر ، والتلعثم ، والتمتمة ،

عندما كان الشاب منا يجد نفسه واقفا ، بمحض المصادفة ، على بعد مترين من احدى زميلاته فى الجامعة ؟ ألم احدثكم قبل ذلك عن اقتصاد القرية الذى كان يقوم على تعدد الأغراض للشىء الواحد ، فالجاموسة تدير الساقية وتعطى اللبن كما تعطى نوعا ممتازا من الوقود ، والدجاج

يأكل فضلات الطعام فيلغى مشكلة القمامة ويعطى البيض واللحم ونوعا جيدا من السماد ، والفرن يخبز فيه ويدفىء

القاعة ، والنوم على قبته يطرد البرد من العظام ، وفى أعقاب الخبيز يطهى فيه الطعام ويدفأ الماء ويؤخذ منه رماد يُذَرّ على الجرح فيطيب ، لهذا يمكن لمن شاء أن يتهمنى بالرجعية ، فلست أنكر أنى أتحدث عن هذه الأشياء بنوع من الحنين ، وربما خيل لبعضكم أنها فردوسى المفقود ، ولكن هذا غير صحيح ، فابن القرية - ولا سيما إذا لم يكن من طبقة ملاك الأراضى الأغنياء - هو أدرى الناس بتخلف البيئة وشقاء الفلاح فى تلك الأيام . هو أدرى الناس بالظلام الدامس الذى لا يستطيع المرء السير فيه الا مهتديا بالغريزة أو بنور "الشعلة" وهى عبارة عن فتيل مركب فى وعاء يملأ بالجاز (الكيروسين) وليست له زجاجة تحصر اللهب . أدرى الناس بالحرائق التى ربما اتت على قرى بأكملها لأن الفلاحين تعودوا أن يخزنوا حطب القطن أو الذرة فوق أسطح البيوت . أدرى الناس ببؤس الفلاح الذى لم يكن يلبس "المداس" إلا فى المناسبات ، ولا يأكل اللحم إلا فى المواسم .

ولكننى حين أتحدث عن الحب أيام زمان اريد ان أنبه شباب هذه الأيام إلى أن الحب ينبت أولا فى أعماق الشعور ، ليدخل فى بناء الشخصية ، يغذى الطموح ، ويرهف الاحساس ، ولا أدعو - مثلا - إلى أن يحل الشك والخوف محل الزمالة والثقة بين الجنسين . وكذلك لا اتمنى أن يعود الجمود والتخلف إلى مجتمع القرية أو المدينة ، إن "التغيير" - على كل حال - وبصرف النظر عن مشيئتنا - هو قاعدة الحياة . ولكن التغير يمكن أن يكون نحو الأفضل أو الأسوأ ، والتغير نحو الأفضل هو التغير المتكامل ، التغير فى كل مقومات الحياة ، أما التغير الذى يصيب جانبا دون جانب فلعلكم توافقوننى على أن اسمه الصحيح هو التحلل أو الانهيار . والنظام الاقتصادى الاجتماعى القديم كان نظاما متكاملا رغم تخلفه ، ولذلك كان السلوك سويا ، وكان الناس متساندين ، ولم يكن المستقبل يبدو مظلما كما يبدو الآن للكثيرين ، ومعنى التكامل أن هناك قيما محترمة من الكافة ، أن هناك "فلسفة" مهما تكن ساذجة .

هذه عبرة أهديها للمشتغلين بالسياسة ، إن مهمة الحكم تبدو فى هذه الأيام بالغة الصعوبة ، رغم أن ما يسمى "مستوى المعيشة" - أى الظروف المادية

للحياة ـ قد ارتفع كثيرا منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ، وكانت هذه المهمة أسهل بكثير قبل ذلك ، رغم وقوع بعض الاغتيالات . فما سبب هذا الاختلاف ؟ هل تحول الشعب الطيب السهل القياد فجأة الى شعب متمرد عنيد ؟ فى تقديرى أن الاختلاف إنما يرجع الى افتقاد "فلسفة حياة" شاملة متكاملة .

ولكننى حدثتكم عن سر شخصى فى عودتى إلى الماضى ، ووضعت عنوانا لم اقترب منه حتى الآن ، فلأنفض السر إليكم حتى لا أطيل الاستطراد .

اتفق لى منذ بضع سنوات ـ أم لعلها بضع عشرة سنة ـ أن دخلت قاعة تنظيم الامتحان فى احدى الكليات ، فسمعت قائلا يقول لزميله له : "دعك من فلان ، إن الرجل اذا تجاوز الأربعين لا ينتظر منه خير" ، فقلت فى نفسى : "يالك من احمق ، إن الرجل لا يتجاوز مرحلة الطفولة إلا حين يبلغ الأربعين ، ولا ينطق بالحكمة إلا بعد أن يتجاوز الستين" ، وترحمت على افلاطون الذى جعل الحكام فى مدينته الفاضلة لا يبلغون هذه المنزلة إلا بعد تجارب طويلة تمتد بهم عبر الشباب والكهولة ودعوت الله الا يكون قومنا العرب أقل حكمة من أهل الصيت .

والدكتور حامد عمار . وكان عبدالعزيز وزميل اخر هو أحمد فتحى عيسى مولعين بتقليد ذلك الأستاذ فى لغته الرومانسية ولهجته الخطابية . أما ذكرياتى عن الأستاذ نفسه فتنحصر فى حركاته وتعبيرات وجهه التى يحاول أن يجعلها مرحة ، ومشيته السريعة ذهابا وجيئة بعرض المدرج ، وفى يده مضرب ذباب اشبه بقطعة "اكسسوار" فى يد ممثل ، أما فلسفته التربوية فلا أذكر منها إلا تلك العبارة الواحدة التى كان يتندر بها عبدالعزيز كامل وأحمد فتحى ، وسياقها المباشر الذى يدل على ايمان الرجل بأن التعليم يجب ألا يحول بين الطفل وبين السعادة . باختصار كان الرجل من مبشرى التربية الحديثة (مما سمعناه عنه انه كان بالفعل قسيسا) فى شعب كل ما يعرفه عنه أن معظم أطفاله يتعلمون فى الكتاتيب ويمدون فى الفلقة .

هذا ما اعيه الآن ـ بعد كد المذاكرة ، مضافا اليها خبرة السنين ـ من فلسفة الرجل التربوية . فإذا كان لأولئك الزملاء الأفاضل اضافة يضيفونها فأننا جميعا يمكننا أن ننام مستريحى الضمير .

● فلاسفة ثلاثة

لذلك تروننى أتحدث عن الماضى دائما وإن لم يكن بى حنين دائم إليه . أما حكاية أستاذ فلسفة التربية الانجليزى فترجع إلى ايام الحرب العالمية الثانية (١٩٤١ و١٩٤٢) ويطيب لى أن اذكر من زملاء تلك الفترة زميلين لا أزال أحتفظ بمودتهما وأشرف بها وهما الدكتور عبدالعزيز كامل

اما انا فلا اعرف إلا فلاسفة ثلاثة صنعوا نهضة مصر التعليمية ـ ومن ورائها الشرق العربى كله ـ فى العصر الحديث ، وهى نهضة لن تتوقف بإذن الله : رغم كل العثرات ، ولكنها لكى تستمر يجب أن تعتمد على فلسفة تعليمية شاملة ، راسخة الجذور فى

مشكلات امتنا العربية وتطلعاتها .

أول هؤلاء الفلاسفة هو محمد على الكبير . وكانت فلسفته تقوم على قاعدتين : استيراد التكنولوجية الغربية المتقدمة وتوطينها بأسرع ما يمكن فى أرض مصر ، هذا من ناحية مادة التعليم ، أما من ناحية وظيفة التعليم أو الهدف النهائى منه فهو بناء الدولة القوية ، واعداد الأفراد للقيام بدورهم فى عملية البناء هذه .

كان الهدف النهائى واضحا أمام واضعى السياسة التعليمية كما كان واضحا أمام الفرد المتعلم . انشئت المدارس التكنولوجية واستقدم لها الخبراء من فرنسا وإيطاليا والمترجمون من الشام ، وتخرج جيل من المهندسين والأطباء والفنيين لخدمة جيش محمد على . كانت القيمة الاجتماعية تعنى التقدم فى وظائف الدولة ، والقيمة الأخلاقية تعنى الولاء للدولة ، وكان ارتقاء الشخص فى وظائف الدولة ، ومن ثم احترامه لنفسه وشعوره بقيمته الذاتية ـ كانت كلها مرتبطة بنشاطه فى تحصيل العلم وقدرته على النهوض بالأعباء التى تفرضها عليه خدمة الدولة . وكانت هذه المثل التعليمية مناسبة كل المناسبة لنظام حكم أوتوقراطى عاكف على وضع القواعد المادية لدولة جديدة قوية ، كما فعل بطرس الأكبر فى روسيا من قبل ، والإمبراطور ميجى فى اليابان من بعد .

الفيلسوف الثانى هو أحمد لطفى السيد ، الذى كانت أفكاره وراء انشاء الجامعة المصرية القديمة (الأهلية) ، كما كان أول وأهم مدير للجامعة الحكومية الأولى فى مصر والعالم العربى . ربما كانت شخصية أحمد لطفى السيد أقرب إلى النمط التقليدى للفيلسوف من كل من عرفتهم مصر من المصلحين ، ولكن تأثيره فى اتجاه السياسة التعليمية لم يكن أقل من تأثير سلفه الجندى ذى النزعة العملية ، كما أن شخصيته لم تكن أقل تناقضا ، كان ارستقراطيا فى انتمائه السياسى ، ليبراليا فى منزعه الفكرى ، وكان يقدم الفكر على العمل ، ورأى الجماعة على رأى الفرد ، ولذلك حاول أن ينشىء فى الجامعة بيئة فكرية راقية تهتم بالعلم من أجل العلم ، لا من أجل تخريج موظفين أو مهنيين ، وكأنما أراد أن يجعل من الجامعة المصرية صورة من أكاديمية أفلاطون أو ليكيوم أرسطو .

إن فلسفة لطفى السيد التعليمية ترتكز على فكرة الجامعة ، وفكرة الجامعة عنده لا تفهم بمعزل عن فكرة الصفوة . وإذا كان مفهومه للصفوة قائما ـ فى أغلب الظن ـ على معايير عقلية وخلقية ، لا على معايير مادية ، فإن الواقع العملى كان يجعل الانتماء إلى هذه البيئة العلمية الراقية مقصورا ـ بوجه عام ـ على أبناء المقتدرين ، ولكن فكرة العدالة الاجتماعية لم تكن من الأفكار التى تؤرق الليبراليين ، وكان للصفوة المثقفة التى التفت حول فكرة الجامعة دور كبير فى الدعوات التحررية التى شملت السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية وهزت أركان المجتمع التقليدى واجتذبت فئات كبيرة من الشعب . كان النموذج الأعلى

للشخص المتعلم الذى أظهرته الفلسفة التعليمية الجديدة مختلفا أشد الاختلاف عن النموذج الذى أظهرته مدارس محمد علي التكنولوجية .. كان صاحب فكر نظرى ولم يكن صاحب مهارة عملية ، وكان ولاؤه لمفاهيم مجردة على رأسها مفهوم الحرية ، ولم يكن ولاؤه للدولة أو لمن يمثل سلطة الدولة . وكان هذا النموذج ثوريا وتقدميا لأن دولة محمد علي اعقبت دولة مغلوبة على امرها ، مرهونة لارادة الأجنبى ، بينما كان الشعب يتململ طلبا لحياة أفضل .

ولكن هذه القيادة المثقفة كانت تبيع للشعب أحلاما واًمالا تعجز عن تحقيقها . كانت تحدثه عن الحرية وهو أسير الفقر والحاجة ، وكانت تحدثه عن الكرامة الانسانية وهو حليف الذل والمسكنة ، كانت تهيئه ـ بوعى أو بدون وعى ـ لثورة اجتماعية كبرى ، وبما أن هذه القيادة كانت ترى أن التغير الاجتماعى يبدأ بالتعليم ، فقد رأت أن حرية الشعب يمكن أن تتحقق حين يصبح التعليم حرا كالماء والهواء . وأى نوع من التعليم ؟ التعليم كما تفهمه ، التعليم تحت شعار "العلم للعلم" .

هذا التناقض الكامن فى فلسفة لطفى السيد التعليمية أصبح ظاهرا فى فلسفة تلميذه طه حسين ، فطه حسين كان مثل أستاذه أرستقراطيا فى تصوره لطبيعة العلم ، بينما كان شعبيا فى نظرته الى حق التعلم ، كان يؤمن بالعلم على أنه كمال إنسانى ، كما كان يؤمن به فلاسفة اليونان ، الذين أرادوا أن يعلموا شعبا من المواطنين الأحرار ، يعيش على عمل شعب يماثله أو يفوقه عددا من العبيد والمرتزقة الأغراب ، ولم يتزحزح قط عن إيمانه هذا ، ولكنه أراد فقط أن يسوى بين الغنى والفقير فى الارتواء من هذا المورد الروحى العظيم ، وما أظنه نسى أو تناسى ان البشر يختلفون فى قدرتهم على اكتساب العلم ، ولكنى اظنه تجاهل المشكلات الاجتماعية الضخمة التى ينطوى عليها فتح أبواب العلم بلا حدود سوى تلك التى تفرضها القدرة العقلية . تجاهل أن الناس ـ أغنياء وفقراء ـ قد يصرون على بلوغ أعلى درجات التعليم ـ بصرف النظر عن قدرتهم ـ طلبا للمجد أو طلبا للمال ـ وكان عليه ـ منطقيا ـ أن يدعو إلى الغاء الشهادات وإلغاء الالزام والغاء الارتزاق بالعلم ، ليكون التعليم حقا كالماء والهواء .

كان طه حسين هو آخر من نعرف من فلاسفة التعليم . ولاتزال فلسفته تحكم سياسة التعليم حتى اليوم ، رغم ما قاله او يقوله المهنيون من "رجال التعليم" . وما ذلك إلا لأن فلسفته كانت بنت بيئتها وظروفها ، ولكنها استنفدت أغراضها عندما تغيرت البيئة والظروف ، وأصبحنا فى حاجة الى فلسفة تعليمية جديدة تحقق تطلعات مجتمع جديد . ومهما تكن هذه الفلسفة فلن تكون مبنية على فكرة أرستقراطية عن العلم ، ثبت انها لا يمكن أن تتأقلم مع مجتمع يريد أن يكون ديمقراطيا ، ولن يكون حرصها على الرموز الاجتماعية أعظم من حرصها على مقومات الحياة .

المســــتقبليات

علـم أم ايـديـولـوجـيـا

بقلم : د. عبدالعظيم أنيس

يزداد الحديث فى الحديث ويتسع فى اوساط بعض المثقفين والصحفيين عن المستقبليات . اى الدراسات التى تعنى بالتنبؤ بمستقبل العالم . والنظام الاقتصادى ومسالة التكنولوجيا . الى اخر هذه القضايا التى تتعرض لها مثل هذه الدراسات وعندما يراد ضرب امثلة على مدى ما وصل اليه البحث "العلمى" من تقدم فى الغرب تذكر على الفور نماذج الكومبيوتر مثل نموذج "حدود النمو" او نموذج "البشرية عند نقطة تحول"

ولما كانت هذه النماذج تحتوى على مئات المعادلات الرياضية وجبال من الاحصاءات وعمليات حسابية شديدة التعقيد على الكومبيوتر . يتصور البعض ان نتائج هذه النماذج هى نتائج محايدة خالية من احكام القيمة والتوجهات الايديولوجية . اى انها "العلم" فى انقى صوره .

ولا شك ان العــــديدين فى الوطن العربى الذين ينجرفون فى اتجاه هذا التيار انما يفعلون ذلك بحسن نية ، ولموقفهم هذا جانبه الايجابى اذ انهم مشغولون بقضايا المستقبل مهمومـــون بما ينتظر مصر او العالم العربى مـــن تطورات ايجابية او سلبية يمكن ان تلعب دورا هاما فى صياغة مستقبلنا ٠

غير ان ما يجب الانتباه اليه هو ان الكثير من هذه البحوث فى المستقبليات ليس بعـــيدا عن المعــــركة المستمرة السياسية والفكرية التى يقصد بهـــا تدعيم وجهة نظـــــر معينة ، فلا هى محايدة او خالية من احكام القيمـــة ، واستخدام الرياضيات او الكومبيـــوتر لا يغيرون من الامر شيئا ٠

وليس هذا فى الحقيقة نقدا جـــديدا لنماذج المستقبليات ، فقد وجهت لهـــا انتقادات عديدة فى الغرب نفسه وفى الدول الاشتراكية وبلدان العالم الثالث وخصوصا امريكا اللاتينية على يـــد علماء كبار ٠ ولم تجد معظم هـــذه الانتقادات ردا مقنعا ، بل لقد حـــاول بعض الباحثين فى الغرب تلافى بعض هذه العيوب الظاهرة ٠ الا ان النقـــد الانسانى الموجه اليها يمكن صـــياغته على النحو التالى : ان الافتراضـــــات الرجعية عندما تصاغ رياضيا عـــلى هيئة معادلات ، وعنـــــدما توضع فى الكومبيوتر فانها لا تنتج الا تنبـــؤات رجعية ! ولا يعـــــود الذنب فى هذا لا للمعادلات الرياضية ولا للكومبيوتر وانما الى الافتراضـــــات والمنهجيات المتبعـــة ٠

ويرتبط بهذا ايضا الانتقادات التى وجهت الى المنهجيات التى استخدمت فى معالجة هـــذه النمـــــاذج ، وهى المنهجيات التى تتضمن فكرا معينـــا وتصورا معينا للنشـــــاط الاجتماعى وافتراضات معينة لطريقة عمل النشاط الانســـــانى ، وتلك كلها جـــزء مـــن ايديولجية الباحث وموجهه الفكرى ٠

ان العديد من الدراسات التى اشتمل عليها تقرير « حدود النمو » ذو النتائج المتشائمة عن مستقبل البشرية انمـــا اعتمدت على منهجية الاستكمال الخارجى ولتوضيح هذه الطريقة نفرض مثلا ان لدينا بيانا عن الصادرات المصرية مـــن عام ١٩٥٠ الى عـــــام ١٩٧٠ واننـــا وضعنا هذا البيان على هيئة رســــم بيانى فى مستوى له بعدين ٠٠ احدهما الزمن والثانى مقدار الصادرات فى كل سنة٠ اذا حاولنا مثلا تقدير مقدار الصادرات فى منتصف عام ١٩٦٠ من خلال الرسم البيانى فان ذلك يســـمى استكمالا داخليا لانه فى حدود الفترة الزمنية التى لدينا صادراتها (مـــن عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٠) ٠

ولكن اذا حاولنا من اتجاه هـــذه النقط التى امامنا التنبـــؤ بقيمـــــة الصادرات عام ١٩٧٥ ، اى خــــارج نطاق السنوات محل البحث فان هـــذا يسمى « الاســـــتكمال الخارجى » ومشكلة هذا الاسلوب هو انه يفترض ان النزعة التى سادت فى الماضى هى نفسها التى ستسود فى المســـتقبل ، اى هو فى الحقيقة قائم على اســـــاس افتراض ثبات الوضع الراهن والنزعة الحالية ٠

وهذا الاسلوب الذى قام عليه نموذج « حدود النمو » يعود الى ما قبل ذلك بكثير ٠ والحقيقة ان نتــــائج هـــذا النموذج الشديدة التشاؤم انمـــا هى امتداد لتنبؤات مالتس عندما نشر عام ١٧٩٨ كتابه المعـــروف (مقال عـــن السكان) ٠ ولم يكن مالتس مشـــغولا لا باحوال العالم فى المستقبل ولا حتى باحوال بريطــــانيا ، بل كان مهتما صراحة بالهجوم على فلسفة المساواة والتقدم الاجتمــــاعى التى نادى بها مفكرون من امثال روسو والتى بشرت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ ، اى

المستقبليات

قبل كتاب مالتس بتسع سنوات فحسب ·

● منهج الاستكمال الخارجي

ولقد كان منطق مالتس بسيطا واشتمل ضمنا على استخدام منهجية الاستكمال الخارجي · وبهذا وصل هو الى قناعة أنه بدون الحروب والكوارث فان سكان البشر سوف يتضاعفون كل خمسة وعشرين عاما بينما لا يمكن أن تزيد موارد الطعام في العالم ـ في المدى الطويل ـ بهذه المعدلات · والنتيجة هي المجاعة بالطبع ما لم « تفرض ضوابط أخرى على نمو السكان ! » ولقد استخدم كتاب مالتس هذا في الهجوم على الطبقات العاملة وتحول الى سلاح ايديولجي في المعارك بين العمال والراسماليين ·

اما المنهجية الثانية التي تعاب على هذه النماذج التي صدرت في الغرب فهي اللجوء الى عقد مشابهات بين التغير الاجتماعي وعمليات النمو البيولوجية التي تستخدم فيها فكرة النمو المتسارع للمجتمعات الحيوانية العملية والتي يفترض فيها نمو الخلايا الفردية على شكل منحنى معين · ويرتبط بهذا افتراض أن النظام الاجتماعي والمتغيرات الاقتصادية تخضع لمبدأ التوازن الذاتي للنظام كما هو الحال في الانظمة البيولوجية · وربما كان مثل هذا الفرض مفيدا في اقتصاديات السوق ولفترة زمنية وجيزة · لكنه لا يكون صالحا في اقتصاديات تتبع أساليب التخطيط ، فكما اشرت في مقال سابق فان مجموعة من العلماء السوفييت قاموا باعادة حساب نموذج « حدود النمو » على أساس آلية التخطيط في الاستثمار الراسمالي فكانت النتيجة أن « الكارثة العالمية » المتنبأ بها في نموذج « حدود النمو » قد أمكن تجنبها تماما · لكن آلية التخطيط ليست متسقة مع الاقتصاد الراسمالي ولهذا تجاهلها صانعو النموذج ·

● التكنولوجيا والتغير الاجتماعي

ونستطيع أيضا ان نشير الى افتراض ضمني قائم في العديد من هذه النماذج المستقبلية التي ظهرت في الغرب ، الا وهو أن التكنولوجيا هي القوة الرئيسية للتغيير الاجتماعي ·

ان كثيرا من التنبؤات المستقبلية التي صدرت في الغرب في العقد الاخير هذا صراحة ، ولعل اقرب مثال كتابات تتضمن هذا صراحة ، ولعل أقرب مثال كتابات الامريكي الفن توفلر وكتابه « الموجة الثالثة » ·

والحقيقة أن ما يقوله توفلر وامثاله ليس جديدا ، فلقد سبقهم الى ذلك أستاذ علم الاجتماع الامريكي المشهور وليم أوجبرن منذ الثلاثينيات ولقد قام أوجبرن بصهر نزعتين أساسيتين من الفكر المحافظ في برنامج بارز من التنبؤ الاجتماعي والتكنولوجي ·

الاولى هى الاعتقاد فى تكشف بطىء منضبط لمعظم النزعات الاجتماعية ، والثانية هى أن التكنولوجيا فى حد ذاتها هى المحدد الرئيسى لشئون البشر وتغيرات المجتمع • وحتى اليوم مازالت هذه الفكرة هى السمة الاساسية لكل التوقعات الراهنة فى الغرب مع تعديلات بسيطة •

وان الازمة الاقتصادية الراسمالية لسنوات ما بين الحربين العالميتين قد ابرزت ضخامة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى الولايات المتحدة • ولمواجهة هذا الوضع أمسك عدد من علماء الاجتماع والسياسة بفكرة « النزعة الاجتماعية » • واستخدم أوجبرن حجة أن فحص هذه النزعات – من خلال البيانات الاحصائية – يوضح أنها تتغير ببطء • ولهذا فان المرء يمكن أن يتنبأ بثقة بالتغيرات الاجتماعية عن طريق استخدام منهجية « الاستكمال الخارجي » ومثل هذا التفكير لا يترك مجالا لتغيرات كيفية فى النظام • اما لماذا يحدث التغير الاجتماعى اصلا فقد أعاد أوجبرن وأمثاله هذا الى الاختراعات التكنولوجية باعتبارها القوة الدافعة الاساسية •

هناك ثلاثة انتقادات رئيسية اذن توجه الى هذه النماذج الغربية للتنبؤ بالمستقبل ••• أولها اللجوء الى منهجية الاستكمال الخارجى التى تفترض بقاء الوضع الراهن ، وثانيا اللجوء الى آليات تستخدم فى دراسة النمو البيولوجى لتطبيقها على التغيرات الاجتماعية مثل فكرة التوازن الذاتى للنظام ، وثالثها افتراض أن التطورات التكنولوجية هى القوة الدافعة الرئيسية للتغير الاجتماعى •

● استخدام السيناريوهات

ولقد أدى ادراك الكثيرين فى الغرب لصعوبة قبول منهجية الاستكمال الخارجى على اطلاقها والدفاع عنها الى الاعتراف – ولو على مضض – (خصوصا بعد نهاية مرحلة التوسع الاقتصادى فيما بعد الحرب العالمية الثانية ونمو الصراعات الطبقية فى المجتمعات الصناعية المتقدمة) ، بأن اسقاط الماضى على المستقبل يمثل مشكلة ومن هنا طورت فكرة استخدام السيناريوهات كأسلوب اخر فى بحث امكانيات المستقبل • وكل « سيناريو » موضوع فى النموذج هو أحد التصورات التى يعتقد مؤلف نموذج أنها ممكنة الحدوث فى المستقبل • لكن المشكلة هنا أيضا أن منهجية الاستكمال الخارجى تستخدم أيضا فى حسابات الانظمة الجزئية داخل النظام الكلى للنموذج • وفى غالب الاحيان تعتمد هذه السيناريوهات على فروض غير صريحة عن استقرار العلاقات الاجتماعية المولدة للنزعات التى يطبق عليها الاستكمال الخارجى •

المستقبليات

ومن هنا بدأ تطوير تقنيات جديدة وأساليب المحاكاة وغيرها مما لايمكن التعرض له في مثل هذا المقال الموجز

ان ما ينبغي تأكيده ـ في ختام هذا المقال ـ هو أن الكثير مما يسمى بدراسات المستقبل في الغرب لم ينشأ من فراغ ، وانما كان يعكس في الغالب هواجس وقلق العديد من الشركات الدولية العملاقة المشغولة بالانتاج الحربي أو السلمي من المستقبل في ظروف غير مؤكدة لامكانيات التطورات والتحولات التكنولوجية وأوضاع المواد الخام . ومن هنا بدأت محاولات التنبؤ بالامكانيات المستقبلية من خلال استخدام أسلوب الاستكمال الخارجي للاداء التكنولوجي الماضي .

حدث هذا على نطاق واسع في الصناعات الحربية الامريكية وصناعات الطيران بازدياد تواطؤ مجموعات البنتاجون وبعض أقسام الرأسمالية الكبيرة الامريكية في التطوير المستمر لاسلحة الدمار . وليس بالصدفة أن الدراسات المستقبلية لعالم مثل كاهن قد اعتمدت بقوة على خبرات التنبؤ في الاغراض الحربية وما ارتبط بها . ولقد عمل كاهن سنين طويلة في مؤسسة راند ، وهي مؤسسة من النوع الذي يسمى في الغرب وهي وثيقة الارتباط بسلاح الطيران الامريكي . كما ان انشاء « نادي روما » على يد مجموعة الرأسماليين الاوربيين ، وما تفرغ عنه من دراسات مستقبلية ، انما كان يعكس في الاساس قلق الشركات الاوربية العملاقة على مستقبل توفر المواد الخام واحتمالات تطور أسعارها .

هل هذا يعني انه لا أمل في المستقبل من مثل هذه الدراسات وامكانيات الاستفادة منها ؟

بالطبع لا ، لكن البشرية سوف تحتاج الى سنين طويلة وجهود أكاديمية ضخمة لتلافي الاعتراضات والانتقادات الجادة التي وجهت الى الدراسات والنماذج الحالية المنشورة في الغرب سواء من ناحية الفروض أو المنهجيات أو قاعدة البيانات المطلوبة . والحاصل أن اهتمام السياسيين في الغرب بمثل هذه الدراسات قد فتر حاليا كما أشار الى ذلك بحق أحد صانعي هذه النماذج (بستل) في محاضرة القاها في المانيا منذ ثلاث سنوات . ولعل هذا الفتور مصدره حالة الشك التي أثارتها الانتقادات الجادة التي وجهت الى منهجية هذه الدراسات كما أن ظروف الكساد الرأسمالي الحالي ربما جعلت الكثيرين من السياسيين ينصرفون بقوة الى هموم الحاضر الاكثر الحاحا . ان كل محاولة للتنبؤ هي بمعنى من المعاني اختلاق ! فهو تقرير عن وضع ليس موجودا بعد . لكن هذا لا يجعله بالضرورة محاولة متعمدة للتضليل ، بل على العكس انه قد يكون مفيدا في اتخاذ قرارات الحاضر . لكن ادعاء عمليته وحياده لا يزال أمرا بعيدا .

تطوير اللغة العربية وهموم أخرى

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

فى زمن مضى كان يقال اذا اردت ان تغتال قضية بالسكتة القلبية فحولها الى لجنة بدعوى دراستها، ولن تعود منها، فبين الحوار البارد، والجدل العقيم سوف تلفظ انفاسها، ويقال اليوم اذا اردت ان تميت موضوعا فاعقد له مؤتمرا، والفارق بين اللجنة والمؤتمر، ان الموضوع فى الاولى يرقد جثة هامدة دون ان يأتى تماما على اهتمام الناس به، فيظلون حيارى يتساءلون عما حدث، وقد لا يهدا لهم بال، واما فى الثانى، فانت تمتص سخط المعترضين والساخطين، وتفتح المجال عريضا امام الباحثين عن مكان فى زحام الشهرة، ومن بضاعتهم أن يخطبوا، ونحن لا ندفع على الكلام ضرائب، او جمارك كما تقول العامة ..

ومن هذا اللون الاخير كان ما سمى « مؤتمر تطوير اللغة العربية ».

هل بقى فى حكاية تطوير اللغة ما يمكن ان يقال ؟ لا اظن.

ومع ذلك اجتمع صفوة من المهتمين باللغة العربية يتحاورون حوله، ولانك حين تتحدث لا تدفع ضريبة كما قلنا، فانت ايضا لا تتلقى اتعابا، ومن هنا فان احدا لم يكلف نفسه ان يقول شيئا جديدا ومفيدا : بعضهم فى ذهنه شتات محاضرة قديمة فالقاها ثانية واخرون فى فكرهم اصداء تقرير فاعلنوا اطرافا منه، والمهم ان الوزير

افتتح المؤتمر ، وان التليفزيون والصحف نشرت اخبار الذين حضروه ، وصورهم أيضا ، واجرت حوارا مع بعضهم ، ثم انفض السامر كان شيئا لم يكن .

ولا ادرى اذا كانت البحوث التى القيت ، ان كان يمكن ان نسميها بحوثا ، قد جمعت فى كتاب ، او مطبوع من اى لون ، كما هى العادة ، لكى يتابع من لم يحضر شيئا مما حدث ، ويمسك بشئ مما قيل ، ان كان ما حدث نافع ومفيد ويحتاج ان نبقى عليه .

اى انسان له معرفة جيدة وواسعة باللغة العربية وقضاياها ، يعرف أنه لا جديد تحت الشمس ، وان ما نتحاور حوله اليوم ، قيل قبل ذلك بالف عام ، فاثيرت قضايا هل يحفظ الاطفال ما يعون ويعرفون فحسب ، فلا نحفظهم من القران والشعر الا ما يناسب افهامهم ، أم ان تقويم اللسان ، وصقل النطق بالاحرف ، وتنمية معجم الطفل ، يرجع بجانب ان يحفظ التلميذ من القران مايستطيع ومن الشعر كل ما هو جميل ، حتى لو فهم شيئا وغابت عنه اشياء أخرى ، وجرى الحوار قويا وعنيفا فى هذه القضية بالذات بين القاضى أبي بكر بن العربي والعلامة ابن خلدون ، والاول من علماء القرن الثالث عشر الميلادى والثانى من القرن الذى يليه ، وانتصر كل واحد منهما لرأيه بحجج واسانيد ، واصبح مع الوقت رأس مدرسة لها اتباع ومؤيدون .



د . طه حسين



احمد امين

● اختلاف فى كيفية التعليم

واختلفوا هل نستخدم فى تعليم الكتابة والقراءة طريقة الحروف المفردة ، أم الطريقة الجميلة ، وهل يتعلم التلاميذ الخط مادة منفصلة ام خلال المواد الاخرى ، وغير ذلك

كثير من قضايا اللغة ، تتنـــاولوه بأسلوب عصرهم ومصطلحات زمانهم

وفى عصرنا الحديث لم تتـــوقف المؤتمرات يوميا منذ انشىء نـــادى دار العلوم القديم عام ١٩٠٧ ، وكان آخرها المؤتمر الذى اقامته المنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلـوم فى مدينة الرياض صيف عـــام ١٩٨٥ .

واذا كانت مصر الدولة لم تشـــارك فيه للظروف السياسية التى كانت تمر بها يومها ، فافضل الابحـــاث التى قيلت فيه قام بها جلة من العلمـــاء المصريين تربويين وغيرهم !

واصدرت المنظمة نفسها دليـــلا للبحوث التى تناولت تعليم اللغـــة العربية والدين الاسلامى فى الـــوطن العربى منذ عام ٢٩٠٠ الى عـــام ١٩٨٠ ، فاذا بعناوين البحوث واسماء الباحثين فقط تتجاوز الالف ، وتشغل ٢٦٤ صفحة من القطع المتوســـط ، وتناولت كل ما يخطر على الـــذهن والفكر من قضايا اللغة العربيـــة ، وتظل شاهدا على ان ما تقـوله ليس الا كلاما مكرورا ومعادا .

● حجج واهية

ولكن الواقع ان اللغة العربيـــة العالية تتقهقر فى الصـــحف والكتب والابداع والخطابة ، ولم يعد احـــد يخجل من الخطأ فيها ، فى الـــوقت الذى ترقى فيه العامية ، وتتـــهذب وبـدل أن نضـــــــع يدنا على الاسباب الحقيقية لصعود الفصـــحى الى اسفل حملنا اللغة نفسها بلوانا ، فهى فيما يرى الكسالى لغة صعبة ، املاؤها معقد ، ونحوها عســـير ، ومعجمها واسع ، وانطلاقا من هـــذا التصور فلا باس ان تعقد المؤتمـــرات لحل هذه المشكلات ، وليس فى اللغة العربية شىء مما يتصورون ، ولا فيها مالا يوجد فى غيرها من الصـــعوبات وانما الوهن فينا نحن انفســـنا .

نعيب زماننا والعيب فينا ! .

ان ما يحدث الان من تدهـور فى اللغة العربية الفصحى لا يعـــود الى شىء فى طبيعة اللغة نفســها ، ولا الى نقص فى الابحاث التى تتناول افضل الطرق الى تعليمهـــا ، او الحاجة الى التمييز بين المعـــاصر فيها وما تجاوزه الزمن منها ، وانما يعود الى امور تمس المدرسة والمعلم والكتاب والتوجيه الفنى .

نحن نعتمد على المدرسة فى تربية ابنائنا وبناتنا ، وفى ان تقوم بالدور الذى لا تستطيع أن تقوم به الاســـرة وحدها ، لان الحياة المدنية معقـدة ، وتتطلب من النشء معرفة الكثيـــر من الامور والتجارب العلمية والعملية والدينية والفنية ، وان تختـــار الوسائل الاكثر ملاءمة لتربية الاطفال والشباب واعدادهم لدورهم فى الحياة

ولكى تقوم المدرسة بدورها ينبغى ان نعود بها اولا الى ما كانت عليـه منذ اكثر من نصف قرن من الزمان ، فنوفر لها الملاعب الواسعة ، لالـوان الرياضة المختلفة ، والمكتبة الفنيـــة المريحة ، وان نعيد اليـــها بهجتـــها

ممثلة فى الحدائق الجميلة ، والهوايات المتعددة ، التى تبقى على التلميذ فيها اطول وقت ممكن ، وحين ينتهى يومه فيها يفارقها كارها ، بدل هذا البلاء الذى نراه ، من تلاميذ يقفزون من على الاسوار هاربين بعد تسجيل الحضور ، او ينقطعون عن الدراسة قبل انتهائها باسابيع .

بعدهـا ، وليس قبل ذلك ، تجىء الوسائل المستحدثة ، المكتبة السمعية ، ممثلة فى الاشرطة والتسجيل ، يتيح للطالب ان يسمع النص الادبى من الاستاذ ، او من زميل له ، فى لغة موسيقية جذابة ، او ان يستعيد الدرس ثانية ليسلم بما نسى او فاته منه ، ولا بأس ان يسجله لنفسه اذا اراد ، وان تلعب المكتبة ، البصرية دورها ممثلة فى الافلام والتليفزيون ، وكلها وسائل ليست مكلفة ولا باهظة الثمن .

ويمكن ان تحول مجالس الاباء فى المدارس الى خلية عاملة .

ومن الممكن ان نستغل ميل القادرين الى الشهرة ، فنطلق اسماءهم على المدارس التى ينشئونها ، او المدرجات التى يقيمونها ، او نمنحهم الاوسمة والنياشين ، وان نطلب عون اولئك الذين حازوا شهرة دينية ، فالدين لا يخدم بدرس تفسير فى التليفزيون وانما بمعاونة اهله على عبور عالم الجهالة الى عالم النور .

هناك مقولة تربوية شائعة تقرر : كما يكون المدرس تكون المدرسة !

ولا يمكن لاى مدرسة ان تقوم بالعمل الذى ينتظره الشعب منها الا اذا اعددنا لها مدرسين اكفاء قادرين ، راغبين فى التدريس ، ويميلون لمهنة التعليم ، متمكنين من مادتهم ، وعلى دراية بطرق التربية الحديثة ، اى ان يجمع المدرس بين التربية والتعليم ، وان يقوم فى التلميذ ما اهمله المنزل من اخلاق وعادات ضرورية للنجاح فى الحياة ، وذلك يتطلب ان يكون قدوة لتلاميذه .

ماذا عن مدرس اللغة العربية ، وهو ما يعنينا امره هنا ، ولو انهم جميعا ، فى مختلف المواد ، كلهم فى الهم شرق ، كما يقول أمير الشعراء شوقى ، لاننا حين نعرف هذا الواقع نضع يدنا على المأساة فى اعمق ابعادها .

فيما كان مدرس اللغة العربية يعد فى معهد واحد هو دار العلوم ، وكان مدرسو بقية المواد الاخرى يعدون فى معهد واحد ايضا هو المعلمين العليا ، وكان الطلاب يتزاحمون بشدة ، فالتعليم فيهما مجانى ، والحياة داخلية ومجانية ، ويتلقى الطلاب المصادر الاساسية للمواد التى يدرسونها مجانا ايضا ، والدراسة على امتداد اربع سنوات تخصص للمادة العلمية وحدها ، وتقدم لهم مكافأة وجادة .

● بداية المأساة

فلما جاء طه حسين عام ١٩٥٠ وزيرا للمعارف فى وزارة الوفد ،

وتبنى نظرية « التعليم كالماء والهواء » وتوسع فى انشاء المدارس على نحو لم يسبق له مثيل ، وجعل التعليم الثانوى مجانيا ، وكل ذلك دون اعداد او تخطيط ، بدأت دار العلوم والمعلمين العليا تأخذان اكثر من طاقتهما ، وحين عجزتا عن تلبية مطالب الوزارة فى المعلمين بدأت تستعين بكل من يستطيع أن يقف أمام التلاميذ ويقول شيئا ، اى شىء ، وكان هذا بداية المأساة ، ولان طه حسين رفع من مستوى المعلمين ماديا على ايامه ، وجعل وزارة المعارف تأتى فى المقدمة ، فقد تسابق كل الجامعيين العاملين فى الوزارات الاخرى للعمل بها مدرسين !! .

ولم يخف على الفنيين فى الوزارة الكارثة التى يمكن ان يؤدى اليها تفاوت اعداد المدرسين فى المدرسة الواحدة ، وتعدد جهات الاعداد القادمين منها ، وتباين ثقافتهم ومشاربهم ، وحتى سلوكهم ، فكان معهد التربية العالى ، فى القاهرة اولا ، ثم فيها وفى الاسكندرية حين كثر عدد الطلاب ، يتلاقى فى ساحاته كل الراغبين فى العمل بالتدريس من التخصصات المختلفة ، يصقلهم ، ويؤلف بين قلوبهم ، وينمى اواصر الود بينهم ، ويجعل مثلهم الاعلى مشتركا ، وكانت مدة الدراسة فى المعهد عامين ، وانقصت امام ضغط الحاجة الى عام واحد .

وظل الامر يتدهور حتى وصل الحال الى ما نحن عليه ، الغيت كلية المعلمين ، وقبلها كانت دار العلوم قد انضمت الى جامعة القاهرة ، بجهد وضغط من طه حسين ، وبدأ انشاء كليات التربية عشوائيا فى المحافظات ، تستولى الجامعة على مبنى اية مدرسة ، اعدادية احيانا وثانوية اخرى ، وتضع عليها لافتة باسم كلية التربية ، ومع ان الغاية من هذه الكليات عملية بحتة ، وهى اعداد المدرس الصالح ، الا ان مناهجها ، فى القسم الواحد ، تختلف من كلية الى اخرى ، ولما كانت مدة الدراسة فيها واحدة ، كأى كلية نظرية جامعية اخرى ، وتجمع بين المواد العلمية والتربوية ، فقد كان ذلك على حسا بالاثنتين يتخرج الطلاب وحصيلتهم من العلم الذى درسوه ، ومن التربية ، قشور لا تغنى كثيرا .

ومع طفرة البترول فى البلاد العربية التى ينقلها على مصر ، ولانها تدفع طيبا اخذت انبه المدرسين ، وافضل الخريجين ، وبخاصة بين متخرجى دار العلوم ، وحدث هذا العجز الذى كان يبلغ الى سنوات قليلة ٤٠٪ ممن تحتاجهم المدارس من مدرسى اللغة العربية ، وهو عجز ربما انحسر قليلا ، ولكنه لا يزال قائما حتى يومنا هذا .

لمواجهة هذا العجز ، فى مادة اللغة العربية وغيرها ، قامت وزارة العمل بتوجيه اعداد هائلة من المتخرجين الذين يعانون البطالة ، وامضوا سنوات بلا عمل ، الى وزارة التعليم ليعملوا مدرسين ، ولم يعدوا لهذه المهنة ، ولا هم راغبين فيها ، وجاءت وزارة الشئون فاسهمت بدورها فى هذه الكارثة ، لانها توجه الذين يكلفون بالعمل سنة فى الخدمة الاجتماعية الى العمل فى

المدارس ، بدون مرتب طبعا ، فيعهدون اليهم بتدريس المواد التى لا يجدون لها مدرسين ، ومن الطبيعى ان تجد فى المدارس خارج القاهرة متخرج كلية الحقوق يقوم بتدريس اللغة الانجليزية فى مدرسة اعدادية ، وان يقوم بتدريس اللغة العربية متخرجة فى قسم التاريخ فى كلية الاداب ٠

هنا تكمن ماساة اللغة العربية ٠ فاذا اضفنا الى ما سبق ان اغلب المتخرجين فى الجامعات ، فى اى قطاع يعملون ، يظنون ان حياتهم العلمية قد انتهت بتخرجهم فى الجامعة ، مع ان العلم لا نهاية له ، (وهو امر ينطبق على اساتذة الجامعة بعد ان يرقوا الى أساتذة)، مع انه لا توجد مهنة تحتاج الى ان يجدد المرء نشاطه والى المزيد من العلم والاطلاع والبحث والتجربة والخبرة ما تحتاجه مهنة التدريس ، وفى الشعوب التى تقدر دور المدرس والمدرسة لا تكتفى من المدرس بما حصل عليه خلال حياته الجامعية ، ولا تتركه لشانه فى ان ينمى معارفه، وانما تعاونه فى ذلك ، فهى تقيم لهم اثناء العطلة الصيفية من كل عام دورة فى مدينة صيفية ، يرتاحون ويتعلمون ، ويتلقون محاضرات فى الجديد الذى طرأ على المادة العلمية التى يقومون بتدريسها ، وفى التربية او علم النفس ، وحتى فى اللغات الاجنبية ، او يتمرنون على الاعمال اليدوية ، فهم فى الصباح فى المحاضرات ، وبعد الظهر يمارسون الوانا من الترفيه المفيد ، من الرياضة والرحلات ، وزيارة الاماكن الاثرية ٠

والان ما العمل ؟

● محاولة للانقاذ

تقول الحكمة القديمة : لان تضىء شمعة خير من أن تلعن الظلام الف مرة ، وها انذا احاول أن اضىء هذه الشمعة ٠

ان كلية دار العلوم تضم الان ما يزيد على اثنى عشر الف طالب ، وهو عدد كبير ، واعداده جيدا مستحيل ، والانتقاص غير ممكن ، لان الدولة ، والعالم العربى والافريقى والاسيوى كله فى حاجة الى مدرسى اللغة العربية ، وهم يفضلونهم أن يكونوا من دار العلوم ولقد انشانا كلية دار علوم اخرى فى المنيا ، ولكننا اطلقنا عليها اسم « كلية الدراسات العربية » ، ورغم ان لائحتها تنص على انها تدرس مناهج دار العلوم ، لم تستطع أن تكون مثلها ، او تنال ما لدار العلوم من الشهرة ، لان الاسم والتقاليد تلعب دورا فى حياة الناس ، فلعل وزارة التعليم تبذل جهدها فى انشاء اكثر من دار علوم ، لمواجهة النقص اولا ، وللارتفاع بمستوى التعليم فيها ثانيا ، وارشح قنا فى اقصى الصعيد ، لانها وسط بين محافظات اربع لتكون مقرا لدار علوم جديد ، فليحاول الدكتور احمد فتحى سرور ، ولن يندم على هذه الخطوة ٠

الامر الثانى اننا نواجه بطالة تزداد يوما بعد يوم ، ويبقى فيها الخريجون سنوات خمس ، او اكثر

بلا عمل ، والان فالفرصة متاحة لنا لان نعود الى الانظمة القديمة تحت اى اسم ، فتخصص المرحلة الاولى ، اى مرحلة الليسانس للمادة العلمية من اى نوع ، ليتمكن المتخصص منها تماما ، ومن اراد أن يعمل مدرسا عليه ان يلتحق بمعهد عال للتربية مدته سنتان ، ومنه يتخرج كل من يعمل فى حقل التعليم ، مهما كانت المواد التى سوف يدرسونها على ان تصرف لهم الوزارة خلال مرحلة الدراسة مكافأة طيبة ، ولتكن اعانة بطالة ، وكان المعهد القديم يصرف لطلابه هذه المكافأة ، على ان يكون التدريس فى التعليم الثانوى ، ووظائف الوزارة العليا وقفا عليهم ، وبذلك نرتفع بمستوى المعلمين .

ان ماساة اللغة العربية ، انسان غيرها ، تكمن فى هبوط مستوى المعلمين علميا ، وهم الاساس فى اية عملية تربوية ، فالمعلم الكفء قادر دواما على ان يتجاوز صعوبات المادة التى يدرسها ، وحتى قصور التلاميذ الذين يدرس لهم .

والقضية الثالثة هى قضية الكتاب، وبصراحة شديدة فان مستوى الكتاب المدرسى فى مصر ، فى ايامنا هذه ، يعانى تخلفا شديدا فى المادة والمنهج والاخراج ، وهو دون ما كان عليه الحال منذ خمسين عاما ، ولقد سبقتنا شعوب عربية اخرى فى هذا المجال ، وبخاصة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية .

من حيث المادة ، فان عددا من اساتذة التربية وقعوا اسرى نظريات تربوية امريكية سيئة ، بعد ان كان السائد عندنا هو النظريات الانجليزية، وفيها الجيد والردىء وما يصلح لنا ، وما كان وليد بيئته ولا يصلح لغيرها، وما كان نظرية لم تنجح ، ولا تشكل قانونا ولا حقيقة ، ومن بينها ان تكون اللغة فى مستوى الطفل .

اى مستوى ؟

وهكذا جنحت الكتب الى التبسيط الشديد ، وادارت ظهرها للتراث ، ونستطيع فى الجامعة ان نميز ببساطة شديدة بين طالب حصل على الثانوية العامة من مصر ، واخر حصل عليها من الاردن - مثلا - فالثانى ذخيرته وفيرة من التراث ، فى نصوصه الجاهلية والعباسية ، على حين ان الاول ، بزعم السهولة والفهم ومواءمة السن ، قدمنا له اسوأ النصوص واعرقها فى التفاهة .

ويجىء الجانب الثانى المعيب فى الكتاب من الوزارة نفسها ، ففيما سبق كانت تعهد بها الى اعلام الثقافة: احمد امين ، طه حسين ، على الجارم، احمد ضيف ، عبد العزيز البشرى ، عباس حسن ، وتحسن جزاءهم ، فجاء عملهم يتسق ومكانتهم وسمعتهم ،وفى مرحلة تالية ، حين افتقدت هؤلاء ، عمدت الى نظام المسابقة ، تضع شروط الكتاب ومعالمه ، ويتقدم لها القادر ، وتختار الاصلح ، وتقدم مكافأة سخية، وهى الفترة التى شهدت الدكتور محمد مهدى علام ، وعباس حسن ، وسعيد العريان ، وحسن علوان واخرين ، ولكنها ، ولا اعرف السبب وراء هذا، تركت المسابقة الى التكليف ، وهكذا خضع الامر للشللية والمجاملة ، ومراعاة الظروف السياسية ، واقامة

التوازن بين التيارات المختلفة ، ثم دفعت الوزارة بالامر الى منتهى عدم الاهتمام من المؤلفين ، حين قررت للكتاب الذى يدرس فى المرحلة الاعدادية مائة وخمسين جنيها لكل مشارك ، تخصم منها الضرائب ولا تقل عن ثلاثين جنيها ، فى كتاب تطبع منه الوزارة مئات الالوف ٠

اى امتهان هذا لمواهب المؤلفين ؟

واظنهم الان ارتفعوا بالمكافاة الى الف ، وهو ايضا مبلغ لا يعنى شيئا اذا اردنا عملا جادا ومتقنا ٠

والنتيجة الحتمية ، فى غيبة التنافس ، وتفاهة المقابل ، ان يكتب المؤلفون اى شيء ، وبخاصة ان الوزارة تفتقد المكتب الفنى الذى يتابع ، ويعاون ، ويوفر للمؤلفين ما يحتاجون اليه من المصادر ، كتبا او مجلات ، مصرية او عربية ، اذ ان الامر الان متروك لجهدهم الشخصى ، وهو محدود فى زحام الحياة المرير ٠

فاذا اضفنا الى ضعف التاليف سوء الورق والطباعة والاخراج كان شكل الكتاب الذى بين أيدينا منفرا محتوى ومظهرا ٠

● من اجل الاصلاح

وتاتى القضية الاخيرة ، وهى التوجيه الفنى فى الوزارة ، وعرفته تحت اسماء كثيرة ، كبير المفتشين وعميد المفتشين ، والموجه الاول ، واخيرا المستشار ، وهو فى حاجة الى ثورة ، تعيد اليه امجاده ، ليرعى التطور ويخدمه ، وكان معه ، او الى جانبه ، مكتب فنى ، يضم عناصر ممتازة ، ومختارة ، ذات تجربة وخبرة ، مهمتها ان تقرا وتراجع وتبتكر وتقترح ، وكان هذا العميد أو الموجه او المستشار ذا ثقافة عربية متميزة ، وثقافة اجنبية عميقة وهو مؤلف وباحث وكاتب ، وعضو المجمع اللغوى فى اكثر الاحيان ،قبل ان يكون مديرا اومفتشا او مستشارا

وحين نستعرض فى ذاكرتنا اسماء الذين سبقوا منهم ، ونلقى نظرة على حياتهم وانتاجهم الادبى ، ثم نراجع واقعنا الحالى ندرك على الفور ، كم تاخرنا ٠

كان من بين هؤلاء على الجارم ، اول دفعته فى دار العلوم ، ومبعوثها الى انجلترا للدراسة ، والشاعر ، وعضو المجمع اللغوى ، وكاتب الرواية التاريخية المتميز ، صاحب الاسلوب الرشيق ، وصاحب كتابى النحو الواضح باجزائه العديدة ، والبلاغة الواضحة ، ومر على تاليفهما اكثر من نصف قرن ، ولم يفقدا توهجهما بعد ، ولازالا يطبعان، ورائجين على امتداد العالم العربى كله ٠

ومنهم استاذنا الدكتور محمد مهدى علام ، نائب رئيس المجمع اللغوى الان ، وكان اول دفعته فى دار العلوم ايضا وابتعث الى انجلترا ايضا ، حيث درس التربية ، واللغة العبرية والفارسية ، واصبح استاذ الادب العربى فى جامعة منشستر لخمسة عشر عاما ، ورئيس قسمى اللغة العربية واللغة الانجليزية فى كلية الاداب بجامعة عين شمس ،

وعميدها لسنوات طويلة ، وصاحب الابحاث التربوية والادبية العديدة .

ومنهم استاذنا المرحوم حامد عبد القادر ، عضو المجمع اللغوى ، والاستاذ القدير فى اللغات السامية والفارسية ، وترجم منهما نصوصا عديدة ، وكتابه « علم النفس الادبى » كان باكورة الكتابة فى هذا المجال ، الى جانب مؤلفات اخرى فى علمى النفس والتربية ، وعن ابى العلاء المعرى ، وغير ذلك بكثير .

والشيء نفسه يمكن ان يقال عن محمد عطية الابراشى ، وله اكثر من خمسة وعشرين كتابا ، بعضها مترجم عن اللغة الانجليزية ، وبعضها الاخر عن اعلام أوربيين فى التربية أو علم النفس او الفكر ، وتدين له المكتبة العربية بأول كتاب فى اللغة السريانية وادابها ، واول كتاب فى اللغة العبرية ، والف الثانى منهما مع الدكتور محمد عنانى ، وهما المصدران الوحيدان لهاتين المادتين الموجودتين فى مصر الان .

هؤلاء كانوا المسئولين عن اللغة العربية فيما سبق ، ثم تبعهم خلف اضاعوا كل شيء ، لانهم وصلوا الى مناصبهم بالاقدمية المطلقة ، وهم على أبواب المعاش ، بعد ان صدئت معارفهم ، وغاض طموحهم ، ووهن منهم الجسم والارادة ، واصبح همهم البحث عن السلامة والعافية .

وربما تكون البداية من هنا ،وعلاج هذا الامر ميسور، اذا حطمنا الروتين والاقدميات فى صورتها القبيحة ، وفتشنا عن هذا النابغة الموهوب ، واتحنا اليه فرصة ان يوسع تجاربه ، وان يعمق ثقافته ، واجتزنا به طوابير الاقدمية المعتادة ، واحسنا مكافاته ، وتركنا له ان يدرس ويقترح وينفذ ويرعى اللغة العربية ، ويحسب اختيار الذين معه ، ولانه موهوب فسوف يختار معاونيه من هذه الطبقة نفسها .

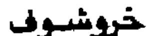
فى المحاور التى اتيت عليها تكمن علل اللغة العربية ، واى مادة فى مدارسنا ، اما ان نجمع مؤتمرا ليدرس كيف نعرب الفاعل ، او نشرح النصوص ، وكيف نختار موضوعات المطالعة ، فاضاعة للوقت وضرب من العبث ، واذا كان هناك من عندهم الوقت ليقتلوه ، فالجادون لديهم ما يشغلهم عن توافه الحياة .

المدرسة الجميلة ، ذات الحدائق البهيجة ، والهوايات المتعددة والمكتبة الفنية ، التى تبقى على التلميذ فلا يهرب منها كارها ، والمعلم المثقف الواعى برسالته ودورها ، ومهنته وجلالها ، والكتاب الجيد مادة واخراجا ، والتوجيه الجاد الخبير فى اعلى مستوى ، هو ما تحتاجه اللغة العربية .

وربما اضفت الى ما سبق ، وارجو ان يكون هذا واضحا ، ان الناس ، والمدرسين قبل غيرهم ، مطالبون بتوفير لقمة العيش لهم ولابنائهم قبل اى شيء ، ومن هنا فاى محاولة لحث المعلمين على الثقافة والعمل والاخلاص لابد ان يقابلها تقدير مادى ، لان هذه الصفات وحدها ، مهما عمقت ،لاتكفى لحث خامل ، او ايقاظ كسلان ، فهى لا تطعم الجوعان ، ولا تسقى الظمان ولا تقيم سقفا يستظل به الشريد .


جورباتشوف


دنج سياوبنج

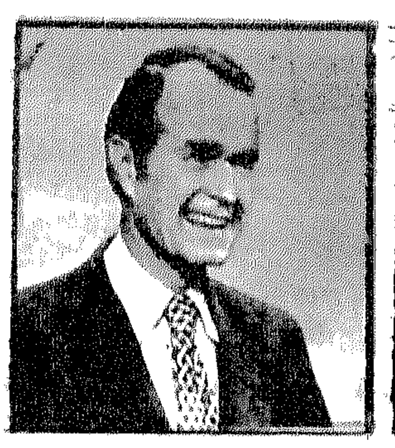
السعى الى البلاط الاصفر

بقلم: عبد الرحمن شاكر

● وليس على ميخائيل جورباتشوف ، أن يسعى هو لدى الصين ، محييا تقاليد تلك الدولة الكبيرة العريقة فى أن يسعى الناس إلى « أباطرتها » أو حكامها ولا يسعون هم إلى أحد ! وليس على هذا الزعيم اللامع ، أن يكرر مع تلك الجارة العريقة ما فعله مع الهند حينما زارها للقاء راجيف غاندى فى نيودلهى ، مع فارق كبير بين الزيارتين ، أنه فى الهند كان يبدو متفضلا على أصدقائه هناك ، أما فى الصين فسوف يبدو معتذرا كل الاعتذار عن اساءات قديمة من جانب أسلافه . وخاصة خروشوف الذى بدأت القطيعة فى ايامه ، وبريجنيف الذى ورط الاتحاد السوفييتى فى مواقف سياسية اشمأزت منها الصين ، سواء فى ذلك مساعدته فيتنام على احتلال كمبوتشيا جارة الصين وحليفتها ، أو التدخل العسكرى السوفييتى فى أفغانستان ، ذلك التدخل الذى اعتبره جورباتشوف خطأ سياسيا


ماوتسي تونج


راجيف غاندى


جـورج بـوش

الساعى إلى البلاط الأصفر هذه المرة ـ بلاط الصين ـ هو ميخائيل جورباتشوف ، اكثر النجوم السياسية لمعانا فى عالم اليوم ، حيث أرسل وزير خارجيته إدوارد شيفلرنادزه ، إلى الصين ، لكى يمهد للقاء مرتقب بينه ـ اى جورباتشوف ، والزعيم الصينى الكبير دنج سياوبنج ، وتم الاتفاق على أن يكون اللقاء بينهما بناء على دعوة من الصين للزعيم السوفييتي كي يزورها ، ويلتقى مع زعيمها على أرضها ، بعد قطيعة سياسية وأيديولوجية ، بين الدولتين الاشتراكيتين الكبيرتين ، دامت حوالى ثلاثين عاما ، منذ لقاء خروشوف وماوتسى تونج ، وانتهى الأمر بينهما إلى خلاف مرير ، وصل إلى حد الاقتتال بينهما على الحدود .

كبيرا من جانب أسلافه ، وقد أساء الى الاتحاد السوفييتي ذاته ، قدر إساءة التدخل الامريكي فى فيتنام الى الولايات المتحدة الأمريكية والأرجح ألا يتم اللقاء بين جورباتشوف ودنج سياوبنج ، إلا وقد اتم السوفييت انسحابهم من أفغانستان ، قبيل الموعد المضروب من جانبهم لذلك وهو منتصف فبراير من العام الحالى . وكان ذلك أحد شروط دنج سياوبنج لكى يقبل أن يلتقى مع جورباتشوف .

وليس أيضا سعى جورباتشوف إلى لقاء زعيم الصين من نوع زيارته لنيويورك فى أواخر العلم الماضى ، حيث ذهب اليها كرئيس دولة من حقه أن يوجه بيانا باسم دولته ـ من على منبر الأمم المتحدة فى مقرها هناك ، فى تلك المدينة الأمريكية ، وان كان قد انتهز الفرصة لكى يلتقى أو يجدد لقاءه مع الرئيس الأمريكى السابق رونالد ريجان ، ويتعرف إلى خليفته الرئيس الحالى جورج بوش . وفى تلك

السعى إلى

الزيارة فجر جورباتشوف قنبلته « السلمية » الجديدة أن صح التعبير ، وهى إعلانه تخفيض القوات السوفيتية فى أوربا بمقدار نصف مليون رجل وعدة عشرات من ألوف الدبابات ، تلك القنبلة التى كان من شأنها أن يكون لها دوى أكبر مما حظيت به ، وخاصة لو أتبعها بزيارة الى واشنطون ، لولا الكارثة التى حاقت ببلاده وهى الزلزال الفظيع فى أرمينيا ، وكان ذلك من سوء حظ جورباتشوف ، الذى أتاح للأمريكيين بدورهم أن يبدوا متفضلين عليه وعلى بلاده ، بالمعونات التى قدموها اليها لمواجهة تلك الكارثة ، التى كشفت عن نقص كبير فى الاستعدادات السوفييتية لمواجهة أمثالها !

على أن كل تلك الزيارات مجتمعة ، التى سوف يتوجها لقاؤه مع زعيم الصين ، سوف يسجلها التاريخ لجورباتشوف ، باعتبارها سلسلة واحدة من مساعيه السلمية للوصول إلى أفضل صيغة للعلاقات الدولية ، فى زمان أن فيه للبشرية أن تتحد لمواجهة مشاكل الوجود الانسانى على هذه الأرض ، بعد أن أصبح الصراع الذى فرق العالم طويلا أمرا لايمكن استمراره ، وإذا ترك يستمر إلى مداه وينقلب إلى صراع مسلح ، ولو عن طريق الحروب الصغيرة ، واحتمال انفلاتها إلى حرب عالمية ، لكان معناه الفناء المحقق للجنس الانسانى وحياته على الأرض . فماذا يمكن أن يدور حوله ويتمخض عنه اللقاء المرتقب بين زعيم الصين ، والساعى إلى لقائه ـ ميخائيل جورباتشوف

● أستاذ فى البريسترويكا

وربما كان الحق الشخصى لزعيم الصينى دنج سياوبنج فى أن يسعى إليه الزعيم السوفييتى جورباتشوف ، ليس فى كونه ـ أى دنج ـ يكبره بأكثر من ربع قرن فحسب ، بل لأنه أيضا ، إذا كان جورباتشوف ، قد اكتسب شهرته العالمية المدوية من سياسته الجديدة ، التى أطلق عليها اسم « بريسترويكا » أى إعادة البناء ، فإن الصين بزعامة دنج كانت سباقة فى هذا الطريق ، وخاصة بالنسبة للعودة إلى اقتصاديات السوق ، لاعادة الانتعاش إلى الحياة الاقتصادية الراكدة ، وفتح الأبواب للدوائر الرأسمالية للغرب فى مشاريع مشتركة للاستفادة من قدراتها المالية من ناحية ، وابتكاراتها التكنولوجية الجديدة من ناحية أخرى . وعلى طريقة الصين ، حيث غالت فى الماضى فى أيام ماوتسى تونج ، وثورته الثقافية ، فى محاولة للوصول إلى المساواة « الشيوعية » بسرعة ، إلى حد تجاهل الفروق بين العمل الذهنى والعمل اليدوى ، واجبار أساتذة الجامعات على العمل فى الحقول ردحا من وقتهم تحقيقا لتلك المساواة ، الأمر الذى ألحق أشد الضرر بالاقتصاد الصينى فى مجموعه ، رغم انجازاته التى لا تذكر بعد الثورة وخاصة فى التطور الصناعى ، أقول بنفس الطريقة فإن الصين تغالى حاليا فى عملية انفتاحها على « البحرى » كما يقال عندنا ، حتى إن

مقاطعة « كانتون » التى كانت هى مهد الثورة الصينية ، قد أصبحت مصرس المثل فى الانفتاح ، وقد تحقق فيها قدر كبير من الازدهار الاقتصادى ، خلال المشاريع الخاصة والمشاريع المشتركة مع الدول الراسمالية ، واستتبع ذلك استدخال أنماط غربية واسعة النطاق فى الحياة الاجتماعية ، من الأزياء إلى اعلانات النيون إلى اسطوانات الديسكو ، إلى عديد من مظاهر «الانحلال البرجوازى » ، الذى ينظر إليه الشيوعيون التقليديون نظرة استنكار ، تجعل بعضهم يتحدث عن اختناق الشيوعية أو احتضارها فى تلك المقاطعة الصينية التى كانت مهدا لها ! ولعل ضخامة الصين هى التى تسمح لها بهذا النوع من التجارب « والمغامرات » ، سواء فى ثورة ماو الثقافية أو ثورة دنج الانفتاحية .

سوف يكون من صالح جورباتشوف وبلاده أن يرى ثمار التجربة الصينية ، بما فيها تجربة مقاطعة كانتون ، التى يقال إنها على وشك أن تنافس تايوان وكوريا الجنوبية فى انتاجها ذى الطابع الغربى ، ويرى لنفسه ولبلاده ، ويتناجى مع دنج سياوبنج فى المدى الذى يستطيع أن يحتمله المجتمع الاشتراكى من الانفتاح على الغرب الرأسمالى ، وما إذا كان فى استطاعة هذا المجتمع الاحتفاظ بالتزاماته الاجتماعية ، بما فى ذلك حق العمل للجميع ، أو ضرورة الخضوع لكل مقتضيات السوق بما فى ذلك السماح بحد معين من البطالة .

ولقد يكون كل من جورباتشوف ودنج سياوبنج متفقين على أن تبقى للحزب الشيوعى اليد العليا فى شئون الدولة ، ويبقى هو الحزب الواحد الحاكم هناك ، مع قدر من الانفتاح السياسى ، الذى يبيح حرية النقد وربما الصحافة ، وسيادة القانون ، **ولكن كلا منهما بالتأكيد يحمل هموم رياح الليبرالية التى تهب بشدة على المجتمعات الاشتراكية عموما ، منها الحركة الطلابية التى شهدتها الصين أخيرا والتى تنادى بتعدد الأحزاب ، واشد تلك الرياح ما يعتور البلدان الاشتراكية الصغيرة فى شرق أوربا ، وهى الأكثر قربا فى دول المنظومة الاشتراكية من الغرب ، فهناك بولندا التى قررت حكومتها التصالح مع نقابة تضامن المستقلة . والمجر التى أقر برلمانها بالفعل تعدد الأحزاب السياسية ، مما يعنى لو تم تحقيقه تنازل الحزب الشيوعى المجرى عن استئثاره بالحكم ، والتخلى نهائيا عن نظرية ديكتاتورية البروليتاريا طبقا للتصور اللينينى ، ويجعل المجر أقرب فى نظامها الاشتراكى من الناحية السياسية ، إلى بعض دول الغرب ، التى تحكمها أحزاب اشتراكية ديموقراطية ، على استعداد للتخلى عن مواقعها فى السلطة ، لو حكمت عليها صناديق الانتخاب بذلك .**

وعلى النقيض من تلك الصورة فى شرق أوربا ، البلد الاشتراكى المتمرد من قديم على الاتحاد السوفييتى والارتباط

السياسى والاقتصادى به ، وهو يوغوسلافيا ، التى تتفاقم فيها المشكلة الاقتصادية مرتبطة بمشاكل القوميات على صورة مصغرة مركزة ، مما يعانى منه الاتحاد السوفييتى ذاته ، وفى مواجهة التيارات الليبرالية المنادية بتعدد الأحزاب ، يكاد الحزب الحاكم ذاته وهو ما يسمى « رابطة الشيوعيين » أن يتمزق تحت وطأة الخلافات والانقسامات القومية ، ويهدد الجيش هناك . بوضع حل يناقض تماما الحل الليبرالى ، وهو فرض الديكتاتورية العسكرية للحيلولة دون مزيد من التمزق والخراب السياسى والاقتصادى هناك !

● القوى البشرية الكبرى

ربما يكون ما تقدم هو بعض مايتناجى فيه الزعيمان الشيوعيان جورباتشوف ودنج سياوبنج فى لقائهما المرتقب ، بهدف الوصول إلى نوع من الوحدة الايديولوجية باعتبارهما زعيمى الدولتين الاشتراكيتين الكبريين فى العالم ، ويحملان معا هموم معسكر الاشتراكية من النواحى السياسية والاقتصادية والنظرية جميعا ، ولكن حديثهما لابد وأن يتطرق إلى الهند جارتهما الكبرى فى آسيا ، والتى كان الخلاف بينها وبين الصين ، لايقل ضراوة عن خلاف الأخيرة بل صراعها مع الاتحاد السوفييتى ، وكان ذلك أحد عناصر التقريب ما بين الاتحاد السوفييتى والهند فى مواجهتهما المشتركة للصين ، التى لم تتردد فى أن تمد يدها للغرب وللدول الموالية له فى آسيا وخاصة باكستان عدو الهند التقليدى !

لقد حرص جورباتشوف على أن يؤكد لراجيف غاندى فى زيارته للهند أن تقارب بلاده من جديد مع الصين ، لن يكون سبيله الاضرار بمصالح الهند وصداقتها الراسخة للسوفييت ، وفى مناجاته المرتقبة مع دنج سياوبنج لابد وان يتذكر الرجلان كلمات لنين المشهورة عن أن أهم حقيقة بشرية ، هى أن الاتحاد السوفييتى والصين والهند تشكل أضخم كتلة بشرية فى العالم ، وأن مستقبل العالم سوف يكون مرتهنا بذلك إلى حد بعيد .

ولقد كان الصراع الذى نشأ ما بين تلك الكتل البشرية الكبرى هو الذى أتاح للغرب الرأسمالى سطوة عظمى فى الشئون الدولية ، بالاضافة إلى التقدم الذى أحرزه عبر الثورة التكنولوجية ، وصعود قوى رئيسية جديدة فى الاقتصاد العالمى فى مقدمتها اليابان . تلك الثورة التى يحاول اللحاق بها كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، وسائر الدول الاشتراكية عن طريق البريسترويكا

والانفتاح الاقتصادى فى الصين .

ولكن النظرة التاريخية ، وبالرغم من كل ما يزعمه خصوم الاشتراكية من « إفلاسها » بسبب احتياجها الحالى إلى اكتساب ثمار الثورة التكنولوجية فى الغرب ، هذه النظرة توجب المقارنة بين ما كان عليه الوضع قبل الحرب العالمية الثانية والوضع الحالى لهذه البلاد الثلاثة ، فقبل تلك الحرب وأثناءها ، كانت الهند مستعمرة بريطانية ، وكانت الصين دولة ممزقة تحاول اليابان أن تحتلها من خلال احتلالها لكوريا ومقاطعة منشوريا المجاورة لها ، وكان الاتحاد السوفييتى يواجه محاولة مماثلة من جانب ألمانيا النازية لاحتلاله وتدمير نظاميه السياسى والاقتصادى على الأقل ، فما هو الوضع الآن ؟ !

الاتحاد السوفييتى إحدى القوتين العظميين فى العالم ، بفضل تقدمه الصناعى الذى تركز أساسا على صنع السلاح ، على نحو يجعل الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية مضطرا إلى قبول التفاهم والتعايش السلمى معه ، أما الصين فبفضل ثورتها وتحررها وتوحدها وتصنيعها أصبحت ولاتزال القوة الاسيوية الكبرى المرهوبة الجانب ، أما الهند المستقلة ، فقد أصبحت إحدى دول العالم الصناعية الرئيسية حيث تحتل المركز التاسع من بين هذه الدول ولو من ناحية كمية الانتاج .

إن ذلك تبدل كبير جدا طرأ على تلك الدول وعلى العالم بدوره وقد طمست بعض معالم صراعاتها القديمة ، أما أعداؤها التقليديون ، كاليابان وألمانيا ، فالبرغم من التقدم الصناعى والتكنولوجى الذى تشهدانه الآن ، إلا أنهما لم تعودا تمثلان خطرا على تلك الكتلة البشرية الكبرى ، بل على العكس تبدو تلك الكتلة فى تلك البلدان الثلاثة بمثابة سوق هائلة تسيل لعاب الدوائر الصناعية والمالية فى هذين البلدين وغيرهما من بلدان الغرب الصناعية للتعامل معها . ولم تكن تلك الكتلة الكبرى لتصل إلى هذه المنزلة إلا بالثورة الاشتراكية فى كل من الاتحاد السوفييتى والصين ، أما الهند فهى بدورها دولة اشتراكية ديموقراطية على الطراز الغربى ، ومع بريسترويكا جورباتشوف ، **وانفتاح الصين ، فإن تقاربا محتوما ما بين التجارب الاشتراكية المختلفة الأصول يشق طريقه الآن ، وربما على دربه تجد تلك القوى البشرية الكبرى سبيلها الموحد لكى يكون لها الأثر الحاسم على مستقبل هذا العالم .**

في ذكرى أربعين عاما على رحيله :

حسن البنا والتجديد الديني

بقلم : د. محمد عمارة

من بين الأديان جميعا يتميز الاسلام ويمتاز باعلانه الانحياز الى « التجديد » .. ليس في أمور « الدنيا » وحدها - وهي دائمة التغير، بفعل قانون « التطور » والتحول الذي قرر الاسلام انه واحد من سنن الله في كونه ، والتي لن تجد لها تبديلا ولاتحويلا ! وانما ايضا في شئون « الدين » ؟!

فإذا تصورنا السيف المرهف ، تصيبه عوامل الدهر والطبيعة بالصدأ الذي يفل من مضائه ، فكذلك المنظومات الفكرية ، ومنها الدين ، تصيبها بمرور القرون امراض البدع والخرافات ، وتطرأ على تعاليمها أدواء الانتقاص والاضافات ..

ولما كان الله سبحانه قد كفل وتكفل بحفظ الرسالة الخاتمة ، ديانة الاسلام ، فلقد قرر الاسلام ضمن ماقرر الانحياز الى « التجديد » باعتباره القانون الفاعل في حفظ النقاء لعقائد الدين وتعاليمه ، بكشف جوهرها ، ونفي البدع والخرافات والاضافات عنها ، كلما طرأت عليها أمراضها وشوائبها لاى سبب من الأسباب .. ففي السنة النبوية الشريفة نقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن الله يبعث لهذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها »(١) .. وعلى مر التاريخ الاسلامي توالت مواكب المجددين .. آئمة مجتهدين ودعوات وتنظيمات ..

● وفي عصرنا الحديث ، كانت (جماعة الاخوان المسلمين) واحدة من الجماعات التي تصدت للغزو الفكري ولمخاطر « التغريب » التي أحدقت بالهوية الاسلامية لأمتنا ، وركزت اغلب جهدها في هذا الميدان . ولكن ذلك ل يطمس قسمة التجديد في فكر هذ الجماعة ، ولم يحرمها من فضيلة نق « التخلف الموروث » ؟!

فالتخلف الذي انحدر الى الواق

حسن البنا

المعاصر من العصر المملوكي العثماني ، كان هدفا واجهته دعوة (الاخوان) ، وسعت الى تغييره بالتجديد الديني وبإعادة الأمة الى اسلامها الصحيح ، إيمانا بالحقيقة التى استقرت فى دنيا الفكر الاسلامي ، عبر تاريخه ، والتى تقول إن تجديد « دنيا » المسلمين انما هو رهن بتجديد « دينهم » الذى به يؤمنون ؟!

فهم لم يحاربوا « التغريب » دفاعا عن الفكرية السائدة للاسلام فى أذهان العامة أو فى تصورات وتطبيقات « المؤسسات الدينية » التقليدية ، بل كانوا فصيلة داعية للتجديد الدينى ، وان يكن فى حدود !.

ولذلك وجدناهم عند التحليل « الموروث » عن السلف يميزون بين « **الدين** » كما تمثل ويتمثل فى منابعه النقية ، قرآنا وسنة ، وبين « **الفكر** » الذى مثل « **لون عصره** » و« **قضايا المجتمع الذى نشا فيه** » .. فـ « **الدين** » ملزم .. أما هذا « **الفكر** » فهو غير ملزم ، ثم إن فيه « النافع » وفيه « الضار » الذى يجب تجاوزه بالتجديد .

● نقد الموروث

وهم فى تحليلهم لما أصاب « الاسلام **السياسى** » والدولة الاسلامية عبر **مسيرتها** التاريخية لم يدافعوا عن « **الموروث** » الذى ساد فى العصور « **المملوكية** ـ العثمانية » ذلك الذى اتاح الفرص وفتح الثغرات « لوافد التغريب » . بل قالوا ان الانقطاع قد أصاب ازدهار الدولة الاسلامية ، فتحللت عوامل قوتها .. ثم رصدوا ـ على لسان الاستاذ حسن البنا (١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م) « اهم عوامل التحلل فى كيان الدولة الاسلامية » فى هذه الاسباب :

أ ـ الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه ..

ب ـ الخلافات الدينية والمذهبية ..

جـ ـ الانغماس فى ألوان الترف والنعيم .

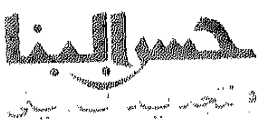
د ـ انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب ، من الفرس تارة والديلم تارة اخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الاسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه

هـ ـ إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية ، وصرف الأوقات وتضييع الجهود فى فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة .

و ـ غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم ، واهمال النظر فى التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم ، حتى سبقتهم فى الاستعداد والاهبة واخذتهم على غرة .

ز ـ الانخداع بدسائس المتملقين من





خصومهم والاعجاب باعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع فى تقليدهم فيما يضر ولاينفع[٢]

ونحن عندما نتأمل فى هذه العوامل التى حددها الامام المرشد ، لتحلل كيان الدولة الاسلامية ، نجد فيها « النقد » بل « والادانة » للنمط « المملوكى ـ العثمانى » ومن ثم ندرك لماذا كان فى نهج (الاخوان) مواجهة « التخلف العثمانى » بالتجديد الدينى ، وصولا الى هدف : تغيير الواقع الموروث ، بتغيير واصلاح مافسد من العقائد والتصورات لتصح الممارسات بصحة المعتقدات !

لقد كان واضحا لدى (الاخوان) انهم ليسوا « كالمؤسسات الدينية » التقليدية ـ الشرعية منها والصوفية ـ المنكفئة على الذات والمتشبثة بالموروث ، والمدافعة عن « كل الواقع » .. وكان واضحا لديهم كذلك انهم دعاة تجديد .. وبعبارة الاستاذ البنا : « **فالاخوان .. دعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب** »[٣]

وهذا النهج التجديدى ، كما هو واضح ، لم يكن مجرد « تجديد فكرى » ترقى به أذهان « الصفوة » أو تستمتع به عقول « النخبة » وانما كان تجديد « حياة الامم والشعوب » فالاخوان دعوة تتوجه الى الجماهير والعامة تبغى خلق الفرد المسلم .. والأسرة المسلمة .. والأمم المسلمة[٤] ، انطلاقا من العقيدة الاسلامية والحركة التى تضع هذه العقيدة فى الممارسة والتطبيق .

وبسبب من توجه الدعوة الى « الجمهور » ولا « للصفوة » أساسا ـ كما كان الحال فى تيار « الجامعة الاسلامية » ـ تميزت دعوة (الاخوان المسلمين) بمرونة وشمولية و« توفيقية » ـ لاتعيبها كثيرا ـ اضفتها على نهجها شخصية مرشدها العام وماتميزت به هذه الشخصية من مرونة تجمع ولاتفرق ، و« توفيقية » تبلغ الذروة فى الذكاء ؟! فكان (الاخوان) ـ كما يقول الاستاذ البنا

« ١ ـ **دعوة سلفية** .. ٢ ـ **وطريقة سنية** .. ٣ ـ **وحقيقة صوفية** .. ٤ ـ **وهيئة سياسية** : لأنهم يطالبون باصلاح الحكم فى الداخل ، وتعديل النظر فى صلة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج ، وتربية الشعب على العزة والكرامة ، والحرص على قوميته الى ابعد حد .. ٥ ـ **وجماعة رياضية** .. ٦ ـ **ورابطة علمية ثقافية** .. ٧ ـ **وشركة اقتصادية** .. ٨ ـ **وفكرة اجتماعية** .. »[٥]؟! كانوا كل ذلك فى وقت ولحد ، لأنهم توجهوا الى جمهور تربطه خيوط بهدف أو أكثر من هذه الأهداف .

و(الاخوان) اذا كانوا قد استعانوا « بالنهج الصوفى » فى تربية الاعضاء ، والارتقاء بهم فى مراتب العضوية بالجماعة ، فان نهجهم « السلفى ـ السنى » يصنفهم فى الدعوات التجديدية التى نهضت تنفض غبار العصور « المملوكية ـ العثمانية » الذى تراكم على عقائد الاسلام وتصورات المسلمين .. فالسلفية فى مثل موقفهم ، قد عنت : إسقاط ركام الخرافات والشعوذة

والاضافات التى غدت تكون « الفكرية العثمانية » والعودة بشجاعة ثورية الى المنابع الأولى والاصلية والنقية للاسلام .. **لقد كان « التجديد » فى الدين وسيظل موقفا سلفيا ... وكان وسيظل موقفا ثوريا ، لأنه يعنى الرفض للزوائد التى افقدت الدين ثوريته وفاعليته والعودة الى الينابيع النقية حتى تعود لعقائد الدين طهارتها ووضاءتها الامر الذى يحرر « حركة » المسلمين من القيود التى طرأت فى شكل بدع وخرافات واضافات على المعتقدات .**

وحتى تكون هذه « السلفية » تحريرا للعقل ، وللحركة .. فلقد التزمت التمييز بين « الثوابت » وبين « المتغيرات » .. واحتضنت « المنبع » لنقائه ومرونته ووقوفه عند « الكليات » واجتنابه « التفاصيل والجزئيات » المقيدة للحركة والمعاكسة لمقتضيات التطور والجديد ..

وفى نص من النصوص الهامة يحدد الاستاذ البنا النهج السلفى لدعوة (الاخوان المسلمين) فيقول : « **يعتقد الاخوان أن أساس التعاليم الاسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى ، وسنة رسوله ، صلى الله عليه وسلم ..**

وان كثيرا من الاراء والعلوم التى اتصلت بالاسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى اوجدتها والشعوب التى عاصرتها ، ولهذا يجب ان تستقى النظم الاسلامية ، التى تحمل عليها الامة ، من هذا المعين الصافى معين السهولة الاولى ، وان نفهم الاسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم وان نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لانقيد انفسنا بغير مايقيدنا به الله ، ولانلزم عصرنا لون عصر لايتفق معه ، والاسلام دين البشرية جمعاء »[٦]

فهذه السلفية التجديدية ، كما عبر عنها الاستاذ البنا فى كلماته هذه تحاكى ذات السلفية التى دعا اليها مجددو تيار « الجامعة الاسلامية » عندما دعوا الى « تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الامة قبل ظهور الخلاف والرجوع فى كسب معارفه الى ينابيعها الاولى[٧]

● الموقف من العقل

واذا كانت « سلفية الاخوان » لم تبلغ فى انحيازها الى « العقل والعقلانية » مبلغ « سلفية تيار الجامعة الاسلامية » لتوجه دعوة (الاخوان) الى العامة والجمهور - لا « للصفوة » كما كان حال تيار « الجامعة الاسلامية » - فانها لم تتنكر للعقل والعقلانية كما قد يظن .. فهى لم تقف عند ظواهر النصوص ، كما صنعت السلفية الوهابية ، التى اتخذت من « العقل » وطرائقه - كالرأى والقياس والتأويل - موقفا غير ودى .. بل كان « للعقل والعقلانية » فى نهج (الاخوان) مكان ان لم يكن بارزا فهو ملحوظ !

لقد قطع الاستاذ البنا باستحالة الخلاف والصدام بين « النظر العقلى » و« النظر الشرعى » فى الأمور « القطعية » .. ورأى أن بعض المجالات مختص بواحد من سبل النظر دون الاخر . كالالهيات ، مثلا .. « فذات الله ، تبارك تعالى ، اكبر من ان تحيط بها العقول البشرية أو تدركها الافكار الانسانية لانها مهما بلغت من العلو والادراك محدودة القوة ، محصورة القدرة



. فالعقل البشرى قاصر عن ادراك حقائق الأشياء »[^] في مثل هذه الميادين .. ولذلك فان « الاسلام قد أرشد العقول الى التزام حدها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها الى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا)[٩] وقال تعالى : (وقل رب زدني علما[١٠] » .

واذا كانت « طبيعة المبحث » هى التى تحدد اداة النظر فيه ، وهل الاولى ان تكون « العقل » أو « الشـرع » فان خلافهما انما يكون فى « الظاهر » وفيما هو « ظنى » لم يبلغ فيه أحدهما مرتبة « اليقين » .. « فقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى مالايدخل فى دائرة الاخر ، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى ، **فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة ، ويؤول الظنى منهما ليتفق مع القطعى فان كانا ظنيين فالنظر الشرعى اولى بالاتباع حتى يثبت العقلى او ينهار »[١١]**

واذا كان الاسلام قد رفض « غرور العقل » و« انفراده بالنظر » فى كل الميادين ، ودعا الى التوازن بين نظره وبين النظر الشرعى .. فانه « لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول[١٢] .. بل جاء يحرر العقل ، ويحث على النظر فى الكون ، ويرفع قدر العلم والعلماء ، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء . « والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها[١٣] .. [١٤] .

وهذا الموقف الاسلامى الوسط ازاء « العقل والعقلانية » نابع من التمييز بين مجالات البحث وطبائع الأشياء موضوع النظر .. فمن هذه المجالات ماتكون السيادة فيه للنظر العقلى ، ومنها ماتكون السيادة فيه للنظر الشرعى هذا الموقف الاسلامى هو الذى يرفض الخرافة المتنكرة للعقل كما يرفض المادية المنكرة لعالم الغيب والمجهول .. فيتميز عن « الايمان الأسطورى » وعن « العقلانية اليونانية ـ الاوربية » التى انكرت الوحى ووقفت عند النظر العقلى وحده .. واذا كان تاريخ « العقل البشرى » يشهد على تذبذبه » بين :

١ ـ طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب ..

٢ ـ وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول ..

وكلا هذين اللونين من الوان التفكير خطأ صريح ، وغلو فاحش ، وجهالة من الانسان بما يحيط بالانسان .

● البراءة من الغلو

لكن هدد الدعوة التجديدية ـ دعوة (الاخـوان) التى واجهت « التخلف المملوكى ـ العثمانى » بهذه « السلفية ـ المجددة » لم تبلغ فى نقدها لمواقع المسلمين حد الغلو الذى بلغته دعوات اسلامية عاصرتها او لحقتها ، عندما حكمت « بالجاهلية » او « بالكفر » او بهما معا على هذا الواقع الذى يعيش فيه المسلمون ..

لقد عمل (الاخـوان) من خلال المجتمع لا من موقع الذى يدينه وينعزل عنه في استعلاء ! .. وكما سلطوا الضوء على « الوافد » غير الاسلامى « موروثا »

كان او « غربيا حديثا » كذلك احتضنوا ما حفظ المسلمون من اسلامهم فقط طلبوا استكمال الناقص وتكامل المتفرق وتصحيح الخاطىء واخذ الاسلام بجد كنظام شامل للدنيا والاخرة والفرد والاسرة والامة جميعا .. لقد رفضوا « تكفير » الفرد "بالمعصية" حتى ولو كانت « كبيرة » وكتب الاستاذ البنا يقول . **إننا « لانكفر مسلما أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وادى الفرائض - برای او معصية - الا ان اقر بكلمة الكفر او انكر معلوما من الدين بالضرورة او كذب صريح القرآن او فسره على وجه لاتحتمله اساليب اللغة العربية بحال ، او عمل عملا لايحتمل تأويلا غير الكفر »**(١٦)

كذلك هم لايكفرون « المجتمع » بسبب ابتعاد نظمه الحياتية فى كثير من جوانبها عن شريعة الاسلام بل يرونه « ناقص الاسلام » لكنه « النقص » الذى لايدخله « فى الكفر » او « الجاهلية » .. والامام المرشد يتحدث عن المجتمع المصرى فيبرز - فى حنو الداعية - ما فيه من ايجابيات ، ثم يدعو فى لين وهوادة الى استكمال النواقص وتلافى السلبيات فيقول . « لقد اندمجت مصر بكليتها فى الاسلام بكليته ، عقيدته ولغته وحضارته ، ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين .. وليس تفريطها فيه بالشىء الهين ، ولا ابعادها عنه بالامر المستطاع مهما بذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة .. ومن هنا بدت **مظاهر الاسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة فى كثير من جوانب الحياة المصرية فاسماؤها اسلامية ولغتها عربية وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء وهذه مشاعرنا لاتهتز لشىء اهتزازها للاسلام ومايتصل بالاسلام كل ذلك حق .**

ثم يمضى الاستاذ البنا فيركز النقد على « الوافد الغربى » الذى شوه بروحه المادية اسلامية المجتمع وانتقص منها .. فيقول « ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزوا قويا ، بالعلم والمال وبالسياسة والترف· والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل ، فاعجبنا بها ، وركنا اليها ، واثر هذا الغزو فينا ابلغ الاثر ، **وانحسر ظل الفكرة الاسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية فى كثير من شئونها الهامة واندفعنا نغير اوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الاوربية وحصرنا سلطان الاسلام فى حياتنا على القلوب والمحاريب وفصلنا عنه شئون الحياة العملية .**

انه لايدين المجتمع بالارتداد الى « الجاهلية » او « الكفر » بعد الايمان ! وانما يدعو الى استكمال الاسلام الناقص ، والغاء الثنائية التى اثمرتها الغزوة الحضارية الغربية .. انه يستنهض هذه الامة الى استكمال اسلامها بتحقيق « استقلالها الحضارى » عن الاعداء .

وكما يكون الاعداء غزاة جاءوا لطمس الهوية الاسلامية « بالتغريب » فلقد يكونون ممن يتزيون بزى الامة ويتحدثون لغتها بل ويتعصبون لها . لكنهم يطمسون نقاء هويتها وجوهر فكريتها بما يضيفونه الى دينها من اضافات وشعوذات وبدع وخزافات .



وثائق هيكل تتكلم

كيف انزلقت مصر إلى هزيمة ٦٧ ؟!

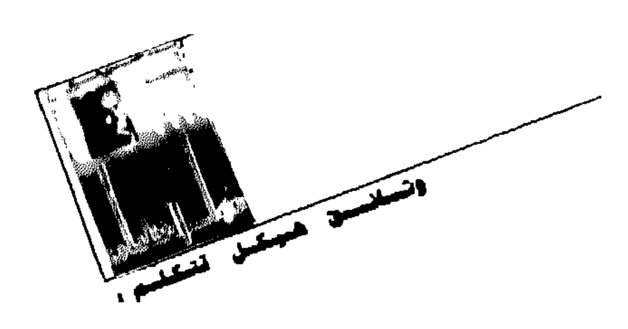
بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

الاستلا محمد حسنين هيكل شخصية مرموقة طبقت شهرتها الافلق ليس فقط فم الوطن العربي بل ليضا في العلم الخلرجي . ولقد لثرت مؤلفلته المكتبة العربية وترج الكثير منها الى عدد كبير من اللغلت الحية الاوربية والامريكية وغيرها . كما ان لكتابلا وزنها لما تتضمنه من لراء صريحة بل وجريئة احيلنا وكل ذلك لم يكن وليد الصدفة ، بل يرتبط ببراعته في العمل الصحفي لمدة تزيد على الاربعين علما استطاع خلالها ان يعقد صلات واسعة النطلق بعدد لاحصر له من السلسة والكتلب في الشرق والغرب ، اهمهم الرئيس الراحل جمال عبد النلصر الذى اتخذ منه صديقا ومستشلرا بعد ان لمس فيه كفاءة نلدرة في التقلط الاخبلر والغوص في اعملقها وفي اعملق الكثيرين الذين تعرف عليهم . وليس عجبا ان يرتبط الرجلان منذ لوائل ثورة يوليو ١٩٥٢ ارتبلطا وثيقا بحيث لن مقالات هيكل الاسبوعية في جريدة الاهرام كلنت مثلرا لاهتملم الدول الكبرى التي كلنت تستشف فيها نوايا عبد النلصر وتوجهلت السيلسة المصرية ، بل ان عبد النلصر كلن يرسله الى الخلرج للاضطلاع ببعض المهلم الحسلسة التي وثقت علاقلته بالمسئولين الكبلر وبكبرى الصحف العلمية .

ومؤلفات هيكل قد اثارت الاهتمام منذ بداية خروجه الى حيز الاضواء · واذكر قبل ثورة يوليو ان كتابه « ايران فوق بركان » قد ضاع من مكتبتي بسبب كثرة من استعاروه من الاصدقاء والزملاء ، ولموضوعية هذا الكتاب ودقة بعض الروايات التى وردت فيه فقد اصبح هيكل موضعا للثقة في ايران بحيث لم يصعب عليه ان يقابل الشاه وزعماء « الثورة الاسلامية » المعاصرة ويبهج كتابه « مدافع ايات الله » · اما فيما يتعلق بالسياسات العربية بوجه عام والمصرية بوجه خاص ، فحدث ولا حرج : فهناك « وثائق القاهرة » و « الطريق الى رمضان » و « خريف الغضب » وغير ذلك مما كان ارهاصا للثلاثية التى خطط لها وظهر منهما جزءان هما « ملفات السويس » و « سنوات الغليان » ونتصدى هنا لاستعراض اهم ما ورد فى هذا الكتاب الاخير مع لفت النظر الى انه و « ملفات السويس » صنوان من حيث العرض والتكنيك والمقدمة الطويلة التى شرح فيها منهجه بالنسبة الى كلا الكتابين ، مضيفا فى كتابه الاخير ردا على بعض ما تواتر فى السابق بصدد « احتكاره » للمعلومات بحكم قربه من الرئيس عبد الناصر ومن الرئيس السادات حتى تصدع علاقتهما على اثر مفاوضات فك الاشتباك فى اعقاب حرب اكتوبر وهو فى هذا المضمار يندد بمن كانوا قريبين من الاحداث لانهم تحدثوا عن انفسهم حين كتبوا ، وحكمت مشاعرهم رؤاهم ، بحيث تحولت وقائع التاريخ الى معارك سياسية اوردت دروس التاريخ « حالة من الضياع لا يستطيع احد فيها ان يعثر على دليل » وكان حرصه على التوثيق « الى حد يتجاوز المعروف والمألوف » تابعا من خشيته أن يكون الحكم عليه شبيها بالحكم على الاخرين ولو أن ذلك لا يبرر التزيد فى هذا المضمار – اذ درجنا ، نحن المؤرخين، على الا نقتبس من الوثيقة الا المعلومات الهامة التى تناسب السياق دون ان يؤدى الاقتباس الى تفكيك الهيكل العام لما نكتبه · ولا يبرر استطراداته انه يصف نفسه فى كتابه الاخير وفى « ملفات السويس » بانه ليس مؤرخا بل « قارىء » للتاريخ وهو اصطلاح لم استطع ان استوعبه تماما – فمن يكتب عن حقبة تاريخية بصورة من الصور انما هو مؤرخ شاء ام ابى · واغرب من هذا انه يذهب الى انه لم يجعل كتابه نوعا من كتابة المذكرات وانه اخرج نفسه بالكامل من دائرة رواية الاحداث برغم المامه بوقائعها فكيف يمكن للرواية او المؤرخ ان يخرج نفسه من عملية التسجيل التى يقوم بها ؟ انه شاء ام ابى عنصر هام من عناصر الكتابة لانه المفكر الفاعل الذى بحكم تكوينه واستعداده يختلف عن غيره مهما حاول ان ينفي ان له بصمة فى استعادة الاحداث سواء بصورة شعورية أم لا شعورية ·

● اهتمام بالغ بالوثائق

وكثير من الوثائق العربية التى اوردها حصل عليها نتيجة لقربه من دائرة السلطة فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر بوجه خاص : فقد اخبرني مرة انه كان يحتفظ باصل الوثائق التى وقعت تحت يده او بصورة منها اذا عز عليه الحصول



على الاصل (١) · ولقد مرت امثـــال هذه الوثائق على الكثيرين ولكنهم لم يهتموا بالاحتفاظ بصور منها وهـــو ما فعله هيكل الذى يود ان يستغل فرصة الحصول عليها فى استعمالها فى الكتابة حين تتاح له الفرصة اما التوثيق من مصادر اجنبية فلم يقـل اتساعا وتنوعا من المصادر العربية· وقد استعان بصداقاته الواسعة فى الخارج فى تعقب موضوعات اهتمامه فى مكانها من مجموعات اوراق رؤساء الدول وملفات وزارات الخارجية بل فى تقارير كثير من اجهزة المخابرات فى اوربا وامريكا وغيرها وهكذا فقد قرأ اكثر من ٦ر٠٠٠ وثيقة لم يستعمل منها بصورة مباشرة غير اقلها وهو ما يحدث عادة لمن يستعينون بمثل هذه الوثائق التى يجدون فى بعضها معلومات قد لاتخدم الموضوع المقترح او ان بعضها يكرر بعضها بعضا ··

وهو يطلق على المرحلة الممتدة ما بين عامى ١٩٥٧ و ١٩٨٥ اسم حرب الثلاثين سنة على اعتبار ان هذه الفترة شهدت صعود ثم تراجع الحركة الثورية العربية وجرت فيها ثلاث معارك رئيسية ، هى معركة السويس (فى عام ١٩٥٦) ومعركة سيناء عام ١٩٦٧ ومعركة العبور (١٩٧٣) _ وكلها فى رأيه معارك فى حرب واحدة · ومعركة سيناء التى يتناول هذا الكتاب مقدماتها هى فى رأيه اكثر المعارك الثلاث غموضا واشدها تعقيدا ، ولهذا قسم دراستها الى قسمين : (١) سنوات الغليان (٢) الانفجار · وهو يبدأ موضوعه بحرب السويس نظرا لما بينهما وبين معركة سيناء من تداخل ولو انه يقر بورود محاذير التكرار ، رغم محاولته تلافى آثارها بقدر الامكان بالبحث عن وقائع جديدة ووثائق مختلفة تعبر عن حقائق كانت موجودة فى الصراع سابقا وظلت موجودة فيه لاحقا ·

وفى عرضه يبرز الدور الذى قام به جمال عبد الناصر خلال الفترة التى يتناولها الكتاب ويعتذر عن التركيز عليه بانه لم تكن له حيلة فى ذلك لان عبدالناصر كان هو الشخصية المؤثرة فى فى تعاقب الاحداث بعد ان اصبح زعيما للامة العربية منذ عقد صفقة الاسلحة التشيكية فى عام ١٩٥٥ · ورغم اهمية الدور الذى قام به عبد الناصر ورغم علاقة الصداقة التى ربطته بهيكل فان هذا الاخير لا يتردد فى تسجيل بعض اخطاء عبد الناصر ومن ذلك اطلاقه يد عبد الحكيم عامر فى قيادة الجيش

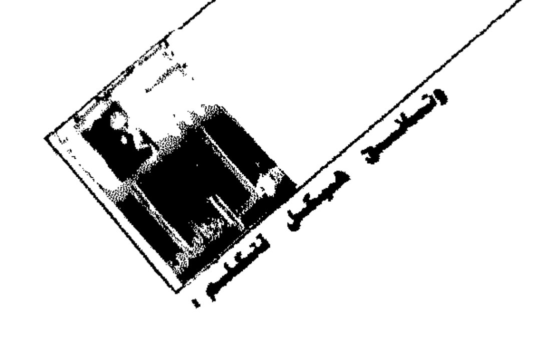
(١) ومن ذلك ما يرويه فى هامش بصفحة ٦٢ ، عن انه حين أراه عبد الحكيم عامر فى اغسطس ١٩٦٧ الخطابات التى ارسلها اليه عبد الناصر حين كان حاكما لسوريا ، وكانت مكتوبة بخط عبد الناصر استأذنه هيكل فى تصويرها فاذن بشرط الا تخرج من بيته وان يتم تصويرها داخله فدعا بالتليفون مصورا من « الاهرام » قام بالتقاط صور لمجموعة الرسائل كاملة ، وهى الرسائل التى احتفظ بها هيكل وصور مقتطفات منها فى ملاحق كتاب « سنوات الغليان » ·

المصرى بعد فشله فى مواجهة العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ وعدم تخلصه منه بعد انفصال سوريا فى عام ١٩٦١ كما يحمله قدرا كبيرا من مسئولية ما حدث فى عام ١٩٦٧ ولو انه لايعفى الولايات المتحدة من الدور الذى لعبته فى تطور الاحداث خاصة وان بعض الوثائق التى اطلع عليها اشارت الى أن المخابرات الامريكية رأت الا وسيلة ازاء مصر عبد الناصر سوى بديلين هما الاغتيال والتعرض لهزيمة ساحقة امام اسرائيل ، وبهذا الصدد نجده يفند الادعاءات التى وردت فى كتاب مايلز كوبلاند « لعبة الامم » الذى ترجم الى اللغة العربية واستعمل فى التشهير بجمال عبد الناصر وثورة يولية ١٩٥٢ ، مستعينا فى كشف حقيقة هذا المغامر بنشر قائمة بمجموعة مراسلات كوبلاند مع هيكل ومع السلطات المصرية وهى مراسلات تكشف حقيقة نشاطات كوبلاند ٠

وبعد هذه اللحظات العامة نعود فنلخص اهم ما جاء فى هذا الكتاب الهام ٠ وهو ينقسم الى ستة ابواب كل منها ينقسم بدوره الى عدة فصول ، هذا بالاضافة الى ملحق وثائقى يحتوى على بعض صور زنكوغرافية لوثائق هامة ٠

ـ وفى الباب الاول يلخص معركة السويس مع ربطها وربط مصر بجذور تاريخية بعضها ممعن فى القدم وبعضها الاخر يتصل بفترات من التاريخ المعاصر اعتبرها مدخلا الى الموضوع الذى سبقت له دراسته فى كتابه « ملفات السويس » ٠ وهنا يتعرض لثورة يوليو ١٩٥٢ وللتيارات العالمية التى بدت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ٠ ويختم هذا الفصل بالقول بأن نهاية الامبراطورية البريطانية فى المشرق التى جاءت بعد انتهاء دور فرنسا فيه قد سجلت بداية فصل جديد من الصراع على الشرق الاوسط وفيه : فقد دخلت الولايات المتحدة الساحة التى بارحتها بريطانيا وفرنسا لتتصدى للقومية العربية الصاعدة بقيادة جمال عبد الناصر وللاتحاد السوفييتى الذى دخل المنطقة باعتباره أهم صديق لهذه القومية ٠

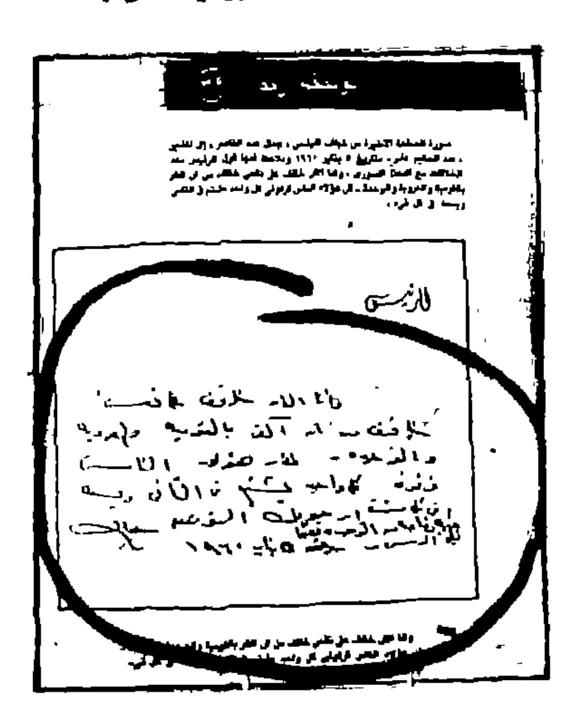
ـ وفى الباب الثانى الذى اختار له عنوان « بداية العصر الامريكى » يستعرض نتائج دخول الولايات المتحدة الى الشرق الاوسط وتزعمها للكتلة الغربية ونشاط مخابراتها فى المنطقة وتصديها للتسلل السوفييتى الذى جاء بعد صفقة الاسلحة التشيكية (أو السوفييتية) وملء الفراغ الناتج عن اضمحلال النفوذ البريطانى والفرنسى وتثبيت سيطرة الغرب (وبالذات الولايات المتحدة) على المنطقة ٠ ـ وبالتالى فبرغم عدم التوافق بين السياسة الامريكية والسياسة البريطانية التى خططت لتثبيت هيمنتها على المنطقة عن طريق عقد حلف بغداد بينها وبين كل من العراق وتركيا وايران فقد ساندت الولايات المتحدة حليفتها الغربية ٠ وتصدت مصر وسوريا والقوميون العرب للسياسات الغربية مما أدى الى نشوب الصراع فى لبنان والاردن بين أنصار الغرب وبين القوميين دون أن يكون للاتحاد السوفييتى أو للشيوعيين المحليين دور كبير فى تطور الاحداث ٠ وسعت السياسة الغربية الى مواجهة ذلك عن طريق المؤامرات التى استهدفت «الغزو من الداخل » وتدبير الانقلابات وبخاصة فى سوريا التى ساندها عبد الناصر مما مهد الطريق للوحدة



بين مصر وسوريا فى أوائل عـــام ١٩٥٨ ٠

● خصوم عبد الناصر

ـ وفي الباب الثالث يتناولمحاولة السياسة الامريكية عقد حلف معالملك سعود عاهل المملكة العربية السعودية ضد عبد الناصر بهدف اسقاط نظـام الحكم الجديد في القاهرة عـن طريق المؤامرات التي تمولها المملكة العربية السعودية هذا في الوقت الذيتحركت فيه دول حلف بغداد لفصلسوريا عن مصر بعد أن انعكست آثار الوحـدة في لبنان حيث نشـب صراع بين الرئيس كميل شمعون الموالى للغرب والذى استجاب لمبدأ أيزنهاور وبيـن القوميين الذين كانوايودونلو انضموا الى « الجمهورية العربية المتحدة » ٠ وطلب شمعون من الولايات المتحـدة رسميا ارسال قوات أمريكية الىلبنان



فورا لأن الامن يتدهور نتيجــة لتدخـلات سافرة من الجمهـورية العربية المتحدة ، كمـا اشتكى الى الامم المتحدة والى جامعة الـدول العربية ٠

وينتقـل هيكـل فى هـذا الباب فجأة من المشرق العـربى الى المغرب ويسلط الاضواء على الثـورة الجزائرية التى كانت تدعمها مصـر وتحظى بالتأييد فى الوطنالعربى وفى اطار العالم الثالث وبلدان عـدم الانحياز ٠ ثم ينتقل الى السـودان حيث اثارت حكومة عبد الله خليـل مسألة اسقاط اتفاقية مياه النيل التى تمسكت بها القاهرة ٠ وامام تعاطف الجماهير السودانية مع الشقيقة مصر اضطر عبد الله خليل الى تسـليم السلطة للجيش ٠ ثم ينتقل المؤلفالى تونس حيث كان بورقيبة الطامح الى أن يصبح رجل الغرب فى المنطقة يغار من عبد الناصر ٠ وهذه القفزات مـن بلد الى اخر فتاربكت السياق العـام وهو ما حدث فى مواضع أخرى مـن الكتاب بمعنى أن هيكل لم يتمسـك بالتسلسل الزمنى أو الموضوعى وانه غلبت عليه طبيعته الصحفية خاصـة وقد أعلن اكثر من مـرة انه ليس مؤرخا !

● الصراع فى العراق على السـلطة

ـ وفى الباب الرابع يتنـاول شخصية عبد الكريم قاسـم والصراع الذى جرى بينه وبين القوميين وأدى الى استنانه الى الشـيوعيين ٠٠ ويحمل هيكل مسئولية استعانة قاسـم بالشيوعيين لدسائس الغرب وسفرائه فى بغداد ٠ وحين اتجه الاتحـاد

السوفييتى الى مساندة الشيوعيين العراقيين والعرب تعكرت العلاقات بين القاهرة وموسكو وتحسنت نسبيا بين القاهرة وواشنطون • واستغلت اسرائيل هذه الفرصة لتثير مسألة حرية الملاحة فى خليج العقبة ولتثير المتاعب فى الولايات المتحدة ضد مصر ولتمد يدها الى ايران الشاه لتحقق التبادل التجارى بين الطرفين بما فى ذلك بيع البترول وكذلك التبادل الثقافى وتزويد ايران بالاسلحة مما ادى الى استئناف العلاقات بين البلدين مما ادى الى سوء العلاقات مع القاهرة وطرد السفير المصرى من طهران •

وبعد ذلك يقفز هيكل قفزة جديدة ليستعرض تطور العلاقات بين مصر والاقطار الافريقية وبخاصة تاثير أحداث الكونغو ثم يقفز مرة أخرى فيتحدث عن الثورة الكوبية ثم عن توتر العلاقات بين موسكو وواشنطون على أثر اسقاط الروس لطائرة تجسس أمريكية • ثم يعود الى زيارة عبد الناصر لنيويورك لحضور الدورة الخامسة عشرة للجمعية العامة للامم المتحدة التى انعقدت فى عام ١٩٦٠ والى مؤتمر الدار البيضاء ثم الى قمة عدم الانحياز التى انعقدت فى بلجراد فى سبتمبر ١٩٦١ وغير ذلك •

– وفى الباب الخامس يستعرض هيكل العلاقة الشخصية بين عبد الناصر والرئيس جون كيندى الذى مد يده الى العالم الثالث ليكسب فيه النفوذ والاصدقاء • وفى هذا الباب يفرد هيكل عديدا من الصفحات لانفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة مدعما عرضه بعدد كبير من الوثائق والمذكرات كما يحاول تحسين العلاقات بين القاهرة وواشنطون وأزمة الصواريخ الكوبية والثورة اليمنية والدوافع وراء مساندة القاهرة وموقف الولايات المتحدة وبريطانيا والسعودية المناوىء لها وانضمام جند مرتزقة مختلفى الهوية الى القوات الامامية التى تدفقت عليها الاسلحة من عدة مصادر منها اسرائيل •

● على حافة البركان !

– وفى الباب السادس يتناول المؤلف سقوط عبد الكريم قاسم فى العراق والانفصاليين فى سوريا ومحادثات الوحدة الثلاثية بين مصر وسوريا والعراق ، وهى المحادثات التى سبق لهيكل أن نشر بعض نصوصها فى كتاب منفصل • ثم يعرج على استئناف المراسلات بين عبد الناصر وكيندى • وكانت هذه المرة تتصل لا باليمن بل باسرائيل والمفاعلات النووية والصواريخ وضغوط الكونجرس • ثم ينتقل الى الدواعى والظروف التى أدت الى انعقاد مؤتمر القمة العربى الاول فى عام ١٩٦٤ والى مقتل جون كيندى وتولى ليندون جونسون رئاسة الولايات المتحدة الامريكية وزيارة خروشوف لمصر فى مايو ١٩٦٤ ومؤتمر القمة العربى الثانى الذى انعقد فى القاهرة فى يناير ١٩٦٤ ومؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فيها بعد ذلك فى نفس العام •

وينهى هيكل هذا الفصل وكتابه بالمعركة الجوية التى جرت فوق سوريا بين الطيران الاسرائيلى والطيران السورى وفقدت فيها سوريا أكثر من عشر طائرات • وبدا من هذا وغيره من التطورات أن المنطقة كلها تعيش على حافة بركان •

قصة خروج النبى موسى من مصر

بقلم : د. محمد ابراهيم مرسى

بادىء ذى بدء ، اود ان أشير إلى ان حياة « موسى » عليه السلام فى مصر وقصة خروجه مع قومه لم ترد لها اية إشارة على الآثار المصرية القديمة المكتشفة حتى الأن . ذلك لأن المصرى القديم راى انها حادثة ثانوية لم يهتم بالاشارة إليها ، وعلى العكس من ذلك لبنى إسرائيل فقد كانت حيوية بالنسبة إليهم .

● والاشارة الوحيدة التى حوت ذكر اسرائيل هى التى جاءت على لوحة للملك « مرنبتاح » ـ الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى والذى تولى العرش من بعده وحكم فى الفترة ما بين ١٢٢٤ ـ ١٢١٤ ق . م . ـ وقد عثر على هذه اللوحة عام ١٨٩٦ ـ المحفوظة الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة تحت رقم ٣٤٠٢٥ ـ فى المعبد الجنزى للملك على البر الغربى لطيبة (الأقصر الحالية) ، وكانت اللوحة اصلا للملك « امنحوتب الثالث » من ملوك الأسرة الثامنة عشرة (١٤٠٣ ـ ١٣٦٥ ق . م) واستخدم « مرنبتاح » ظهرها لنقش أخبار انتصاراته المؤرخة بالعام الخامس من حكمه والتى جاء بها بعد المقدمة « الأمراء منبطحون يعرفون طالبين الرحمة ، وليس من بين الأقواس التسعة (اى اعداء مصر) من يرفع رأسه ، الخراب للتحنو (الليبيين) بلاد خاتى هادئة (الاناضول) وكنعان قد أستلبت فى قسوة ، واخذت عسقلان ، وقبض على جازر وصارت ينو عام كأن لم يكن لها وجود ، واسرائيل قد خربت



جبل موسى . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا



وازيلت بذرتها واصبحت خارو أرملة لمصر » .

وما يهمنا فى هذا النص هو ورود ذكر « اسرائيل » لأول مرة وربما لآخر مرة على أثر مصرى قديم ، وقد اعتقد بعض الدارسين انها تشير الى قوم سكنوا بلاد كنعان اى فلسطين الحالية ، ولكن بملاحظة النص نجد أن المخصص لكلمة اسرائيل يمثل اشخاصا - أى رجل وسيدة مع ثلاث شرط وهى علامة الجمع فى اللغة المصرية القديمة وهذا يعنى انها إشارة الى مجموعة من البدو او قوم أجانب ، وفى حالة الاشارة الى اسرائيل ما هى إلا للتعبير عن مجموعة من البدو او القوم الأجانب لا وطن لهم يعيشون فى مصر ، وبمعنى أخر أن بنى اسرائيل لم يكونوا قد وصلوا بعد إلى أرض كنعان ، ويفهم من النص أيضا ان خروجهم جاء فى صورة طرد قوم بإرادة الملك وليس هروبا منه .

● « موسى » عليه السلام فى مصر

ولد « موسى » عليه السلام فى مصر من أبوين عبرانيين هما : عمران بن تاهت بن لاوى بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم (عليهم السلام) وأمه يوكابد بنت لاوى .

وهناك رأى آخر خرج به سيجموند الذى يرى ان « موسى » مصرى ، وعقد مقارنة بين العقيدة الموسوية والمصرية القديمة خاصة عقيدة آتون وقال إن هناك توافقا بين العقيدتين فيما يتعلق بالاعتقاد فى عدم الحياة بعد الموت ، واضاف حجة ثانية وهى فرض الختان المعروف عند المصرى القديم على اليهود ، ويتساءل فرويد اذا ماكان « موسى » يهوديا راغبا فى تحرير بنى جلدته من المصريين فما الذى دعاه الى فرض الختان عليهم ، وينتهى فرويد الى ان « موسى » لم يكن يهوديا بل مصريا ، وانه كان مقربا لاخناتون ، وبعد موت « اخناتون » عادت العقائد القديمة ، وبذلك اصبح « موسى » طريدا بدون وطن ، وانتقل الى « جوشن » حيث عاشت بعض القبائل السامية التى تزعمها وخرج بها من مصر فى سلام ، وحدث ذلك فى السنوات الثمانى التالية لموت « اخناتون » .

وعلى الرغم من الآراء والحجج المقدمة من « فرويد » فالأرجح أن « موسى » كان عبرانيا وخير دليل على ولادته فى مصر هو اسمه العبرى mosa المشتق من الاسم القديم « msj » ويمكن ترجمته المولود ، فى حين ان بعض الدارسين يرون ترجمته ايضا من التعبير المصرى إما mw — sw او mw — sw(t) بمعنى « ابن الماء » او المنتشل من الماء أو أنهم وجدوه بين الماء ونبات السوت .

وكان « موسى » أصغر اخوته

« مريم » و« هارون » وبعد ولادته اخفته أمه لمدة ثلاثة اشهر خوفا من الملك الحاكم فى ذلك الحين ، وقد جاء فى القرآن الكريم « ان ارضعيه فإذا خفت عليه ، فالقيه فى اليم ، ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

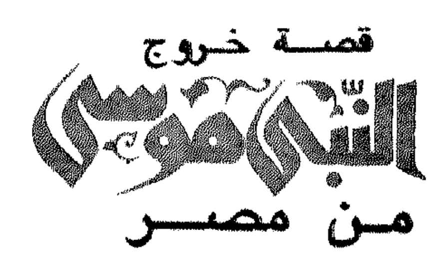
وحدث أن وضعته أمه فى سلة غالبا من البردى فى النهر على ما يبدو على مقربة من المقر الملكى حيث رأته وانقذته احدى بنات البيت المالك ، يقول البعض انها ابنة الملك ، والأرجح كما جاء فى القرآن الكريم أنها زوجة الملك التى أعجبت بصورة الطفل « قرت عين لى ولك ، لاتقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا » .

واحتاجت السيدة الملكية الى مرضعة للطفل وجدوها فى سيدة عبرانية هى فى نفس الوقت أمه ، وكما وعدها العلى القدير عاد إليها وليدها ليعيش معها فترة حضانته ، ولعل فى ذلك إشارة الى ان بنى اسرائيل فى مصر لم يعاملوا بالقسوة التى يصورها البعض ، بل كانت هناك طوائف يهودية تعيش فى البلاد تمتعت بحرية عبادة الهتهم دون مضايقة من المصريين ، وعادة تسامح المصريين مع الأقوام الأجانب والسماح لهم بحرية التعبد عادة قديمة ومعروفة .

اما عن حياة « موسى » وحتى بلوغه سن النضج اى حوالى الثلاثين من عمره فلا نعرف عنها الكثير ولكن غالبا أنه تلقى تعليمه على يد الكهنة المصريين ويحتمل أنه شغل بعض المناصب التى لانعلم عنها شيئا ، كما

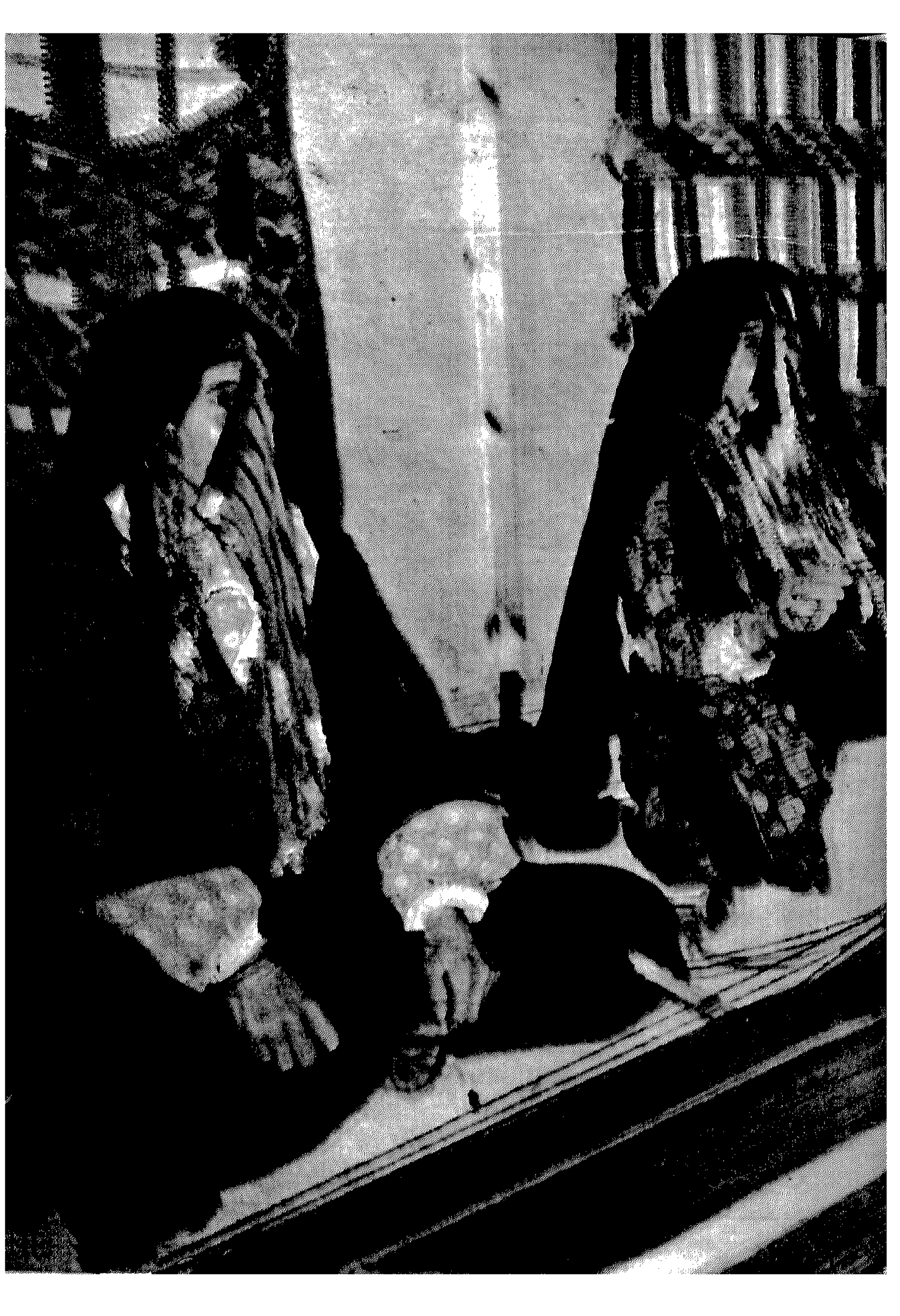
● لوحة تعبر عن مصر القديمة عندما طلب الفرعون راس كل اطفال بنى اسرائيل

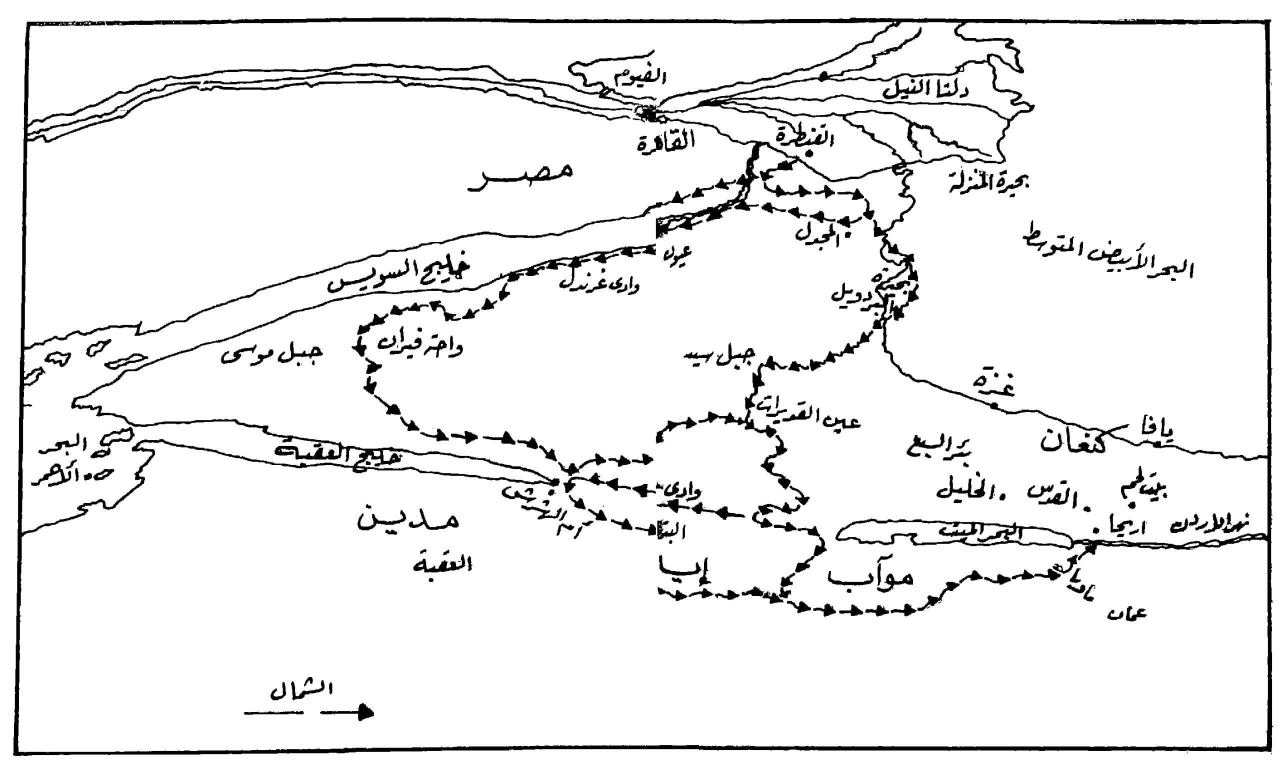




سيناء ارض التيه ، البيئة المميزة لسكانها ، وسيدتان تغزلان المنسوجات الصوفية . ➤

دير سانت كاترين فى احضان جبل سيناء





● طريق الخروج الذى سلكه النبى موسى ، عند خروجه من مصر ثم عودته وخروجه مرة اخرى ، ولم يسلك خطا مستقيما ، وسلك طريقا غير معتاد

لانعلم هل بقى تابعا للقصر حتى سن النضج ام لا .

● الهروب إلى مدين

خرج « موسى » فى يوم من الايام إلى المدينة فوجد رجلين يقتتلان احدهما من بنى اسرائيل والآخر مصرى وتدخل بينهما وساعد الذى من شيعته على عدوه فوكزه « موسى » فقضى عليه ، بعدها ندم على فعلته واصبح خائفا يترقب خاصة بعد ان عثر القوم على جثة القتيل ، ولعل هذا الخوف يدل على انه لم يكن من بين رجال القصر ، بل من الارجح ان احد رجال القصر المؤمنين هو الذى نصحه بان يرحل عن البلاد .. قال تعالى : « وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى ، قال ياموسى إن الملأ ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين » . وهكذا خرج « موسى » الى صحراء سيناء حتى وصل الى مدين عند خليج العقبة .

وتبدأ مرحلة جديدة فى حياته عندما وصل إلى ماء مدين ورأى الرعاة الرجال يوردون انعامهم لتشرب بينما هناك امراتان تمنعان غنمهما عن ذلك ، فساعدهما موسى وخير شرح لهذه الواقعة ما جاء فى القرآن الحكيم « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس



قصة خروج
النبي موسى
من مصر

عبود موسى

«وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون»

صدق الله العظيم

لوحة لإخناتون اول من نادى بوحدة الإله (١٣٧٩ - ١٣٦٢ قبل الميلاد)



قصة خروج



مـن مصــر

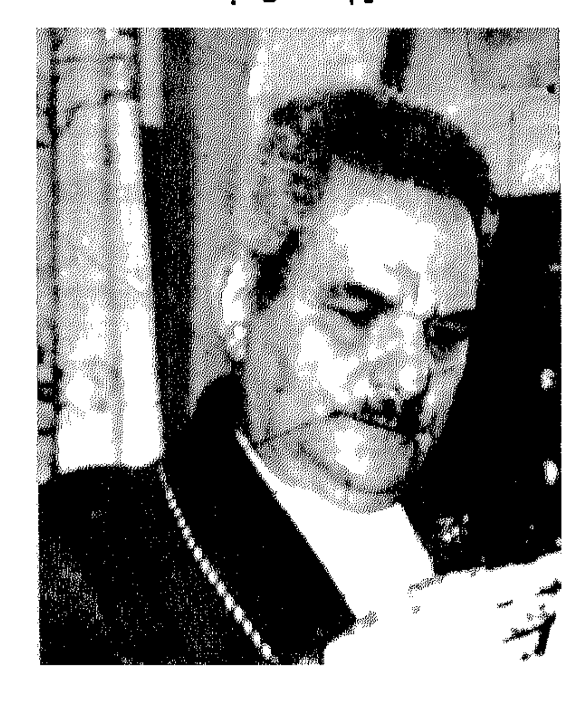
يسقون ، ووجد من دونهم امراتين تذودان قال ماخطبكما ، قالتا لانسقى حتى يصدر الرعاء وابونا شيخ كبير ، فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب إنى لما انزلت الىّ من خير فقير ، فجاءته احداهما تمشى على استحياء قالت إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ، فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظـالمين ، قالت إحـداهما يـاابت استاجره ان خير من استأجرت القوى الامين » .

واستجاب الشيخ لاقتراح ابنته وعرض على « موسى » ان يزوجه احدى ابنتيه « قال إنى اريد ان أنكحك احدى ابنتى هاتين على أن تاجرنى ثمانى حجج ، فان اتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن اشق عليك ، ستجدنى ان شاء الله من الصالحين » ومما يلاحظ ان القرآن الكريم لم يشر الى اسم هذا الشيخ أما التوراة فتذكره مرة « يثرون كاهن مدين » ومرة « حوباب بن رعوئيل أو رعوئيل نفسه .

وبعد أن مكث موسى فى مدين عشر سنين ، رزق فيها بولدين ، علم أن ملك مصر الذى كان يطلبه قد مات ، فيقرر العودة ، وفى طريق عودته إلى مصر ضل طريقه فى الصحراء والليل مظلم وقد جاء فى القرآن الكريم قوله لأهله « امكثوا هنا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى » وكان المكان عند طور سيناء « .. نودى ياموسى . إنى أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادى المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى انا الله لا إله إلا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى » .

وفى هذه الليلة المباركة اصطفى الله تعالى موسى وعهد اليه برسالته الى فرعون « إذهب أنت وأخوك بآياتى ولاتنيا فى ذكرى ، اذهبا الى فرعون انه طغى ، فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ، قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى ، قال لاتخافا اننى معكما اسمع وأرى ، فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم ، قد جئناك باية من ربك ، والسلام على من اتبع الهدى » .

سليم حسن باشا



وبعدها تتم المقابلة بين « موسى » وفرعون وماصحبها من معجزات .

● طريق الخروج

مازالت الآراء متباينة عن الطريق الذى سلكه موسى وقومه فى طريقهم من مصر الى أرض كنعان ، ويمكن ان نقول كذلك ان باب النقاش ملزال مفتوحا وذلك لقلة المصادر التاريخية القديمة المعروفة حتى الآن ، واعتمادنا الاساسى فى تناول هذا الموضوع على ما جاء فى الكتب المقدسة .

ولعل من بين افضل المقترحات العلمية التى تناولت هذا الموضوع هو ماجاء فى مقالة على بك شافعى ، وهو ما اخذ به سليم حسن وكذلك بعض المراجع العلمية الحديثة .

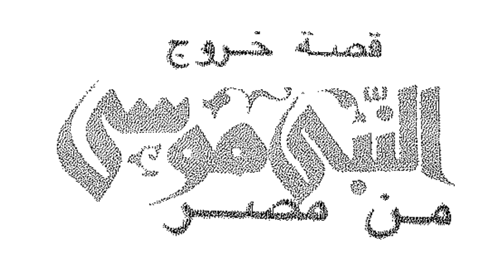
وقبل أن نتناول هذا الموضوع اود ان اشير باختصار الى صلات مصر الخارجية خاصة من جهة الحدود الشمالية الشرقية التى ترجع الى اقدم العصور ، وازدادت قوة ووضوحا ايام الدولة الوسطى حيث ازدادت اعداد الأسيويين فى مصر وفى نفس الوقت قويت صلات مصر بكثير من مناطق الشرق القديم حتى أن البعض اعتقد فى امبراطورية مصرية فى تلك المرحلة ، وبعد انهيار الدولة الوسطى مرت البلاد بمحنة احتلال الهكسوس وبعد طرد الهكسوس بدأت مصر مرحلة حافلة فى تاريخها أى الدولة الحديثة أو فترة الامبراطورية حيث اصبحت مصر من اقوى ممالك منطقة الشرق القديم ،

وعندما تولى حكام الأسرة التاسعة عشرة حكم البلاد اهتموا بمنطقة شرق الدلتا لعدة اسباب منها انهم من المنطقة ذاتها كما انها على مقربة من الحدود الشمالية الشرقية ، ولذا اقاموا بها عاصمة جديدة عرفت باسم « بررعمسيس » بجانب العواصم القديمة المعروفة « طيبة » و« منف » وكان يعتقد الى فترة قريبة ان هذه العاصمة هى « تانيس » « صان الحجر » الحالية بشرق الدلتا ، ولكن الابحاث الحديثة ترجح أن « بررعمسيس » تقع فى منطقة قنتير التى كشف بها حديثا عن بقايا كثير من المبانى والآثار المختلفة ، ومما لاشك فيه أن حول هذه العاصمة أو مقر الرعامسة فى شرق الدلتا عاشت مجموعة من العبرانيين هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فهى غالبا المنطقة التى تربى وعاش فيها موسى فترة شبابه الذى لانعرف عنها الكثير . وغالبا انه عاد الى نفس المنطقة من « مدين » لاصطحاب قومه الى خارج البلاد .

والآن نعود الى الاقتراحات التى ذكرها على بك شافعى فى مقاله الذى يشير الى اسماء المدن والمواقع التى مر بها بنو اسرائيل فى طريق خروجهم والتى ذكرت فى التوراة على الوجه التالى :

١ - رعمسيس ٢ - سكوت . ٣ - بيداء ايتام ٤ - طريق الفلسطينيين ٥ - فم الحيروث ٦ - بحر سوف ٧ - مجدول ٨ - بعل زيفون .

وعلى ذلك يمكن تحديد الخروج من « بررعمسيس



الحالية . ثم ارتحل بنو اسرائيل من « رعمسيس » الى « سكوت » بنحو ستمائة الف ماش من الرجال خلا الأطفال وغالبا ان بداية التحرك كانت في شهر ابريل ، اى في فترة يكون منسوب المياه فيها منخفضا ، هذا بالاضافة الى ان طريقة الرى كانت المعروفة برى الحياض ، والتى كانت بدورها جافة ، ولذا كان من السهل على موسى وقومه أن يتحركوا بشىء من السهولة ، ويمكننا ان نتصور صعوبة هذا التحرك اذا ما كانوا قد تحركوا في وقت الفيضان . وقطعوا في اليوم الأول حوالى ٢٠ كم من قنتير الى المنطقة التالية « سكوت » وهو موقع على مقربة من الصالحية الحالية ، وقد جاءت اشارات الى هذه المنطقة في المصادر المصرية القديمة بانها ارض على الحدود تتميز بمستنقعاتها من اشهرها « بركة اكياد » التى كانت من الأماكن المحببة لملوك الرعامسة للصيد في احراشها ، وهى مازالت تتمتع بهذه الصفة حتى الآن .

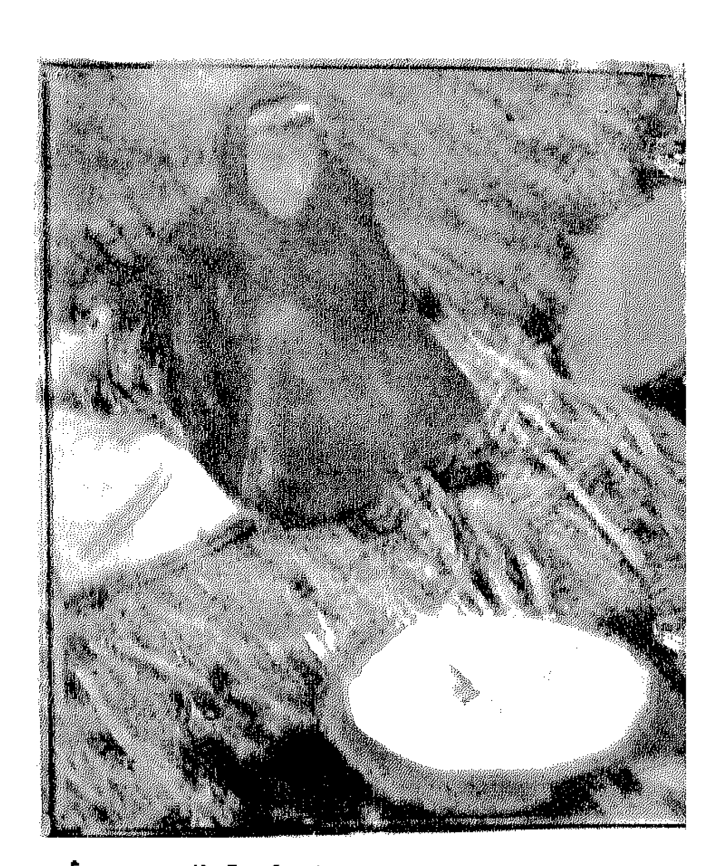
وفى اليوم الثانى « ثم ارتحلوا من « سكوت » ونزلوا من ايثام في طرف البرية » وأرض ايثام هذه هى المعروفة باسم «ايدوم » التى سكنتها قوم اطلق عليهم المصريون بدو الشاسو .

وفى اليوم الثالث « وكلم الرب موسى » قائلا : مر بنى اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام « فم الحيروث » بين « مجدول » والبحر امام « بعل زيفون » تنزلون تجاهه على البحر .

غالبا أن مجدول هذه على الحدود الشمالية للبلاد وهى المنطقة التى عبر الاسرائيليون عندها الماء في طريقهم الى كنعان . أما « فم الحيروث » « فم حور » بالمصرية القديمة وقد جاء في التوراة تكلم الى بنى اسرائيل حتى يتحولوا ويعسكروا امام « بيها هيروث » بين مجدول والبحر . أى أن موسى وقومه لم يسيروا في خط مستقيم ولذلك وصلوا امام « فم الحيروث » بعد مسيرة يوم واحد .

وفى اليوم الرابع .. كان « موسى » حذرا خوفا من الملك المصرى على الرغم من انه صرح له بالخروج ولذا سلك طريقا غير الطريق المعتاد ، فلم يسلك طريق الفلسطينيين على الرغم من قربها . وكان حدس موسى صحيحا فقد غير الملك المصرى رأيه وتبع « موسى » مع جيشه المكون من ستمائة عربة حربية ولحق بهم على مقربة من « يلم سوف » ومعناها العبرى حرفيا « بحيرة البوص » وهى عبارة عن منخفض تحت مستوى سطح البحر .

واصبح موسى وقومه في مازق « بحيرة البوص » على يمينه وحصن مجدول بما فيه من حامية مصرية امامه سادا الطريق من الشمال . وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البلوزى . وخلفه



البيئـــة المصـــريـــة
الطـاغية فـى سـيناء

الملك وجيشه ، ولم يجد امامه الا طلب العون من الله ، واشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه فارسل الله ريحا شرقية عاتية استمرت طوال الليل ، وهذه هى المعجزة فقد جفت البحيرة فسار « موسى » وقومه عبرها .

ويتبقى موضوع غرق فرعـون ، وكيف يكون اذا ما كانت مياه البحيرة ضحلة لايزيد عمق الماء فيها على قدمين ، ولكن غالبا ان خيل وعربات الجيش اصبحت وسط الاوحال بطيئة الحركة اما غرق فرعون فربما انه تعبير رمزى فهذا الملك الذى عاصر موسى لم يمت غرقا ، بل نجاه الله ببدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق والتعبير « ننجيك ببدنك » يعادل التعبير العامى « خلص بجلده » وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التى جمعت القصة كلها فى اختصار رائع « وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا إله إلا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ، الآن وقد عصيت وكنت من المفسدين ، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

وبذلك نبتعد عن الخلط الذى يقع فيه بعض الدارسين عند ترجمة « يام سوف » بالبحر الاحمر او بحر القلزم .

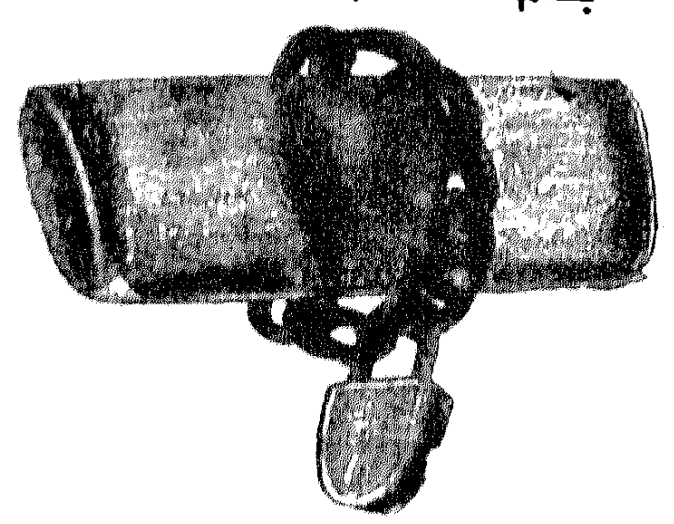
وفى الأيام التالية بعد عبور البحيرة ساروا فى الصحراء الواقعة على الضفة الأخرى من « يام سوف » وهى المعروفة باسم « بيداء شور » بعدها ساروا فى سيناء و« مدين » حتى وصلوا أرض كنعان وكانت أماكن معمورة .

والآن بقيت كلمة عن فرعون الخروج التى تعددت الآراء بالنسبة لتحديد شخصيته ، وقد تناول الزميل د . محمد بيومى مهران هذا الموضوع بالتفصيل متنـاولا الآراء المختلفة بـالشـرح والمناقشة ، وهو يؤيد رأى بعض المؤرخين الذين يرون ان فرعون الخروج هو « مرنبتاح » ويرى د . مهران ان تاريخ الخروج كان فى العام الأخير من حكم الملك وليس فى العام الخامس كما يرى البعض الآخر .

دائرة الحوار

لماذا قامت شركات توظيف الأموال ؟!

بقلم : د . جلال أمين



إذا كان على المرء أن يختار سمة اقتصادية واحدة يميز بها عقد السبعينيات ، عن العقود السابقة عليه ، فإني اختار سمة " قلة الانتاجية " ، وإذا طلب منى أن أذكر أقل العقود انتاجية ، من العقود الأربعة التي تعاقبت على مصر منذ قيام الثورة ، فإني أختار السبعينيات بلا تردد . لا اقصد أنه كان عقدا فقيرا ، بل لعل العكس هو الأقرب إلى الصحة ، خاصة إذا ركزنا النظر على النصف الثانى من السبعينيات . لقد تدفقت أموال كثيرة على مصر بين ١٩٧٦ و١٩٨١ ، بسبب الهجرة من ناحية ، ومن صادرات البترول وقناة السويس والسياحة من ناحية ثانية ، وبسبب تدفق المعونات الأجنبية من ناحية ثالثة ، ولكن كل هذا لا ينفى أن العقد بأسره كان " قليل الانتاجية " ، وأن هذه الأموال التى تدفقت على مصر كانت ضعيفة الصلة جدا ببذل جهد حقيقى فى الانتاج .

المناخ الاقتصادى والاجتماعى لشركات توظيف الأموال

● عائد بلا جهد

أما المعونات الأجنبية ، فضعف صلتها بالجهد واضح لا يحتاج إلى بيان ، بل لعل العلاقة بينها وبين الجهد الإنتاجى عكسية ، وأما عائدات البترول وقناة السويس . (وإلى حد كبير عائدات السياحة أيضا) فهى ليست مقابل نشاط انتاجى بل مقابل بيع الأصول : سواء تمثلت هذه الأصول فيما يستخرج من باطن الأرض ، أو فى موقع جغرافى حصلت عليه مصر بمحض الصدفة ، وأما تحويلات المهاجرين فهى أشبه بعائدات مصر من البترول فيما عدا أن البترول فى هذه الحالة يستخرج خارج مصر ، ولكنها فى معظم الأحوال لا تتناسب مع ما يبذله المهاجرون من جهد أو تعب اللهم إلا "تعب" الاغتراب والبعد عن الأهل .

صحيح أن جزءا كبيرا من هذه العائدات (البترول ، قناة السويس ، السياحة ، المعونات يذهب فى الأصل إلى يد الدولة وقد كان من الممكن أن يكون توزيع الدولة لهذه العائدات على الأفراد ، متناسبا مع ما يبذله الأفراد من جهد ، حتى وإن كانت الدولة قد حصلت عليها ابتداء دون نشاط انتاجى ، ولكن الواقع هو أنه من أسهل الأمور تبديد الأموال التى لم يتعب أحد فى تحصيلها خاصة إذا كانت هذه الأموال فى يد الدولة وعلى الأخص إذا كانت هذه الدولة دولة "هشة" من النوع الذى عرفته مصر فى السبعينيات فكم كان من السهل ان **تنفق هذه الأموال المتدفقة بلا حساب على الدولة المصرية ، على أصحاب النفوذ انفسهم أو على أصحاب أصحاب النفوذ ومحاسيبهم ، وأن تغمض الدولة عينيها عمن يضع يده على أراضيها ، أو من يختلس أموالها ، أو يحصل على امتياز من الدولة لا يستحقه ، أو يمتنع عن أن يؤدى للدولة حقوقها .. الخ .**

يُثار هنا بالطبع السؤال . لماذا تراخت الجهود الانتاجية طوال السبعينيات فلم يساير النشاط الانتاجى هذه الدخول المختلفة المتولدة من مصادر غير انتاجية ؟ بعبارة أخرى : لماذا لم تشهد السبعينيات زيادة ملموسة فى الانتاج الزراعى والصناعى تواكب تلك الزيادة فى مصادر الدخل الأخرى : كالنفط والهجرة والسياحة وقناة السويس والمعونات الأجنبية ؟ الاجابة على هذا السؤال تختلف فيما يتعلق بالنصف الأول من السبعينيات عنها فيما يتعلق بالنصف الثانى . أما النصف الأول من السبعينيات فقد كان استمرارا لتلك الحقبة القاتمة التى بدأت فى أعقاب حرب ١٩٦٧ ، والتى تضاءلت فيها بشدة قدرة مصر على



الاستثمار بسبب ضخامة الأعباء التى فرضتها هذه الحرب على مصر (ضياع مصادر البترول فى سيناء ، اغلاق قناة السويس ، تدهور السياحة ، الانفاق الحربى .. الخ) . وأما النصف الثانى من السبعينيات فإنى أفسر تراخى الجهد الانتاجى خلاله بما يمكن أن يطلق عليه "ضعف همة السلطة" . إذ بينما تخلت الدولة إلى حد مؤسف عن مسئولية الاستثمار فى الصناعة والزراعة ، فضل القطاع الخاص أن يتجه إلى أنواع الاستثمار سريعة العائد وقليلة الانتاجية ، كأعمال الوساطة والتجارة والمضاربة والبناء ، فى نفس الوقت الذى تخلت فيه الدولة عن مسئوليتها حتى عن محاولة توجيه القطاع الخاص من هذه الأنواع قليلة الانتاجية إلى الاستثمار المنتج فى الزراعة والصناعة .

هذه القصة مألوفة ومعروفة وقيلت بطرق مختلفة مرارا وتكرارا ، وإنما أعدت ذكرها لأخلص منها إلى النتيجة الآتية : وهى أنه فى ظل هذا المناخ الاقتصادى الذى تميزت به السبعينيات (وخاصة النصف الثانى منها) : واستمر للأسف فى النصف الأول من الثمانينيات وإن كان بدرجة أقل حدة ، مناخ "العائد بلا جهد" ، كان من الطبيعى أن تتولد عنه عدة نتائج ساعدت على بلوغ ونمو تلك الظاهرة الغريبة التى نعرفها باسم "شركات توظيف الأموال" .

● "الإثراء بلا سبب" :

هناك أولا ما يولده هذا المناخ من لهفة شديدة على تحقيق الثراء السريع بصرف النظر عن استحقاقه أو عدم استحقاقه ، وعن بذل جهد يتناسب معه أو لايتناسب . ففى مناخ "العائد بلا جهد" تتكاثر الأمثلة التى تتناقلها الألسن وتشاهدها الأعين ، لأفراد قفزوا عدة درجات على السلم الاجتماعى ، فانتقلوا بخفة شديدة من أسفل السلم إلى قمته دون أن تكون لديهم مؤهلات مقبولة لهذا الترقى السريع ، لا من التعليم أو الكفاءة أو المثابرة والصبر على العمل . هذه الأمثلة تصبح هى قدوة المجتمع ، ويصبح تقليدها فى الوصول السريع أمل الآلاف المؤلفة من الناس التى تصبح أكثر فأكثر على استعداد لقبول حقيقة الثراء دون السؤال عن مصدره وسببه . المهم هو كم حصّلت وليس المهم بأى طريق حصلت عليه . هذه النفسية يمكن أن تقبل عن طيب خاطر هذا العرض الغريب الذى تعرضه شركات توظيف الأموال : "سلم لى فائض أموالك وسأعطيك عائدا شهريا أو سنويا يبلغ مثلى أو ثلاثة أمثال ما يمكن أن تحصل عليه من البنوك ، بشرط ألا تسأل عن مصدر هذا العائد ، ولا يكون لك أى حق فى مراقبة ما أفعل أو التدخل فيه" . هذه اللهفة الشديدة على تحقيق الثراء السريع التى ساعدت على اقبال الناس

على مثل هذه الشركات ، وما كانت لتنشأ وتنمو بهذه الحدة فى ظروف أكثر استقرارا ، لا تتبدل فيها مواقع الناس الاجتماعية بهذه السرعة ، ولا يحدث فيها بهذه الكثرة أن يحصل الناس على الثراء بدون استحقاق

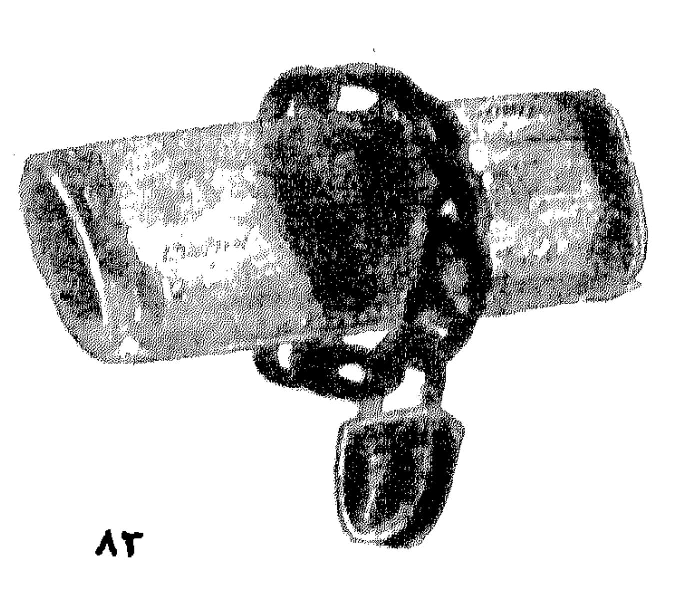
● الجهاز المصرفى ومعدل التضخم

يضاعف أيضا من هذه اللهفة على تحقيق عائد كبير دون تساؤل عن مصدره ، عجز الجهاز المصرفى عن تقديم عائد على المدخرات يتناسب مع معدل التضخم . ففى ظروف ترتفع فيها الأسعار بأكثر من ٢٠٪ ولا تدفع فيها البنوك على الودائع أكثر من ١٠٪ ، يبدو من قبيل الحماقة لأى مدخر أن يودع أمواله بالبنك لكى يزداد فقرا عاما بعد عام . فإذا جاءك شخص فى مثل هذه الظروف ليعرض عليك عائدا يزيد على معدل التضخم فإن من أسهل الأمور عليك حينئذ أن تتغاضى عن مصدر هذا العائد الكبير ، وتصبح مستعدا لأن تقبل بسهولة أن تغمض العين عما يفعله فى مقابل تلك الحماية التى يمنحها لك ، ولكن هذا الارتفاع المستمر فى الأسعار هو شديد الصلة بدوره بتلك السمة المميزة للاقتصاد : سمة "العائد بلا جهد" . فالعائد بلا جهد هو أيضا « عائد بلا انتاج » ، أو "نقود لا يقابلها سلع" ، وهذا هو التضخم بعينه : أموال سائلة تتدفق على المجتمع دون أن يقابلها تدفق من السلع بنفس الدرجة ، فترتفع الأسعار بشدة .

● أموال سوداء تبحث عن شركات سوداء

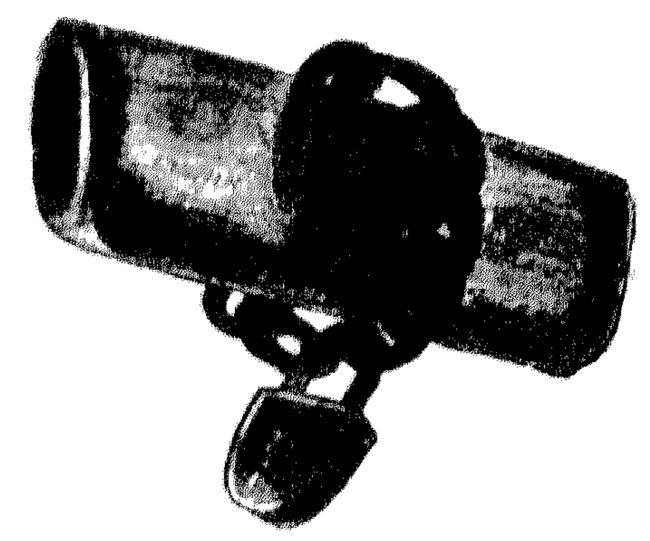
على أن هذا الاقبال على ايداع الأموال لدى شركات غامضة ، ليس لها صفة رسمية ولا تخضع لقانون ولا تعلن عن حساباتها أو طبيعة نشاطها ، يتضاعف إذا كان مصدر هذه الأموال المودعة هو من الأصل مشبوه ومشكوك فى شرعيته . فبقدر ما تكثر عمليات الاثراء غير المشروع كلما يزيد الميل الى البعد عن قنوات الاستثمار الرسمية ويفضل الالتجاء الى شركات تعمل فى الظلام ، لا يعلم أحد أسماء المودعين فيها ولا مجالات استثماراتها ، ومن ثم يصعب تتبع الأموال غير المشروعة المودعة فيها بالمصادرة أو الضرائب .

هذه الأموال "السوداء" التى تم تحصيلها من وراء القانون تناسبها أساليب "سوداء" أيضا فى الاستثمار . فالفوائد التى تقوم هذه الشركات بتوزيعها يأتى الجزء الأكبر منها من الاتجار فى العملة





والمضاربة عليها أو من احتكار بعض السلع الضرورية او تهريب الأموال إلى الخارج أو الحصول على امتيازات من الدولة بطريقة غير مشروعة ، ولكن الأهم من كل ذلك هو الاحتيال السافر باستخدام ودائع (رأس المال) البعض فى توزيع العوائد على اخرين . ذلك انه طالما استمر تيار المودعين الجدد يوما بعد يوم وعاما بعد اخر كان من الممكن لأصحاب هذه الشركات أن يصرفوا للمودعين القدامى ما يبدو وكأنه عائد كبير على ودائعهم ، وليس فى الواقع الا جزءا من ودائع جديدة ، ويظل هذا الاقبال ممكنا طالما استمرت ثقة الناس بالشركات ، وأقبلوا على ايداع أموالهم فيها ، ولا ينكشف الأمر الا اذا توقف تيار الايداع الجديد فيتوقف أيضا تيار صرف "العوائد" .



● لا عقلانية فى تفسير الدين ولا عقـلانيـــة الاقتصـاد

على أن أكثر ما يلفت النظر فى ظاهرة شركات توظيف الأموال ، هو بالطبع ذلك الاستخدام الغريب للدين . قد يقال : وأى غرابة فى ذلك ؟ أليس صحيحا أنك اذا عقدت العزم على الكذب فالأفضل أن تكذب كذبة كبيرة للغاية ، اذ يكون احتمال تصديقك فى هذه الحالة أكبر ، كذلك فى حالة شركات توظيف الأموال إذا أراد أصحابها تغطية ما يمارسونه من احتيال فالأفضل استخدام رداء هو النقيض التام له ، وهكذا استخدمت أنبل الأشياء لتبرير أفظع الأشياء .

ولكن حيث أن التفسير العقلانى للدين لا يمكن أن يسعف فى مثل هذه الأمور فقد كان من المحتم اللجوء الى أشد تفسيرات الدين لا عقلانية وأبعدها عن المنطق ، كتكرار القول بأن ايداع المال بالبنوك وتقاضى فائدة عليه هو أشد مقتا عند الله من ارتكاب أبشع أنواع الزنا فى أكثر الأماكن طهرا ، أو كالادعاء بأن ارتفاع قيمة العائد الذى يحصل عليه المودعون من هذه الشركات سببه مباركة الله لأموال المودعين والتزامهم بقواعد الدين ، أو كتسميته الرشاوى الموزعة على بعض المسئولين بكشوف البركة ، فضلا عن الربط بين النشاط المادى البحت لهذه الشركات وبين شعارات الدين ورموزه وبعض رجال الدين المتمتعين بشعبية واسعة .

وليس من الصعب تفسير هذا النجاح الواسع الذى أحرزه هذا الاستخدام اللاعقلاني للدين . فقد ساعد على هذا النجاح أولا تواؤم هذا الاستخدام اللاعقلانى للدين مع لا عقلانية الاقتصاد . فإذا كانت الأموال تأتى فى الأساس دون مقابل من الجهد ، بل من مصادر غريبة لم تجر العادة على أن تكون مصدرا للاثراء ، كالاستيلاء على مال للدولة ، أو الحصول على حظوة عند مسئول كبير ، أو كعقد صفقة غير مشروعة .. الخ . فإن أى تفسير غريب اخر قد يكون مقبولا بدوره .

وإذا تكررت الأمثلة الواقعية لأفراد قفزوا قفزات غريبة من الفقر المدقع الى الثراء البالغ دون تفسير مفهوم ، فإن أى تفسير لا عقلانى للاثراء قد يصبح مقبولا .

أضف إلى ذلك أن ظهور شركات توظيف الأموال قد اقترن بظاهرة اجتماعية جديدة هي نمو القوة الشرائية في أيدى شرائح من المجتمع لم تحظ بدرجة عالية من التعليم ، وانما اتيحت لها فرص الاثراء السريع إما بسبب الهجرة ، أو بسبب التضخم الجامح ، وما أتاحة هذا التضخم من فرص الاثراء عن طريق المضاربة والسمسرة ومختلف أنواع الوساطة ، هذه الشرائح الواسعة التى اتيحت لها فرص الاثراء السريع دون أن تحظى بحظ يذكر من التعليم كانت على استعداد أكثر من غيرها لقبول تفسيرات لا عقلانية للدين . أضف الى ذلك ضآلة حظ هذه الشرائح الاجتماعية من الاتصال بالمصارف أصلا لقرب عهدها بالثراء ، وتعودها على ايداع مدخراتها الضئيلة فى الماضى فى قنوات غير رسمية تعتمد على المعرفة الشخصية وتبادل الثقة أكثر من اعتمادها على الحسابات النظامية .

● السلطة كمصدر للرزق

الأمر الذى لا يقل غرابة ، هو ذلك الموقف الغريب الذى اتخذته الحكومة اذ سكتت زمنا طويلا على مخالفة هذه الشركات لقواعد قانونية بديهية ومستقرة وعلى الرغم من تكرر حوادث الهرب من أصحاب هذه الشركات بأموال المودعين . على أن هذا الاستغراب قد يزول اذا تذكرنا المناخ الذى قامت وترعرت فيه هذه الشركات ، ذلك أن الحكومة وإن كانت تقوم بتصرفاتها بتشكيل هذا المناخ والتأثير فيه ، فإن رجال السلطة هم إلى حد كبير ثمرة هذا المناخ نفسه . فالتلهف على الاثراء السريع تجنبا للتخلف عن ركب الصاعدين والمتسلقين على السلم الاجتماعى يصيب رجال الحكومة كما يصيب غيرهم . واذا كان ثمن هذا الاثراء السريع هو السكوت على هذه الشركات والتظاهر بتصديق ما حل بأموالها من بركة ، فإنه يبدو لكثيرين ثمنا زهيدا يستحق الدفع . وفى مناخ يسوده "الاثراء بلا جهد" تصبح السلطة من أهم مصادر الثراء ، حيث يسود الاعتقاد لدى أصحاب السلطة أن المبرر الوحيد للسعى الى الحصول على السلطة هو انها قد تكون مصدرا للرزق ، وان النفوذ والسلطة لا



قيمة لهما اذا لم يضاعفا ثروة صاحبهما ، فإذا كانت مضاعفة الثروة تتطلب السكوت هنا وغض البصر هناك ، فما أسهل السكوت وغض البصر . وعندما ينظر للسلطة على أنها فى الأساس مصدر للرزق فإن الضحية الأولى لذلك هى صغار الناس ، بما فى ذلك صغار المودعين ، هؤلاء الذين لا يملكون نفعا ولا ضررا لرجال السلطة ، ومن ثم يسهل تجاهل مصلحتهم والالتفات الى من يحوزون المال ويتحكمون فيه .

اضف إلى ذلك أن اصحاب هذه الشركات فى نفس الوقت الذى يستخدمون فيه السلطة لايهام جماهير المودعين بان القانون أوعلى الأقل القوة معهم ، يستخدمون جماهير المودعين لإخافة السلطة من أى تحرك ضدهم منعا لثورة شعبية قد تودى برجال السلطة أنفسهم . وهكذا استخدم اصحاب هذه الشركات وسائل الإعلام فى تحقيق هذا الهدف المزدوج : كسب رجال السلطة بالتلويح لهم بما يحظون به من جماهيرية ، وكسب الجماهير بالتلويح لهم بما يحظون به من تأييد رجال السلطة .

● هل هو انحسار بلا رجعة ؟ :

منذ منتصف الثمانينيات ، وعلى الأخص منذ مطلع ١٩٨٦ ، حدث ما أجبر مصر على تقليل اعتمادها على المصادر السهلة للدخل ، فقد انخفض بشدة سعر البترول ، الأمر الذى أثر على ايرادات مصر ، ليس فقط من البترول بل ومن تحويلات المهاجرين وقناة السويس . كان من المحتم إذن أن تبدأ فى الانحسار تلك الفترة الطويلة التى سادت فيها قاعدة "العائد بلا جهد" ، وأصبح من اللازم شئنا أم أبينا أن نضغط الانفاق ونقلل التبديد ونقيد الواردات . لا يزعم أحد بالطبع ان الانفاق الضرورى قد ضغط بما فيه الكفاية ، أو أن التبديد قد انتهى أو أن الواردات لا تحتمل مزيدا من الترشيد ، ولكن الذى يبدو لنا هو أن تلك السمة التى سادت طوال السبعينيات والنصف الأول من الثمانينيات قد أخذت فى الانحسار ، وقد يكون هذا داعيا للتفاؤل بأن ظاهرة شركات توظيف الأموال قد تكون قد ذهبت بلا رجعة ، بل قد تكون هذه الضائقة الاقتصادية نفسها هى التى أجبرت السلطة فى نهاية الأمر على التصدى لهذه الشركات . **إنه اذا كان تحليلنا المتقدم صحيحا ، فإن من الممكن أن ننظر إلى الفترة الصعبة التى نجتازها الآن على انها سوف تقترن بفترة "تطهير" للاقتصاد والمجتمع مما علق بهما طوال فترة كان فيها المال يتدفق بلا حساب ويحصل عليه الناس بلا جهد ، فظهرت فيه أيضا شركات لا تلتزم بقانون ولا تسأل احدا من اين جاء بالمال ، فى مقابل الا يسألها احد : إلى أين ذهبت به ؟**



كتاب الهلال
يقدم :
معالم التقريب
فى المذاهب الإسلامية
بقلم : محمد عبد الله محمد المحامى
يصدر
٥ مارس
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم :
عشيق الليدى تشاترلى
تأليف : د . هـ . لورانس
ترجمة : د . أمين العيوطى
تصدر فى
١٥ مارس ١٩٨٩



تثير إقامة تجمع إقتصادى رباعى إهتماما فى الأوساط السياسية المصرية والعربية أكثر مما أثاره قيام مجلس التعاون الخليجي، ومما يثيره إنشاء التجمع المغاربى وليس فى ذلك ما يدعو للاستغراب فالتجمع الرباعى يضم أكبر تجمع بشرى فى المنطقة العربية، ويمتد ليشمل - أو يكاد يشمل - منطقة القلب فى الوطن العربى ويخترقه إثنان من أهم ثلاثة ممرات مائية فى الشرق الأوسط ويجمع بين نظم سياسية شديدة التناقض من حيث النشأة والتكوين والممارسات، ويرسم على خريطة المنطقة شكل قوس يكاد يحتوى شبه الجزيرة العربية، ويكاد يلامس بظهره أخطر بقاع التفجر حيث فلسطين ولبنان وسوريا والسودان. وهو التجمع الوحيد غير المنغلق على ذاته، وغير القابل للتقوقع، وبالتالى فهو التجمع الوحيد المثير للقلق او الغضب او الشك، ولذلك ايضا هو التجمع الوحيد المحتاج الى تبرير مستمر لانشائه ووجوده والدفع بانه ليس محورا سياسيا ولن يتحول الى حلف ولن يضمر غير ما يعلن.



والى جانب كل هذه السمات، توجد سمة أساسية · فهذا التجمع الرباعي يضم مصر· مصر التي يسعى كثيرون منذ حوالى عشرين عاما لتطويعها وترويضها · فمصر هي التي جعلت القومية العربية عقيدة كل العرب حين تبنتها بعد أن كانت عقيدة قاصرة على أهل الشام لسنين طويلة · فأثارت بما فعلت ثائرة الدول العظمى والكبرى وثائرة عرب لا يؤمنون بعروبتهم · ومصر هي التي طرحت الاشتراكية العربية نظاما اقتصاديا اجتماعيا فأثارت بهذا الطرح انقسامات وعداوات رهيبة في المنطقة العربية · ومصر هي التي بدأت الانفتاح والتحول التدريجي الى ما يشبه الراسمالية وتزعمت عمليتى طرد الاتحاد السوفييتى من المنطقة واستعادة النفوذ الامريكى ·

ومصر التي قادت الحرب ضد اسرائيل فى ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ أنفردت بعد ذلك بالصلح معها ، ومصر التى قاومت أطماع الشاه فى الخليج سبقت كل العرب فى اعلان عدائها للثورة الاسلامية فى ايران · ومصر اليوم تقدم نموذجا مبسطا لديموقراطية تعددية · وتقدم تجربة فى امكانية استمرار واستقرار نظام حكم عربى فى ظل ما هو أقل من الاجماع الشعبى الذى توافق العرب لقرون على ضرورة



توافره بالرضاء أو بالاكراه . وتقدم محاولة فى تطبيع الحاكم ، فـلا هو برئيس ملكى يحكم مدى الحياة ، ولا هو بخليفة لا يخطىء ولا يخضـع لدستور ولا يسمح بمعارضته .

لذلك كله ولاسباب اخرى ، يحظى مجلس التعاون الرباعي باهتمام اشد مما حظى به مجلس التعاون الخليجي عندما قام والتجمع المغاربي وهو يقوم كل منهما افقد غير الاعضاء فضولهم وامتص منهم طاقة وغريزة التـدخل واثارة المتاعب حين أغلق البـاب فى وجوههم . فمجلس التعاون الخليجى قرر أن تكون العضوية للدول المؤسسة فقط حتى أنه رفض عضوية أصحاب فكرة انشاء المجلس . والتجمع الآخر اختار أسم المغاربى او المغرب العربى الكبير لتبدأ حدوده أو تنتهى عند من هم ليسوا مغاربة ، والعضو الوحيد الاقل مغربية لانه مختلف ثقافيـا واجتماعيا وسياسيا ، هو العضـو الذى يطالب بأن يكون التجمع عربيا افريقيا . وهذه مشكلة تنشأ دائمـا فى أى تجمع اقليمى ، فالـدولة الهاشمية فيه دولة مثيرة للشـغب ، لانها عادة ما تكون مترددة ومتنـوعة **الانتماء . ولدينا بريطانيا وما تسببه من متاعب للسوق الاوروبية مثل على ذلك .**

معايير النجاح متعددة، وهىمعايير دوليـة ، بمعنى أنه لا يجوز أن نستخلصها من تجارب محلية استنادا الى قيم وأهداف محدودة . كمـا أنـه لا يجوز أن نزعم فى هذا الشـأن بالذات أن لنا خصوصيات فنفصـل معايير على مقاسـات هـذه الخصوصيات . والافضـل دائما استخدام المسميات الصحيحة المعبرة عن الاهداف الحقيقية . فاذا اجتمعت ارادة عدد من الدول على خلق جهاز ينسق بين أجهزة الامن فى تلكالدول، فالمسمى الصحيح هو اتفاقية تنسيق أمنى . واذا اجتمعت ارادة دولتين أو أكثر على تنسيق خططها العسـكرية لمواجهة عدو مشترك فالمسمى الصحيح هو حلف . واذا قرر عدد من الـدول تشجيع تدفق الاستثمارات والعمـالة واقامة مشروعات مشتركة مع احتفاظ كل منها بقوانينها وتشريعاتـها دون تعديل يتناسب وقرارها ، فالمسـمى الصحيح اتفاقية تعاون اقتصادى .

المقصود بالتجمع الاقتصـادى الاقليمى اجتماع ارادة عدد من الدول على هدف ادماج السوق المحليـة فى سوق اقليمية أوسع لتتمكن منمسايرة او مواجهة عالم اقتصادى تهيمنعليه كيانات كبرى.هذه الارادات لا تتشكل الا بعد اقتناع حقيقي وقوى بانالسوق القطرية قد لا تحقق للمواطنين الرخاء او لا تلبى احتياجاتهم ، ولذلك فـاذا لم يصاحب قرار انشاء التجمع قرار اخر بالاستعداد للتنازل عن جـزء من السيادة القطرية للجـهاز الاقليمى الجديد فالامل ضعيف فى نجاح هـذا التجمع .

واذا كان الهدف من التجمع تدعيم السيادة القطرية أو السلطة السياسية

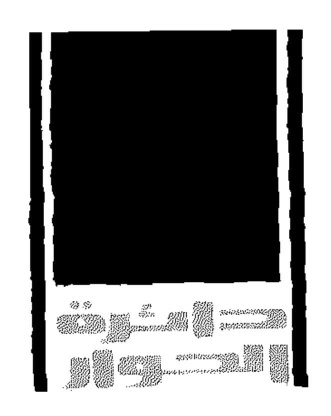
القائمة فى دولة من دول التجمع،واذا تواصل حصر عمليات التنسيق داخل استقلال نسبى وولاء لاهداف التجمع، واذا تعمدت دول التجمع أبعاد مشاركة مجتمعاتها فى بناء وتدعيم التجمع ، فالامل أيضا ضعيف فى نجاح هذا التجمع ·

● المعيار الاول اذن لقياس نجاح اقليمى هو قدرة هذا التجمع على تحقيق تكامل اقتصادى حقيقى بين الدول الاعضاء · معنى ذلك أن الدولة العضو فى التجمع لا تقيم صناعة ضخمة جديدة قبل أن تستشير رفاق التجمع وتتباحث معهم حول الموقع الامثل اقتصاديا لاقامة المشروع· وقد يسفر التشاور عن أن الموقع الامثل اقتصاديا يوجد فى دولة أخرى من دول التجمع · ومعناه أيضا أن الدول أعضاء التجمع تقوم بازالة القيود على التجارة والتنقل والاستثمار وتخفض من الرسوم الجمركية على منتجات أسواق التجمع

● المعيار الثانى : يتعلق بحجم المنافع والمصالح التى تحققها قطاعات جماهيرية أوسع داخل مجتمعات دول التجمع · فأى تجمع مهما سمت أهدافه وارتقت مواثيقه ، لن يحقق نجاحا لو لم تشعر الشعوب أنه يحقق لها نفعا مباشر · أو لو شعرت أن التعاون سوف يقتصر على تنسيق حكومى أو بين مصانع ومشروعات القطاع العام · لقد فشل التكامل المصرى السودانى لان قطاعات الشعبين المصرى والسودانى لم تجن من ورائه أى نفع مباشر أو غير مباشر· والاتحاد المغربى الليبى ــ أو العربى الافريقى كما أطلق عليه ــ فشل أساسا لنفس السبب ، وأن وجدت أسباب أخرى لا تقل أهمية · والوحدة المصرية السورية فشلت وأحد أسباب فشلها ضآلة العائد الاقتصادى لشعبى الاقليمين · والتكامل الامريكى الكندى يحقق تقدما ضئيلا بسبب خوف الشعبين على مصالحهما الآنية رغم ثقة الحكومتين فى عائد التكامل على الاجل المتوسط والطويل ·

● المعيار الثالث : هو المعيار السياسى ، بمعنى أن أى مشروع تكاملى أو وحدوى لا ينجح اذا لم يكن من أهدافه طمانة الشعوب على حقوقها السياسية والالتزام بالتعددية السياسية وحرية اقامة الاحزاب والتعبير وتوفر ضمانات الامن الشخصى أما الاتحاد أو التجمع القائم على ما هو قائم من نظم غير ديموقراطية، فمصيره المؤكد انفضاض الجماهير عنه ، بل وأحيانا تمردهم عليه ، كما حدث من جانب شعب السودان الذى شعر ــ وعن حق ــ أن النميرى استخدم التكامل لتدعيم القمع والقهر الداخلى ·

ومن غير المقبول ــ فى عصرنا الراهن ــ الادعاء ظلما بما تعودنا على سماعه فى المنطقة العربية ، بان الشعوب العربية غير مؤهلة او مستعدة لممارسة الحياة الديموقراطية ، أو أن بلدا ما ظروفه الامنية او الطائفية او الثورية لا تسمح له برفاهة الدخول فى تجارب ديموقراطية · لا نفع من تجمع لا ينص ميثاقه ولا يمارس فى مؤسساته ومؤسسات أعضائه أساليب الديموقراطية واحترام حقوق الانسان، تركيا واسبانيا والبرتغال واليونان فى ظل الشرط الديموقراطى الذى وضعته السوق الاوروبية المشتركة



افضل امنا ورخاء عما كانت عليه خارج السوق وداخل اقفاص الاستبداد أو الحكم الفردى أو الحزب الواحد . ونجاح السوق مرتبط بتزايد المشاركة الشعبية الاوروبية فى عمليات انتخاب برلمان السوق وبحرية التعبير وباستخدام الاشخاص لحقهم الذى حصلوا عليه باللجوء الى محاكم السوق اذا تضررت مصالحهم وحقوقهم الاساسية .

المعيار الرابع : يتصل بمدى نجاح التجمع الاقليمي فى تدعيم النظام الاقليمي الذى يتبعه أو يتفرع عنه ، فالسوق التى ينشئها التجمع التابع جزء من سوق اكبر ، والكيان الذى ينشأ بنشأة التجمع جزء من كيان اقليمى أو قومى اكبر . ومن الخطأ أن يقوم اى تجمع اقليمي على اساس او احتمال التقوقع والاكتفاء الذاتي عن السوق الاقليمية الاوسع أو الكيان القومى الاكبر .

لقد قامت السوق الاوروبية المشتركة على اكتاف تكتل الفحم والصلب ومجموعة البنلوكس وغيرهما ، وكلها كانت روافد تصب فى بعضها البعض وفى الفكرة المتنامية لانشاء سوق أوروبية مشتركة . فى الوطن العربى يحدث العكس . فالجامعة العربية قامت أولا ، ثم قامت التجمعات يقول منظرو وخبراء التكامل الجماعى العربي أن التمسك المتطرف بالسيادة القطرية والخلافات الشخصية بين الحكام العرب أهم أسباب فشل تجارب التكامل العربى ، ويقولون أيضا أنه لو استمرت هذه الاسباب فالفشل مصير حتمى لجميع تجارب التجمعات الاقليمية . فالجامعة العربية تقف على قدم المساواة مع العديد من المنظمات الدولية الاقليمية من حيث دقة وشمولية وواقعية مشروعاتها التكاملية . ولو شاءت الدول العربية لنفذت المشروعات وحققت الرخاء والامن لمواطنيها . ولكنها لم تفعل .

من ناحية أخرى يقول خبراء ومنظرو التجمعات الاقليمية — وهم يتكاثرون هذه الايام — أن الجامعة العربية فشلت بسبب تعدد واختلاف عقائد النظم الحاكمة وخلافاتها ، وبسبب صعوبات التمويل والادارة وللتشتت وخلافات الحكام نتيجة الفروق فى الخلفيات والظروف الاجتماعية والسياسية ، ويقولون أن الافضل اذن هو التركيز على العمل الاقليمى ، ففى كل اقليم توجد دول تتشابه فى ظروفها ونظمها السياسية والاجتماعية وتتناسب خلفيات وثقافات حكامها وشعوبها ، وتتقارب مواقع الانتاج والتسويق، ولا يوجد بالضرورة تعارض بين قيام تكامل اقليمى يعقبه تكامل اقاليمى .

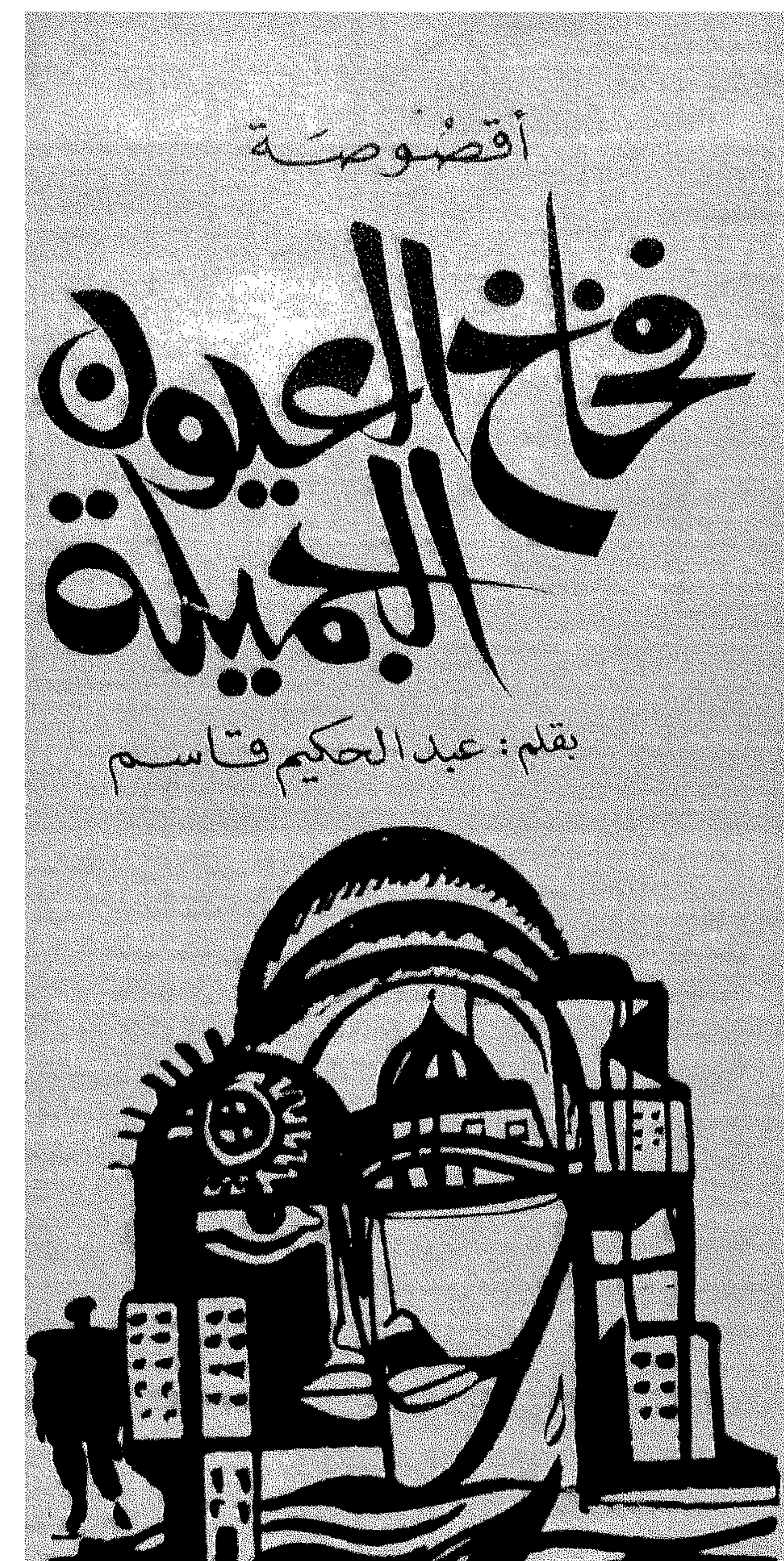
الدارسون لتطور النظام العربى والعارفون بديناميات وتفاعلاته يقولون شيئا مختلفا . يقولون أن هناك ارادة عربية سعت لاضعاف مؤسسات النظام العربى — ومنها الجامعة العربية ومنظماتها المتخصصة وشركاتها



زعماء مجلس التعاون العربي ، حسني مبارك
والملك حسين وصدام حسين وعلى عبدالله صالح

المشتركة ـ قبل أن تنفذ برامجها لانشاء تجمعات اقليمية • أيضا ان التجربة أو التجارب الماضية تؤكد أنه منذ أن بدأ انشاء أول تجمع اقليمي عربي حدث ما يلي : أداء عربي جماعي أضعف ، انحسار الفكرة القومية ، تراخي تنفيذ برامج التكامل الجماعي ثم توقفها تماما ، تدهور المركز الدولي العربي ، وأهمال تجربتي الحوار مع أوروبا ومع أفريقيا كتجربتين رائدتين في مجال التفاوض بين كيانات كبرى ، زيادة تعقيد اجراءات التنقل والسفر والتملك والاستثمار بين الدول أو بين الاقاليم العربية ، تزايد سطوة وهيمنة بؤر اقليمية على حساب مصالح وارادات دول صغرى داخل التجمعات الاقليمية، انحسار الديموقراطية وتقييد الحريات الشخصية وفي مقدمتها حرية التعبير

وايا كان القائل والقول ، فالفصل في جدوى قيام التجمعات الاقليمية يتوقف على مدى تحقيقها بعد فترة من الزمن للمعايير الدولية والموضوعية لنجاحها • واذا شئنا التنبؤ بنجاحها أو فشلها فلنقرأ مواثيقها الاساسية واهدافها ومدى التزامها بتحقيق هذه المعايير • واذا اراد صانعو السياسة والقرار ضمان نجاحها فليبدأوا أولا في النص على معايير النجاح في بنود اتفاقيات انشاء تجمعاتهم الاقليمية ، والنص على التزامهم بتنفيذها والاحتكام في التقييم بعد فترة زمنية مناسبة الى مجلس شعوب التجمع المشكل من نواب يتم انتخابهم بالاساليب الديموقراطية المتعارف عليها دوليا ، وليس بالاساليب المتعارف عليها عربيا •



انا كاتب • كتبت عددا من القصص صادفت قبولا من القارئين وتشجيعا من النقاد،واحسن استقبالى فى كل مجمع يضم المثقفين والناس اللامعين وكان حظا • وكنت اعود كل مساء راجعا الى بيتى فى شارع قطر الندى فى حى امبابة وتحت ابطى لفة من الكتب والمجلات ، وفى قلبى بقايا من انس الاحاديث •

نعم البيوت علت فى الشارع وبقى قاعه معتما ، والداخل الى المساكن بقيت دامسة الظلام ، والسكة موحلة زلقه فىكل الفصول، بما تكب النسوان فيها الماء الوسخ ، يخرجن بالدلاء من الابواب ، لكن ابتسامهن ، وحسن العيون ، وتزاعقهن ، وذيول الضحكات تنير يعلمن بأن كلماتى تنشر فى الجرائد وصورى • يصبحن على ، والمساء بخير •

فى المساء نقعد قدام التليفزيون ، انا وامى واخواتى فى ضوء المصباح الكهربى ، تلمع العيون السوداء ببريق السرور ، ونحن متكئين على الارائك رنبصق قشر اللب على البلاط العارى • نغرق فى الضحك حين الفصول

الفكهة ، ويعلو صوتي مشيرا للممثل : « أنا أعرفه .. يقابلني في المجالس .. يطري كتابتي كل مرة .. !! » تطرف ناحيتي ازواج العيون ، لما قلت مثل ذلك عن الممثلة الكبيرة المقتدرة ، رنت في عيون أمي واخواتي لمحة عن عدم التصديق .

انها ممثلة مجيدة يطاوعها جسدها في فنها ، يبقى مأسورا بكلمات دورها ، يطول ويشمخ يتثنى ويتأود ، وذراعاها يتوتران ويلينان مع دفق المشاعر دفق الايقاع للحن تحت سلطان العبارة تشير بيدها حيث اتجهت عيناها ، بكل السحر في عينيها ، تعبر بهما عن الازدراء والكراهية والترفع،وتلتوى شفتاها اى فتنة تبدو . آه لو كتبت ما تقوله بكيانها العذب .

في ظلمة غرفتي ارقد ولا تغمض عيناى ، لاترايان الا لعب الشخوص من قصص ، والاالمذلة القديرة ، تتكلم بكلماتي يقول لها الاب :

« سريت اليك هداة المساء ، وانصرفت عنك في الهزيع الاخير ، يوما بعد يوم بعد يوم : وفيما بين ترقبك قدومي عليك، وتطلعك في اعقابي متصرفا عنك ، فيما بين الوقتين وقت ثالث عشت فيه الحياة غير مفروضة ولا مسنونة ، غير مكتوبة ولا مشروطة ، غير مبتسرة ولا منتقصة من اطرافها ، يوما بعد يوم بعد يوم . تخففت، فاستطعت ، فرأيت ، دهشت وعجبت وسررت ثم نظرت،كان ذلك بعض موتي ، لك ويك يا حبيبة، وتتكلم هي،هي الحبيبة:

« لكنني الليلة جربت وقتا ثالثا ، لا هو ترقبك قادما ولا هو وداعك مفارقا ، وقت اخر ، لا يؤذن به مؤذن، ولايحدثه تعاقب افلاك، يستطيل ويعرض ، ويتلاطم حول امواجه ، تأخذني بالظلمة والرعب، لا اعرف شطا ولا قرارا، أموت وأموت ، لاعاني بلا نهاية الهول الكائن بين البقاء والفناء » .

وينتهي حلم المساء ولم أنم ، مفتوح العينين، تأخذني الرعدة يارد الاعضاء غارقا في عرقي . كتبت المسرحية اخذتها للناس ، قالوا انها جيدة . صررتها في لفة اوراقي تحت ابطي، وذهبت الى السيدة .

في المسرح ، وكانت جالسة في صفوف المتفرجين . انظر .لقد استدارت الخشبة حيث جلست . اتطلع اليها في علوها ، والناس جميعا ، وهي مضواة بذاتها . قلت لها : « انني كاتب . ! » قالت : « اعرف ! » قلت من عمق السحر الذي أودى بي باشارة بنانها وبسمة ونظرة : «كتبت مسرحية ! » قالت : « تعالي .. اقرأها لي .. أنا اسكن في الجزيرة ! »

اعطيت ظهري للنيل، ومضيت نحو البناية . في المدخل خرج على ناس ، كل خبوة ابرزت رجلا مشدودها يتأملني مذهولا . قلت : « اريد ان ارى السيدة ! » حصل الذعر في الجماعة يتنادون ، يزعقون ، يصرخون ، يجرون في كل اتجاه ، حتى ظهر زوجها . قال : « ماذا!» رجل ابيض بشع الخلقة قلت : « اقرأ لها مسرحيتي ! » التوت شفتاه بمنطوقة . قال : « خذ ورقاتك وامض والتأمت حولي الحلقة من انفارها يوجد ملامح وجوههم الاصرار مشيت محروسا بغضبهم حتى خرجت .

لا يفتنني زحام الشارع ولا يفتر مني صخبة بالالات ، وصراخ الرعب . لا انذهل عن وجهها المرسوم على جهامة السحب . يأخذني بالغموض في بسمته ، والنظرة »



أندلس الشاعر سميح القاسم

بقلم: د. حسن فتح الباب




الشاعر سميح القاسم

على ابواب قرطبة وغرناطة واشبيلية يكاد السائح ان يتجمد من فرط الذهول ؛ إذ يشهد آثار الحضارة العربية فى الاندلس ، تلك الحضارة العظمى التى استغرقت نحو ثمانية قرون لم تكف طوالها عن إخراج أوربا من الظلمات إلى النور ، والأخذ بيدها من طريق الغواية والضلالة عقلا ونفسا إلى طريق الهداية حسا وفكرا ، فاهدت البشرية فى العصور الوسطى أعظم الرواد فى شتى العلوم والفنون والصناعات والآداب . ويكفى أن نذكر فى هذا المقام ابن رشد وابن خلدون .

● ومشهد ساحة الأعمدة المهيب فى جامع قرطبة .. الامتداد والسموق كأنما بلا حدود .. يشعر الفرد بضآلته أمام ذلك الصرح العملاق .. أمام عظمة الانسان منشىء الحضارة عبر الأجيال التى تتواصل فيرث الخلف منها خبرات السلف ، فتتراكم تلك الخبرات ، فيكون المضى السرمدى للانسانية إلى الامام مهما كانت منعرجات الطريق ومعوقاته . ولكن أين نحن من هذا التراث بعد أن ضيعناه ؟ أو مازال يجرى فى الشرايين منا كما يجرى فى شرايين الآخرين من أبناء الحضارة ؟ أم نحن ماض بلا حاضر .. هنود حمر ؟ أم بلا مستقبل ؟ كائنات انقرضت منذ عصر سحيق !!

تساؤلات للسائح العربى فى أسبانيا وتأملات لا تنتهى . يمر على الذاكرة هنالك شريط طويل من الأحداث . ويرتبط الحاضر بالماضى . وقد تتفق أو تتقارب الافكار حول الأمس ،



وتختلط حول اليوم . أما الغد فيلفه التضارب والتناقض وتتسع فيه المسافة بين الممكن والمستحيل ، والواقع والوهم ، واليقين والإفك .

ورغم سذاجة ما قال زهير بن أبى سلمى حكيم العرب فى جاهليتهم فإنه يطفو الآن على السطح .

واعلم علم اليوم والأمس قبله

ولكننى عن علم ما فى غد عَمِى

إن كل شىء يجمعنا إذ نفكر ، ولكن لا شىء يجمعنا إذ ننظر . وبين التعلل بما صنع العدو أو ما ضيع السفهاء منا يختلف التأويل والتعليل . وبين ألوان الفساد أو صنوف القهر والاستبداد تتفرق الآراء فى رد ظاهرة الانحدار إلى أسبابها .

وفى الوقوف على الفردوس الضائع فى الأندلس كما سميناه يستعرض السائح المؤرخ أو السياسى أو الباحث العربى مراحل النهوض ومراحل السقوط عبر تاريخنا الطويل ، فلا يجد إلا جرحا يتبعه آخر ولمًا يندمل الأول . وكأنما لم توجد الأرض العربية إلا لكى تجعل حلبة يتبارى فيها غزاة كل العصور . فإذا حكمها بعض من بنيها أفسدوا فيها ثم ألقوا مقاليد النفوذ إلى الأعداء . وكأنما كتب على الدم العربى أن يسفك هدرا فلا ينبت قمحا أو وردا .

وهكذا تتفجر - على عتبات القصور والمساجد والأبراج والمكتبات الأندلسية - كل الأحزان ، وتتوالى على الخاطر الأزمات الفاسدة التى لم نتخلص منها بعد ، فتتتابع أشباح الأندلس ، وتتراءى الصور التى تذكرنا بما نلقاه اليوم منذ سقوط غرناطة حتى نكبة فلسطين مرورا بعصر الاستبداد العثمانى والانحطاط الفكرى الذى واكبه . تلك هى الذكريات التى تنثال فى مرآة السائح المفكر أو الباحث .

أما الشاعر المتجول بين أطلال قرطبة وغرناطة وإشبيلية فإنه لا يتذكر بل يتفجر ينابيع من الأسى والتمزق وجداول رهيفة من الأمل فى الغد الآتى مع الأجيال مهما طال الليل ، إنه لا يشير الى الجرح بأنامل الباحث أو العالم الباردة . ولكنه يغمس ريشته فيه ويتوحد به . فاذا كان الباحث فى الأزمة العربية يستعرض الخريطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للوطن العربى فى شتى تضاريسها ، فإن الشاعر مثل المصور تشده "اللقطة" شديدة الاثارة فيركز عليها الضوء ، فهى بمثابة البؤرة للعدسة ، لأن الشعر اختيار وتكثيف .

● سميح والهم العربى

ومن ثم نرى سميح القاسم شاعر الأرض الفلسطينية المحتلة وهو يعبر عن الهم العربى من وحى وقفته على أطلال الأندلس ، فلا يستعرض فى قصيدة "الأندلس" مراحل الانتصار والانكسار ، ولا يعدد عواملهما أو يحللها ، كما يفعل المؤرخون . وهو لا ينشد بكائية على الماضى الذى اندثر والمجد الذى ضاع كما فعل شوقى فى أندلسياته ، **ولكنه يوظف رموز الماضى إسقاطا على الحاضر واستشرافا للمستقبل ، من خلال مجموعة من الحوادث**

والمواقف والمقولات التاريخية والمأثورات استقطبت دون غيرها لا وعيه ، واختارها بوعيه ، فسلط عليها أدواته النفسية والفنية الكاشفة ، ففجر بها الرؤيا تفجيرا .

اتخذ سميح من المآسى التاريخية للأمة العربية نتيجة تفسخ الأنظمة مادته الأساسية . وشكل هذه المادة صورا متحركة أخاذة شديدة الإيحاء ، تحمل كلها عطر الماضى وفوح زهوره الدموية ، كما تحمل رائحة الواقع الوحشية . ولم يكن فى حاجة إلى استخدام الأسطورة ، فإن الوقائع أكثر من الأساطير غنى بحكم كثافتها ومفارقاتها إذا تناولتها أنامل فنان ورعة ، فأعادت ترتيبها وتشكيلها من خلال العمليات الابداعية ، حتى تحولها إلى عالم شعرى أشبه بالحلم رغم انتمائه إلى الواقع ، عالم معقول . فى حكم الحس الانسانى ، ووهمى فى حكم المنطق الجامد .

ومنذ مطلع القصيدة نحس كأننا بين يدى واحد من شعراء "التروبادور" يحمل قيثارة مشدودة الأوتار على جرح قديم ويطوف بشدوه الشعبى غريبا بين الديار لا يقر له قرار ، حزينا كما لم يعرف الحزن أحد ، يسكب لحنا منزوف القرار ، مترنح الأصداء ، نابعا من الأغوار ، منطلقا حتى آخر الآفاق .

انغام أندلسية عربية فلسطينية شاجية مرهفة عميقة حتى النزع ، تستمد سحرها من نسيجها الملحمى ، وعذوبتها من رفرفتها الرومانسية ، ووقعها من جوها التاريخى الذى مازلنا نعايشه فى واقعنا المأزوم المتردى . كأس قديمة يصب فيها سميح القاسم خمرا جديدة . فالقصيدة (تنويع) معاصر على الموشح الأندلسى الشهير الذى كتبه لسان الدين بن الخطيب الشاعر الغرناطى :

جادك الغيث إذا الغيث همى
يازمان الوصـــل بالأنـدلس
لم يكـن وصـلـك إلا حلـما
فى الكرى اوخلسة المختلس

ومثلما يفعل (ابن الرومى) قديما فى توليد الصور والمعانى عن طريق التحليل والاستقصاء حتى لا يترك لمن بعده من الشعراء زيادة لمستزيد على حد قول النقاد القدامى ، يشق سميح القاسم من هذا الجدول الصغير ـ الموشح الأندلسى ـ أنهارا جياشة متدفقة ، ويحول انتماءه من الماضى البعيد الى الحاضر الماثل للعيون والكامن فى الصدور ، من الرماد الى الحريق ، مستخدما كل مبتدعات اللغة الشعرية الجديدة ألفاظا وصورا ومعانى ، من خلال الإدراك العميق لأسرار تلك اللغة . يقول سميح :

جـادك الغيث ، لا جـادك الغيـث
.. يازمن الوصل والفصل ، كفلرتى
لم تجز .. والمدى موصد بالمدى

هكذا تبدأ المعزوفة بالألم الساخر المرير تعبيرا عن الأزمة الفاجعة والأغلال التى لا تبلى

ولا تحين لها نهاية .. ففى كلمات محدودة لا تملأ أكثر من ثلاثة سطور فجر الشاعر كل شحنات الرفض واليأس وعبثية الماضى والحاضر .. فكأنما انهار العالم كله حولنا ، إذ نسمع ـ من خلال هذا النغم الجياش الحزن والالتياع ـ قرقعة سقفه فوق رءوسنا .

وتتابع أنفاسنا مع تسارع الإيقاع كأنما هى اللعنات أو الجمرات الحاصبة تكوى جلودنا وقلوبنا من فرط ما ضيعنا وضعنا . ثم يبدأ المقطع الثانى للافتتاحية :

صاحب الخان ، أسرج جواد الفتى
اعطه جرعـة من رحيق الهــوى
زقه عطش دائم ، كأسه للردى

وتران يعزف عليهما الشاعر هنا : وتر الترحال الدائب كرها والهجرة المفروضة على أبناء الشعب الفلسطينى المشرد فى المشارق والمغارب منذ النكبة ، ووتر العطش السرمدى فى غيبة الأرض والأحبة ، والظمأ المقهور للحرية والعدالة . وبين الترحال والعطش تكمن الأزمة أو الحصار كما فجره سميح القاسم فى مطلع قصيدته . **ومن ثم يكون الوصل عند ابن الخطيب فصلا عند سميح ، ويكون المنتهى هو المبتدأ ، والبدء هو الختام ، لأنه لا زمان للفاجعة ولا ختام .**

ويتمثل الشاعر فى ذلك المقطع العالم الفنى للخيام والنواسى فى القديم ، ولسعدى يوسف فى بعض قصائده الحديثة ، أو هكذا أحسه من خلال الصياغة وإن كان لايزال يعزف على قيثارة المغنى الشعبى الأسبانى المتجول وهو يتحسر على فردوسه المفقود ، إذ يسكب الحانه فى ضوء القمر أو فى جنح الليل تحت نافذة الحبيبة التى لا تجيب .

ولكن هذا الشاعر المغنى فارس محكوم عليه بالركض عبر المتاهات كأنه سيزيف الشقى فى الميثولوجيا الاغريقية ، وقد أنس فى طريقه الموحش الطويل خانا (فندقا) يأوى إليه الشاردون المتعبون ساعة أو بعض ساعة ، ومثل امرىء القيس الملك الضليل الباحث عن مجده السليب على أبواب قيصر ، يطلب الفارس الفلسطينى رشفة من رحيق الحب قبل أن يسرج صاحب الخان جواده .. رشفة واحدة يبل بها صداه فهو العاشق المرتهن بين الظمأ وبين الموت .

وما يلبث الشاعر أن يدخل بنا عالما أشبه بسمادير (أوهام) الشارب المترنح من شدة التمزق والاحساس بالضياع والاحباط ؛ إذ تختلط فى نفسه وأمام عينيه كل الدروب ، وتتداخل المرئيات والأطياف .. ويعز الهوى فى غياهب الأمل المستحيل . وكأن الشاعر العربى ـ هكذا يخاطب سميح القاسم نفسه ـ من البربر الأشاوس ، ولكنه لم ينجب (طارق بن زياد) فاتح الأندلس .. إنه ينتمى باسمه الى العرب وبحقيقته الى سيوف الأعداء !!

إنه فلسطينى مشرد من ضحايا النكبة ، فهو ربيب الفاجعة وابن المذبحة ، وحين يذكر الشاعر ـ فى دوامة الذكريات الجهمة والحاضر الفاجع ـ أنه سائح على أبواب الاندلس ، يتذكر شاعرها (ابن زيدون) ويتذكر معشوقته (ولادة بنت المستكفى) ، فيبحث عنهما

والرؤى أخلاط أشباح تسد الطريق :

بربرى انا .. لم الد طارقا
.. ولدتنى شفار العدى
بربرى انا
.. و(ابن زيدون) خابية عتقت خمرها
صرخات السبايا
و(ولادة) خسرت عرضها فى ملاهى الشمال
(إنما كسبت خبزها !!)

أى شعر عظيم ما يصرخ به سميح القاسم فى نغم متعالى الرنات بالصياح المأساوى ، ومتدافع الموجات بالسخرية التى تنكأ الجروح القديمة .. طالما بهرنا الشاعر الفارسى عمر الخيام وقد تحولت فى مخيلته الخلاقة اليد البشرية المترعة بجمال الحياة إلى يد ابريق خمر من الفخار . ولكن ابن زيدون الشاعر العاشق الوسيم يتحول عند سميح القاسم ـ فى غيبوبة الألم والعذاب ـ إلى وعاء خمر قديمة ـ فقد مضت حقب طويلة على موته ـ عتقتها صرخات صبايانا العربيات السبايا بين براثن العدو بعد سقوط الأندلس التى يرمز بها سميح الى فلسطين بل الى الأمة كلها . أما (ولادة) فإن القلم يكاد يعجز عن تكرار الصورة التى تحولت إليها فى زماننا هذا الرجيم .. !! وهى صورة تكشف الانتهازية والاتجار بقضية فلسطين ، وكل صنوف السقوط ، وما يساق من تعلات كاذبة لتبرير الجريمة .. وتتسكب بقية المقطع :

ياسهيل الأسى ، يارنين السنابك
.. هل فى المخاضات كوكبة
ام ترى محض آل ؟
انذا قشة فى مهب الضلال
من ترى مرشدى ؟
(قشة) .. من ترى ؟
جسدى بين بين
بلدى بين بين
وغدى سكة فى الرمال ..

هنا يتهادى اللحن بطيئا كأنما هدت الصرخات التى أطلقها الشاعر من قبل جسمه وضعضعت حسه فهمد واهن الأنفاس . لقد كان سميح من بعيد ـ من أعماق الماضى الذى يتمثله الشاعر حاضرا خلال تجواله فى الأندلس ـ رنين سنابك الخيول العربية وهى تعدو بفرسانها الكرام الفاتحين تسد عين الشمس .. ومن ثم يعاوده الأمل ، فيتساءل عما إذا كان غبار السنابك سينجلى حقا عن كوكبة من الفرسان .

ولكنه ما يلبث أن يتساقط فى هوة القنوط بعد أن يتبين أن الأمر كله قبض الريح وحصاد

الهشيم ، وانه ـ هو الفلسطيني أو المواطن العربي ـ لايزال ريشة أو قشة في مهب الريح بل في مهب الضلال لأنه لم يملك بعد مصيره .

ويعود الشاعر إلى بث آهاته وصرخاته . من ترى مرشدي ؟ من ترى ؟ بعد أن غدا وطنه أشلاء وأهله مزقا وغده وهما . وتنتابه نشوة الرؤيا وقد تراءت ـ كما الحقيقة ـ ملامح حبيبته إذ بدت لعينيه فلسطين من بعيد ، فانثنى يناجيها في نغم عذب حار حزين :

ياالتي ملكت مهجتي
ياالتي نغصت عيشتي
من بعيد قريب تعودين حلكة الليلة الماطرة
وتشعين لؤلؤة توجت جبهة الذاكرة
يالك الله !
هل جئت كي تعلني ساعة الحشر ؟
.. هل بدؤك الآخرة ؟!
انت موجودة (ربما)
حلم (ربما)
جسد إنت للوهم ، ظل بلا جسد (ربما)
وانا الشخص او طيفه ، الطيف أو شخصه
واكتمال الهوى انت ، او نقصه
أعلني .. إن تعلني سرك المبهما !

يتراجع النغم في هذا المقطع الطويل بحيث لا يفجر أكثر من الدلالات المألوفة للألفاظ فيما عدا السطر الثالث والرابع . فإذا جاز لنا أن نستعير لغة النقاد العرب القدامى قلنا إن المقطع فضول أو حشو لا غناء كثيرا فيه . وهو يدل على الحرفية الفنية أكثر من أي شيء آخر . وأحس كأنه مقحم على القصيدة . على أن سميح القاسم ما يلبث أن يسترد حرارة الأنفاس الشجية فيقول :

حين ادركنا الليل ناشدني صاحبي أن نريح المطايا ، ولكنني .. ارتبت في صاحبي ، صحت : غذ الخطى !

حين قلجانا عند منحدر الذكريات لصوص الرؤى والتراب لم يكن معنا من عتاد سوى كسرة من طعام المآتم مخبوءة في كتاب حين ضج اللصوص السكارى وبحنا جميعا ، سوى طفلة
انقنتها الشعاب :
كبرت
حملت
أنجبت
واعدنا الحساب ..



نجيب محفوظ

ناقد مثقف

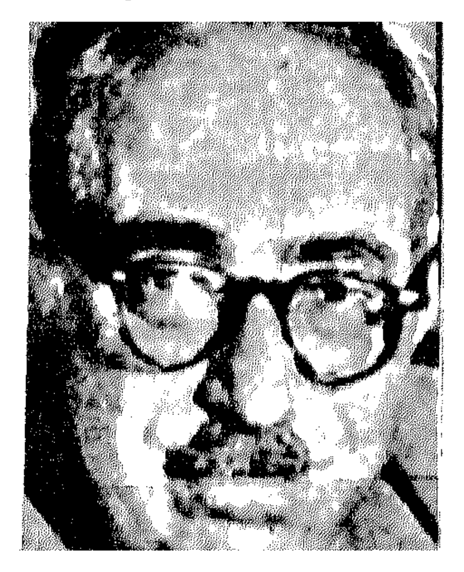
بقلم : د . محمد رجب البيومى

●● غدا الأستاذ نجيب محفوظ فى إشراقه الأدبى مثالا نادرا للموهبة الأصيلة ذات الاطلاع الثقافى المثمر ، وقد اهتدى الى طريقه الجاد فى أولى خطواته الفكرية ، فلم يتعثر فى الشعاب المترامية مضطربا هنا أو هناك ، لايتبين مشرق الضوء ، بل عمد الى الهدف المنشود متئد السير ، نشيط الأمل ، لأن صاحب الفكرة المحددة يشعر بشتى الحوافز الدافعة مهما قامت الصعاب ، واذا ادركته عوامل الشك اليائس ، فهى لاتثنيه عن سيره ، لان الشك فى منحاه الفكرى أمر طبيعى لابد ان يحدث ، ولكن ريثما يتغلب عليه اليقين . لقد فاجأ القراء فى مطلع شبابه بمقالاته الفلسفية فى المجلة الجديدة ، وهى تنحو المنحى الفلسفى وفق تخصصه الجامعى ، ولكن قارىء هذه المقالات يلمس شخصية الفنان كما يلمس شخصية الباحث ، بل ان كثيرا من هذه المقالات كانت سراجا يضىء للفنان حين يهتدى بعمق الدارس ، وبعد غوره ، وفى احداها رسم جيد لخطته المستكنة فى عالم الغيب .

● وكأنه بما نشره بالعدد الثامن من المجلة الجديدة (أغسطس سنة ١٩٣٦ ، تحت عنوان (الفن والثقافة) يحدد موقفه حين يتساءل : أينبغي للفنان أن تبقى أعماله خالصة لوجه الفن بريئة عن التغلغل الفكرى ؛ أم يجوز له أن يطرق الموضوعات العقلية والأفكار الفلسفية !! ثم يجيب على هذا التساؤل بأن الفنان اذا اراد باطلاعه الثقافي أن يزيد آفاقه وأن يهيىء لنفسه شعوراً بالتسامى الفكرى معبرا عن خواطره الذاتية فى ضوء معرفته الهادية .. فانه بذلك يخلص لفنه ويأتى فى عالم الابداع بما يعجز عنه سواه .. أما اذا اراد الفنان بالاطلاع الثقافى أن يشرح عن طريق فنه نظرياته العلمية فقد ضل عن غايته وتنكب طريقه لأن الفن هو التعبير عن الشعور ، والشعور امتزاج للوجدان والفكر معا !

هذا لباب ما اهتدى اليه نجيب محفوظ فى خطواته الأولى ، وعلى ضوئه سار فى إبداعه القصصى اذ كانت إحاطته الفكرية بدروب الفلسفة فى شتى اتجاهاتها مناراً يضىء له ظلمات النفس البشرية ، ويكشف له مسار التيار الاجتماعى فى عالمه ، فهو يرى الأحداث بمنظار مكبر يشهده أدق الخفايا ، ويهديه تلقائيا الى البواعث الكامنة دون اعتساف ، لذلك كان الفنان الكبير ناقداً ممتازاً ، واذا كانت آراؤه النقدية سياسة واجتماعاً ودينا ، مما يتسع المجال لتحليله فى كتب مستقلة ، فاننى فى هذا المقال سأخص آراءه الأدبية الخالصة بعيداً عن جو الابداع القصصى ببعض التعقيب لأن فى هذه الآراء مايساعد الناقد على الاحاطة بفكر

د / طه حسين



د . حسين هيكل



عباس محمود العقاد

نجيب محفوظ ناقد مثقف

هذا الفنان المبدع ، وهو فكر حي منير

● زعماء الأدب

كان نجيب في دور التكوين يعي كل الوعي مايحيط به من تيارات فكرية ويخص باهتمامه زعماء الأدب في مصر اذ هم أقرب المثل الناهضة أمامه في ميدان الابداع ، وكان ممن تصدروا القيادة الأدبية عباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وابراهيم عبدالقادر المازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، وسلامه موسى ، ومحمد حسين هيكل ، وعبدالعزيز البشري ! وطبيعي أن يقرأهم نجيب وأن يعرف اتجاهاتهم الابداعية ، وقد اختار أن يتحدث عن ثلاثة بالذات هم عباس محمود العقاد ، وطه حسين ، وسلامه موسى حديث من نفذ الى أدق الشعاب في نتاج هؤلاء ، ومن المعقول ان أن يغفل نجيب الحديث عن الرافعي والبشري وهيكل ، ولكني عجبت كيف نسى المازني وهو رائد القصة حينئذ ، لأن الدكتور هيكل لم يصل الحبل بعد قصة (زينب) ونجيب قد يكون غير متفق مع اتجاه المازني التصويري في ابداعه الفني .. ولكن ذلك لايعني عدم التأثر به في فن هو منه موضع الاحتفاء والاقبال ، أتراه خشي أن يقسو عليه بخلاف لاداعي لاثارته ؟ ان عهدنا بالمازني أن يحتضن مؤيديه ومعارضيه معا ! مهما يكن من شيء لقد تحدث نجيب عن العقاد وطه حسين وسلامه حديثاً جمع على إيجازه مايراه من السمات الدقيقة لهؤلاء ، وقد بدأ بالعقاد فذكر أنه رجل البداهة ويقصد بها الفطرة البصيرة أو الاحساس الصادق أو الطبع السليم مما ينفذ به الى صميم الحقائق وتلك درجة من الكمال يبلغها الصوفي باجتهاده ويحوزها الفنان بفطرته ! هكذا يقول نجيب ولا أدري لماذا لايكون الصوفي ذا فطرة أيضا وتكون هذه الفطرة باعثة له على الاجتهاد الذي يصل به إلى مستواه ! والعقاد عند الناقد شاعر فنان قبل كل شيء ، فشعره ليس قشورا لفظية ، ولكنه معنى عميق نذوقه ونحسه ونعرف فيه روحاً يكاد يتحرك ويتغير كلما قرىء ، والتجديد لدى العقاد ليس ثورة على القديم ، ودعوة للجديد ، ولكنه تحرير للعقل والشعور معا ! اعقل بعقلك واشعر بشعورك ! ومثل هذا المبدأ يتناقض مع الدعوة الى مذهب معين ، لأن الدعوة الى هذا المذهب نوع من التقليد ! وهذا الفهم دقيق في بابه وصادق كل الصدق في انطباعه على العقاد .. ولكن أليس تحرير العقل والشعور معاً ! مما يعتبر مذهباً خاصا ينتحيه العقاد ويعمل على ، ويعمل على تطبيقه ما استطاع فهو اذن صاحب مذهب معين ! وقد يريد الناقد بنفي المذهبية عن صاحبه عدم تمسكه بمذهب غربي محدد يتابعه خطوة خطوة ويصبح من حوارييه ! وذلك صحيح .

أما الدكتور طه حسين فهو رجل الذكاء في بساطته وسخريته ومن مظاهر هذه البساطة انك تقرؤه فلا تعثر على كلمة شاذة أو فكرة غامضة أو جملة معقدة وانما تفهم ما يريد الكاتب وأنت مرتاح سعيد وليست هذه السهولة مما يدل على سهولة الموضوع أو على ابتذاله ولكنها أثر الذكاء

الناقد ! وهذا حق فى بعض مراميه ولكنه ليس كل الحق لأن الدكتور طه لايعالج من البحوث الدقيقة ما يعالجه العقاد بل يؤثر فى اكثر اتجاهاته ان يكون أديبا فحسب ! ولذلك جاءت هذه السهولة الممتعة حقا ! اما إذا تغلغل فى الظلمات الداجية فهذا مالايلتئم مع منحاه ولذلك بقى سهلاً عذبا . والسخرية واضحة لدى طه حسين وهى كما يرى نجيب محفوظ فى ماهيتها جمع للمتناقضات عن طريق الاشارة الخفية واللمحة البعيدة وقوامها قوة الملاحظة والذكاء يؤدى الى الشك والشك أساس البحث عند طه حسين .

وأقول : وعند سواه من قبل ومن بعد !

وسلامة موسى يمتاز عند الناقد بتفكير عملى ومن شأن هذا التفكير الا يكترث كثيراً للنظريات ، والا يركن الى النظر المجرد ، والتأمل الفنى ، لأن همه منصب على الحياة وعلى الكمال فى الحياة ، وأهم شاغل له هو الاصلاح الاجتماعى فله جولات عظيمة فى سبيل التجديد الدينى ، وتحرير المرأة ورقى الفلاح والعامل !! وهذا مسلم لاشك فيه ولكن القالب الذى يصب فيه الأستاذ سلامه موسى آراءه الاصلاحية ، ماسماته ؟ وماخصائص الاديب التى تستنبط منه ؟! لقد سكت نجيب عن ذلك فبقى السؤال فى حاجة الى جواب .

● العقاد والقصة

كان نجيب يتابع المعارك الأدبية بذهن ناقد ، ولحظ بصير وكان له رايه الذى يحتفظ به لنفسه ، أو يدلى به لجلسائه دون أن ينزل الى الحلبة ناصراً بعض الاتجاهات ، لأنه التزم بفنه الروائى التزاماً جعل المسرح الأوحد لايضاح آرائه وهو فى اقتداره الفنى يناقش أعقد الأمور وأدسمها فى بساطة سهلة ، بساطة الحوار المتجاذب بين رفيقين يتسامران وفى ايديهما قدحا الشاى ! ولكنه اخطر الى مواجهة العقاد مواجهة يقظة تحمل معنى التخطئة دون لبس حين وازن العقاد الكبير بين الشعر والقصة ، فأكد أنه لايقرأ قصة حين يسعه ان يقرأ كتاباً أو ديوان شعر ، لأنها ليست من خير ثمار العقول بناء على قضية جزم بها العقاد عن يقين ، وهى انه كلما قلت الأداة وزاد المحصول ارتفعت طبقة الفن والأدب ، وكلما زادت الأداة وقل المحصول مال الى النزول والاسفاف وما أقل المحصول وأكثر الاداة فى القصص لأن خمسين صفحة من القصة لاتعطى المحصول الذى يعطيه بيت كهذا البيت .

وتلفتت عينى فمذ خفيت
عنىّ الطلول ، تلفت القلبُ

وأمثلة أخرى من الشعر استشهد بها العقاد ..

هذا رأى العقاد ، وقد عورض من اقلام كثيرة .. ولكن أكثر المعارضين كانوا يستشعرون هيبة داخلية تجعلهم يتحدثون فى همس مهذب فلا يكادون يهاجمون الرأى حتى يشفعوا القول بتحفظ هو أقرب الى الاعتذار ، ولكن نجيب محفوظ صمم على النقد الصريح دون جمجمة ، فبدأ نقده بتعريف للفن فى شتى اتجاهاته مؤكدا أن الفنون جميعها تتفق فى الغاية وتتساوى فى السيادة اذ تعيش فى وفاق تام لايكدره مكدر .. ولكن العقاد عمد الى دنيا الفنون المطمئنة فرمى بحيرتها الساكنة بحجر ثقيل كدرها تكديرا وهو فى

نجيب محفوظ ناقد مثقف

نظرته الى القصة خصم لاحكم لأن القصة التى تتضاءل مكانتها فى مكتبة العقاد تكون موضع الكراهية ، فالحكم إذن عن هوى .

اما اتخاذ الأداة والمحصول مقياساً للتفضيل ، فموضع المؤاخذة لدى نجيب لانهما شىء واحد فى كل فن رفيع ، ففى الشعر الجيد كما فى الأداة الجيدة تتحد الأداة والمحصول ، وقد يكون هذا المقياس صالحاً للتمييز بين الجيد والردىء ، فى فن واحد ! ولكنه لايصلح للموازنة والتفضيل بين فنين مختلفين كالقصة والشعر ، وكأن العقاد بذلك يعد التفاصيل فى القصة زيادة فى الأداة ، وهى فى جوهرها لاترمى لمغزى موجز ، ولكنها صورة للحياة وفى كل جزء منها مايمثل ناحية منها حرفاً وكلمة وجملة ونمو القصة نتج عن نمو العلم لأن العلم هو الذى وجه الانتباه الى الأجزاء والتفاصيل بعد أن اهتمت الفلسفة بالكليات .

أما قول العقاد إن قراء الشعر أرقى طبقة من قراء القصة ! فهو قول وجيه فى الظاهر ، ولكنه لاينتج شيئا هاما ، لأن الموسيقى تنتشر فى جميع الطبقات والنحت لاينتشر الا لدى طبقة خاصة هى رواد المتاحف ، فهل يقال إن فن النحت أرقى من فن الموسيقى الذى لايتذوقه غير القليلين .

هكذا استمر الأستاذ نجيب فى دفاعه عن مكانة القصة .. وهو دفاع مؤيد بالمنطق الجاد .. ويخيل الى أن الناقد الكبير قد فهم أن العقاد يهوى بالقصة مستهيناً برسالتها ، ولكن الواقع أن العقاد يقدر رسالة القصة ، وقد كتبها فى أرفع مجالاتها التحليلية ذات العمق النفسى حين كتب قصة سارة .. ولكنه يوازن بينها وبين الشعر ليجعلها دونه فحسب ، لايجعلها تهوى الى الحضيض والمسألة لدى ليست مسألة قصة وشعر ، ولكنها مسألة ابداع وافتنان فالقصاص الممتاز ، أفضل من الشاعر المتوسط ، والشاعر الممتاز أفضل من القصاص المتوسط ، فاذا اتفق الاثنان فى جوهر الموهبة ، فهما على حد سواء على أن العقاد قد رد على كثير من معارضيه فى هذه القضية ولم يشأ أن يعقب على نقد نجيب ، وكأنه رآه أعز لديه من أن يقارعه الحجاج .

• التصوير الفنى للقرآن

تولى الشهيد الأستاذ سيد قطب تحرير باب النقد فى مجلتى الرسالة والثقافة أمدا غير قصير ، وقد حظيت روايات الأستاذ نجيب محفوظ باهتمامه الجاد ، وقطب رحمه الله كان ضنينا بالثناء لا يجازف به دون استحقاق وهى سمة أخذها عن العقاد ، وكان لها الأثر القوى فى ذيوع فصوله النقدية ، واهتمام المثقفين بها ، حتى الكبار ممن تسنموا الصدارة الأدبية كانوا يتابعون ملاحظات الشهيد فى يقظة واهتمام ! وحين أصدر كتابه (التصوير الفنى فى القرآن) فاجأ القراء بنمط غير معهود من أنماط التحليل القرآنى ، ونجيب محفوظ لم يغفل عن الجديد الطريف فى كتاب التصوير ، فكتب مقالا نقديا عنه ، فى صورة خطاب وجهه الى المؤلف الناقد ، يصرح فيه بأن كتاب التصوير كان تفسيرا لهذا السحر الغامض المغلق

الذى نحس به دون أن ندرك مأتاه حين رأيت أن التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المجسمة المتخيلة ، عن المعنى الذهنى ، والحالة النفسية ، والحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الانسانى والطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة التى يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فاذا المعنى الذهنى هيئة وحركة واذا الحالة النفسية لوحة ومشهد ، واذا النموذج الانسانى شاخص حى ، واذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية .

وبعد هذا التمهيد الجيد توجه نجيب بسؤالين دقيقين للمؤلف ، اولهما أنه تحدث عن التصوير والتخيل والتجسيم والتنسيق الفنى ، وكل أولئك روح الشعر ولبابه قبل كل شيء ، أفلم يخطر للمؤلف أن يحدد نوع البيان القرآنى فى ضوء هذا الاتجاه ؟ أما السؤال الثانى فعن الفصل الذى خصه الشهيد سيد قطب للنماذج الانسانية حيث استشهد بآيات كريمة تدل على الطبائع البشرية لا النماذج الانسانية ، لأن النموذج الانسانى بمعناه العلمى أشمل من هذا ، اذ يحوى الكثير من الطبائع كما يحوى غيرها ، والنماذج الانسانية محدودة معروفة ، أما الطبائع فلا حصر لها .

فلعل المؤلف أراد الطبائع لا النماذج .

هاتان الملاحظتان الدقيقتان ، قد وجدتا اسراعا عاجلا بالرد من المؤلف الناقد ، فقال عن الملاحظة الأولى ان النسق القرآنى قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا ، فقد اعفى التعبير من قيود القافية الموحدة ، والتفعيلات التامة فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة ، واخذ فى الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية ، والفواصل المتقاربة فى الوزن ، والتقفية المتقاربة التى تغنى عن القوافى ، وضم ذلك كله الى الخصائص التى ذكرنا ، كشأن النثر والنظم معا ، هو اذن ليس شعرا ، وان أخذ من الشعر خصائصه الفنية ، فهو نثر ، ولكنه النثر الذى يرتقى فيه التناسق الفنى افاقا وراء الفلق ، وهى افاق لم تبلغ فى القديم والحديث بلا ارتياب .

أما الملاحظة الثانية فقد عقب عليها الشهيد بقوله : ان اختيار كلمة نماذج أقرب الى ما يفهم من طبيعة التعبير القرآنى حين يقول مثلا (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خيرا اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة) ، وحين يقول (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو أشد الخصام ، واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث ، والنسل) فقوله "من الناس" يعنى "وفريق من الناس" أو صنف من الناس أو نموذج من الناس" .

وفى رأيى أن القرآن جمع النماذج والطبائع معا ، فهو فى اللقطات القصيرة الموجزة يشير الى الطبائع ، وهو فى المشاهد المكتملة يشير الى النماذج ، فقصة (ان قارون كان من قوم موسى) تدل على نموذج شاخص وآية (ومن الناس من يعبد الله على حرف) تدل على طبيعة محددة ! والأمر قريب من قريب .

● أصول الترجمة

نجيب محفوظ يتسم دائما بالهدوء فى

نجيب محفوظ ناقد مثقف

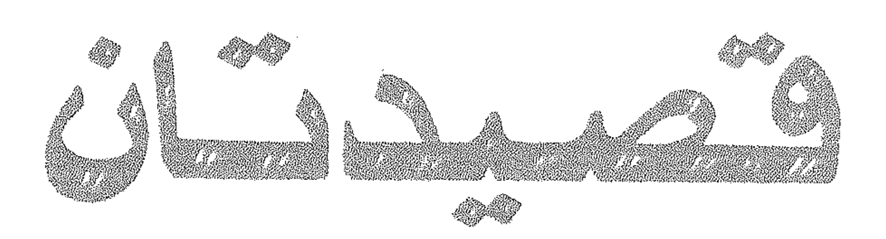
حواره القصصى ، فقد يكون الموقف مما يتطلب الفرقعة الصاخبة ، ولكن القصاص لايزال به تلطيفاً وتهدئة حتى تخفت بواعث الضجيج ، إلا إذا كان البطل شاذا لاحيلة للكاتب فى تحويل مجراه ، فهنا تنبعث الضجة على لسان نجيب ، وكأنه فى ذلك يسلم أمره لله ، اقول ذلك لانى شاهدت لدى نجيب الناقد موقفاً ارتفع فيه صوته اكثر مما كان ينتظر من مثله ، فقد قرأ ترجمة مختصرة لكتاب (الوسائل والغايات) لالدوس هكسلى ، ولم يكن مترجمه الأستاذ محمود محمود ملتزما بالنص ولكنه حذف واختصر ولخص ونجيب ممن يحبون البحث الفلسفى ويزيد له حبا اذا كان كاتبه من طراز الدوس هكسلى ، فما كاد يقرأ الترجمة المختصرة حتى انبعث على صفحات الرسالة ينحو باللائمة على الأستاذ المترجم ويقول ان روح الأمانة الدقيقة يجب ان تسود النص وبخاصة اذا كنا نستقبل نهضة علمية ذات تأثير والمترجم حر فيها يختار من الكتب ، ولكنه اذا اختار فلابد من اداء الأمانة على وجهها وإلا صار عمله افتياتا وتشويها ، ثم انه حذف ثلاثة فصول ذكر انها تتضمن مبادىء هامة ، وهى اشد فصول الكتاب خطرا باعتراف المؤلف الدوس هكسلى ! فكيف نحرم القارىء مما قال ؟!

هذا لباب ماقال الأستاذ نجيب محفوظ ، وقد رد عليه المترجم الفاضل فذكر أن الترجمة فى شتى اللغات إما أن تكون حرفية او تكون ملخصة ، وقد اختار الثانية وأعلن عنها فى مقدمته دون خفاء .. وقد كان مضطرا للاختصار مراعاة للحجم الذى لايتجاوزه الناشر ، وليس المترجم ببدع فى منحاه ، فالمترجمون الانجليز ينقلون عن اليونانية بتصرف شديد ، ولم يقل احد انهم تجنوا على الأصل .

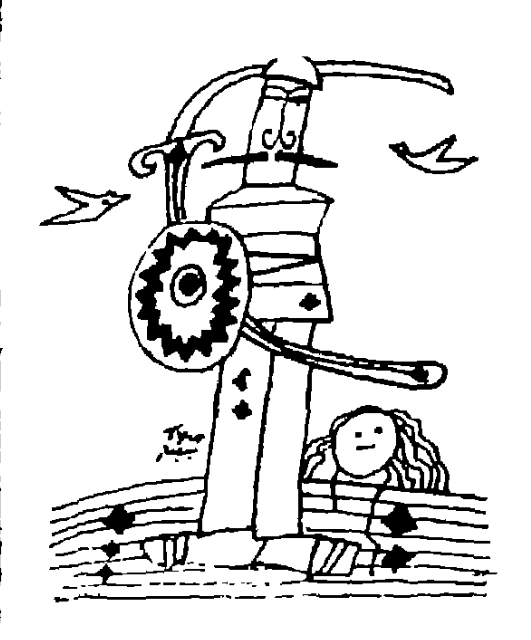
وأرى أن نجيباً كان مثاليا فيما نشد ، وكان الأستاذ محمود محمود واقعيا وقد حذف الفصول التى تثير القارىء العربى المسلم ، وهو احتياط له ما يبرره ، واذا كان القارىء لم يلم بجميع افكار الكاتب ، فقد الم بالكثير منها ، واحب ان اضيف ان الترجمة فى البحوث العلمية تحتمل التلخيص ، ولكن الترجمة الشعرية والروائية لا تتحمل ، ومع ذلك فقد راينا فى الفرنسية والالمانية من لخص روايات شكسبير لان شيئا افضل من لاشىء ..

● مثل يحتذى

بعد هذه الشذرات الدالة ، نقرر ان نجيب العظيم اصبح مثلا يحتذى ، فهو بدراساته الفلسفية والعلمية يقدم لروائيي اليوم مذهبا واجب الاحتذاء ، حيث امتلأت المكتبات بروايات لاسماء لامعة ، خاوية المغزى ركيكة العبارة ، ضيقة الخيال ، وقد راجت اكبر رواج ، وتعددت طبعاتها حتى ظن اصحابها انهم على شىء ولم لايظنون ، والقصة ـ على تهافتها ـ تطبع ، ويتكرر طبعها ، وتعد للسينما ، وتحور للمسرح ، والجمهور يقرا ويشهد ، ثم لايجد ناقدا يعترض ، او جرسا يصلصل ، ان هؤلاء جميعا فى حاجة الى ان ياخذوا دروس الجدية الهادفة ،والكفاح الجاد ، عن عملاق سباق هو الاستاذ نجيب محفوظ ..



شعر: حرز الله بوزيد

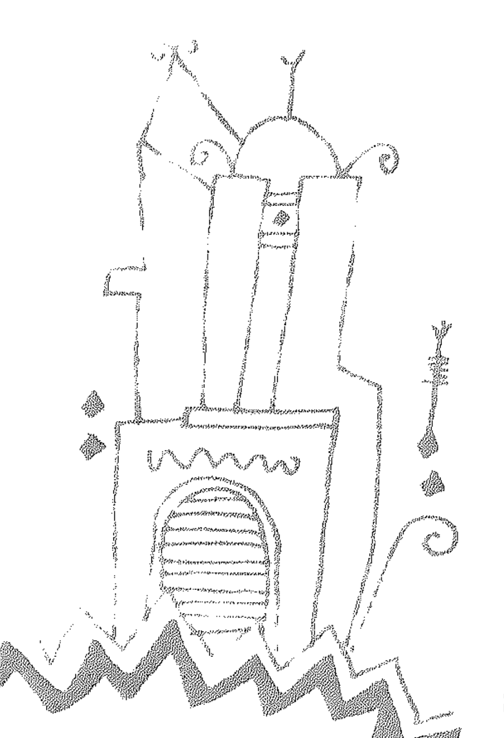


١ ـ الحارس :

ما زال يحلم بالطفولة
والشواطىء والنوارس ..
مازال يرسم لعبة او ملعبا
ثم انتهى حكما وحارس .

٢ ـ البحـــر :

حينما اوصدت بابها
فتحت موطنا للجراح .
غرق البحر فى ملحه صامتا
واحتسى رمله
حلمه المستباح
لم يعد ممكنا حينها
ان تحركه ثورة للرياح



مائة عام على ذكرى ميلاد عميد الأدب العربي

أيام طه حسين في ميزان النقد

بقلم : د. رشيد العنانى

تطالعنا الدكتورة فدوى ملطي - دوجلاس في تقديمها للكتاب بعبارة قالها العلامة المستشرق جيب في تعليقه على الجزء الاول من « الايام » ، السيرة الذاتيه لطه حسين . اما نص العبارة فهو ان « الايام » بامكانها « ان تدعى لنفسها انها ارفع عمل فنى خرج من جعبة الادب المصرى الحديث حتى اليوم . » وفى راى المؤلفة ان هذا الحكم لا يزال سارى المفعول الى يومنا هذا . وحماس المؤلفة « للايام » مفهوم ، الا ان فهمنا له يشوبه شيء من الاستغراب . ومبعث الاستغراب هو علمنا ان قول العلامة جيب يرجع الى عام ١٩٢٩ عقيب نشر الجزء الاول من « الايام » ، وذلك في سياق مقال له يتعرض فيه للمجددين في الادب المصرى عامة .

وحماس العلامة المستشرق مفهوم فى سياقه الزمنى ، حين كانت حركة التحديث فى الادب العربى ما زالت فى يفاعة الصبا ، وكان النثر العربى ما زال يحاول على ايدى طه حسين وجيله العظيم ان ينفض عن نفسه غبار قرون من الجمود والركاكة والتقليد الردىء والولع بالسجع والبديع ... الخ . أما القول بان الاعوام الستين الماضية لم تغير من الامر شيئا ، وبان مكانة «الايام» لم تتاثر بما حققه الادب العربى من نمو وتطور وتنوع فى القرن الحالى ، فهو اقرب الى الحماس الانفعالى من قبل الناقد لنص طالت عشرته له وانكبابه المشغوف عليه منه الى الحكم الموضوعى . ولسنا نريد



د/ طه حسين

بهذا أن نغض من شأن « الايام »، وانما نريد ان نقول ان الادب العربى الحديث قد شب عن الطـــوق ، وانه قد مضى الزمن الذى يمكن أن يعمم فيه القول بأن هذا العمل أو ذلك هو أفضل نماذج النثر الحديث أو الشـــعر الحديث أو غيرهما من فنون الكتـــابة · وانما القول الصحيح هو أن « الايام » قـد أضحت واحـــــدة من كلاسيات النثر العربى الحديث ، وهى مكانة سامقة تشاركها فيها روائــــع أخرى كثيرة تستعصى على الحصر · واننا لنــــود أن نرحب بهذا الكتاب الجديد ترحيبـا حارا (وان لم يخـــل من تحفظ كما سنرى) فهو اضافة جديدة للرصــــيد النقدى المكرس لطه حسين فى اللغــات الاوربية ، وهو رصيد فى تنام متواصل بما يتناسب مع أثر طه حسين الجليل فى الثقافة العربية الحديثة ·

ينقسم كتاب د· ملطى ـ دوجلاس الى قسمين ، أما الاول منهما فيتنـــاول بالتحليل موضوع العمى فى « الايام» من حيث كونه محنة شخصية ومشـــكلة اجتماعية فى آن · أما القسم الثــانى فتعرض فيه المؤلفة للسيرة الحســينية من حيث كونها نصا أدبيا يخضع لكون مؤلفه (أى طه حسين) وبطله (أى طه حسين أيضا) كليهما مكفوف البصر · تنتهج المؤلفة فى دراستها نهج المذهــب البنيوى وتعمل مباضعه النقدية الحادة فى غير رحمة فى جسد النص الادبى المسجى على طاولتها بلا حول ولا قوة· وسوف نــرى أنهـــا على براعتها فى التحليل والتفسير لا تنجو من العثرات المهلكة التى قلما ينجو منها السالكون للسبيل البنيوى ·

● الغوص ·· الى اعماق النص

ولنقرر من البدء أن تحليل المؤلفــة يحاول دوما الغوص الى أعماق النص وانها كثيرا ما تطفو عـلى الســطح حاملة جوهرة ثمينة ، وأن من يقــرأ كتابها يبقى مبهور الانفاس ، زائــغ العينين طـوال الوقت ، فى انتظـــار كشف جديد يتـــلوه كشف جديد عـن حقيقة ما كان يتصور فى وهمه الساذج أنه نص جميل ، جماله فى بســـاطته ·

ولكن ما أسرع ما تتبدد الاوهام ، وتتقشع السذاجات ، ويفقد النص براءته الى الابد • حتى عنوان السيرة « الايام » ، ليس بالبراءة التى يوحى بها للعين العابرة ، الناظرة فى غير تفكر • ذلك أن حياة طه حسين كما تنكشف لنا فى « الايام » بأجزائها الثلاثة ، انما هى قصة نضال، وسلسلة من المعارك والانتصارات ، ولذلك فالعنوان – فى عرف المؤلفة – انما هو استيحاء « لايام العرب » القدماء التى هى سجل لمواقعهم الكثيرة قبل الاسلام ، فكلمة « الايام » على معناها الظاهر الدال على مرور الزمان، تشير ايضا الى « أيام طه حسين » بالمعنى المهجور فى المصطلح الحديث لتلك الكلمة ، أى معاركه التى خاضها ،او مواقعه التى اشتبك فيها مع الافراد والمؤسسات والتقاليد الماشية والفكرية منذ حداثته فى القرية وحتى رجوعه من البعثة الفرنسية وتبوءه أعلى المناصب فى الدولة •

لعل أصلح ما نصف به أسلوب المؤلفة فى درس موضوعها أنه ضرب من التحليل المجهرى ، أو أنه تفتيت النص الى أدق عناصره الاولى ، الى جزئياته غير القابلة لمزيد من الانشطار •• فليس من تفصيل مهما دق ، أو وصف مهما كان عابرا ، أو واقعة من وقائع الحدث صغرت أو كبرت ، الا ومن اللازم ان يكون له تفسير خاص وغرض فنى علوى وموضع مقدر له فى الزمان السرمد ان يحتله والا يحيد عنه قيد أنملة ، والا اهتز المجال ، واختل البناء ، وانهار صرح النص المشيد انهيارا لا قائمة له من بعده • وكأن النص بعنصره الروائى الواضح لا يجوز أن يحوى تفاصيل واقعية لا غرض منها الا أن تكون تفاصيل واقعية ، أى سياقا يجرى فيه الحدث الاساسى الذى هو سيرة حياة المؤلف • فى عرف الكاتبة هذا غير وارد وغير مشروع ، فكل كلمة فى « الايام » بأجزائها الثلاثة ابتداء بالعنوان وانتهاء بالكلمة الاخيرة من الجزء الثالث هى طلسم مستغلق لا يستقيم فهم النص قبل فك سحره الدفين • بل ان المؤلفة لا يهمها قصد الكاتب الواضح فى النص ، فما لا يمكن نسبته الى وعيه الظاهر ، هو لا محيص مردود الى وعيه الباطن • وهى أيضا لا يعنيها فى شىء أن تتصدى لتفسير ما « لم » يقله الكاتب أصلا فى النص ، فما تتصور هى أنه يجب أن يوجد فى النص ، فتبحث عنه ولا تجده ، تنتهى الى أنه حذف مقصود وذو مغزى من النص • والقصد طبعا قد يكون واعيا أو غير واع حسب الحال •

● منهج « منفخ »

حين يشتط المرء فى انتهاج مثل هذه الاساليب النقدية ، فان ما يخرج به لا يعود يصبح نقدا أدبيا يستهدف تنوير النص المنقود ، وانما يتحول الى نوع من الرياضة الفكرية ، أو – ان شئت – « الاكروبات » التحليلية التى تهدف أساسا الى الامتاع العقلى

الذاتي للناقد · ولابد أن نقرر هنـا أن هذه الشطحات النقدية هي من الاخطار الكامنة دائما في صلب النهج البنيوى· ولسنا هنا بصدد دحض مبدأ النقـد البنيوى أو رفضـه بقضه وقضيضه ، فليس أبعـد عن غرضنا من هـذا ، وانما كل ما ينبغى قوله هو انه منهـج « مفخخ » ـ ان صح التعبير ـ وان من لا يحتاط غاية الاحتياط فيتطبيقه، فهو حرى بأنينفجر بين يديه ويحيـل النص الادبى الى أشلاء وفتات يصعب التعرف عليها ، ناهيك عن التمتع بها· الدكتورة ملطى ـ دوجلاس لا تحتـاط للاسف الاحتياط الواجب اذ تستخدم عدتها البنيوية ، ولذلك فان كتـابها خليط من اللفتات الذكية والتفسيرات الاصـلية من ناحيـة ، والشطحات الجامحة من ناحية اخرى ·

على الصعيد الايجابى هناك مثـلا تحليلها الثاقب لموضوع « القـوة » فى « الايام » ، وهو ما تقوم به فى الفصل الرابع من كتابها · تقول الكاتبة ان موضوع العمى المطروح فى «الايام» لا يقتصر على كونه عرضا للمشـاكل الشخصية والاجتمـاعية التى تحيط بهذه الافة ، وانما الموضوع يوظـف فى السيرة باعتباره « قناة أدبية » يستغلها الكاتب لتنـاول « تيمات » أخرى تتصل على نحو أو اخر بتيمة العمى ، احدى هذه التيمات هى تيمة « القوة » · تطرح المؤلفة تصـورها لمعالجة طه حسين لهذا الموضوع على النحو التالى (وما يلى هو ترجمة عن النص الانجليزى ، ص ٦٦) ·

«بالامكانالقول بأن«الايام» اذ تـؤكد قدرة البطل على التغـلب على افتـه الجسدية ، انما تبرز موضوع القوة ، أى القوة بصفتها غاية نهائية ، بمعنى سيطرة طه على مقدرات حياته منخلال تحدى المعطيات الاجتماعية المصـطلح عليها وخلق دور اجتماعى خاص به · الا أن القوة يمكن ايضا التعبير عنهـا بصفتها عملية متواصلة ، أو نشـاطا يوميا ، أو عنصرا غالبا فى العلاقات البشرية · وهذا معنى اخر يمكن النظر به الى « الايـام » باعتبارها كتـابا موضوعه « القوة » · وهو ما يتـبدى أجلى ما يكون فى علاقة البطل بممثلى السلطة ، أولئك الاشخاص الذين يودع المجتمع فيهم رصـيده من السـلطة الاجتماعية التقليدية · فنحن نـرى طه فى الكتاب اما منكرا لسلطان أولئك الاشخاص عليه ، أو متحديا لهم جهرا، سـاعيا لازاحتهم من مواضـعهم السلطوية » ·

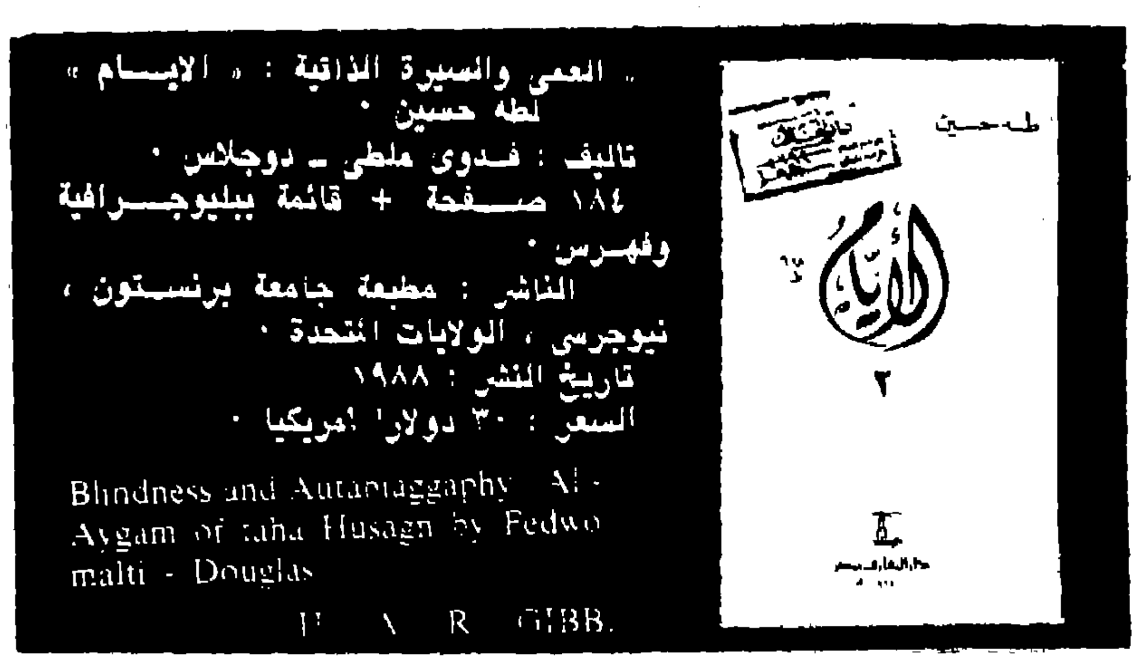
● متعة التحليل

تمضى المؤلفة فيما يلى ذلك تتقصى معالجة «الايام» لهذا الموضوع وتصور علاقة البطل القوية مع ممثلى السلطة ابتداء من « سيدنا » الذى كان يحفظه القران صبيا فى « الكتاب » الى شيوخ الازهر الذين يدرس عليهم فى صـدر شبابه قبل انتقاله الى الجامعة الاهلية العلمانية · وتفرق المؤلفة تفرقة أريبة مشربة بالمعنى بين علاقة البطلالمتحدية الرافضة الشاكة المشـككة بأساتذته الازهريين وبين علاقته المتقبلة الراغبة فى التعلم والمنطـوية على الاعجاب

أيام طه حسين

بأساتذته من المستشرقين في الجامعة المصرية أولا ثم بأساتذته الفرنسيين بعد بعثته الى فرنسا • هذه المقابلة التي توفيها المؤلفة حقها من المناقشة والاستشهاد في كتابها تدعمها وقائع « الايام » ذاتها ، وكذلك ما نعرفه من اتجاهات طه حسين من مجمل تراثه الفكري ودوره الحضاري •

الا ان المؤلفة ليست دائما على هذا القدر من التوفيق في استدلالاتها ، وهي كثيرا ما تنساق وراء متعة التحليل من أجل التحليل ، تحفزها رغبة آسرة في تفسير ما هو واضح بذاته ، وفرض معان جامحة على النص المستكن بين يديها • هي – ان شئت – مثل طبيب التشريح الشهير الذي قال عنه ت• س• اليوت – معرضا بالنقد الانطباعي – انه لا ينى يبرز من جيبه أعضاء يلصقها بالجثة (النص) التي يشرحها ! اليك مثلا هذه الواقعة في نهاية الجزء الاول « للايام » ، حيث يقص البطل على ابنته الصغيرة حكاية « الملك أوديب » • حين يصل الى الموضع الذي يفقأ فيه الملك عينيه فيكف بصره وتقود خطاه ابنته انتيجونه تجهش ابنة البطل بالبكاء ، اذ تقيم الصلة بين الملك الاعمى وبين أبيها ، قرينه في العمى • هنا تجد الناقدة – بنيوية العقيدة – سلبية الارادة ، منهارة المقاومة ، لا تملك ردا ولا دفعا لهذا الاغراء العارم ! ها هو اسم « أوديب » بتداعياته الفرويدية الخلابة يأتيها حتى بابها على طبق من فضة ، فهل تتركه يذهب ؟ كلا ، وألف كلا • بل انها لتفتح له الذراعين ، وانه ليوحي لها رؤى علوية عن المغزى الاخلاقي لعمى أوديب ، فهو عقاب من الاقدار لمضاجع أمه وهو « اخصاء رمزي »



« العمى والسيرة الذاتية : « الايام » لطه حسين •
تاليف : فدوى ملطي – دوجلاس •
١٨٤ صفحة + قائمة ببليوجرافية وفهرس •
الناشر : مطبعة جامعة برنستون ، نيوجرسي ، الولايات المتحدة •
تاريخ النشر : ١٩٨٨
السعر : ٣٠ دولارا امريكيا •

Blindness and Autobiography Al-Ayyam of Taha Husayn by Fedwa Malti - Douglas

H. A. R. GIBB.

(ص ٣٠) · فكيف لمثل هذه المعاني الاوديبية الفرويدية أن تكون ذات صلة بطه حسين و « أيامه » ؟ الواقع أنها ليست ذات صلة، والمؤلفة من الانصاف بحيث انها تذكر ذلك ، وتقول « ان التماهي بين البطل وأوديب في الكتاب يرد الى أسباب أخرى » ، ولعلها تقصد انه يقتصر على تماه في طبيعة الافة فقط ، ولا شيء مما وراءها في حالة أوديب · فهل تقف عند هذا الحد ؟ لا ، فانها ان فعلت لا تكون بنيوية أصيلة ، صحيحة الايمان ، كاملته ، ولذلك فهي تمضي قائلة ان هذا التماهي في العمى بين أوديب وطه حسين يحمل في طياته « مذاقا من الاحساس بالذنب على مستوى اللاشعور » · (كذا !) في دعاوى بعض البنيويين أن الفهم الكامل لعمل ما لا يتأتى الا بنقد النص ، ونقد النقد ونقد نقد النقد وهكذا ، وما دامت هذه السطور نقدا لمنقد ـ شئنا هذا أم أبينا ـ فما قول المؤلفة اذا ما خطر لنا أن نتطفل على محراب البنيوية الذي لا يلجه الا المتطهرون فنقول أن تفسيرها الفرويدي لواقعة عابرة ، ظاهرة المعنى في « الايام » يشي بما يشي به في رموز وأحاسيس بالذنب دفينة في غياهب العقل الباطن للناقدة ذاتها ؟

● بين البطل وابي العلاء المعري

من المحاور الهامة في دراسة د· ملطي ـ دوجلاس « للأيام » محور التماهي بين البطل وبين الشاعر العباسي الضرير أبي العلاء المعري ، ولما كان منطلق دراستها هو تناول السيرة الشخصية من حيث كونها سيرة ضرير كتبها ضرير ، فانها تميل الى تفسير هذا التماهي من حيث كونه تماهيا بين ضريرين ، ويغيب عنها أنه من الجائز أنيكون تماهيا مزاجيا ·اذ يجوز أن يكون المرء متشائما دون أن يكون ضريرا ، كما هو الحال مع شوبنهاور ، وتوماس هاردي ، وفرانز كافكا ؟ والا يجوز أن يتعاطف الناس مع نظرة المعري لاحوال البشر دون أن يشاركوه عاهته الجسدية ؟ وكيف نفسر أن طه حسين لا يتعاطف مع شاعر عباسي ضرير اخر هو بشار بن برد ، اذ لا يرد له ذكر في « الايام » ، الى جانب علمنا من « حديث الاربعاء » (ج ٢) أنطه حسينيكن له احتقارا وكراهة شخصية على تقديره لبعض شعره ؟

تلك كانت بعضالتساؤلات والتاملات التي تثيرها هذه الدراسة الجديدة الجادة والتي نرجو أن تجد من يتصدى لترجمتها ونشرها في اللغة العربية ، فهي قمينة أن تكون ذات نفع وامتاع بمحاسنها وعيوبها معا ، وهي على هذا وذاك ـ فيما نعلم ـ الدراسة الوحيدة في أي لغة من اللغات ، بما فيها العربية ، المكرسة بكاملها لدراسة « الايام » ، أشهر التراجم الذاتية ، وأعلاها ذكرا في الادب العربي الحديث ·

الانتفاضة

انتفِض .. ايقظْ القلوب الغوافي — أنتفِض زلزل الرُّبى والفيافي
انتفِض .. اعلن الوجود جميعا — هذه "غزتى" .. وهذى ضفافى
صِح بهم .. ان هذه القدس قدسى — مُذ تجلّى بها ابو الاحناف[1]
قل لهم .. إننى هنا فى ديارى — ثابت .. صامد .. كطود نياف[2]
رافض ماحييت تهويد ارضى — راجم كل بغيكم بالأثافى[3]
واثق بالذى احل عليكم .. — كل لعناته .. بكل الصحائف
لا أملُ الهتاف باسم فلسطيـ — ـن وروحى فداء هذا الهتاف



ريشة الفنان :

الوعد الحق

شعر: ابراهيم صبرى

سوف امضى و "الله اكبر" درعى ... وسلاحى لكل باد وخافى
انها منكمو تصيب دواما ... ما اصلب الكماة من "عساف"(٤)
وهى حتما مبيدة ما اقمتم ... فوق ارضى بفاجر الإجحاف
وادعيتم .. وافحش الناس زعما ... سارق يدعى حِمَى الأعراف!
غاصبٌ قال ان غصبى حق ... خاطف قال ثبتوا خطافى!
باطش يدعى التماسا لأمن ... ظالم قال .. حاولوا انصافى!
بالفجر اللعين من عهد موسى ... سامرى .. يُضل انى يوافى!

● ● ●

فليقل مايشاء زورا .. فإنا .. ... قد اطحنا بالاربعين العِجاف!
ايقظ الصحوة النبيلة فينا ... بطلٌ صاعدٌ على الاكتاف
يتلقى الرصاص من كل صوب ... كالتحيات عَبْرَ حفل زفاف!
انه عرس الانتفاضة والعز ... م وطَيِّ الطريق للاهداف

● ● ●

فاطْو كل الذى مضى وتقدَّم ... وذر القاعدين فى الاكناف
إنك الان فاعل ما انتظرنا ... عمرا فى تقاعس واختلاف
إنك الان فاعل ما ارتقبنا ... وكلانا مابين لاه وغافى
لا تلمنا اذ كنت فينا عجيبا ... عجب الصدق فى دُنَاً الإرجاف
عجب الطفل انجبته عقيم ... بعد عقدين من غصيِّ الجفاف
زمنا فيه عن قوانا التفتنا ... وانشغلنا بلِيِّن الاعطاف
لا تلمنا .. فاننا ما برحنا ... اخوة اللهو فى مغانى السلاف
لا تلمنا .. فاننا ما فتئنا ... نتغنى بالنهد والأرداف
لا تلمنا .. فنحن ابناء سعى ... أوكِلَ الغيب فيه للعراف
لا تلمنا ..فنحن ابناء جيل ... منتهى قصده يَدُ الصراف
وانصرفنا من أن نحرِّر .. الا ... شعرنا من بحوره والقوافى
فانتقصناه .. وانتقصنا حمانا ... وكانا بالنقص اهل احتراف

● ● ●

فاكمل الشوط يا اخا العزم واحذر ... من نكوص ورِدَّةٍ وانعطاف
وانتفض كل لحظة .. كل يوم ... انتفض .. زلزل الرُّبى والفيافى
واستعن بالذى احل عليهم ... كل لعناته .. بكل الصحاف
وعده الحق يا اخى فتقدم ... ان يوم الخلاص آتٍ موافى

---

(١) ابراهيم عليه السلام (٢) جبل شامخ
(٣) الاحجار (٤) القائد الاسرائيلى الذى اسرته مصر



شحاته عزيز جرجس

لا أحد في القرية يجهل سعدية بنت عبد الوارث، أو يجهل حكايتها وما جرى لها ذات يوم . وشهرة سعدية لا مثيل لها من حيث أنها ليست كشهيرات القرية تحية الداية ورسمية الداية وأم السعد الخبازة وحميدة بائعة الجوافة والملوحة والطعمية ،وهي أيضا ليست مثل نجفة بنت عبد الغني التي انجبت طفلا نصفه حيوان وفاطمة بنت ريحان النجار التي قاومت الفقر طويلا بعد رحيل زوجها فجاهدت لتجعل من ابنائها اعلاما ، وراوية بنت محمد الشاذلي التي تحدت - رغم ضعفها وفقرها - بعض سادة القرية واقسدت عليهم محاولات نيلها الى أن قتلها صياد سمك حقير فشل في اغتصابها . سعدية بنت عبد الوارث غير كل هؤلاء . وما ورد ذكرها مرة على لسان الا وانبعثت الضحكات ، فهي موضوع لكل حديث يتناول خيبة الامل وسوء الطالع والسذاجة والبلاهة والغباء ، وقليلون هم الذين انصفوها ، مثل الشيخ عبد البر الذي ما انفك يردد :

- والله مظلومة ، سعدية بنت عبدالوارث.

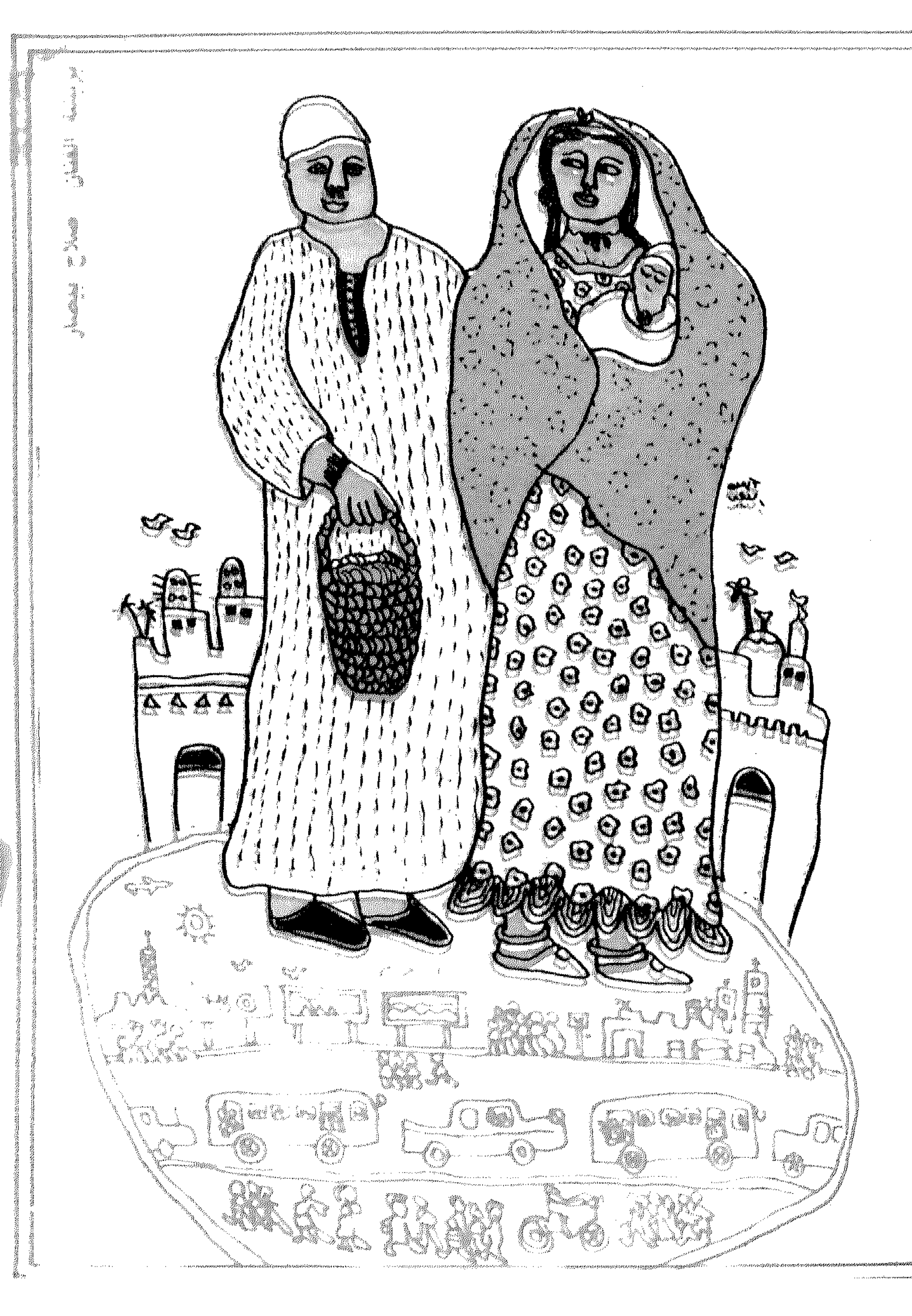
وأيضا عبد الودود شقيق سعدية الذي طالما ردد :

- انا السبب فيما جرى .. اختي مظلومة.

ثم يروى بكل ما أوتي من سذاجة وصراحة كل ما جرى الى أن يردد في النهاية :

- سعدية مظلومة ، انا السبب ..

وسواء كان عبد الودود هو السبب ام غيره فالنتيجة طبعا واحدة ، وهي أن سعدية اضاعت على نفسها فرصة نادرة تقدمت منها فرفستها، وكان من الممكن ان تتحول في طفرة من الفقر الى الغنى في لحظة يوم سافرت الى العاصمة لاول مرة يوليدها عبد التواب بالرمد في عينيه لزيارة أولياء الله الصالحين . انذاك كان حجاب الشيخ سالم قد عجز عن دفع الاذى ، والقرش المثقوب المتدلي في خيط من عنقه عن دفع الحسد ، ونصائح رسمية الداية لعلاج الرمد ، فشدت الرحال الى



تفسير جديد
لنظرية النسبية

العاصمة تلتمس الشفاء ببركة الاولياء •

ولان سعدية من غير اهل ، الا شقيقها عبد الودود ، الحى الاوحد المتبقى ، ولان زوجها فراج يرقد بذراع مشروخ وكتف مخلوع وقدم مكسور اثر مغامرة فى دار عمران البقال خلال غيبة اصحاب الدار ، ولان ـ ثالثا ـ سعدية لم تبرح القرية قط من من قبل ، فلقد كان لزاما على الشقيق أن يرافق اخته • وعبد الودود اجهل من الجهل ذاته • ودرايته بالعاصمة تقل كثيرا عن دراية العمدة بانسان نياندال ، وشيخ الخفراء بفلسفة الاغريق ومحمود المزين بابن خلدون ، ولكن الجهل شىء والمروءة والشهامة والواجب اشياء اخرى • واقسم الشقيق برحمة الموتى وحياة الاحياء وعظمة الجدود أن يصحب الاخت • وعلى الله الاتكال وصلاح الاحوال، وهو المعين ، سبحانه وتعالى ، القادر على كل شىء • ولا مانع من اللجوء الى الشيخ جمعة الذى نزح من القرية واستوطن العاصمة ازهريا شهيرا ، فبالقطع سيكون عونا ، والوصول الى الشيخ جمعة امر يسير ، هكذا قال شقيقه طه المتمسك بالفلاحة مقيما فى القرية ، وقال طه ايضا :

ـ اخى الشيخ جمعة سيدبر لكم كل شىء ، فقط اذهبوا اليه ••

ثم راح يصف لهم فى حماس كيف يصل الناس الى شقيقه ، فلم تع سعدية ولا شقيقها سوى ان الشيخ جمعة يقطن قرب سوق تفوق قليلا سوق الثلاثاء ، اما الورقة المدون بها العنوان بخط يد الولد عبدالرحمن واملاء ابيه طه فقد ضاعت فور اقلاع القطار فبكت سعدية ، وانفعل الاخ قليلا ثم نسى الامر كله فور ظهور الفطير والبيض والجبن ، فتكورت الاصداغ ، وكان الصبى ايضا ياكل ويبكى ثم ينام ، ويصحو



لياكل ويبكي وينـــام ، ويختلط الدمع بافرازات الانف الســـائلة دوما لتكون فوق الوجه بـؤر استيطان للذباب لذيذة وممتعة، ذباب أب معهم ، واخـر وافـد ، ثم في النهاية بلغ القطارمرساه في العاصمة بالضـــبط بالضبط بعـد اغفاءتين لعبــد الودود وخمس وجبـــات وشروع في الســـادسة ، فراحـوا يسبحون بصعوبة بالغة وسط بحر البشــــر والسيارات الذى اصاب اعينـهم بالزغــللة ، واجسادهم بالارتعاش . واسمفتهم بالدوار الى ان ساعدهم رجل كشف لهم في حبور انـه مـن ذات بلدتهم ، والهم اهل، فتضـاعفت ممعاناتهم خـاصة حـين عـرض « قريبهم » اســتعداده لتوصيلهم الى الشـيخ جمعة بل والى اى مـكان اخر ، بيد انه سرعـــان ما اغتال سعادتهم بعـد ان سطا على كل ما معهم ـ عدا القرش المثقـوب في عنـــق الصبي ـ وتـــركهم ـ ياعيني ـ وسط زحام بشرى هائـل في مكان واسع ذى سور عال وباب كبير اقتـادهم اليه الرجل وزاغ دون ان يعرفوا كنه هذا المكان ، فانتحبت سعدية ،وسبت عبد الودود والقت عليه باللائمة واتهمته بالجهل، فرد الشقيق بان النيـة حتما لم تكن خالصـة ، وانها بالقطع اغضـــبت الله ـ وطبعا الاولياء ـ بفعل مافي وقت ما فحلت عليها اللعنة واصـــابته معها ، ثم تطور الامـــر حين اتهمته المراة بانـه لا يســــاوى شيئا وان وجوده في الحياة كعدمه، ثم تحسرت على ان زوجها لم يصحبها لانه اكثر منه فلاحا ، فرد الرجل بصفعة ثم باتهام لزوجها بانه هو الذى لا يسـاوى شيئا ، وذكـرها بلصــوصيته وايضا سلوكه الشائن ، ومهاتراته مع حميـدة بائعة الجوافة والملوخـة والطعمية ، ومشـاغباته مع نور الهدى زوجـــة جـــارهم فرحـــات ، ومعاكساته لتجار زبـــل الحمام الوافدين من بلاد الغروب ، وباعة «البوح» المحليين والوافدين ، كما اقسم انه وراء كل مصيبة في القرية ، بـل وابـدى استعداده التام لان يقطع ذراعه من عند الكتف ان لم يكن فراج زوجها وراء مقتـــل عبد النعيم ابى راشد . وطـال النقاش والاشتجار، والطفل يبكي وسعدية تنتحب ، وعبـد الودود منفعل ، والزحام يتزايد ، والاصـــوات تتعالى والنداءات ، لحلم يلتفت اى منهما الى ما يجرى ، كما لم يلحظا ذلك القصير الاسمر الذى كان يرقب شجارهم عـن كثب ففهم كل امورهم ، بل ولم يلتفتوا ايضا الى الرجل الضخم الــذى تحرك ببطء وتقدم ليغلق باب المكان الواسع ثـم يتوسطه ليثب فوق نضد كبير صائحا بقوة :

ـ اسمعوا يا سادة: جاء الان وقـت لعبــة الحظ ..

ثم بصوت اعلى :
ـ مفاجاة المعرض ..
سيارة من اخر طراز ..
ثم صــمت برهــة لضمان اجتذاب الانظار وعاد يصيح :

ـ ترى من هو المحظوظ الذى ســوف يحصـل عليها ؟! ..

سرت الهمهمات ثـم تعالت الاصوات ، امـا سعدية فكانت في عـالم

تفسير جديد

لنظرية النسبية

• • •

اخـر ، وعبد الودود يضرب كفا بكف ويلعن اليوم الذى صار فيه اخا لهذه المراة فلم يسمع ولم يفهم ما يدور ، والطفل يلعق ثدى الام ويبكي فيهتز جسده بالقرش المثقوب المتدلي من عنقه ، والقصير الاسود يتابع، اما الرجل الضخم فعاد يصيح :

ـ شرط واحد للفوز فى لعبة الحظ ٠٠

ثم اردف بصوت اعلى :

ـ قرش مثقوب وسيارة من آخر طراز٠٠ ترى من هو المحظوظ ؟!

واعادها عدة مرات فتحركت تموجات الناس ـ عدا سعديةوشقيقها ـ وعم اللغط ـ وزاغت الابصار ، وتضاحك البعض فيسخرية مريرة، وضرب آخرون كفا بكف تحسرا ، اما سعدية فكانت لا تزال تنتحب مرتكنة الىجدار ووليدها الى صدرها،وعبد الودود يزفر غيظا ، والاسمر القصير يسمع ويتابع فى تنمر كل شيء ، فتقدم من سعديةهاتفا لاهثا مشيرا الى القرش المثقوب المتدلي من عنق الطفل :

ـ اعطني هذا اعطيك ما يعيدكم الى بلدتكم٠٠

فبدا البشر على وجه عبد الودود ، اما سعدية فضمت وليدها الى صدرها تخفيه وتحميه وقد قطبت جبينها وتهيات للدفاع معلنة بتعبيرات الوجه رفضها القاطع ، ثم اعلنتباكية انها مستعدة للعودتسيرا على الاقدام دون انيمس احد وليدها او ما يحمله وليدها ،فجن الشقيق وهجم عليها واعتلى جسدها وانتزع الطفل ثم اعتدل وانتزع بقسوة القرش المثقوب ورفسها بالقدم وسكب فى اذنيها سبابا سوقيا خارجا، ثم واجه الاخر بوجه آخر ، وابرم الصفقة بسرعة ، فمضى القصير الاسمر مسرعا بالقرش المثقوب، واقتاد عبدالودود الاخت الباكية وسار فى زهو الذكي وخيلاء المنتصر صوب الباب الذى انفتح الان ، ولتلحق بهم عند الباب ـ الذى انفتح الان ـ امراة بدينة يقترب جسمها من جسم رسمية الداية ، وكانت تقف بالقرب منهم وتابعت كل شيء ، فراحت تشرح لهم ـ عند الباب ـ حقيقة ما حدث وهي تضرب كفا بكف وتزفر فى سخط ،ثم نعتتهم بالجهل،ثم بالغباء ثم تضاعف انفعالها فتمنت ان « يفوروا فى داهية » لانهم « منقوع فقر » ، ثم بصقت فوق الارض ثم فى الهواء،ثم انصرفت ، وعندئذ اندفع عبد الودود بعينين زائغتين وجسد مرتعش وراح يبحث عن الرجل الذى كان قد اختفى تماما ، اما سعدية فكانت تضم وليدها الواحد الى صدرها وتبكي وتسب شقيقها مقررة فى حسم انها منذ الآن هى فى طريق وهو فى طريق آخر ، وانه لن يعود بعد اليوم شقيقها، فبكى عبد الودود فى انكسار وذلة، وظل يبكي الى ان عاد الى القرية ليروى بكل ما اوتي من سذاجة وصراحة ـ وغباء ـ تفاصيل كل ما جرى ٠



● يخلط بعضهم بين كلمة . فيّاح . وكلمة ، فواح . . وبينهما فرق كبير . فيقال هذا وادٍ فياح . أى ، واسع ، ويقال . فوّاح . . أى طيب الرائحة ..

● ، السلحفاة ، تسميها العامة ، زحلفة . .. ولكن الزحلفة دابة صغيرة تشبه النمل وجمعها . زلاحف ، وأما السلحفاة فهى الدابة المعروفة .. والفرق كبير جدا بين حجمها وحجم الزحلفة . ولكن التقارب فى حروف الاسمين جعل العامة تخلط بينهما .

● استشعر الرجل الشىء . جعله شعارا له . ويقال استشعر أيضا بمعنى شعر بالشىء .

● تقول استروحت الروضة . أى تممت رائحتها . ولا داعى لأن تقول : استروحت رائحة الروضة لأن الاستروح هو شم الرائحة .

● من عبقرية الألفاظ العربية اختلاف بعض حروفها مع تقارب معانيها . مثل سجع الطائر .. وسجح الطائر ولا فرق بين سجع . بالعين ، وسجح . بالحاء ، إلا فى الدلالة على طبقة الصوت .
وتقول يرضخ . بمعنى يتكسر وتقول أيضا يرضح . والفرق بين . خاء والحاء . نقطة . ولكن المعنى واحد .

● وبعضهم يستعمل الرضوخ بمعنى الخضوع والاستسلام . وهو غير صحيح . ولكنه شائع الآن . ويؤخذ على سبيل الاتساع فى استعمال اللفظ .

● يستعملون كلمة . مرحى . بمعنى . مرحبا .. وليس بصحيح . فإن أصل . مرحى . أن تقال تعجبا وتشجيعا لرامى السهم إذا أصاب المرمى . ويمكن أن تقال الآن للاعب كرة القدم إذا أصاب المرمى كما يمكن قولها لكل من ينجح فى عمل من الأعمال . أما . مرحبا . فمعناها معروف .. :

● كانوا قديما إذا كتبوا إلى السلطان قالوا نرفع شكوانا إلى جنابكم .. أى إلى الفناء أو الحوش المحيط بقصركم . تعظيما للسلطان وتنزيها له من أن يتسلم شكواهم بيده الكريمة .

. ن ك .

نظـــرة طـــائرة

على سينما المواجع والفواجع

بقلم : مصطفى درويش

كم كنت أود أن يجرى الحديث عن ظاهرة اعادة عرض "الامبراطور الاخير" رائعة المخرج الايطالى "برنارديو برتولوتشي" في أغلى دار سينما بعاصمتنا القاهرة .

وكم كنت اتمنى ان أتكلم ، ولو قليلا ، عن تلك الرائعة التي اراها صعبة على الفهم والهضم ، لا لشيء سوى انها تتناول تاريخ الصين الحديث من خلال مأساة آخر اباطرتها على امتداد ستين عاما من عمر الزمان .

معالي زايد ومحمود عبد العزيز .. « سمك لبن تمر هندي »



وان اعرض فى كلامى الى مشاهد تلك الرائعة بما فيها من لقطات جريئة ، غير مألوفة ، كيف مرت امام الناظرين فى دار مكتملة العدد دون ان تثير صرخة من حلق أو دبدبة من قدم .

وكيف كانت الأعين مشدودة الى سحر ثقافى تشعه الشاشة على الدوام دون أى انقطاع . سحر مبهر للسمع والبصر لانه يعكس معاناة صانع أفلام ذكى ، بل قل شاعر مبدع فى جعبته الكثير المفيد مما يجب ويستحب أن يقال ولكنى سرعان ما تذكرت ما تتصف به أكثر افلامنا من مباشرة ممجوجة وجنوح الى الاستسهال .

واذا بشريط الذاكرة تعيد اليه العين كل ما التقطته من تلك الأفلام على مدى الأشهر الثلاثة الأخيرة ، وكان فى معظمه مخيبا للآمال .

ثم وجدتنى مؤثرا الحديث عن افلامنا تلك بدلا من الحديث عن رائعة اجنبية اخذت حظها الوفير من جوائز الأوسكار ، ومن النقد الجاد ، وان كان فى غير لغة الضاد .

والآن ، الى ما يستحق الاهتمام مما عرض من تلك الافلام فى غضون هذه الأشهر الثلاث ، وهو يتجاوز اصابع اليد الواحدة بالكاد ، وذلك رغم ان الموسم السينمائى اوشك على الانتهاء .

وهى بالتحديد حسب ترتيب عرضها على الجمهور العريض "سمك . لبن . تمر هندى" ، "ملف سامية شعراوى" "يوم مرّ .. يوم حلو" ، "ياعزيزى كلنا لصوص" ، "صراع الاحفاد" و"عتبر الموت" اى ستة افلام لا تزيد .

وجميعها فيما عدا فيلم "رأفت الميهى" "سمك لبن تمر هندى" من نوع الميلودراما .

وجميعها ـ ومرة اخرى فيما عدا فيلم "الميهى" ـ قد خلت لغتها السينمائية من اى تجديد .

وجميعها فيما عدا فيلم "نادر جلال" "ملف سامية شعراوى" تجرى احداثها فى العصر الحاضر .

وعند فيلمى "الميهى" و"جلال" اقف قليلا .

● مستشفى مصر

"سمك . لبن . تمر هندى" فيلم فكاهى ، خفيف الدم ما فى ذلك شك .

واغلب الظن أن صاحبه كان متأثرا وهو يخرجه "باخوان ماركس" فى "شربة بط" ذلك الفيلم السريالى الصاخب فى عفرتة متقطعة النظير و"بمستشفى بريطانيا" ذلك الفيلم الذى هجا فيه المخرج الانجليزى "لندسى اندرسن" نقائص الحياة فى بلده على وجه يدفع المرء الى الابتسام .

وفى الحق ، فما أن تبدأ العناوين فى الظهور ، إلا ويكون "الميهى" قد حدد اسلوبه المتميز .

فإذا بفيلمه عمل سينمائى قائم على المفارقات الكاريكاتورية ، وعلى توديع المنطق ولو الى حين .

فها هو ذا "محمود عبدالعزيز" يوجه القول الينا ، والى الرقابة فى هذه الكلمات :

"حضرات المشاهدين ، هذا الفيلم لا علاقة له بمجتمعنا ، الأطباء والبوليس فيه لا هم باطباء ولا هم ببوليس ،

سينما المواجع والفواجع

والحكاية من أولها الى آخرها جنون فى جنون"

بعد ذلك تنتقل الكاميرا الى بقرة نسمعها تنكر انها بقرة .

فإذا ما جاء الدور على "معالى زايد" سمعناها تتهم المخرج بقلة العقل ثم تقدم نفسها قائلة :

"أنا معالى زايد ، وكل شىء تمثيل فى تمثيل"

الوحيد الذى يقدم لنا شخصه الكريم دون أن يحاول إنكار صفته هو الحمار الذى يقول فى تباه وفخار "أما انا فحمار" .

وهكذا ، ومنذ البداية ، يفصح الفيلم عن طبيعته ، عن أنه بحق وحقيقى "سمك . لبن . تمر هندى" أى من نوع الهراء الهازل ، الهازىء ، بلا حدود .

وفيلم هذا شأنه ، يصبح مجرد الحديث معه عن الانضباط واتباع مقاييس المنطق نوعا من الحديث فى غير مجال .

ومن أخطاء الفيلم فى رأيى انه وهو يصور قلق الانسان المعاصر الذى يوشك أن يبلغ اليأس ، وحيرته التى لا تنقضى بين زحام المخترعات واغراء الاشياء ، قد صوره ببعض الغموض الذى يدفع المتفرج إلى كثير من المذاهب فى فهم وقائع الفيلم وتأويلها ، وحل ما تشتمل عليه من ألغاز ورموز .

وربما لو كان قد أتيح لصاحبه أن يرى الفيلم الفكاهى الامريكى "اختطاف اريزونا" (١٩٨٦) لاستطاع ان يتخلص من هذا الغموض ، ولرأى انه من الضرورى ان يضع لفيلمه نهاية معقولة ، كان من الممكن ان تجعله حدثا سينمائيا جليلا .

أما فيلم "ملف سامية شعراوى" فالحوادث فيه تتراجع الى الوراء حوالى خمسة وعشرين عاما ، الى ما قبل هزيمة الخامس من يونيه بأعوام ، وبالتحديد أيام حرب تحرير اليمن من حكم الامام .

وهو مأخوذ عن قصة للصحفى "وجيه أبو ذكرى" واذا كان الفيلم أمينا فى ترجمته لتلك القصة الى لغة السينما ، لم يشوهها بأى حال من الأحوال ، فما أظن انى سأكون واحدا من المستمتعين بها فى يوم من الأيام .

وبطلته "نادية الجندى" أرملة فقدت فى هضاب اليمن زوجها الشهيد .

انها واحدة من ضحايا حرب اليمن التى ذهبت بحياة "شوية ولاد عتاولة" .

ومن منطلق أنها الزوجة الثانية للشهيد بموجب عقد عرفى ، وبالتالى فلا حق لها لا فى ارث ، ولا فى معاش ، فقد ذهب بى الظن فى بادىء الأمر الى ان مأساتها باعتبارها الزوجة الثانية المخدوعة ، ستكون هى العمود الرئيسى لفيلم "نادية الجندى" الأخير .

● سياسة وخسلسة

ولكن سرعان ما خيبت نجمة الجماهير ظنى ، عندما انزلقت بفيلمها الى التاريخ تحكيه بما عرف عن جميع الأعمال السينمائية التى ظهرت فيها من إسراف فى الابتذال .

ولن أدخل فى تفاصيل كيف تحوّل الفيلم بنادية الجندى من موظفة صغيرة

مهضومة الحق ، الى امرأة ذبلحة ، واسعة الحيلة والدهاء .

ولا كيف اوقعت فى شباكها ضابطا (فاروق الفيشاوى) يعمل فى مكتب القائد العام ، فاذا به ، ومن أول نظرة ، يسقط صريع حبها ، ويبادر بعقد قرانه عليها ، وذلك رغم انه متزوج وابو عيال .

ولا كيف بهرت المشير الخطير بهز وسطها المثير فى الشقة الفخمة المهداة منه الى زوجها الضابط الحلو اللذيذ .

ولا كيف تبادلت معه اطراف حديث هام حول اغلاق خليج العقبة فى وجه السفن الاسرائيلية ، فاذا به يطمئنها وهو يشير الى الخروف المشوى الذى كان يزين مائدة الطعام العامرة بما لذ وطاب قائلاً :

"هذا الخروف لو تحرك فلن اسرائيل

نور الشريف فى عنبر الموت .. قصة يوسف ادريس



سينما المواجع والفواجع

ستتحرك ، ولو تحركت فالويل لها لاننا حتما سنهزمها" .

فذلك شيء أو بمعنى اصح هراء يطول وانما اكتفى بأن اقول عن هذا الفيلم الردىء الذى جرؤ على دق أبواب السياسة والتاريخ القريب على وجه يتسم بالغلو فى الاستهتار بكل القيم والمقدسات ، انه ما ان نصل لبيوتنا - بعد معاناة مشاهدته - الا ويكون كل اثر له قد تبخر من ذاكرتنا ، **وذلك من فرط انحطاط تناوله لماساة الهزيمة التى حاقت بالوطن ، وهى هزيمة لانزال نعانى بعضا من اثارها حتى يومنا هذا .**

● الكل ساقط

واذا ما انتقلنا الى الافلام الاربعه الباقية لوجدناها من نوع الميلودراما الزاعقة ، وذلك فيما عدا فيلم "احمد يحيى" "ياعزيـزى كلنا لصـوص" ، فالميلودراما فيه مخففة .

وهذا أمر متوقع فى أى فيلم مأخوذ عن قصة لاحسان عبدالقدوس وبالذات قصة "ياعزيزى كلنا لصوص" التى لها وجهة مرسومة وخطة معلومة هى التأكيد على ان الضباط الاحرار الذين رفعوا رءوسهم فوق اكفهم ليلة الثالث والعشرين من يوليو ، هؤلاء الضباط قد تحولوا بنا جميعا الى لصوص .

والذى يريد "إحسان" ان يذكرنا به فى قصته تلك هو انه لا مكان تحت الشمس للصوص الصغار فى مجتمع يتحكم فيه اللصوص الكبار ، لا لسبب سوى ان الصراع بين الكلاب والذئاب غير متكافىء ، ولابد ان ينتهى بالشطار الصغار الى الانهزام .

والعجيب ، ان سيناريو الفيلم الذى كتبه "مصطفى محرم" أقحم على القصة تعديلا بموجبه أصبحت الغلبة لصغار الشطار فى نهاية المطاف .

وليس من شك أن هذا التعديل المقحم ، انما يشكل تجاوزا لقصة احسان التى اراها تأبى ، رغم سذاجتها المفرطة ، نهاية ساذجة من هذا القبيل .

والشىء الذى يجمع بين افلام الميلودراما الزاعقة هو كثرة الفواجع .

● عرابى مفترى عليه

ففى فيلم "خيرى بشارة" "يوم مرّ .. يوم حلو" تفقد الأم الخياطة "فاتن حمامة" صغيرها الوحيد واحدى بناتها الأربعة (عبلة كامل) ، فكلاهما يخرج من البيت ولا يعود الا قريبا من نهاية الفيلم المفتعلة كل الافتعال .

وطوال الفيلم تواجه الشرير "عرابى" (محمد منير) خطيب ابنتها الكبرى (حنان يوسف) بمكـائده الصغيـرة والحقيرة التى تتسم بنذالة منقطعة النظير .

فهذا الشخص السافل الذى اختار له المخرج صاحب القصة اسم بطلنا القومى "عرابى" لا يكتفى بتعليق زواجه على شرط شراء حماته ثلاجة كهربائية ضمن الاثاث اللازم لعش الزواج .

وانما يستولى على حجرة من مسكن حماته الصغير ، ثم يتسلل الى جسد

شقيقة زوجته "سيمون" حيث يعث فسادا .

حتى اذا ما ضبطته زوجته مع شقيقتها متلبسين باقتراف الفحشاء فى فراش الزوجية ، شعرت الأخت الخائنة بهول العار ، فاشعلت فى نفسها النار .

أما "صراع الأحفاد" لصاحبه "عبداللطيف زكى" و"عنبر الموت" لصاحبه "اشرف فهمى" ، فكلاهما ينافس الاخر فى عدد الفواجع .

فالأول ابطاله - وهم اشقاء ثلاثة - احدهم "نور الشريف" - وهو ملك من ملوك المال المتحكمين فى توظيفه - يموت مقتولا بعصى وهراوات المستثمرين الغاضبين بعد ان تكشفت لهم الاعيبه والاعيب بطانته وامرأته الفاجرة اللعوب .

فاتن حمامة .. يوم مر يوم حلو



وثانيهم "أشرف الكنزى" يسقط امام ضربات خصمه الملاكم الأسود فى حلبة الملاكمة حيث يسلم الروح متأثرا بالجراح وثالثهم "صلاح السعدنى" وان كان لا يجيئه الموت ، الا ان الفيلم ينتهى به مصابا بما هو اشد وانكى ، ينتهى به مجنونا .

● عرس الدم

و"عنبر الموت" هو الاخر تغلب عليه الفواجع ولا غرابة فى هذا ، فمن المعروف عن "أشرف فهمى" انه من فئة المخرجين الذين تستهويهم الفواجع الدامية .

بل هو اشد اسراعا وغلوًا فى الوقوع فى مخالبها ، ولعل هذا هو السبب فى أن أحدا فى فيلمه لم يسلم من مصيبة تميد لها الجبال .

وان الفيلم ينتهى ببركة من الدماء .. دماء "يحيى الفخرانى" و"عايدة رياض" وشلة الانس من مهربى الكوكايين والالبان الملوثة بالاشعاعات الذرية ، تسيل عندما يجيئهم الموت بغتة وهم يحتفلون بانتصار الفساد ، من فوهة مدفع رشاش يصوبه اليهم "نور الشريف" انتقاما لصغيره الوحيد الذى راح ضحية هذه الالبان .

و"عنبر الموت" انجح الافلام الخمسة تجاريا بسبب وصول حرفة الميلودراما فيه الى ذروة عالية من البراعة .

وهو مثل بديع لقصة قصيرة لاديب موهوب "يوسف ادريس" تتحول الى سيناريو محكم بفضل كاتب سينمائى متمرس "مصطفى محرم" ثم تترجم الى فيلم ناجح جماهيريا .. فيلم مهما اختلف حكمنا عليه ، يبقى فى الاذهان .



محمود بقشيش

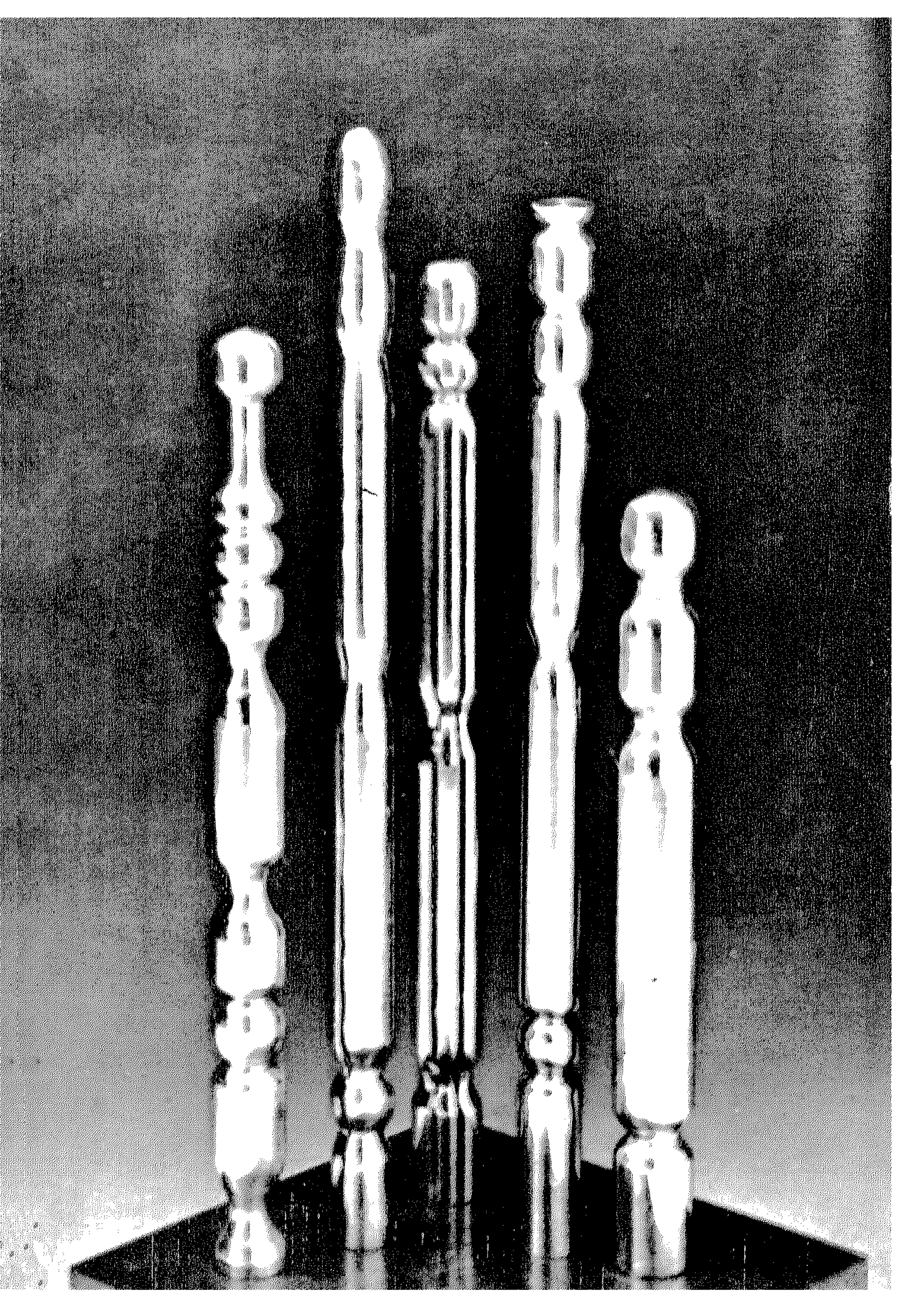
خطوط الاتصال والانفصال في معارض الشهر

اخترت لقارىء « الهلال » عددا من المعارض ، رأيت فيها ـ رغم اختلافاتها الظاهرة ـ شيئا من الاتصال ، وأزعم ان هذا المتصل .. يتمثل فيما تكشفه تلك المعارض من حرص فنانيها على ان تتحلى اعمالهم ، وبدرجات متفاوتة ، « ببعض » ملامح فن مصرى / انسانى ، مستقل .. مؤكداً ـ بهذه المناسبة ـ تعاطفى مع التصور الذى يعد تلك الخصوصية ، التى تتجلى بصور مختلفة، مضمرة فى القيمة الجمالية للعمل الفنى الأصيل .

• منحوتات وخزفيات صالح رضا

قدم الفنان « صالح رضا » معرضا فى مجال النحت والخزف بقاعتى مجمع الفنون رقم (١) ورقم (٤) ، وضم ثلاث مجموعات : مجموعة مجسمات خشبية عرضت فى الهواء الطلق ، ومجموعتين احداهما منحوتات برونزيه ، والاخرى خزفيات وعلى الرغم من الاختلاف المتوقع ـ لاختلاف الخامات وطرائق العلاج الفنى ـ فان هناك ملامحا مشتركة تربط هذا التنوع ، وتدل على ان مبدعها فنان واحد . ان الانطباع

خرط خطمى بلبس قناعا ذهبيا : للفنان صالح رضا



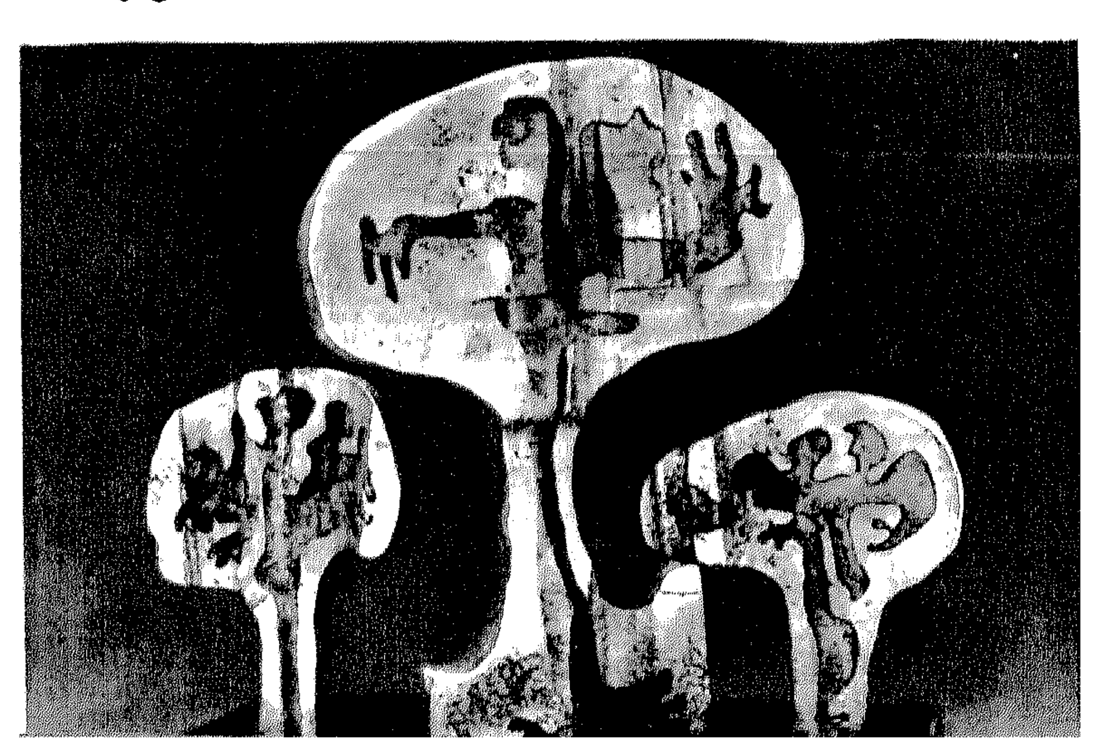


الاول الذى يصل المتلقى ـ فيما أظن ـ بعد مشاهدته كل المعرض هو ميل الفنان الى « الحركة » ، والاحتفال بالقيمة الخطية للمجسمات . تفصح مجسماته الخشبية عن ميل الى استلهام اشكال الخرط العربى ، وعن ميل الى استلهام الحروف العربية فى منحوتاته البرونزية ، وعن استلهام لاحدى طرائق الاسلوب « المستقبلى » الاوربى ، وهو تكرار عنصر او اكثر ، بصورة تراكمية ، وقد شملت تلك الطريقة معظم اعمال المعرض . نلمح فى معرضه بعض التعارضات المزاجية ، ففى الوقت الذى تكشف فيه مجسماته الخشبية عن ميل صريح الى الفخامة والاناقة بالحرص على تغطية خامة الخشب بطبقة محكمة من البريق المعدنى الذهبى ، اتجه وجهة معكوسة فى المجسمات النحتية البرونزية ، غطى الخشب بالقناع الذهبى ، واعطى معدن البرونز حسا (كرتونيا) !.. غير ان تلك المراوغة لم تحل دون وشاية « الخامة » بحقيقتها ، وحقيقة ادوات التجسيم : فهى « المخرطة » فى الخشب وهى « سن » قاطع فى التركيبات البرونزية !

يقسم اداؤه فى الخشب ، او بمعنى اخر : اداء المساعد ـ الخراط ، والمخرطة .. بالاحكام الالى البارد ، مما برر لطبيعته القلقة التمرد ، وكان تمرده انقلابا يكاد يكون كليا .. ففى « البرونز » نلتقى بنبض التحريف والارتجال ، والسلاسة ، والفرح الطفولى بامكانات الخامة ، وبانتباه ـ لا اظنه ظهر بالمصادفة ـ الى الامكانات التعبيرية والجمالية لشكل الحروف والكلمات العربية ، مع حرص على الانفلات من ان تكون مقروءة ومهما كانت الدوافع التى جعلته يسهم فى هذا التيار الفنى العربى ، فهى اعمال تؤيد التوجه الجمالى الخاص ، وربما ادرك ان هذا قد يوقعه فى « الشكلية » ، نعرض قليلا من الاعمال تتسم بالروائية . لقد نجح « صالح رضا » فى اختيار الخامة المناسبة لطبيعته وهى خامة يستعان بها فى التغليف ، ولا يكلفه التعامل معها الا بسن كهربائى صغير يرسم به فوق مسطحات هذه الخامة ، ويقوم بالفصل بين الاجزاء وتجميعها ليقوم المسبك بالمهمة الاخيرة ، لكن عيب هذه الخامة ـ بالنسبة للنحات انها لا تسمح بشكل يدور فى الفراغ بل بشكل مسطح .. لهذا رجحت القيمة الخطية على كل القيم الشكلية الاخرى . ويشترك « الخزف » فى دائرة التعارضات « المزاجية » ، فتظهر بعض قطعه الزخرفية متقشفة اللون ، وبعضها يتالق بالالق اللونى المعدنى .. واستعارت زخرفياته من المنحوتات الاكتفاء باستقلالها ، ولكى يؤكد هذا فقد توج قدوره وزهرياته بشكل مراوغ ، اشبه بتاج الديك ، ليحول دون اقتحامها .. حتى لو كان وسيلة الاقتحام زهرة !

عرض مسرحى للفنان صالح رضا

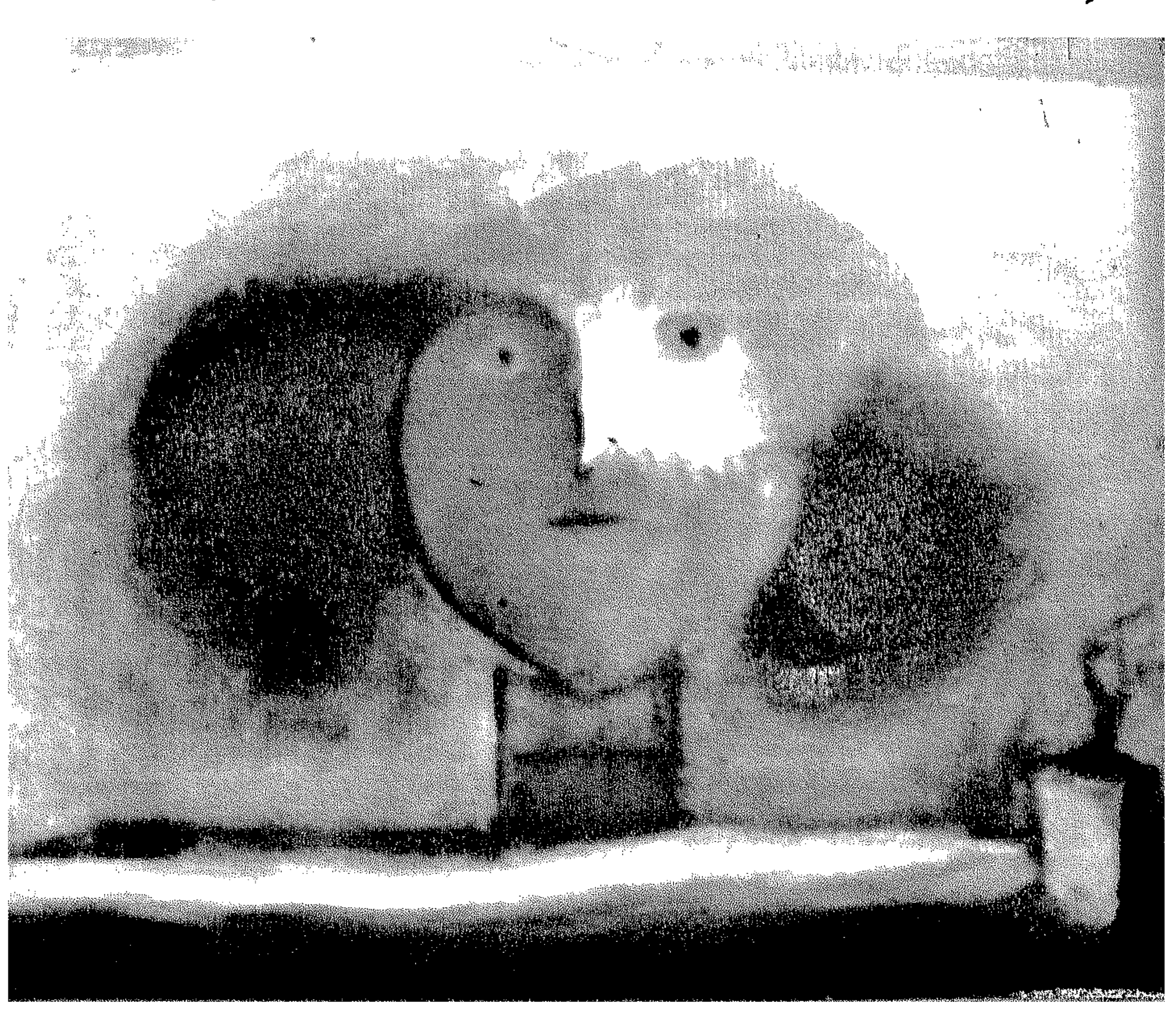
الموسيقيون الثلاثة للفنان صالح رضا





◄ حروف تتراقص فى الفراغ للفنان صالح رضا

▼ وجـــه يحـــاورنـــا
للفنان شوقى زغلول



• شوقى زغلول بين الغياب والحضور

اقيم باتيليه القاهرة معرض لاحياء ذكرى الفنان « شوقى زغلول » ضـم نحو اربعين لوحة تنتمى الى فتـــرات زمنية مختلفة . وكان « شوقى » من الفنانين الذين يرون ان حــــرارة التعبير وصدقه أهم من الوســــائط التى تتجسد بها تلك الشــــحنة التعبيرية ، فلم يحفــــــل بالبريق الاخراجى ، ولكنه .. رغـــم ذلك .. اختار الوسائل التى تسعفه عندمـــا تلح عليه خاطرة فنية ، فكانت أوراق كراسات الرسم وألوان « الباستيل » و « الجواش » تتسق مع رغبته الدائمة فى البوح ، وكان يتسم هذا البـــوح



وجـــه
للفنان شوقى زغلول

بالسلاسة والبساطة .. كأنمـــا يهمس لصديق حميم لا يحتاج معـــه الى حبك العبارة ، ودقة التجسويد ، بل الى اقل الايماءات للتواصـــل ، لهذا جاءت لوحات معرضه مغلفــة بطابع الالفة ، والرقة الهـــادئة ، والدعابة الطفولية التى لا تخلـو من حزن شفيف . انه يستلهم مثيـرات جمالية مألوفة مثل : « الطبيعـــة الصامتة » او موضوعات انسانيـة مثل « الامومة » .. « الطفـــل والعصـــفور » .. غيـــر ان تلك الاعتيادية ، ذات اللون الرمـــادى . تكشف عن ابعاد اخرى يسهل الاهتداء اليها .. سواء على المســـتوى الاجتماعى والانسانى والجمـــالى : فالتقشف الشديد فى اللون ، ونوعية، واشكال « الطبيعة الصـــامتة » ، والجزئيات التى تتسلل من العمـارة الشعبية الى اللوحات ، تفصـــح عن انحياز الى مثيرات جمالية وتعبيرية تحتل مواقع مرموقة فى الازقـــة القاهرية الفقيرة .. ولان تلك الازقة خالية الا من سيطرة اللون الرمادى ولان « شوقى » من ناحية اخرى ليس فنانا « دعائيا » بل فنانا صادقـا ، لهذا احتفظ بالنبرة الرمـــادية – ان صح التعبير . وجـــاءت رمـــادياته شفافة تقوم بتذويب اشكال « المقدمة » ودرجات « الخلفية » فى كيـــان تصويرى متوازن . ويقوم « الفراغ المادى » .. فى لوحاته بدور تعبيـرى بارز . ان هذا العنصر الذى يصطنعه **بعض السيرياليين لتأكيد الوحشـــة والغربة والضياع ، يقـــوم بدور معكوس عند « شوقى » كما فى لوحة « امومة » فقد قام « الفراغ » المحيط بالام وطفلها بتأكيد التماسك والحماية بين « أم » متينة البنية وطفل مسترخ فى استمتاع على وسادة الصدر !..**

ويجعلنا هذا الفراغ ، فى لوحـة أخرى ، ننتبه اشـد الانتباه الى تلك اللمسات الرشيقة المخضـــراء التى نجحت بضربة واحدة ، فى ان تصف وتوحى بأوراق نباتيه صغيرة يعابثها الضوء !

ان البساطة هى أبرز معالم اسلوب « شوقى زغلول » ، ويبدو استلهامه رسوم الاطفال مؤكدا ، ومتجليـا فى الملامح التشريحية .. فى الوجـوه والاطراف بالذات ، ويكاد ان يسـود كل الوجوه وجه قناعى واحد جميـل كما تبدو البساطة ايضا فى انصرافه عن شبهة الثرثرة ، فلا يستدعى الى لوحاته الا اكثر العناصر جوهرية ، فلوحات الطبيعة الصامتة لا تتســم لاكثر من « زهـــرية » او بمعنى أدق « علبة » بها فرع يتيم ، ولوحـــة « امومة » ليس بها غير « أم وطفل » ولا شىء بعد ذلك غير الفــراغ .. وهكذا .. أما لمساته فانها لا تعـرف التردد او التلكؤ .. فان فعلت عن عمد فلضرورة زخرفية .. وفى حـــدود ضيقة . ان تلك اللمسات كانت تتمتع بهذا الدفق التعبيرى والجمالى الذى لم يوقفه غير عبث الموت !





الحصان والطائر باتيك
للفنان علـى دسوقـى

● على دسوقى ودعوة صريحة الى الحب

قدم الفنان « على دسوقى » مختارات من لوحاته فى مجال « الباتيك » اوا الرسم على القماش مع استخدام عازل الشمع) بالمركز المصرى للتبادل الثقافى بالزمالك • وتعكس تلك المجموعة المختارة ما تعكسه مجمل مراحله الفنية منثبات فى الرؤية والاسلوب الفنى ، وثبات – نسبى – فى اعجاب الناس بلوحاته فى الشرق والغرب ، وتعد أعماله من بين اكثر المبيعات الفنية ، واكثرها انتشارا • ان اعماله تكشف ، للوهلة الاولى ، عن اختيار منحاز الى طابع مصرى – انسانى ، وهو ينسج هذا الطابع بدأب والحاح من مصادر متنوعة : مظاهر الحارة الاجتماعية تاركا للمرأة والطفل المحاور الرئيسية والمصدر الثانى هو التراث الفرعونى والقبطى والاسلامى ، ويلتحم هذا التراث المتنوع التحاما لافتا للنظر فى لوحاته ، فالمتلقى لا يجد تعسفا عنده فى التقاط بعض ملامح من كل لون ، بل يجدها جميعا مذابة فى وجدان عاشق ، يتوجه برسالة تعبيرية انسانية تدعو الى الصفاء والحب • يقدم لنا لوحات مصفاه من عبثية الواقع وهمومه •• تحتفل بالمرقة ، والسلام ، والجمال الخالص •• ففى لوحة بعنوان افتراضى – لنقل (حاملات الجرار) نصافح وجوها قناعية ، خرجت من المتحف القبطى ، تشترك جميعا ، وبنفس الدرجة ، فى مصافحتنا بوداعة لا تخلو من الدهشة ونكتشف ان الفنان قد أهمل الترابط السببى • المنطقى « بين » موزع المياه الجالس القرفصاء مثل « الكاتب المصرى » وبين طالبات المياه •• ليرحب بنا ، فكل الوجوه والاجساد : الاطفال والفتيات والرجل الوحيد يتموضعون فى مواضع الاجلال لنا نحن الشاهدين ! • •حتى النوافذ ، والابواب ، والحوائط ، والثياب ، يزينها بما يناسبها من الزينات لاستقبال ضيوفه !••

اختار لنا بعناية عناصر تكوينه الاحتفالى • لا فرق عنده بين عنصر رئيسى او عنصر مساعد ، فالخلاخل والاقراط الضيئة والجرار تقوم بايقاعات تربط العناصر الانسانية المصطفة فى ارجاء لوحاته ، ملتفة حول شخص « الكاتب – موزع المياه» تبدأ وتنتهى تلك الصفوف بمغريات البراءة:الاطفال!••ويقوم الخط السلس بدور وصفى ، فهو يرسم لنا جلابيب الاطفال خالية مما يمنحه لجسد النساء من طراوة وليونة ، وان غلفت تلك الحسية بما تتسم به الوضعة « الفرعونية » من وقار •• وقد لا يكتفى بمظهر الوقار الفرعونى بل يأخذ بصراحة بعض المبادىء التصميمية مثل مبدأ التتابع الافقى•• غير انه – كما اشرت – « يستلهم »فى اكثر الاحوال « ويختار » •• لا ان ينقل • هل اكون قد استطعت ان اجيب عن سر اقبال المتذوقين ، متعددى المشارب ، على لوحات « على دسوقى» •• ربما !





● تحية للحجارة المقدسة !

اقامت الفنانة « فاطمة عـرارجى معرضا باتيليه القاهرة فى مجـال الرسم بالحبر الصينى والجاف ،وبهذا المعرض تقدم اسهاما جديدا فى توكيد الاهتمام بفن « الرسـم » الذى تألق خلال العشر سنوات الاخيرة ، ممـا حفز الى الاعتراف به فى جوائزالدولة باعتباره فنا مستقلا ، بعـد ان كان هامشيا « يتبع » نصا ادبيـا او « يسبق » لوحة زيتية ، مكتفيا بدور

احجار واحجار
للفنانة فاطمة العرارجى

الاعداد والتحضير · والرسم عند الفنانة « فاطمة العرارجي » وعلى حد تعبيرها (خطوط سوداء تتحرك فى الفراغ) وخطوطها لا تصف وصفا باردا اشكالا متعينه ، بل توحي بشحنات تعبيرية وموقف جمالي وانسانى · وهى من الفنانين الذين لا تستدرجهم « التعبيرية » الى دوائر الذوات المغلقة ، بل تصلهم بأحداث انسانية ، مصيرية ·· وكانت الاحداث المصيرية التى شكلت مثيرات جمالية وتعبيرية للوحاتها هى « الانتفاضة الفلسطينية » ، ويعد هذا المعرض الاستجابة الاولى ، المكتملة ، لتلك الاحداث ، دون ان تسقط فيما وقع فيه الكثيرون فى الهتافية والركاكة ·

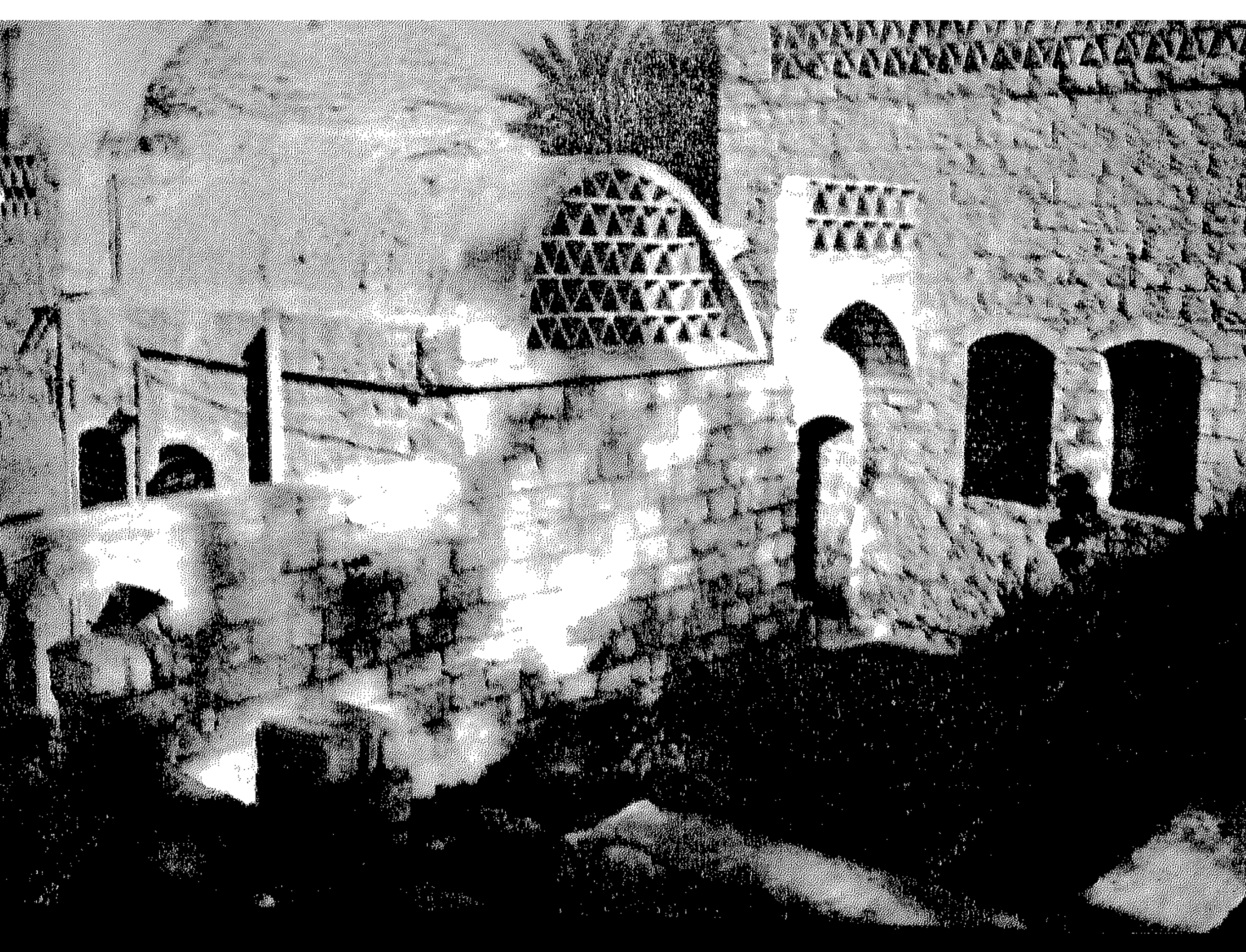
ولقد وفقت – من وجهة نظرى – فى اختيار الوسائط التى تيسر التدفق التعبيرى : اقلام « الرابيدوجراف » على مسطحات ورقية بيضاء فى حجم كراسات الرسم ، لا تحتاج من الرسام الا ان يكون صادقا ، وبارعا ، وعميق النظرة ·· ولا اهمية بعد ذلك فى ان يكون مكان الرسم مرسما او مقهى او حديقة عامة (ان وجدت) !

ان اختياراتها لم تسمح باى ثرثرة فى العناصر ، وهى لا تحتفظ الا بثلاثة عناصر ضرورية :

١ – كيانات انسانية ملتحمه ·

٢ – اشكال موحية بالطوب والزجاجات الحارقة (قنابل الفقراء

٣ – الفراغ · وتظهر تلك العناصر فى حالة تفاعل ، ويكتسب كل عنصر من الاخر بعض خصائصه ، فتستعير الكيانات الانسانية من الاحجار صلابتها بل توشك ان تكون منحوتات حجرية فى طور من اطوار الانشاء والاكتمال ، او اثرا ، فطريا ،مكتشفا بعد ان تفاعلت معه عوامل التعرية ، فتركته بلا ملامح تدل على زمانه وبيئته كما اخرجته من اطار الارتباطات السببية المواقعية ، لهذا لم تكن فى حاجة الى « ميكانيكية » وظائف الاعضاء ، بل الى ايحاءتها الرمزية · وربما شاءت الفنانة بهذا التعميم ان تخرج لوحاتها من الارتباط التابع لموضوع بعينه الى ان تكون لوحاتها رسالة احتجاج ، احتجاج ضد حالة ، هى بالضرورة تكمن خارج اللوحات · وهى تضع التجمعات البشرية فى حالة « فعل » احيانا ، وحالة « رد فعل » احيانا اخرى · وعندما تكون العناصر فى حالة « فعل » يتجلى فى اللوحات التحام يذوب الكيانات الفردية فى سبيكة واحدة ، تبرز منها الرءوس والايدى الممتدة الى الحجارة ، وعندما تكون العناصر ردا ونتيجة لفعل خارجى ، تظهر الكيانات البشرية ممزقة ، ويقوم « الفراغ » بدور يتسق اشد الاتساق مع العناصر المرسومة فى انشاء تكوينات محكمة ، ويقوم فى معظم الاحوال بتأطير عناصر الدراما، واحيانا يتغلغل « الفراغ » الى المساحات البينية عندما يتاح له ذلك، وهو لا يتاح ، غالبا ، الا فى اللوحات التى تظهر فيها الكيانات الانسانية ممزقة ! ·· اما خطوطها فهى تتنوع فى اطار الجرأة والانفعال وتشبه ضربات الازميل : تارة تكون موجزة الى حدها الادنى ، وتارة تتداخل لتشكل نسيجا خلويا فى مواجهة الفراغ الابيض ·· واحيانا يبدو ذلك النسيج كما لو ان رعشة قد اصابته وامتدت الى خطوط الوجه والاطراف ، وهى تنقلنا ، بكل هذا التنوع ، الى مايتسق به من حالات تعبيرية متعددة ·· أما العيون فتحتفظ لها بتعبير ثابت ·· هو التحدى ·



حسن فتحى شيخ البنائين !

بقلم : د. منى زكريا

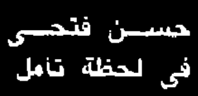
● لا شك ان المهندس حسن فتحي لم يكتسب لقب « شيخ البنائين » من فراغ ، فهو صاحب بصمات عميقة على الطفرة العمرانية في مصر التى انجبت على مر التاريخ اعظم من شيدوا صروح الحضارة فى العالم القديم ، وهو فى نفس الوقت صاحب تلك الشهرة العريضة في دول العالم الثالث ، بعد أن أخذوا يستعينون بأفكاره البارزة عن عمارة الفقراء !

ان المهندس حسن فتحى فى مشواره الطويل مع فن العمارةهو صورة مجسمة للفنان الصادق المرتبط باصالة وبساطة فن العمارة الاسلامية ، ولأنه لم يهمل جذوره العربية أثناء رحلته فى الحياة ، فقد اعتبره عشاق فن العمارة العربى واحدا من ابرز رواده الكبار الذين اعطوا لهذا الفن الشامخ كل الحب والعطاء ..

تجمع معمارى . زاوية جنوبية .

نافورة في فناء صغير .





حســن فتحــى
فى لحظة تأمل

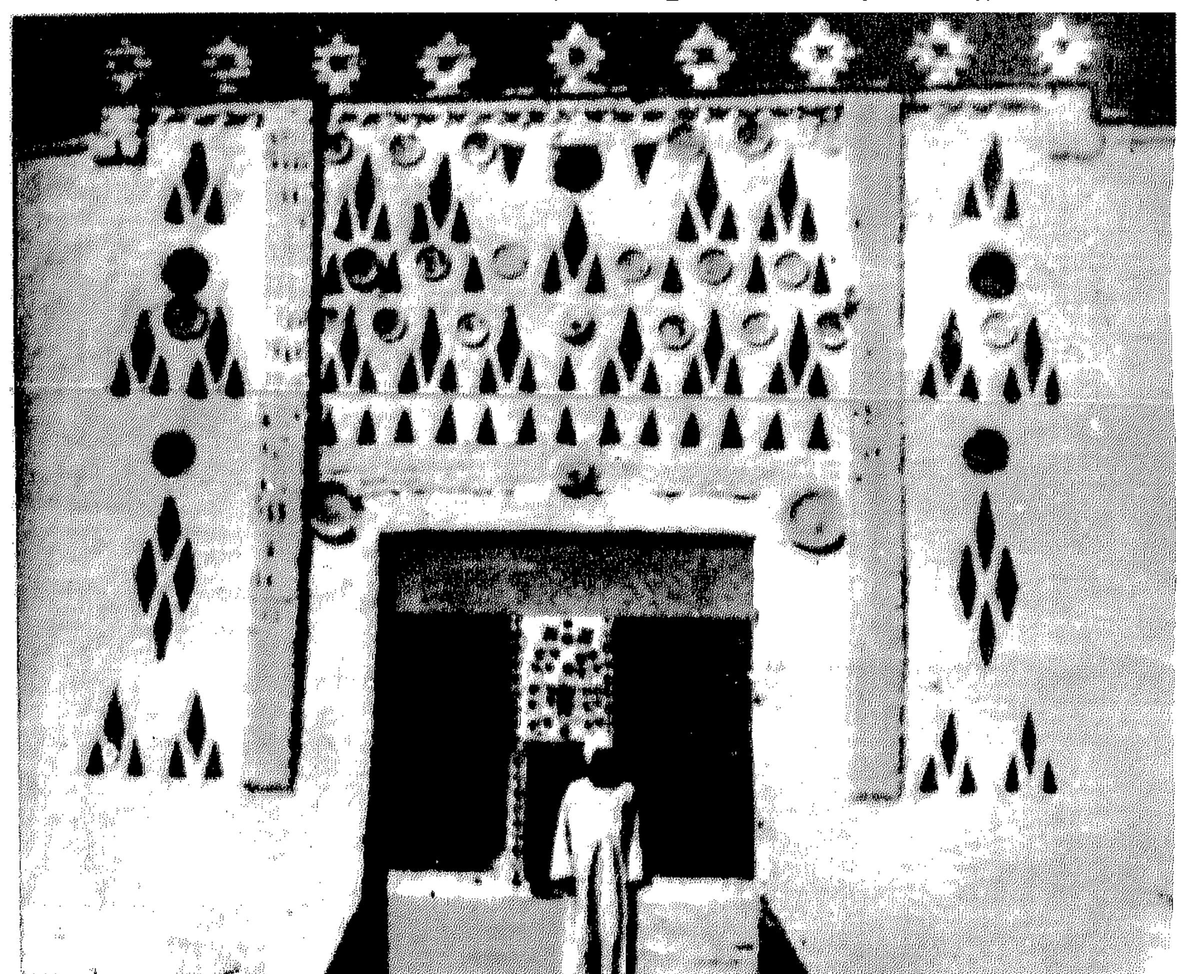
حسن فتحى
شيخ البنائين !

وقبل أن نتعرف على الملامح الفنية لاعمال هذا المهندس النابغة ، أحب أن أوضح أولا أن العمارة فن صعب ومثير ، وعناصرها التى تكون فى النهاية المبنى هى فى حقيقة الامر متداخلة ، وعلى المعمارى أن يقيم من خلال ذلك التوازن الدقيق بين رغبات المالك الغامضة عادة ، وقدراته المادية المحدودة غالبا والمستوى الاقتصادى والثقافى للمجتمع ككل ذلك المبنى الذى يحلم به ٠

ومع حسن فتحى تتعاظم الاثارة المعمارية حين وجد المعمارى الشاب أن ذاكرة الناس المعمارية تتعلق أساسا بالبناء الغربى ، بينما حنينه وحلمه يتعلق بالبناء المصرى والاسلامى القديم ٠٠ حين يجد أنه يصطدم بفقر شديد مادى وثقافى للريفيين الذين يرغب حقيقة فى البناء لهم ٠٠ ويتطلع الاغنياء للغرب ثقافيا ومعماريا ، بانقراض الحرفيين القادرين على تحقيق حلمه الغامض باستلهام العمارة البيئية والاسلامية التى برع فيها اجدادنا من النوبة الى القاهرة ٠

رحلة طويلة شديدة الوحدة ، عانى فيها من المشاريع التى تتوقف عند مرحلة الرسوم خاصة المشاريع

مدخل احد بيوت النوبة .. البساطة فى التصميم والزخرفة



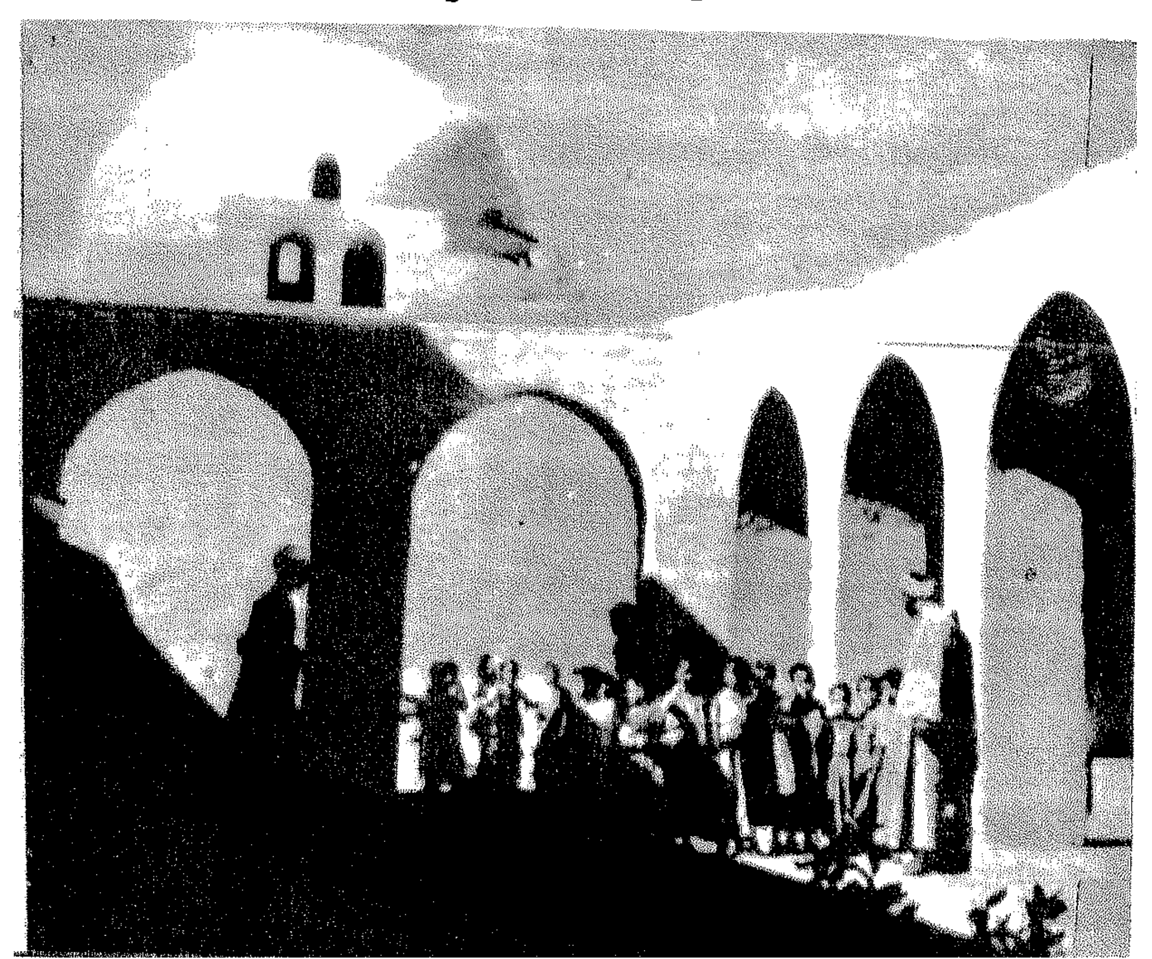
التي لم يتم تنفيذها ، والمشـــاريع المنفذة وغير المستخدمة وأخيرا القبول والاعتراف من عدد محدود ، ثم في النهاية التتــويج كشيخ للبنــائين المصريين على المستوى العالمي انهـا رحلة طويلة وشاقة خاضها بشـجاعة وصـــبر وبعثرات الباحثين عن حلم كبير ضد التيار السائد ٠

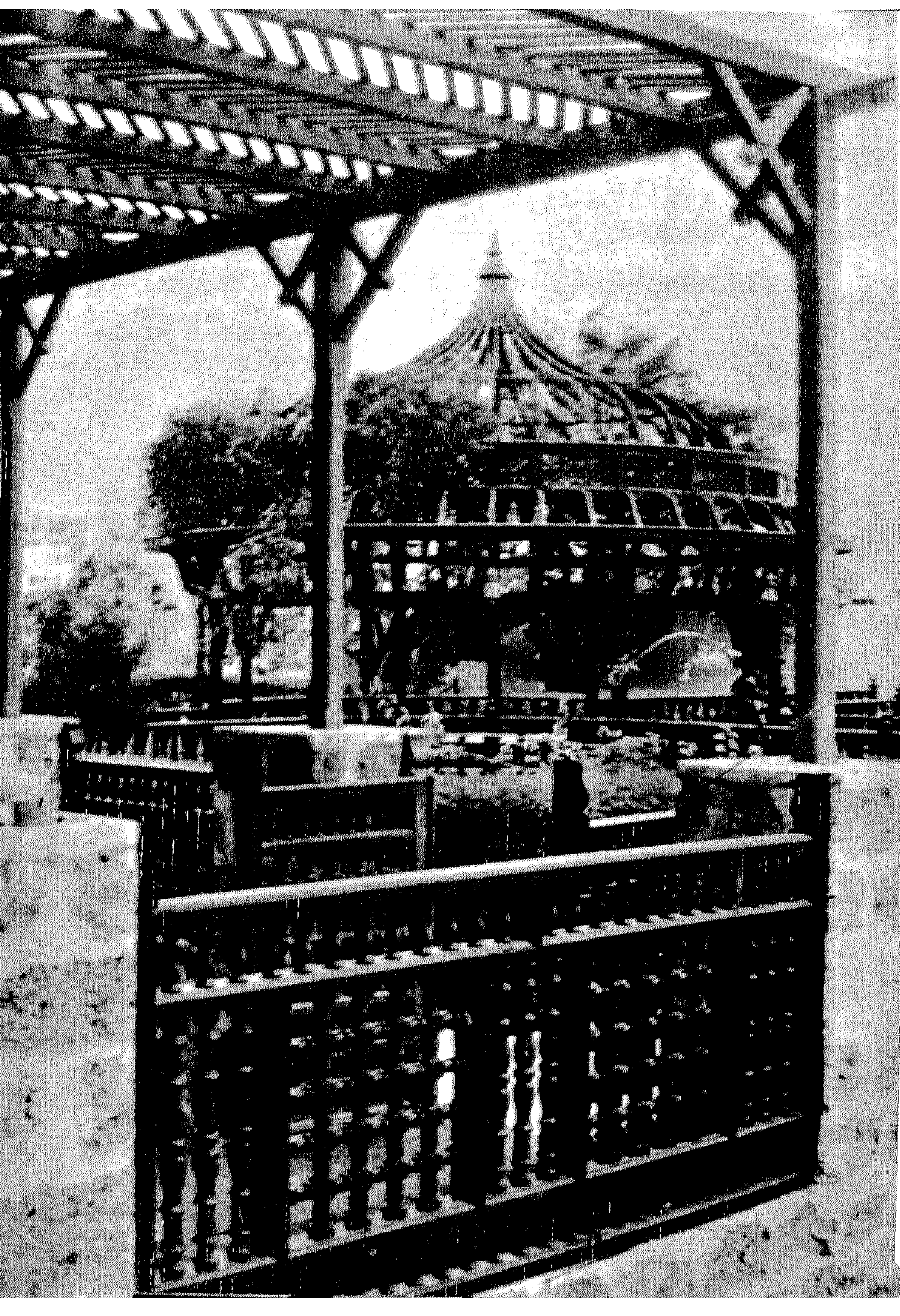
● اتجاه نحو الاصدق

حين بدأ حســن فتحي في نهـاية الثلاثينيات ، كان الاتجـاه السـائد لعمارة المدنية يعتمد على العمــارة الغربية من خــلال معماريين أجـانب والمعماريين العائدين من البعثـات ٠ وكان ذلك مقبولا من الملاك وكان ذلـك المناخ العام لهذه الفترة ٠ فبنى شـارل عيروط محطـــة باب اللوق ومصـــانع الشوربجى وبعض المساكن الخـاصة باستخدام الطوب كواجهـــات بدون بياض وكان ذلك اتجاه سائد فى الغرب ولم يستطع شارل عيروط اكتشاف العلاقة بين هذا الاسلوب فى البناء وأسـلوب أكثر أصالة فى مبانى رشيد وقوص الا بعد ان اتم تجربته ٠ كما أن عـلى لبيب جبر اســـتخلم اخر صيحة فى الشرفات الدائرية والفتحات العريضة الكبيرة المغطاة بالزجاج دون الاخـــذ فى الاعتبار بشدة الضوء ودرجـــات الحرارة القارية ٠

وقد تزامن مع ذلك اتجاه أصـولى اخر ينقسم الى قسمين ٠٠ الاتجـــاه

بناء احدى المدارس الابتدائية التى شيدها حسن فتحى







نحو التراث الاسلامي في زخارفه وأشكاله الخارجية دون مضمونة وابرز معمارية مصطفى فهمي . فاستخدم واجهات من عناصر العمارة الاسلامية لتغلف داخليا حلا أوروبيا كلاسيكيا . مثل مباني جمعية الهلال الاحمر ومبنى معهد الموسيقى العربية . كما اتجه عثمان محرم لطراز فرعوني تمثل في محطة سكة حديد الجيزة وكلية الهندسة جامعة الاسكندرية وكذلك بعض استراحات القصور الملكية .

كانت هذه الاتجاهات تتعلق بعمارة المبنة فقط وبالشكل الخارجي للمباني دون الغوص في ابتكار طرق انشاء أو حلول داخلية تراثية . وكان تردد السؤال في مجلة العمارة المصرية التي انشاها سيد كريم في الثلاثينيات يتعلق بفكرة الهوية المعمارية ولم يترجم ذلك لتطبيق معماري حقيقي .

في هذا المناخ كان اتجاه حسن فتحي نحو الاصعب والاصدق .. عمارة الريف والحلول الداخلية القديمة وأسلوب الانشاء وتغطية الاسقف بالطوب التي الرخيص كانت الفكرة تبدو مستحيلة وخارج النطاق العادي .. ودائما ما تصل الافكار الكبيرة الحلم المستحيل .. كان الاكثر صدقا والاكثر شاعرية ولذلك استطاع على المدى البعيد أن يكون الاكثر اهمية .

وقد بدأ مع حسن فتحي فنان معماري هام وهو ويصا واصف ، ومن اهم أعماله على قلتها قرية الحرانية والتي كان وراءها فكرة عمل السجاد المصري الشهير من خلال تجربة عميقة مع فلاحي قريته .. وقد نال ويصا واصف في حياته التقدير على صناعة السجاد المتميز وتجربته التربوية وبعد مماته نال مبناه الصغير الجميل لمتحف حبيب جورجي جائزة اغاخان في العمارة الاسلامية .

● سمات مميزة للمبنى

ان أهم ما يمكن أن تثيره تجربة حسن فتحي محاولة الارتباط مباشرة بعملية البناء من خلال علاقة مباشرة بين المهندس والحرفي والمالك . وحاول دائما استخدام الاسلوب المباشر في البناء بالخامات المتاحة محليا . بحثا عن تكلفة اقل وعلاقة اقوى بمستخدم السكن . ان عمارة حسن فتحي ليست ذهنية خارجية ولكنها تطبيق مباشر وخلاق ينتج عمارته مباشرة . ولذلك كانت دائما متابعة التصميم الاولي وتعديله اثناء العمل احدى سمات مباني حسن فتحي .

ولكن ماذا عن حياة حسن فتحي انه الى سن السابعة والعشرين كانت علاقته بالريف من خلال نوافذ القطار والقصص التي تحكيها له والدته .. اختلطت صورة الجنة بصورة الريف في خيال المعماري الشاب الذي فشل في دخول كلية الزراعة فقرر دخول كلية الهندسة ليبني في الريف . وبعد تخرجه كان الاشراف على تنفيذ مبنى مدرسة بطلخا بداية التعرف الحقيقي له على الريف المصري . أدرك مدى فقر تلك المباني الطينية الخالية من فتحات التهوية ودورات المياه كما أدرك مدى فقر السكان ومدى أهمية تكاليف المبنى وضرورة اعتماده على الخامات المحلية وأساليب البناء البسيطة .

كان سقف المبنى أحدى

حسن فتحى
شيخ البنائين !

المشاكل الحادة ، واتجه حسن فتحى لحل هذه المشكلة الى بناء الاقبية .. بدأ بالشدات الخشبية التى يحمل عليها الطوب ولكن التكاليف وقفت عائقا بسبب ارتفاع سعر الخشب .. وفى عام ۱۹۳۷ كان المعرض الاول بالمنصورة لتصميمات منازل ريفية من قوالب الطين .

وفى مشروع للجمعية الملكية الزراعية حاول بناء قبو بدون الاستعانة بالقالب الخشبى وفشلت التجربة وسقط القبو .. وفى زيارة لاسوان فبراير ١٩٤١ أدرك حسن فتحى أن سر بناء الاقبية بدون شدات مازال يحمله أبناء النوبة ، واستطاع من خلال علاقة طويلة بهم أن يبدأ رحلة طويلة صاغ خلالها عناصر مبناه البسيط باستخدام السقف المبنى . وكانت البداية تجربة بيت طاهر العمرى فى صحراء الفيوم .

وحينما دمرت السيول قرية عزبة البصرى ، وقرر الصليب الاحمر المصرى اغاثة عشرين عائلة أضرتها السيول وصلت التكاليف الى ثلاثة الاف جنيه لبناء تلك المساكن ، وتعثرت محاولات اقناع سيدات الصليب الاحمر لدفع هذا المبلغ وتبرع عبود باشا بمبلغ ١٥٠ جنيها لبناء النموذج الذى تكلف ١٦٤ جنيها وكان القرار الغريب من سيدات الصليب الاحمر المصرى بهدم المنزل الجميل واعطاء مهمة التنفيذ لمهندس اخر ووصلت تكاليف بناء المنازل ٢٢ الف جنيه .

كانت التجربة قاسية ولكنها مفهومة .. ان الوقت لم يحن بعد وكان من السهل تحول المعمارى الشاب ليسير فى الطريق الذى يسلكه عشرات المعماريين القادرين على الكسب المادى من خلال أعمال معتادة ومقبولة اجتماعيا .

● قرية الجرنة .. !

ثم كان المشروع الكبير فى حياة حسن فتحى ، قرية الجرنة الشهيرة.. الناجحة والفاشلة فى آن واحد ، فقد طلبت مصلحة الاثار بناء مساكن لسكان جبل الجرنة فى الوادى .. كان الهدف ابعادهم عن كنوز الفراعنة .. وأبدع حسن فتحى قرية الجرنة مستلهما تراث النوبة والتراث الاسلامى ومبتكرا جماليات خاصة به من خلال بناء جميل من الطوب اللبن وباستخدام الاقبية والقباب .

رفض أهالى الجرنة النزول من على عرشهم ومورد رزقهم بالجبل.. وظلت القرية الجديدة مهجورة ، كان الجمال المعمارى الخاص جدا لقرية الجرنة دافعا للكثير من المثقفين ولدارسى العمارة للتوقف والتفكير.. وزاد عدد المريدين لحسن فتحى سواء بمصر أو فى العالم . لكن هذا الجمال المعمارى لم يستطع اقناع أهالى جبل الجرنة فى النزول من على عرشهم وكنوزهم بالجبل .. كتب فتحى غانم قصة مهمة عن الجرنة .. وفى حوار لى فى مارس ١٩٧٤ مع الحاج سيد أحد سكان الجبل .. كان اعتراضه المعلن أن حسن (بك) أراد لنا أن نعيش تحت القباب ونحن أحياء .. ان موتانا فقط هم الذين يعيشون تحت القباب .. لقد أراد لنا حسن (بك)

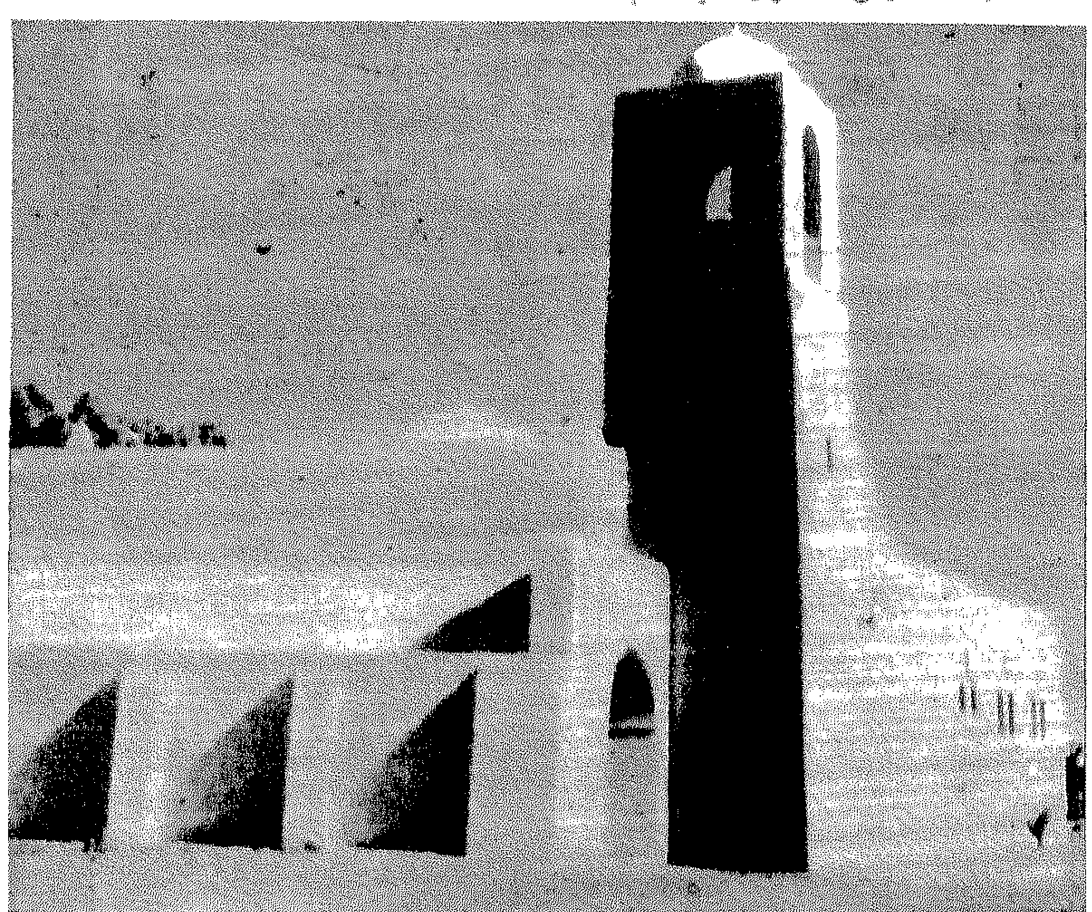
أن نعيش فى الوادى الرطب والحار ولكن الجبل هو مصدر رزقنا والمكان الملائم لسكنانا ·

اثمرت التجـــربة عن المدرسة المعمارية لحسن فتحى ، المحليـــة العالمية ، وفشلت فى اقناع أهـــالى الجرنة بالمعيشة بها · كـــانت نقطة انطلاق حقيقية ومؤثرة لحســن فتحى بالرغم من هذا الرفض من الســكان المتعلق اساسا بأسباب ليس لهــــا علاقة بالتجربة المعمارية البحتة ·· وحدث نفس الشىء فى تجربة الواحات وهى قرية كبيرة من المبانى شـديدة الجمال المعمارى ولكنها ايضا غيـــر مسكونة ·

لقد استطاعت هــــذه المدرسة من خلال محاولات طويلة للبناء للفقراء ·· تأسيس نوع جديد قديم من المبانى المعمارية الجميلة الصـــالحة للمثقفين وللاغنيـــــاء الراغبين فى التمييـــز الحضارى ·· وبنى الفقـــراء فى القرى والمــدن الصــــغيرة بيوتهم بالخرسانة المسلحة الكئيبة وبدأ بعض الاغنياء الاستفادة من العناصر الجديدة التى أعيد اكتشافها والنسب الجمالية الخاصة جدا بعمارة حسن فتحى فى بناء قصورهم الريفية ومنازلهم أعلى أسطح بعض عمارات القاهرة ·

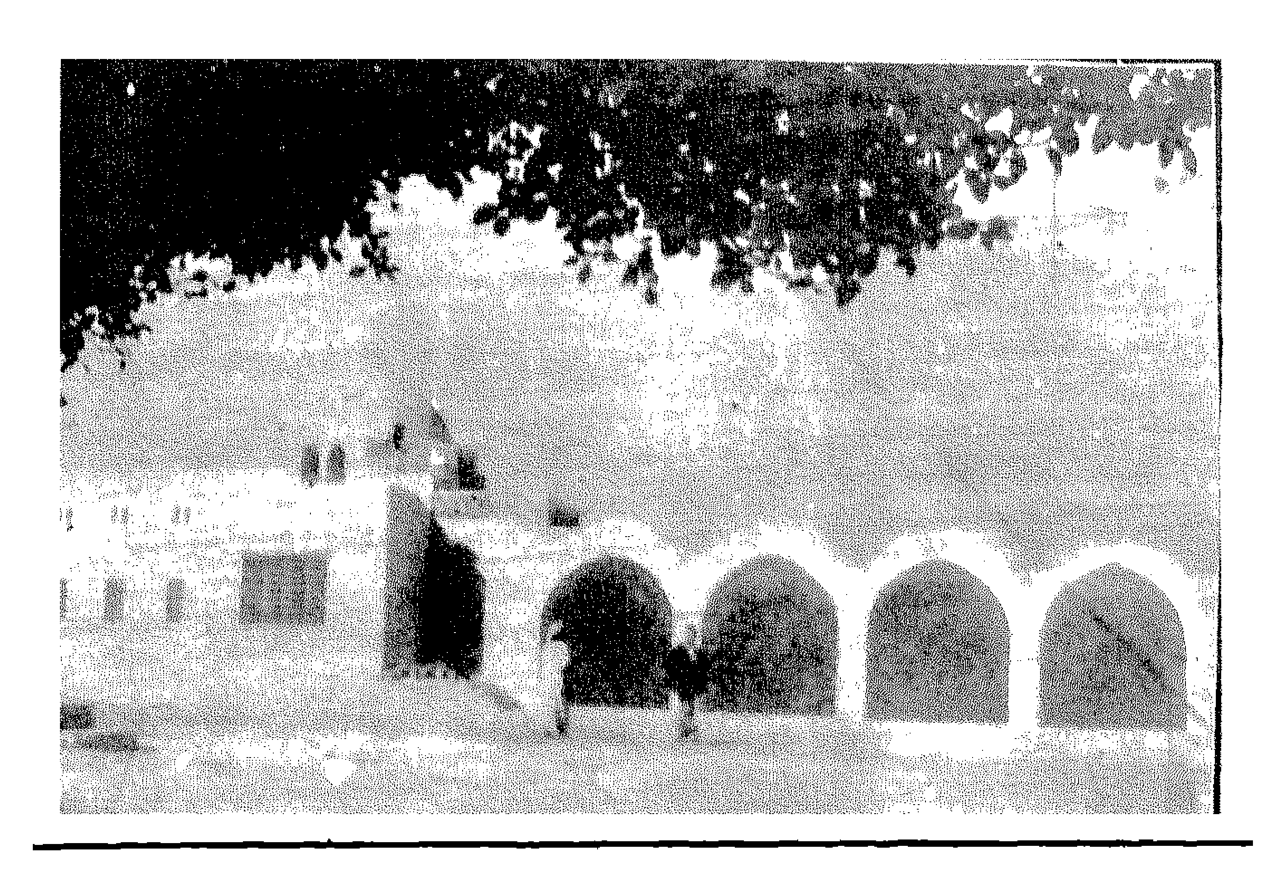
لقد بث حسن فتحى الحيـــــاة فى كثير من عناصر العمارة الاسـلامية المرتبطـــة بالمدن اى الحضرية ·· فاستعمل الكثير من عناصرها المقعد والحوش ، وأصبحت هـــذه الطريقة نمطا جديدا من العمارة أقدم عليهـا بعض الاغنياء المرتبطين بالتـــراث القـــديم أو بعض المثقفين المدركين للحيوية المطلوبة داخـــل الفـــراغ الداخلى حيث يمثل الفراغ الـــداخلى للمبنى امتـــدادا لعضوية جســـم

المسجد .. نموذج معمارى شيد عام ١٩٦٨



حسـن فتحي
شيخ البنائين !

إتساع الفناء .. سمة للعمارة الحديثة عند حسن فتحي



الانسان ان تحويل الاثاث الى جـزء متكامل من العمارة عنصر ينتمي لنا استعمله حسن فتحي وكذلك استعمال المستويات المرتبطة بوظيفة الفـــراغ وخصوصيته المرتبطة بالانسان المستغل لهذا الفراغ ٠

ان حمـــام حسن فتحي هو نفس حمام قصورنا وبيوتنا القديمة المضاء من السقف والمحتوى على المغطس ٠

لقد قطع حسن فتحي رحلة طويلة في محاولة لاعادة بناء أجـــزاء من الماضى ٠٠ رافضا تماما وبحدة خامة الخرسانة المسلحة والحديد ٠٠ وقـد وصل الى حلول كثيـــرة لاستخدام الاسقف المقبية والعقود الحاملة ٠٠ وصل الى نسب وجماليات للمبنى من الخارج والداخل والى فراغات انسانية وعضوية تماما ٠

لكن كيف نبنى في المدن ، ان ذلك بحث اخر قد يستطيع الباحثون فيه الاستفادة من جماليـــات وفراغات العمارة الاسلامية في تطوير المبـانى الخرسانية لمبانى المدينة ٠ لقـــد استوعب الغربيون مثل المعمـــارى كوربوزيه مثلا فكرة الميـــزانين فى الربوع العربية وعلينـــا حتى يكـون النجاح كاملا أن نعيد رسم التـاريخ على خريطة الواقع الفعلى بخـاماته واقتصادياته الحقيقية ٠

المطلوب الان معادلات جديدة لتوائم ظروف جديدة أشد صعوبة وأكثـــر تعقيدا ٠٠ نستطيع من خلالهـا ربط تراثنا بواقعنا ٠

ملاحظات لابد منها حول معــرض الكتــــــاب



لاشك أن ماجرى على أرض معرض الكتاب هذا العام كان دفعة قوية للأمام ، إن يكن فى مجالى النشاطين الثقافى والفنى المتوازيين ، أو بالنسبة لاتساع رقعة المشاركين من الناشرين العرب والأجانب ..

ولابد قبل أى شىء من أن نعمل التهنئة للدكتور سمير سرحان على ماجاء عليه تنظيم المعرض هذا العام ، فقد كان ولاشك أفضل من العام السابق بكثير ، كما تلاشت كثير من السلبيات التى تحققت بنظافة السرايات وخلوها من الغبار الكثيف الذى كان يدفع الزائرين فى الأعوام الماضية إلى الهرب من المعرض ..

ومع ذلك كله ، (ويصبح من المحال أن نعدد ماجرى من نشاطات ثقافية كتبت عنها كل المجلات والصحف المصرية والعربية) تبقى هناك عدة ملاحظات نعتقد بضرورة عرضها من باب الحرص على هذا المعرض العريض ، وعملا على تجديد شبابه بالأفكار الجديدة ..

الملاحظة الأولى : تتعلق بعدد الناشرين العرب المشاركين فى المعرض هذا العام ..

فلاشك أن عدد الدول العربية (أى الأجنحة الرسمية التى تكتظ عادة بالمطبوعات الدعائية أو شبه الدعائية) ، كان أكبر من العام الماضى بحكم عودة العلاقات الرسمية بين مصر والبلدان العربية ، لكن لوحظ تقلص عدد الناشرين اللبنانين الذين اعتادوا الاشتراك فى الأعوام الماضية ، والشكوى التى سمعناها منهم تتعلق أساسا بالبيروقراطية التى تتسبب فى عدم وصول الكتب فى المواعيد الضرورية مع إفتتاح المعرض ، وارتفاع قيمة التخليص والجمارك وأسعار الأجنحة الأمر الذى اشتكى منه جميع المشاركين ، والزائرين دون إشتراك من الناشريين ..

ولربما كان توجيه الاتهام لادارة المعرض بالهيئة فيه بعض الإجحاف ، لأن الجمارك وإجراءات التخليص أمور تتعلق بالسياسات العامة التى تنطبق على الهيئة كما تنطبق على الجميع .. وهنا لابد من التأكيد على ضرورة إعادة النظر فيما يتعلق بفرض جمارك على الكتب ، الأمر الذى لم يحدث طوال تاريخ مصر الحديث إلا فى العام الماضى ..

الملاحظة الثانية : تتعلق ببحث أمر وجود كتب المغرب العربي (المغرب ، الجزائر ، تونس .. الخ) الذى أثير حوله لغو كثير قبل المعرض ، فإذا بنا نفاجأ بأقل من القليل الذى كنا نتوقعه ، خاصة وأن انتاج الكتب فى هذه البلدان قد نشط جدا فى الأعوام الماضية ، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب الخليجى بوجه عام بالاضافة إلى الكتاب السورى واليمنى ، وهناك نشاط هائل فى سوريا بهذا الخصوص ، وكذلك هناك نشاط ملحوظ فى مجال النشر فى اليمن الشقيق علينا أن نعرفه ونتابعه بحكم المسئولية الملقاة على عاتقنا ..

الملاحظة الثالثة : تتعلق بعدد المدعويين من الكتاب والأدباء فى ندوات المعرض ، فليس من المعقول أن يكون عدد المشاركين فى ندوة خصصت لها ساعة ونصف الساعة من الوقت أكثر من ١٥ متكلما ، وهنا يمكن أن تكون الحجة هى كثرة عدد الكتاب ، والرغبة فى عدم إغضابهم ، لكن المشكلة فى تقديرنا ستظل قائمة مادامت هناك أسماء عديدة مقررة على المشاهدين كل عام ، بالأضافة إلى أن التقسيم النوعى لموضوعات الندوات هو الذى يضع الهيئة فى هذا المأزق ، وفى تقديرنا أنه بالأمكان تجاوز هذه المشكلة لو كان هناك موضوع واحد أساسى يشمل جميع الجلسات تشارك فيه وجوه جديدة كل عام من المختصين فى هذا الموضوع كما يحدث فى المؤتمرات النوعية ..

بالأضافة إلى أنه يمكن أن تتوزع مسألة إدارة الجلسات على عدد أكبر من المشاركين بدلا من أن نرى وجها واحدا يتكرر فى عدة جلسات الأمر الذى أصابنا بالملل فى كثير من الحالات ..

نعود فنقول أن هناك خطوات إلى الأمام تحققت هذا العام ولاشك ، لكننا نجد واجبا علينا أن نعرض بعض المشكلات القائمة من أجل مزيد من التقدم ..

فتحى سعيد . ومدحت عاصم وداعا ..


فتحى سعيد — مدحت عاصم

إن كانت وفاة الموسيقار والكاتب المخلص المتميز مدحت عاصم قد حزت فى قلوبنا كما يحدث عند وفاة عزيز اعتدنا وجوده بيتنا ، فإن وفاة الشاعر النبيل فتحى سعيد حملت فى طياتها مفاجأة ، لا فقط لاصدقائه وزملائه الأدباء والشعراء والكتاب ، بل ، وأيضا لقرائه وعشاق كلمته

التى تميزت بروح من الاخلاص والدفء وحب الوطن ، طوال حياته ..

مدحت عاصم كان واحدا من فنانينا الشاملين ، لم يتوقف نشاطه عند التلحين الموسيقى الذى بدأه وهو فى سن الرابعة عشرة ، ولم يتوقف عنه حتى الشهر الأخير من عمره الذى ناهز التاسعة والسبعين ، بل مارس الكتابة ، كما مارس قيادة مواقع فنية وثقافية عديدة ، وفى كل موقع كان الأساس عنده : الأمانة ، فالاتقان ، ثم الاخلاص من أجل الهدف العام ..

وشاعرنا فتحى سعيد الذى كان واحدا من ظرفاء عصرنا وإنه وإن مارس كتابة المقالة ، كما مارس رئاسة تحرير مجلة الشعر ، وعدد آخر من المهام القيادية إلا أنه كان يرى فى كونه شاعرا أهم ما مارس فى حياته ، عن الشعر كان كلامه يتدفق دافقا ممتلئا بالفخر ، وبالشعر كان حديثه فى جلساته التى كان يجب أن يخلو فيها إلى أصدقائه كواحد من عظماء « الندماء » الذين ينقرضون فى عصرنا ، من عالمنا العربى الذى كان « نديم » الجلسة الاخوانية أحد مظاهره الثقافية المتميزة ..

رحم الله مدحت عاصم فنانا مخلصا وجادا ، ورحم الله فتحى سعيد شاعرا وصديقا عزيزا افتقدناه وسنظل نحس بفقدانه طوال العمر ..

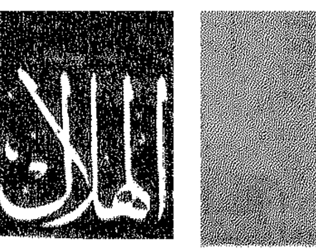
قصص عربية

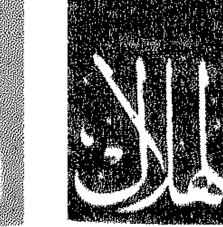
زمن الحصـــار ..

تاليف : محمود العزب



محمود العزب ، قاص يعشق الحرية ويتوق إلى عالم تسوده البهجة والعدالة والرخاء والحب والأمان . هامس النبرة ، لايبوح بل يضمر ولا يكتب وإنما يشدو بترنيمة عن الغربة والاغتراب ، شاديا للإنسان والطبيعة والجمال ، والغربة هنا ليست غربة البدن والمكان فقط إنها غربة الوجدان والشعور والنفس بكاملها .





وتأخذ معاناته ثلاثة أشكال : اغتراب مكاني باطني (حصار ، محاكمة ، الصمت يتطاير في الدفق ، سحب الجدار الخامس) والشكل الأسطوري المعبق بروائح الماضي الفرعونية (صوت النهر) والشكل الكاريكاتوري الاجتماعي الساخر (زائر الميدان) ويربط بين «الانا» و «الهو» في القصص الأربع الأولى وبين الذات الفردية والذات الجماعية في (محاكمة ، زائر الميدان ، صوت النهر) . وبين غربة الداخل واغتراب الخارج يمضي القاص مؤرقا ، معذبا ، أسيانا : بكفاحه في سبيل حياة كريمة ، بحصاره الشعوري والنفسي والاجتماعي الذي يرزح تحت عبئه باحثا عن عالم ينتفي فيه الظلم والهوان واللامبالاة والاستغلال والفردية البغيضة عن «عودة الأيام الخضر لعيون الصبايا ، طارحا أسئلته :

الفاعل ضمير غائب لم غاب ، متى يحضر؟ ص ٦٤

غرفة أم غربة ؟ ما الفرق ؟

أبوالهول ٠يتحسس انفه المجدوع يتجول في ميدان التحرير ويحاول أن يسأل ويحتج على مالحقه من إهمال فيوئد السؤال ؟

وتدور قصصه الأربع الأولى (حصار ، محاكمة ، الصمت ، سحب الجدار الخامس) في حجرة بمدرسة على حافة الصحراء يحيطها الصمت والخلاء حيث يعيش أحد المدرسين مع بضعة من زملائه يتبادلون كلمات قليلة ويغرقون في جو من الوحشة والحنين والعزلة وحسية التناول ومحاولة ملامسة الأشياء بالفعل أو بالشعور تجعل الأشياء تثقله وتنفيه (المكان ، المنضدة ، النافذة إلخ) تنكره ، تتحلق حوله وتسجنه (حصار) تضغطه وتسحقه (سقوط الجدار الخامس) تعريه وتسخر منه (محاكمة) ، تعتقله وتثقل كاهله (الصمت يتطاير في الأفق) .

اشخاص محمود العزب ليسوا من لحم ودم بل هي «روحية ونفسية» توشك ان تكون اطيافا وقصصه الخمس الأولى (حصار ، محاكمة ، الصمت يتطاير في الأفق ، صوت النهر ، سحب الجدار الخامس) ذات منحى تعبيري و[لغة التعبير هي لغة تحمل قيمتها في نفسها وتحاول أن تحمل أشواق أصحابها وصراخهم واحتجاجهم وغضبهم إلى الأخوة البشرية والمجتمع الإنساني نقلا حيا مباشرا ولذلك نجدها تجمع بين الشعر والنثر وتستخدم الديالوج والمنولوج وتتأرجح بين الحلم والواقع وتلجأ إلى طريقة المشاهد والمواقف واللوحات المتتابعة التي تساير التجربة ولاتلتزم بالبناء الدرامي التقليدي وتتأثر بأسلوب الفيلم .

تتابع المواقف والأزمنة ، نتناوب الحضور وتمتزج ببعضها والكاتب يستبدل الذكريات والتخيلات بما هو حس وما هو حسي بما هو معنوي عبر تداعياته والحوار عنده من طرف واحد (صوت بلا صدى ..

انها العزلة) عبر جو الحلم والموسيقى اللغوى والأوراق القديمة والصور والتأملات والنجوى .

ولب التجربة عند الكاتب هى المرئيات والصوتيات والمحسوسات والصورة القصصية عنده قوامها الحس البصرى القوى والغنائية والملاحظة القوية وعلاقته بالطبيعة هى علاقة شغف وافتتان ينعطف إليها ويمتزج بموجوداتها (كالقمر ، الصمت ، الفراغ ، الضوء ، الجماد ، الطير ، الحيوان) فهى متنفسه وملاذه ، تشخص مايمور فى ذهنه وما يعتمل فى أعماقه يجد فيها حريته وسعادته وسلواه والرمز عنده شفاف ومشع إلى أقصى الحدود (فالمرآة والنافذة والثقب والضوء) نافذة على النفس والعالم وأحيانا يمزج الرمز بالاسطورة كما فى صوت النهر (اسطورة آخيل وأسطورة ايزيس) : الخصوبة والمعاناة .

ولا تخلو زمن الحصار من لمسة السخرية : هل السعى نظام البريد من نظام الدول (سحب الجدار الخامس) ؟ وأبوالهول (زائر الميدان) يود أن يسأل سؤالا محددا راح يشغله فى السنوات الأخيرة .

هل يخاطب به الهواء ؟ !

أنه من النادر أن يطالع المرء مجموعة قصصية بانشراح وابتهاج كهذه المجموعة لغة هى ندى الصباح وطزاجة تشهيك وجمال يغمرك فإذا انت فى قلب هذا العالم البهيج مسحورا مبهورا ..

مصطفى كامل سعد

« أهلا يابكوات »
عودة مسرح الأفكار



ما أكثر مايثيره عرض مسرحية « أهلا يابكوات » الذى يقدمه المسرح القومى حاليا ، من تأليف لينين الرملى واخراج عصام السيد ، من قضايا هامة وحيوية ، أولها : عن علاقة مسرح الدولة بالمسرح التجارى ، وماهية مايقدم فى كل منهما ، وثانيها : عن الوقوف الحتمى ضد دعاة التخلف والرجوع ألى الوراء ، وهى القضية التى طرحها وألح عليها العرض فى جمله وتعبيراته المباشرة والشكلية والموضوعية ..

القضية الأولى مطروحة بشدة حاليا ، إذ تشهد الساحة المسرحية تحولات جذرية فى مفهوم وبنية مسرح الدولة والمسرح التجارى ، وقد دأب المتابعون دائما على وصم مسرح القطاع الخاص

بانه يجرى وراء الربح بمختلف الوسائل ، حتى تبدد أى أمل فى اصلاح هذا المسرح ، بعد ان تحولت خشباته إلى مباذل الملاهى والكباريهات ، وتمتلىء جنباته بضحكات يثيرها فى الغالب كم الافيهات الفاحشة والحركات المبالغ فيها ..

وتحول مسرح الدولة لكى يجارى المسرح الهابط ، فنجح مرة ، وفشل عدة مرات ، وأخذ سدنة الروتين يبحثون عن الوسيلة الفعالة لكى يغيروا من سياسات ومبادىء قامت عليها كل هذه المسارح ، حتى اضاعوا كل مايملكون ..

ولندع الآن هذا وننطلق إلى عرضنا ، الذى يطرح ـ بالمصادفة ـ قضية التخلف عن ركب الحضارة :

نحن أمام تيمة قديمة براقة عن رحلة فى الزمن يقوم بها عالم ومدرس تاريخ إلى الماضى ، وإلى ماقبل دخول الحملة الفرنسية مصر بسنوات ، ليناقش العرض هذه القضية من منطلق الازدواجية التى نمارسها فى حياتنا ـ نحن العرب أو المصريين ـ فنعيش الماضى الجاثم بموروثاته ، فى قلب الحاضر بمنجزات العالم الأول المستجلبة ، ومن استجلاب هذه المقدمة يأخذنا العرض ببطليه المعاصرين ، الى عهد المماليك والبكوات ليؤكد لنا مدى الغياب الذى نعيشه ونحن مازلنا نتمسك بقيم بالية ، بعد ان يرصد لنا صور التخلف ، فنراها من مرآة الحاضر ، بكل أبعادها وأشكالها وأساليبها .

العالم : موصوم من البداية بنزوله بقيم المدنية الى منطلقات نفعية ، ويقدم النموذج المعتاد الذى نلقاه دائما فى وطننا ، الأخذ من الحضارة الغربية منجزاتها المادية فقط ..

مدرس التاريخ : المثالى النزعة ، الباحث عن الحقيقة والذى يريد ان يغير مجتمعه من اجل دفعه الى الأمام لكى يلحق بركب الحضارة ، فينبه ويحذر وينتقد السلبيات ، وذلك من اجل حاضر متقدم ..

ويختار لينين الرملى من الماضى ، كل سوءاته وكل مافيه من تخلف عقلى وخواء روحى ، لكى يمنطق فكرته التى تلح وتكرر : إننا مازلنا نعيش اسر الماضى ، بنفس الأفكار ، وبنفس طرق التفكير ..

ودع عنك كل الاحداث الدرامية ، فهذا عمل تنظيرى بحت ، أو هو مسرح افكار ، صراع بين رؤى مختلفة من اجل الوصول إلى الحقيقة ، وصنعة الدراما ليست عسيرة على مؤلفنا الذى شبع من الخوض فى معتركاتها ، ولذا فهو يرمى ببطليه فى اتون الماضى المعلوم للكافة ..

وقد تختلف مع بعض الأطروحات الفكرية أن شئت ، فهناك كم كبير منها ، ولكنك لايمكن ان تقبل كل هذا فى عمل واحد ، يرهقك ويعذبك ، والحديث عن فقدان الهوية والتخلف والردة الفكرية التى يعيشها الحاضر ، حديث جد ممتع ،

ولكن من أى منطلق يمكن ان نتحدث .. ان الحديث الذى يجب ان يعيه مجتمعنا النامى لايمكن أن يجور على خصوصية الشخصية وهويتها وقناعتها بالاستقلال والنضال ..

هذه معان لم نجدها فى العرض الذى لم يتحدث الا عن القيم المجردة حول التعلق بركب الحضارة ، أو هى معان لم ندركها من فرط الاجهاد الذهنى الذى يصيبنا ، من فرض الكلمات المتلاحقة ..

وقد جاء اخراج عصام السيد لهذا النص الفكرى ترسيخا لاسلوبه المعتاد فى تحريكه الممثلين بطريقة لاهثة ومجهدة ، تخلق بدورها صراعا من جراء عنفوانها وسرعتها ، واستخدامه التعبيرات الأدائية المختلفة من فنون التمثيل والصياغة الموسيقية والشريط الصوتى الموازى .. والمعادل المرئى التشكيلى للمعنى ، ومحاولاته المستمدة من الفنون الارتجالية المضحكة ..

اسوأ مافى العرض هو هذا الديكور الذى صممه عبد المنعم كرار بأسلوب الكلفتة التى لاتليق بالمسرح القومى ..

عزت العلايلى ، رغم احادية الدور ، وعدم التباين فى مواقفه ، والنغمة الواحدة المتكررة ، إلا أنه طاقة كبيرة نفتقدها دائما على خشبة المسرح حسين فهمى مختلف عما عرف عنه فى ادواره السينمائية ، هو يجتهد ويبذل جهده من اجل الانتصار على هذا البيت الجديد الغريب الذى يقف فيه لأول مرة . مخلص البحيرى ، اداء متمكن يثبت تفوقه واجادته خليل مرسى هو الغول الذى يبتلع كل شيء حوله ولا يبقى الا هو ، السيد خطاب ، فاتن انور ، اداء نمطى ليس فيه جديد ، مصطفى طلبه ..

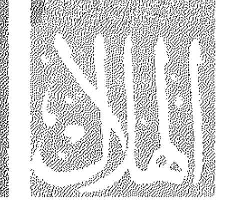
هذا عرض افكار جميلة جلب لنا كل هذه الأراء وطرح لنا كل هذه القضايا ، فما الذى بقى للعروض القادمة ؟ ! ..

محمد الشربينى

فى الذكرى المئوية لميلاد عبد الرحمن الرافعى مؤرخ مصر الحديثة



مما لاشك فيه ان المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يقف فى طليعة المؤرخين الأفذاذ الذين ارخوا للحركة الوطنية المصرية ، ويتفرد منهجه فى كتابته التاريخية بسمات بارزة ، يجب ان نضعها فى اعتبارنا عند الحكم عليه وعلى كتابته ، إذ ان المنهج التاريخى ليس فقط الوسيلة التى ينتهجها المؤرخ فى كتابته ، دائما هى رؤيته للتاريخ وموقفه من الاشخاص والأحداث والمواقف التى يؤرخ لها ، وان دراسة



حياة عبد الرحمن الرافعي واعماله تكشف بجلاء عن المزايا والمواهب التي تفرد بها ولم تتوافر الا في الأقلين ممن يظهرون على اطراف السنين ، وان عرض جهوده واعماله وتراثه في الذكرى المئوية لمولده ، واجب يقتضيه تاريخ مصر الحديثة ..

لقد عاش الرافعي حياة ثرية خصبة منذ أن ولد في ٨ فبراير سنة ١٨٨٩ في بيت قديم بعطفة « ابو داود » في شارع درب الحصر بقسم الخليفة بالقاهرة الى ان توفى ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ، ولانه اراد ان تكون حياته ذات مغزى في مساهمته في الحركة الوطنية فكرا وعملا ، شارك في صنع التاريخ وكتابته ولعل هذا ماعناه بقوله « وعيت ثلاثة ارباع قرن من حياتي اكتشفت فيها ان وطنيتنا في فترات كثيرة كانت محل شك وجدل .. ومجتمعنا كان مفتتا كقطع آلة مفككة .. وكانت ثقافتنا عديمة اللون والأصالة والاتجاه .. واخلاقنا تحترق بنار الضياع والانحلال .. ووجدت في التاريخ علاجا لكل هذه النقائص .. اردت ان اجعل من التاريخ مدرسة يدرس فيها اساتذة ماتوا عبر الماضي للأجيال التي تعيش .. ومن هنا كانت مشاركته بجهده الضخم في كتابه تاريخ مصر الحديث في سلسلة مجلداته تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم ، ويشتمل هذا التاريخ على الحملة الفرنسية في جزءين ، وعصر محمد علي في جزء ، وعصر اسماعيل في جزءين ، ثم الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ، ثم أرخ للفترة التي اعقبت الاحتلال بثلاثة مجلدات وهي مصر والسودان في اوائل الاحتلال ومصطفى كامل ومحمد فريد ، وافرد لثورة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٥١ ستة مجلدات غطت هذه الفترة ، وخصص لثورة ٢٣ يوليو مجلدين الأول تناول فيه مقدمات الثورة ، والثاني تناول فيه تاريخ مصر القومي في سبع سنوات (١٩٥٢ - ١٩٥٩) .. ثم عاود الكتابة مرة اخرى فاصدر كتابه تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ الى الفتح العربي سنة ١٩٦٣ وترك من تراثه مخطوطا يتناول « مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني - حققه واصدره الاستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور في طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ .. والرافعي بهذا الجهد الضخم كان له قبل السبق في التأريخ للحركة الوطنية ، حيث اصدر اولى حلقات هذه السلسلة في سنة ١٩٢٩ بعد ان انتهى من تدوين مذكراته المخطوطة عن تاريخ مصر سنة ١٩١٤ .. وقد اتسمت كتابته عن الحركة الوطنية المصرية بالطابع القومي الذي يستهدف تحقيق الاستقلال والدستور معا في وقت فقدت فيه مصر بالاحتلال البريطاني من ناحية الواقع مقوماتها كدولة ذات استقلال داخلي ، واندمجت في ضميرها الجماعي الحركة الدستورية في الحركة الاستقلالية ، وكان جهده يمثل محاولة من المحاولات الناجحة

والمبكرة والعنيدة الى تاكيد الشخصية المصرية ، وفكرة القومية المصرية كرد فعل مقاوم للاحتلال والاستبداد بعد نكسة الثورة العرابية والاحتلال البريطانى وفى ظل مصطفى كامل ويمثه الوطنى لروح مصر من الحزب الوطنى والرافعى من اشد المقربين الى زعيميه مصطفى كامل ومحمد فريد ، بل ان كتابته لتاريخ الحركة القومية انبثقت من محاولته كتابة سيرة مصطفى كامل والتاصيل التاريخى للنضال الوطنى ..

وكتب الرافعى تاريخ مصر القومى الحديث على اساس ان التاريخ لايستكمل مداه الا اذا كان مدروسا ومعروضا على ضوء الحركة القومية فهى اساس وجودها ومبعث نهوضها وتطورها .. وتتجه عنايته الى التاريخ فى كتابته بشمول فالتاريخ الكامل على حد تعبيره يشمل النواحى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

فالسياسة ترتبط لذلك بالاقتصاد .. والاقتصاد يرتبط بالمجتمع .. وهو لذلك حلقات متكاملة لايجوز للمؤرخ ان يغفل احداها واتجاهه الى التاريخ لمصر الحديثة على اساس فكرة القومية هو اتجاه غير مسبوق فى اتجاهات المؤرخين السابقين عليه ، وان كان هذا الاتجاه وجد من يتبعه من المؤرخين اللاحقين عليه ..

وانصرف مؤرخ مصر الحديثة الى تحمل مسئوليته كاملة فى هذا الاتجاه ، لزود المكتبة التاريخية باكثر من ثلاثين كتابا تدور كلها حول التاريخ والاقتصاد والأدب والنظم السياسية ، فكتب حقوق الشعب والتعاون الزراعى وشعراء الوطنية ، عدا التراث الضخم من المقالات المنشورة فى الجرائد والمجلات المختلفة ،

عمرو عبد المنعم حموده

• مكتبة الهلال .

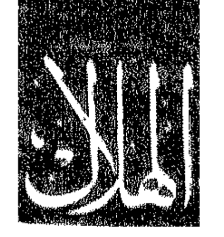
الكتاب : نظم المعلومات فى المنظمات المعاصرة

تأليف : د . محمد الهادى

الناشر : دار الشروق

٤٤٤ ص ٧ ع م

السؤال الذى يطرحه هذا الكتاب هو كيف يمكن تهيئة المناخ والبيئة ،



نشريات

الملائمة لانشاء نظم وقواعد وشبكات المعلومات التى اصبحت تؤدى دورا جوهريا وهاما فى اداء الأعمال وادارة المنظمات بفعالية وكفاءة ، وزيادة فاعليتها وقدراتها حتى تستخدم للصالح العام ..

هذا الكتاب إذن يدعو ، وبشكل علمى متعمق ، إلى تطوير الأدارة فى مجال تنمية المجتمع المصرى لمجابهة تحديات المستقبل ، حيث يرى المؤلف أن تحقيق ذلك يتطلب مراعاة الثورة الصامتة غير المرئية التى تحدث فى مجال المعلومات وتأثيرها المتزايد على النمو الاقتصادى والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والروحية المؤثرة على حياة المواطنين بصفة عامة ، كما يرى ان الكيفية التى تتداول بها المعلومات فى أى دولة تقرر إلى حد كبير جودة العمل والقرارات المتخذة ..

إن « المعلومات قوة » هذه حقيقة كانت ولازالت حكمة الأمم خلال التاريخ ، والآن ، كما يقول الكاتب ، أصبحت واقعا ملموسا ، حيث ينظر إلى المعلومات كمورد من موارد الإنتاج ، فصناعة المعلومات أصبحت الآن ثورة كاملة تتراءى للبشرية ..



الكتاب : لن أبيع العمر
شعر : فاروق جويدة
الناشر : مكتبة غريب
١٢٠ ص ، ٢ ج ٠ م

هذا هو الديوان الحادى عشر للشاعر الرومانسى الرقيق فاروق جويدة ويحمل رقم ١٦ فى سلسلة كتبه المتنوعة مابين المسرحية الشعرية ، وأدب الرحلات ، والدراسات المتنوعة .

فى هذا الديوان يبدو فاروق جويدة وقد تنوعت أدواته ، فأبحر فى أراض أخرى ، وعوالم مختلفة تنبىء بدخوله فى مرحلة جديدة أكثر نضجا ، إن يكن من زاوية اهتماماته العامة التى أخذت ابعادا اكثر شغفا بقضايا الوطن أو فى مشاعره التى بدأت تتبين قسمات انسانية أكثر عمقا فى العلاقة الازلية بين الحبيب والمحبوب .

لاشك أن الموضوع المفضل للشاعر ، هنا كما كان فى أعماله السابقة هو هذه العلاقة الخالدة ، لكنه هنا يغزل منه خيطا رفيعا يربطها بالحب الاكبر ، حب الوطن .

وتقف قصيدة « بعض العشق يكون الموت » .. التى يهديها إلى سناء محيدلى شهيدة الجنوب اللبنانى شاهدا على هذا التوجه حيث يقول :

كانت تعلم .
أن الموت ضريبة عشق للأوطان

ان الحب سيصبح يوما اجمل وشم للاكفان .



الكتاب : هنرى كوربيل ضد الحركة الشيوعية العربية فى القضية الفلسطينية
تاليف : ابراهيم فتحى
الناشر : النديم للصحافة
١١٢ ص ، ٣ ج . م

لاشك أن هذا الكتاب سيثير كثيرا من الجدل حوله ، ليس فقط لانه معارضة صريحة لمن اسماهم حزب هنرى كوربيل من اليساريين المصريين ، بل وأيضا للهجته اللاذعة التى تضرب فى اتجاه محدد بقوة ، وابراهيم فتحى يقدم من خلال استعراضه لأراء هنرى كوربيل وصحبه خاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، ويوثق مواقف كوربيل التى يراها كانت وبشكل صريح ضد القضية الفلسطينية ، وبالتالى ضد الحركة اليسارية العربية كما يتصور مواقفها الكاتب .

وليس من شك في أن زاوية النظر الخاصة التى ينظر منها الكاتب هنا لموضوعه والأحداث التى جرت فى الفترة التى يتناولها تأتى من خلال قراءة وتحليل حادين لاذعين سيجعل الكثيرين يختلفون اختلافا كبيرا حول مايقول .

الكتاب : سنوات الدم
تجربة الثورة الجزائرية
تاليف : فايزه سعد
الناشر : مكتبة روز اليوسف
٢٧٣ ص ، ٦ ج . م

يعد هذا واحدا من الكتب الوثائقية النادرة التى تصدر وهى تعتمد على الوقائع والأحداث المستندة الى اوراق ووثائق معتمدة ، تحكى فيه المؤلفة برشاقة أسلوبها المعهودة ماجرى من أحداث تخص الثورة الجزائرية فى نضالها من أجل طرد المستعمر الفرنسى ، ونضالها من لجل تعريب الوطن الذى عمل المستعمر على فرنسته ، بالأضافة الى علاقة الكفاح المشتركة ، والمساندة البناءة التى قدمتها البلدان العربية وخاصة مصر للثورة الجزائرية ..

يضم الكتاب بين دفتيه مجموعة ضخمة من الصور ، والوثائق التى تعد سندا لهذا البحث ، وأى بحث جديد قد لا يتوفر لصاحبه الأطلاع عليها كما توفر للكاتبة ..



عناق الأدب والسينما

بقلم: رأفت الخياط

منذ نحو ثمانين عـــاما ، والسينما فى بداياتها الاولى، واجهت قاعـــات العروض السينمائية .. برودة فراغ مقاعدها من المتفرجين،وخيم شبح الموت على الصناعـــة الوليدة ولكى تخرج السينما من أزمتها ، كان لابد مـن البحث عن مواطن العلة وطرق العلاج ، وادرك العاملون فى الحقل السينمائى الوليد ـ فى ذلك الوقت ـ ان العلة فى الموضوع ، ولذلك اتجهـوا الى اقتباس اعمال الروائيين الكبار امثال هيجو وراسين وزولا وبلزاك وغيرهم، لكى ينقذوا السينما من ازمتها.

وربما كانت هذه الخطوة ـ آنذاك ـ هى اول عنـاق فنى بين الاعمال الادبيـــة والسينما العالمية .

اما فى مصر .. فالامر كان مختلفا بصورة او باخرى ، فلقد اقتربت السينما المصرية فى بداياتها الاولى من الادب .. حين اتجه المخرج محمد كريم فى الثلاثينيات الى قصة « زينب » للدكتور هيـكل ، ثم لحقته بهيجة حافظ بانتاج « شجرة الدر » لجرجي زيدان .. وبعـد ذلك بنحو عشر سنوات ، اختار محمد كريم مسرحية « رصاصة فى القلب » لتوفيق الحكيم فى فيلم حمل نفس العنـوان ، بطولة محمد عبد الوهاب .

وتوالت بعد ذلك عمليات انتـــاج افلام سينمائية ، تعتمد على اعمـــال روائيـــة لمحمد عبد الحليم عبد الله وباكثير وطه حسين ويوسف السباعى (حسب الترتيب الزمنى للانتاج) .. والطريف ان نجيب محفوظ ، الذى بدا يتالق كروائى فى تلك الفترة .. لـم تلتفت السينما لواحد من اعمـــاله الروائية ، بينما التفت اليه المخـرج صلاح ابو سيف مثلا ، ليسـتثمر مواهبه الابداعية فى كتابة السيناريو لافلام مثل « ريا وسكينة » اعتمـــادا


محمد كريم


حسن الامام


احسان عبدالقدوس

على وقائع الحادثة التاريخية المشهورة ، وليس من خلال عمل ادبي !!

ولعل نجيب محفوظ هو الروائي الوحيد الذى قدم للسينما اعمالا ادبية وأعمالا اخرى ليست مكتوبة فى نصوص ادبية !

وفى منتصف الخمسينيات ، بدأت السينما المصرية تتجه بثقل متوازن الى اعمال احسان عبد القدوس،وكانت البداية ايضا مع المخرج صلاح ابو سيف ، الذى التفت بعد فترة الى ادب نجيب محفوظ ، لكى يقدم روايتيه « القاهرة ٣٠ » و « بداية ونهاية » فى اعمال سينمائية ، والفيلمان من اكثر الاعمال السينمائية التصاقا بادب نجيب محفوظ قيمة وعمقا .

والتقط حسن الامام الخيط ، وبدأ يغترف بغزارة اشهر الاعمال الروائية لنجيب محفوظ ، ومن ابرزها « الثلاثية » اخرجها الامام فى ثلاثة افلام انتجها القطاع العام (هيئة السينما - فيلمنتاج) .

وفى الخمسينيات بدأت اعمال كبار الروائيين مثل : حقي وادريس والشرقاوى وغراب وغانم والسحار ومصطفى محمود تغزو الانتاج السينمائى (عام وخاص) ، كما بزغ الى جوارهم اعمال مجموعة من الروائيين الشبان الواعدين فى ذلك الوقت مثل مجيد طوبيا وصالح مرسي واحمد عبد الوهاب ورأفت الميهى .. صاحب فكرة سينما المخرج فى مصر .

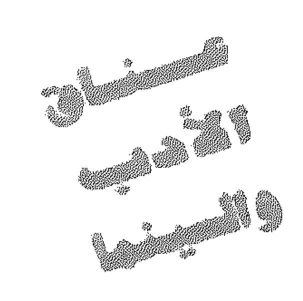
وخلاصة القول بعد هذه المقدمة ، ان السينما المصرية ، وان اعتمدت فى غالبية انتاجها الحديث ، على الاعمال الادبية لكبار الروائيين ، الا عمليات الاقتباس من الاداب العالمية وتمصيرها ، ظلت على اشدها ، سواء أخفى المخرج عورة اقتباسه ، او التزم الامانة فى الافصاح عن المصدر الادبى لعمله السينمائى !!

ومن هنا تبرز عدة تساؤلات :

● ما هو حجم استفادة السينما المصرية فى اعتمادها على الاعمال الادبية ؟

● ما هو تاثير فكر الروائى الاديب على عقلية المتفرج ؟

● هل يمكن التسليم بمقولة نجيب محفوظ ان الجماهير العريضة لم تعرفه كروائى ، الا بعد ان قامت السينما بانتاج اعماله الادبية ؟



والمقولة الاخيرة تحفزنا الى طرح سؤال اخر

● كيف وصلت افكار ورؤى نجيب محفوظ وغيره من الروائيين والادباء الى الجمهور ، من خلال الاعمال السينمائية التي عالجت اعمالهم الادبية ؟!

والاجابة على هذه الاسئلة ، تحتاج الى دراسة عميقة متانية ، تعفينا من حرج اصدار احكام عامة ، كما يحلو لبعض الباحثين المتعجلين ، الذين افضت بحوثهم ودراساتهم الى ان ما وصل الجماهير العريضة من فكر الروائيين والادباء ، هو اقرب الى الفتات ، الذي يتبقى على موائد كانت عامرة بالاطباق الدسمة الشهية ، وربما كان اقرب سؤال الى موضوعنا هو :

● هل استثمار الاعمال الروائية الادبية في افلام سينمائية اخرج السينما المصرية من ازمتها ، كما حدث للسينما العالمية في بداياتها ؟!

النفي هو الاجابة الامينة على هذا السؤال .. بدليل ان اكثر الافلام رواجا في فترة ما بعد الستينيات ، والتي ضربت الارقام القياسية في عدد اسابيع العرض ، بصورة لم تعهدها السينما المصرية من قبل ، بلغت ذروتها في عام ١٩٨٦ حين تم عرض ٩٥ فيلما في ذلك العام .. استمر عرض الكثير منها الى اكثر من خمسين اسبوعا ، وهي ظاهرة لم تحدث في السينما من قبل .. حين كان الرقم القياسي لعدد اسابيع العرض لا يتعدى الاسابيع الخمسة في الستينيات ، بما في ذلك الافلام المنتجة لاعمال كبار الروائيين .

والمحزن حقا ان الافلام التي ضربت ارقاما قياسية في عدد اسابيع العرض كانت جميعها ـ بلا استثناء ـ من المستوى الهزيل فكريا مع ضعف المستوى الفني .. ولم تكن ماخوذة عن اعمال لروائيين او كتاب !!

وربما كان السؤال الاكثر الحاحا من كل ما سبق من اسئلة .. والذي يميط اللثام عن اجابته لمجرد طرحه .. هو :

● ما هو الفيلم الذي اثار قضية من بين هذه الافلام ؟!

لو دققنا النظر بعمق ، والبحث بامانة ، لوجدنا ان هناك قلة قليلة لا تعد على اصابع اليد الواحدة .. نجحت في اثارة بعض القضايا الفكرية والسياسية ، ولكن .. من خلال اراء النقاد ، وليس من خلال استجابة الجماهير !!

وقد يتم اسرافي في طرح الاسئلة ، عن رغبة في الوصول الى نتيجة حتمية متعجلة .. وهذا غير صحيح !

لان حسبي هنا .. ان اطرح واثير ، لعل باحثا متخصصا ياخذه الحماس ، فيمسك بالخيط ، ويؤكد في رؤية وتوثيق ، ما عجز السينمائيون عن اثباته او رصده ، دون ان نغفل حقيقة بسيطة ، ان الكلمة هي وحدة التعبير عند الكاتب ، والصورة هي اداة التعبير عند السينمائي ، وقد يكون الخلط ناجما عن قلة حيلة السينمائي في فهم وتوضيح وتوصيل رؤية الكاتب ، او يكون اختيار النص الادبي .. في حد ذاته منصبا على اسم الكاتب وذيوع شهرته ، وليس قائما على القضية التي تناولها العمل الادبي الروائي !!

على كل حال .. لقد اثارت هذه

المسالة ، قلق عدد من كبار السينمائيين العالميين ، وهذا في حد ذاته يكشف عن بعد جديد في القضية ، وهو ان المسالة – اصلا – ليست محلية فقط ، ولكنها مسالة عالمية بالدرجة الاولى ، بمعنى أن واحدا من كبار مخرجي السينما المشهور بحرصه الشديد على الاحتفاظ بروح العمل الادبى وجوه العام ، واكد بذلك استحالة تحويل احدى الروايات الادبية الى عمل سينمائي دون ان تفقد شيئا من ذاتها •• هو المخرج الالمانى فولكر شلوندروف فعندما قرر اخراج مسرحية ميللر « وفاة بائع متجول » سينمائيا ، حدد المخرج قراره بمعايير معينة كان قد وضعها من قبل لاعماله السينمائية المأخوذة عن نصوص ادبية ، واحدهذه المعايير •• هو ان للكلمة المنطوقة ، الافضلية في كل اعماله •• واوضح ذلك بقوله حين اجتمع بالمؤلف ارثر ميللر ومجموعة العاملين في الفيلم « لقد حاولنا اخراج النص الادبى المسرحي سينمائيا ، اى النص باكمله، وليس هناك ما يتعارض مع اخراج النص •• كنص ، واهمال العرض والسرد ، لسبب بسيط •• هو انه ليس هناك اسهل بل ولا اكثر اثارة في نفس الوقت من اظهار صورة مكبرة تملأ الشاشة ، لشخص ما ، يروى شيئا ما ، قد يكون مأخوذا عن حياته !! » •

ومن ناحية اخرى •• يوجز المخرج الايطالى انطونيونى ، علاقته بالعمل الادبى في عبارة قالها : « ان القراءة توحى لى بافكار للافلام •• ولكن الادب وحده لا يكفى »

اما فيلليني ، وهو من انصار ومبدعي سينما المؤلف ، فيؤكد ان العمل السينمائى لا يتحقق من كتابة السيناريو ، مهما حافظ على احترام الرواية ومؤلفها وتجنب العبث بها ، وانما هناك مخرج له رؤيته الابداعية الخاصة ، التي تجعل من الفيلم ما يشبه اللوحة او السيمفونية »

وينسف المخرج الايطالى روسيليني بعض نظريات ايزنشتاين •• حين يتهم عنصر « الايهام » بالتزييف ، ومناقضة الواقع ، ويعلن التزامه بوسائله الخاصة والمبتكرة لتجسيد الواقع بكل ما يتضمنه من حيوية متناقضاته وليس عن طريق « الايهام » به !!

يبقى بعد كل هذا •• ان انيه لمسالة في غاية الاهمية والخطورة ، لا تتصل بقدرة المخرج •• اى مخرج •• على احترام النص الادبى والالتزام برؤية المؤلف فحسب ، بل وتتصل بالانفصام الكامل بين موقف المخرج الفكرى او السياسي ، وموقف الروائي الذى اختار المخرج احد اعماله لتحويلها الى عمل سينمائى •• هنا مكمن الخطورة ولا تخرج نتيجتها عن واحد من اثنين :

١ – ان يكون المخرج على درجة قليلة من الثقافة ، فيتعذر عليه فهم افكار الروائى ، وبالتالى تعيش في استلهام ابعاده الجوهرية في عملية « ترجمة » النص من لغة الادب الى لغة السينما !!

٢ – ان يكون للمخرج موقفا فكريا مناقضا لموقف الاديب الروائى الفكرى فالطبيعي في مثل هذه الحالة ، ان يرفض المخرج اخراج عمل لا يتفق مع افكاره ، ولكنه كثيرا ما يضطر امام ضغوط الانتاج ومغريات سلعة التوزيع ، الى الرضوخ •• وبالتالى يصبح العمل الادبى هو الضحية !•• حيث تنتهك افكار الاديب الروائى وسط ضبابيات ومعميات •• ظهورها في مشاهد الفيلم •• متعمدة ومع سبق الاصرار •

يرجع استخدام مصر للطاقة النووية الى عام ١٩٥٤ وتعتبر مصر من أوائل دول العالم التى استخدمت الطاقة النووية فى المجالات الطبية والبحث العلمي ، ومنذ أوائل الستينيات وحتى اليوم هناك جهد كبير للدخول فى واحد من أهم استخدامات الطاقة النووية وهو إنشاء المحطات النووية لتوليد الكهرباء كأحد المصادر الرئيسية لتوفير هذه الطاقة الحيوية لبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

بقلم : د. على فهمى الصعيدى

مستقبل الطاقة

● والطاقة النووية هى الطاقة الكامنة فى نواة الذرة ، وتستخدم هذه الطاقة فى إحدى صورتين :

الأولى : فى صورة اشعة منبعثة من نويات الذرات المشعة وهذه الاشعة او المواد المشعة تستخدم فى المجالات الطبية والزراعية والصناعية وغيرها . وقد قطعت مصر فى هذه الاستخدامات شوطا طويلا منذ الخمسينيات بل تعتبر مصر سابقة لدول كثيرة فى بعض المجالات مثل التشعيع فى مركز تكنولوجيا الاشعاع وفيها يتم تعقيم الادوات الطبية والبطاطس والاجهزة التعويضية الداخلية وتشعيع الحاصلات لإطالة عمرها التخزينى وغيرها .

الثانية : فى صورة حرارة ناتجة اما عن تفاعل نووى انشطارى تنشطر فيه نويات الذرات الثقيلة مثل اليورانيوم - ٢٣٥ او البلوتونيوم - ٢٣٩ الى نويات ذرات اخرى اخف وزنا مع انطلاق طاقة حرارية كبيرة ، واما ناتجة عن تفاعل اندماجى تندمج فيه نويات الذرات الخفيفة مثل الهيدروجين الى نويات اخرى اثقل وزنا مع انطلاق طاقة حرارية كبيرة .

● الأفضل اقتصاديا

ولقد كان وراء الاهتمام بالطاقة النووية كأحد المصادر الرئيسية لانتاج



النووية فى مصر

الكهرباء عدة اعتبارات اساسية اهمها :

ـ حوالى ٨٠٪ من احتمالات الطاقة المائية على النيل قد تم استغلالها فى السد العالى وخزان اسوان واذا امكن استغلال كل الاحتمالات الممكنة للطاقة المائية المتبقية فانها لن تضيف الا القليل .

. ـ احتياطيات الفحم فى مصر محدودة ، والتقديرات الحالية للاحتياطى من الفحم تتراوح بين ٣٥ ـ ٥٠ مليون طن وهو لايكفى كمصدر يذكر فى انتاج الكهرباء وعلى ذلك فانه لابد من الاعتماد على الفحم المستورد اذا تم تشغيل محطات فحم لتوليد الكهرباء .

ـ البترول والغاز امكانياتهما محدودة ويمثلان ثروة ناضبة بالاضافة الى ان الاعتماد على البترول لتغطية الزيادة فى انتاج الكهرباء سيكون على حساب مايمكن تصديره وهو مايمثل موردا لتمويل خطط التنمية ، فضلا عن ان الغاز يمكن ترشيد استخدامه فى مجالات اخرى اكثر حتمية وفائدة وكفاءة .

ـ مع ان مصر تمتاز بمعدل عال لسطوع الشمس فان الطاقة الشمسية كتكنولوجيا جديدة مازالت فى مراحل تطويرها الاولى كمصدر للكهرباء وتكاليفها الرأسمالية عالية جدا وغير مجدية اقتصاديا حاليا .

- ان الطاقة النووية قد اثبتت من كل دراسات الجدوى التى تمت فى مصر وغيرها من الدول انها الافضل اقتصاديا من كل المحطات التى تعمل بالبترول او الفحم .

وبالاضافة الى اعتبارات النظرة المستقبلية لمصادر الطاقة المتاحة والتى تشير الى ضرورة الاعتماد على الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء فضلا عن ميزات المحطات النووية الاقتصادية ورخص انتاج الكهرباء المنتجة منها مقارنة بمحطات الفحم او البترول او الغاز ، فان هناك اعتبارات اخرى تجعل دخول مصر عصر استخدام الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء خيارا لابد منه خدمة لاغراض التنمية بكافة اشكالها ، ومن هذه الاعتبارات .

- ضرورة الدخول فى التكنولوجيا النووية حتى يمكن استيعاب التكنولوجيات النووية المستقبلية ومنها المفاعلات المولدة السريعة والمفاعلات الاندماجية .

- الحد من تلوث البيئة الذى يصاحب محطات الفحم والبترول اذا ما انتشرت على نطاق كبير كبديل للمحطات النووية فى تغطية الاحتياجات الكهربية المتزايدة والمستقبلة .

- الاستفادة من مصادر خام اليورانيوم المحتملة فى مصر والتى اظهرت بشائرها عمليات الكشف والتنقيب .

- تطوير الصناعات المحلية وخبرات البناء والتشييد الوطنية بتغطية المشاركة المحلية فى اقامة وتصنيع المحطات النووية .

- امكانية توفير مخزون استراتيجى من الوقود النووى للمحطات النووية يكفى عدة سنوات تشغيل مما يشكل امانا استراتيجيا لاستمرارية تشغيلها فمحطة نووية بقدرة ١٠٠٠ ميجاوات يحتاج معها الى حوالى ٣٠ طنا فقط وقود نووى سنويا خلافا لمحطة فحم من ذات القدرة فانها تحتاج سنويا الى حوالى ٣ ملايين طن فحم مما يستحيل معه توفير مخزون استراتيجى من الفحم لاكثر من عدة شهور فضلا عن ان المصادر المتاحة للحصول على الفحم مثل استراليا وكندا والصين وشمال اوربا كلها بعيدة عن مصر ومن السهل قطع خطوط مواصلاتها .

● تنويع مصادر الطاقة

كل ذلك يقودنا الى النتيجة المنطقية وهى ضرورة الدخول فى التكنولوجيا النووية لانتاج الكهرباء مع استخدام محطات فحم تحقيقا لهدف تنويع مصادر انتاج الطاقة وتأمين مصادرها .

وفعلا تم التخطيط لتنفيذ برنامج القوى النووى المصرى منذ اوائل الثمانينيات فى ظل اهداف محددة على المستوى الدولى والمستوى المحلى وهذه الاهداف تتمشى مع المتطلبات المتعارف عليها دوليا لدخول اى دولة فى برنامج قوى

نووى من خلال التقارير والمعلومات المتوفرة من خبرات الدول المختلفة فى تحقيق برامجها النووية لانتاج الكهرباء .

اما الاهداف على المستوى الدولى فتشمل :

- ازالة العقبات الدولية امام الحصول على التكنولوجيا النووية

- تنويع مصادر الحصول على التكنولوجيا والمهمات والمواد النووية تفاديا للخضوع تحت اى احتكار .

- الاستفادة من المنظمات الدولية والتعاون المستمر معها وعلى الاخص الوكالة الدولية للطاقة الذرية

- توفير مصادر التمويل الخارجية

اما الاهداف على المستوى المحلى فهى :

- توفير التنظيمات والتشريعات اللازمة لحماية الانسان والبيئة والتامين ضد المخاطر النووية .

- توفير الكوادر الفنية والعلمية القادرة على استيعاب تلك التكنولوجيا والاضطلاع بالبرنامج النووى والحفاظ على تلك الكوادر .

- زيادة الاسهام المحلى فى تصميم وتنفيذ المحطات النووية بزيادة اسهام الصناعة والامكانيات المحلية .

- الاكتفاء الذاتى فى تشغيل وصيانة المحطات النووية .

- الاعلام والتوعية الجماهيرية بالطاقة النووية واستخداماتها ومحاذيرها .

- توفير اكبر قدر من المعلومات حول مايجرى فى العالم فى مجال القوى النووية .

وهذا ماتم لتحقيق هذه الاهداف :

وفيما يختص بالاهداف على المستوى الدولى فقد تم اتخاذ الاجراءات التالية :

- ازالة العقبات الدولية امام الحصول على التكنولوجيا النووية بالانضمام الى اتفاقية عدم انتشار الاسلحة النووية وتوقيع اتفاقيات الضمانات والتفتيش مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية فى عام ١٩٨١ .

- تنويع مصادر الحصول على التكنولوجيا والمهمات والمواد النووية تفاديا للخضوع تحت اى احتكار .

- الاستفادة من المنظمات الدولية والتعاون المستمر معها وعلى راسها الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنظمة المجموعة الاوربية . اما فى تدريب الكوادر او فى الجهود القائمة لاقامة انظمة الامان النووى . او الاعمال الاخرى المتصلة بالتعاقد ومراجعة التصميمات .

- توفير مصادر التمويل الخارجى ولتحقيق ذلك كان لابد من وجود مايشجع الدول المختلفة والمؤسسات التمويلية على المشاركة فى التمويل وذلك باظهار جدية مصر فى الدخول فى هذا المجال ومشاركتها الفعالة .

اما فيما يختص بالاهداف على المستوى المحلى فقد تم :

● توفير التنظيمات والتشريعات

اللازمة لحماية الانسان والبيئة والتأمين ضد المخاطر النووية وتم فيها :

- انشاء جهاز التنظيم والامان النووى كأحد مراكز هيئة الطاقة الذرية الرئيسية ليتولى اختصاصات الرقابة على المحطات النووية وترخيصها فى التصميم والانشاء والتشغيل وتم عمل برامج تدريب .

- اصدرت هيئة الطاقة الذرية عدة تنظيمات وقواعد تبنت فيها القواعد والتنظيمات التى اصدرتها الوكالة الدولية للطاقة الذرية والتى تنظم جميع النواحى المتصلة بالمحطات النووية ونقل المواد النووية

- اصدار مشروع قانون التأمين ضد المخاطر النووية تطبيقا لاتفاقية فيينا فى هذا الخصوص التى انضمت اليها مصر فى عام ١٩٦٤ .

● برامج لإعداد الكوادر الفنية ●

● توفير الكوادر الفنية والعلمية القادرة على استيعاب تلك التكنولوجيا والاضطلاع بالبرنامج النووى ، وتم فى هذا الشأن :

- بالاشتراك مع خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية تم وضع برنامج شامل لتنمية الكوادر المصرية اللازمة للبرنامج النووى حدد له التخصصات والاعداد واماكن التدريب فى الدول المختلفة .

- قامت الوكالة الدولية للطاقة الذرية بعمل برامج تدريبية فى مصر بالاشتراك مع هيئة المحطات النووية وهيئة الطاقة الذرية فى موضوعات الامان النووى وضمان الجودة وادارة مشروعات المحطات النووية .

- من خلال الاتفاقيات الثنائية للتعاون النووى تم توفير منح للتدريب فى كل من الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الاتحادية .

- ايفاد عدد كبير من المهندسين فى البرامج التدريبية التى تنظمها الوكالة الدولية مع الدول النووية وخاصة فى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا الاتحادية والارجنتين .

● زيادة الاسهام المحلى فى تصميم وتنفيذ المحطات النووية بزيادة اسهام الصناعة والامكانيات المحلية :

- تم عمل مسح للصناعة المحلية لتحديد امكانياتها ومدى مايمكن ان تساهم به فى تصنيع مهمات واجزاء المحطة النووية . وهذه الدراسة تتخذ اساسا الان لخلق اجهزة محلية لتصميم وتصنيع المهمات الهندسية وبعض مكونات المحطات النووية وكذلك نقل التكنولوجيا فى مجالات التصميم وادارة المشروعات .

● الاكتفاء الذاتى فى تشغيل وصيانة المحطات النووية وهذا الموضوع له اهمية قصوى فى التخطيط الاستراتيجى لمصر حيث ان ضمان تشغيل المحطات النووية طوال عمرها الافتراضى هو ٣٠ سنة وقد

تزيد يعتمد اعتمادا كليا على ضمان توفير متطلبات التشغيل والصيانة وخاصة الوقود النووى وقطع الغيار . وعلى ذلك فانه فى سبيل تحقيق هذا الهدف تم مايلى :

- دفع وتشجيع الجهود الجارية فى مصر للبحث عن اليورانيوم والخامات النووية الاخرى وسوف يساعد على ذلك انضمامها لقطاع الكهرباء .

- السير بخطى اسرع فى المشروعات القائمة لتطوير تصنيع الوقود النووى محليا على النطاق المعملى ثم النصف صناعى تمهيدا لتطويره ليصبح على المستوى الصناعى حينما يبدأ تشغيل المحطات النووية .

- دعم البحث والتطوير فى المجالات المتعلقة بالبرنامج فى هيئة الطاقة الذرية ، وهيئة المواد النووية لتنمية الاعتماد على الذات .

● الإعلام والتوعية الجماهيرية للطاقة النووية واستخداماتها ومحاذيرها :

- تقوم الهيئات النووية فى مصر بعمل ندوات مستمرة عن استخدامات الطاقة النووية ومحدداتها ومخاطرها وفوائدها .

- طبع كتيبات للتعريف بالمحطات النووية والطاقة النووية والموضوعات التى تتصل بها والتساؤلات المثارة حولها هذا بالاضافة الى اصدار نشرات شهرية ثقافية عن اخبار الطاقة النووية العالمية ومعلومات مبسطة وردودا عن تساؤلات حول الطاقة النووية .

● توفير اكبر قدر من المعلومات حول مايجرى فى العالم فى مجال القوى النووية .

- فتح قنوات الحصول على المعلومات من كل الدول التى لدينا معها اتفاقيات .

- فتح قنوات المعلومات مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية والاشتراك فى نشاطاتها .

- الاشتراك فى الدوريات المتخصصة فى هذا المجال .

- التحضير لمركز معلومات على اعلى مستوى فى هيئة المحطات النووية

وجدير بالذكر ان الوكالة الدولية للطاقة الذرية شكلت فريقا من كبار الخبراء الدوليين فى يوليو ١٩٨٦ لبحث وسائل تشجيع دخول الدول النامية فى برامج لاستخدام الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء ودراسة المشاكل والمعوقات ووسائل التغلب عليها وانتهى الفريق من تقاريره فى مايو ١٩٨٧ وشمل المتطلبات الواجب توافرها فى اية دولة نامية لضمان نجاح برنامجها النووى لانتاج الكهرباء ويتبين منه بوضوح ان مصر فى تخطيطها منذ اوائل الثمانينيات قد سارت بخطى سليمة ومدروسة . وفرت فيها كل المتطلبات والتجهيزات .

● هل نشرب ماء البحر ●



تنبأ مركز الدراسات الاستراتيجية الامريكي (واشنطن) بان بلدان الشرق الاوسط ستواجه ازمة حادة في المياه ابتداء من منتصف التسعينيات وبأن هذه الازمة سيكون لها ابعاد خطيرة على وتائر التنمية ، كما ان التنافس على موارد المياه سيكون مصدر توتر متزايد في المنطقة .. وقد تطرقت دراسات المركز الى الاوضاع الخاصة بمياه انهار النيل والاردن ودجلة والفرات على وجه التحديد .

وتشير دراسات المركز الامريكي الى ان ازمة موارد المياه ترجع اساسا الى تزايد عدد السكان ، وسوء استغلال هذه الموارد ، والتلوث المتزايد لمياه هذه الانهار ، مما يؤدي الى تقليل كميات المياه الصالحة للشرب .

وتتوقع دراسات المركز ان الازمة ستتفاقم في اواسط التسعينيات حيث ستتجاوز احتياجات المنطقة وموارد المياه المتاحة بنسبة ٣٠٪ واذا استمر الحال في الاطار الديناميكي الذي يتحرك فيه فلن يأتي عام ٢٠٠٠ الا والملايين يعانون من المجاعة نتيجة لعدم وفاء ما يتوفر من مياه بحاجات الزراعة واغراض الحياة . ويرى اصحاب الدراسة ان مشكلة التلوث بالنسبة لنهري دجلة والفرات اشد خطرا من نقصان الموارد ، وان لم يستبعدوا نشوء النزاعات الاقليمية بسببها ، كما سيحدث بالنسبة لمياه الانهار الاخرى .

وبديهي ان استراتيجية المواجهة المفروضة ترتبط ارتباطا اساسيا بطبيعة اسباب المشكلة فالى جوار اجراءات مثل ترشيد ادارة موارد المياه ، والاهتمام بحلول مشكلات التلوث التي تهدر كميات كبيرة من هذه الموارد ، والتفكير في الاعتماد على وسائل الري الاقتصادية الحديثة الى جوار ذلك كله يلزم التفكير في مصادر للمياه غير الانهار وبالتحديد .. اللجوء الى مياه البحار ، رغم ان عمليات تحلية مياهها مازالت باهظة النفقات ..

ومع ميلاد التجمع الاقتصادي العربي الذي تقع كل هذه الانهار في اراضيه هل يمكن ان نطمع في دراسة

ذاتية تبعدنا عن اطماع الاخرين واستراتيجيتهم الخاصة ، وتتيح لنا الشروع فورا فى مواجهة الموقف من منظور قومى بدلا من الانتظار حتى تفاجأ بالصعوبات والمخاطر ولا نجد امامنا مناصا من تبنى استراتيجيات سبقنا الاخرون الى اعدادها ..

● الخضراوات علاج ومصانع الدواء ●

اكتشف الباحثون فى مراكز مختلفة ان المواد الكابحة للانزيمات الهضمية ، الموجودة فى الخضراوات تبطل على ما يبدو مفعول المواد المسببة للسرطان ، كالاشعاعات الذرية والغازات الضارة ، وغيرهما

وقد أكد ذلك توقعات العلماء الخاصة بوجود عناصر فى غذاء الانسان تعمل على وقايته من السرطان . وكانت بعض الدراسات السابقة قد اكدت ان اتباع نظام غذائى غنى بالخضر يساعد فى الوقاية من أمراض السرطان ..

الطريف ان العلماء لا يكتفون بما يكتشفونه من صفات الخضراوات الطبيعية بل يسعون الى الحصول منها على فوائد طبية اضافية فالمعروف ان البطاطس مثلها مثل اى كائن حى معمل للبروتينات ، وان البروتين الذى تنتجه وتخزنه فى درنتها هو البوتاتين . ويجرى انتاج البروتين بموجب الشفره الوراثية الخاصة للبطاطس .. وفى تجربة هامة غير الباحثون فى جامعة كمبردج جزء المادة الوراثية الذى يعطى التعليمات بانتاج بروتين البوتاتين بجزء اخر ماخوذ من احد انواع البكتريا وغرست خلايا البطاطس البكتيرية ، فى المعامل ، ثم نقلت الى الحقول بعد بروز سيقانها وعند تمام نمو المحصول تبين ان الدرنات صنعت وخزنت بروتين البكتريا وليس البوتاتين .

وانتاج البطاطس لبروتين لا تنتجه فى العادة اشارة الى قدرتها على انتاج كثير من البروتينات الاخرى المادة الوراثية للبطاطس ، وهكذا عن طريق نقل تعليمات انتاجها الى المادة الوراثية للبطاطس ، وهكذا لن يكون على منتجى العقاقير الا تعميم المادة الوراثية للبطاطس ، وهندستها وفق مطالبهم ، ثم جنيها واستخراج مادة العقاقير منها ..

● الجنين وحضن الام



من سمات عصرنا المبالغة فى التأويل العلمى لظواهر يصعب ضبطها فى دراسات منهجية محكمة . وقد ذهبت دراسة لفريق من الاطباء الانجليز الى ان احتضان الام لوليدها فور ولادته له اثر « السحر » بالنسبة للوليد لا فى مرحلة الطفولة فقط بل وفى مراحل حياته المختلفة .

وقد استغرقت الدراسة الانجليزية عامين تقريبا واجريت على ٦٠٠ ام (وطفل) ممن ولدن فى المستشفيات على مدى العامين ، وبعد ولادة كل طفل كان يتم تسجيل تفاصيل الدقائق الاولى من حياة الطفل ، وما اذا كان قد امكن للام ان تحتضن طفلها وتقبله ساعة خروجه للحياة ..

وبعد بضعة اشهر قام فريق من الزائرات الصحيات بزيارة الامهات فى بيوتهن وراقبوا سلوك الاطفال واستقصوا من الامهات عاداتهم اليومية من حيث الرضاعة والنوم والبكاء و ..

وتوصل « العلماء » من ذلك الى نتيجة مؤداها ان الاطفال الذين احتضنتهم امهاتهم لمدد تتراوح بين دقيقتين وعشرين دقيقة ، فور رؤيتهم للنور ، اصبحوا فيما بعد اطفالا مثاليين من حيث الانتظام فى مواعيد النوم والرضاعة على سبيل المثال ..

وحتى هنا يمكن النظر الى المسالة على انها امر طبيعى ومنطقى من زاوية ابتهاج الام بوليدها مما يشى بمواصلة الاهتمام به . لكن نتائج الفريق الطبى اضافت الى بروتوكولاتها وذلك عكس اولئك الاطفال الذين لم يسعدوا بحنان امهاتهم بعد ولادتهم مباشرة .

ان لمسة الحنان الصادقة الدافئة لها تاثير السحر على الانسان فى كل اطوار حياته ، وهى كذلك فى الدقائق العشرين الاولى من ولادته لكن هذه الدقائق لا تصلح بديلا لحنان طول العمر كما انها لا يمكن ان تكون حكما قاطعا لمن حرم منها .

وليس علما ذلك الذى يكرس بخشونة وغشم بالمخين حكما بالشقاء وعدم المثالية على اطفال شاءت ظروفهم ان يوضعوا فى حضانات فور ولادتهم او ولدتهن الامهات بعمليات قيصرية او فاتهم حنان العشرين دقيقة الاولى لاى سبب من الاسباب .. ولا يمكن ابتسار المعرفة (تخريجات جزئية) او الحنان فى كلمات شبيهة بكلمات الاعلانات التجارية ، ولا يخرج فحواها عن : « مثلى احتضان طفلك طوال الدقائق العشرين الاولى من ولادته ، ليصبح طفلا مثاليا ..

● نوم العافيه يا خزف



طريق طويل قطعته مادة الفخار منذ كانت تستخدم في صنع أواني الطبخ في العصر الحجري وحتى باتت واحدة من اهم المواد التكنولوجية الحديثة ، وقد ساعد على ذلك ان الخزف مادة متوفرة بصورة غير محدودة عمليا كما انها رخيصة التكاليف بصورة لا تصدق ..

ويعد طب الاسنان وجد الخزف طريقة الى صناعة الاجزاء التعويضية لهيكل الانسان العظمى ، كما صار يستخدم بعد انتشار عمليات القلب المفتوح في الصمامات المستبدلة ، والطريف أن هناك نماذج مصنوعة منه توفر العلاج الدوائي المستمر الذي يجب أن يتلقاه من يحمل صمامات قلبية مصنوعة من مواد أخرى .

وبالاضافة الى الصناعات التقليدية الكاملة مثل صناعة الخزفيات الكهربائية توجد صناعات مستحدثة مثل صناعة الولاعات التي لاتستخدم وسيلة اضافية للاشعال (احجار قدح او غاز) لان الخزف قادر على فعل ذلك بطريقة ذاتية ، ذلك بالاضافة الى مفاتيح الضغط الحديثة ، واغشية التكلم والسماع في اجهزة الهاتف الحديثة ، والى دخول الخزف في صناعة طابعات الحبر السريعة العديمة الصوت ، واجزاء محركات السيارات (المكابس ، الصمامات ، و ...) ..

ولعل اطرف صفاته الخزفية الجديدة المبنية على الاستفادة من صفاته المميزة . (مثل تحمل درجات الحرارة المرتفعة ، وعدم تعرضه للصدأ وقدرته على العزل الكهربي ، و ..) هي استخدامه في صناعة الحاسبات الالكترونية الصغيرة السريعة جدا بعد ان مكن الخزف المتعدد الطبقات من اختصار المسارات الطويلة للوصلات الكهربائية واستخدامه في صناعة المحركات الصاروخية (!) واسطح المركبات المكوكية ، التي تخرج الى الفضاء الكوني وتعود منه الى جو الارض ككراة نارية ملتهبة يمكن - دون خزف - ان تذوب معادنها ..

ترى هل توجد في مصر صناعة خزف ؟ وماذا تنتج هذه الصناعة يا ترى ؟ لعل المسالة ليست في تقدم او تخلف تكنولوجي ورثناه عبر الاجيال ، بقدر ما هي توجه نصنعه نحن ، « وتدفن » به انفسنا بالحياة ، في « توابيت » سيراميكية ..

● عودة الاوربيات للبيت !

بحجة ان المراة مظلومة عملت حركات تحرير المراة عشرات السنين على خروج المراة من البيت ، والتحاقها بالعمل على قدم المساواة مع الرجل . ولم يجد انصار ذلك اى صعوبة في التاكيد على انه لا فرق بين طفل تتفرغ امه لتربيته وبين طفل المراة العاملة الذى ترعاه مؤسسات الاطفال والحضانات ، ولا في التاكيد على ان الطفل الاخير كان وفق عديد من الدراسات العلمية وهو الطفل الاكثر صحة وتفوقا .

وهذه الايام ترتفع في اوربا صيحة مدوية بعودة المراة للبيت فقد اعلنت اللجنة الاوربية لتكافؤ الفرص في تقرير غاضب لها أن المراة الاوربية تتعرض لظلم فاحش ، وبين التقرير

ان كثيرا من البريطانيات يفضلن التفرغ لرعاية البيت والابناء عن المزاحمة فى المواصلات والمكاتب ويؤيد اصحاب وجهة النظر هذه (ناهيك عن الازواج كل الجماعات التى اعتادت على لوم الام العاملة فيما يخص كل المشاكل التى يعانى منها المجتمع ، من تزايد الاقبال على المخدرات ، وحتى شيوع القلق والانهيارات العصبية بل والامراض العضوية المختلفة ·

ويبدو ، والله اعلم ، ان ديناميات ومطالب سوق العمل هى التى تحكمت فى حركة تحرير المرأة السابقة وهى التى تتحكم فى حركة الشكوى من ظلم المرأة » حاليا ، بالذات مع التقريظ الذى يحظى به قرار العودة للمنزل من قبل الاقتصاديين ·

والطريف أن سوق العمل يرتبط بموجات من التذبذب السكانى التى كانت الحروب تصنعها فى الماضى · وموجة البطالة الموجودة حاليا ترجع فى جزء كبير منها الى عبور اثار العالمية الثانية ، وعودة الانجاب الاوربى الى عافيته ·· لكن الخبراء يتوقعون ان تشهد سوق العمل فى اواسط التسعينيات نضوبا فى اليد العاملة لم تشهد له اوربا مثيلا ، وذلك كنتيجة حتمية لتراجع شباب هذه الايام عن التزامات الزواج اضافة الى انتشار وسائل منع الحمل ·

وجدير بالذكر انه ظهرت اخيرا حتى فى الاتحاد السوفيتى بلد الاشتراكية الاكثر ازدهارا (!) اتجاهات عديدة تحبذ (وتدعو الى) عودة المرأة وخاصة الام الى البيت ·

حكايات طبية

رقص ايقاعى داخل الانسان

د . هشام قاسم

● تصوروا الفى مليون راقصة بسنتيمتر واحد يرقصن معا بحركة واحدة منتظمة ودقيقة · اى مدرب عبقرى قد استطاع أن يحرك تلك المجاميع الرهيبة فى وقت واحد · تصوروا مدى قدرة مدرب استطاع ان يجمع سكان الارض كلهم فى مكان واحد وجعلهم يؤدون حركات واحدة منسقة باحساس فنى · شىء لا نستطيع ان نتصوره ، ولا يمكننا تصوره لو جلسنا العمر كله محاولين · لكن هذا المستحيل يحدث مثله ، بل واكثر ، اكثر منه بداخل الجهاز التنفسى للانسان ·

الراقصات يملأن ممرات الجهاز التنفسى للانسان من اوله الى اخره فيما عدا مناطق محدودة بالبلعوم والحنجرة · تخرج من نوع معين من الخلايا المبطنة لتجويف ممرات الجهاز التنفسى زوائد هدبية · وعدد تلك الاهداب حوالى المائتين لكل خلية · يصل طول الهدب الواحد حوالى من

٦ ـ ٧ ميكرون (الميكرون يساوى واحد على ألف من الملليمتر) . يبلغ عدد تلك الاهداب بالسنتيمتر المربع الواحد ما بين ١٥٠٠ ـ ٢٠٠٠ مليون هدب . تتميز حركة تلك الاهداب بحركة أولى سريعة وتكون نحو الامام ، والثانية بطيئة لتعود الى الوضع الاول . يبلغ عدد تلك الحركات الايقاعية نحو العشرين للثانية الواحدة ، والحركة الواحدة تحدث حركة موجية طولها حوالى عشرين ميكرون .

تحمل تلك الزوائد فوقها بساطا من المخاط الرقيق يبلغ سمكه خمسة ملليمترات . تعززه الخلايا المخاطية التى تملأ الجهاز التنفسى تحت تأثير العصب الحائر . ومع حركة الزوائد الهدبية يتحرك هذا البساط حركة رأسية الى أعلى من الشعب الهوائية حتى يصل الى القصبة الهوائية لينتهى عند الحنجرة فالبلعوم ليصب فى المرىء . تبلغ سرعة تحرك البساط من ٥ر٢ ـ ٥ر٣ ملليمتر فى الدقيقة الواحدة . ويحمل البساط أثناء تحركه الاجسام الغريبة ليطردها ويخلص الجهاز التنفسى منها .

وتتأثر حركة الاهداب بالتدخين الذى يجعلها أقصر ، مما يعطل طرد الاجسام الغريبة كالاتربة والميكروبات ودخان السجائر نفسه . ويؤدى ذلك بالتالى الى سهولة تعرض جسم الانسان للنزلات الرئوية الحادة والاصابة بخراريج بالرئة ، وللالتهابات الشعبية الحادة والمزمنة . كما أن التدخين يؤدى الى الاصابة بالالتهاب الشعبى المزمن الذى يؤدى الى ازدياد حجم الافرازات ، وزيادة سمكها ، وبالتالى لا تستطيع الزوائد تحريك تلك الافرازات لطردها ، وتصبح حركتها مضطربة غير ذات نفع ، ويصبح البساط المخاطى لا وجود له .

نفس الاثر الذى تحدثه السجائر يحدث مع تناول المشروبات الكحولية وبعض العقاقير وادمان المخدرات .

دعك من حساب الفوائد والمضار وتعال معى ننظر من خلال منظار الجهاز التنفسى المكبر لنشاهد عرضا راقصا جميلا . ملايين .. ملايين الراقصات يملأن ساحة العرض من أول الانف مرورا بالقصبة الهوائية والشعب الهوائية حتى الحويصلات الهوائية .. يتحركن حركة سريعة أمامية ، ثم انبساط الجسد وتراجعه بحركة متموجة بها ارتعاشة الاحساس ، وبساط من الحرير محمول فوق أيديهن يتحرك مهفهفا مع حركاتهن .

عرض راقص رائع خصوصا لو صاحبته موسيقى تشايكوفسكى .. يؤدى بمفرده دون تدريب أو يد يوجهه .. سوى يد عليا خفية تقدر الجمال وتحمل اسمه . ثم يأتى الينا بعد ذلك من ينكر الرقص ، ويعتبره ضلالا .. ما رأيه اذن فى عرض الباليه الراقص هذا الذى يحدث كل يوم فى الحياة .. بل فى كل لحظة .. وفى كل انسان ، قد يقول قائل منهم تلك حركة ، وليست رقصا ؟ ما هو الرقص اذن .. أليس حركة تلتزم بالايقاع .. أم الرقص مسموح به اذا أدته الطبيعة ، واذا ما أداه الانسان فغير مباح .

بقلم: حسين أحمد أمين

ابن بطوطه

١٣٠٤ - ١٣٦٩ م

اشهر واخر رحالة عربى كبير ، ومنافس معاصره الاكبر منه سنا ماركوبولو البندقى . انتظم محيط رحلاته العالم الاسلامى باجمعه ، وجاوز تجواله مائة وخمس وسبعين الف ميل ، بادئا من طنجة مسقط راسه ، وهو فى الثانية والعشرين من العمر ((عام ١٣٢٦)) ومنتهيا بفاس عام ١٣٥٣

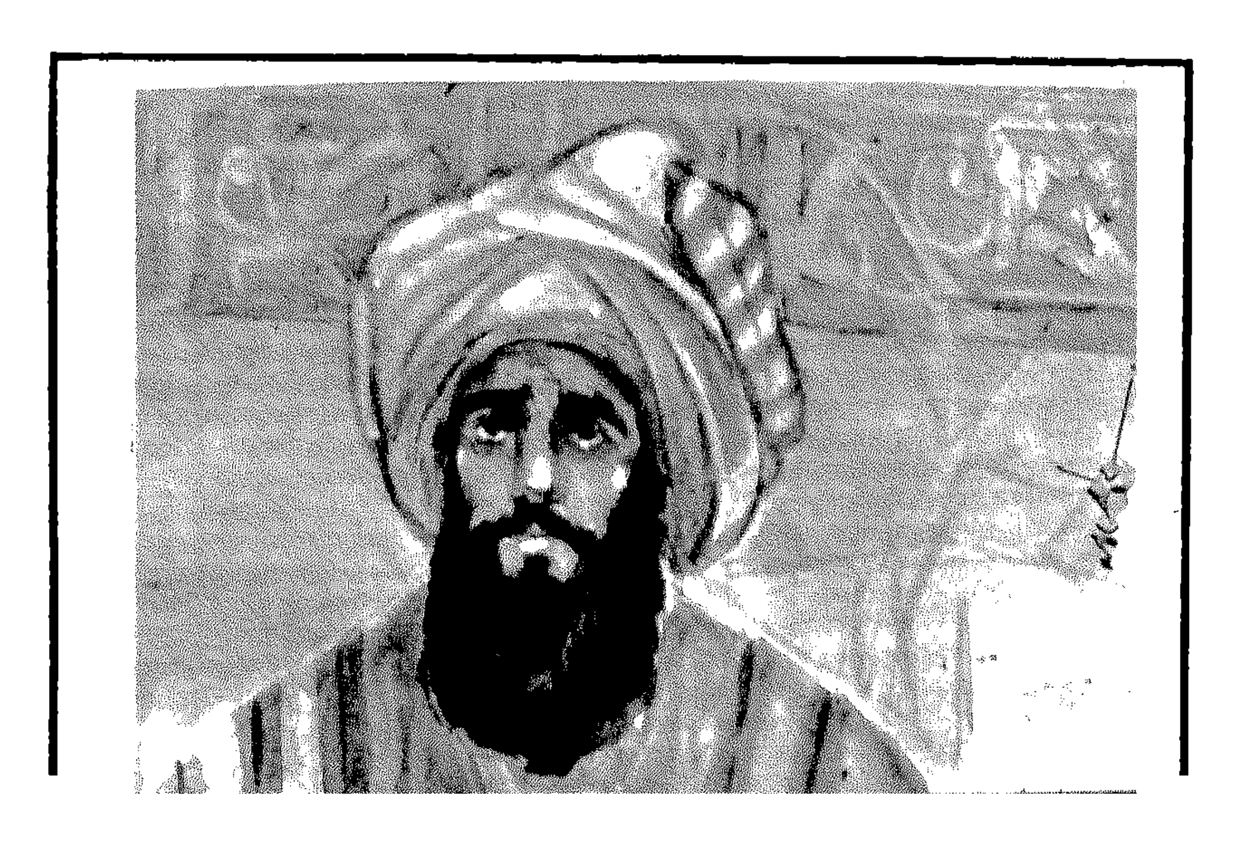
وقد شملت رحلاته كافة المدن الكبرى بشمال افريقيا ، ثم الاسكندرية ودمياط والقاهرة واسوان فى مصر ، وفلسطين والشام ، فمكة والمدينة ، فالنجف والبصرة ، فشيراز بايران ، فالموصل وديار بكر والكوفة وبغداد ، فجدة والساحل الشرقى لافريقيا ، فاليمن ، فعمان وهرمز والبحرين ، فاسيا الصغرى ، فشبه جزيرة القرم وروسيا الجنوبية وبلغار الفولجا ، فاستراخان والقسطنطينية وسراى ، فبخارى وافغانستان ، ثم دلهى بالهند حيث تولى منصب القضاء لمدة خمس سنوات ، فجزر المالديف والصين ، فسيلان والبنغال واندونيسيا ، ثم ايران والعراق وفلسطين مرة اخرى ، فمصر وتونس وسردينيا ، ثم المغرب فالاندلس ، ثم متوغلا فى افريقيا حتى تمبكتو بمملكة مالى ، ثم فاس حيث امضى السنوات الاخيرة من حياته تحت رعاية السلطان ابى عنان .

والغريب ان ابن بطوطة لم يخلف وراءه اى انتاج ادبى ، ولا هو دون مذكرات منظمة ، وانما كان يقص على سامعيه حوادث معينة ، واخبارا متفرقة عن اسفاره . وقد كان للسلطان ابى عنان الفضل الاول فى ظهور كتاب « وصف رحلة ابن بطوطة » ، اذ عين له محررا اديبا هو ابن جزى الغرناطى ،

فى التاريخ الإسلامى

وطلب من ابن بطوطة ان يقص على ابن جزى « ما شــــاهده فى رحلته من الامصار ، وما علق بحفظه من نوادر الاخبار ، ذاكرا من لقيــه من الملوك والعلماء والاولياء الابرار » ، ثم قام ابن جــزى بتنقيح وتهذيب احاديث ابن بطوطة ، واعادة صياغتها فى صورة متكاملة الجوانب ، مراعيا الترتيب الزمنى لمراحل رحلاته ، والربط بين قصصه فى رواية متتابعة ٠

والواقع ان ابن بطوطة لم يكن جغرافيا ولا اديبا ، وانمـا كان شخصا عاديا للغاية ، لا يتمتع باية مواهب خاصة ، ولا تنعكس فى رواياته افكــار عميقة ٠ وكثيرا ما تصادف فى الكتاب عن رحلته امثلة لتصديقه اكثر الروايات اغرابا فى الخيال ، وخلطا فى تسجيل الوقائع ، واهتماما مبــالغا فيه بكرامات الاولياء والدراويش ، وبعض المبالغات التى ينساق اليهـا جميـع الرحالة فى كل العصور ٠ ومع ذلك فهو رجل شاهد الكثير ، وعرف كيف يصور ما شاهده بدقة وبساطة ٠ وقد جعل منه القدر جغرافيا على الرغم منه ، ونوعا من الرحالة نادرا عند العرب : وهو الرحالة الذى يستهدف السـفر لذاته ، ويضرب فى مجاهل الارض استجابة لعاطفة لا تقاوم ، ورغبة جارفة



في التعرف على الاقطار والشعوب • وهو على نقيض الغالبية العظمى من الجغرافيين العرب لم يجمع مادته من صفحات الكتب ، بل جمعها عن طريق التجربة الشخصية ، وعن طريق محادثاته مع شخصيات تعرف عليها عرضا في خلال رحلاته •

وقد شغل اهتمامه بالمواضيع الجغرافية مكانة ثانوية بالنسبة لاهتمـامه بالبشر • لذا اصبح كتابه نسيجا وحده كوصـف للمجتمع الاسلامى والشرقى عامة فى القرن الرابع عشر • فهو خزانة تحفـل بمادة غنية لا فى مجـال الجغرافيا التاريخية او تاريخ عصره فحسب ، بل عن جميع مظاهر حضارة ذلك العهد • فتراه يعرض لكافة الظواهر الاجتماعية بالسرد ، حتى تلك التى يهملها المؤرخون عادة ، فتمر امام انظـارنا مراسيم البـلاطات الاجنبية ، وازياء الشعوب المختلفة ، وتقاليدها وحرفها ، واصناف الاطعمة والاغذية • فهو بهذا ليس كتابا نظريا جافا ، وانما يفيض بالانسانية والحيوية ، ولا يبخل فيه المؤلف بملاحظاته وتعليقاته فى اية مناسبة تعرض • وهو لا يمثل وثيقة ممتازة لتجربة فردية فحسب ، بل يقدم كذلك نموذجا صادقا لافكار وتصورات مواطن اسلامى من اهل القرن الرابع عشر •

وبالرغم مما يغلب على الكتاب من اسلوب ثقيل ، ومن السجع والحشـو والتكلف ، (وهو أسلوب ابن جزى) ، فمن حسن الحظ أن هذا الاسـلوب لا يسير فى جميع الصفحات على وتيرة واحدة ، اذ كثيرا ما تتخلل العـرض لغة ابن بطوطة القصصية البسيطة التى تميل احيانا الى لغة الحـديث ، محتفظة فى ذات الوقت برزانتها وغناها بالتفاصيل ، بالاضافة الى الحيـوية الدفاقة والعاطفة الجياشة • وقد تشكك اهل زمانه والناس بعدهم فى صـحة الكثير من الاخبار والمعلومات التى اوردها ، وارجعوا اخطاءه الى ضآلة حظه من الثقافة ، واعتماده المطلق على ذاكرته وقت املاء الكتاب ، وجهله بلغات البلاد العديدة التى زارها ، مما الجاه الى الاستعانة بالمترجمين ، والقبـول لكل او جل ماينة لونه اليه من اخبـار وقصص• غير أن الجغرافيين فىزمننا هذا يميلون الى اعتبار روايته بوجه عام جديرة بالثقة • وانه على الاقل لم يرو الا ما اعتقد انه الحق ، وان كتابه مرجع اساسى لاى باحث فى تاريـخ آسيا الصغرى وجنوب شرقى اسيا ، وان وصفه لاقطار غرب افريقيا ظل حتى عهد الرحلات الاوروبية فى القـرن التاسع عشر افضـل وادق وصـف لهذه المنطقة من العالم •

الحريري

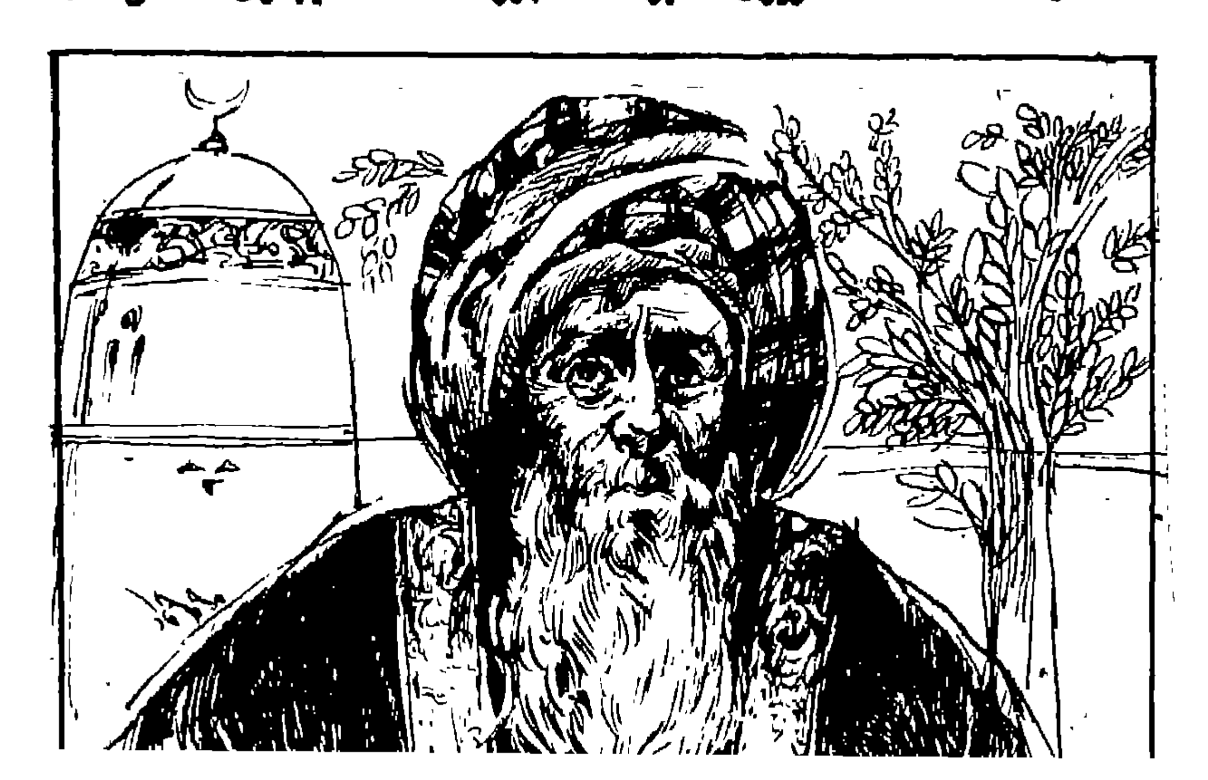
١٠٥٤ - ١١٢٢ م

علم من اعلام فقه اللغـة والادب العربى• ولد ونشا فى البصرة • واشـــهر مؤلفاته ((المقامات)) التى ظلت لمدة تزيد على سبعة قرون تحظى بتقدير عنـد

العرب يلى القرآن مباشرة باعتبارها كنز اللســان العربى . وكانت دراســة بلاغته المذهلة ، وسـبر اعماق علمه ، وفهم تورياته المتنوعة التى لانهاية لها ، هى الغرض الاسمى للمختص بالاداب، ليس بين الشعوب الناطقة بالعربية فقط ، بل حيثما درست اللغة العربية دراسة علمية . وقد ظـل العرب حتى مطلع القـرن العشرين يرون فى مقامات الحريرى وقصـائد المتنبى اكمل تعبير عن روحهـم ، وارقى اشكال ادبهم .

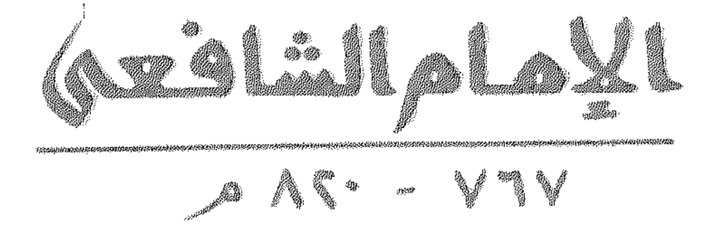
والمقامات مجموعة من خمسين مقامة (او ما يشبه القصة القصـيرة) احتذى فيها الحريرى مقامات بديع الزمان الهمذانى . وفيها يقص الراوى ، الحارث بن همام ، مغامرات رجـــل افاق ظريف يدعى ابا زيد السروجى ، « يغير فى كل مكان يقصده زيه وشكله ، ويظهر فى فنون الحيلة فضله » . ولم يكن الهدف الاول عند الحريرى جمال القصص او تصوير الشخصـيات ، وانما اراد استعراض الامكانات اللامتناهية للعربية ، وان يجعل من مقاماته قطعا ادبية فنية تجمع شوارد اللغة ، ونوادر التركيب ، وفنون البـــديع كالجناس والطباق ، وانواع الكنايات ، والاحاجى النحوية ، والفتـــاوى اللغوية ، وعلى الرغم من انه كان دون بديع الزمان فى القدرة على التخيل ، فقد فاقه فى اصطناع الانشاء البديعى وفى السجع اللذين امسيا منـذ ذلـك الحين صفة لازمة للنثر الفنى العربى حتى تخلص منها فى السنوات الاولى من القرن العشرين .

وكانت مقامات الحريرى تعتبر منذ ظهورها عملا لا يجارى ، حتى قال



عنها احد المؤرخين العرب انه « حتى لو ادعى الحريرى بها الاعجاز لما وجد من يدفع في صدره او يرد قوله » • فان كانت غالبية العرب وجدوا قيمتها الرئيسية في مؤهلاتها اللغوية والادبية ، فان الاشارات بالغة الوفرة فيها الى جميع فروع المعرفة وكافة مناحي الحياة ، جعلت من المقامات عملا فريدا وفذا بصرف النظر عن كمالها الشكلي • والدليل على هذا ان كل من حاكاها من المؤلفين بعده (وهم كثيرون) ، حتى مع تمتعهم بقدرات لغوية وادبية لا تقل كثيرا عن قدرات الحريرى ، لم يكتب لمؤلفات اى منهم ما كتب لمقامات الحريرى من الخلود •

فمقاماته ، علاوة على ما فيها من فنون الامتاع والتسلية ، وحصافة الوصف والحوار ، وجودة الاشعار ، تتمتع بحيوية ضخمة نابعة عن كونها صورة دقيقة للحياة العامة في العالم الاسلامي ، ووثيقة اجتماعية ثمينة لحضارة العصر الوسيط • على انه لا مفر من الاقرار بان براعتها اللغوية هي التي حدت بالكثيرين في الشرق والغرب الى قبول التحدى ومحاولة ترجمتها او محاكاتها ، سواء في اللغة العبرية او السريانية او اللاتينية او الفرنسية او الانجليزية او لغات غيرها • غير ان اشهر ترجمة لها على الاطلاق هي ترجمة فريدرش ريكارت الى اللغة الالمانية ، وهي الترجمة التي لقيت من الشاعر الالماني جوته ثناء عظيما ، ووصفتها المستشرقة المعاصرة انا ماري شيميل بانها اروع من الاصل العربي ، ومن اجمل الاعمال في الادب الالماني•



مؤسس ثالث المذاهب السنية الأربعة في الإسلام ، وواضع اصول علم الفقه ، وأول من بلور نظرية الاجماع الذي هو احد مصادر الشريعة وأول من بين أصول علم الحديث وأحكامه .. قال عنه ابن حنبل : "ظل الفقه علما مغلقا حتى جاء الشافعي بمفتاح له"

وعلم الفقه هذا علم عربي اصيل لم يكن للفرس او البيزنطيين او غيرهم اثر فيه ، ولا تأثر الشافعي في تأسيسه بالفلسفة اليونانية ولا المنطق الأرسطوطاليسي .. وقد خالف الشافعي المالكية في قولها بالأخذ عن الصحابة والتابعين في بيان احكام الشريعة ، وخالف المذهب الحنفي الداعي إلى الاخذ بالراى لملء الفراغ في التشريع حيث لا نص قرآني . وعنده ان السُنة النبوية إذا صحت وجب وضعها مع القرآن في مرتبة واحدة باعتبارها مبينة له ومفصلة لمجمله . ومن هنا جاء حرصه على التأكد من صحة الأحاديث المنسوبة إلى النبي ، وأوضح ضرورة ان يكون الاسناد صحيحا غير منقطع ومتصلا بالرسول ، والا يكون ثمة تناقض بين حديثين ، ولا ان يناقض الحديث القرآن ،

وغير ذلك من احكام وشروط علم الحديث التي حرصت مجموعات الأحاديث التي ظهرت بعد وفاة الشافعي بوقت قصير على الالتزام بها .

وتعرض الشافعي للقياس الذي اخذ به أبو حنيفة قبله ورفضه ابن حنبل بعده كمصدر من مصادر الشريعة . فوضع له شروطا اخرى غير شروط المشابهة والمماثلة ، منها النظر في العلة التي تكمن وراء النص القرآني او السنة . غير انه جعل القياس تاليا في الأهمية للإجماع . وهو مبدأ معروف لدى المسلمين قبل الشافعي ، غير انه لم يكن بين الفقهاء انفسهم اتفاق على تحديد شروطه . هل الإجماع إجماع جماعة معينة (علماء الدين) أم إجماع المسلمين كافة ؟ وهل رأى الفقهاء كافة أم رأى الغالبية منهم ؟ وقد رفض الشافعي في كتابه "الأم" نظرية مالك في الإجماع المحلي أو الإقليمي ، وعرفه بأنه إجماع أهل الرأي في كل عصر ، ويتحدد تلقائيا عند علماء كل جيل من الأجيال ، كي يظل المجتمع الإسلامي مجتمعا متطورا وفق احتياجات الزمن . واستند في تبرير ذلك إلى حديث "لا تجتمع أمتي على ضلالة" ، إذ لو كان فيما اجمعت عليه الأمة باطل أو ضلالة لا تثلمت به أو بها عدالة الأمة ، وهو ما يناقض القرآن إذ يقول (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)

وقد لقيت القواعد التي سنها الشافعي للفقه الإسلامي قبولا عاما لدى المسلمين ، وبفضل علمه وقوة قريحته استطاع ان يجتذب إليه طلابا واتباعا من أصحاب الرأي وأصحاب السنة على سواء ، وممن لم يكونوا قد اعتنقوا بعد مذهبا معينا . وقد تقبله الناس على انه الإمام الموعود على رأس كل مائة عام لكي يقيم للأمة دينها .

وقد كان الشافعي إلى جانب كل هذا شاعرا وصاحب أسلوب نثري فصيح انيق ، بسيط واضح ، غني بالفكر . وكان لكتابه الهام "الرسالة" ، الذي صاغ فيه أصول الفقه ، فضل قلما التفت إليه الباحثون ، الا وهو إرساء أسس نثر جدلي وتعليلي أعان الأجيال التالية على ترجمة النصوص الفلسفية اليونانية إلى لغة عربية سليمة فصيحة ، بأن أوجد المفردات والمصطلحات العربية القادرة على التعبير عن افكار لم تكن بعد مألوفة لدى العرب .



ابن النفيس

١٢١٠ - ١٢٨٨ م

طبيب وكاتب عربى ، ولد فى دمشق ، وتوفى فى القاهرة التى كان فيها رئيسا للاطباء ، وحجة مبرزا فى الفقه الشافعى وفى المنطق والنحو . ومع ذلك فاننا لانعرف عن حياته الا النزر القليل ، كما انه من الغريب جدا الايذكره ابن ابى اصيبعة ـ وكان من معاصريه ـ فى كتابه ((طبقات الاطباء)) الذى اورد فيه ترجمة للكثيرين ممن لاترقى اهميتهم الى اهمية ابن النفيس .



فاما عن اسهامه الطبي ، فقد ظل الناس حتى بداية القـــرن العشرين يحسبونه كامنا في موسوعته الضخمة « الشامل في الطب » الذى صمـــد اتمامها في ثلاثمائة مجلد لم ينجز منها غير نحو ثمانين وصلنا بعضـــها ، وفي كتابه الهام في امراض العيون بعنوان « المهذب فى الكحل » ، والموجـز الذى اعده لكتاب القانون فى الطب لابن سينا · غير انه حدث في اوائل قرننا هذا ان اكتشف طبيب مصرى هو امين اسعد خير الله ان لابن النفيس مخطوطا بعنوان « شرح تشريح القانون لابن سينا » واورد فيه اول وصف صحيح للدورة الدموية الرئوية (او الدورة الدموية الصغرى) يخالف وصف جالينـــوس ووصف ابن سينا لها كل المخالفة ، واول اشارة الى الحويصـــلات الرئوية والشريان التاجي · وقد ترجم كتاب ابن النفيس هذا الى اللاتينية فى اوربـا حوالى عام ١٥٢٠ م (ترجمة اندريا الباجو) ثم سطا على فكـرته ونسبها الى نفسه كل من ميجويل سيرفيتو سنة ١٥٥٦ ، وريالدو كولومبو سنة ١٥٥٩ ، وسيزالبينو سنة ١٥٧٩ ، ثم توج جهودهم جميعاً العالم البريطانى الشـــهير وليام هارفى الذى وصف الدورة الدموية وصفا شاملا عام ١٦٢٢ ·

وقد ذكر ابن النفيس فى ديباجة كتاب « شرح التشريح » انه لن يعتمـد فى حديثه عن وظائف اعضاء الجسم الا على منهج البحث العلمى الســليم « وافق ذلك راى من تقدمنا او خالفه » ·والواقع انه سلك فى الكتاب نهجـا جديدا جعله من مبتكرى التشريح بوصفه علما مستقلا ، اذ قصر حديثه على وصف شكل الاعضاء ووظائفها ، دون التعرض الى امراضها ، بينما كان سابقوه ، وعلى رأسهم ابن سينا ، لا يذكرون التشريح الا فى سياق الحـديث عن الامراض والعلاج ، فوزعوه بذلك فى شذرات مبعثرة من كتبهم ·

كذلك تتمثل اصالة ابن النفيس فى رفضه بعض اقوال جالينوس الخاصة بالقلب ، وهي اقوال وقفت حائلا دون تقدم الطب فى هذا المجال احـــد عشر قرنا ، ويمكن تلخيصها فى ان الدم بعد وصوله من منشئه فى الكبـــد الى البطين الايمن ، يمر عبر الحاجز بين البطينين عن طريق مسام الى البطيـن الايسر ، حيث يمتزج بالهواء القادم من الرئتين · وقد انكـــر ابن النفيس وجود هذه المسام (قائلا : « التشريح يكذب هذا ») ، واثبت ان الدم ينفذ من بطين الى اخر عن طريق منافذ توصـــــل بين الشريان الرئوى والوريد الرئوى فى الرئة ، وان الدم يجرى منالرئة الى البطين الايسر وليسبالعكس· وبهذا كان أول من عرف الدورة الدموية الرئوية ·

وقد كان ابن النفيس كريما بمعلوماته ، دائم الاجتماع باهل العـــــلم والطب ، يباحثهم فى العلوم حتى الصباح · وكان يكتب حتى فى الحمـام ، وبسرعة فائقة ، ودون الرجوع الى المراجع لقوة حافظته · كما كان شـــديد الثقة فى قيمة انجازاته ، ويقول : « لو لم اعلم ان تصانيفى تبقى مدة عشرة الاف سنة ، ما وضعتها » !

● كيف تنهض الامم ●
رد على مقال الأستاذ احمد بهاء الدين

● عجبت كيف يغيب السبب فى نهضة الأمم عن الأستاذ أحمد بهاء الدين ، فيتساءل فى مقاله بالهلال (عدد يناير سنة ٨٩) : إن لم تكن الديمقراطية هى السبب ، فماذا يكون ؟

السبب قاله ممثل مسرحى مرة ، عندما سئل : « لماذا لاتقدم المسرحيات الكوميدية الراقية ، كما كنت تفعل فى الماضى ؟ ولماذا يتهمك النقاد الآن بالاسفاف والتهريج ؟ قال : انظروا الى أى من الناس تتدفق الأموال الى جيوبه فى زماننا . ثم تعالوا واسألونى سؤالكم» .

ويُحكى أن أحد ملوك الفرس القدماء ، كان اذا أراد غزو أحد البلاد ، بعث اليها أولا أحد عيونه ، وكان يقول له : « أنظر إلى الأغنياء فى هذا البلد ، هل هم من علية القوم وخيارهم ، أم هم ممن اشتد شرهم ، وشغلهم يومهم عن غدهم ؟ » فإن قيل للملك أنهم من الصنف الأول قال : « اشتغلوا عنه بغيره » وإن قيل إنهم من الصنف الثانى قال : « نار كامنة تنتظر موقدا ... اقصدوا إليه » .

« كيف تنهض الأمم ؟ » الاجابة إذن سهلة بسيطة : «بأن يكون أغنياؤها هم أفضل الناس فيها » . ولن نختلف كثيرا على تعريف كلمة (أفضل) ، فنظرة سريعة واحدة الى الأغنياء من حولنا ، تكفى لأن ندرك أننا بعيدين جدا عن تطبيق هذا المقياس .

فإذا كان هذا المقياس بسيطا واضحا ، فكيف غاب عن الكثيرين ، بما فيهم الأستاذ أحمد بهاء الدين ؟

السبب فى رأيى اننا نشغل انفسنا بالأسئلة غير الصحيحة عندما نعالج مشكلاتنا : إذا تكلمنا عن أزمة التعليم ـ مثلا ـ تساءلنا : « أيكون بالمصروفات أم بالمجان ؟ » ، « وكم تكون المصروفات فى كل مرحلة ؟ » ... بدلا من أن نتساءل : « إذا لم نستطع ان نبدأ بتقديم أفضل الوان التعليم للجميع ، فمن هم التلاميذ الذين يستحقون أن ينالوا أفضل التعليم ؟ » .

وإذا تكلمنا عن الأزمة الاقتصادية تساءلنا : « كيف نذيب الفوارق بين الأغنياء والفقراء ؟ » بدلا من أن نتساءل : « كيف نضمن أن يكون أغنياء امة امثلة صالحة يقتدى بها المواطنون ؟ » فالمعروف أن الشخص من (العلية) إذا نال مالا نفع به وانتفع ، وإذا ناله شخص من (السِّفلة) فليس الا الفساد والافساد » .

قل لى إذن : إلى أى الناس تتدفق الأموال، أقل لك مقدار رقى الأمة أو انحطاطها . فما علينا إذن ـ اذا أردنا أن نرتقى ببلادنا ـ ألا يشغلنا إلا شىء واحد ، هو كيف نوقف تدفق الأموال إلى سفهاء البلاد وسفلتها .

حافظ أحمد أمين

● رسالة فلسطينية ●



إليكم قصتى ..
أنا إنسان عربى ..
سلبوا منى الحرية ..
أنا شيخ فى السبعين ..
أهانوا شيبته .. وأهالوا الترب على وجهه !
فلتعلموا ياعرب المحيط والخليج ..
مايفعل اللئيم فوق قطعة من أرضكم
الصهيونى المجرم الأثيم
هم يدفنوننا أحياء فى الأخدود
وهم ذئاب هتكوا ودنسوا الأعراض
هم يسكرون فى المساجد ، ويبصقون فى الكنائس
ويقتلون الناس أجمعين ! ..

محمد موافى إمام
مدرسة الفسطاط الثانوية

● لغـــة الحجـــارة ●

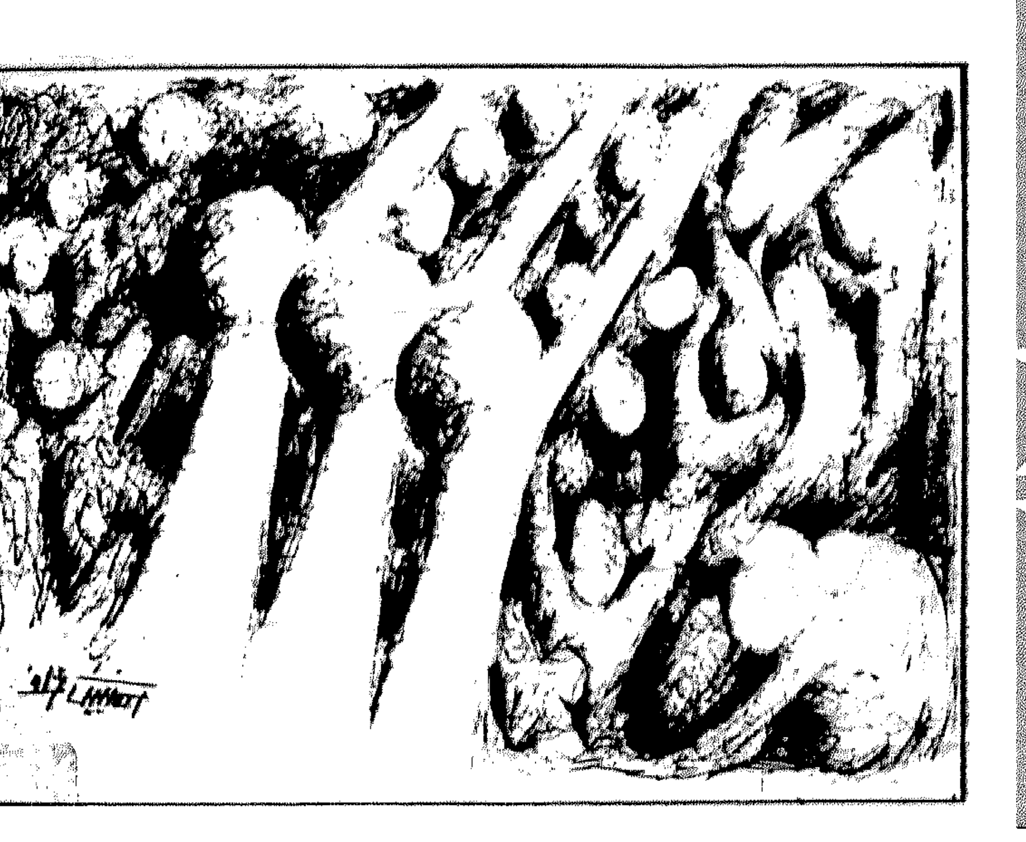


حبّـــات الرمال حِجارة
قطرات مياه البحر حِجارة
وسيول مياه المُزن حِجارة
وحبوب لقاح الزهر حِجارة
يا أبناء الثورة ضد القهر الصهيونى
يا أطفال الحلم الآتى
أحفاد صلاح الدين
ياطرح معارك حطين
ياعنوان الدرس الأول
بزمان معتل الآخر
فالدرس ومفرده حجر
والجمع يصاغ حجارة
صبرا صبرا ياأبطال ..
فالجنة خير بشارة

رفعت عبد الوهاب محمد المرصفى
القاهرة ـ شبرا

فأنتم الجنود في غياهب الحروب
تسرجون نصرنا الذى خفت !
وتثقلون المحمل القديم
بالغنائم ..
تدحرجون البشريات العاطرة !
وتهرقون السأم - المحقون فى عيوننا - ...
ستذبحون صبرنا - العقيم فى الدروب المستكينة -
.. - خلف الخنادق المريبة - ..
وتزرعون فى فيافى مجدنا السقيم ..
أنشودة البراءة المجيدة !
من دنس الخنوع والمهانة !
سينجلى ركود سيفنا الصدىء !
وتسقط المقولة ..
بنفور خيلنا الأصيلة !
من ساح « حطين » الجديدة !!! »

يوسف عبد العزيز على
قنا - كفر عمران



● نجيب محفوظ واولاد حارتنا ●

● يجب علينا الا نسرف فى محاسبة كاتبنا ـ الكبير نجيب محفوظ من اجل ما جاء فى روايته « أولاد حارتنا » ولقد كتبها وهو تحت تأثير ميول معينة سيطرت عليه في فترة من حياته ، وهذا أمر مألوف بالنسبة للأدباء والكتاب والمفكرين اذ يجد كل منهم ـ في فترة ما ـ فى نفسه حاجة الى التعبير الحر منطلقا من شتى القيود متخذا من عقله اماما وهاديا غير مبال ، بما قد يؤدى به هذا النهج الى شطط وبعد عن المألوف ... لقد مر بهذه المرحلة عدد من مفكرينا منهم طه حسين وعلي عبد الرازق وقاسم امين ويمر بها الآن عدد من مفكرينا الحاليين ، فلا بدع ان يمر بها نجيب محفوظ .

ولو رجعنا الى ماقبل عصرنا الحديث لوجدنا شعراء معروفين مروا بهذه المرحلة منهم : ابو العلاء المعرى الذى قال :

كَذَبَ الظّنّ لا إمام سوى العقـــل «م» مشيرا فى صبحه والمساء

والذى قال :

ولست بصائم رمضان عمرى ولست بآكل لحم الأضاحى
ولست بقائم كالعير ادعو قبيل الصبح .. حي على الفلاح

وهو ـ ايضا ـ الذى قال :

جاءنا خلق الناس للبقاء فضلت أمـة يحسبونـهـم للـنـفـاد
وكما ينقلون من دار أعمال «م» إلى دار شقوة أو رشاد

ومنهم أبو نواس الذى قال :

ماجاءنا أحد يخبر انه فـى جـنة مـن مـات أو فـى الـنـار

ثم هو بعد صاحب « السجادة » المشهورة .. وأبيات التصوف المشهورة أيضا فلنرفق بكاتبنا الكبير فانه ـ ولاشك فى ذلك ـ يؤمن فى قرارة نفسه بالقيم الدينية السماوية كما انه مسلم يشهد انه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

أحمد قاسم أحمد
قنـــا

● رسالة الى الجميع ●

● في الوقت الذى تقوم فيه مؤسسة دار الهلال بدورها الريادى في اثراء الثقافة والفكر العربيين يجدر بنا ان تنتبه لأهمية دور مجلة « الهلال » فهى كما هو معروف للجميع أعرق مجلة ثقافية عربية على الاطلاق وهى على وشك أن تتم القرن الأول من عمرها العديد ومن الطبيعى أن يلتقى عندها كل رموز الفكر والثقافة والأدب ولكى تستطيع ان تمتد بعطائها الى كل أرجاء الوطن

الكبير لابد ان يدرك ذلك كل المسئولين مرورا بادارة المؤسسة والمجلس الأعلى للصحافة وكل المعنيين .

وليس من المعقول ان تتوافر بكثرة بين يدى القارىء فى كل مكان مجلات مطبوعة على ورق فاخر وأحجام كبيرة لكنها متواضعة المستوى بينما مجلة (الهلال) بكل تاريخها مازالت تستجمع قواها وامكاناتها وإصرارها ودأبها لكى تصل بثقافتها الرفيعة وفكرها المتجدد الى القارىء العربى .

إن « هلال » الثقافة العربية دون مبالغة فى حاجة الى وقفة امينة على كل المستويات تجىء بعدها رغم شموخها فى ثوبها اللائق لتقول ان هذه هى مجلة الثقافة العربية الأولى وهذه هى ثقافة العرب التى انتزعت (نوبل للأدب) بعد طول تجاهل وانكار ، فالهلال مجلة المثقفين وعموم الناس ومن حق كل الشعراء العرب اينما وجدوا ان تصلهم بالمستوى والقدر المعقول الذى يتماشى مع كل المستويات .

صبرى عبد الله قنديل
كفر الزيات

● جائزة نوبل مرتين ●

● لماذا منحت جائزة نوبل لمدام كورى مرتين ؟! .. ماهى أعمالها ؟ .. وماهى قصتها ؟! ..

سنية على رمضان
اسيوط

ـ مدام كورى .. اسمها « مارى سكلودوفسكا كورى » .. عالمة فيزياء وكيمياء ، بولندية الأصل ، ولدت فى وارسو سنة ١٨٦٧ ودرست الطبيعيات فى فرنسا وتزوجت عالما فرنسيا هو بييركورى فحملت اسمه واكتشفت معه عنصرى الراديوم والبولونيوم سنة ١٩٠٢ فمنحا ـ ومعهما العالم بيكيريل ـ جائزة نوبل عام ١٩٠٣ ، وبعد وفاة زوجها عام ١٩٠٦ واصلت ابحاثها منفردة وتمكنت من فصل فلز الراديوم فمنحت جائزة نوبل ـ وحدها هذه المرة ـ سنة ١٩١١ وتابعت ابحاثها حتى توفيت سنة ١٩٣٤ .

● اقصوصة : ● تباشير ●

(١)

جلبة ، تزداد .. وتتدرج الغبرة فى الافق .. رويدا ، رويدا .. نفدت الجحافل من الحاجز .. مهللة : الله أكبر .. الله أكبر .

السواعد تحمل نعش طفل .. تلتصق الاكتاف .. تنداح الخطا متوحدة ..

(٢)

من التلال .. يزغ « كائن » على أربع .. معترضا .. ثائرا .. متحديا .. بنظراته ، الدنية ، وزار .. رافعا ذراعيه الى أعلى .. ودك بساقيه الاديم .

(٣)

تقدمت الجحافل .. ملتصقة الاكتاف ، متوحدة الخطا .. انزوى الكائن .. اضمحل عنفوانه .. غشى عليه .. ودهسته الأقدام .

(٤)

دنوا .. من القبر .. مهللين : الله اكبر .. الله اكبر .

(٥)

ينبلج شعاع الغد ، وتعلو صرخة الوليد ، وأصابعه قابضة على الحجر .

وائل وجدى
الدقي - الجيزة

● ابن القيم الجوزية ●

● يتردد فى هذه الايام مع انتشار الكتابات الدينية وكثرة الكلام عن المتطرفين ، اسم ابن القيم الجوزية ولايعرف عنه الكثيرون الا انه من تلاميذ العالم الحنبلي المشهور ابن تيمية الذى يستمد بعض المتطرفين الآن افكارهم من كتبه ، فمن هو ابن الجوزية ؟! ..

على رجب شمس
الاسكندرية

- ابن الجوزية هو الشيخ ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابى بكر ايوب المعروف بابن القيم الجوزية ، عاش فى عصر المماليك البحرية بين سنة ٦٩١ هـ و ٧٥١ هـ ، وكان أشهر تلاميذ ابن تيمية وأكثرهم تعصبا له ولمنهجه الحنبلى ، واشتهر بالعبادة والفقه والتفسير ، وله شعر لابأس به فى التصوف وغيره .. بقى أن نقول لك ان المتطرفين يظلمون الآن الفقيه ابن تيميه وتليمذه ابن القيم لأنهم يأخذون اقوالهما بلا فهم صحيح لفارق الزمان والمكان وتغير الأحوال ..

● النهر يازينب ●



النهر يازينب .. والحب
يخاطان ثيابا ..
لــك وحــدك ..
النهر يدعو الماء بأن يتعبد
حين تهلين
والحــب ..
يتطهر فى كفيك
ويصلى .. يازينب



الليل بلا ثوب
عار الا من عشق لقاءاتك
فى عينيه بريق
شوق ان يرسم وجهك
تاجا من عشق ابيض
يازينب ! ..
والقلب بلا رمق
الا من دمع .. عن حلم وهمى
للنهر وبالحب وفى الليل
أموت ! ..

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● عدد فن التصوير ●

● نشكركم على عدد فبراير الماضى من الهلال الذى نشرتم فيه صورا نادرة جدا كنا فى أشد الحاجة الى رؤيتها والاحتفاظ بها نحن ابناء الجيل الجديد الذين لم يتح لنا الاطلاع من قبل على هذه الصور . ولو أننا كنا نود ان تكون الصور اكبر مما نشرتم لأن دار الهلال مشهورة بأرشيفها الضخم من الصور التاريخية .

سميرة عبد النبى شهدى
دمنهور

● الصور صغيرة الحجم ●

● فى عدد يناير من الهلال صور قيمة نادرة ولكن بعض الصور تشتمل على خمسة او عشرة أشخاص ولهذا ظهرت هذه الصور فى حجم طابع البريد ولايمكن رؤية أى تفاصيل فيها كأن الذى نشر هذه الصور يريد ان يعرف القراء ان لدى دار الهلال صورا بهذا الشكل فقط وليس مهما ان يتمتع القارىء بالصور ، بالاضافة الى ان تلوين بعض الصور أفسدها ولو تركت كما هى فى الاصل « أبيض وأسود » لكانت اوضح من ذلك بكثير .

محمد عاصم أنور جاد
المعادى

● مع أصدقائنا ●

● **احمد محمود مبارك ـ الاسكندرية :**

ـ نأسف لما توهمتموه من ان نشر أبيات لكم فى هذا الباب هو انتقاص من مكانتكم .. والحقيقة اننا اردنا تكريمكم ، وانما الاعمال بالنيات ، ولاشأن لنا بالمجلات التى ذكرتموها فى رسالتكم ، فإن هذه المجلات التى تنشر كل مايحمله البريد اليها هى من اهم أسباب انحطاط الشعر والأدب فى هذا الزمان ! .. ومعذرة ..

● **السيد محمد على عصر ـ مساكن السكة الحديد ـ الواسطى :**

ـ لم نستطع ـ للأسف ـ قراءة ماأرسلتموه الينا من شعركم لأنه نسخة ثانية او ثالثة من النسخة الأصلية ، ولهذا فهى باهتة جدا ، ونظرنا لايحتمل التحديق فى الحروف الباهتة والمطموسة ! ..

● **سمير رمزى المنزلاوى ـ منية المرشد ـ مطوبس :**

ـ قصتكم التى عنوانها « يوميات النبأ العجيب » قصة جيدة ، ونرجو ان ننشرها فى أقرب فرصة .. أما عنوان زميلنا القعيد فهو : « مجلة المصور بدار الهلال » .. وليس فى « الهلال » باب خاص اسمه « باب القصة » .. ولكننا ننشر كل قصة صالحة للنشر ..

● **عاطف نجم محمد على ـ طالب بمعهد شبين القناطر الدينى :**

ـ قصيدتكم « إلى متى » ليست شعرا لأنها تفتقر الى الوزن افتقارا تاما .. حاول ان تهتم بدراستك فى هذه المرحلة من حياتك ، ونأسف للظروف السيئة التى مررتم بها وتحدثتم عنها فى رسالتكم ..

● **عماد رفعت السيد ـ طالب بمدرسة ابو بكر الثانوية ـ بنها :**

ـ نقول لك كما قلنا لزميلك عاطف نجم : حاول ان تهتم بدراستك فى هذه المرحلة فى حياتك ! .. ليس فى قصيدتك التى أرسلتها الينا مايدل على وجود موهبة شعرية لديكم ، مع الأسف ! ..

● **ونشكر اصدقاءنا الأساتذة : محمود عبد المجيد احمد .. عاصم فريد البرقوقى .. عبد الرحيم الماسخ .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. عادل جندية .. أيمن فاروق فؤاد .. أشرف محمد عبده البكلاوى .. اشرف أحمد على السيد .. عبد العزيز الشراكى .. رفعت محمد بروبى .. محمد فتحى غريب .. ابو الهيثم المجدلى .. هويدا عمر عبد العزيز . رضا ابراهيم عبد المعطى .. أحمد عبد الحميد عرابى .. وائل وجدى .. كريمة ثابت ..**

المسالة قديمة .. كان ابي يتندر وانا صبي برواية اللورد كرومر حاكم مصر الفعلي في أوانه .. حضر حفل عرس فطلب من جاره ان يترجم له معنى اغنية ، مطرب الحفل وكلماتها :

« هاتولي حبي ياناس .. هرب وفي ايده الكاس »

فتعجب كيف يرضى هذا الفتى العاشق المصرى ان يجلس يدخن الرجيله ويطلب من جميع الناس ان يجروا في الشوارع والأزقة لاعادة حبيبته اليه ولو بالقوة ..

كان حينئذ لاغزل بلا كاس « سلو كئوس الطلى » تاب الفتى بعد جيل من شرب الخمر ولكنه يفاجئك اذا قابلته بانه « مسكين وحاله عدم » .. ثم بعد جيل أخر تدخل عليه فيقول لك وهو يئن انه ذاب كالشمعة من هجر حبيبه مع ان جسده يملأ الفراش ..

ثم يئن ويقول انه مجروح مع ان جلده صاغ سليم . من الذى جرحك رمش عينه .. والطامة الكبرى انتا نراه ذات ليلة واقفا تحت شرفة يعلن انه شحاذ يتوسل الى حبيبته ان ترمي له بقبلة ، وان لهذه القبلة ثوابا كبيرا عند الله ثم يظل لازقا كالذباب تحاول البنت ان تهشه فلا تفلح .

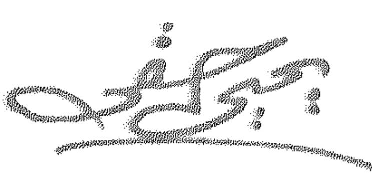
لاتحتمل اعصابي هذا المنظر وحدثت بعض اصدقائي عن ضجري به فاذا بهم يقولون لي :

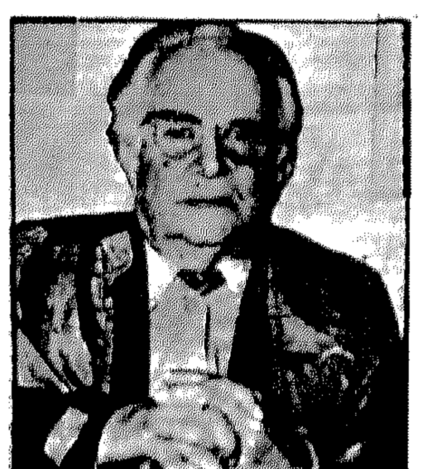
ان هذه الاغنية بعد ملاحظتي قد طغت على جميع الاذاعات كانني نفخت الرماد فاصبح نارا .. ليس في كلامي علم الله مساس بالملحن الذى انصفه الشعب بعد وفاته فاعترف بفضله في التزام الصدق والبساطة ..

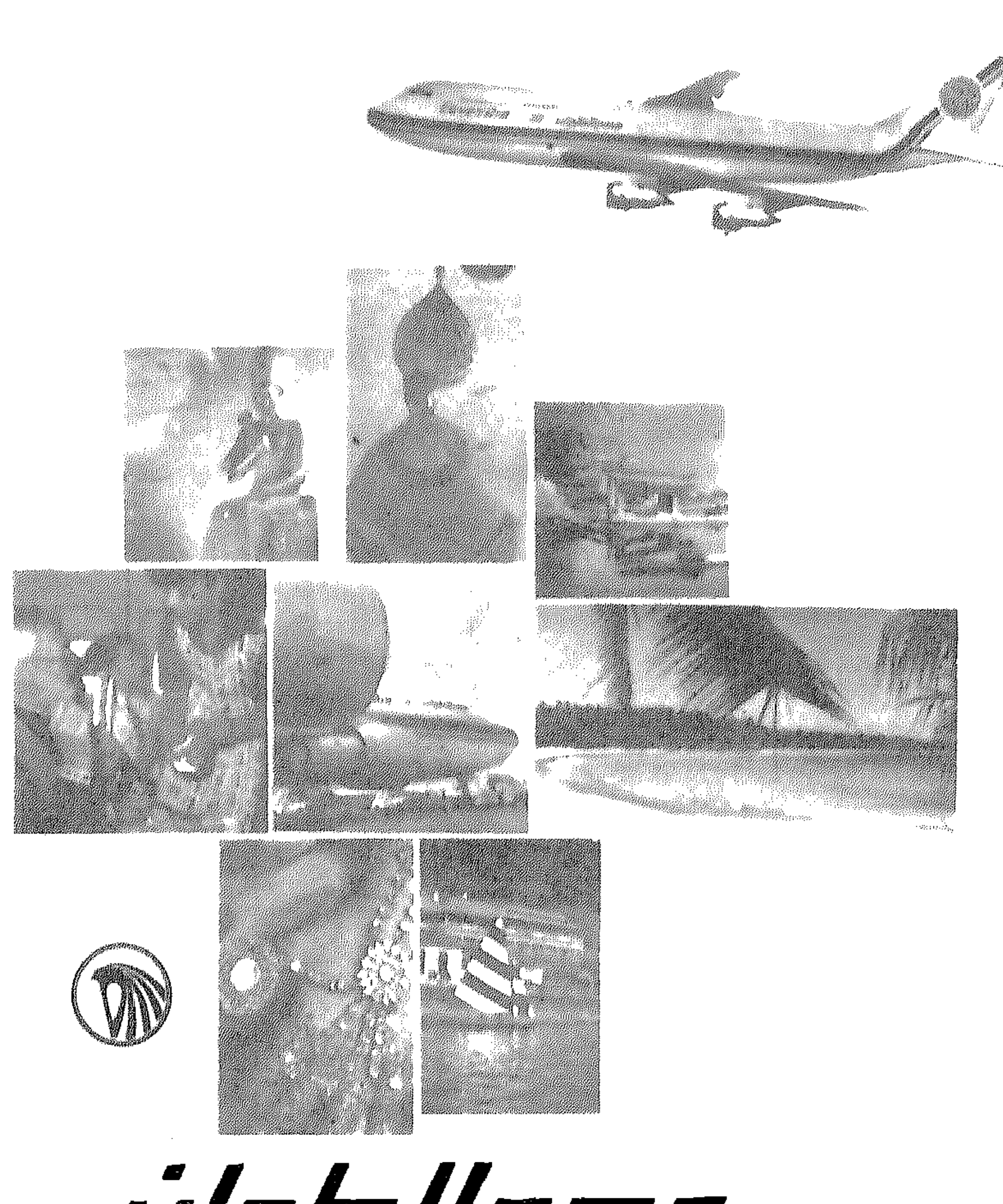
استرجع ذكرى «مارجو» الفتاة الانجليزية الارستقراطية التي صدمت العصر الفيكتوري بنزواتها الجريئة وانتهت بزواجها من رئيس وزراء بريطانيا مستر «اسكويث» ..

جاءها يوما شاب في قمة الوسامة والثراء والمجد وركع امامها وقال لها : اذا رفضت الزواج مني سانتحر فاجابته على الفور :

لهذا وحده ارفض زواجك ولو كنت آخر رجل في الدنيا لانني احب لمن يعشقني ان يكون صامدا لاقسى خطوب الحياة .. لا ان ينتحر بسبب ان فتاة رفضته ..








صخر
يوفر برامج تعليمية شيقة للأطفال


الهلال
ابريل ١٩٨٩ ● الثمن ٧٥ قرشا

شخصية



الأستاذ محمد محمود شاكر

محمود محمد شاكر فنان وعالم. عشق اللغة العربية ودافع عنها بكل كيانه ووجدانه. وسهل عليه الجمع بين الفن والعلم. منهجه متذوقي.

هو كاتب وشاعر ومحقق وسياسي ومؤرخ. ساعده على ذلك نشأته في بيت حافل بمجالس العلماء والأدباء ورجال السياسة. تفتحت عيناه على ثورة ١٩١٩. وعلى دار تموج بالثوار. وعاش فترة الصبا يشهد المتناقضات والصراع الذي عاشته مصر في ميادين مختلفة آنذاك. وفي ظل هذه الظروف كان شغوفا بهم حب العلم والتحصيل.

عرف الكثير بعد التحاقه بكلية الآداب. وخاصة عن عبقرية اللغة العربية بعد قراءة لسان العرب. وإعادة قراءة كتاب الأغاني وحفظ عشرات الدواوين لشعراء العربية. بجانب قراءاته الواسعة في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ.

عاش لفترة متفرغا للكتابة في الصحف والمجلات الأدبية. ولم يصرفه ذلك عن نشر روائع التراث بتحقيق علمي ومنهجي مستقل. يحظى بالتقدير في أوساط العلماء والمفكرين.

في مقال - شكري عياد ص ٣٢



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • أبريل ١٩٨٩م • شعبان ١٤٠٩هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفني
محمد أبو طالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

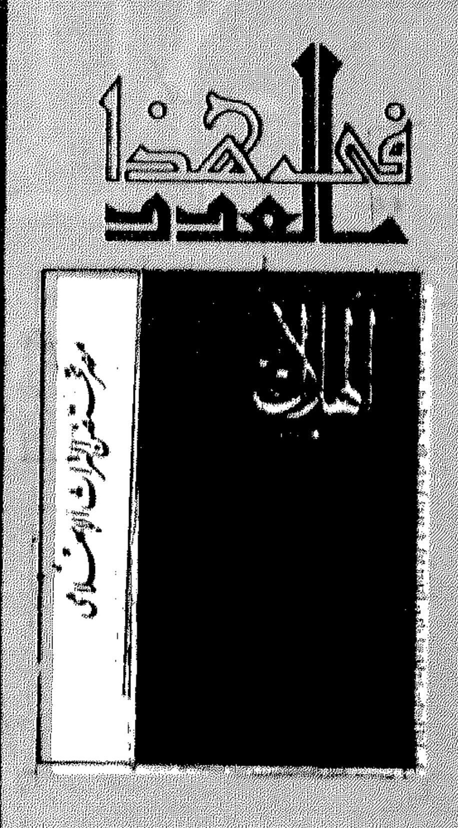
المشرف الفني
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذي
عيسى دياب

فكر وثقافة

● ازهى عصور التراث الشعبى فى رمضان .... كمال سعد ١٤
● هل وصلت امريكا فى التطور الى حدودها القصوى ؟ .... د . السيد امين شلبى ٢٢
● عاشق العربية .... د . شكرى محمد عياد ٣٢
● كلن ياماكلن :سر ماجرى سنة ١٨٨٢ مصطفى نبيل ٤٠
● تفسير القرآن عند الاستاذ الامام محمد عبده .... د . محمد رجب البيومى ٥٢
● الرسول فى عيون غربية .... د . الطاهر احمد مكى ٥٨
● ايات شيطانية والصدق مع الواقع الخارجى والواقع التاريخى .... محمد روميش ٦٧
● دور مصر فى الحضارة الاسلامية .... د . نعمات احمد فؤاد ٧٠
● بلاغة المتكلمين .... د . محمد عمارة ٩٠
● العقاد والهلال .... احمد حسين الطماوى ١٠٨
● نجيب محفوظ يحاور نفسه ! .... عبدالمنعم الجداوى ١٢٠
● البير قصيرى .... محمود قاسم ١٢٦
● عالم الغد ... المواد التقليدية والجديدة .... د . عصام الدين جلال ١٦٠
● لماذا عاد الفراعنة الى بناء الاهرام ؟ .... زهير على شاكر ١٧٠
● المائة الاعظم فى التاريخ الاسلامى .... حسين احمد امين ١٧٨

فى هذا العدد



الغــــلاف
تصميم الفنان
محمد ابوطالب

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

دائرة الحوار

● الموسوعة العربية الشاملة تمثل فى القيمة والأهمية قيام الصناعات الثقيلة .... رأفت الخياط ٩٤
● موسوعة المجهول العربية وكفاءة الدورة الدموية للمعرفة .... محمد فتحى ١٠٠

فنون

● سلطان العاشقين وسلطانة الطرب فى ليالى رمضان كمال النجمى ٨٣
● رعاية النمر ... فنانة أحبت تراثنا الشعبى وعاشت من أجله .... نجوى صالح ١٣٠
● حوار الأضواء فى معرض محمود بقشيش ....د . صبرى منصور ١٤٠
● المتشرد الخالد ... مائة عام .... مصطفى درويش ١٤٤

قصة وشعر

● الاديب والكتب ... شعر ....احمد قاسم احمد ١٠٧
● يوميات مرشح .... قصة قصيرة .... د . شريف حتاته ١١٤
● حالات الجسد ... اقصوصة .... عبد الحكيم قاسم ١٥٠
● سوناتا .. أمسية صيف ... شعر ....ترجمة محمد محمد السنباطى ١٨٥

● الابواب الثابتة

(٦)
عزيزى القارىء
(٨)
العالم فى سطور
(٣١)
أقوال معاصرة
(١٥٢)
شـهـريـــــــات
(١٦٢)
العالم غدا
(١٨٦)
أنت والهلال
(١٩٤)
الكلمة الاخيرة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ، الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٣٥٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابوظبى ٦ دراهم ، مسقط ٦٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت اليمن الشمالية ٦ ريالات ، كندا ٥ دولارات





فى الأسبوع الأول من هذا الشهر ـ ابريل ـ يبدأ شهر رمضان المعظم ، فيجيء مع شهر نيسان ـ وهو شهر الربيع ـ ليكون شهرا لربيع القلوب والأرواح ، فإن شهر رمضان هو شهر القرآن ، والقرآن ربيع الأرواح والقلوب ، به خرجت الأمة العربية منذ اربعة عشر قرنا من جاهليتها الى نور حضارتها وريادتها العلمية والفكرية للعالم القديم كله !

كان العالم القديم منذ اربعة عشر قرنا يضم امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم وامبراطورية وسط وجنوب اوربا التى تضم شعوبا كثيرة .. فضلا عن امبراطورية الهند وامبراطورية الصين ! ..

وفى وسط هذه الكتل الدولية الهائلة ، وثبت هذه الأمة الفقيرة القليلة العدد ، أمة العرب ، التى اختارتها عناية السماء لحمل رسالة التوحيد والتنوير لهذا العالم كله ! ..

وقد حملت الأمة العربية القليلة العدد والعدة ، هذه الرسالة السماوية كأحسن ما تحمل أمة عريقة راقية رسالة كبرى تناط بها لتنوير العالم وتغيير خط سيره من الضلالة الى الهداية ، ومن الظلام البهيم إلى الضوء الساطع ! ..

ولكن انقضاء اربعة عشر قرنا على هذه الأمة ، يلفتنا بقوة الى التساؤل :

ـ ماذا جرى لهذه الأمة التى كانت خير امة اخرجت للناس فى قديم الزمان ؟ ! ..

سؤال مناسب لشهر الصوم المعظم ، لأن هذا الشهر الذى انزل فيه القرآن ، هو خير موسم للذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين ، وينبغى للمؤمنين ان يتذاكروا فى موسم شهر القرآن تاريخهم المديد ، ويتأملوا كيف اصبحوا فى ذيل الأمم بعد أن كانوا فى مقدمتها ؟ ! ..

لقد انحدر المسلمون من مكانتهم الرفيعة منذ تحولوا من التفكير العلمى الذى حضهم عليه كتابهم الى الجمود على مجموعة من المسلمات لم يأمرهم بها الكتاب ولا السنة ، وإنما ساقتهم إليها شطحات أصحاب المذاهب المختلفة ..

وها نحن أولاء نرى ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين امة الاسلام مشغولة بقشور تتقاتل عليها بالسلاح ، ويتحزب فريق منها ضد فريق ، ويرمى بعضها بعضا بالكفر والمروق ! ..

إن العالم كله ـ بما فيه الكثير من دول العالم الثالث ـ يغذ السير إلى حضارة المعلومات وحضارة عصر الفضاء ، بينما ينقلب كثير من المسلمين عائدين القهقرى الى القرون الوسطى ، وكأننا مازلنا فى عصر الباب العالى وسلطان استانبول والمماليك الجراكسة « العثمانلية » ! ..

كيف يصح فى الذهن ان يثب اتباع مذهب الاثنى عشرية فى إيران ، على بلد اسلامى هو

والأدواء في شهر الصيام

العراق ، ويشنوا عليه الحرب ثماني سنوات بلا انقطاع ، تحت لافتات مذهبية لا تحتوى إلا على التعصب المذهبى ولا تمت إلى الاسلام بأدنى صلة من قريب أو بعيد ؟ ! ..

لقد وضعت هذه الحرب اوزارها ، وهذا أول شهر من شهور رمضان منذ ثمانية اعوام ، ترتاح فيه أسماع المسلمين من دوى المدافع، وهدير الطائرات ، وانفجار الصواريخ ! ..

ولكن المشكلة الاسلامية مازالت قائمة ، وشهر رمضان يشهد عليها ، وسوف يستدير العام ويجيء شهر رمضان مرة أخرى ليشهد من جديد على أن مشكلة المسلمين مازالت قائمة ! ..

ومن افغانستان انسحبت القوات السوفييتية ، فعلام يتقاتل الافغان هناك ؟ ! ..

فى السنوات الماضية كانوا يقاتلون الغرباء ، فلماذا يستمر بعضهم فى قتال بعض حتى الآن ، وينقسم بعضهم على بعض ، ويكفر بعضهم بعضا ، ويدعى بعضهم لنفسه الاسلام والايمان ، ويرمى أخاه بالفسوق والعصيان والمروق من طاعة الرحمن ؟ ! ..

إن اعداءنا العالميين من استعماريين وصهيونيين وغيرهم ، هم الذين يشعلون النيران فى صدورنا لكي تتناحر صفوفنا بدلا من أن تستقيم وتتراص وتلتئم فى اتجاه واحد صحيح ! ..

وهؤلاء الأعداء الذين يؤرثون نار العداوة والبغضاء بين المسلمين هنا وهناك ، هم الذين يضربون العرب والمسلمين فى فلسطين بكل غلظة وحقد مجنون ، وهم الذين لايرضيهم إلا أن تصبح أرض فلسطين العربية كلها مستوطنة كاملة لشذاذ الآفاق ممن يدعون انهم من ابناء سام وهم لايحملون فى عروقهم قطرة واحدة من الدم السامى لانهم أوربيون اقحاح او خزريون من فلول القبيلة الثالثة عشرة ..

عزيزى القارىء

إن هموم المسلمين كبيرة ، والطريق إلى الخلاص منها طريق صعب طويل محفوف بالمكاره ، ولكننا نستمد من نورانية شهر رمضان الكريم وروحانيته قوة أمل ، وقوة عمل ، ونقتبس نورا هاديا إلى سواء السبيل ..

إن شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ينادى قومه ويقول لهم : لقد شغلكم خصومكم بالقشور ، وحرضوكم على الاهتمام بسفاسف الامور ، فانقدتم إليهم ، فمتى تفيقون إلى انفسكم ، ومتى تتذكرون قوله تعالى : إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ؟ ! ..

المحرر



العالم في سطور

فيينا

● المرض .. هو سر الإبداع المتدفق

الأدب هو نوع من الإخراج السينمائي للموت ..

هذه الجملة قالها الكاتب النمساوى المعروف توماس برنارد الذى مات فى أول مارس الماضى عن عمر يناهز الثامنة والخمسين .

وبرنارد هو أحد الأدباء الذين شغفوا بالموت وأحبوه قبل ممارسته وفى كتاباته كان يهتم ، فى المقام الأول ، بالجنون والانتحار والمرض .. وهى أشياء يحملها المرء دائما على ظهره شاء أم ابى ..

كما أن برنارد هو أحد ابرز الأدباء الذين يكتبون باللغة الألمانية عقب الحرب العالمية الثانية فهو يكتب الرواية والمسرحية والدراسة الأدبية .. وقد ترجمت أعماله الى العديد من اللغات ، ونالت جوائز عديدة داخل وخارج بلاده ..

وفى أدبه انعكست همومه الخاصة على لغته الأدبية ، وعلى الحكايات التى يرويها فأغلبها يدور فى المستشفيات والمصحات النفسية وابطالها هم غالباً من المرضى الذين يعانون من داءات عضال ويعرفون الآلام الشديدة .

وقد عرف توماس برنارد بغزارة إنتاجه فى مجالات الإبداع المختلفة .. ولذا فإن عناوين كتبه تفوق كثيراً أبناء جيله من الأدباء . ومن هذه العناوين المنشورة فى السنوات الخمس الأخيرة من حياته نجد "النَّفَسْ" و"بيتون" و"جيلو" "اشجار قابلة للقطع" و"طفل" .. وهذا الكتاب الذى نشره عام ١٩٨٤ يعد بمثابة سيرة ذاتية لحياة شخص ولد عام ١٩٣١ فى هولندا من ام تعمل راقصة باليه . أما الأب فلم يكن سوى عشيق عابر فى حياة هذه الراقصة ثم اختار أن يدخل الدير وقد رحلت المرأة بعد ذلك الى النمسا .

ولابد لطفل مثل برنارد أن يرتبط بأمه بشكل حاد « كان حب أمى الشديد لى يجعلنى أنفر من وجود اب لى .. بل واب لكل الأطفال » .



توماس برنارد

هذه الأم هى التى علمته كل الأشياء التى تلقاها فى حياته .. خاصة فى طفولته .. ركوب الدراجة واللعب مع الأطفال وكيفية الوقاية من أخطار الحرب .. وظلت ترقبه دائما بعينيها الحريصتين حتى أصبح رجلاً بالغاً .. أو طفلاً كبيرا كما كانت تراه ..

الأقصر

● كنز الأقصر الجديد ●

لايمكن لأى مصرى غيور على حب بلاده إلا أن يشعر بالغيرة ، وفى نفس الوقت بالاعتزاز ، من ذلك التحقيق الذى نشرته مجلة الاكسبريس الصادرة فى ١٠ مارس الماضى تحت عنوان "فرعون فى قلب الحوش" حيث تصدر هذا الموضوع غلاف المجلة تحت عنوان آخر هو "كنز الأقصر الجديد" حول الاكتشافات الجديدة التى تمت فى مدينة الأقصر فى الفترة الأخيرة حيث تم العثور على خمسة تماثيل بحالة جيدة لأمنوفيس الثالث أحد أشهر الفراعنة فى الأسرة الثامنة عشر .

ينبع الإحساس بالغيرة هنا ، أن الصحافة المصرية لم تول هذا الموضوع من الأهمية ما يستحقه . وانها تركت مجلة فرنسية تقوم بهذا الدور بل أن الموضوعات التى نشرت أخيرا حول هذا الاكتشاف الهام قد جاءت فى إطار اهتمام زيارة الرئيس حسنى مبارك لمواقع الاكتشافات .

وفى الوقت الذى لم تنشر فيه الصحف الكثير من الصور حول هذه الاكتشافات فإن المجلة افردت مجموعة من الصور تنشر لأول مرة لأحد الاكتشافات الأثرية الهامة فى القرن العشرين بعد



اكتشاف كارتر لمقبرة توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، ثم اكتشاف كنز الطور عام ١٩٣٩ . ومراكب الشمس فى الخمسينيات .

وتقول الصحفية الفرنسية فرانسواز مونتيه أن التماثيل الخمسة رقدت فى مكانها آلاف السنين وقد خبئت معها اسرارها . ولايعرف أحد حتى الآن لماذا وضعت هذه التماثيل فى ذلك المكان الخفى . ولا كيف حدث ذلك . وترى أن الملك امنوفيس الثالث قد تولى عرش مصر بين عامى ١٣٩١ و ١٣٥٣ قبل الميلاد بعد الملكة حتشبسوت وفى تلك الفترة كانت السيادة المصرية تبدأ من الفرات وحتى ليبيا فى الغرب وكانت طيبة أبرز عاصمة فى العالم أنذاك .

وقد آمن امنوفيس الثالث بدور الفن المعمارى فى التقريب بين الإنسان والآلهة . وقد حكم مصر من بعده ملوك من طراز اخناتون وتوت عنخ آمون .

وتكشف التماثيل التى تم العثور عليها عن وجه الملك الشاب الجميل . ولذا فمن المتوقع أن تعيد الى الناس اسطورة الملك الشاب توت عنخ آمون ..

موسكو

الحرية .. والطفولة .. فى العالم

تحت عنوان "دورة الحرية فى العالم" نشرت مجلة لوبوان تحقيقاً صحفياً فى عددها ٨٥٧ كان ابرز ما فيه هو تلك الرسوم التوضيحية التى تكشف عن دورة الحرية

فى العالم فقد تدرجت الحرية إلى خمسة أقسام فى كافة انحاء الدنيا . واعتبرت المجلة أن هناك مناطق بعينها تشهد حالات جيدة من الحريات مثل أمريكا الشمالية (عدا المكسيك) ودول شرق امريكا اللاتينية كالبرازيل والأرجنتين وفنزويلا ثم استراليا . وغرب أوروبا ..

وفى الدرجة الثانية هناك دول تتمتع بحريات جيدة . لكن هناك بعض القلاقل المحلية . ونقص فى قدرات وسائل الاعلام . ومن بين هذه الدول : مصر والسودان ، والهند وباكستان وبيرو والمكسيك واندونيسيا ، وجنوب افريقيا .

أما النوع الثالث من الدول فهى تعانى من مشكلات التعددية . والانتخابات ودور المرأة الانتخابى وتعتبر بوليفيا وتشاد من أبرز الأمثلة على هذه الحالة ..

وهناك دول تدعى انتهاج الديمقراطية لكنها لا تمارسها .. وإنما تحاول أن تفعل ذلك من خلال بعض النوايا مثل تركيا ويوغسلافيا واوغندا ..

أمّا النوع الخامس من الدول فهو حسب الخريطة المنشورة الأكثر سيادة وشمولاً فى العالم .. وفى هذه الدول فإن هناك نقصا واضحا فى حرية التعبير والاعلام مثل دول المعسكر الشرقى والصين والعديد من دول افريقيا منها انجولا ومالى واثيوبيا ثم شيللى فى أمريكا اللاتينية .

وفى خريطة أخرى نشرت المجلة بياناً عن حقوق الطفل فى العالم . فإن آسيا هى أكثر المناطق التى يتعرض فيها الطفل للطحن لدرجة أن نسبة الدعارة تنتشر بشكل واضح لدى فتيات فى سن الطفولة ..

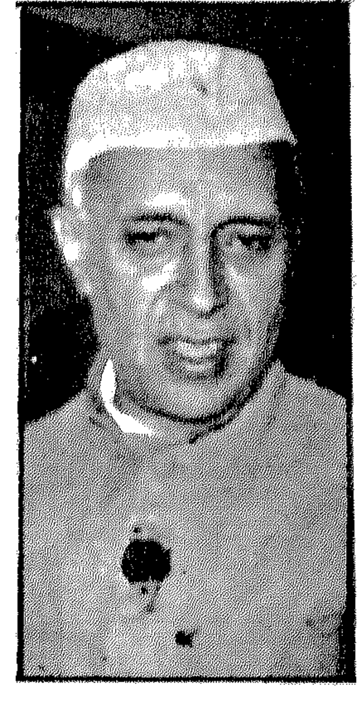
اما مصر فإنها تدخل فى إطار الدول التى يعانى فيها الأطفال من مشاكل جسيمة ولكنها ليست سائدة بشكل عام وهناك أيضا عدة دول فى غرب أمريكا اللاتينية وجنوب افريقيا .

وفى دول المعسكر الشرقى يعيش الأطفال فى حال أفضل . ويدخل فى هذا الإطار ايضا كل من السودان والولايات المتحدة واستراليا والنيجر وغانا .

ومما سبق يتضح أن حرية البشر لا ترتبط شرطيا فى خريطة العالم بحقوق الطفل .. الذى هو ايضاً من البشر .. أو بالاحرى هو صانع الغد .. وحريته .

نيودلهى

نهرو مرة أخرى



"م . ج اكبر" مؤلف كتاب "نهرو : صنع الهند" (٦٠٩ صفحات) لم يكن له من العمر سوى ثلاثة عشر عاما عندما مات "نهرو" .

وهو ينحدر من أسرة مسلمة ذات ماض فريد فعائلة أمه فرت إلى

باكستان عام ١٩٤٧ .
وجده لأبيه ترك الهندوسية واعتنق الاسلام دينا ومع ذلك احتفظ بولائه السياسى لحزب المؤتمر تحت زعامة غاندى .
وابرز زعيم فى الكتاب بعد نهرو وغاندى هو "محمد على جناح" .

وتقسيم الهند فى راى "اكبر" صاحب الكتاب إنما يرجع إلى مؤامرات الاستعمار البريطانى وطموح "جناح" الشخصى .

وثمة تناقض بين هذا الرأى وبين ما جاء فى اجزاء أخرى من الكتاب عن فشل غاندى ونهرو فى تحرير حزب المؤتمر من العناصر المعادية للمسلمين المعششة فى جميع مستويات الحزب من أعلى إلى أسفل ، والتى ساهمت بوجودها هذا فى إيقاظ تخوف المسلمين من الاضطهاد ، بل وفى إشعال نار الفتنة الطائفية .
ومن عيوب الكتاب عدم مراعاة مؤلفه الدقة فى سرد الوقائع .
فمثلا نسبة المسلمين للهندوس كانت واحداً لثلاثة فى الهند قبل التقسيم .
ومع ذلك فهى فى بعض صفحات الكتاب واحداً لأربعة وفى بعضها الآخر واحداً لثلاثة .
فأى الصفحات نصدق ؟

لندن

لير .. أوبرا

وأخيرا ها هى مسرحية "الملك لير" اصعب مسرحيات شكسبير تستحيل إلى اوبرا من إبداع الموسيقار الالمانى "اريبرت رينمان" .
ولقد كان الباريتون الالمانى الشهير "ديترش فيشر ديسكاو" أول من غنى دور الملك مع اوبرا الدولة البافارية (١٩٧٨) .
والغريب انها لم تعرض خارج أوروبا إلا فى سان فرانسيسكو ، وذلك بعد إعادة ترجمتها إلى الانجليزية !! .
والأغرب انها لم تعرض فى انجلترا - وطن شكسبير - إلا منذ أسابيع .
وصعوبة إبداع أوبرا مستوحاة من "الملك لير" إنما ترجع إلى عدم إنسانية القصة ، فضلاً عن حظ المسرحية الكبير من ثراء اللغة .
ورغم غلبة الرعب عليها ، فقد لاحظ "دافيد هير" الذى اخرجها للمسرح القومى (١٩٨٦) أن الأطفال يحبونها ، واحد منهم لا يعرف سبب ذلك .
ولكن ثمة شيئاً فيها يدور حول رجل عجوز يلعب قريباً من الشاطىء مع رجل أعمى .
وهذا الشىء هو الذى يجذب انتباه الأطفال .
ويقول الموسيقار "رينان" إنه هو الآخر قد وقع فى حب المسرحية عندما كان طفلاً .
ولقد كانت مشاهد العاصفة اكثر المشاهد إثارة لحواسه وقتذاك .
ومن هنا بناؤه موسيقى الأوبرا حول العاصفة متخذاً منها فرصة للتعبير عن فراغ العالم المحيط "بلير"

باريس

مأساة كلوديل

نال فيلم "كاميل كلوديل" جائزة سيزار



لأحسن عمل سينمائي فرنسي وهي تعادل عند الفرنسيين جائزة اوسكار كما فازت « إيزابيل ادجاني » بسيزار أحسن ممثلة .

ومن المعروف عن ادجاني انها تنحدر من أصل جزائري بفضل الأب .

وهي أشهر ممثلات السينما الفرنسية المعاصرة ولعلها اعظمهن شأناً .

ولقد اعتزلت التمثيل السينمائي والمسرحي في فرنسا منذ اربعة اعوام او يزيد .

ولما طال الاعتزال ، انطلقت شائعات مغرضة تقول فيما تقول انها تعاني سكرات موت أكيد .

ومع ذلك ظلت معتزلة ، رغم ذهاب الشائعات الى حد القول بأنها مصابة بمرض "الايدز" إلى أن فاجأت الوسط الفني الباريسي باختيار المصور الموهوب "برونو نوتون" كي يخرج أول فيلم من ابداعه وحده ، وتكون هي ممثلته الأولى .

و"كاميل كلوديل" هو الفيلم الذي انتظرته "ادجاني" أكثر من أربعة أعوام ، حتى لا تعود إلى الشاشة إلا به .

وهو يحكي مأساة المثالة كاميل شقيقة الأديب الفرنسي الذائع الصيت "بول كلوديل" .

كيف كانت الأيام والحوادث أشد منها حزما وعزما ، كيف أغرت بها المثال "ارجوست رودان" واغرت بها شقيقها الأديب والسفير ، وافقدتها حب أمها .

وكيف ادى بها كل ذلك إلى مستشفى المجانين حيث مكثت ثلاثين عاما معزولة عن عالم الأصحاء إلى أن جاءها الموت بسبب الجوع والبرد في خريف ١٩٤٣ .

واشنطن

عودة لورنس



في أوائل شهر فبراير الماضي أعيد عرض فيلم "لورنس العرب" في إحدى دور العرض الكبرى بالعاصمة الأمريكية حيث رآه الجمهور لأول مرة على شاشة عريضة (سبعين مللي) وبصوت مجسم دولبي ولمدة ثلاث ساعات ونصف .

ومن المعروف أنه فاز بأهم جوائز أوسكار عندما عرض منذ سبعة وعشرين عاما .

ومع ذلك فهذا الفوز المبين لم يقف حائلاً بين منتجه الصهيوني "سام سبيجل" وبين حذف عشرين دقيقة من "لورنس العرب" حتى يتمكن من عرضه أربع حفلات يومياً ، فيحقق بذلك مزيدا من الربح السريع .

وبعد ربع قرن من الزمن سيطرت على "روبرت هاريس" - وهو من المتخصصين في أرشفة الأفلام - فكرة إعادة تلك الدقائق المحذوفة إلى الفيلم ، وفي ظنه أن ذلك لن يستهلك من وقته إلا بضع ساعات .

وإذا بها تستحيل إلى ملحمة مؤلمة تستهلك من عمره عامين أو يزيد .

وجميع العرب في

الفيلم ، وفى مقدمتهم "عمر الشريف" ذوو بعد واحد ، وذلك فيما عدا "الأمير فيصل" (اليك جينيس) الذى روعى فى رسم شخصيته أن تكون متعددة الأبعاد .

أما "لورنس" (بيتر اوتول) فقد تصوره المخرج "دافيدلين" فى صعوده وسقوطه وكأنه بطل من أبطال الأساطير .

وطبعاً لم يعرض بالذكر لواقعة معروفة الآن ، وهى انه كان من عتاة جواسيس الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس .

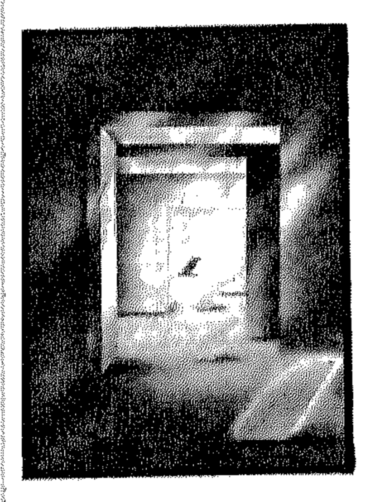
وإن كان ثمة ذكر هامش فى الفيلم لشذوذه الجنسى ومعاناته من ألوان من السادية والمازوكية يشيب لهولها الولدان .

برلين

عودة إلى الجذور

مرت السينما الألمانية بفترات صعود وهبوط مروعة خلال العشرينيات والثلاثينيات وجلب ابان عقد الخمسينيات ، مدرسة ظفرت بشهرة عالمية فاقت كل تصور .. رينر فيرنر فاسبندر ، فيم فندرز ، فيرنر هرتزوج ، الكسندر كلوج ابان السبعينيات .

اعقبها رحيل معظم اصحاب الأسماء اللامعة





بحثا عن عمل خارج البلاد ..

والآن يبدو أن موجة الصعود قد بدأت تعلو من جديد ، بفضل "أرض الوطن" لصاحبه "ادجار رايتز" وهو فيلم يمتد عرضه ساعات تكاد تصل إلى أكثر من نصف يوم .

ولا غرابة فى هذا ، فهو يعرض لحياة أسرة فى إقليم السان قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها ثم بعد انتهائها وحتى يومنا هذا .

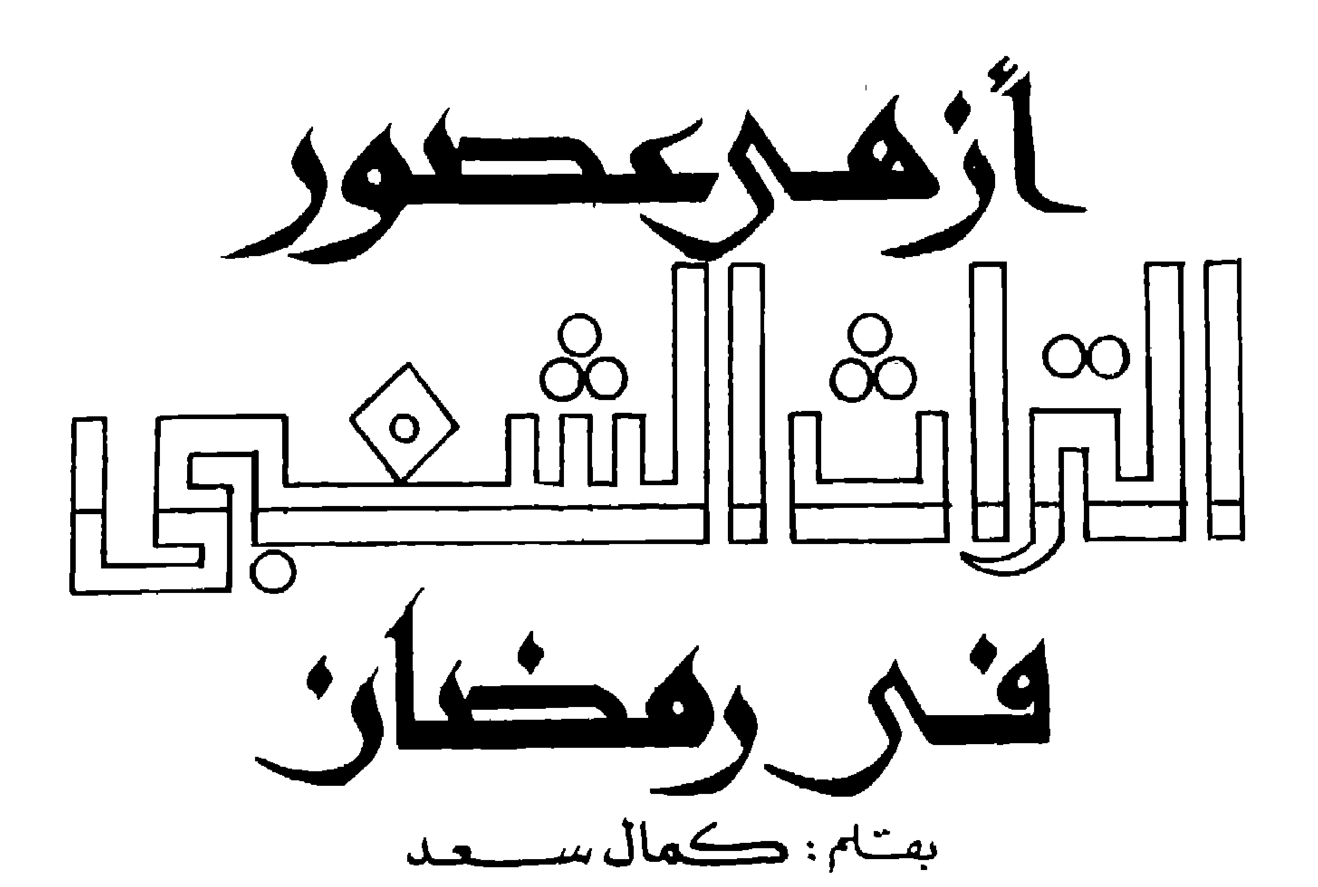
ولقد عرض فى مهرجان برلين السينمائى الأخير عدد من أفلام المخرجين الألمان المنتمين للجيل الجديد .

وهى فى مجموعها تتناول تاريخ ألمانيا المأساوى ابان النصف الأول من القرن العشرين متشابكاً مع رغبة عارمة فى العودة إلى وطن تمتد جذوره فى الأرض الأسرة ، التقاليد ..

وكل ذلك تحت تأثير فيلم "أرض الوطن" الذى شق طريقه إلى وعى الألمان الوطنى .

وقد يكون فيلما "مسيرة والار الأخيرة" لكريستيان فاجنر و"لبن الخريف" لجوزيف فيلسماير أكثر أفلام ذلك الجيل نجاحاً فى مجال استغلال تقاليد الزراعة والريف .

ولا ريب أن هذا التطور اليسير لابد أن يؤدى بالسينما الألمانية إلى تحول خطير .



ظل الاحتفال بشهر رمضان له مذاق خاص فى مصر على مر العصور ، الا أن ازهى تلك الفترات واكثرها ابهة وجلالا تلك التى جرت في عصر الفاطميين : فقد اعتبروا شهر رمضان هو موسم الكرم والبذل والعطاء ، ولذلك خرج الخليفة من اجله فى مواكب مهيبة لاداء الصلاة فى ايام الجمع الثلاث الاخيرة من رمضان ، مرة فى جامع الحاكم والاخرى فى الجامع الازهر والثالثة فى جامع عمرو ، وكان الهدف من زيارة المساجد الثلاثة – بالطبع – فى نهاية هذا الشهر المبارك هو اظهار الخليفة بمظهر الامام الدينى للمسلمين ، فكنت ترى الخليفة فى ذلك اليوم متحليا بالملابس الغالية اثناء خروجه من باب الذهب احد ابواب القصر الفاطمى الكبير، بينما يحف به الوزراء بأزيائهم المزركشة وخيولهم المطهمة، وفى ايديهم الرماح والاسلحة المكفتة بالذهب والفضة وكذلك الاعلام الحريرية ذات الالوان الخاطفة للابصار !

الاحياء الشعبية اكثر الا[illegible] ابتهاجا برمضان

ازهى عصور التراث الشعبى

وامام موكب الخليفة الفاطمى كان يتقدم الجنود الذين تصاحبهم نغمات الموسيقى ، بينما يتبارى التجار فى تزيين حوانيتهم ويتفننون فى زخرفتها من اجل لفت انظار الحاكم اثناء سير موكبه الذى يخترق بين القصرين ويخرج من باب الفتوح ليدخل باب النصر عائدا الى باب الذهب فى قصره ، الذى ما ان يصله حتى يغير ملابسه ويأمر بتوزيع الدنانير والهدايا ، ليتوجه عقب منح الصدقات للفقراء والمساكين لزيارة قبور ابائه ، ويعود مرة أخرى الى قصره ليكتب للولاة والنـواب بحلول شهر رمضان !

وقد ظلت عادة هذا الموكب وغيرها سائدة طوال حكم الفاطميين ، فكان مثـلا الخليفة الفاطمى العزيز بالله هو اول من اقام مائدة فى شهر رمضان ليفطر عليها اهل الجامع العتيق « عمرو بن العاص » ، كما اقام موائد أخرى فى الجامع الازهر وكان يخرج من مطبخ قصره فى شهر رمضان ـ وحده ـ ١١٠٠ قدر من جميع الوان الطعام .

الكنافة والغالى بنت السلطان

ولقد جند الفاطميون كل امكانيات الدولة الدينية والثقافية لابراز مظاهر الاحتفالات وفخامتها ، حتى يشعر كل المسلمين فى كافة أنحاء المعمورة بمدى اهتمام الخليفة بالمناسبات الدينية وتقديرها أعظم تقدير ، ولذلك شجعوا الشعراء على التنافس فى التعبير عن مشاعرهم نحو مباهج الشهر ومدى تأثرهم بمظاهر الحفاوة البالغة بحلول شهر التقوى والايمان .

بل وسرعان ما عمموا الفانوس كعادة ملاصقة لرمضان ، لمجرد أن المعز لدين الله الفاطمى عندما دخل الى القاهرة يوم ٥ رمضان عام (٣٥٨ هـ) خرج الاهالى لاستقباله وهم يحملون المشاعل والفوانيس ويرددون الاناشيد ، فقد تسابق الصناع عقب ذلك لاعداده بصورة هندسية بديعة وعلقوه على على منارات المساجد لتظل مضاءة حتى السحور كما حمله الاطفال فرحين بحلول الشهر المبارك ، ومنذ ذلك الوقت أصبح عادة سنوية لا نطيق الاحتفال برمضان دون رؤيتها طوال الشهر ، لدرجة أن منطقة « تحت الربع » بالقاهرة تصنع فى شهر رمضان ما يقرب من ثلاثة ملايين فانوس مختلف الاشكال والاحجام والالوان !

ولعل أبرز الشعراء الفاطميين الذين وصفوا فانوس رمضان الشاعر « أبو العز مظفر الاعمى » الذى قال :

ارى علما للناس فى الصوم ينصب
على جامع ابن العاص اعلاه كوكب
وما هو فى الظلماء الا كانه
على رمح زنجى سنان مذهب
ومن عجب ان الثريا سماؤها
مع الليل تلهى كل من يترقب
فطورا تحييه بباقة نرجس
وطورا يحييها بكاس تلهب .
وما الليل الا قانص لغزالة
بفانوس نار نحوها يتطلب

لم أر صيادا علي البعد قبله
اذا قربت منه الغزالة يهرب

ولا يكتفى الفاطميون بما امخلوه من عادات على هذا الشهر ، ولكنهم يتسابقون على احياء كافة العادات الاخرى المصاحبة للشهر المبارك والتى توارثها المصريون ابا عن جد على مر العصور ، وفى مقدمة تلك العادات افران اعداد الكنافة والقطائف التى نراها متناثرة فى كافة الاحياء الشعبية طوال رمضان ، تحيط بها الاضواء والزينات التى تبهج الانظار ، ويقال أن تلك العادات لم تعرفها الا عندما أعدت خصيصا لاول مرة لسليمان ابن عبد الملك ليتسحر بها فى المائة عام الثانية من الهجرة ، لنتوارثها عقب ذلك ونولع بها ويخلدها الشعراء فى اشعارهم بمن فيهم « أبو الحسن يحيى الجزار » الذى مال لعابه عندما رأى صوانيها فقال :

ومالى أرى وجه الكنافة مغضبا
ولولا رضاها لم ارد رمضانها
عجبت لها فى هجرها كيف اظهرت
على جفاء صد عني جفاءها
ترى اتهمتني بالقطائف فاغتدت
تصد ، اعتقاداً ان قلبي خانها

ولم تكن الاغنية الرمضانية معروفة قبل ذلك العصر ، حتى سمعنا الاطفال يطوفون بفوانيسهم فى الاحياء والازقة وهم يغنون « احوى أحوى .. اياها .. بنت السلطان .. اياها .. لابسة قفطان .. اياها .. بجلاليبه .. اياها .. ياللا نجيبه .. اياها » وظلت الاغنية سائدة الى أن انتشر الى جوارها اغانى الملاحم الشعبية وقصص البطولة والمواويل فى أيام المماليك والعصر التركى ، وكان الرواة ينشدون تلك الملاحم فى مقاهى حى الحسين ، مدخلين عليها بعض العظات التى تذكر باهمية الصيام مثل « ياللى عليك الفرض يوم العرض مش سائل بكره عليك تنسئل والرب لك سائل .. احسب حساب وقفتك وانت ذليل سائل .. وخجلتك فى القيامة بين أيدين الله .. من العرق فى غرق والدمع لك سائل » .

وفى عصرنا الحديث سرعان ما انتشرت الاغنية التى لحنها أحمد الشريف منذ خمسين عاما وغناها أحمد عبد القادر ، وكانت تقول :

وحوى وحوى اياحه
رحت يا شعبان اياحه
وحوينا الدار

السقا : من مظاهر التراث الشعبي



أزهى عصور التراث الشعبي

جيت يا رمضان
وحوى يا وحوى
هل هلاله والبدر اهو بان
شهر مبارك ويقاله زمان
ما احلى نهاره بالخير مليان
جيت بجماله سقفوا يا عيال

ومنذ ذلك الوقت انتشرت الاغنية الرمضانية ، واصبح يتبارى المؤلفون والملحنون والمغنون لتحويل ايام رمضان الى ايام بهجة وعيد وفرحة تملأ كل قلوب المسلمين ٠

حقائق واشعار ونوادر

وتجمع كتب التراث على ان القاضي ابن عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الذى تولى قضاء مصر عام (١٥٥ هـ) هو اول قاض ينظر الهلال فى شهر رمضان ، وظل القضاة من بعده يخرجون مع الناس الى جامع محمود بسفح المقطم لرؤية الهلال فى رجب وشعبان احتياطيا لشهر رمضان ، ومع استمرار خروج القضاة فى هذه المناسبة اعدت لهم دكة خاصة عرفت بدكة القضاة على مكان بالجبل يرتفع عن المساجد ، الى ان بنى مكانها مسجد فى العصر الفاطمى ٠

واستمر الاهتمام بتلك العادة الى ان وصلت الى ذروة الاحتفال بها فى عصر المماليك ، عندما كان يخرج قاضى القضاة ومعه اربعة قضاة وشهود يحملون الشموع لرؤية الهلال ، وكان يشترك معهم محتسب القاهرة وتجارها ورؤساء الطوائف والصناعات وبقيه فئات الشعب ، وكانوا يشهدون الهلال من منارة مدرسة المنصور قلاوون بالنحاسين

ومما يروى عن شهر رمضان ــ ايضا ــ ان البخارى كان يقرأ طوال هذا الشهر فى الازهر ، وان الشعراء العرب المشهورين وبخاصة الاخطل وابن الرومى وابو نواس كان شهر رمضان يرهقهم فكانوا دائما فى اشعارهم يشيرون الى ذلك على استحياء ، الا ان اظرف هؤلاء الشعراء هو بشار بن برد الذى قال :

قل لشهر الصيام انحلت جسمى
ان ميقاتنا طلوع الهلال
اجهد الان كل جهدك فينا
سترى ما يكون فى شوال

ومن الحكايات التى تروى عن « اشعب » المشهور بالطمع انه دخل على احد الولاة فى اول ايام رمضان وطلب الافطار ، فجاءت المائدة وعليها « جدى » فنظر اليه اشعب نظرة تدل على انه يريد التهامه كله ، وعندئذ اراد الوالى ان ينتقم منه وان يحرمه من الطعام ، فقال له : اسمع يا اشعب ان اهل السجن سألونى ان ارسل اليهم من يصلى بهم فى شهر رمضان فامض اليهم وصل بهم واغنم ثوابهم، فقال اشعب بعد ان ادرك المؤامرة من حوله : ايها الامير تعفينى من هذا نظير ان احلف لك بالطلاق انى لا اكل لحم الجدى ما عشت ابدا ٠٠ وضحك الوالى ، واعفاه ، وجعله يلتهم ما يريد من الطعام !

مهرجانات الحملة الفرنسية

اما عن الاحتفالات برمضان خلال فترة الحملة الفرنسية ، فقد ارتبطت فى مجملها بهدف سياسى يرمى الى

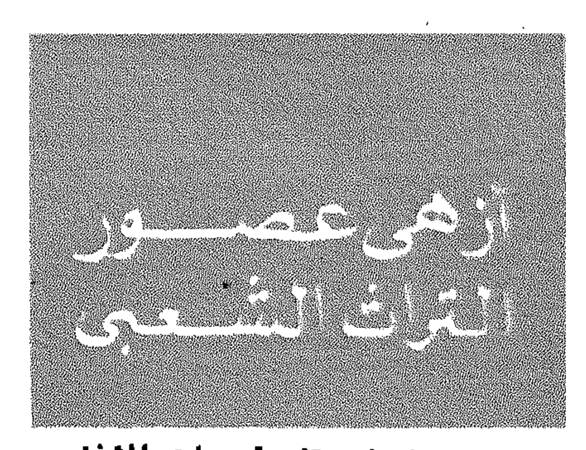
التقريب بين المستعمر والشعب المصرى من خلال المعتقدات والعادات والتقاليد ، خاصه بعد أن تأكد الفرنسيون بأن جهودهم العلمية لم تستطع أن تقلل من موقف المصريين العدائي من الحملة الفرنسيه ، ولهذا تظاهر بونابرت بانه مسلم من قمة رأسه حتى اخمص قدميه ، فتظاهر باعتناق الاسلام ، وارتدى العمامة والجبة والقفطان ، وتردد على بيوت علماء الازهر ليجلس القرفصاء ويأكل الطعام معهم بيديه تماما كما يفعلون ، وهذا اضافة الى مشاركته للمصريين فى احتفالاتهم الدينيه بما فيها الاحتفالات بالشهر الكريم .

ولكن هذه « البهلوانيه السياسية » لم تستطع أن تصل الى قلوب المصريين الذين أدركوابفطرتهم أنهم لايستطيعون بأى حال من الاحوال أن يسلموا بلادهم لمستعمر مهما حاول أن يحيط نفسه بجبل من النوايا الطيبه !

ويذكر الجبرتى احدى صور الاحتفالات بشهر رمضان أيام الحملة الفرنسيه ، عندما جاء المحتسب حسن أغا محرم ليعرض على نابليون ما تعودوا عليه من مهرجانات أثناء الركوب المعتاد لاثبات هلال رمضان ، ولان الاحتفال عادة قديمة فقد تحمس له نابليون ، وطلب منه أن يضفى اهتماما كبيرا بهذا الاحتفال ، ولهذا احتفل المحتسب بالمناسبة احتفالا زائدا وعملوليمه عظيمة فى بيته أربعة أيام ، فدعا فى أول أيامها رجال العلم والفقهاء والمشايخ والوجهاء وغيرهم، وفى ثانى يوم التجار والاعيان ، وفى اليوم الثالث والرابع دعا أكابر الفرنساوية وأصاغرهم ، وفى اليوم الخامس ركب بالابهه الكامله زيادة عن العادة وأمامه مشايخ الحرف بالطبول والمزامير ، وشق القاهرةعلى الطريق المعتاد ، فمر على القائمقام وأمير الحج والسارى عسكر بونابرته، ثم رجع بعد الغروب الى بيت القاضى فى بين القصرين فاثبتوا هلال رمضان ، ليركب من هناك حصانه وأمامه المشاعل العديدة والطبول والزمور والنقاقير والمناديز بالصوم ، بينما خلفه ـ كما يقول الجبرتى بالضبط ـ عدة خياله عاريه رءوسهم وشعورهم مرخيه على أقفيتهم بشكل بشع مهول !

وفى كتاب « وصف مصر » الذى أعد عقب فشل الحملة الفرنسية على مصر ، نرى « ج. دى. شابرول » مؤلف الدراسة الخاصه « عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين » يتجرد من النفاق السياسى لرجال الحملة الفرنسية ويخلع ثوب الممثل الذى ارتدته لتحوز على اعجاب المصريين ، لنراه على حقيقته ، بنفس النظرة الغربية التى تكره كل ما يمت للاسلام بصلة ، وتعمد دائما الى التركيز على التقاليد الغريبة الدخيلة التى تشوه ديننا بكافة السبل ، فشهر رمضان فى رأيه ليس فريضه لتربيه النفوس وتطهيرها ولكنه لا يخرج عن صيام وكسل فى النهار وطعام ومهرجانات وانغماس فى المسرات وضروب اللهو بالليل !

لقد بحث عن الحالات الشاذة فى مدينه القاهرة طوال هذا الشهر ، واعتبرها مقياسا لكل تقاليد المدينة ، فالمصريون الذين يعانون الحرمان من الطعام والشراب ابتداء من شروق الشمس حتى غروبها ، سرعان ما ينهضون على عجل ويهرعون الى مكان مرتفع بينما يتجمع النساء فى شرفات المنازل ليرين حركه اختفاء الشمس



التي باحتجابها ترتفع أصوات المؤذنين من كل المساجد ويتفرق الناس سواء الى المقاهي أو البيوت أو المساجد أو الميادين العامة لياكلوا بشراهة ولتبدأ احتفالاتهم والعابهم عقب الطعام ، ولتسيطر الخلاعة على تلك الاحتفالات وخاصة المقامة في الحمامات او في الميادين العامه التي يقدم فيها بعض الحواة والمشعوذين مشاهد خارجه تنتهي بلوحات بالغة الانحطاط والفساد ، فالممثلون الرئيسيون في هذه اللوحات هم على الدوام شيخ وطفل !

ومادام هناك شرق فلابد أن يركز المؤلف على « الحريم » حتى في شهر رمضان ، فمباهج رمضان في رأيه تصل الى معاقل الحريم ، حيث يسمح للسيدات باستدعاء العوالم وبعض الموسيقيين ، بينما يجلس الزوج باسترخاء ولامبالاة على أريكته ومبسم الارجيلة في فمه والى جانبه أحب زوجاته ليستمتع معها ومع الحاضرين من العبيد والجواري والاقارب باغنيات العوالم ودقات الموسيقى وحركات الراقصة التي تتلوى في مجون !

● السحراتي وصواني الطعام

وفي مطلع القرن العشرين جاء الى مصر مرتين المستشرق الانجليزي ادوارد وليم لين ، وتكون حصيلة تلك الزياره كتابه المشهور « المصريون المحدثون — عاداتهم وشمائلهم — ويتحدث في هذا الكتاب عن أهم الاعياد الدينيه ، فيتطرق بالطبع الى الاحتفال بهلال رمضان أو ليلة الرؤية ، حيث يذهب نفر من الناس عصر اليوم السابق للمناسبة ليقضوا بضع ليال في الصحراء لرؤية الهلال فاذا تعذرت رؤيته بسبب السحب بدأ الصوم عندما يتم شعبان ثلاثين يوما، وفي مساء يوم الرؤية يسير من القلعه الى مجلس القاضي موكب المحتسب ومشايخ الحرف المتعددة : الطحانين والخبازين والجزارين والبدالين وباعه الفاكهه وغيرهم مع الفرق الموسيقيه ولفيف من الفقراء والجنود ، وينتظرون المبشرين برؤية الهلال ، ليطوفوا عقب الرؤيه مهللين « يا أمة خير الانام ·· صيام صيام » ·

ويصف ادوارد لين مظاهر الاحتفال بالشهر المبارك باضاءةالمساجد وتعليق المصابيح عند مداخلها وفوق شرفات المآذن ·

أما الناس فاغلبهم يسيرون في الشوارع حاملين عصا أو مسبحة ، وتراهم عابسين في حديثهم عموما أثناء النهار عندما يصومون وفي الليل بعد الافطار يمرحون ويلبسون بطريقة غير عادية !

واذا كان كبار الاتراك في القاهرة يفضلون الذهاب الى مسجد الحسين للصلاة والاسترخاء وليعرض بعض تجارهم على الناس في ساحة الميضأة مجموعة من البضائع الجذابه ، فان عامه الناس تزدحم بهم المقاهي بينما تجار الحوانيت يجلسون أمامدكاكينهم وهم يتلون القرآن والادعيه أو يوزعون الخبز على الفقراء ·

ويتحدث عن عادة الافطار وأنواع الطعام التي تأتي في صحاف عديدة



فانوس رمضان : من ابرز المظاهر الشعبية فى مصر

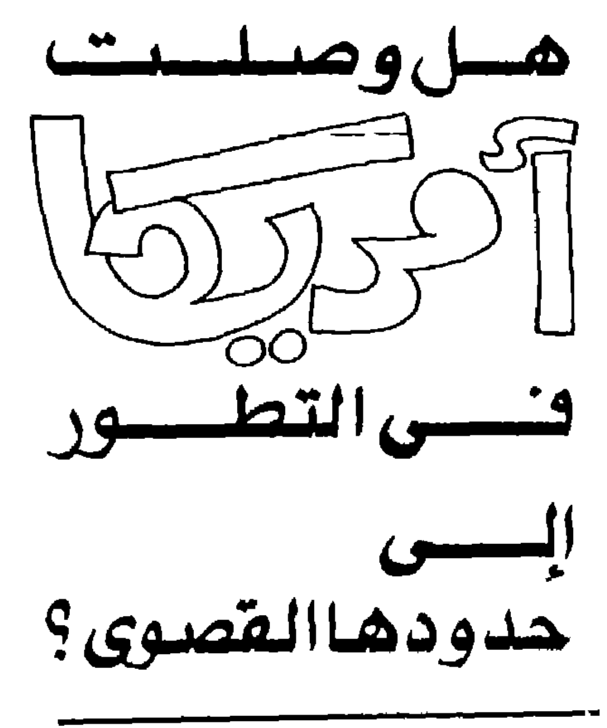
تحوى أنواعا مختلفه من الفـــاكهة المجففه وقلل من الماء المحلى بالسكر ، ليبدأ بعدها تناول طعام وافر من اللحم وغيره ، ثم يتحدث عن كيفية انقلاب الليل نهار فى كافة انحـــاء المدينة ، وبخاصة عند الاغنياء الذين ينـــام اكثرهم معظم النهار ، ويقيم بعضهم ذكرا فى منازلهم كل ليلة من ليـالى الشهر المبارك !

اما المسحراتى فهو الجوال بعـــد صلاة العشاء لايقاظ الناس للسحور وفى شماله طبلة صـــغيرة تسـمى « باز » وبيمينه عصا صـــغيرة أو سيرا يضربه مجددا ايقاع الطبله ، ويصحبه غلام يحمل قنديلين فى اطار من الجريد ، ويقفان امام منزل كـل مسلم غير فقير ، وفى كل مرة يضرب المسحر الطبلة ثلاث مرات منشـــدا بعبـــارات مثل « لا اله الا الله » « محمد رسول الله » « أسعد ليـاليك يا فلان ... » « الله يحفظك يا كريم كل عام » الى اخر العبـــارات التى يتناول على اثرها من منزل الطبقـة المتوسطة قرشين أو ثلاث أو أربع عند انتهاء الشهر وحلول العيد الصغير ، بينما يدفع له عليـــه القوم أضعاف أضعاف هذا المبلغ !

ويقـــول المستشرق الانجليزى أن بعض أتقياء المسلمين يقضون العشرة أيام الاخيرة من رمضان ولياليها فى مسجد الحسين أو مســـجد السيدة زينب ، ليظهر الناس بعـــد انتهـاء الصيام وفى حللهم الجديدة ويجتمع الرجال فى المساجد ويتعانق الاصدقاء مهنئين بعضهم البعض بحلول العيـد الصغير .

وهكذا نرى أنه كلما جاء شـــهر رمضان المبارك ، كلما جعلنا نتذكـر الايام الخوالى ، ونعود الى الاحتفاء به فى كل زمان ومكان .





بقلم : د. السيد أمين شلبي

رؤيتان فرنسيتان لأمريكا يفصل بينهما مائة وخمسون عاما . ورغم اتفاقهما فى الهدف وهو الدراسة النقدية للحياة الأمريكية والمجتمع الأمريكى ومؤسساته ، إلا انهما يختلفان فى مراحل التطور التى يدرسانها ، وايضا فى المنظور الاجتماعي والوضع الطبقي لكل منهما . فصاحب الرؤية الأولى هو الكسيس دى توكفيل ALEXIS DE ToCQUEVILLE وهو احد ابناء الارستقراطية الفرنسية . قام برحلته الأمريكية عام ١٨٣١ حينما جذبته هذه التجربة التاريخية التى تاسست فى العالم الجديد .

اما صاحب الرؤية الثانية فهو عالم اجتماع فرنسى اخر هو مايكل كروزيير MICHEL CROZIER بدا رحلاته الى الولايات المتحدة فى نهاية الاربعينيات واستمرت على فترات متقطعة حتى اوائل الثمانينات اتاحت له الدراسة المقارنة لمراحل التطور الأمريكى وما واجه نظاها من متاعب وتحديات . واذا كان الكسيس دى توكفيل قد درس النظام الأمريكي من موقع الارستقراطية الفرنسية ، فان مايكل كروزيير يعتبر نفسه ممثلا لهذا الفريق النادر من اليسار الفرنسى الذى يحب أمريكا !

● دى توكفيـــــــــل والديمقراطية فـى أمريكا

وصل توكفيل إلى الولايات المتحدة فى مايو عام ١٨٣١ ثم عاد إلى وطنه فرنسا فى فبراير ١٨٣٢ . ورغم قصر فترة اقامته التى بلغت اقل من عام فان خلاصة هذه المرحلة التى صدرت فى كتابه "الديمقراطية فى أمريكا" قدمت لقرائه ودارسى الشئون الأمريكية وصفا ضافيا تحليليا وتنبؤيا فيما يتعلق بكل جانب من جوانب الحياة الأمريكية . ورغم مضى أكثر من مائة وخمسين عاما على صدوره ـ حيث صدرت طبعته الأولى عام ١٨٣٥ ـ فانه يعتبر الآن من أهم ، إن لم يكن اهم كتاب كتب عن النظام الأمريكى . ونستطيع أن ندرك عمق تأثيره ومدى الاحاطة التى تميز بها من أنه ما من تطور سياسى أو اجتماعى أو دستورى يمر بالولايات المتحدة اليوم الا ويستشهد المحللون بما ورد فى الكتاب من وصف وتحليل وتنبؤ ، بل أنه فى فترات انتخابات الرئاسة الأمريكية نجد أن المرشحين لها يضمنون بياناتهم وخطبهم فقرات من الكتاب .

ويشمل الجزء الأول من هذا العمل الكلاسيكى النقدى عرضا مختصرا للأبعاد المادية للعالم الجديد ولأصوله الأنجلوسكسونية ، ثم لأكثر خصائصه جذبا للانتباه ألا وهى النظام الديمقراطى وما يعنيه من سيادة مطلقة للشعب ، وهو ما ينتهى منه إلى الفكرة المحورية لكتابه والتى يناقش من خلالها تفاصيل الحياة الأمريكية الا وهى ما يسميه باستبداد أو طغيان الأغلبية .

ويعالج الجزء الثانى من الكتاب أثر الديمقراطية أو حكم الاغلبية على هيكل



لقطة للبيت الابيض

وديناميكية المجتمع الأمريكى ، وعلى الطريقة التى يفكر بها الأمـريكيون ويشعرون ويتصرفون ، وعلى جوهـر الحريات الأمريكية ، فى هذا المجال يقدم توكوفيل فى الواقع أكثر اضافاته التنبؤية الفريدة للفكر المعاصر ، ونظراته النافذة للقيم ومبادىء السلوك الأمريكى ، وفى هذا يسجل توكوفيل كيف أن الأمريكيين يخضعون اهتمامهم بالحريات الفردية لاحترامهم وربما خوفهم من الأغلبية أو ما يطلق عليه توكوفيل "الصورة المهيبة للشعب" . ويلاحظ انه بدلا من أن تسير المساواة الديمقراطية جنبا الى جنب مع

أمــريـكـا

الحرية الا انهما - وباسم الأغلبية المقدسة - "قد مارسا استبدادا على العقول يفوق أى استبداد ظهر فى التاريخ" ، وذهب توكوفيل فى هذا الى حد القول " انى لا أعرف بلدا فيه قدر صغير من استقلال الفكر والحرية الشخصية للنقاش كما فى أمريكا" !

غير أن توكوفيل لم يكن يقصد بذلك ادانة الديمقراطية الأمريكية ، ولكن كان تحليله أساسا ينصب ، على اكتشاف مواطن الضعف والقوة فيهما .

● حب الثروة الحاد

ومن ملاحظات توكوفيل الحكيمة ما أورده عن اتجاهات الأمريكيين ونزعاتهم الاقتصادية ، وحول حبهم الحاد للثروة ، وتفضيلهم للتجارة والصناعة ، وقدراتهم وامكاناتهم على النجاح المادى . ويفسر ما حققه الأمريكيون فى هذا بطموحهم البالغ ، وتكرسهم ، وتركيزهم على النشاط القائم على الربح ، وفى هذا تنبأ بظهور ارستقراطية صناعية لا ترحم RUTHLESS ومع هذا فقد تنبأ بملامح الاقتصاد الأمريكى الذى لم يستطع من جاءوا بعده من النقاد الماركسيين أن يستوعبوه ، فقد اعتبر انه "فى الوقت الذى تعتبر فيه الارستقراطية الانتاجية التى تنمو أمام أعيننا واحدة من أمس الارستقراطيات التى ظهرت فى العالم .. الا أنها فى نفس الوقت أقلها خطرا " ويفسر توكوفيل هذا بأن ثروة هذه الارستقراطية الانتاجية ليست مقصورة عليها وأن نجاحها ليس مصحوبا بانتشار الفقر الزائد ، أو باستقطاب المجتمع بين الأغنياء جدا والفقراء جدا .

وفى فصل لامع يحلل توكوفيل ويتنبأ بامكانيات التطور السلمى داخل النظام الأمريكى بشكل يستبعد التطورات العنيفة والثورات ويعتبر أن الثورات انما تقوم لتنظيم المظاهر الصارخة لعدم التكافؤ ، ورغم أنه فى أمريكا الديمقراطية التى تقوم على المشروع الفردى وحب الثروة سوف تنتج طبقات تمتلك ثروات ضخمة ، فإن الفقراء جدا سيكونون ايضا قليلى العدد ، وسوف تتميز الأغلبية بعدم الغنى وعدم الفقر بحيث سيكون فى يدها الميزان الذى سيقيم التوازن الاجتماعى ، فالثروات ستكون موزعة بشكل حسن فى أمريكا وليست مركزة ، كما سيتميز الهيكل الطبقى بالمرونة fluditiy والتداخل لا بالجمود والثبات الطبقى stratification .

ويواصل توكوفيل تنبؤه بالوضع الطبقى والعلاقات الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى بقوله أن هذه الأغلبية سوف تمتلك "الثروة الكافية التى تجعلها حريصة على المحافظة على النظام ، وعدم اثارة الضغينة ، واستقرار السلام الاجتماعى . وابناء هذه الأغلبية هم الأعداء الطبيعيون للعنف" .

كذلك توقف توكوفيل فى مسحه للحياة الأمريكية عند ولع الشخصية الأمريكية بالعلوم العملية لا النظرية واهتمامها بالعمل ، لا فى بلوغه حد الكمال ، وانما فيما يحققه من فائدة ونفع سريعين ، وهى فى هذا تفضل المفيد على الجميل ، وان تطلبت أن يكون الجميل مفيدا . أما ما

يميز الشخصية الأمريكية من طموح وقلق وعدم استقرار فهو ما "يجعل حياة الأمريكيين كلها تمر مثل لعبة الحظ ، أو كأزمة ثورية أو معركة" فذلك الذى كرس قلبه الى السعى الى الرفاهية المادية فقط "هو دائما متسرع ، وفى عجلة من أمره ، وليس لديه الا وقت محدود لكى يحقق ما يريد ويستوعب ويستمتع" .

ومن الفوارق الدقيقة التى سجلها توكوفيل فى الوضع الأمريكى هى الحدود التى تتوقف عندها الحرية الكاملة . فمثل هذه الحرية قائمة طالما كانت الاغلبية آخذة فى تقرير الطريق الذى ستسلكه ، ولكن ما ان تحزم الأغلبية امرها ، فعندئذ يجب على كل فكر معارض أن يتوقف ، وان ينبذ كل خلاف ، ولا يتم هذا بفعل ارهاب او خوف من عقاب ، وانما خوفا من ألم لا يحتمل وهو أن يبدو المرء منبوذا من المجتمع أو معزولا عن اقرانه ، لذلك فانه مع الفردية الملحوظة فى المجتمع الأمريكى ، فان ثمة ضربا من التوافق بل ربما التوحد والتشابه الذى يبلغ حد الرتابة"

● عوامل توحيد

ويتطرق توكوفيل من هذا الى تحليل الديمقراطية الحديثة . فيستخلص ان سعى الناس فى الأصل الى الحرية كان لكسر اغلال عدم المساواة التى فرضتها الملكيات والارستقراطيات فى الماضى ، الا أنه ما ان أصبحت ظروف الناس متشابهة وتحققت لهم المساواة النظرية والعملية ، فان أهمية المجتمع واقداره قد زادت عن أهمية الفرد ، وأدى هذا الى انه فى مجتمع الديمقراطية القائم على المساواة اصبح الناس معرضين لأن "يفقدوا فى الزحام" بين اقرانهم ، ويتناقص الاحترام لحرياتهم الشخصية وفرديتهم ، ويصبحون غير مبالين بالتعبير الحر عن الفكر الفردى أو بأذواق أو رغبات الاخرين . وهكذا تتحول الديمقراطية والمساواة الى عوامل توحيد ، ويصبح من المستحيل على رجل واحد أو بضع رجال قهر الكثرة ، وفى نفس الوقت يصبح من المستحيل ايضا على فرد واحد أن يتحرر من قهر الأغلبية ، ومن هنا يصل توكوفيل الى فكرته المحورية والتى مفادها أن الأغلبية الديمقراطية يمكن أن تصبح أكثر اشكال الاستبداد المطلق .

ويوجه توكوفيل نظرة فاحصة للحياة السياسية الأمريكية والقوى التى تحكمها ، وتكوين الرأى العام فيها والدور الحاسم الذى تلعبه الصحافة . فيلاحظ أنه اذا كانت الحياة السياسية الأمريكية تتميز بالنشاط بل والاثارة ، فإنها نادرا ما تتأثر بالمشاعر العميقة التى لا تثور الا حين تتعرض المصالح المادية للضرر ، ويكفى القاء نظرة على جريدة أمريكية وأخرى فرنسية لكى يتضح الفارق فى هذا الشأن بين الأمتين . ففى فرنسا نجد أن المساحة المخصصة للاعلانات التجارية محدودة جدا فى الوقت الذى يخصص الجزء الرئيسى من الجريدة لمناقشة سياسات وأحداث اليوم ، أما فى أمريكا فسنجد أن ثلاثة أرباع الجريدة تمتلىء بالاعلانات ولا يبقى للمناقشات الجادة مثل تلك التى تقدمها صحافة فرنسا لقرائها الا ركن صغير . ومن ناحية أخرى نجد أن الروح الطبقية للصحفيين الفرنسيين واضحة فى مناقشاتهم لمصالح الدولة

أمـــريـكـا

الكبرى ، أما الصحفيون الأمريكيون فهم يخاطبون بشكل مكشوف فج عواطف قرائهم وغرائزهم ، وهم فى هذا يتخلون عن المبادىء لكى يهاجموا شخصيات الأفراد ويتابعون حياتهم الخاصة والكشف عن ضعفهم ورزائلهم .

غير أن هذه الجوانب السلبية فى الصحافة الأمريكية لا تجعل توكوفيل يغفل عن النفوذ والتاثير الضخم الذى تمارسه على الحياة السياسية الأمريكية . وينتهى الامر بالراى العام الى الاستسلام لهذا التاثير . وهكذا ، فان كل صحيفة منفردة قد لا تمارس الا نفوذا صغيرا ، اما قوة الصحافة مجتمعة ، فهى تتلو فقط قوة الشعب .

على انه على الرغم من نظرات توكوفيل النافذة فى جوانب الحياة الأمريكية ، فإن ثمة موضعين مال فيهما الى التعميم ، وفشل فى ادراك قوى التغيير التى تحدث فيهما . أما الموضع الاول فهو رؤيته لقوة وسلطة الرئاسة الأمريكية حيث اعتبرها تقريبا بلا وظيفة وبلا سلطة .... وقد اصدر توكوفيل هذا الحكم فى وقت كان فيه رئيس امريكى هو اندرو جاكسون يتحدى المحكمة العليا ، ويفرض بقوة ارادته على الكونجرس ، ويؤسس نمطا من الرئاسة القوية التى سيتبعها بعده رؤساء مثل لينكولن ، وتيودور روزفلت ، وودرو ولسون وفرانكلين روزفلت . أما المجال الاخر الذى فشل توكوفيل فى ادراك التغييرات التى تحدث فيه فهو فى تقديره لسلطة الولايات حيث بالغ فى تقديرها واعتبرها نقطة ضعف كامنة فى النظام الاتحادى . غير ان ما يشفع لتوكوفيل ان زيارته لأمركيا قد جاءت فى وقت توافق مع بروز النزعة القطاعية وظهور صرخة الجنوب عن "حقوق" الولايات ، كما جاءت فى وقت كان العداء بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب مريرا بوجه خاص ، وعلنيا . ومع هذا فإن النقاد يأخذون على توكوفيل انه قد فاته الانتباه الى قوى التماسك التى سوف تربط بين المائتى مليون امريكى فى القارة باكملها ومن هذه القوى الثورة الصناعية ، ونظام المصنع وانتشاره الواسع ، وشبكة المواصلات والسكك الحديدية المنتشرة عبر القارة ، والطرق التى لا نهاية لها ، بل ان نظام الغذاء والمسكن والأفكار كانت من عناصر التوحيد التى ربطت ووحدت بين الأمريكيين .

والواقع أن دراسة توكوفيل النقدية والتنبؤية لم تقتصر فحسب على جوانب امريكا الداخلية وانما ايضا لمستقبل الوضع الدولى للولايات المتحدة وكيف ستتقاسم المكانة الدولية مع امة قوية أخرى هى روسيا . ففى الوقت الذى وضع فيه توكوفيل كتابه ، وحيث لم تكن أوضاع امريكا أو روسيا تنبىء عن ما سوف تتطوران اليه بعد فترة من الزمن كاقوى قوتين على المسرح الدولى ، يكتب توكوفيل :

"هناك فى الوقت الراهن أمتان عظيمتان فى العالم ، بدءا من نقاط

مختلفة ، ولكنهما يتجهان الى نفس الوجهة ، انى اشير الى الروس والأمريكيين ، فكلاهما قد نما دون ان يلحظهما احد بينما كان انتباه البشرية متجها الى وجهة اخرى ، وفجأة وضعا انفسهم فى مقدمة الصفوف بين الامم ، وعلم العالم عن وجودهما وعظمتهما فى وقت واحد تقريبا .

"وتبدو كل الأمم وقد وصلت تقريبا الى حدودهما الطبيعية ، ولم يعد امامهم فقط الا الاحتفاظ بقوتهم ، اما هاتان الامتان فهما مازالا فى مرحلة النمو . وبينما توقف كل الاخرين ، او استمرا فى التقدم بصعوبة بالغة ، فان كلا من روسيا وامريكا يتقدمان بسهولة ووضوح عبر طريق لا يمكن تصور حدوده ، ويناضل الأمريكى ضد عقبات وضعتها الطبيعة امامه ، اما خصوم الروس فهم الرجال . ويحارب الأول القفر والوحشية بينما يحارب الاخر المدنية بكل اسلحتها ، ولهذا فان مكاسب الأمريكى تتحقق عن طريق المحراث ، أما الروسى فان مكاسبه يحققها السيف ، ويطلق توكوفيل نبوءته العجيبة حول مستقبل ادوارهما فى الحياة الدولية " .. ورغم ان نقاط بدايتهم مختلفة ، وطريقهم ليس واحدا ، ومع هذا فان كلا منهم يبدو وكأن العناية الألهية قد اختارته لكى يقرر مصائر نصف البشرية" .

● مايكل كروزيير ومتاعب أمريكا

على عكس توكوفيل الذى زار الولايات المتحدة مرة واحدة ، تمت زيارات كروزيير على فترات ولمدد متباعدة نسبيا ، اعطته الفرصة لكى يسجل ويقارن بين مراحل وتطور الحياة والمجتمع والفرد الأمريكى ، ويراقب القيم والمثل والدوافع التى وجهت وحكمت اتجاه المجتمع الأمريكى فى كل مرحلة . ومثلما سجل توكوفيل تجربته فى كتابه عن "الديمقراطية فى أمريكا" سجل كروزيير تجربته فى مراحلها المختلفة فى كتابه "The trouble with America .

فقد بدا كروزيير اتصاله بالحياة الأمريكية عام ١٩٤٧ حيث قضى عاما ونصفا بناء على منحة دراسية لكى يضع كتابا عن اتحادات العمال الأمريكية ، ثم عاد اليها اعوام ١٩٥٦ ، ثم ١٩٦٠ ، فى هذه الفترات بدت له أمريكا كأرض سعيدة وبيت للتقدم والثقة ولا يملك الفرد الفكاك من جاذبيتها التى لا تقاوم . وكان ما خرج به من هذه الفترة هو الأمل الذى لا حدود له ، وهو أمل كان خاليا من العنف . وكانت قطاعات المجتمع التى يتصل بها يحكمها جميعا ويسيطر عليها نفس الحماس والكرم والمثل العليا الباحثة عن الكمال ، وفى هذه الفترة أيضا اكتشف وتعرف على أمريكا الاكاديمية وبجامعاتها المتميزة ومراكز البحث فيها والدور الذى تلعبه فى بناء التقدم ، والقيم والمعايير العلمية والاكاديمية الخالصة التى كانت تتوج حياتها حيث توفرت حرية البحث بلا شروط أو قيود الا شرط واحد هو احترام معايير العمل العلمى .

فى هذه الفترة ايضا شاهد كروزيير ظهور دور ومكانة ما سوف يعرف فى الحياة الفكرية والثقافية الأمريكية بمراكز البحث Think tanks والتى قامت على اساس اكتشاف عدد من المثقفين الذين

اثبتوا انفسهم وجمعهم معا وتحريرهم من القيود الادارية والاجتماعية بقدر الامكان ، والانفاق عليهم بوفرة ، وتركهم يفكرون بحرية وانتظار ما سوف يخرجون به ، وكان نتيجة هذا هو المكانة الفائقة التى اضفتها هذه المراكز على عملية التفكير ، مثل راندر Rand حيث بدأ هرمان خان حياته الاكاديمية واصبح "بالتفكير فيما لا يمكن التفكير فيه" اسطورة عصره .

وبعد فترة انقطاع عن امريكا امتدت من ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ، عاد كروزيير الى زيارتها فى ربيع عام ١٩٨٢ للتدريس فى جامعة هارفارد ، وهى الزيارة التى يقول انه واجه فيها تجربة مرعبة . فمع ان كل شىء كان كما هو فإن الوضع قد اختلف فى جانب خطير وهام ، وكان الذى اعتراه التغير هو معنى وهدف الوجود الأمريكى حيث تبدد الحلم ولم يخلف وراءه الا البلاغة المنمقة والخالية من اى مضمون ، وحيث انخفضت معنويات الاوساط الجامعية ، والشباب ، ودخلت اتحادات نقابات العمال مصيدة المفاوضات العقيمة ، وفقد صناع القرار سيطرتهم وادراكهم للواقع ، وبات الاقتصاد تحت رحمة الريح المتغيرة ، وعاقت البيروقراطية تقدم المؤسسات الكبيرة ، بل ان احصاءات مكتب الاحصاء لم يعد يعتمد عليها ، وبدت أمريكا وأكنها قد فقدت اتجاهها .

وفى أوساط هارفارد ـ أبرز المراكز الأكاديمية وجد الطلاب ـ على السطح ـ كما كانوا دائما ، منكبين على العمل متفتحين وأذكياء ، الا انه لمس فيهم الحزن وكأن المستقبل يبدو أمامهم موصدا لا يوصل الى شىء وربما كان فى الامكان اقامة نوع من الحوار معهم واقناعهم أن فى بلادهم لا يكفى فيها ان يكون المرء مثقفا ولكن هناك دائما مكان للقادر على أن يحارب . غير أن هذا لا يعنى أنهم سوف يستجيبون اليك تلقائيا ، فاذا اعتمدت على ذلك فلن تصل الى شىء ، فقد شبوا فى عالم رنى عليه القدم ومن ثم فقد فقدوا اقدامهم ، بل تعداه الى اللامبالاة وفتور الشعور . وربما الى الاحساس بالفشل وطعم السخرية . كما لاحظ كروزيير رد فعل معاكس من الشباب يتجه بهم الى تحطيم الرموز التى عبدتها أمريكا يوما والى ان يطأوا صورها الايجابية وأن يتبنوا بدلا منها وجهات نظر ، تقوم على العداء والاشمئزاز تجاه كل شىء . من ناحية اخرى وجد ان الطلاب الموهوبين لم يعودوا ينجذبون الى مجالات البحث ، وهؤلاء الذين بقوا فيه فقدوا الشعور القديم بالاثارة ، أما الأساتذة الكبار ، فقد اعتزلوا فى أبراجهم العاجية وشغل مناصب مساعديهم مرشحون متوسطو القدرات ، وكان نتيجة هذا أن انخفض المستوى الخلاق للبحث ، ولم يعد يجذب الا القدر الضئيل من الدعم المادى الأمر الذى أبعد كثيرا من العقول المبشرة بعيدا عن الجامعات .

ويقول كروزيير انه كان يتابع هذا التطور بادراك للمشكلات الجديدة التى واجهت المجتمع الأمريكى ، فقد عاش تجربة فيتنام بكل اضطراباتها وتفاعلاتها

فى المجتمع الأمريكى ، وكذلك تجربة ووترجيت ، ورغم هذا فقد استمر ينظر الى الولايات المتحدة على أنها قوة لا يصيبها الاجهاد ولا ينضب معينها ، الا أنه فجأة بدأ يدرك ان امريكا وصلت الى حدودها القصوى ، وانه من الان فطالع سوف تصبح بلدا قديما شأنها شأن الاخرين تحاول أن تجد طريقها ، وبدأ هذا يحدث فى وقت اخذت فيه قوى مثل اوربا الغربية واليابان تستعيد قواها التى كانت قد تصدعت بفعل الحرب الثانية ، ورغم ما كانت توحى به المظاهر ، أخذ النفوذ الأمريكى فى الشئون الدولية يتراجع ويضعف ، وقدمت الأرقام معانى بليغة فى هذا الشأن ، ففى عام ١٩٥٠ كان متوسط المعيشة الأمريكى أعلى مرتين ونصفا من مستوى المعيشة الفرنسى والالمانى ، وأعلى خمس مرات من اليابان ، أما فى نهايات السبعينيات فقد لحقت بها أوربا ، وحققت ذلك اليابان بعد هذا بوقت ضئيل .

ويتوقف كروزيير لكى يتساءل ويفحص كيف كان هذا التحول ممكنا ؟ وقد ركز كروزيير فى بحثه هذا بوجه خاص على الحياة الثقافية والفكرية الأمريكية وخاصة فى قطاع الشباب ، واكتشف أن ما يسيطر على الشباب الأمريكى هو افتقاد الدافع والالهام وغياب هذا البريق والتطلع فى العيون ، والاحساس العام بالعجز ، فخلال السنوات الطوال من عدم الاستقرار والاضطرابات الطلابية والغليان الثقافى حارب الشباب الأمريكى من أجل قضايا ليبرالية ضد القهر فى كل مكان ، وكذلك من أجل حرياتهم الشخصية ، أما اليوم فان خلفاءهم يستمتعون بنتيجة هذا النضال ، الا أنهم بلا قضية او حركة وليس هناك رابطة حقيقية بينهم وحيث لكل فرد الحرية فى ان يفعل أى شىء يخصه ولكن دون اهتمام بالاخرين ـ ويفسر كروزيير هذه الظاهرة المحافظة بين الشباب الامريكى بأنها ليست ظاهرة سياسية وانما هى ظاهرة ثقافية ، وازمة فى القيم فرغم أن الشباب الأمريكى استمر يبحث عن الثروة واستمرت صيغة المشروع الفردى ، فإن القيم الأساسية التى كانت وراء ازدهاره من احترام المجهود ، وارادة النجاح ، والانجاز الشخصى ، والتطلع لان يذهب الانسان الى أبعد من حدوده ، كل هذه القيم قد تراجعت على الأقل مؤقتا ، فلم يعد هناك روح نضالية ، أو اندفاع لتطوير العالم ، وقد يبتهج الليبراليون فيهم لاختفاء النزعة الامبريالية ، ولكن معها أيضا اختفت المشاعر الغيرية لمساعدة الاخرين ، والاحساس بالخير العام والكرم الانسانى .

● تراجع الاتجاه الثقافى

غير أنه وسط هذه الغيوم التى تحيط بالحياة الأمريكية ، يرقب كروزيير علامات تبشر بامكانية استيقاظ الروح الأمريكية فيسجل أنه مع وضوح هذا الاتجاه العام نحو اللامبالاة والانانية والروح الانهزامية ، فان الأمر لا يعدم هنا وهناك علامات على التفانى ، والأعمال المشبعة بالروح العامة ، وقد لا يمتلك هذا الاتجاه جذورا عميقة فى المجتمع الامريكى فهو الموجة الثقافية الأولى التى تنشأ عادة بين النخبة شأن كل الحركات الطليعية ، ويلاحظ ان الاتجاه الثقافى المتمثل فى الافكار والعادات التقليدية الذى ساد حتى السبعينيات يتراجع الان مخليا السبيل



الى مزاج ثقافى يأخذ وجهة اكثر واقعية ولم يعد ينظر الى ذاته ، كما اصبح اقل شكوى وادانة مبتعدا عن النمط الانهزامى ، كما بدات الأفكار التقليدية حول المؤسسات والمبادىء تتعرض للتساؤل ، ففى مشكلات التعليم بدأ الكتاب يتساءلون عن النظم الفعالة والتى يمكن ان تعمل وبشكل أفضل ، وفى السياسات الاجتماعية فان الاتجاه الان يبتعد عن الجوانب النظرية ويركز على النتائج والآثار ، ويرمز على هذه الروح بكتابين هامين ، صدر الأول عام ١٩٨٣ تحت عنوان :

In search of excellence

ويقدم حالات من النجاح لا يعتمد فيها اصحابها على النموذج التنافسى التقليدى للمدير ، وانما يقدم نماذج تكرس جهودها للمنفعة العامة ، أما الكتاب الثانى والذى لاقى اقبالا واسعا ويبحث الأساليب والطرق الأمريكية فى الصناعة ، فهو كتاب ازرافوجل :

The japanes number one

فروايته المتعاطفة لاسباب نجاح اليابان تشير بوضوح لعوامل الفشل الأمريكى فى هذا المجال ، فاليابان تحترم المعرفة والتعليم ، وتنظامها فى المعلومات ، وانشغالها الدائم بالمدى الطويل . ففى صناعة السيارات مثلا تمكن اليابانيون من انشاء اكثر الصناعات كفاءة فى العالم خلال عشرين عاما بسبب قدرتهم على وضع الاعتبارات طويلة الأجل فى قراراتهم ، بينما ركدت صناعة السيارات الامريكية لأن صناعة القرارات المتعلقة بها كانت تتجه الى المدى القصير .

وعلى هذا يتصور كروزيير ان ثمة حرية جديدة للفكر نشأت فى هذا الجزء الحساس من الثقافة الأمريكية ذلك الجزء الذى ينبع منه الأفكار وانماط السلوك فى العمل ، ويبدو معه ان شيئا ما فى العقل الأمريكى قد تحرر أخيرا ويعود الى حياته الطبيعية .

على ان مثل هذا الأمل الجديد فى تحرر العقل الأمريكى مازال يواجه مشكلة اساسية وسؤالا جوهريا يحاول تفادى الوصول الى الاجابة الصحيحة عليه ، هذا السؤال هو كيف يتأتى ان يختار الشعب الأمريكى والقادة الأمريكيون بوجه عام الطريق الخطأ مرة بعد أخرى وحول نفس المشكلة ؟ . وتقدير كروزيير أنه فى هذا فان كل شىء يبدا وينتهى بحرب فيتنام . فقد كان هذا هو التحدى الحقيقى الأول الذى امتحنت فيه الأمة الأمريكية ولم تكن فيه على المستوى المطلوب . والقضية الحقيقية هنا كيف يمكن لأمة وهى فى قمة قوتها وتدعى أنها تمتلك أفضل الاساليب والعقول ان تقحم نفسها فى مثل هذه المغامرة العبثية ؟ . ويستخلص كروزيير أن هذا هو الوقت الذى أمام امريكا لكى تتعلم من جديد ، ولكى تفعل هذا عليها أن تنسى احلامها فى التفوق ، وأن تصبح متواضعة بما فيه الكفاية، وأن تتقبل أن هنا دروسا عليها أن تتعلمها من بقية العالم ، ومن الحقائق ، ولكى تفعل هذا فان الأمة الأمريكية يجب أن تكون مستعدة لأن تعمل بشكل اكثر على فهم طريقها الخاص .





رونالد ريجان

●● « الحكومة ليست الحل لمشاكلنا ، انما الحكومه هى المشكله » !

رونالد ريجان

الرئيس الامريكى السابق

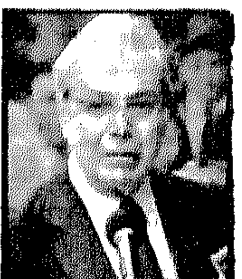
●● « الحـزب الشيوعى نظم كل شىء فيما عدا الحزب الشيوعى » !

لوى بينيان ـ الاديب الصينى

●● « تسعون فى المـائة من الحيـاة عبارة عن « منظرة » ! »

وودى آلن

الممثل الامريكى



دى كويلار

●● « ينبغى أن يوجد توازن بين احترام العقائد الدينية وبين حريه التعبير » .

بيريز دى كويلار

الامين العام للامم المتحدة

●● « ليس دور الولايات المتحدة أن تضغط على اسرائيل » .

جيمس بيكر

وزير خارجية الولايات المتحدة

●● « لا أحد يمكنه رفض امرأة رجل اخر . »

فيديل كاسترو ـ الرئيس الكوبى

●● « أمثل فى أفلام هوليوود حتى أستطيع ان امول افلامى المعادية لهوليوود » .

جون كازافيتس ـ المخرج الامريكى

●● « لولا عجز الميزانية الذى يظل مصدرا لكل شىء لشعرت وكأنى مهر ربيع » .

الرئيس جورج بوش

نجيب محفوظ



●● « يجب الا تعتذر المانيا عن ماضيها »

فرانز شنوير

رئيس الحزب الجمهورى الالمانى

●● « أشعر أن التكريم قـد زاد عن حده » .

نجيب محفوظ



بقلم: د. شكري محمد عياد

أحيي محمود محمد محمد شاكر ! أحيي عاشق اللغة العربية ! متى وجد نفسه أسير هواها ؟ أظنه وجد هواها في نفسه حين وجد نفسه ! كأنه قيس إذ يقول في ليلاه :

تعلقت ليلى وهى بعد صغيرة
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين نرعى البهم ياليت أننا
صغيران لم نكبر ، ولم تكبر البهم !

● فنحن نلقاه في السابعة عشرة من عمره قد حفظ ديوان المتنبي وحفظ المعلقات العشر ، لا غرابة ، فقد نشأ في بيت علم ودين ، ولابد أنه حفظ القرآن في طفولته فأخذ بحلاوة أنغامه قبل أن يتعلم الغوص في عمق معانيه ، وانتظم في التعليم « المدني » كمعظم أبناء جيله ، حتى أبناء الشيوخ ، فكادت الرياضيات تغلب على هوى العربية في نفسه ، ولعله لو أطاع هذا الميل الجديد لكان لنا منه خوارزمي آخر ، ولكن قدر الله غالب ، وعاند الفتى نظام القبول في الجامعة ـ آنذاك ـ حتى التحق بقسم اللغة العربية في كلية الآداب ولم يدخل كلية علمية كما فعل أترابه .

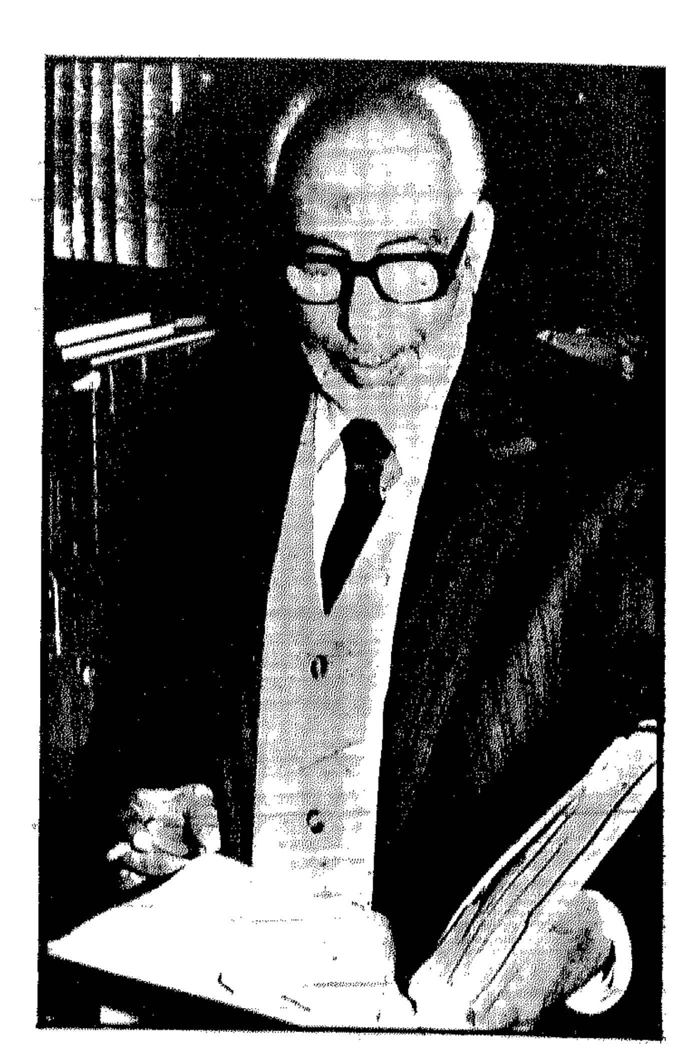
كان يحسب أنه سينعم بقرب المحبوبة في تلك الديار ، ولكن الفجيعة كانت هائلة ، فقد وجدها تسام الذل في وطنها وبين أهلها ، ويحكم فيها من يعرفون قدرها من الأعاجم ، فقد وافق دخوله ذلك المعهد محاضرات الدكتور طه حسين عن الأدب

العشرين نحو أولئك الشعراء الذين عاشوا قبل خمسة عشر قرنا ، قريبين من فطرة اللغة العربية ، يتحدثون الى الطبيعة بدون حجاب ، وينطقون عن ذات أنفسهم بغير تصنع ، عرفهم من خلال دواوينهم واحدا واحدا ، الكبير منهم والصغير ، فكلهم يصدر عن ذلك النبع الصافى ، ولكل واحد منهم ـ رغم ذلك ـ ايقاعه الخاص ، ومذاقه الخاص .

من خلال تلك الدواوين لمح الفتى جمال محبوبته الخالد ، وفى قاعة محاضرات فى كلية الآداب رأى ذراعا غليظة تزيح تلك الدواوين نفسها من على منضدة الدرس ، لتسقط فى فراغ العدم ، أو فى سلة المهملات ، بحجة انها « منتحلة » صنعها الرواة ، ولعل أصحابها المزعومين لم يعيشوا قط . كيف وكل بيت فيها ينبض بالحياة ؟ ريع الفتى ، وأنكر : وهم بأن يعترض ، فأخرسه احترام السن ، وهيبة الاستاذية ، وشبه يقين بأنه لن يجد سميعا وهو الطالب الصغير أمام ذلك الأستاذ الذى يلقى ما يلقيه من علياء شهرة ملأت الأسماع ، ثم غلب الغيظ على الكتمان ، ونطق الفتى .

نقطة صغيرة فى كتاب التاريخ ، غيرت المعنى كله :

فهذه الحادثة التى لم تعد فى نظر شهودها آنذاك مايقع كل يوم فى قاعات الدرس ، وان تكن جرأة الطالب وعظمة الأستاذ قد زادتا من تأثيرها نوعا ما ، وتكرارها حوّلها الى مشكلة فى حياة ذلك الطالب لم يكد يشعر بها الأستاذ ، هذه الحادثة التى لم يلبث أن طواها النسيان ، الا من سيرة ذلك الطالب اذا ذكره بعض أصدقائه القليلين ، وقد ضاق ذرعه



الشيخ محمود شاكر

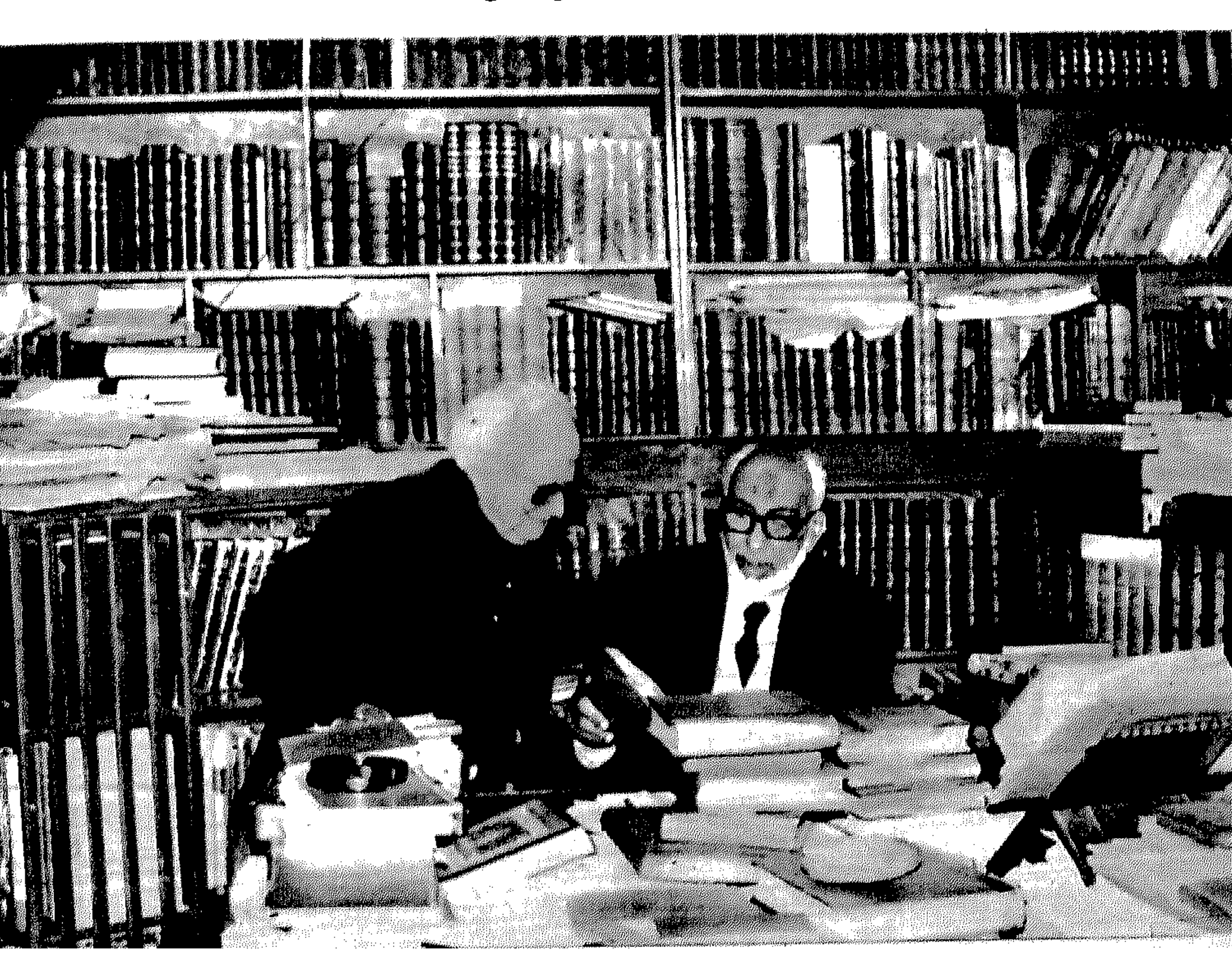
الجاهلى ، وكان الفتى محمود قد شغف بالشعر الجاهلى شغفا شديدا ، وتبين له ، فى طراءة سنه ، جماله العجيب الذى يجمع بين قوة الفطرة ودقة الصنعة ، ربما انتقل اليه هذا الاعجاب من عكوفه على كتاب «رغبة الآمل فى شرح كتاب الكامل» للشيخ سيد بن على المرصفى ، أستاذ طه حسين أيضا فى الأزهر ، ولكنه لم يلبث أن أصبح اعجابا أصيلا وذاتيا ، أشبه بعلاقة شخصية حميمة يجدها ذلك الشاب المصرى الذى تفتح وعيه فى مطالع القرن

عاشق العربية

بالموقف المستحيل ، وضاق صدره بالجامعة كلها ، ومل المقام فى وطنه وأهله فانصرف مغاضبا الى مهبط الوحى - هنا الحادثة الصغيرة الهينة كانت - فى نظرى انا على الأقل - نقطة تحول فى تاريخنا الثقافى ، وقبل أن تستكثروا منى هذا الوصف ، أرجو أن تتذكروا ما تعلمتموه جميعا فى المدارس من أن ابتداء الفكر المعتزلى كان حين اعتزل واصل بن عطاء مجلس الحسن البصرى .

ومن الأمانة ، وانا بصدد تقييم هذه الحادثة ، أن أكشف عن نفسى قليلا ، حتى نعلم الظروف التى تحيط بهذا التقييم ، فيقبله أبناء الجيل الحاضر أو يرفضونه .

الاديبان محمود شاكر ويحيى حقى يتحاوران



● اعجاب بطه حسين

فأنا أيضا من تلاميذ طه حسين (محمود محمد شاكر يكبرني باثنتى عشرة سنة) ، وقد أتيح لى أن أقرأ الشعر الجاهلى وهو مصادر وقبل أن أدخل كلية الآداب ، وقرأت عقيبه النقد اللاذع الذى كتبه عنه المازنى ، وضمه الى مقالاته فى « قبض الريح » وفى الصيف الذى سبق التحاقى بهذه الكلية وقع فى يدى كتاب « البدائع » لزكى مبارك ، وفيه مقالات عنيفة فى نقد طه حسين ، اتهمه فيها بالسرقة من المستشرقين ، ومنه هو ايضا فى رسالته عن عمر بن أبى ربيعة . وكل ذلك النقد لم يقلل اعجابى بطه حسين ولا سعادتى بأنى استطعت أخيرا أن أجلس فى مقاعد الدرس بين يديه ، فقد كان طه حسين أستاذ جيله الذى كان غنيا بالأساتذة .

طه حسين وجيله وصلونا بثقافة الغرب كما وصلونا بتراثنا والهبوا حماسة الطامحين منا لاتقان لغة او اكثر من لغات الثقافة الغربية ، وعلمونا ان نقرأ ادبنا القديم على انه ادب انسانى ، لا مجرد « بلاغة » أو « لغة » . وهنا بالذات كانت المشكلة ، او على الاصح كانت نهاية مشكلة وبداية اخرى ، لقد تخلصنا من النظرة الجامدة الى الادب العربى ، التى لم نكن نرى فيه الا قوالب محفوظة ، أو على الأصح لمحنا طريق الخلاص منها (فقد كنا ندرس فى كلية الآداب أيضا كتابا مثل « زهر الآداب » بما حواه من خليط عجيب فيه الشعر الرائع والنثر البليغ وفيه أيضا قوائم طويلة من الأوصاف المحفوظة) ، تعلمنا أن للشعر والنثر الأدبيين علاقة بالنفوس التى يصدران عنها والحياة التى ينغمسان فيها ، مثل الشعر والنثر اللذين يكتبان فى ايامنا ، بل مثل الكلام الذى نقوله لانفسنا ، ولكننا نسينا أن فى الكلام الفنى سرا لا نجده فى الكلام العادى ، وتعلمنا ان الادب يمكن أن يدرس كما يدرسه « الأساتذة المستشرقون » على أنه تاريخ من التاريخ وجهلنا أن وقائع التاريخ حلقات فى سلاسل متصلة ومتشابكة ، تكمن البراعة كل البراعة فى تمييزها ثم رؤية العلاقات بينها ، أما وقائع الأدب فهى اعمال لغوية فنية ، تتلألأ فى شبكة التاريخ ، كما تضىء اللؤلؤة بين آلاف الأصداف الفارغة .

كيف ندرس هذا الأدب ، أو بالأحرى كيف نقرؤه (فيالها من وقاحة ، أن نسمى أنفسنا دارسى أدب ونحن لا نقرأ منه ـ ان احسنا القراءة ـ الا حروفا وجملا !) كانت المشكلة مشكلة « منهج » وما اكثر ما رُدِّدت هذه الكلمة حتى سئمناها اذ كانت لاتزداد على الترديد الا غموضا ، أو هبوطا من علياء الفكر الى سوقية « الابواب والفصول » **كانت خصومة محمود محمد شاكر مع استاذه واستاذنا طه حسين حول « المنهج » وكان شاكر يسمى منهجه « التذوق » ويعنى به معايشة النص قبل الحكم عليه ،** ولم يكن بحاجة الى أن يسمى منهج أستاذه ،



فقد سماه هو بنفسه « تاريخ الأدب » ، وجعل « النقد » وهو اسم أقل وضوحا فن « التذوق » ، ملحقا بالتاريخ أو ذيلا له ، واصبح هذا المفهوم للمنهج نبراسا لتدريس الأدب فى كلية الآداب (أتراه الى اليوم .... ؟) فدرسى تاريخ الأدب الذى يتولاه الأساتذة الكبار يلحق به درس « النصوص » الذى يتولاه المدرسون أو المعيدون الصغار .

لقد تكلم محمود محمد شاكر عن منهجه فى مقدمة الطبعة الثانية لكتاب « المتنبى » (وقد أعيد نشرها فى كتاب الهلال) وهو مطبق فى كتابه هذا الذى يمكننا أن نجمل صفته فى أنه ترجمة حياة عورضت فيها الأخبار بالشعر كما عورض الشعر بالأخبار ، ثم هو مطبق ـ من وجه أخر ـ فى دراسة فنية نفيسة للامية تأبط شرا نشرتها مجلة « المجلة » القاهرية فى أواخر الستينيات ، والقارىء المتطلع الذكى لن يفوته الرجوع الى هذين المصدرين ، أما أنا فليسمح لى استاذى بأن استكشف ما وراءهما ، وقد تكون فى الاستكشاف مغامرة ، وقد لا تنتهى بى المغامرة الى شىء ، ولكننى أرجو على الأقل ، أن أزيح وهما رسخ فى بعض الأذهان حول هذا التذوق ، أنه نوع من الاعجاب أو النفور بلا هدى ولا دليل ، فذلك أبعد شىء عما أراده شاكر بالتذوق ، وان يكن مناسبا لصنيع من يجعلون « العلم » فى الأدب مقصورا على التاريخ وما عداه لا يضبط ولا يقوَّم ، التذوق عند شاكر وفى الثقافة العربية الاسلامية قمة العلم ، هكذا رآه علماء البلاغة ، بل هكذا رآه علماء الحديث ، الذين جعلوه معيارا فى رد صنف من الأحاديث الضعيفة سموه المعلَّل وهو الذى يدرك العالم بالحديث ضعفه ولو لم يكن فى سنده أو متنه عيب ظاهر ، على أن عيبه يظهر بعد ذلك عند التفتيش .

هذا « التذوق » هو إذن لب المنهج العربى الاسلامى ، وتمام بالسمعيات التى تحدث عنها ابن تيمية فى كتابه « الرد على المنطقيين » ، أما معرفته على وجه التفصيل والتقنين فتحتاج الى جهود مخلصة صابرة امينة لمجموعات من الباحثين فى شتى فروع الثقافة العربية الاسلامية ، ومنها العلوم الطبيعية ، واياكم والتعصب ، فإنما نحن طلاب حقيقة !

وأما سره فكامن فى تلك المعشوقة التى تدله شاكر فى هواها فتى يافعا ، وهجر الديار والأهل ليبحث عنها فى أودية الحجاز وفيافى نجد ، ووقف العمر على خدمتها صابرا راضيا ، فى تلك اللغة العربية ! ولا جدوى من ترديد ما يقال من ان اللغة مرآة الفكر ، فهذا كلام تمضغه الافواه و « الفكر » نفسه وراء ذلك ، اللغة ابداع العقل والوجدان جميعا ، واللغة طريق المعرفة الكاملة ، والذين قالوا إنها توقيف من الله تعالى لم يبعدوا عن حقيقة انها مساوية لأثمن ما فى الانسان ، للروح التى نفخها الله فيه ولا تفسير لضعف شوكة العرب وانحلال هممهم الا انحلال لغتهم ، والمعانى التائهة البلهاء ضرب من



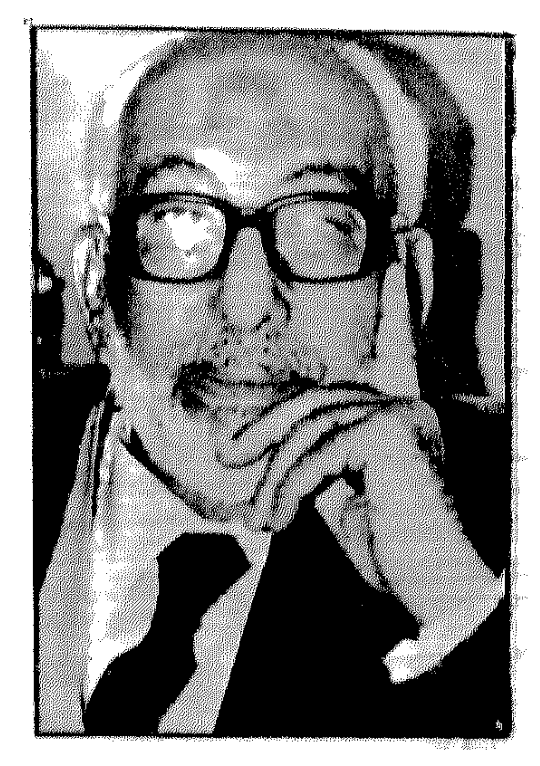
جلسة عائلية بين اسرتى الشيخ شاكر ويحيى حقى

الانحلال ، والشقشقة اللفظية التى تسمى خطأ بلاغة ضرب آخر .

● عشق مثالى ●

لذلك سمينا أخانا وحبيبنا وأستاذنا محمود محمد شاكر فى عنوان المقال عاشق العربية ، وفى صدر المقال عاشق اللغة العربية ، فلا فرق عندنا بين اللغة العربية وبين معنى العروبة نفسه ، بل لا فرق عندنا بين اللغة العربية وبين الفن العربى والعلم العربى والفلسفة العربية والناس يحسبون التعمق فى اللغة العربية حفظا للغريب ومهارة فى حل الألغاز

عاشق العربية



الشيخ شاكر .. مفكر .. وعالم

الاعرابية ، ولعلهم حين يسمعون مثل تلك التسمية لا يفكرون الا فى شاكر العالم اللغوى أو محقق الكتب القديمة . ولعلك عرفت الآن من سيرة هذا العالم المحقق أن الأمر عنده أخطر من ذلك : أنه عشق مثالى ملك منه كل جوانب الروح ، وانه لأمنه مسألة حياة أو موت .

وههنا ملحظ لطيف قد يكشف لنا عن شىء من معنى « التذوق » الذى كنا نتحدث عنه .

فقد تعودنا أن نقيم حاجزا بين العقل والوجدان ، وبين العلم والفن : فبين كل نقيض ونقيضه ما يشبه العداء ، يخالسه ليخطف منه ، أو يغالبه ليسيطر عليه ، نوع من تلك العلاقات العدوانية التى أخذناها ـ فيما أتصور عن الغرب وأصبح الكثيرون منا لا يحسنون ان يجمعوا بين طرفى العقل والوجدان ، أو بين طرفى العلم والفن . ومن خصائص التذوق أنه يجمع بينهما حتى لايبقى ثمة تنافر ، وليست العبرة بأن يكون لأحدهما المكان الأول والآخر المكان الثانى ، أو يكونا متكافئين متساويين ، فأعمال البشر تتنوع الى غير نهاية . إنما العبرة بكنه العلاقة بينهما : فهى فى التذوق علاقة تساند وتعاضد ، لا تحكم وغلبة .

ومحمود محمد شاكر فنان وعالم ، وقد سهل عليه الجمع بين الفن والعلم لأن منهجه تذوقى ، ولم يسهل ذلك على غيره ممن لم يتمرسوا بذلك المنهج ، فتجدهم إذا كتبوا فنا جنحوا الى تفيهق العلماء ، وإذا كتبوا علما شطحوا كما يشطح أصحاب الفن . على أنى أرى الفنان فى شاكر أكبر من العالم ، وأراه فى عرضه لمسألة « التذوق » نفسها ـ وهى مسألة علمية بحسب بروز جانب العالم فيها حسب ما وصفناه ـ يشوق ويخلب بصنعة الفنان . على أنى لا أراه يخل بشىء من حق العلم فى هذا الحديث ولا فى كتاب « المتنبى » نفسه وهو قصة تملك عليك نفسك مثلما انه كتاب علم . والفن اجتراء واجتراح ، والعلم تثبت واطمئنان ،

والتذوق يحدث بينهما من التناغم ما يستقيم به أمرهما جميعا ، وهذا هو نهج « المتنبى » (لا أكاد أتوقف الا فى أمر غرام المتنبى بخولة أخت سيف الدولة ، فقد شعرت منذ قرأتها أن الفنان هنا تحكم فى العالم . بل لقد شعرت أن الفنان ربما تحكم فى المحقق نفسه ، وذلك فى الطبعة الأولى من طبقات الشعراء ، ولعل شعور المحقق بذلك كان سببا من الأسباب التى دعته إلى إعادة تحقيق هذا الكتاب) .

● شاكر .. فنان وعالم

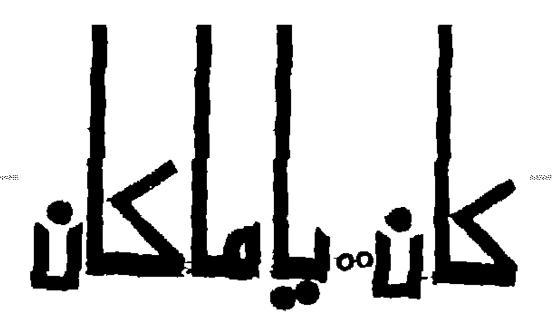
أما شاكر الفنان ، أما شاكر الذى استصحب علمه فى رحلة الفن ، فتراه فى تلك القصيدة الفريدة فى الأدب العربى قديمه وحديثه ، المظلومة أيضا بين كل ما كتب فى القديم والحديث : « القوس العذراء » .

تذكرنى هذه القصيدة ببيتين قديمين :

وقصيدة قد بت أجمع بينها
كيما أقوم ميلها وسنادها
نظر المثقف فى كعوب قناته
حتى يقيم ثقافة منآدها

فالشاعر القديم عرف عناء الفن ، والفن كله عناء . والشاعر القديم ـ الشاعر الجاهلى على الخصوص ـ كان فيه حياء فطرى يمنعه فى معظم الأحيان أن يتحدث عن نفسه حديثا مباشرا كما فعل هذا الشاعر . وقد اختار شاكر إحدى الصور غير المباشرة التى عبر بها شاعر مخضرم ـ الشماخ ـ عن عناء الفن : صورة صانع القوس . هكذا قدم العالم للفنان مادة نفيسة يمكنه أن يتصرف فيها حسبما يشاء فنه . واختار الفنان عاشق العربية أن يعبر عن عشقه باعادة صياغة هذه القصيدة ، فأدخل فى القصيدة القديمة قصيدته الخاصة ، وجعل النص الجديد يراوح بينهما ، وسبكهما معا فى قالب رسالة الى صديق ، بمناسبة حديث جرى بينهما عن « إتقان العمل » . أتقول أنه قالب « الرسالة الاخوانية » المعروف ؟ حسنا ، ولكن هل كان العيب فى هذا القالب او فى المناسبات التافهة التى كانت تكتب فيها كشراء دار أو ختان مولود ؟

الشعر والنثر حول قصيدة الشماخ كأنه مرايا تكبّر وتصغّر وتقرّب وتبعّد والعمل فى مجموعة عمل جديد فى قالب جديد يضاف الى قالب المعارضات الذى لم يستنفد امكانياته بعد (أردت أن أقول إن القالبين يمكنهما أن يبدا طورا جديدا ـ وحديثا كل الحداثة ـ من أطوار الشعر العربى .. وليت الذين يتحدثون عن « التناصّ » أو « تداخل النصوص » من نقادنا الجدد يلتفتون اليهما) والشاعر الحديث يملأ قصيدته بالتفاصيل حيث يكتفى الشاعر القديم باللمحة ، ومن خلال هذه التفاصيل تتراءى عاطفة الشاعر الحديث ، بل قصة حياته فى عشق العربية !



سر ماجرى سنة ١٨٨٢

كيف تحول المثقفون

من تأييد الثورة العرابية إلى الهجوم عليها ؟!

بقلم : مصطفى نبيل

لم تكتمل الهزيمة التى اصابت مصر عام ١٨٨٢ بمجرد الهزيمة العسكرية ، وانما اكتملت عندما عصفت بالعقول جيوش غير مرئية اسلحتها سموم الافكار ، وبعد ان تمكنت هذه الافكار من الصفوة وانتقلت الى العامة ..

وعادة .. يهتم المؤرخون بفترات النهوض والانتصار ، وتتوارى فى دراساتهم فترات الهزيمة والانكسار ، رغم ان اهم مافى الهزيمة دروسها وماتكشفه من قضايا بالغة الدلالة ..

فلم يكن ممكنا بقاء الاستعمار البريطانى مايزيد على سبعين عاما ، الا بعد نجاحه ، ليس فى اقتحام الحصون وحدها وانما فى اقتحام العقول ..

ونرصد هنا مواقف القادة والمفكرين ، الذين وقفوا الى جانب الحركة الوطنية يؤيدونها ، ويبشرون بافكارها ، ثم عادوا وتنكروا لها وانقلبوا عليها ..

في يوم صيف قائظ ، عند شروق شمس الثلاثاء ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ اطلق الاسطول البريطانى مدافعه على مدينة الاسكندرية ، ايذانا بمرحلة مظلمة من تاريخ مصر ، واستمرت مقاومة الجيش المصرى حتى وصلت جيوش الاحتلال الى القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ، وبدأ عهد جديد مازلنا نعيش بعض اثاره باعتبار التاريخ المصرى الحديث تجمعه وحدة من نوع خاص ، وفيه تسجل الثورة العرابية بداية تحرك جموع الشعب من اجل قضايا رقى الوطن وتقدمه ، وجاء الاسطول البريطانى ليحسم الصراع المرير بين حركة نهوض وطنى فى مواجهة المد الاستعمارى ، بعد ان اعيته الحيل وفشلت كل مناوراته السياسية فى وقف زحف اول ثورة وطنية فى الشرق وفى ظل ذروة السيادة الاوربية ، واستهدفت قوات الاحتلال تصفية ثورة تتمتع بتأييد الشعب بكل فئاته ضد طغيان الحكام وضد التدخل الاجنبى ، وتنادى بالحرية وتطالب بالدستور ، وحقوق الوطن والمواطن ، بعد ان انجزت رحلة طويلة شاقة . نجح خلالها رواد النهضة وقادة الاصلاح ، فى بث الحيوية فى كافة طوائف الشعب ، وقامت معالم حياة جديدة منذ نهضة محمد على ،



لقطة للزعيم احمد عرابى بين احفاده

كان .. ياما كان

وعودة رفاعة رافع الطهطاوى من اول بعثة ارسلها محمد على الى فرنسا ، واذهله مايعانيه الشرق من تخلف ، وبشر بافكاره التى تناولها فى كتابه « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » سنة ١٨٣٤ تأمل فيه احوال بلاده ، واخذ يقارن بينها وبين العالم المتمدن ، ويقدم للقارىء الافكار المتداولة حول الدستور وحقوق المواطن ومبادىء ثورة الشعوب ، واهمية حرية التعبير « فقد حكمت عقولهم بان العدل والانصاف من اسباب تعمير الممالك وراحة العباد .. وانقاد الحكام والرعايا لذلك حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم » وبيّن كيف ان هذه القيم الجديدة التى ادت الى نهضة البلاد الاوربية هى جزء اصيل من تراث الشرق الذى طمسه التخلف والاستبداد .

● الفكرة والحركة

ووصل جمال الدين الافغانى الى القاهرة ، واخذ يسعى فى تحويل الافكار الى حقائق قائمة وحركة مؤثرة ، وراح يحض تلاميذه على الكتابة والخطابة وتأليف الجمعيات ، وأخذت الحياة تفيض بالحركة ، وتموج بالجديد تأليفا وترجمة واقتباسا ، تعقد الندوات وحلقات العلم والادب والسياسة فى العاصمة وفى منادر الاعيان فى الريف ، ويقدم الشيخ محمد عبده صورة عن هذه الايام بقوله : « كانوا ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف الى بلادهم ، والزائرون يذهبون بما ينالونه الى احيائهم ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول وخف حجاب الغفلة فى اطراف متعددة من البلاد ..»

ويصف احمد شفيق الحالة الفكرية بقوله .. « وانقلبت مصر مسرحا للخطباء فى كل مجتمع وناد ، حتى فى المساجد ، ولم يبق مجلس للسمر او احتفال بعرس او غيره ، الا اقتحمه الخطباء ، واعتلوا منصة المغنين بعد اقصائهم ، .. حتى لقد سمعت ان محمد عثمان المغنى الشهير كان اذا سئل فى اى فرح تغنى الليلة ؟ اجاب : فى الفرح الفلانى مع النديم ..»

وقامت حركة واسعة لانشاء الجمعيات التى جذبت العناصر الشابة والنشطة التى تتوق للعدل والتغيير ، وقامت جمعية مصر الفتاة (سنة ١٨٧٩) وضمت كلًا من عبد الله النديم ويعقوب صنوع واحمد عرابى والروبى ، وكانت تهدف الى المطالبة بالحريات العامة ، وتشكلت جمعية حلوان تعبيرا عن طموح عدد من الاتراك المستنيرين الذين رأوا فى الدستور مطلبا حيويا ، حتى يشاركوا الخديو سلطته ، وقامت جمعية « اتحاد الشبيبة المصرى » واخذت تنادى بانشاء بنك وطنى قومى لانقاذ البلاد وحمايتها من التسلل الاقتصادى الاجنبى ، وقامت الجمعية الخيرية الاسلامية (عام ١٨٧٨) ، بنشاطاتها المتعددة التى تشمل المستشفيات والتعليم وتدريب الحرفيين ، وجذبت هذه الجمعيات حتى الامراء ، فاشترك الابن الاكبر للخديو توفيق فى « جمعية المقاصد الخيرية » ، وكان نائبه محمد سلطان باشا ، واقام الابن

الاصغر « جمعية التوفيق الخيرية » وكان نائبه محمود سامى البارودى ..

واتجهت الجهود الى عقل الامة ، البداية الطبيعية للتغيير ، وشهدت هذه الفترة انتشارا واسعا لنشر الكتب ، واقيمت اول جمعية علمية لنشر الثقافة هى جمعية المعارف (سنة ١٨٦٨) وانشئت الجمعية الجغرافية (سنة ١٨٧٥) واقيمت دار الكتب التى قدم لها المثقفون الكثير من المخطوطات الهامة ، واعدت قاعات للمحاضرات العامة .

وهكذا انطلقت حركة التنوير فى كل انحاء البلاد ، ونجحت الحركة الوطنية فى نشر افكارها ، وقامت الصحف بدورها فى التنوير ولعل صدور الصحف وتعطيلها وانذارها تكشف عمق النهضة ومحاولة حصارها ، ففى عهد وزارة توفيق يحصى عبد الرحمن الرافعى قائمة طويلة للصحف التى عطلت وانذرت ، وعرفت البلاد الاحزاب والمجالس النيابية ، ووضع دستور حديث عام ١٨٧٩ وافتتح مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ والذى استمر ستة عشر عاما ، ويذكر عبد الرحمن الرافعى .. « ان اسباب الثورة العرابية ، هو ماكانت تمر به البلاد من حالة ثورية فالسخط قائم ، من سوء نظام الحكم ، ورغبتهم فى التخلص من استبداد الحكام واضطهادهم للاهالى ولم يكن هناك ثمة عدل او قانون ، ولا قضاء ينتصف للمظلوم ويعطى صاحب الحق حقه ، ولا ضمانات قانونية تكفل للناس حقوقهم ، وكان الجلد بالكرباج شائعا ـ رغم ادعاء بطلانه ـ وكانت السخرة مضروبة على البلاد التى كانت تستخدم لاستصلاح اطيان ذوى السلطة والجاه ، وكان النفى الى أقاصى السودان عقوبة الكثيرين لمجرد الشبهة او النكاية »

ويذكر شيخ المؤرخين شفيق غربال .. « ان خلايا الوطن تجمعت فى القرن التاسع عشر فى أمة واحدة واجهها الانجليز سنة ١٨٨٢ »

● الاستيلاء على مصر

وعلى الضفة الاخرى من النهر ، كانت القوى الدولية المتربصة لاتكف عن محاولة الاستيلاء على مصر ، كانت انجلترا وفرنسا ـ الدولتان العظميان ـ ايامها تتسابقان على النفوذ فى مصر ، وسبق وفشلت الحملة الفرنسية على مصر ، وهزمت القوات المصرية القوات البريطانية الغازية فى رشيد ، ولكنها نجحت بعدها فى تحقيق اهدافها بتدبير جيش مصر واسطولها ايام محمد على وفرضت عليه معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وعادت مرة اخرى ودمرت الجيش المصرى ، فى افريقيا ايام الخديو اسماعيل ، ثم تسللت اقتصاديا عن طريق الدين ، ودخل وزيران اجنبيان للوزارة احدهما بريطانى والاخر فرنسى ، وخلعت تركيا اسماعيل منتصف سنة ١٨٧٩ استجابة لمطالب انجلترا وفرنسا .

واخذت السياسة البريطانية تقترب من اهدافها ، وتستكمل بقواتها المسلحة مالم تستطع انجازه بالمناورات السياسية ، وكانت حملتها على مصر التى تكشفت كل ابعادها ، وظهر زيف ادعائها من ان

الاسطول البريطاني ماجاء الى الاسكندرية الا من اجل حماية الخديو السلطة الشرعية ، وان سبب انطلاق المدافع هو ترميم القلاع والحصون وطوابى الاسكندرية ، وكشفت الايام رسالة ماليت قنصل بريطانيا العام فى مايو سنة ١٨٨٢ وقبل الغزو ، ذكر فيها .. « ان **الثوار يهدفون الى تقويض اركان الحماية ، وان النفوذ الاجنبى اخذ فى الانحسار ، وان بريطانيا لن تصل ماكان لها من تفوق دون تحطيم تلك الطغمة العسكرية** »

بعد ان ظهرت لنا ابعاد حركة النهوض الوطنى فى مواجهة القوى الاستعمارية ، والتى كانت تمهيدا ضروريا للانتقال الى الآلية التى ولدتها ، وكيف اكتملت ووصلت الى عقل الامة ووجدانها ؟ وكيف نجح الغزاة والخديو فى لى عنق الحقيقة ؟ وكيف تم انتزاع قيم راسخة يلتف حولها الاهالى ؟ وزرع بديل عنها قيم ومفاهيم اخرى ؟ وكيف اكملت الكلمات المزيفة والمناورات السياسية مابدأه السلاح ؟

وكيف نجحت الحملة التى شنت على زعيم الثورة احمد عرابى ، الذى قام برحلة جهاد شاقة لتحرير البلاد واصلاح العباد ؟ وبعد ان وقفت البلاد كلها تسانده ، وحمل شعار « مصر للمصريين » وكان تعبيرا مبكرا عن جهاد شعب صمم على ان يملك ارادته فى مواجهة « مكائد الاوربيين »

فاذا كان النصر له الف لسان ، فالهزيمة لا لسان لها ، وفى زمن الهزيمة تختلط الامور ، وتهتز حتى المسلمات فظهر من يرى ان الزود عن الوطن حماقة والتضحية فى سبيله احد صور التخلف الشرقى ، وخلال الهزيمة يعلو صوت « المرتدين » المتخاذلين ، الذين يبحثون لانفسهم عن مكان فى ظل النظام الجديد ، عن طريق لعن الماضى ، والخلط المتعمد بين الثابت والمتغير ، ومايتعلق بالوطن ومايتعلق بزعيم من الزعماء او نظام من النظم ، فبعد ان استقرت معادلة صحيحة بين التراث والمعاصرة منذ الطهطاوى ومحمد عبده ، جعلتهما ابواق الاستعمار كنقيضين ، وتزايدت الازدواجيات المزيفة بين الوطنية والاسلام ، والخبز والحرية ، بين الماضى والمستقبل ، بين كفاءة الاداء والوطنية ، وهى ازدواجيات مزيفة الهدف منها ، اعلان الولاء الصريح للسادة الجدد !

ويعلق الجميع الهزيمة على كاهل زعيم الثورة ، ينتقدون خطط عرابى العسكرية وتقاعسه عن اغلاق قناة السويس ، وافتقاره للحكمة ، وعدم معرفته بحركة القوى الدولية ، وكثرت السعايات والوشايات فاخذ المغرضون يشون بخصومهم بتهمة انهم كانوا من الخارجين على الخديو ، حتى امتلأت السجون ، وبلغ عدد المقبوض عليهم اكثر من ٢٩ الف سجين » عبد الرحمن الرافعى ..

واستخدم للدعوة لافكار النظام الجديد مضافا الى المتخاذلين عدد من الشوام والاجانب ، واصدر الخديو قرارا بتسريح الجيش ، بعد ان تم التشكيك فى الثورة ومبادئها .

ثم جاءت الفرصة خلال مهزلة المحاكمات لتجريد الثورة من كل قيمة ومعنى ، حتى يتعلم الاخرون فضيلة الخنوع ، بعد ان عاشوا مع عرابى زهو الثورة ، وحتى يتحول حلم الثورة الى كابوس ، ويتحول البطل الى خائن ، فيغدو الخائن بطلا !!

وكان نجاحهم الكبير ، عندما لم يجد عرابى محاميا مصريا للدفاع عنه ، فارسل له مستر بلنت محاميا بريطانيا للدفاع عنه وعن بعض رفاقه ، وعندما لم يجد طفله المريض عناية طبية من ابناء بلده ، وتقدمت سيدة بريطانية لعلاج ابنه .

● مصر الحديثة

وتمكن اللورد كرومر من ان يصبح حاكما مطلقا للبلاد ، بعد ان ازاح الخديو وحقق الاستقرار الذى تنشده بريطانيا وسجل خبرته فى كتابه « مصر الحديثة » ويكشف عنوانه عن رؤيته ، عندما يدعى بايجاز ان الاحتلال البريطانى خلق مصر الحديثة، وحقق الرسالة الحضارية للرجل الابيض فى بلد شرقى متخلف ، بعد ان كان خاضعا للسيطرة العثمانية ، يستبد به الترك والشركس داخليا ، ويستأثرون بخيراته ، يعيقون الصفوة المصرية عن الصعود فى سلم الادارة ومراتب الثراء ، ويسومون فقراءه العذاب ، ويشيعون فيه الظلم والفوضى وسوء الادارة ، فى ذلك البلد الهام على الخريطة العالمية .

ويكتب اللورد .. « ان الاضطراب والفساد والمظالم التى كانت ستتعرض لها البلاد على يد اولئك الناس **(الثوار) تفوق كل ماتعرضت له مصر ، لان انصارهم كانوا سيقيمون الحكم على دعائم من العقيدة المحمدية ـ التى عفا عليها الزمن (!!) والتى اصبحت لاتساير افكار العصر الحديث .**

ووجد اللورد من يصدقه من المصريين ، وظهر ان سلوك ومواقف الفريق الاكثر تأثيرا فى الصفوة ينحاز لافكاره ، ورأينا تيار الاعيان يتغير بعد ان نالت منهم الهزيمة واستبد بهم اليأس بالانكسار العسكرى للحركة الوطنية وكان لديهم ذرائعهم فى الاقتناع بمنطق كرومر ، والقبول بالدور الذى رسمه لهم تحت المظلة الاستعمارية ، ونشطت السياسة البريطانية فى مجال التعليم وايفاد البعثات لتؤكد افكارها ، وفى الاحتواء الحضارى للصفوة ، وكما فرضوا على البلاد افكارهم ، فرضوا على البلاد تكاليف حربهم ، فى صورة غرامة يدفعها الاهالى .

ونتساءل .. كيف تمت هذه العمليات الجراحية البالغة الدقة والتعقيد !! ولماذا تفتتت الحركة الوطنية واخذت تنسلخ منها قيادات وتنتقل الى الطرف الآخر ؟

لقد تزاحمت مواقف البطولة ومشاهد التضحية ، ويقف فوق ذرى عالية البطل الصلب محمد عبيد الذى دفع حياته دفاعا عن الوطن ، واختلطت مواقف البطولة مع مواقف الضعف والتسليم بالامر الواقع ، ومواجهة المصاعب بالكلام واساءة الظن بالوطنية ، وايدت بعض شرائح المجتمع الخديو لمصالح شخصية مما دفع بها الى الانضمام الى القوات البريطانية وابلاغها بمواطن الضعف فى صفوف العرابيين ،

ووقف الشعب فى مجموعه يجود بما لديه فى سبيل نصرة الوطن وهو يواجه غزوا عسكريا ، وتطوع الكثيرون للدفاع وقاموا بتقديم كل مايستطيعون ، ويذكر جون نينيه انه كانت ترد الى معسكر العرابيين فى كفر الدوار كل يوم التبرعات العينية والمالية ، حتى انه تبرعت والدة الخديو اسماعيل بجميع خيولها ، ويذكر عرابى ان من الاهالى من تبرع بنصيب مما يملك من الغلال والماشية .

وفى الوقت الذى خرج فيه الاهالى من سكان باب الشعرية والحسينية يحملون العصى والهراوات دفاعا عن الوطن ، سارع عدد من اطراف الحركة الوطنية للبحث لهم عن مكان فى الاوضاع الجديدة ، وبدأت مواكب « المرتدين » و« المتخاذلين » فى الظهور هذا بخطبة وذلك بقصيدة شعر ، نفاقا للخديو وسلطات الاحتلال تقديما لعربون الولاء للسادة الجدد .

ولقد اشترك فى الحركة الوطنية صنفان من الناس ، اصحاب المواقف الاصلية الذين شاركوا بجهدهم وجهادهم من اجل العدل والحرية ، واخرون سايروا الثورة وقادتها وعندما وقعت المواجهة كانوا كالجرذان اول من فر من السفينة عندما شارفت على الغرق ، وتحول جانب من رجال الثورة الى صفوف الاعداء حتى انه خلال المحاكمات كان اسماعيل باشا ايوب قاضى عرابى احد زملاء عرابى فى وزارة شريف باشا ، وسبق لاسماعيل ايوب ، ان اشترك فى وفود التهنئة على صد الجيش للغزاة فى كفر الدوار واستقبله عرابى فى خيمته ، و أحد اعضاء المجلس العرفى الذى تشكل عندما قامت فى البلاد سلطتان ، احداهما للخديو وتؤيده قوات الاحتلال البريطانى ، وسلطة الثورة الممثلة فى المجلس العرفى ، وقام المجلس بعد عزل الخديو لعرابى باعتباره عاصيا ، فاجتمع خمسمائة من الامراء والعلماء والاعيان وقاضى القضاة وشيخ الازهر والمفتى وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود ، وتليت عليهم اوامر الخديو واعطى المجلس الشرعية لعرابى واعتبار الخديو مارقا وهو المقيم فى الاسكندرية ، تحت سيطرة القوات الغازية وتليت فتوى شرعية بمروق الخديو وانحيازه للاعداء .

وبعد الهزيمة انحاز العديد من اعضاء المجلس لسلطة الخديو والانجليز ، ومنهم اسماعيل ايوب الذى انتقل بعد الهزيمة بالكامل الى الجانب الاخر .

● بشارة تقلا

ونستعرض مواقف عدد من الشخصيات التى قامت بدور بارز فى هذا الفصل من التاريخ والذى يقدم اغلى الدروس والعبر ، واحد هذه الشخصيات بشارة تقلا (١٨٥٢ ـ ١٩٠١) الذى انشا مع شقيقه سليم جريدة الاهرام فى الاسكندرية (١٨٧٥) ، والذى ايد الثورة بحماس عند قيامها ، وحتى وصلت الى مرحلة الصدام ، فاختفى وغادر الديار الى لبنان ، وظهر مرة اخرى بعد الهزيمة لكى يؤيد سلطة الخديو والاحتلال ونشر فى الصفحة

الاولى من الاهرام صورة القائد البريطاني الجنرال ولسلى على صهوة جواده ، كما نشر عقب انتهاء المحاكمات مقالا يؤكد فيه على وجود اتفاق مسبق بين عرابى والانجليز (!) تم فيه بيع نصر « التل الكبير »

وليس لدينا مايكشف بالدليل القاطع هل قدم تقلا الى مصر فى مهمة خاصة ظهرت بعد هزيمة الثورة العرابية ، ام انه مجرد انتهازى يختار المواقف التى تتناسب مع مصالحه ؟ .

ويروى برودلى المحامى البريطانى نقلا عن عرابى .. « فتح على باب الزنزانة فجأة ، واذا بمحرر جريدة الاهرام المدعو بشارة تقلا يدخل علىَّ ، فتصورت انه جاء لزيارتى والتخفيف والتهوين عنى ، فقد كان معنا قبل الحرب ، وكان يقسم بدينه وشرفه انه واحد منا له مالنا وعليه ماعلينا ، وانه من دعاة الحرية ، وكنا نجله ونكرمه ، ولكن اذا به اتى ليشمت بوقاحة فيما يجرى لنا ، ويتساءل بفظاظة : عرابى **ماهذا الذى فعلت ؟ هل رأيت نتيجة افعالك وما آل اليه حالك ؟**

فعلمت ـ يعلق عرابى ـ انه ذو وجهين وانه لاشرف له »

وينشر تقلا بعد هذا اللقاء فى الاهرام يوم ٩ ـ ١٠ ـ ١٨٨٢ يطالب بسرعة انزال العقوبة بزعيم العصاة .. « يستلفت الرأى العام مجلس التحقيق العسكرى والمجلس الحربى الى اصدار الحكم على العصاة بالوجه السريع لان الوقت ثمين ، فلا يضاع باطالة التفحص فيماهو واضح من جميع الوجوه !!.. وما عرابى ورفاقه الا عصاة كما تشهد اعمالهم وما عقاب العصاة فى جميع القوانين العسكرية الا الاعدام .

واثبت بشارة تقلا انه ليس اكثر من مغامر يبيع نفسه لمن يدفع اكثر .

● الشيخ حسن العدوى

واذا كان قد ظهر امثال اسماعيل ايوب وبشارة تقلا ، فقد ظهرت مواقف بطولية حفظها لنا التاريخ ومنها موقف الشيخ حسين العدوى .

« كان الشيخ واهنا كبير السن ، يئن تحت ثقل سنواته الثمانين يبلغ طوله خمسة اقدام اجهدت وجهه الايام والاحداث وتكاد عيناه لاتبينان ، وتحت هيكله الراهن كانت شخصيته الصلبة ، شخصية باحث صادق عن العدل ورقى الوطن وعندما قدم للمحاكمة وبدأ اسماعيل ايوب استجوابه سأله بغتة وباسلوب مسرحى وصوت كالرعد .. هل تجرأت ووقعت او ختمت على قرار يعلن ان صاحب السمو الخديو يستحق العزل »

وفجأة .. تجرى الدماء فى عروق الشيخ ويستعيد حماس شبابه القديم ، ويميل بجسمه الى الامام ، ويبسط يده ، وينظر فى ثبات الى رئيس المحكمة ويقول : آه .. ياباشا ، لايمكن لى بدون رؤية الوثيقة التى تتكلم عنها ان اقول اذا كنت قد وقعت او ختمت عليها . ولكن اذا كنت تسأل عن رأيى ، فهذا هو ما اعتقده بالفعل ، اذا احضرت لى وثيقة بالمعنى الذى تذكره ، فسأوقعها واختمها هنا امامك فهل تنكرون

اذا كنتم مسلمين ان توفيق باشا قد خان بلده ولجأ الى الانجليز وهل بعدها يصبح جديرا بان يحكمنا ؟

وساد القاعة صمت رهيب واصبح الجميع وكأن على رءوسهم الطير ، واذا انفجرت قنبلة فجأة وسط القاعة ، ما احدثت الذعر الذى احدثه كلام الشيخ .

وطلب رئيس المحكمة من الشيخ مغادرة القاعة ليستريح ولم يستدع مرة اخرى وقررت المحكمة نفيه الى قريته ومسقط رأسه . [كتاب كيف دافعنا عن عرابى وصحبه - أ . م برودلى]

ومن الملاحظات الهامة ، انه اذا كان الباشوات قد اتخذوا اثناء التحقيق موقف انكار وطعن الثورة ، وان اشتراكهم جاء نتيجة التهديدات التى تعرضوا لها من عرابى وممن ارتكب العصيان معه ، الا ان الشيوخ الذين قدموا للمحاكمة وعلى رأسهم الشيخ العدوى كانوا اكثر صلابة لانهم اقرب الى عامة الشعب .

● محمد سلطان باشا

محمد سلطان باشا احد نماذج السقوط عند لحظة الصدام والمواجهة .. فكان احد قادة الحركة الوطنية ثم اصبح عدوا لها ، وانتهى به الحال فى « خانة » الاعداء ، جاء من بين الفلاحين ، وبدأ حياته عمدة لبلدته زاوية الاموات ، وارتقى مأمورا لمركز قلوصنا ، حتى اصبح مفتشا عاما للوجه القبلى .

ومن ايامها برز سلطان باشا ، كأحد الوجوه الداعية للحركة الوطنية ، والمطالبة بالدستور والحياة النيابية ، وكان احد



الشيخ حسن العدوى رغم دوره إلا انه لاتوجد له اى صور سوى هذه الصورة المتخفية

المؤسسين للحزب الوطنى مع كل من اسماعيل راغب وعمر لطفى ، واحمد عرابى وعبد العال حلمى ، وعلى فهمى ومحمود سامى البارودى .. وكان سلطان باشا يطمع فى رئاسة هذا الحزب لثرائه الواسع ، فكان يمتلك نحو ثلاثة عشر الف فدان .

وساهم فى الدعوة الى تكتل الجهود وراء عرابى واخذ يحث اعيان الوجه القبلى والوجه البحرى على الاجتماع لتأليف وفد للمطالبة باستدعاء مجلس النواب ، وعندما تعطلت الحياة النيابية ذهب سلطان باشا الى شريف باشا رئيس الوزراء ومعه عريضة وقعها الف وستمائة من الاعيان يطلبون استئناف الحياة النيابية وعند نشوب ازمة الضباط الشراكسة . الذين تآمروا على اغتيال عرابى والبارودى دعا المجلس للاجتماع فى بيته ، ورفض الانذار الذى وجهه الاسطولان البريطانى



محمد سلطان باشا



بشارة باشا تقلا

والفرنسى الذى يطالب بضرورة اقالة الوزارة ونفى عرابى ، واصر سلطان باشا على ضرورة أن يتولى عرابى وزارة الجهادية « لحسم الشر ، واتقاء الهياج »

وابنته هى هدى شعراوى رائدة الحركة النسائية التى لم تحمل اسمه .

يروى عنه الشيخ محمد عبده فى مذكراته .. « سلطان باشا لم يكن من اغبياء الاغنياء بل كان فيه شىء من الفطنة يزينه الغنى ، وتعلى قيمته مظاهر الثروة .. عندما احس ان عرابى يتلمس المعين فى انشاء مجلس النواب ، ظن وصدق ظنه ان عرابى لابد ان يصل الى مايريد ، ومن الحزم ان يتفق معه فى البداية ليكون له النصيب الاشرف من الفائدة فى النهاية .. وحالف عرابى على ان يجمع له اعيان القطر من الوجهين البحرى والقبلى .. وعند اشتداد الاضطراب وتلاحم القوى بارح القاهرة وتوجه الى المنيا »

● سقوط الباشا

فما ان احتل الانجليز الاسكندرية حتى ارسل الخديو توفيق برقية الى سلطان باشا يأمره وهو المصرى الفلاح بالتوجه الى القاهرة « وتكونوا بالنيابة عنى محافظا على البلد ، وكافة الاجراءات هناك تكون مطلوبة منكم ، واعطى الاشعار اللازم من ذلك للجنرال ولسلى ».

وسارع الباشا للعمل وجند شبكة فى كل انحاء البلاد للعمل معه ، واخذ يردد فى كل مكان ان الانجليز ليس فى نيتهم احتلال البلاد ، ولا التعرض للاهالى ولكنهم حضروا لتطبيق الشرع وتأديب العصاة ، واتصل بمشايخ العربان بناء على طلب الجنرال لابعادهم عن عرابى وجلبهم لجهة الانجليز باى مبلغ يطلبونه ،

كان.. ياما كان

واخذ سلطان يقوم بنفسه باستجواب الجرحى من المصريين ، وكان لديه مبلغ كبير من المال ينفق منه لكسب الانصار والاعوان .

ولعب الباشا دورا بارزا فى تدعيم العناصر المناوئة للثورة فى أحرج ساعاتها وقدم الباشا للجنرال ولسلى والاميرال

سيمور والجنرال لو ، هدية من الاسلحة النادرة القديمة الموشاة بالذهب والمرصعة بالماس ، مع كتاب شكر على « انقاذ البلاد من غوائل الفتنة العاصية »

ويذكر الشيخ محمد عبده فى المذكرة التى قدمها الى محاميه برودلى « ان وطنيتى ووطنية سلطان باشا واحدة ، وكلانا عمل وفكر تفكيرا واحدا ، وحصل سلطان على لقب سير من ملكة بريطانيا وحصل على مكافاة قدرها عشرة آلاف جنيه استرلينى ، اى ان وطنيته حسنة ، وأهل للثناء ، ويضيف ساخرا .. « اذا كان سلوك كلينا اهلا للثناء ، فلماذا يزج بى فى السجن بينما يصبح الباشا حائزا على رتبة الشرف البريطانية ، وحاصلا على تلك المكافاة ؟! » .

صورة نادرة يظهر فيها الخديو توفيق



وذهب المؤرخون في دوافع تحول سلطان باشا مذاهب شتى .

● يتوقف البعض عند احد المناقشات الحامية التى دارت فى المجلس العرفى ، عندما رد احد الضباط على تثبيط سلطان باشا للمجلس .. « لا ناقة لنا فيها ولا جمل » فرد احد الاعيان بغضب « اذن اتركوا القرارات لاصحاب النياق والجمال »

اى ان سلطان باشا يمثل الفعاليات الاقتصادية التى لابد ان تتواءم من اجل مصالحها مع اى نظام حتى لو كان من تخطيط الانجليز اعداء البلاد .

● ويرى البعض .. « **انه منذ البداية وينظر الباشا الى عرابى من اعلى ، مجرد اداة طيعة لتحقيق اغراضه ولم يتوقع ان يحتل عرابى ما احتله من مكانة ، وسجل فى محاضر التحقيق ، انه عندما الفت وزارة شريف باشا سنة ١٨٨١ استاء لانه لم يكن احد الوزراء ، وعاد وتكرر الموقف عندما الفت وزارة البارودى سنة ١٨٨٢ وشعر ان الحركة الوطنية تسلبه حقه .**

● ويذكر بلنت ان ماليت القنصل البريطانى قد اغرى الباشا وهدده ـ اى استخدم معه سياسة العصا والجزرة ـ حتى أعلن موافقته على كل المطالب البريطانية .

ويذكر احمد شفيق فى مذكراته .. انه « مما ساعد على نجاح الانجليز ان الخديو عين محمد سلطان باشا مندوبا خديويا وبمعيته بعض ياوران سموه لدى الجنرال ولسلى ، وناط به نشر الدعوة ـ خصوصا بين الاعراب ـ لمساعدة الجيش الانجليزى الذى يحارب العرابيين باسم الخديو »

ويفسر بلنت مرة اخرى موقف الباشا بقوله « كان رجلا ذا كبرياء له ثروة واسعة وجاه عريض ، وكان له صدر المكان فى كل الاجتماعات ويطلق عليه ملك الوجه القبلى ، وكان يرى من حقه زعامة الفلاحين »

وكافأه الخديو على موقفه ، وانعم عليه بالنيشان المجيدى من الطبقة الاولى ، بالاضافة الى لقب سير الذى قدمته ملكة بريطانيا ، وعين رئيسا لمجلس شورى القوانين سنة ١٨٨٣ واعتلت صحته وقيل انه ندم على موقفه وعن انضمامه الى البريطانيين وشعر بنقمة الشعب عليه ، وسافر للعلاج فى جراتس بالنمسا ، وتكتمل المأساة وهو على فراش الموت ، يستعرض من حوله ما آل اليه حال وطنه ، ويقول .. « ليس المرض ما ارقدنى ، ولكن شعورى بانى بعت بلادى للانجليز »

وجاء اعترافه بعد فوات الاوان ..

وبقيت العديد من المواقف لم يتسع المجال لتقديمها . ففى مقدمة هؤلاء خطيب الثورة عبد الله النديم ، والذى اختفى بعد الهزيمة واحتضنه جموع الشعب تسع سنوات عندما اختفى رغم المكافأة والتهديد .

كما بقيت مواقف كل من الاستاذ الامام محمد عبده وعلى باشا مبارك ، والتى تحتاج لتحليل ادق ، فهى ليست مثل خيانة سلطان باشا ، وليست فى نقاء الشيخ حسن العدوى .

وهو ماسنعالجه فى مقال قادم .



عند الأستاذ الأمام محمد عبده

بقلم: د. محمد رجب البيومي

إذا كان من المقرر الآن أن القرآن مصدر هداية للناس، وقانون سماوى لتنظيم الحياة، وإخراج العالمين من الظلمات إلى النور فإن تفسير القرآن الكريم في التراث المتداول، لم ينهض بإيضاح هذه الرسالة القرآنية على وجهها المنشود، حتى نهض الامام محمد عبده، بتفسير كتاب الله ليكون باب الانقاذ من تدهور الشرق واندحاره، وسلما لرقى المسلمين، كى يعود إليهم استقلالهم السليب وعزمهم الضائع.

● ولكى نعرف هذه الحقيقة صادق المعرفة نذكر أن حاكم مصر فى سنة ١٨٩٢ رأى أن تعقد جلسات لتفسير كتاب الله فى قصر القبة وأن يقوم بالتفسير عالم جهير من كبار علماء الأزهر هو الشيخ أحمد الرفاعى فأخذ يتابع الدروس على نحو لايقنع حيث يقول الأستاذ أحمد شفيق باشا فى كتابه (مذكراتى فى نصف قرن) إنه كان كثير الاسهاب فى إيراد أقوال المفسرين، وإيراد بعض الأقوال الغريبة، وقد تحدث عن إرم ذات العماد فذكر أنها مدينة شيدت بطوبة من ذهب، وطوبة من فضة، وإنها معلقة بين السماء والأرض، ثم توسع فى هذا المجال على نحو يثير الاشفاق.

فهذا عالم كبير ينتدب للتفسير، فيملا درسه بأقوال السابقين، وغرائب الاسرائيليات، وهو بعد يمثل منحى مشتهرا لدى فريق من زملائه يجعل دقاق الأعراب ومعضلات البلاغة، وغرائب الأسرائيليات مدار حديثه، أما شرح الآيات الكريمة على نحو يبرز أسرارها الدقيقة، ورسالتها الأمينة فى هداية الناس، وإصلاح المجتمع، فهذا مالم يتجه إليه هذا الفريق، حتى جاء الشيخ محمد عبده بنمط هاد سديد.

ولم تكن دروس التفسير بالأزهر فى الرواق العباسى هى البدء الأول فى حقل التفسير، إذ أن الامام محمد عبده فسر جزء عم من قبل، حين كان منفيا بلبنان

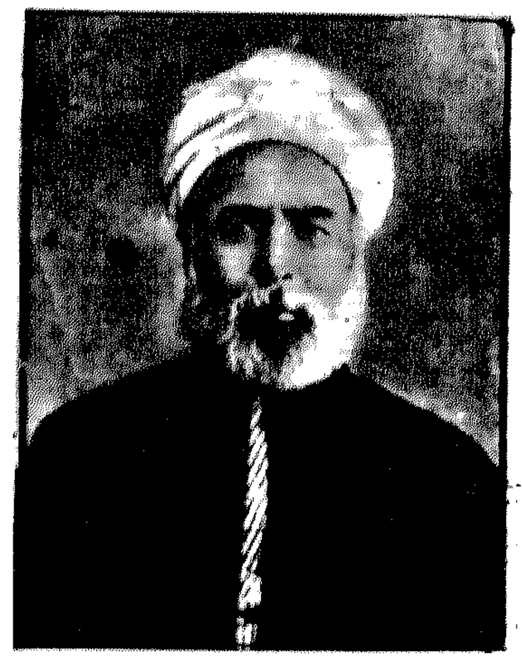
غب أحداث الثورة العرابية ، فأظهر الناس على نمط جديد من الدرس القرآنى لم يألفوه من قبل إذ كان الهدف الأكبر من دروس الأستاذ الأمام هو الاصلاح الدينى على نحو ماجاء فى الكتاب الكريم .

وقد جاء فى مقدمة تفسير المنار ما يحدد الاتجاه الهادف الى التفسير المنقذ الذى اتجه اليه الأستاذ الأمام ، فكان فاتحة جديدة للمفسرين من بعده، حيث قال صاحب المنار علم مما ذكرنا أن التفسير قسمان . أحدهما مبعد عن الله وعن كتابه ، وهو مايقصد به حل الالفاظ ، واعراب الجمل ، وبيان ماترمى اليه تلك العبارات والاشارات من النكت الفنية ، وهذا لاينبغى أن يسمى تفسيرا ، وإنما هو ضرب من التمرين فى الفنون كالنحو والمعانى وغيرهما .

ثانيهما ، وهو التفسير الذى يذهب فيه المفسر الى فهم المراد من القول وحكمة التشريع فى العقائد والأحكام على الوجه الذى يجذب الأرواح ، ويسوقها الى العمل والهداية المودعة فى الكلام ، ليتحقق فيه معنى قوله تعالى (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف ، فالمقصد الحقيقى وراء كل تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن .

قال الاستاذ الامام ، وهذا هو الغرض الأول الذى أرمى اليه فى قراءة التفسير .

الامام محمد عبده



● رسالة الإنقاذ

كان الوضع الحرج للعالم الاسلامى فى زمن الاستاذ الامام مدعاة تفكير متصل بنفسه لايكاد ينقطع عنه ، فقد عز عليه أن يتقهقر المسلمون فى كل مكان ، وأن يكونوا طعاما سائغا للمستعمرين ، وقد وازن بين أمسهم المشرق ويومهم الدامى ، ليتأكد أن الأمس لم يسطع بأضواء العزة إلا بالألتزام بهداية القرآن ، والتمسك بشريعته وآدابه ، وأن اليوم لم يدلهم بظلماته إلا حين ترك المسلمون كتابهم ظهريا من ورائهم ، ولذلك صمم على أن تكون دروسه العلمية شرحا للقرآن ، يوضح ماخفى عن الناس من تعاليمه الهادية وأضوائه المنقذة ، ففاجأ طلبة العلم بتفسير لاعهد لهم به فيما يقرءونه من كتب التفسير ، وقد بدأ ذلك فى دروس لبنان بدءا مبكرا ، يجزم بأن دروس تفسير المنار برواق الأزهر كانت امتدادا لعهد سابق ، بل كانت ريعانا لحياة بدأت طفولتها السعيدة من أمد ، وننقل هنا من النماذج مايحدد اتجاه الأمام فى تفسيره التوجيهى الذى أصبح من بعده وجهة النابهين من المفسرين .

١ ــ يشرح الامام سورة الانفطار فيقف

تفسير القرآن

وقفة توجيهية عند قول الله عز وجل (إن الأبرار لفى نعيم) ليحدد البر ومن يتصف به من الناس فيقول (لايعد الشخص بارا حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب ، فلا يغترن أولئك الكسالى الخاملون الذين يظنون انهم يدركون مقام الأبرار بركعات من الخشية خاليات ، وبتسبيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات ، وصيحات غير لائقات بأهل المروءة من المؤمنين والمؤمنات ، ثم يصوم أياما معدودات لايجتنب فيها إيذاء كثير من المخلوقات .

٢ ـ وينتقل الامام الى شرح سورة الماعون ، فيقف عند قول الله عز وجل (ولايحض على طعام المسكين) ليقول . "والحض على طعام المسكين ، الحث عليه ، ودعوة الناس اليه ، والذى لايحض على طعام المسكين لايطعمهم فى العادة فقوله (لايحض على طعام المسكين) كناية عن الذى لايجود بشىء من ماله على الفقير المحتاج الى القوت ، الذى لايستطيع له كسبا ، وليس المسكين هو الذى يطلب منك أن تعطيه وهو قادر على قوت يومه ، فذلك هو الملحق الذى يجوز الأعراض عنه وتأديبه بمنعه مايطلب ، وإنما جاء بالكناية ليفيدك أنه اذا عرضت حاجة المسكين ، ولم تجد ما تعطيه فعليك أن تطلب من الناس أن يعطوه ، وفيه حث للمصدقين بالدين على إغاثة الفقراء ولو بجمع المال من غيرهم ، وهى طريقة الجمعيات الخيرية فأصلها ثابت بالكتاب" .

٣ ـ وفى تفسير سورة العاديات يصيح الأمام بملء فيه قائلا بعد أن يسرد النص الكريم (والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا) وكان فى هذه الآيات القارعات ، وفى تخصيص الخيل بالذكر فى قوله . (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وفيما ورد فى الأحاديث التى لاتكاد تحصر مايحمل كل فرد من رجال المسلمين على أن يكون فى مقدمة فرسان الأرض مهارة فى ركوب الخيل ، ويبعث القادرين منه على قنية الخيل الى التنافس فى عقائلها ، وأن يكون فن السباق عندهم يسبق بقية الفنون اتقانا ، أليس من أعجب العجب عندهم أن ترى أمما هذا كتابها قد اهملت شأن الخيل والفروسية ، إلى أن صار يشار راكبها بينهم بالهزء والسخرية ، واخذت كرام الخيل تترك بلادهم إلى بلاد اخرى ؟ اليس اغرب ما يستغرب أن اناسا يزعمون أن هذا الكتاب كتابهم ، يكون طلاب العلوم الدينية منهم اشد الناس رهبة من ركوب الخيل ، وأبعدهم عن صفات الرجولية ، حتى وقع من أحد أساتذتهم المشار اليه بالبنان عندما كنت اكلمه فى منافع بعض العلوم ، وفوائدها فى علم الدين أن قال (إذا كان كل ما يفيد فى الدين نعلمه لطلبة العلم كان علينا إذن أن نعلمهم ركوب الخيل) يقول ذلك ليفحمنى وتقوم له الحجة على ، كأن تعليم ركوب الخيل مما لايليق ولا ينبغى لطلبة العلم ، وهم يقولون إن العلماء ورثة الانبياء ، فهل هذه الأعمال ، وهذه العقائد تتفق مع الأيمان بهذا الكتاب ، انصف ثم احكم .

● تفسير المنار

عاد الامام الى مصر ، وقد طوف فى

الشرق والغرب ، ولمس فى انجلترا وفرنسا ما يلصق بهتانا بالاسلام ، إذ قيل عنه إنه سر تأخر المسلمين ، وأنه يحارب حرية الفكر ، ويقف دون انطلاق العقول ، كما يدعو الى التواكل والتكاسل والزهد ، ويفسح للخرافات مجالا واسعا تحتل به العقول فتفكها عن ربط الأسباب بالمسببات ، كل ذلك وأكثر منه قد شاع افتراء على الاسلام ، ولما كان القرآن الكريم كتاب الاسلام الذى ثبت نصه دون تحريف ، فإليه الفيصل فى تبديد الأراجيف وتحقيق البينات من القواعد والأصول لما كان القرآن كذلك ، كانت دروس الأزهر فى التفسير التوجيهى رجوعا للحقائق الاسلامية ، وارتواء من نبعها الصافى الذى لايأتيه الباطل ، وسنضرب الأمثلة الدالة على ما نريد .

رمى المستشرقون زورا بالتهم فى أصول الحكم الاسلامى وقرروا أنه أستبدادى فردى لايزعن لغير مشيئة الحاكم وحده ، ففند الأستاذ الأمام هذا الباطل فى تفسير قول الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم)فقال ـ رحمه الله ـ إنه انتهى به الفكر الى أن المراد بأولى الأمر أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء الذين يرجع اليهم ناس فى الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، والا يخالفوا أمر الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى عرفت بالتواتر ، وأن يكونوا مختارين فى بحثهم فى الأمر واتفاقهم عليه وأن يكون مايتفقون عليه من المصالح العامة وهو ما لأولى الأمر سلطة فيه ووقوفا عليه فأهل الحل والعقد من المؤمنين إذا اجمعوا على أمر من مصالح الأمة ليس فيه نص من الشارع ، مختارين فى ذلك غير مكرهين عليه بقوة أحد . ولا نفوذه فطاعتهم واجبة ، وأن اختلفوا وتنازعوا فقد بين الله الواجب بقوله (فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله ورسوله) وذلك بأن يعرض على كتاب الله وسنة رسوله وما فيهما من القواعد العامة ، والسير المطردة . فما كان موافقا لهما علم أنه صالح لنا ووجب الأخذ به ، وما كان منافرا علم أنه غير صالح ، ووجب تركه ، وبذلك يزول التنازع وتجتمع الكلمة . واستند الامام فى رأيه إلى مفسر سابق هو الامام النيسابورى ، ليكون له سلف كريم فيما

وكان التقاطع بين الأقرباء والبعداء فى الأمة الاسلامية مما يعزى الى الاسلام زورا بحيث أصبحت الدعوة الى التكافل الاجتماعى مفهوما غريبا لاعهد للناس به من قبل ، فوقف الاستاذ الامام عند قول الله عز وجل (واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى ، والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لايحب من كان مختالا فخورا) وقف الامام أمام هذا النص الكريم ليقول فى تفسيره "إذا قام الانسان بحقوق الله تعالى ، فصحت عقيدته وصلحت أعماله ، وقام بحقوق الوالدين ، فصلح حالهما وحاله ، تتكون بذلك وحدة البيوت الصغيرة المركبة من الوالدين والأولاد ، وبصلاح هذا البيت الصغير يحدث له قوة فإذا عاون أهله البيوت الأخرى التى تنسب الى هذا البيت



بالقرابة ، وعاونته هى ايضا يكون لكل من البيوت المتعاونة قوة كبرى يمكن أن يحسن بها الى المحتاجين الذين ليس لهم بيوت تكفيهم مؤنة الحاجة الى الناس الذين لايجمعهم بهم نسب ، وهم الذين عطفهم الله على ذوى القربى بقوله (واليتامى والمساكين) فإن الله تعالى يوصى باليتامى فى مثل هذا المقام ، لأن اليتيم مهمل أمره بفقده الناصر القوى الغيور وهو الأب ، أو تكون تربيته ناقصة بالجهل الذى هو جناية العقل أو فساد الاخلاق الذى هو جناية على النفس ، وهو بجهله وفساد أخلاقه يكون شرا على الناس يعاشرهم فيسرى اليهم فساده وكذلك المساكين لاتنتظم الهيئة الاجتماعية إلا بالعناية بهم واصلاح حالهم ، فإن اهمل أمرهم الاغنياء كانوا بلاء ووباء على الناس وقلما ينظر الناس فى المسكنة الى غير العدم وصفر الكف ، والمهم معرفة سبب ذلك فإن من الناس من يكون سبب عدمه وعوزه ضعفه وعجزه عن الكسب ، أو نزول الجوائح السماوية تذهب بماله من غير تقصير منه ، وهذا هو المسكين الحقيقى الذى يجب مواساته بالمال ثم أفاض الامام فى ضروب أخرى من المسكنة لها اعتبارها الأكيد فى مضمار التكافل الاجتماعى ، وهو ما عناه الأستاذ بقوله (الهيئة الاجتماعية) .

وفى تصحيح الفهم الخاطىء الذى اتجه ببعض الوعاظ ـ وكثير ماهم فى عهد الامام ـ الى التزهيد فى الدنيا والرغبة عن تحصيل وسائل العيش حتى صارت جمهرة المسلمين كالعاجزة المتكففة ، أردف الامام تفسيره للآية الكريمة (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) "أردف الامام هذا النص بقوله . فى هذه الجملة (ولا تؤتوا السفهاء) تحريض على حفظ المال ، وتعريف بقيمته ، فلا يجوز للمسلم أن يبذر أمواله ، وكان السلف من أشد الناس محافظة على ما فى أيديهم ، واعرف الناس بتحصيل المال من وجوه الحلال ، فأين من هذا ما نسمعه من خطباء مساجدنا ، من تزهيد الناس ، وغل ايديهم واغرائهم بالكسل والخمول ، حتى صار المسلم يعدل عن الكسب الشريف الى الكسب المرذول من الغش والحيلة والخداع ، ذلك أن الانسان ميال بطبعه الى الراحة ، فعندما يسمع من الخطباء والعلماء والمعروفين بالصلحاء عبارات التزهيد فى الدنيا ، فإنه يرضى بها ميلا الى الراحة ، ثم أنه لابد له من الكسب ، فيختار أقله سعيا وأخفه مؤنة ، وهو أخسه وأبعده عن الشرف ، على أن هذا التزهيد فى الدنيا من هؤلاء لم يأت الى ما يساق لأجله من الترغيب فى الآخرة ، والاستعداد لها ، بل إن خطباءنا ووعاظنا قد زهدوا الناس فى الدنيا وقطعوهم عن الآخرة ، فخسروا الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين "

● دروس الرحلات

بعد أن تقلد محمد عبده منصب الافتاء فى مصر ، وازدهرت آراؤه الدينية ، وشاعت حركته الاصلاحية فى العالم الاسلامى تعددت رحلاته العلمية الى كثير من مواطن الاسلام كالسودان والجزائر وتونس ، حاملا مشعل الهداية ، وكانت دروس التفسير القرآنى الموجه مجمع أهل العلم من واردى نبعه ، وعارفى فضله ،

وهو فى هذه الدروس يطنب ويسهب مستوحيا النص القرانى الكريم ليحارب به ماتراكم على العقول من معانى تلبس ثوب الاسلام وهو براء من زيفها المريض وهكذا صار كتاب الله بتفسير إمام العصر مبدأ الاصلاح فى جاهلية هذا العصر، كما كان مبدأه يوم نزوله على الرسول الأمين فى جاهلية العرب الأقدمين ، بل فى جاهلية العالم الأكبر حين احتاج الى منقذ أمين ..

ونضرب المثل بتفسير سورة العصر الذى القاه الامام فى اكبر مساجد الجزائر فى محفل من وجهائها قبل انتقاله الى جوار ربه بعامين اذ كان هذا التفسير نقطة انطلاق بالسامعين الى آفاق الاصلاح الاسلامى نفسيا واجتماعيا وسياسيا ، وأهدافه الباهرة لفيضها لايكفيها مقال موجز كهذا المقال ، ولكنى أنقل عنه بعض البوارق الدالة على أسلوبه القويم .

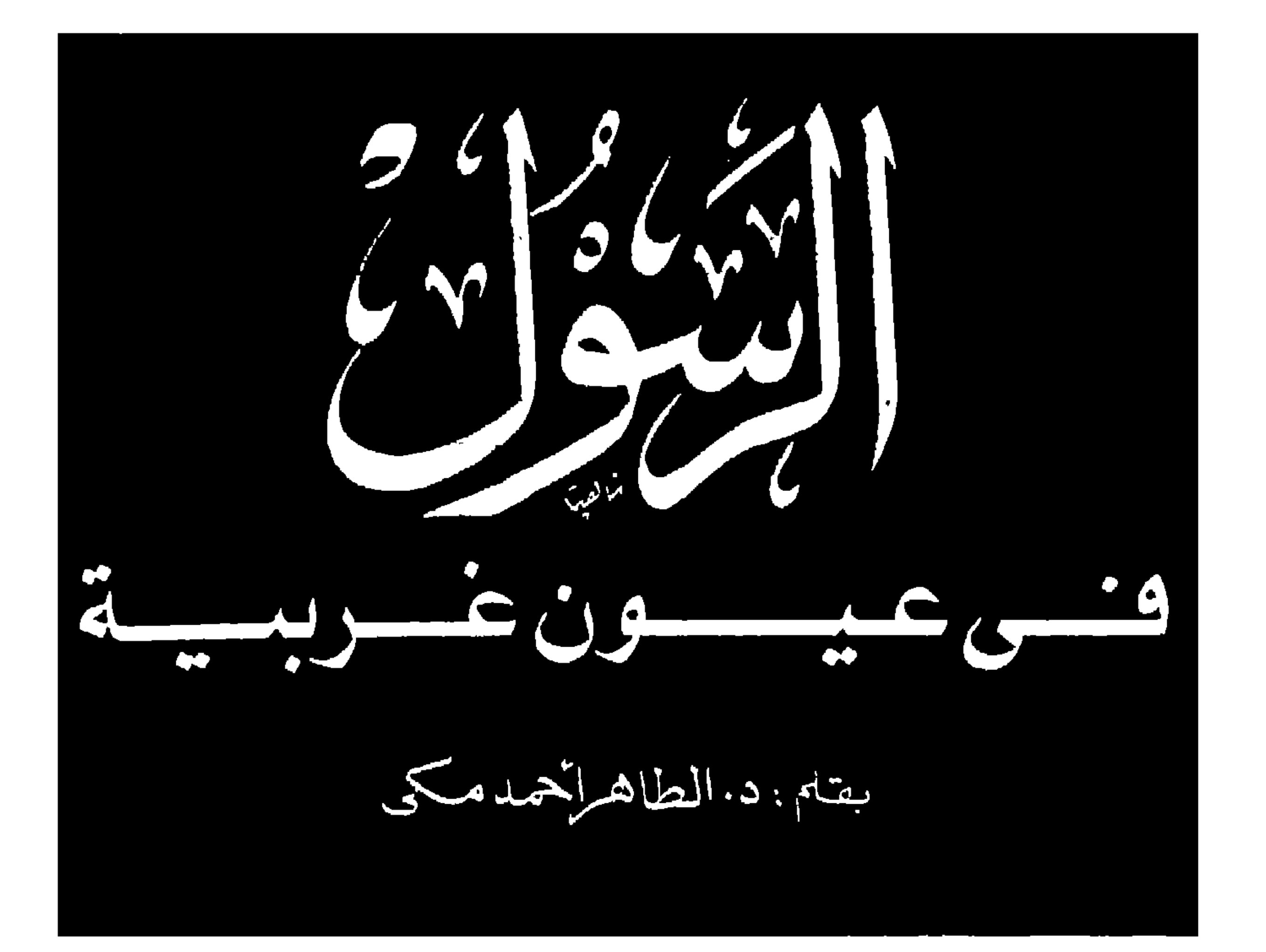
لقد وقف الامام امام قول الله عز وجل (وتواصوا بالحق) ليقرر أن التواصى ليس بالقول وحده دون العمل ، فقد ظن بعض الناس أن النجاة تقف عند القول وحده . وحسب المسلم أن يوصى ، وهو ظن واهم ، إذ كيف يعقل منطقيا أن يلبس القائل لباس المصلحين وهو بمنأى عن الإصلاح ، وكيف يدعو الى أمر بالمعروف من لاتكون له من هذا المعروف حلية يزدان بها ، وما نراه من قوم يدعون الى الحق وهم يقيمون على المنكر نعده ارتكاسا فى مضمار الدعوة ، لأنهم بذلك ينفرون الناس عن شريعة الحق ، إذ يقول مالا يعتقدون !

أما الصبر فما أحوج الأمة الاسلامية الى فهم معناه الصحيح ، لأن ضعفها فى شتى الميادين ناشىء عن فقد الصبر ، فطالب العلم لايجد من نفسه صبرا على التوسع فيه والتعب فى تحقيق مسائله ، يقلد دون أن يجدد ، ولو كان عنده احترام لسابقيه من العلماء لحذا حذوهم وابتكر ابتكارهم فلا يقف عند الترديد . ثم هو إذا تعلم لايجد صبرا على مشقة الدعوة لما يعلم ، ولا جلدا على تحصيل الوسائل لنشر مايعلم ، بل يخور عند أدنى معارضته ، ويلجأ الى السكوت .

وأما التواصى بالحق ، فهو حياة العلم ، لأن العلم مصدر الحقائق ، ومطمأن النفس الى إيمانها الصحيح ، والايمان طور أعلى من أطوار النفس البشرية ارتقت اليه لتخلص من سوء سيىء كانت عليه ، فالنفوس البشرية دون ايمان تنحدر الى الشهوات كالعجماوات ولا تفرق بين الشر والخير حين تعكف على اللذة المريضة من غير هدى مستنير ، وأى شقاء يصيب النفس البشرية اذا لم تميز بين الخير والشر ، فتقبل على تحصيل ملذاتها دون نظر الى العاقبة ، اذ المراد ما تبتغيه من الشهوات دون حجاب .

● التفسير التوجيهى

بهذا الاتجاه الجاد نحو حقائق القرآن الكريم أصبح كتاب الله مصدر الاشعاع الحقيقى للمسلمين ، وأصبح من واجب المفسر أن ينزع عنه ركام الأقاويل الحمالة ، والوجوه المتشعبة ليخلص الى اللباب النقى من أوجه الهداية الربانية ، وقد جد تلاميذ الأمام فى سلوك نهجه ، وأصبح التفسير القرآنى من بعده باب الانقاذ ، وطوق النجاة . ولا ننكر أن قضايا العلوم الفلسفية واللسانية تجد حظا لدى المتخصصين فى ضوء النص القرآنى ، ولكن الاشعاع المصلح قد وجد طريقه الى اكتساح الظلمات فى دوائر التوجيه الدينى ، والتفسير الحقيقى لكتاب كريم ، تنزيل من حكيم حميد .



لم يختلف الكتاب والمؤرخون فى العالم كما اختلفوا حول شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام .. !

لقد تناوله المفكرون على امتداد العالم كله : من مختلف الامم والعقائد والعصور ، بعضهم تحامل عليه جهلا او لدوافع دينية او سياسية ، وآخرون انصفوا عنه ، واعلوا شانه، وكلهم درسوه ، وحللوا ما جاء به ، واحترموه حتى لو لم يقبلوه او يرفضوه، ودوره فى تحقيق المجد لأمته ، على حد تعبير جوستاف ليبون : وكانت من افقر اهل الارض : واشدهم تخلفا وانزواء ، اضفى عليه : دون شك ، اهتماما خاصا ، وهو ما يعترف به اهل العلم ، وصرحوا به علانية ..



لقد استطاع هذا الانسان الممتاز ان يخضع شعبا شديد المراس لم يستطع اى غاز ان يطأ أرضه من قبل، وباسمه ، وتحت رايته ، هزم المسلمون اعرق الامبراطوريات واعظمها ، وهو حتى اليوم ، جسدا مسجى فى قبره يمارس سلطانا عظيما على ملايين الرجال الذين يؤمنون بشريعته .

ويرى برتيلمى فى كتابه « محمد والقرآن » ، وصدر فى باريس عام ١٨٦٥ ، ان « محمدا احد الرجال الممتازين ومن بين اكابر الرجال الذين ظهروا على وجه البسيطة وتتطلب النصفة أن نحترم عمله كما احترمنا عمل غيره والا نتناوله ، كما يحدث كثيرا ، فى سخرية أو استهانة ، وهى امور تؤذى من يوجهونها اليه اكثر مما تؤذيه هو نفسه » .

ويمضى نويل ديسفرجيه بالامر الى ابعد من هذا فى كتابه حياة محمد وصدر فى باريس عام ١٨٣٧ ،واعتمد فيه أساسا على تاريخ ابى الفدا ، فيرى أن « الرجل الذى انتصر بذكائه على الخرافات المبتذلة التى كانت رائجة فى بيئته ، واستطاعت حميته ان تجمع تحت قانون واحد مشترك كثيرا من القبائل التى كان يفرق بينها البغض والشك ، واحل بدل الصراع الدموى فكرة الايمان بالله واحد ، وامتلات قلوبهم حماسة لنشر عقيدته، مثل هذا الرجل يستحق أن ندرسه بعناية ، ولا شىء فى اعماله يمكن ان ننظر اليه باستهتار ، لانها كلها تصدر عن ارادة واحدة ، وتسير فى نفس الاتجاه » .



فى عيــــون غـــربيـــة

ويلتقى معه فى هذا الرأى الكاتب الانجليزى ميلز ، فى تاريخــــه عن الاسلام ، لان « تاريخ انتشار الاسلام يقدم لعالم الاخلاق والفيلسوف مشاهد عديدة بالغة الاهمية ، ويعرض الوانا من العلاقات الاجتماعية فى امتدادها وتشعبها ، تدهش اولئك الذين يقارنون بين الدينين المسيحى والاسلامى ،وهذا التاريخ ، واؤكد على هذا ، كثيـــرا ما كان موضع تامل العلماء ، وحياة صاحب هذه الثورة القوية ، ومسالك خلفائه ، ومن جاء بعده من امـــراء ، تفتح مجال الدراسة واسعا امام مـــن يتامل تقدم الدول وسقوطها » .

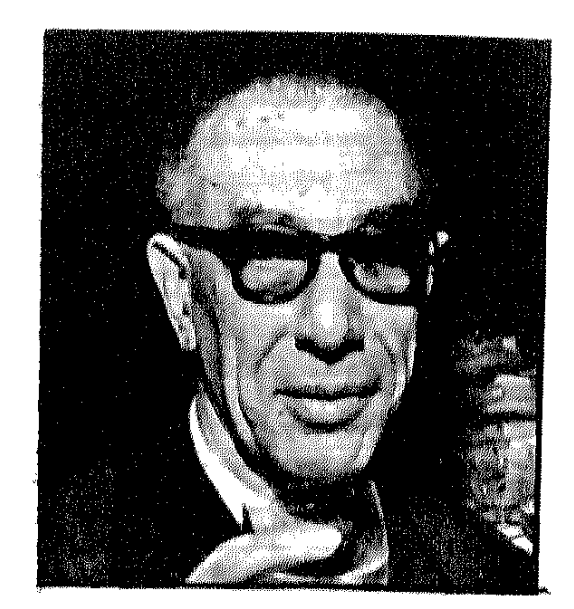
● البداية كانت مختلفة

والواقع أن هذه الدعوات الحديثـــة الى اللاوضوعية كانت رد فعل لصـــمت ثقيل أو هجوم شرس لا يعرف شـــيئا من الموضوعية او النصفة ، ذلــــك أن بلاد العرب قبل الاسلام لم تكن تدخل فى حسبان أحد من رجال الـــحكم او السياسة فى أوربا ، وبقيت يكتنفـــها الغموض ، ولا يعرفون عن أهلـــها سوى أنهم يتعاطون قليلا من التجارة مع مصر والشام ، وأن أبناءيمارسون الجندية ارتزاقا فى الجيوش الفارسية والبيزنطية ، وفيما عـــدا ذلك فهى قفار مجدبة ، ولم يدر بخلد أحـــد أن تلك الصحراء اللافحة تستطيع أن تحدث أمرا تتاثر به أوساط دمشـــق والاسكندرية ، وليس فى استطاعةأهل البادية الا أن ينهب بعضهمبعضا،وأن يقتل بعضهم بعضا الى يوم يبعثون ، ولم يكن ثمة أثر لدولة عربيـــة ، أو جيش نظامى ، أو هدف سياسى عام ، وقصارى ما يمكن أن يقال عن العرب اذ ذاك أنهم شعراء ، أرباب خيــــال وطعان وتجارة ، ولم يفكروا أبدا فى أن يجعلوا من الدين أداة وحـــــدة سياسية أو حياة منظمة ، ولم يعرفوا فى جملتهم غير عبادة الاوثان .

لكن الاسلام استطاع أن يصنع من هؤلاء البدو الرحل دولة ، وأنيجمعهم تحت راية واحدة ، وأن يفتح مصـــر والشام ، وأن يتغلب على فارس ،وأن يحول أهلها الى الاسلام ، وأن يبـــلغ تركستان الغربية وجزءا من البنجاب، وأن ينتزع شــــــمال افريقيا من البيزنطيين ، واسبانيا من القوط ،وأن يهدد فرنسا فىالغرب ، والقسطنطينية فى الشرق ، وأن يتحدى الامبراطورية البيزنطية ، واخذ الناس يتســـاءلون عما اذا كان لهذه الفتوح الاسلاميةمن نهاية ، أو فى وسع أحد أن يوقفها ، وأمست الدول الاوربية المسيحية امام حضارة شرقية جديدة تقوم على عقيدة الاسلام .

وأمام هذا الدين الجديد ، فى قوته وفتوحاته وأسراره، انكمشت الكنيسة، وانطوت على نفسها ولم تحـــاول أن تتفهم الظاهرة ، وحاولت أن تقيـــم بين الاسلام وأتباعها حواجز عاليةمن التناسى ، وعدم المبالاة ، ورأت الخير فى الا يعرفه أحد ، فاذا تحدث عنـــه أحد من رجال الدين ، فلكى يشـــوه صورته تماما ، ويلصق بنبيه كـــل النعوت الشريرة ، دون أن يعـــرفه ، أو يعرف به ، أو أن يقول من هـــو صدقا وبماذا جاء . وبعد هزيمـــة الاوربيين فى الحروب الصليبية بلغت الحملة على الرســـول الكريم أقصى غاياتها شراسة وافتراء .

وفى نطاق هذه الاكاذيب تقع عـــلى



سيلفستر دى ساس



ارنست رينان

ما يضحك ويسلى ، لانه لا يحتاج الى اى تفكير لكى يعرف قارئوه أو سامعه انه اختراع وتوليد ، فبعض المدونات الغربية تشير الى أن النبى كـــان معاصرا لســـان اسيدوبو (٥٦٠ ــ ٦٣٦ م) أسقف اشبيلية ، والعـــالم الوحيـــد ذى الاهمية فى اســـبانيا القوطية ، فذهب الرسول الى الاندلس ولكن كان عليه ان يهرب بسرعة ، لان عالم اســـبانيا وقديسها ، وقمـــة أمجادها ، اكتشف للوهلة الاولى كل اخطائه واكاذيبه •

وهو كلام تردد فى المدونات الغربية الوسيطة زمنا ، ووجد من يصـــدقه ويبنى عليه أحكاما ! • •

وسط هذه العداوات والتقـــاتل بالسلاح والاكاذيب ، ســـوف نلتقى للمرة الاولى بفيلسوف اسبانى مـــن جزيرة ميورقة ، هو رايموند لل تعلم العربية ، وكتب فيها بعض مؤلفاته ، ويعدونه اكبر كاتب وفيلسوف مسيحى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، واستمد جانبا كبيرا من فلسفته مـــن ابن عربى ، يرى ويعلن أنه لا يـــكفى أن يشهر المسيحيون الســـلاح علـــى المسلمين فى ساحة القتال ، وانمـــا لابد من مواجهتهم أولا بســـلاح العلم والبلاغة وهما لا يقهران ، ولكن دعوته هذه لم يكن لها من صـــدى غير التوصية بان يتعلم الرهبان الاوربيون الذين يتعاملون مع المسلمين اللغـــة العربية •

ورغم ذلك ظل القرآن ، والحـــديث عن الرسول ، مرعبين ومخيفين ، وحين قام بجنينو دى بريشيا بطبع القرآن للمرة الاولى باللغة العربية فى مدينة البندقيـــــة عام ١٥٣٠ ، أمر البابا بإحراق كل هذه النسخ ، ولم تنج من هذه النهاية الاليمة ولا نسخة واحدة •

يقول خوسيه دى مونتيرو فى كتابه عن « محمد ، حيـــاته والقـــرآن » : « كانت الفكرة عن محمد فى العصور الوسطى مضحكة حقا ، ولم يحدث أن تعرضت شخصية للهجوم والتحـــامل مثل ما حدث لمحمد ، وكثرة الاساطير التى صاغها رجال الدين والكتـــاب الكاثوليك ضده ، وقد أعماهم الحقـــد الاسود ، تتناول شخصه ودينـــه ، وتحتاج الى عدة مجلدات » •

« ومن الحق أيضـــا أن نقرر أن

الرسول

في عيون غربية

مادحيه من العرب اساءوا اليه بقوة، في اعجابهم به نبيا ، وذلك بخيالهم وخرافاتهم ، فيقدمون دائما الجانب غير المقبول في صورة معجزات مضحكة ، فتلقى معارضوه هذا الكلام على انه حق دون أن يدرسوه » .

● اساطير فارسية

ويرى « أن الاساطير الفارسية بالغت في أدق شيء يتصل بحياة محمد ، وعلى النقيض منها كانت الروايات العربية فيما كتب له من تراجم وسير . فالروايات الفارسية، كما في كتاب حياة القلوب ، هي التي تحكي أن سبعين الف قصر من الياقوت بنيت في الجنة ليلة ولد محمد ، وأنه ولد مختونا ،وخرج من ثدي أمه عند ولادته نور أضاء الجزيرة العربية ، ولم يكد يولد حتى جلس وصاح : « لا اله الا الله وأنا رسوله » ،وأن الملائكة فتحت صدره في عامه الثالث وغسلت قلبه ، وغير ذلك كثير .

« ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فمضى أتباعه بعد وفاته يقصون عنه كثيرا من المعجزات ، ويؤكدون أنه عالج في الحلم عددا من المرضى ، ويؤكدون أن ذلك كان وراء قصيدة البردة التي نظمها البوصيري » .

ويرى بيل أنه « اذا كان الكتاب المسلمون قد اخترعوا الف حكاية وحكاية لتمجيد النبي، فليس ثمة شك في أن خصومه كانت لديهم القدرة ليخترعوا الف اكذوبة واكذوبة » .

ويرفض بيفيه « الكثير من الخرافات والاساطير التي يلصقها بعض المؤرخين الاوربيين الى الرسول ، ويزعمون انها معجزات له ، معتمدين على اية كتابات تصادفهم دون مناقشة لها ودون توثيق ، أو على اية رواية شفوية ممن لا يعرفون ، ويرى أن هذا الاتجاه وليد غيرة شديدة عن الكتاب الكاثوليك ، ولذلك مضوا مع خيالهم السقيم الى مالا نهاية ، والصقوا به صفات والقابا تسيء اليهم اكثر مما تمس شخصه ، والا فبماذا يسمى الانسان قول بعضهم: ان محمدا مجرد كاردينال لم يستطع أن يجعل أتباعه يختارونه بابا ، فاخترع دينا جديدا لينتقم من رفاقه . وهي كذبة بلقاء لا تحتاج الى تكذيب » .

● معجزة شق القمر

كانت القصة التي ركز عليها خصوم الاسلام والمتعصبون ضد النبي ، وكرروها كثيرا ، واشبعوها ترديدا ، واشاعوها في كل مايقولون ويعيدون، هي التي تقول ان القرشيين طالبوا النبي ببرهان على أنه رسول من عند الله فشق لهم القمر ، ورأوا الجبال من ورائه ، وأن الاحجار والاشجار كانت تسلم عليه ، وينسبون اليه معجزة أن القمر سقط في كمه ، وأنه قام برده الى السماء .

ولكن الباحثين المحدثين منهم يرون أن الرسول نفسه لم يتحدث عن أية معجزات قام بها ، ويقول المستشرق الفرنسي ارنست رينان : « لم تكن غاية محمد أن يكون صاحب معجزات،وانما أراد أن يكون نبيا رسولا ، وكرر القول دائما بأنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ، وهو مثل الاخرين يمكن أن يخطيء ، ومن ثم فهو كأي انسان آخر محتاج الى رحمة الله » .

« وباختصار نحن نلتقي بالرسول لطيفا حساسا ، صادقا وفيا ، مبرأ من الحقد والكراهية » ، « ولم يفكر في اية مرحلة من مراحل حياته أن ينسب لنفسه صفة ذات طابع الهي مهما صغرت ، ولم يتوقف ابدا عن القول بأنه من نفس طبيعة الاخرين» .

« وباستثناء رحلته العظيمة الى السماء السابعة ، واعني بها الاسراء والمعراج ، واشار اليهما القرآن في ايجاز شديد ، ودون أن يقدم اية تفصيلات ، فان الرسول نفســـه لا يتحدث عن معجزات له في حياته ، وبداهة بعيد تماما عن كل ما تناقل منها بعد موته ، ولكن بعض اتباعه ، مبالغة في الحب ، وربما في التقى ، بالغوا في اضفاء صفات كثيرة عليه تجعل منه كائنا غير طبيعي ، فهو اسمى من كل الانبياء ، ومن النوع الانساني كله ، ويجيء الكاثوليك ، وخصوم الاسلام ، في مواجهتهم ، فاخترعوا بدورهم كثيرا من القصص غير المعقولة والصقوها به » .

● بداية الاعتدال

أخذت موجة الحقد الشديد لمحمد نبيا وللاسلام دينا ، تنحسر حين بدا أن حركة الاسلام آخذة في الانحسار، وان حضارته تأخذ طريقها نحو السفح، وأن الزمن يعمل لصالح المسيحية ، وعندها بدأت حملة التشويه تخف ، ويمكن أن نعد قرار المجمع المسكوني الذي عقد في فيينا عام ١٣١١ م ، واستجاب لاقتراح الفيلسوف الاسباني رايموندلل بتدريس اللغة العربية في الجامعات الاوربية بعامة، وفي معاهد اعداد القسس والرهبان بخاصة ، بداية هذا الاتجاه .

وحين سقطت دولة الاسلام في الاندلس عام ١٤٩٢ م ، ولما ملكها شارل الاول فيما بعد سواحل شمال افريقيا الاسلامية ، كان واضحا أن الامر حسم تماما لصالح اوربا المسيحية ، وها هي تقاتل الاسلام في عقر داره ، ولم تعد تخشى امره ولا تراه خطرا عليها .

وفي هذا الوقت بدت الحضارة الاندلسية ، المسلمة دينا ، والعربية لغة ، ولم يعد لاهلها خطر يخشى،تمثل ظاهرة فذة ، واصبح توهجها وتقدمها حين كانت أوربا المسيحيةفي الحضيض فكرا وطقوسا وتقاليد ، شيئا جذابا يخطف اهتمام العلماء والرحالة والدارسين والفلاسفة ، فاندفع لدراستها كثيرون ، جاء الفرنسيون في مقدمتهم ، ويليهم الاسبان ، وتميزت دراسات الفرنسيين بشيء من الموضوعية لانهم لم يكونوا طرفا مباشرا في الصراع ، ولو كان يمنعهم لارتباط الاندلس وشمال افريقية بروابط قوية طوال العصور الاسلامية .

ورغم أن الصراع بين أوربا المسيحية والخلافة العثمانية أجج روح العداوة العميقة من جديد للاسلام واهله ، الا أن روح البحث العلمي الموضوعي المحايد قد اثبت اهميتها ، ووضحت فائدتها ، حتى في التعامل مع الاعداء ، ثم عرفت فرنسا مستشرقا عظيما هو سلفستر دي ساسي (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨) ، فنشط الدراسات العربية فيها بمقالاته وكتبه وبحوثه في الصحف والمجلات ، وبخاصة في المجلة الاسيوية ، مما اكسبه شهرة واسعة في دوائر المثقفين على ايامه فاحتذوا نهجه في الاهتمام بالمواضيع العربية والاسلامية ، ومنذ تلك اللحظة شاعت في فرنسا اولا ، وفي بقية أوربا من بعد ، الكتابة عن محمد وعن الاسلام، انطلاقا من الرغبة الصادقة في الدراسة

الرسول

فى عيون غربية

ومعرفة الحقيقة ، والاحاطة بالتاريخ العربى ، والتعمق فى الشريعة الاسلامية ، وليس استجابة لدوافع دينية مناوئة ، او رغبة فى الكيد والتشويه ، ولو ان الامر مع ذلك لا يخلو من استثناءات .

وجاءت الدراسات الاسبانية فى البدء تنضح حقدا وكراهية ، فقد كان يقوم عليها رجال الكنيسة الكاثوليكية ، ويضطلعون بالجانب الاكبر منها ، وكانت تعمل ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر ، تحت مفهوم أن العرب يمكن أن يعودوا الى الاندلس من جديد ، واذن فلابد من تشويه صورتهم ، وتنفير عامة الشعب الاسبانى منهم .

ولكن ما ان بدا الصراع قويا بين فرنسا واسبانيا ، والتنافس حول نصيب كل منها واسهامه فى الحضارة العالمية ، وقال الكاتب الروائى الكسندر ديما كلمته الشهيرة معرضا باسبانيا : « ان أوربا تنتهى عند جبال البرنس » حتى تامل الاسبان حاضرهم فاذا هو لا شىء ، وماضيهم ليس فيه غير نصف قرن من الزمان ، اضاع فيه ملكهم المتعصب فيليب الثانى كل ما ورثوا من ثراء وامجاد عربية فى محاربة حركات الاصلاح الدينيةفى هولندا والمانيا وبلجيكا ، وملاحقة البروتستانت اينما وجدوا ، واذا بالفترة الوحيدة الزاهية التى يمكن أن يطاولوا بها استعلاء الاوربيين عليهم هى العصر الاسلامى ، وهكذا بدأت مرحلة ما يمكن أن ندعوه : اسبانية ، أو قومية، التراث الاندلسى، ويعنون به أن الحضارة العظيمة التى ازدهرت فى اسبانيا خلال العصر الاسلامى انما قام بها اسبان يتكلمون العربية ، ويدينون بالاسلام ، ولكنهم اسبان أولا وأخيرا .

ومنذ تلك اللحظة أخذت دراسة التراث الاسلامى فى الاندلس بخاصة، والاسلام بعامة ، والرسول على نحو أخص ، تأخذ منحى جديدا ، فيه كثير من الموضوعية ، وحتى التعاطف مع العصر العربى أحيانا .

وأدى استعمار أوربا لكثير من البلاد الاسلامية الىازدهار الدراسات العربية والاسلامية على نحو لميعرفه التاريخ من قبل ، فكثرت البحوث المتعمقة التى تدرس الاسلام واهله ، والرسول وشريعته،والعربية ولهجاتها، والفرق الدينية ، وتميزت كل دولة بجانب :

ذهب الالمان بالدراسات الجاهلية والسامية انطلاقا من اعتنائهم بالتوراة تاريخا ولغة ، وحاجتهم الى العربية القديمة لحل ما قد يعترضهم منفجوات وهم يدرسون العبرية أو السريانية ، والوقوف على ما بين هذه اللغات من علاقات .

ووقف الاسبان بجهدهم كله عند الحضارة الاندلسية فى جوانبها المختلفة .

وتعمق الفرنسيون فى كل ما يتصل بالشام وشمال افريقيا، فدرسوا عصر بنى أمية دراسة وافية ، وتعمقوا فى المذهب المالكى بلا حد ، وترجموا موطأ مالك ، ومدونة سحنون الى لغتهم .

واختص الهولنديون بالمذهب الشافعى لانه السائد فى أندونيسيا ،

وينشر كتب التراث ، ولا تزال مطبعة بريل فى ليدن حتى يومنا هـذا الدار الاولى خارج العالم العربى فى نشر الكتب العربية .

واهتم الانجليز بتاريخ العـــراق ومصر ، قديما وحديثا ، ولم يتـوقف مؤرخوهم ولا لمحظة واحـدة ، لكي يبرهنوا عند ساعات الخلاف العارضة بين الشعبين ، أن ذلك ليس أمـــرا طارئا ، وانما يعود الى ازمان سحيقة، ترجع الى زمن الفراعنة السومارييين.

وكان الامريكيون عمليين كعادتهم ، فتركوا الماضى لمن يحب ، وأفادوا من كل هذه الدراسات ، وركزوا جهدهم على الحاضر ، وما يعتمل فى العالم الاسلامى من تيارات .

● الرسول بشرا سويا

الاتجاهات السابقة أثمرت كثيرا من الموضوعية فى البحث ، والصدق فى النتيجة ، ومع ذلك فهى ليست مبرأة من الخطأ ، لان المقدمات حين تكـون خاطئة تجىء النتائج بداهة هكـــذا واذن فلا نتوقع من دراسات الاوربيين للاسلام أو الرسول شـــيئا مبرأ من الخطأ على الدوام ، ذلك أمر خـارج عن طبيعة البشر ، ونجـــده عنـــد الباحثين المسلمين أيضا . ولكـــن الشىء الذى نؤكد عليه ان المستشرقين حين يبحثون ويكتبون يصنعون ذلـك لانفسهم ولشعوبهم وليس لنا ، وتنفق الدولة على أبحاثهم ، واذن فمـــن السـذاجة أن نتصور انهم يخطئون متعمدين، لانهم فى هذه الحالة يضرون انفسهم ويكذبون على قومهم .

هؤلاء المحدثون ، ويحكمهم منهـج علمى كما قلت ، ينظرون الى الرسول عليه السلام على أنه بشر ، ولكنـــه انسان متميز ونادر ، وأشـباهه فى التاريخ قليلون ، وهم يقفون طـــويلا



عند فضائله ويؤكدون عليها . وربما كانت أشهر هذه الدراسات تناول كارليل له فى كتابه « البطل وعبادة الابطال» ، فهو يرى « أن محمدا أحد الـــــذين يقتربون من الالهة، أحد أولئكم الرجال الذين جاء بهم القدر ، فقادوا النـــوع الانسانى الى الخير وفتنوه بحق » .

ويضيف فياردوه : « عبثا نفتش فى تاريخ الشعوب عن رجل غيره استطاع وحده ، على نحو ما ، أن يكون سيد نفســــه ومبادئه وغاياته ، ولا يدين بشىء لغيره من البشر » ، ويقـــول جون . ف : « أعتقد أن محمدا لـــم تشب حياته أية رذيلة على الاطلاق ، ومهارته فى الحرب، وفضائله الخلقية، وفطنته تضعه فى مصاف عظمــــاء الرجال » .

وفيما يرى لاكروا دى مارليه : « لا يمكن للمرء أن يتحدث عن محمد دون أن تجتاح داخله مشاعر اعجاب قوية ومتوهجة، اجلالا لهذا الرجل الممتاز. لقد كان نبيا مشرعا وجنديا فى الوقت نفسه ، وانتزع جمعا من رعاة بـدو من استقلالهم لينضموا تحت رايـــة دينه الجديد ، وكون منهم جيشــــا

الرسول في عيون غربية

لا يقهر ، وربما تعمق بعضهم في العلم العسكري وفن السلاح ، ولكن الاخرين كانوا رجال شريعة مدققين ، وعلماء منهجيين ، فاى رجل اخر ولد في قلب صحراء قاحلة ، في القرن السادس الميلادي ، جمع بين بلاغة الشاعر ، وامجاد المشرع وانتصار المحارب » ؟ .

ولم يخف وليم موير ، رغم انه انجليزي محافظ ، اعجابه بالنبي ، رغم انه الف كتابه عن « حياة محمد » في كلكتا في الهند ، وقصد به أن يعاون المبشرين المسيحيين ، ولكن بمواد يقبلها المسلمون ، يقول :

« لقد قضى محمد والى الابد على كثير من الخرافات التي سادت الجزيرة العربية قرونا عديدة ، واختفت عبادة الاصنام امام صيحة الجهاد ، وعقيدة التوحيد والكمال المطلق لله ، والايمان بالقضاء والقدر ، خيره وشره ، حلوه ومره ، واصبح ذلك مبدأ حيا في قلوب اتباع محمد ، والشرط الاول الذي يتطلبه الاسلام ، وكما يهدى الى ذلك اسمه ، هو الاستسلام المطلق للارادة الالهية ، ولا تنقصه الفضائل الاجتماعية ، فهو الذي اشاع الحب الاخوي بين اتباع عقيدته ، وحمى الايتام .. ويستطيع الاسلام أن يفخر باعتدال لا يوجد في اية عقيدة أخرى » .

وأخيرا جاء الكاتب الفرنسي اميل دير مينجهام فقدم لنا « حياة محمد » في شكل روائي محكم ، ولغة فرنسية عذبة ، مستمدة من النصوص العربية ، بريئة من التحامل ، وبعيدة عن الاوهام ، وتجد من القارىء الغربي اقتناعا واقبالا .

● نحن والرسول والغرب

يموج العالم الاسلامي شرقا وغربا بمئات الجمعيات الاسلامية ، علمية واجتماعية ، كلها تتمسح في الرسول ، وتعيش عالة على جهارة الصوت دفاعا عن الاسلام ، ولكنها لا تعمل شيئا علميا نافعا ملموسا . وهي على كثرتها ، اقول كثرتها ، واؤكد على ذلك لانها اكثر من الهم على القلب ، لم تستطع أن تقدم لنا قائمة وافية بما كتبه الاخرون عن الرسول ، سيرة ودراسة وترجمة من العربية ، في مختلف بلاد العالم ، بمختلف اللغات ، في مختلف العصور ، وهي قائمة صنعها الايطاليون لدانتي ، والالمان لجوته ، والفرنسيون لفولتير ، لشكسبير ، والاسبان لثربانتيس والسيد القنبيطور ! .

ودراسة ما قاله الاخرون ، حقا او تحاملا يمهد السبيل لكي نتخذ بازائه خطوة ، ونقول فيه رايا ، ولا يجد اي داعية حرجا ، مهما كان حظه من الثقافة ، في ان يرفضها ، وان يردها الى اساطير ابتدعها خصوم الاسلام ، او الجهلة من انصاره ، وبذلك نقدم الرسول الى غيرنا بشرا سويا ، ونعرض الاسلام ليس دينا سماويا فحسب ، وانما هو دين يحترم العقل ايضا ، ويعمل لخير الناس جميعا .

آيات شيطانية

والصدق مع الواقع الخارجي والواقع التاريخي

بقلم: محمد روميش

على المستوى الفكري ، تثير رواية (آيات شيطانية) لسلمان رشدي ، قضايا عديدة ، حرية الفكر ، وما اذا كان قد وصل بها تاريخها الى اطلاق ، ام ان القيود والشروط بنيه في قوانين الكون وحركة المادة ، قبل حركة الفكر ، واذا ما كانت - حرية الفكر - قد قطعت شوطا مقبولا ، وترسخت ، كقيمة اجتماعية ، في حضارة ، وفي مدينة ، وفي نظم اجتماعية ، بعينها دون البعض الآخر ، فالى اى الاسباب يرجع التباين .

● والحق ، ان الحضارة الغربية ، في تقدمها المطرد ، قد حققت مكاسب حقيقية ، لانعتاق الانسان ، من اسار البداثية ، والعصور الاوربية الوسطى ، مثل الاعتراف لابنائها بحرية الضمير ، وما يتبعها من حرية الفكر ، وحرية العقيدة ، والتسامح ، مما اصطلح - عموما - على تسميته بحقوق الانسان . وقد اكتسب الفرد الاوربي ، هذه الحقوق ، عبر كفاح طويل ، دفع فيه حياته ، تنكيلا وحرقا ، في احيان كثيرة ، بحيث يصح ان يقال ، انه انتزع هذه الحقوق ، من انياب الدولة السياسية ، ومن طغيان المجتمع .

والحق - ايضا - ان الانسان الاوربي - ومن ثم الدولة الاوربية - قد قصر هذه الحقوق ، على نفسه ، دون امتلاك القدرة على الاعتراف ، للآخرين ، بمثل هذه الحقوق . وما الحروب الصليبية ، وما حركة الاستعمار في العصر الحديث ، وما التفرقة العنصرية ، في جنوب افريقيا ، وفي الولايات المتحدة ، وفي اسرائيل ، الا امثلة ، على عجز الانسان

آيات شيطانية

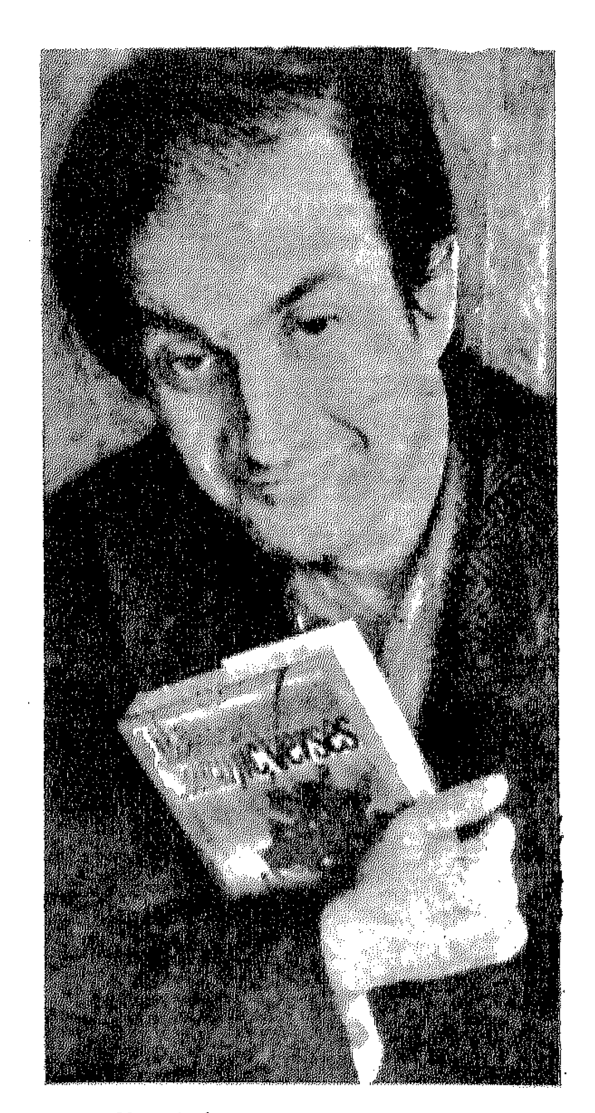
الاوربى ، عن أن يعترف لغيره بالحقوق التي اكتسبها لنفسه ·

هل يدخل في مثل هذه الاطر ، السماح بنشر « رواية » (آيات شيطانية) بما حوته من مغالطات ، وخروج عن واقع تاريخي يكاد أن يكون موثقا ، وكان سببا في ايذاء مشاعر ملايين البشر ، ايذاء بشعا لا شك فيه ، دون اى هدف انساني ، فضلا عن خروجها على مبادىء « الفن الروائي » ؟

فعلى المستوى الفنى ، قد استقر مذهب الواقعية الاجتماعية ، القائل ، ان الروائى لا يحاكم بسطوره وصفحاته ، أو « المنطق الذاتى » للعمل الادبى ، انما يوجد عنصر خارج العمل الادبى ذاته ، يتمثل فى شرط أن يتوافر للعمل الادبى مصداقيته للواقع الخارجى · فحين تكتب يائيل دايان رواية « غبار » وتصور أرض فلسطين ، قبل الاحتلال الصهيونى ، مجرد مستنقعات فى الشمال ، ورمال فى الجنوب ، فنحن لا نكتفى فى تقييم هذا العمل الروائى ، بما قام عليه من بناء وشخصيات ولغة · لكن يبقى التساؤل الهام ، عن مدى الصدق فيما قالته الرواية ، مع الواقع الخارجى ، وانا لنرجع الكاتبة الى الرواية / الوثيقة « خربة خزعة » وهو اسم قرية فلسطينية ، وقد سجل الرواية ، كاتب صهيونى آخر « يزهار سميلانسكى » وكان ضابطا فى بعض وحدات الجيش الاسرائيلى التى كلفت فى السابع والعشرين من نوفمبر ١٩٤٨ بمهاجمة مجموعة من القوى الفلسطينية الواقعة بين المجدل وبيت حانون ، والقيام « بتطهير » شامل لهذه القرى ، من «محتليها» الفلسطينيين ، حيث الارض حقول يانعة « كنا نلتف حول القريةمن جنوبها ، ونصعد التلة ، حين تكشف السهل على حين غرة عن يميننا ، فى بواكير ضوء النهار الشتوى ، المنجلى اخيرا ، اللازوردى المتذهب ، الجارف كريح متقاطعة ، كبحر ممتد ، فتتدفق المخضرة والسمرة والصفرة ، بقع فرح واتساع صدر ، فسيفساء حقول ، مسالك خطوها ، بساط حكمة فلاحين نسيج أجيال ·· سرنا قدما » (ترجمة توفيق فياض ـ نشر دار الكلمة ص ٥٧) · لم تكن أرض فلسطين مستنقعات مهملة ، لذلك ، فدون مصادقة العمل الادبى ، للحقيقة الخارجية ، يصبح الادب نوعا من الاعلام الدعائى الرخيص ، الذى يحاول أن يتسلل الى القارىء فى غفلة من وعيه ··· عشرات الاعمال الروائية ، تنهدر قيمتها لافتقادها الى الصدق الموضوعى الخارجى · بل ان كاتبا مثل فرانز كافكا ، وهو يكتب الرواية الفكرية ، نلاحظ أن جزئياتها واقعية ، وفى هذه المناسبة ، مما يذكر بالخير للاستاذ نجيب محفوظ ، أنه ابتعد تماما عن أن يتخذ « القرية » موضوعا لاى عمل روائى ، ولا شك أن السبب يعود الى احساسه بضرورة المامه الدقيق بحياة القرية ، والا افتقر ابداعه صفة الصدق فالعمل الروائى اذن يخضع فى تقييمه الى شرط أن يكون صادقا مع الواقع الخارجى الذى يقام العمل الادبى به وفيه ··

والرسل وضوحا وتوثيقا ، وان حياتها الذاتية والعامة تكاد أن تكون موثقة ، بحيث حين يتضمن عمل روائى كبير هو « دون كيخوته » لميجل دى ثربانتس ، اشارة الى أن النبى محمد كان له تمثال من ذهب ، فان افتقاد هذه المعلومة الى الصدق التاريخى يسىء الى العمل الروائى ، ونقرأه بروح التدقيق والتشكك ، لان رسالة الاسلام ، فى بدء الدعوة ، فى واحد من جوانبها ، تطلبت هدم التماثيل ، وليس اقامتها من ذهب ، ولعل هذا ما حدى بالدكتور عبد الرحمن بدوى ، وهو يترجم الاشارة الى الذهب ، أن يعلق « كان هذا مدى ادراك القوم فى ذلك العهد ... للاسلام وللنبى محمد .. وسنرى شواهد هذه العقلية في ثنايا الكتاب كله ، مما يصور مشاعر التعصب وما انطوى عليه من جهل وافتراء واختراع واكاذيب (دون كيخوته ــ المجلد الاول ــ هامش ص ١٧) .

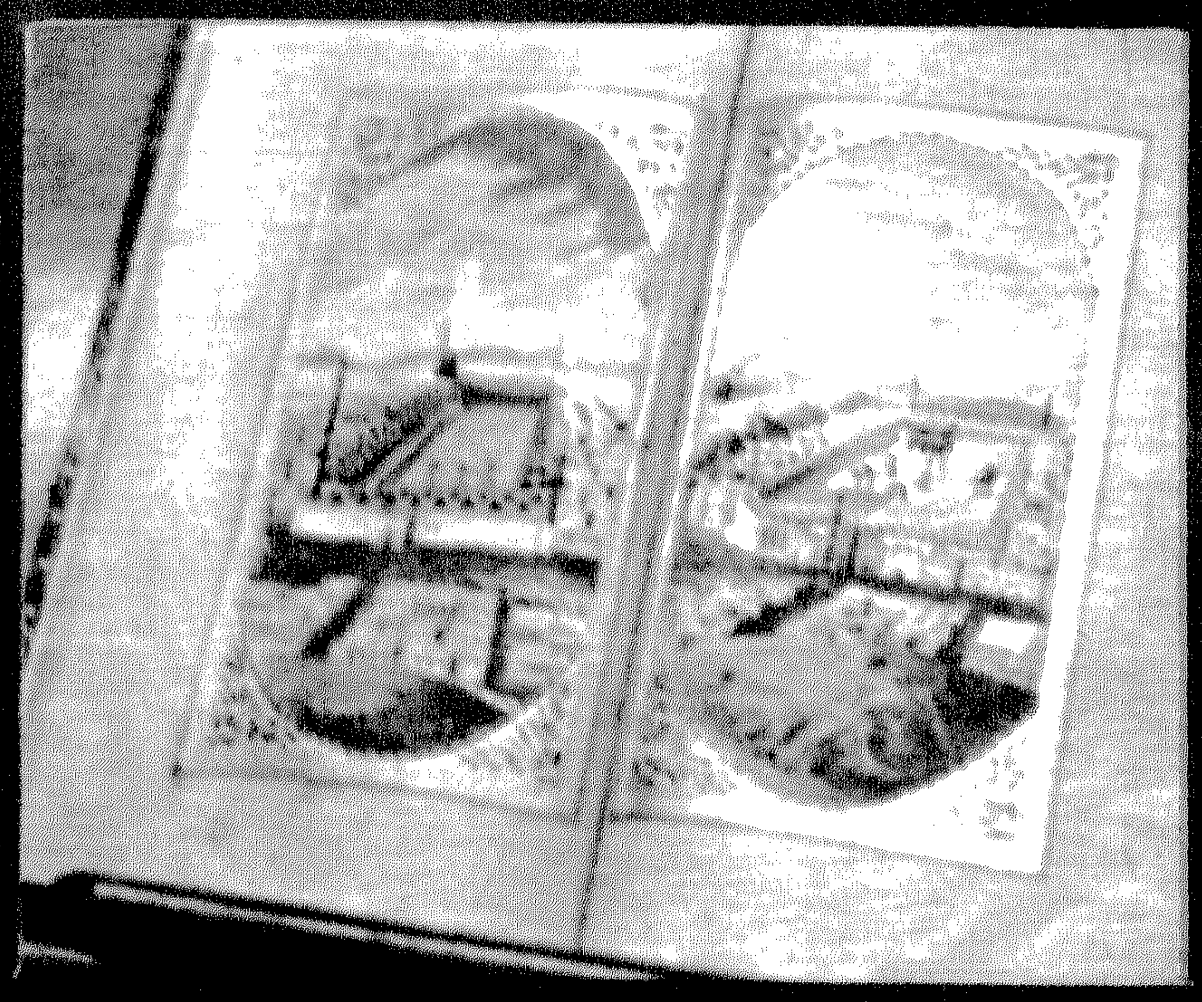
بهذا المعيار الفنى ، نحاكم ونقيم رواية « آيات شيطانية » وما تضمنته من افتراءات واختراع واكاذيب عن زوجات الرسول ، وغير ذلك مما يتصل بحياته ، ليس فقط مما يدفع الدم للفوران ، ففوق ذلك ، فان مخالفة « وقائعها » للحقائق التاريخية .. والتى عرضها بدقة وامانة ، ليس فقط ، الفكر العربى الاسلامى ، بل كتاب اجانب آخرون ، مثل المستشرق الاسكتلندى « مونتوجمرى وات » فى كتابيه « محمد فى مكة » و « محمد فى المدينة » .. دليل على أنها رواية هابطة عن عمد .. مع سبق الاصرار والترصد .



سلمان رشدى .. يحتضن كتابه الملعون

والحقائق التاريخية ، ليست بعيدة عن حقائق الواقع ، فالرواية التاريخية ، أو التى تتخذ من التاريخ تكئة لها ، أو تقيم بعضا من شخصياتها الروائية عن شخصيات تاريخية ، عليها أن تلتزم ، وتخضع فى تقييمها على اساس ، توافقها مع الصدق التاريخى الواقع خارجها .

ومن المعروف ، أن حياة النبى محمد عليه السلام ، لكونها اقرب الشخصيات الدينية ، تاريخا ، الينا ، من اكثر شخصيات الانبياء

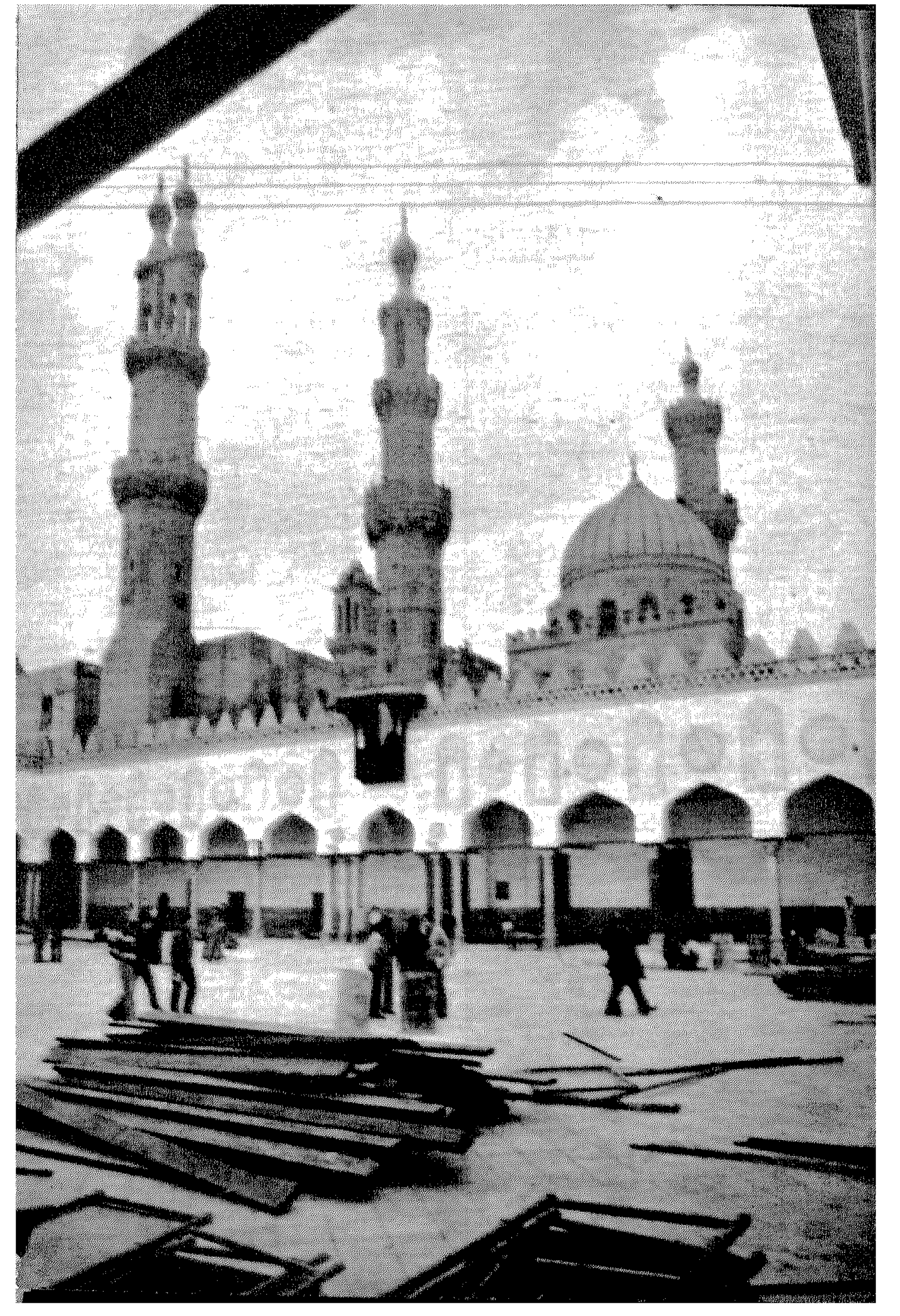


تصوير: فارس حماد

دور مصر في الحضارة الإسلامية

بقلم: د. نعمات أحمد فؤاد

الحضارة الإسلامية كما يؤمن أصحابها حضارة المسلمين في مختلف ميادينها ومقوماتها [illegible] أسهم فيها الجميع على تفاوت في الفضل والعطاء



دور مصر في الحضارة الإسلامية

ولمصر فى هذه الحضارة عطاء جذرى يتمثل فى :

- العلوم الإسلامية
- التصوف
- البيئة الحضارية
- جمع الحديث
- الفقه
- علم القراءات
- تفسير القرآن
- تجويد القرآن
- الأزهر
- الفن الإسلامى
- الأدب العربى بشقيه
  - الفصيح
  - الشعبى

- الوقفة الحاسمة فى المعارك الحاسمة
  - الصوارى
  - عين جالوت
  - حطين
- تأمين العلماء فى المحنة
  - عندما دالت دولة العرب فى الأندلس
  - عندما اجتاح التتار بغداد
- نشر الإسلام والتمكين ، له .

- حفظ التراث الإسلامى فنصفه فى مصر وحدها والنصف الآخر موزع فى الشرق والغرب . خطوط عريضة كبيرة الدلالة فى تاريخ الإسلام ومسيرته وعلامات مضيئة لمصر الإسلامية .

ومع أن الموضوع كبير واسع متعدد الجوانب فإنه يحتاج إلى طواف رابط لهذه الخطوط العريضة فى حياة مصر وتاريخ الاسلام فى محاولة تعميق وتفسير العطاء المتبادل بينهما تصح به النتائج حين ترفدها وتؤصلها مقدمات دارسة تتعمق الأسباب ولا تكتفى بظواهرها حتى ولو قام عليها ، دليل .

بداية : كيف ولماذا أسلمت مصر ؟

أرفض جملة وتفصيلا ، عزو إسلام مصر إلى التخلص من الجزية أرفض هذا رفضا قاطعا ...

فالجزية كانت دينارين فى العام على رب الأسرة فقط ويعفى منها النساء والأطفال والمرضى والشيوخ ... وهى بعد هذا مقابل حماية الثغور أى الانتظام فى سلك الجندية أى «بدل عسكرى» بينما الاسلام الزكاة فيه أحد أركانه الخمسة تفرض ربع العشر على الأسرة المسلمة جميعها حتى من ولد ليلة العيد ... هذا غير زكاة المال . وهذا كله أضعاف الجزية

● إيمان بالإسلام

لو أن المسألة «مال» فإن الإسلام يفرض على معتنقه أعباء مالية ودفاعية فالذى يقبل عليه ، ووراءه ، إيمان عميق به ، تهون معه التضحيات بألوانها ... إن الجزية ضئيلة بالقياس إليها .

لو أن المسألة مادية لأحجم عن دخول

الإسلام ، الحريصون على المال حيث يرون الجزية ، أهون

كما ان الإسلام يلزم المسلم بحماية الثغور أى «الجندية» والجندية عند كافة الشعوب ليست أمنية لمخاطر الحرب على الأبناء .. من وجهة نظر الأهل فضلا عن مشاقها الأخرى . وقصة «نلسن» لحمل الشباب على التطوع للبحرية الانجليزية ، معروفة ..

اذن الإسلام مع الزكاة والجندية ، إيمان بالإسلام لاتقية ... إخلاص لاتخلص ... وخلوص لانكوص

ومصر حين دانت بالإسلام لم تكن تدين بشيء غريب عليها بل مالت إليه بما ، فيه ، منها ... من ماضيها ومن طبيعتها ومن مسيحيتها . ففيه من ماضيها وطبيعتها البساطة وعدم التعقيد والتركيب . وفيه من مسيحتيها قصة عيسى ومريم ، وزيجة مارية أم إبراهيم من النبى عليه السلام كما كانت «هاجر المصرية أم إسماعيل والد عرب الحجاز ... وكان عبدالله القبطى وأبو رافع القبطى من صحابة الرسول . وفى الإسلام من مسيحية مصر ، إحساس التعاطف مع النصارى أقرب الناس مودة إلى المسلمين (ذلك أن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون) .

وفى الإسلام لمسيحية مصر ، تحية طالما رددها الرسول القائل (استوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما) ومن قوله عبدالله بن عمرو بن العاص الذى كان يقول : (أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يدا ، وأفضلهم عنصرا . واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة) .

هذه النغمة الاسرة الرءوم تلين صلابة العناد ، وتذيب رهبة الخوف والتهيب فى جو تضاربت فيه مذاهب المسيحية مما صوره كتاب أرنولد Preaching Of. Isiam

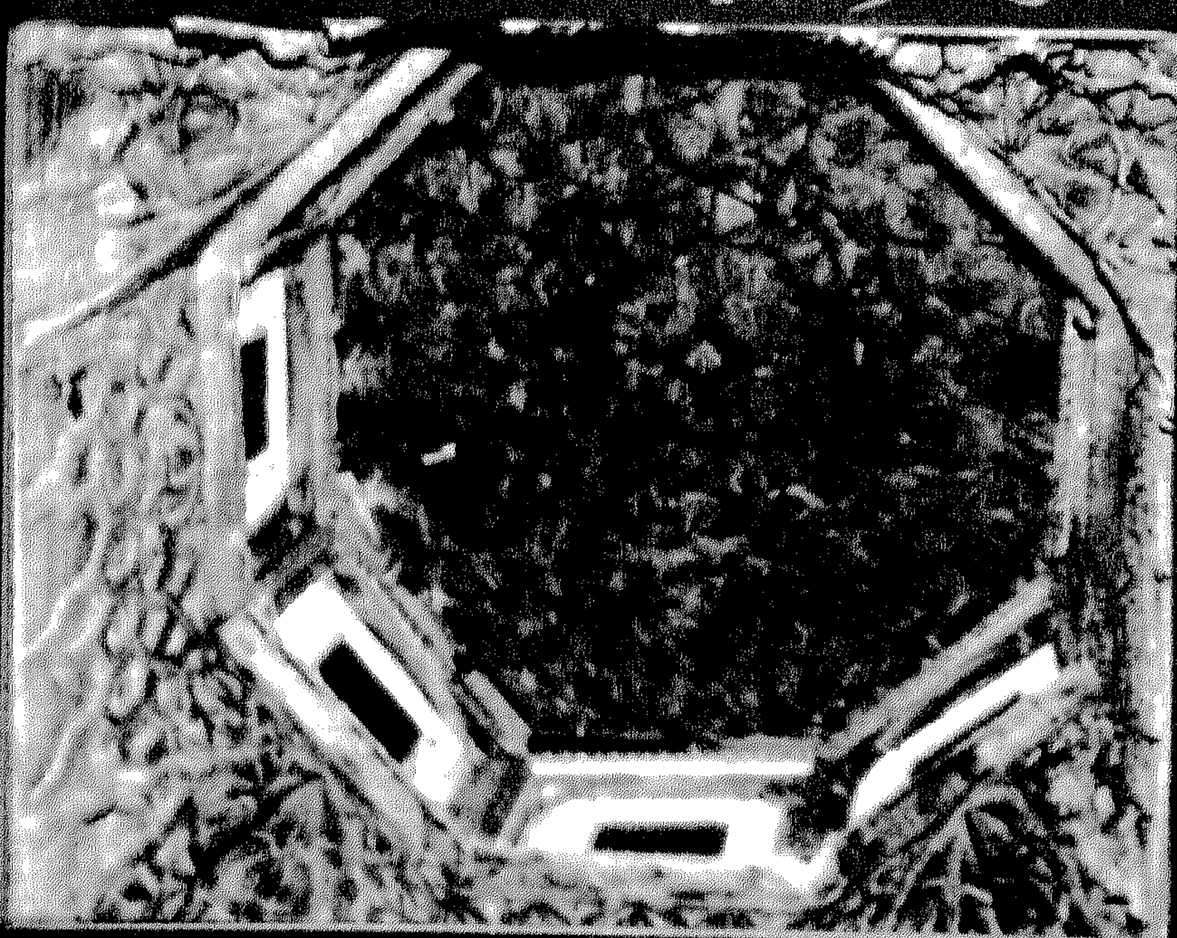
واشتد الصراع بين أصحاب الطبيعة الواحدة والطبيعتين حتى رأى بعض المسيحيين فى الإسلام مخرجا من التيه وعنف الاضطهاد للمسيحيين المصريين حتى أتى على كنائسهم فلم يعد فى كثير من النواحى كنيسة أو راع ... كل هذه العوامل أخلت أمام الإسلام الميدان الحسى والمجال النفسى خاصة فى القرى والنواحى البعيدة ـ إذ كانت المسيحية ذات شأن فى الاسكندرية باعتبارها معقل الرومان الذين اتخذت مصر المسيحية تكأة وتعلة لحربهم منتهزة فرصة حرب الرومان المسيحية ... فكان اعتناقها المسيحية فى البداية حركة سياسية ، ثم لونا من المخالفة لهم والتعبير عن المقت والعناد ولتأكيد وجودها واظهار شخصيتها بحرية الاختيار والمغايرة وبذا اتسعت شقة الخلاف بين مصر والرومان إذ أصبح سياسيا ودينيا معا وإن كان فى الحقيقة شيئا واحدا ، فطالما لجأت مصر إلى المقاومة الروحية فى نزاعها السياسى

وفى ظل هذه الظروف نفسها انتشرت العربية فهى بحكم القرآن الكريم متداخلة فى الدين فهى كما يقول الاستاذ الزيات (جزء من حقيقة الإسلام ... فالقرآن ليس قرآنا إلا فيها ، والصلاة لاتكون صلاة إلا بها) .

يضاف إلى هذا ، أمر عبدالملك بن مروان سنة ٨٧ هـ بتعريب الدواوين .

دور مصر في الحضارة الإسلامية

مشكاة من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد قلاوون بتاريخ ٧٦٣ هـ



طراز معماري اسلامي يمثل تحويل الشكل المربع الى المثمن بواسطة الحنايا وذلك لبناء جسم القبة الدائرية

مصحف شريف بخط النسخ المحقق كتبه ابو الفضل محمد السنباطي سنة ٩١١ هـ - ١٥٠٢ م



دور مصر
في الحضارة الإسلامية

ومصر لاتطيق العزلة عن مسرح الأحداث ... ومن يريد أن يأخذ دورا على المسرح ، لابد أن يتكلم لغة الرواية التى تدور عليه .

● الإله الحقيقى

كانت الديانة المصرية القديمة فى جوهرها الأصلى إدراكا للخالد ، خلال العابر ... وقد وصل الخاصة عندهم إلى التجريد وإلى فكرة الإله الواحد . وقد رأيت بنفسى فى متحف لندن لوحة كتب عليها اثنان من رجال العمارة فى عهد امنحتب الثالث ، ترنيمة ، نقتبس منها هذه السطور :

انك صانع مصور لأعضائك بنفسك
ومصور دون ان تصور
منقطع القرين فى صفاته مخترق الأبدية
مرشد الملايين إلى السبل .

وكانت مصر القديمة تقول : أطع الإله الذى فى قلبك)

إذن الإله الحقيقى ليس «آمون» أو «رع» . إن هى إلا أسماء ترمز إلى الإله الحقيقى ... وابن الفارض يقول :

إن الإيمان هو الرحمة ...

وحيثما وجدت الرحمة فوراءها إيمان ...

ومصر القديمة قالت فى أدبها من رحمة :

(كن مرضعا للمريض وأبا لليتيم) .

(مرضعا للمريض) تعبير لم تسبق إليه ولم تلحق فيه . إن التمريض الحديث والعلمى حتى وإن ارتفع الأداء لايبلغ شأو هذا التعبير وكنهه ومداه ... لأن الرضاعة ليست عملا فحسب ولكنها «إنسانية» سكب روح فى روح .... دافق من عطاء نفس ....

قالت مصر القديمة ب (معات) اى العدل والحق والخير .. أى الضمير ولهذا رشد سلوكها واستقامت أعمالها إلى حد ، دخلت معه ، الخلودلأن الرقيب كان داخل النفس المصرية ... والضمير أقوى من القانون الوضعى الذى كثيرا مايتعطل إذا غاب الرقيب الخارجى ....

تقول مصر القديمة (إن فضيلة من يؤثر الحق لأحب عند الله من الثور الذى يقدمه المذنب ، قربانا) .

وسفر الأمثال (٣١ ـ ٣) يقول (فعل العدل والحق أفضل عند الرب من الذبيحة) .

والمصرى عند الحساب يتشفع قائلا :

انا لم ارتكب مايغضب الإله
انا لم الوث ماء النيل
انا لم اصد الماء فى موسم جريانه
ولم أقم سدا فى مجراه
انا لم اتسبب فى حرمان إنسان من حق له
ولم اتسبب فى بكاء أحد
لم انقص المقياس
ولم أطفف فى الميزان
ولم أختطف اللبن من فم الرضيع
ولم اطرد الماشية من مراعيها
ولم أطفىء شعلة فى وقت الحاجة إليها
ولم أعترض على إرادة الله .

ليت الإنسان في كل مكان في شرق وغرب

ليتنا بعد الاف السنين نلتزم هذا أو بعضه ... لتقل الحروب ، وتعود المقوق ، وتخف أمراض القلق والأعصـــاب ، ويتراحم البشر وتهدأ حدة الصراع ، وترشد أسباب النزاع . لتهنأ الحياة

على الديانة المصرية القديمة قامت اليهودية فالمسيحية . اللتان اقرهما الإســلام . وإن مصـــر حين دانت بالمسيحية ، فإنما دانت بها لانها تعبر عن ضميرها بل إن الديانة المصرية القديمة أوشكت في أخر عهدها أن تكون مسيحية قبل المسيح بما نزعت إليه من رغبة الخلاص والتماسه داخل النفس حين يئست من العالم الخارجي وأوت إلى العزلة للتأمل والتبتل .

يقول جان مارتان في كتابه عن الفلسفة المدرسية

(الفن المصري نبوءة بالمسيحية) .

كان فرعون ، مثل المصريين الأعلى بما هو ملك مصر وسيد النيل فلما أصبح الحاكم أجنبيا أزوروا عنه وقاطعوه بل كرهوا العيش يشوب صفوه دخيل ويكدر هناءته واغل . حتى البطالمة حين تمصروا أو تظاهروا بالتمصير وبنوا المعابد على مثال المعابد المصرية ، كان الفنان المصري يترك الخرطوشة المخصصة لاسم الملك باني المعبد ، خالية من الاسم في احساس صامت رافض للاجنبي .. أما رجال الدين المسيحيون المصريون فقد تركوا الوادي إلى الصحراء مما تشهد به مدينة (البجوات) في الوادي الجديد فرد الاسلام (المصري) إلى الوادي وعقد صلحا بينه وبين الدنيا بما فيه من واقعية ونظرة إلى الدنيا والآخرة في وقت واحد .

● مصر .. العقيدة الراسخة

جاء الإسلام ولم يكن جديدا على مصر كل الجدة فمضامينه ومفهوماته وقيمه نفذت مصر إليها بصورة ما ، بالفطرة السليمة والدفع الحضاري معا . إن الجنة والنار والثواب والعقاب والبعث مفاهيم مصرية قديمة ، بل إن بعض الباحثين يرجع المعبودات الوثنية العربية في أصلها إلى معبودات مصرية فاللات (ايليت) ، والعزى (ايزيت) التي هي إيزيس ، ومناة ، ماني إله التناسل عند مصر القديمة .

لقد قامت في مصر أول ثورة شعبية في الدولة القديمة بعد عصر بناة الأهرام واضطر اغنياء (منف) أن يعبروا سيناء إلى صحراء الجزيرة العربية ونزلوا في (المدينة) ثم اقاموا بها ... ومع الإقامة ، بنوا في حياتهم الجديدة ، ماالفوه من معتقداتهم ، في الوطن الام ....

ولايزال أهل المدينة المنورة ، إلى اليوم ، يتميزون بالدماثة والسلاسة والخلق الرضي السمح والودادة ولطف الأسلوب في المعاملة والحديث على السواء .

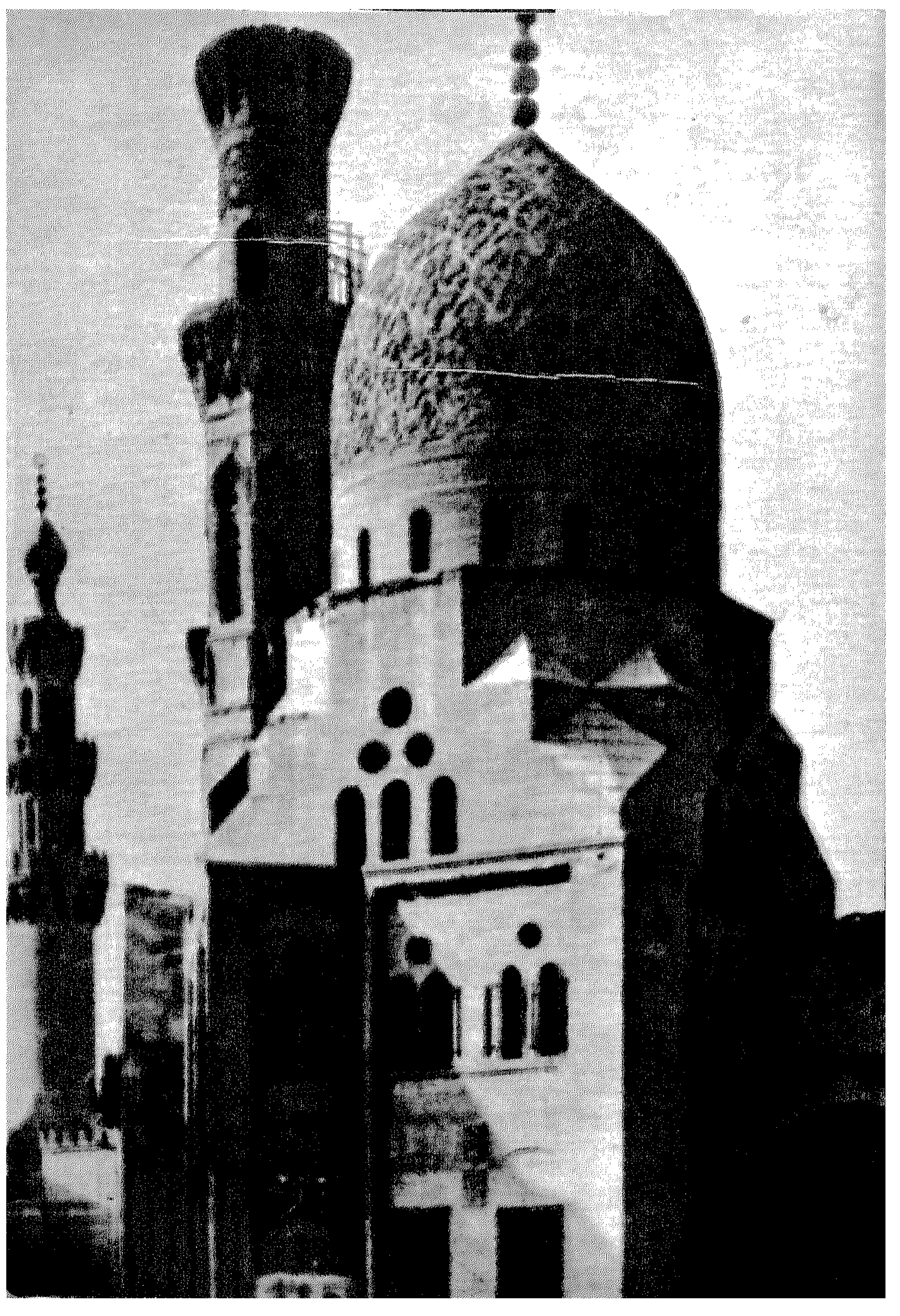
وفي المدينة ضاحية كبيرة تسمى اليوم (طيبة) .

أليست عقيدة البعث وراء فن العمارة المصرية بما خلدته من اهرامات ومعابد بما عليها من نقوش وتلوين وماضمته من تماثيل ؟ أليست عقيدة البعث وراء علم التحنيط المصري ؟

ومن الطريف أن مصر قبل الإسلام حرمت لحم الخنزير منذ اتخذ «سيت» هيئة خنزير وفقأ عين «حورس» فحرمت الديانة

دور مصر
في الحضارة الإسلامية





المصرية أكل لحم الخنزير واعتبرته حيوانا نجسا ... ومع هذا جاء رسم الخنزير فيما رسموا من حيوانات وأمامه ساق يقدم له إناء نظيفا يسقيه منه وعليه مايشبه الشال ليقيه برد الشتاء ... فعلوا هذا احتراما للروح ولو حلت فى حيوان يكرهونه

وفى القرآن الكريم (ولايجرمنك شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ٨ م المائدة ٥

وكان المصريون القدماء يعنون بفحص طهارة الذبائح ومطابقتها لمقتضيات الطقوس الدينية .

والطهارة فى مصر القديمة كما جاء فى كتاب (الحضارة الطبية فى مصر القديمة) امر ليس بالغريب خاصة وأنه نابع عقائديا]

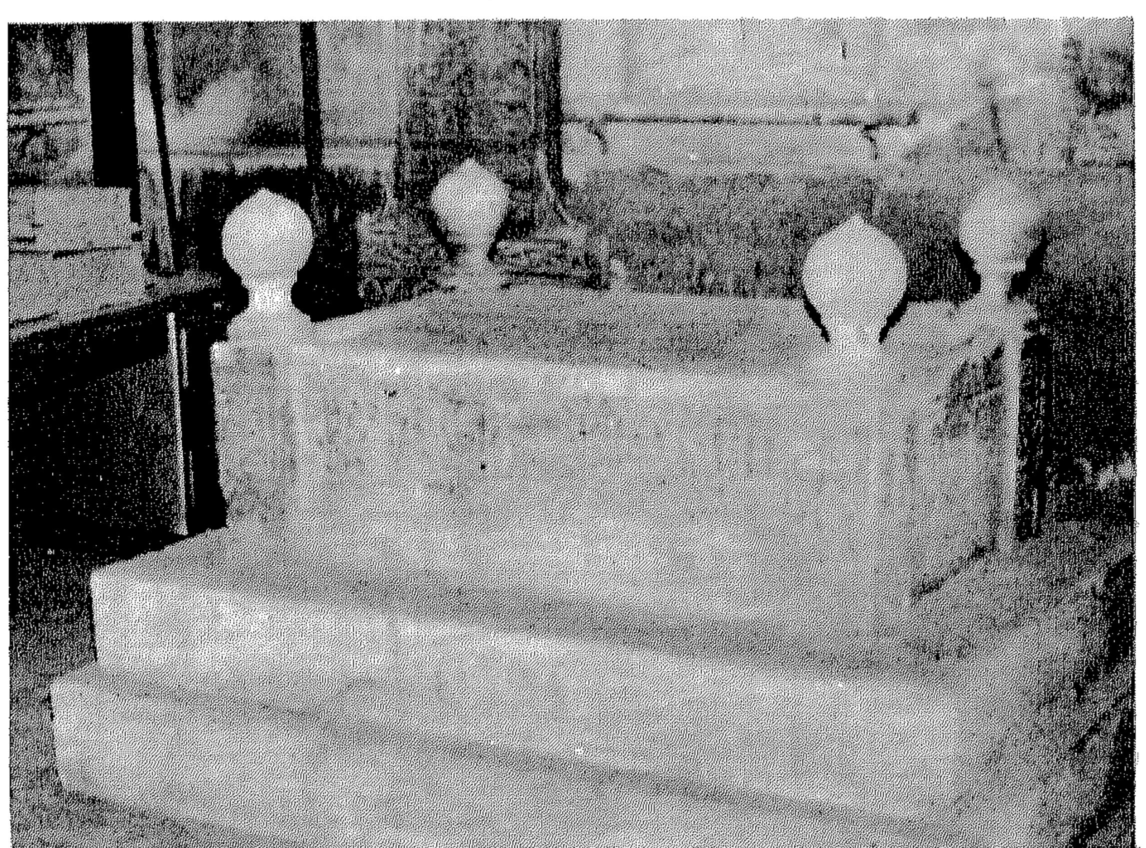
كما يقول هذا الكتاب إن [النظافة كانت عندهم عقيدة قبل أن تكون سبيلا للصحة القويمة] .

وهكذا كان الإسلام فيه الكثير من مألوف مصر الكثير .

هذه أمثلة فحسب .. قليل من كثير ..

ولولا أن اخناتون حمل على الماضى كلية بما يتنافى مع الطبيعة المصرية المحافظة ، ولولا أنه جاء فى لحظة حضارية غير مناسبة ، ولولا أنه لم يكن رجل سلاح حين كان المثال لفرعون ، أنه فى وقت واحد ، رجل سلاح ورجل قانون

تابوت من الرخام يرجع الى العصر المملوكى



ورجل بناء . . لولا هذه الاعتبارات لنجحت دعوة اخناتون العظيم ولكن حسبه ان يكون ارهاصة لكل ماجاء بعده من ديانات المنطقة .

يقول جيمس هنرى برستد فى كتابه فجر الضمير : (ولأمر ما ، ظهرت الديانات السماوية جميعا فى المنطقة التى تحيط بمصر)

● حضارة عريقة

إن حضارة مصر أشد الحضارات احتفالا بالدين لقد عرفت مصر الدين برؤيتها القلبية هناك أنبياء لانعلمهم .... وفى القرآن الكريم : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ٧٨ ك غافر ٤٠

وكان الرسول الكريم يسمى الذين ناى بهم خلقهم عن افعال الجاهلية (الحنفاء) .

وعندما سمع أبيات زهير بن أبى سلمى من معلقته تقول :

ومهما يك عند امرىء من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم
والظلم من شيم النفوس فإن تجد
ذا عفة فلعلة لايظلم

قال عليه السلام (لو كان أدركه الإسلام ، لأسلم) .

وحضارة مصر أشد الحضارات احتفالا بالعمل ... العمل الرائع والجميل ...

دين ، كل عكوف على عمل عظيم .

اننا فى سقارة نرى : العمل فى حركة دائبة

والحركة فى همة فائقة . والهمة فى يقظة عجيبة

ومع هذا ليس هناك نص دينى إلا قليلا .

ولكنك أمام الطرح الرائع للعمل الفنان ، تحس الغائب الموجود ... تحس الوعى بمعنى الوجود .

لهذا كله عندما جاء الإسلام ، شربته مصر ونمت به ونمته فلم يمح شخصيتها بل أضاف إليها عمقا جديدا ، وأضاف لها فضلا جديدا يوم حملت مسئوليته فى السلم والحرب فدافعت عنه فى مواقعه الكبرى ، وحمت حضارته التى تهددها هولاكو والصليبيون ، فوق ما عملته على أرضها برصيدها الكبير فى صناعة الحضارة .

إن الحضارة المصرية هى القاعدة الكبيرة للديانات السماوية بشوقها إلى المطلق ، ونزوعها إلى التجريد ، وولوعها بالقيم فى الفكر والروح .

وهى القاعدة الكبيرة للحضارات الإنسانية بما هى أقدمها وأحفلها بالريادات فى العلوم والفنون بل فى الفكر والروح .

وبعد فهذه مقدمة فقط لموضوعى الذى اعلنته فى بداية هذا المقال وهو (دور مصر فى الحضارة الإسلامية) مقدمة لابد منها فضرورتها للحديث عن هذا الدور ، كضرورة الأساس للبناء

بناء يتكون من خمسة عشر طابقا اشرت إليها فى البداية كل منها يفرد له الحديث .



اللوحة بريشة الفنان :
حلـمـى الـتـونـى

سلطان العاشقين

وسلطانة الطرب

فى ليالى رمضان

بقلم : كمال النجمى

اول مرة سمعت بعض اقاربى فى القريه يتحدثون عن المطربة القديمة منيرة المهدية وزميلها المطرب عبد اللطيف البنا ، منذ ستين عاما تقريبا ، وانا طفل صغير تلتقط اذناه كل ما يستمع اليه من كلام الكبار رجالا ونساء ..

سمعتهم يقولون انهـــا سلطانة الطرب ، فلم افهم بوضوح معنى هذا اللقب ، وظل معناه غائما فى ذهنى حتى انقشع عنه الغيم بعد حين ..

سمعتهم ايضا يسخرون منها ويقولون ان دولتهـا قد دالت بظهـور المطربة الجديدة الشابة ام كلثوم ، ولم تكن ام كلثوم قد بدأت تغنى عـلى ((التخت)) وترتدى الملابس ((الافرنجية)) الا منذ ثلاث سنوات فقط.

سلطان العاشقين
وسلطانة الطرب

● أما المطرب عبد اللطيف البنا فحين سمعت اسطواناته فى أيام الطفولة الاولى ظننته مطربة ، لان صوته مؤنث النبرات ، واداءه اشد تأنيثا ! ...

ولم اكن أظن انى أستطيع رؤية منيرة والبنا رأى العين ، لانهما كانا فى خيالى مجرد اسطوانات تدور فوق قرص الفونوغراف ، وتغنى كالجن من وراء حجاب ! ..

لكن شهر رمضان كان له فضل تغيير نظرتى تلك الى منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا وغيرهما من اهل الفن فى ذلك الزمان ! ..

كنت قد كبرت سنتين او ثلاثا ودخلت كتاب القرية وتعلمت مبادىء القراءة والكتابة والخط والحساب ، وحفظت « جزء عم » من القرآن الكريم، توطئة للالتحاق بالمدرسة الاولية ، وصرت اجلس الى كبار اهلنا باعتبارى من « حفاظ كتاب الله » ! .. وكان بعضهم ينادينى متلطفا : « يا سيدنا » كما جرت العادة بمناداة حفاظ القرآن !..

كان شهر رمضان يقترب ، اذ جلست الى هذه الجماعة من قومنا ، فكان حديثهم كله يدور حول نذر من اعظم النذور فى رأيهم ، قطعه أحد كبرائهم على نفسه حين كان مصابا بداء عضال: لئن شفاه الله من هذا الداء ليقيمن احتفالا موصولا لا ينقطع ليالى شهر رمضان كلها !

وشفاه الله فالى على نفسه ليكونن على رأس نجوم تلك الليالى ام كلثوم وفتحية أحمد والشيخ على محمود ومنيرة المهدية وعبد اللطيف البنا والشيخ أمين حسنين ! ..

وهكذا اقترب شهر رمضان ذلك العام ، واعدا قريتنا وما حولها من القرى ، بليال مضيئة ، وطرق مأنوسة عامرة ليل نهار ! ..

لكن صاحب النذر عاد من القاهرة وفى صوته رنة أسف ، يقول لاصحابه :

ـ ام كلثوم رفضت ان تخطو خطوة واحدة وراء أسيوط ، لان تجاربها فى « مديرية قنا » التى تتبعها قريتنا لم تكن تجارب طيبة ..

قالوا له :

ـ وماذا عن بقية النجوم ؟!

قال برنة أسف أيضا :

ـ فتحية احمد والشيخ على محمود اعتذرا ، وكذلك عبد الوهاب .

ـ ومن سيجىء اذن ؟!

ـ منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا. وربما الشيخ أمين حسنين أيضا ، وقد دفعت لكل منهم مائة جنيه ..

● فى الليالى العشر الاولى أقبل الشيخ صديق المنشاوى الكبير ـ والد الشيخين محمد ومحمود اللذين يتردد صوتاهما فى اذاعات القرآن الان ـ وجاء معه الشيخ جلال ، وهو صيت وقارىء جهورى الصوت ، متين الفن ، ضرير ، جسيم اكول ، لا أتذكر اسمه كاملا ..

وحضر الشيخ «أبو حقيق» ومشايخ آخرون مازلت أتذكر وجوههم وأزياءهم وان نسيت أسماءهم ! ..

كان هؤلاء مشاهير قراء الصعيد الاعلى ورؤساءهم . ولم يكن لى عهد بسماع المقرئين يتغنون بالقرآن بالتلحين والتطريب .. فمبلغ علمى حتى ذلك اليوم كان مجرد قراءته بلا تلحين أو تغن ، فظننت أول ما سمعت القراء يتغنون أنهم فريق من أهل الغناء المرتجل بلا آلات موسيقية ..

ثم لاحظت أن الكلام الذى يتغنون به قرآن لا شعر ولا زجل ، فأصغت اليهم لتبين الامر ، ثم أخبرنى العرفاء أن التغنى بالقرآن فن جميل لا يملك ناصيته الا القلائل من الموهوبين ! ..

كان موقفى ذاك اشبه بموقف علماء الموسيقى الفرنسيين الذين صحبوا حملة نابليون بونابرت العسكرية الاستعمارية على مصر سنة ١٧٩٨ فانهم تمكنوا ببراعة من فهم جميع الوان الغناء فى مصر أيامئذ الا قراءة القرآن لم يفهموا بالضبط ما هى !.. وكتبوا عنها فى تقريرهم : « يحترف اناس فى مصر الغناء أو الانشاد امام اجساد الموتى ، ويعرف هؤلاء المغنون أو المنشدون بالمقرئين » ! ..

ظن الموسيقيون الفرنسيون ـ وكانوا من أعلم أصحاب الصناعة ـ أن « التلاوة » تشبه الخطابة المنغومة عند قدماء الاغريق ، فقد كان خطباء الاغريق فى سالف الاوان يترنمون بالكلمات كأنهم يتغنون بها ، وصولا الى التأثير المضاعف فى قلوب المستمعين ، وكذلك كانت طريقتهم فى كثير من حوار مسرحياتهم ! ..



● وفى الليالى العشر الثانية ، جاء المغنون « الشعبيون » وهم بقايا طائفة الغجر والغوازى التى انقرضت وبقيت صناعة الغناء فى أحفادهم وحفيداتهم .

هؤلاء هم الذين نسميهم فى أيامنا الحاضرة بالمطربين الشعبيين ، وينسج على منوالهم بعض محترفى الغناء والتلحين الان .. والحقيقة أن ما يسمى الان بالفلكلور أو المأثورات الغنائية ، هو من اغانى الغجر والغوازى وسلائلهم ، وليس للشعب المصرى ، فلاحين وعمالا وتجارا وطوائف أخرى ، اثر يذكر فى تأليف تلك الاغانى الفلكلورية أو تلحينها .. ولكن الشعب كان مجرد مستمع لها فلم يكن لاحد من أولئك المغنين الفلكلوريين نسب فى الفلاحين ولا فى

غيرهم من الطبقات ، لان طائفة الغجر أو « الحلب » ـ بلغة الصعيد الاعلى ـ كانت طائفة هامشية خارج المجتمع وتقاليده وانسابه ، تعيش حياة البدو الرحل على ضفاف النيل ! ..

رأيت من حضروا عندنا من أولئك المغنين والمغنيات « الشعبيين » يفطرون فى رمضان ، ولا يؤدون أية شعائر دينية فى ليل أو نهار ، واذا قاموا للغناء فى السهرة كان غناؤهم غزلا يختلط فيه التصريح بالتلميح ، ولكن التلميح يشف عما تحته كأنه التصريح!

لم أتذوق هذه الاغانى حين سمعتها أول مرة ، ولكنى حين كبرت وعاودت سماعها بنظمها البديع ، ولحنها الشجى ، عرفت قدرها ، وأدهشنى ما تحتويه من رقة وشجن وشاعرية ورموز موحية ظليلة .

وكان من أحسنها ما غناه مطرب اسمه « عزب » يضرب على « الدربكة» بقوةويغنى منفردا بصوت أجش عريض يملأ الساحة متحديا كل ما يغرقه به صاحبه يوميا من دخان « الجوزة » والافيون والخمر ! ..

كان« عزب» يشنف أسماع أكثر من الف مستمع يضجون مستحسنين مستعيدين :

فتنا على كوبرى اسنا
ضربنا الهوى نعسنا
واللى شبكنا . يخلصنا
واللى خلقنا .. ينصفنا
ويخلص القلب المشغول
غرامك شغل بالى ! ..

● وفى أول الايام العشرة الاخيرة، رأيت بعد صلاة العصر حشدا من أتباع صاحب « النذر » يسوقون بغالا وحميرا ، وفى المقدمة « عربة حنطور» جميلة يجرها حصانان ! .. .

سألت بعض الكبار :

ـ الى أين هم ذاهبون بهذه الركائب، وهذه العربة الفخمة ؟!

قال :

ـ الى محطة السكة الحديد ، ليحضروا منيرة المهدية وعبد اللطيف البنا ومن يصحبهما من البطانة والالاتية ، أى من المنشدين أو «الكورس» وعازفى الالات الموسيقية ..



كانت المحطة تبعد اكثر من خمسة كيلو مترات ، ولكن سرعان ما عـادت عربة الحنطور تحمل منيرة المهـديـة وعبد اللطيف البنا ، ووراء العـربة صف طويل متعرج من البغال والحمير تحمل المنشـدين وعـازفى الالات الموسيقية ..

كان الكثير من المنشدين القـاسمين من القاهرة يلبسون القفاطين والعمائم، لا فرق بين منشدى منيرة ومنشـدى عبد اللطيف ، وبدت على الجمـيـع علائم الارهـاق من السفر الطويـل بالقطار اكثر من ستمائة كيلو متر ، يقطعها فى اثنتى عشرة ساعة ! ..

لكن الحياة كانت سـهلة فى ذلك العهد ، والريف تغمره الخيرات ، وكل شىء يمكن تدبيره ، والناس طيبون ، والقليل يكفى كالكثير ، بالرغم مـن الازمة العامة الاخذة أيامئذ بخنـاق النظام الراسمالى العالمى ، ومن بينـه مصر ...

● اختفت منيرة بسرعة داخـل بيت صاحب النذر ، وقامت النسـاء بخدمتها وازالة غبار السفر عنهـا ، واعدادها للسهرة ، وراقبتهن ـ وأنـا طفل غير ممنوع من الدخول عليهـن ـ وهن ينظرن باعجاب شديد الى محاسن سلطانة الطرب ومفاتنها .. وكانـت منيرة حينذاك فى الخامسة والاربعين من عمرها ، ولكنها تبدو اصغر سـنا من جميع الشـابات القرويات من حولها .

وجـلس عبد اللطيف البنـا فى « المندرة » الكبيرة وقد استبدل بملابس السفر ملابس غيرها ، والحضور من حوله يسامرونه ويرحبون به ويقولون له : رمضان كريم ! .. ولم يكن قـد بقى على الافطار الا ساعة ! ..

● فى السـهرة ظننت أن منيرة المهدية ستغنى طقطوقتها « اسمر ملك روحى » أو غـيرها من الطقـاطيق الغزلية المشهورة .. وكنت أحفظ فى تلك السـن ـ وأنا دون العاشرة ـ طقطوقة « اسمر ملك روحى » حفظـا دقيقا فـوددت سـماعها من منيرة « شخصـيا » ، كما أسـمعها مـن اسطواناتها ! ..

وقفت منيرة فى بهائها وجمـالها فملأت تلك الليلة من ليالى الشـهر المبارك حـلاوة وطـلاوة .. وغنت قصائد الغزل الصوفى والزهد والقربى الى الله والرسـول ، كانها تقـول للمستمعين : هذه الليـلة للسماء وحدها ، ليس فيها نصيب للاسمر ولا للاشقر ممن ملكوا روحها ! ..

ورققت منيرة نبرات صوتها ـ هكذا اتخيلها الان ولا أدرى اكانت كذلك أم لم تكن ـ وكان معنى هذا الترقيق انها تخاطب فى المسـتمعين رقة أرواحهم وقلوبهم ، وفى كل نبرة من صـوتها همسة تقول : أعطونى قلوبـكم ! .. اسمعونى باروحكم .. دعونى هـذه الليلة اغنى ولا اقترف ذنبا بل اكسب ثوابا ! ..

كانت منيرة فى تلك الليلة ـ كمـا تبدو لى الان بعـد تجارب السنين ـ تغنى بنصف أوتار صوتها ، بل بوتر

واحد ، وربما بنصف وتر ـ لو أمكن ذلك ـ حتى كاد الخفاء يحجب صوتها الكبير ، لقد كانت تخاطب روح الانسان ، والروح خافية لانها من أمر ربى ! ..

وارتفع صوت منيرة بقصيدة سلطان العاشقين الشاعر الصوفى عمر ابن الفارض التىلحنها الشيخ أبوالعلا محمد :

غيرى على السلوان قادر
وسواى فى العشاق غادر
لى فى الغرام سريرة
والله اعلم بالسرائر

وكأنما انفجرت سرائر المستمعين طربا ووجدا ، فهتفوا فى صوت واحد: الله أعلم بالسرائر ! .. وقال العالمون ببواطن الامور منهم : هاهى ذى سلطانة الطرب تغنى كلام سلطان العاشقين ، قدس الله سره !.

ولبث دوى الاعجاب يهز المكان ، ومنيرة رافعة عينيها ترنو الى السماء فى نصف اغماضة ، حتى هدأ المستمعون وتواصوا بالصمت والاصغاء ، ثم أخذوا يستحثونها :

ـ كمان والنبى ياست ! ..

عادت منيرة تغنى :

ومشبه بالغصن ، قلبى « م »
لا يزال عليه طائر
حلو الحديث ، وانها
لحلاوة شقت مرائر

ولو جاءت منيرة بسكين حادة فشقت مرائر هؤلاء المستمعين ، لما صرخوا طربا وهى تقول بملء صوتها : « .. وانها لحلاوة شقت مرائر » ! .. وصاح أحدهم :



يا سلطان العاشقين ، ما أحلى كلامك فى فم سلطانة الطرب !.

سكر المستمعون بخمر الغناء وأنداء الليل ، وهدأوا هدأة الشبع والرى والاستسلام للدعة والحبور ، وكان كل كلام يقولونه عن حلاوة لقائهم بشعر عمر بن الفارض وأداء منيره المهدية والحان أبى العلا محمد ، لا يفى بما يحسونه من وجد الطرب وما أثمره فى قلوبهم من الروح والريحان وجنة النعيم !.

● فى آخر الليل وقف على المنصة عبد اللطيف البنا ، وقال المستمعون : ليته يغنى القصيدة النونية ! ..

سألتهم :

ـ وما القصيدة النونية ؟!

أجـابوا :
ـ أصبر حتى تسمعها ! ··
ولم يكد عبد اللطيف البنا يقول :
« الهى ليس للعشاق ذنب » ·· حتى ضج المستمعون استحسانا ، فهذا هـو مطلع القصيدة النونية التى يطلبونها
وانطلق البنا يغنى بصوته الرفيـــع الشبيه بصوت الانثى :

الهى ليس للعشـــــــاق ذنـب
فلا خـــوف ولا هـــم يحزنـونا
ولا لـــــوم عليهم فى غـــــرام
لانـه انـت تبلو العاشـــقينا

وصاح الذين مسهم العشق الالهى والحب الصوفى ، وسالت دموعهمحتى اخضلت اللحى ، واحمرت العيون ، ثم اعجزهم الوجد عن الصياح ، فاوماوا الى المطرب باصـــابعهم يستزيدونه ، فانطلق وقد تسلطن وفاض بالنغم فى سخاء دافق :

فتخـلق كل ذى وجـــه جميل
لـه لحظ يصـــيد الزاهـدينا
وتـودع جفنـه الفتـان سـحرا
به يسـبى عقـــول الناظـــرينا
وتامرنا بغض الطــــرف عنـه
وقد اضحى الفـؤاد به رهينــا

لم يكن ثمة ستار ينســــدل على المطرب بعد أن أتم غناءه ولكن ستار الطرب انسدل على مســـتمعيه ولم يفيقوا الا على صوت جهورى يدعوهم الى طعام السحور ··

● لم يحضر الشيخ امين حســنين الا فى الليلة الاخيرة من رمضـــان ·· كان جميلا أنيقا ، تزيده العمـــــامة جمالا ، وتحسبه بزيه الازهرى أحـــد علماء الازهر الراسخين فى العلم !··

كانت الليلة الاخـــيرة هى ليـــلة الشيخ أمين حسنين ، وليلة قصــيدة البردة للبوصيرى ··
والبردة فى الصــــعيد ـ وربما فى بلاد عربية كثيرة ـ تشـــبه أن تكون كلاما مقدسا ·· لهذا يصغى اليهـــا المستمعون كما يستمعون الى الـــكلام المقدس ··
ارتفع صوت الشيخ أمين :

امن تـذكر جيران بذى سـلم
مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
ام هبت الريح من تلقاء كاظمة
واومض البرق فى الظلماء من اضم

اشتد طرب المستمعين للفصل الاول من البردة فى الغزل وشكوى الغرام ، ولكن طربهم تحول الى ما يشـــبه « الهرير » فى ميادين القتال عنـــدما انتقـل الشـيخ الى الفصل الثالث فى مدح النبى عليه السلام :

محمد سيد الكونين والثقلين « م »
والفـريقين مـن عرب ومـــن عجم
هو الحبيب الـذى تـرجى شفاعته
لكل هول من الاهـــوال مقتحـــم
فمبـــلغ العـلم فيـــه انـــه بشر
وانـه خير خـــلق اللـــه كلهم ··

كانت ليلة الشيخ امين حسنين مسك الختام ، وفى صبيحة عيد الفطـر ، جلس الشيخ فى « المندرة » ومعـــه عبد اللطيف البنا ، واقبل عليهمـــــا الناس مهنئين بالعيد ·· وفى داخـــل « البيت » كانت نساء القرية والقـرى المجاورة يحتشدن حول منيرة المهدية، يتبركن بها ، كانها شيخة طريقة،وكيف لا تكون وقد غنت شعر العارف باللـه عمر بن الفارض ، واحيت بالزهـــد والورع ليالى شهر رمضان ؟! ··



● لست ادرى ـ على وجه اليقين ـ فعلمى محدود جدا فى ميدان رصد المباحث البلاغية .. لست أدرى إذا كان المشتغلون بمباحث البلاغة العربية ، من المحدثين والمعاصرين ، قد طرقوا هذا المبحث الذى تشير اليه هذه الصفحات ؟ .. أم أنه مازال غائبا عن دائرة الاهتمام ؟ ...

صحيح أن مباحث مثل : الاعجاز القرآنى .. والمجازات النبوية .. والتفسيرات « الاشارية ـ الصوفية » .. والتأويل .. قد حظيت بالعديد من الدراسات .. لكنها دراسات تناولتها من منظور بلاغى خالص .. أو كلامى خالص .. وأغلب الظن أن هذه الدراسات لم تتناول هذا المبحث كفن متميز قامت فيه البلاغة اداة لتحقيق المقاصد الفلسفية للمتكلمين الاسلاميين ..

والأمل الذى يراودنا هو أن تكون هذه الصفحات ـ التى سنحشد فيها ـ لهذا السبب ـ العديد من النصوص ـ حافزا يثير انتباه علماء البلاغة العربية ـ ولست منهم ـ ليضعوا فى المباحث « البلاغية الكلامية » معالم هذا الفن المتميز ـ فن بلاغة المتكلمين ـ مبرزين دور هذه البلاغة فى علم الكلام الاسلامى ، المجسد لابداع امتنا العربية الاسلامية فى الفلسفة المتميزة عن فلسفة اليونان .

● بلاغة المضمون

وبادىء ذى بدء ، فنحن نلفت النظر الى تميز فن البلاغة عند المتكلمين من فلاسفة الاسلام ، بالاهتمام بالمعنى والمضمون والمحتوى ، دون الوقوف كثيرا عند الشكل والألفاظ ، فضلا عن الاستغراق ـ حتى الغرق ـ فى المحسنات اللفظية ، على النحو الذى أصاب البلاغة العربية فى عصر التراجع والجمود وضمور الابداع ! .. فعلى حين تتوجه مباحث البلاغة ، المتعارف عليها ، إلى الألفاظ والصياغات والتراكيب والأساليب ، نجد الهم الأكبر والأول ، بل وشبه الوحيد ، للبلاغة عند المتكلمين للفكر والمعنى والمضمون ، مقررين ، فى حسم ووضوح ، أن « المعنى » هو العامل الأول والأفعل فى تحديد صورة الألفاظ والتراكيب والأساليب .. فبلاغة المضمون هى السبب فى بلاغة الشكل والأسلوب ...

سئل المتكلم المعتز عمر بن عبيد [٨٠ - ١٤٤هـ ٦٩٩ - ٧٦١م] عن البلاغة ؟ ..
- فقـــــال :
« إنها تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المئونة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل في قلوبهم ، بالموعظة الحسنة ، من الكتاب والسنة ! .. »

ولابن جنى [٣٩٢هـ ١٠٠٢م] - وهو معتزلى - فى رائعته - [الخصائص] - التى أجادت الابانة عن « فلسفة العربية » - الكثير من النصوص التى طرقت هذا الميدان .. فهو يرى ان اولية المعنى على اللفظ مذهب تميز به العرب وامتازت به العربية ، ذلك « أن العرب - فيما أخذناه عنها ، وعرفناه من تصرف مذاهبها - عنايتها بمعانيها أقوى من عنايتها بألفاظها .. » .

وهو يرجع بلاغة الألفاظ والأساليب عند العرب الى عنايتهم ببلاغة المعانى والمضامين .. « فاذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها ، وختموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غُربها «اى ارائلها» وأرهفوها ، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هى بالألفاظ ، بل هى عندنا خدمة منهم للمعانى وتنويه وتشريف . ونظير ذلك إصلاح الوعـاء وتحصينه ، وتـزكيته وتقديسه ، وإنما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه .. » .

ثم يمضى ابن جنى ليضرب على هذه الحقيقة الأمثال :

أ - فعناية العرب بالمعنى والمضمون هى التى جعلت لغتهم متميزة الفاظها .

ب - وهذا التقديم الذى نراه « لحروف المضارعة » فى أول الفعل ، إنما حتمه الاهتمام بالمعنى والمضمون فى العرف العربى .. فمما « يدلك على تمكن المعنى من أنفسهم ، وتقدمة اللفظ عندهم ، تقديمهم لحرف المعنى فى أول الكلمة ، وذلك لقوة العناية به ، فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكنه عندهم .

جـ - وهذا « التكرار » الذى يتمثل فى « التضعيف » - اللفظى - بـالمصــادر الرباعية ، قد جاء ليعلن عن « المعنى » المكرر .. فأنت « تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتى للتكرير ، نحو : الزعزعة ، والقلقلـة ، والصلصلـة ، والقعقعـة ، والجرجرة ، والقرقرة ... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر .. » ..

د - وهذا التوالى السريع فى حركات المصادر والصفات انما يفصح عن سرعة الفعل وتوالى حدوث المعنى .. فصيغة « (الفَعَلى) - فى المصادر والصفات - انما تأتى للسرعة ، نحو : التشكى ، والجمزى ، والوَلَقى .. فجعلوا المثال الذى

بلاغة المتكلمين

• المحكم .. والمتشابه .. والنقل .. والعقل :

توالت حركاته للأفعال التى توالت الحركات فيها ... » .

هـ ـ والقوة والضعف التى تتميز بها أصوات الحروف بعضها عن البعض الآخر ، انما هى أثر من آثار القوة والضعف للمعنى المراد من الألفاظ التى تشتمل هذه الحروف .. فالمعنوى هو أصل الحسى .. كما فى « قولهم : صعد ، وسعد . فجعلوا الصاد ، لأنها اقوى ، لما فيه اثر شاهد يرى ، وهو الصعود فى الجبل والحائط ، ونحو ذلك .. وجعلوا السين ، لضعفها ، لما لا يظهر ولايشاهد حسا ، إلا أنه مع ذلك صعود الجد ، لاصعود الجسم .. » .

و ـ والتفاوت المعنوى فى الأحجام هو الذى يقف وراء تنوع حروف الكلمات الدالة على هذه الأحجام .. فمثلا : « سد ، وصد . فالسد دون الصد ، لأن السد للباب يسد والمنظرة ونحوها ، والصد جانب الجبل والوادى والشعب ، وهذا أقوى من السد الذى يكون لثقب الكوز ورأس القارورة ونحو ذلك ، فجعلوا الصاد ، لقوتها ، للأقوى ، والسين ، لضعفها ، للأضعف ..»

هكذا توجهت عناية المتكلمين العرب المسلمين الى بلاغة المعنى ، فكان الوعاء وكانت الألفاظ والأساليب ، عندهم ، تابعة للمحتوى والمعنى والمضمون ... ولم يقفوا عند الشكل ، فضلا عن الاستغراق فى المحسنات اللفظية والزخرفة الأسلوبية ، كما صنع ذلك آخرون ، حسبوا ـ ظلما ـ على البلاغة والبلاغيين ؟! ..

ولم يكن هناك بد للمتكلمين الاسلاميين من خوض هذا المبحث ، مبحث بلاغة المعنى والمضمون ، الباحثة عن « تقنين بلاغى » للألفاظ والتراكيب والأساليب ... ذلك أن القرآن الكريم قد اشتملت آياته على ما هو « محكم » الدلالة .. وما هو « متشابه » ، لابد من إعمال العقل كى يرد إلى « المحكم » ويرتبط به ، تحقيقا للاتساق فى الأحكام المستمدة من القرآن ... فكانت « البلاغة » ، بمعناها العام ، مبحثا من مباحث المتكلمين ، وأداة من أدواتهم ، لاغنى عنها لنفى التعارض الظاهر بين نصوص قرآنية ، بعضها مع البعض الآخر ، وتحقيق المؤاخاة بين « النقل » وبين « العقل » ، على النحو الذى امتاز وتميز به الاسلام ...

واذا كان تعريف « المحكم » هو : « ما أحكم المراد به عن التبديل والتغيير ، أى التخصيص والتأويل والنسخ ، مأخوذ من قولهم : بناء محكم ، أى متقن مأمون الانتقاض ، وذلك مثل قوله تعالى : «إن الله بكل شيء عليم» ، والنصوص الدالة على ذات الله تعالى وصفاته ، لأن ذلك لايحتمل النسخ ... » .

وإذا كان تعريف « المتشابه » هو ما خفى بنفس اللفظ ولايرجى دركه أصلا .. «بالنسبة للعامة والجمهور .. فلقد سلك المتكلمون المسلمون سبيل العقل ، بواسطة البلاغة ، لتحقيق الاتساق بين المتشابه وبين المحكم ، تحقيقا لتآخى النقل والعقل فى بناء علم الكلام الاسلامى : فلسفة الاسلام ..

لقد جاء فى محكم القرآن الكريم بيان انتفاء التناقض والاختلاف عن آياته ومعانيه ، ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ وكان ذلك تكليفا إلهيا للراسخين فى العلم أن يلحقوا المتشابه - بالتأويل - يلحقوه بالمحكم ، إثباتا لاتساق احكام القرآن ومعانيه .. وكانت البلاغة اداة المتكلمين فى تحقيق هذا الاتساق ..

إن قارىء القرآن يقرأ فيه : ﴿ إن الله لا يأمر بالفحشاء ﴾﴿ ولايرضى لعباده الكفر ﴾ وغيرهما من الآيات الشاهدة على عدل الله الذى اذا حاسب وأثاب وعاقب فإنما يكون حسابه وثوابه وعقابه على افعال هى من صنع الفاعلين ... لكن هذا القارىء يقرأ - مع هذه الآيات المحكمات وأمثالها - ايات أخرى من مثل : ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض ﴾ .. وفى ظاهرها مما يفيد ان إفساد بنى اسرائيل - الذى سيحاسبون عليه ويعاقبون - هو قضاء الله .. فكان لابد من التأويل - ووسيلته البلاغة - لنفى التناقض والتعارض والاختلاف ، وتحقيق الاتساق القرآنى فى المعانى والأحكام ..

● التـــأويــــــل :

وهذا السبيل - سبيل التأويل - لم يبتدعه تيار المتكلمين ابتداعا .. بل لقد صدر فيه عن القرآن والسنة -

● فالقرآن يعلمنا أن « التأويل » هو سبيل الراسخين فى العلم لرد المتشابه الى المحكم ﴿ هو الذى آنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ .

ونحن نتعلم من هذه الآية القرآنية الكريمة أن هناك تأويلين : « تأويل أهل الزيغ » الخارج عن قوانين التأويل التى تحددت له فى العربية والمقبولة من علماء بلاغتها .. و« تأويل الراسخين فى العلم » ، الملتزم بهذه القوانين ..

● وفى السنة النبوية الشريفة ، يتحدث الصحابى جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم - فى سياق حديث يرويه - فيقول : « .... ورسول الله بين أظهرنا ، وعليه ينزل القرآن ، وهو يعرف تأويله ... »

فالتأويل من مهام السنة النبوية ، لأنها بيان للقرآن الكريم ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ﴾ ... وهو من مهام العلماء ، حملة ميراث الأنبياء ..

وإذا كان أصل معنى مصطلح « التأويل » هو : « الترجيع » .. فإن معناه فى الشرع الاسلامى هو : « صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذى يراه موافقا بالكتاب والسنة . مثل قوله تعالى : ﴿ يخرج الحى من الميت ﴾ . إن أراد به : إخراج الطير من البيضة كان تفسيرا ، وإن أراد إخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان « تأويلا » - هكذا عرف التأويل ، ومثل له الشريف الجرجانى [٧٤٠ - ٨١٦هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣م] فى كتابه « التعريفات » ... فالتأويل مرتبة من « البلاغة العقلية » تتجاوز التفسير الذى لايتجاوز حدود « البلاغة اللفظية » .

دائرة الحوار

قبل أن تقطع العصابات علينا الطريق :

الموسوعة العربية الشاملة

تمثل فى القيمة والأهمية قيام الصناعات الثقيلة

بقلم: رأفت الخياط

فى عدد يناير من «الهلال» تصدى الاستاذ مصطفى نبيل لقضية من اخطر قضايانا الحضارية .. وليس فيما اقول شبهة مغالاة ، لان الدعوة الى انشاء موسوعة عربية شاملة ، لا ينبغى ان تؤخذ على انها مشروع ثقافى فحسب ، بل انه يمثل من القيمة والاهمية فى نظرى .. اهمية وقيمة انشاء الصناعات الثقيلة ، فهى وان تساوت واتفقت معها فى استراتيجية الخطط والدراسات والجهود والتكلفة وما اليها ، فهى ايضا تتفق معها فى الاهداف ، فكما تنقل الصناعات الثقيلة المجتمعات من الفقر والضعف الى الثراء والقوة .



فالموسوعة كمشروع ثقافى كبير تسهم فى القضاء على بذور التخلف والجهل فى مجتمعنا ، باعتبارها المعيار الحقيقى للنهضة الفكرية والعلمية والثقافية التى بلغها شعب من الشعوب .

وكما ان الصناعات الثقيلة هى الترسيخ الفعلى للاستقلال والسيادة الاقتصادية لامة من الامم ، فإن الموسوعة العلمية هى الرافد الفكرى والثقافى لهذه السيادة وهذا الاستقلال !

والمشروع رغم ماشاب تنفيذه من ركود وجمود وتعثر ، فإن حرارته لم تخبُ ، بل هى تزداد سخونة والتهابا فى صدور المتحمسين له ، والانصاف هنا يقضى الاشادة بحماس الاستاذ مصطفى نبيل ، الذى لم يفتر ايمانه ودفاعه الحار عن هذه القضية ، فقد سبقت دعوته المشار اليها فى صدر هذه السطور ، دعوات سابقة مماثلة ، اذكر من بينها دراسة له بعنوان "الا يكفى ٢٠ عاما لدراسة مشروع الموسوعة العربية" [*]

تصدى فيها للقضية بمختلف جوانبها التاريخية والسياسية والعلمية بشمولية مركزة ، كانت بمثابة الاشارات الضوئية التى تنير جوانب الطريق لمن يريد ان يسهم باضافة لهذه القضية الحيوية الهامة ، فى فترة زمنية حرجة ، دنت فيها



المبتكرات الالكترونية ، واقتربت اجهزة الكومبيوتر من عقول وتناول الصغار قبل الكبار ، وصحبتهم الى عوالم مثيرة من المعلومات المسجلة وفتحت امام عيونهم وعقولهم افاقا واسعة من التجارب العلمية والمصرفية واخترقت بهم ساحات القواميس الالكترونية [*]

● **عصابات التزييف**

ومع اهمية التسليم بالدعوة الى توسيع مساحة تداول هذه "الادوات" بين ايدى الشباب ، فإن هذا "التداول" لا يخلو من خطورة تهدد رصيد شبابنا وحصيلتهم القومية من الحقائق التاريخية ، فقد لوحظ ان هناك خطة متعمدة ومحكمة لتزوير تلك الحقائق وتزييفها ، والاحتيال بنسبها الى غير اصولها وجذورها التاريخية ، سواء كانت اسلامية او عربية ، واقرب الامثلة الى ذلك ، ماتروجه بعض هذه "المبتكرات" المعرفية الالكترونية ، من ان مكتشفى الدورة الدموية الرئوية هما : مايكل سرفتوس الاسبانى ووليم هارفى الانجليزى ، متجاهلين ان العالم العربى ابن النفيس ، سبقهما بعشرات السنين الى هذا الكشف العلمى الهام ووصفه وصفا علميا دقيقا .

وللتأكيد على اصرار عصابات التزييف على استمرار تزويرها للحقائق التاريخية .. اذكر ان هيئة تحرير مجلة الجراحة البريطانية "لانسيت" والتى تضم علماء اجلاء ، اعترفت منذ سنوات بهذه الحقيقة التاريخية ، واعادت الاعتبار الى ابن النفيس ، ونشروا هذا الاعتراف فى مجلتهم ، الا ان النوايا السيئة لعصابات التزوير والتزييف ، تجاهلت كل هذا ، ومازالت تنسب هذا الكشف العلمى الهام لغير ابن النفيس !!

ومن امثلة التزييف الاخرى المدسوسة ، سواء فى مخازن المعلومات الالكترونية المتاحة للشباب ، او فى المعاجم ودوائر المعارف الاجنبية المطبوعة ، اغفال فضل رائد البصريات العربى الحسن بن الهيثم فى كشف النظرية العلمية لفن التصوير السينمائى والفوتوغرافى ، ونسبها مرة الى من يدعى "كيبلر" ومرة اخرى الى من يدعى "باكون" !

والامثلة كثيرة .. وان تعددت اساليبها ، فهم فى معجمات ودوائر معارف الغرب مثلا ، يتعمدون التعريف بعباقرة العلماء العرب باسماء لاتينية ، ليخفوا وراءها جريمة التزييف ، فيطلقون اسم "بولكاسيس" بديلا لاسم الجراح العربى العبقرى ابوالقاسم الزهراوى .. صاحب الموسوعة العلمية "التصريف لمن عجز عن التأليف" ، التى فتحت ابواب اسرار الجراحة على مصراعيها امام اطباء النهضة الاوربية على مدى خمسمائة عام ، كما انه صاحب اكتشافات علمية .. لم يسبقه اليها احد .. ومع هذا يتعمدون ذكر اسمه على هذا النحو .. كنوع من التجهيل او التعتيم .. او صرف الذهن عن "عروبته" ..

والطريف .. اننا فى مصر .. نحرص على جلد انفسنا عتابا ولوما .. لان مذيعا قرأ اسم "داج هامرشولد" خطأ .. حيث

كان ينبغى ان ينطقه المذيع المصرى العربى تماما كما ينطقه "الخواجات" !! .. فإلى هذا الحد كنا نحن حريصين على المحافظة على النطق الصحيح لاسماء البلاد الاجنبية والاشخاص الاجانب .. مهما بلغت صعوبة نطق هذه الاسماء .. بينما نقف موقفا مغايرا .. اذ العصابات زيفت اسما لعالم عربى قدير .. ونبتسم .. بل وندافع عن حق "الخواجات" فى عدم قدرتهم على نطق الاسماء العربية مع انهم .. قادرون .. وهم يتعمدون !!

● رموز الاستعمار

وقد سادت هذه الجرائم وامثالها .. منذ عصور التخلف والاستعمار ، ولان المصالح الاجنبية بمؤثراتها "العصرية" ، ليس من مصلحتها تصفية الاستعمار بل الابقاء على رموزه ، واستبداله بصيغ عصرية لغزوات ثقافية وفكرية تتستر وراء عبارات العصرية والتحديث ، المقصود من ورائها طعن اللغة العربية فى الصميم ، واظهارها بالتخلف والعجز بعدم القدرة على استيعاب علوم العصر ، وبالتالى .. وهذا هو المهم .. بعثرة كل الجهود المخلصة الساعية الى انشاء موسوعة عربية ، وتبديدها فى مواجهة هذا التزييف التاريخى والاحتيال العلمى .

فنحن اذا نظرنا من حولنا ، سوف نجد حقيقة بادية امامنا للعيان تقول ان مجمع اللغة العربية ، حينما انشىء فى مصر فى ١٩٣٢/١٢/١٣ ، اى منذ ٥٧ سنة ، كانت المادة الثانية فى المرسوم الملكى بانشائه تنص على ان :

"يقوم المجمع بوضع معجم تاريخى للغة العربية ، وان ينشر ابحاثا دقيقة فى تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها" ، كما قضت المادة الثالثة للمرسوم بان يصدر المجمع مجلة تنشر ابحاثه التاريخية" .

ومع التقدير الكامل للدور التاريخى والعلمى الذى قام ويقوم به مجمع اللغة العربية ، فإن "المعجم الكبير" الوارد ذكره فى المادة الثانية من مرسوم انشاء المجمع ، لم يظهر الجزء الاول منه "حرف الهمزة" الا فى عام ١٩٧٠ ، وصدر الجزء الثانى "حرف الباء" سنة ١٩٨٢ ، أى ان الفترة الزمنية بين صدور الجزء الاول وبين صدور الجزء الثانى بلغت ١٢ سنة ، والفترة الزمنية بين انشاء المجمع وظهور الجزء الاول من "المعجم الكبير" بلغت ٣٨ سنة !

وهذا امر لا يعيب المجمع ، ولا ينتقص من قدره ورسالته ، وانما يدل على ان اصدار المعاجم او الموسوعات ، امر ليس بالهين ، وانه يحتاج الى جهود خارقة والى وقت طويل ، وهو نفس الشىء الذى حدث مع اعظم معجم لاتينى انجليزى صدر حتى الان ، وهو معجم اكسفورد ، فقد استغرق اصداره نحو ٧٠ عاما ! وقد ضربت المثل بهذا المعجم .. لان ادارته .. اقرب الى ما نقول عنه اليوم "قطاع خاص" .. وان معظم العلماء والمتخصصين فى مؤسسة اكسفورد لا يتناولون اجرا مقابل اعمالهم .. وانما يقومون به على سبيل التطوع ، خدمة للعلم والثقافة والمعرفة .

اما الموسوعة البريطانية الشهيرة المعروفة باسم "البريتانيكا" فقد صدرت طبعتها الاولى عام ١٧٧١ فى ٣ مجلدات ، ظلت تنمو وتتطور ويضاف اليها الملاحق



السنوية ، حتى تجاوز عدد مجلداتها حاليا ٣٠ مجلدا ، وهذا يعني ان هناك ما يقرب من ٢٠٠ سنة مضت ، قبل ان تصل "البريتانيكا" الى هذا التكامل الذى تصدر فيه !

وبعد صدور المجلد الاول للبريتانيكا بعام واحد ، ظهرت دائرة المعارف الفرنسية ، وتلتها فى الظهور الموسوعة الالمانية ثم الامريكية ، واتسع نطاق الموسوعات .. وحرصت كل دولة على ان يكون لها اكثر من موسوعة ..

واثناء ذلك قامت محاولات عربية كثيرة لاصدار موسوعات ودوائر معارف منها "البستانى" و "الاسلامية" و "القرن العشرين" وغيرها .. ورغم الجهد الملحوظ فى اصدار هذه الموسوعات ، فإنها لم تتوفر لها عناصر الاستمرار والتكامل ، وكان اخرها ١٩٥٩ ، تلك الموسوعة قليلة الحيلة التى سميت "الميسرة" فى ٢٠٠٠ صفحة مترجمة بالتعاون مع مؤسسة فرانكلين الامريكية ، ظهرت منها طبعة وحيدة ، لم تتغير ولم تتطور ، ومع هذا جرت على مدارها موسوعة اقل منها حيلة وشأنا .. ظهرت فى ١٠٧٥ صفحة تحت اسم "الموسوعة الثقافية" !

● بعثرة الجهود

ومنذ ذلك التاريخ .. حدثت ظاهرة غريبة .. هى ظهور دوائر معارف صغيرة .. وموسوعات لمادة واحدة محدودة ، ومعاجم منفصلة لعدد من المهن والتخصصات (بعضها مترجم وبعضها موضوع) اذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر :

فى عام ١٩٦٢ صدرت "دائرة معارف الشباب" فى ١٢٠٢ صفحة من القطع المتوسط بمجهود فردى لفاطمة محجوب ، وبعد ذلك صدر عن "الالف كتاب" ترجمة "الموسوعة الفلسفية المختصرة" ، واصدرت دار الهلال "موسوعة الاشتراكية" عام ١٩٦٨ ، وقبلها اصدر مجمع اللغة العربية معجم "الجيولوجيا" سنة ١٩٦٥ ضم ٤٥٠٠ مصطلح ، وفى عام ١٩٧١ صدر عن دار الشروق "فى سبيل موسوعة علمية" ، وفى ١٩٧٤ اصدر مجمع اللغة العربية "المعجم الجغرافى" وفى ١٩٧٥ صدر عن الاهرام موسوعة "الغد ـ فى علم الحيوان" ظهر منها جزءان فقط ، كما ظهر فى نفس العام "معجم العلوم الاجتماعية" عن هيئة الكتاب بالتعاون مع اليونسكو ، وبعد ذلك باربعة اعوام اصدرت هيئة الكتاب قاموس "علم الاجتماع" ، وفى عام ٨٣ اصدر مجمع اللغة العربية "معجم الكيمياء والصيدلة" ، وقبلها ١٩٨٠ صدر "قاموس النهضة للمصطلحات الدبلوماسية" وفى عام ١٩٨٤ اصدرت هيئة الكتاب "معجم اعلام الفكر الانسانى" لم يصدر منه سوى جزء واحد فقط .. كما اصدرت هيئة الكتاب عام ١٩٧٨ "معجم تيمور الكبير" صدر منه جزءان فقط توقف عند حرف "التاء" .

وذلك بالاضافة الى محاولات دار الشعب ودار الجمهورية فى اصدار "دائرة معارف الشعب" وجهود الباحث اسماعيل شوقى فى سلسلة "العلم للجميع

مع ظهور ترجمات لسلاسل "المعرفة" و "الهدف" و «التكنولوجيا"

ومع التقدير الكامل لاصحاب هذه الجهود الرائعة .. فإن "بعثرتها" على النحو السابق ذكره ، شجع عصابات الاحتيال والتحايل - التى اتخذت لها من بيروت مركزا لنشاطها - فرصة هذه "البعثرة" ، وخلو الساحة العربية من الموسوعات الكاملة والمعاجم الوافية ، وراحت هذه العصابات ، تعبث وتلهو وحدها فى الميدان ، باغراق الاسواق العربية بترجمات هزيلة لنوعيات غربية منفصلة من المعاجم الصغيرة المحدودة ، وكان واضحا من ضآلة حجمها وضحالة قيمتها العلمية ، واقترابها من كتب المطالعة ، ان الهدف من اصدارها لم يكن وجه الثقافة او المعرفة ، وانما كان الهدف من وراء اصدارها الكسب والربح على حساب تشويه وتلويث ما اكتسبته المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف ذات القيمة من شهرة واحترام ، وقطع الطريق امام اى نتاج تصدره المؤسسات الجادة المعنية باصدار مثل هذه الاعمال !!

وامام هذه الصور المتداخلة لانشطة متضاربة ، سعت كل منها فى اتجاه مضاد ، ليس هو طريق الموسوعة المتكاملة الشاملة التي ندعو اليها .. مع ان هذه الانشطة ذاتها .. والتى صدرت فى مصر بالذات ، كان من الممكن لو تحدث جهود وانشطة القائمين على اصدارها ، مع اضافات من انشطة مؤسسات جادة وهيئات معنية اخرى .. ان يكون بين ايدينا الان "موسوعة ما" لا تقل عدد صفحاتها عن العشرين الفا ، ولايقل عدد مفرداتها عن المليون !

اقول هذا على افتراض - اختلقه اختلاقا وان كنت ارفضه - لانه قد يخالف منهج الدعوة الصحيحة الى "موسوعة شاملة ومتكاملة" .. ولكننى افترض .. ان هذا قد حدث .. أليس من الافضل الف مرة .. من تفتيت التجارب وبعثرة الجهود وتحطيم الحماس ، ووأد كل بادرة ان تبقى الساحة الثقافية العربية خالية من موسوعة شاملة ؟ !

قد يكون من الافضل ان يصدر المجلد الاول من الموسوعة العربية الشاملة ، بنصيب ولو قليل من الكمال الذى نرجوه ونأمله ، وبعد ان تكون الموسوعة المرجوة قد استقرت شكلا ومنهجا ، لتأتى بعد ذلك مراحل التعليل والإضافة والتطوير فى الطبعات التالية ، التى سوف يصاحبها - كما حدث فى كل الموسوعات العالمية - التوسع فى عدد المجلدات .. واصدار الملاحق السنوية .

بقى .. وقد اوشك حديثى على نهايته ، ان اطرح فكره لاصحاب رءوس الاموال العربية ، بان اصدار موسوعة عربية شاملة ، مشروع مربح من الناحية الاقتصادية ، فوق ان الاسهام فيها ، خدمة جليلة يقدمها اصحاب رءوس الاموال للارتقاء بالنهضة الفكرية والعلمية والثقافية لمجتمعنا العربى .. وهى وان اعتبرناها "خدمة" .. فإنها فى نفس الوقت ، جزء يسير من "ضريبة قومية" فإنها واجبة السداد فمن ذا الذى يستطيع ان يتحمل عبء هذا المشروع الجليل غير ابناء الامة التى انجبت الفراهيدى وابن دريد .. صاحبى اول وثانى عمل موسوعى عربى فى تاريخ الامة العربية ..



موسوعة المجهول العربية

وكفاءة الدورة الدموية للمعرفة

بقلم: محمد فتحى

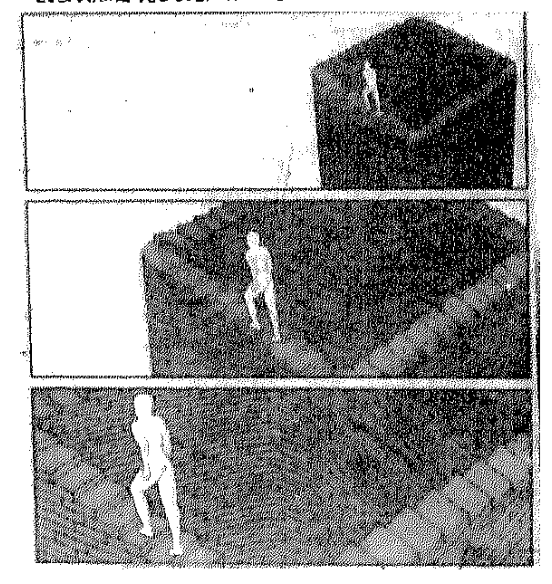
●● حين كتب الاستاذ احمد بهاء الدين (الهلال - يناير ٨٩) انه لم يتوصل الى إجابة سؤال من اهم اسئلة الوجود البشرى (ما الذى يجعل شعبا ما ينهض ويتقدم او يضمحل ويتقهقر ؟) ولعل احدا يحاول الاجابة عن هذا السؤال .. حين كتب الاستاذ بهاء ذلك ، كان قد حث بذكاء نادر على وضع السؤال فى دائرة الحوار ..

وفى محاولة الهلال (فبراير ٨٩) تقديم اجابة عن السؤال شكلت المعرفة .. تقديرها وتناميها وتوظيفها فى حث العمل الجماعى المبدع ، شكلت المحور الاساسى لهذه الاجابة .

والطريف ان عدد الهلال المستقبلى (يناير ٨٩) تضمن موضوعين وثيقى الصلة بقضايا اشاعة المعرفة ، اولهما ، نحو موسوعة عربية ، تشكل عصبا لحركة معرفية فعالة ،

The Encyclopaedia of Ignorance

Everything you ever wanted to know about the unknown



موسوعة الجهل



The Planet We Live On

An Illustrated Encyclopedia of the Earth Sciences

موسوعة للكوكب الذى نعيش فوقه

بقلم الاستاذ مصطفى نبيل والثانى « الجامعة المفتوحة » كمعرض عظيم للثقافة الانسانية بقلم الدكتور شكرى عياد ..

وهكذا تكون الهلال قد اخذت منحاها نحو طرح متكامل لعناصر اشاعة المعرفة .. وهذه سابقة تستحق التعزيز ، بعد ان بات العلم الحديث يعالج اى ظاهرة معقدة بصفتها منظومة (System) ويكد فى تناول عناصرها الأبسط ، وفهم العلاقات بين هذه العناصر ، وكيفية السيطرة عليها ..

ولا باس من تاكيد الطرح المنظومى لقضية المعرفة ببيان اهمية وجود موسوعات مجهول عربية وتكوين شبكة سليمة من الاوعية المعرفية (مثل شبكة الاوعية الدموية) تتمثل فى المكتبات العامة ●●



● قبل ١٥ سنة ، ومع بداية إقامة طويلة بموسكو وجدتنى ، فى ارتباط بظروف العمل الصحفى ، مستغرقا على عجل فى تكوين مكتبة وافية ، فى فروع المعرفة المختلفة ، واستغرب زملاء المهنة ، وهم من جنسيات اوربية وامريكية مختلفة ماكنت افعله .. وحين استوضحت مايستغربونه ، صارحونى بعدم حصافة مسلكى بينما يحوى المنزل المجاور لمنزلى (ناهيك عن مقر عملى) مكتبة عامة ..

ساعتها ضحكت من زملائى فالكتابة فى مجال المستقبليات لاتحتمل بعض خواء - ناهيك عن الخواء الكامل - المكتبات العامة ، كما لاتحتمل تدلل العاملين فى مثل هذه المكتبات ، و ..

لكن زملائى الاوربيين والامريكيين قابلوا كل ذرائعى باستغراب اكبر ، مؤكدين لى ان زيارة واحدة للمكتبة العامة سوف تغير من هذه التصورات المغلوطة . ولما كانت المكتبة مفتوحة على مدار النهار فقد قررت أن اجرب نصيحتهم بالذات بعد ان فشلت فى اقتناء عدد من الموسوعات الكبرى التى يحتاجها العمل لانها ليست متيسرة هكذا للاقتناء ، لمن يدفع وساعة يريد ، وان كانت موجودة فى كل المكتبات العامة (!) وياللعجب فقد قلبت الزيارة تصوراتى عن المكتبات العامة ، رغم انى مدين بتكوينى الأول لدار الكتب المصرية ، حيث كنت اقضى بعض يومى فيها ، ولم يكن قد طرأ عليها (قبل ٣٠ سنة) ماطرأ على المكتبات المصرية العامة هذه الايام .

● شرايين المعرفة

ولا أود أن أثقل على القارىء بالحال التى وصلت اليه مكتباتنا العامة هذه الايام ، فلاشك فى ان اى مهتم جرب يوما ارتياد احداها .. لذا فالاجدى الانتقال مباشرة الى مجموعة من الاشياء التى هالتنى فى المكتبة العامة الاوربية - لان الامر كما خبرت ليس مقصورا على موسكو - « الصغيرة جدا » لانها تخدم « ربما » لايزيد على عشر عمارات (٣٠٠ شقة) ، علما بانها موجودة (ناهيك عن مكتبات مؤسسات العمل والدرس) فى سلم من المكتبات يرتقى من مكتبة الربع الى مكتبة الحى الى مكتبة المدينة الى المكتبات المركزية ومنها مكتبة كاملة مكرسة للاداب الاجنبية ، عثرت فيها حتى من الكتب العربية ، على مالم استطع الوصول اليه فى دار الكتب المصرية ..

كان اول ماهالنى ان المرء يستطيع ارتياد المكتبة واستعارة مايريد من كتبها بضمان رقم بطاقته الشخصية ، ودون اى تعقيدات بيروقراطية .

وكان ثانى ماهالنى ان المكتبة تتيح الاطلاع على (واستعارة) اى كتاب اريد ، حتى اذا لم يكن بين مقتنياتها وذلك بعلاقة او اتفاق مقنن بين شبكة المكتبات العامة وهى علاقة تعمل بانتظام وسرعة بارقة ..

وكان ثالث ماهالنى كثافة مرتادى المكتبة للاطلاع وتبديل الاستعارة .. بدءا

من تلاميذ المدارس وحتى من يحضرون لنيل الدكتوراه ، ومن الاطفال وحتى المسنين الذين يقطع مظهرهم بأنهم باتوا على المعاش (كثير من مكتباتنا القليلة ليست مجرد مخازن للكتب ، وانما مراتع « للفئران »)

وكان رابع ماهالنى دور امينة المكتبة التى لم يلفت مظهرها نظرى للوهلة الاولى ، وان بهرتنى مع الايام ، بانه يكفى ان تذكر لها الموضوع الذى تود الاطلاع (او حتى الدرس المتعمق) فى بابه ولن تمر دقائق حتى تجد امامك عشرات الكتب التى تتناول موضوعك ، وهى لاتكتفى بذلك ، فى كثير من الحالات ، بل تنصحك باستشارة هذا او ذاك ممن يرتادون المكتبة ، لانه مهتم بموضوع له علاقة بموضوعك (!)

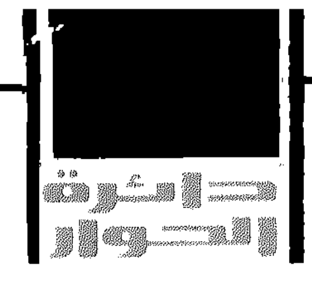
● الموسوعات وإبداع المعارف

قائمة طويلة من الأشياء التى هالتنى فى المكتبة العامة الاوربية ، لكن لا بأس من وقفة عند طفل صغير كان قد لفت نظرى حين اكتشفت من نافذتى مواظبته فى التدريب على الرياضة واداء الحركات الايقاعية بصورة يومية منهاجية عنيفة (كما لاحت لى للوهلة الاولى) فى الباحة الخضراء التى تتوسط عماراتنا السكنية .

بالكاد كان عمره يؤهله للوصول الى الصف الثالث فى المدرسة الابتدائية ، وفوجئت به يوما يدخل المكتبة فى اعتداد ، ويستأذن فى تناول المجلد الثامن عشر من الموسوعة الكبرى ويذهب الى تناوله من موضعه ، ثم يجلس مقلبا الصفحات حتي يصل الى نقطة يستغرق عندها فى القراءة بعض الوقت ، ثم يعيد مجلد الموسوعة الى مكانه وينصرف .

كان لفعل الطفل الصغير الذى يتعامل مع الموسوعة الكبرى رغم وجود موسوعة للأطفال تناهز مجلداتها العشر وموسوعة للشباب و .. كان لفعل الطفل وقع الصدمة علىّ اذ وجدتنى افكر بصورة اوتوماتيكية فى العمر الذى يتناهى الى معرفة مواطنى فيه ان المعلومات مصنفة فى موسوعات ، ناهيك عن توافر مقومات توظيف معلومات هذه الموسوعات فى ابداع معارف الامة (بالمناسبة مخترع ترتيب المعلومات وفق حروف ابجدية هو العالم العربى الخليل ابن احمد صاحب « كتاب العين ») كما وجدتنى افكر بالوجهة التى تدفع بها رياح المناخ العام شراع الناشئة واستعيد وقائع ابتلاع مطالعة « اخبار الاهلى والزمالك .. » لاى اهتمام للنشء بالقراءة .. و...

ويستطيع القارىء ببعض الخيال تصور كيفية عمل منظومة اشاعة المعارف فى المجتمعات الناهضة .. من تفاعل محفزات الجو العام مع حركة اصدار الكتب والموسوعات وانتشار شبكة المكتبات العامة والجامعات الحرة .. لكن مايعطى المنظومة المعرفية وجهتها الابداعية حقيقة تلك الحلقة التى تمكن من توظيف الخبرات والمعارف المعبأة على الورق ، وتجعلها معارف حية تمارس فعلها فى جسد المجتمع وتنهض بنتاجه الابداعى الجماعى (اول نصيحة يتلقاها من حصل



اى برنامج معرفى فى بلادنا : انس كل مادرسته ولنبدأ ..) واستأذن فى ايضاح طبيعة هذه الحلقة بنفس المنهج التمثيلى ..

● موسوعات مجهول عربية

لقد اصبت منذ مشاهدتى الطفل الصغير يتعامل مع الموسوعة الكبرى بما يمكن ان اطلق عليه مرض الاهتمام بالموسوعات .. وعرض لى فى دنياها الواسعة مايسمى بموسوعات الجهل او المجهول (Ignorance) **وكانت المرة الاولى التى اعرف فيها انه حتى القضايا التى لم يتعرف عليها الانسان وبصورة كاملة بعد ، باتت تصنف هى الاخرى ، تسهيلا على الباحث والمبدع والمفكر ، وفى سبيل النمو المعرفى الفعال ..**

واستجابة لتساؤل لابد انه لاح فى ذهن القارىء عن ماهية هذه الموسوعات لابأس من مثال تطبيقى يوضح بيت القصيد من التطرق الى موضوعها واهمية الدعوة الى اصدار موسوعات مجهول عربية ..

لقد اشتهرت مصر بخصوبة اراضيها وبالمناخ الذى يحسدنا عليه العالم ، ناهيك عن وجود مياه النيل ، ورغم كل هذه الظروف المواتية بتنا نستورد كثيرا من احتياجاتنا الزراعية الاساسية ، من بلدان فى ظروف طبيعية اسوأ من ظروفنا بكثير (!) وهذه مفارقة لابد وان تدفع الى التفكير فى الاسباب ، بالذات اذا وضعنا الى جوارها مفارقة اخرى تتمثل فى ان بمصر اكثر من عشر كليات للزراعة تمنح من درجات الدكتوراه - مثل غيرها من كلياتنا الجامعية - مايفوق كثيرا النسب المثيلة فى جامعات الدول التى نهضت زراعاتها ..

وعند التفكير فى اسباب تردى الاداء على هذا لايحتاج الامر الى كثير من العناء حتى ندرك ان للزراعة - كما لغيرها من الانشطة - وجهها الخاص فى كل مجتمع وان ماتحتاجه فى مصر كى تتطور غير ماتحتاجه فى بلد اوربى مثلا ، وان حركة البحث العلمى المنوط بها تمحيص الوجه الخاص لزراعتنا تعمل بعيدا عن هذا الوجه .

ان نواميس تطور المعارف تعلمنا ان الانسان يقع فى اسر اول مايحصله من معارف ومعلومات وانه يحتاج الى وقت وخبرات متعمقة لتجاوز دائرة هذا الاسر ، والتعرف على الوجه الخاص لمشاكله وابداع مايفيده فى حلها .

ولعل المشكلة وفق نواميس تطور المعرفة هذه هى وقوع حركتنا العلمية فى اسر مايصل الينا من معارف خارجية حتى اننا نتعثر كثيرا فى حبائل النقل المباشر (وليس مجرد الاستفادة التى لاعيب فيها) من المدارس العلمية الاجنبية بدءا من نقل المشكلات التى نبحثها وانتهاء بالحلول التى نمحصها مرورا بمناهج البحث التى نستخدمها .. كما اننا كثيرا مانبحث مشكلات ما على انها مشكلاتنا الاولى لمجرد انها طرحت على هذا النحو



احمد بهاء الدين

فى الخارج ، رغم عدم صلاحيتها لاحتلال المرتبة العاشرة فى قائمة اولوياتنا بينما تبقى مشاكلنا الحقيقية دون تناول حقيقى .

فلاشك ان ابحاث استصلاح وتعمير الاراضى فى بلاد تعيش على ٥٪ من رقعتها لايمكن ان تكون ضمن المشاكل الاوربية التى ننقل عنها ، وقس على ذلك مشاكل مثل ضرورات وامكانات الميكنة الزراعية فى بلادنا ، واختلاف متطلباتنا من الهندسة الوراثية من حيث ضرورة التوصل الى محاصيل تتلاءم مع مناخنا غير الاوربى ، ومع الاستغلال المكثف للاراضى ، على نحو لاتتيحه الثلوج الاوربية ، وحتى الوصول الى الاطارات الادارية الملائمة لظروفنا ولحركتنا العلمية ، والقادرة على تجاوز بيروقراطيتنا المتأصلة وتكاسلنا القاتل .

وهذه مجرد امثلة ، كما ان اختيار الزراعة نفسها ليس سوى مثال ، وان كان لنا فلا بأس من مثال فاضح فى هذا الصدد يتمثل فى تلك الرسالة العلمية (!) التى تعد فى احدى كليات الهندسة فى بلادنا (!) حول ظروف الاسكان فى الفضاء الكونى (!) بينما تأخذ مشكلة الاسكان بخناق الغالبية ـ العظمى من المصريين وليت لدى من يعدها مايؤهله حتى للوحام على تطوير مسيرة الحضارة البشرية ذلك انه يسعى فى عداد مراجعه الى مادة تليفزيونية متهافتة اعدت حتى يشاهدها المرء وهو يثرثر ..

والامثلة على « توهان » حركة البحث العلمى فى بلادنا لاتحصى فى مختلف المجالات الامر الذى يقطع به واقع الحال فى الشارع العربى ، لكن هدفنا هنا ليس سرد الامثلة ، وانما الوصول الى اهمية تأليف موسوعات مجهول عربية ترشد من مسيرة حركة البحث فى بلادنا .. ذلك ان لدينا علماء اجلاء اجتازوا مرحلة تكبيل المعارف الاوربية الاولية لعقولهم وامتلكوا من القدرات النقدية الى جوار الخبرات المتعمقة بظروفنا مايمكنهم من ادراك المشاكل الحقيقية التى مازال علينا حلها ، حتى ننجح فى توظيف المعرفة للنهوض بمجتمعنا والاطلاع عن طريق ذلك بدورنا الحقيقى بدلا من الهرب الى اوهام ..

لكننا جريا على عادات تكاد تكون قد تأصلت فينا ، نهدر خبرة هؤلاء العلماء لتظل حركة البحث العلمى لدينا ، على

هزالها او على اختلاط سلم اولوياتها .. لنأخذ مثلا خبرات الدكتور مصطفى الجبلى ومشكلات الزراعة المصرية ، وخبرات الدكتور حماد يوسف حماد ومشاكل الرى المصرى وخبرات الدكتور عبد السميع مصطفى ومشاكل مصر فى عصر الالكترونيات .. وبالطبع خبرات عشرات من العلماء الاخرين ، يستطيع اصحابها أن يقوموا بعملية احياء حقيقية لحركتنا المعرفية ولحركة البحث العلمى فى بلادنا لو رسموا لنا الطريق الصحيح فى موسوعات « المجهول فى عوالم تخصصاتهم » وحددوا لحركتنا العلمية المشاكل التى تحتاج الى حلول فى ارتباط بظروف مجتمعنا .

● القضية قضية وجود

بقيت اشارة الى ان مسألة الطرح المنظومي المتكامل لموضـوع شبكة الاحياء المعرفى (الموسوعة الكبرى ـ موسوعات المجهول ـ المكتبات العامة ـ الجامعات الحرة ..) ليست ترفا تقصد منه وجاهة مافى عصر المعلومات بقدر ماهى محاولة لمواجهة مخاطر كثيرة تهدد وجودنا ذاته ، ولا امل فى تصدينا لها بغير التفكير المبدع الذى يلتزم ظروفنا الخاصة ولايمكن ان نشتريه جاهزا ، او نؤجر من يقوم به عنا .

وان كان البعض يرى ان التكاليف المادية تشكل عقبة فى سبيل انشاء موسوعة عربية كبرى ، فالمؤسف اننا نحن العرب ننفق على مطبوعات هائلة الحجم ولا قيمة لها فى نفس الوقت ، مايكفى لصنع عشر موسوعات وليس موسوعة واحدة ، رغم ان هذه الموسوعة ستشكل إن انجزت اهم المنطلقات الثقافية العربية على الاطلاق .. ولعله من فضل القول الاشارة الى ان أمورا من قبيل تاليف موسوعات المجهول (تصدر فى مجلد واحد كالكتاب) وتحريك شبكة المكتبات العامة لاتحتاج الى امكانات مادية قدر ماتحتاج الى الوعى والارادة والعمل الذى يؤدى غيابه الى سقامنا

وحين نقول ان المسألة مسألة وجود ومصير فليس الامر تعميمات تطلق على علاتها .. ولا بأس هنا من مثال اخير .. فخلال نوبة الولع باقتناء الموسوعات وقع فى يدى يوما موسوعة رائعة فى مجلد واحد عن كوكب الارض ، وحين جلست اتصفحها فوجئت بانها مطبوعة فى اسرائيل وانها معدة رغم احكام معارفها وحسن اخراجها ، على مستوى طلاب المدارس الثانوية هناك (!!) و ..

هذا كما انه ليس هناك مايمنع ان يكون الطفل الذى طالعنا بثقافته الموسوعية ورياضته المنهاجية فى بداية هذا المقال .. ان يكون هو هو بذاته ـ ان لم يكن شبيها له تمتع بنفس الامكانات ـ من يدير المعركة الحضارية ضدنا ، ليس من موقعه الاوربى القصى فقط ، وانما من موقع اكثر قربا بعد ان نزح الى « ارض الميعاد » التى لم تنقطـع عنها قـوافـل المهـاجـرين الاوربيين .

الأديب والكتب

شعر: أحمد قاسم أحمد



ويح الأديب طعامه   وشرابه حلو الكلام
اكل وشرب لاينمّـــــي الجسم مقدار الجرام
انفقت مالى فى اقتنا   ء الكتب .. يابئس الغرام
ماذا افدت بحكمتى   وبارفف الكتب الضخام ؟
اأقوت صبيتى الصغا   ر بقول كتاب عظام ؟
قول إذا أحيا القلو   ب أمات نابتة العظام
وبنىَّ كل نشاطهم   كرة تصاحب بانتظام
لا يقرعون سوى الدرو   س وبعد إيلام السهام
لا يعرفون « البحترى »   ولا الجهابذة الكرام
وَا لَوْعتاه وقد غدا   ميراثهم هذا الركام
طن يقرش فى المزا   د وليس يدفع بالتمام

• •

ابنى لاتتعجلوا   إن غالنى الموت الزؤام
ابقوا على ميراثكم   فالكتب مصباح الظلام

— مائة عام على ذكرى ميلاد العقاد —

العقاد والهلال

بقلم: أحمد حسين الطماوى

إذا كانت ولادة عباس محمود العقاد الصحفية تمت فى جريدة «الدستور» لفريد وجدى . فإن ولادته الأدبية والفكرية كانت فى الهلال منذ أول الشباب . فقد أخذت الهلال بيد العقاد عندما كان شابا صغيرا . ولم تنشر له أعماله . بل طبعت له أول كتبه .

يحدد العقاد تاريخ معرفته بجورجى زيدان فى كتابه «رجال عرفتهم» بعام «١٩٠٥» عندما توجه إلى مكتبة الهلال فى الفجالة ليسأل عن كتاب يتناول فلسفة الجمال ، وقد أفاده زيدان (الذى كان موجودا بالمصادفة فى المكتبة) بأنه ليس فى العربية كتاب يتناول هذا الموضوع .

ولكن العقاد الذى كان يعمل فى الزقازيق ـ فى ذلك الوقت ـ لم تنقطع صلته بالهلال وجورجى زيدان ، فكان يتردد عليه فى المكتبة والمطبعة والبيت ، وكان يدور بينهما حديث حول قضايا الفكر والحياة . العقاد يسأل وزيدان يجيب .. ومما دار حوله كلامهما فلسفة التفاؤل والتشاؤم . وتمضى الحياة بالعقاد فينبذ الوظيفة ويعمل مع فريد وجدى فى الدستور فى الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩٠٩ ، ثم يصاب بمرض صدرى فيسافر إلى أسوان . وكانت قد تكونت عنده مجموعة من الملاحظات سجلها فى دفتر على هيئة يوميات تتناول الفكر والوجود والعدم والأدب والروح والمادة والنفس ، وأطلق عليها «خلاصة اليومية» ولما كانت ظنونه تساوره بعدم الشفاء والانتقال إلى العالم الآخر ، فقد سلم جورجى زيدان «خلاصة اليومية» لنشره من أجل بقاء ذكره . وقد طبعت دار الهلال الكتاب عام ١٩١١ وهو أول ما طبع من كتب العقاد ، ومن حسن الحظ أن ينفد الكتاب فى ستة أشهر . فترتفع معنويته ويتفاعل بالحياة .

وتعد موضوعات «خلاصة اليومية» بذور أفكار العقاد التى تفتقت ونمت وأثمرت فيما

مائة عام على ذكرى ميلاد العقاد



جورجى زيدان



عباس محمود العقاد

بعد ، فقد تحدث عن شعر العواطف ومدى تأثيره فى النفوس ، وانتقد شعر شوقى ، وانتقص من القصص ، واتهم القصاصين بالمغالاة فى وصف ابطال قصصهم ، واهتم بفلسفة الجمال وفرق بين الجميل الذى يحبب الناس فى الحياة ، والجليل الذى يحرك الوحشة فى النفوس ، وكتب عن الأديان والتعصب الدينى ، وعن الحرية الشخصية وعلاقتها بتقدم الحركة الاقتصادية ، وبحث فى اللغة ، ولم يعر ادب الاعتراف اهمية ، كما تناول موضوعات اشتراكية واقتصادية بعضها لا يتفق مع مبادىء الدين وجميع هذه القضايا هى التى اعتنى بها العقاد فيما بعد ، وقد ظل العقاد يذكر كتابه هذا فى ثنايا مقالاته وبعض مؤلفاته ، ويردد اسمه فى ندواته ، وقد سمعته فى أواخر ايامه وهو يعلن موافقته على كل ما جاء فى «خلاصة اليومية» ماعدا اشياء تعلق بالعقيدة .

وفى عام ١٩١٢ يطبع العقاد فى دار الهلال كتابه الثانى «الإنسان الثانى» وهو عن المرأة وظل العقاد بعد هذا التاريخ يذكر جورجى زيدان بالثناء ويكتب عنه ويطريه ، ففى ١٩١٩/٩/٥ يكتب عن «مختارات جورجى زيدان» فى جريدة الاهالى ، وفى مناسبة مرور ربع قرن على وفاته يكتب فى اغسطس ١٩٣٩ بمجلة الهلال مقاله «جورجى زيدان المفكر» ويخصه بفصل فى كتابه «رجال عرفتهم» يقول فيه : «كان على اطلاع واسع فى العلوم التجريبية كاطلاعه على بحوث التاريخ والاجتماع ، ولكنه كان فى سماحة

الفكر وسهولة النظر بحيث يحس كما يفهم ان العقل قد يكون علميا وهو يخوض فى كلام لم يقرره العلم ولم يقرر نقيضه كذلك».

● أول مقال

بعد صدور كتابى العقاد «خلاصة اليومية» و «الانسان الثانى» عن دار الهلال ، ومقالات اخرى فى «الدستور» وفى «البيان» «للبرقوقى» ينطلق العقاد فى دنيا الثقافة والسياسة وتتشعب أمامه الطرق ، وتتعدد الميادين ، ويتألق مجده ، ويلمع اسمه ، ويكتب فى اكبر الصحف مثل «الأهالى» و «البلاغ» و «كوكب الشرق» ، وغيرها وهى صحف ناصرت الثورة ، ودافعت عن آمال الأمة ، وتنقطع الصلات بينه وبين الهلال فترة غير قصيرة ، ثم لايلبث ان يعود .

وكان اول مقال للعقاد فى مجلة الهلال فى عدد نوفمبر ١٩٢٤ عن «المراة الشرقية» وكان آخر مقال نشرته الهلال فى حياة العقاد عن المراة كذلك فى عدد مارس ١٩٦٤ إذ جاء تحت عنوان «اربع نساء كاتبات» وبين المقال الأول والأخير حوالى اربعين سنة نشر فيها العقاد ما يقدر بـ ٢٣٠ مقالة واربع قصائد . وقد جمع من هذه المقالات فى حياة العقاد وبعد موته ما يقرب من ٩٥ مقالة فى عدة كتب منها «مراجعات فى الاداب والفنون» «ساعات بين الكتب» «المراة ذلك اللغز» «خواطر فى الفن والقصة» «عبد القلم» «دراسات فى المذاهب الاجتماعية والسياسية» . وغير ذلك .

وقد كان العقاد يقترب او يبتعد عن الهلال طبقا لظروفه . فلم يكن منتظما فى الكتابة للمجلة ، وإنما كان ينقطع فى بعض الأحيان بالسنوات وعلى سبيل المثال لانجد له مقالات فى اعوام ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٢ . ومن يتامل حياة العقاد فى هذه السنين يجد انه كان مشغولا بالكتابات السياسية فى جريدة البلاغ حتى مطالع عام ١٩٢٩ ثم فى «جريدة مصر» و «كوكب الشرق» و «المؤيد الجديد» ، بعد ذلك وفى عام ١٩٣١ يسجن بتهمة العيب فى الذات الملكية ، وفى عام ١٩٣٢ تجاذبته جريدتا «كوكب الشرق» و «الجهاد» . لذلك لم يكن مهتما بالكتابة فى الهلال . وقد بلغ مجموع ما كتبه فى مجلة الهلال فى الفترة من عام ١٩٢٤ وحتى ابريل ١٩٣٣ سبع مقالات فقط .

ولكن كتابات العقاد اخذت تظهر فى الهلال بوضوح بعد خروجه من الوفد عام ١٩٣٥ . وعلى وجه العموم فإن نتاج العقاد حتى لحظة انشقاقه على الوفد كانت تغلب عليه السياسة والصحافة أما بعد ذلك - وبالرغم من ممارسته للسياسة والصحافة - فإنه غلبت على نتاجه الثقافة بمختلف مسمياتها ، واخذت كتبه الأدبية والدينية والفلسفية تظهر تباعا . وما كتابته فى الهلال بعد عام ١٩٣٥ إلا من هذه الألوان الثقافية التى تناسبها .

ولعل من الصواب ان نشير - ونحن نتحدث عن العقاد بالارقام والاحصاء مستانسين بكتاب عباس محمود العقاد للدكتور السكوت - إلى ان العقاد نشر حوالى ثلاثين مقالا فى الهلال عن سيرته الذاتية وجوانبه الشخصية عرج فيها على اسرته وطفولته واساتذته وتطرق إلى فلسفته فى الحب والحياة ، والكتب التى افادته والأشياء التى جعلته كاتبا واجمل

ايامه وغير ذلك مما يكون نسيج ترجمته الذاتية .

وقد جمع طاهر الطناحي معظم مقالات العقاد المنشورة في الهلال والتي تشكل ترجمته الشخصية واصدرها في كتاب الهلال عدد ١٦٠ تحت عنوان «انا» فكان اول كتاب يحدد ملامح العقاد بقلمه . وفي اواخر عام ١٩٦٤ جمع الطناحي مجموعة اخرى من مقالات العقاد تصور اتجاهات كتاباته ، ونشرها في كتاب الهلال عدد ١٦٥ تحت عنوان «حياة قلم» .

وفي هذا المجال نذكر ان عشرات من كتب العقاد صدرت لأول مرة او اعيد طبعها في سلسلة «كتاب الهلال» او في طبعات خاصة ومن بينها «عبقرية محمد» «سعد زغلول» «ابوالشهداء» «الله» «الفلسفة القرانية «الإنسان في القران» «مطلع النور» «الشيوعية والإنسانية» «معاوية بن ابي سفيان» «رجال عرفتهم» وغير ذلك .

● موضوعات العقاد

المحنا فيما سلف ان العقاد بعد انشقاقه على الوفد اتجه نحو الثقافة الإنسانية في اشكالها الادبية والفنية والدينية والتاريخية والنفسية .. ومن يتجول في مجلة الهلال يجد مقالات العقاد لاتتجاوز هذه الاجناس إلا في ظروف اجتماعية او مناسبات سياسية . مثل مقالاته التي حررت في الفترة من (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) فقد طبعت بطابع الفكر السياسي . وإنه من الطبيعي ان تاتي مقالات العقاد في تلك الفترة حاملة انطباعاته عن الحرب العالمية الثانية ومن مقالاته في تلك الحقبة : «لو انتصرت المانيا لخرب العالم» (هلال نوفمبر ١٩٣٩) «الحياة البرلمانية والحرب» (هلال يناير ١٩٤٠) «اغراض السياسة الروسية في الحرب» (هلال فبراير ١٩٤٠) «البلقان بين مطامع الدول الكبرى» (هلال . مارس ١٩٤٠) «الانجليز في الشرق العربي» (هلال فبراير ١٩٤١) «حرب الباسفيكي وتاثيرها في الشرق» (هلال فبراير ١٩٤٢) «هل يمكن إنشاء حكومة عالمية بعد الحرب» (هلال مايو ١٩٤٤) . وتدل هذه المقالات على تتبع العقاد لسير الحرب وكشف سياسات الدول المختلفة من ورائها ، وتاثير هذا كله في الشرق العربي والدروس المستفادة منها .

ومع ان الهلال ليست مجلة سياسية فانه في اوقات الحروب التي يتعرض معها العالم للفناء يتطلع الإنسان إلى ملاحقة المواقف العسكرية ، ويتلهف على تحليل سياسي لها ليكون تصورات للمستقبل . ومن ثم فإن العقاد والهلال يعملان على تبصير القارىء ويشبعان نهمه في هذا المجال .

وعلى اثر قيام ثورة ١٩٥٢ هاجم العقاد النظام الملكي وراى ان الاديان الكتابية نظرت إلى الملكية نظرة الريب والكراهية ، وذهب إلى ان اختيار النظام الملكي الوراثي في العصر الحديث كان مسالة ضرورة او مسالة شكل وصورة . وقال ان الملك في لغات اهل الشمال معناه «الجمهور» او «القومي» وكان ينتخب وليس له حق توريث العرش . وفي مقال عن «الجيش وقائده» (هلال ديسمبر ١٩٥٢) انتقد سياسة الملك فاروق . ويبدو ان العقاد كان يثق بحركة الجيش فكتب ما اشرنا إليه . ولكنه بعد ذلك امسك عن الحديث إلا نادرا وكان في ندوته يهاجم في عنف الحكم المطلق .

ولم تكن مقالات العقاد كلها في الهلال

جادة أو من الموضوعات التي لانطالعها إلا بعد التسلح بالعزيمة وإنما كثير منها خفيف لطيف يلذ قراءته مثل «ياليل ياعين» «صاحب الجلالة المال» «صاحب الجلالة الحظ» «روح الفكاهة عند شوقي» «كذبة ابريل «هل يباح الحشيش» «دفاع عن الكسل» .. وغيرها وهذه المقالات فيها تعليم وتثقيف كما فيها ترفيه وتفكيه . ففي مقالته «ياليل ياعين» (هلال اكتوبر ١٩٤٩) يذكر مختلف الروايات في أصل الكلمتين ، فمن قال أن سيدا اسمه ليل ضرب جاريته فأصاب عينها ، ولما اشتد الضرب عليها راحت تستعطفه قائلة : ياعيني ياليل ياعيني ثم دخلت الغناء ، ويروى العقاد مقالات أخرى في موضوعه ويعلق عليها بما يقيد . وهذا يعني ان آفاق المقالة عند العقاد يتسع لموضوعات ارخى للنفس ، وأطرب للفؤاد . ومع فائدتها وقدرتها على التاثير وتنبيه الوعي وهذه المقالات دعوة إلى الثقافة والفكاهة يلبيها القارئ عن طيب خاطر .

وفي مجموعة أخرى من مقالاته في الهلال يناقش أدبنا في ضوء عالمية الأدب مثل «هل يصبح لنا أدب عالمي» (هلال نوفمبر ٣٣) و «ادبنا العربي سيكون أدبا عالميا» (هلال يناير ٥٩) ويباهي بأدبنا ويقول «الأدب العربي المطبوع تطور قبل القمر المصنوع» (هلال يناير ٥٨) . كما يتناول عددا من الحاصلين على جوائز نوبل مثل باسترناك الروسي وسفريس اليوناني وشو الأيرلندي كما يتناول اربعا من الكاتبات اللائي حصلن عليها هن : سلمى لاجرلوف (السويد) وجرازيادا (إيطاليا) سويجريد اندسيت (نرويج) وبيرل بك (امريكا) .

هذا إلى جانب مقالاته عن المرأة والطبيعة والكتب والنفس والنقد والشخصيات . وعلى وجه العموم كانت مقالات العقاد رائعة الأسلوب ، هادئة العبارة ، تتأمل ظواهر الطبيعة وتستجلي معانيها ، وتلحظ النفس في تقلباتها ، وتتبع بعض الدول في سياساتها ، وترافق الكتب في رحلتها الثقافية . ولم يكن من أهدافها ـ بصفة عامة ـ القرص واللسع ، ولا الهدم واللوم لذلك لم يستعر حولها النقاش كثيرا ، ولا شب بسببها العراك طويلا . وقد نذكر في هذا المجال ملاحاة بين حنا خباز والعقاد حول كتاب «الفلسفة في كل العصور» لخباز في هلالي يناير وفبراير ١٩٣٤ ، ونخبر عن رد عبدالرحمن شكري على العقاد عندما نشر الأخير مقاله «هل تنجح الديكتاتورية عندنا» (هلال فبراير ومارس ٣٩) . وتشير إلى مقال العقاد «الحرب الحديثة وما تلقيه على الشرق العربي من دروس» التي عقب عليها احمد أمين بمقال «دعوة إلى الكتاب» في أهرام (١٩٤٠/٧/٧) . وفيما عدا هذا لم تكن مقالات العقاد في الهلال مثيرة للجدل . مهيجة للخواطر .

● الهلال والعقاد

وإذا كنا قد عرضنا لمقالات العقاد في الهلال فإننا استيفاء لموضوعنا نشير إلى ما كتبته الهلال عن العقاد واحتفالها به منذ عرفته . فقد كانت سباقة إلى التعريف بنتاجه الشعري والنثري منذ العقد الثاني من القرن العشرين . واستنادا إلى الببليوجرافية التي أعدها الدكتور السكوت فإن جملة الكتب التي قرظتها وقدمتها الهلال للعقاد بلغت ٢٧ كتابا . وكانت هذه النبذ

والمقالات بقلم المحرر أو بدون توقيع وقليل منها باقلام كتاب معروفين ، ومن هذه الكتب «ابن الرومي» «ساعات بين الكتب» «سعد زغلول» «دبجة» «عبقرية محمد» «غاندي» .. وغيرها اما أول ما كتبته الهلال عن العقاد فكان في عدد يوليه ١٩١٦ عندما اصدر العقاد ديوانه «يقظة الصباح» وتضم الهلال طائفة كبيرة من المقالات والدراسات عن العقاد باقلام كبار الكتاب من امثال «سلامة موسى» (هلال . ديسمبر ٢٣) ونقولا حداد (هلال اكتوبر ٤٣) والمازني (ديسمبر ٤٨) وما دبجة ابراهيم بيومي مدكور عن إيمان العقاد (هلال مايو ٦٤) وعبدالرحمن صدقي الذي وصفه كما عرفه (هلال مارس ٦٠) ورثاه شعرا (هلال . ابريل ٦٥) وحلله بالصور (هلال نوفمبر ٦٤) وعلي ادهم الذي كتب عن العقاد السجين (هلال يناير ٧٣) والعقاد المحب (يولية ٧٣) وطاهر الطناحي الذي صور العقاد عاشقا وغير هؤلاء من امثال الدكتور عبدالعزيز الدسوقي وصوفي عبدالله وصالح جودت وكمال النجمي ومحمد سيد كيلاني . ود . الديدي وغيرهم .

وكانت الهلال تتضمن بين الحين والآخر قسما خاصا عن العقاد في حياته وبعد وفاته تعرض فيه لجلسة من اتجاهاته الفكرية المختلفة ، ففي عدد سبتمبر ١٩٥٨ احتفلت الهلال ببلوغ العقاد السبعين . وفي ابريل ١٩٦٧ أصدرت عددا كاملا عن العقاد . وإلى جانب ذلك كانت الهلال تعرض الكتب التي تصدر عنه أو تتيح الفرصة لمناقشتها مثل عرض طاهر الطناحي كتاب «العقاد دراسة وتحية» (هلال اكتوبر ١٩٦١) كما ناقش ممدوح المغربي كتاب «لمحات من حياة العقاد المجهولة» (هلال فبراير ١٩٧٤) .

وقد تناولت كل هذه الدراسات جوانب مختلفة في العقاد ، ونواحي عديدة في تراثه ، وأرشدت إلى قيم إنسانية وفنية باقية فيه .

خصائص مقال العقاد

ومقالة العقاد في الهلال لاتختلف كثيرا عن مقالاته الثقافية في الدوريات الأخرى . فهي تتناول فكرة او ظاهرة ، أو خاطرة ، او ملاحظة ، او موقفا ، أو موضوعا يدور حوله الحديث ثم لايلبث ان يتسع ويتشعب دون أن يخرج عن الفكرة والخاطرة وإنما ينتظم حولها ويلتئم مع عناصرها .

والأستاذ العقاد من كتاب المقالة وله الاف المقالات وكانه متفرغ لها ، ولقد أثار من خلالها قضايا هامة ومشكلات عديدة بطريقة تجمع بين الجد والطرافة . وموضوعاته يستمدها من أحداث الساعة مثل المقالات السياسية ، أو من الطبيعة مثل مقالاته عن الربيع والصيف والشتاء ، أو يستعيد فيها قديما .

وتمتاز مقالاته بالتعبير المصقول الطليق وإن لم يكن يخلو احيانا من تحسين وتجميل ولكنه على وجه العموم يصوغ عبارته باسلوب يفهمه قراء المجلات الثقافية على مختلف أذواقهم دون الترخص في اللغة . ومقالات العقاد في الهلال متوسطة بين الطول والقصر وتجمع بين الذاتية والموضوعية وتجنح إلى التركيز ولا تعدم التفصيل عند اللزوم . وتتميز باستيفاء موضوعاتها حيث تتدفق فيها المعارف المستقاة من مظان موثوق بصحتها ، مع التمهر في توظيفها والقدرة على تنقيحها وتوضيحها ثم تحليلها والاستنباط منها تحت رقابة عقلية صارمة .



بقلم: د. شريف حتاته

يوميات مرشح

ظل يفكر عدة اسابيع دون أن يتخذ قراره ... حتى اللحظة التى صعد فيها الدرجات لم يكن يعرف لماذا عاد ... ما جدوى الجهود التى بذلها؟ وما جدوى ضياع الوقت وحرق الاعصاب؟ لن يتغير الوضع ، ولن يجنى سوى التنافس ، والبغضاء .. ومع ذلك وجد نفسه يصعد الدرجات .. فى بهو العمارة شاب نحيل يرتدى سترة بيضاء .. اصابعه ناعمة ، وشعره يلمع فى ضوء الكهرباء ..كان يتحدث الى امرءة فى مقتبل العمر تزاحمت الاساور حول ذراعيها المتلئة باللحم ، ومن عينيها الجاحظتين قليلا اطل الشبق الراقد فى الاعماق .. استسمح الشباب فى ان يفسح له الطريق فالتفت اليه بازدراء ، ولم يتحرك قبل أن مرت بضعة لحظات.

استأنف الصعود حتى الدور الثانى .. فى انفه رائحة طعام يطهى فى المطابخ ، وفضلات القطط المنزوية فى الاركان .. توقف امام باب من الخشب مدهون بطلاء حفرت عليه كلمة «الله» داكن يتوسطه مقبض .. اعلى الباب مصباح

يرن بغلظة مثل الفقشق في الجدار .. دق على الجرس وانتظر . بعد لحظة فتح باب الشقة المجاورة ليخرج منها رجل يرتدي عباءة ، وعقالا اسود تدلت من تحته فوطة حمراء .. احس بسواد العينين البارد كعيني ثعبان تجريان على وجهه قبل ان تلف وراءه ليهبط على الدرج ...

ضاق من الانتظار فدفع الباب الموارب بيده ودخل ... المنضدة الطويلة تحيطها مقاعد جلدية ظهورها منتفخة ، والدخان مازال يرتفع في الهواء ، ولكن الحجره خالية من الناس.. صعد الدرج الداخلي المغطى « بالموكيت » الاخضر .. رفعت السكرتيرة رأسها المنكبة على الالة الكاتبة. عندما حياها ابتسمت ناحيته بود هادىء لم عادت الى أوراقها ... سحب استمارة من رف « البلاكار » الابيض وانحنى يملأ الفراغات بقلم جاف ... بعد ان انتهى من الكتابة ظل يفكر بعض الوقت ثم شد على كتفيه كأنه حزم امره ، وتوجه الى حجرة كتب على بابها كلمة «الادارة» ..سلم الاستمارة للفتاة الجالسة خلف المكتب تضع امامها كوبا من الشاي وتحملق من زجاج النافذة على حركة الشارع . تأملته بضيق، وسحبت نفسا عميقا من لفافتها الطويلة قبل ان تتناول الاستمارة من يده الممدودة اليها .. قامت ببطء ، وشدت على ثوبها وتثاءبت ثم اتجهت الى آلة التصوير القابعة في ركن الحجرة .. العين الالكترونية تتفرس فيه صفراء، والصورة تهمس قبل أن تسقط في الدرج.. افاق على نفسه واقفا في وسط الحجرة بينما حشرت الفتاة جسمها المربع في المقعد وعادت تطلق سحبا من الدخان الازرق .. مطت شفتيها بحركة كسولة ، وقالت في صوت مبحوح ...

« تفضل ... صورة ممضاة تفيد استلام ورقة المرشح ... » .

هبط الدرجات ... مازال الشاب والمرأة يتحدثان عند مدخل العمارة .. تسلل من المساحة الضيقة التي تركاها الى جوارهما ، وخرج الى الشارع .. قاد سيارته ببطء غير عابىء بالابواق الزاعقة وراءه .

عند الاشارة ظل يحملق في الضوء الاحمر ... جاءه احساس كالريشة تمر فوق خده فمسح مكانها بابهامه والتفت ... لمح شبح وجه يطل عليه من خلف زجاج السيارة التي توقفت الى جواره . بداله ان الانف مستقيم ، وان الحاجب فوق العين بارز .. وبداله بعد ذلك انه التفت اليه واطلق ناحيته ابتسامة ، ومض بياضها في الليل . خفق قلبه ، وزال عنه شعور بالوحدة سيطر عليه منذ ان استيقظ في الصباح. خطر له انها امرأة ، وانه لفت انظارها .. فراق له هذا الخاطر .. ولكن ربما يكون رجلا.. احد اصدقائه عرفه وهو جالس خلف عجلةالقيادة ..اصابه احساس بخيبة الامل ، كان باب السعادة فتح امامه ثم اغلق دون انتظار .

.. ما زال يهتم بالتوافه

.. لماذا هذا الاهتمام الزائد بالمرأة وما اهمية الجنس في العواطف ..؟

اكتشف فجأة ان النور الاحمر انطفأ ، وان السيارة التي كانت الى جواره انطلقت في الشارع امامه ... داس على البنزين ليقتفي اثرها ولكن سرعان ما تاهت .. احس فجأة ان تصرفاته اصبحت غريبة

.. ترى هل هو السن ام شيء آخر ؟.. رتـابة الحياة اليومية وتكرارها .. المجهـول فيه شيء مثير للغاية ... ولكن لماذا مع النسـاء دون سواهن . المسألة كلها لم تتعد خطوط الانف ، والحاجب البارز ، وابتسامة ربما لم تكن ابتسامة وانما مجرد لحظـة انفرجت فيهـا شفتاها فلمع الضـوء الابيض علـى سطحهما المبلل بلعابها ..

لا .. لم تكن امرأة وانما رجل .. الدليل هو ذلك الانف القوي المستقيم والحاجب البارز ، وحتى ان كانت امرأة .. داس على الفرامل ليتفـادى كلبا انطلق يجـرى فى الشارع . استأنف السير عائدا الى الافكار التي كان منشغلا بها قبل ان يقحم الوجه الغـامض نفسه على خياله ...

تردد طويلا قبل ان يضيف اسمه الى كشف المرشحين .. اليس من الافضـل ان يتفـادى الاعباء التي ضاق بها ؟ .. في اعماقه امل يراوده احيانا . لو سقط في الانتخابات . احتمـال وارد ولكن هل يمكن ان يحب لنفسه الفشـل ؟ لماذا لم يحسم الامر منذ البداية ويمتنع ..؟ بقايا امل .. ؟ في ماذا ؟ .. ربما استهوته لعبـة السياسة ، يحقق فيها ذاته .. يشعر بالرضا عندما يمتحن امكانياته، .. ويتحدى ، ويخاطر .

قرر ان يذهـب الى الاجتماع متأخرا حتى يظهر عدم اهتمامه ، ثم غير رأيه . مـازال هو « الامين » ولابـد من الاطمئنان على الترتيبات .. هذا الشعـور بالمسئولية غرسته فيـه أمه ، فأصبح كالطـوق الحـديدى لا يستطيع اختراقه ...

دلف بسيـارته مـن الباب المطل على شارع « رمسيس » واوقفهـا بالقرب منه حتى يستطيع ان ينصرف في اى وقـت دون عـائق .. لمح سيارتين تقفان في صف واحد .. لابد انهمـا يتبعـان الموظفين في المعهد ، فليس من المتوقع ان يحضر احـد في هذا الوقت المبكر ... صعد الدرجات وتوقـف امام لوحة الاعـلانات . ندوة بعـنوان « دور شركات توظيف الاموال في تنمية المجتمـع » ، وبضعة أوامـر ادارية خاصة بالمعهد .. سـار حتى باب القاعة المفتوح على مصراعيه . فوجىء بوجود مجمـوعة مـن الناس احتلت المقـاعد الامامية.. خطر في باله ان يتقدم نحوهم ليسـلم عليهم ، ولكنـه توقف وحيـاهم من بعيد .. فلتذهب الانتخابات الى الجحيم !! نادى عـلى الفراش النوبى العجـوز ومر معه ليختبر الاضاءة والتكييف والميكروفونات التى تطل باعناقها فـوق المنصة ، ثم بحـث عـن السكرتيرة المنوط اليهـا تسجيل الحـاضرين ، وتوزيع بطاقات الانتخاب .. وجدها جالسة خلف احد المكاتب ترشف مـن قدح للقهوة وتدخن احدى لفائفها بشراهة ..جلس الى جوارها شاب مفتول العضلات عريض المكنبين يشخص اليها فى اهتمام بينما أدارت هى وجههـا بعيدا عنه . بين الحـين والحين يميل ناحيتها ، ويهمس في اذنها دون ان تلتفت اليه .. سألها عن البطاقات ، والسـجل فردت عليه بغمغمة مبهمة تكاد لا تسمع . عاد الى قاعة الاجتماعات وانزوى على مقعد فى الصـفوف الخلفية .. عندما يحييه احد الاشـخاص يـكتفي بهزة مـن الـرأس ، وابتسامة سريعة . مـر بعض الوقـت وامتـلأت القاعة بالنـاس . مـن طرف عينه لمح المناوئين

له يلقون ناحيته بنظرات خاطفة ويتبادلون العناق والقبلات ، ويشدون على الايدي بحرارة ويشعلون اللفائف ثم يسعلون ويضحكون برعشة عصبية في الاكتاف .. او يقفون في الاركان ، ويهمسون ، او يبتسمون ابتسامات توحي باشياء ، او يقفزون بنظراتهم القلقة حول القاعة ، او يقهقهون بصوت عال .. فجاة انصرفوا عما هم فيه . ووزعوا انفسهم في القاعة ، فادرك ان رئيس الجمعية وصل الى الباب الخارجي .. انتظر حتى دخل ، وصعد فوق المنصه ليجلس على مقعد له ظهر عال ، فتقدم شاقا طريقه وسط الزحام . واحتل مكانه الى جواره على مقعد اقل فخامة .

القى رئيس الجمعية كلمة باهتة قوبلت بالتصفيق الحاد .. لم يطلب احد الكلمة ، فاخذ يقرا في التقرير الذي اعده عن نشاط السنة الماضية .. وبين الحين والحين يتوقف ، او يعلق ، او يحكي بعض التفاصيل فيرى الوجوه الجامدة شاخصة اليه .. انتابه الاحساس بانه يشارك في تمثيلية قديمة تكررت من قبل ، فاصبح قادرا على التنبؤ بما سيحدث فيها .. مع ذلك يندهش كلما عاشها من جديد كانه لم يفقد بقايا حلم قديم مازال قابعا في اعماقه .

ظلوا صامتين حتى انتهى من قراءة التقرير ، ثم فجاة علت اصواتهم بالصراخ ، وارتفعت ايديهم في الهواء بحركات تشبه الاستجداء ، او التهديد . ابتسم ناحيتهم فلم يكن يرى المبرر لكل هذا الضجيج . ابتسامته فيها حياء كانه يعتذر عن وجوده فوق المنصة انه يحب الاماكن العالية ولكن المنصات ارتبطت في ذهنه بالاكاذيب .. كانت ابتسامته مجرد رعشة في الشفتين مثل الانفراجة التي تحدث مع الشهيق ، ولكن بعدها لسبب لم يفهمه تضاعف الضجيج ، وارتفعت الاذرع في الهواء مثل الغابة .. فتحولت حركة الشفتين الى ما يشبه الابتسامة العريضة علت بعدها صيحات المجتمعين في القاعة كانهم يتاهبون لترك المكان ، والسير في مظاهرة صاخبة تخترق شوارع المدينة ..

وفي تلك اللحظة بدا له ان سائلا دافئا اخذ يسيل تحت سرواله ، فرفع جسمه من فوق المقعد : ودس اصبعه تحت الاليتين ليكتشف ان مسمارا طويلا كان يبرز من مقعد الرئيس ، وان المسمار مزق بنطاله ودخل فيه .. عاد الى الوجوه المتراصة في القاعة محاولا التركيز ، واستقرت على ملامحه علامات الاهتمام ، فتلاشت الاصوات واستغرقوا في صمت عميق كانه اصابهم قلق مفاجىء .. قرأ الفشل في عيونهم .. نظرة فيها استجداء .. تتحرك حول القاعة .

ندت منه ضحكة متقطعة سريعة عندما تخيل نفسه ينصرف من الصالة واضعا يده على الثقب الذي صنعه المسمار في جسمه ، فتحول الصمت المخيم على القاعة الى زئير .. لم يكن احد منهم يدرك السبب ومع ذلك ظلوا يصرخون .. لم يكن احد منهم يدرك انه يضحك على نفسه وليس على الاخرين .. وان هذه هي وسيلته في اخفاء الامه ..

قفز احدهم الى قدميه .. شاب قامته طويلة يرتدي عوينات تشبه قاع الزجاجة التي يضعون فيها البيرة .. عوينات سميكة يطل من خلفها بريق عينيه كانوا يبحثون

عن شخص يحرك الركود القابع منذ سنين .. راقت له الفكرة حتى يخرج من العزلة ويحرك الدماء الساكنة فيوريده .. يبحثون جميعا في دائرة صغيرة ليقضوا على الشيء الجاهز ... لمح الشاب يلوح .. ذراعه طويلة مثل كلشيء فيه .. قامته وانفه ، وعنقه ، يحمل راسه الصغيرويجعلها تتارجح ذات اليسار ، وذات اليمين .. ولسانه الذى يبرز من بين شفتيه ثم ينسحب بحركة سريعة.. يذكره بالحرباء عندما ترقد في شمس الظهيرة .. تحملق فيه بنظرة جانبية غريبة ، وتخرج لسانها كل حين لتصطاد احدى الحشرات الصغيرة .. نظرتها العمياء الكريهة تسبقها قبل ان تزحف عليه في الكوابيس وتصبح في حجم التمساح الكبير .

عاد الشاب يلوح بذراعه الطويلة ، ويشير اليه ... كان زوج امه يمتلك ذراعين طويلتين تتزود كل منهما بكف غليظة .. وكان يستطيع ان يناله بها من اى مكان في الحجرة .. يلوجس خيفة عندما تختفى خلف ظهره ، ويتصورهاتتسلل حول جسمامه تحتاغطية السرير ... اصابعه هو طويلة ونحيلة .. احب امراة وهو مازال شابا صغيرا .. كانت تكبره بعشر سنين .. تمسك باصابعه بين يديهاوتقول ... ستكون فنانا ، او جراحا عظيما .. لكنه لم يصبح لا هذا ،ولا ذاك .. دخل في السياسة وصار يكره الايدى الصغيرة .. اول مسئول في الحزب الذى انتمى اليه كانت يداه صغيرتين .. سادى يهوى تعذيبه .. يغرس فيه عدم الثقة في النفس ، وتانيب الضمير .. يقول عنهانه « بورجوازى » ولابد ان يتطهر من ادران البيئة التي نشا فيها ..وعندما دخل المعتقل واوقفوه عاريا امام المدير لاحظ ان يديه صغيرتان كالخنثى..لم يرمغاضبا ابدا.. الوحشية الناعمة التي ترتكب الجريمة دون ان يرمش لها جفن .. ولكن هذا الشاب الطويل ينتفض غضبا على لا شيء ... يقولون عن اللص ان يده طويلة تمتد الى جيوب الاخرينلتنزع ما فيها او الى اجسام النساء في « الاوتوبيس » .. ربما المشكلة في هؤلاء السياسيين انهم لم يعرفوا الحب الحقيقى..

ان تعشق امراة في عقلها وجسمها وتتوحد في الاثنين ... ما الذى دهاه ؟ هذا الشاب يثير فيه افكارا غريبة.. يحمل فىيده كتاباصغيرا .. ترى هل هو القرآن ، ام الانجيل ... ربما يكون الميثاق ، او « مختارات من لينين » .. شاب فيه عصبية المدافعين عن القضايا العظيمة ..

التقط بعض الكلمات تتردد وسط الضجيج .. تعلو تحت القبة العالية، ثم تعود اليه .. كلمة « ديمقراطية » تتردد اكثر من غيرها .. ثم كلمة « العدالة » ..رفع عينيه ليتتبع صداهما تحت القبة العاليةالمزدانة بالشموس ، والاقمار ، والنجوم ، وملائكة ، وشياطين ، وملوك وملكات يختالون .. عادت نظراته الى الجالسين .. اغلبهم يتطلعون الى المنصة في صمت .. ملامحهمجامدة لا تنم عن شيء .. لا عن الرضا ولا عن الضيق ، ولا عن افكار ربما تعتمل فيهم كان كل ما يدور لا يعنيهم .. ما عدا الذين وزعوا انفسهم على القاعةليخوضوا معركتهم باسم حقوق الانسان ،او الدين ، او مقاومةالفساد

او الديمقراطيــة ، او التغيير .

الجو حار ، ودخــان السجائر ملا القــاعة ، فالنوافذ كلها مغلقــة ومغطاةبستائر من القطيفة الوانها باهتة ، والعتــة تركت ثقوبا متــاكلة ، متعرجة فيها .. اخــذ نفسا عميقا .. وفي تلك اللحظة رآها .. لم يكن قد لاحظها من قبــل .. ربما لانها كانت تجلسفي الصف الاول تحت المنصة مباشرة .. فالنظارة التي يرتديها تجــعله يرى الاشياء البعيدة ..رفعها عن عينيــه في بداية الجلسة ليقـرا التقرير ، ثم اعادها على عينيه من جديد، فوقعت بين مجالي الرؤية البعيدة ،والقصيرة ... مرت نظرته عليـها اول مرة مرورا عــابرا لا قصد فيه .. ولكــن سرعان ما عادت اليها ، واستقرت على وجههـــا بطريقة مباشرة كان يمكن أن تـــوحي بشيء من الوقاحة ، ولكن مع ذلك لم تكن ثمة وقاحة فيها .. هكذا احست هي .. ولذلك بادلتــه النظرات بذات الطريقة كانها ليس لديها ما تريد ان تخفيــه .. لاحظ ان حواجبــها بارزة كثيفــة ... وان بياض عينيها فيه زرقـة الثلج فوق جبـــال « الهيمالايا » .. ثــم لاحظ ان السواد عميــق يلمع وسط البيـــاض كالمغناطيس . ثـم لاحظ اخيرا ان هناك شعلة في النني تجتاز المســافة بينهما لتصل اليه .. لم يلاحظ شيئا آخر .. ولم يتساءل ان كانت جميـلة .. احس أن اطلاق هذا الوصف عليها لا يكفي ، ولا يرضيه .. هنـــاك وصـــف آخر يجب ان يهتدي اليه.. فظل يبحث عنه الى أن انتـــهت الجلسة ..

سرت في الصــفوف موجات من الحركة تروح وتجيء ولكنها لم تكن مثل حركة الريح في حقل من البرسيم .. كانت حركة فيها فوضى وزعيق خالية من انسجام الطبيعة .. ثم اتوا بالصناديق ... وبعدها اختفى الثــوب الابيض الذي كانت ترتديه وسط الزحام قبـــل أن يستطيع أن يلحق به ..

كان يقود ســيارته خارجا من الحـــوش الداخلي عنـــدما لمح صديقه « ابراهيم »يندفع هابطا فوق الـدرجات ، ملوحا اليه بورقة صغيرة، فتوقف .. ادخل راسه من النافذة المفتوحة عـــلى الجانب الآخر ، وترددت ضحكاته تشـبه النهيق المتقطع ، السريع . اكل عليه وجه الطفل الكبير، وضغطت يده بحرارة على كتفه ... سمعه يقول :

« مبروك ... مبروك ... نجحت بصعوبة ... كنت اخشى عليك من ولاد ... ولكن ربنا ستر .. يبدو انك متعب وتريد أن تعود الى البيت، والا دعوتك على شاى أخضر « وبورى » في « الحسين» سامر عليه غدا لنـذهب معا .... » .

لمح الشاب الطـويل يهبط على الـــدرجات وعويناته تبحث هنـــا وهنـــــــاك .. من خلفه مجمــوعة علت اصواتها وهي تهـــرول وراءه .. فلوح بيده الى « ابراهيم » وانطـــلق بسيارته مخترقا البـاب الحديدى ..

نحت المجلة جـــانبا عندما دخـــل عليها ، وقامت واضعة يدها في يديه .. سالته فاجاب.. وبينما كان يتحدث اليها اخذ يتامل الانف المستقيم والحاجب البارز قليلا.. واكتشف في بياض عينيها زرقة الثلج فوق « جبال الهيمالايا » ... تنظــر اليه بسواد عينيها العميق .. ويلمح في بؤرة النني ذلك اللهب الصغير الذى لم ينطفيء .

عندما سـألنا (نجيب محفوظ) فى ندوة «المصون» عن « التكيـة » فـى (الحرافيش) قـال انهـا الواحة التى ياوى اليهـا الجميع ، ويلجأ اليهـا الطيب والخبيث ، ولا ترد احدا تشبث بالآمـال فى اتجاهه اليها .. انها الدين .. بداية الخلق ، ونهايته .. الجنة ، والنـار .. الثواب . والعقاب . . . الرحمة والعذاب . . . !



نجيب محفوظ

والذى يعيد قراءة (الحرافيش) وهى لابد أن تقرأ اكثر من مرة يجـد أن (نجيب محفـوظ) يجيب على اسـئلة موجهة اليـه من وجدانه الى وجـدانه .. انه يسأل ويجيب فى وقت واحد ، ولكنه ينتقى الاسئلة ، ويختارها بعناية .. يلتقطها من أعماقه المزدحمـة الجياشة .. كواحد من ابنـاء عصره .. خالص الود لجيله .. يرقب تفـاعلاته من منارة .. تشرف على القـاهرة .. تتيح له أن يرى الامهات وهن يرضعن اطفالهن فى ظلمة الليل ، ويسمع آهات العشاق ، وأنين المظلومين .. وهـو يجلس خلف مكتبـه ، وقلمـه بين اصابعه .. يصيغ كل ذلك فى أناة وصبر ، وايمان بما يعمل .

● الخير والشر .. !

ولعل السؤال الكبيـر الذى كان يزاحم أفكـاره الخاصة فى رحاب وجدانه هو : هل يستطيع الخير أن يصمد للشر وأساليبه ، وكم من الوقت يظل صامدا ، والى متى ؟

ويضـع فى أول (الحـرافيش) فى الصفحات الاولى منها درويش شقيق الشيخ عفـرى الذى تبنى عاشـور الناجى بطل (الحرافيش) . والتقطـه من الحارة ، وهو فى طريقه لصلاة الفجر ، ولم يكن درويش راضيا عن هذا التبنى ، وكان لا يفتأ ينكـد عليه عيشه ، ويهينه بهذه النقطة كلما سنحت له الظروف ، ويختفى درويش فى السجن سنوات .. ثم يخـرج ليجد عاشور صاحب عربة كارو

■ هل يستطيع الخير أن يصمد امام الشر وأساليبه ؟

■ ماذا عن احتواء الخير للشر ؟

■ هل يغنى الحذر عن القدر .. ؟

■ هل يمكن أن نتجاهل كلام الناس ؟

يحاورنفسه!

بقلم: عبدالمنعم الجداوى

ومهابا بين الناس ، يتمتع باحترام أهل الحارة لاخلاقه ، وتضحياته المستمرة فى سبيل الاخرين ، ولا يجد عاشور بدا من أن يأوى الرجل الذى فى مكان عمه ·· لكن درويش يسخر منه ، ومن عيشته المتواضعة ، ويطلب منه فى تهجم قرضا يرده اليه اذا تيسرت أحواله ، ويقدم له عاشور القرض ·· ثم يطلب منه أن يستضيفه فى غرفته ، فيعتذر عاشور بأن غرفته لا تتسع الا له ·· وفى اليوم التالى يفاجأ بأن درويش يجمع الصفيح ، والبوص ، وبقايا الدبش ليبنى (بوظة) ويتألم عاشور لانه ساهم بحسن نية فى بناء خمارة بنقوده !·

يتألم لكنه لا يهدم البوظة ، لانه لا يريد صداما مع درويش وان كان على يقين من ان البوظة سوف تفسد الكثير من أهل الحارة ·· هكذا ، الخير دائما يقف عاجزا أمام أساليب الشر الذى يسلك الدهاليز ، والسراديب ·· لكى يلتف حول الخير ليحيطه ·· أول من أفسدتهم البوظة أولاده ·· سكروا وقامروا ·· ثم تشاجروا ، وخرج على شجارهم ، وزكمته رائحة الخمر فى أفواههم ·· فأدرك أن الشر انتصر عليه !

● هل يحتوى الخير الشر ..؟

والسؤال الذى لابد أنه كان يعتمل فى صدر نجيب محفوظ بعد ذلك هو : هل يمكن أن يحتوى الخير الشر ، ويسيطر عليه ؟ وهل ينجح ؟

كان جوابه أن جعل عاشور بعد أن أقلقه أن يتقاتل أولاده على (فلة)

نجيب محفوظ يحاور نفسه

البغى الشابة التى استولى عليها درويش وجاء بها الى بوظته ليغرى بها ندامى الكاس .. يتقدم بنفسه ، وهو رمز الخير، والطيبة،وفتوةالحارة ليتزوج من (قلة) ، وكانت صدمة للجميع .. لكنه أراد أن يريح ، ويستريح .. أن يلتقط (قلة) ويرفعها من مستنقع الفسق .. الى بدروم يؤجره لها وحدها ، ويعيش معها ، ويبسط عليها حمايته .. وترتاح هى الى انها أصبحت ربة فى بيت .. يحميها سيد الرجال .. وكابد هو تقولات الجميع عليه .. لكنه فى النهاية حول الشر المستطير الى خير يتجب له شمس الدين .. والذن فاحتواء الشر ، والسيطرة عليه ليس شيئا عسيرا .. فقط يحتاج الى رجل له قوة عاشور البدنية والنفسية .. وذلك هو الذى لا يمكن أن يوجد فى بعض شرائح المجتمع !.. وقد يكون هناك من يعارض هذا الرأى عملا بمبدأ من (حام حول الحمى وقع فيه) .. غير أن الذين يديرون ظهورهم للشر على اعتبار (ابعد عن الشر وغنى له) .. هؤلاء يقفون من الشر موقفا سلبيا ، ونجيب محفوظ لا يحب ان يكون سلبيا ، ولا يرضى بالسلبيات ، ويفضل المقاومة ، والمصادمة أو المحاولة ، وذلك أضعف الايمان .. فهو يرى أن على المرء أن يسعى ، أما ادراك النجاح فشىء يقدره الله !



● كلام الناس .. !

سؤال اخر كانت تجيش به أركان كيان نجيب محفوظ كواحد عاش فى بيئة شعبية ، ولابد انه كان يثور فى أعماقه بين الحين والحين .. هل الاقوياء هم الذين يقيمون وزنا لكلام الاخرين أم الضعفاء ؟ وهل على من يسير فى النور أن يعمل حسابا لمن يهمسون فى الظلام ؟ ان هذا السؤال بكل جوانبه يثير عشرات الاسئلة ، والاجوبة فى كل شريحة من شرائح المجتمع ، وقد يكون الكاتب نفسه تعرض لموقف من تلك المواقف ، ولا أعتقد أنه ما من انسان يعيش فى مجتمعنا الا وتعرض لمثل هذا الحرج .. فالناس ، وما يقولون جزء هام يجثم على صدر تصرفاتنا ، ومهما كانت درجة ثقافتنا فنحن فى النهاية لسنا وحدنا .. ولابد أن نصب فى قوالب مجتمعنا التى نجدها جاهزة ، والا كنا شاذين .. بنا نتوءات ، لا تريحنا ، وتخرجنا عن التكيف مع المجتمع !·

ومن أجل الاجابة على هذا السؤال .. يضع فى صلب (الحرافيش) مشهدا رائعا بين (رضوانه

الشوبكشى) و (خضر الناجى) .
وهى زوجة شقيقه المختفى ، والذى طال اختفاؤه وكانت تعشق خضر ، وتطمع ان تناله ، وحاولت اغراءه
وتطمع ان تناله ، وحاولت اغراءه
وهى مع شقيقه (بكر) ، فلما فشلت .. ادعت ظلما انه راودها وانها استعصمت ، ونقلت ذلك فى طبق من الدموع المزيفة الى زوجها الذى حاول فى ثورته ان يقتل اخاه .. وتدور الايام ، ويختفى الزوج (بكر) هربا من الديون ، والخراب ، ويتقدم (خضر) فى شهامة ، ونخوة فيحمل العبء عن (رضوانة) ينفق على ابناء اخيه ، ويكفل لها بكل ما يجعلها تحيا حياة طبيعية .. وتطول الغيبة ، وبين الحين والحين ترسل (رضوانة) الشكر الى (خضر) ، وهنا تتعالى الهمسات .. ان (خضر) ، و (رضوانة) سوف يتزوجان لكى تزيد قصة حبهما القديم توهجا ، واذن فالزوجة الخائنة دبرت غيبة الزوج الغادر ، وانسكبت الشائعة فى الحارة ، على السنة النساء ، ثم مع فناجيل القهوة فى الشارع .. ويسمع جميع الاطراف .. ويثور (ابراهيم الشوبكشى) الذى يعمل وكيلا (لخضر) ، وهو شقيق (رضوانة) فى نفس الوقت فيضمر فى نفسه امرا ..

ويبدا المشهد بلقاء عاصف بين (خضر) و (رضوانة) فى منزلها .. وتعترف هى بانها ظلمته سابقا لكنه يغلق الماضى بلا عنف .. فتقول :

ـ لا احد يعترف للعواطف بحق .. ولو كانت صادقة !..

ثم يعترف هو .. انه كان يحبها ، ومازال .. لكن الموقف تغير .. (واستقر الصمت بارادة الطرفين فى وقار الليل ، وفى الصمت عزفت فى الاذان دقات القلوب) .

لقد جاء متعللا بانه يريد شراء الدار ، وهى تقول له (انه يعلم انها ملك (بكر الغائب) الدار ملك (بكر) ، وهى نفسها مازالت ملك (بكر) الغائب الشقيق الذى هرب او اختفى او نقل .. ويرتبك لحظة او لحظات ، ثم يقول (لابد اننا سوف نجد حلا) .. وترد هى (على الاقل لاكون فى خدمتك) .. فهل تخدمه فى استيلائه على الدار المليئة بالتحف ؟ ام تخدمه فى تسليمه نفسها .. هذه المرة على سنة الله ورسوله !

وتسكب زيارته لها النار على البترول فى الحارة .. فيذهب اليها شقيقها (ابراهيم الشوبكشى) ويناقشها فتقول له انها اتصلت بالمحامى الذى قال لها ان فى وسعها ان تحصل على طلاق ، ويستقر فى اعماقه انها تسعى الى الطلاق لكى تتزوج من (خضر) ، واذن فكل ما يدور على السنة الناس حقيقة ، وان العار قد لحقه لا محالة .. ويرفض ان يفهم ، وترفض هى ان تعترف بخطأ لانها تسعى الى زواج مشروع ، وتصرخ فيه انها ليست فى حاجة الى ولى امر .. ويرد عليها بان المراة فى حاجة الى ولاية من المهد الى اللحد .. ويطبق على عنقها فيقتلها خنقا .. وهو ثمل بالعنف .. نشوان بالقتل .. يقوم بعمل طالما اشتاق اليه !

وينتصر كلام الناس ، ويتاكد (لنجيب محفوظ) ان كلام الناس هو الذى يخيف الناس ، وهو الذى يفرض عليهم احيانا الاخلاق ، وهو ما يسمى احيانا بالواجب ، واحيانا بالمعرف ، والناس جميعا يحترمونه ، ويعظمونه ، لانهم يخافونه ، ويعملون له الف حساب !

● هل يغني الحذر عن القدر ..؟

والسؤال الذى يعد اكثر الحاحا

نجيب محفوظ يحاور نفسه

دائما على الذين يعيشون في منطقة الشرق الاوسط ، ونحن منهم لالف عامل وعامل ، تدخل في صلبها النزعة الدينية التي تتحكم فينا جميعا ، ولكنه يدق أعماقنا بعنف ، و (نجيب محفوظ) واحد منا . لابد أنه تساءل كثيرا بينه وبين نفسه .. هل ياترى يستطيع الحذر أن يرد القدر ؟ وأن الجهود اذا ما كثفت ، وتكاتفت يمكن أن تدفع بالانسان الى مسيرة اخرى .. تجعله يتفادى الصدام بما كان يحتمه عليه القدر ؟

الجواب يسوقه (نجيب محفوظ) عندما يحاول (خضر) الذي راح يرعى أولاد (رضوانة) بأبوة مختالة ، بعد أن ماتت أمهم على يدى شقيقها (ابراهيم الشربكشى) واختفى والدهم ، وشرد من بينهم (سماحة) وانضم كواحد من أفراد عصابة الفتوة (القللى) طمعا في أن تؤول اليه الفتونة حتى يعيد عهد جده (عاشور الناجي) ، وحاول (خضر) أن يتدخل ، فهو يخشى عليه من مصائر الفتوات ، ويخشى عليه من (القللى) نفسه .. فهو يحب آل (ناجى) لكنه يخاف انتزاع عرش الفتونة منه .. ولكى يستعيد ابن أخيه من خيوط العنكبوت (القللى) قرر أن يزوجه زيجة كريمة من أسرة تفرض عليه الاحترام .. وتقدم الى (محمد البسيونى العطار) يجس نبضه ، وسره أن يجده مرحبا ، ونقل المخبر فى شبه زفة الى ابن أخيه (سماحة) ، واذا به يقول له .. ان العرض تأخر أياما ، فقد خطب (مهلبية) ابنة كودية الزار (صباح) .. ويبتلع العم الاشواك ، ويعرف فى يقين أن الحذر لا يمنع القدر ، ولا يؤخره ، وانه كمواعيد ظهور الشمس ، وقدوم الليل ، وفصول السنة ، لا يتأخر ولا يتقدم عن موعده .. ويريد (القللى) أن يستذل (سماحة) فيأمره أن يذهب ليخطب له (مهلبية) ، وأن يحدد موعد الزفاف .. رغم أنه جاءه يستأذنه في زواجها .. ويرفض (سماحة) ذلك ، ويتفق مع (مهلبية) على الهرب .. لكن (القللى) يعلم بكل شىء ، وينقل (سماحة) ذلك الى عمه (خضر) فيقول له : (ها هو يدفع بك الى مأزق لا مخرج منه الا بضياع الكرامة أو فقدان الحياة نفسها) ، ويلوذ (سماحة) بالصمت فيعقب (خضر) بحزم ووضوح قائلا : (احذر أن تفكر فى أى نوع من المقاومة) كأنه القدر لا يعاند .. ولا يغنى الحذر منه أبدا .. يلتقى فى ظلمة الليل بـ (مهلبية) لكن أعوان الفتوة (القللى) يذبحون (مهلبية) ذبح الشاة ، أما هو فيستطيع الهرب ، والاختفاء فى مخازن عمه .. لكن كل أعوان (القللى) يشهدون أنه قتلها ، وأمها نفسها تشهد بذلك تحت ضغط (القللى) ، ويحكم عليه بالاعدام .. فلا يجد بدا من الهرب ، فهو مطلوب من الشرطة ، ومن (القللى) للقضاء عليه .. ويختفى بعد أن يزوده (عمه) ببعض المال ، ويلقى نفس مصير والده !

● هل الانسان .. ام مخير ؟

وقد يخدع الناس الهدوء الذى يبدو على الكاتب الكبير ، والبسمة التى لا تفارق وجهه ، الا حينما ينفعل لموقف معين أو ذكرى بذاتها .. الا

ان أعمــــاقه لا تكف عن الفوران ، والدوران كقدر يغلى ، وفى هـــــذا الـــدوران ، والغليان تطفو الاسئلة الجادة الصعبة ، وتدفعه الى الاجابة أحداثا وأشخاصا ، واقتـدارا على المزج ، والخلط ، لا يجيده الا هــو وحـــده دون بقية الذين يمســكون بالاقلام ، وقد يجيب على السؤال الواحد اكثر من مرة ، ولكنه ليس تكرارا ، وفى اكثر من موضع .. لكنه باختلاف ، وخلاف فى البيئة ، ومكونات الاشخاص النفســية ، وتبــاين فى الثقافات المحصلة ، والمكتسبة ، يخضعهــا فى اقتـدار لمقتضيات الســياق الروائى دون تعسف .. يفيق القارىء من نشـوة المتابعة او يصدمه بتصرف شاذ حسن او ساء من شخصية ينافى الفعــل طبيعة تكوينها .. وفى النهاية يضع الاجوبة لاعتى الاسـئلة التى تقلق أبناء آدم منذ الخليقة .. انظر كيف يجيب على السؤال الازلى .. هــل الانسان مسير أم مخيــر ؟.. فى (الحرافيش) ، وبعـــد أن يظـل (ســماحة) هاربا ما يقـرب من عشرين عاما ينتظر سقوط الجريمـة عنه ، واعفاءه من الغيــاب بحـكم القــانون .. اقرأ معنــا كيف كتب (نجيب محفوظ) الجواب ..

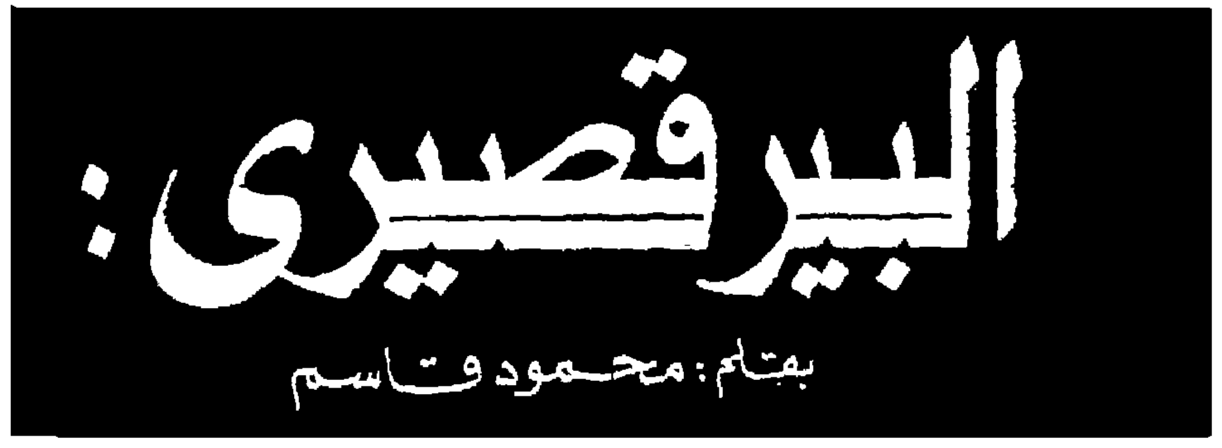
لم يبق الا يوم واحـد .. صباح الغد وينتهى كل شىء .. سينطلق الى العمل لكى لا ينسى ، ولكنه عجز عن اى شىء الا معانقة الزمن ، عزيمتـه تتبدد وتتبخر ، ويقول بصوت مرتفع كأنما يستمد من ارتفـــاع الصوت قوة .

– سأبيت ليـلتى هنا ثم اذهب مع الصباح الى البيت ..

ولكن تمردت أعصابه على حيلته ، هزئت بتعهده ، أرسلت أوامرها الى أعضائه فكفت عن العمل ، فلا طعام ، ولا شراب ، ولا حلم ، وراقب قرص الشمس المقوت فى السماء ، جفــت اخر قطرة للصبر ..

سيبيت الليلة فى حضـــن أسرته .. وقــذف بنفســه صـــوب الامل كان يريد شيئا ، وكان الذى سجله القلم وسطره عليه فى الغيب غيــر الذى يريده .. ومن أجل ذلك تمردت عليـه أعصابه .. هى ليلة لو أنه قضاها كمـا قضى السنوات الطويلة التى مضت .. لتحقق حلمه فى الحرية .. وفى العودة الى أسرته .. لـكن حتى يمضى فى الطريق المرسوم له . لا الذى رسمه ، ولكى ينفذ المكتـوب عليه . لا الــذى يريده لنفسه .. خانته عزيمته .. وقفز من المخبأالذى كان فيه الى مصيره ، وذهب لا صوب الامل . كما كان يعتقد ، وانمــــا صوب المصير الذى لم يكن يعرفه .. وتلك هى القضية . قضية المصــير المجهول لنا جميعا ، ومع ذلك يريد كل منا أن يصنعه على هواه .. ذهب (سماحة) الى بيته ، الى زوجته .. الى أولاده .. ليجــدها تعيش مع (حلمى عبد الباسط) المخبر بعد أن تزوجتـه .. وتفــاجأ هى ، ويهم (حلمى) بالقبض على المتهم الهارب .. فيقذفه بحديدة .. يسقط مضرجا بعدها فى دمائه ، ويهرب من جديد .. لقد أصبح مطاردا فى جناية قتل تبدأ من الليلـــة .. تلك الليلة لو قضاها بعيدا لكانت نهاية عذابه .. لكن (نجيب محفوظ) يريد أن يجيب فى اقتدار ، وفى حزن أيضــا على الانســـان .. أن مصــائرنا ليست بأيدينا ، وأن كل ما نبـــرع فيه من تخطيط او نضعه من حيل ، انمــا يؤدى بنا فى النهاية الى ما يراد بنـا .. لا الى ما نريده .. وهكذا يؤكد دون أن يعلن .. أن الانسان مســير لا مخير !

الأدب الغربى المكتوب بالفرنسية



انا مصرى منفى ، بشكل جبرى ، داخل لغة اخرى لايفهمها اغلب ابناء بلادى .

بهذه الجملة عبر البير قصيرى عن حالة الاغتراب الادبى الشديد التى يعانى منها منذ ان كتب اول عبارة ابداعية فى حياته .. وهذه الجملة تعد مدخلا جيدا لفهم ادب البير قصيرى بصفة خاصة والادب العربى المكتوب بالفرنسية بشكل عام .

البير قصيرى .. واطلالة على النيل



وفى اعتقادنا ان مسالة اللغة التى يستخدمها الكاتب العربى فى التعبير ، ستظل محل نقاش الى أمد طويل دون حسم • حتى لو كانت هذه الكتابات من تاليف مبدع جيد من طراز قصيرى •

ومشكلة قصيرى فى الاغتراب تكمن فى عدة نقاط • ليس من بينها فقط اللغة الفرنسية التى يكتب بها أدبا عربيا • بل ايضا قلة اعمال الكاتب • رغم ان هذا ليس مقياسا للحكم على كاتب واهميته • بالاضافة الى عزوف الكاتب بشكل عام عن الانخراط فى الاوساط الصحافية ومصادقة صانعى الاخبار • حيث اختار الكاتب دوما ان يعيش على هامش الادباء ورجال القلم • مثلما اختار ابطاله على هامش المجتمع •

القاهرة لم تتغير .. بل انقلبت !

ومنذ ان بدأ قصيرى يكتب . اختار العمل الى جانب مجموعة من المفكرين الذين اضطهدهم المجتمع بشكل تعسفى مثلما حدث لجماعة «الفن والحرية». و « الخبز والحرية » ثم كتاباته المستمرة فى الاعداد القليلة من مجلة التطور . حيث ترجمت قصصه القصيرة على يد المترجم المبدع على كامل .

بالاضافة ان السينما عندما تناولت اعمال قصيرى فانها قدمت أفلاما اقل اهمية . مثل فيلم «شحاذون ومعتزون» الذى قام ببطولته جورج موستاكى عام ١٩٧١ . وفيلم «الناس اللى جوه » الذى قدمه جلال الشرقاوى عام ١٩٦٨ .

وقد ظل قصيرى فى حالات اغتراب وعزلة فنسانيه ليس من الصعب الفصل بينها .. فعندما اختار أن يبتعد عن مصر . فان ذلك لم يجىء بمحض المصادفة . ولكن ذلك بدأ برحلة بحرية دامت عدة اشهر فوق سفينة تجارية مصرية تحمل اسم « النيل » . وعمل قصيرى فوق السفينة كبحار غير محترف .. وعرف الموانىء .. واختلط باقوام كثيرين .. قبل أن يختار باريس محطة نهائية للاقامة ..

● اوليس المصرى .. تائه

ورغم ان قصيرى اختار باريس .. ورغم صداقته للعديد من رجالات الادب الفرنسى فى الاربعينيات والخمسينيات . فان قصيرى لم يسع قط ان يوطد انتماءه الى الثقافة الفرنسية .. لا فى ازمنتها أو اماكنها حيث ظل لسنوات طويلة ينتقل بين الغرف الصغيرة فى فنادق حى مونمارتر .. وحتى الان ، وبعد نيف واربعين عاما من الاقامة فى المدينة . فانه لم يسكن خارج جدران هذه الفنادق البسيطة .. كما ان الكاتب لم يفكر قط فى ان يغير من هويته المصرية .. حيث ظل يحتفظ ، حتى الان ، بجنسيته المصرية .. وبجواز سفره الذى سافر به من القاهرة فى عام ١٩٤٥ .

وفى باريس ، يعتبرون الكتاب الذين يكتبون بالفرنسية ، فرانكفونيين ، غرباء دائما .. وذلك بحكم اللغة والثقافة . ومن هؤلاء جورج شحادة ، والبير قصيرى ، واندريه شديد ، وجويس منصور من مصر .. ومنذ عدة اشهر اجرت مجلة « اكسبريس » موضوعا عن « باريس فى عيون الغرباء » .. واختارت المجلة ان تتعرف على اراء الكثيرين من

البير قصيري:

هؤلاء الكتاب الذين اعتبرتهم ، شاءوا أم أبوا ، غرباء ..

كل هذا يوضح مدى التضارب الذي يعانيه الكاتب الفرانكوفوني من حيث انتمائه للوطن . وللثقافة .

ولا شك أن قصيري عاش طوال تلك السنوات اشبه بأوليس الذي يتجول بين الموانيء . فلا يجد بنيلوبي التي طال بحثه عنها... وبنيلوبي الكاتب موجودة في مدينة القاهرة . التي ولد بها في الثالث من نوفمبر عام ١٩١٣ . وبحثا عن هذه المرأة الخيـال - بنيلوبي - كرس قلمه من اجل هذه المدينة . وما يحدث في أروقتها . وعن البشر المنسيين في حواريها ومقاهيها ودروبها . لذا كان عنوان مجموعته القصصية الاولى عام ١٩٤٦ هـي « بشر منسيون » .. وفي هذه المجموعة ثم في كتبه الاخرى ، كانت شخوصه دائما من بين الذين اختاروا الحياة طواعية على هامش المجتمع . فهجروا رفاهيته الكاذبة . وامنـوا بأن الحكومات في كل الازمنة يجب عدم التعامل معها .. وعندما عجزوا عـن التعامل مع هذا المجتمع اصـابتهم حالات من التغييب المتعمد . فتعاطوا المخدرات ومارسوا القتل المجـاني وحلموا بالهجرة الى طوبوية فاضلة .

● سعد زغلول .. بالفرنسية

وقد كتب قصيري ثلاث روايات عن مدينة القـاهرة ، من بين رواياته السبع ، التي لم يكتب سواها على مدار خمسين عاما ، هذه الروايات هي « منزل الموت الاكيد » - طبعت بالفرنسية في القاهرة في عام ١٩٤٧ ثم « شحاذون ومعتزون » عام ١٩٥٥ . و « كسالى الوادي الخصيب » . اما روايته « العنف والسخرية » فتدور احداثها في مدينة دميـاط . وهي المدينة التي نزح منها ابوه قصيري الى العاصمة وعن مدينة الاسكندرية كتب المؤلف روايته قبـل الاخـيرة « مؤامرة على بنك » ..

اما الرواية الوحيدة التي كتبهـا قصيري بعيدة في احداثها عن مصر. فلم يبتعد فيها كثيرا عن وطنه العربي وهي « طموح في الصحراء » التي استوحى وقائعهـا من زيارته لدولة الامارات العربية المتحدة .

ومن واقع المجتمع اختـار قصيري نماذج شخصياته الروائية .. وقـد حدثنا اثناء جولاته المتعددة في القاهرة ان ابطال روايته « شحاذون ومعتزون» قد عاشوا في مصر في الثلاثينيات . وكان يلتقي بهم دائما في مقهـى الفيشاوي في حي الازهر .. وخاصة شخصية الشاعر يكن . وهو شـاعر شعبي يكتب الازجال . وكانت لـه شعبية واسـعة تعادل شعبية بيرم التونسي . ولذا فقد عرف السـجن والفقر . وهام عشـقا بأزقـة الازهر وحواري المدينة .. وابنائها الفقراء.

وكان يكن يعاني من املاق شـديد وكثيرا ما سطا على اموال امه الفقيرة من اجـل قوت يومه .. وكان يكن نسخة قريبة من قصيري . فرغم أن لامه بيتا في القـاهرة . فانه كان يتخذ من غرف فنادق شارع كلوت بك مسـكنا له ينتقل بين اروقتها .. واسرتها المليئة بالحشرات والرطوبة .

وقد سافر يكن ، فيما بعد ، الـى باريس ، والف كتابا هاما عن الزعيم سعد زغلول باللغة الفرنسية .

اما شخصية الكردي . فهي حول موظف الحكومة المتمرد ، الذي يتردد على احد بيوت الهوى من اجل امرأة يهوى جسدها .. وهو يدعي النضال من اجل الفتاة نايلة .. لكنه ابعد

ما يكون عن التمرد الحقيقى ..

ومن الصعب حصر العالم الرحب الذى عبر عنه قصيرى ، بصفة خاصة فى هذه الرواية فى مقال واحد . لذا يهمنا ان نربط بين قصيرى الذى ادهشنا ونحن نطالع روايته حين قرأناها للمرة الاولى وبين ذلك الرجل الذى جاء لزيارة القاهرة فى مارس الماضى .

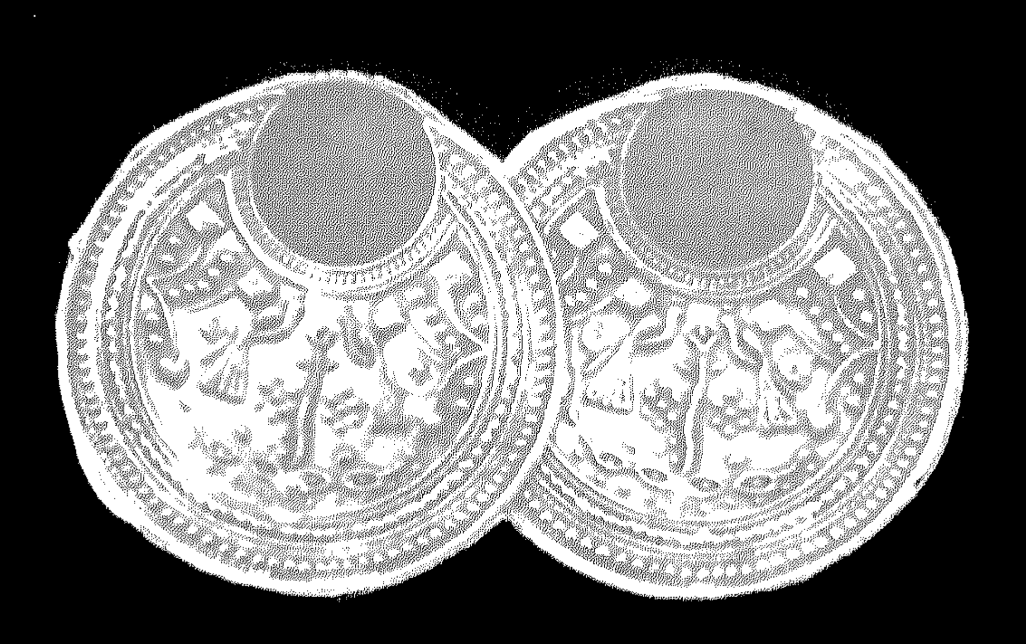
فى رواية « شحاذون ومعتزون » وقف جوهر ، استاذ الجامعة الذى اختار أن يستقيل من وظيفته احتجاجا على تفاهة المناهج وسذاجتها ، يحادث احد الشحاذين . لم يكن لدى الرجلين ما يتبادلاه سوى النكات السياسية . وجاءت نكتة الشحاذ كالاتى « منذ أيام فى احدى القرى الصغيرة بالدلتا ، وأثناء انتخابات العمدية ، عندما فتح موظفو الحكومة الصناديق ، لاحظوا ان أغلب البطاقات تحمل اسم برغوت . ولم يكن الموظفون يعرفون هذا الاسم . فهو ليس مذكورا فى قائمة أى حزب من الاحزاب . مما اثار جنونهم . ورجعوا الى المصادر ليكتشفوا ان برغوت هذا هو اسم حمار يلقى احتراما كبيرا لرجاحة عقله فى القرية . وقد صوت اغلب السكان من اجله .. »

ترجع هذه النكتة فى تاريخها ، حسبما كتب قصيرى ، الى عام ١٩٢٩ وقد دونها فى روايته . أما حين التقيناه فى الاسبوعين الماضيين فقد راح يروى نكتة جديدة ، عن غير عمد ، ذات رائحة سياسية ايضا . وهو لم يؤلف هذه الرواية ، بل نقلها عن واقعة شاهدها بنفسه فى ميدان التحرير حين كان يعبر احدى اشارات المرور . وعند الاشارات تبدو العلاقة بين الناس والحكومة واضحة ... فالتفاهم مقطوع بين الطرفين . حيث يمشى الناس على هواهم دون مراعاة للاشارات التى خصصتها الحكومة للناس . وفى الاشارة وقف الشرطى مغلوبا على أمره لا يستطيع ان يفعل شيئا لتلك المرأة التى أصرت ان تخترق كل حواجز عبور المشاة . وهنا صاح أحد العابرين قائلا للشرطى ساخرا : « خذ نمرتها .. خذ نمرتها » .

تنتمى هاتان النكتتان فى جوهريهما وايضا لغتيهما الى البيئة المصرية . واذا كان الكاتب قد صاغ نكتته الاولى فى لغته الفرنسية التى يجيدها . فانه راح يروى القفشة الثانية باللغة العربية . اثناء زيارته الى منطقة الازهر الشريف . وهى المنطقة التى ارتوت فيها ذكرياته بحنين جارف لا ينتهى . حيث راح يمسح بعينيه ذكريات الماضى الماثلة فى قهوة الفيشاوى . لقد ارتاد المكان ، منذ أن رحل قصيرى عن مصر ، ملايين الاشخاص . ومع ذلك توقع ان يلتقى هناك بكل من الكردى وجوهر .. ويكن .. وايضا بالضابط نور الدين .. الذى استقال من وظيفته كى ينضم الى زمرة هؤلاء الشحاذين المتكابرين .

وطوال رحلته الى منطقة الازهر ، كان البير قصيرى يشعر بالاختناق . لان المدينة الحالية تختلف تماما عن القاهرة التى عشقها . لقد جعل الزحام الناس اكثر لهاثا . واكثر ابتعادا عن بعضهم البعض رغم التصاق جلودهم فوق الارصفة وداخل المركبات العامة . وايضا فى مقهى الفيشاوى المليئة بالمرايا .. كان ذلك يضفى على المكان اتساعا فيما قبل . اما الان فانه يجعل المرء يحس بمدى ضيق المكان . حيث تزيد حدة الازدحام بشكل واضح .

وعلق قصيرى قائلا : « ليس من الغباء أن اتصور أن القاهرة لم تتغير طوال أربعين عاما . لكن هذه المدينة لم تتغير . لقد انقلبت على نفسها » .



زى من « حماه » ويلاحظ الشبه بينه وبين أزياء سيناء وفلسطين .. ثم بلوزة من « الهنود الحمر » اهدتها أمريكية لمتحف رعاية النمر

رعاية النمر

فنانة أحبت تراثنا الشعبى وعاشت من أجله

نجوى صالح

● تصوير : فاروق عبدالحميد ●

من امتع الفنون نراها ، تلك التى يعايشها الانسان ، وتكون دائما فى متناولنا ، نراها فى كل لحظة ، ونتعامل معها .. وهذا ما نشهده فى المتحف الذى اقامته الفنانه رعاية النمر بشكل دائم فى بيتها ، سوف ترى حينما تشاهده .. قلة ، صندوقا ، فستانا ، مسبحة ، مطحنة بن ، ربطه راس ، عقد فضة ، ثوب عرس ، طاقية موشاة ، اطباقا ، وملاعق ، واكوابا ..

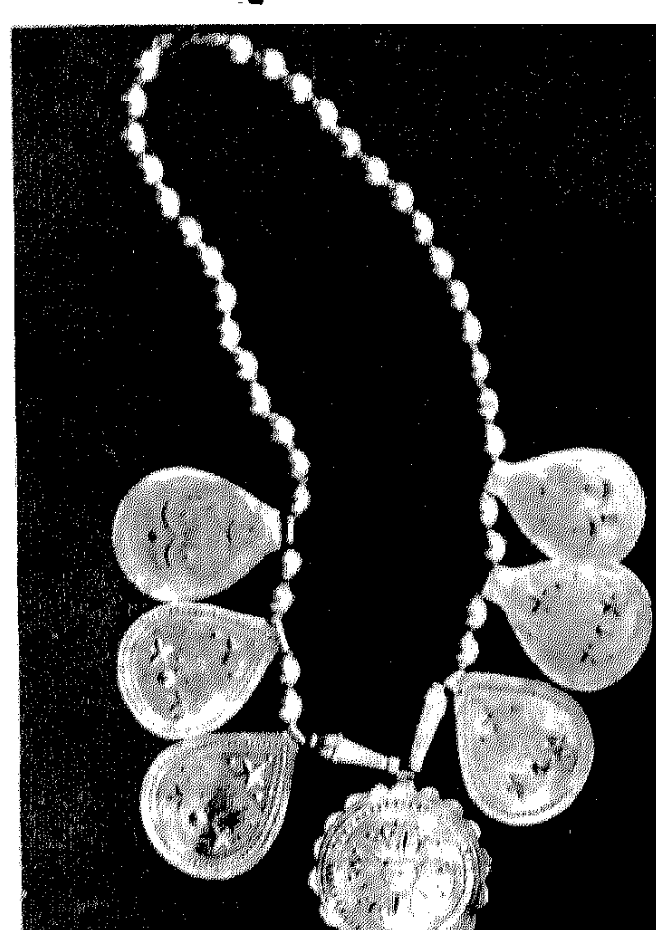


رعايه النمر

فنانة احبت تراثنا الشعبى
وعاشت من اجله

● ومتحف رعايه النمر من المتاحف الشعبية النادرة فى الوطن العربى اقامته بجهدها الخاص بمنزلها بقرية « الحرانية » بالجيزة ، وحرصت على أن يضم الازياء الشعبية ، وبعض الصناعات والحرف التقليدية الشائعة فى واحات وصحراء مصر والعديد من الدول العربية التى زارتها الفنانة على مدى ثلاثين عاما ٠

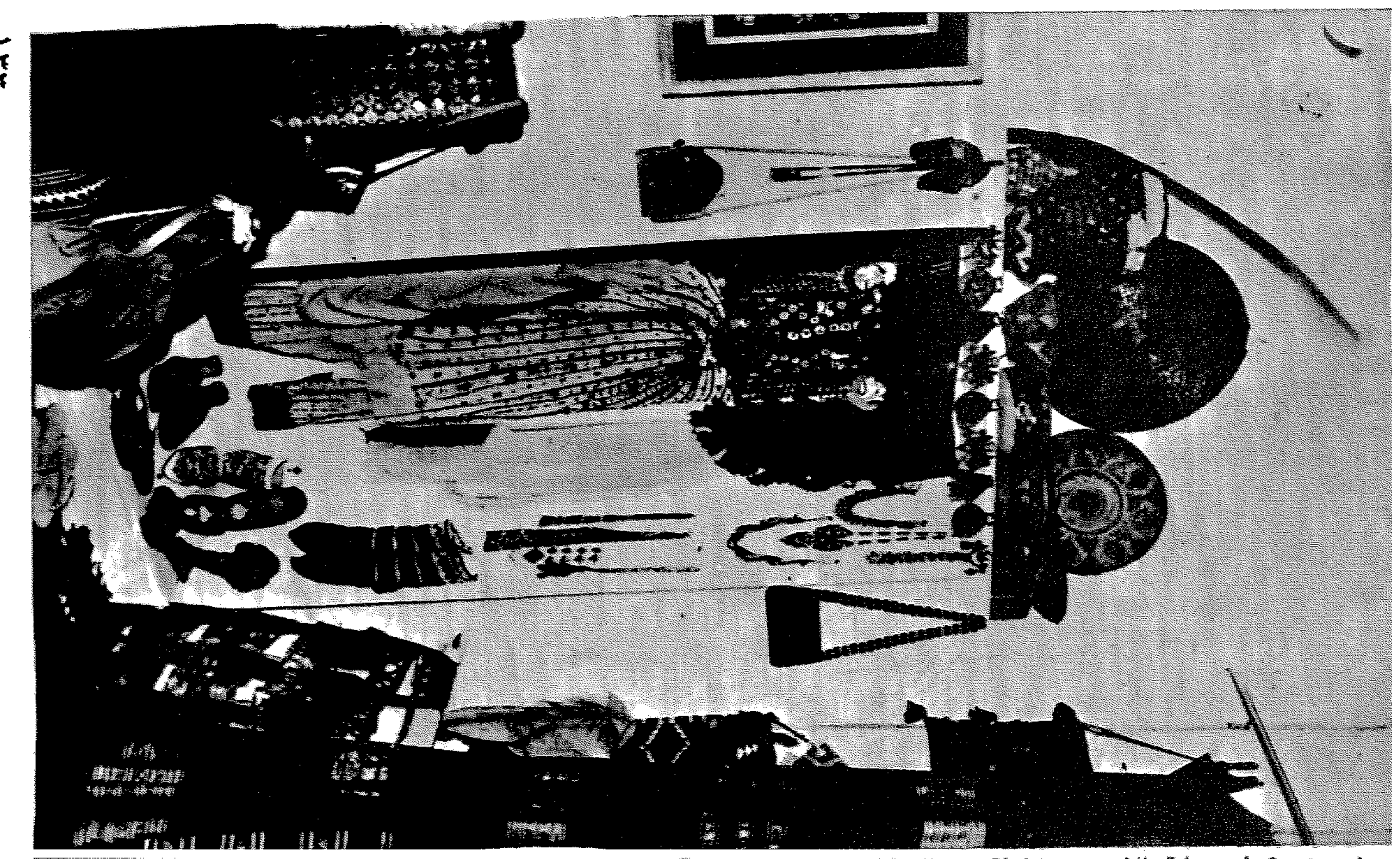
عقد من النوبة



وهذا المتحف، يعد بمثابة قراءة صريحة لتاريخ الشعوب بتلقائية وعفوية ٠

وقد جاء هذا المتحف بعد رحلة عاشتها الفنانة ، تعشق الاشياء ولا تبددها ، بل انها تجعلها جزءا من تكوينها ، انها ليست كمن يبددون الاشياء ، بل تحتفظ وتعشق كل ما تطوله يداها ٠

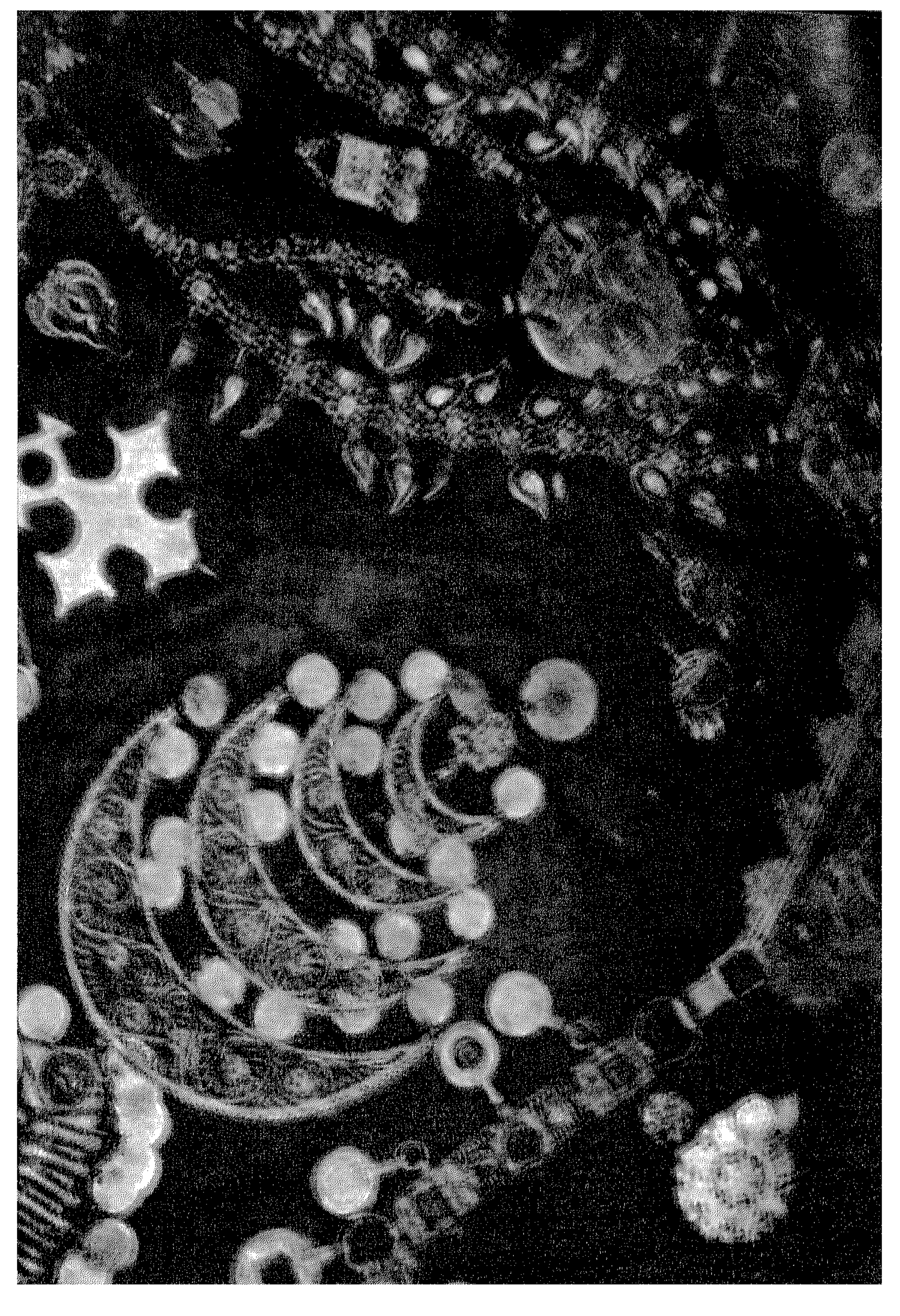
بدأت هوايتها فى جمع الوحدات الشعبية ودراستها منذ الصغر ، والتجهت الى دراسة الفنون الجميلة ، حيث تخرجت فى معهد التربية الفنية، وبعدها اتجهت الى العمل الصحفى ، ثم عملت بمركز الفنون الشعبية ، وكان من بين عملها انشاء متحف للفنون الشعبية وجمع النماذج المتميزة من مختلف محافظات مصر ، وحرصت خلال عملها علىتعلم الاسلوب العلمى فى دراسة هذه الفنون ، واختيار النماذج المناسبة منها وتوثيقها ، وكان عملها فى الثقافة الجماهيرية بعد ذلك ذا فائدة جيدة لها ، حيث استفادت من تنقلاتها بين قصور الثقافة الجماهيرية ، واهتمامها المركز بهذا الميدانلتستكمل مجموعتها من نماذج الفن الشعبى ، وعلى مدى اكثر من ٢٥ عاما كان حصيلة متحفها الخاص الوانا من الفنون الشعبية سواء كانت ملابس أو صناعات يدويةالى الحد الذى جعل مقتنياتها من أندر ما نراه فى المتاحف المتخصصة فى التراث الشعبى ، بفضل دأبها وحبها للاقتناء الذى كان محور حياتها منذ طفولتها حتى الان ، فضلا عن أنها تحب البسطاء من الناس وتنحاز اليهم ، وتحترم ما يصدر منهم من فن وحس جمالى متدفق يتسم بالتلقائية ٠



جزء من متحف رعاية النمر .. وتوليفة من التراث من البلاد العربية

حلى للراس من العراق والمغرب واليمن

الصندوق التقليدى الكبير من تركيا والصغير من البحرين



رعاية النمر

فنانة أحبت تراثنا الشعبي وعاشت من أجله

● البحث عن جذور الفن

ومن خلال رحلتها مع الفن الشعبى ، وتلك المقتنيات التى يضمها متحفها فاننا نقف امام نموذج رائع يعشق كل ما يمت الى شعبنا العربى بالاصالة ٠

فى خلال رحلتها الفنية نجد أن المتحف الذى أسسته فى مركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة لم يتسع ولم تضف اليه نماذج جديدة بعد أن تركته رعاية النمر عام ١٩٦٦ وتعمل فى متحف المسرح ثم الثقافة الجماهيرية ، كما انضمت الى أول جمعية أسسها د٠ عبد الرزاق صدقى الذى كان يشغل منصب وزير الزراعة فى ذلك الوقت ، وكان من هواة جمع التراث ، وبدأت الجمعية فى عمل رحلات الى مناطق نائية فى محافظات مصر ، لجمع الاعمال الفنيةالتلقائية ، وهى أعمال تندرج تحتها الصناعات التقليدية ، والحرف والتى تعد بمثابة فن متوارث ليس له مؤلف ، ولكن هناك اضافات بشكل مستمر ومتصل من الحرفى الى تلك الاعمال الفنية واكتسبت رعاية النمر خبرة كبيرة فى هذا المجال ٠

وتمنت أن تتحقق فكرة الدكتور ثروت عكاشة فى الستينيات بأن تقام عند الاهرامات مدينة فنية تضم جميع الحرف الشعبية فى مصر ، حيث يقوم الحرفيون بأداء حرفهم اليدوية أمام السائح ، ويقام بجانب « تلك المدينة متحف للفنون الشعبية المصرية ، بالاضافة الى معارض خاصة للبيع ٠

وتقول الفنانة فى هذا الصدد : اننى أعتقد أن هذه الفكرة كانت صائبة للحفاظ على تراثنا الشعبى ، فضلا عن ترويج تلك الصناعات التقليدية ، ونرى ذلك فى الهند والتى تضم مدينة على هذا الغرار ٠

ولهذا فان حبى للحرف الشعبية والاشغال اليدوية ، دفعتنى لتعلمكيفية جمع التراث وترقيمه ، وعمل أرشيف خاص تصور فيه كل قطعة ، ويتم ترقيمها وعمل وصف دقيق لها ، والخامة التى استخدمت فى صنعها ، ثم اسم العمل الفنى وتوظيفه ، وفى أى مناسبة يستخدم ، وقد نقلنا وسيلة الجمع والتوصيف من متحف رومانيا ٠

● هواية جمع الاشياء

كان عشق رعاية النمر لجمع التراث هو شغلها الشاغل ٠٠ تقول : « بعد أن تركت مركز الفنون الشعبية بدأت أسافر الى عديد من البلاد العربية والى اماكن متفرقة من العالم على نفقتى الخاصة ، ومن البلاد العربية جمعت مجموعة فنية لا بأس بها وخاصة من رحلتى الى اليمن ، وهذه البلاد ثرية ـ بشكل خاص ـ فى صناعاتها اليدوية التى تتسم بالقيمة الفنية والجمالية العالية ومن المعروف أن هواية جمع التراث من الهوايات المكلفة ، فكثير من القطع الفنية تصنع من خامات غالية الثمن، كالحلى المصنوعة من الذهب أو الفضة أو العاج أو الصدف والمرجان وغيرها ، مما يقتضى أن اقتطع من قوتى لاشباع تلك الهواية المكلفة بالاضافة الى السفر المستمر ، من أجل اقتناء قطع جديدة وقد كلفنى هذا الكثير ٠٠ ولا انكر ما قدمته لى



زى من سيوة .. وركن من المتحف

بعض الجهات الرسمية وبعض الافراد من قطع نادرة .

● وحدة الفن .. عربيا ..

وفي الثمانينيات اقتطعت جزءا من منزلنا ، واقمت عليـــه مبنى على الطراز العربي بقرية الحرانية ، التى اخترت موقعها لتكون ضمن منـــاخ متكامل مع مجموعة الفن الشعبى .

ويضم هذا المتحف نماذج للملابس والحلى ، وصناعات الخزف والفخـار والنسجيات وصناعات الخوص والقش وتشكيل النحـــاس والمصـــنوعات الجلدية ، وقامت الفنانة بهذا الجهد المضنى وحدها ، وشاركت فى عـديد من المعارض والمهرجانات ومن بينها مهرجان بغداد للأزياء الشـعبية فى ابريل ١٩٨٦ ، وفى مهرجان الشباب للفنون الشعبية باسبانيا فى سبتمبر ١٩٨٦ .

وخلال رحلتها مع هذا الفن التلقائى ومعايشتها للفنون الشعبية فى البلاد العربية اكتشفت أنهـــا تتضمن نوعا من الوحدة فى الذوق العام ، لاتعترف بالحدود السياسية ، بل انها تستنتج من هذه الظاهرة وجود وحدة فكرية ، ووحدة المزاج العام للشعوب العربية ، تمثل أساسا مناسبا ، وتشـــير الى امكانية تحقيق درجات اخـــرى من الوحدة العربية فى عصرنا الراهن .

ومتحف رعاية النمر هو الوحيـد فى مصر ، الذى يضم هذا الكم الكبير من التراث المصرى والعربى ، والذى





مجموعة من البراقع .. وزى كامل من سيناء

مجموعة من اغطية الراس . من باكستان وتركيا والمغرب

يؤكد على وحدة الموروث الشعبى العربى ، وهذا يجعلنا نطالب بضرورة تبنى هذا المشروع والذى يعتبر نواة لعمل متحف للفنون الشعبية ، ويمكن أن تقيمه وزارة الثقافة فى بعض الغرف الخالية بدار الاوبرا ، على غرار المعرض التشكيلى الدائم ، وليمكن لجمهور الاوبرا مشاهدة هذا اللون المحبب من الفنون الشعبية المحلية مصريا وعربيا ، ويمكن أن توجه الدعوة لمحبى هذا الفن للتبرع بما لديهم من مقتنيات حتى يكون على المستوى الذى ننشده ولا شك أن اقامة مثل هذا المتحف سيكون عنوانا على مدى تقديرنا لفنوننا الشعبية التى تضم نماذج من الملابس والحلى وصناعات الخزف وغيرها ٠

ان فكرة من هذا النوع حرية بأن نحترم هذه الفنانة ، التى لم تقتصر على عملها ، بل صممت على مواصلة الجهد وحدها ، وبمفردها ، ايمانا منها بضرورة المحافظ على تراثنا ، وهذا ما يجعل مثلها يتميز بالتفرد وعشق العمل ، وذلك ما ينبغى أن نغرسه فى نفس كل مواطن يحب وطنه ولنصل الى سمو الافكار النبيلة التى تؤكد القيم الجمالية فى حياتنا ٠

حوار الأضواء
فى معرض محمود بقشيش

بقلم : د. صبرى منصور

اقام الفنان محمود بقشيش خلال الشهر الماضى معرضا ضم احدث اعماله فى الرسم والتصوير ، متناولا فيها موضوعه المفضل خلال السنوات الاخيرة .. البيوت البدائية ذات التركيب المعمارى البسيط ، والصحراء بوديانها الممتدة ، وكثبانها المتموجة ، ولقد اكتسبت معالجته الفنية فى تلك الاعمال صيغا جديدة ، اعتمدت على والتضاد بين العناصر الفنية ، والتى تتمثل فى الصراع بين الضوء والظلام وفى التكوين الذى يميل نحو التجريد لكنه يحتوى عناصر تشخيصية واضحة ، وكذلك فى الحوار بين الالوان الساخنة والباردة .

ولقد ظل الاهتمام بعنصر الضوء ملازما للفنان محمود بقشيش منذ بداية تجربته الفنية ، وفى معرضه الاخير يقدم لنا الفنان ضوءه الاخاذ ، مخترقا ظلام اللوحات ، متخذا سمت البطولة ، ومتسيدا كل العناصر .

ولا شك فى ان للضوء دورا اساسيا فى اللوحة التصويرية ، فعن طريقه تتكون الالوان ، وتتجسد الاشكال ، وتخف او تثقل العناصر ، كما ان للضوء اهمية فى الايهام بالبعد الثالث ، وهو يخطف البصر ويفجأه حين يكون مبهرا مناقضا للظلمات المحيطة ، او يخدره حين يتدرج فى نعومة ورفق . كل تلك العوامل احاط بها الفنان بقشيش ، واعمل فكره فيها ، ومن هنا كان تعامله مع عنصر الضوء مدركا لكل هذه العوامل ، فجاءت اعماله معبرة اصدق التعبير عما يمكن ان

يخلقه الضوء من اثارة بصرية للمتلقة سواء كان ذلك الضوء انعكاسات براقة كالشهب تلمع وسط الظلام (كما يتضح في حواف الفتحات الداكنة للمنازل والاشكال) ، أو كان ضوء الصحراء القوى وقد تناثرت عليه كتل البيوت المظلمة .

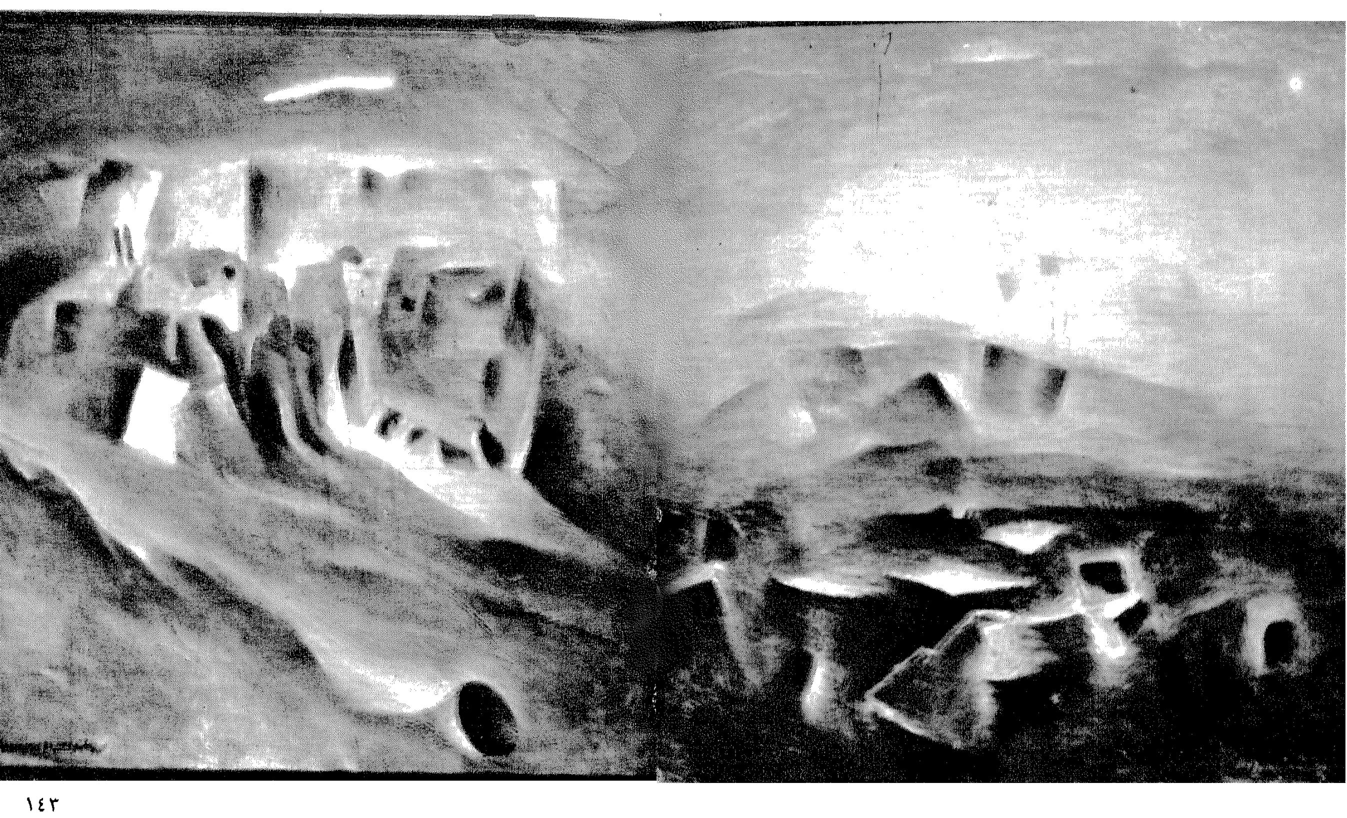
اما الحوار الثانى فى أعمال الفنان فقد كان بين التجريد من خلال المساحات المبسطة التى تتداخل وتتالف دون أن تفصح عن كنهها ، وبين العناصر المفرقة في التشخيص والتمثيل الطبيعي . والفنان هنا يحاول ان يجد صيغة للتوفيق بين اتجاهين ، ويرفض ان ينحاز كليا لايهما . وهو من الفنانين القلائل الذين يمتلكون شحنة تعبيرية ، وموضوعات انسانية ذات دلالة ومعنى ، وصفته ككاتب قصصى مازالت ماثلة . وهو فى نفس الوقت لديه من الحساسية الفنية ما يجعله واعيا بأهمية الجوانب التشكيلية وتفوقها على الجانب الادبى فى التصوير .. وتلك المعادلة تعتقد أن الفنان قد جعلها محورا هاما من محاور تجربته الفنية ، وملامح تميزها بين التجارب المختلفة على ساحة الحركة الفنية التشكيلية المعاصرة فى مصر .

اما الحوار الثالث فى معرض بالشيش فقد أجراه بين الالوان الساخنة والالوان الباردة .. ولقد ظلت مجموعته اللونية لفترة طويلة تميل الى الرماديات ثم استهوته مجموعة الالوان الزرقاء بدرجاتها المختلفة ..



وفى معرضه الاخير انضمت الى قائمة مجموعته اللونية طائفة الالوان الساخنة . مثل الاصفر والبرتقالى والاحمر .. وأجرى الفنان حوارا بين المجموعتين هو اقرب الى الصراع والتصادم .. ونحن اذا اضفنا الى قوة هذا التضاد تأثير الضوء المبهر فى اللوحات لادركنا سبب هذه المتعة البصرية الممتعة الناتجة عن الالتقاء بأعمال الفنان فى معرضه الاخير .

اشراق بيوت واضواء



المتشرد الخالد..

مائة عام

بقلم : مصطفى درويش

لو لم يجئه الموت ليلة عيد الميلاد المجيد قبل اثنتين وعشرين عاما او بزيد ، لكان له فى منتصف الشهر من العمر مائة عام .

والقريب ان ثمة اختلافا حول يوم ميلاد هذا المتشرد الصغير الذى يسير فى الافق وحيدا ، مرتديا قبعته الطاسة ، وحذاءه المرتخى الكبير محاكيا مشية البطة او طيرا من هذا القبيل .

● فهذا اليوم حسب الاعلان عن مولده ببيان الى الناس نشر فى مجلة « الماجنت » اللندرية بعددها الصادر فى الحادى عشر من مايو لعام ١٨٨٩ هو الخامس عشر من شهر ابريل .

أما اذا رجعنا الى مؤلفه الضخم الذى ضمنه سيرته تحت عنوان «قصة حياتى » فسنجده مستهلا لها على الوجه الآتى .

● الاقدار الساخرة

« ولدت فى ١٦ ابريل ١٨٨٩ ، الساعة الثامنة مساء » .

والاغرب أن يجىء مولده فى نفس السنة ، بل وفى نفس الشهر الذى ولد فيه « ادولف هتلر » .. ، .. والا يكون ثمة فرق بينهما فى السن سوى بضعة أيام ، فالاخير « هتلر » يصغر « شارلز سبنسر شابلن » بخمسة ايام فقط لا غير .

والاكثر غرابة ،أن تلتقى حياتهما، وهما فى سن الخمسين ، لا فى الواقع، وانما فى الخيال عندما تقمص « شابلن » شخصية « هتلر » فى واحد من اكثر افلامه جراة « الدكتاتور العظيم » .

وفى وقت كان كلاهما فى أوج المجد ، الاول اشهر فنان فى العالم يأسر بمتشرده الخالد قلوب الملايين والثانى اشهر طاغية يتوعد الانسانية بحكم استبدادى لو كتب لجيوشه أن تنتصر لدام الف عام .

وشهرة شابلن العالمية قد اكتسبها ــ والحق يقال ــ فى تاريخ سابق على اكتساب هتلر لها باكثر من خمسة عشر عاما ، لا بفضل دسائس


10¢

المتشرد الخالد ..

ومؤامرات دموية ، وانما بفضل لقاء نادر ·· لقاء الحظ بالمعبقرية ··كيف؟

● اللقاء السعيد

فى الثامن والعشرين من فبــراير لعام ١٩١٤ ـ أى ولشابلن من العمر خمسة وعشرون عاما ـ جاء استديو « كيستون » بهوليود نبأ من « فينيس»

شارلى شابلن الستينيات



فى ضواحى « لوس انجلوس » مفاده ان ثمة سباقا لسيارات الاطفال ·

وطبعا سارع « ماك سينيت»ساحر السينما الضاحكة الصاخبة وصــاحب الاستديو الى اســتدعاء « شابلن » الممثل الناشىء ، طالبا اليه أن يبحث عن ملابس هزلية يتسكع بها ـ وهو مرتديها ـ أمام الكاميرا ، وهى تصور ذلك السباق

وهمست الاقدار فى أذن « شابلن » أن يتوجه الى ثلاثة من زمــلائه فى الاستديو وهم « ارباكيل » المشــهور بالسمين و « مارك سوين » و « فورد سترلنج » ، فيستعير من الاول سرواله الواسع الفضفاض، ومن الثانى شاربه القصير الصغير ، ومن الاخير حذاءه المرتخى الكبير ·

وما لبثت الاقدار أن أخذت بيــده ظهر نفس اليوم الى مخزن للمــلابس بالاستديو حيث اختار قبعة طاســة ومعطفا ضيقا وعصا ·

وهكذا ، وبفضل هــذه الملابس ، وبفضل هذا الشارب والعصا خرج الى النور متشرد شابلن الذى سيكتب له الخلود فى عالم الاطياف ·

● مولد متشرد

ونحن لو رأينا « سباق الاطفال فى فينيس » ـ وهو ثانى أفلامه ـ ولــم نكن على علم بانه لشابلن لتعرفنــا عليه فور ظهوره على الشاشـــة البيضاء ولاحسســنا أن أمامنا بعضا منه،هذا البعض الفوضى الذى لا هم له الا المشاغبة والمداعبة والسخرية مــن رجال الشرطة والمصورين والاطفــال المتسابقين ·

ولو اتيحت لنا فرصة مشاهــــدة فيلمه الرابع « بين الامطار » لظهــر امامنا المتشرد شابلن بملابسه الـرثة

المزقة ، وهو يتعارك مع رجل متواجه متأنق من أجل شمسية وقلب حسناء .
فاذا ما فاز بالاثنين معا ، رأيناه يستدير فجاة ، يمشى مشية البطة مبتعدا والشمسية بيمينه وظهره الينا نحن المتفرجين .
ولاستطعنا ـ بعد هذا المشهد ـ أن نقول وكلنا ثقة .. ، .. لقد رأينا مولد شابلن بتكوينه الخارجى ، بظاهره الاسطورى الذى يظل متواصلا دون انقطاع الى أن تمر الانسانية بمحنة حربين عالميتين .

والحق ، انه ما كان فى امكان « شابلن » أن يكتمل مظهراً وروحا خلال السنة الاولى من عمره السينمائى .
فهو كان يعمل عند مكتشفه « سينيت » .
وهو كان مطالبا بأن يمثل ويخرج فيلمين من ذلك النوع المضحك الذى عرف تحت اسم « كوميديات كيستون » وفى مدة لا تزيد على سبعة أيام .
وهو كان ملزما باتباع أسلوب فى

سنة اولى شابلن



المشرد الخالد ..

الاضحاك لا يختلف فى كثير او قليل عن أسلوب الشخصيات الاخرى التى تمثل فى أفلام « كيستون » ·· وهى أفلام قوامهـــا المطاردات وتبـــادل الضرب بالعصى وبفطائر الكريم ·

أفلام تسخر من كل شىء ، تحطم ، تدمر ، تعربد فى ايقاع سريع صاخب، الى الجنون أقرب ·

وعن طيب خاطر قبل « شـــابلن » المشاركة فى لعبة التحطيم والتدمير والعربدة هذه ·

ولعله بهذه المشاركة كان مستجيبا لصوت من الماضى يريد أن ينتقـــم ، بطريقة فوضوية ، لشقائه فى لندن ، وقت ان كان طفلا يتيما ، معـــذبا بالفقر ·

● افلام شيطانية

« فشاز شابلن » ــ وهو الاســـم الدعائى الذى اختير له بداءة ــ فى أفلام سنة أولى سينما ــ على النقيض تماما من شابلن الرقيق ، الضعيف ·

انه ممسوس بالشر والغضـــب ، يضرب بعنف الازواج ورجال الشرطة والاقوياء ·· ولا يهزم أبدا ·

وهو كسول ، محب للترف ،بخيل، سريع الغضب وفوق كل هذا جبان ·

ولو جمعنا الافـلام التى مثلها « شابلن » الشاب خلال ســـنة أولى سينما لكونت كلا واحدا متجانســا ، سواء أكان هو الذى أخرجـــها أم « سينيت» أم واحد من أعوان الاخير·

بل انها لو ضمت لبعضها البعض لخرج منها فيلم يدوم عرضـــه بضع ساعات ·

ولامكن أن يطلق عليه « مغـامرات شاز شابلن البهلوانية » ذلك الاســم الذى اختاره الناقد « جورج سادول» عنـوانا لجميــع أفلام شابلن فى سنته الاولى مع السينما ، وهو اسم يعبـر بحق عن جوهرها ، فهى لا تنهض الا بفضل حضوره السينمائى ومطارداته وبهلوانياته وحركاته التقليـــــدية الصامتة ·

● التحرر كيف

أما الواقع الاجتماعى ونقده فليس فيها منه الا نزر يسير نراه أكثـــر ما نراه فى « حياته الموسيقية »حيث يجر شابلن وهو على منحدر تل،عربة تحمل بيـانو وكأنه حمـــــار فقـــير معبرا بهـذا المشـهد الاليم عن معاناة الرجل الصغير · غير أن هذا النغـم الانسانى خافت يكاد لا يسمع وكـان لابد لسماعه سائدا من أن يتحـــرر شابلن من عالم الاضـــــحاك غير الانسانى ، كما تتحرر الفراشة مـن الشرنقة ·

أن يتحرر شابلن من المهرج الساخر من كل شىء المحطم المدمر لكـل شىء حتى يولد شابلن الذى نعرفه شابلن الانسان ·

وعلى كل ، فمع فيلم « شـــارع الهوى » (١٩١٦) نستطيع أن نقول أن شابلن قد ولد من جديد ·

ولو تتبعنا افلام «شابلن» اللاحقـة لهذا التاريخ لوجدناها تزداد عمقـــا وانسانية على مر الايام ·

● الحرب والسلام

وفى الحق ، فكل واحد منـــــها يستحق منا وقفة طويلة غيـــر أننى ساكتفى ــ لضيق المجـال ــ بالوقوف وقفة قصيرة عند فيلمين من مجمـوع ابداعه فيما بين « شارع الهـــوى » و « الكونتيســـة من هونج كونج » (١٩٦٧) ·

والفيلمان هما « الدكتاتور العظيم » ١٩٤٠ ، و « مسيو فيردو » ١٩٤٧ ٠

من المعروف أن « شابلن »قد تقمص فى الفيلم الاول شخصيتين احداهما شخصية دكتاتور أسماه « هينكل » قاصدا به « هتلر » ٠

والاخرى شخصية حلاق من المستضعفين فى الارض ينتهى الفيلم به حالا محل الدكتاتور ، مرتديا ملابسه العسكرية موجها الخطاب من المنصة بوصفه الزعيم الى شعب « تومانيا » (المانيا) ٠

وهو فى خطابه هذا لا يعلن الحرب كما كان الزعيم مخططا وانما يعلن السلام ٠

والعجيب انه وكما اختفى الطاغية فجأة من فيلم الدكتاتور العظيم ، اختفى المتشرد هو الاخر من جميع ما اخرج شابلن بعد ذلك من افلام ٠

● القاتل الفاضل

وظهر بدلا منه بادىء ذى بدء « مسيو فيردو » ذلك الرجل المزدوج الشخصية الذى عبر به شابلن مجازا عن محنة الانسان المعاصر ٠

فهو رب اسرة فاضل يعول زوجة مشلولة وطفلا جميلا ٠ وهو فى نفس الوقت زير نساء يتزوج فى الخفاء أرامل مسنات واسعات الثراء بغرض الحصول على ثرواتهن بعد التخلص منهن بالقتل حتى يتمكن من توفير وسائل الراحة لاسرته ، ويجعلها بمنجاة من الشقاء ٠

فاذا ما حكم عليه قريبا من نهاية الفيلم بالاعدام رأيناه، وقبل أن يذهبوا به الى المقصلة، يتوجه الينا بالخطاب ساخرا ٠

« جريمة قتل واحدة تصنع شريرا، وملايين الجرائم تصنع بطلا » ٠



دكتور .. ام حلاق

وقد يبدو انه ليس ثمة علاقة بين شابلن المتشرد وبين « فيردو » القاتل المحترف ٠

وفى الحقيقة فالاخير لا يعدو أن يكون استمرارا للاول ، ولكن فى أزمنة اكثر اجراما ، أزمنة ما بعد كارثة هيروشيما ٠

بل انهما وجهان لشخصية واحدة، شخصية مبدعهما الذى أطل على العالم منذ مائة عام ٠

ولم يتركه الا وكان قد ترك فى الفن السابع اثارا بعيدة عميقة ليس الى محوها سبيل ٠



ركب عربة عسكرية يقودها جندى ، واثنان آخران يجلسان فى المقعد الخلفى ، صامتين ملتبسى الوجهين بمشاعر غامضة · امامه تسير ناقلة وقود ، هو فى حراستها · يعرف أن طائرات العدو تغير على طرق النقل التى تسير عليها قوافل الامداد · ويعرف أن الفترة التى تمتد بين اغارتين عميقة الصمت وشديدة الاملال ، تفصل بين بأساء الحرب ·· وهو بذلك يكره العدو حين يهجم وحين يتركه ينتظر الهجوم · لكن اى نوع من الكراهية تتملكه ؟·· ليست ابدا هى التى سودت قلبه يافعا وشابا فى قريته البعيدة عن مرامى النيران ·

الان يعرف جيش الاعداء ، يعرف افراده ، يرى وجوههم ، الايدى تحرك آلات الهلاك ، الاجساد الغضة تردى بالرصاص وتطعن بحراب البنادق· المعرفة اذن حميمة ، كيف يقتلهم

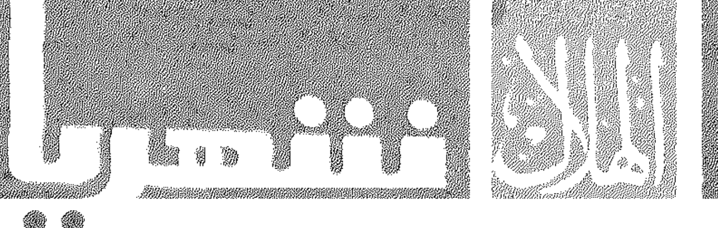
ايضا ، ويخاف بالي الرعب أن يقتلوه ٠

عربته العسكريةتسير خلف ناقلة الوقود ، يئز دواليب العربات في جوف الصمت ٠ ثم اذن ينقسم بين أزيز العربات صفير طائرة مغيرة ٠ تلبه جسده ٠ اليقظة تسري في عضله امشاجا مشاجا على قد الصفير الملحق ٠ التفت الى جنوده الثلاثة، يسمعون ويقتم الوجود وتزم الشفاه وتضيق العيون٠ امامه تدب الناقلة ٠ هل تارق سيرها ؟ والطريق ات من عمق سحيق ، مرسوم مجراه بالاسفلت ٠٠ وحواليه فراغ مزحوم بتلال الرمل ٠ والصفير يجيء من خلف السحب، يرطم القمم الرملية ، ويتردد مضطربا لاصداء ٠٠ تصلب جسده ٠ انتباه ٠ زفر ٠ تحكم في المشهد على جانبيه وامامه ٠ يأتي عن خلف الناقلة ، يوغلان في الافق بطيئا ٠ ينتفخ قلبه والمخ بالصفير من ثقبي الاذنين اللذين اتسعا بآلة الخرم المدوية ٠ انقضت الطائرة وقفز الجنود ولحق بهم ، انبطحوا ٠

دفن وجهه في الارض خلف نبتة جعضيض ملتفة ٠ انفاسه تجذب له ريحها وذرات من الرمل الذي يريح عليه خده ٠ تقبب راسه ، وعلت قبتها ، حتى لتصيبها رصاص الطائرة التي تحلق وتهبط في دورات متتالية ٠ وقشرة راسه تعلو كل مرة لتستقبل الطلقات ، ترن في التجويف ، في كل جسده٠ لكن قدميه أوغلا في البعد ، مرحا في الافق من وراء ظهره ، فلا طاقة له على أن يحركهما ، ولا طاقة له على يديهأن يمدهما يستر بهما قمة راسه من القذائف ، والقذائف تنتشر، تصيب كل خلية من خلاياه ، يحس بها ، يحس الوخز في كل واحدة علىحدة٠ وسط الالم ، وسط كل هذه الضجة كان يحلم بما حصل ٠

هجوم الطائرة كابوس يعاني منه الجسم٠ يرقبه فيصفيرها خلفالسحب ٠٠ يشتد الصفير انقضت ٠ صرخ في جنوده ، ولحق بهم ، انبطح على الارض وفي اذنيه الضجيج ، وفي عينيه خيال الناقلة وجسمها مرشوق بالقذائف ، تميل من على الطريق وقد تخلى عنها سائقها وزملاؤه ٠ تمضي مترنحة ، جراحها التهبت نارا ، حتى رست على تل من الرمال ٠ صارت كتلة لهاية ٠ متى تنفجر ٠٠؟ والطائرة تذهب وتجيء ، وفي كل مرة تفرش الارض بوابل من الجحيم ٠ ثم تنكشح ،يغيب صفيرها، ثم يسفر وجهالارض عن تشوهاته ، عن النار والدم ، عن البقايا من الحديد والاجساد ٠ ثم يسفر وجه الوقت عن الانتظار الممل للغارة المقبلة ٠

ثم قام ، وقام من حوله من بقي من جنوده ٠٠ تامل حوله ٠ مطروحون على الارض قتلى ومجروحون يتاوهون من الالم ٠ انها تلك حالات الجسد ، مقتول او مجروح ، او مسلم ، يعيش يرقب الضرب ٠



• رأى فى الثقافة •

• شعراء جدد •

بعد متابعة متأنية لنتاج عدد لا بأس به من الشعراء المصريين الشباب اجد – الان – المقولة التى روج لها البعض لفترة ، داخل مصر وخارجها ، بأن الشعر قد انتهى فى مصر ، هذه المقولة استطاع هؤلاء الشباب أن يجعلوها مجرد كلام فارغ ٠

واذا كان المرء لا يملك في مثل هذه الاشارة القدرة على الدرس أو حتى مجرد العرض ، فاننا ندعو السادة النقاد الى العودة لنتاج شباب الشعراء المصريين نفسه ، والوقوف أمامه ، فلابد أنهم واجدون شيئا مذكورا ٠

ولاننى متحيز بطبعى لمنحى معين فى الكتابة الابداعية فاننى اعتقد ان ماحققه كل من حسن طلب ، محمد صالح ، حلمى سالم ، محمد سليمان ، احمد طه ، جمال القصاص ، امجد ريان ، شادى صلاح الدين ، محمد بدوى ، منير فوزى ، عبد المنعم رمضان ، عبد المقصود عبد الكريم ، محمد عيد ، وغيرهم ممن لابد نسيت اسماءهم فى هذه العجالة ، أقول أن هؤلاء الشعراء هم وجوه نيرة من وجوه الابداع الجديد والمتجدد فى وطننا الذى لا يكف عن العطاء ٠

ولست قط من أولئك الذين يتسولون السادة النقاد للالتفات للمواهب ، ولكنى اعتقد بأن أى ناقد يكف عن النظر الى كل جديد وحقيقى فى ثقافتنا فانما هو مجرد من أهم صفات الناقد الكبير ، الا وهى صفة العدل التى هى أساس النظرة الصحيحة لحركة التاريخ ٠

عبده جبير

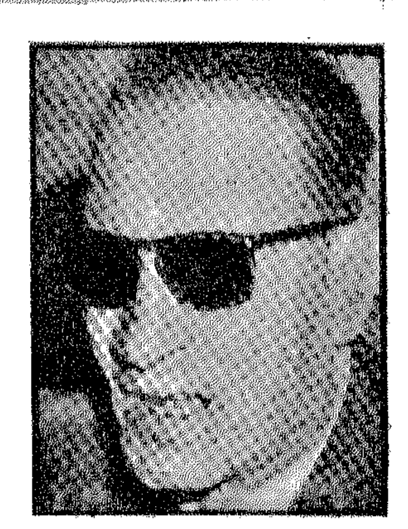
• ذكرى •

الذكرى المئويه لطه حسين فى مهرجانه بجامعة المنيا

اقامت كلية الدراسات العربية بجامعة المنيا مهرجانها السنوى هذا العام تحت شعار الذكرى المئوية لعميد الادب العربى طه حسين الذى يحمل اسم المهرجان ٠

ونظرا لاهمية هذه الذكرى رشحت الجامعة الاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد وزير التعليم العالى بالاردن ليكون ضيف شرف المهرجان هذا العام ٠

وقد دارت محاور ابحاث المهرجان حول ثلاث نقاط اساسية ٠



د . طه حسين

١ ـ الفلسفة والادب ٠
٢ ـ فكر ناصر الدين الاسد ٠
٣ ـ جيل ما بعد طه حسين ٠

كما أعلنت الجامعة عن جائزة سنوية باسم « جائزة طه حسين » وقد رشحت لها هذا العام من القصاصين الكاتب المعروف ابراهيم اصلان ، وهى اول جائزة ينالها الكاتب من الهيئات العلمية فى مصر ٠

• اشارات ثقافية •

مؤسسة جديدة للانتاج الفنى

اعلن المجلس القومى للثقافة العربية ، الذى يتخذ من المملكة المغربية مقرا له ، عن انشاء مؤسسة جديدة للانتاج الفنى السينمائى والتليفزيونى والاذاعى والمسرحى باسم « التشاركية العربية لانتاج الابداع الادبى والفنى يرمز لها باسم « ابداع»

مهمة هذه المؤسسة الجديدة ستكون انتاج الاعمال الابداعية العربية والدولية وتوزيعها بالشكل الذى يحقق اهدافها فى :

١ ـ التعريف بالحضارة العربية فى مجالات الثقافة والاداب والفنون والعلوم ٠

٢ ـ تنشيط وتشجيع القدرات الابداعية للانسان العربى ، والعناية بالمواهب الشابة فى مجالات الابداع العلمى والخلق الفنى ، ونشر انتاجها على أوسع نطاق فى اطار فنى راق ، يبرز الحس الجمالى العربى ويساهم فى العملية التربوية بترسيخ الفكر القومى ، وتنمية الذوق الجمالي والتفكير العلمى ٠

٣ ـ العمل على تأصيل الفكر والثقافة العربية ٠

٤ ـ تعزيز التعامل باللغة العربية الفصحى بديلاً للهجات المحلية ٠

• ندوات •

مع ندوة « أدب الحرب » فى العراق

اقامت وزارة الثقافة والاعلام العراقية ندوة عن « قصة ورواية الحرب » وذلك فى الفترة من ١٥ حتى ١٩ فبراير .

وقد دعت الوزارة وفودا من كتاب القصة والرواية والمسرح من الاقطار العربية ، ولعل اكبر الوفود المدعوة عددا كان من مصر .





وفى قاعة « بابل » بفندق المنصور ببغداد ، افتتح وزير الثقافة والاعلام العراقى ، الندوة واستمرت على مدى يومين ببغداد تنعقد مرتين يوميا ، فى جلسات استماع الى شهادات الكتاب والفنانين العراقيين الذين اشتركوا فى الحرب ، اشتراكا فعليا كجنود مقاتلين وقد سجل عدد منهم تجاربهم فى روايات وقصص قصيرة ودواوين شعر ، وحسب الكراسة الموزعة على اعضاء الندوة ، فان عدد الكتاب والفنانين العراقيين ثمانية وثمانون .

وليس من يكتب عن الحرب من منازلهم كمن يخوض لظاها ، وفى تراثنا الادبى فقد سجل « الشعر » حروب العرب مع الروم « الدولة البيزنطية » وفى هذه الحروب قال ابو تمام شعرا للخليفة المعتصم ، وقال البحترى شعرا للخليفة المتوكل وقال المتنبى شعرا لسيف الدولة الحمدانى الا ان ابا تمام والبحترى قالا شعرهما من مجلس الخليفة ، ولكن المتنبى شارك فى الحرب وذاق بشاعتها ، فجاء شعره يحمل صدق التجربة ، وصدق المعاناة الشخصية ، فصور نفسه ، وصور سيف الدولة المحارب ، وصور الجيش العربى ، وصور الجيش البيزنطى ، تصوير العارف ، الممارس ، وليس تصوير الجالس الذى يُعمل خياله .

ومن هنا اهمية اشتراك الفنان فى المعارك التى تخوضها بلده ، اذ فى ذلك اثراء لتجربة الفنان وتوثيقا للثمن الذى يدفعه الوطن لحماية حدوده .

وعلى مدى اليومين سمعنا شهادات عديدة من كتاب مقاتلين ، وكانت اعمال بعضهم منشورة بين ايدينا ، وكانت المناقشات والتقييم والحوارات ، تضع امام اعضاء الندوة التحذير للتفرقة بين "فن الادب" وبين "الاعلام" وعلى المستوى النظرى ، كانت هذه التفرقة واضحة امام الكتاب العراقيين وغيرهم من اعضاء الندوة .

وفى اليوم الثالث ، حملت الطائرة اعضاء الندوة جميعا الى مدينة « البصرة » حيث الجند الذين حاربوا دفاعا عنها ، يعيدون بناء ماتهدم منها ، وقد حملتنا السيارات الى مقر قيادة احد الفيالق بالجيش العراقى ، وكان قائد الفيلق فى استقبال اعضاء الندوة ، وفى مقر القيادة الحصين ، تحدث القائد عن معركة « الفاو » وعن نفسى لست رجل حرب ، الا ان يقينى ان امة لاتحارب ، هى امة منقرضة او ذليلة وافتح قوسى ، لأسجل انى عن نفسى - ايضا - لا اغفر للفرعون اخناتون ، رغم عظمته الفكرية ، وما قادته إليه تاملاته الذاتية إلى فكرة الاله الواحد ، لأول مرة فى التاريخ البشرى ، لا اغفر لاخناتون على الاطلاق ، انه تخلى عن عجلته العربية ، واصم اذنيه عن استنجاد بعض الحكام "الاموريين" الموالين لمصر ، حتى قد "قيل انه بدد الأمبراطورية المصرية العظيمة التى انشاها تحتمس الثالث فى فلسطين وسورية بسبب تراخيه وكراهيته للحرب ، رغم التوسلات اليائسة التى كان يبعث بها "ريب ادى" نائب الملك فى "بيبلوس" طالبا العون ضد أعداء مصر من الحيثيين وقبائل الخابيرو او العابيرو "تراجع" رسائل تل العمارنة فى احمد فخرى فى مصر الفرعونية ص ٤٧٤ وعبد

العزيز صالح فى الشرق الأدنى القديم جـ ١ مصر والعراق ص ٢٢٥ وآلن جاردنر في مصر الفراعنة ترجمة نجيب ميخائيل ابراهيم وعبد المنعم ابو بكر ص ٢٥٦ ومابعدها" .

واقفل القوس واعود إلى كلمات القائد العسكرى العراقي ، التى استمعت إليها بوجدان متيقظ ، فإن الجندى الذى يقف على حدود بلده مدافعاً ، لهو اولى الناس جميعاً بالتجلة والاحترام ، ولقد دافع الجيش العراقى عن ارض العراق والتى يحلو لهم - وانها لكذلك - أن يسمونها البوابة الشرقية للوطن العربى ، ثم تابعت السيارات طريقها إلى الحدود الشرقية ، مئات الافدنة من اشجار النخيل ، محترقة ، لم يتبق منها سوى جذوعها ، مسودة هى الأخرى ، إنها آثار الحرب ، ولقد سمعنا فى مودة شديدة ان ضيوف الندوة ، ليسوا غربا فى بلدهم العراق ، وان الكتابة قد تتضمن امرا لايحسن نشره من جهة الامن العسكرى .

ووصلنا الى ارض « الفاو » اثار الحرب الشرسة الرهيبة متبدية البيوت باكملها مسواه بسطح الارض ، بعض الاهالى يعودون بيوتهم المهدمة . المسجد الذى استعمله الايرانيون كمخزن دون مراعاة حرمة بيت من بيوت الله ، المستشفى الحصينة التى كان قد اقامها الايرانيون ، والتى قال مرافقنا انها من بين الادلة على ان الايرانيين كانوا يخططون للمدى البعيد للبقاء فى منطقة « الفاو » ومن يدرى لعل التخطيط كان يشمل منطقة البصرة . ايضا فى صدر ارض « الفاو » ترتفع لوحة اعلانات . لوحة سمراء بطول ثلاثة امتار ، بعرض مترين ، مكتوب عليها بحروف عربية بارزة المعلومات الاساسية عن معركة « الفاو » وتتبين منها ان الشعب العراقى ، قدم من ارواح ابنائه اثنين وخمسين الفا وتسعمائة وثمانية واربعين شهيدا ، فى مقابل من فقدهم الجيش الايرانى ، مائة وعشرون الفا كنت اقف لاقرا البيانات ثم اعود لقراءة الارقام حتى حفرت فى مخيلتى .

كان اليوم الثالث قد انتهى وعدنا فى المساء الى قاعدة اخرى من قواعد قيادة الفيالق العراقية القائد الكبير فى استقبال اعضاء الندوة ، قال فى رقة بالغة حسن انكم تعبتم هذا اليوم لتشعروا بجزء من معاناة الجندى المقاتل . فى داخل القاعدة ، لقاء حديث عن الحرب. عن معركة « الفاو » عن استردادها عبر المعارك الحربية ، ومرة اخرى اعبر عن احترامى للجندى الذى يقف مدافعا عن حدود وطنه ، يقدم حياته ويقدم جسده وهو ما يكاد ان يكون اغلى من الحياة نفسها ، وقضينا امسية جميلة ، وعند الانصراف كان « اللواء » فى وداعنا يقف منتصبا خارج القاعدة .

فى منطقه ظل ، يصافحنا واحدا ، واحدا ، ولا ادرى حتى الان ، كيف حدث ذلك ، كانت يدى فى يده اهزها بشدة ، ودون سابق اعداد او تفكير او تهيؤ وكانى اختلس شيئا وافر به هاربا اتلفت قبل ان اسحب يدى من يده ، ارمى اليه بتساؤل ساذج : ترى متى نحرر حيفا ياسيادة « اللواء » ، ولم اقف انتظر جوابا كنت قد انطلقت سريعا هاربا ، حتى بدى صوتى ، وكانه مجرد هذيان ، او خيال محموم مرهق يخلط بين الواقع الغليظ والحلم المتابى .

كان عبد الحكيم قاسم - سامحه الله - قد

طلب ان نرى فيلما عن الحرب العراقية الايرانية . وفي الفندق ، وقبل ان نأوى الى النوم . شاهدنا الفيلم المخيف ، الحرب هى الحرب والمقتول فى اخر الامر ، كائن بشرى ، ورغم اليوم الطويل ، فقد كانت صور الجثث ببشاعتها تتطاير فى راسى طول الليل .

فى صباح اليوم الرابع من ايام الندوة كان اللقاء المباشر بين اعضاء الندوة وعدد من ضباط وجند الجيش العراقى يحكون تجاربهم فى ميدان القتال وان كانت التجارب التى سمعناها فى بغداد تجارب كتاب وفنانين خاضوا الحرب فقد كانت تجارب « البصرة » تجارب مقاتلين بعبلها تلمح فيها ذكاء وخبرة المقاتل العراقى ، وايضا انسانيته فقد حكى مقاتل عن اسره جندى ايرانى اثناء المعركة وطلب الايرانى غالبا بالاشارة ان يشرب وتوقف المقاتل العراقى لحظة تذكر واقعة تاريخية ؛ قيام صلاح الدين الايوبى بعلاج عدوه ، اثناء الحرب وابتسم المقاتل العراقى وقدم الماء لعدوه . وفى المقابل حكى مقاتل عراقى اخر ، عن وقوعه فى الاسر ، وكيف ان الايرانيين اوهموهم باطلاق سراحهم ثم اطلقوا عليهم النار ، سقط من سقط ، جرح من جرح ، وانتهت الجلسة باندياح الكتاب الفنانين فى الجنود المقاتلين فى لقاء عفوى مشترك ، فقد تكونت مجموعات من الكتاب والمقاتلين فى لقاء حر ، ونقاش حر ، ينقل المقاتل تجربته للكاتب وكثير من الكتاب امسك بورقة وقلم وسطر غالبا مشروعات اعمال ادبية لا زالت فى حضن الغيب

فى اليوم الخامس للندوة ببغداد ، اختتمت الندوة وحضر وزير الثقافة والاعلام واعلنت توصيات الندوة بانشاء جائزة ادبية عن روايات الحرب العراقية الايرانية ، مقدارها عشرون الف دينار مع جوائز اخرى

ان العراق خاض حربا ضروسا ، مع عدو يفوقه عددا وربما عتادا ، واستطاع طوال ثمانى سنوات ان يحافظ على ارضه وان يسترد عبر معارك قتال ماسبق ان احتله العدو . قدم فيها الشعب العراقى الكثير من حياة ابنائه ومن رفاهيته وكان الثمن ان تبقى الارض حرة ، فلا حرية لشعب تستلب بعض ارضه .

شوبوت بدون ترجمة

حين جاءنا خبر ان اوبرا هوستون فى طريقها الى القاهرة كى تشارك فى الاحتفال بمبنى الاوبرا الجديد ، وان مشاركتها ستكون بأوبريت «شوبوت» (استعراض القارب) للموسيقار الامريكى « جيرو كيرن » ، جاء مصحوبا بضجة اعلامية غير مالوفة عندنا مما ادى الى ارتفاع ثمن تذكرة الحفلات الستة المخصصة لها فى السوق السوداء الى ثمانين دولارا ، وهو ما يعادل اضعاف السعر المحدد رسميا .

ومن المعروف ان تلك الاوبريت الامريكية لحما ودما قد ترجمتها هوليوود الى لغة السينما ثلاث مرات (١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٥١) .

ولعل افضل هذه الاعمال السينمائية فيلم الثلاثينيات الذى لعب فيه الممثل الامريكى الافريقى « بول روبسون » دور « جو » ، وغنى بصوته القوى للمسيسيبى وللمعذبين من السود فى ارض هذا النهر الخالد .

والعرض فى الاوبريت بدأ بالجوقة تنشد ، السود يشقون طول اليوم فى المسيسبى ، بينما يقضى البيض يومهم فى اللهو ، ·

ولا غرابة فى أن تبدأ الاوبريت بهذه الاغنية ، فجعلتها تجنح الى عرض الحياة على ضفاف المسيسبى ابان حقبة اعادة البناء فى اعقاب الحرب الاهلية الأمريكية ·

وفى الحق ، فان عرض فرقة هوستون لها ، لم يخلف ظن الذين رأوها على الشاشة وارادوا ان يستمتعوا بها حية على خشبة المسرح هنا فى القاهرة ·

فهو من الناحية الفنية كان ممتعا ، يفيض حيوية وبهجة والوانا ·

وذلك رغم انه من ناحية الاخراج كان مسرفا فى التقليد ، لم يأت بجديد يبقى ان اقول ان برنامج الاوبريت المطبوع جاء خاليا من كلمة عربية واحدة تعرف المتفرج بما سيرى ويسمع ·

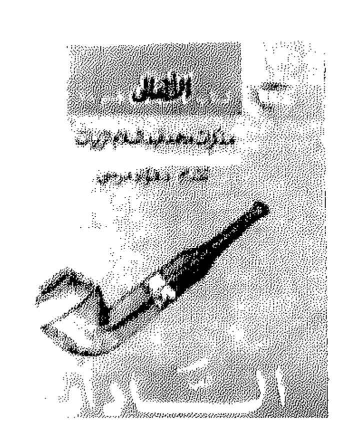
ويبدو ان نفرا من المسئولين قد تنبه الى هذا الاهمال للغة الاباء ·

فاستدرك الامر بطبع ملحق للبرنامج على ورق اقل جودة مع تكرار نشر صورتى السفير والوزير ·

وليس من شك فى ان هذا الاهمال خطير ·

• مكتبة الهلال •

الكتاب : السادات القناع والحقيقة
تأليف : محمد عبد السلام الزيات
الناشر : كتاب الاهالى
٣٦٠ ص ، ٥ر٣ ج م



يعد هذا ثالث كتاب عن أنور السادات صدر بعد وفاته ، بعد كتابى « خريف الغضب » لمحمد حسنين هيكل «ومحاوراتى مع السادات» لأحمد بهاء الدين ، يصف فيه « الزيات » تحول السادات عن طريق عبد الناصر ، الى طريق الانفتاح على امريكا ، واللجوء الى كل ما يمكن وصفه بـ « ضد » مبادىء ثورة ٢٣ يوليو يصف الزيات هذا التحول فى خطواته الاولى التى عاصرها وعاشها عن كثب متعاونا مع السادات ، وزيرا لشئون مجلس الشعب ، وأمينا اول للاتحاد الاشتراكى ، ونائبا لرئيس الوزراء وهى فترة امتدت عاما واحدا ، لكنها غير مقطوعة — كما يقول د· فؤاد مرسى فى تقديمه للكتاب — عما قبلها ، عندما عمل الزيات امينا عاما لمجلس الامة الذى تولى السادات رئاسته منذ ١٩٥٨ ·

يفسر الزيات معالم

شخصية السادات التى يلمسها الا اقرب المقربين اليه ، خاصة فى المواقف الصعبة ، تفسيرا شخصيا ، حتى يفاجأ بان الامر أكثر اصالة فى نفس السادات من ذلك ، حتى يرى منه عكس ما كان يبديه فى الماضى وهنا كانت الخديعة ، وكانت القطيعة ، التى بعدوة الزيات لينقد نفسه ، عبر هذا الكتاب، نقدا مرا لاذعا ٠



الكتاب : الاختراق
تأليف : عبد القادر شهيب
الناشر : سينا النشر
١٢٠ ص ، ٧ج ٠م

يجسد هذا الكتاب الدرامى المثيرة التى وضعت فصولها شركات توظيف الاموال ، والتى تمثلت ليس فقط فى ضياع الفلوس ، او الخراب الذى اصاب صغار المودعين ، او الثروات التى تم تهريبها الى خارج الحدود ٠

انما أخطر ما اصاب مصر ، كما يقول صلاح حافظ فى مقدمته للكتاب هو الزلزال الذى هدم اعز قيمها الاجتماعية التى عاشت بها على امتداد عصور التاريخ فقيمة العمل التى بنت مصر تاريخها بها ، وأقامت الاهرام والقناطر والسد العالى ، حلت محلها قيمة الكسل والعيش على مرتبة الريع ٠

قيمة الشرف التى كان يلتزم بها رجل الدولة ، ويعتبرها رصيده الباقى لاولاده وأحفاده ، أزاحتها قيمة جديدة اسمها « المكسب » وأصبح الاولاد والاحفاد يطالبون أباهم بأن يترك لهم فلوسا لا نياشين ٠

قيمة « التقوى » التى كان الناس يستمدونها من فقهائهم ، ويلتزمون بها اقتداء بهم ، فقدت سمعتها وجلالها ، واصبح الشرع والدين بالنسبة لعامة الناس شيئا يخضع للظروف والمصالح ٠

يحكى هذا الكتاب ، بالوثائق والارقام ، حكاية العصر ، حكاية شركات توظيف الاموال، وما جرى فى فصولها المأساوية ٠

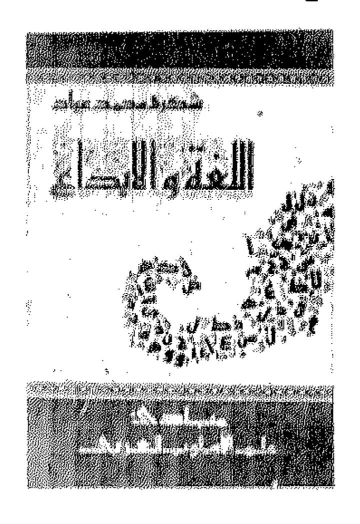
الكتاب : المعونة الامريكية لمن ! مصر ام امريكا
تأليف : دينا جلال
الناشر : كتاب الاهرام الاقتصادى
٢٤٠ ص، ١ج ٠ م

تتناول الباحثة فى هذه الدراسة تدفقات المعونة الامريكية على مصر خلال الفترة مابين



عام ١٩٧٥ ، وعام ١٩٨٥ والمعايير السياسية والاقتصادية والاجتماعية لبرنامج المعونة الامريكية مبينة بشكل واضح الشروط المقيدة الواردة باتفاقيات المعونة الامريكية .

وتعترف الباحثة بان المعونة الامريكية لمصر قد شكلت فى مواضع كثيرة حلا مطروحا يواجه بصورة مرحلية مشكلات وضعية قائمة ومستمرة لاجل غير قصير لكنها تؤكد على انه «من الصعوبة بمكان ، على ضوء القيود الموضوعة، اعتبار المعونة الامريكية ترتبط ارتباطا مباشرا بالاهداف التنموية طويلة الاجل ، وخاصة تلك الاهداف ذات البعد الاجتماعى مثل التشغيل، استيعاب التكنولوجيا ، توزيع الدخل والاعتماد على الذات .



الكتاب : اللغة والابداع

تأليف : د . شكرى عياد

الناشر : مطبعة انترناشيونال برس

١٤٤ ص ٣٠٥٦ج م

« الكتاب الذى بين يديك الان غير مخصص للبحث فى الحداثة فى الابداع او فى النقد ، ولكنه مخصص للبحث فى اللغة حين تتخذ وسيلة للابداع الفنى ».

هكذا يضرب الدكتور « شكرى عياد » ضربته الاولى فى كتابه الجديد الذى يعد الثانى فى سلسلة كتبه التى عمل على أن تكون خلاصة جهد العمر لبناء منهج للدرس الادبى ، مسبقة بالجزء الاول المعنون دائرة الابداع ، ووعبد بثالث تكتمل به الصورة ويقوم المنهج .

وعلى أية حال فهو فى كتابه هذا يضع ما يراه مبادىء اساسية لعلم الاسلوب العربى « كما تحتاج اليه اليوم ، ومن ثم كان عليه أن يحفر عند الجذور ، ويوضح: « أى اننا سنبحث عن الخصائص الفنية للغة العربية من خلال كتابات اللغويين قبل ان نبحث عنها فى التراث البلاغى الصرف ، وستكون عيوننا فى الوقت نفسه علىحاضر اللغة العربية وامكاناتها الفنية ومشكلاتها الفنية أيضا، انه كتاب هام للغاية نعتقد أنه سيكون مثار نقاش هام فى المرحلة القادمة فى مجال الدرس الادبى .

عالم الغد

بقلم: د. عصام الدين جلال

المواد التقليدية والجديدة

منذ بدء الوجود كان التغيير هو الاصل فى طبيعة الكون . وكان الانفجار الاكبر الذى تفترض النظريات انه بدأ خطوات تكوين الكون اخذا فى الاتساع على مدى بلايين السنين تكونت فيها سحب المادة ثم تكثفت الى اجرام سماوية مشتعلة بالتفاعلات الذرية وتكونت الكواكب والاقمار تدور فى فلكها وانهارات نجوم وتفوق فى حجمها شمسنا الاف المرات وتكثفت مادتها حتى أصبح وزن القبضة منها مئات الاطنان واصبحت معروفة باسم ثقوب السماء السوداء لان كتلتها المتناهية فى العظم لا تسمح حتى للضوء أن يهرب من جاذبيتها .

وتطورت الحياة على الارض من خلايا بدائية الى انسان متحضر مفكر يتحكم فى الكرة الارضية وفضائها تعميرا وتخريبا .

وكما كان التغيير سنة الكون فهو كذلك سنة حياة الانسان منذ العصر الحجرى والقنص من خيرات الطبيعة ككل حيوان الى عصر العقول الالكترونية ومراكب الفضاء والهندسة الوراثية التى يصمم فيها المخترع خصائص فصائل جديدة من الكائنات .

وليس ما يميز عصر الغد بالا ان سرعة التغيير اخذة فى الزيادة بشكل لم يعرفه التاريخ من قبل كما ان عمق التغيير ومداه وحجمه يتصدى لكل تجربة أو حتى تصور سابق فقد لزم للانسان ملايين السنين لينتقل من قدميه الى عربة الخيول . وحوالى قرن لينتقل من قطار البخار الى الطيران ، ونصف قرن لينتقل من الطيران الى مركبة الفضاء .

واذا كان هنا لازمة لحياة الغد فهى لازمة التغيير السريع والعميق والضخم واذا كان هناك ضرورة لانسان الغد ومجتمع الغد فهى التعامل مع التغيير والمساهمة فيه والاستفادة منه وتوقى مخاطره والتميز فى الانتفاع بفوائده . وبدون هذه القدرة لن ينجح الفرد أو المجتمع مهما توفرت لهم من مميزات أخرى من عدد أو ثروات أو حضارة تاريخية .

وسنتناول فى سلسلة مقالات تحت عنوان هذا الباب عالم الغد بعض المتغيرات التى اصبحت تعايشنا وسيتضاعف دورها فى الغد .

ولنبدأ بالمواد التى تكون عالم الانسان فى التعمير والتشييد والصناعة

والزراعة والصحة والمواصلات والاتصال · ويقدر ان احتياجات سد المطالب الاساسية للانسان على مدى ٥٠ سنة القادمة ستضاعف من احتياجاته من هذه المواد بين ١٠ و ١٠٠ مرة فاذا عرفنا أن العالم يحتاج الان ١٦ مليون طن نصيب الدول النامية منها لا يزيد عن ١٢ ٪ و٦٥٦ مليون طن حديد نصيب الدول النامية منها ١٤ ٪ ، و٩ ملايين طن نحاس نصيب الدول النامية ١١ ٪ ، ٥ر٦ مليون طن زنك نصيب الدول النامية منها ١٥ ٪ ، و ٥ر٥ مليون رصاص نصيب الدول النامية ١٢ ٪ فانه يمكن تصور الاستنزاف للموارد العالمية الذى يؤديه هذا النمو · وبالاضافة فان تجهيز هذه الاحتياجات يستنزف أيضا هائلا من الطاقة لايمكن للموارد التقليدية للطاقة مثل البترول والفحم الاستمرار فى توفيرها كما انها تسبب تلويثا للبيئة يكاد يخنق هواء ويحرق تربة ويسمم انهار وبحار العالم كله ·

والمواد التى يحتاجها الانسانليست المعادن فقط ولكنه يحتاج لمواد الانشاء مثلالجير والاسمنتوالمصيصوبدائلها وبدائل المعادن التى لها استخدامات ميكلية مثل الخزفيات الحديثةواللدائن والبلاستيكات والالياف والمركبات والمواد الوظيفية مثل انصاف الموصلات والالياف الضوئية والخلايا الشمسية والمواد المتناهية ، التوصيل للكهرباء التى يتسابق العلم لانتاجها ، والمواد المغناطيسية اللازمة للمحركات والمولدات ·· والمواد الكيماوية ذات الاستخدامات الزراعية والحيوية والصناعية الخ وكلها مثل المعادن بتضاعف الاحتياج منها وانتاجها التقليدى واستخدامها يستنزف الموارد الطبيعية ومصادر الطاقة ويسمم البيئة ويحرم الفقراء من نصيب عادل منها · ولهذا لابد للغد من مواد جديدة وطرق تحضير جديدة وطرق استهلاك جديدة ·

وهدف ثورة المواد فى الغد تهدف الى أهداف هامة فهى تهدف الى ايجاد بدائل للموارد المحدودة مثل الياف الزجاج بدل اسلاكالكهرباء والخزفيات الحديثة التى لها صلابة ومتانةالسبائك المعدنية والقادرة على تحمل درجات حرارة عالية لا يمكن للسبائك تحملها واللدائن والمركبات التى تحل محلها بكفاءة أعلى أغلى المعادن أحسن الاخشاب واقوى المصيص والاليـاف الصناعية والبلاستيكات التى تحل محل الالياف النباتية والحيوانية والجلود فى كل الاغراض الانتاجية والحياة اليومية · كما تهدف ثورة المواد زيادة كفاءة المادة مثل العازلات والشحمات الصناعية التى توفر الطاقة بمنعالفاقد منها من المنازل والمنشآت وتحافظعلى الآلات وتسمح لها بسرعات واثقال تفوق الحدود المتعارف عليها حاليا وتسمح لها باختراق بيئات لم تكن واردة مثل صواريخ الفضاء كماتهدف الثورة للاقلال من استهلاك الطاقة المحدودة فى تحضير هذه المواد مثل انتاج الصلب بالطاقة الذرية وانتاج الالومنيوم بالاختزال المباشر لتوفير الطاقة الهائلة التى تستهلكها أشكال التحضير الحالية · والمواد القابلة للتحلل الذاتى بما يقلل من تراكم الفضلات وتلويث البيئة والمواد القابلة لاداء عمل المواد الحيوية فى جسم الانسان والقادرة على الحفاظ على صحة الكائنات وحمايتها ·

وسنتناول فى الحلقة القادمة بعض ما يحمله الغد من وعود وآمال براقة فى مجال المواد الجديدة والطرق الجديدة لتوفيرها واستخدامها ·

العالم غدا

• الحالة الصحية للمصريين •

أسبوع العمل فى بريطانيا ٤٠ ساعة (بمعدل ٨ ساعات يوميا) لكن الاطباء هناك ،والجدد منهم على وجه الخصوص ، يعملون أحيانا ما يزيد على ٨٠ ساعة أسبوعيا ومنهم من يؤدى مهاما دقيقة خلال عمله الطويل، وقد احتج الاطباء ، ومنهم من أوشكوا على شغل مناصب المستشارين ، على أن عملهم لساعات طويلة يعرض المرضى للخطر بسبب الارهاق الذى يصيب الواحد منهم ، ولان التكنولوجيا الحديثة التى يتعاملون معها تحتاج درجة عالية من التركيز والانتباه ، الامر الذى يتطلب مزيدا من الوقت للراحة والنوم ٠

ويناقش البرلمان الانجليزى حاليا قانونا يقصر عمل الاطباء على ٧٢ساعة اسبوعيا (!!) بحلول عام ٢٠٠٠ ، ويسمح للطبيب بليلة واحدة لا يدعى فيها الى علاج الحالات الطارئة كل اربع ليال ، وبعطلة نهاية أسبوع واحدة كل شهر ٠٠

ويرى وزير الصحة البريطانى أن المطالب السابقة تتسم بالمغالاة ٠ وقد أثارت تصريحاته فى هذا الصدد الاطباء المحتجين ، مما دفع بعضهم الى تقديم اعترافات بأخطاء ارتكبوها، نتيجة الاحساس بالارهاق ، ووصل

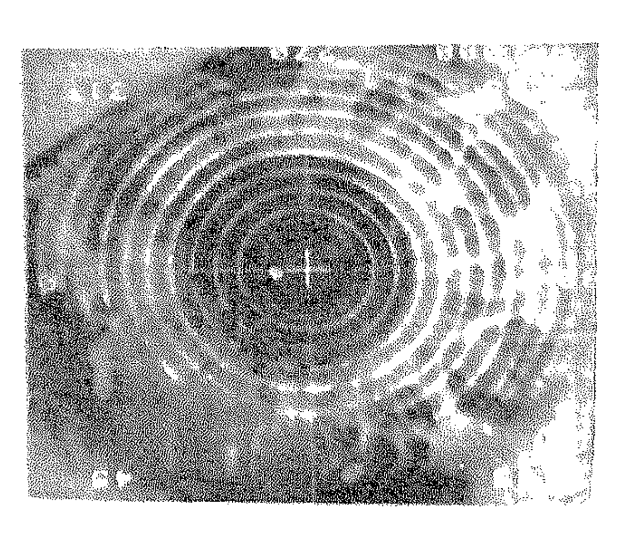


الامر الى أن قرر أحد هؤلاء بانه اضطر للنوم من الاجهاد ، خلال اجراء عملية جراحية ٠٠

ومن جانب آخر كشف تقرير لهيئة الصحة البريطانية عن أن ٣٠ ـ ٤٠ ٪ من نسبة الاجازات المرضية فى بريطانيا يرجع الى الاضطرابات العصبية والعاطفية ، أو بالاحرى الضغوط النفسية ، وقد أرجع التقرير هذه الضغوط الى أسباب عديدة منها العمل المرهق المتواصل ، أو قلة العمل التى تجلب الملل ، او ارتقاء الانسان الى منصب لا يتناسب مع قدراته المتواضعة ، أو الشعور بالاحباط لعدم احراز المنصب الذى يليق به ، وكثيرا ما يكون السبب هو العمل الرتيب الممل أو العمل غير المنتظم ، بل وحتى لون جدران مكان العمل ٠٠

واذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الاسباب المرضة ترى كم هى يا ترى نسبة المرضى فىظروف العمل المصرية ؟

واذا عدنا الى نضال الاطباء الانجليز للعمل ٧٢ ساعة فقط اسبوعيا (!) فكم ساعة يا ترى يعمل الاطباء الشبان فى مؤسساتنا العامة ؟ لا شك أن الرقمين الناتجين سيغريان بالتوقف وسيثيران الدهشة ، والمفارقة بينهما الذى تردت اليه الحالة الصحية للمصريين ، مهما تجاهلنا أعراض « المرض » ، ورغم ما ندعيه جميعا من سواء (!!) ٠



• بدلا من النظارة •

فى حالة اصابة المرء بطول النظر تتجمع أشعة الضوء عادة فى منطقة تقع وراء شبكية العين ٠ وقد توصل الاطباء السوفييت الى عملية صغيرة (تجرى فى العيادات الخارجية) لتشريط القرنية بهدف تغيير صفاتها البصرية ، بحيث تتجمع الاشعة بدقة على الشبكية ٠٠

وهذه العملية تعتمد كسابقتها (الخاصة بعلاج قصر النظر) على تشريط القرنية فى مواقع محددة ،بحيث يؤدى تفتل أو تليف جزيئات الكولاجين (زلال القرنية) على اثر التشريط ، الى تعديل درجة تكور القرنية ، الامر الذى يغير من خواصها البصرية فى الاتجاه اللازم ٠٠

ولتلافى المخاطر التى يمكن أنتحدث خلال العملية (مثل النزيف وثقب القرنية ٠٠) جرى تمحيص خطواتها على نحو معيارى دقيق ، بحيث يجرى تحديد مواقع التشريط بصبغات خاصة ، ثم تستخدم أجهزة دقيقة خاصة لتحديد عنق التشريط ومدته ودرجة حرارة المشرط بكل دقة ٠٠والى جانب التأثير الحرارى يجرى حاليا استخدام اشعة الليزر فى التشريط ٠

ويوصى المركز الذى أجرى ٢٠٠٠ عملية ناجحة من هذا النوع باجراء مثل هذه الجراحة لمن تتراوحأعمارهم بين ١٨ و ٦٠ سنة ، ويرتدون نظارات حتى ثمان ديوبتريات ، ويسعى الدارسون حاليا الى مضاعفة هذا المجال ٠٠

ويرى باحثو المركز أن طريقتهم تتميز كثيرا على النظارات السميكة التى يحتاج مثل هؤلاء المرضى استخدامها ، كما تفضل العدسات اللاصقة التى لا يجوز لبعض المهنين استخدامها ، ويلاقى كثير من الناس صعوبات فى استخدامها ٠٠ ناهيك بالطبع عن جراحة زراعة عدسات جديدة فى القرنية لانها جراحات معقدة ٠٠٠

وعملية التشريط تجرى فى العيادات الخارجية ، تحت تاثير قطـــرة مزيلة للالم (وليس كمخـــــدر) كما ينزع رباطها عن عين المريض فىاليوم التالى للعملية ٠٠ولا تلغى بساطة وســـهولة عملية التشريط ضرورة اجادة الجراح لتقنيها اجادة كاملة ، وبلوغه درجـــة عالية من المهارة ٠٠ والا فالمنظـــارة أهـــون !٠

● الغـــــذاء .. بدلا من الدواء ●

كرد فعل لموجات اغارة الدواء عـــلى صحة الانسان انتعشت فى السنوات الاخيرة السبل التى عرفت بصـــــفتها طبا بديلا مثـــل المداواة بالاعشـــاب والابر الصينية و ٠٠

وتعزيزا لهذا الاتجاه تجرى كثير من الدراسات تحت شعار « الغـــــذاء لا الدواء » تستهدف ترشيد عمليـــــة التغذية لتجنب الامراض بل واستخدام بعض العناصر الغذائية كعلاج ، الامر الذى كان شائعا قبل موجة التمـــدين الاخيرة ٠

وتجرى دراسات جزئية على نباتات ذات استعمال خـــاص مثل النعناع كشفت عن ان الزيت العطرى النـــاتج عنه يحتوى على مكونات تستخدم فى علاج الزكام والرشح والسعال ، وفى تنشيط المعدة وازالة تقلصاتها العضلية وطرد غازاتها ، وفى التلطيف مـــن الازمات العصبية و ٠٠ كما بينـــت أن شرابه المغلى يفيد فى تنشيط القلب وافرازات الكبد والصفراء وتخفيـــف حساسية الغشاء المخاطى للمعدة ٠

وتمتد الدراسات الى نباتات شائعة الاستعمال مثل الطماطم ، التى تدخـــل فى أنواع كثيرة من الطعـــام ، وتركز مثل هذه الدراسات على ضرورة أكـــل ثمرة الطماطم بكاملها لفائدة القشر والبذور فى تسهيل حركة الامعاء، ولان العصير على سهولة امتصاصه غـــنى بالفوسفور والحديد والاملاح المعدنية عـــامة ، ناهيك عن الفيتامينات ، ممـــا يجعل الطماطم غذاء مفيدا للمصابين بأمراض القلب والكلى وارتفاع ضغط الدم ٠٠

واضافة الى الدراسات الجزئيةهناك اتجاهات بحثية تتناول قضية الغذاء وصحة الانسان بشكل عام مثلالدراسة التى أصدرت منظمة الصحة العالمية نتائجها أخيرا فى كتيب دار حـــول غذاء الاسرة وضمنته بدائل رخيصـــة للعناصر الغذائية المرتفعة الثمـــن ٠٠ وقد ركز الكتيب على أن القيمة الغذائية للوجبة تزداد كلما تنوعت أصنافها ، وبين خطأ اعتماد الوجبة على صنف واحد من الغذاء ٠٠

وبصدد الاطعمة التى يجب أن تتكون منها الوجبة الصحية فهى الحبـــوب ، مثل الارز والقمح ، التى تعتبر أهـــم عناصر الغذاء ، ويجب الا تخلو منها وجبة ، بالاضافة الى البقـــــول ، مثـــل العـــــــدس والفـــول

والفاصوليا ، التي تكمل الحبوب من الناحية الغذائية والخضراوات الداكنة اللون مثل السبانخ والخبيزة والملوخية ، والفواكه التي تميل الى الصفرة ، فهى تمثل مصدرا هاما للاملاح المعدنية والفيتامينات ..

والاطعمة الحيوانية مثل اللحوم والبيض والالبان ذات قيمة غذائية مرتفعة لكن الكتيب يرى ، لارتفاع اثمانها ، أنه ليس من الضرورى تناولها يوميا فى كل وجبة ، خاصة أن كميات قليلة منها تفى باحتياجات الجسم ..

الطريف أن دراسة حديثة أجراها فريق من علماء الاثار فى جامعة دالاس برئاسة الدكتور فرويد ويندروف كشفت عن أن قدماء المصريين كانوا يتبعون فى العصر الحجرى نظاما غذائيا صحيا يمتاز عن النظام الغذائى الذى يتبعه الكثيرون فى هذا العصر ، وان غذاءهم كان يتمتع بالتوازن رغم عيشهم قبل ظهور الزراعة وحياة المدن المستقرة بالاف السنين ، ورغم تذبذب مستوى مياه نهر النيل .. وت

● الشمس نعمة لا نقمة ●

تدرس بعض الشركات الالمانية الغربية ومنها شركة مرسيدس بنز استخدام الطاقة الشمسية فى تكييف جو السيارات ، عند تركها فى مواقف الانتظار ، خاصة فى أيام الصيف ..

وقد أمكن التوصل بالفعل (أنظر الصورة) الى مولد شمسى لهذا الغرض يتكون من ٦٠ خلية شمسية وينتج قدرة كهربية تصل الى ٤٠ واط اعتمادا على كمية الاشعة الواقعة عليه ..

ان كان ذلك يحدث فى أوربا الفقيرة فى مجال الطاقة الشمسية فماذا يمكن أن نجنى نحن العرب من توظيفشمس صيفنا الطويل لا فى تبريد السيارات الخاصة فقط بل والمركبات العامة (مثل الاوتوبيسات وعربات القطارات) التي تتحول الى افران حقيقية في فترات الصيف !!

بالمناسبة يشيع فى أوربا صيفا أيضا استخدام مراوح عادية تعمل بالطاقة الشمسية وكل منها مزود ببطارية يمكن شحنها خلال النهار حتى يستمر عمل المروحة بعد غياب الشمس ، ولا يوجد بديل لمثل هذه المراوح حين تستخدم فى المناطق النائية التى لا تتوفر بها اشكال اخرى من الطاقة .

تسلى بالكمبيوتر

لم يعد بمقدور الانسان في كثير من المجالات الاستغناء عن الكمبيوتر اليوم · لكنه لن تمضى سنوات الا ويصبح الجهاز الرئيسى الذى يعتمد عليه الثرى ، لا فى العمل والتعليم فقط ، وانما فى التسلية التى لن تقتصر على الالعاب البسيطة التى يتداولها أطفالنا اليوم ··

سيجلس الانسان المتعب المنهك القوى على الاريكة فى منزله ويهمس للكمبيوتر « المحيط من فضلك » ، وفى الحال ستنبض الحياة في الجدران وتبدأ صور أمواج البحر تتدفق بالابعاد الثلاثة ·· وتشيع حولك التأثيرات التى تجعلك تحس وكأنك تركب سفينة يتلاعب بها الموج من كل جانب ··

وعندما يضجرك مشهد البحر لن يتطلب الامر اكثر من همسة أو أمر للكمبيوتر « الغابة من فضلك » ليختفى مشهد البحر ويظهر مكانه غابة وارفة ساحرة الظلال ، ولا يتوقف الامر عند هذا الحد اذ سيكون فى امكانك أن تأمر الجهاز أن يعرض عليك فيلما ما ، أو عرضا من عروض الباليه ، أو حفلا تعزف فيه المقطوعة الموسيقية التى تحبها ··

واذا شبعت من ذلك كله وتذكرت أن سيارتك بحاجة الى اصلاح فما عليك الا أن تشير للكمبيوتر الذى سيشرح لك على التو ، بالصوت والصورة طبيعة الاصلاحات الواجبة وما تحتاج اليه من مواد و ···

الطريف أن الدراسات الاجتماعية بينت أن الناس يتمسكون اكثر بمظاهر الحياة الطبيعية كلما ازدادت الامكانيات التقنية ، وأن النزوع الاجتماعى والحاجة اليه تتزايد مع تزايد قدرات الفرد على الاشباع الذاتي ، وان مفارقات من هذا النوع قد تصبح مصدرا لمعاناة الانسان ، اكثر مما ستكون رافدا لرضائه وبهجته، ومن هنا يمكن أن تكون التطورات الكمبيوترية نقمة على الانسان وحياته الطبيعية ··

لكن ذلك كله لا يكبح من تطور القدرات الكمبيوترية والمسالة مجرد أولويات فالتقنيات جاهزة وان كان الجندى الامريكى يستخدمها اليوم ليحارب وهو جالس فى دبابته (داخل الولايات المتحدة) على مسارح عمليات مختلفة فى أوربا وآسيا وافريقيا ·· فانه لن يطول الوقت حتى تكون نفس التقنيات تحت أمرة الانسان العادى الذى يستدعى المحيط والغابة الى بيته ··

كانون عصرى

منذ أيام قدماء المصريين عرف الانسان الاستفادة من طاقة المخلفات الحيوية والروث و ··· وكان ذلك يحدث بكفاءة منخفضة مما ساهم فى انزواء هذا المصدر البسيط للطاقة،مع

ظهور مصادر أكثر كثافة وفعاليــة ٠
لكن علماء المركز القومى للبحــوث نجحوا فى وضع تصميمات حديثة ، ملائمة للقرى المصرية الجديدة ، مــن الكوانين العصرية ذات الكفـــــاءة المرتفعة ٠٠

والتكنولوجيا المستخدمةفىالكوانين الجديدة هى تكنولوجيا الغاز الحيوى الذى ينتج عن تخمير المخلفــــــات العضوية الرطبة والجافة بمعزل عــن الهواء ، ويشكل غاز الميثان القــابل للاشتعال ٦٠٪ منه ٠

وهذه تكنولوجيا ملائمـــــة لنا لان المناخ فى مصر يتيح درجة حـــــرارة مناسبة لعملية التخمير ، بالاضـــافة الى توفر المواد العضوية كالمــروث ، والمخلفات الادمية والطبيعية(الاحطاب والقش)، وبعض المخلفات الصناعية٠

وتلقى تكنولوجيا « الكـــــوانين العصرية » هذه اهتماما كبيرا لانــــها تسهم ، الى جانب ما تنتجه من طاقة، فى حل مشكلة التلوث بالمخلفــات فى القرى ذلك أنها تعد طريقة جـــديدة للصرف الصحى والتخـلص من كـل المخلفات الحيوية ٠٠ وبالاضــافة الى ذلك فان السماد العضوى الناتج عنها يمكن أن يسهم فىرفع انتاجيةالاراضى الزراعية ٠

وقد تم تشغيل وحداتالغاز الحيوى فى بعض القرى المصرية بالفعل ووفق توقعات خبراء المركز القومى للبحوث يقدر عدد الوحدات التيسر اقامتــها حوالى مليون وحدة عائلية، بالاضافة الى ٢٥ الف وحدة جماعية و ٢٠ الف وحدة كبيرة ، وناهيك عما يمــكن أن توفره مثل هذه الوحداتمنالكيروسين سنوياً فهى تساعد على حل مشـــاكل نقل الوقود بالنسبة للقرى النائية ٠٠

حكايات طبية

مجرد ثقب بجدار القلب

د . هشام قاسم

كثيرون يتصورون ان مجرد ثقب بالجدار لا يسبب اية مشكلة ، وصاحبنا واحد منهم . حدث هذا عندما اخبره طبيب الشركة الذى قام بالكشف عليه ـ عند تسلمه عمله الجديد كمدير باحدى شركات المقاولات ـ بان لديه ثقبا بجدار القلب مابين البطين الايمن والايسر ، وان هذا العيب خلقى مولود به . فقام صاحبنا بوضع ساعده على كتف الطبيب وربت عليه :

ـ ولا يهمك يادكتور هذا الثقب الصغير بالجدار لن يزعجنى .

اخذ الطبيب يعدد له المضار المتوقعة من هذا الثقب ونصحه باللجوء الى جراح القلب ليقوم بعملية تصلح هذا الثقب اخذ صاحبنا يفهمه هو الاخر انه خبير فى

التعامل مع تلك الثقوب التى تقابله كثيراً فى حياته ، وطالما ان بقية اجهزته سليمة تماما وبنيانه قوى فإن مثل هذا الثقب لن يؤثر عليه ابدا .

بعد تسلمه العمل الجديد اخبره مدير مكتبه واخرون ان هناك بالشركة بعض المهندسين المرتشين وانهم يسيئون الى سمعة الشركة وقد يصيبونها بضرر فى المستقبل فقال لهم وهو يستدير على مقعده :

ولا يهمكم تلك حفنة صغيرة لا تضر من صلابة البنيان الذى انوى اقامته بالشركة بعد التعديلات الجديدة التى قررتها .

بدا صاحبنا يقلل من اكل الحلويات والدهون والبصل والتقلية ويقلل من كمية الملح بالطعام والسكر يمارس الرياضة البدنية يوميا .

انزعجت زوجته من اسلوب حياته الجديد فقال لها : اننى احاصر الثقب الذى بجدار القلب بطريقتى .

بدا ينظم عمله بالشركة .. الحضور الساعة الثامنة ، الانصراف الساعة الثانية لا سماح فى دقيقة واحدة تاخير فى الحضور او تبكير فى الانصراف . دفتر الحضور والانصراف يمر عليه كل يوم ليتابع بنفسه حضور الموظفين والمهندسين . جميع الرسومات الهندسية تمر على مكتبه ليراجعها ، جميع العمليات يتابع مراحل تنفيذها بدقة . كل شيء اخر تمام سوى مجرد حفنة المهندسين المتلاعبين الذين لديه بالشركة .

وفى يوم صحا من نومه واشتكى من صعوبة فى التنفس . عندما قام من سريره شعر بتعب وهمدان بجسده ودوران . اسرع الى الطبيب الذى اخبره ان كل تلك الاعراض ناتجة عن نقص كمية الدم الخارجة من القلب الى الجسم وانه لابد من العملية لسد هذا الثقب .. لكن صاحبنا لم يقتنع وقال لطبيبه :

لم يتاقلم القلب بعد على النظلم الجديد الذى وضعته لجسدى بمجرد ان يتكيف هذا الثقب مع النظام الجديد ستسير الامور طبيعية .

اضطر طبيبه نظرا لاصراره على موقفه ان يعطيه بعض العقاقير التى تهدا من الاعراض التى اصابته .

مضت ايام وشهور ثم اكتشف صاحبنا ان لون جسده يغمق بزرقة داكنة وان اعراض الدوخة وصعوبة التنفس وعدم التركيز فى العمل عادت تعاوده .

قال له طبيبه انت الان فى مرحلة خطرة قد لا يصلح معها العلاج الجراحى وقد نصحتك ان تلحق العيب وهو فى اوله ولم تسمع كلامى .

الحقيقة ان الثقب بجدار القلب مابين البطينين مرض ليس بسيطا كما يظن صاحبنا ، ولكنه مرض تحدث مضاعفاته على مدى السنين التى احيانا تتاخر حتى بلوغ الإنسان العقد الرابع من عمره .

فى البداية ينتقل الدم من خلال هذا الثقب من البطين الايسر - الذى يقوم بتوزيع الدم المؤكسد الى جميع اجزاء الجسم - الى البطين الايمن - الذى يقوم بتوزيع الدم العائد من الجسم الى الرئتين لتقوم باحلال ثانى اكسيد الكربون الناتج من عمليات التمثيل الغذائى التى يقوم بها الجسم بالاكسجين الذى يمده بالطاقة اللازمة له - هذا الانتقال يحدث لان ضغط

الدم بالبطين الايسر اعلى منه بالبطين الايمن . ينتج عن هذا ان تقل كمية الدم الخارجة من البطين الايسر نحو الجسم مما يجعل المريض يشعر بالضعف وسرعة التعب والشعور ببرودة اطرافه ، وعدم القدرة على التركيز وسرعة النسيان والدوران والدوخة نتيجة نقص كمية الدم الواصلة الى المخ . كما يصاب ببعض الاضطرابات المعوية كالامساك والانتفاخ . ويحدث ايضا ان تزداد كمية الدم التى يدفعها البطين الايمن فى الشريان الرئوى مما يترتب عليه ازدياد فى ضغط الدم بذلك الشريان .

مع مضى الوقت تقوم الاوعية الرئوية بتضييق ممراتها لتقلل من كمية الدم المار بها مما يترتب عليه ازدياد ضغط الدم بتلك الاوعية ، وبالتالى يزداد الضغط بالبطين الايمن وتقل كمية الدم القادمة اليه من البطين الايسر . فإذا زاد الضغط بالبطين الايمن عنه بالبطين الايسر يحدث ان ينتقل الدم فى الاتجاه العكسى اى من البطين الايمن نحو البطين الايسر ، ويختلط الدم الاحمر القادم من الرئتين بالدم الغامق القادم من البطين الايمن .

هكذا يخرج من القلب الى الجسم دم مختلط يؤدى الى زرقة الجسد (Cyanosis)ويطلق على تلك الظاهرة ظاهرة ايزنمنجر . (Eisenmenger's Syndrome) .

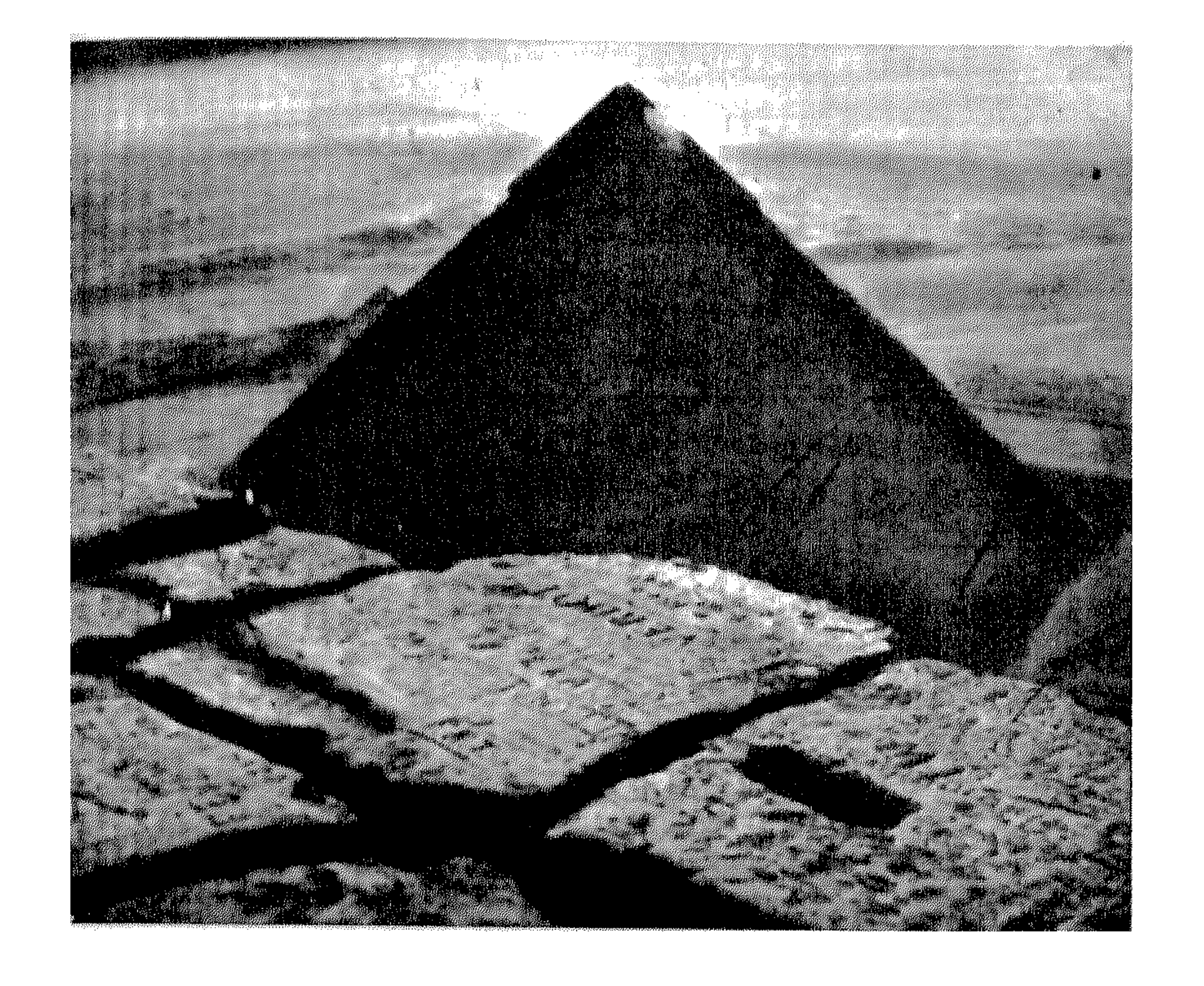
عندما يصل المرض الى تلك المرحلة يصبح التدخل الجراحى باغلاق الثقب مستحيلا ، لانه سوف يؤدى الى تحميل البطين الايمن عبء دفع الدم من خلال الاوعية الرئوية الشديدة المقاومة لضيقها دون المنفذ القديم "الثقب" الذى يسعفه بمرور الدم من خلاله .. مما يؤدى فى حالة اجرائها الى هبوط الجهة اليمنى من القلب وتراكم الدم باجزاء الجسم المختلفة .

ومن المضاعفات الاخرى لهذا المرض حدوث جلطات دموية باماكن مختلفة من الجسم كالرئتين او المخ . يرجع ذلك الى ازدياد عدد كرات الدم التى ينتجها الجسم (Poly Cythemia)ليعوض نقص كمية الاكسجين المحمول بالدم الى اجزاء الجسم - لاختلاطه بالدم غير المؤكسد القادم من خلال الثقب - مما يؤدى الى ازدياد لزوجة الدم وسهولة تجمع الكرات الدموية الذى ينتج عنه الجلطة . وهذا ما اصاب صاحبنا عندما اصابته اخيرا جلطة بالرئة جعلته ينزف ويبصق دما خالصا واقعدته بالفراش بغرفة الانعاش .

وازدادت حالته سوءا عندما اخبره مدير مكتبه عند زيارته بالمستشفى بأن المشروع الاسكانى الضخم الذى تقوم به الشركة اصابته شروخ عدة وانه مهدد بالانهيار لتلاعب حفنة المهندسين المنحرفين اثناء التنفيذ .

تعجب من كل مايحدث له فنظر الى الطبيب الواقف بجواره بعينين مستفسرتين ، وكمامة الاكسجين تغطى نصف وجهه ، والاجهزة الحديثة من حوله تنبض نبضات مخيفة .. ثم كون دائرة ضيقة باصبعى يده .. هز الطبيب رأسه وقال :

نعم كل ماحدث لك لمجرد ان هناك ثقبا بالجدار .



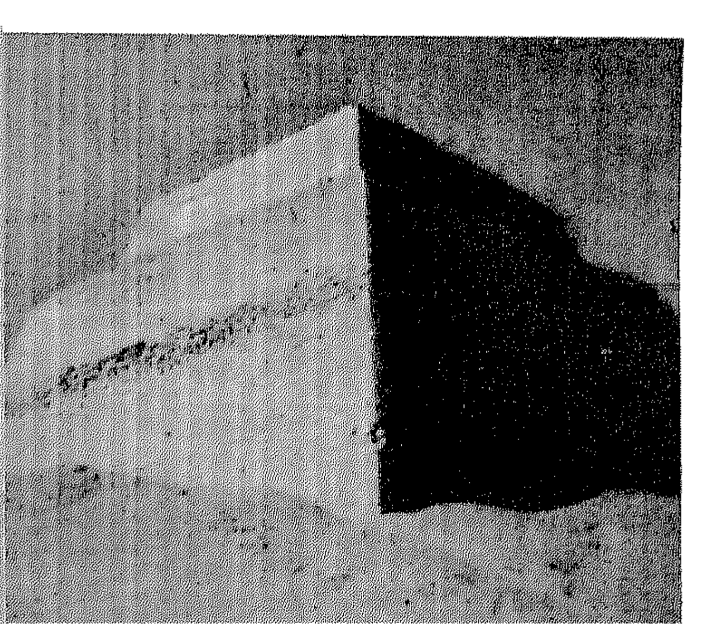
لماذا عاد الفراعنة إلى بناء الأهرام

بقلم : زهير علي شاكر

ذكرنا في المقال السابق الاسباب التي نعتقد انها كانت الدافع الحقيقي للمصريين القدماء الى اقامة هذه الصروح الشامخة . وعددنا الوظائف الحضارية التي استخدموها فيها : من الفنارة الى البوصلة ، الى الروبير المساحي الخ .. مخالفين بذلك النظرية السائدة ، القائلة بان هذه الصروح لم تكن الا قبورا للملوك ، ورموزا لعظمتهم وتسلطهم على شعبهم .



هرم اللاهون



هـرم ميدوم

● وإذا كنا قد زعمنا للقارىء اننا قد عثرنا على تفسير منطقى متكامل لهذه الظاهرة الفريدة فى التاريخ . فان من حقه علينا ان نقدم بضعة حقائق معروفة . سجلتها كتب التاريخ والاثار ، واشرنا الى بعضها اشارات مقتضبة فى المقال السابق ، بينما ضاق المجال عن ذكر بعضها الآخر .

اولى هذه الحقائق ان المدة الزمنية بين عصر بناة الأهرام وبين عصر « مينا » موحد الوجهين ، لاتزيد عن ٤٠٠ عام . وهى مدة قصيرة بمقياس التاريخ القديم والتاريخ المصرى على وجه الخصوص .

فقبل بناء الاهرام بهذه المدة . كان قد وقع أهم وأول حدث عظيم فى التاريخ المصرى ، وهو اتحاد ـ أو توحيد ـ مملكتى الشمال والجنوب فى مملكة واحدة . جاء مينا من الجنوب (حوالى ٣١٠٠ ق . م) بعد ان اكمل الجنوبيون زراعة واديهم الضيق على جانبى مجرى النيل . ثم جاءوا يحملون معهم تراثا طويلا من الخبرات الهندسية والزراعية ، اكتسبوها من عمليات التسوية المتصلة للأرض . وشق القنوات ، وبناء الجسور . وحفر المصارف . وردم المستنقعات على مدى زمنى لايقل عن الفى عام . ويحملون معهم ايضا ـ القوة البشرية العاملة ، والقوة العسكرية التى فرضت على مملكة الشمال الدخول فى الوحدة .

وكانت مملكة الشمال لاتقل تقدما عن مملكة الجنوب ـ ان لم تزد ـ فى مجالات الصناعة والتعدين والفنون . إلا أنها كانت بطبيعتها الجغرافية التى تميّز مصابّ الانهار منطقة تتفرق فيها فروع النيل وتتوزع بغير ضابط . وتنتشر

لماذا عاد الفراعنة إلى بناء الاهرام ؟

فيها المستنقعات فلا تترك للزراعة المنظمة إلا مساحات قليلة بالمقارنة الى المساحة الهائلة للدلتا .

فكأنما جاء قيام الوحدة على يد مينا ، كخطوة اساسية لابد منها ، ومقدمة لعملية تعبئة لجهود الشماليين والجنوبيين جميعا ، للقيام بمشروع قومي كبير ، لاستصلاح أراضي الدلتا الشاسعة ، وزراعتها بكفاءة لاتقل عن كفاءة الصعيد - أو الوجه القبلي .

وكانت اهم الخطوات التنفيذية التي اتبعها مينا ، ومن بعده ملوك الاسرتين الأولى والثانية هي :

١ - اقامة حكومة مركزية قوية تنبع منها جميع السلطات ، ومايستتبعه ذلك من نظام إداري محكم .

٢ - انشاء عاصمة جديدة للدولة (منف) قريبا من منطقة المفصل ، أو نقطة التقاء الوجهين . لتحل محل العاصمتين القديمتين في الشمال والجنوب .

٣ - تحويل مجرى النيل عند منطقة مصر الوسطى ، وهو اول تغيير جغرافي معروف ، افتتح به المصريون السلسلة الطويلة من التغييرات الجغرافية التي ادخلوها على خريطة بلادهم ، والتي تكررت بعد ذلك عبر التاريخ ، كأنها هواية قومية يمارسونها عند كل تحول كبير في تاريخهم (من استصلاح الدلتا - إلى الفيوم - إلى الاسكندرية - السويس - السد العالي ...) . وكانت عملية تحويل المجرى هذه ضرورية لتوفير المياه للري بدلا من ضياعها في الصحراء او تحولها إلى مستنقعات لايستفاد منها .

٤ - باكتمال أركان الدولة المركزية وانتهاء عملية تحويل المجرى ، بدأ على الفور التخطيط للمشروع الكبير ، لاستصلاح الدلتا ، وكان الهرم المدرج في سقارة ثم الاهرامات التي تلته ، هي الركائز الاساسية للتخطيط والمسح والتصميم والتنفيذ لهذا المشروع الكبير ، وتركزت كما ذكرنا في منطقة واحدة هي منطقة مصر الوسطى ، وبالتحديد في مساحة يبلغ طولها حوالي ٣٠ كيلو مترا ، من ابو رواش شمالا إلى دهشور جنوبا ، كلها في هذه المنطقة ، الا هرما واحدا منفردا في ميدوم . على بعد ٦٠ كيلو مترا جنوبي دهشور . وكان آخرهم هرم معروف بنوه - هرما متواضعا في سقارة ، بناه الملك تيتي حوالي عام ٢٣٤٥ ق . م . ثم انصرف الملوك تماما عن بناء الأهرامات . وكأنها كانت « موضة » افتتنوا بها ثلاثمائة عام ، ثم اهملوها فجاة وعادوا يدفنون في مقابر عادية ، ومرت بمصر في نفس الوقت فترة من الازدهار ، والرخاء تعتبر من ازهى فترات تاريخها ، بفضل مشروع الدلتا العظيم .

● الحقيقة الثانية :

استصـــــلاح الفيــــوم

مرت بمصر بعد فترة الازدهار هذه ، فترة اخرى من التدهور ، تفكك فيها نفوذ الدولة المركزية ، وقامت الحروب الاهلية من جديد بين الشمال والجنوب وعمت الفوضى مياه الري ، وقلت غلات الارض حتى عرف المصريون المجاعة اكثر من مرة .

ثم دخلت مصر عصرا جديدا يمكن

ان نسميه عصر الصحوة ، أو « عصر ملوك الفيوم » فاعاد الجنوبيون توحيد المملكة شمالها وجنوبها مرة ثانية في عهد منتحتب الثاني من ملوك الأسرة الحادية عشرة (٢٠٤٠ ق . م) ايضا بالقوة العسكرية للجنوبيين تماما مثل عهد مينا .

كانت الفيوم حتى ذلك الحين . منطقة مهملة تكاد تكون معزولة عن الوادى ، أرضا بورا مترامية الاطراف ، مساحتها حوالى خمس مساحة الدلتا ، منخفضة عن بقية ارض مصر ، لاتستخدم إلا كمصرف لمياه الرى فى الصعيد ، ولايسكنها إلا سكان قليلون ، يعمل أغلبهم فى صيد الأسماك ، وقليل من الزراعة وتتعرض باستمرار لهجمات البدو من الصحراء التى تكاد تحيط بها من كل جانب ، تفصلها عن الوادى فى أقرب نقطة منه مسافة من الصحراء عرضها ١٥ كيلو مترا ، او مسيرة يوم كامل بوسائل النقل والسفر المتاحة فى ذلك الحين .

وإذا نظرنا إلى مواقع هذه الاهرامات الفيومية الجديدة ، نجد انها تمثل سلسلة متصلة كانها محطات على طريق واحد ، او مجموعة من الأسهم يشير أخرها إلى الفيوم ، ويبدأ اولها من منطقة الأهرامات القديمة .

١ - أولها فى دهشور - حقل الأهرامات القديم - أضاف إليه ملوك الفيوم هرما جديدا ليكون هو نقطة الربط بين الاهرامات القديمة والجديدة .

٢ - الثانى عند اللشت - العاصمة الجديدة - الواقعة فى منطقة « المفصل » بالقرب من مركز الأحداث ، على بعد ٢٧ كيلو مترا جنوبى دهشور .

٣ - المحطة الثالثة فى ميدوم على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوبى اللشت ، حيث لم يبن ملوك الفيوم هرما جديدا مكتفين ، فيما يبدو - بهرم الملك هونى القديم المدرج ، الذى أحاله القدماء او ربما ملوك الفيوم انفسهم - الى هرم كامل بسد الفراغات بين درجاته ثم كسوته بالحجر المصقول .

٤ - المحطة الرابعة : هرم بنوه فى اللاهون - على بعد ٤٠ كيلو مترا الى الجنوب الغربى من هرم ميدوم - بالضبط عند النقطة التى يصل فيها الوادى الى اضيق مسافة بينه وبين الفيوم .

٥ - الخامس والأخير وربما كان الاخير فى الترتيب الزمنى ايضا (١٨٦٠ ق . م) فى هوارة على حافة منخفض الفيوم مباشرة - بالقرب من قلب المنخفض على بعد حوالى ١٢ كيلو مترا من هرم اللاهون .

ونلاحظ على هذه الاهرامات الجديدة ، انها تختلف عن الاهرامات القديمة اختلافات جوهرية اهمها :

١ - انها كلها ذات شكل هرمى منتظم - لامدرج ولاناقص ولامدبب الخ .. بل كلها ذات وجوه اربعة منتظمة ، وكانهم استقروا على هذا الشكل للعلامة المساحية واعتبروه نمطا لايحيدون عنه .

٢ - انها اصغر بكثير من الاهرامات القديمة . ربما لاقتصار وظيفتها الرئيسية على وظيفة العلامة المساحية - أو « الروبير » - الذى ترصد منه واليه المسافات من مكان قريب او لضيق المدى الذى تستخدم فيه كمنارة أو فنار فالمسافات بينها كما ذكرنا من ٢٠ الى ٤٠ كيلو مترا فقط .

واما الغرض من مد هذه السلسلة من المحطات أو الثوابت المساحية الى

لماذا عاد الفراعنة الى بناء الأهرام ؟

منطقة دهشور ، وربطها ربطا وثيقا بالأهرامات القديمة ، فاعتقد انه كان لتحديد منسوب كل هرم بدقة تامة - بالنسبة الى الهرم الأكبر ، او « الروبير » الأكبر ، الذى ارجح انهم اتخذوه مقياسا مطلقا للمنسوب ، كما نتخذ نحن فى هذا العصر سطح البحر مقياسا مطلقا ، فيقولون مثلا : ان نقطة كذا تقع على ارتفاع ١٥ ذراعا من قاعدة الهرم الأكبر (او قمته) كما نقول نحن : على ارتفاع سبعة امتار مثلا من سطح البحر . فبدون هذا المقياس المطلق لايمكن نسبة ارتفاعات وانخفاضات النقط الاخرى الى بعضها البعض ، او تحديد ارتفاع الماء مثلا فى مكان ما ، بالنسبة الى مكان آخر ، لغرض شق ترعة او بناء جسر بينهما .

فكان مصر - بعد تفكك الدولة الموحدة الأولى - قد وجدت نفسها فى نفس الظروف التى مرت بها قبل مينا (دولة ممزقة ، واد ضاق بمن فيه ، ازمة طعام طاحنة) فلجأت الى علاج هذه المشكلة بنفس « الوصفة » القديمة التى تداوت بها فى عصر الاسرات الأولى ، فاستخرج ابناؤها وثائق وتفاصيل تلك الفترة من مستودعات المعابد ، وطبقوها - بصورة مصغرة هذه المرة ، ولكن بنفس الخطوات ونفس التسلسل الزمنى :

- دولة مركزية موحدة .
- عاصمة جديدة قريبة من مركز الاحداث .
- اهرامات تستخدم اساسا للاغراض المساحية
- ثم مشروع زراعى عظيم . هو الغاية الحضارية التى يهدف اليها هذا البرنامج ، وتكون اهم ركيزة مساحية وهندسية له هى هذه الاهرامات .

● **الحقيقة الثالثة : نظام هندسى ومنهج علمى**

الأمثلة لاتحصى على التقدم العلمى الذى وصل اليه الفراعنة وفى كل يوم تضيف الكشوف الاثرية شاهدا جديدا على هذه الحقيقة ، ولعل اشهر مثال لها هو علم التحنيط الذى مازال سرا مغلقا ، حتى فى وجه العلم الحديث .

ولكننا سنقتصر هنا على مثالين متعلقين بفن الهندسة والعمارة عامة ، وبناء الأهرام خاصة .

المثال الأول : عن الذراع المعمارى الذى استخدموه وحدة للقياس : وهو يساوى حوالى ٥٢ سنتيمترا ، وكان كل من يعمل فى الحقل الهندسى أو يحتاج الى القياس فى اى صناعة يحمل « مسطرة » خشبية طولها ذراع على الأقل ، مقسمة الى ٢٨ قيراطا ، كل قيراط منها طوله سنتميتران تقريبا . وكانت القراريط بدورها مقسمة الى كسور القيراط ، فالأول مقسم الى قسمين متساويين ، والثانى الى ثلاثة اقسام . وهكذا ، حتى القيراط الخامس عشر المقسم الى ١٦ قسما متساويا لايزيد طول كل منها عن ملليمتر واحد الا قليلا . ومعنى ذلك ان كل حامل لهذه المسطرة الخشبية كان باستطاعته قياس الأطوال بدقة فلا يزيد الخطأ فى قياسه عن ملليمتر واحد أو نصف المليمتر .

وكانت هذه المساطر الخشبية تضبط ، مرة كل عام على الأكثر على مساطر عيارية من الحجر الصلد ، محفوظة فى اماكن امينة حتى لاتتعرض

للخدش والتجريح ، تماما مثل مقياس « المتر » البلاتينى المحفوظ فى متحف اللوفر بباريس ، والذى كان يعتبر - حتى عهد قريب - المرجع الاخير لمعايرة « الأمتار » الأخرى ، نظام صارم من التوحيد القياسي ، يمثل لغة واحدة يتكلمها كل مشتغل بالاعمال الهندسية او الصناعات : ابتداء من المهندس المصمم الى الصانع المنفذ .

المثال الثاني : عن زاوية رأس الهرم

فمنذ قرر بناة الأهرام الانصراف عن الشكل المدرج ، ذى الخطوط المتعددة الراسية والافقية الى الشكل الهرمى المبسط ذى الأربعة وجوه . واقتناعهم بأن هذا الشكل هو انسب الاشكال لاداء وظائف البوصلة والمنارة . بالاضافة الى وظيفة العلامة المساحية . واجهتهم مشكلة اختيار زاوية راس الهرم . وكان عليهم ان يتوصلوا الى انسب زاوية تجمع فى ان واحد بين اقصى ارتفاع ممكن للهرم . واكبر قدر من المتانة للبناء . وهذه هى الزاوية التى تسميها علوم الهندسة الحديثة : « زاوية الراحة » ANGLE OF REPOSE

فانت اذا سكبت كمية من المواد الحبيبية كالرمل او الزلط او الحجارة - بصورة عشوائية - تجدها تتشكل من تلقاء نفسها فى صورة مخروط قاعدته دائرة تستقر على الارض ، وقمته نقطة فى اعلى المخروط . ويشكل كل نوع من المادة - عند رأس المخروط - زاوية محددة لاتتغير بتغير حجم المخروط ، ولكنها تختلف من مادة الى اخرى - تبعا لتغير احجام الحبيبات واوزانها وشكلها بوجه علم . زاوية « ترتاح » اليها المادة ومن هنا جاء اسمها ، وكلما اقتربنا فى البناء المخروطى أو الهرمى من هذه الزاوية كان البناء اكثر استقرارا وثباتا .

وتوصل بناة الأهرام - غير مسبوقين - الى هذه الزاوية ، باستخدام منهج علمى تجريبى محكم ، فاقاموا فى عهد سنفرو هرمين . احدهما تنحدر جوانبه بزاوية حادة الى حوالى ثلاثة ارباع الارتفاع ، ثم تتغير الزاوية فى أعلى البناء (ويسمى بالهرم الأحدب) ، والثانى ذو زاوية منفرجة (ويسمى بالافطح) . ولانعرف على وجه الدقة ماهى التجارب التى اجروها على هذين الهرمين . ولكننا نعرف انهم اهتدوا الى « زاوية الراحة » هذه بدقة عظيمة ، زاوية اكبر من الزاوية الحادة الأولى ، واصغر من المنفرجة الثانية . وطبقوا هذه النتيجة فى بناء هرم خوفو (ابن سنفرو مباشرة) . فكانت هى الحل الأمثل لهذه المسألة ، بدليل ما اثبته الهرم الأكبر من رسوخ وصمود على الزمن .

ثم سار بناة الأهرام الاخرون فى كل العهود التالية لخوفو على هذا الدرب ، يختارون زاوية راس الهرم مساوية او قريبة من زاوية هرم خوفو ، مع اختلافات طفيفة ربما كان سببها اختلاف احجام واوزان وانواع الاحجار المستخدمة - كاختلاف الحبيبات المسكوبة فى شكل مخروطى كما ذكرنا .

قوم استخدموا هذا المنهج العلمى الدقيق ، وتوصلوا الى هذه النتيجة الرائعة وطبقوا نظاما صارما للتوحيد القياسي .. هل يعقل انهم وظفوا عبقرياتهم العلمية والهندسية دَعْك . من قواهم العضلية لمجرد بناء قبر ؟

● الحقيقة الرابعة :

أسئلة بلا اجابة

هى فى الواقع مجموعة من الظواهر

لماذا عاد الفراعنة إلى بناء الأهرام

التى نجدها منطقية ومترابطة ، بل وضرورية أحيانا ، فى ضوء النظرة الحضارية لبناء الأهرام ، نهديها الى اصحاب نظرية القبور ، فى صورة اسئلة على طريقة « الفوازير » وعذرا للاستاذ صلاح حافظ ، ونطالبهم باجابات واضحة عليها .

١ ـ لماذا توقف ملوك مصر عن بناء قبورهم على هيئة اهرامات بعد هرم « تيتى » وعادوا إلى نظام القبور العادية ؟ الأنهم « تعبوا » كما يقول بعض المؤرخين فاستراحوا مدة ٤٠٠ سنة ؟ ام لانهم اكتشفوا كما يقول بعضهم الاخر ، ان الهرم اسهل فى سرقة محتوياته من القبر العادى ؟ وايهما اسهل ان يتسلق اللصوص الهرم ليراهم ملايين الناس وهم يسرقونه ، أم أن ينشبوا قبرا مخبوءا فى الصحراء

٢ ـ لماذا عادوا الى بناء الأهرامات فى عصر الفيوم ؟ هل « نسوا » الدرس الذى اكتشفه اسلافهم فعادوا يعرضون محتويات قبورهم للسرقة فى الاهرامات ؟ ام انهم استراحوا كما قلنا ، فعادوا ثم تعبوا مرة اخرى فاستراحوا الى الابد ؟

٣ ـ لماذا بنى الملك « هونى » ـ اخر ملوك الأسرة الثالثة ـ هرما فى ميدوم ، مبتعدا مسافة ٧٠ كيلو مترا عن « جبانة » ابائه فى سقارة ؟ ولماذا بالذات على بعد ١٥ كيلو مترا من الركن الشمالى الغربى من منخفض الفيوم ؟

٤ ـ لماذا بنى سنفرو هرمين اثنين فى دهشور : احدهما احدب ذو زوايتين ، والثانى كامل الاستقامة وان كان افطح ؟ هل كانت لسنفرو جثتان فاحتاج الى قبرين ؟

٥ ـ لماذا بنى الملك « رزديف » ، وهو الملك التالى مباشرة لخوفو قبل خفرع ، هرما فى أبو رواش على مسافة ١٥ كيلو مترا ، الى الشمال الغربى من هرم خوفو ؟ ولماذا جاء هذا الهرم اصغر بكثير من الهرم الاكبر ، ألأنه كان رجلا متواضعا ، بعكس سلفه خوفو وخلفه خفرع ؟ ام انه اراد ان يبتعد بهرمه الصغير عن منافسة هرم خوفو الكبير ؟

٦ ـ لماذا جاءت حقول الاهرامات فى ابو رواش وزاوية العريان وأبو صير ، واقعة على خط مستقيم واحد مار بالهرم الأكبر ، رغم تباعدها بمسافة ٢٠ كيلو مترا ؟ أهي صدفة خير ميعاد ـ نضمها الى القائمة الطويلة من « المصادفات » المتعلقة ببناء الاهرامات .

٧ ـ سؤال اخير ـ الفضل فيه لاخى الدكتور عبد الرحمن جابر ـ لماذا كانوا يكسون الأهرامات بطبقة مصقولة تجعلها تلمع فى الضحى تحت ضوء الشمس ، ثم فى الدجى على سنا القمر وبصيص النجوم فى سماء مصر الصافية ، فيراها من بعيد كل سار بالليل ، أو سار بالنهار ؟ اهى لمجرد الزينة ، ام ماذا ؟

هناك عبارة قديمة للمؤرخ هيردوت (مصر هبة النيل) اعتبرناها طويلا من النصوص المقدسة التى لاتمس ، حتى خالفها عبقرى المكان : الدكتور جمال حمدان ، فاثبت ان مصر هبة الانسان المصرى اولا ، ثم النيل ثانيا .

ولاباس ان نضيف هنا ان الدلتا بصفة خاصة ثم الفيوم من بعدها ، هما هبة الانسان ، والنيل .. والهرم .

بقلم: حسين أحمد أمين

معاوية

٦٠٠ - ٦٨٠ م

مؤسس الدولة الأموية التي شهدت الأمة الإسلامية خلالها تطورا بالغ الأهمية في فلسفة الحكم، ومفهوم الدين، والاتجاه الحضاري. وقد ظل معاوية حتى يومنا هذا رمزا لمفهوم "السيد" عند العرب، ومضرب الأمثال في الحلم والدهاء والتسامح والشهامة وضبط النفس والعفو عند المقدرة. وكثيرا ما حاول الخلفاء والولاة من بعده، سواء من الأمويين أو غيرهم، أن يحذوا حذوه، ويقتدوا بسياسته.

ولا نعلم ان معاوية في حياته السياسية، سواء كعامل على الشام للخلفاء الراشدين (لمدة عشرين عاما) أو كخليفة للمسلمين كلهم (لمدة عشرين عاما أخرى) أخفق في أمر أراده، أو عجز عن بلوغ مرام قصد إليه، غير فتح القسطنطينية. وكان يتطلع دوما الى الأمام، ويستنكف ان ينظر إلى الوراء وان يلتزم بسياسة من سبقوه، مما جعله أقل حكام المسلمين محافظة، وأكثرهم تحررا.

عرف كيف يستميل أعداءه ومعارضيه الكثيرين بحلمه وكياسته وهباته، وذلك على نحو تعامل النبي مع "المؤلفة قلوبهم"، وانطلاقا من اعتقاده أن نفقات الحرب وويلاتها اشد ضررا من توزيع الهبات والأعطية. وكان لا يبالي كثيرا بكلام المعارضين مادام لم يخرج عن نطاق الكلام إلى حد العصيان. وكان يقول: "إني لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما إنقطعت أبدا، إذا مدُّوها أرخيتها، وإذا ارخوها مددتها"! ولا تزال عبارة "شعرة معاوية" من العبارات الشائعة بين العرب إلى اليوم.

في التاريخ الإسلامي

جعل معاوية الشام أثناء ولايته له في عهد الخلفاء الراشدين أغنى إقليم بين أقاليم الخلافة ، وأحسنها اقتصادا وتقدما . ونظم الجيش على أسس حديثه ، مستفيدا في ذلك بنظم البيزنطيين ، وهاجرا النظام القائم على الوحدة القبلية ، فأضحى جيشه أقوى جيش في الخلافة وأصرمها نظاما وأحسنها تدريبا . وقد حرص على أن يكون دفع الرواتب منتظما مما أكسبه ولاء الجيش وحب الجند له . وبنى أسطولا هو الأول من نوعه في الإسلام ، وأسس إدارة حكومية عظيمة الكفاءة ، كما أدخل نظام البريد الذى ربط بين أجزاء امبراطوريته مترامية الأطراف . وقد أدرك بثقب بصره أن فتوحات العرب قد نقلت مركز الثقل من صحراء الحجاز إلى الأمصار القريبة من فارس وأوروبا ، وأن الأوضاع في الدولة الناشئة تستلزم إدخال تعديلات جوهرية في نظم الإدارة والحكم . وكان من آثار هذه الرؤية عنده أن جعل الخلافة وراثية من أجل ضمان الاستقرار والاستمرار .

وقد عاش المسيحيون في عهده حياة كريمة خصبة ، وعاملهم معاوية أفضل معاملة ، وتزوج منهم امرأته ميسون (أم يزيد) ، وكان شاعر بلاطه نصرانيا هو الأخطل ،



وطبيبه نصرانيا هو ابن أثال ، وجند السوريين المسيحيين فى جيشه ، واشركهم فى الإدارة ، واستعان بال سرجون النصارى بأن ولاهم بيت المال وجعل هذه الوظيفة وراثية فيهم . وقد حذا سائر المسلمين حذو خليفتهم فاختلطوا بالنصارى اختلاطا بعيد المدى ، حتى لقد كانوا كثيرا ما يؤدون وإياهم الصلاة تحت سقف واحد . وقد حفظ النصارى لمعاوية وخلفائه من الأمويين هذا الجميل وهذا التسامح ، فتفانوا فى خدمة الدولة التى اعتبروها دولتهم كما هى دولة المسلمين ، واخلصوا للدولة الأموية واعظموها إعظاما لا نزال نلمسه فى الروايات النصرانية عن هذه الحقبة من تاريخ الإسلام .

المأمون

٧٨٦ - ٨٣٣ م

رغم مثالبه ، وأكبرها مسئوليته عن تدشين "محنة خلق القرآن" التى كانت بمثابة اول محكمة تفتيش فى تاريخ الإسلام ، ورغم أنه لن يذكر فى التاريخ على أنه قائد عسكرى فذ ، ولا كان سياسيا او إداريا خارقا للمألوف ، فسنظل مدينين له بانه كان أكثر الخلفاء رعاية للعلوم ، ومدشّنا لحركة من أروع وأخطر الحركات الفكرية فى التاريخ ، والمشجع الأكبر لترجمة الكتب اليونانية والسريانية إلى العربية ، وهى الخطوة التمهيدية اللازمة للتأليف ، ولتمكين المفكرين والعلماء المسلمين من تقديم مساهماتهم الخاصة فى التراث الإنسانى . وبالتالى فإن مكانته فى التاريخ تفوق بكثير مكانة والده هارون الرشيد ، رغم ان هارون يفوقه شهرة ، وهى شهرة إنما جاءته بسبب الأقاصيص والحكايات ، خاصة تلك الواردة فى "ألف ليلة وليلة" ، لا بسبب إنجازات حقيقية كإنجازات المأمون .

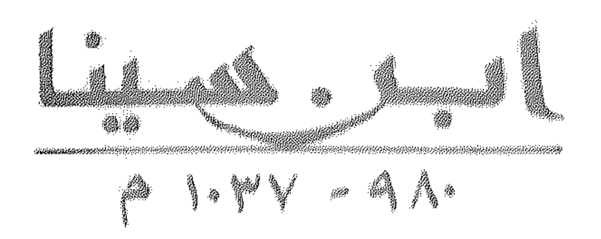
اضحت بغداد فى عهده احد اهم مراكز التجارة والصناعة فى العالم ، وأبرز عاصمة علمية وثقافية . وقد دفع المامون الأمة الإسلامية دفعا إلى المشاركة فى الحياة العقلية والروحية للتراث الإغريقى ، وحاول مخلصا إخراجها من طور التزمت والمحافظة ، عبر طور التقليد والترجمة والنسخ ، إلى طور الإبداع والخلق . لهذا فقد حرص على أن يعقد فى قصره كل أسبوع حلقة تضم العلماء يتناظرون ويتناقشون . وبعث بالرسل إلى



القسطنطينية وصقلية وغيرها من أجل الحصول على المخطوطات . وقد تردد الامبراطور البيزنطى فى أول الأمر فى الاستجابة لمطلب المامون ، مصرحا بأن المعارف التى كانت أساس عظمة الروم من الخطر أن تنتقل إلى امة من الهمج ، غير انه اضطر فيما بعد إلى تحقيق رغبة الخليفة وبعث مع الرسل بمخطوطات ثمينة ضمها المامون إلى ما حصل عليه من جهات أخرى ، وأودعها مبنى سماه "بيت الحكمة" ، صار يؤدى مهمة المدرسة والمكتبة العامة وديوان الترجمة فى آن واحد ، وعيّن حنين بن إسحاق مديرا له .

كان حنين ، ثقة فى الإغريقية والسريانية ، وكان يترجم النصوص اليونانية أولا إلى السريانية ثم يترجمها معاونوه ، ابنه اسحاق وابن أخته حبيش ، إلى العربية . ويقال إن حنين كان يتقاضى مرتبا شهريا قدره خمسمائة دينار ، بالإضافة إلى وزن كل كتاب يترجمه ذهبا . وقد ترجمت فى ظل إدارته كافة كتب أبقراط وجالينوس فى الطب ، وكتب ارشميدس وإقليدس فى الرياضة والهندسة ، وكتب افلاطون وارسطو فى الفلسفة . اما التراث الإغريقى فى التمثيليات والملاحم فلم يترجم ، لنفور المسلمين من أدب لصيق الصلة بآلهة غريبة وبخرافات واساطير يمجها الذوق العربى . وعلى اى حال فقد قيل إنه بينما كان حكام العالم الإسلامى وعلماؤه مشغولين بقضايا الفكر والفلسفة والعلوم الإغريقية ، كان أمراء أوروبا ونبلاؤها يحاولون تعلم كتابة أسمائهم !

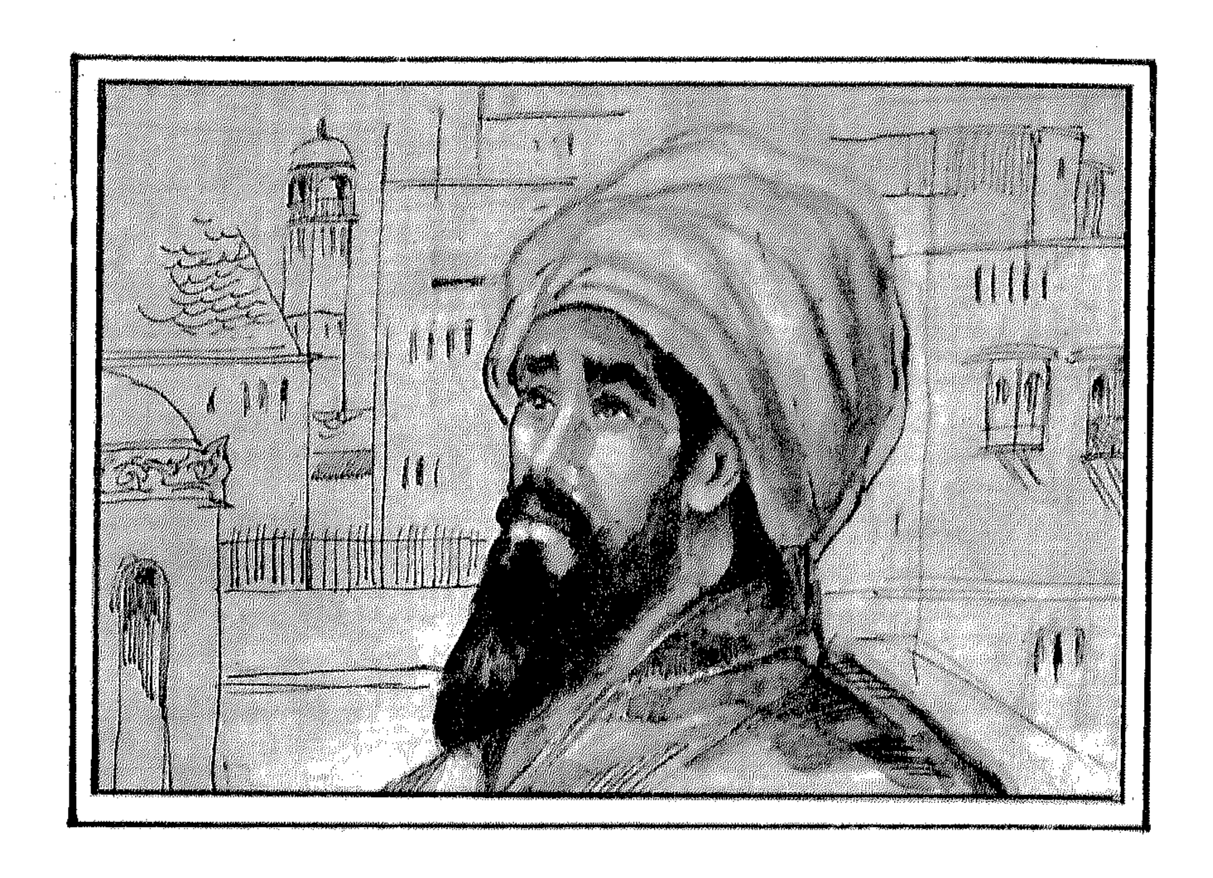
وبالإضافة إلى اهتمام المأمون هذا بالعلوم ، وفضله الذى لا ينكر فى محاولة إفساح المجال للعقل لمناقشة أمور العقيدة المنزلة ، كان له فضل آخر بعيد الأثر فى أمة الإسلام وتاريخها . فقد نشطت فى عهده عملية الدمج العنصرى بين العرب وغيرهم من الأجناس ، وهى عملية أسهم فيها انتشار الزواج المختلط ، وتعدد الزوجات ، واقتناء الجوارى والرقيق . وكان من نتائج ذلك ان كاد يُقضى تماما على العصبية القبلية التى أضرت أعظم الإضرار بمصالح دولة الإسلام ، وأن ضاقت الهوة والخلاف بين المسلمين القدامى والداخلين الجدد فى الإسلام ، وأن تلاشت الأرستقراطية القائمة على شرف النسب وحده ، فى حين بدأت تقوى طبقة جديدة من التجار والأطباء والكتاب والأدباء والمعلمين والعلماء والصناع والمهنيين ، يتمتع افرادها بما كانت الأرستقراطية تحتكره فى الماضى من امتيازات ورغد العيش وهو تطور اقتصادى واجتماعى ترك بصماته الواضحة على تنظيم المجتمع الإسلامى منذ ذلك العهد .



فيلسوف وطبيب فارسي ، ربما كان اشهر فلاسفة واطباء العالم الإسلامي . ويلاحظ بوجه عام ان الطب منذ نشاته ظل قرونا طويلة مرتبطا بالفلسفة . ويكاد يكون معظم فلاسفة العرب ، من الكندى حتى ابن رشد ، اطباء . وكان الخلفاء والسلاطين يعينونهم أطباء فى البلاط ، ومؤدبين لأولادهم ، ومستشارين سياسيين(١) .

وقد خلف ابن سينا من بين ٢٦٧ مؤلَفا ثلاثة كتب (أو موسوعات) خالدة : اثنين فى "الفلسفة ، وهما "الإشارات والتنبيهات" و"الشفاء" ، والثالث فى الطب ، وهو "القانون"

فاما فى الفلسفة ، فقد كان ابن سينا احد قلة قليلة من المفكرين المسلمين الذين حاولوا تحطيم القيود التى فرضها اللاهوت على البحث العقلى فى شئون العالم . وقد عنى اساسا بفلسفة ارسطو فيما وراء الطبيعة ، وفلسفة افلاطون كما اعاد الفلاسفة الإغريق تفسيرها ، وبتطبيق هاتين



الفلسفتين على العقيدة الاسلامية . وقد اعترف ابن سينا بحقيقة النبوة ووجوبها وضرورتها . غير انه ذهب إلى ان الانبياء ـ من أجل أن تفهم عامة الناس رسالاتهم وان يتقبلوها ـ يلجأون إلى الرموز والأمثال والمجاز ، وهو مايجب على العامة اخذها حرفيا . أما الصفوة فليس ثمة ما يضطرهم الى الأخذ بها . وعنده ان النعيم والجحيم روحيان لاجسديان ، لأن الجسد غير خالد والعالم قديم لا نهاية له ، أما بعث الأجساد فيعني ضمنا أن العالم ليس قديما بل له نهاية . وهو يؤمن بحرية الانسان ومسئوليته عن أعماله ، وبانه مخير لامسير . كما يرى أن أسمى درجات السعادة هي السعادة الفكرية الروحية لا الجسدية ، والتأمل في الله بغية الاتصال به ورؤيته روحيا ، باعتبار ان رؤية الله هي الهدف الأسمى والغاية النهائية . غير أنه مع هذه النزعة الصوفية ، لايؤمن بان التقشف والزهد سبيلان إلى السعادة . وكان هو نفسه شديد الولوع باطايب الحياة ، ويرد على نصح أصدقائه له بالاعتدال بقوله :
"إني اوثر عيشا قصيرا رحباً ، على حياة طويلة ضيقة"

وقد جلبت عليه هذه الآراء وغيرها نقمة علماء السنة الذين رموه بالزندقة ، وهى التهمة التى وجهوها إلى كل من حاول من المسلمين أن يجعل الفكر الفلسفي فكرا أصيلا فى الحضارة الإسلامية لا فكرا دخيلا ، وأن يبنى الجسور بين الفلسفة واللاهوت . ولهذا فقد حرص ابن سينا على أن يجعل كتاباته على مستويات ثلاثة : كتب للعامة (منها "الشفاء" و"النجاة") لا تتعارض تعارضا بينا مع المعتقدات الشائعة ، وكتب لتلاميذه (ومنها "الإشارات والتنبيهات") وكان فيها أكثر حرية وجراة ، وكتب فى العقيدة الباطنة (مثل "حكمة المشرقيين") أعدها لفئة خاصة محدودة تستطيع فهمها . وقد كان الغزالى أيضا يقول بهذه المستويات في عرض الآراء ، غير أنه لم يطبق هذا المبدأ على النطاق الواسع الذى طبقه ابن سينا .

غير أن شهرة ابن سينا كطبيب (وكان يدعى بجالينوس العرب) فاقت شهرته كفيلسوف . وقد حاول فى كتابه الشهير "القانون فى الطب" أن يوفق بين طب أبقراط وطب جالينوس ، مضيفا إليهما ما عرفه عن طب فارس والهند والسريان والعرب ، وما دلته عليه خبراته الشخصية والتجارب التى قام بها بنفسه وقد كان لهذا الكتاب الفضل في بيان العلاقة الوثيقة بين الحالات النفسية وأمراض الجسم ، وبيان تأثير التغذية وتأثير المناخ فى الصحة ، وبيان إمكان انتقال مرض السل بالعدوى ، وانتشار الأمراض بسبب القذارة والمياه الملوثة ، وكان ابن سينا دائما يوصى بأن تجرب الأدوية أولا على الحيوانات للتأكد من فعاليتها وخلوها من الضرر .

وقد حل كتاب "القانون" هذا محل كافة كتب الطب التى ظهرت قبله ، وظل الكتاب الطبى المعتمد فى العالم الإسلامى حتى مطلع القرن العشرين . أما فى أوروبا فقد ظل المرجع الرئيسى فى تدريس الطب فى الجامعات حتى القرن السابع عشر ، (أى ما يقرب من ستة قرون) ، وحتى قيل فيه إنه "ظل بمثابة الكتاب المقدس فى الطب أطول مما ظل أى كتاب آخر" .

كذلك اهتم الأوروبيون اهتماما بالغا بفلسفته التى تسعى إلى التوفيق بين الفلسفة الإغريقية والعقيدة الدينية (إسلامية كانت أو مسيحية) . وكان أول من أدرك أهمية مسعى ابن سينا وإمكان الانتفاع بأفكاره فى علم الكلام عند المسيحيين ، راهب ألمانى هو ألبرت الكبير (توفى عام ١٢٨٠) ، وتلميذه الإيطالى توما الأكوينى ، الذى يلقب بأمير المتكلمين وواضع أساس علم اللاهوت الكاثوليكى . وفى بريطانيا كان الفيلسوف روجر بيكون (توفى عام ١٢٩٤) يعتبر ابن سينا أعظم حجة فى الفلسفة بعد أرسطو ، ويروج لتعاليمه وآرائه ، حتى اتهم هو الآخر بالكفر والخروج على العقيدة ، وحكم عليه بالسجن فى باريس عدة أعوام .

سوناتا: أمسية صيف

للشاعر الفرنسى: ألبير سامان

ترجمة: محمد محمد السنباطى

السماء - كبحيرة من الذهب الشاحب - تستشعر الإغماء
يبدو أن السهل الخاوى على بعدٍ - يتفكر
وفى الهواء الذى يضخمه الخواء والسكوت
تنسكب روح الليل الحزينة
وبينما تبرق الأضواء الهزيلة هنا وهناك
أخذت الثيران الضخمة المقرونة طريق عودتها
والمعمرون فى قلنسواتهم ، وذقونهم على أيديهم
يتنسمون المساء الهادىء على أبواب أكواخهم
المشهد - حيث تحن النواقيس - مفعم بالنواح وبسيط
كلوحة جميلة لرسام بدائى
حيث الراعى الصالح يقود الحمل الأبيض المتقافز
النجوم - فى السماء السوداء - تتثلج
وهناك - جامدا - فى أعلى الساحل
يحلم خيال عتيق لأحد الرعاة

● البير سامان (١٨٥٨ - ١٩٠٠) من شعراء الاتجاه البرناسى فى الشعر والذى يراسه وكونت دى ليل

●● البدائى primitif صفة تطلق على فنانى عصر النهضة الكبار الذين اتسمت عمالهم بالبساطة والعفوية .



● الدين والعلم ●

● أثارني الى كتابة هذه الكلمة المقال القيم الذى كتبه الدكتور يس عبد الغفار بعنوان : "العقل البشرى يصل ما انقطع بين الدين والعلم" ونشر بهلال فبراير ١٩٨٩ .

وتعليقا على ذلك أقول إن الكون الذى نعيش فيه كان وسوف يظل دائما قائما فى سداه ولحمته على الصراع بين المتناقضات ، لأن أى موجود قائم بنفسه وله وظيفة ، هو فى علاقته بنفسه حصيلة الصراع بين متناقضاته الداخلية ، كما أنه فى علاقته بغيره حصيلة الصراع بين تناقضاته الخارجية . وكل التناقضات الداخلية والخارجية تتوحد وتحسم تماما عند الفعل ، أى لحظة اتخاذ القرار .

أن الوحدة التامة بين الأشياء ليست دائما خيرا ، بل قد تكون شرا . وتعددها وتناقضها فيما بينها ليس دائما شرا بل قد يكون خيرا .

وعندما نطبق هذه المبادىء على العلاقة بين الدين والعلم فهذا له ميدانه وأهدافه وذاك له ميدانه وأهدافه . ورغم هذا التناقض فانهم يتوحدان ويتوافقان لدى الشخص الواحد . فكل انسان له معتقده الدينى وفى نفس الوقت له عقلانيته العلمية . فعندما نسأل كم حاصل ضرب خمسة فى ستة ؟ تكون الاجابة من اختصاص العلم . وعندما نسأل : صلاة الظهر كم ركعة ؟ تكون الاجابة من اختصاص الدين وكلا الاجابتين ، من الممكن أن يقوم بهما انسان واحد .

والدين هو محاولة لفهم الكون "بعامة" فى علاقته بالخالق وفى المصير بعد الموت ـ الخ . بينما العلم هو محاولة لفهم الكون "بخاصة" فى مختلف جزئياته من انسان وحيوان ونبات وجماد وظواهر مختلفة ـ الخ . والمحاولتان من الممكن أن يقوم بهما شخص واحد . وهكذا يتوحدان ويتوافقان فى الشخص الواحد .

الدين هو علاقة بين الانسان وربه . والعلم هو علاقة بين الانسان ومختلف موجودات الكون ويمارس فى الجامعات ومختلف المدارس ومراكز البحوث . أما السياسة فعلاقة بين الحاكم والمحكوم .

ايران يحكمها اليوم رجال الدين فى ظل مبدأ "الدين الشامل" فلم يهيمنوا على أداة الحكم فحسب ، بل هيمنوا ايضا على أداة الحرب وعلى مختلف الأنشطة الانسانية من علوم وفنون واقتصاد وصناعة وزراعة ـ الخ ، فليتعظ المنادون بالدين الشامل بهذه التجربة الحية .

يقول الدكتور يس عبد الغفار :

"ان اللايقينية والنسبية عند اينشتاين هما فى حقيقة الأمر نقيضتان أساسيتان فى شأن العلم اليوم" .

وأقول : أن اللايقينية والنسبية هما معلمان جوهريان من معالم العلم اليوم ، بينما اليقينية والاطلاقية هما من سمات الدين . فالعلم لاينبغي أن يقول باليقينية والاطلاقية بينما الدين يقول بهما ويطلب من تابعيه التسليم الكامل .

ثم يقول سيادته . "أن العلم والدين وان اختلفا وسيلة وسبيلا فانهما يتفقان غاية ومقصدا . أن الغاية المشتركة لكليهما هى حياة أفضل للانسان ."

وأقول : أوافقه تماما فى ذلك ، ولكننى أناقضه اذ يقول :

مادامت الغاية واحدة ، ومادام احدهما يتمم الآخر ، فإن اندماجهما فى مذهب واحد أمر طبيعي . أن هذا الاندماج ليس ممكنا فحسب بل هو ضرورة حتمية لصالح كل منهما . فحينئذ يصحح الدين مسار العلم ويشد العلم ازر الدين . هذا هو المذهب الشمولى الذى ننادى به والذى نرى فيه خلاص البشرية اليوم وغدا ."

وأقول : سيادته يعترف انهما مختلفان وسيلة ، فهل يمكن التوفيق بين المختلفين وسيلة ؟ أن وسيلة الدين (كالروحية والحدسية) لاتصلح للعلم ، كما أن وسيلة العلم (كالعقلانية والتجريبية) لاتصلح للدين . والوحدة التامة بين الدين والعلم لاتعنى سوى سيادة احدى الوسيلتين على الأخرى . أن سيادة وسيلة الدين على العلم تهدمه تماما ، كما أن سيادة وسيلة العلم على الدين تهدره تماما . هذه الوحدة اذن ـ سواء سميت اندماجا أو شمولية ـ لن تصحح مسار أحدهما أو تشد من أزر الآخر وانما سوف تهدم تماما أحدهما .

أن الوحدة التامة بين أى كيانين ، كل كيان منهما مستقل تماما عن الآخر وله وظيفته الجوهرية هو نوع من الافساد .

هذه الوحدة الشمولية ، من الممكن أن تتحقق فى تصوراتنا وخيالنا ، ولكن ممتنع تحقيقها فى عالم الواقع . وأن افتعل الانسان هذه الوحدة فى عالم الواقع فالنتيجة هى حتما نوع من الافساد .

أن مصدرا من مصادر بؤس البشرية هو بحثها الدائب عن حقيقة واحدة توحد بين كل الحقائق المتناقضة بالكون . أن هذا البحث يضيع دائما سدى لأنه نوع من المحال . ومن الطبيعى الا ينتج عن هذه الوحدة ـ أو هذا المذهب الشمولى ـ خلاص البشرية . فخلاص البشرية لاينتج عن الغاء الصراع بين المتناقضات . فهذا الصراع هو القانون الأزلى للوجود . ولايمكن بحال من الأحوال تخطيه أو تجاهله . أما الخلاص الحقيقى للبشرية فلن يكون الا بأطلاق الحرية التامة لهذه التناقضات الطبيعية حتى تقوم بوظيفتها ، وحتى توصلنا

الى القرار الأفضل وبالتالى الى الحياة الأفضل .

أن الدين والعلم هما من ضرورات الحياة . واستقلال كل منهما بنفسه واجب .

وحيث أن التوفيق الكامل بين متناقضات الكون خطأ بحت ونوع من المحال ، فإن "التوفيق الكامل" بين التناقضات التى بين الدين والعلم هو أيضا خطأ ومحال .

ان الصراع بين الأديان المختلفة ، وكذلك بينها وبين العلم ، لاضرر منه ، بل فيه الخير كل الخير للانسانية .

أمين محمود العقاد
٦ شارع نور الدين - الزقازيق



فى جلسة حب صافية
كنعومة ماء ابيض
قالت أمى :
ياولدى ...
لايحيا ابدا غير الصخر ! ..
وأنا ..
من شدة حرصى ان أحيا أبدا
خفت ..
ان يفلت منى الدهر ..
فأنا .. فى حالة عشق ..
تتجمع فيه كل خيوط العمر ! ..

السيدابراهيم عطية - كفر صقر



تساءلتْ :

لِمَ السحابُ منذ لفحة الهجير الماضية

لَمْ يعرف الطريق نحو موطنى ؟!..
لِمَ المطرْ .. لَمْ يعشق الرمال ، والرمال أدمنته ؟!
لِمَ القوافل المسافرة ..
لَمْ تعرف الدروبَ المشرئبة القلوب لِلْخُطَا
لِمَ العنادل المسافرة .. تواطأت معك ؟
فهجرتْ سمائى الممتدة الغصون
وَلمّا لَمْ يُجِبْ .. توقفتْ ! ..

كريمة ثابت
كلية التربية ـ لغة عربية
أسيوط



● **وجاءنا من الآنسة كريمة ثابت أيضا الخطاب التالى ننشره بحروفه :**

بعثت اليكم منذ شهرين أو ثلاثة اشهر خطابا يحتوى على عتاب موجه الى الهلال بصفتها واحدة من المجلات الأدبية الرائدة فى مصر والعالم العربى .

المهم ـ كان هذا الخطاب يتساءل : لماذا ، ولصالح من قاطعت الصحافة الأدبية فى مصر مؤتمر .... الرابع والذى عقد فى دمياط والذى افتتحه السيد ... وكان يرتدى سترة بنية اللون فى منتهى الشياكة ، ويتعطر ببرفان زكم أنوف السادة المؤتمرين .

ويبدو أن هذا الخطاب المسكين التعس أستقر فى قاع سلة المهملات . (وانا واثقة أن هذا الخطاب أيضا سيلحق بأخيه)

عزيزى : محرر باب أنت والهلال : عندى مجموعة من التساؤلات التى يضيق بها صدرى وأتمنى من الله "ولايكتر على الله" .. ان أجد عندكم إجابات شافية لها

ـ ما القنوات التى تؤدى بالأديب الى النشر على الصفحات الداخلية للهلال ؟ وهل هى فنية أم شخصية (كوسة يعنى)

ـ لماذا تنشر لشاعر واحد ٣ قصائد خلال ٤ أشهر (فى باب أنت والهلال) وتتجاهل آخرين أو تكتفى بنشر اسمائهم مسبوقة بعبارة (ونرحب دائما بنفثات اقلام السادة ....)

- ولم تنفرد وحدك بالحكم على قصيدة بأنها غير مفهومة ؟ هل كل متذوقى الأدب فى مصر والعالم العربى فوضوك لكى تعبر عن رأيهم ؟ لماذا لاتقول أنا لا أفهمها ؟

- وأخيرا لماذا لاتنشر اسمك حتى نتحادث وجها لوجه .

● **تعليق الهلال :**

- لانتذكر خطابك الذى تقولين إنك أرسلته الينا منذ أشهر

- لانعلم شيئا عن المؤتمر الرابع الذى تقولين إنه انعقد بدمياط ولانعرف عمن تتحدثين ، ولا من هو صاحب السترة البنية والعطر الفواح .

- لانلقى فى سلة المهملات أى خطاب ، حتى الخطابات التافهة التى يتحذلق علينا اصحابها ويتعالمون وهم من صغار الناشئين الذين تعلموا فك الخط منذ سنوات قلائل .. هذه الخطابات نحتفظ بها للذكرى !" ..

- الشعر الناضج الجيد يفرض نفسه على صفحات الهلال بغض النظر عن سن الشاعر ومهنته وشهادته الدراسية ، فقد يكون الشاعر الناضج فى العشرين من عمره ، ومتعطلا ولايحمل شهادة ، وقد يكون الشاعر التافه فى الخمسين من عمره ، ويحمل الدكتوراه ، ويملك مليون جنيه .

- ليس عندنا "كوسة" .. نحن لانعرف أحدا من الشعراء الذين ننشر لهم ، وبعضهم من خارج مصر ، ولو التقوا بنا فى الطريق ماعرفونا ولا عرفناهم .. تماما مثلما يحدث لو رأيناك ! ..

- الترحيب بنفثات الاقلام ، والترحيب بالقراء ، تشجيع لابد منه للناشئين ، فلا نستطيع أن نعبس فى وجوههم ، وقد نلت أنت بالذات تشجيعا خاصا ، ولم نتوان عن نشر تفعيلاتك الشعرية لأننا وجدنا فيها مايدل على موهبة مع أنك مازلت فى السنة الثالثة بكلية التربية ، وقد سرنا أنك تعرفين اللغة ولم نجد لك خطأ فيها ولا فى العروض ، وهو أمر نادر فى كليات اللغة العربية الآن ، مع أن الواضح من خطك أنك من جيل "شرشر" المنكوب بالطريقة الأمريكية لتعليم اللغة العربية ..

- محرر هذا الباب مطلوب منه أن يقول رأيه ، وليس معقولا جمع لجنة من أدباء العالم العربى لتحرير هذا الباب وإبداء رأيهم فى تفعيلاتك التى توجد فيها أشياء جميلة وأشياء رديئة ..

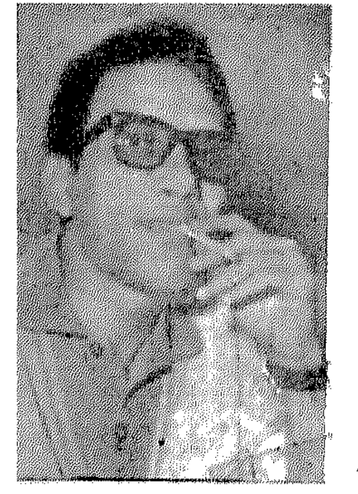
- أنت - برغم "شطارتك" فى اللغة ، لاتعرفين أن الكاتب عندما يقول : نرى كذا أو كذا ، فإنما يريد أن يقول : أرى كذا ..

وكان المرحوم العقاد يقول دائما نحن نقول كذا .. ويقصد انا اقول . على كل حال انت مازلت ناشئة فلا لوم عليك ! ..

ـ لاشأن لك بالأسماء ، فكاتب هذا الباب اكبر سنا من اساتذتك الذين تتعلمين على ايديهم فى الكلية ، وليتك تعلمت على ايديهم شيئا من الكياسة وادب الحديث الى من يكبرك فى السن اربعين عاما على الأقل ، وكان يقول الشعر عندما كنت انت فى عالم الغيب ، ولعل بعض اساتذتك من تلاميذ تلاميذه ! ..

ـ يا آنسة كريمة .. إن لك موهبة ، وانت طالبة "شاطرة" فحاولى أن تبتعدى عن الغرور والتطاول ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه ! ..

• إلى روح الشاعر فتحى سعيد •



كنت ـ حين بدأت ـ انكسار الشموس بعينى ، تبعد .. كيما أرى
وانتشيت لايقاعها سابحا فى محيط الصفاء الطفولى ..
لاينتهى بيننا الملتقى ..
قلبك الغرس .. قلبى الحصاد .. فكم اطعمتنى دماك النجوم ..
تسافر فىّ خيوطا من الصبر .. أستهلك الليل فى هديها !!
حينما سكنتنى .. اعتمدت علىّ وحدثت ...
قالوا : أ "فتحى سعيد" رجع
قلت : لا بل هو ظله يختفى من نهار المسرات مختزنا قلبه
كى يفرقه بينكم فى مساء الوجع !!!

عبد الرحيم الماسخ
المراغـة ـ سوهـاج

• ابن النفيس •

● يتعمد بعض الكتاب إبراز الأصل الفارسى او الرومى او التركى أو الهندى لمعظم كبار الباحثين والمفكرين والعلماء والأطباء والموسيقيين فى التاريخ العربى والاسلامى ، ومن هؤلاء الطبيب المشهور ابن النفيس الذى احتفل العالم منذ شهور بمرور

سبعمائة سنة على وفاته ، فهل كان هذا الطبيب المشهور من غير العرب أيضا ؟!

على محمود زيدان
دميــــاط

● تعليق الهلال :

ـ ابن النفيس من اصل عربى ، واسمه علاء الدين ابو الحسن على بن ابى الحزم القرشى الدمشقى .. دمشقى المولد ، مصرى الموطن .. عاش فى القرن السابع الهجرى وشهد الحروب الصليبية وسقوط بغداد فى يد هولاكو ، ورحل الى القاهرة وهو فى السادسة والعشرين من عمره ولبث يعمل بها اكثر من خمسين عاما فى البيمارستان الناصرى ومستشفى قلاوون "الموجود حتى الآن فى القاهرة القديمة" .. وله كتب فى الفقه الاسلامى الى جانب كتبه فى الطب .. ويعتبر ابن النفيس من أعظم الأطباء العرب الذين ظلت كتبهم تدرس فى الشرق وفى أوربا عدة قرون ، ومازال الكثير منها مخطوطا .. وكل عظيم من عظماء التاريخ الاسلامى ، فهو عربى الثقافة وليس للثقافة الفارسية أو غيرها اثر مذكور فى تكوينه العقلى والوجدانى ، حتى ولو كانت بعض الدماء الأجنبية تجرى فى عروقه ..

● المجلات الأدبية ●

اننى أرسل اليكم من وقت الى آخر قصيدة أو قصة أو مقالة فلا اجد لها اثرا على صفحات الهلال ، مع اننى نشرت شعرا ومقالات وقصصا فى المجلات العربية كلها تقريبا ، والمجلات المصرية أيضا .

محمد حسن الزين
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ لانتذكر أننا تلقينا منك شعرا أو نثرا ، فمعذرة .. أما المجلات التى تنشر كل مايحمله اليها البريد ، فهى فى رأينا من اهم اسباب تدهور الشعر والأدب فى الوقت الراهن ، ونحن لنا ـ من قديم ـ ميزان خاص للانتاج الأدبى ، ولا نستطيع مجاراة المجلات التى ذكرت لنا أسماءها ! ..

عصام محمد فياض - نيوزيلاندا

- لقد كتبت إلينا من بعيد بحثا عن إجابة سؤال تجدها فى اى مرجع عندكم ، فأنت تسأل عن عادة حرق جثث الموتى ، فاعلم أن الإسلام يحرم هذه العادة ، ولكن هناك أديانا تبيحها ، بل إن بعض الأديان تجعلها من طقوسها ، مثل اديان الهند الوثنية وغيرها وبعض المسيحيين - غير الشرقيين - يوصون بحرق جثثهم ولايعترض رجال دينهم على ذلك ..

عاطف نجم محمد على - طالب بمعهد شبين القناطر الأزهرى :

- قصيدتك التى أولها : "اكتب وانا محصور .. بجمالك انا مفتون" ليست ذات أوزان ، فهى نثر لاشعر .. وفيها أخطاء لغوية ونحوية وإملائية مثل قولك "فرحمى" .. تقصد : "فأرحمى" .. وقولك "فطربى" .. تقصد : "فاطربى" .. فهذه من الاغلاط الاملائية مثلا .. وتقول : "أغير عليك" .. والصواب : "أغار عليك" .. وفى قصيدتك هذه تعبيرات غير مستحبة كقولك : "عندما أراك أهيج كالغول" .

● **محمد عبد الباسط زيدان - ابشواى**

- قصيدتك "الهدى" فيها أبيات موزونة واخرى ليست كذلك ، وفيها اغلاط لغوية ونحوية كقولك : "وابتدينا" تقصد و"ابتدأنا" وقولك "مشاوير السهاد" وليس فى اللغة مشوار ومشاوير .. وقولك : "هل تردى" .. تقصد : "هل تردين ؟"

● **يوسف عبد العزيز على - كلية الآداب بقنا :**

قصيدتكم "معاناة قمر" تحتاج منك الى إعادة نظر لازالة بعض التكلف واصلاح وزن بعض الشطرات .

● **ابو الهيثم المجدلى - غزة :**

- أنت تجد وقتا للحديث عن قصيدة "لاتكذبى" التى غنتها نجاة وعبد الحليم قبل ربع قرن .. كيف حال الانتفاضة الثورية العظيمة عندكم ، وماهو موقفك منها ؟!

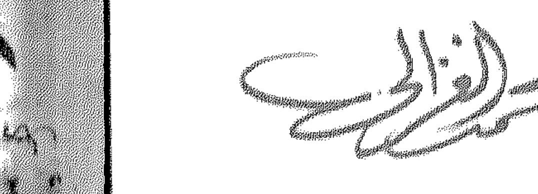
● **عاصم فريد البرقوقى - ٣٧ شارع خليل مطران - الاسكندرية :**

- أنت تبحث عن "الابتسامة" على صفحات الهلال ، وعندك حق ، فأحيانا تطغى جدية الموضوعات على الابتسامة ، وينسى المرء فى زحام هموم الحياة أن يبتسم ! ..

الصيام لون من التربية النفسية اساسه تدريب الإرادة على ترك ماتشتهى ، وجعل زمام الإنسان مع عقله لا مع هواه ، قد يتطلع امرؤ إلى حقوق الآخرين واخذ ما بايديهم وهو لا يحل له ! فهل نترك هذا التطلع يمضي في طريقه ام نوقفه عند حدوده ؟ لابد من كبت هذه الرغبة إلى الابد ، والكبت هنا جزء من التربية الإنسانية التي ينشدها الشارع ولا يستغنى عنها قانون ! بل إن الفارق بين الإنسان والحيوان هو في وجود هذه الإرادة .. والصوم الذى شرعه الإسلام إنشاء للقدرة على الامتناع وتدريب لمدة شهر على ترويض اعتى الشهوات ، في الكيان البشرى ، شهوتي الاكل والجنس ، وبذلك يقدر المؤمن على اداء الواجبات مهما ثقلت ، وعلى ترك الآثام مهما حلت في العين ، وهو ما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى : "يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" والتقوى هي الضمير الرقيب على السلوك العام والخاص ومع يقظة هذا الضمير يؤدى المسلم ما امر الله به ويترك مانهاه الله عنه ..

ومن المحزن ان الصيام تحول عن خطه الصحيح او تنوسيت فيه الحكمة المقصودة منه ؛ لأن جمهور الصائمين جعل من الشهر المبارك موسماً للمزيد من الاطعمة والمزيد من التسلية ، وتضاعف استهلاك المواد فيه ، واضحى مربكا للأحوال الاجتماعية والاقتصادية كما ان البعض قد يمتنع عن الطعام المباح ولا يمتنع عن اللغو والصخب والاستطالة في حرمات الآخرين ، وفي الحديث الشريف "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع . ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر" وفي حديث آخر "الصيام جنة - اى وقاية - ما لم يخرقها ! قيل : وبم يخرقها ؟ قال : بكذب او غيبة !"

وعلينا نحن المسلمين أن نجعل من الشهر الكريم شهر روحانية وبر ، وموسم طاعة وتزكية وفرصة لإسعاف المحتاج وإغاثة الملهوف وإعانة المعسرين .. وليكن ذلك كله ابتغاء وجه الله ، وتساميا عن حياة الانانية والشح ، وادخاراً لما يحتاج المسلم إليه عند لقاء ربه "وما لأحد عنده من نعمة تجزى .
إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .
ولسوف يرضى" !







سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ① ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ②
الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقنهم
ينفقون ③ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من
قبلك وبالأخرة هم يوقنون ④ أولئك على هدى من ربهم

- النص القرآني بالرسم العثماني والتشكيل
- فهرس لكل مفردات القرآن الكريم
- فهرس موضوعي لجميع آيات القرآن
- البحث عن كلمة أو مجموعة مفردات
- شرح لغريب ألفاظ القرآن الكريم
- بيانات عامة أساسية عن القرآن الكريم
- تحفيظ القرآن الكريم
- مكتبة القرآن الكريم

كمبيوتر صخر

العالمية al Alamiah

بـت الشركة العالمية تلفون ٢٤١١١١٠
ارات البوسف لأنظمة الكمبيوتر تلفون ٢٢٤٢٦١
ين الزياني للخدمات التجارية. تلفون ٥٣١١٧٧
شركة الكمبيوتر العربية تلفون ٤٢٨٥٥٥

اليمن اليمنية للحاسبات الالكترونية ٢٠٨٨١٩-١
الأردن مركز الكمبيوتر الأردني. تلفون ٦٧٩٦١٦
السعودية العالمية العالمية الرياض. تلفون ٤٧٠١٠٦
العالمية جدة. تلفون ٦٦٥١٢٧٣

العراق المنشأة العامة للأجهزة الدقيقة. تلفون ٧١٩٦٤٣٢
سوريا مركز الكمبيوتر العربي. تلفون ٢٤٦٢٨٢
لبنان ميكروكمبيوتر سيستمز. تلفون ٣٤٩٨٢٤
مصر الشركة الاستشارية (إيكو). تلفون ٣٥٥٥٤١٠

تونس شركة الكمبيوتر والبرمجيات. تلفون ٨٠٩
الجزائر المؤسسة الوطنية لأنظمة الاعلام. تلفون ٢٠١
المغرب ايكوام ش م. تلفون ٤٣
فرنسا الاستشاريون للخدمات المعلوماتية ٢٠١٤٧
ألمانيا العالمية ألمانيا تلفون ٦٨١٥


الهلال
مايو ١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا
ثقب
فى السماء
قبل أن يختفى الأخضر
تموت الزهور
ويتلوث الماء والهواء

قمم عربية

محمد حسنين هيكل

● بريشة : الفنان محمد ابوطالب



مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية

السنة السادسة والتسعون • مايو ١٩٨٩م • رمضان ١٤٠٩

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المستشار الفنى
محمد أبوطالب

مدير التحرير
عاطف مصطفى

المشرف الفنى
محمود الشيخ

سكرتير التحرير التنفيذى
عيسى دياب

محمد حسنين هيكل من أبرز الصحفيين المصريين الذين مارسوا الكتابة على مدى سبعة وأربعين عاما بكفاءة واقتدار .

عمل بالصحافة منذ عام ١٩٤٢ بمجلة آخر ساعة حتى أصبح رئيسا لتحريرها .. وبعد عمل دءوب متصل أصبح رئيسا لتحرير الأهرام عام ١٩٥٧ ، وطوال عمله بالأهرام عاصر مرحلة هامة شهدت تغييرات واسعة وعميقة فى تاريخ الصحافة المصرية ، ومن أبرز البصمات التى تركها هيكل اتمام مشروع الأهرام الجديد الذى يعتبر من أحدث المشروعات الصحفية فى العالم وأكثرها تطورا .

اشتهر هيكل بمقاله الأسبوعى «بصراحة» وكان يفجر فيه قضايا سياسية واجتماعية اتسمت بالصدق والرؤية الدقيقة للمتغيرات التى تشهدها مصر والوطن العربى بل والعالم كله .

اصدر العديد من الكتب السياسية ، وكان أولها الطريق الى رمضان ، ثم «عند مفترق الطرق» «لمصر لا لعبد الناصر» . « آفاق الثمانينات » . « خريف الغضب » « بين الصحافة والسياسة » ، « مدافع آيات الله » . « ملفات السويس » « سنوات الغليان» .

وهيكل يؤمن بالفكر الجديد دائما وبأن الصحفى يجب أن يزاول السياسة كصحفى ويزاول الصحافة كسياسى .

الفرعون والكاهن ص (٣٤)

في هذا العدد



الغلاف
تصميم الفنان :
محمد ابو طالب

فكر وثقافة

● الابداع البشرى بين حرب اكتوبر وحجارة الثورة الفلسطينية .... د . محمد عبدالرحمن جوهر ١٤
● مشكلات الشباب .... فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق ٢٠
● القفز على الاشواك .. التعليم والحياة .... د . شكرى محمد عياد ٢٢
● التنزيه والتشبيه .... د . محمد عمارة ٢٨
● محمد حسنين هيكل .. تراجيديا الفرعون والكاهن .... صلاح عيسى ٣٤
● فى ذكرى مرور ١٠٠ سنة على ميلاده .. طه حسين والهلال .... د . مصطفى عبدالغنى ٦٠
● من ذخائر الكتب العربية .. السيرة الذاتية للمؤيد فى الدين داعى الدعاة .... مصطفى نبيل ٦٦
● تقاسيم على وتر الغربة .. قراءة فى كتاب صافى ناز كاظم .... جمال سلطان ١٢٢
● فشتمر نجيب محفوظ .... د . امين العيوطى ١٥٨
● المائة الأعظم فى التاريخ الاسلامى .... حسين احمد امين ١٧٨

● تلوث البيئة .. جزء خاص ●

● ثقب فى السماء والمخاطر التى يتعرض لها الانسان على الأرض .... محمد فتحى ٨٠
● رسالة لندن .. الحفاظ على البيئة .. التحدى الجديد الذى يواجه اليسار واليمين .... مجدى نصيف ٨٦
● الادب وقضايا التلوث ... الحلم ... التنبؤ .... الواقع .... محمود قاسم ٩٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى ، وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب

● المسئول عن كارثة تشيرنوبيل .. انتحر وترك ....
هذه المذكرات .... د . ابراهيم العسيرى ٩٤
● ماذا اعدت مصر لحماية البيئة من التلوث ؟..... ١٠٠
● ومن الطعام ما قتل !! .... د . شفيقة ناصر ١٠٤
● نداء اخير لحماية نهر النيل ! ....
.... د . فاطمة الجوهرى ١١٠

دائرة الحوار

● عصر الشعارير ! .... كمال النجمي ٤٤
● قراءة جديدة فى كتاب قديم فى الثقافة المصرية
.... محمد روميش ٥٠

فنون

● جولة المعارض ... موسم حافل بالابداع والاثارة ....
.... محمود بقشيش ١٣٢

● اوسكار .. التحريف للتاريخ والتعصب المقيت ....
.... مصطفى درويش ١٤٨

● الحلى النوبية .. سر الشخاليل التى تطرد الأشباح
.... نجوى صالح ١٧٤

قصة وشعر

● اللوح والشهادة ... شعر ....ماجدة بركة ١٣٠
● شتات الشقائق ... قصة ....جمال الغيطانى ١٤٢
● نجيب محفوظ ..... اقصوصة عبد الحكيم قاسم ١٥٦

● الابواب الثابتة ●

(٦)
عزيزى القارىء
(٨)
العالم فى سطور
(٣٣)
أقوال معاصرة
(٥٩)
لغويات
(١١٦)
العالم غدا
(١٦٤)
شهريات
(١٨٦)
انت والهلال
(١٩٤)
الكلمة الأخيرة

دار الهلال

١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس 92703 Hilal . U . N

ثمن النسخة

سوريا ٤٠ ليرة . لبنان ٥٥٠ ليرة . الاردن ٥٠٠ فلس . الكويت ٤٠٠ فلس . العراق ٣٥٠٠ فلس . السعودية ٥ ريالات . عدن ١٢٥ سنتا . البحرين ٨٠٠ فلس . الدوحة ٦ ريالات . دبى ٦ دراهم . لوس انجلوس ٤٠٠ سنت . ابوظبى ٦ دراهم . مسقط ٦٠٠ بيسه . تونس ١٤٠٠ مليم . المغرب ١٥ درهما . غزة والضفة ٧٥ سنتا . داكار ٦٠٠ فرنك . لندن ١٢٥ بنسا . ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة . نيويورك ٤٠٠ سنت اليمن الشمالية ٦ ريالات . كندا ٥ دولارات



العيد.. والأسئلة

في الأسبوع الأول من الشهر الماضي « ابريل ـ نيسان » جاء شهر رمضان ، كريما كعادته كل عام .. وفي هذا الأسبوع الأول من « مايو ـ أيار » يجيء عيد الفطر المبارك ، فتجتمع لنا بهجة شهر الصوم وفرحة عيد الفطر ، كلتاهما ، في مطلع فصل الربيع ، بين شهري نيسان وأيار اللذين تغنى بهما شعراء العربية من قديم الزمان ! ..

ولكن أعياد الشعوب ـ في الواقع ـ لاتحددها شهور الربيع ولا شهور الصيف ، ولكن تحددها المعاني الخالدة التي تتمثل في اطراد قدوم هذه الأعياد عاماً بعد عام ، وجيلاً بعد جيل ، والأمة باقية راسخة على مر الدهور ، تحافظ على ارضها ومائها وسمائها وكيانها ووجودها القومي المتواصل الحلقات عبر القرون ، رغم تقلبات السراء والضراء ، وتأرجح الزمان بين البأساء والنعماء ! ..

وها نحن أولاء نستظل بغمائم الربيع الرقيقة ، ونسترَوح أنسامه الندية ، ولكننا نوشك أن نستدعي من وراء الف سنة صوت شاعرنا ابي الطيب المتنبي يقول :

عيد بأية حال عدت يا عيد ∴ بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟!

ذلك أن أمتنا العربية تقف أمام أعيادها الدينية والقومية والوطنية في هذه المرحلة الفاصلة من تاريخها متسائلة عن المصير : إلى أية حال نحن صائرون أيتها الأعياد المتعاقبة علينا بانتظام تعاقب الليل والنهار ؟! ..

أ إلى الماضي الذي رزحنا فيه تحت نير الاستعمار الأجنبي ، والاستيطان الصهيوني ، أم إلى مستقبل تتكسر فيه الأصفاد ، وتتجدد الآمال ، وتتغير الأمور من حال إلى حال ؟! ..

ماذا وراءك أيها العيد ؟! .. أهناك شيء في الوفاض جديد ؟! ..

ياعيد التراحم والمودة والتضامن .. هل ترى بين شعوبنا وافرادنا تراحما ومودة وتضامنا وهدفا مشتركا وسعيا جادا على امتداد الأرض العربية والاسلامية بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي ؟! ..

قديما ـ ونحن أطفال ـ كنا نسمع بعض الوعاظ الطيّبين يقولون لنا ناصحين : ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد ! .

وقولهم كان ومازال منطقياً صحيحاً ! .

المطروحة على البشرية

فمن أراد أن يعمل للآخرة ويبنى لنفسه قصرا فى الجنة ، فلن ينفعه أن يلبس ثوبا جديدا فى يوم العيد ، ولكن ينفعه أن يدفع حساب ذلك الأمل الأخروى الضخم قبل أن يقف فى ساحة الحساب يوم الوعيد ، أو يوم القيامة ..

وإننا لنستمطر سحائب الرحمة على أجداث أولئك الوعاظ الطيّبين ، فإن كلامهم ذاك ينطبق أيضا على شئون الحياة الدنيا ، فليس العيد فى هذه الحياة لمن لبس ثيابا جددا زاهية يختال فيها كالطاووس ، ولكن العيد لمن وجد لنفسه مكانا تحت الشمس ! ..

والأمتان العربية والاسلامية ، تزهوان الآن بالثياب والاموال ، وتعجان بالبنين وزينة الحياة الدنيا ، ولكن العبرة بالأرض التى تقف عليها هاتان الأمتان الرافلتان فى الثياب الزاهية السابحتان فى بحر المال والبنين ! ..

إن عصرنا يهدده تمزق طبقة الأوزون فى الأجواء العليا ، وتلوث البيئة بالمحروقات الصناعية والمبيدات الحشرية ، والتجارب النووية والكيميائية .. وقد وصلت فيه سفن الفضاء إلى المريخ والزهرة بحثاً عن علاج لأدواء الأرض ، ولكن قومنا مازالوا يختلفون كل الاختلاف حول بدايات الشهور العربية أو القمرية ، ويتضاربون حول الحلال والحرام فى كيفية معرفة بدايات هذه الشهور .. ويتفنن الحمقى والجهلاء من المتطرفين عندنا فى شغل الناس بالجدل العقيم حول هذه الأمور ! .. فكأنما صومنا وعيد فطرنا لا شأن لهما بالأسئلة الخطيرة المطروحة على البشرية فى عصرنا ، والمطروحة ـ بالبداهة ـ علينا نحن أيضا لأننا لانستطيع أن نجعل من أنفسنا جزءا منفصلا عن البشرية ونحن نعيش على كوكب صغير واحد تائه فى أطراف الفضاء الكونى ! .

فيا أيها العيد المبارك ، مرحبا بك ، ولكنا نرجو منك أن تجيبنا عن هذا السؤال
ـ بأية حال عدت ياعيد ؟!

فإن كانت صيغة هذا السؤال لاتعجبك لأن أبا الطيب المتنبى حين صاغها قبل ألف سنة كان محتدا ساخرا ثائرا ، فإننا نعيد صياغتها لك ونسألك :

ـ ماذا وراءك أيها العيد السعيد ؟! ..

المحرر



العالم فى سطور

اوكسفورد

القاموس الفريد

أعيد نشر قاموس اوكسفورد للانجليزية فى طبعته المنقحة الموسعة قبل اربعة اسابيع أو يزيد ...

ولعل هذا النشر أهم حدث ثقافي معاصر ...

بل لعله كما قال الأديب الانجليزى : « انطونى بيرجس » أهم حدث وقع فى دنيا النشر خلال هذا القرن من عمر الزمن ...

وفى الحق ، فهذا القاموس الفريد يعتبر ، ومنذ اكتماله خلال عام ١٩٢٨ ، المرجع النهائى فى لغة شكسبير .

ولا يغير من هذه النتيجة قلة المتكلمين بالانجليزية الذين استلزم عملهم الرجوع اليه على امتداد وجوده الذى جاوز الستين عاما .

فما أكثر الذين عاشوا حياة ملؤها الثقة والاطمئنان ثقافيا لا لشىء سوى مجرد شعورهم بوجود ذلك القاموس الذى هو ثمرة جهد مدرسى شامخ شموخ ايفرست قمة جبال الهملايا ..

والطبعة الجديدة المكونة من عشرين مجلدا مهداة الى اليزابيث الثانية ملكة انجلترا ..

والمجلدات تنطوى على ٢١,٧٢٨ الف صفحة ، تعرف بمعنى ٦١٦,٥٠٠ الف كلمة ومصطلح ، مستعملة فى سبيل ذلك ستين مليون كلمة : وهو عدد من الكلمات اكثر بنسبة ٣٤٪ من الطبعة الأولى ، والقاموس لكل ذلك يكلف الراغب فى اقتنائه غاليا ، فالسعر المحدد له فى المملكة المتحدة الف وخمسمائة جنيه استرلينى ..

اما فى الولايات المتحدة فالسعر الفان وخمسمائة دولار وبمناسبة طبعته الجديدة تلك قال ناشراه « جون سيمبسون » و« ادموند فينر » من بين ماقالا ان الاختمار المولد لكلمات وتعبيرات جديدة فى اللغة الانجليزية قد جنح جنوحا شديدا من دنيا الأداب الى دنيا العلوم والاعمال والطب ، وانجليزية امريكا الشمالية العامية .

وغنى عن البيان انه ليس ثمة ، فى ذلك الجنوح اللغوى ، ما يلهم كيتس ومن يسير على دربه من الأدباء بالغناء شعرا .

وهنا قد يكون من المفيد التنبيه الى ان اللغة الانجليزية هى اكثر اللغات الحية نموا ، فكلماتها تزيد فى المتوسط بمعدل اربعمائة وخمسين كلمة سنويا ..

ومن مزايا القاموس انه يعنى بتتبع أول ظهور معروف للكلمة وهى مطبوعة ، يأتى بجمل مبتغيا بها توضيح سياق الكلام الذى جرى استعمالها فيه ، وجميع التغييرات فى المعنى التى طرأت عليها مع كر الأعوام ...

خذ مثلا كلمة « ايدز » ...

القاموس يعرفها ثم يتتبع تاريخها فى الماضى حتى اول ظهورها الافتراضى مطبوعة فى التقرير الاسبوعى عن المرضى والوفيات (٢٤ سبتمبر ١٩٨٢) .



وليم شكسبير

والمذهل فى مغامرة اصدار القاموس هو قصر المدة فيما بين تصور الفكرة واخراجها الى حيز الوجود فى عشرين مجلدا ، فهى لم تتجاوز من عمر الزمن سوى سبعة أعوام ..

والفضل فى ذلك إنما يرجع إلى كلمة لم يكن لها أى وجود فى طبعة القاموس الأولى ، الا وهى كلمة « كومبيوتر » ..

فيينا

الامبراطورة الأخيرة

عاشت فى ذلك العصر المسمى بالعصر الجميل لأنه كان مفعما بالغنى والمتاع ، وبكل ما يثير الزهو الزائف ...

كان لها من العمر ستة اعوام عندما طعن فوضوى ايطالى « لويجى لوكيتى » امبراطورة النمسا « اليزابيث » (سيسى) بخنجر ، فاسلمت الروح متأثرة بجراحها فى جناحها بفندق بوريفاج المطل على بحيرة ليمان (١٠ سبتمبر ١٨٩٨) .

كانت الأميرة زيتا وقتذاك لا تعرف انه لن يمر سوى ثلاثة عشر عاما على هذا الحدث الجلل ، الا ويعقد قرانها على « كارل » احد امراء الهابسبورج ، تلك الأسرة المتربع اباطرتها على عرش الامبراطورية النمساوية ستمائة عام او يزيد ...

ولن يمر سوى ثلاثة اعوام على هذا القرار السعيد الا ويغتال ولى عهد النمسا « فرانسوا فرديناند » هو وزوجته « سونيا » فى « سيراييفو » من أعمال البوسنا وهيرزوجفينا (٢٨ يونيه ١٩١٤) فيكون ذلك سببا لتأهل زوجها « كارل » وريثا وحيدا لعرش آل هابسبورج ، ولنشوب حرب عالمية لاتبقى ولاتذر على شىء من العصر الجميل ..

وما ان يجىء الموت الامبراطور العجوز « فرانسوا جوزيف » (نوفمبر ١٩١٦) بعد حكم دام ثمانية وستين عاما - حتى اعتلى زوجها « كارل الأول » عرش النمسا (٢١ نوفمبر ١٩١٦) .

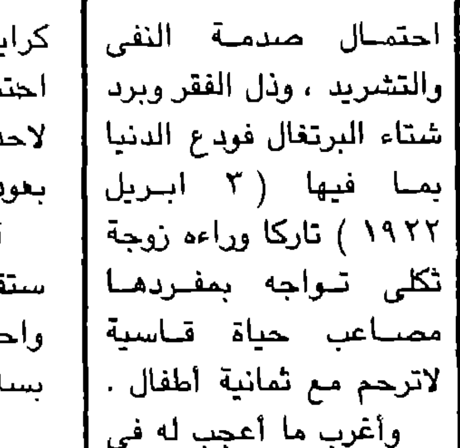
واذا بها متوجه معه امبراطورة للنمسا وملكة لهانجريا وبوهيميا .

وطبعا فى ذلك اليوم الموعود ، لم تشعر الامبراطورة « زيتا » انها تعيش فى نهاية عصر .

وعلى كل ، فقد سقطت امبراطورة الهابسبورج فى الثالث من ابريل ١٩١٩ ، اصبحت ماضيا تائها فى مجاهل كتب التاريخ والموسوعات ، ووجدت الامبراطورة الشابة نفسها مطرودة من ارض النمسا مع اسرتها المكونة من خمسة أولاد وامبراطور سابق ضعيف ، لم يقو على

- الامبراطورة زيتا مع ولى العهد (١٩١٦)





احتمال صدمة النفى والتشريد ، وذل الفقر وبرد شتاء البرتغال فودع الدنيا بما فيها (٣ ابريل ١٩٢٢) تاركا وراءه زوجة ثكلى تواجه بمفردها مصاعب حياة قاسية لاترحم مع ثمانية أطفال .

وأغرب ما أعجب له فى سيرة هذه الأمبراطورة الأخيرة هو امتداد العمر بها رغم المحن التى عصفت بحياتها الى عامنا هذا ، اذ هى لم تمت الا منذ شهرين لا أكثر ، ولها من العمر ستة وتسعون عاما

والمدهش فى موتها هو ماصاحبه من استئصال لقلبها ليدفن بجوار قلب زوجها فى سويسرا ، ثم نقل جثمانها الى فيينا حيث سجّى فى كاتدرائية سان ستفانو التى ترددت بين جدرانها العتيقة ـ ولأول مرة منذ سبعين عاما ـ اصداء السلام الامبراطورى القديم ...

وكان على رأس الوفد الرسمى النمساوى المكلف بتقديم فروض العزاء الى اسرة الامبراطورة رئيس الجمهورية « كيرت فالدهايم » ..

وعندما سئل المستشار النمساوى السابق « برونو كرايسكى » عن مخاطر احتمال استغلال جنازتها لاحداث تظاهرات تنادى بعودة الملكية .

أجاب قائلا : « حقا ستقوم تظاهرة ، ولكن كل واحد سيعود الى بيته بسلام »

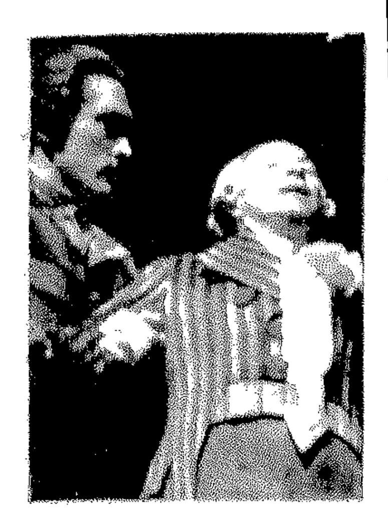
باريس

الموت .. أو الحرية

روبير هوسين حالة خاصة ..

فهو الآن اشهر مخرج مسرحى فى باريس منذ قرابة عشرة أعوام .. ونقول انه حالة خاصة لأنه وجد نفسه أخيرا فى المسرح بعد أن كان نجما فى السينما لسنوات طويلة .. لكن حالة هوسين الخاصة أكدت ان الفنان قد يكون عطاؤه عاديا فى مجال .. لكنه فى مجال آخر بعيد عنه تماما يمكن أن يكون عبقريا ..

فمن المعروف أن روبير هوسين بدأ حياته كممثل سينمائى منذ ثلاثين عاما .. وقام ببطولة عشرات الأفلام التى تعتمد على الحركة من ابرزها « عصر الذئاب » .. وفى منتصف الستينيات جرب



الاخراج السينمائى فتميز الي حد ما فى فيلمه « قتلت راسبوتين » .

ولكنه عندما جرب حظه فى الاخراج المسرحى لمع بشكل منقطع النظير لدرجة أنه اخرج أعظم العروض المسرحية الباريسية فى السنوات العشر الأخيرة .

من « بوتمكين » الى « البؤساء » التى أخرجها ايضا للسينما و« مراسلات من ليون » و« كين » التى قام ببطولتها جان بول بلموندو منذ عامين .

نسوق هذا الكلام بمناسبة عرض مسرحيته الأخيرة .. « الحرية أو الموت » .. فى قصر المؤتمرات بباريس حيث يشاهدها يوميا ثلاثة آلاف وخمسمائة متفرج ، مما يؤكد تتويج هوسين على عرش الاخراج المسرحى فى فرنسا هذه الأيام ..

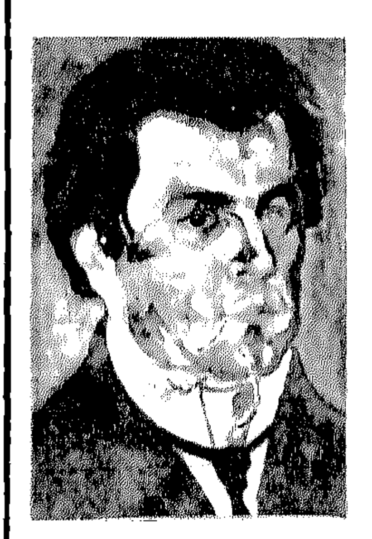
وتجيء أهمية العرض من عدة زوايا .. فهي مسرحية تاريخية يشترك فيها الفنان في احتفالات بلاده بالعيد المئوى الثاني للثورة الفرنسية كما ان المخرج استعان بأكثر من ٨٥ نجما من نجوم المسرح الفرنسي على راسهم برنار فرسون ودانييل مزجوش وبيير جالون ..

وتدور المسرحية في عام ١٧٩٤ حول الثائرين المتحررين روبسبيير ودانتون اللذين انتهى الأمر بهما تحت المقصلة ، وهي تعتبر معالجة جديدة لمسرحية « دانتون وروبسبيير » التي كتب مادتها التاريخية المؤرخ المعروف الان ديكو .. وقام باعدادها دراميا ستلليد لورانتسو ..

امستردام

الجمهور أكثر جنونا .. من الفنان

عندما أقيم معرض للوحات الفنان التشكيلي الروسي مالفتش في امستردام عام ١٩٠٨ لم يدخل صالة العرض طوال



مالفتش بريشته

اسبوعين سوى خمسة وثلاثين شخصا .. الا ان هذا لم يمنع ادارة المتحف ان تقيم معرضا جديدا للفنان خلال الشهر الماضي بيعت فيه احدى اللوحات بمبلغ خيالي أذهل كل المهتمين بالفن التشكيلي في العالم .

وتعكس حالة مالفتش هذه الجنون الذى يصيب عشاق الفنون في كل انحاء العالم .. فاللوحات نفسها لم تتغير ... والفنان (١٨٧٨ ـ ١٩٣٥) في كلا المعرضين هو في عداد الأموات .. وهي حالة لم يجد لها أحد تفسيرا معقولا حتى الآن ...

وتجيء اهمية مالفتش في أنه أحد الذين تركوا بصماتهم في الفن التشكيلي الحديث .. وقد استوحى لوحاته من الفنون الفرعونية الفارسية وسبق في تجريديته وتجريبه اساتذة هذا الفن المعروفين في القرن العشرين .

وقد آمن الفنان ، المولود في مدينة كييف ، بان النماذج الانسانية تمثل ركنا هاما في اللوحة التشكيلية حتى لو قام بتجريدها من وحدة الزمان والمكان .

وترجع عدم شهرة الكاتب خارج حدود بلاده انه لم يرحل ابدا عن هذه البلاد مثلما فعل أغلب الفنانين ، حيث ظل محبوسا مع لوحاته سنوات طويلة قبل أن يشعر به أحد .. كما ساعد في ذلك أيضا ان الثورة الشيوعية كانت تنتبذ الفن التجريدى بشكل عدائي ، حيث آمن القادة الشيوعيون مثل ستالين ولينين أن دور الفنان هو أن يعبر عن مظاهر الحياة . لا أن يجرد الابطال من عوالمهم ..

وقد تعرض الفنان للكثير من المتاعب عندما سافر الى ألمانيا عام ١٩٢٧ لعرض لوحاته ، حيث قامت السلطات بالقبض عليه واستجوابه مما جعله لا يفكر أبدا في تكرار هذه التجربة ..

ورغم ذلك فإن مالفتش



العالم في سطور

لم يتوقف قط عن العطاء الغزير .. فقد اشترك في اعداد ديكور متحف الارميتاج .. وفي عام ١٩٣٥ وفي الشهور الأخيرة من حياته وبينما هو مريض بالسرطان ، كان يقوم بتصميم جدران محطات مترو الانفاق بين محطتى موسكو وكوزمو مولوسكيا ..

نيويورك

سطوة المال وسطوة الحكومة

« عشب الغرور » ..

هو عنوان أحدث رواية للكاتب الامريكي توم وولف .. وتجيء أهمية هذا الخبر في أن وولف قد استطاع أن يجذب حوله الأنظار في العامين الماضيين لدرجة أنه تصدر العديد من أغلفة المجلات العالمية المشهورة ..

ويقول الناقد الفرنسي جان دافيد أن رواية وولف الأخيرة أشبه بحريق من الكلمات الملتهبة تنير الليل المعاصر . وتدور أحداث الرواية من خلال أربعة اشخاص في احدى العمارات الضخمة بمدينة نيويورك .. وبالضبط في حى سوق المال الشهير « وول ستريت » ... أحدهم رجل اعمال ... والآخر صحفي في جريدة انجليزية .. والثالث يعمل في القضاء .. والرابع هو احد المهتمين بالدفاع عن حقوق الفقراء من الزنوج ...

ويمثل هؤلاء الرجال الأربعة نماذج من مدينة نيويورك فجميعهم ينتمي الى بيئات اجتماعية متباينة ، حيث جاءوا من احياء نيويورك المتناثرة ، ولكل منهم ايدولوجيته وفكره المختلف تماما .. وماهم يشتركون في هدف واحد ، هو مراقبة مايحدث في سوق المال ..



توم وولف .

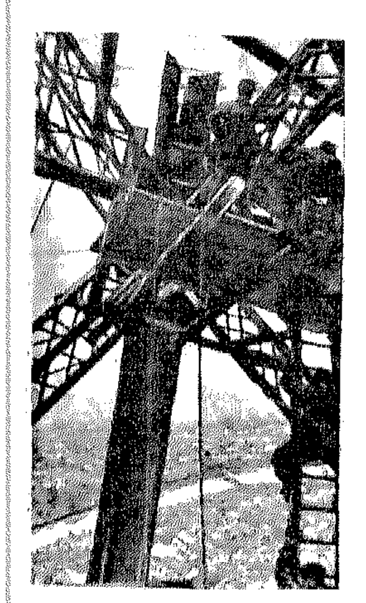
لكن الأمور تتغير عندما يقع أحدهم ضحية لعنف يمارسه بعض الزنوج ... وهنا تتجسد اللغة التي يتكلم بها كل شخص . حيث يدافع البعض عن مصالحه الخاصة ، اما البعض الآخر فيرى ضرورة الرجوع الى اسباب قيام هؤلاء الزنوج بالاعتداء على صديقهم ..

ويقول جان دافيد ان الدرس المستفاد من هذا الكتاب أن اى مجتمع يضم العنف المتطرف الى جانب المشاعر الانسانية الطيبة .. وسطوة المال الى جانب سطوة الحكومة .. ولا يمكن لكل هذه التناقضات ، وغيرها ان تسير دون ان يكون هناك صمام يتحكم في درجات ارتفاع وانخفاض كل منها ..

باريس

عملاق عمره مائة عام

مدينة النور متعددة المعالم ، وأهمها « برج



ايفيل » ... مافى ذلك شك ...

وفى البدء لم يلق البرج الذى شيده « الكسندر جوستاف ايفيل » قبل مائة عام قبولا من قطاع كبير من الرأى العام ...

فجيران المكان الذى كان يجرى بناء البرج عليه هالهم هيكل العملاق القبيح ...

ونفر من المهندسين حذر من كارثة تؤدى بالبرج الى الانهيار ..

وبعض المواطنين الغيورين على المصلحة العامة سارعوا برفع دعاوى ابتغاء وقف البناء ...

وجريدة يومية راح الباعة الجائلون يصيحون بعنوانها المثير للهلع والفزع ... « البرج يغرق » ...

ورغم ذلك كله ارتفع برج ايفيل ناطحا السحاب ، وليبقى صامدا ابدا للأمطار والعواصف ...

وليصبح الرمز النهائى لباريس ...

ومن المعروف انه وقت الانتهاء من بنائه كان اعلى مبنى فى العالم .

ولقد جرى تشييده على ضفاف نهر السين ، فى مدخل معرض باريس لدولى لعام ١٨٨٩ .

وهو بحديده (٩,٧٠٠ الف طن) ، ومساميره البرشام (اثنان ونصف مليون) ، وطلائه (٤٠ طنا) انما يعبر عن النهضة الفرنسية - رغم هزيمة الحرب السبعينية - بفضل الثورة الصناعية ، ويعكس براءة ورخاء واسترخاء العصر الجميل ...

وقبل مائة عام وبالتحديد فى تمام الساعة الواحدة والنصف من بعد ظهر يوم ٣١ من مارس صعد « ايفيل » مع نفر قليل الى قمة البرج حيث ثبت العلم المثلث الألوان منقوشا عليه بماء الذهب الحرفين الأولين من كلمتى الجمهورية الفرنسية .

وعن هذا الحدث التاريخى تقول حفيدته : « جانين ياتمان » ... والتى لها الآن من العمر سبعون عاما - « لقد كان فخورا بالبرج » ..

وهى تتذكر انها رافقته فى زيارة الى البرج مرتين ..

وعن احدى هاتين الزيارتين تقول .

« سرنا بعض الطريق ، فحتى ، وهو فى سن التسعين كان يحب المشى ، كان زاخرا بالحيوية ، متميزا بشعره الأبيض ، باهتمامه الزائد بكل شىء ...

كان على حق ، فالمكان المشى فيه جميل ، وهواؤه نقى منعش ...

ومن عجب انه انتهى من بناء البرج خلال مدة لم تزد على عامين وشهرين ويومين ...

وبطاقم مكون من مائتى رجل فقط ...

وكل ذلك دون أن يتجاوز الميزانية المحددة بداية للمشروع ، وهى مليون وستمائة الف دولار ...

وقبل موت صاحب البرج « ايفيل » بقليل (١٩٢٣) قال : « يجب أن اغير من البرج ، فهو أشهر منى » ! ! .

الإبداع البشرى

بين حرب أكتوبر وحجارة الثورة الفلسطينية

بقلم : د. محمد عبد الرحمن جوهر

هناك ابداعان بشريان معروفان تماما ولا يحتاجان لمزيد من الايضاح · أولهما الابداع الفنى المتمثل فى كل الفنون والاداب على اختلاف ضروبهما من مسرح ونحت وتصوير وشعر الى اخره · وهذا النوع من الابداع قديم قدم الانسان ذاته، تدل على ذلك الرسوم التى وجدت فى الكهوف وكل ما تحمله تلك الاثار القديمة الموغلة فى القدم من فنون أما ثانيهما فهو الابداع العلمى متمثلا فى كل الاكتشافات العلمية للانسان واختراعاته المبنية على العلم وتطبيقاته ·

ولكن على الرغم من ذلك هناك نوع ثالث من الابداع البشرى لم تسلط عليه أضواء كافية · وهذا النوع من الابداع لا يسهل تصنيفه ضمن اطار الابداع العلمى ، فهو ابداع لا ينتمى الى الشعر وان كان له صفة الالهام ، وليس كالمسرح أو النحت ، كما أنه لا يعد رسما أو تصويرا وليس على وجه العموم من كل ما يندرج تحت عنوان الفنون ، كما انه ليس مبنيا على نظرية علمية ما محددة وواضحة، وان كان فيه بعض العلم ، ذلك الابداع البشرى يتمثل فى ايجاد حل عبقرى لمشكلة أو مشاكل تواجه مجموعة أو شعبا كالحروب أو المجاعات أو الكوارث وغيرها · هذا الحل الذى يؤدى الى التخلص نهائيا من المشكلة أو المشكلات يبدو وكأنه شىء بسيط جدا على المستوى الصغير أو المحدود ولكنه على مستوى الجماعة أو الشعب يصبح حلا عبقريا وابداعا بغير حدود كما أن كل الابداعات البشرية من ذلك النوع تعتمد على المعارف البسيطة للانسان وتحدث فى لحظة تبدو وكأنها الالهام وان كانت نتيجة تراكم الخبرات فى تفكير البشر ووجدانهم ·



العصافير مثلا قد لا تسبب مشكلة لدى كثير من الشعوب ، ولكنها كانت تسبب لشعب الصين مشكلة كبيرة حيث تلتهم كميات عظيمة من المحصولات التي يحتاجونها بشدة لغذاء البشر ولم يكن من السهل التخلص من العصافير في كل الارجاء الواسعة للصين وبالقطع ظل السؤال عن كيفية المحافظة على تلك المحصولات من العصافير ، يتردد كثيرا وبصورة ملحة على اذهان الذين يهمهم البحث عن حلول، الى أن وجدوا ضالتهم فى فكرة عبقرية من ذلك الضرب من الالهام أمكنها أن تحل المشكلة تماما · حقا لقد كانت فكرة بسيطة تماما بل وفى منتهى البساطة· فكما يعرف أبناء الريف أو الذين يمارسون أعمالهم فى الزراعة والحقول، أن الفلاحين يقومون بابعاد العصافير عن حقولهم ومحاصيلهم من خلال الطرق على شىء معدنى مثلا أو الدق على طبول أو ما يشبهها لاحداث ضجيج مستمر حتى تخاف العصافير فتبتعد عن هاتيك الحقول · اذن فماذا يحدث لو أن جميع الافراد فى كل الحقول وفى وقت واحد أحدثوا ضجيجا عاليا وازعاجا مقلقا

لا شك أن العصافير ستظل محلقة فى الجو بصورة مستمرة حيث لا تجد مكانا هادئا تأوى اليه ، مما يؤدى بها فى النهاية الى أن تسقط ميتة من الاعياء والاجهاد دفعة واحدة · حين تم ذلك على كل مرتفعات الصين وهادها وعبر سهولها ووديانها وفوق حقولها ومزارعها مرة واحدة تم القضاء على العصافير دفعة واحدة وانقذت المحاصيل والمزارع ودون تكلفة اللهم الا جهد الذين قاموا بتلك التجربة ·

ثمة نموذج اخر من ذلك النوع من الابداع البشرى وهو أيضا من الصين·



فمن المعروف أن تعداد الصين يمثل رقما خرافيا لابد وأن يؤرق أى حاكم أو حكومة لديها اهتمام بشعبها . وحين قامت الثورة الصينية ورثت من العهد السابق تخلفا شديدا وفقرا مدقعا عبرت عنه رواية « الارض الطيبة » للكاتبة الامريكية « بيرل بك » . وأمام هذا العدد الرهيب والمخيف للسكان تصبح الحكمة فى الاستهلاك أمر حياة أو موت . من هنا كانت فكرة أن يرتدى زعيمهم « ماوتسى تونج » ذلك الزى البسيط والذى لا يحتاج الى ربطة عنق ، وكانت فكرة عبقرية من ذلك النوع الذى نتحدث عنه . فحين فعل ذلك ماوتسى تونج ومعه كبار مسئوليه ، قلدهم الشعب كل الشعب ، وبالتالى انتهت الحاجة الى رباط العنق ، وحتى فترة قريبة لا أذكر اننى شاهدت مسئولا صينيا يرتدى ربطة عنق . وللمرء أن يتخيل مليارا من البشر أو أكثر يتخلون تماما عن ارتداء ربطة عنق . ان تلك الفكرة بلا شك هى فكرة ابداعية عبقريةوفرت للصين مليارا - على أقل القليل - من الجنيهات سنويا دون أن يبذل أى فرد أى مجهود علىالاطلاق ودون أنينقص من طعامه أو شرابه أي شيء ، فقط تنازل عن ارتداء ربطة عنق مثله فى ذلك مثل زعيمهورؤسائه وكلالمسئولين فى بلاده .

ولو توجهنا غربا نحو الطرف الاخر لكرتنا الارضية حيث كوبا بعد الاستقلال وحيث كانت مشكلة الامية ، ضمن المشاكلالكبرى التى قررتحكومة كاسترو التصدى لها .

- هناك لم تمسك الحكومة قلما وورقة لتفكر بها ولتصل من خلالها الى حلول لتلك المشكلة ، ولو فعلت كما تفعل غيرها من الدول لما تخلصت من مشكلة الامية بأى صورة ولا على أى شكل . لقد كانت فكرة الحكومة من ذلك النوع الابداعى الذى لا هو فن ولا هو علم ولكنه ابداع الشعوب الذى لا ينضب ولا ينتهى . فقد قررت الحكومة ايقاف الدراسة تماما لكل مدارسها وجامعاتها ومعاهدها لمدة عام واحد ، على أن يتفرغ الجميع طلابا وأساتذة وأماكن دراسة لحل مشكلة الامية. وماذا يفعل عام واحد توقف فيه الدراسة أمام حل مشكلة عاتية مثل مشكلة الامية ؟ وبالفعل حدث ذلك ونفذ القرار ، وحلت كوبا مشكلة تذوب دول العالم الثالث شوقا لحلها .

● الابداع البشرى وحرب اكتوبر

لو عدنا مرة أخرى شرقا الىمنطقة المتوسط ، سنجد من بين تلكالابداعات البشرية ، ما حدث أثناء حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . ومع أن الابداعات البشرية التى حدثت - وعرفت - فى حرب اكتوبر كثيرة ، فان ابداعا واحدا منها يبدو مهما للغاية وفى منتهى الروعة والجلال . ذلك الابداع العبقرى هو بدون أدنى شك ازالة الساتر الترابى الكثيف الذى أقامته اسرائيل على الضفة الشرقية للقناة ، والساتر الترابى المقابل الذى أقامته مصر على ضفتها الغربية ، حتىتتمكن القوات البرمائية والدبابات وغيرها بعد العبور واجتياز القناة منالدخول الى ساحة المعركة . لقد كان هذان الساتران الترابيان على طول القناة ، كما كانت ثغرة واحدة فى أحدهما بعرض سبعة أمتار فقط تعنى ازالة الفوخمسمائة متر مكعب من الاتربة، فما بالك اذا كان المطلوب هو فتح ستين ثغرة على طول القناة فى كل

جانب ، كان معنى هذا ازالة تسعين الف متر مكعب من الاتربة من الساتر الترابى شرقى القناة وحدها، وبالطبع ازالة تسعين ألف متر أخرى من الساتر الترابى المقام غرب القناة،ترى كيف يمكن ازالة هذا الكم الهائل من الاتربة من الناحية الشرقية فقط اذا علمنا أن الساتر يرتفع من عشرة الى عشرين مترا ، كما أن خلفه يقع خط بارليف بكل تحصيناته التى وضعت بعناية فائقة ؟ أكثر من هذا ، كيف يمكن ازالة هذا الكم الرهيب من الاتربة أثناء حرب عاتية ضروس، وعقب عبور مانع مائى فريد وليس له شبيه فى العالم وليس هناك خبرة سابقة فى التاريخ لعبور مثل هذا المانع ؟

هنا وهنا فقط يتجلى الابداع العبقرى هنا وهنا فقط تظهر قيمة الانسان وذكاؤه وعبقريته · هل ياترى يتم فتح تلك الثغرات وازالة هذا الكم الهائل من الاتربة بواسطة التفجير ؟ قد يكون ذلك ممكنا ، ولكن لعل هذا هو بالضبط ما توقعته اسرائيل ؟ كما أن ذلك قد يحتاج الى وقت أطول مما هو مطلوب ، بالاضافة الى ما ينجم من التفجير ، فهل هناك حل اخر ·

نعم ، بل فى غاية البساطة ولا يحتاج سوى استخدام المياه المندفعة بشدة تحت ضغط عال فى ازالة تلك الرمال · ليس فقط فتح ثغرة ، بل وازالة الرمال فى نفس الوقت وبذات العمل والمجهود!! تلك الفكرة العبقرية الابداعية البسيطة ثبت بالتجربة، أنها أنجح وأفضل من فكرة التفجير· وهكذا من خلال فكرة بسيطة ولكنها عبقرية، أصبح فى مقدور القوات المسلحة المصرية أن تفتح الثغرة الواحدة فى مدة تتراوح بين ثلاث الى خمس ساعات ، أى انه أمكن فتح ثغرة وازالة الف وخمسمائة متر مكعب من الاتربة فى ساعات خمس بحد أقصى ، وفى التجربة العملية مع بدء المعركة قام المهندسون العسكريون المصريون بشق ستين ثغرة فى الساتر الترابى واقاموا عشرة كبارى وما يقرب من خمسين معدية عبر القناة ، كل ذلك خلال فترة ما بين ست الى تسع ساعات فقط !! أما صاحب تلك الفكرة الابداعية فهو أحد الضباط المهندسين الشبان ·

● الابداع ·· وحجارة الثورة

يضاف الى تلك التجارب الابداعية السابقة ، تجربة ابداعيه أخرى ، بل فى قمة الابداع والعبقرية ، ومازالت، ورغم مضى ما يقرب من عام على بدايتها ، قائمة حتى لحظتنا هذه و تستمر الى ما شاء الله لها أن تستمر · هذه التجربة الابداعية العبقرية هى ثورة الحجارة التى تدور رحاها على كل البقاع المقدسة من أرض الرسالات فى فلسطين · ورغم أن هذه الثورة هى بالتاكيد ولاول مرة تمثل الكتابة الصحيحة والحقيقية فى القضية الفلسطينية التى مضى على وجودها أربعون عاما ، ورغم أن هذه الثورة جاءت فى الوقت الذى شعرت فيه اسرائيل بهيمنتها ليس فقط على فلسطين ولكن ربما على المنطقة ، ورغم أن طول المدة قد جعل الاسرائيليين ينسون أو يتناسون وجود شعب اسمه الشعب الفلسطينى ، بل وربما تصوروا أن هؤلاء الفلسطينيين فى الارض المحتلة قد نسوا هويتهم وكذلك على الرغم من أن هذه الثورة تكلف اقتصاد اسرائيل الكثير والكثير فهى تحدث بعد أن رتبت اسرائيل أوضاعها الاقتصادية اعتمادا على العمال والعمالة الفلسطينية الرخيصة ، وأيضا على

الرغم من أن هذه الثورة تشمل جميع المناطق المحتلة مما يوضح شمولها وتخطيطها والذكاء فى كل ما يحيط بها ، أقول على الرغم من كل ذلك وهو عظيم ورائع وعبقرى ، فان التجربة الابداعية الفائقة الروعة فيها بدون شك هى فى استخدام الحجارة · فلاول مرة فى تاريخ البشرية والحروب يستخدم شعب بأسره قطعا من الحجارة كأداة للدفاع ضد محتل غشوم بشع ، وتبدو عبقرية استخدام الحجارة فيما يلى ·

أولا : تضاؤل امكانيات الشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة قياسا الى ما تملكه ترسانة اسرائيل العسكرية من معدات ووسائل قمع يبدو الحجر أمامها لا شيء ، ولا شيء على وجه الاطلاق ·

ثانيا : تداخل الاوضاع فى فلسطين ، فالاسرائيليون يحتلون وطنا بأسره وليسوا كالفرنسيين مثلا فى الجزائر حيث كانوا على الرغم من كل شيء محتلين يحكمون باسم فرنسا ويتمركزون فى أماكن بعينها ، أما فى فلسطين فالامر جد مختلف حيث الاسرائيليون قد استوطنوا أرض فلسطين بعد اغتصابها ومنهم أجيال ولدت على أرضها ·

ثالثا : من المؤكد أن أحدا فى العالم لم يتوقع أن يستخدم شعب بكل أطفاله وشيوخه وشبابه ونسائه وكل فرد فيه ، الحجارة كوسيلة وأداة للثورة ، خصوصا وقد كانت دعاية اسرائيل تصوره شعبا قد انتهى ·

رابعا : كان استخدام الحجارة هو الوسيلة الوحيدة التى تسمح لكل أفراد الشعب بما فيهم الاطفال فى جميع الاعمار ، وربما الاطفال بالذات ، بالمشاركة فى الثورة ، بما لذلك من أهمية قصوى ، حيث لا يحتاج أحد الى حمل سلاح فلا أحد لا يعرف كيف يستخدم الحجر ·

خامسا : كان هناك ضمان أكيد لمعين لا ينضب لذلك السلاح الخطير — الحجارة — فى كل مكان على أرض فلسطين فليس ثمة مكان يخلو من حجارة لا فى فلسطين ولا فى غيرها ·

سادسا : أظهرت هذه الثورة باستخدامها الحجارة عجز اسرائيل وأوضحت بجلاء صورتها الحقيقية البشعة والقبيحة والمروعة أمام العالم كله وبلا استثناء حيث يقف الحجر وجها لوجه أمام أعتى الاسلحة ·

سابعا : ان استخدام الحجارة كسلاح للثورة ساعد على استمرارها كل هذه الشهور وسيساعد على استمرارها أيضا فى الشهور القادمة الامر الذى لابد أن يؤتى ثماره ، بل وبدأت بعض ثماره فعلا فى الظهور ·

لكل هذه الاسباب ولغيرها تكون فكرة استخدام الثورة الفلسطينية للحجارة فكرة عبقرية ابداعية بكل المقاييس · ولانها كذلك تحاول اسرائيل بشتى الوسائل والطرق أن تقضى على تلك الثورة الاسطورة بأى ثمن ·

● استنتاجات وملاحظات

ثمة ملاحظات عديدة يمكن استنتاجها من تلك النماذج التى ذكرناها لذلك النوع من الابداع البشرى — يأتى فى مقدمة تلك الاستنتاجات أو الملاحظات أن النماذج السابقة يربط بينها جميعا أن الفكرة الابداعية هى فكرة بسيطة فى حد ذاتها ، بل ربما فى غاية البساطة ، وربما يكون الافراد فى مختلف الشعوب قد مارسوها · فمن منا لا يعرف كيف يلقى حجرا ليصيب فردا أو شيئا اخر ، أو ليستخدمه كوسيلة دفاع ، اذ هو أقرب شيء الى

المرء الاعزل اذا ما هجمت عليه الكلاب والضوارى ؟ ومن منا لا يعرف أن المياه المندفعة بشدة عالية من « خراطيم » المياه يمكنها أن تزيل كومة من التراب ؟ هذه لا شك افكار بسيطة ومعروفة لدى كافة الشعوب ولكن لا تظهر قيمتها الحقيقية الا عن طريقة استخدامها على النطاق الواسع والكبير ، وتوقيت ذلك الاستخدام والنتيجة المرجوة منه · هنا فقط تتحول الفكرة العادية الى فكرة ابداعيه عبقرية · ولذلك نأتى الى ثانى الملاحظات حيث يلاحظ أن الذى ينفذ الفكرة ليس فردا واحدا ولكنه جمع غفير من الناس ، قد يكون جيشا أو فئة أو شريحة من شعب وقد يكون شعبا بأسره ، المهم أن تنفذها الجموع · ويوما ما كانت المقاومة السلبية لشعب الهند بأسره والتى ابتدعها غاندى العظيم سببا فى جلاء المحتل الانجليزى عن الهند ·

يلاحظ كذلك أن هذا النوع من الابداع البشرى تلجأ اليه الشعوب حين تواجه كارثة أو مشكلة تحتاج الى تضافر الجميع · أما الملاحظة الرابعة فهى أن تنفيذ الفكرة يحتاج الى تضافر حقيقى وفعال وخلاق بين القيادة والشعب ، يحتاج الى ايمان كامل بها وتفاعل معها فالذين لا يؤمنون بقضية ما ليس فى مقدورهم القيام بأى انجاز مهما كان لديهم من امكانيات ومهما كان حديثهم ملىء بحسن النوايا وبالكلمات الطيبات · ثمة ملاحظة أو استنتاج أخير ، أن تكون القيادة على درجة عالية من الوعى والمسئولية وأن تكون هى فى المقدمة دائما حتى تحوز رضا الشعب الذى لابد بدوره أن يؤمن بها وبالاهمية القصوى لدوره العظيم · فلو لم يكن هناك قيادة واعية ومهمومة بالشعب فى الصين لما أمكن بحال نجاح أى فكرة من الافكار الابداعية التى جعلت حجم الانتاج الصينى يعادل حجم الانتاج اليابانى (أول السبعينيات) ولكن بينما تستهلك اليابان لكى تصنع حجم انتاجها ٢٤٠ مليون طن سنويا من البترول نجد أن الصين تستهلك سنويا ٢٥ مليون طن فقط من البترول · اذن فالالتحام بين القيادة والشعب هو الذى يحدد تماما نجاح تلك الافكار أو فشلها · وحتى لا نتهم بأننا من أولئك الذين يستخدمون التسميات الواسعة والفضفاضة حين يضعون كلمة قيادة بدلا من حكومة أو حاكم ، نقول اننا استخدمنا الكلمة فى موضعها تماما ، فحين تستطيع حكومة ما أن تقود شعبا لتنفيذ فكرة من تلك الافكار العبقرية يشترك فيها كل أفراده فهى لا شك قيادة وهى لا شك جزء من الشعب · يفترق كثيرا عن مجرد حاكم أو حكومة · وخير دليل على ذلك ما يجرى أمام أعيننا منذ الثامن من ديسمبر ١٩٨٧ وحتى الان على ربى الارض المحتلة فى فلسطين ، وحيث انصهر الكل فى واحد ·

هل هناك ثمة ملاحظة أخرى ؟ نعم هناك حاجتنا الملحة فى العالم العربى ودول العالم الثالث لمثل هذا النوع من الابداع البشرى ولكل ابداع اخر تشترك فيه الجموع وتختصر فيه المسافات بين التخلف والتحضر ، وبين القدرة على الفعل الواعى المثمر الرشيد والعجز الفاضح المميت ، حتى يمكننا أن نحل مشكلاتنا التى لن يحلها غيرنا ، وحتى تكون لنا ارادة فى عالم الارادات الواعية المتصارعة حولنا ومن حولنا ، وحتى نساهم فى ركب التقدم الذى يغمر كوكبنا ، وحتى نستعيد دورنا الفاعل والعظيم ·

مشكلات الشباب

بقلم: الشيخ جاد الحق على جاد الحق
شيخ الأزهر

من هم الشباب :
انهم أصحاب مرحلة من العمر تمتاز بوفرة النشاط وقوة الجسد وسعة الأمل والطموح ·
هم : دون تعرض لتحديد السن ومتاهات بحوثه ـ قوة لا تعدلها قوة فى اثراء الحياة بالخير والنهوض بالمجتمع · · ·

● الشباب فى كل جيل موضع الفخار والاعتزاز ومحط الامل والرجاء وقفوا فى الصفوف الاولى فى كل مكان ، خاطروا بأرواحهم على متون الطائرات وبين أمواج البحار فى السفن الغائصات وبجهدهم استخرجت كنوز الارض وقامت النهضة ، وبطموحهم كانت حركات التحرير وصيحات الاستقلال ·

واذا كان للشباب هذه المنزلة وتلك المهام فى حياة الامة كان من المحتم احسان التوجيه فى الرعاية والتربية فى نطاق أحكام القرآن والسنة ·

وحين نتابع أسباب مشكلات الشباب فى عصرنا وانحرافاته نجد أنه يمكن اجمالها فيما يلى :

● الفراغ الدينى وسوء فهم حقيقة الدين والتربية ·

● الانسلاخ من القيم الدينية والاخلاقية ·

● الاستهانة بالوالدين وبالمربين ·

● المفارقة بين الوعى الاخلاقى وبين الوعى الدينى مع ان الاسلام ربط بينهما ·

● الانحراف بالتدين لدى البعض الى الغلو ومحاولة فرض الرأى دون تفرقة بين الدين والتدين ·

● الافكار الوافدة فى صورة عادات أو ثقافات دون القدرة على تمييز ما لا يصلح لمجتمع المسلمين ·

● ضآلة المعارف والمعلومات التى تمكن الشباب من مواجهة الافكار والوقوف على حقيقتها وانحرافاتها .

● سوء وقصور التوجيه الذى يتلقاه الشباب سواء فى المدرسة أو فى نطاق الاسرة أو فى الشارع أو فى وسائل الاعلام المختلفة .

● افتقاد القدوة الرائدة فى كل هذه المواقع .

● سوء فهم الوالدين والمربين لواجباتهم نحو الشباب حيث يقتصر الوالدان على توفير الايواء والغذاء والكساء ، ويكتفى المربون بشرح الدروس واملائها دون التحام بالشباب وتعرف دخائلهم ونصحهم وتوجيههم الى محاسن الاخلاق فى العادات .

● التركيز على الماديات والوصول اليها كمثل أعلى وهدف وحيد فى الحياة الامر الذى صرف الشباب الى هذه الغاية ولم يعد يختار الطريق السوى لتحقيق أهدافه المشروعة ، وانصرف بذلك عن الالتزام بالقيم الدينية والاخلاقية ، باعتبار ان تلك القيم من معوقات حصوله على ما يريد من ملذات وماديات .

● الشعور بالضياع وعدم الانتماء الى انه ذات كيان اجتماعى مترابط لما يبدو للشباب من تناقض بين الاقوال والافعال .

● سوء الفهم للحرية الامر الذى لم يجعل الشباب يستفيد من النصح والتوجيه .

● سوء فهم الحقوق والواجبات وانطباع الشباب على عدم الجدية فى التصرفات نتيجة القصور فى التوعية فى سن مبكرة وملء أوقات الفراغ بالنافع من المشروعات الفردية والجماعية .

● انغلاق الكبار عن الاجيال اللاحقة بهم واقفال باب الحوار وانقطاع الحوار مما أدى الى انفصال الشباب بفكر دينى واجتماعى فى الاغلب غير رشيد .

● قصور منهج التربية الدينية فى كل وسائل التربية مدرسية ومنزلية واعلامية .

فلا يكفى فى هذا المنهج التكليف بحفظ بعض النصوص القرآنية او الاحاديث النبوية دون تعريض بالسلوكيات والاداب والاخلاق — بما يعالج واقع المجتمع ودون المواءمة بين المعلومات وسن المتعلم .

● التثقيف العام — وهو واجب وسائل الاعلام — غير مواكب للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وشرحها وربطها بالدين بتوجيهات صحيحة بسيطة .

● تركيز الكثير من مواد الاعلام على الاثارة واخفاء الاهداف .

● الامراض الاجتماعية واهمال مواجهتها بقدر متفق عليه من العلم والمعلومات ثم التقليد الاعمى للغير دون مراعاة لسمات المجتمع الاسلامى

تلك أهم العناصر التى جنحت بالشباب عن الطريق السوى وفى القرآن والسنة وأحكام الاسلام بوجه عام تصحيح المسار .

بقلم : د . شكري محمد عياد

التعليم والحياة

عندما نقول إن البحث في « فلسفة » التعليم يجب أن يسبق كل بحث في مشكلات التعليم ، لا نعني إلا أن التصور الواضح للمبادىء هو الكفيل بهدايتنا إلى الاختيار الصحيح بين مجالات العمل وطرقه ، وهي كثيرة لا حصر لها ، وفي الإمكان دائما ابتكار الجديد منها . والبحث في المبادىء يعني معرفة ماهو التعليم ، وكثيراً ما تكون معرفة الماهية مرتبطة بمعرفة السبب والغاية . والجواب عن هذه الأسئلة مجتمعة أو متفرقة يعتمد أولا على الملاحظة ، وسبيل الملاحظة هو البدء بالبسيط والانتقال إلى المركب .

● فالتعليم في أبسط صوره يلاحظ في الطيور مثلا . فالطائر يعلم فرخه الطيران عن طريق التقليد ، وبذلك ينقل إليه هذه الخبرة مع أن الفرخ مؤهل بطبيعته لأن يطير . التعليم إذن يساعد الطبيعة ، أو يحول الغريزة في المتعلم من القوة إلى الفعل ، وأبسط صوره هي انتقال الخبرة كما هي من جيل إلى جيل . فسببه قبول الفطرة ، وغايته استمرار الحياة . وكلما تدرجنا في سلم الأحياء وجدنا صور التعليم تزداد تنوعا وتعقيدا ، دون أن تخرج عن هذه الماهية ، أو هذا السبب ، أو هذا الغرض ، وجميعها داخلة في معنى الحياة نفسه .

ومرجع التنوع والتعقيد في عملية التعليم إلى اختلاف مفهوم الحياة سعة وضيقا ، واختلاف ظروف الحياة اختلافا يتجاوز حدود التغير داخل دورة الحياة نفسها (كاختلاف الفصول الذي تتبعه هجرة الطيور مثلا) ومن هنا أرجع الترابطيون قديما ، والسلوكيون حديثا ، عملية التعليم الى انتقال المعرفة والاستجابة من شيء ما الى ملابس له . فأنت تبدأ تعليم القراءة - مثلا - بوضع الكلمة الى جانب الصورة ، ثم تتدرج الى عرض الكلمة بدون الصورة ، واهتم



شخصية الطفل .. وعقله .. هما جناحا عملية التعليم

الجشطالطيون بالتعليم الذى يعتمد على الابتكار ، أى تطوير سلوك سابق ليصبح ملائما لظرف جديد ، وتحدثت الأنثروبولوجيا البنيوية عن عمل "البريكولير" أو المقلفط ، الذى يسبق عمل المخترع ويؤدى الوظيفة نفسها ، فهذه كلها أنواع من التعليم الذاتى الذى ينشأ من الحاجة إلى التأقلم مع ظروف جديدة . ووظيفة المعلم فى هذه الحالة ليست القيام بسلوك معين أمام المتعلم ليحاول هذا تقليده ، ثم ضبط التقليد وإحكامه بقدر المستطاع عن طريق الملاحظة والتنبيه إلى العيوب ، بل هى إعادة تشكيل الظروف أو خلق ظروف جديدة ، مع ايجاد الحافز للتعامل معها من أجل تحقيق غرض حيوى . وعنصر الحافز هو نفسه نوع من « رد الفعل المشروط » الذى يتحدث عنه السلوكيون ، إذ أن ارتباط الفوز بجائزة مثلا (وهو أثر محبوب يشبع نزعة فطرية) بالنجاح فى عمل ما يجعل هذا العمل محبوبا بالتبعية .

هذه أمثلة لأنواع مركبة من التعليم ، وهى لاتتحقق فى اتم صورها إلا لدى الإنسان ، والنوع الثانى منها وهو الابتكار الذى ينتج عن التعليم الذاتى لايجود مطلقا إلا فى الحيوانات الأكثر ذكاء مثل

القرود ، ويقع فيه تفاوت شديد فى الجنس البشرى نفسه فيختلف فى الدرجة والكثرة تبعا لعوامل كثيرة فردية واجتماعية . ولذلك يصح أن يتخذ معيارا لنجاح نظامنا التعليمى . على أننا نخطىء إذا حسبنا أن الابتكار ينظم العملية التعليمية كلها ، أو ينتظمها بدرجة واحدة . فلايزال للتقليد مجال كبير فى العملية التعليمية ، ولاسيما تعليم اللغة فى المراحل الأولى (وإن كان من الثابت أيضا أن الطفل فى تعلمه للغة الأم يقوم بعمليات عقلية راقية ، فهو يستخلص القاعدة ويطردها دون أن يلقن ذلك) ، والطفل يتشرب القيم السلوكية من مجتمعه دون أن يشعر ، من خلال مانسميه القدوة ، والاقتداء نوع من التقليد .

وهكذا تبنى شخصية الطفل من خلال محيطه الاجتماعى الى جانب العملية التعليمية ، ويبنى عقله من خلال العملية التعليمية وحدها (حتى لو تمت فى المنزل) وهذه حقيقة ثانية يجب الا ننساها حتى لانحمل العملية التعليمية فوق طاقتها . وإذا تذكرنا اهمية الحافز لدى المتعلم لنجاح عملية التعلم ، ولاحظنا أن الحوافز اجتماعية فى الجانب الأكبر منها ، وجدنا أن العملية التعليمية - حتى فى جانبها العقلى الصرف - تتأثر بالمحيط الاجتماعى ، ووجب علينا أن نعترف بأن تعثر العملية التعليمية أو قلة جدواها قد لايرجعان الى أخطاء فى العملية التعليمية نفسها بقدر مايرجعان إلى أخطاء خارجية تفرض نفسها عليها وتعوق تقدمها ، على أن ذلك لايجب أن يسلمنا إلى دائرة مفرغة يتعذر معها الإصلاح ، بل يجب أن يدعونا الى تأكيد الوظيفة الاجتماعية للمعلم كفرد ، ومن خلال نقابة المعلمين ، مع ما يستتبعه ذلك من حقوق وواجبات .

● اختلال امور التعليم

هذه هى المبادىء التى ننطلق منها إلى تحديد مجالات التعليم وطرقه ، أى إلى كل مايتعلق بالمراحل التعليمية وأنواع التعليم ماذا نعلم وكيف نعلم . وإذا كنا نرى أن الهدف الأسمى للتعليم العقلى هو تنمية القدرة على الابتكار ، للسيطرة على الظروف المتغيرة ، فإن أول مايجب على نظرية التعليم مراعاته هو أن تكون هى نفسها قادرة على الابتكار لمواجهة ظروفنا الخاصة . اين السبيل الى نظرية تعليمية مبتكرة تشجع على الابتكار ؟ هذا هو السؤال الكبير ، وهو الفيصل فى الحكم على وجود تعليم حقيقى أو عدمه . وبمجرد طرحه يثور فى نفوسنا الشك حول وجود هذا التعليم عندنا ، لا فى الماضى ولا فى الحاضر . إن الذين يتحدثون عن التدهور التعليمى فى الوقت الحاضر قد يخيل إليهم - وإلينا معهم - أننا كنا نملك مؤسسات تعليمية صالحة قبل أن يبدأ التوسع العددى منذ أوائل الخمسينيات . ولكن النظرة المتأملة قد تدعونا إلى مراجعة هذا الحكم . فأولا : لم يكن النظام التعليمى فى ذلك العهد - من المرحلة الجامعية - يشجع كثيرا على الابتكار لقد كانت سمته الغالبة هى حشد اكبر كم ممكن من المعلومات ومطالبة المتعلم بحفظها ، وقلما كان ينمى لديه الرغبة الحقيقية فى المعرفة . وثانيا : إن النظر

الى التغير الحادث فى أحوال التعليم على ضوء ثنائية « الكم والكيف » يخفى عن عيوننا حقيقة أن العملية التعليمية كانت تتم - بيولوجيا واجتماعيا - بصورة ناقصة جدا ، فى الحقول ودكاكين الحرفيين . أى ان الخريطة التعليمية لذلك العهد لم تكن مؤلفة من « تعليم ولا تعليم » بل من تعليم تلقينى أساسا للقلة التى تذهب إلى المدارس والجامعات ، وتعليم عشوائى ، شيطانى ، تقليدى ايضا للكثرة التى تذهب إلى دكاكين الحرفيين أو تبقى فى الحقول ، وهى الخريطة التعليمية النموذجية لمجتمع زراعى تقليدى يربط بين التعليم والمكانة الاجتماعية ولايربط بينه وبين الانتاج .

أما اختلال أمور التعليم فى الوقت الحاضر فلا يختلف عليه اثنان . وما بنا أن نعدد أسباب الشكوى فهى معروفة ، وحسبنا أنها جعلت الكثيرين منا ينظرون إلى الماضى - على مابه من عيوب - وكأنه فردوس مفقود . أما نحن فنقول - جريا على عادتنا من رؤية الخير مطويا فى ثنايا الشر - إن مساوىء التعليم فى الوقت الحاضر لها طبيعة تختلف عما رأيناه قبل الخمسينيات ، فهى مساوىء راجعة الى تضارب الاتجاهات ، واختلاط الرؤية وغموض الأهداف ، أى أنها مساوىء راجعة الى الرغبة فى التغيير ، وليست راجعة إلى الجمود . ومن ثم يمكننا القول إن سوأة كبيرة من سوءات التعليم القديم قد زالت أو هى فى طريقها إلى الزوال ، وأعنى ارتباط المستوى التعليمى بالمنزلة الاجتماعية . إلا أننا إذا قسنا حال التعليم اليوم بالمبادىء التى قدمناها لم يكن لنا بد من الاعتراف بأنه مقصر أشد التقصير فالتعليم اليوم ليس إعدادا للحياة ، أى نوع من الحياة ، بل هو إعداد للبطالة وحسبك أنه أوصلنا إلى هذه النقيضة العجيبة : ان لدينا اليوم ، رغم الزيادة الضخمة فى ارقام التعليم ، كثرة هائلة من العاطلين ، وقلة مزعجة فى العمالة المدربة ! أى أن التعليم بصورته الحاضرة قد حول الرصيد البشرى فى مصر - وهو أعظم ماتملك - عن طريق العمل إلى طريق البطالة وحسبك بهذا خيبة ! .

وإذا قارنا هذا الوضع بالوضع السابق ، الذى كان فيه طفل القرية أو طفل الأحياء الفقيرة من المدينة يتلقى « تعليمه » البدائى التقليدى فى الحقل أو فى دكاكين الحرفيين ، فربما فضل الكثيرون منا الوضع السابق ، فقد أدى زواله إلى اختفاء الفلاح المصرى ، الذى كان مورد ثروة مصر الأول ، وإلى ارتفاع أجور الحرفيين بدرجة غير معقولة . ومن الخطأ أن نعد "الحكومة" مسئولة وحدها عن هذا الوضع ، فالحكومة ليست أكثر وعيا من المجتمع ، والمجتمع لايزال ينظر إلى العمل على أنه ضرب من السخرة ، والى التعليم على انه وسيلة للحصول على « الشهادة » والشهادة هى جواز المرور الى الحياة النظيفة المستقرة فى حضن البيروقراطية . والبيروقراطية تضع العراقيل أمام العمل لتثبت وجودها من ناحية ، ولتحصل على مكاسب لاتستحقها

من ناحية أخرى . حلقة مفرغة ثانية كالحلقة المفرغة بين التعليم والقيم الاجتماعية . وإذا كنا قد رأينا في الاعتراف بالدور الاجتماعى للمعلم مخرجاً من الأولى ، فإننا نرى فى الاتجاه الى المشروعات الصغيرة مخرجا من الثانية . فميزة المشروع الصغير من الناحية الإنسانية - حتى إذا لم تكن له ميزة اقتصادية أخرى - هى وحدة رأس المال والإدارة ، وقلة عدد العاملين ، وقيام العلاقة بين الطرفين على أساس المودة والتعاون غالبا . ومن ثم يكون الحرص على نجاح العمل سبباً فى حب العمل ، وتصبح المشروعات الصغيرة - ولاسيما حين تنتظم فى اتحادات وتعاونيات - نقاط ارتكاز لمحاربة البيروقراطية ، وتغيير القيم الاجتماعية التى تتحكم فى التعليم ، بحيث يصبح التعليم للعمل لا للشهادة ، ويتجه نحو الابتكار أكثر من الحفظ .

● الاستفادة من الطلائع الرائدة

وبوادر هذا التغيير ماثلة أمامنا . ولعل القارىء يسمح لى برواية مثال واحد يوضح ما أريده . حضرت منذ وقت غير بعيد اجتماعا عائليا من تلك الاجتماعات التى لم تعد تقام إلا للأفراح (بالفاء) أو الأقراح (بالقاف) كما يقول إخواننا الجزائريون . وسألت عن الابن الأكبر للقريب المتوفى ، ولم أعرفه إلا بالاسم الذى كانوا يدللونه به ، فإنى لم أره مذ كان طفلاً وإذا أمامى رجل مكتمل الرجولة . سألت عن عمله فقيل لى إنه يملك ورشة نجارة ، وانه بحال حسنة . ثم سألت عن تعليمه فقيل لى انه حصل على بكالوريوس فى الزراعة منذ سنوات قد تبلغ العشر ولكنه رحل الى اليونان - لا أدرى أتأخر عليه خطاب "القوى العاملة" أم لم تعجبه الوظيفة - وهناك التحق بورشة نجارة وأتقن الحرفة ، وعاد عندما جمع من مدخراته مايكفى لبدء مشروع صغير فى بلده .

ولعلك تعرف أمثلة أخرى من هذا النوع هؤلاء هم رواد المجتمع الجديد ، مجتمع العمل ، وأحسبهم سيكونون رواد نظام جديد للتعليم ، صالح لهذا المجتمع الجديد .

فقريبى الشاب هذا نشأ فى القاهرة ، ولم تكن له علاقة بالزراعة إلا رؤية الحقول من بعيد حين يركب القطار . ولكن مكتب التنسيق أدخله كلية الزراعة ، ولما حصل على الشهادة ووجد أنها لاتطعمه خبزاً ، احتسب عند الله ما أنفقه فيها من سنوات غالية ، وأقدم بشجاعة على إصلاح النظام التعليمى فيما يخصه ، وأصبح رجلاً ناجحاً .

ولو كان الىّ وضع نظام للتعليم يستفيد من تجارب هذه الطلائع الرائدة ، ويزيل الهم والكدر عن الأجيال الطالعة ، لجعلت التعليم فى مصر مراحل ثلاثا ، كل مرحلة منها أربع سنوات ، تبدأ فى سن السادسة وتنتهى فى سن الثامنة عشرة ، حين تبدأ الدراسة العليا للصفوة القادرة على الابتكار . وفى ظروف مصر الحاضرة ، حيث تئن الدولة تحت ثقل الميزانية ، ويختلف الخبراء حول حكمة فرض ضرائب جديدة ، وحيث تضيق الفصول (رغم كثافتها) عن استيعاب جميع

الأطفال الذين هم فى سن التعليم الأساسى ، ويهرب من مقاعد الدراسة بصورة مستمرة ما يقرب من عشر الذين يقبلون بالفعل – فى هذه الظروف أرى من الجائز والمقبول أن تنتهى مرحلة التعليم ببعض الأطفال مع انتهاء المرحلة الأولى .

(سيغضب أقوام لهذا الأقتراح الرجعى ، ويلحقونه بالمحاولات المشبوهة لسحب المكاسب الشعبية ، وسيثور آخرون للإنسانية وعام الطفل ، ولكننى اقول لكم ، سيداتى وسادتى ، إننى من امة يحارب أطفالها بالحجارة) .

اقترح أيضا أن تكون المرحلة الأولى مقصورة على تعليم القراءة والكتابة ومبادىء الحساب ، وأن تدرس المعلومات العامة الضرورية فى ثنايا دروس القراءة . أما المرحلة الثانية فيتعلم فيها الصبى أو الصبية حرفة الى جانب التثقيف العام ، وأما المرحلة الثالثة فيستكمل فيها الصبى مهاراته الحرفية ، ويحسن أن يكون « تلميذا عاملاً » فى مزرعة أو ورشة كبيرة أو صغيرة . وتتاح لذوى الاستعداد الفائق خلال المرحلتين الثانية والثالثة متابعة مناهج إضافية خاصة تؤهلهم للالتحاق بالجامعة . ويعمم هذا النظام ولايستثنى منه أحد من بنى مصر وبناتها .

طبعا أنا لا أحلم بجمهورية فرحات تعليمية (مساء الخير يا يوسف إدريس) ولكنه اقتراح أطرحه على شعب مصر ، قبل أن أطرحه على وزارة التربية والتعليم المصرية .

واسمحوا لى أن أقول لكم بصراحة تامة ، إننى أثق بالشعب أكثر مما أثق بالحكومة ، وليس فى هذا تقليل من هيبة الحكومة ولا من دورها . وإنى والله لمشفق على كل من يعمل فى جهاز الحكومة ، ذلك الجهاز المثقل بقيود البيروقراطية الى حد العجز ، الممزق بالمآرب الشخصية حتى اصبح مريضاً بانعكاس المناعة الذاتى

ومرة أخرى أعود إلى ذكر الانتفاضة .

فهذا الغليان الشعبى المستمر قد أمد القضية الفلسطينية بحياة جديدة . لم يعد من الممكن حصر هذه القضية فى المناقشات المغلقة أو المفتوحة ، أصبحت قضية الشعب الفلسطينى هى قضية شعوب الأرض جميعا ، تصرخ طالبة العدالة الدولية . وقد تمنى أعداء فلسطين أن يحدث نوع من الشقاق بين الانتفاضة ومنظمة التحرير ، ولكن الانتفاضة بقيت رحما شعبيا وراء منظمة التحرير وجهودها السياسية

هذا مثل لما يستطيعه الشعب ، كل شعب عربى فى كل ميدان من ميادين الحياة يتطلب تعديل الموازين ، ووراء حكومته عندما تحاصرها القوى الخارجية ، أو تبهظها الأعباء الداخلية . فالشعب يستطيع أن يتحرك بسهولة أكبر .

وقد تحرك الشعب المصرى حركة مباركة فى ميدان التعليم عندما كان الاجانب مسيطرين عليه . فقامت الجمعيات التعليمية الحرة فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن لتعبر عن الشخصية الوطنية وتبث فى النشء روح العزة الوطنية وهذا عصر جديد يقتضى من الشعب المصرى أن يتحرك مرة أخرى فى ميدان التعليم أيضا ليقوم المجتمع المصرى الجديد على دعائم ثابتة من احترام العمل



التنزيه والتشبيه

بقلم: د. محمد عمارة

ولما كانت ايات القرآن الكريم منها المحكم ومنها المتشابه .. ومنها ما تبدو ظواهر دلالاته متعارضة مع ظواهر دلالات آيات أخرى .. كان رد المتشابه الى المحكم .. وتفسير القرآن بالقرآن.. والنظر الى القضية في ضوء مجموع الآيات التي عرضتها ، وليس بالوقوف عند بعض هذه الآيات .. وكان التأويل ، الذي هو : صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى يحتمله ـ وفق ضوابط الشرع واللغة .. كانت تلك جميعها سبلا للنظر العقلي الذي يحقق الاتساق للفكر القرآني ، ويفتح السبل أمام العقل المسلم كي يمد ظلال النصوص المتناهية الى ما لا يتناهى من المستجدات والمستحدثات ..

صحيح أن تيارات الفكر الاسلامي قد عرفت « جمود النصوصيين»، الذين وقفوا ـ ببلادة ! ـ عند ظواهر النصوص ، والذين اتخذوا من أدوات النظر العقلي موقفا عدائيا أو غير ودى .. لكنهم كانوا في مجرى الفكر الاسلامي « الاستثناء ـ الشاذ »وليس « القاعدة ـ العامة » .. وظلت العقلانية الاسلامية تسلك سبل النظر العقلي لتنفي التناقض أو التعارض عن ايات القرآن الكريم .. صنعت العقلانية الاسلامية ذلك في الكثير من القضايا الفكرية .. ومنها قضيتا : التنزيه والتشبيه .. والجبر والاختيار ..

التنزيه .. والتشبيه

ولا يحسبن أحد أن هذا الافق الذى اتسع أمام العقل المسلم، بالتأويل الذى قام على قواعد البلاغة العربية ،انما كان أثرا من آثار ترجمة الفلسفة اليونانية الى العربية ، والتأثيرات التي أحدثتها في فلسفة المسلمين .. فتلك قسمة أصيلة في تراثنا الفلسفي، نمت وتبلورت في مباحثنا الكلامية

● التنزيه : - فى عرف المصطلحات الاسلاميــة - هو المغايرة الكامله والتــامة والمطلقة بين الذات الالهيــة وبين سائر المخـــلوقات والمحدثات .. ووفق عبارة القدماء : فكل ما خطر على بالك فالله ، سبحانه، ليس كذلك ؟ ! .. لانه ((ليس كمثله شيء)) ..

● اما التشبيه : فهــو المذهب المقــابل للتنزيه ، يثبت اصحابه للذات الالهية ما يجعل بينهــــــا وبين المخلوقات والمحدثات شبها، قريبا كان ذلك الشـــبه او بعيدا ، ماديا كان او معنويا - ويدخل فيه المماثلة .. والتجسد .. والحلول .. الى آخر مذاهب التشــبيه التى عرفتها فلسفــــات قديمــة ، تسربت تأثيرات منهـــا الى بعض مــذاهب فلسفة المسلمين ..

قبل ترجمة فلسفة اليونان واستيعابها .. كما أنها قد صيغت فى لغة لا أثر فيها للطابع الذى تميزت به صياغاتنا الفلسفية المتأثرة بمقولات فلاســـفة اليونان ..

فالامام - المعتزلى فى الاصـــول والمذهب الكلامى - الزيدى فى نظرية الامامة - القاسم الرسى (١٦٩ - ٢٤٦هـ ٧٨٥ - ٨٦٠ م) يستقصى فى كتبه ورسائله ، تقريبا ، جميع الظواهر التى توهم تشبيه الذات الالهية بالمخلوقات والمحدثات ، ثم يسلك سبيل البلاغة العربية ، فيــــؤول جميع الآيات المتشابهات لتلحق معانيها وتتــآزر بالاخرى المحكمات ..

فاذا وقفت مدارك المشبهة عنـــد ظاهر نص الآيــة القرآنية (وجـوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) فقالوا برؤية الله جهرة بالابصار يوم القيامة

.. رفض أهل التنزيه ذلك - بلســان القاسم الرسى - منبهين على أن قوانين التأويل العربية تؤول هذه الآية بما يتفق مع الآية المحكمة التى تتحدث عن ذات الله ، سبحانه، تقول : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصــار) .. فالوجوه الناضرة ، هى : المشرقـــة الحسنة .. ومعنى أنها الى ربـــها ناظرة : « منتظرة ثوابه وكرامتــه ورحمته .. هكذا ذلك فى لغــــات العرب ، وبلغاتها ولسانها نزل القرآن. يقولون ، اذا جاء لخصب بعـــد الجدب : قد نظر الله الى خلقــه .. يقولون ، اذا جــاء الخصب بعـــد ليس يعنون أنه كان لا يراهم ثم صار يراهم » .. ومثل ذلك معنى قـــوله سبحانه عن أهل النار : (أولئـــك لا خلاق لهم فى الآخرة ، ولا يكلمهــم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة) .. أى « أنهم لا يرجون من الله ثوابا -» ومثل ذلك معنى « الــــوجه »

فى القرآن الكريم عندما يرد فى حق الله (كل شيء هالك الا وجهه) ·· (ويبقى وجه ربك) ·· فليس المراد ظاهر النص الذى يثبت لله وجها ، حتى يشبه المحدثات ـ تعالىسبحانه عن ذلك ، فهو (ليس كمثله شيء) ـ وانما المراد « اياه ، لا غيره ·· كل شيء هالك الا هو » ·

ومثل ذلك معنى « اليد » فى قوله تعالى : (خلقت بيدى) ·· أى:قدرتى وعلمى ·· ومعنى « المجيء » فىقوله: (وجاء ربك والملك صفا صفا) ··أى جاءت اياته العظام فى مشاهد القيامة ·· وهذا التأويل جار على سنن البلاغة العربية ، فالعرب « تقول : اسلم فلان على يدى فلان ، يريدون : بقوله وأمره ، ويقولون :

● بيد الله عمرنا والفناء ●

يريدون : بالله عمرنا والفناء · ويقولون : نواصينا بيد الله ، ونحن فى قبضة الله ، يريدون بهذا كله : انا فى قدرته وملكه ، ليس يذهبون الى يد كيد الانسان أو غيره من الخلق·· »

وعلى هذا الدرب يسير الامام يحيى ابن الحسين بن القاسم الرسى(٢٤٠ ـ ٤٢٤ هـ ٩٥٢ ـ ١٠٣٣ م) عندما يؤول قول الله سبحانه : (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) بما ينفى التشبيه ويشهدللتنزيه ،مستخدما وسائل البلاغة العربية فى التأويل ، وضاربا الامثال من أساليب العرب فى هذا الميدان ·· « فالعرش هو : الملك ، كما قال : (الله لا اله الا هو رب العرش العظيم) ·· قال الشاعر:

تداركتها عبسا وقد ثل عرشها
وذبيان اذ زلت باقدامها النعل

يقول : انه تهدم عزها وملكها · ومعنى ((ويحمل عرش ربك) يقول : يتقلدون أمر الله ونهيه فى خلقه ، كما قال : (و ليحملن أثقالهم واثقالا مع أثقالهم) ·· يقول : يتقلدون أمورهم، وقال :

حملت أمرا جليلا فاضطلعت به
وقمت فيه بحق الله يا عمرا

يقول : قلدت أمرا جليلا · (فوقهم): يقول : منهم ، قامت « فوق » مقام « من » · (ثمانية) ، يمكن أن تكون ثمانية أصناف ، أو ثمانية الاف ، أو ثمانية أنفس ·· »

كذلك يؤول « الساق » فى قوله تعالى : (يوم يكشف عن ساق) بـ «الشدة» ·· كما قال الشاعر العربى:

قامت بنا الحرب على فشمرنا على

هكذا ·· وعلى هذا النحو أفاض المتكلمون المسلمون فى مباحث « التنزيه » ، متخذين من التأويل،وفق قوانين البلاغة العربية ، سبيلا الىنفى « التشبيه » عن الذات الالهية ، رادين الآيات المتشابهات الى الاخرى المحكمات فى القرآن الكريم ··

● الجبر ·· والاختيار ●

وكما سلك المتكلمون هذا السبيل لاثبات « التوحيد » لله سبحانه ، بالبرهنة على « التنزيه » المنافى « للتشبيه » ·· كذلك استخدموه

لاثبات « العدل » لله سبحانه،بالبرهنة على « اختيار » الانسان وحريته ومسئوليته ، حتى يكون حسابه وجزاؤه عدلا ، فنفوا شبهات «الجور» عن الذات الالهية ، تلك التى يوهم « الجبر » الحاقها بالله ‥ تنزه عن ذلك سبحانه وتعالى ‥

وفى الكتب والرسائل التى صاغ فيها المتكلمون مقولاتهم ومقالاتهم تناثرت التأويلات للآيات المتشابهات التى توهم « جبر » الانسان ونفى الحرية والقدرة والارادة والاستطاعة عنه ، والتى تثبت له فعلا حقيقيا لاعماله التى يأتيها بارادة وتقدير ‥

فعندما يستدل « المجبرة » على « الجبر » بظاهر قول الله سبحانه : (ختم الله على قلوبهم) وبظاهر قوله : (طبع الله عليها بكفرهم)‥ نجد أهل العدل ، القائلين « بالاختيار» يؤولون هذا الظاهر ‥ فيرون هذا « الختم » و « الطبع » « تمثيلا » ‥ فيقولون ـ بلسان الامام يحيى بن الحسين ـ :

« **ان معنى الختم والطبع من الله هو على معنى التمثيل لهم والتقريع** ، واثبات الحجة عليهم وتبيين ضلالتهم لهم ، فيقول سبحانه : ان امتناعكم من فعل الرشيد وقلة قبولكم له ، كمن طبع على قلبه بما منعه من لبه وحرمه من تمييزه ونظره ، وجودة فهمه ‥ فمثلهم فى قلة تفهمهم وانصافهم لعقولهم وتركهم لرشدهم واتباعهم لغيهم بمن طبع على قلبه وختم ، عن التمييز ، على سمعه وبصره ، عن أن تعلم ما يعلمون أو تفهم ما يفهمون من البهائم ‥ ألم تركيف يقول :(أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ‥ »

وفى موطن اخر من المواطن التى توهم فيها « المجبرة » أن ظواهر الآيات القرآنية تشهد « للجبر » ، فقالوا ان الله هو الذى زين للعصاة عصيانهم ، مستشهدين بظاهر الآية : (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينالهم أعمالهم فهم يعمهون) ‥ نجد أهل العدل يتصدون لهم قائلين ان هذا القول القرانى قد جاء على سبيل « المجاز » لا«الحقيقة » ‥ فـ «زينالهم: أى تفضلنا وأمهلنا وأحسنا فى التأنى بكم ورحمنا ، وكذلك تقول العرب لعبيدها ، يقول الرجل لمملوكه ، اذا تركه من العقوبة على ذنب من بعد ذنب وتأنى به وعفى عنه وصفح ليرجع ويصلح فتمادى فى العصيان ولم يشكر من سيده الاحسان ، فيقول له سيده : أنا زينت لك وأطعمتك فيما أنت فيه اذ تركتك وتأنيت بك ولم خذك ولم أعاجلك .

فهذا على مجاز الكلام ، المعروف عند أهل الفصاحة والتمام ‥

وعندما يستشهد « المجبرة » على « الجبر » بقول الله تعالى : (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) ‥ قائلين ان :ان الله هو الذى « جعلهم مكارين ، وقضى به عليهم ، وركبه فيهم » ‥ يرفض أهل

« العدل » هذا الاستدلال ، سالكين للتأويل قواعد البلاغة العربية التى « تنفى لفظا بينما تعنى الايجاب معنى ، أو العكس » .. فيقولون : « ان جعل الله لهم هو خلقه لهم وتصويرهم فى كل قرية كما صور غيرهم .

وأما قوله : (ليمكروا) فانما أراد: لان لا يمكروا ، فطرح « لا » وهو يريدها ، استخفافا لها ، والقرآن عربي ، بلسان العرب نزل ، وهذا تفعله العرب ، تطرح « لا » وهي تريدها ، وتأتي بها وهي لا تريدها ، فيخرج اللفظ بخلاف المعنى ، يخرج اللفظ لفظ نفي وهو ايجاب ، ويخرج لفظ ايجاب وهو معنى نفى ، قال الله عز وجل : (لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم)، فقال : (لئلا) ، فخرج لفظها لفظ نفي ومعناها معنى ايجاب ، فأتى بـ « لا » وهو لا يريدها ، وانما معناها: ليعلم أهل الكتاب ،وقال : (انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين)، فخرج اللفظ لفظ ايجاب ومعناها نفى، يريد سبحانه : لئلا يزدادوا اثما .

وقال الشاعر :

ما زال ذو الخيرات لا يقول
ويصدق القول ولا يحول

فقال : لا يقول ، وانما يريد :يقول، فادخلها - (أى « لا ») - وهو لا يريدها ، ووصل بها كلامه ليتم له بيته استخفافا لها . وقال اخر :

بيوم حدود لا فضحتم أباكم
وحاربتم والخيل يدمى شكيمها

فقال : لا فضحتم أباكم ، وانما يريد : فضحتم ، فأدخلها وهو لا يريدها . وقال اخر :

نزلتم منزل الاضياف منا
فعجلنا القرى أن تشتمونا

فقال : أن تشتمونا ، فخرج لفظها لفظ ايجاب فى قوله : أن تشتمونا ، ومعناها ، أراد : لان لا تشتمونا....

تلك أمثلة قليلة العدد ، اشرنا اليها نماذج لمئات الامثلة التى ساقها المتكلمون فى اثارهم الفكرية شاهدة على استخدامهم أساليب البلاغة وقوانينها لتأويل الآيات المتشابهات واخراجها من الدلالات الظاهرة الى المعانى المحتملة ، نفيا لتناقض القرآن واختلافه ، وردا للمتشابه الى المحكم ، وانتصارا لتوحيد الله سبحانه ، بتنزيهه عن التشبيه والمماثلة والتجسيد والتحيز فى المكان والحلول .. وتسليما بعدله ، جل وعلا، المقتضى تفويض الانسان ، بالارادة الانسانية والاستطاعة البشرية ، فى خلق افعاله حتى يكون حسابه وجزاؤه جزاء وفاقا ..

فاذا قامت هذه النصوص - التى تعمدنا ايرادها كما تورد « الوثائق»! شاهدا على اهمية هذا المبحث القديم وجدارته باهتمام البلاغيين المعاصرين .. واذا أثارت هذه الامثلة شهية الباحثين لمزيد من التنقيب فى هذا الميدان ، تحققت البغية من وراء هذه الصفحات .



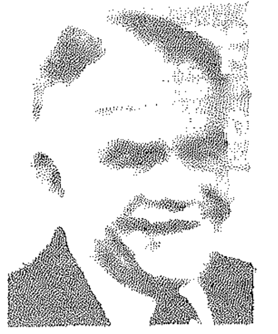
● « لا أستطيع القول أننى مبتهج ازاء سير عملية السـلام فى الشرق الاوسط » .

جورج بوش

● « شعار السلام مقـابل الارض خدعة » .

بوش

اسحق شامير



● « اعرف كتابا لم يقـراوا حتى مؤلفاتهم » .

الصحفى بيار ابوصعب

● « انى مشمئزة ممـا يجرى فى الاراضى التى تحتلها اسرائيل ، واخجل من ان تقف بلدى ـ الولايات المتحدة ـ تساند بالاموال سياسة تقوم على الابادة الجماعية » .

شامير

الروائية الامريكية باتريشياهاى سجنت

● « فى ديمقراطيـه حقيقيه ، يوجد دائمـا من يخسر ، ومن يكسب فى الانتخابات ، هذا اول دروس الديمقراطية .

جورباتشوف

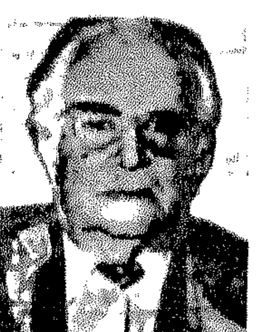
● « لا نجد اليوم مضحيا يسـتطيع ان يدخـل السجن » .

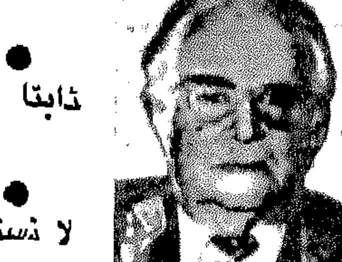
محمد الفيتورى الشاعر السودانى

● « الشىء الوحيد الذى يمكن ان ينقذ البشرية ، ادراكنا اهمالنا للاجيال القادمة » .

اريك اريكون العالم الامريكى

يحيى حقى





● « الحياد ليست برنامجـا ثابتا ، بل محاولة متجددة » .

يحى حقى

● «نادرة تلك الاشـياء التى لا نستطيع ان نحققها فى السينما » .

المخرج الفرنسى جان جاك آنو



« الفرعون والكاهن »

بقلم : صلاح عيسى

لابد ان مؤرخى الأجيال القادمة سيحتارون طويلا إذا ما عن لأحدهم أن يقيم الأدوار التى لعبها « محمد حسنين هيكل » على مسرح الصحافة والسياسة المصرية والعربية إذ المؤكد انهم سيضلون الطريق إلى « هيكل » بين جبال من التفاصيل ، وتلال من الأكاذيب ، ومتاهات من أدوات المكياج ..

● ومشكلة البحث عن « هيكل » أن فصل الذروة فى عمره ، كان مضيئا بشكل يعمى عن الرؤية ... ففى تلك السنوات الثمانى عشرة ـ التى انتهت فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ـ كان « هيكل » ملء السمع والبصر ، لا يغادر الخشبة ، ولا تخطئه أعين المتفرجين .. لا تكف تليفونات مكتبه عن الرنين ، ولا تخلو غرفة سكرتيرته الشهيرة « نوال المحلاوى » من الزائرين:ملوك ورؤساء جمهوريات وساسة ووزراء ومناضلين وسفراء وكتاب ومفكرين وطالبى حاجات . ينتظر بعضهم بالساعات ، بلا ملل ، ولا شكوى ، بل ويمتنعون باختيارهم عن التدخين لانه يضايق « نوال المحلاوى » .

كان باختصار يقف تحت كل أضواء الدنيا ، كما يليق برجل كان يوصف ـ انذاك ـ بانه أقوى رجل فى مصر بل فى الشرق الاوسط . ولعل الوهج الزائد عن الحد ، الذى كان يشع منه وحوله فى تلك السنوات العجيبة ـ هو الذى



جعل أكثر الفصول اضاءة فى عمره ، أكثرها غموضا وأحفلها بالظلال ومناطق العتمـة ·

وليست أصول صنعة التاريخ ، هى وحدها التى ستفرض على هـــؤلاء المؤرخين المساكين العودة الى الفصل التمهيدى الذى سبق دخول « هيكل » الى خشبة المسرح فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهو فصل استغرق عشر سنوات بدأت فى عام ١٩٤٢ ، كان « هيكل » خلالها مجرد صحفى بين صحفيين ، استهل حيـاته الصحفية ـ وهو فى التاسعة عشرة ـ محررا عسكريا فى « الاجبشيان جازيت » ، ثم انتقل منها بعد عامين ، ليعمل فى « آخر ساعه » ·· وبعد عامين اخرين ـ وفى عام ١٩٤٦ ـ يشترى أولاد أمين ـ التوأمان « على » و « مصطفى » ـ المجله من أستاذهما « محمد التابعى » ، فينتقل الثلاثة ـ التابعى واخر تلامذته « و « هيكل » والمجلة ـ الى « دار أخبار اليوم » ، وهناك يستقر « هيكل » صحفيا بين صحفيين ، لا هو أشهرهم ، ولا هو أخملهم ·· لكنه كان بالقطع أذكاهم !

تلك عودة ـ لا مفر منها ـ للماضى ، سيقود المؤرخين اليها ـ فضلا عن اصول الصنعة ـ الامل فى العثور على قبس من نور يضىء عتامة احداث سنوات الذروة ، وهو أمل لابد وأن يقود هؤلاء المؤرخين المتعساء الى فصل الختام ، الذى انطفأت بعده أضواء المسرح ، وأنوار الصالة . ولم يبق سوى تصـــفيق بعض المتفرجين ، وصفيرالاخرين ، وصمت الاغلبية التى عودتها المحن ، أن تداوى بالنسيان كل الجراح !

ومن سوء حظ هؤلاء المؤرخين أن حظ « هيكل » قد دفعه الى المسرح ليلعب البطولتين الاولى والثانية ، فى مسرحية واحدة ، تنتمى لزمن واحـــد ، فكان « الجان بريمييه » فى الصحافة ، و « صديق المشجيع » فى السياسة ·· وما أن أسدل الستار على المسرحيه ، حتى اختلف النـــاس على الزمن ذاته ، فقـــال الكارهون وطالبو الدم شائنين : هذا زمن الرعب النقى ، والقهـــر المصفى ··



وقال الوالهون غراما : بل زمن العظمة التى ام تلسد ولم تولد ·· وفى ضجيج المناظرة ، ضاعت أصوات خافتة ، اغتصب أصحابها نصف ابتسامة ، وذرفوا الدمع من عين واحدة ، وقالوا :

ـ انه زمن عبد الناصر ، آخر الفراعنة الافذاذ ، ذلك الذى كان عظيم المجد والاخطاء ، وليس « هيكل » سوى كاهن تعيس الحظ ، مات فرعونه قبل الأوان ، وتركه وحيدا بين جدران المعبد ، وقد انفض المرنمون ، وهرب المصلون ، وتغير اتجاه طوابير الذين جاءوا يوفون بالنــذور ، ولم يبق سوى الكاهن الاعظم ، يطلق البخور ، ويتلو التعاويذ ، وينشر الوثائق ، ويعد أسانيد الدفاع ·· فسبحان الذى بيده الملك ، يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير !

وهكذا يتعقد الطريق الى « هيكل » وتكثر نخاخه ، وتتداخل الحدود بين معالمه وعوالمه ·· مع أن « هيكل » ـ كظاهرة تاريخية ـ ليس أكثر من تنويع على ثنائية مصرية شهيرة وكثيرة التكرار ، هى ثنائية « الفرعون » و « الكاهن » ·· فهكذا كان حظنا ، أو هكذا كانت عبقرية المكان الذى نحتله على خريطة الدنيا : أن يحكمنا دائما فرعون قد يأتى فيملؤها عدلا ونورا ، أو يأتى فيملؤها ظلمـــا وجورا ، لكنه فى كل الاحوال معبود بقوة القهر أو قوة الحب أو قوة النهر الذى فرض علينا دائما أن نخضع لقوة مركزية جبارة ، تحفظ الاستقرار ، وتنظم تدفق المياه فى ملايين من قنوات الرى التى تخرج منه ، حتى لا يجتاحنا الفيضان أو يقتلنا الجفاف · لذلك كان منطقيا ألا يستغنى « الفرعون » عن « كاهن » يعطى الروح لقوة القهر ، وقوة الحب ، ويبشر ويندر ويزين ويدافع ويهاجم ويحشد المصلين فى بهو المعبد ·

وهكذا كان « عبد الله النديم » كاهن « أحمد عرابى » وترجمانه الى قلوب الناس ، وكان بسيطا كزعيمه ، ومخلصا وسيىء الحظ مثله !

وكان « عباس العقاد » هو الكاتب الجبار للزعيم الجبار « سعد زغلول » ، يدافع عنه ، ويشن الغارات على اعدائه ، ويطــلق نيران قلمه الجبـــار عليهم فتتناثر جثثهم على صفحات الصحف !

وكان « محمد التابعى » هو صحفى « مصطفى النحاس » ، حارب الى جواره بالمانشيت والخبر والمقال القصير والتعليق الساخر ·

وكان « هيكل » ـ كما قال هو نفسه ـ آخر تلامذة « محمد التابعى » ··

وخلال السنوات التى قضاها « هيكل » مع « التـــابعى » ، ثم مع « أولاد أمين » ، كان يراقب بذكائه الشع ، قوانين لعبة « الفرعون » و « الكاهن » ، يدرسها عن قرب ، ويحللها بعمق ، ويحفظها ظهرا عن قلب · وكان « محمد التابعى » قد لقن تلامذته أن الصحفى يمكن أن يكون « صاحب جلالة » حقيقية ، وملكا يمـلك ويحكم ، دون أن يغادر مقعد رئيس التحرير ، لان الصحافة صاحبة جلالة فعلية ، فطالما أن الفرعون لا يستغنى عن الكاهن ، ولا يعيش دونه ، فمن واجب الصحفى أن يرتقى بمهمته ـ ومهنته ـ من مجرد نشر الاخبار الى المشاركة فى صنعها ·· ومن حقه أن يكون طرفا فى تخليق الحدث ، الذى ستقع على عاتقه مهمة تزيينه امام الناس ، أو تفسيره لهم ·· وذلك ما كان يفعله « التابعى » ، المعجبانى ، المفتون بذاته ، الذى يعرف قيمة وتأثير وسحر كهانته ·· فكان يشارك فى تشكيل

الوزارات وفى حل الازمات ، وفى تدبير الانقلابات ٠

وحين انتقل « هيكل » الى « أخبار اليوم » وعرف صاحبيها ـ « على » و « مصطفى أمين » ـ وجد نفسه قريبا الى الجيل السابق عليـــه من تلامذة « التابعى » ، وعاين عن قرب عالم الكهانة ٠٠ وعرف صورة منها فى فتوتها ٠٠ فقد كان « أولاد أمين » هم نجوم ذلك الزمن : يمرحان فى أبهاء القصر الملكى ، ويصادقان الحاشية ، ويتصـــلان بالوزراء ، ويستقبلان السفراء والزعمـــاء ، ويعرفان أسرار المفاوضات ، ويحملان الرسائل بين أبطال المسرحية ، ويطلعان على ما يجرى فى غرف النوم وما يدور بين الفـــراعين من صراع على اللحم والدم والعواطف ، ويطلقان البخور بين أعمدة الهيكل !

وربما يدهش كثيرون ، لان هذا الفصل التمهيدى من عمره قد انتهى ، وهو مجرد عضو منتسب فى نادى الكهانة ٠٠ فانتصرت ثورة يوليو وهو لا يعـرف من فراعين « العهد البائد » سوى اثنين أو ثلاثة من فراعين الدرجة الثانية ، كان بينهم « على الشمسى باشا » و « نجيب الهلالى باشا » ٠ لعله تعفف العاجز المغلوب على أمره ٠٠ ففى تلك السنوات ، كان المعبـــد مزدحما بديناصورات الكهان : أولاد أمين وأولاد ابو الفتح وإدرس نمر وفكرى اباظه وكريم ثابت ٠٠ وكان الصراع محتدما بين ديناصورات الفراعين : الملك فاروق والسفير البريطانى ومصطفى النحاس وأحزاب الاقلية ٠

ولان « هيكل » لم يكن يوما أحمق فانه لم يقتحم الحلبة ليصارع على مرتبة الكاهن الاعظم ، ربما لانه أدرك بواقعيه أنه يكاد يخلو من كل الاســلحة التى تؤهله لخوض الحرب ، فهو لم يولد ـ كاولاد أمين ـ فى بيت « سعد زغلول » ، ولم يتعلم فى جامعة « جورج تاون » و « جامعة شيفلد » كما تعلما ٠٠ ولم تحمله الملكة الوالدة ، وتهشكه ، وهو شرف ناله التوأمان وهما رضـــيعان ، ولم يناله « هيكل » ، فكل مؤهلاته انه ابن أسرة مستورة ، تنتمى للشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى ، وكل شهاداته ، هو دبلوم التجارة المتوسطة ، ودبلوم فى القـــانون والاعلان ، حصل عليه ، بالمراسلة ، من أحد المعاهد الاجنبية ، ودرس سنتين بقسم الدراسات الاقتصادية بمدارس الليسيه الفرنسيه ٠٠ ولعله لم يقتحم الحلبة أيامها ليحصل على مكانة الكاهن الاعظم ٠ لانه أدرك أن عرش الفرعون الاعظم خال ، وكان معنى ذلك أن الصراع الذى يدور على موقع الكاهن الاعظم ، هـو مجرد حماقة ، أما معناه الاعمق ـ طبقا لقوانين التاريخ المصرى ـ فهو أن قمر الزمن قد شك أن يدخل فى المحاق ٠

وقــد كان :

هو قمر الزمن الماضى ليطمره المحاق ٠ وزحف الفراعين الشـــائخون يتوكئون على عكاكيزهم ، وفى معيتهم زحف شـيوخ وشـباب الكهان ، وقبلة الكل هو معبد الفرعون الجديد ، فى تلك المبنى الذى لايزال ـ الى الان ـ يحمل اسم مجلس قيادة الثورة ، وشعار الجميع : مات الملك ٠٠ عاش الضباط الاحرار ٠٠ وبينهم كان « هيكل » أصغرهم سنا ، وأكثرهم ذكاء وطموحا وأبعدهم عن شبهات هؤلاء الضباط الشبان الخشنى الوجوه والملابس والكلمات ٠٠ ولانه كان مجرد عضو منتسب فى نادى كهان الزمن المنهـــار ، فان الشبهات التى أحاطت بدار « أخبار اليوم » ـ مركز الكهانة الرئيسى للفرعون المخلوع لم تلحقـــه مع أنه كان أحد كواكبها اللامعين ٠ وفى اليوم التالى للثورة ، كان كبيرا الكهنـــة ـ مصطفى وعلى أمين ـ يعتقلان بسبب وشاية لم يتثبت منها أحد ، وكان «هيكل»

[redacted]

محمد حسنين هيكل

يذهب في صحبة الاستاذ « التابعي » ليتوسط للافراج عنهما ، ومع أن الميــاه قد عادت الى مجاريها ، وساد الوئام بين الفراعنة الجدد وبين « أخبار اليوم » وكهانها ، فان الشبهات التى أحاطت بالكاهنين الكبيرين ، كانت مؤشرا على أن فراعنة الزمن القادم ، ينظرون بريبة الى كهنة الزمن المنهار ·

سبحانك اللهم ، تولج الليل فى النهار ·· وتولج النهار فى الليل ، وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب !

سقطت معظم الحواجز التى كانت تقف بين « هيكل » وبين عرش الكهانة ، الذى أصبح الان ــ ١٩٥٢ ــ خاليا !

كان الفراعين الجدد أولاد عائلات مستورة مثله ، ولم يكن أحدهم قد نال شرف تهشيك الملكة الوالدة !

وكان الكهنة القدامى قد خرجوا من السباق بعد أن قعد بهم الروماتيزم وقيدتهم الشبهات ، فلم يتحركوا من مكانهم على الخشبة !

وكان الزمن القادم يبحث عن كاهنه وشاعره ومغنيه !

أما المنافسون الحقيقيون ، فقد كانوا الفرسان الذين شاغبوا على الزمن القديم ، وشنوا الغارة ضده ، وكان بينهم ثلاثه على الاقل ، يعرفون كثيرين من أعضاء مجلس قيادة الثورة معرفة وثيقة ، ابان سنوات الاعداد لها ، ويصادقون عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم والاخــرين · لمع من بينهم ــ فى العامين السابقين على الثورة ــ « احسان عبد القدوس » ، صــــاحب معركة الاسلحة الفاسدة ، و « أحمد أبو الفتح » ، بطل معــركة قوانين تقييـــد حرية الصحافة ، و « حلمى سلام » صاحب الحملة على فساد ادارة الجيش !

ذلك سباق لم يكن لهيكل مكان فيه . فقــد قامت الثورة وتقــارير القلم المخصوص ، تقول عنه انه « بلا لون سياسى » · ومع انه قد عمل فى « الاجبشيان جازيت » ــ ذات الصلة التاريخية بدار المندوب السامى البريطانى ــ وفى « آخر ساعة » ــ المجلة الوفدية المتشددة ــ ثم فى « أخبار اليوم » جريدة القصر ، فان دخل هــذه الصحف كلها وخرج منها وقد حافظ على « نقائه السياسى » ، فظل بلا « لون » ! ·

والغريب أن هذا السباق قد انتهى فجأة بعد عامين فقط من قيام الثورة ، فاذا بهيكل ــ الذى لم يشغب على العهد القديم ، ولم يصنف بين الثائرين عليه ، يفوز بمنصب الكاهن الاعظم ، أما « احمــد أبو الفتح » فقــد أغلقت جريدته « المصرى » وهاجر ليعيش فى المنفى عشرين عامــــا ، وتحطمت ذراع وضلوع « احسان عبد القدوس » ابان تلقيه لدروس فى الكهانه فى احدى زنازين السجن الحربى ·· وكان « حلمى سلام » يلهث هناك فى اخر الطابور ، حتى جاء اليوم الذى قادته فيه الرغبة فى الانتصار على « هيكل » الى حماقة سارت بذكرهـــا الركبان !

فى تلك السنة ــ ١٩٥٤ ــ أثبت الفرعين الجدد ، أنهم « أولاد أمون » حقا ، وانهم يفضلون هؤلاء « الذين بلا لون » ، لانهم سيخلقون لونهم الخـــاص من ناحيه ، ولانهم ــ وهذا هو الاهم ــ لا يريدون شغبا يفسد عليهم الاستقرار الذى يريدونه ، ليصنعوا مصر التى يريدون !

وهكذا بدأت سنوات المجد التى كان وهج « هيكل » خلالها يكـــاد يعمى الابصار ، واحتل الفتى الريفى القادم من « باسوس » أقرب مكان الى القمة ·· وتخلق لاول مرة ، وبشكل يكاد يكون مثاليا ، حلم محمد التابعى فى أن يصبح الصحفي صاحب جلالة حقيقية ·· فجلس « هيكل » ـ اخر تلامذته ـ على مقعـد بجوار عرش الفرعون الذى جاء من قرية « بنى مر » ليملأها عدلا ونورا بعدما « ملئت ظلما وجورا » !

لم يحصل « هيكل » على كرسى الكهانة بالصـــدفة ، بل تطبيقـــا لقوانين التاريخ ·· ولان عبد الناصر لم يكن فرعونا تافها فان كاهنه كان مقتدرا وذكيا وموهوبا بالفطرة ، ورث كل علوم الكهانة من عصر « مينا » ، فلم يبدد ما ورثـه ، بل أضاف اليه وطوره ، وعصرنه ·· ولابد أن الذى ساعده على الاتقان ، احساسه الصادق بأن كهانته كانت ـ فى الاغلب الاعم ـ تدافع عن قضايا معظمـــها حق وعدل · وسوف يمضى زمن أطول مما يقدر أكثرنا تفاؤلا ، قبل أن تتكرر ثنائيـة « الفرعون » و « الكاهن » بهذا المستوى الرفيع ، ذلك أن « هيكل » لم يمارس دوره بمنطق الكهنة المأجورين ، بل بروح العشاق المفتونين ، فسخر كل مواهبه فى خدمة الفرعون الذى جاء من هناك حيث الكل فى واحد : يصـــــوغ له الخطب والرسائل ، ويؤلف له كتابا فى الفلسفة وميثاقا فى العمل الوطنى وبيانا فى ٣٠ مارس · ويقرأ عليه الكتب وبرقيات وكالات الانبـــاء ، ويلخص له الصـــحف والاذاعات ، ويسفر بينه وبين ساسة العالم ودبلوماسييه وصحفييه ومناضليه

محمد حسنين هيكل فى احد لقاءاته مع انديرا غاندى



[redacted]

محمد حسنين هيكل



هيكل لم يستطع ان يفعل اكثر مما فعل

وآفاقيه ، ويخرج له قراراته الكبرى ، بشكل يعجز عنه أكثر المخرجين المسرحيين اقتدار . ويكتب عنه وله ، كل أسبوع « ترانيم يوم الجمعة » ، فيزود المريدين بنشيد يترنمون به . وينحت له تلك الكلمات الاسفنجية التى تمتص دموع الكوارث ، وترفع من لعلعة زغاريد الانتصار ، فهو الذى سمى كارثة الانفصال « نكسة » ، وهو الذى أطلق الاسم ذاته على هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وهو صاحب التعبير الشهير الذى نشر على لسان المشير « عبد الحكيم عامر » قبل الكارثة بأيام : نحن نملك أكبر قوة ضاربة ورادعة فى الشرق الاوسط .

ويقبل الليل فلا ينام « هيكل » بل يظل قابعا بجوار التليفون الابيض الذى يصل بينهما ، فاذا رن جرسه الموسيقى .. بدأت مساورة الليل بين الاثنين .. وتواصلت لساعات ، كما يفعل الرومانسيون من العشاق .

ولعل « هيكل » هو الوحيد ممن كانوا حول عبد الناصر ، الذى ظل نجمه يعلو فى اضطراد ، ولعله الوحيد الذى نجا من اثار المعارك الدموية التى كانت تدور فى كواليس القصور وبين مراكز القوى ومديرى المكاتب ، مع أن كل الذين كانوا حول عبد الناصر كانوا يحسدون « هيكل » على مكانته لديه ، ويكرهونه لذلك ، ويرفضون ــ بدرجة من التعالى ــ فكرة أن يكون هذا الصحفى المدنى ، أكثر قربا لعبد الناصر منهم !

وكان ما يرفضونه ، هو أحد أسباب تمسك عبد الناصر بهيكل ، اذ كان أقرب ما يكون لوجه مدنى لثورة ٢٣ يوليو ، أمام الذين لا يستريحون ــ أو لا يثقون فى الانقلابات العسكرية .. ثم انه كان نافذة أرحب على العقلية المدنية

[redacted]

التى تفتقدها الاجهزة الحساسة المعاونة لعبد الناصر · وبهذه العقلية المدنية ، وبقربه من عبد الناصر استطاع « هيكل » أن يوقف كثيرا من المهازل والمظالم والكوارث · واستطاع - وهذا هو الاهم - أن يثبت أن المجتمع المدنى المصرى ، لا يزال قادرا على أن يقوم بحكمة ، ويدبر برشد ، لذلك خاض ببسالة ، معركة تجديد شباب « الاهرام » ، فلم ينجح - خلال فترة رئاسته لتحريرها (١٩٥٧ - ١٩٧٤) - فى وقف خسارتها فحسب ، بل نقلها الى الربح ثم الازدهار ، ورفع توزيعها من مائة ألف نسخة عام ١٩٥٨ الى ٥٢٠ ألف نسخة عام ١٩٧٤ ·

فى تلك السنوات جعل « هيكل » من « الاهرام » أشبه بسفينة نوح ، وحشد فيها ألمع ما فى الوطن من عقول ومواهب وكفاءات واراء ، وأضفى على العاملين بها بعض حصانته ، ومنحهم - على مسئوليته - جانبا من الترخيص الممنوح له ، فعبروا بشىء من الحرية ، وفى أحوال ليست كثيرة عن ارائهم · حتى تحولت الى مركز عصرى للكهانة يزدحم بالعلماء والادباء والمفكرين والفنانين وأصحاب المذاهب ومن كل صنف زوجين اثنين ·

لكنها رغم كل ذلك ، ظلت كسفينة نوح -- جزيرة صغيرة تائهة بين أمواج عالية كالجبال تحاصرها من كل الجهات لان « هيكل » لم يكن يستطيع - فى ظل موازين القوى التى كانت تحيط به ، أن يفعل اكثر مما فعل ، ولعله أيضا لم يكن يريد !

والواقع أن « هيكل » لم يكن يوما من هؤلاء الشبان الطائشين الذين يتوهمون أن الواقع يمكن أن تغيره مظاهرة ، أو تعيد تشكيله خلية ثورية ، وكان هذا احد اسباب بقائه بلا لون سياسى حتى قامت الثورة ، مع ن اللعب بالبالونات السياسية الملونة ، كان الموضة السائدة فى مصر الاربعينيات ·· وبين جيله من الصحفيين والكتاب ·· اذ كان من ذلك النوع الذى يؤمن أن التأثير فى القمة أضمن وأسهل وأكثر ادراكا للهدف ، من الاعتماد على تلك الكتل من الجماهير غير الواعية ، التى لا تعرف ما تريد ، والتى يصعب الاطمئنان اليها ، اما وقد جلس على مقعد الكاهن الاعظم ، وأصبح أقرب ما يكون الى التأثير فى هذه القمة، فقد اكتفى بذلك ·

وبعد أن مات عبد الناصر ، قال « هيكل » أن العلاقة بينهما كانت علاقةحوار مستمر ، لكنه لم يقل أن دائرة الحوار الكهربائية كانت مغلقة عليهما ·· ولعلهما كانا الوحيدين اللذين يتحاوران فى ذلك الزمن البعيد المجيد ! ·

وقد خرج فيما بعد - بنظرية تقول أن عبد الناصر لم يكن فى حاجة الى حزب يعتمد عليه ، وينظم جيوش المريدين الذين تدفقوا بعشرات الملايين الى حضرته ، اذ كان لديه هذا الحزب ، ممثلا فى أجهزة اعلامه القوية التى كانت تقوم بما يقوم به الحزب · وتلك قمة كهانة هيكل ، فالشعوب فى رأيه ، خلقت لتسمع وتقرأ ، لا لتتكلم أو تكتب ، والكاهن هو « حزب » الزعيم أو هو « شعب » الفرعون ·· أما عبارات ومصطلحات ·· مثل « الشعب المعلم » و « الشعب القائد » و « ارادة شعبنا التى هى بالنسبة لى أمر لا يرد » ، التى صاغها « هيكل » والقاها عبد الناصر ، فلم تكن سوى دليل على تفوق « هيكل » فى كتابة الانشاء !



وهكذا تحولت العلاقة بين الفرعون والكاهن الى صداقة عميقة ـ واندماج فعلى .. وكانت الكهانة المقتدرة قد صنعت من الانتصارات التى توالت فى سنوات المد ـ أساطير أحاطت رأس الفرعون بأكاليل الغار . وفى نهاية ذلك الزمن . بدا وكان الفرعون قد دمج نفسه فى الكاهن ، وأن الاثنين قد دمجا الوطن فيهما ، وأن الذى جاء من هناك ، حيث الكل فى واحد ، قد انتهى الى هناك ، حيث الكل ـ أيضا ـ فى واحد !

وكانت النكسة تزحف ـ كالقدر ـ بخطى حثيثة لتهدم المعبد على رءوس الجميع ! .

وجاء اليوم الذى مات فيه عبد الناصر قبل الاوان :

خلا المعبد من الفرعون القوى القادر المعبود . انفض سامر المريدين وصمتت أصوات المرغين ، وبقى الكاهن وحيدا تحيط به عواصف من كراهية كل الذين احفظتهم مكانته من الفرعون الراحل . وفى ذكرى الاربعين لوفاة الفرعون ـ وهى تقليد فرعونى ـ كتب هيكل الشهير « عبد الناصر ليس أسطورة » ، الذى حكم فيه بأن الزعيم الخالد ـ هكذا كان عبد الناصر يسمى رسميا أيامها ـ كان واحدا من البشر ، وليس اسطورة من غيرهم ، وأنه لم يترك معبدا ، ولم يعين للمعبد كهنة ..

وكان المقال واحدا من ذرى كهانة « هيكل » المقتدرة ، أراد أن يضرب به ثلاثة عصافير بحجر واحد ، فينزع من مجموعة « على صبرى » فضلا كانت قد نسبته لنفسها بزعمها أنها تضم تلاميذ عبد الناصر ومريديه والامناء على رسالته، ويرضى السادات الذى كان هذا الزعم فى جانب منه ، يستهدف التقليل من مكانته ، وأخيرا فان المقال ينكر حق الكهانة على غيره ، ليحتفظ به لنفسه !

والواقع أن «هيكل » كان قد أدمن الكهانة ، لذلك راهن على « أنور السادات » رغم أنه كان أكثر الناس علما بأن المسافة شاسعة بين الفرعون والمتفرعن ولم يكن أمامه مفر من أن يفعل ذلك ، فقد كانت عواصف الكراهية التى يحركها على صبرى وجماعته ، توشك أن تقتلعه ، أما السادات، الذى كان ـ طوال عهد عبد الناصر كامنا بين أعواد الذرة كأولاد الليل يتفرج على صراع السلطة ، فلم يكن بينهما ما يدعوه للخوف منه !

وكانت كهانة « هيكل » المدربة ، هى التى اقترحت على السادات ، أن يختار الحريات العامة والشخصية والاعتقالات الكيفية وغير القانونية، موضوعا للصراع مع على صبرى ومجموعته ، الذى تفجر فى مايو ١٩٧١ ، بينما كان السادات يريد أن يعلن السبب الحقيقى للصراع ، وهو سعى المجموعة لمشاركته فى السلطة، ورفضها وشكلها فى محاولاته للتقارب مع أمريكا !

لكن « هيكل » لم يهنأ طويلا بالقرب من السادات ، فقد كان الرجل الذى ظل منزويا ومجهولا وبلا مكانة طوال عهد عبد الناصر، يريد أن يثأر لسنوات الاهمال المتعمد ، التى كان فيها « هيكل » أقوى نفوذا ، وأعلى مكانة منه .. وكان يطمح أن يكون آخر الفراعنة ، ولذلك أراد كهنة لم يرتبطوا فى وجدان الناس بأحد سواه ، وخاصة بعبد الناصر ..



هيكل .. رجل ادمن الكهانة

ورفض « هيكل » بعناد كل محاولات السادات لتطويعه ، أو مساواته بغيره من الكتاب والصحفيين ، أو نقله الى حيث يصبح وزيرا من الوزراء ، أو نائبا لرئيسهم ، أو مستشارا للرئيس ، وأصر على ألا يلعب غير الدور الوحيد الذى عشقه وأتقنه وبرع فيه ، وحفر بسببه ـ اسمه ـ على أحجار التاريخ دور الكاهن !

وجرت فى النهر مياه كثيرة :

فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ وجد هيكل نفسه سجينا فى احدى زنازين سجن الاستقبال . حدث الذى لم يكن أحد يتخيله أو ينتظره أو يتوقعه .. وكان الى جواره مباشرة ، بعض الذين نازعهم ونازعوه سدانة المعبد ، ممن كانوا يسمون بمراكز القوى !

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٨١ ، اعتذر « هيكل » عن الحديث فى احتفال كنا ـ على سبيل التحدى ـ قد قررنا اقامته فى ذكرى وفاة عبد الناصر ، وأخفى وجهه تحت الغطاء ، واندفع فى بكاء ..

وفى ٦ اكتوبر ١٩٨١ ، سمعنا خبر مقتل « السادات » ، ورغم الاوجه المتعددة للخبر ، فقد اختفى هيكل مرة ثانية ليبكى وحيدا فى ظلام الليل ..

وكان صوت جميل يأتى من بعيد يتلو قول الله عز وجل « سبحان الذى بيده الملك ، يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شىء قدير » !



عصر الشعاريز

بقلم: كمال النجمى

فى القرن الثانى الهجرى نجح عبقرى اللغة العربية الخليل بن أحمد فى اكتشاف وتمييز بحور الشعر العربى الخمسة عشر التى هى أصول أوزان الشعر، ومنها تفرعت المجزوءات كلها، على كثرتها، وتوالدت بين أيدى الشعراء حتى وصلت فى عصرنا إلى طريقة شعر التفعيلة باتجاهاته المختلفة ..

وبعد الخليل بن أحمد، جاء الأخفش تلميذ سيبويه، فاكتشف وزنا اعتبره البحر السادس عشر من بحور الشعر، وسماه « المتدارك » .. كأنه تدارك به مافات الخليل بن أحمد، وهو أستاذ سيبويه، أستاذ الأخفش ! ..

وعاشت بحور الشعر الستة عشر، ومن حولها مجزوءاتها، أحقابا طوالا ..

فلما نجمت حركة « التفعيلات » فى عصرنا، حاولت فى أول أمرها أن تكون إضافة إلى الشعر العربى، ثم اقتحم هذه الحركة عدد لايحصى من الراغبين فى قول الشعر، استسهلوا النظم بالتفعيلة الواحدة أو التفعيلتين وهم يجهلون أصول البحور، فأعجزهم هذا الجهل حتى عن إقامة التفعيلة الواحدة، لأنها نغمة مفردة ضمن وزن متكامل، فلايمكن إقامتها إلا من خلال معرفة هذا الوزن المتكامل ـ أو البحر ـ معرفة تامة.

ولا مفر للشاعر التفعيلى من المعرفة الصحيحه والإحاطه التامة بالبحور ، لايشوب معرفته وإحاطته أدنى نقص أو خلل ، وإلا انقلب النظم بالتفعيلة معضلة بين يديه يعييه الإحساس بها ، فضلا عن فهمها ، فضلا عن معرفة أسرارها والتمكن من حلها .. وفى نهاية المطاف تضيع منه التفعيلة كما ضاع البحر ! ..

ولعلى ـ بحكم عملى الصحفى فى النقد الادبى من قديم ـ كنت اول من كتب فى مسألة الأوزان المتكاملة والتفعيلات منذ أربعين عاما تقريبا .. لم يسبقنا أحد ـ فيما نعلم ـ إلى الاتساع فى نقد الشعر التفعيلى شكلا وموضوعا .. ولم يثابر أحد سوانا على هذه الخطة إلى يومنا هذا ، وإن كثر المتكلمون فى هذه القضية ..

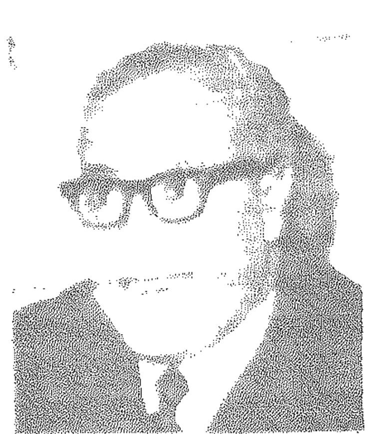
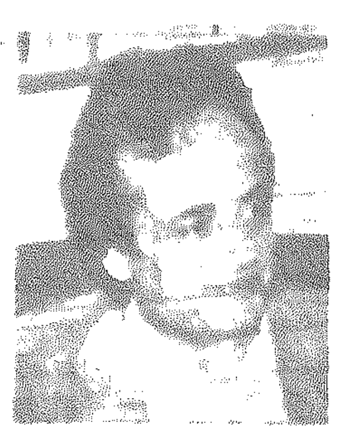
وكنت ـ ومازلت ـ أرى أن الشعر التفعيلى بمختلف إتجاهاته هو إضافة للشعر العربى ، بشرط ألا يكون وجود التفعيلة إلغاء لوجود الشعر المتكامل البحور ، وبشرط أن تتوافر الأسباب للأجيال القادمة من شعراء التفعيلة ، لإقامة صلة وثيقة بالبحور والأوزان ، لاتنقطع أبدا ، لأن انقطاع صلتهم بالبحور يقطع صلتهم بالتفعيلات ، ويحيلهم إلى ناثرين يكتبون سجعا أسخف وابرد من سجع الكهان ، فى قديم الزمان ! ..

ونرى أن التعايش اليوم وغدا بين الشعر المتكامل البحور ، والشعر التفعيلى سوف يمنع انقراض الأوزان كما يمنع انقراض التفعيلة ، ويشبه هذا من بعض وجوهه ماكان قديما من التعايش بين الشعر والموشحات ، فلم تكن الموشحات بديلا للشعر ، وكان الشعر سعيدا بوجود الموشحات ! .

كانت المسألة أيامئذ اختلافا فى الشكل ، وقد انقطع الآن نظم الموشحات وبقى الشعر .. والمسألة هذه المرة أيضا مسألة اختلاف فى الشكل بين لونين من النظم ، مع الفارق الجوهرى فيما كان من خلاف فى الماضى ، وما هو حادث الآن من خلاف هو أقرب إلى التناحر ..

إلا أننا نظن أن شعراءنا سوف يظفرون من خلال نشاطهم الفنى بحل لمشكلة الشكل ، فى سلسلة هادئة من التغيرات والتطورات لاتلغى البحور ولاتلغى التفعيلة .


محمود امين العالم — ادونيس — صلاح عبد الصبور




ولاتمتنع ظهور شكل آخر غير التفعيلات والبحور من داخل توزينات اللغة العربية ..

على أننا نعترف بأن هناك مايشبه الجبهة المتحدة ضد البحور والأوزان بين عدد غير قليل من الشعراء والنقاد .. فماذا يمكن أن يقال عن الأوزان ؟! ..

● لقد بدأ الشعر العربى حياته فى الماضى البعيد بأوزان قليلة ساذجة ، تطورت حتى اكتملت فأصبحت اداة فى ايدى الشعراء للإبداع فى قصائدهم ذات البحور ، واستوى الشعر العربى منذ بضعة عشر قرنا ، فنا ناضجا ، شكلا وموضوعا ، شديد التركيب والتعقيد بالنسبة إلى الفنون الأخرى عند العرب ، فكان وحده ديوان حياتهم ..

وخدمت الأوزان المتكاملة الشعر العربى خلال مراحل متعاقبة طويلة من حياة الأمة العربية ، فهل تعجز الأوزان عن خدمة الشعر العربى فى المرحلة التاريخية الراهنة ؟! ..

إن الأوزان العربية ليست ميراث طبقة عربية واحدة .. فعلى مدى الزمن المديد خدمت هذه الأوزان طبقات المجتمع العربى ، بدون أن تكون سلاحا في يد طبقة دون طبقة ، ذلك أن الأوزان العربية جزء من اللغة العربية ذاتها وهى لغة الأمة كلها ، والعروض هو أحد العلوم الجوهرية فى اللغة العربية .. لايمكن إلغاؤه برأى شاعر ولا رأى ناقد ، ولا رأى جهة ثقافية أو أدبية رسمية ، لأن عوامل التاريخ العميقة التى جعلته جزءا أصيلا جوهريا من اللغة هى وحدها القادرة على فصله عنها ، ولايمكن أن يحدث ذلك ، إلا إذا تمزقت اللغة العربية كاللغة اللاتينية ، لهجات ولغات ، وذهبت كل لهجة ولغة بشعرها ونثرها ! ..

● الحقيقة أن من أخطر أسباب البلبلة فى هذه المسألة أن النقاد سبقوا بتوجيهاتهم النقدية خطوات الشعراء فى الخمسينات ، فسار النقاد فى المقدمة ، والشعراء فى المؤخرة ، وانعقدت بين هؤلاء وهؤلاء علاقة ذيلية ، جعلت الشعر التفعيلى فى نشأته مقودا بأقلام النقاد لا بأقلام الشعراء ، فكان هذا أول أسباب ضعف هذا الشعر وفسولته ، ثم تدهوره وذهاب ريحه !... ولابد الآن من إعادة النظر فى الآراء التى قادته إلى مأزقه الراهن ، وفى مقدمتها آراء الناقد الكبير الأستاذ محمود أمين العالم التى قاد بها الشعر التفعيلى من الخمسينات إلى مطالع السبعينات ، وربما إلى اليوم ! ..

إن الأستاذ العالم من أشد المثقفين المصريين والعرب نقاء وإخلاصا ، وقد ساقه النقاء والاخلاص فى فورة الشباب إلى الظن بأن تحطيم البحور والأوزان هو تحطيم لصنم قديم يقف فى طريق الفكر الجديد ، وكان لظنه هذا مايبرره فى حينه ، ولكن الأيام أثبتت غير ذلك ، فليت الأستاذ الكبير العالم يقول لنا رأيه بعد أن تبدلت الأرض غير الأرض ، وأضاء فى السماء نور جديد ! ..



● ماذا يحدث للشعر العربي إذا انقرض شعراء الأوزان والقوافي ولم يبق إلا شعراء التفعيلة ؟!

رأيي أن ذلك سيؤدي إلى عجز الجيل القادم من التفعيليين عن نظم الشعر موزونا بالتفعيلة ، لأن سليقة الشاعر العربي تقوم على استيعاب الأوزان الشعرية حتى تنطبع فيه كما تنطبع الألحان ذات الأصول الإيقاعية الراسخة .

والبحور المتكاملة هي الأصول التي تغرز (بالزاي لا بالسين) في الشاعر مقدرته العفوية على النظم الموزون بالتفعيلة أو بالبيت ، فلا فرق بين شاعر التفعيلة وشاعر القافية في الحاجة إلى المعرفة التامة بالبحور ، لتتكون فيه مقدرة عميقة الجذور كأنها جزء من طبيعته ، ويسمى عندئذ شاعرا مطبوعا لأنه ينظم بطبعه وعفويته كما يدق قلب الإنسان ..

والتفعيلة بمفردها ـ منفصلة عن البيت ـ عاجزة عن غرز هذا الطبع في الشاعر العربي ، لأنها بمفردها لا تؤلف لحنا شعريا متكاملا ، ولاتتألف منها في السمع نغمة ذات أصول ..

وبدون المعرفة الكاملة بالبحور تتكسر التفعيلة ، لأنها جزء من البحر ، ولا تتم معرفة الشاعر بها إلا بعد معرفته التامة بالبحر الذي تنتمي إليه ..

إن الذين عرفناهم ينظمون بالتفعيلة في الثلاثين عاما الماضية ، فريقان .. أحدهما يعرف البحور الكاملة ويقسمها إلى تفعيلات ، وهؤلاء هم الذين نظموا الشعر في بداية أمرهم متكامل الأوزان ، ثم نظموا بالتفعيلة ، أمثال بدر شاكر السياب في العراق .. وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي في مصر ..

ومهما قيل عن هذا الفريق ، فإنهم من أهل اللغة العربية بلا مراء ، ولهم بالشعر العربي صلة ظاهرة ، ومعرفتهم بالبحور تامة ..

أما الفريق الثاني ، فيتكون ممن نظموا الشعر أول مانظموه تقليدا للشعر التفعيلي الذي ينظمه الفريق الأول فلم تنشأ بين هذا الفريق الثاني وبين الشعر العربي وأوزانه صلة حقيقية ، ولم تدخل في طبائعهم أوزانه المتكاملة التي هي أساس المعرفة بأوزان التفعيلات الجزئية .. وهكذا ثقلت التفعيلة على رأس هذا الفريق فهجرها أو كاد يهجرها ، عجزا عن النهوض بعبئها الثقيل ! ..

ولو مضى الشعراء الجدد ، جيلا بعد جيل ، في هذا الطريق ، لانقطعت جميع العلائق بينهم وبين الأوزان ونعني أوزان التفعيلات فقط ، لأن أوزان البحور مقطوعة أصلا .

وسوف يأتى بعد ذلك أو قبل ذلك جيل من شعراء التفعيلة يجهل أوزان التفعيلات ، ويراها ألغازا وطلاسم لاحل لها ، وكأنها النقوش الهيروغليفية قبل اكتشاف حجر رشيد ..

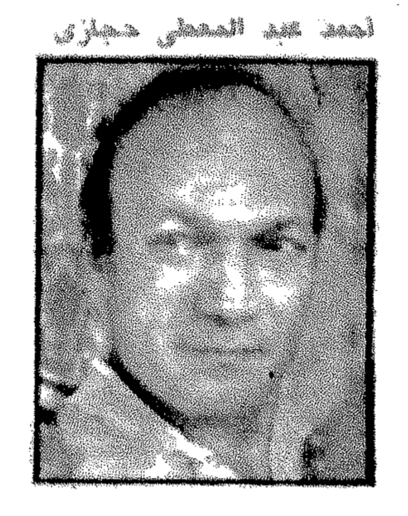
أما موسيقى البحور الشعرية فلن يكون لها أدنى أثر فى أسماع شعراء المستقبل التفعيليين ، وسوف تتساوى وتتشابه لديهم موسيقى البحور الستة عشر ، لأن تمييز الفروق بين هذه البحور ، إنما يجىء بانطباعها فى أعماق طبع الشاعر ، كجزء من موهبته الشعرية ، بعد المرانة والممارسة ! ..

وفى أخر الأمر ، يأتى جيل ممن يتعاطون التفعيلة ، يطالبون بإلغائها ، ويتنادون بعدم ضرورتها ، ويسوقون الأدلة على رجعيتها ووقوفها حائلا دون تطور الشعر العربى ! ..

وسوف تكون النتيجة موت الشعر العربى ، ثم موت اللغة العربية ، لأنها تصبح عندئذ كالديناصور ، كبير الجسم ، قليل الحيلة ، عاجزا عن الحركة ! ..

شعرور مهرج !!

● وهذه النتيجة الجهنمية لايمكن أن تكون هدفا يسعى إليه شاعر عربى أو كاتب عربى أو صحفى عربى أو فلاح عربى أو عامل عربى أو مدرس للأدب عربى ، لأن موت الشعر العربى بإنقطاع أجيال الشعراء الجدد عنه ، وجفاف بحوره الستة عشر ، وتحولها إلى نقوش هيروغليفية .. هذه النتيجة إنما يسعى إليها المستعمرون الجدد كما سعى إليها المستعمرون القدماء ، وهى التى يتحرق إليها الصهيونيون



أحمد عبد المعطي حجازي — بدر شاكر السياب

والشعوبيون وجميع الحاقدين على الأمة العربية ، ومن يريدون تجريدها من شخصيتها ومزاياها القومية .. ولا اظن ان احدا ممن يكتبون بالتفعيلة ويقاطعون الأوزان ، يقصد إلى شيء من هذا ، ماعدا قلة ضئيلة جدا من الشعوبيين والباطنيين أمثال الشعرور المهرج الذى يسمى نفسه « ادونيس » وشرذمة على شاكلته ! ..

● هل ندعو إلى مقاطعة النظم بالتفعيلة ؟ .. كلا ، ولكن ندعو إلى أن يكون اصحابها على دراية تامة بالأوزان الكاملة ، لأن من يجهلها لايمكن ان يعلم شيئا عن التفعيلة ووزنها ! ..

وإذا انطبعت الأوزان ببحورها وتفعيلاتها فى وجدان الشاعر العربى انطبعت معها روح الأداء العربى فى الشعر ، فكانت هى الأساس الذى يستند إليه فى كل تجديد يبتغيه ، وكل إضافة يحاول إضافتها ..

وانه لمن العيب أن يكون شعرنا الجديد طفيليا فى أساسه وطابعه على اشعار الأمم الأجنبية وطريقتها فى الأداء ، إلى حد التقليد القرودى الأعمى ، والنقل الحرفى القمىء ! ..

وقد انقضى زمن التوجيهات النظرية المتسرعة التى كانت تتوهم أن تحطيم الشعر العربى تحطيما تاما ، يفتح طريقا لخطوات متقدمة فى الشعر والأدب .. فقد صارت التفعيلة مطية ذلولا للعدميين والفوضويين والوجوديين والمهرجين والألغازيين والدجالين والجاهلين من جميع الاتجاهات ، واصبح أصحاب الفكر المتقدم أقلية فى بحر هذه الأغلبية ..

إن أربعين سنة من النظم بالتفعيلة قد انجبت ثلاثة أجيال من الناظمين .. كل جيل يجيء أنقص من الجيل السابق له معرفة بالبحور والتفعيلات ..

والعصر الذى نتلقى شعره التفعيلى الآن ، هو فى جملته وغالبيته عصر الشعارير الأدعياء ، ولايبلغ العارفون فيه بوزن التفاعيل مقدار المعشار من عدد الناظمين .. وأما الجيل القادم فلن يعرف شعاريره حتى التفعيلة ـ وسوف يصبحون عبيدا أذلاء للأسجاع البدائية التى يسمونها القصيدة النثرية ! ..

● ملحوظة

ـ الشعارير جمع شعرور وهو من يدعي الشعر ولا صلة له به .. وهو غير الشويعر ، وجمعه شويعرون ، لأن الشويعر هو شاعر صغير الموهبة ، قليل الإجادة ، وهو ارقى منزلة من الشعرور الذى لا موهبة له أصلا ! ..



قراءة جديدة فى كتاب قديم

فى الثقافة المصرية

بقلم: محمد روميش

بعد أربعة وثلاثين عاما ، من صدور الطبعة الاولى ، أصدرت «دار الثقافة الجديدة» الطبعة الثانية من كتاب «فى الثقافة المصرية» للدكتور عبدالعظيم انيس والاستاذ محمود أمين العالم .

والكتاب فى معظمه مجموعة من المقالات ، كتب بعضها فى الصحف المصرية ، وقد كان لهذه المقالات دوى ، تابعناها ـ المقالات ـ آنذاك ، بحماسة لاتقل عن حماسة الكاتبين . كنا نحس ان فكرا جديدا يسعى ان يكون متكاملا ، ويتخذ من الصحف السيارة موقعا ، وما كانت تغيب دلالة ، افتتاحية مقال عبدالعظيم انيس ، وعنوانه ، « من اجل ادب واقعي » حيث يكتب « واقعية فى الأدب .. وواقعية فى الفن .. وواقعية فى السياسة .. وواقعية فى التعليم ..

● هذه هى الصيحات التى فرضت نفسها فى المرحلة الأخيرة ، على الفكر المصرى الحديث ، وحين تضامت المقالات فى كتاب ، كان واحدا من الكتب الاثيرة ، التى نعود اليها ، للوقوف على هذه الفكرة او تلك ، ثم تبينا ان الكتاب حوى مقالا لمناقشة واحدة من الافكار المحورية ، التى عرضها الشاعر والمفكر الانجليزى ت . س . إليوت فى كتابه «ملاحظات نحو تعريف الثقافة» والذى ترجمه ـ بعد ذلك ـ الدكتور شكرى محمد عياد ، ونشرته وزارة الثقافة كما حوى ـ الكتاب ـ عددا من المقالات ، عرض الكاتبان فيها ، منهجهما فى نظرية النقد الادبى ، والذى عادا ، فأسمياه ، فى مقدمة





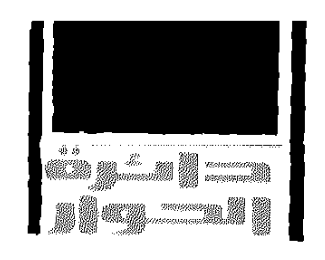


د . عبد العظيم انيس

الطبعة الجديدة «منهج النقد الجدلي» تمييزا له عن المناهج النقدية الأخرى ، والتي كانت ، ومازالت سائدة ، في حياتنا الادبية والاجتماعية والثقافية ، وفي تحديدهما ، لمنهجهما الجديد هذا ، تصاول الكاتبان ، مع اثنين من مفكرينا الكبار ، هما ، طه حسين وعباس العقاد .

ولان الكاتبين ، اذا كانا لم يبدأ منهجهما النقدي الجديد ، من الصفر - حسبما جاء بمقدمة الطبعة الجديدة - فقد كان اجتهاد العقاد ، الذي تجلى في كتاب «الديوان» وفي مقالاته النقدية ، وفي كتاب «شعراء مصر وبيئاتهم» وفي مناداته بنظرية وحدة القصيدة ، رغم ما نسلم به من تحفظات حولها ، كان العقاد ، في هذا كله ، وفي غيره ، لبنة هامة ، سبق اجتهاده ، اجتهاد كتاب «في الثقافة المصرية» .

وكان طبيعيا ، بعد أن أرسى ، الكاتبان ، او كادا ، منهجهما ، ان يضعاه ، موضع التطبيق ، ولقد فعلا ، حيث كتب عبدالعظيم انيس ، عن رواية «ابراهيم الكاتب» لابراهيم عبدالقادر المازني «الهارب من الحياة» كما كتب عن روايات «فضيحة في القاهرة» «خان الخليلي» «بداية ونهاية» «زقاق المدق» لنجيب محفوظ «المعبر عن مأساة الطبقة الوسطى المصرية الصغيرة في المرحلة الثانية للكفاح الوطني ، وهو يحرك نماذجه في إطار هذه الطبقة الاجتماعية ، في حدود فهمه هو ، وهو موقف عام بالنسبة لكل كاتب «ومن الرومانسيين اختار ان يكتب عن محمد عبدالحليم عبدالله «لأنه كاتب جاد ، يحاول ان يلعب دورا في حدود مفاهيمه في اثراء الرواية المصرية .. الا ان ابطاله تجمع بينهم الفجيعة الاجتماعية ، ويربطهم السخط على المجتمع والقيم الاجتماعية .. وينتهون بأن يهزمهم المجتمع ، ومن هنا لا يرفعنا المؤلف الى مستوى جديد من فهم الواقع والاحساس به «ص ١٣٢ / ١٣٣» ومن الأدب الجديد ، اختار عبدالعظيم انيس «الأرض» لعبدالرحمن الشرقاوي «باعتبارها اهم انتاج روائي صدر باسم الكتاب الاحرار - الكتاب صدر في سنة ١٩٥٤ - الذين آثروا ان يعتلوا البرج العاجي .. وان يجعلوا من الجماهير الغفيرة من الشعب مصدرا لالهامهم ، وفنهم ، وان



ينغمسوا فى المعركة الوطنية الديموقراطية ، ويعرفوا للفن دلالته الاجتماعية» ولم تطلق هذه الاحكام فقط من الخارج ، بل تشتق فى أحيان كثيرة من واقع احداث وشخصيات ولغة الأعمال الادبية التى كانت موضع التقييم ، فهو يأخذ على رواية الأرض تقديم مجموعة من الشخصيات فى مستويات متقاربة من ناحية الاهتمام والتجربة ، وهو اتجاه غير سليم ، حيث كل مرحلة تقدم بطلها الثورى».

● فلسفة د. عبدالرحمن بدوى

اما محمود العالم ، فقد ناقش كتيبا صغيرا ، وهو فى حقيقته ملزمة منتزعة من كتاب ، وصفحاتها ـ الملزمة ـ تبدأ من ٢٢٩ الى ٢٤٨ ، وهذه الملزمة مغلفة ، ككتاب وتحمل عنوان «هل يمكن قيام اخلاق وجودية» للدكتور عبدالرحمن بدوى ، والعالم ، لم يكتف بمناقشة ، التساؤل عن إمكان قيام اخلاق وجودية بل إنه تصدى لمجمل فلسفة الدكتور بدوى ، ولعل ماحفز العالم ، الى اختيار الفلسفة الوجودية ، من بين الفلسفات المضادة ما أعلنه عبدالرحمن بدوى "من أنه يريد ان يتخذ من المذهب الوجودى العربى ، فلسفة شاملة لجيلنا فى هذا العصر» والدكتور بدوى الذى يريد ان تكون الفلسفة الوجودية ، فلسفة شاملة ، يقرر فى كتيبه ذاك ، ان الاخلاق تقويم ، والتقويم قياس الى معيار ، والمعيار ذاتى أو موضوعى .. واذا كان ثمة تقويم ، وبالتالى اخلاق ، فيجب ان يكون التقويم موضوعيا ولما كانت الوجودية ، تقوم فى جوهرها ، على اساس فكرة الذات ، المنفردة ، المتوحدة ، المنعزلة ، فالتقويم لابد ان يكون ذاتيا ، والتقويم الذاتى مستحيل فالوجودية ينتفى معها التقويم الموضوعى ، وبالتالى لا يمكن قيام اخلاق وجودية (ص ٢٣٣/٢٣٢) . فى سبيل تعميم هذه النتيجة ، ينتقد بدوى المذاهب الوجودية الأخرى ، ويقرر أن أولئك الفلاسفة الوجوديين يضعون مقدمات لا يأخذون بنتائجها ، وهنا يتدخل العالم ويتساءل ، اذا كان الفلاسفة الوجوديون لا يأخذون بنتائج المقدمات التى يضعونها ، فلم لا تكون المقدمات نفسها خاطئة ، وبذلك تكشف عن فساد نسيج المذاهب الوجودية نفسها . واذا كان هذا المأخذ من داخل الفلسفة الوجودية ، او فلنقل من داخل الفلسفات الوجودية ، فإن المأخذ الآخر ، من خارجها «ففى الايام التى تتجمع فيها شعوب الأرض التى طال أمد استغلالها واستعبادها ، لتضرب الاستعمار العالمى الضربة الأخيرة القاتلة ، تبرز لنا فلسفة فردية

منعزلة لتجعل من نفسها فلسفة شاملة لجيلنا فى هذا العصر ، ولعل المأخذ الثانى صحيح بالنسبة لوجودية عبدالرحمن بدوى ، فكما هو معروف ، فان الفلسفات الوجودية تتعدد بتعدد فلاسفتها .

كتاب "فى الثقافة المصرية" اذن ، يحدد خصومه ، ويخرج الى قتالهم ، فيقدم تعريفه للثقافة ، ويقدم منهجه فى النقد الادبى ، ويضع المنهج ، موضع التطبيق ، فى الراوية وفى الشعر وفى المسرح ، ثم يلتفت الى واحد من التيارات الفلسفية المضادة ، لان راعى هذا التيار فى مصر وفى البلاد العربية ، يريد ان يتخذ فلسفة شاملة ، لهذا الجيل ، ومنهج الكتاب بعامة ، هو الايمان بالحركة والتفاعل ، ورفض السكون والجمود ، ولعل الكتاب ، برفضه الجمود والسكون ، يرفض ان تظل الاوضاع العامة والعلاقات الانتاجية على حالها ، بما لايسمح للتفاعلات بين العوامل المتعددة من قوى الانتاج وغيرها ، ان تحدث التغيير المرجو فى المجتمع المصرى ، وفى المجتمعات العربية عامة ،

كما يذهب المفكر اللبناني حسين مروة . في مقدمة الطبعة الاولى . وكما اختار الكتاب . الفلسفة الوجودية لينازلها ، فقد اختارت . س اليوت ، لينكر عليه ان يتخذ من الدين اساسا مناوبا او كالمناوب للثقافة . واليوت يقصد بالدين ، مجمل الاعتقاد ، سواء كان المعتقد دينا سماويا ، كالدين المسيحي ، في انجلترا خاصة ، واروبا عامة ، او كان الاساس المناوب للثقافة هو دين الوثنيين . اذ ان اليوت ، يعد الصراع داخل شخصية "انتيجونا" في مسرحية سوفوكليس التى عرف باسمها ، صراعا بين التقوى والطاعة المدنية ، او بين الدين والسياسة والمعروف ان الدين في اليونان القديمة ، كان دينا ارضيا ، ويشعر القارىء ، ان الاختيار لم يكن عفويا ، او لمجرد الاختلاف حول تعريف الثقافة ، بل ، لان اليوت ، كمفكر ، حصن ، يجمد الثقافة ويجمد الطبقات ، التي تورث الثقافة ، ويدافع عن النظام الإستعماري ، مما عرضه د . شكرى عياد ، وفي مقدمة ترجمته لكتاب اليوت ، و "الثقافة المصرية" ينكر كل محاولة لاقامة الثقافة على عامل الدين ، او الجغرافيا ، او العرق ، او حتى العامل الاقتصادى ، فالعامل الاقتصادى ، عامل حاسم ، الا انه ليس هو العامل الوحيد ، وحينئذ نلاحظ التماثل ، بين عوامل تطور المجتمعات ، وعوامل تكوين ثقافة هذه المجتمعات ، ولذلك يقوم نفس الاعتراض على تحديد طه حسين للثقافة المصرية ، على اساس العامل الجغرافي ويرى ، كتاب "في الثقافة المصرية" ان الثقافة كتعبير فكري او ادبي او فني او كطريقة خاصة للحياة ، انما هي في الحقيقة ، انعكاس للعمل الاجتماعي الذى يبذله شعب بجميع فئاته وطوائفه ، ومظهر لما يتضمنه هذا العمل الجماعي من علاقات متشابكة وجهود مبذولة واتجاهات (ص ٢٥) فالثقافة اذن لا تقوم على عامل ثابت وحيد وانما هي محصلة تفاعل عوامل متعددة (ص ٢٧) .

ولعل الجهد الاكبر ، الذى بذله الكاتبان ، كان محاولة تحديد العلاقة بين صورة الادب ومضمونه ، وبالذات تحديد المقصود ، بصورة الادب ، وتحديد المقصود ، بمضمونه ، فالدكتور طه حسين ، يرى ان اللغة هي صورة الادب ، وان المعاني هي مضمونه ، مع عنصر ثالث ، وهو عنصر الجمال ، وليكن ـ للامانة ـ واضحا ، ان الكتاب يناقش مقالين ، لطه حسين ، ولا يناقش مجمل الاراء النقدية لطه حسين وبالتالى فالكتاب لايناقش اراء طه حسين الاخرى ، وفي هذا النطاق ، فالكتاب يقرر ان اللغة ، مجرد اداة من ادوات تشكيل صورة الادب ، فإذا كان الحديث مقصورا على اللغة ، فنحن ازاء اسلوب ، كذلك ، فإن المعاني ، احدى ادوات مادة الادب ، ثم يتقدم الكتاب خطوة هامة ، فيعرف صورة الادب ، انها عملية داخلية في قلب العمل الادبى ، لتشكيل مادته ، وابراز مقوماته ، هي حركة متصلة في قلب العمل الادبى ، نتبصر بها في دوائره ، ومحاوره ومنعطفاته ، وننتقل بها داخل العمل الادبى من مستوى تعبيرى الى مستوى تعبيرى ، حتى يتكامل لدينا البناء الادبى كائنا عضويا حيا ، ومادة العمل الادبى احداث وقعت بالفعل وتتحقق داخل العمل الأدبى نفسه ، .. ونحن نتساءل ، اليست صورة الادب ، ما اصطلح على تسميته بالشكل ، واليست مادته ، هى ما عرف بالمضمون ، واننا بذلك امام المشكلة الخالدة .

ولعل هذا ما اتاح للدكتور جابر عصفور ، ان يلاحظ ان تطبيقات هذه النظرية ، نظرية النقد الجدلي ، وان تحدثت عن العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون ، فانها كانت تتحول في التحليل العملي إلى علاقة شبيهة بعلاقة اللفظ والمعنى عند طه حسين "المرايا المتجاورة ـ نقد طه حسين ص ١١١" الا ان



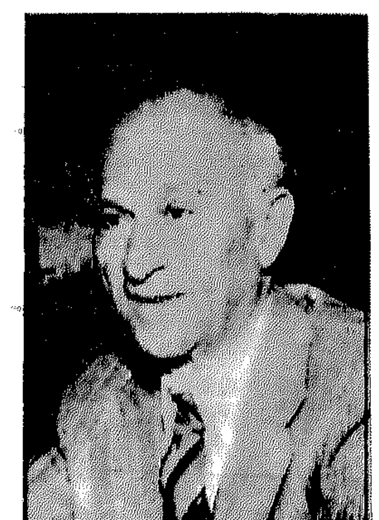
جابر عصفور فى موضوع اخر من كتابه المشار اليه يقرر ان نظرية - خصوم الخمسينيات - وهو الاسم الذى يطلقه على صاحبى كتاب "فى الثقافة المصرية" يقدمان نظاما من التصورات يخالف نظام التصورات النقدية عند طه حسين ، ونقترب من نظرية محددة ، تختلف عن صيغته التوفيقية" "ص ١٠٦" ، اما طه حسين نفسه ، فقد سمى منهج النقد الجدلى ، يونانى لا يقرا ، وسيظل من الاهمية بمكان تفسير ، او شرح ، هذه الكلمات التى تقترب من الغموض ، والتى تقول ان صورة الادب ، عملية داخلية فى قلب العمل الادبى .. وان مادة العمل الادبى احداث ، ونقترب من الكاتبين وهما يقرران ان الادب بناء متراكم ينمو داخليا ، ويصوغ واقعا اجتماعيا ، صياغة متسقة ، ولعل التفسير ، فى ان هذا المنهج النقدى ، يعلى من شان اختيارات المبدع ، سواء كان هذا الاختيار ، واعيا ، او فى غفلة من وعى المبدع ، والاختيارات ذات دلالة ، والمبدع يبنى عمله يختار كلمة كلمة ، وجملة جملة ، وشخصية شخصية ، علاقة وعلاقة ، وكل اختيار له دلالته ، وهكذا فالعمل الادبى ، من الفه الى يائه ، ذو دلالة وبالتالى فإن بناء الجملة والحوار ، اختيار له دلالة ، هل بناء الجملة عربى فصيح ، هل بناؤها عامى ، هل بناؤها يجمع بين الفصيح والعامى ، كل شكل من هذه الاشكال اختيار له دلالته ، والعمل الادبى ينمو ، داخليا ، باضافة الجملة ، الفقرة ، المشهد ، الحوار ، كل هذه اللبنات ذات دلالة ، دلالة على موقف المبدع ، وبتوالى اللبنات ، تتكامل امامنا صورة كاملة ، عن كيف يفكر هذا المبدع ، بماذا يؤمن موقفه من الحياة ، من الناس ، من العلاقات الاجتماعية والانسانية ، بل ان موقفه من الطبيعة ذو دلالة "فالشىء الموجود بشكل مستقل عن وعينا هو المادة ، اما الواقع فيضم جميع التاثيرات المتبادلة العديدة التى يمكن ان يدخل فيها الانسان بقدرته على التجربة والفهم .. وليس الفنان مجرد اداة مرتبطة بجهاز حسى يستطيع ادراك العامل الخارجى ، بل انسانا ينتمى الى عصر معين ، والى طبقة معينة ، وامة بعينها ، وله مزاجه الخاص ، وشخصيته المستقلة ولهذه كلها دورها فى تحديد الاسلوب الذى يرى به ويعانى ويصور المنظر الطبيعى ، "ضرورة الفن ، ارنست فيشر / اسعد حليم / ص ١٣٧"

منهج النقد الجدلى ، يكشف لنا من داخل العمل الادبى ، موقف المبدع ، موقفه من القضايا الاجتماعية والفكرية والسياسية ، موقفه من دور الانسان فى الحياة ، وذلك باستقراء العمل الادبى نفسه ، والمنهج الجدلى بهذا الوضع ، هو توصيف للابداع القائم فعلا ، سواء اتخذ هذا الابداع موقفا اجتماعيا ينمى وعى الانسان بذاته وبالعلاقات وبوضعه داخل الكون ، او على العكس ، يغيب وعى الانسان ، ويسحبه الى الغيبوبة . ولهذا ، فالمنهج الجدلى يضع منهجا جديدا فى النقد الادبى ، وقد ثارت الزوابع من تطبيق هذا المنهج فقد كشف الغطاء عن مدلول العديد من الاعمال الادبية ، التى لا تاخذ بيد الانسان فى مسيرة الوطن والحياة ، لان ما يكتبه الكاتب اختيار ، ونحن نستطيع ان نحدد عن طريق الاختيار - بالاضافة الى اشياء اخرى - موقف الفنان او الكاتب "ضرورة الفن / ص ١٧٢" ولقد وضع الاستاذ العالم هذا المنهج فى التطبيق ، فى عملين كبيرين

ابراهيم المازنى



توفيق الحكيم





د . عبد القادر القط

لوحة بانورامية للشعر المصرى والعربى احيانا ، على امتداد النصف الاول من هذا القرن ، نقد مسرحية "اهل الكهف" لراحلنا العظيم ، توفيق الحكيم ، وسنقتصر فى السطور التالية على مناقشة ، مسرحية "اهل الكهف" بين توفيق الحكيم نفسه ، ومنهج النقد الجدلى ، والمناهج النقدية الاخرى .

فكرة المسرحية بسيطة ، ثلاثة رجال ، من الذين اعتنقوا الدين المسيحى فى اول عهده ، حيث كان يلقى بالمسيحيين الاوائل الى الملاعب العامة ، تفترسهم الاسود ، فروا بدينهم الى كهف ، فاخذتهم سنة من النوم ، امتدت بهم ثلاثمائة سنة ، ثم استيقظوا ليكتشفوا المعجزة ، هم من الناحية العضوية اصحاء ، او بالدقة على الحالة العضوية التى كانوا عليها ، قبل نومتهم الطويلة ، تلك ، ومدار المسرحية ، هل يستطيعون ان يتغلبوا على احساسهم بمرور ثلاثة قرون ، وينصرفوا الى مباشرة حياتهم اليومية ، ام ان العمر الممتد الى ثلاثة قرون ، يشكل حاجزا نفسيا ، او احساسا عقليا يمنعهم من ممارسة حياتهم العادية وبلغة التجريد الفلسفى ، جوهر المسرحية هو ، موقف "الانسان" فى مواجهة "الزمن" ـ ماذا يقول استاذنا توفيق الحكيم نفسه عن فكرة المسرحية حملنى على كتاباتها شىء واحد ، الرغبة فى كتابة ماساة مصرية ، على اساس عصرى .. اساس الماساة المصرية ـ كما اتصورها ـ "الزمن" اساسها ، ذلك النضال الهائل ، بين الانسان والزمن ، عند الاغريق الاساس هو القضاء والقدر ، عند المصريين الاساس ، هو "الزمان والمكان" فى مصر ، الامل فى انتصار الروح على الزمان والمكان ، انما هو "البعث" .. ان مصر كانت تؤمن ايمانا عجيبا بانتصارها على الزمن ، رمز العدم وذلك بالبعث الدائم ، "توفيق الحكيم / تحت شمس الفكر ، سنة ١٩٣٨ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠" ـ اذا رجعنا الى المسرحية ذاتها ، سنقرا هذه الفقرة الملغزة ، على لسان ، مرنوش ، احد الرجال الثلاثة

ـ لافائدة من نزال الزمن . لقد حاربت مصر من قبل الزمن بالشباب . فلم يكن فى مصر تمثال واحد يمثل الشيخوخة .. لكن الزمن قتل مصر ، وهى شابة ، ولا تزال ، ولن تزال الى الأبد . ولن يزال الزمن ، ينزل بها الموت كلما شاء ، وكلما انبغى لها ان تموت «اهل الكهف» / الطبعة الأولى ، مطبعة الاعتماد ١٩٣٣ ص ١٠١ ، ١٠٢» ـــ

ـ اما ، فى المسرحية ، فإن اهل الكهف ،



يعودون الى كهفهم ، ويموتون بين دق الطبول ، ونفخ الابواق ، واصوات التراتيل ، فى طقوس تليق بقديسين .

- ثم يعود توفيق الحكيم الى نفس الفكرة يوضحها ، اذا اعتبرنا مصر الحديثة اليوم في طور الشباب ، له آمال واحلام . من اين ينبع حلمنا واملنا .. من قلب ارضنا .. وان كل شعور مصر ، منذ فجر التاريخ قائم على هذه الكلمة «البعث» .

- توفيق الحكيم - تحت المصباح الأخضر سنة ١٩٣٨ ص ١٣١» - هذا ما قاله توفيق الحكيم ، وهذه هى المسرحية ، وشتان بين القول والتنفيذ بالفن ، فى المسرحية .

- أما طه حسين ، فيستقبل اهل الكهف على انها «حادث ذو خطر لا اقول فى الأدب العربى العصرى وحده ، بل اقول فى الأدب العربى كله .. ويمكن ان يقال انها اغنت الأدب العربى .. وأتاحت له ان يثبت للاداب الأجنبية الحديثة والقديمة «فصول فى الأدب والنقد ص ٩٢ ، ٩٣» .

- كيف قيم ، كتاب «فى الثقافة المصرية» مسرحية اهل الكهف .. ابطال اهل الكهف .. عندما استيقظوا .. افقدهم توفيق الحكيم كل ارتباطاتهم الحية بواقعهم الانسانى الكبير .. لم تعد الحياة عندهم عملية وجهدا ومشاركة .. لم يثر سؤال بينهم حول معركة بناء المسيحية فى طرطوس ، ومصر عندما اخرج توفيق الحكيم هؤلاء الثلاثة من كهفهم ، كانت تعيش انذاك ، لحظات رهيبة من تاريخها القومى .. الحريات مكبوتة .. الصحف مصادرة . الدستور ملغى .. السجون مكتظة .. القتلى والجرحى والاعتقالات والمعارك فى كل مكان كانت الأزمة تطحن فئات الشعب .. وفى هذا الوقت خرج ثلاثة من كهف توفيق الحكيم وسرعان ما عادوا ثانية الى كهفهم .. ولهذا كانت المسرحية من الأدب الرجعى .

- وانت ترى أن هذا النقد يقوم على اساسين ، الأول من داخل العمل الأدبى نفسه ، وقوامه ، ان اهل الكهف الذين فروا بدينهم هربا من الاضطهاد الذى يتعرض له المسيحيون ، لم يقم بينهم تساؤل عما آل اليه امر المسيحية .. فضلا عن ان منطق العودة الى الكهف مفروض على المسرحية ، الثانى ، ان فى عودة اهل الكهف هزيمة امام صراع الحياة الاجتماعية فى مصر ، وكان عليهم ان يكافحوا الاحساس بالزمن ، ويكون مسلكهم هذا عضدا للمصريين ، فى فترة كتابة ونشر المسرحية ، الذين كانوا يكافحون طغيان اسماعيل صدقى ومحمد محمود والاستعمار الانجليزى والملك فؤاد ، وان عودتهم الى الكهف «نكوص ورجعية وتعسف ، ويتفق مع مشاعر الهروب والهزيمة ، ويؤكد فلسفة التخاذل والهروب .. ويدافع عن الغيب واللا معقول ..»

● النقد والارهاب ! !

وقد ذهب الدكتور جابر عصفور الى ان تطبيق هذا المنهج فى النقد الادبى ، ارهاب فى معاملة الكتاب ، قرين نظرة واقعية فى الظاهر ، لكنها غير واقعية فى حقيقة الأمر ، لأنها تخون روح النظرية ، وتشوهها ، وتعرضها عرضا منفرا» المرايا المتجاورة (ص ١١١) . ومثل هذا الاتهام السطحى ، إن دل على شىء ، فإنما يدل على ان الكلمات المرسلة فى الفراغ ، تجد سبيلها الى مراجع الاكاديميين ، دون معاناة التدقيق ، اذ ان نقد الاعمال الادبية فى ضوء الأوضاع الاجتماعية ، والظروف التاريخية ، رغم كل شىء ليس بدعا فى تاريخ النقد الأدبى المصرى . وبالنسبة لمسرحية «اهل الكهف» لتوفيق الحكيم بالذات ، ففى شهر فبراير ١٩٣٤ ، اى قبل عشرين سنة من مقال الاستاذ العالم ، كتب استاذنا يحيى حقى فى مجلة «الحديث» التى كان يصدرها فى «حلب» الاستاذ سامى الكيالى مقالا عن «اهل الكهف»

و «عودة الروح» جاء به بعد تلخيص المسرحية) يسهل الاستنتاج ان مذهب المؤلف هو التصوف ، والسؤال هو ، هل لنزعات التصوف محل فى مصر ؟ انها - اى مصر - فى ميدان قتال مادى يستلزم منها اقصى الجهاد . والشعور بقيمة هذا الشعب المظلوم المردوم فى الطين .. قد يكون التصوف مفهوما فى انجلترا وفرنسا فمن ورائه جيوش .. لكنه غير مفهوم فى مصر . فقصة «اهل الكهف» خطرة على شبابنا ، لأنها تزيغ ابصارهم عن هذه الحقائق» مؤلفات يحيى حقى ، فجر القصة المصرية . ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

- ويتفق الدكتور عبدالقادر القط صراحة مع كتاب «فى الثقافة المصرية» من ان روح الهزيمة واضحة فى المسرحية .. كاشارة المؤلف الى فشل مصر فى مقاومة الزمن ، وان الهزيمة محتومة لالتماس الكاتب موضوعه من المعجزات والاساطير ، وان المؤلف مادام اختار اهل الكهف موضوعا لمسرحيته ، لم يكن يستطيع ان يدعهم يعيشون ، أو ينتصرون على الزمن ، لما فى ذلك من مخالفة صريحة ، لأحداث القصة المعروفة «فى الأدب المصرى» نوفمبر ١٩٥٥ ص ٧٣ .

● ملاحظات

- أمام هذا الكم الهائل من النصوص / الوثائق ، والاراء المتعددة نبدى الملاحظات التالية : -

اولا : توفيق الحكيم قرر شيئا ، وكتب شيئا أخر ، هو بصريح ما كتبه والذى عرضناه تفصيلا ، أراد ان يصور انتصار مصر على الموت ، على الازمات ، اى على مايلم بها من نازلات ، فإذا العمل الأدبى ، الذى اختار موضوعه ، «اهل الكهف» واختار وسيلته الأدبية «الشكل التراجيدى» يصور هزيمة «الانسان» فى مواجهة «الزمن» مما اعطى النقاد الحق فى القول ان المسرحية تصور هزيمة مصر امام ازماتها الاجتماعية والسياسية .

ثانيا ان «منهج النقد الجدلى» الذى طبق على مسرحية «اهل الكهف» لم يبدأ من الصفر فى تاريخ النقد المصرى / العربى ، انما هو مرحلة تخطو بالنقد الأدبى خطوة الى الأمام

ثالثا : ان التقييم الذى اخذ به منهج النقد الجدلى ، يتميز ويمتاز عن التقييمات الأخرى التى اتفقت معه سابقا او لاحقا ، فى انه تطبيق لنظرية عامة ، لها مقولتها فى تعريف الثقافة ، وفى تحديد الفلسفة التى تأخذ بها

- بقى ان نجد التفسير لموقف توفيق الحكيم ، الذى قرر ان يقول ان مصر لا يهزمها الموت ، وانها تنتصر عليه دائما «بالبعث» فإذا به فى العمل الأدبى الذى ابدعه يقول بعكس ما قرره . يقرر يحيى حقى ان توفيق الحكيم وقد التقيا كثيرا بعد مقاله النقدى ، لم يحدثه ابدا ، صراحة ، عن هذا النقد ، الا انه حدث ، وكان الأمر عرضا ، ان قال توفيق الحكيم ، انه يقصد بالمسرحية «لايحق للتراث» ان يحكمنا . التراث الذى يخرج من جوف التاريخ ، ليشاركنا حياتنا ، لا يحق له ذلك ، وعلينا ان ناخذ حياتنا بيدنا ، وان نعيد «التراث» معززا ، مكرما الى .. القبر . وهذا التفسير الذى قال به الحكيم ، لا يجد له سندا من المسرحية او من كتابات الحكيم عن المسرحية ، وقد تقترب من هذا التفسير ، فكرة غريبة ، قال بها الدكتور على الراعى ، فبعد ان ان قرر ان خط الحركة الرئيسية فى المسرحية ، هو بلا شك الخط الفكرى ، الذى يقول ان الزمن يهزم الأفراد ، ولا مفر من ان يهزمهم ، وفى الهامش يعلق على الراعى "هذه فى الواقع هزيمة تقدمية بقدر ما ان الموت ، كما قال برناردشو ، ذات يوم ، هو اختراع تقدمى ، لأنه يطوى الجمود ، ويسلمه الى الفناء ، ويبذر بذور التجدد مع كل ميلاد «توفيق الحكيم» فنان الفكر وفنان الفرجة كتاب الهلال - ص ٤١ / ٤٢» .

- هزيمة اهل الكهف امام الزمن ، هزيمة تقدمية ، يا لها من فكرة غريبة . هل لها



علاقة بما قاله توفيق الحكيم ليحيى حقى من انه اراد ان يقول بعودة اهل الكهف الى كهفهم» ايها التراث لا مكان لك بيننا ، واننا ، بكل اجلال واحترام .. نعيدك .. الى القبر .. على القارىء ان يفكر !! اما نحن فعلينا ان نجد التفسير ، تفسير عجز توفيق الحكيم ، ان يقول من خلال «الفن» ما قاله «بالفكر» اراد ان يقول ان مصر تهزم الزمن ، فقالت المسرحية ، ان الزمن يهزم مصر ، فى راينا ، ونحن نقترب من الدكتور عبدالقادر القط ، ان توفيق الحكيم اختار «الموضوع» وهو انتصار مصر على الموت ، ثم اختار «الشكل» وهو «الشكل التراجيدى» ليتبدى فيه الموضوع الذى اختاره وقد اخذ موضوعه من التاريخ المصرى ومن احساسه العظيم بمصريته ، فى مواجهة التبعية العثمانية ولباسها الدينى الذى كانت ترتديه ، بل فى مواجهة الانتماء العربى نفسه ، ثم اختار «الشكل» الاغريقى ، تراجيديات الانسان الذى يصارع القدر ، او يصارع الالهة ، والتراجيديا الاغريقية تلائم الموضوع الاغريقى هزيمة الانسان فى صراعه ضد القدر او الالهة ، والا لما قامت تراجيديا اساسا ، فلو ان «اوديب» لم يتمرد على القدر ، واستكان الى نبوءة عراف معبد دلف ، وبقى حيث كان ، لما قتل اباه ، ولما بنى بأمه ، لكنه عرف النبوءة التى قررتها الالهة ، فقرر ان يهرب من تنفيذ النبوءة ، وفى هروبه ، قتل اباه ، وتزوج امه ولو انه لم يتمرد ، ولم يصارع النبوءة ، لما تحققت النبوءة ، ولما قامت التراجيديا ، «فالشكل» الاغريقى «التراجيديا» يناسب «الموضوع» اما «الموضوع» المصرى وهو ان مصر تهزم الموت بالبعث فلا يناسبه الشكل الاغريقى ، وهذا تطبيق فريد ، لاهمية «الشكل» الذى يجب ان يتبدى فيه الموضوع ، لقد عاند «الشكل» الفنان ، وهزمه ، ولو ان اهل الكهف ، تغلبوا على احساسهم بالزمن ، وساحوا فى الأرض ، كل منهم يقيم حياته الحديثة ، لما كنا امام ماساة ، وانما نكون امام قصة يومية بسيطة ، قصة تعليمية ، تدعونا الى الانتصار على الواقع ، والى مقاومة الظلم ، وهذا هو الشكل الذى اختاره نعمان عاشور وتلاميذه والذى لاءم اختيار الموضوع من الناس العاديين .

- الابداع اختيار ، اختيار فى الصورة اواختيار فى المادة ، ويتحدد موقف المبدع من اختياره ، سواء اختار بشكل واع ، او فى غيبة من وعيه ، ومناهج النقد الأدبى ، تحاسب الفنان على اختياره ، وقد حاسب كتاب "فى الثقافة المصرية" توفيق الحكيم كما حاسبه نقاد آخرون ، وما قال به المؤلفان فى مقدمة الطبعة الجديدة من ان الجوهر الفكرى للكتاب لا يزال صحيحا من الناحية النظرية العامة الخالصة ، ومن حيث الدلالة الاجتماعية العامة ، للعمل الادبى ، ومن حيث العلاقة العضوية بين الصياغة والمضمون ، وهو قول صحيح ، ونحن مع المؤلفين فى قولهما ان العناية بالدلالة الاجتماعية والوطنية للعمل الادبى تغلبت على العناية بالقيمة الجمالية .. وحسب هذا الكتاب المنهج النظرية ، انه ادى رسالته وقت ان صدر اول مرة ، وحسبه ايضا - ان رسالته الثقافية والاجتماعية والادبية مازالت ممتدة .. لقد لاقت الطبعة الاولى مناخا ملائما هو تحقيق الاستقلال وتمصير الاقتصاد المصرى وتاميم الاحتكار وقاعدة صناعية ، وجيل من الكتاب عرف بجيل الستينيات الا ان الطبعة الجديدة تصدر ، وقدرها معاكس تماما ، ومن هنا فالحاجة الى الكتاب اشد .



● كلمة « العقيدة » .. اصطلاح دينى وسياسى وعسكرى فيقال اعتقد الرجل عقيدة دينية أو سياسية أو عسكرية ، ونحو ذلك ، وللكلمة استعمال آخر ، يقول الجاحظ : « اجعل محاسبة نفسك صناعة تعتقدها ، وتفقد حالاتك عقدة ترجع إليها » .. ويقال : اعتقد الرجل اموالا ، اى اقتنى اموالا .. وكل ما يعتقده المرء من مال وعقار فهو « عقدة » له ، أو « عقيدة » ! .. وبين الاصطلاح والكلمة بون كبير ، والأصل واحد ! ..

● يخطىء بعض المتحدثين في كلمة « المنة » بكسر الميم ، وجمعها « منن » فينطقونها بضم الميم ، وإنما « المنة » بالضم هى « القوة » .. أما بالكسر فمن معانيها « النعمة » .. قال الشاعر حافظ ابراهيم يصف مظاهرة نسائية فى ثورة ١٩١٩ تصدى لها العسكر فخافت النساء وتفرقن :

فتضعضع النسوان « م »
والنسوانُ ليس لهن مُنَّةُ

والمنة هنا بالضم .. والمعنى : ليس لهن قوة ! ..

● إذا استفهمت عن تكوين شىء قلت : مم يتكون هذا الشىء ؟ ! وإذا سألت متحدثا قلت له : عم تتحدث ؟ ..

وبعضهم يمد الميم فى « مم » و « عم » فيجعلهما « مما » و « عما » .. مع أن المد لايجىء عند الاستفهام ، غير أن إثبات الف « ما » الاستفهامية المسبوقة بحرف جر ، لغة من اللغات وإن كانت قليلة ، وبها قرأ بعض قدماء القراء : « عما يتساءلون » فى قوله تعالى : « عم يتساءلون » .. وقال حسان بن ثابت :

« علاما » قام يشتمنى لئيم
كخنزير تمرغ فى رماد ؟ !

والأصل « علام يشتمنى ؟ » .. فمدها حسان ، ونظنه مدها للوزن لا لتلك اللغة القليلة !

فى ذكرى مرور ١٠٠ سنة على ميلاده

طه حسين والهلال

د. مصطفى عبد الغنى

كان بين طه حسين وبين أصحاب (الهلال) أكثر من هذه العلاقة التى جمعتها العمل فى مجال واحد ، كما كان بينه وبين مجلة (الهلال) ، خاصة أكثر من هذه العلاقة بين كاتب وبين المجلة التى يؤثرها على غيرها .

أما ما بينه وبين أصحاب الهلال فقد تبدى فى شىء كثير من الود الذى يقترب من النفوس فيحولها الى أرواح عذبة مؤتلفة وهو ما ظهر فى أكثر من مرة : فقد قام ، عن طيب خاطر ، بنقد كتاب أميل زيدان (قادة الفكر البشرى) ـ فبراير ١٩٢٥ ، وهو ما فعله فى شىء أكثر من الرضا مع فكرى أباظة حين أهداه كتابه (الضاحك الباكى) مؤكدا فى صحيفة الوادى أن ما يفعله الان بمثابة « اديبا يجامل اديبا » ، وحديثا يعرف للحق صديقه » بل بلغ من تقدير طه حسين لفكرى أباظة أن راح ـ أثناء تجميع بعض مقالاته فى الجزء الثالث من حديث الاربعاء ـ يحرص أن يتضمن هذا الجزء تلك المقالة ، وهو ما فعله بشكل ما مع عديد من أصحاب الدار وكتابها ومن أظهرهم جورجى زيدان حين كتب عنه فى بداية الستينيات فى شىء شديد من الرضا (الادب ١ / ١٩٦٣) .

أما الهلال ـ المجلة ـ فقد خصها بكثير من مقالاته فى الثلاثينيات والاربعينيات والى وقت قريب قبل رحيله ، غير أن الاربعينيات كانت أكثر الاعوام لفتا للنظر فى علاقة طه حسين بهذه المجلة ، وهو ما يعود

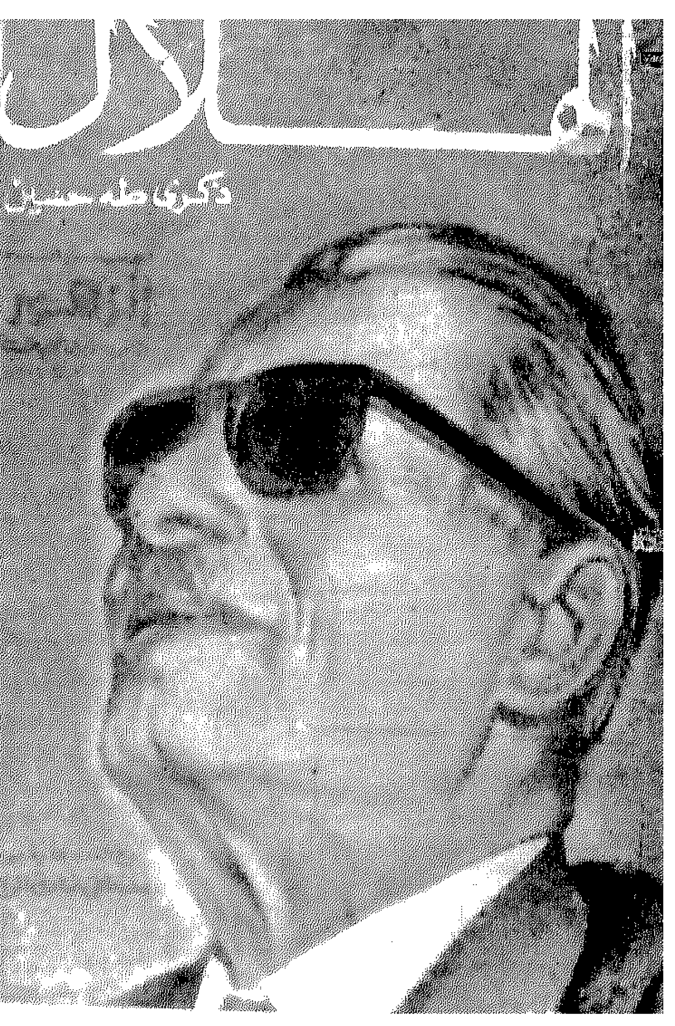
الاوقراطية) التى كان يسعى دائما السيطرة بها على كل شيء ·

ولنتوقف ، اكثر ، عند صور من استبداد القصر قبل أن نصل الى الازمة التى أثارها على أثر بعض مقالات طه حسين ·

● هيمنة القصر

عقب الحرب العالمية الثانية تزايد نفوذ القصر في الوقت الذى كان ينحسر فيه نفوذ الانجليز ،ومن ثم ، فبعد ان كانت مقاليد الحكم فى يد قوى الاحتلال فى العشرينيات تنحت الان لتخلى الامر للملك الذى حاول الاستحواذ على مساحات نفوذ كبيرة من خلالها · ودارس تاريخ هذه الفترة يلحظ كيف ان الملك كان يهتبل الفرصة - أية فرصة - للسيطرة على كل شيء الحركات القضائية من فصل وتعيين ، حركات المديريين ، ومن اليهم من وزراء الداخلية خاصة ممن يحتاج الامر بشأنهم الى صدور مرسوم ·

وهذا يفسر كيف أن رجلا قويا مثل اسماعيل صدقى فى وزارته الثالثة (١٩٤٦ - ١٩٤٨) راح يمالىء الملك ويطامن من غضبه ويحقق رغباته غير المشروعة ، وعلى سبيل المثال ، فان صدقى لم يحرك ساكنا لسعى الملك ، فى كل مرة،فى الطريق المضاد للحياة النيابية وزيادة سلطته ، حتى أن سياسيا ومثقفا كبيرا مثل د · محمد حسين هيكل اكد فى (مذكراته) انه قد أصبحت وزارات كاملة تتبع القصر بتعيين « شبه رسمى » (انظر الجزء الثانى) ، كما أن حسن يوسف نائب الديوان الملكى يذكر الكثير من صور ولع الملك بفرض سيطرته على كل ما من شانه أن يقوى قبضته الاستبدادية على أجهزة الحكم وتنظيماته التشريعية (انظر : القصر ودوره فى السياسة



الى طبيعة هذه الاحداث التى كانت تمر بها مصر فى هذه الحقبة ·

واذا أردنا أن نختار عاما حافلا بالنسبة لطه حسين وللهلال ، فسوف يكون عام ١٩٤٧ أكثر هذه الاعوام لفتا للنظر ، ففى هذا العام كانت مصر مازالت تعانى من القهرين السياسى والاجتماعى عقب الحرب العالمية الثانية ، خاصة ، وأن وباء الكوليرا كان يهاجم مصر هجوما عنيفا فى وقت كان الانجليز مازالوا يماطلون فى الاستقلال التام ، وكانوا يراوغون للحصول على حلف يكونون فيه الطرف القوى ، غير أن أكثر هذه الاخطار حينئذ تمثلت فى سلطة الملك

طه حسين والهلال

المصرية ١٩٨٢) · كما أن مراجعة وثائق عابدين تؤكد لنا فى كثير من المواضيع أن الملك ما كان يترك كبيرة أو صغيرة الا ويتدخل فيها ·

وبدهى انه كلما كانت ارادة الحكومة ضعيفة زادت شهوة الملك للسيطرة والاستحواذ على مساحات شاسعة من المناصب والاجهزة الرسمية ·

فاين كان طه حسين من هذا كله ؟

وبشكل أدق : ما هو موقف طه حسين من القصر ؟

● بين الصمت والرمز

فى هذه الفترة تحدد موقف طه حسين ـ حسب انتمائه للوفد ـ فى أمرين :

ـ اما محاولة ارضاء الملك

ـ واما محاولة ارضاء الحزب

غير انه حاول ان يرتبط بموقف الوفد الذى كان آخذا ـ حينئذ ـ فى الاقبال على الملك ، وهو موقف تأرجح بين الصمت مرة والرمز مرة أخرى ، ولان طه حسين كان متمردا بطبيعته فقد بدا ارتباطه بالموقف الاخير ـ الرمز ـ اكثر من سواه ·

وقد تغير موقف طه حسين فى اكثر من مرة فى عقد الاربعينيات ، غير أن موقفه الاخير وارتباطه بالقصر تمخض عن عدة خيارات تالية لم تختلف كثيرا عن سابقتها ·

كان عليه أن يواجه الملك وفى الوقت نفسه يهادنه ··

وتحددت الاستجابات : الصمت ، التردد ، الرمز ·

وتحددت فى ثلاث طرق :

● اما مهادنة الملك ، ومن ثم ، التزم الصمت ·

● واما موقف التردد ومن ثم اثر أن يرسل اليه كتبه فى بعض الاحيان، فيلتزم بعدم اعلان موقف محدد منه ·

● واما بتصنع الرمز وتلمس الرمز والتلغيز ·

والعودة الى مراجعة هذه المواقف فى ضوء (ديناميكية) المثقف فسوف نرى أن مهادنة الملك تبلورت الى مصانعته ، ولم يتردد أن يمارس هذا خلال القاء اكثر من خطبة اضطر اليها ، فوقف ليمدح الملك أو أباه فى مناسبة عقد القران الملكى والعيد الفضى لجامعة الملك فؤاد وافتتاح معهد الصحراء ·· الخ ·

ويمضى فى هذا السياق ما تشير اليه بعض وثائق دار الوثائق المصرية من أن طه حسين أرسل باكثر من اهداء لكتبه الى الملك وراح يبادله ـ الرد ـ بالفعل ـ ·

أما عن استخدام الرمز والتلغيز ، فقد زخرت به مقالات هذه الفترة وبعض الكتب التى كان قد نشرها ـ منذ البداية ـ متفرقة ·

وقد كانت هذه هى الفترة التى زخر فيها كتاب جديد فى فن (الا بيجراما) وهو (جنة الشوك) عام ١٩٤٥ بكثير من الرمز ضد الملك ، كذلك واصل ذلك الاتجاه فى كتب أخرى من أمثال : مراة الضمير الحديث ـ ١٩٤٨ ، وبين بين ١٩٥٢ ، والمعذبون فى الارض ١٩٤٩ ، وروايته الناقصة ما وراء النهر وفولتير : زاديج والقدر ١٩٤٧ وبعض المقالات الاخرى التى أعاد نشرها فى كتاب (الوان) ·

غير أن كتابات مجلة (الهلال) كانت اكثر هذه الكتابات التى تحث على الرمز، وتدفع الى الغضب وتدعو اليه ·

● دور الهلال

ويبدو أن هذه الكتابات التىنشرت فى الهلال كانت من القوة بحيث أنطه حسين راح يجمعها فى نفس العـام ليضمها فى كتاب واحد ينشر تحـت عنوان (نفوس للبيع) أو ـ عنـوان ثال ـ مرآة الضمير الحديث ·

وهنا نصل الى طبيعة كتابات طـه حسين ضد القصر ·

وقد يكون من المفيد أن نشـير ـ كذلك ـ انه ليس الضغط الشـعبى ، وحده ـ كان دافعا لطه حسين ليتخـذ هذا الموقف ، وانما كانت ظـروفه الخاصة أيضا تدفعه الى مثل هـذه (التقية) التى كان يضطر اليـها ، فمنذ عام ١٩٤٤ (بعد اقالـة وزارة الوفد) وجد طه حسين نفسه مقالا ، وبعد ان كان مستشارا فنيا بـوزارة المعارف أصبح الان لا يعمـل فى أى منصب رسمى ، وبقيت له الكتـابة ، وقدر كبير من الذكاء والوعى ليمارس بهما دوره هنا ·

فلنعد الى مقـالاته التى نشرت فى (الهلال) ونشرت فى كتاب حينئذ ·

اننا فى هذا الكتاب نسـتطيع أن نرصد صورا كثيرة من الرمز المباشر ضد القصر ، وهى درجة وصلت حـن الكشف والمباشرة حتى دفعت بالملكالى الثورة ضده ، ثم يحول هذه الثـورة الى غضب يصبه صبا على أصـحاب الهلال ·

ومع أنهذه المقالات تذخر بالحديث عن الفقر والشقاء والوباء والالـم الانسانى ، فان مقالاته التى نشـرت خاصة بالهلال بعنوان (قلب مغلق) فى فبراير ١٩٤٧ تعد من أهم هـذه المقالات قاطبة فأضاف بها الى كـل هذه المعانى الرمز الذى حاول مـن خلاله النيل من القصر ومحاولة الحد من سلطاته المطلقة فى وقت يغلق فيه الملك على قلبه ـ حصنه كل الدروب

وقبل أن نصل الى موقف الملك من موقف طه حسين حينئذ ، قد يكون من المفيد أن نشير ، الان، الى أهم ماجاء فى هذه المقالة (قلب مغلق) لتـدرك السبب الذىمن أجله وصل القصر فيه الى درجة عالية من الغضب ·

● الحصن : القلب

كان أول ما يلاحظ فى عدد الـهلال الذى نشرت به هذه المقالة انه كـان ذا غلاف أحمر ، وتماوجت فيهدرجات اللون الاخضر وقد توسطته صـورة الملك فاروق،وهو يرتدى الزى العربى، وتحت الصورة التى تغطى مسـاحة الغلاف كله هذه العبارة (فاروق الملك العربى ـ بمناسبة المهرجان السـابع والعشرين لميلاده السعيد) ، وحيـن نقلب فى العدد نجد مقالة طه حسين تبدأ ببنط كبير وبفقرة ذات بنط أكبـر قليلا من البنط العادى للمقـالة ، والعبارة تقول :

« ان حصنك يا سيدى ليس الاقليك المقفل الذى لا تصل اليه رحمة حيـن يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفـق حين يحتاج الناس الى الرفق » ·

وتتوالى سطور المقالة الساخطة فى شىء من الهدوء المصطنع ، الملغـز فى شىء من المباشرة الشديدة ، وتتـوالى السطور فى ضمير المخاطب ، حيـث يتجه الحديث بشكل مباشر الى المـلك (لا تغضب ، فلم أرد الى اغضابك ، ولو قد أردت اليه لما اسـتطعته ولا قدرت عليه) ·

ولان الكاتب يعلم أن المخـاطب ـ الملك لا يهمه من أمره شيئا ، فـان الكاتب يؤثر أن يتجه الى الشعبليبثه ما يحس به ، انه يتجه اليه وكـأنه يوجه خطابه الى الناس حتى يكشفوا هذه الاستار البالية والتى لا تـزال تحجب شيئا من ضوء الحقيقة ،يقول:

« فما ينبغى أن يظل الناس منامرك

طه حسين والهلال

في هذه الحيرة المتصلة، يرونك واحدا منهم ويقدرون انك متضامن معهم في حمل أثقال الحياة والنهوض بأعبائها ، حتى اذا جد الجد ،افتقدوك فلم يجدوك ، واذا أنت سراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا ، ووجد عنده الحزن واليأس وخيبة الامل وكذب الرجاء .. و .. أنت شريكهم في العيش الرضى والحياة المقبلة ، وأنت أبعد الناس عنهم حين يغلظ العيش ، ويعظم البأس ، وتدبر الحياة . تسرع اليهم حين ينعمون لتشارك في نعيمهم .. الخ » .

وينتقل طه حسين من هذا كله الى حصنه أو قلبه ، سيان ، وهو حصن (أو قلب) مغلق عن أوجاع الناس وهمومهم ، يضيف :

« ان حصنك هذا المؤشب يا سيدي، ليس الا قلبك المقفل الذي لا ينفذ اليه شعور بالتضامن أو حاجةالى التعاون، والذي لا تصل اليه رحمة حين يحتاج الناس الى الرحمة ، ولا رفق حين يحتاج الناس الى الرفق ، ولا رثاء حين يحتاج الناس الى الرثاء .. انه قلب قد صور من صخر مجوف..الخ»

وبعد أن يسهب طه حسين طويلا في هذه المقالة ، واصفا قلبه بأنه رشيق أنيق « قفل من ذهب نضار » ومن ثم فانه لا يرى أبعد منه ، ولا يسمح بمغادرته قط ، ولن يسمح له برؤية الاحداث الآتية ، فمهما يكن من حظه من الجمال والصلابة فانه :

« لن يستطيع أن يقاوم الاحداث ، ولا أن يثبت للخطوب ، ولا أن يحتفظ بهذا القفل الذهبي المرصع .. »



د . طه حسين

جورجي زيدان

ومن هنا ، فان طه حسين يكون صريحا غاية الصراحة حين يحذر محدثه بما سوف تأتي به الايام بما فيها من حوادث وخطوب ، لنستمع الى حدس طه حسين مرة أخرى :

« ان الحوادث والخطوب تعبث بالقلوب مهما تكن قسوتها ومهما تكن أقفالها . وان ساعة من الدهر ستأتي على هذه القلوب الصلبة الصلدة المصمتة القاسية فتذيبها ، أو تحيلها هباء تذروه الرياح » .

ثم يصيح طه حسين محذرا منهذه الساعة الاتية لا محالة :

« هذه الساعة آتية عليك وعلىقلبك فذاهبة بك وبقلبك الى حيث يذهب الناس ثم لا يرجعون .. (و) ..

صدقني أن من الخير الكثير لك ولغيرك أن تصدع قلبك قبل أن تصدعه الاحداث ، وأن تفتح قلبك قبلأن تفتحه الخطوب ، وان تشعر من حولك من الناس بأنك تجد بعض ما يجدون ، وتعتقد مثل ما يعتقدون ، انك مثلهم قد خلقتمن تراب وستعود الىالتراب. وان الذين يستوون قبل أن يدخلوا الحياة ويستوون بعد أن يخرجوا من

الحياة ليسوا فى حاجة الى أن يتمايز بعضهم من بعض ، ويبغى بعضهم على بعض ، فى هذه الطريق القصيرة التى يسلكونها بين المهود واللحود » .

ويعجب المرء من هذا التلغيز الواضح لدى طه حسين ، أو هذا الوضوح فى الرمز فى هذه السنوات التى سبقت ثورة ١٩٥٢ ، فلم تكن هذه السطور الا تحذيرا للملك من هذا المصير التعس الذى لاقاه بعد ذلك بسنوات قليلة .

● بين الهلال وطه حسين

وتنتهى مقالة طه حسين ، ويبدأ غضب القصر، اذ سرعان ما تبدأ وفود القصر تصل الى دار الهلال ، غاضبة عاصفة بكل ما من شأنه أن يدافع عن صاحب المقالة ، فقد فطن الملك لما اراد أن يقوله طه حسين ، وهو وان بدا فى شكل غامض ، فان غموضه كان كفيلا بتحريك الافهام لدى شعب يئن تحت سطوة الملك وأجهزته الفاسدة .

ولدينا اكثر من رواية رد فعل لدى أصحاب الهلال فى هذا الوقت (على سبيل المثال فقد عاد طه حسين الى الحادثة لاكثر من مرة مع د . محمد الدسوقى فى كتابه عنه ، ومع الاستاذ سامح كريم فى حواره معه لمجلة الاذاعة والذى نشر فيما بعد) ..

وتفصيل ذلك كله أن أصحاب الهلال وجدوا أن الازمة التى نشبت حينئذ بين الملك والمجلة تعود الى طه حسين ، ومن ثم ، رأوا أن غضبة القصر لابد أن تواجه بالحكمة ،ومن هنا توجه اثنان من أصحاب دار الهلال فى هذا الوقت وهما اميل زيدان وفكرى أباظة الى حيث يقطن طه حسين ليقابلاه ، فلما تم اللقاء ، قال اصحاب الهلال لطه حسين فى وضوح شديد :

– أن السراى فهمت ان الملك هو المقصود فى المقال فقال طه حسين فى مراوغة :

– ليس فى المقال تعريض بالملك ولا أعنيه بما كتبت وتشير كثير من المصادر الحية الى أن طه حسين كان كلما تذكر هذا الحديث ، صمت قليلا قبل أن يقول – فجأة – كأنه نسى شيئا :

– الله يشهد اننى عندما كتبت المقال لم أفكر فى احد الا فى الملك . ولم اقصد أحدا سوى ذاته الملكية التى لا تمس !

على أية، حال فان رسالة الملك الى أصحاب دار الهلال كانت واضحة وصريحة :

(يجب الا يكتب طه حسين أو يستكتب قط فى دار الهلال) ، ورغم أن أصحاب الدار أبلغاه بهذه الرغبة رغم وجود عقد بين الكاتب والمجلة ، فانه يبدو ان أيا منهما لم يلتزم بذلك، اذ سرعان ما نعثر فى العدد التالى مباشرة (مارس ١٩٤٧) على مقالة أخرى عليها توقيع طه حسين تحمل عنوان (من بعيد) تحوم حول أفكار العميد من بعيد ، وان كانت تقترب من الرمز والاشارة الصريحة كشأنه فى هذه الفترة ..

ولم تمض سنوات الاربعينيات حتى كانت الخمسينيات تحمل تحقيق نذير طه حسين ، اذ سرعان ما قامت ثورة ١٩٥٢ ، وأجبرت هذا القلب الذى (صور من صخر صلب صلد مصمت على أن يفتح وتذهب به الرياح .

ولم يكن طه حسين الا واحدا من هؤلاء الذين أسهموا فى صنع هذه الرياح وافساح المناخ لها حتى تعصف بمثل هذه القلب الفاسد وهذه القلوب الفاسدة حينئذ ، وما اكثرها .

من ذخائر
الكتب العربية

السيرة الذاتية للمؤيد في الدين داعي الدعاة

تفاصيل عن مرحلة الخفاء وماحفلت به من الاثارة والغرابة

بقلم : مصطفى نبيل

كتب هذه السيرة المؤيد لدين الله داعى الدعاة ، فى القرن الخامس الهجرى ، قدم خلالها حياة احد دعاة الفاطميين أتباع المذهب الاسماعيلى ، وتتناول السيرة مرحلة تاريخية تزخر بالإثارة والغموض ، خاصة ، وانه فى عصرنا الراهن تعيش الطبقات الجيولوجية التاريخية جنبا الى جنب ، وتقف أفكار القرون الوسطى مع افكار القرن العشرين .

وليست هذه السيرة مجرد تاريخ ، فهى ترد بالوقائع على أولئك الذين يدعون إلى صب الحاضر والمستقبل فى قوالب الماضى ، ظنا منهم أن هذه القوالب هى الدين ، بينما الإسهام الضرورى فى طريق المستقبل يكون بالمعرفة والوعى بحقيقة تيارات الماضى .

منارة مسجد الحاكم بأمر الله

من ذخائر الكتب العربية

أول مايدعو اليه المذهب الاسماعيلى ، الذى كان سائدا فى مصر فى العصر الفاطمى ، هو الستر « الكتمان » فكيف يكتب داعى الدعاة سيرته الذاتية ، والى اى مدى يفصح عن أسرار الدعوة وتنظيم الدعاة ؟! .

إن قراءة سيرة المؤيد فى سياقها التاريخى تفصح عن الكثير من الحقائق والأسرار ، لذلك استمرت فى طى الكتمان كجزء من ستر علومهم وأسرار مذهبهم ، ومازالت أشد الكتب سترا عند البهرة ورثة المذهب الفاطمى قلم يقصد المؤيد من كتابتها العلم أو التاريخ ، بقدر تحقيق غاية محددة ، وليس للبعد الشخصى سوى مجال ضيق ، فلم تتناول طفولته أو أفراد عائلته أو أصدقاءه أو شيوخه ، ولم تكن نقطة البداية فى كتابة سيرته التعبير عن إدراكه لأبعاد الحياة من حوله ، بل شرع فيها سنة ٤٢٩ هـ ، لكى يشرح العلاقة بينه وبين السلطان كاليجار البويهى فى إمارة شيراز ، ومن يومها وهو يسجل الأحداث التى تعرض له ، وتصل إلى نهايتها بعد نجاحه فى اقتحام مقر الخلافة العباسية والدعاء للخليفة الفاطمى على منابر مساجد بغداد .

وتتعرض هذه السيرة الى الحياة السياسية فى مصر ، وما أحاطها من مؤامرات .

وحقق وقدم هذه السيرة الدكتور محمد كامل حسين وتمكن من الحصول عليها رغم حرص أبناء المذهب الاسماعيلى على إخفاء كتبهم ، وتعتبر هذه السيرة من أوائل السير الذاتية فى التراث العربى .

فقد ظل الغموض والإثارة يحيطان بالمذهب وبالفرق الكثيرة التى خرجت من عباءته ، والتى يكاد بعضها أن يكون مثل الأحاجى والألغاز التى تبحث عن من يكشفها ، مما جذب اهتمام عدد من الدارسين ، ومن هؤلاء إيفانوف وبرتولد الروسيان ، وبرنارد لويس البريطانى ، وفلهوزن الألمانى وغيرهم ..

نشأ وترعرع صاحب السيرة هبة الله ابن موسى بن داود فى شيراز حوالى سنة ٣٩٠ هـ ، وكان والده أحد دعاة المذهب الفاطمى ، وتدرج فى مراتب الدعوة حتى اصبح حجة فارس ، وصل إلى أعلى مراتب الدعوة ، فأصبح داعى الدعاة وحجة الامام سنة ٤٥٠ هـ ، ونفاه الوزير عبد الله بن يحيى من مصر ، فرحل الى القدس ثم عاد الى مصر مرة أخرى ، واستضافه فى بيته ملك ابن مالك قاضى الصليحيين فى اليمن مدة خمس سنوات ، تتلمذ خلالها القاضى على يديه وأخذ أسرار الدعوة منه ، وأصبح المؤيد أستاذا للدعوة فى اليمن .

ووصول المؤيد إلى تلك المرتبة التى لم يصل اليها فى تاريخ الاسماعيلية سوى عدد قليل من الدعاة ، يزيد من قيمة سيرته ، ويتمتع صاحب السيرة بثقافة واسعة ، واعتداد بالنفس ، ووصفه أبو العلاء المعرى الذى كثيرا ماناظره ، « **لو ناظر اسطارليس لجاز ان يفحمه ، او افلاطون لنبذ حججه خلفه** » ، ويصف المؤيد نفسه ، "انا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ، ولايماثلنى أحد فيها" .. وهذا الاعتداد الشديد بالنفس شرط لقوة وتأثير

سيرته ، فتأتى كتجربة إنسانية حية ، وتشخيص وتصوير صادق لعصره ، افكاره وقيمه وأبطاله ، تتميز بوحدة عمر صاحبها ، وتصيغ حكاية لها بداية ونهاية ، وتكشف الظلال والألوان التى قد تغيب عن المؤرخ .

وهذه سيرة من نوع خاص فهى لاتزدحم بالأحداث والمغامرات ، ولكنها سيرة عقلية تزدحم بالعمل والحركة ، وتذخر بالمناظرات الفقهية بين صاحبها وخصومه ، يدحض حججهم ، ويكتب الرسائل رداً عليهم ، ويؤدى المهام الصعبة ، ويتنقل بين شيراز والشام والعراق ومصر والقدس .

● قضايا القرن الخامس

ومسألة بدء شهر رمضان ، هى التى ادت لمحنته فى شيراز ، تلك المحنة التى دفعته لكتابة سيرته ، عندما وقعت اول ازمة بينه وبين السلطان سنة ١٠٢٧ م ـ ٤٢٩ هـ ، ويسجلها بقوله .. "زعم البعض أن شهر رمضان يتم تارة وينقص أخرى ، وان الصيام بنى على رؤية الهلال ، ويقول الله سبحانه "أياما معدودات" ، والأيام المعدودة هى التى لاتزال معدودة ، فلو كان يحمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين يوما وتارة تسعة وعشرين يوما ، لما ذكر اياما معدودات قطعا" .

والغريب أن هذه المسألة مازالت مطروحة ومحل خلاف منذ مايزيد على الف عام ، وكانت أيضا من اهم اسباب النهضة العلمية فى مصر فى علوم الرياضيات والفلك ، وعرف المصريون الاهتمام بدراسة النجوم وحركاتها ، وأقاموا لها المراصد .

ويقول "إن بعض الناس خاضوا فى حديث الفورة التى جرت فى شيراز .... واتهمت برفض السنة ونشر البدعة ، وان الكاتب يستعد مع جماعته للهجوم على دار السلطان بالقلع والحرق والقتل" .

ويؤكد المؤيد أنه .. "من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل بأحدها دون الآخر فالكلب خير منه وليس منا" .

ويروى أنه رغم خروجه هاربا من شيراز ، فإنه نجح فى التقرب من السلطان ، وأقنعه بدعوته بعد عدة مناظرات ، واصبح السلطان تلميذا له فى امور الدين .. ".. **فدعاة الاسماعيلية اقدر الناس حجة وألسنهم فصاحة ، وأكثرهم موهبة فى المناظرة ، ويعود ذلك للنظام الدقيق المتبع فى إعدادهم وتدريبهم** ... وجرت المناظرة مكاتبة لا مشافهة ، لأنى تحرجت من المشافهة صونا للعرض ، مما يخلط بالمشافهة فى المناظرة من سوء الأدب ، وقصدت أن يكون مايدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لمتأمله ، فسكن جأش السلطان واطمأن قلبه .. وقال : إنى أسلمت نفسى ودينى إليك .. واستقر الأمر على أن أجتمع به كل ليلة جمعة .."

ولاتدوم الدنيا على حال ، وسرعان ماتتغير الأحوال ، وينقلب السلطان على المؤيد تحت ضغط الأهالى ومبعوث الخليفة العباسى ويبتعد عنه السلطان ويمنعه من الاتصال بالناس .. "ونجح سعى مبعوث الخليفة باقتلاعى من تلك الديار وقصدنى بالتشرد منها .. وكنت إلى حين إنصرافه لا أعد نفسى فى غمار الأحياء خوفا من تسليمى إليه ، وما بعد ذهابه ، ما كنت آمن المكائد التى لم يزل الخصوم عاكفين عليها بحضرة السلطان ،

فكنت إذا أصبحت لأرجو أن أمسى ، وإذا أمسيت أرجو أن أصبح ، لما كنت بصدده ، من قصد العوام وبغتاتهم وكبساتهم فى الليالى والأوقات الغامضة ، لاسيما وقد ثبت فى نفوسهم أن السلطان خصمى ، وإنما تتكف عوادى العامة عن أمثالى .. وكان يبلغنى كل يوم من البلاغات فيما يقع من التظاهر على ، والإغرار بى ماترجف الأرض من بعضه" .

● القرامطة والدروز !

وتكشف كلماته عن الصراع الذى دار على أرض شيراز ، بين الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية ، وهو صراع اعنف من الصراع الذى يدور بين الاسلام وخصومه ، رغم أنه مجرد صراع سياسى يلبس لباسا فقهيا أحيانا ومذهبيا أحيانا أخرى !

وحان الوقت قبل المضى مع المؤيد فى سيرته أن نلم بلمحات عن المذهب الاسماعيلى . الذى يدعو إليه المؤيد ، وابعاد هذا الصراع الذى شهده عالم الاسلام .

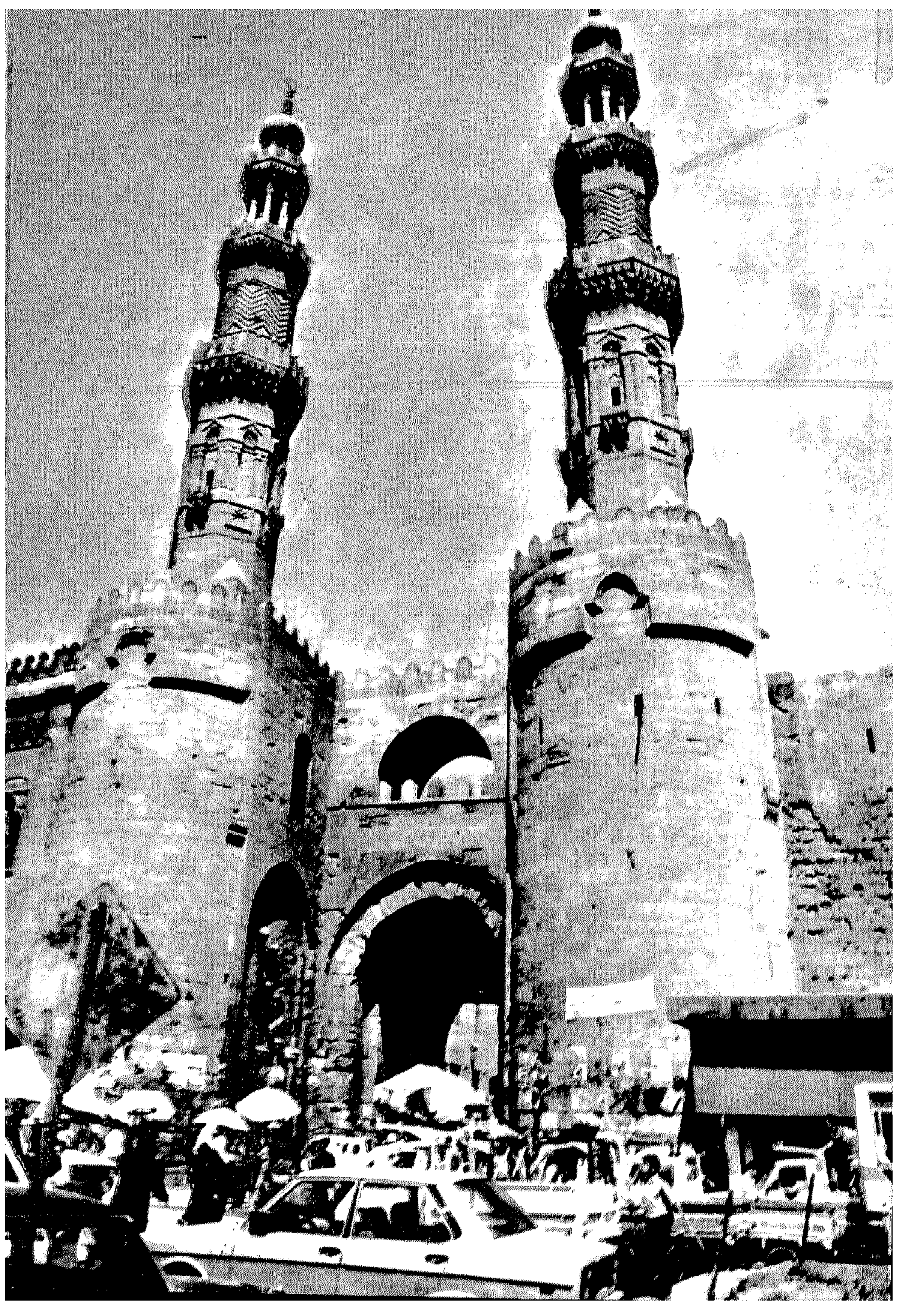
بعد جهود ومحاولات كثيرة نجح المذهب الاسماعيلى فى إقامة دولة فى المغرب وأخرى فى مصر وثالثة فى اليمن ، بعد ملاحقة الأمويين ومن بعدهم العباسيين لفكرة التشيع لأهل بيت الرسول (ﷺ) . وينسب الاسماعيليون إلى اسماعيل بن جعفر ، ويعرفون بالسبعية تمييزا لهم عن الاثنى عشرية ، وقامت حركتهم على الاستتار وعلى تنظيم سرى محكم وكفء ، فبعد أن أجبر محمد بن اسماعيل على ترك مسقط رأسه فى المدينة ، والهجرة إلى خوزستان بأواسط آسيا ، ومنها إلى بلاد الديلم جنوب بحر قزوين ، يسجل مؤرخو الاسماعيلية أن أسرة محمد بن اسماعيل قدمت إلى الشام ، واستقرت فى مدينة سليمة القريبة من حمص فى القرن الثالث الهجرى ، وقد وصلوها متنكرين خوفا من بطش أعدائهم ، واستمرت الفترة مابين سنة ١٤٧ هـ عند وفاة جعفر الصادق حتى سنة ٢٩٦ هـ السنة التى ظهر فيها عبيد الله المهدى فى المغرب غامضة بسبب ستر الأئمة ، وقد أعطى هذا الستر فرصة لعدد من المؤرخين للتشكيك فى نسب ائمة الاسماعيلية ...

ويسجل تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر أن نسبة الأئمة كانت دائما محل بحث ، فعندما دخل قادة وعلماء مصر على المعز لدين الله ، سألوه عن نسبه ، فجرد حسامه وقال : هذا نسبى ، ونثر عليهم قطع الذهب ، وقال هذا حسبى .

وصاحب قيام الدولة الفاطمية عصر الخفاء ، بنزعة استكشاف الغيب واحياء عصر الخوارق ، ودراسة الفلسفة ، وقيام الفرق الدينية السرية ، مع التعلق بالمجهول وتهكم المصريين على ادعاء معرفة الغيب ، ويروى أن العزيز بالله صعد المنبر ذات يوم ، فرأى رقعة كتب عليها :

بالظلم والجور قد رضينا
وليس بالكفر والحماقة
إن كنت اعطيت علم الغيب
فقل لنا كاتب البطاقة

ويلاحظ نجاح فقهاء المذهب الاسماعيلى فى تقديم تصور متكامل ،



لكسب تأييد المستويات المختلفة من الأهالى ، فقدموا لأهل الورع والتقوى دعوة تقوم على تبجيل القرآن الكريم واحكام الشريعة الاسلامية ، وقدموا لأهل الفكر والتأمل تفسيرا فلسفيا للكون ، استمدوه من مصادر القدماء ، وقدموا لأصحاب الأرواح الرقيقة والحس المرهف افكارا عاطفية دافئة تغذيها العبـرة المستمدة من آلام آل البيت ، وقدموا للمظلومين والمقهورين المتطلعين إلى العدل ، حركة معارضة سرية جيدة التنظيم ، تهدف إلى هدم القائم وإقامة مجتمع جديد يقوده الامام ويملأ الدنيا عدلا بعد الجور والظلم ..

وشهد عالم الاسلام فى هذه المرحلة التاريخية ظاهرتين خطيرتين :

● **ظاهرة قيام تنظيمات سرية تقوم** على الستر والكتمان وانتشارها فى أرجاء عالم الاسلام ، وإذا كان للستر والكتمان هدف وهو الخشية على الامام ، فإن السرية والكتمان لهما آلية خاصة ، ويمكن اختراق التنظيم السرى من احدى حلقاته ، وتوجيهه بعيدا عن هدفه الأصلى ، وهو ماوقع بالفعل .

● **ظاهرة الانقسامات والعنف** ، وخرج من الكتمان والسرية مذاهب مثيرة ، ويكفى أن نعرف أنه عند لحظة انتصار المعز لدين الله ، خرج عليه القرامطة ، فى شرق شبه الجزيرة العربية ، وانقلبوا عليه ، ثم عادوا مرة أخرى بقوة السلاح الى الولاء الفاطمى ، وفى ذروة عصر الخفاء فى اواخر عصر الحاكم بأمر الله ، حاول بعض الدعاة نشر أفكارهم التى تضفى على الحاكم قدسية خاصة ، وثار عليهم المصريون وفتكوا ببعضهم ، وفر البعض الآخر واستطاعوا أن يقيموا طائفة جديدة هى الدروز القائمة حتى اليوم فى كل من سوريا وفلسطين ولبنان ، وزعم بعض الغلاة منهم أن الحاكم قد رفع إلى السماء !

ونعود الى المؤيد لدين الله وهو يلجأ الى مصر متخفيا سنـة ١٠٤٥ م . ٤٣٨ هـ ، ويروى أيام شدته قائلا : « رأيت أننى اذا بقيت مكانى ، لم آمن ما يتم على بغيتهم من حيلة ومكيدة ... وعملت على تنكير الزى والهيئة ، والدخول فى أطمار رثة ، واستبعت غـلامين مجهولين ، وسلكت فى بعض المجاهل من الطرق ، أكترى من مرحلة الى مرحلة حمارا أركبه ، أو جملا أو ثورا على حسب ما يتفق ، وأتحمل مشقة المشى وخوض الأودية والوحول ، والصبر على مضض البرد والنزول على المواضع القذرة ما يكون الموت عن دائه شافيا ... وكنت أحل فى صوب الطريق بأقوام الريافة وأهل السواد ، فاسمعهم يذكروننى من القبيح بما أعلم أنهم لو شعروا بى لكانوا يتطهرون بدمى ويصلون ... وبعد مقاسات الأهوال التى رأيتها عيانا .. بلغت بشق النفس الباب الطاهر ، مترجحا بين أمل ويأس ، أما اليأس فمن حيث علمت أن المقصود شمس توارت بالحجاب ، ووجه نهار تبرقع بالسحاب ـ ويقصد أن الحكم لم يكن فى يد امامه المستنصر انما فى يد أمة ورجالها ـ » ، ويعكس حديثه مع التسترى حالته النفسية وخيبة أمله .. يقول : « أعلم ، أنه ما مجتنى ديارى من فمها الا

تكشفا بخدمة هذه الدولة العلوية ، وتخوفا من الجهة العباسية ، وتسللا من فتنة كاد شرها يهلكنى . فما الداعى الى قصدى هذا غير داعى الايمان ، وما المقصود الا صاحب القصر الذى هو امام الزمان ، فان كان المقصود ـ الخليفة ـ يعلم اننى انا الرجل الذى فيه أخرجنا من ديارنا وابنائنا ، وهو يأنف من لقائه بلحظه ، ومن خطابه بما يشرح الصدر بلفظه » ..

وتكشف كلماته أنه لم يستقبل كما يتوقع ، ووجد الامام ومن حوله عنه لاهين .

● المؤيد وناصر خسرو

ونلاحظ أنه وصف لقاءه الأول بكل تبجيل واحترام مع قصر الامام ، فقال : « ادخلونى من القاهرة المعزية الى قصر الخلافة .. ولمحت الثريا ترابا تحت قدمى ، اذ ترشفت ذاك التراب ، وأجلسونى هنيهة لأفيق من غشية الهيبة التى ملأت جوانحى لما غشيت الحسرة بمشاهدة ذلك المقام قلبى وجوارحى » ..

وهو هنا يسيطر على جوانحه الموقف المذهبى ، ولا يقدم لنا وصفا لقاهرة تلك الأيام ، والتى كانت جليلة شامخة ، والتى وصفها ناصر خسرو فى تاريخ قريب سنة ١٠٤٩ ـ ٤٤١ هـ ، ويذكر عن ذات القصر : « كان القصر وسط القاهرة ، بينه وبين الأبنية المحيطة فضاء ، يحرسه فى الليل خمسمائة حارس من الفرسان ، وخمسمائة حارس من الرجالة ، أسواره عالية ، لا يستطيع أحد رؤية ما بداخله ، وقيل أن عدد من يقيمون بالقصر ٣٠ ألفا من بينهم ١٢ ألف خادم ، وللقصر عشر بوابات فوق الأرض ، وباب يقود الى ممر تحت الأرض يعبره الخليفة راكبا ليصل الى قصره الآخر ..

ويوجد بالقاهرة ما لا يقل عن عشرين ألف دكان كلها ملك السلطان ، وكثير منها يؤجر بعشرة دنانير فى الشهر ، وفيها من الخانات والحمامات ما لا يمكن حصره ، وهى جميعها ملك للسلطان ، وفى القاهرة والفسطاط عشرون ألف منزل يملكها ويؤجرها السلطان ... وللقاهرة خمسة أبواب ، هى باب النصر وباب زويلة وباب الفتوح وباب القنطرة وباب الخليج ، والبيوت مبنية بناء نظيفا محكما ، ومفصولة عن بعضها بالحدائق التى ترويها الابار ، ويؤخذ ماء الشرب من النيل يحمله السقاءون على جمال يبلغ عددها ٥٢ ألفا ، ويحمل الرجال القرب حيث سيتعذر على الجمال دخولها ، وفى الفسطاط بيوت من أربعة عشر طابقا ، وبعضها من سبع طوابق ، وثمة رجل انشأ حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار ...

ويصف فى موضع اخر موكب المستنصر بقوله : « انه شاب لطيف المحيا حليق الذقن يرتدى فى بساطه قفطانا أبيض وعمامة ، وعلى رأسه مظلة مرصعة بالجواهر الثمينة ، واللائى يحملها كبير الموظفين ، ويتحدث عما شاهده فى مصر من ثروات وأموال ، قائلا : أنه يخشى ان لا يصدقه أحد من بلاد العجم اذا حاول وصفها » ..

وكان لابد أن تبعث القاهرة الرهبة فى نفس المؤيد وهو يزورها لأول مرة .

● الظلمة اليهودية

ولم يجذبه وصف القاهرة وحياة أهلها ، بل جذبه وهو الداعى الفاطمى الفارق

من ذخائر الكتب العربية

الكبير بين الدولة الحلم التى يحلم بها المضطهدون والمقهورون وبين الواقع من حوله الذى يتحكم فيه الهوى والطموح الشخصى

ويلحظ موقف المصريين من الحكام ... « وعاداتهم فى الاستخفاف بملوكهم معروفة ، أما الوزراء فهم أغنام عندهم للنزع معلوفة .. » ، ويتكشف له حقيقة ما يدور ، فأم المستنصر كانت جارية مملوكة لأبى سعد التسترى التاجر اليهودى ، قبل أن تنتقل للخليفة الظاهر ، وعندما أصبح ابنها خليفة استعانت بسيدها القديم ، واتخذت منه وزيرا لعله يساعدها على السيطرة على الدولة مع صغر سن وليدها ، كما تولى الوزارة يوسف الفلاحى (١٠٤٤ م ـ ٤٣٦ هـ) ، وهو ايضا يهودى اسلم ، يقول عنه المؤيد بعد أول لقاء : « رأيت شيخا عليه من الوقار سعة ، ومن الانسانية سمة ، فأدنى وقرب وأكرم ورحب .. » .

وسجل لنا التاريخ تولية ثلاثة وزراء من اليهود فى العصر الفاطمى ، أشهرهم يعقوب بن كلسى ، وثانيهم صدقة بن يوسف الفلاحى ، الذى كان من يهود حلب ، أما الثالث فهو الحسن بن ابى سعد التسترى ، الذى لم يستمر فى الوزارة اكثر من عشرة أيام ..

وعبر الرأى العام فى مصر عن هذه الظاهرة على لسان الشاعر ابن ميشرة بقوله :

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية أمالهم وقد ملكوا
العز فيهم والمال عندهموا
ومنهم المستشار والملك
ياأهل مصر انى نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك

فكيف عبر المؤيد لدين الله عن هذه الأحداث ، وهو الفاطمى المتحمس .. ؟!

يروى فى سيرته الذاتية : « قيل أن هنا يهوديا يكنى أبا سعد التسترى ، كان تاجرا ومولى أم المستنصر ، أصبح هو المتصرف فى شئون البلاد ، وأصبح الوزير الفلاحى يأتمر بأمره ، وهو لأمور المملكة كلها الأساس والمبنى ، توجهت اليه ، فرايت منه اهتزازا لرؤيتى ، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت لى من خزانة السلطان ... وعندما توجهت الى الموسوم بالقضاء والدعوة ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين مجلس الامامة ، فرايته رجلا يصول بلسان نسبه فى الصناعة التى وسم بها دون لسان سببه ، فارغا مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته ، وموتور منى بما اوحى اليه بعض شياطين الانس من أننى ربما زاحمته فى مكانته ، وتذكرت قوله تعالى : « انى وجدت امراة تملكهم ، واوتيت من كل شىء ، ولها عرش عظيم » ـ يقصد أم المستنصر ـ وكان اليهودى ـ التسترى ـ يلقانى بنشر وجهه ، ويخاطبنى بكل خير لسانه ، ويعدنى ان يصطنعنى لسانه ، ويجعلنى خدمه ومصاحبه ومكانته ، ويمنعنى ان اتعقب باب احد من المصطنعة والاكابر ، فيكون ذلك وكسا علىّ فيما يريدنى له ، ويشوقنى اليه من المنزلة الجليلة ، فلما استفاض من الذكر من جهته ، وملأ

باب النصر

باب الفتوح

الاسماع من لفظه ، قامت الحسدة من الشياطين المردة ، فدخلوا فى عقل اليهودى ، وقالوا : كيف تطوع لك نفسك ان تأخذ بهذا الرجل العجمى الدخيل الى المقام الذى انت مخصوص به ومرتب له ، وما يؤمنك انك اذا ادخلته اخرجك ، واذا قدمته اخرك ، وهو ابسط منك لسانا ، واقوى جنانا ، وهو يدلى بعزة الاسلام ، والتخصيص بالدعوة والخدمة ، وفيك من العلامات كلها خمول اليهودية ، ولم يزل هذا الحديث يتوارد على سمعه حتى تشربه قلبه » ..

ويصف متاعبه ومعاناته مع بلاط خليفته وامامه . يقول : ولا خير فى المقام عند باب من يكون محجورا عليه ، ويكون مقاليد أموره بيدى غيره لا بيديه .

وعندما سمع اليهودى القول ، وأننى كشفت من الامور مستورا ، هاج كما يهيج الجمل نفورا ، ثم لم يزل دأبى ودأبه المماحكة والمعاركة والاحراق به فى مجالسه ومواكبه ، .. حتى اتفق من قتله .. وقالوا ان الفلاحى دس من قتله .. وان بعض الجهات الجليلة التى كان اليهودى مرتسما بخدمتها فى الظاهر ، وان كان مستوليا على المملكة كلها فى الباطن .. فلما تجلت الظلمة اليهودية ، مددت باع طلبى لملاقاة السلطان .. » .

● لقاء الإمام

واخيرا دخل مجلس الخلافة فى آخر يوم من شعبان ٤٢٩ هـ .

وبعد أن رأى عجز الإمام ، ولمس سيطرة مؤامرات القصور التى كاد يذهب ضحيتها ، وشاهد الفارق بين الحلم والواقع ، وسجل كل ذلك بشجاعة المؤرخ لا تحيز صاحب المذهب ، وعند اللقاء يعود ويسيطر عليه الموقف المذهبى ، وينسى عند وصفه لهذا اللقاء كل متاعبه ، يقول « لم يقع عينى عليه إلا وقد أخذتنى الروعة ، وغلبتنى العبرة ، واجتهدت عند وقوعى الى الأرض ساجدا (!) لولى السجود ومستحقه ، .. ولما رفعت رأسى من السجود ، وجمعت على أثوابى العقود ، رأيت بنانا يشير إلىّ بالقيام ، ومكثت بحضرته ساعة لاينبعث لسانى بنطق ، ولا يهتدى لقول .. وهو يقول .. دعوه حتى يهدأ ويستأنس ، ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عينى وصدرى وودعت وخرجت » ..

ويعود المؤيد ويلعب دورا نشطا فى الدعوة ، ويصبح طرفا هاما فى صراع جديد بين الخلافتين العباسية والفاطمية ، ويقوم بمهمة دقيقة فى شمال الشام والعراق ، مكلفا بالتأثير على الأمراء الذين استقلوا باماراتهم فى ظل ضعف الخلافة العباسية فى بغداد والتهديد السلجوقى ، وبعد دخول طغرلبك التركمانى مدينة الرى سنة ٤٤٦ هـ ، وتأرجح الأمراء بين القاهرة وبغداد ، ويسافر المؤيد الى الشام وسلاحه ليس السيف بل القلم ، وأداته الكلمات والعطايا ، ونجحت رسائله فى إقامة تحالف ضد التركمان فى سنجار بين أرسلان التركى المعروف باسم البساسيرى وبنى مزيد فى الحلة ، وبنى مرداس فى حلب ، وقريش بن بدران صاحب الموصل ، ونجح البساسيرى فى دخول بغداد يوم الأحد الثامن من ذى

القعدة سنة ١٠٥٨ م ـ ٤٥٠ هـ .

وهو يحمل الرايات البيض المصرية وعلى راسهم أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله ابوتميم امير المؤمنين ، وخطب له فى مساجد بغداد ، وضرب السكة الذهب والفضة باسمه ، وأرسل البساسيرى الى الخليفة المستنصر فى القاهرة بثياب الخليفة العباسى وعمامته ، فارتجت مصر ، وأقيمت الاحتفالات ، وخطب باسم الخليفة الفاطمى فى الموصل والبصرة وواسط » .

وتكشف هذه الأحداث التاريخية ، أن الصراع الداخلى بين أطراف الأمة الواحدة ، ظاهرة قديمة ، وإذا كان مفهوما بعض جوانب الصراع المذهبى ، فغير المقبول ، أن يكون الصراع الأساسى بين اطراف كل منهم يتعرض لتهديد عدو واحد ، وكما رأينا أن الصراع اشتد ضد الرؤساء وليس ضد التهديد الخارجى وربما تحقق الحركات السرية بعض النجاح فى صفوف المعارضة ، ولكنها تواجه الفشل عندما تصل الى الحكم .

فسرعان ماتحول الانتصار الذى انجزه المؤيد الى سراب ، وعاد السلاجقة للاستيلاء على هذه المناطق .

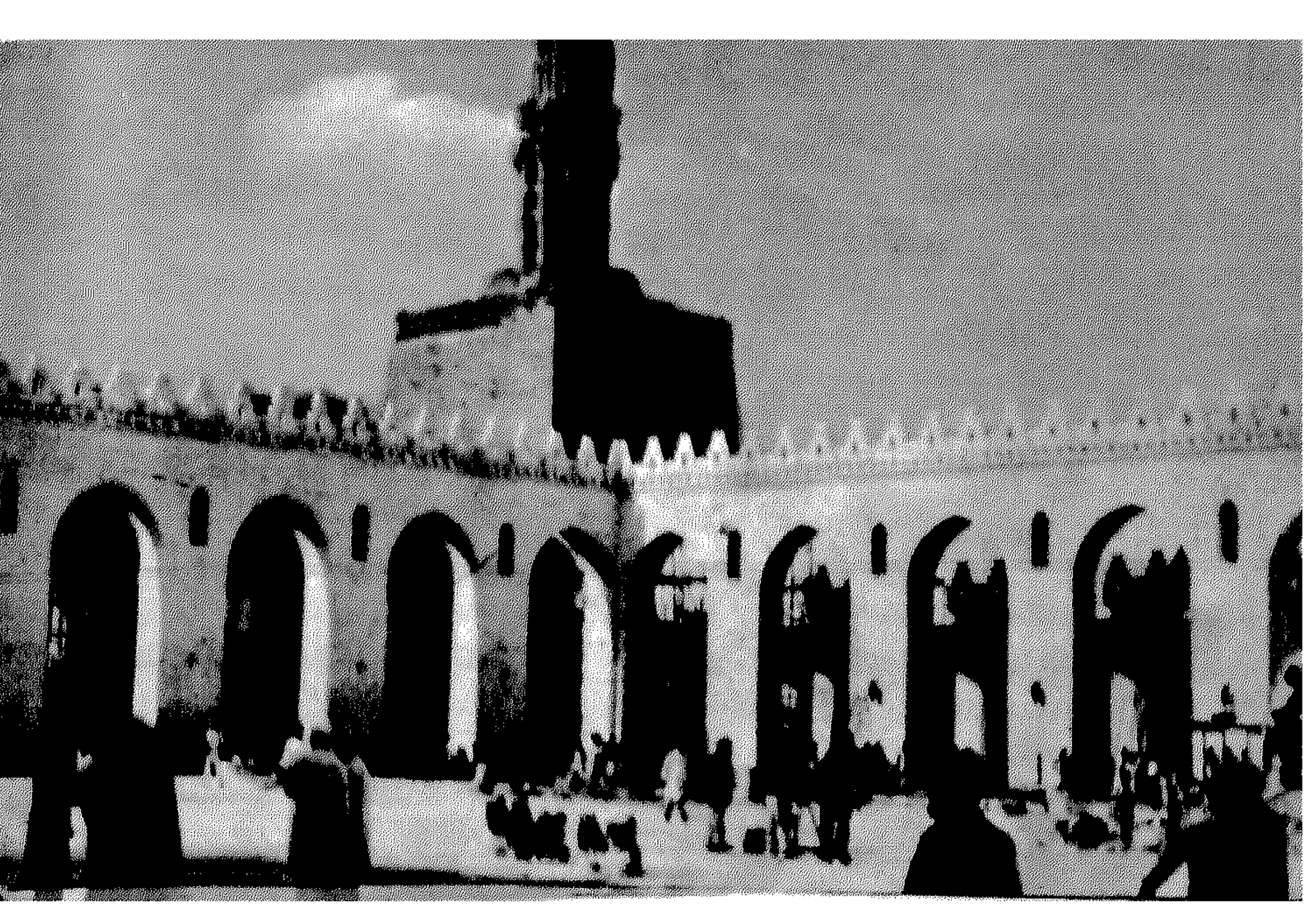
الشدة المستنصرية

ولكى يوضع الصراع الذى شارك فيه المؤيد فى سياقه التاريخى ، نتعرف على طبيعته وأبعاده ، ونعود الى الحكم الفاطمى فى القاهرة ..

حكم المستنصر بالله فترة تزيد على ستين عاما ، ووصلت الدولة الفاطمية فى عصره الى أعلى ذراها ، ثم تهاوت الى الإنحلال السريع ، وقدم لنا المؤيد فى سيرته الظروف والحيثيات ، ومؤشرات هذا الانحلال ، بما ألقى عليه الضوء مما أطلق عليه « الظلمة اليهودية » وعرض مؤامرات البلاط وعجز السلطان ، وكان من نتائج ذلك ماعرف بالشدة المستنصرية الكبرى ١٠٦٣ م ـ ٤٥٧ هـ ، ومن جانب آخر أدت الى مزيد من تشرذم المذهب الاسماعيلى ، عندما تضافر القحط مع اختلال الأمن ، وتقدم رجال السيف وتراجع رجال القلم ..

مما أدى فى النهاية الى انقسامات عميقة تناولت الأسس الفكرية للمذهب الاسماعيلى ، فعقب وفاة المستنصر ، اختار الأفضل بن بدر الجمالى الابن الأصغر للخليفة المستعلى خليفة وإماما ، بدلا من نزار الابن الأكبر الأحق بالامامة على ما يقتضيه المذهب الاسماعيلى ، وانشق المذهب الى قسمين ، واستمرت جيوب القسمين قائمة حتى اليوم .

وكان من أول نتائج هذا الانشقاق ، خروج حسن الصباح من القاهرة ، والذى كان يرى أحقية نزار بالامامة والذى قتل ، ويؤسس فرقة الحشاشين فى فارس ، ويقيم الحصون ، ويبنى قلعة الموت ، ويقوم مذهبه على الولاء والطاعة المطلقة ، وامتزجت طبيعة المنطقة الجبلية النائية بأفكار المذهب الاسماعيلى ، وبالأفكار والعقائد السائدة بين الفلاحين وسكان الجبال ، وتحول تنظيمه الى أداة فعالة فى يد المعارضة السرية ، وكانوا أول من حقق أهدافهم السياسية عن طريق اشاعة الفوضى وتقويض أركان الكيانات السياسية القائمة ، واعتمدوا على الاغتيال السياسى كأداة أولى للوصول الى أهدافهم ، واقترن لفظ « الحشاشين » فى اللغات الأوربية بمعنى الاغتيال ، وقامت



وظهر البهرة فى مصر من جديد بعد ما يزيد على ثمانمائة عام من خروجهم منها

حركة سرية لها قسمها وشعائرها ، وكانوا الارهابيين الأول الذين طوعوا الارهاب لتحقيق اهدافهم السياسية .

ومازالت بقاياهم قائمة حتى اليوم فى سوريا وفى الهنـد ، ويمثلهم اتباع اغاخان ، وقام بينهم سلسلة من الأئمة وصل فى القرن التاسع عشر الى أسرة اغاخان ، ووصل هذا الأمر الى المحاكم البريطانية فى الهند عام ١٨٦٦ ، والتى كان عليها أن تبحث الحجج وتدرس الأنساب ، لتحكم فى أحقية أغاخان فى زعامة الطائفة .

● البهرة ومسجد الحاكم

ويمثل اتباع البهرة ماتبقى من القائلين بامامة المستعلى ، وكان المذهب قد انتقل الى اليمن على أيدى ملك بن مالك قاضى الصليحيين ، والذى سبق وذكرنا أنه تتلمذ على المؤيد لدين الله مدة خمس سنوات ، فبعد قضاء صلاح الدين الأيوبى على الخلافة الفاطمية فى مصر ، غادر فلول الاسماعيليين البلاد ورحلوا الى اليمن ، ثم انتقل المذهب عن طريق التجارة بين اليمن والهند ، وقام المذهب فى ولاية جوجرات جنوب بومباى ، وأطلق عليهم لفظ « البهرة » وهى كلمة هندية قديمة تعنى التاجر ، وانتقل رأس الدعوة من اليمن الى الهند فى القرن العاشر الهجرى ، من نسله حتى اليوم ، ويعرفون بملابسهم المميزة ولحاهم الطويلة ، ونسائهم المنقبات ، وظهر البهرة فى مصر من جديد بعد مايزيد على ثمانمائة عام من خروجهم

منها ، عندما قاموا باهداء المقصورة الفضية لضريح سيدنا الحسين ، وتجديد جامع الحاكم بأمر الله الذى يعتبر لديهم من اكثر الاماكن قداسة ، وهم لا يؤدون فريضة الصلاة سوى فى « الجامع خانة » ، ويرفضون إقامة الصلاة فى غير مساجدهم ، واقام أصحاب هذا المذهب فى مدينة سورات فى الهند « الجامعة السينية » لتعليم اللغة العربية والمذهب الاسماعيلى .

ولدى دعاة البهرة شطر كبير من مؤلفات الاسماعيلية التي وضعت فى مصر الفاطمية ، بينما فقد عدد كبير منها من مصر ، وكلما ظهر لهم كتاب جديد ، اثار من جديد قضية الملل والنحل فى الاسلام .

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع المذهب الاسماعيلى وانشقاقاته ، وما تبقى منه حتى اليوم ، والذى كانت سيرة المؤيد لدين الله بمثابة الجزء الظاهر من جبل الجليد المختفى تحت الماء ، نعود لنصاحب المؤيد فى عودته إلى القاهرة . ونتعرف على ماجرى له بعد انتصاره الكبير فى العراق والشام .

وندعه يتم قصته .. يقول .. « سرت الى مدينة صور ، فلما حصلت موضع يسمى البواقير ، لقينى صاحب بسجل يؤكد على فى النكوص على عقبى الى حلب ، فملكنى التحير والدهش ، ووجدت الرجوع ممتنعا ، والوفادة على الباب (الخليفة) بعد تحريمها خطة شديدة ، ورجحت بين الامرين ، فرايت أن الاتمام خير من الرجوع ، وأن الذى اقتضى انشاء ذلك السجل ، هو تلفيق من بعض المفسدين ، أو ظن ظان اننى اذا دخلت تعرضت بوزارة ، او زاحمت أحدا فى



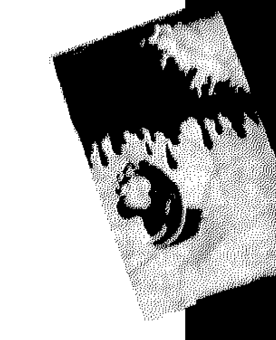
مجموعة من البهرة المعروفين بملابسهم المميزة ولحاهم الطويلة فى مسجد الحاكم بامر الله

رتبته ، وقلت ياسبحان الله بما يستحق من كان هدفا لسيوف التركمانية وسهامهم ، واقام بزهائهم سنة جرداء يعاين فيها كل ساعة حتفه .. أن يكون جزاؤه المنع من العودة الى الباب ، فرأيت أن أنكب عن الطريق الجادة الى البرية والمجاهل فما شعروا بى حتى اطلعت راسى بالجب ـ جب عميرة ـ عند باب القاهرة . ودخلت ، دخول المهزوم لا الهازم ، والمكسور لا الكاسر »

ثم يتولى منصب داعى الدعاة ، **ويتوفى سنة ٤٧٠ هـ ، ويدفن فى دار العلم بالقاهرة ، بعد ان يصلى عليه المستنصر بالله .**

ثقب فى السماء

والمخاطر التى يتعرض لها الانسان على الأرض !!



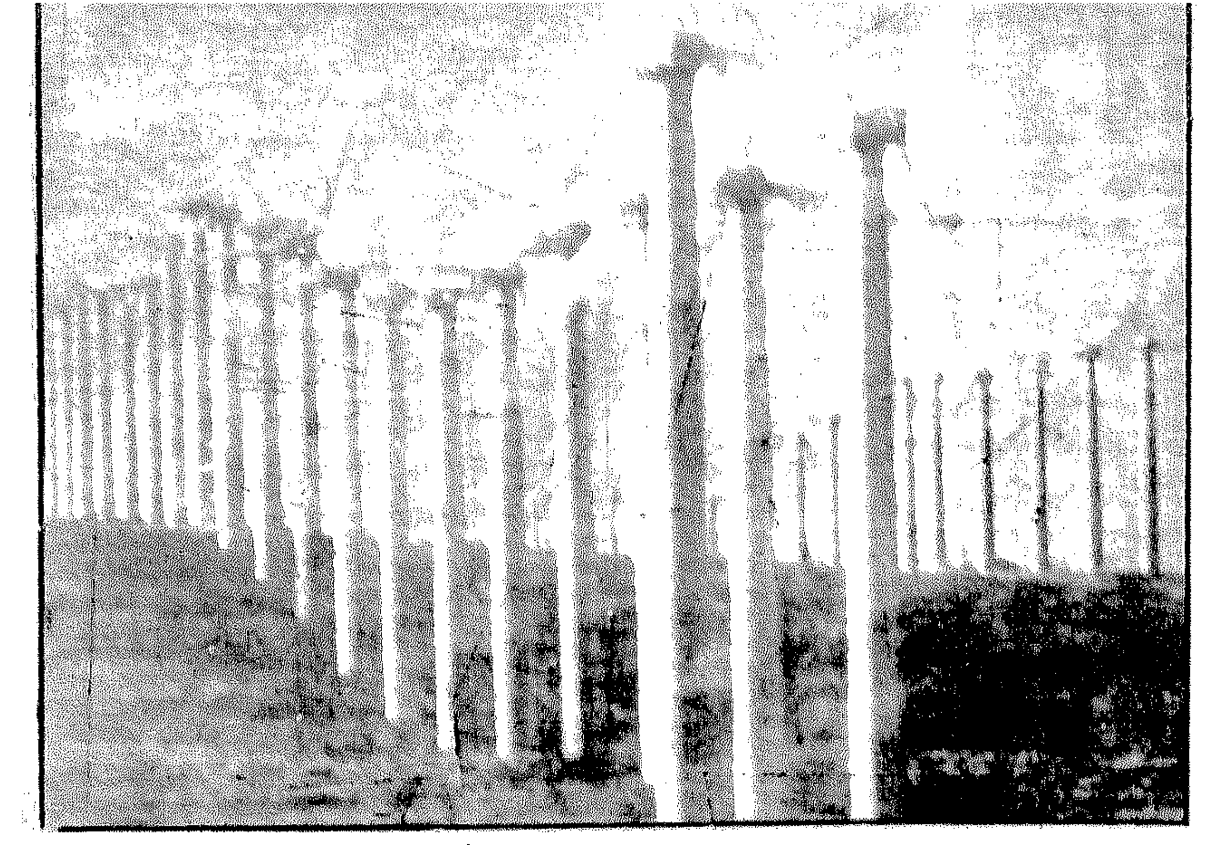
بقلم: محمد فتحى

تشهد الساحة العالمية نشاطا محموما فيما يخص قضايا البيئة ، حتى بات من الممكن القول أن العالم امسى أسيرا لانفجار فى الحديث عن الأنشطة البيئية ..

وحتى لايكون الأمر مصداقا لخبرة تجسدت فى القول العربى المأثور : « جعجعة ولانرى طحنا » لاباس من طرح شامل للمشكلة نخلص منه الى مجموعة من المفاتيح الأساسية لعلاج امراض البيئة ، مفاتيح يمكن بدونها الا يتبقى لنا شىء أبعد من هرج الانفجار ..

● شاع فى ثقافات الحضارات القديمة تصور مؤداه أن هناك « ثورا يحمل الارض فوق قرنيه » ، وأن تعثر احد اقدام هذا الثور خلال سيره كفيل بتعريض توازن الارض للاهتزاز ٠٠ الامر الذى يسفر عن كوارث طبيعية مدمرة تضرب ارجاء المعمورة ٠٠

وعلى الرغم من المسافة الشاسعة التى قطعتها المعارف الانسانية ، فى فهم فحوى التغيرات البيئية ، بات الجنس البشرى يقف على عتبة انقلاب بيئى ، لا يهدد المنجزات التى حققها الانسان على مدار تاريخه فقط ، ولا يعيد للصورة « الهزلية » الخاصة باهتزاز التوازن فوق قرنى الثور بعض



اختراع امريكى بسبب القليل جدا من التدفئة للكرة الارضية

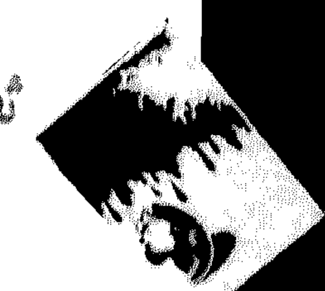
المصداقية (من حيث تخلف معارف الانسان) فقط ، و ٠٠٠ ذلك أنه يفتح الباب عن حالق ، لاغتيال الاخضر واليابس ، فى جوانب كثيرة من كوكبنا ٠٠

وحتى نفهم طبيعة المخاطر التى تتحلق حول مظاهر الحياة على الارض لابد من المامة سريعة بظروف التوازن التى لفت هذه الحياة ، منذ اللحظة الاولى لوجودها ٠

● التوازن الحيوى للأرض

المعروف أن الارض تحتفظ حولها بغلاف غازى ـ الجو ـ يمتد لبضعة كيلو مترات ، ويبلغ أقصى كثافة له عند سطحها ، وتقل كثافته تدريجيا ، حتى يتلاشى فى الفضاء الكونى الفسيح ٠٠

ويحكم مكونات هذا الغلاف الجوى توازن حيوى بالغ الحساسية ، يلعب دورا هاما فى تأمين وحماية شتى صور الحياة على الارض ، اذ يوفر غازا لا تستقيم حياة الانسان والحيوان بدونه ، هو الاوكسيجين ، من خلال تحويل النبات ثانى اكسيد الكربون الناتج عن التنفس ـ اليه عبر عملية التمثيل الضوئى ٠٠ هذا كما يحتوى الجو على بخار الماء « الذى يلعب دورا رئيسيا فى تغيرات الطقس ، وتشكل السحب ، وتكون الجليد ، وهطول الامطار ، وتكاثف الضباب ٠٠ وذلك ناهيك عن درع رقيق لا يزيد سمكه على ملليمترات ، ينتشر عبر طبقة سمكها ثلاثة كيلو مترات ، فى منطقة الغلاف الجوى التى تسمى بالاستراتوسفير ، على بعد يناهز ٤٠ كيلو مترا من سطح الارض ٠٠ وعلى رقة « الدرع الاوزونى » فقد أثبت متانة متناهية ، على مر العصور ، فى صد الاشعة الكونية القاتلة عن رحاب كوكبنا ، وفى امتصاص نسبة كبيرة من الموجات فوق البنفسجية التى تحملها أشعة الشمس ، حتى لا تدخل جو الارض ، الا بالقدر الذى



ثقب في السماء

يلائم استمرار الحياة في ربوعها .

وقد خلصت دراسات كوكب الارض، والدراسات التي قارنته بالكواكب الاخرى ، الى أن الحياة على سطح كوكبنا مدينة بوجودها ناهيك عن توافر هذه المكونات (الاوكسيجين وثاني اكسيد الكربون ودرع الاوزون) الى التوازن القائم فيما بينها ، فذلك هو مايفرق بين الارض وغيرها من الاجرام السماوية القاحلة الميتة ، التي لا تعرف مظهرا من مظاهر الحياة ..

● خلل التوازن الحيوى

لكن السنوات الاخيرة كشفت عن خلل أصاب التوازنات القائمة بين هذه المكونات ، كما كشفت أن الخلل اخذ في الاطراد .. فقد اعتاد الانسان منذ فجر التاريخ استخدام الوقود ، وكانت الاشجار والمواد النباتية عامة هي مصدر هذا الوقود ، وكانت المسطحات الخضراء الهائلة قادرة على امتصاص كميات ثاني اكسيد الكربون الناتجة عن احتراق الوقود (ناهيك عن الكميات الناتجة عن التنفس) لتعز الاوكسجين بدلا منها ، في دورة تحفظ على الجو تكوينه الطبيعي .. لكن الانسان عرف وثبات هائلة ، في استخدام الوقود ، مع اكتشاف مكامن النفط والفحم التي تكونت على امتداد الاف وملايين السنين ، وباتت تستهلك في لمح البصر ..

ومع التوسع في التجمعات الحضرية، واستخدام السيارات (والمحركات عامة) ومع قطع الغابات وتزايد عدد سكان الكوكب .. مع ذلك كله تصاعد بصورة مطردة الخلل في الدورة الطبيعية فلم تعد المساحات الخضراء كافية لتحويل ثاني اكسيد الكربون الى أوكسجين ، مما ساهم برفع نسبته في الجو ، وهو غاز يساعد على امتصاص الاشعاع الشمسي ، ولا يسمح باعادة اطلاقة (تاثير الصوبة الزجاجية) ، الامر الذي ينجم عنه ارتفاع متزايد في درجة حرارة الارض ..

وتؤكد الدراسات أن ارتفاع درجة حرارة الارض رويدا لابد وأن يؤدي الى تغيرات مناخية ، تتحول معها بعض المناطق المعتدلة الى مناطق قاحلة، والى ذوبان أجزاء من القشرة الجليدية القطبية ، ليرتفع مستوى المياه في البحار رويدا ، وهو ما يعني طغيان المياه المالحة على أجزاء كبيرة من اليابسة ، وغرق المناطق الساحلية ، وهي اكثر مناطق عالمنا ازدحاما بالسكان ، .. ناهيك عما سينتج عن ذلك من تبوير مساحات واسعة من الاراضي الزراعية بسبب زيادة الملوحة، وعما يسببه تغير أنماط الطقس من افساد مساحات شاسعة أخرى ، بالاضافة الى ما يصحبه فقدان التوازن من موجات جفاف وفيضانات وأعاصير وزلازل ..

وكل ما سبق ليس سوى تجل واحد من تجليات عامل واحد من تأثيرات الانسان على البيئة ، وهي كثيرة ، تتراوح بين افراغ النفايات الضارة والسامة في الانهار والبحار ، وبين تسميم الاراضي بالمبيدات الحشرية واستنزاف موارد الكوكب ..

وان كانت هذه كلها تجليات تؤكد انه بات بمقدور الانسان أن يمارس تاثيرا محسوسا ، بل وفظا ، على أحوال الكوكب فربما كان الاخطر أن هذا التاثير يفوق كثيرا مستوى المعارف البشرية فى الوقت الراهن .

● التخلف العملى والاخلاقى

فعلى سبيل المثال حين اكتشفت « ثقوب » طبقة الاوزون للمرة الاولى تصور بعض الدارسين انها نتجت عن النشاط البركاني الذى شهدته المكسيك عام ١٩٨٢ . كما تصور دارسون آخرون أن لها علاقة بدورة الكلف الشمسى ، أو نشاط البقع الشمسية . بينما القى فريق ثالث باللائمة على عوادم الطائرات الاسرع من الصوت، واختراقات الصواريخ للغلاف الجوى .. وراح فريق رابع يلوم التجارب النووية ، و .. ولا جدال فى ترابط الظواهر الطبيعية التى تحكم عالمنا ، لكن المعارف البشرية غير قادرة بعد على تحديد الثقل النوعى لهذا العامل أو ذاك حتى نستطيع تحديد أولوية المواجهة ..

ولا يقتصر الامر على جزئيات مثل سبب تاكل طبقة الاوزون ذلك انه يمتد حتى الى التصورات الكلية ففى مقابل « سيناريو الطوفان » : ارتفاع درجة حرارة الكوكب ، وذوبان الجليد ، وارتفاع مستوى مياه البحر ، وحدوث الطوفان .. توجد مؤشرات تؤكد على أن العالم مقبل على حقبة تنخفض فيها درجةحرارته بشكل يبشر بعصر جليدى جديد . ولا يقل السيناريو الخاص بهذا التصور ، لا يقل متانة واحكاما من الناحية العلمية عن سيناريو الطوفان ..

ولعله من الضرورى الاشارة الى ان ما يدور الحديث عنه من نتائج ، يجرى التوصل اليه ، وفق دراسات اغلبها نظرى ، واقلها قائم على قياسات محددة ودراسات معملية .. وهى تتم اساسا عن طريق عمل نماذج حسابية كمبيوترية للظواهر الطبيعية ،ترشدنا الى ما يمكن أن يحدث للظاهرة ، فى حالة هذا التغير أو ذاك ..

والنماذج التى توصل اليها الانسان لظواهر معقدة ، مثل ظواهر البيئة ، هى نماذج تقريبية مبسطة ، لذا فان المؤشرات الناتجة غير مؤكدة ، وهى من قبيل التوقعات الحسابية المحتملة الحدوث ، وربما مثلها مثل اضدادها تماما ..

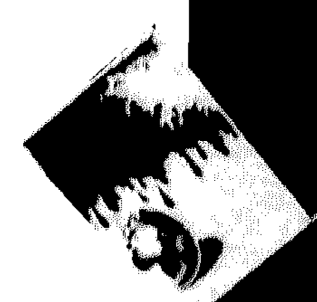
كما أنه لا يمكن اغفال عوامل مثل تحكم الاقوياء المتقدمين حتى فى نتائج البحوث العلمية (!) مما يجعلهم يطوعونها لمصالحهم ، أو يغضون النظر على أقل تقدير عن النتائج والاحكام التى تؤثر على هذه المصالح. وحتى يتضح بجلاء مدى تاثير هذا المعامل أو ذاك (مثل استخدام المرذذات) يتهرب الكثيرون من سن تشريعات الخطر الواجبة ، أو يتهاونون فى تطبيقها اذا سنت ، جريا وراء مصالح تجارية ضيقة الافق ..

وقبل الانتقال من هذه النقطة ينبغى التاكيد على أن مانقصده منوراء ذلك كله ليس التقليل من الاستجابة الواجبة، وانما التاكيد على أن المستويين العلمى والاخلاقى للجنس البشرى لم يرق الى المستوى الذى وصلته قدرته على التاثير ، وهذا أخطر من كارثة الطوفان ذاتها .

● الجوهر الاجتماعى للمشكلة

ولا باس بعد ذلك من التاكيد على الابعاد الاجتماعية لقضايا البيئة ذلك انها ليست معزولة عن مشاكل عالمنا الاخرى ، فلها صلات وثيقة

ثقب فى السماء



بالانفجار السكانى ، وضغط السكان الجدد على موارد الكوكب ، وبالسفة الاستهلاكى لقطاعات متزايدة ، والعوز المتزايد لقطاعات اخـرى ، و ‥ ولا بأس من اختيار موضوع الغابات الاستوائية كمثال للوصول الى الجوهر الاجتماعى لمشكلة البيئة فى عالمنا والى كيفية التصدى لها فى نفس الوقت ‥

لقد بات من المسلمات البيئية حاجة عالمنا للابقاء على الغابات المنتشرةفى عديد من المناطق (والاستوائية منها بالذات) ، بل ومحاولة استعادة ما قطع منها قبلا ، وذلك لمواجهة ثلاثة بلايين طن تضيفها البشرية الى الغلاف الجوى كل سنة من ثانى اكسيد الكربون والميثان والكلوروفلوركربون وغيرها من الغازات الضارة ·

ومعظم الغابات المتبقية فى عالمنا موجودة فيما يسمى بالعالم الثالث ، وتقطيع مثل هذه الغابات يمضى على قدم وساق : لان أصحابها يعيشون فى عوز ، ولانها تمدهم بالاحتياجات الاولية اللازمة للبقاء على قيد الحياة ‥ وبدون بعض الفائض الذى تتيسر معه الحياة لهؤلاء الناس يصبح الحديث عنحفاظهم على الغابات لغوا لا طائل من ورائه ‥

لهذا بات على المجتمع الدولى أن يسعى الى حماية ثروات الفقراء الطبيعية من المغامرين الغربيين(الذين يبحثون عن الثروة والغراء والعاج والذهب ‥) والاهم من ذلك الى أن ينظر لمثل هذه الغابات على انها خدمة عامة للحفاظ على مناخ الكوكب ‥ ينبغى دفع ثمنها لاصحاب هذه المساحات وعلى الدولة الغنية التى استهلكت مواردها قبلا ، واثرت بذلك على مناخ الكوكب – وهو ملكللجميع – تعويض البلدان النامية لقاء ما تحملته من خسارة · كما يجب على من لا تصلح أراضيه لزراعة وزيادة مساحات الغابات تمويل الزراعة حيث يتيسر ذلك ، فالمناطق الخضراء الجديدة تقوم بخدمة عالمية النطاق ·

وينبغى تجاوز الطروح المبتسرة للقضية من قبيل : « ديون الدول النامية مقابل حماية البيئة » ، « ضرورة التحكم فى اقراض الدول النامية بمعايير مراعاة مشاريعها للبيئة ‥ ينبغى تجاوز مثل هذه الطروح ذلك أن الدرس الحقيقى الذى يجب استخلاصه من الوضع الراهن هو أن المساهمة فى تنمية العالم الثالث لم تعد مجرد اختيار ضمن اختيارات أخرى مطروحة ، اذ باتت مسئولية حتمية على الاغنياء لان القضية كما تتجلى من مثال حفاظ الفقراء على غاباتهم يمكن أن تصاغ دون أدنى شبهة للابتزاز : **« ايها الرجل الغنى عليك ان تدفع لى وتعاوننى على الخروج من مازقى لانه دون ذلك لن يكون امامى الا تدمير الغابات والموارد ‥ ومعها الكوكب الذى تعيش عليه »**

● مشكلة كوكبية النطاق

هكذا يجب أن تصاغ خطة حماية الارض على هدى شعور دولى بالمصلحة المشتركة ، لانه بالنسبة لغالبية المسائل المتعلقة بالبيئة فان

محاولة علاجها على مستوى هـــذه الدولة او تلك محاولة عقيمـة ٠٠ اذ ما الفائدة التى يجنيها بلد يعمل على خفض نسبة غاز ثانى اكسيد الكربون المنبعث داخل حدوده ، اذا كان البـلد المجاور له يقابل هذا الخفـض بزيادة نصيبه من نفس الغاز ؟ ٠

لقد بات على البشر وضـع الارض موضع عنايتهم المركـــــزية ، عن طريق برنامج دولى تتجمع فيه جهود مئات من المؤسسات المبعثرة ، التى تلتزم حتى الان بسياسات اقليميـــة قصيرة المدى ، على حساب السياسات طويلة المدى ذات الابعاد الكونية ٠

ومن الضرورى اللجوء الى الوسائل الجديدة التى تتوائم مع النطاق الذى تتخذه المشكلة ، اذ يجب الاستفادة ، على نطاق واسع ، من تكنولوجيـــا الاستشعار عن بعد،اى دراسة الكوكب باستخدام الاقمار الصناعية ، كمـــا ينبغى عدم استنفاد الامكانات فى انشاء كيانات تنظيمية جديدة دوما لها مقار وموظفون و ٠٠ اذ أن الاجدى هـــو تركيز الامكانات فى مشاريع تطبيقية

● الحفاظ على التوازن

وقبل انهاء الدراسة ينبغى الاشارة الى مسألتين الاولى تتعلق بالانفجـار الاعلامى الذى يحيط بانشطة البيئة ٠ فقد اثر على هذا الانفجار أن الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة قد أسقطا الاعتبارات الايديولوجية فى الحـديث عن هذه المشاكل ، بل واستخدما هذا الحديث فى تمرير أو تبرير سياســة الوفاق التى يرسيان أساسها ، وذلك بعد أن قررت اللجنة المركزية للحـزب الشيوعى السوفييتى : « أن تكـــون قضية حماية البيئة هى القضية العالمية رقم (١) بعد نزع السلاح » ٠ وبعـــد أن اكد جورباتشوف خلال خطابه فى الامم المتحدة (ديسمبر ١٩٨٨) أنـــه لا يمكن تصور قيام أمن اقتصـــادى دولى ، لا يرتبط بالقضاء على الخطر الذى يتهدد البيئة العالمية ناهيك عـن نزع السلاح ٠

ويحاول الكرملين الاستفادة من هذا الموقف الى اقصى حد فى مجال انتزاع موافقة الغرب على وقف سباق التسلح بدعوى أنه سيعيد توجيه النفقـــات العسكرية للتحديث الاقتصادى المدنى (بما فى ذلك مراعاة العوامل البيئية)، وفى مجال اقناع الغرب بتخفيف القيود المفروضة على تصدير التكنولوجيا الى الاتحاد الســـــوفييتى ، بدعوى أن التكنولوجيات السوفييتية قديمـــة الطراز ، تستهلك كميات غير عادية من الطاقة ، مما يزيد من تلوث الكـــرة الارضية ٠

وينبغى فى النهاية التأكيد على أن كوكب الارض فى حالة تغير مستمر ، منذ أن كان كتلة منصهرة من الصخر والغاز قبل ما يقرب ٥ر٤ مليار سنة، اذ تشكلت اليابسة معا ، ثم انفصلت فى قارات متبـــاعدة بعد ذلك ٠٠ وتعاقبت عليها العصور الجليـدية ، والتغيرات الجيولوجية التى رفعـت سلاسل الجبال من باطن المحيطات ، واخفت كتلا ارضية شاسعة تحت المياه ٠٠ ان ذلك يعنى أن الارض « مخلوق حى » يتطور باستمرار ، والمطـــلوب اليوم ليس وقف تطــور الارض أو الجنس البشرى ٠٠ بل الفهم الاعمـق لطبيعة التوازن الذى يربط مخـــتلف العناصر خلال تطورها ، والعمـــل فى سبيل الحفاظ على هذا التـــوازن من خلال الحركة والتنمية والتطور

رسالة لندن

مجدى نصيف

الحفاظ على البيئة

التحدى الجديد الذى يواجه اليسار واليمين !!

جماعات « الخضر » الان تكتسب اراضي جديدة ، وتنضم اليهم فئات اوسع في المجتمعات الصناعية المتقدمة ، بعد أحداث السنوات الخمس الماضية التى اكدت اقوالهم . في ألمانيا الغربية دخلوا البونديستاج (البرلمان) الاتحادى والمجالس المحلية وبرلمانات عدد من الولايات ، وفى النمسا دخلوا البرلمان وحققوا انتصارات في عدد من دول اوربا الغربية الاخرى . وهناك جماعات مماثلة فى اوربا الاشتراكية ظهر تاثيرها على وجه الخصوص بعد البيريسترويكا الجورباتشوفية .

● وتسمى جماعات « الخضر » باسماء مختلفة « الخضر » و« انصار البيئة » و« أصدقاء الارض » وكلها تعبر عن نفس المعنى ، كلها تدافع عن البيئة الطبيعية التى لوثها التقدم الصناعى بلا مبالاة للحفاظ عليها .

وتجذب سياسات « الخضر » الان فئات من طبقات وثقافات مختلفة ، وهى تهز فى نفس الوقت السياسات التقليدية الراسخة للاحزاب السياسية التى تقوم برامجها على التقدم الاقتصادى والصناعى وبعد ان كانت الاحزاب اليسارية تعتبر « الخضر » حلفاء بدأت فجوة واسعة تظهر ، ذلك ان سياسات اليسار تقوم على التصنيع والدعوة الى التقدم المادى . ولم تكن هذه الاحزاب تضع فى سياساتها نقاطا محددة للحفاظ على البيئة وبذلك اصبح تقدم « الخضر »



عندما تاتى الزُبالة   تذهب الخضرة

يشكل تحديا بالمثل لليمين واليسار على السواء .

وينبع نمو النزعة البيئية كحركة شعبية فى الدول الصناعية المتقدمة الى شيئين .

الأول : صدمة التهديدات المهولة على مستوى العالم ، والتى تحاول هذه الحركات الاستجابة لها .

والثانى . قوة الهدف الذى تتبناه على مستوى كوكبنا الارضى .

وفى نفس الوقت تستمر التهديدات فى تشكيل وعى سكان الارض جميعا سواء من سكان العالم الصناعى ام العالم الثالث فكارثة تشيرنوبيل حولت وبطريقة صادقة الرياضيات التجريدية للمخاطر النادرة التى تتعرض لها البشرية ونقصد هنا رياضيات الفيزياء النووية المعقدة ، حولتها الى كارثة اشعاعية حقيقية ، لم تحترم سحابتها اى حدود دولية وفجاة

اصبحت قطعة اللحم (الروستو) التقليدية التى تقدم على موائد العشاء البريطانية يوم الاحد ، مرتبطة بعدم كفاءة تصميم المفاعلات النووية السوفييتية ، وادارتها ، وبالمثل ألقى الاكتشاف الدرامي لثقب فى طبقة الاوزون ، الضوء على ماكان من قبل نزاعا حول كيمياء الكلورو فلورو كربونات CFCS هكذا ألقى اللوم على علبة « الايروسول » التى تستخدم يوميا لانتهاك تكامل الغلاف الجوى وتأثيراته العالية .

والجفاف المدمر الذى حدث فى الغرب الاوسط الامريكي يعطى اشارة عن امكانية انتهاك ثوابت حول المواد الغذائية حتى فى العالم المتطور الذى يتغذى جيدا ويتاجر بالحبوب سياسيا ، بسبب تغييرات الطقس ، ولقد كان مؤتمر تورنتو لعلماء البيئة ينعقد انذاك بمدينة تورنتو الكندية ووجه انذاك انظار العالم كله الى « تأثير الصوبة » والذى من نتيجته ارتفاع درجة حرارة الكرة الارضية .

وتلعب كل هذه الاحداث دورها فى التأثير على الوعى العام للناس ، لكنها تضخم من الدور « السياسى » لحركات البيئة خاصة وأن « البيئيين » قد نبهوا العالم الى مخاطر الطاقة النووية والايروسول قبل عقد كامل من حدوث الكوارث الاخيرة فى بيئة كوكبنا ، لكن الناس لم تنتبه الى ماكانوا يقولونه لان الاحزاب التقليدية كانت تدفعهم الى « هامش » الحياة السياسية انذاك بل لقد لعبت هذه الانذارات المبكرة دورها الان ، اذ قوت من الاحساس العام بتلك الكوارث وقدمت دفعة ضخمة الى الامام للخضر ، لانه ثبت « مصداقيتهم » . على ان نمو حركات « الخضر » لايمكن ارجاعها ببساطة الى قدرتهم على « التنبؤ » لكن السبب الاساسى لجاذبية الخضر ، انهم قدموا رؤية اخلاقية واجتماعية ايجابية فى عصر طغت فيه المادية والفردية على كل شىء بما فى ذلك البرامج السياسية للاحزاب ورؤية « الخضر » تضع الموضوعات الواسعة لنوعية الحياة وتكامل الطبيعة في بؤرة اهتمامهم ، لقد تغير التعبير عن هذه النزعة الاخلاقية الى نزعة سياسية فى العقدين الاخيرين فقط ، ولعبت ثلاثة عناصر دورها فى ذلك التغيير .

الأول : بزوغ نشاطات بيئية على مستوى العالم ، تجمع بين شيئين : سياسات حديثة لجماعات الضغط فى مسائل بعينها وتبنى نظرة واضحة للعالم ، فجماعة « اصدقاء الارض » وجماعة « جرين بيس » اى « السلام الاخضر » هما جماعتان فى مقدمة انصار البيئة وهما منظمتان دوليتان ، نشاطاتهما موجهة الى المنابر الدولية التى تتعامل مثلا مع « المطر الحامضى » انها تقدم سياساتها على المستوى الدولى ولكن من « اسفل » اذا صح القول اى تتناقض بشكل ملحوظ مع بيروقراطية المنظمات الدولية ، وهى تبدو للجميع كالمثال المعاصر الاوحد لتعاون دولى ناجح ، وعلى سبيل المثال قام علماء من حركة « جرين بيس » الى المكان الذى تصطاد فيه السفن اليابانية الحيتان ، وفضحتها من الناحية العلمية

على اساس انها تقوم بصيدها لاغراض تجارية وليس لاغراض علمية كما تنص الاتفاقيات الدولية وهكذا .

والثاني : دور وسائل الاعلام التى وجهت الانتباه بشدة الى مشاكل البيئة وخطورتها على الجنس البشرى - الصحف اليومية تناقشها بصراحة والمجلات الاسبوعية مجلة تايم الامريكية خصصت عدد رأس السنة ١٩٨٩ ، وجعلت موضوع الغلاف « الارض المتعبة » لكن اهم الوسائل الجماهيرية هو التليفزيون دون شك وبرامجه المؤثرة فى بريطانيا هناك برامج « الطبيعة » و « عالم الحيوان » و « البيئة » و« الايكولوجيا » وحتى البرامج الجماهيرية المتخصصة مثل « بانوراما » و« وورلد ان اكشان » (اى العالم يتفاعل) تخصص اعدادا منها لمناقشة عدد من مشاكل البيئة انها كلها سياسات « الخضر » وبرامجهم تتحرك من الهامش الى « التيار الرئيسى »

والثالث : هو بزوغ احزاب للخضر وفى بعض البلاد الاوربية مثل المانيا الغربية ، لهم تمثيل برلمانى فعلى مؤثر ولذلك مغزى مزدوج فالتحول من جماعات ضغط الى حزب سياسى هو تحول للنفوذ السياسى من شكل غير مباشر الى شكل مباشر هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى يشير هذا الى اتساع الفلسفة وتماسكها ، وهذان عاملان يعطيان استمرارية لشكل الاحزاب السياسية . لقد نشأت بعض مشاكل من التحول من سياسات خارج التيار الرئيسى الى سياسات داخل التيار الرئيسى والاطار العام للسياسات من بينها الصراع الذى نشأ بين الواقعيين والمبدئيين داخل حزب « الخضر » فى المانيا الغربية . وهى مشكلة ابدية استراتيجية بالنسبة للخضر كما هى بالنسبة لاى تجمع سياسى فى مرحلة تحول ، فالى اى درجة يمكن الجمع فيها بين انصاف الحلول الشرعية وبين الالتزام المبدئى بالاهداف الراديكالية التى تعلنها سياسات البيئة .

وعندما تشابكت هذه العناصر الثلاث ، اصبحت مشاكل البيئة على رأس قائمة البرامج السياسية لدرجة ان بعض الاحزاب المحافظة العريقة فى محافظتها اعلنت عن تبنيها لحل مشاكل البيئة السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا اعلنت - على سبيل المثال - فى اواخر عام ١٩٨٩ عن نية حكومتها فى التعاون مع حكومات دول « السوق الأوربية المشتركة » لحل مشاكل البيئة . بل امست مشاكل البيئة تحدد مصير حكومات اوربية ، عندما تم استفتاء فى النمسا حول الاعتماد على الطاقة النووية ، وهكذا بدأت تلك المشاكل تظهر فى الحسابات السياسية الروتينية .

والسؤال اين نحن من هذا كله ؟

لا احد يستطيع ان يقول اننا بعيدون عن الموضوع فالكوارث البيئية تؤثر على جميع سكان الكرة الارضية ولدينا خطة لتوليد الكهرباء من محطات طاقة نووية ، والنفايات السامة للدول الصناعية تدفن على مرمى حجر منا ، والاحزاب السياسية لا تصنع فى برنامجها اى نقطة خاصة بالبيئة .

أو ليس كل مايحدث حولنا ، يدق ناقوس الخطر ؟

الأدب .. وقضايا التلوث

الحلم .. التنبؤ .. الواقع

بقلم: محمود قاسم



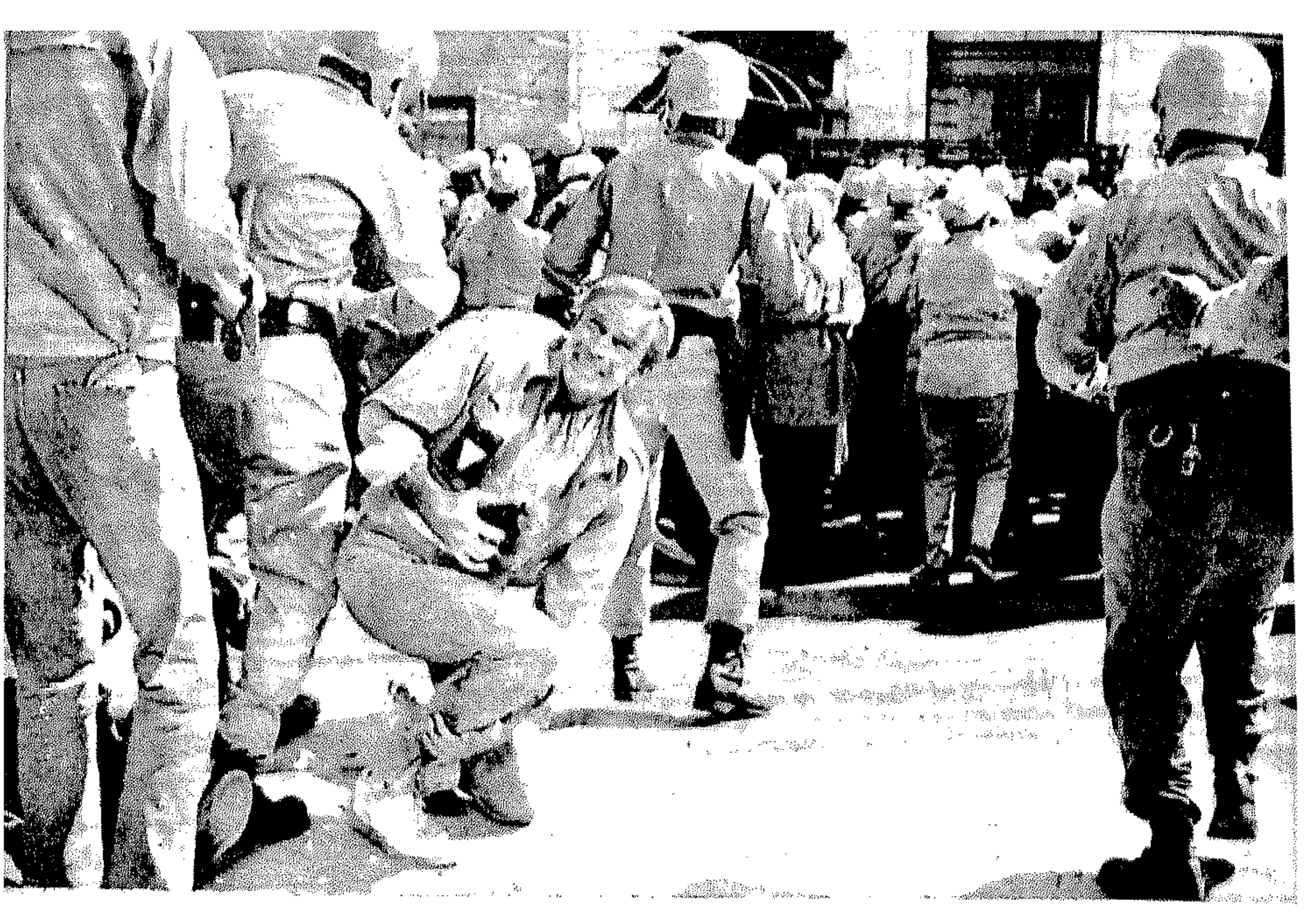
لا شك ان الادباء والفنانين قد سبقوا العلماء ، والبشر جميعا فى التنبؤ بما يمكن أن تحققه البشرية من مكاسب وخسارات فى المستقبل ، سواء القريب منه او البعيد

وان الادباء ظلوا يتطلعون الى اغوار الكون من حولهم يستشفون من آفاقه مالم يستطع احد أن يتوصل اليه من قبلهم ، حيث راحوا يحذرون بما يمكن ان يأتى به البشر لانفسهم من ويلات متعددة الأشكال خاصة بشأن ما يمكن أن يصيب البسيطة من تلوث .

ولم يهتم الادباء بالتركيز على التلوث البيئى المحدود الذى يمكن أن يأتى فقط من ثقب فى طبقة الاوزون الهشة التى تحيط بكوكب الارض ، بل راحوايعددون ما يمكن أن يحدثه البشرمن تلوث أكثر خطرا ، الا وهو التلوث النووى الذى سيأتى ، حتما ، على كل صروح الحضارة الانسانية.

وفى القرن العشرين برز العديد من أبناء الخيال السياسى الذين اهتموا بتأسيس كافة مظاهر الحياة ووضعوا أعينهم فى المقام الاول على خطر التفجيرات النووية المستقبلية التى سيأتى بها حاكم فى منتهى الجنون الرعونة .. أو لعله سيكون فى غاية الحكمة والتعقل ..

وفى دراسة عن الخيال العلمى نشرتها مجلة اكران - يوليو ١٩٧٧ - يقول رولان لاكورب ان نهاية العالم قبل عام ١٩٥٠ كان يمكن حدوثها عن حادث كونى غير محتمل رياضيا قبل عدة ملايين من السنين . الا أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت فكرة نهاية العالم قريبة جدا من اذهان البشر . وبدأت هيروشيما تسيطر على



عندما تحولت نيويورك الى مدينة ملوثة بالسكان فى فيلم . سويلنت الاخضر. بطولة شارلتون هستو

الاذهان · ولم تعد نهاية العالم تأتى الان الا بسبب كارثة تلوث · سواء نووى أو اشعاعى · خاصة ان العالم يتطور، يوميا ، نوويا · على صورة متوالية هندسية · ويزداد الصراع على ملكية الاسلحة الاشد تدميرا فى العالم كله · ويصبح الاغبياء هم الاقل ملكية لهذه الاسلحة · فقد وعى الناس ، اليوم ، فجأة بخطر أكثر توقعا · ألا وهو التلوث ، والمجاعات ، والانفجار السكانى · ومن الان فصاعدا سوف يتصارع الناس على قطعة أرض لا تزال قابلة للزراعة ··

● **انه قادم .. لا محالة**

ويمكن ايجاز مجموعة من السمات العامة البارزة فيما يتعلق بالروايات المكتوبة حول خطر التلوث ، بشتى أنواعه ، فى عدة نقاط منها :

● لان التلوث قضية انسانية عامة فى المقام الاول · فقد أرقت الادباء فى جميع انحاء العالم · وراحوا يبدعون رواياتهم عن مخاطر التلوث · فهناك من الولايات المتحدة مثلا كيرت فنجوت وهارى هاريسون · ومن مصر صبرى موسى ونهاد شريف · ومن فرنسا بيير بول · ومرجريت دوراس · ومن بولندا ستانسلاف ليم · وغيرهم من الادباء فى شتى أنحاء البسيطة ··

● التلوث أمر واقع لا محالة · سواء بأشكاله المحدودة البسيطة



الحلم.. التنبؤ.. الواقع

التى يمكن تداركها وعلاجها مثل ثقب فى منطقة الاوزون . أو الناتج عن مخلفات الحضارة الحديثة . وانتهاء بالتلوث الاشعاعى النووى الناتج عن انفجار قنابل الكوبالت .

وهذا النوع الاخير من التلوث ، فى رأى أدباء الخيال السياسى ، حادث لا محالة ، مهما حاولت البشرية تفادى حدوثه . فالعالم فى منظورهم يسبح فوق بركان من المخزون النووى الذى لا يمكن التخلص منه الا بانفجاره . والمسألة تتعلق بالتوقيت الزمنى فيما يتعلق بهذا الانفجار . فقد راح بعض الادباء يتصورونه قريبا كحبل الوريد .. وراح البعض الاخر يؤجله الى قرن قادم .. أو الى قرون بعيدة للغاية ..

● التلوث فى منظور الادباء مشروع انسانى مضاد للحضارة .. أى انه من صنع البشر الذين صنعوا التقدم . وكلما تقدمت البشرية فى عطائها زاد ، معدل التلوث . والانسان هو الذى يجنى ثمار صنيعه .. أما الكائنات الارضية الاخرى ، فسوف تدفع بالتالى ثمن غباء الانسان فيما صنعه للبيئة بحضارته ذات الحدين . ولعل اشهر رواية فى هذا المضمار هى « سويلنت الاخضر » التى كتبها هارى هاريسون فى أواخر الستينيات . وأخرجها ريتشارد فلايشر للسينما عام ١٩٧٣ وقام ببطولتها شارلتون هيستون .. وفيها يتصور المؤلف مدينة نيويورك عام ١٩٩٩ وقد زحمت بسكان وصل عددهم الى أربعين مليون نسمة . مما أدى الى اصابة المدينة بتلوث لابراء منه.. فانعدمت الخضرة والمزروعات . وتكدس الناس فى الشوارع . مما يدفع بالسلطات أن تصنع الطعام المسمى « سويلنت الاخضر » من أجساد الموتى .

والتلوث فى هذه الرواية ناتج فى محيط الارض ، أى انه ليس نوويا ، ولا شك أن التكدس السكانى وانعدام المساحات الخضراء كان السبب الرئيسى فى نهاية العالم عند هاريسون، لذا عاش الناس فى رعب حقيقى وهم يتغاضون عن حقيقة الاطعمة الغريبة التى يأكلونها .

● بلاد السبانخ .. غير ملوثة

● وتجىء أهمية التركيز على ما أصاب العالم من تلوث بيئى ونووى، من خلال النتائج التى يحدثها هذا التلوث على البشرية . فاذا كانت الحرب النووية كفيلة بالقضاء على ملايين البشر . لكن الخطر الاشد تأثيرا يبدو ماثلا فى هؤلاء الذين اختارتهم الحياة للبقاء بعد الحرب . وهؤلاء البشر كما صورهم الادباء مشوهون ، غالبا فى أجسادهم وأرواحهم ونسلهم ، بتشوهات لابراء منها مثلما حدث لابطال رواية « هيروشيما حبى » لمرجريت دوراس التى تناولت فيها وقائع أسرة يابانية عقب انفجار هيروشيما الذرى .

ومن النماذج الهامة فى هذا المضمار رواية « السيد من حقل السبانخ » لصبرى موسى التى تدور احداثها فى القرن الرابع والعشرين ، وفى تلك الاونة فان تلوثا بشعا يكون قد أصاب أمنا الارض عقب اندلاع حرب نووية.. ويكون من المستحيل ، بالمرة ، اقامة

اى شكل من اشكال الحياة فوق هذا الكوكب .. ويبدو هذا الامر واضحا في الفصول الاخيرة من الرواية بعد أن يخرج بعض المتمردين من بلاد حقول السبانخ الى كوكب الارض فيكتشفون الكارثة المهيبة التى حاقت بالارض .

وفي رواية «مالفيل» للكاتب الفرنسي روبير ميرل يتصور أن توحشا خاصا يصيب البشرية عقب الحروب النووية .وتتصارع مجموعتان ادميتان من أجل امتلاك قطعة صغيرة من الارض لم يصبها التلوث بعد .. فيكون الصراع دمويا وتنسال الدماء بغزارة فوق الارض التى لم تتلوث .. مما يجيء على اخر حلم فى حياة البشر ..

● رغم أن مشكلة التلوث عالمية ومملوكة للبشر أجمعين فان بعض الكتاب قد حاول استغلال ايدولوجيته السياسية والفكرية من أجل التأكيد على بقاء ابناء عشيرته وحدهم بعد أن يأتى التلوث على العالم . ومن أبرز هذه الامثلة رواية « كرم الله » للكاتب اليهودى الامريكى برنارد مالامود .. وفيها يتصور أن التلوث الاشعاعى قد أتى على العالم . وان الله قد غضب على عباده . فأبادهم تماما عدا شخصا واحدا .. يستطيع أن يختبيء وحتى تنتهى حالة التلوث فيسبح الى احدى الجزر الطوبوية وهناك يلتقى بالعديد من القرود .. فيصادقهم . ويلقنهم مبادىء الديانة اليهودية كما يطلق على القرود أسماء يهودية مثل ايصاو ، واسترهازى . ويحاول اقامة حياة جديدة .. الا أنه يفاجأ انه فى الجيل الاول بين سلالات الغوريللا يقتل ذكر الغوريللا أخاه من أجل انثى .. وعندما يواريه التراب ينشد بعض الترانيم اليهودية . وهنا يشعر البطل كوهين ان كرم الله قد حل يا بشر من خلاله بعد أن لعنهم وجعلهم يدمرون العالم ويلوثونه ..

● لا نجاه لاحد فى الكون

هذه بعض من السمات العامة للروايات التى اهتمت بمسألة التلوث الجوى والكونى الذى يمكن ان يصيب العالم ، ولعل بعضه قد اصابه بالفعل، مما يعكس مدى الهموم التى يحملها الكاتب على كواهله من أجل تحذير العالم بما يمكن ان يأتى به اليوم وغدا ..

وقد اتفق اغلب الادباء فى رواياتهم، وأيضا فى الافلام الكثيرة المأخوذة عن هذه الروايات ، أن التهديدات التى تتجمع فى الافق ، هى من الضخامة بحيث لا يمكن لمبدأ القومية الذى عفا عليه الزمن ، كما يقول رولان لاكورب ، أن ينتصر عليها بسبب ضيق افق هذا المبدأ . ويرى الكتاب أن أهم هذه التهديدات تتمثل فى تلوث البيئة وسوء استخدام الاراضى الزراعية والمساحات الخضراء فى شمال العالم والقارة الامريكية . بالاضافة الى نقص متوقع فى مياه الشرب . والاكسجين الذى يتنفس به البشر . ولن يكون أحد فى مأمن من الاوبئة التى ستنجم بالضرورة عن نقص الوسائل الصحية .

الجدير بالذكر انه اذا كان قراء مجلة تايم قد أصابهم الانبهار حين خصصت المجلة عددا خاصا عن تلوث الارض فى أواخر العام الماضى . فان قراء أدب الخيال السياسى قد سبقوا قراء التايم بعدة سنوات ، لان كتاب هذا النوع قد نجحوا فى نقل مخاوفهم الى العالم .. وهكذا فان أهمية الادب انه عين ناظرة الى الغد بتدقيق شديد يجعل من الحلم الوردى كابوسا .. ومن التنبؤ واقعا لا يمكن احتمال جرائره .



المسئول عن

فى السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٨٦ وقعت حادثة نووية بالوحدة الرابعة من محطة تشيرنوبيل النووية بالاتحاد السوفييتى ، وبعد مرور عامين - وفى السابع والعشرين من شهر ابريل عام ١٩٨٨ - اقدم العالم الذرى السوفييتى " فاليرى ليجاسوف " على الانتحار لاصابته بحالة اكتئاب شديد بسبب الحادث تاركا خلفه مذكرات يروى فيها قصة الحادث كما عايشها كعضو فى اللجنة الحكومية التى اشرفت على احتواء آثار الحادث ، لقد قامت جريدة البرافدا السوفييتية بنشر هذه المذكرات وتمت ترجمتها الى العديد من لغات العالم ونحن ننقلها الى العربية من مجلة " نيوكلينكس ويك " الدولية لتكون تحت ايدى من يرغبون الوقوف على ملاحظات هذا العالم الفذ كما رواها .

كارثة تشيرنوبيل

انفجروا وترك هذه المذكرات

بقلم : د. ابراهيم العسيري

يقول ليجاسوف في مذكراته

« حدثت مأساة تشير نوبيل صباح السبت ٢٦ ابريل وقد أخبرت صباح ذلك اليوم بما يفيد وقوع حادث فى المحطة النووية يتضمن تسربا اشعاعيا وحرائق واحتمال حدوث انفجار . كما علمت بتشكيل لجنة حكومية منوطة بالاشراف على احتواء آثار الحادثة وكنت أحد أعضائها وعلى الفور توجهت الى منزلي ومنه الى المطار حيث اقلتنى الطائرة الى مطار مدينة كييف ـ ومن المطار تحركنا بالسيارات الى موقع الحادث » .

ويضيف ليجاسوف :

انعدام التنسيق

« لقد بدا الاحساس بالخطر فى مدينة بريبيات ـ حيث اخبرنا القادة المحليون بأنه وأثناء اجراء اختبار (غير رسمى) لوظائف المولدات التوربينية بالوحدة الرابعة من المحطة النووية حدث انفجاران احدهما تلو الاخر ـ وتدمر مبنى المفاعل وتعرض مئات الناس للاشعاع . وأخبرنا أيضا المسئولون بموقع المحطة بوفاة شخصين ونقل المئات الى مستشفيات المدينة ، وان المستوى الاشعاعى بالوحدة الرابعة ينذر بالخطر أما بالنسبة لمستوى الاشعاع بمدينة بريبيات فهو أعلى من المستوى الطبيعي غير انه لم يصل الى درجة وجود خطر حقيقى على السكان بعد . مجموعة كان عليها عبء القيام بقياسات معينة للوقوف على التاثيرات الناجمة عن الحادث . وفى الطريق الى المحطة . وعلى بعد حوالى عشرة كيلو مترات ، شاهدنا وهجا وبدت المحطة وكأنها مصنع كيماوى يعتليه وهج هائل . ومنذ اللحظة الاولى

المسئول عن كارثة تشرنوبل

بات واضحا افتقاد التنسيق بل وانعدامه بين ادارة المحطة ومسئولي وزارة كهرباء - التابع لها المفاعل - الذين كانوا موجودين بالموقع · غير انه من الناحية الاخرى قد تصرف كل أفراد الجانبين بكل شجاعة فقد ظلت اطقم تشغيل الوحدات النووية الاولى والثانية والثالثة باماكن عملهم ، مع العلم بأن الوحدة الثالثة تقع في نفس مبنى الوحدة الرابعة · خلاصة القول : انه وحتى مساء يوم ٢٦ ابريل ، موعد وصول اللجنة المركزية ، لم تكن هناك خطة بشأن كيفية التصرف حيال مثل هذه المواقف ·

« بداية الاوامر كانت للوحدة الثالثة بوقف المفاعل وتبريده كاجراء أولى مع استمرار العمل بالوحدتين الاولى والثانية · تلا ذلك استدعاء فرق المكافحة الكيماوية ووحدات الهليكوبتر والبدء في اجراء عمليات الاستطلاع والفحص الخارجي للوحدة الرابعة · وظهر جليا ومن الطلعة الاولى أن المفاعل قد دمر باكمله مع تناثر قطع الجرافيت في أرجاء المكان » ·

ويستمر ليجاسوف في قوله« كانت المشكلة الاولى التي اقلقتنا جميعا هي استمرار انطلاق نواتج التفاعل النووي · وفي سبيل اخماد النيران ومكافحة انتشارها · تمكن رجال الاطفاء من احتواء النيران ومنع انتشارها أو وصولها الى مبنى التوربينات المحتوي على كمية كبيرة من الزيت والهيدروجين والتي كان اشتعالها كفيلا بتدمير الوحدة الثالثة أيضا · لقد تعرض رجال الاطفاء لجرعات عالية من الاشعاع نظرا لاتخاذهم مواقع معينة · **وحقيقة الامر ان رجال الاطفاء لم يقوموا بعمل بطولي فقط بل اتسم اداؤهم بالذكاء والفعالية وذلك بتطبيقهم المقاييس الدقيقة لمكافحةالنيران واحتوائها ومنع انتشارها** » ·

« لقد كانت المشكلة الثانية بالغة التعقيد ، وهي البحث عن حلول غير تقليدية لمواجهة انبعاث السحابة المشعة من فوهة الوحدة المدمرة حيث كان الجرافيت الملوث بالمواد المشعة مازال يحترق فيضوء عدمتوافر المواد والمعدات الصالحة لاخماد حريق الجرافيت بالاضافة الى انه لا يمكن اجراء عمليات فعالة الا من الجو فقط · وتم التوصل الى استخدام عنصري الرصاص والدولوميت كمثبتات للحرارة » ·

« كانت المشكلة الثالثة والاكثر أهمية هي اخلاء مدينة بريبيات· وفي خلال ثلاث ساعات من صباح ٢٧ابريل تم تدبير وتجميع وسائل الانتقال وتحديد مساراتها وسارت عملية الاجلاء بمنتهى الدقة والانضباط ووافقت اللجنة على استخدام السكان لسياراتهم الخاصة ·· ولم يكن هذا سليما لتلوث بعض هذه السيارات ، غير ان عملية الاجلاء تمت في الوقت الذي كان فيه معدل التلوث مازال منخفضا ، وظهر فيما بعد عدم اصابة أي من أفراد المدينة البالغ عددهم خمسين الفا باصابات صحية خطيرة · ولكن الذي ينبغي فعله في مثل هذه الحالات من تخطيط وتنظيم العمل هو ما لم يتوافر لدى أي من العاملين

بالمحطة أو مندوبى وزارة الكهرباء .

« خلال الايام الاولى كانت هناك فوضى وارتباك شديدان ولم يكن متوفرا كميات كافية من اقنعة التنفس الواقية أو من أجهزة قياس الاشعاع التى يستعملها الافراد عادة ، ولم تكن المحطة مزودة بأجهزة قياس خارجية لرصد الاشعاع اتوماتيكيا كمالم تتوافر طائرات موجهة لاسلكيا ومزودة بأجهزة رصد وقياس الاشعة . لقد حدث بالفعل تلوث للمبانى مدينة بريبيات ولم تراع القواعد الصحية الواجب اتباعها فى مثل هذه الحالات . واعتمدت اللجنة أساسا على رأى الخبراء ولهذا سار عمل المجموعة منظما ومنسقا مثله مثل أى مجموعة علمية » .

« لقد أدت القواعد الجوية ومجموعات الهليكوبتر مهامها بكفاءة عالية وكان عملهم مثلا للتنظيم الراقى والاستهانة بكل الاخطار ، لقد شارك الضباط فى تحميل اكياس الرمل فى الطائرات ثم الطيران بها والقائها على المفاعل ثم العودة مرة أخرى مكررين نفس العمل . وتم القاء مئات الاطنان من المواد على قلب المفاعل حتى تم وقفه عمليا يوم ٢ مايو . ولم يكن هناك منشور واحد متوافر يمكن توزيعه وبشكل سريع على الجمهور كى يشرح لهم كيفية التصرف فى مثل هذه الحالات

● اتهام صريح

وعن صناعة الطاقة النووية وكيف عايشها وكيف رآها يقول « ان ما حدث فى تشير نوبيل لم يكن من قبيل المصادفات البحتة بل ان المأساة تكمن فى الخلفيات التى تراكمت وأدت فى النهاية الى ما حدث . لقد كنا نرى ما يحدث كحلقات منفصلة لسلسل واحد لم تكتمل صورته الا بعد تشيرنوبيل . اننى اتهم السياسات الاقتصادية غير الصحيحة والمطبقة فى بلادنا منذ عشرات السنين بأنها كانت وراء ما حدث . لقد كان واضحا وضوح النهار تخلف معداتنا عن المعدات الغربية وكنا نعلم أن نظم الامان والوقاية بالمفاعل بها عيوب . ان فى المفاعلات من طراز مفاعل تشيرنوبيل يمكن للقائم بالتشغيل - وحده - تحريك قضبان التحكم لحالات الطوارىء سواء كان ذلك يدويا أو اتوماتيكيا . ويمكن للالات ان تعمل بعد ذلك بكفاءة أو بقصور ، فلم تكن هناك أجهزة أمان مستقلة . لقد قدم المتخصصون اقتراحات عدة بشأن تعديل هذه النظم . وهذه الاقتراحات لم ترفض بل طورت ببطء شديد جدا ، ويستمر ليجاسوف فى قوله « انه وعلى مدى عشر سنوات ومن خلال مناقشات عديدة ظهرت الحاجة الملحة الى اقامة المماثلات وتزويد المحطات بأجهزة خدمة وتشخيص ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . لقد بدت المحطات - فى بادىء الامر - بالفعل فى وضع يمكن الاعتماد عليه ، وأنها تعمل بأمان فى تلك الايدى الماهرة والمدربة وكنا مقتنعين بأن مسائل الامان يمكن حلها بشكل قاطع اعتمادا على مهارة ودقة التعليمات لدى العاملين غير اننا فى الآونة الاخيرة بدأنا نشعر بالقلق بشأن مستوى تدريب وخبرة أطقم العاملين بالمحطات النووية . **ان الصناعة النووية تحتاج الى عمالة مدربة يتسم أداؤها بالدقة والحذر حيث ان أى عمل غير متقن (وتحت دعاوى الانتاج) قد يؤدى الى حوادث**

المسئول عن كارثة تشرنوبيل

لا تحمد عقباها » ·

« لقد صاحب انشـــاء المزيد من المنشآت النووية زيـــادة العمالة التي ليس لها صلة مباشرة بهندسة الطـاقة النووية · لقد بدأت قوة المنظمـــات العلمية فى الاضمحلال وتقدمت اعمـار العاملين وأصبح ايقاع العمل روتينيا ·

« لقد أدى هذا الازدواج الى غيـاب تحديد المسئولية وشيوع المسـئوليات وافتقار النظام الى عدم التحديد الدقيق لمسئوليات كل عامـل ،

● خطأ فادح

ويستمر ليجاسوف قائلا « وعـلى الرغم من العلم بمساوىء نظام التحكم فى المفاعل ، فانه لم يتم تطوير هـذا النظـام ·· قد تم تخطيط تجـربة المفاعل واجراؤها باهمـال شـديد وبطريقة غير محـكمة ولم يسبقها اى تحليل عن احتمالات الاخطار التى يمكن حدوثها لقد ارتكب المشتغلون خطـأ فادحا عنـدما أصروا على استكمال التجربة رغـم كل المؤشرات والقواعد التى تلزمهم بالتـوقف عن التجربة وضرورة وقف المفاعل · غير انه فى النهاية يجب عدم اللقاء اللوم على عاتق المشغل وحده فهناك من وضع البرنامج وشطب جزءا منه ، وهناك من وقع على البرنامج ، وهناك شخص ثالث لم ينظم هذا البرنامج · كمـا كان موجـودا بالمحطة ممثلون عن اللجنـة الخاصة بالاشراف على امان المحطات النـووية غير انهم لم يكونوا على علم بالتجربة المزمع تنفيذها » تلك كانت الحال ليلة الحادث ·

هذه هى مذكرات العالم السوفييتى ليجاسوف عن الحادث وهى توضـح بجلاء ان حادثة هذا المفاعل المروعـة كانت نتيجة أسـباب ادت الى هذه النتيجة الحتمية · وهى :

- قصور عوامل الامان فى تصـميم هذا النوع من المفاعلات ·
- قصور قواعد أمان تشغيله ·
- قصور المشغلين فى الالتزام بقواعد التشغيل وتطبيق قواعد الامان ·
- قصور التدريب على التشـغيل الكفء للمفاعلات ·
- لا معقـولية تصرفات المشغلين وثقتهم المبالغة فى أنفسهم وأصرارهم على استمرار تشـغيل المفاعل رغم المحاذير التى وضحت تماما لهم والتى كانت تستلزم منهم وقف المفاعل ·
- قصور برامج ودراسات اطفـاء حرائق الجرافيت فى المفاعلات وعـدم توافر خطط الطـوارىء الاشعاعية والتعامل مع حوادث المفاعلات النووية والتسرب الاشعاعى ·

● آثار صحية طفيفة

أما عن اثار الحادث الصحية فقـد ثبت بما لا يدع مجـالا للشك التهويل الكبير لاثار الحادث حتى صـوره البعض وكأنه نهاية لحياة البشر فـوق كوكبنـا لقـد تـوفى مـن جـراء الحـادث ٣١ شخصـا معظمهم من رجال اطفاء الحريق · وأعلن فى الاتحاد السوفييتى أن جميع المواليـد خلال عام من وقوع الحادث بصـحة تامة · أما عن توقعات الاصـابة بالسرطان بسبب تسرب المواد المشـعة

للبيئــة الخـــــارجية ، فقد أعلنت اللجنة الاوربية ، توقعـــات نســـبة حالات الاصابة بالسرطان نتيجة لاثار حادث مفاعل تشيرنوبيل الى حـــالات الاصابة بالسرطان نتيجة التعــــرض للمصادر الطبيعية والطبية للاشعاعات وغيرها من عوامل تلوث البيئة تمثــل هذه النسبة واحدا الى عشرين الفا · وذلك خلال ســــبعين عاما من وقوع الحادث · وهذا يوضـــح تفاهة آثــــار حادث تشيرنوبيل البعيدة المدى عــلى صحة الانسان ·

ونختم حديثنا بخبرين لهما دلالتهما وهما :

- المطالبة فى اجتماعات الجمعيـــة العامة للامم المتحــــدة فى ٢٧ اكتوبر ١٩٨٨ بزيـــادة الاعتمـــاد على الطاقة النووية كوسيلة فعالة للحد من الامطار الحمضية وتلوث البيئة نتيجة انبعاثات غازات اكاسيد الكربون والكبريت من محطات الفحم لانتاج الطاقة مما يؤدى الى الارتفاع المستمر فى درجة حرارة الغلاف الجوى ·

- شهد عام ١٩٨٨ تشغيل ١٢ وحدة نووية جديدة لانتاج الكهرباء ليصــــل عدد الوحدات النووية الشغالة عـــلى مستوى العالم لانتاج الكهـرباء ٤٢٨ وحدة نووية بالاضافة الى١٠٩ وحدات نووية تحت الانشاء ·

كما بلغت نسبة مساهمة الطـــاقة النووية فى انتاج الكهرباء على مستوى العالم اكثر من ١٦٪ وتتراوح فى بعض الدول بين ٥٠٪ ، ٨٠٪ ، جاء ذلك فى البيانات الاولية الواردة من الوكـــالة الدولية للطاقة الذرية عن المفـــاعلات النووية الشغالة والتى تحت الانشـــاء



كانوا يعلمون مساوىء المفاعل . ولم يتم تطويره

وطبقا للاحصائيات حتى نهاية عـــام ١٩٨٨ ·

من ذلك يتضح جليا خصوصية حادث مفاعل تشيرنوبيل وان سحابة التهويل من اثار الحادث الصحية قد انقشعت واتضح للعالم تماما المبـــالغة الكبيرة التى تم بها تناول الحادث ، وبات العالم كله مقتنعا تماما بأهمـــية الدور الذى تلعبه الطاقة النووية فى انتاج الكهرباء وهو ما يتضح جليا من التزايد المستمر فى الاعتماد عـــلى الطاقة النووية فى تغطية احتياجات العالم الكهربية نظرا لمزايـــاها الاقتصادية والبيئية ومزايـــا امان تشغيلها ·

البيئة المصرية

هى الخزان الأعظم للثروة

ماذا أعدت مصر لحماية البيئة من التلوث ؟

إن ضرورة الوصول الى توازن متطور لعناصر صحة البيئة تنطبق على حالتنا فى مصر ، أكثر مما تنطبق على أحد فى عالمنا ، إذا أخذنا بعين الاعتبار مستوى الوعى بالمشكلة البيئية التى تهددنا ، والامكانات المكرسة لمواجهتها !

ماهى المخاطر البيئية التى تواجهها مصر ؟ وماهى الجهود المبذولة فى التصدى لهذه المخاطر ؟ والأهم ماهو الصدى الذى نراه لهذه الجهود فى الشارع المصرى ؟ ..

البيئة - وحمايتها - ليست مفهوما تجريديا .. فهى فى نهاية المطاف المياه التى نشربها ونأكل أحياءها ، والهواء الذى نتنفسه ، والتربة التى تغذى ما نتغذى به ، كما انها درجة الضوضاء التى تمكننا - او تعوقنا - عن العمل المثمر وتسهم فى تحديد مستوى صحتنا النفسية والعضوية فى نهاية المطاف .. ذلك بالاضافة إلى المظاهر الجمالية التى تحيط بنا والمساحات الخضراء و ...

وتتعرض البيئة لمتغيرات سريعة وشديدة الأثر على الحياة ككل ، وعلى الانسان بصفة خاصة ، بالذات منذ ظهور الحركة الصناعية وانتشار ظاهرة الانفجار السكانى و ...

• مشاكل البيئة

وتتمثل أهم مشكلات البيئة فى مصر فى زيادة درجة التركيز السكانى بوادى النيل

والدلتا ، مع قلة استصلاح الأراضي ، الامر الذي ادى إلى تناقص الأراضي الزراعية في مواجهة التوسع العمراني والحضاري . وبسبب التركيز السكاني - مع الاسباب التي سنذكرها بعد - ازداد حجم ونوع المخلفات (الصلبة والسائلة والغازية) الواجب التخلص منها ، وبدرجة تزيد على الطاقة الاستيعابية للبيئة ، وعلى وسائل التخلص من هذه المخلفات ومعالجتها .

ويتسبب ذلك في مشاكل صحية فالمخلفات مصدر لنقل وانتشار الامراض المعدية ، وهي اكبر مصادر تلويث المجاري المائية : «مياه الشرب» . كما أن عدم القدرة على التخلص منها يتسبب في العديد من مظاهر الانتكاس الاقتصادي وعدم القدرة على استيعاب الامكانات الاقتصادية والاستثمارية المتاحة ، بالطريقة المثلى . وذلك بالاضافة إلى المشاكل الاجتماعية التي تتمثل في مشاعر السخط والقلق على الصحة العامة ، ناهيك عن قلة فرص الاستمتاع بالقيم الجمالية والحضارية المختلفة ..

ولعل المشكلة الثانية من مشاكل مصر البيئية هي عدم توافر الدراسات المتكاملة عن الآثار البيئية لمعظم المشروعات التنموية ، في مجالات التصنيع والاسكان واستصلاح الأراضي والطاقة ، مع غياب التشريعات التي تفرض ذلك ، او عدم القدرة على تنفيذها (إن وجدت) .

والتجاوزات في هذا الصدد لا تقتصر على غياب الاعتبارات البيئية في التخطيط العمراني للمناطق السكنية وفي تصميم الوحدات السكنية ذاتها ، بل تمتد إلى عدم المواءمة بين الأوضاع البيئية والعوامل الاجتماعية ، وعدم وجود معايير - على سبيل المثال - للفصل بين المناطق السكنية ، وغيرها من المناطق السياحية والصناعية (الاسكان الشعبي حول القاهرة مثلا) وهو ما ادى إلى قيام العديد من المشروعات الكبرى ، في مناطق مكتظة بالسكان ، مما ارهق شبكات الصرف الصحي ، وغيرها من المرافق ، وزاد من احتمالات تلوثها بالمخلفات الصناعية (منطقة حلوان مثلا) ..

ويمكن ان نذكر في عداد مشاكل البيئة المصرية تلوث المياه الاقليمية ، في كل من البحر المتوسط والبحر الاحمر ، بسبب زيادة حركة الملاحة البحرية ، وعمليات استخراج ونقل النفط ، بالاضافة إلى استخدام مياه البحر والبحيرات ، كمصرف للتخلص من المخلفات السائلة للتجمعات السكانية . وفي هذا المجال تبرز أيضا مشكلة ارتفاع درجة تلوث مجرى النيل ، في الريف والحضر ، بسبب نقص إمكانات شبكة الصرف الصحي عن استيعاب المخلفات السائلة ..

وهناك أيضا مشكلة تعرض التربة الزراعية للتلوث بسبب عدم فعالية استخدام المخصبات الكيميائية والمبيدات الحشرية .. كما أن هناك زيادة مطردة في الاستخدامات السلمية للاشعاعات المؤينة والنووية ، وانتشارا للضوضاء ، بما تسببه من ضغوط على الحالتين النفسية والصحية للانسان ، بسبب التوسع في استخدام تكنولوجيا الاتصالات في الحياة اليومية ، ويتساوى في التعرض لهذه الظاهرة كل من سكان الريف والحضر ..

● انشطة حماية البيئة

ولاشك في أن موضوع البيئة موضوع متشابك تتعدد فيه الجوانب ، وتتطلب حماية البيئة مواجهة مختلف الجوانب بصورة شاملة ومستمرة .. وقد ادى ذلك إلى تزايد الاهتمام في السنوات الاخيرة بموضوع حماية البيئة .

وقد تبلورت الجهود المصرية في خطة قومية للبيئة ، وخطط خمسية وسياسات وبرامج تنفيذية سنوية لهذه الخطط ،



يشارك فى اعدادها الخبراء المتخصصون من أساتذة الجامعات والمركز القومى للبحوث والوزارات المختلفة ، بإشراف أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا وذلك ناهيك عن انشطة مجلس بحوث البيئة ، والشعب الفرعية التى تشكلت فى إطاره ..

وقد تطرقت مخططات الأنشطة البيئية الى مختلف الجوانب فشملت :

- الأنشطة التنفيذية والادارية .
- عمليات الرصد والقياس والتقويم .
- البحوث والدراسات العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية
- التعليم والتدريب (تطوير القوى العاملة)
- الاعلام والوعى البيئى .

وعمت هذه الأنشطة على مجالات هامة وحيوية مثل :

- حماية نهر النيل من التلوث .
- حماية الشواطىء المصرية .
- حماية البيئة المائية والثروة السمكية من أخطار التلوث
- تلوث الهواء .
- الضوضاء .
- المحافظة على التربة الزراعية وحمايتها من التبوير والتجريف .
- تلوث الأماكن العامة بالقمامة والاتربة .
- حماية الريف من التلوث بالمبيدات والاسمدة .
- المحميات الطبيعية .
- حماية الشواطىء من البحر
- تامين المواطنين من الانشطة النووية والمواد المشعة

● فعالية الأنشطة البيئية

وكما هو واضح فإن دائرة التخطيطات تشمل معظم مشاكل البيئة المصرية لكن الفيصل فى نهاية المطاف ليس التخطيط او الاهتمام بانشطة البيئة ، كانشطة فى حد ذاتها ، وانما بالنتائج الملموسة التى يمكن ان يلمسها ويحسها المواطن العادى ، والاتجاه الذى تتخذه المشاكل فى أرض الواقع ، وهل تتحرك فى اتجاه الحل ام فى اتجاه التفاقم والتعقيد .

وقد يروق للبعض وهو يتحدث عن مشاكلنا البيئية أن يثير قضايا مثل غرق دلتا النيل والسواحل المصرية - مع غيرها من المناطق - بفعل ارتفاع مستوى البحار نتيجة للتخريجات العالمية حول إرتفاع درجة حرارة جو الكوكب .. او ان يثير قضية الشح المنتظر فى موارد مياه النيل مع التغير الذى يطرأ على جو العالم او ..

ولاشك فى اهمية ذلك . لكن مثل هذه التخريجات ، إذا ابتعدنا عن شيطان الاثارة الصحفية والعلمية ، امور من قبيل الاحتمالات والتوقعات الحسابية غير المؤكدة ، لما يمكن ان يحدث على إمتداد مئات السنين القادمة .. ولهذا يجب الالتفات عنها لان الاوضاع البيئية القائمة فى مصر تشكل سرطانا قاتلا يحث خطاه فى جسدها ، على نحو يمكن ان يقودنا ، لو استمر الحال على ما هو عليه ، وفى ظل التزايد السكانى الرهيب ، الى مواجهة كارثة بيئية لاعلاج لها ، وفى مدى عشرات السنين القادمة وليس مئات السنين التى تستغرقها التغيرات العالمية المثارة ناهيك عن ان قضايا مثل ترشيد استهلاكنا للمياه والكهرباء وحماية سواحلنا المتاكلة باتت ضرورة ، حتى دون تغير المناخ العالمى ، ودون ارتفاع مستوى البحر .

● حلول غير تقليدية

ولسنا هنا بصدد تكرار اقوال مدرسية

معادة عن مدى تلوث الهواء والماء والتربة و .. لا لعدم اهمية ذلك ، وإنما لان تجنب الكارثة البيئية بات يستوجب تجاوز التصورات التقليدية

فعلى سبيل المثال بلغت نسبة تلوث هواء القاهرة اضعاف المستوى العالمى وبين اسباب هذا التلوث ان اكثر من ٥٠٪ من سياراتنا تلفظ من الملوثات اكثر من ضعف النسبة العالمية المسموح بها (دراسة لكلية الهندسة - جامعة القاهرة) ذلك بينما تنصب مذابح يومية للاشجار والمساحات الخضراء (نصيب القاهرى منها سنتيمترات قليلة !) ، و ..

وإذا ابتعدنا عن العاصمة هالتنا كمية السموم التى تترسب فى التربة الزراعية ، وتنتقل مع الغذاء لتضر بصحة الانسان ، نتيجة للرصاص الموجود فى عوادم البنزين . والكادميوم الموجود فى عوادم الديزل ..

وحتى ندرك حجم الخطر المحدق باراضينا الزراعية يكفى معرفة ان المساحة الملوثة حول طريق «مصر - اسكندرية » الزراعى وحده بلغت ستة آلاف فدان (دراسة لكلية الزراعة جامعة القاهرة) .

واغرب مافى الأمر ان « الوباء السياراتى الانتقالى » الذى يصنع ذلك كله ليس له اية فعالية اقتصادية او حضارية منظورة ، رغم اضراره الهائلة ، انطلاقا من مسلمة تؤكد ان البيئة هى الخزان الأعظم للثروة ، ومن الدمار الذى يوقعه بالآثار المصرية و ...

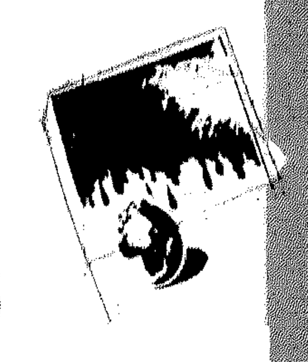
والتصور التقليدى حول تطبيق قوانين عوادم السيارات مفيد بلا جدال ، لكن المسئولين عن تطبيقه يرون استحالة فى ذلك .. ومن هنا الدعوة إلى تصورات غير تقليدية تمضى فى اثر الظواهر الى أبعد من تجلياتها القريبة ، مثل التفكير فى علاج لحالة «المبالغة الإنتقالية السياراتية » مثلا ..

ويجب الاستفادة فى هذا الصدد من المنجزات العلمية الحديثة مثل تقنيات الاستشعار عن بعد ، ومن إمكانات المنظمات الدولية ، والامم المتحدة ، ومنها بنك المعلومات والموارد ، الذى يوجد مركزه الرئيسى فى نيروبى ويقوم بتحليل واعداد معلوماته فى جامعة جنيف ، ويعتمد على تكنولوجيا وكالة الفضاء الامريكية ، وهو يهتم بقضايا المناخ والموارد المتجددة وعمليات التلوث الطويلة الامد و ومن حظ مصر فى هذا الصدد وجود كوادر علمية اكثر من ملمة بهذه الابعاد مثل د مصطفى كمال طلبه ، د محمد عبدالفتاح القصاص ، د . عاطف عبيد

وجوانب المواجهة غير التقليدية كثيرة لكن لعل الأهم إطلاقا ان يتم ذلك فى إطار تصور استراتيجى غير مدرسى يعى ظروف مصر قدر ما يعى الامكانات العالمية . يحثه ويتسجعه عن وعى او بعد نظر إنفاقى من المسئولين ، ويقوم على تنفيذ سياساته وخططه جهاز له ملامح عضوية ووظيفية واضحة ، يجمع اشتات العاملين حاليا فى مجالات متفرقة تتصل بالبيئة ، يملك مركزا بحثيا طليعيا ، ويعتمد على بنك معلومات غنى وقادر .. غير انه لا سبيل إلى إنجاز له قيمة تذكر دون جهد دءوب فى إشاعة الوعى البيئى من خلال كل القنوات الاعلامية والتعليمية و .. يفلح فى النهاية فى إشراك الجمهور بحلول المشكلات البيئية ، ذلك ان معظم مصادر التلوث فى مصر مرتبطة بالنشاط المباشر للانسان .

بقيت فى النهاية إشارة الى ان اجهزة البيئة فى مصر ليست فى الموقف الذى يتيح لها أن تتفاخر - وروما تحترق - باننا اول من فطن لمشاكل البيئة ومن اول من سنوا قوانين منع تلوث الهواء ، وشكلوا اجهزة ، و ..

ذلك أن العبرة فى النهاية بما نرى من صدى فى الشارع المصرى



ومن الطعام

الغذاء أحد المقومات الاساسية لحياة الكائن الحى بعد الهواء والماء ، فالانسان والحيوان وحتى النبات يحتاج إلى غذاء اى يحتاج إلى أن نمده بمواد تساعده على بناء نفسه وعلى القيام بكل الوظائف اللازمة لحياته .

ومواصفات الغذاء السليم للانسان أن يكون متنوعا ، يفى باحتياجاته التى تتغير تبعا لمرحلة نموه ولعمره ولطبيعة عمله وظروف حياته ، وأن يمد الانسان بكل العناصر اللازمة لحياته بما في ذلك العناصر الدقيقة والنادرة ، وأن يكون فى صورة مقبولة ترضاها نفسه ، وأن يكون خاليا من المواد الضارة ومن التلوث والجراثيم القاتلة للأمراض والمواد الكيماوية الخطرة .

بقلم : د. شفيقة ناصر

ويعتبر خلو الغذاء من التلوث شرطا اساسيا لسلامة الغذاء خاصة ان الغذاء يسهل تلوثه فى مراحل متعددة تبدأ من انتاجه ، وأثناء اعداده ونقله او حتى أثناء تقديمه وحفظه . فما هى الملوثات الاساسية التى تصل الى الانسان عن طريق تلوث الغذاء .

١ - قد يكون الغذاء ضارا أو ساما بطبعه . فهناك كثير من النباتات والاحياء المائية والحيوانية السامة مثل بعض الاسماك السامة ، وبعض انواع الحبوب التى تنمو مع حبات القمح ، او بعض الخضراوات التى تنمو فى الحقل ، او بعض انواع الفطر وعش الغراب التى تنمو فى الطبيعة أو قد يسبب نوع معين من الغذاء أعراض حساسية او اعراضا مرضية ، عند بعض الناس دون الآخرين ، وهذه

● استاذ طب المجتمع بكلية طب القصر العينى ، وعضو مجلس الشورى .

ما قتل !!



الأطعمة السامة يعرفها الناس ويتوارثون هذه الخبرة فمثلا يعرف الفلاح أيا من الخضراوات الشيطانية ياكلها مثل السريس وأيها يتجنبها ويعلم أولاده ذلك ، كذلك يعرف الصيادون الاسماك السامة يعيدونها للبحر ولايبيعونها ، وتعرف الفلاحة الحبات الدخيلة على القمح فتنزعها قبل اعداده للطحن وهكذا يكتسب الانسان من الخبرات مايهديه الى تجنب هذه المواد الموجودة فى الطبيعة

٢ - وقد يتلوث الغذاء بالمواد الكيماوية عن طريق أستخدام المبيدات المختلفة او عن طريق التلوث الصناعى او عمدا بإضافة مواد ملونة أو مواد حافظة او غيرهما مما قد يحتوى على مواد ضارة وسيتم شرح ذلك فيما بعد ، ويدخل فى هذا المضمار أيضا تلوث الغذاء بالمواد المشعة .

٣ - التلوث البيولوجى للغذاء والتسمم الغذائى

وسابدا من حيث انتهيت بالتلوث البيولوجى للغذاء والتسمم الغذائى ، فنجد الأمراض التى تنتقل مباشرة بالغذاء .

أولا : التسمم الغذائى : التسمم بالسالمونيلا : وينتقل عن طريق البقر ، والآن عن طريق الدواجن والبيض والإنسان .

ثانيا : التسمم بالميكروب العنقودى : وعادة ينتقل من الإنسان حامل العدوى الى الطعام .

ثالثا : التسمم بالكلوستريديا وتنتقل من حيوانات الحقل الى الطعام .

وهناك امراض تنتقل عن طريق اللبن :

البروسيلا والسل . وتنتقل من حيوانات الحقل .

وأمراض تنتقل عن طريق اللحوم مثل الدودة الشريطية ، والتريكنوزس ودودة الديفلوبوثريم وهذه تنتقل عن طريق الأسماك .

وهناك مجموعة اخرى من الأمراض تصلنا عن طريق الطعام والشراب اى تصل إلى الغذاء عن طريق اليد الملوثة أو السماد او الذباب أو رى الطعام بمخلفات آدمية وحيوانية وهى متعددة



ومن الطعام ماقتل ! !

وتشكل اكثر من ٥٠٪ من مجمل الأمراض التى تصيب الانسان ، وإذا وضعنا امثلة نجد النزلات المعوية والإسهال ، والدوسنتاريا ، والتهاب الكبد الوبائى ، وشلل الأطفال ، والكوليرا ، والتيفود وكثيرا من الطفيليات مثل ديدان الاسكارس والتركيورس والدودة الدبوسية والدودة الشريطية القزمة وكل هذه الأمراض تنتقل من الانسان الى الانسان عن طريق الطعام الملوث او اليد مباشرة أو عن طريق تلوث المياه .

وساقف ببعض التفاصيل عند بعضها .

التسمم بالسالمونيلا : السالمونيلا هو ميكروب معوى وانواعه متعددة ، والنوع الذى يسبب التسمم هو سالمونيلا تيفى ميوريم ، وهذا يلوث اللحوم او احيانا اللبن من الحيوانات والطيور المصابة ، وهو لكى يسبب التسمم يجب ان يصل إلى الانسان وهو حى ، فإذا تم طهو الطعام جيداً لايحدث التسمم بالسالمونيلا . ومن خصائص هذا الميكروب قدرته على المعيشة خارج جسم الحيوان لفترات طويلة ، لذلك يمكن ان يظل فى اللحوم والدواجن المجمدة لفترات دون أن يموت فكيف يحدث التسمم ونحن لا تتناول اللحوم او الدواجن دون طهو ..! يحدث ذلك إذا وضعنا الدواجن على مائدة اعداد الطعام فتلوثت بدمائها او مخلفاتها ، ثم وبدون وعى من يعد الطعام وصلت هذه المواد الى انواع أخرى او إلى نفس الطعام بعد أعداده ، كذلك فى الأطعمة التى لايتم طهوها جيداً مثل الهامبورجر وانواع السجق أو عند شوى الفراخ دون أن تصل الحرارة إلى كل أجزائها الداخلية فى كل هذه الحالات تصل السالمونيلا الى الشخص السليم فتصيبه باعراض التسمم من قىء وإسهال وخلافه وعادة تصيب كل من يتناول الوجبة وقد تسببت السالمونيلا فى مشكلة اقتصادية ضخمة فى نهاية عام ١٩٨٨ حين أعلنت وزيرة الصحة السيدة كارى ان معظم البيض فى بريطانيا يحتوى على السالمونيلا وحذرت من تناول البيض النىء والبيض يستخدم نيئا عند اعداد المايونيز او تعطيه بعض الأمهات للاطفال نيئا مع اللبن ، ولكن هذا التحذير اضر بصناعة البيض ضررا بالغا حيث تجنب الناس استخدام البيض لأسابيع مما أسفر عن ملايين الجنيهات من الخسارة لهذه الصناعة فى بريطانيا وادى الى استقالة السيدة كارى من الوزارة .

وعن انواع التسمم الغذائى الاخرى هناك التسمم بسموم الميكروب العنقودى وقد تعمدت ان اذكر انها السموم وهذه قادرة على مقاومة الحرارة اى انها تظل فى الطعام حتى بعد طهوه أو غليه ، وهناك حوادث يومية فى مصر من هذا التسمم

والاطعمة المثلى لنمو هذا الميكروب هي الأطعمة التي تصنع ثم تترك فترة ينمو فيها الميكروب ويفرز سمومه مثل الكسكسي الذي يعد في الريف للمناسبات ويترك اكثر من ٢٤ ساعة ، ومثل بعض المشروبات ومثل الكريمة المستخدمة في الحلوى كل هذه اوساط مناسبة لتكوين السم اذا لم تراع القواعد الصحية والنظافة وخاصة نظافة اليد عند الاعداد وايضا تكون الاعراض هي القيء والاسهال بعد ساعات قليلة من تناول الوجبة .

واخطر انواع التسمم الغذائي ذلك الذي يصيب الجهاز العصبي وهو التسمم بالبوتيوليزم ، وهذا النوع بدات تظهر حالات منه في مصر في الاعوام الماضية نتيجة استخدام بعض الاسماك المستوردة في عمل الفسيخ ، وعلينا ان ننتبه وننشر الوعي للتبليغ عند حدوث حالات أخرى حتى يمكن حصر حجم المشكلة والتعرف على ابعادها .

لن اتوسع في الحديث عن الامراض التي تنتقل بالطعام والشراب وقد ذكرت بعضها ولكنني انتقل إلى تلوث الطعام بالمواد الكيماوية .

● التلوث والأسمدة والمبيدات

تلوث الطعام بالمواد الكيماوية اصبح ياخذ ابعادا تختلف عن التسمم الغذائي فقديما كان التسمم الغذائي يحدث في ظروف حادة اي يحدث تسمم لأفراد نتيجة تناول طعام يحتوى على املاح المعادن الثقيلة اما عن طريق الخطا او عن طريق العمد ، وكان التسمم بالزرنيخ والرصاص والزئبق هو مانسمع عنه ، وهناك حوادث شهيرة لذلك فمثلا في عام ١٩٠٠ اصيب ستة آلاف شخص وتوفى منهم تسعون نتيجة التسمم بالزرنيخ الذي كان يلوث المواد المستخدمة في صناعة البيرة في لانكشير بانجلترا ، اما في مكناس في المغرب فقد أصيب ٢٠٠٠ بالشلل في عام ١٩٥٩ حين استخدم زيت معدني به فوسفور عضوى في غش زيت الزيتون فتسبب في هذا الحادث ، هناك ايضا حوادث اخرى تسببت من وصول المعادن الثقيلة مثل الزئبق والرصاص الى الطعام فقد حدث في عام ١٩٧٢ أن تسمم ٦٥٠٠ شخص في العراق نتيجة تناول الحبوب التي عوملت بالزئبق والتي غطيت بمادة ملونة ووضعت تحذيرات تقول انها تستخدم كمبيدات فقط وليست للطعام ووزعت على الفلاحين للزراعة .

ويحدث التسمم بالزئبق نتيجة وصول الزئبق الى المجاري المائية والبحيرات وتركيزه عدة مئات من المرات في لحم الاسماك والاحياء البحرية ، واشهر حوادث التسمم بالزئبق وتلوث الطعام ماحدث في خليج ميماتا باليابان حين نجم عن تناول السمك الملوث ظهور عدد كبير من حالات الاطفال المصابين بعيوب خلقية وبالدراسة وجد أن الأمهات يعشن على حافة الخليج ويتناولن الكثير من الأسماك الملوثة بالزئبق ، وقد تم تحديد مصدر الزئبق من مياه صرف المصانع المحيطة بالخليج ومعاملتها بعد حدوث هذه الكارثة .

اما الخطر الداهم ، والذي يتعرض له الانسان الان فهو ليس التسمم الحاد سواء بالمعادن الثقيلة أو بالمبيدات التي تصل بطريق الخطأ الى الطعام



ومن الطعام ماقتــل ! !

فتسبب التسمم الحاد الملحوظ والذى يحتاج تدخلا سريعا ومواجهة .

ولكن الخطر يكمن فى تلوث الغذاء بكميات قليلة أو آثار من المبيدات أو المعادن أو الاشعاع على مدى سنوات طويلة ، تترسب فى أنسجتنا وتسبب الأمراض والعاهات ، بما ليس لجسم الانسان من قدرة على مواجهتها ، والتعامل معها ، والقائمة طويلة ومتعددة ، والسبب المباشر هو أننا أصبحنا نعيش عالما يتركز فيه الملايين فى المدن بعيداً عن مصادر انتاج الطعام ، وأصبح من الضرورى أن يتحول انتاج الطعام الى عملية علمية صناعية اقتصادية ، تستخدم فيها الوسائل الحديثة لانتقاء المحصول وتغذيته وريه ثم تستخدم المواد المخصبة والمبيدات لاكثار المحصول والمحافظة عليه ، ثم تستخدم المواد الحافظة لحفظه ونقله وتغليفه وتوزيعه ، ثم تستخدم المواد الملونة ومكسبات الطعم ومحسنات الدقيق ، ومسيلات الدهون وغيرها من قائمة ضخمة من المواد الدخيلة فى صناعة الطعام وكما ذكرت فبعض هذه المواد تصل إلى الطعام بطريق الخطأ أو تلوث البيئة مثل استخدام مبيدات القطن فى رش الخضراوات ، أو مثل ترسب الرصاص على الخضراوات المزروعة على جانبى الطرق المزدحمة بالسيارات حين يخرج الرصاص من عوادم السيارات فيتساقط على الخضر والفواكه ، ومثل تركز المبيدات فى البان ودهون الحيوانات التى تتغذى بطريق الخطأ على زراعات مرشوشة ، والقائمة طويلة كيف يؤدى تلوث البيئة وتلوث الهواء والمياه والتربة لوصول هذه الملوثات الى طعام الانسان . أما الطريق الأخر فهو تلوث الغذاء بهذه المواد نتيجة استخدامها عن عمد لحفظ الطعام ، أو زيادة انتاجه فمثلا تستخدم المضادات الحيوية والهرمونات لزيادة انتاج اللحم ، وتستخدم المواد الملونة ومكسبات الطعم لتحسين لون ومظهر الطعام عند بيعه ، ولم تسلم المواد المستخدمة فى التغليف والتعبئة من أن تكون سببا فى تلوث الطعام ، وقد استبعدت مواد بترولية وبعض أنواع البلاستيك لضررها على الصحة . اما التلوث الاشعاعى فقد بدا ياخذ حجما أكبر واضخم فى مشكلة تلوث الطعام مما كان يحدث فى الماضى ، والطعام قد يتلوث نتيجة وصول مواد مشعة عند اجراء الاختبارات النووية ، أو نتيجة تفجيرات نووية متعمدة ، أو نتيجة حوادث مثل حادث تشيرنوبيل أو نتيجة تسرب مواد مشعة من مفاعلات او من مصادر معملية أو غيرها . وخطورة هذا النوع من التلوث أنه قد يظل سارى المفعول لعدد كبير من السنوات بعد الحادث أو بعد التسرب مما يستوجب عمل مراقبة مستمرة للأغذية لتحديد نسبة التلوث الاشعاعى بها وخاصة عند انتقال

الطعام من دولة الى اخرى فى التجارة الخارجية .

● مقاومة التلوث

ماهى الاجراءات المحلية والدولية التى تتبعها الدول للتخفيف من مشكلة تلوث الغذاء ؟

لقد عمدت الدول الى سن القوانين التى تنظم عملية انتاج الطعام ونقله وبيعه ومنع غشه وكما شاهدنا من الاستعراض أن مراقبة الطعام يجب أن تشمل فحص الطعام للتاكد من جودته اى انه فى حالة صالحة للاستخدام وغير تالف ، ثم فحصه من الملوثات البيولوجية اى الميكروبات وسمومها ، وفحصه من الملوثات الكيماوية من معادن ثقيلة ومن مبيدات ، ومضافات ثم فحصه من التلوث الاشعاعى . ونظرا لتعدد العناصر والمواد التى يمكن أن تلوث الغذاء كان لزاما على كل دولة أن تحدد المخاطر التى تتهددها والفحوص التى يستوجب عملها عند فحص عينات الغذاء التى تؤخذ فى الداخل أى فى الأسواق والمتاجر أو عند استيراد الأطعمة من الخارج .

وهناك قوانين واجراءات دولية تنظم ذلك بين الدول . وقد انشات منظمة الصحة العالمية ومنظمة الأغذية والزراعة لجنة تسمى لجنة (الكودكس المنتريس) ، وتجتمع هذه اللجنة التى تحضرها الحكومات لتحدد المواد التى يمكن أستخدامها ، وشطب المواد التى ثبت ضررها من قائمة مايصرح به فى الطعام ، كذلك تحدد أساليب التغليف والاعلان الصريح وبلغة البلدة عن مكونات الغذاء وماأضيف إليه من مواد ، وتحدد الكمية المسموح بها من بقايا المبيدات او المعادن .

● الآثار الاقتصادية للتلوث

بعض الجوانب الصحية والاقتصادية لتلوث الغذاء .

اصبحت مشكلة تلوث الغذاء من المشاكل الملحة التى تتسبب فى كوارث اقتصادية دولية ، فمثلا خلال شهر مارس ١٩٨٩ أمتنعت الولايات المتحدة الامريكية عن استيراد العنب من شيلى لوجود آثار سيانيد ببعض العينات ، وتسبب هذا فى كارثة اقتصادية نظرا لأنه المحصول الرئيسى لشيلى . وقبل ذلك بأشهر قليلة ظهرت مشكلة تلوث البيض بالسالمونيلا فى انجلترا وإعلان ذلك وما ادى إليه من خسارة بمئات الملايين من الجنيهات لصناعة البيض ، ومايظهر كل فترة من إعادة حاصلات زراعية للبلدان النامية نتيجة ارتفاع كمية المبيدات او المعادن الثقيلة المتبقية عليها ، مما يسبب خسارات اقتصادية فادحة وخاصة لاقتصاد هذه الدول المثقل بالديون اصلا .

أما إذا وضعنا فى الاعتبار الخسارة الاقتصادية الناجمة عن المرض ، وفقد ايام العمل ، والعلاج ، والوفيات الناجمة عن تلوث الغذاء ندرك مدى خطورة الموضوع واهميته وندرك أن علينا دورا هاما فى أن يكون الطعام طيبا سليما خاليا من التلوث وأن نتبع الاجراءات السليمة عند انتاجه وتغليفه واعداده وحفظه وتقديمه حتى نستمتع بالصحة والسلامة .

في نهر النيل تموت الأسماك من التلوث ! !

نداء أخير ..
لحماية مياه نهر النيل

بقلم: د. فاطمة الجوهري

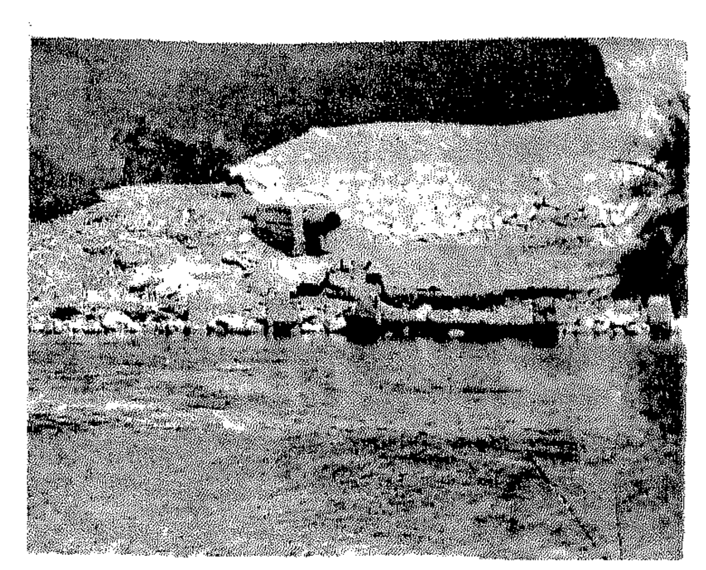
حتى شربة الماء التي نشربها تتعرض للتلوث .. وغدا الخطر يهدد مياه النيل ، هذا الماء القراح الذى انعم الله به على أهل مصر ، وأصبحت الاسماك تموت فى بعض اجزاء النهر .
ولم يعد امامنا سوى ان نعالج آثار التلوث ونحافظ على مياه النهر او الموت البطيء ! !

والذى لا شك فيه انه خلال الاربعين عاما الماضية قد حدثت طفرة صناعية كبيرة تمثلت فى انشاء الصناعات الحديثة مثل صناعة الحديد والصلب والالمونيوم والاسمنت وتكرير البترول والادوية . ومن اهم ملامح التنمية المصرية خلال هذه الفترة تطوير النشاط الاقتصادى ، وتغيير هيكله من الاعتماد على النشاط الزراعى التقليدى الى التركيز على النشاط الصناعي والتعدينى ، والتحول للنشاط الزراعى الاكثر تقدما باستخدام الميكنة والاسمدة الصناعية والمبيدات .

وللاسف لم تحظ مشكلة التلوث بعين الرعاية التى اوليت لتنمية القطاعات الاقتصادية ، فالهواء الذى يحيط بنا لابد أن تتوافر فيه مستويات معينة من النقاء . الامر الذى يلقى منا حتى الان الرعاية الكافية . فمازالت مداخن المصانع تلقى بنفاياتها الغازية والصلبة الدقيقة فى الجو . ولازالت السيارات تنفث بسمومها مع العادم الخارج







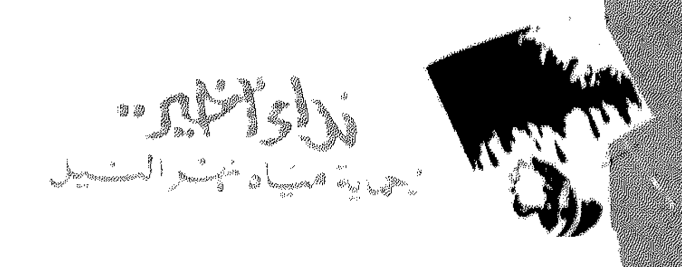
ولايزال مسلسل تلوث نهر النيل . مستمرا

منها دون ما رقابة تذكر ·

ورغم أن مصر قد حباها الله نهر النيل العظيم ، فلا تزال مياه الشرب الصالحة للاستعمال الآدمى غير متوافرة فى بعض مناطق الجمهورية·

● كوب الماء الملوث ..!

ولقد أوضحت الدراسات التى أجريت بقسم بحوث المياه ، بالمركز القومى للبحوث أنه فى معظم المحافظات تتجاوز الشركات والمصانع فى مواقعها مكونة مناطق صناعية تتركز فيها الصناعات الانتاجية المختلفة · ولقد أقيمت جميع هذه النشاطات الصناعية دون أى سند علمى سواء بالنسبة للتخطيط الصناعى نفسه ، أو بالنسبة للتخطيط البيئى بصفة عامة · كذلك لم تتخذ مسبقا أى من الاجراءات الواجب اتخاذها فى مثل هذه الحالات خاصة فيما يتعلق بتقدير حجم الخدمات الضرورية اللازمة للمناطق الصناعية وتوفيرها فى الوقت المناسب أو ادراج مايلزم سنويا من اعتمادات مالية من



ميزانيات الدولة والشركات الصناعية لمداركة هذه الخدمات واتخاذ ما يلزم من اجراءات للتحكم في ملوثات البيئة المختلفة عن النشاط الصناعى بهذه المناطق مشكلة بذلك مركز تلوث صناعى من خلال صرفها لخلفاتها غير المعالجة فى اقرب مجرى مائى سواء كان ذلك نهر النيل او ترعة ، أو مصرفا زراعيا .
ولقد أدى هذا التوسع العشوائى الى ظهور آثار سلبية على البيئة .

وينعكس اثر التلوث واضحا عند مواقع صرف هذه المخلفات ، ويمتد الاثر الى مسافة تعتمد على حجم المخلفات المنصرفة . ودرجة تركيز الملوثات بها .

ولقد أمكن حصر أهم مصادر التلوث على طول النهر ، وتحديد مناطق التركيز الصناعى والتى تؤثر تأثيرا واضحا على جودة مياه النهر والترع والمصارف الزراعية وبيانها كالآتى :

١ - فى منطقة أسوان يمثل مصرف السيل الذى تتجمع فيه المخلفات الادمية والصناعية والزراعية نقطة تلوث هامة لمياه نهر النيل عند موقع الصرف .

٢ - مجموعة مصانع السكر كوم أمبو ، وادفو ، ودشنا ، وقوص ونجع حمادى .

٣ - مصنعى شركة النيل للزيوت والصابون وشركة النصر لتجفيف البصل بسوهاج .

٤ - مصنع الشركة المالية والصناعية بأسيوط .

٥ - يوجد بمنطقة حلوان ما يقرب من ٣٥ مصنعا معظمها يلقى بمخلفاته فى نهر النيل عن طريق مخرات سيول بالمنطقة .

٦ - مصانع التقطير والكيماويات بالحوامدية .

٧ - فى فرع رشيد عند كفر الزيات ، المخلفات المنصرفة من شركة الملح والصودا المصرية وشركة كفر الزيات للمبيدات والكيماويات والشركة المالية والصناعية . اسمدة

٨ - فى فرع دمياط عند طلخا مخلفات مصنع شركة النصر للاسمدة والصناعات الكيماوية .

وجميع هذه المصانع تلقى بمخلفاتها دون معالجة الى مجرى النهر الرئيسى .

ويعتبر القصور الشديد فى ترشيد استخدام المياه داخل المصانع ، مع عدم القيام بأعمال الصيانة الدورية للآلات والمعدات ، مسئولا الى حد كبير عن ارتفاع درجة تركيز الملوثات خاصة الزيوت والشحوم فى المخلفات الامر الذى يمكن تجنبه بدون اعباء مالية اضافية .

ولا يقتصر خطر التلوث على المخلفات الصناعية بل ان قصور شبكة المجارى . وعدم قدرتها على استيعاب التصرفات من المدن . قد ادى الى التخلص من مياه المجارى اما بالقائها فى النهر مباشرة ، او فى المصارف الزراعية التى ترفع مرة أخرى لمجرى النهر الرئيسى . مما يضاعف الخطر لان مياه المصارف تكون محملة بالمبيدات الحشرية المتسربة اليها من الاراضى الزراعية . مما أدى الى تدمير الحياة المائية بالنهر . وتعريض الصحة العامة للاخطار .

نوجز فيما يلي بعض الآثار التي ترتبت على التخلص من المخلفات الصناعية دون معالجة في المجاري المائية أو على التربة .

● التلوث الكيميائي والبيولوجي للمياه مما اثر على الثروة السمكية، وأدى الى افساد المياه في بعض الترع بدرجة أصبحت معها لا تصلح كمصدر لمياه الشرب أو للاغراض الزراعية .

● تلوث مياه الشواطىء المطلة على البحر الابيض المتوسط الى درجة خطيرة في بعض المناطق مما اثر على استخدامات الشواطىء في الاغراض السياحية والترفيهية .

● تلوث المياه الجوفية في بعض المناطق .

● المقاومة او الموت

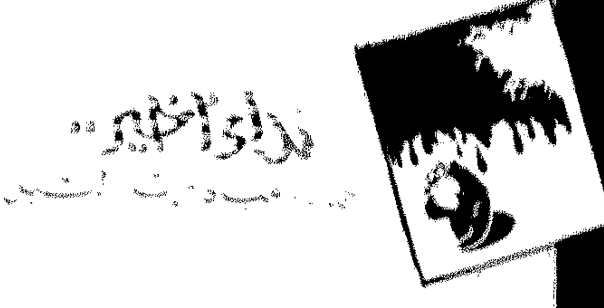
منذ الستينيات تنبهت مصر الى التأثيرات المختلفة للنشاط الصناعي على البيئة مثلها في ذلك مثل بقية دول العالم فنظمت التشريعات وسنت القوانين التي تحمي مختلف أوجه الحياة من آثار الصناعة ومنها قانون صرف المخلفات السائلة على شبكات الصرف الصحي والمسطحات المائية رقم ٩٣ لسنة ١٩٦٢ ولائحته التنفيذية بقرار وزارة الاسكان رقم ٦٤٩ لسنة ١٩٦٢ والقرار الجمهوري رقم ٢٧٠ لسنة ٦٦ بانشاء اللجنة العليا للمياه والقانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٩ م .. الخاص بحماية اماكن العمل ، والقانون ٢١ لسنة ٥٢ ، والقرار الوزاري رقم ٨٦٤ لسنة ١٩٦٩ م . بانشاء اللجنة العليا لحماية البيئة من التلوث والقرار الوزاري رقم ٤٧٠ لسنة ١٩٧١ ... بالحدود القصوى للكيماويات في اماكن العمل وغير ذلك من القوانين ومنها القانون رقم ٣٨ لسنة ١٩٦٧ والقرار الوزاري رقم ١٣٤ لسنة ١٩٦٨ الخاص بالمخلفات الصلبة وكذلك القرار الجمهوري رقم ٥٠٩ لسنة ١٩٥٩ والقانون رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٧ بانشاء اللجنة العليا للمبيدات والقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٦١ الخاص بالوقاية من الاشعاعات النووية والقرار الوزاري باللائحة التنفيذية لهذا القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٦١ .

غير ان تطبيق هذه القوانين واجه صعوبات بالغة بسبب اعتقاد خاطىء بان اهداف اليقظة البيئية قد لا تتمشى مع السرعة المطلوبة في تنفيذ برامج التنمية الاقتصادية . مما ادى الى تفاقم المشكلة .

واخيرا صدر القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٨٢ الخاص بحماية نهر النيل والمجاري المائية من التلوث .

ويعتبر صدور هذا القانون خطوة ايجابية على الطريق اللازم لمواجهة مشاكل البيئة المتفاقمة والتصدي لها علاوة على انه يواكب ويتمشى مع ما ذهب اليه كثير من دول العالم المتحضر من اصدار التشريعات البيئية حماية لمصادرها المائية ومع ما تنادي به المؤسسات والمنظمات الدولية المعنية بشئون البيئة لمواجهة آثار سلبيات النمو الصناعي والتزايد السكاني على المجاري المائية .

غير أن تطبيق هذا القانون مازال يواجه بعض الصعوبات بسبب عدم توافر الاستثمارات الضخمة المطلوبة من القطاعات الصناعية المختلفة لمعالجة مخلفاتها قبل صرفها من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب الاتجاه الى معالجة المخلفات الصناعية بمعزل عن مياه الصرف الصحي مما أدى الى رفع التكلفة المطلوبة وصعوبة توفير المبالغ المطلوبة .



● العلم هو الملجأ

مما لا شك فيه أن البحث العلمى له دور رائد فى حماية البيئة المائية من التلوث · لذلك تضمنت الخطة الخمسية الاولى لمجلس بحوث البيئة· وهو احد المجالس المتخصصة باكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا العديد من المشاريع التى تحقق هذا الهدف ·

واذكر على سبيل المثال مشروع : دراسة أنسب الطرق لمعالجة المخلفات السائلة بمدينة شبرا الخيمة قبل التخلص منها فى المجارى المائية · ولقد تم اختيار مدينة شبرا الخيمة نظرا لان الجزء الاكبر من مياه الصرف الصحى ومعظم المخلفات الصناعية يتم التخلص منها بدون معالجة فى عدد من المصارف المكشوفة · مما يؤدى الى مشاكل بيئية وصحية بالمنطقة · وللاستفادة من نتائج هذا المشروع ، تم الربط بين الدراسة ومشروع الصرف الصحى بالمنطقة والذى مازال تحت التنفيذ ·

وبصفة عامة يمكن ايجاز دور البحث العلمى فى هذا المجال فى النقاط الاتية :

١ ــ تطوير طرق القياس والرصد

٢ ــ دراسة الطرق التى تؤدى الى الاقلال من حجم المياه الملوثة ودرجة تركيز الملوثات بها ·

٣ ــ وضع المعايير لمخلفات الصناعة التى يمكن استقبالها فى الصرف الصحى أو المسطحات المائية ، على أن يؤخذ فى الاعتبار نوعية الصناعة · والنواحي الاقتصادية ·

٤ وضع معايير للمياه بالمسطحات المائية · على أن يؤخذ فى الاعتبار استخدامات هذه المصادر ·

٥ ــ وضع الاسس العلمية لانشاء شبكات لرصد نوعية المياه ·

٦ ــ وضع الاسس العلمية للتكنولوجيا المناسبة لحسن أداء هذه المخلفات ·

٧ ــ الاستعانة بالنماذج الرياضية التى تساعد فى مواجهة المشكلة ·

٨ ــ اعداد الكوادر العلمية اللازمة لتغطية العجز فى بعضها ·

٩ ــ اعداد دورات تدريبية للعاملين فى هذا المجال · على أن تغطي جميع المستويات والتخصصات اللازمة ·

من واقع الدراسات التى أجريت ، يتضح أن الصلاحية النسبية الحالية لمياه نهر النيل وفروعه أصبحت مهددة باستمرار صرف المخلفات الآدمية والصناعية والزراعية بالنهر · لذلك علينا :

١ ــ الاهتمام بعمليات التجديد والاحلال بالمصانع · حيث ان أكثر من ٥٠٪ من الملوثات المنصرفة من المصانع سببه تهالك وقدم المعدات · مع الاهتمام عند التحديث بتطبيق التكنولوجيا النظيفة والمستخدمة فى معظم دول العالم وفى بعض المصانع الحديثة بجمهورية مصر العربية ·

٢ ــ نظرا لان مشروعات الصرف الصحى الجارى تنفيذها فى بعض المناطق يتم مرحليا وفقا لخطة الدولة ، وحيث قد روعى فى تصميم هذه الشبكات استيعابها للمخلفات الصناعية بعد المعالجة المطلوبة ، لذلك فمن الضرورى الربط الزمنى بين أعمال معالجة المخلفات الصناعية والانتهاء من هذه المشروعات حيث سيتم فيها معالجة هذه المخلفات الى



على طول خطى النهر أصبح هذا المشهد مألوفا

المعايير والضوابط التى حددها القانون وذلك منعا لازدواج التكاليف والتمويل مع العمل على توجيه جزء من الاعتمادات المالية المتاحة حاليا لتمويل اعمال المعالجة الابتدائية والصيانة والتحسين لاكبر عدد من المصانع وفقا لحاجتها الى مثل هذه الاعمال وفقا لنوعية وطبيعة مخلفاتها •

٣ ـ الزام ملاك العائمات السكنية السياحية وغيرها الوحدات النهرية المستخدمة فى النقل والسياحة باستخدام وحدات المعالجة المخصصة لمثل هذه الاحوال وفقا لعدد قاطنى ومستخدمى المنشآت وتبعا لحجم مخلفاتها دون انتظار غير مبرر اكثر من هذا حيث أن الكثير من الدول تستخدم مثل هذه الوحدات فى المعالجة المشابهة بنجاح •

كذلك حظر القاء أية مخلفات من هذه المنشآت اثناء سيرها فى نهر النيل وغيره من المجارى المائية دون معالجة واتخاذ الاجراءات التى من شأنها ان تؤدى الى خفض حدة التلوث كالتفتيش الدورى على الناقلات النهرية والزامها بأعمال الصيانة لمنع تسرب الزيوت والوقود منها

كشرط لمنح التراخيص أو الغائها •

٤ ـ الاهتمام بدراسة بدائل الصرف الى المجارى المائية بالنسبة للمناطق غير المتصلة بشبكات المجارى العمومية وذلك تخفيفا لحدة تلوث المجارى المائية لحين تدبير الشبكات العمومية القادرة على استيعاب كل من مخلفات الصرف الصحى والمخلفات الصناعية معا •

٥ ـ انشاء شبكة وطنية لرصد التلوث •

٦ ـ يجب أن يتم الربط بين التشريعات البيئية والتخطيط الانمائى بأن تنص التشريعات على أن يتضمن التخطيط الانمائى عنصر التقييم البيئى للمشروعات مع وجوب تقديم تقرير تفصيلى للآثار البيئية لاى مشروع حتى يمكن التعرف أو التنبؤ والتفسير للعواقب البيئية للمشروع الانمائى ، وأن يصدر القرار النهائى بشأن تنفيذ المشروع على أساس سليم يحافظ على البيئة من التدهور

٧ ـ الاهتمام بالدراسات والبحوث البيئيه وخاصة فيما يتعلق بدراسات التنمية الصناعية •

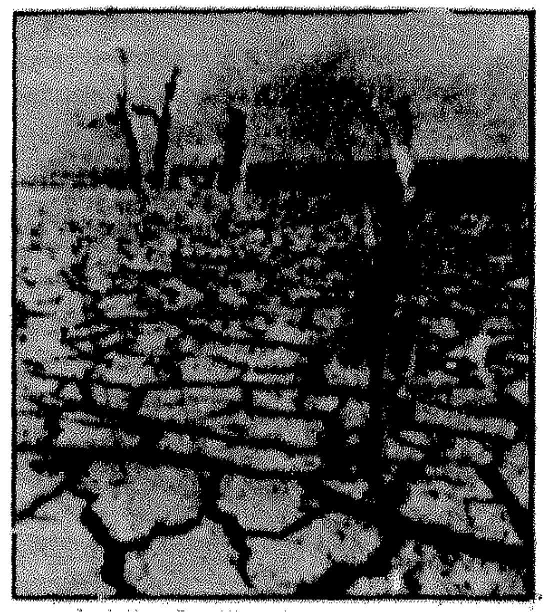
اعتمدت مجلة « الهلال » اساسا على العدد الذى خصصته مجلة « تايم » الامريكية للمشاكل البيئية ، حين اختارت كوكب الارض شخصية لعام ١٩٨٨ ، وذلك باعتبار هذا العدد اشمل دراسة صحفية حديثة فى هذا الباب ..

السكان وموارد الأرض

يرى كثير من الباحثين انه ليست ثمة مشكلة تهدد بيئة الكرة الارضية اخطر من مشكلة تكاثر البشر ، وضغطهم المطرد على موارد الكوكب، وقد تجاوز عدد سكان الكوكب اليوم ٥ مليارات نسمة ، والمتوقع أن يتضاعف هذا العدد خلال القرن القادم وأن تكون ٩٠٪ من هذه الزيادة فى البلدان الاكثر فقرا ..

والملاحظ أن معدلات النمو فى افقر البلدان تعجز عن توفير ضروريات الكفاف (الغذاء والمسكن والوقود ..) حتى بات الباحثون يؤكدون أن التكاثر المجنون صار وسيلة ، او سبيلا ، لانتاج سلالة جديدة من نوع « دون بشرى » ليس فى حوزته ما يؤهل لاى دور ابداعى ، يتجاوز ضرورات البقاء

ورغم ذلك تبدو افاق خفض معدلات نمو السكان شاحبة لان الكثيرين من امم العالم الفقير ابتعدت خلال السنوات الماضية ، عن فكرة تنظيم الاسرة (بل وذهب البعض الى ادانتها) باعتبارها خطة امبريالية عرقية يروج لها العالم المتقدم .. هذا كما


الجفاف والحرارة القاسية والخوف من ارتفاع حرارة الكرة الارضية

أن الرجال فى كثير من البلدان النامية مازالوا ينظرون الى الموانع الذكرية كمصدر تهديد لصورتهم الذكرية ، والى كثرة النسل بصفته دليلا على الرجولة ..

هذا وقد اثبتت البرامج القسرية عدم جدواها فقد اقرت الصين عام ١٩٧٩ ، على سبيل المثال ، سياسة سكانية اتخذت شعار : « طفل واحد لكل أسرة » وسرعان ما ادى الالتزام بها الى تفشى ظاهرة الاجهاض ، بل وتفشى قتل الاسر للمواليد(!)لان الاباء

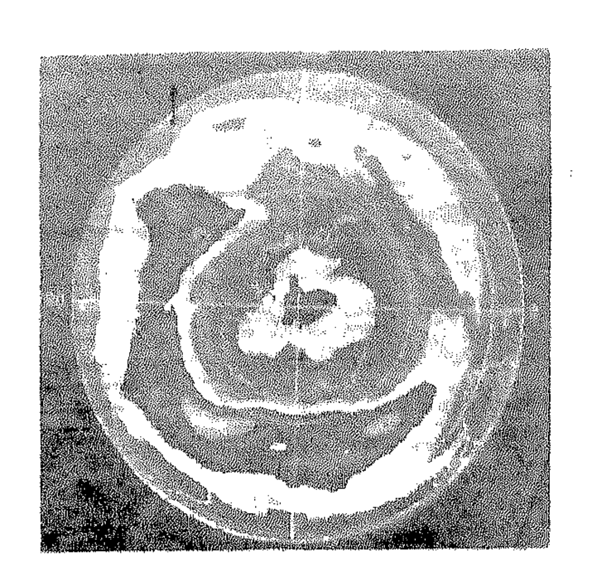
اصروا على ان يكون الابن الواحــــد ذكرا ..

ويقدر عدد حالات الاجهــاض فى عالمنا اليوم بـ ٢٨ مليـــون حالة فى بلدان العالم الثالث عـلاوة على ٢٦ مليون حالة فى الدول الصــناعية ، نصفها تقريبا يتم بصورة غير شرعية لهذا يجمع الدارسون على انه ثمــة حاجة الى سبل جديدة لتنظيم النسل على غـــرار حبـــوب الاجهـــاض التى تسهل كثيـــرا من العملية والى وسائل تمنـــع تكون الجنين لتجنب معارضة مناهضى الاجهاض ، على ان تكون هذه الوسائل رخيصة فى متناول الفقراء .. كما ان هناك حاجـة الى التوعية باساليب منع الحمل والوسائل الطبيعية منها بالذات مثل التزام فترة الامان وارجاء فترة الاخصاب باطالة فترة الرضاعة الطبيعيـــة غير ان الفيصل فى حل المشكلة يعتمــد على تحسين اوضاع المراة وتوسيع فـرص التعليم والعمل امامها .

تاكل الأوزون يهدد الحياة

طبقـــة الاوزون هى الطبقة التى تحمى البشرية من تاثير الاشعة فوق البنفسجية (احد مكونات اشـــعة الشمس) ولها تاثيرات ضـارة على الانسان فهى تساعد على اصـــابته باعتام فى عدسة العين (الكاتاراكت) وبسرطان الجلد ، ناهيك عن كونهـا تضعف جهاز المناعة عامة

وقد حذر العلماء منذ السبعينيات



من تاثير الكلورفلور كاربونات ، التى تستخدم فى عمليات التبريد والترذيذ: الثلاجات والتكييف والايروسولات ., حذروا من تاثيرها السىء على طبقة الاوزون . وبات الخطر اكثر وضوحا عام ١٩٨٥ عندما اكتشف الباحثـون وجود « ثقب » فى طبقة الاوزون فوق القارة القطبية الجنوبية وبالرغم من تغير حجم هذا الثقب ، فان التاكل بلغ فوق بعض المواقع نسبة ٥٠٪ .

ونتيجة لهذا التطور الخطيـــر اجتمعت وفود ٢٤ دولة من بينهـــا الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى فى مونتريال ، منذ عامين ، واجمعوا على ضرورة خفض استخدام الكلورفلور كربونات ، واستهدف ما عرف باسم بروتوكول مونتريال ان يكون صـافى الخفض ٣٥٪ من مجمل انتاجهـــا على نطاق العالم كله قبل ١٩٩٩ ..

وتعمل الشركات على التوصـــل الى بدائل عن الكلورفلور كـربونات وقد اعلنت بلدان عديدة ، منها كندا والاتحاد السوفييتى ، عن التوصـــل الى مواد يمكن استخدامها فى عمليات

التبريد والترذيذ ، ولا ينتج عنها اى اضرار للبيئة ..

وقد تطرقت الى بحث مشكلة الاوزون ومخاطرها مؤتمرات عديدة خلال الفترة الاخيرة ، لعل ابرزها اجتماع لاهاى الذى حضره مع الرئيس حسنى مبارك اكثر من ٢٠ رئيسا . ووفق ما نص عليه اعلان لاهاى جرى الالتزام بتأسيس هيئة ضمن اطار الامم المتحدة تحدد معايير الحفاظ على الغلاف الجوى كما تحدد الوسائل والجزاءات التى تساعد على تنفيذ قرارات هذه الهيئة ، من خلال الاحتكام الى محكمة العدل الدولية ..

هذا وسيعرض الاعلان العالمى الذى صدر عن مؤتمر لاهاى فى الامم المتحدة خلال دورتها القادمة (سبتمبر ٨٩) بهدف اجتذاب الدول للمشاركة فى التوقيع عليه وجدير بالذكر ان جدول اعمال الامم المتحدة عام ١٩٨٨ تضمن مناقشة قضية المناخ الدولى ، لاول مرة بوصفه ميراثا عاما للبشرية ..

العالم يحمى البيئة

مع تفاقم المشاكل البيئية انخرطت بلدان كثيرة فى ممارسة انشطة بيئية توزعت على مستويات متعددة فقد اصدرت البرازيل تشريعا جديدا حول حماية غابات الامازون ، وشرعت جواتيمالا فى زراعة ٥٢ مليون شجرة ، كما انهمكت الصومال فى حملة ضد التصحر ، تتضمن حظرا على تقطيع الاخشاب لاستخدامها كوقود ، وعمل القرويون فى بوركينافاسو على مواجهة التضاؤل المستمر فى معدل الامطار ببناء سدود ساذجة صمموها ونفذوها بايديهم ، كما استخدموا تقنيات بدائية لتجميع المياه عن طريق حجزها بالاحجار ! . هذا كما احيت بيرو نظاما زراعيا قديما (كان يستخدم فى كولومبيا) لتوفير المياه وتزويد التربة بالمخصبات عن طريق الترسبات الغنية بالنيتروجين ..

وقد شرع الصينيون فى مواجهة مشكلة التصحر (٦٠٠ ميل مربع كل عام) بزراعة سور اخضر عظيم من الشجيرات والاشجار يبلغ امتداده ٤٣٥٠ كيلو مترا ..

هذا كما لجأت مجتمعات كثيرة فى مواجهة ازمة مياه الشرب الى اقامة محطات تحلية مياه البحر كما لجأت بلدان اخرى الى محطات تحلية مياه الصرف الصحى ، وافتتحت فى مدينة دينفر عام ١٩٨٥ محطة تجريبية لانتاج مليون جالون من مياه الشرب يوميا بمعالجة نواتج الصرف الصحى

وفى الدول الكبرى اتخذت انشطة حماية البيئة ابعادا هائلة فقد اعتمد الاتحاد السوفييتى ٢٤ مليار دولار لهذا الغرض (عام ١٩٨٨) على ان تزاد تدريجيا لتصل الى ٦٤٫٤ مليار دولار سنويا ابتداء من التسعينيات واتخذت اجراءات صارمة ضد المتسببين فى مضار بيئية ، فجرى تحويل ٢٠ حالة من حالات انتهاك المعايير الايكولوجية حول بحيرة بايكال الى النائب العام، واغلقت عشر قواعد فى ليجنى تاجيل لانها لم تراع قواعد التحكم فى النفايات السامة ، و ....

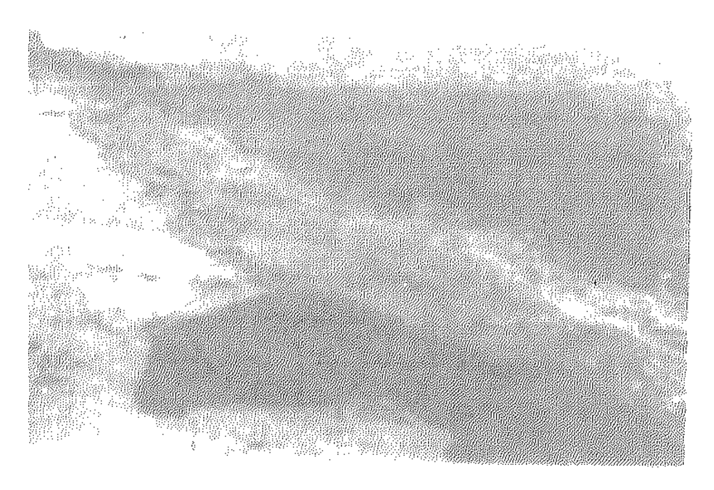
وفيما يخص الولايات المتحدة الامريكية اكبر الدول استخداما للموارد الطبيعية واكثرها اساءة

البيئة ، وتخلصا من السجل البائس لادارة ريجان فى مجال حماية البيئة ، حول بوش قضية تلوث خليج بوسطن الى ورقة رابحـــة فى حملتـــه الانتخابية ، واكد عزمه على تغييـــر الصورة حيـن عين ويليـام ريلى ، الداعية المخضرم للحفاظ على البيئة، رئيسا لوكالة حمـاية البيئـــة فى الولايات المتحدة · وقد وعـــد ريلى (٤٨ سنة) ، وهو رئيس البنـــك العالمى للحياة البريه ، باتخاذ مسار جديد وبناء فيما يتعلق بمشـــكلات البيئة ·

وتناقش فى الولايات المتحـــدة حاليا اجراءات لرفع ضريبةالجازولين وتشجيع اعادة استخدام النفايات ، وتشجيع استخدام الغاز الطبيعى ، وتنظيم الاسرة ، والتصـديق عـلى قانون أعالى البحار ، وزيادة كفـاءة وقود ومحركات السيارات · ·

ويرى الخبراء ان واجب اليابان (اكبر قوة ماليـــة فى العـــالم) الاضطلاع بدور رائد فى تمويل حلول مشاكل البيئة · ويعوق ذلك ، رغم رغبة اليابان ، جهود الولايات المتحدة الساعية الى عـــدم زيادة نفـوذ اليـابانيين فى المؤسسات الدوليـــة المعنية · ويرى الخبراء حلا للموقف القائم انشاء كيان مالى جديد تحت تسمية « البنك الـــدولى لحمـــاية البيئة » تتحمل اليـــابان المسئولية الاساسية عن تمويله وادارته ·

هذا كما طرح اقتراح بتخصيص واحدة من جوائز نوبل لعلماء البيئة، لتكريم العاملين فى هذا المجـــــال الحيـــوى ، بالذات وقـد أضاف



الموت فى بحر الشمال

القيمون على الجائزة فرعا جـديدا هو الاقتصاد (لم يكن ضمن الفروع الخمسة التى حددها نوبل) عـــام ١٩٦٨ · وهناك اقتراح بأن تمنـح أول جوائز نوبل للبيئـة للعـــالمة الراحلة راشيل كارسون التى سـاعد كتابها « الربيع الاخرص » الصادرعام ١٩٦٢ على اثارة انتباه العـــالم للاهتمام بخطر التلوث ·

الانسان يدمر الأحياء

بدافع الفقر والنمـــو الســـكانى والسياسات الخـــاطئة وضع البشر انفسهم فى مواجهة أنواع كثيرة ، من النباتات والحيـــوانات ، التى تشاركهم سكنى الكوكب · ·

ويتنبأ بيتر رافن مدير معهـــد ميسورى للنباتات بان الانسان على مدى العقود الثلاثة التاليةسيدفع الى هلاك وانقراض مـــائة نوع من أنواع الحيوانات فى المتوسط كـــل يوم (!) · · حقـــا ان الانقراض

جزء من عملية التطور ، ولكن المعدل الراهن له يزيد ألف مــــرة ـ على الاقل ـ عن المعدل الذى كان سائدا منذ عصور ما قبل التاريخ ٠

ويرى ا٠ ويلسون عالم البيولوجيا بجـــامعة هارفارد ان حـــــالات الانقراض الشـــاملة التى جرت من قبل ، وأهلكت أعدادا لا حصر لها من أنواع الحيوانات ، لم تؤثر كثيرا على عالم النبـــاتات البرية ، لكن أنواع هذا العالم بدأت فى الاختفاء بالفعل ٠

وان كانت الدراســات ترجح أن سبب انقراض عـــدد من الكائنات الحية ، ومنها الديناصورات ، كان نتيجة تحول جذرى فى ظروف البيئة، يقع اللوم فيه على الظروف الطبيعية (اصطدام نيزك ضخم بالارض) ، فان الانسان نفسه ، وليس النيـازك أو البراكين ، هو الملوم اليوم فيما يقع للاحياء من هلاك ودمار ٠

لقد باتت مواطن كثيرة للاحيـــاء عرضة للاخطار فغابات نصف الكرة الشمالى يجرى تقطيعهـــا (ضمن العمليات التنموية) ناهيك عما تنزله بها الامطار الحامضية من اخطار ٠ هذا كما يتهدد أنساق البيئة البحرية فى مختلف انحاء العـــالم التلوث والاسراف فى صيد الاسماك ، اضافة الى مخلفات الاعمار الساحلى ٠

وهكذا تركزت الانظار على المناطق الاستوائية التى يراها العالم ورقة رابحة فى كسب أو خسران معركة الحفاظ على التباين والتنـــوع فى أحياء كوكبنا ٠ والمعروف ان الغابات الاستوائية تغطى ٧٪ من ســطح الكوكب ، لكنها موطن ٥٠ ـ ٨٠٪ من أنواع النباتات ٠٠ ولا يمــكن تعويضها باقامة محميات لان هـــذه الاخيرة تواجه مشكلة هــــامة هى معرفه الحجم الامثل الـــذى تدعم المحمية نفسها عنــــده ، وتتواصل الازدهــــار ٠ وقـــد أثبتت بعض الدراسات أنه كلما كانت المحميـــة أصغر ازدادت سرعة اندثار الحشرات والطيور والثدييات ٠

الخطر يهدد الاحياء







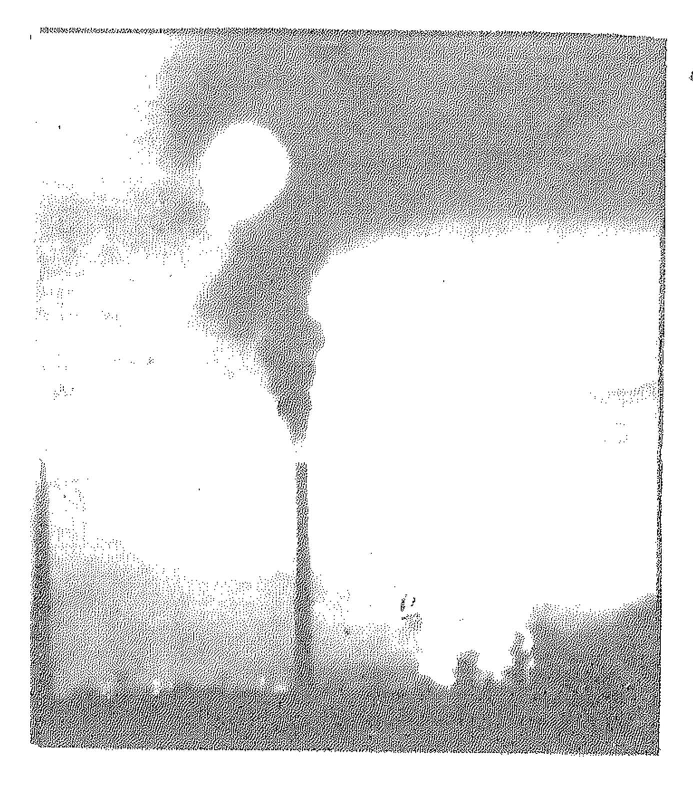
برامج كمبيوترية وفضائية

شيدت الامم المتحدة شبكة كمبيوترية تتعامل ، على نطاق واسع .. مع المعلومات العلمية الخاصة بالتغيرات البيئية التى تصيب كوكبنا، وذلك من أجل مساعدة مخططى التنمية ومختصيها على اتخاذ قرارات رشيدة . ويستخدم بنك المعلومات المعتمد على هذه الشبكة أجهزة كمبيوتر قادرة على القيام بـ ١٢ مليون عملية حسابية فى الثانية الواحدة .

ويسعى بنك المعلومات الى الحصول على الاعتراف العالمى باعتباره ضرورة علمية وتنموية فى نفس الوقت . وقد تلقى البنك مساعدات كثير من المنظمات القطرية والدولية بل والمؤسسات الخاصة والجامعات ، الامر الذى ساعد على اتمام مرحلته الاولى بتكاليف لا تتجاوز ٢ر٥ مليون دولار ..

وسيساعد البنك الجديد البلدان الاشد فقرا على ادارة وتنمية مواردها واتخاذ قرارات بيئية رشيدة ، كما انه سيكون فى خدمة العلماء الراغبين فى فهم افضل الظروف البيئية .

والمجالات التى يهتم بها البنك تتضمن صحة الانسان ، ومياه المحيطات ، والموارد المتجددة ، والمناخ ، وعمليات التلوث الطويلة الامد .. لكن الجديد فى نشاط هذا



البنك ليس المعلومات التى كانت موجودة ومتاحة قبل انشائه ، وانما عمليات تحليل المعلومات ومعالجتها بشكل يساعد على استخدامها ميدانيا

والمركز الرئيسى للتحكم فى عمليات البنك موجود فى العاصمة الكينية نيروبى (مقر برنامج الامم المتحدة الخاص بالبيئة) أما مركز اعداد وتحليل المعلومات فيوجد فى جامعة جنيف فى سويسرا ، وتقدم وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) مساعدات فنية وهندسية للبنك الكمبيوترى .

ومن الجدير بالذكر أن رائدة الفضاء الامريكية سالى رايد تقترح حاليا القيام ببرنامج رحلات فضائية يستهدف فى الاساس دراسة كوكب الارض ، يمكن أن يكون نواة برنامج دولى للعناية بمصيرالارض والبشرية معها .

تقاسيم على وتر الغربة

قراءة في كتاب

صافي ناز كاظم



عن السجن والحرية

بقلم : جمال سلطان

القلق والغربة والترحال ، اوتاراساسية في قيثارة صافي ناز كاظم او هي المفاتيح الاصلية لعالمها ، والغائرة خلف سطور كتابتها والتي لايستطيع الناقد او الدارس لها ، ان يدخل الى عالمها بدونها .

ولعل حديث ((الكآبة)) ، ذلك المناخ النفسي والمزاج الاجتماعي والحس الحضاري الذي يشكل النغمة الاساسية في معزوفتها ، لعله يخدع ـ بل خدع فعلا ـ من تامل الاوتار التي نظمت لنا ذلك النشيد الحزين ، والذي يتردد في خطاب صافي ناز كاظم مالا يتردد في خطاب اديبة اخرى ، على امتداد ساحة الادب العربي المعاصر .


بريشة الفنان: عز الدين نجيب

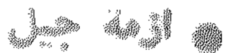


عن السجن والحرية

فى تقــــديمه لمجمـــوعتها « رومانتيكيات »، التى صدرت منذ قرابة العقدين « ١٩٧٠ » كتب الاستاذ « أحمـــد بهـاء الدين » يقول : « أقوى ما يشعر به من يعـرف صافى ناز ، هو أن رحلتها لم تتم ، انها لم تصل بعد الى ذلك المرفأ الـذى يهدأ داخله الموج ، ولا تصبح فيــه العواصف غير أصوات تأتى من بعيد، فيمكن القاء المرساة ، والاطمئنان الى السكون » فهل يمكننا نحن الان ، أن نعتمد كلمة « بهاء » هـــذه ، عندما نتحدث عن اخر ما كتبت «صافى ناز»، وذلك فى كتابها «عن السجن والحرية»، رغم هذه السنوات السبع عشرة التى تفصل بين الكتابين ، حيث صدر الاخير سنة ١٩٨٧ ؟

والحقيقة أننا مضــطرون الى أن ناخذ من كلامه وندع ، فالذى يقــرأ « عن السجن والحرية » يستشعر ثقــة واطمئنانا كبيرين ، لم يعهدا فى كتابات « صافى ناز » الاولى ، اننا نحس أنها قد وصلت فعلا الى « المرفأ » ، وألقت « المرســاة » ولكن رغم ذلك ، فان رحلتها « لم تتم » ، بل يمكن القول ، بأن رحلتها الحقيقية والجادة قد بدأت!

فى حديثها « عن السجن والحرية » تتحول « صافى ناز » فى بحـر الحياة الزاخر بالاحداث والمواقف والشخوص والتحولات ، تنتقل من حديث الثـورة الى حديث الشـعر ، ومن قضـــايا الحجاب الاسلامى الى مشكلات الفن المسرحى المعاصر ، ومن أرق اللحظـة الانيةبصخبها وضغوطها ،الىفسيفساء الذاكرة » وتسرباتهاالحانية فىشغاف القلب ، ومستودع الشعور ، نقـــلات بعيدة ، وفجائية ، قد ترهق القارىء ، وتعيق انسيابية متابعته لرؤية الكاتبة، الا أن المتأمل فى كتابها ، لن يخطىء حسه وادراكه ، أن تلك النقلات البعيدة والتحولات المفـــاجئة ، **هى بمثــــابة التقاسيم التى تنوعها « صافى ناز » على وتر « غربتها » ، هى الدلائــل الصامتة ، التى تسوقها لنا لكى ندرك، لماذا اغتربت عن جيلها ، ولماذا لفظت كل المرافىء « السهلة والمأمونة »؟ قبل ان تصل الى مرفئها الاصيل،والوحيد، مرفأ الاسلام .**



عبر مقاطع صاخبة وعنيفة ، كأنهــا طلق الرصاص، تسجل لنا «صافى ناز» شهادات وجدانية عميقة ، على أزمــة جيلها ، حيث نخلص من تلكالشهادات بادراك ما يشبه حــالة « فصام نفسى حضارى » ، أرهق أبناء ذلك الجيــل ، وفرض عليهم فرضا ، مسارات التيه، والترحال المضنى فى دوار فارغ .

تقول احـدى تلكم الشــــهادات : «وعندما ظهرت وقتها ـ فىالخمسينيات ـ كاتبة فرنسية شـــابة ، اســمها « فرانسواز ساجان » ، أصــــدرت وعمرها ثمانية عشر عاما ، روايـــة « صباح الخير أيها الحزن » ، تحكى فيها تجربتها العاطفية والجنســـية الجريئة ، أزعجونا لسنوات ـ تعـــنى بعض رموز الفكر والادب فى مصر ـ تبكيتـا ومعايرة ، لان مصر لم تخرج من ذلك الحـــين ، نصف أو ربــع « فرانسواز ساجان » ، حتى أننا كنــا




لقطتان للاديبة صافى ناز كاظم الاولى بدون حجاب والثانية بعد ارتدائها للحجاب

نسير مطاطات الرأس ، يشملنا شعور بالخيبة و « الخيانة الوطنية » ، عندما تعدينا الثامنة عشرة ، وشارفنا العشرين ، من دون أن نمر بتجارب « فرانسواز ساجان » ، وبالتالى ، لم نكتب أى صباح خير للحزن أو حتى مساء خير ! ، واكتفينا بأن نقص شعرنا ونرتبه مهوشا نازلا على أعيننا التى نرسم فيها تعبير حزن وهم ، بلا سبب ، اللهم الا سبب أن أنوفنا ليست طويلة بما يكفى لاستحضار شبه « فرانسولز » كاملا (ص ٥١) . انها شهادة قاسية ، تمتزج فيها الحرقة بالنبضة الساخرة الهازئة ، والشهادة هنا ليست تدليلا على سرقة فكر جيل، أو « غسيل مخه » وحسب ، بل هى شهادة على « سرقة وجدان » ، وعندما تنجح عملية « سرقة الوجدان » يقع بالحتم « الفصام الحضارى » بين الجذور والروافد ، بين العقيدة الغائرة والسلوك المتدافع المحموم ، وذلك ما تصرح به « صافى ناز » من تعقيبها على رحلة « الاوتوستوب » التى قامت بها فى مطلع الشباب عبر « أوروبا » ، ونشرت فصولها فى مجلة « الجيل الجديد » أواخر الخمسينيات ، فتقول فى تعليقها : « اننى أنظر الى هذه التجربة نظرة نقدية ، للاستفادة والعبرة ، وأجد رغم اننى كنت مسلمة بالايمان والعقيدة فى كل لحظة من حياتى ، الا أننى كنت مسروقة من اسلامى ، كانت عقيدتى الاسلامية منفصلة عن سلوكى ، **كنت أعانى على المستوى الفردى من الانفصام بين العقيدة والسلوك ، وهو الانفصام ذاته الذى يعانى منه مجتمعنا ككل** » (ص ٣٣) .

وواضح أن « صافى ناز » تسجل موقفها الفردى وتجربتها ، كدلالة نفسية اجتماعية ، تصلح كشهادة على جيلها كله ، بوصفها نبتا طبيعيا للمناخ النفسى والالحاحات الثقافية التى هيمنت على مشاعر جيلها ، وصبغت توجهاته الفكرية ، ومن ثم ، نجدها تتجه فى كتابها الى تسجيل « اتهامات » قاسية لجيلها ، فى عبارات هادرة ،وكلمات متدافعة :

« فنحن الجيل الذى تم تمجيده من حيث كان هوانه ، وأعلن انتصاره



عن السجن والحرية

من موقع هزيمته ، وتصور حريته ، وهو يتنازل عن رأسه ويديه وقدميه ، لتكبلها بسلاسل التبعية وثقالات التقليد نحن الجيل الذى سمى الابداع تقليدا ، وسمى التقليد ابداعا ومعاصرة ، فكان الذى يبدع من تراثنا الاسلامى ، ويسهم فى استمرار امتداد الحضارة الاسلامية ، كان يسمى رجلا تقليديا محافظا ، وكان الذى يقلد وينقل عن الغرب ويحول نفسه الى مندوب مبيعات لكل فكرة غربية ، كان يسمى : رجلا مجددا مبدعا خلاقا » (ص ٣٤)

وعندما تضيق مساحة الرقعة التى تقدم « صافى ناز » شهادتها فيها ، وعندما تتحدد شرائح ذلك البناء الاجتماعى « المقصوم » لا تهدأ نبرة الصوت ، ولا تتراجع لهجة الحسم فى الاتهام ، بل ربما زادت قسوة ومرارة ·

فعندما تتناول وجه الازمة فى مجال « الادب والفكر » فهى تصرح لنا بما تصفه « مؤامرات الاغتيال للمواهب الفنية والعلامات الثقافية التى يتم الاتفاق على قتلها ، بواسطة احكام الصمت حولها ، بحذفها من قائمة الترديد الاعلامى » (ص ٥٨) ·

وتضبط لنا اكثر معالم هذا « الاغتيال » فتقول : « يصبح من السهل على اى متمكن من مساحة نشر فى الصحف السيارة ، وغيرها من أبواق الاعلام ، ان يقرر بحسم نهائى من هم أدباء العصر ، ورواد الزمان ، وأعمدة التنوير ، وقادة الشعب الروحيين ، ونتيجة لذلك ، لا يتم تصعيد دور « سلامة موسى » الثقافى والفكرى والحضارى ، فوق « سيد قطب » فحسب ، بل نصل ــ بالصمت والخوف ــ الى اعتبار مجهودات «سيد قطب» صفرا الى جوار ما قدمته الراقصة « فريدة فهمى » وأحرزته برقصها ، لمصرنا المحروسة ! » (ص ٥٨) ·

والمرارة بادية من لذعة الكلام ، والحقيقة ، فانه اذا جاز لرأى ان يخالف أو يحجم شيئا مما تسجله الكاتبة هنا ، فانه لن يسعه بحال أن ينكر « كاريكاتورية » اللوحة الحضارية التى تشهد عليها ــ بصدق ــ صافى ناز ، كما لا نزال نحن نشهد عليها فى الواقع الحى ، ولن يسعه الا أن يشارك الكاتبة فى « كآبتها » من معالم « الظلم » و « القهر » الذى يشعر به ــ بالضرورة ــ قطاع واسع من فعاليات الامة الادبية والفكرية ·

وعندما تهدأ ريح الثورة ، وصخب الاتهامات ، تخفت نبرة الكلام ، وتأتى ترنيمة الحزن الشجية ، لتهيج فينا ارسخ أوجاع الضمير المصرى المعاصر:

« هل غير الخجل أرتديه ، وأنا سائرة وحدى ، أتنفس الهواء المنبعث من النيل ، الكتوم الطيب ، واتكوم مستندة الى الحاجز الحديدى ، وأصب فى النيل ما لا أقدر على البوح به لاحد انه القهر الذى يمنعك انت ابن المرحلة من التعبير عنها ، والخدمة فيها ، ويكون قهرك تحت الشعار الذى حاربت انت أولا لترفعه ، وثانيا لتحققه وتحافظ عليه ، انت مقهور فى مرحلة القهر ، ثم أنت مقهور فى مرحلة

شعار « قهر القهر » ،لان المرحلةتحولت الى قهر القهر بالقهر ، وتنفيذ العملية بالقصر والعميان والانذ ... ، وتفتح عينيك لتجد أنك مازلت أنت المقهور فى المحصلة النهائية » (ص ١٨٨) .

● ايمان بالحرية

واذا كان عشق « صافى ناز كاظم » للعدالة ، هو المفجر لثوراتها المتتالية، على كل وجوه الزيف والتميع والظلم ، التي سجلتها في شهادتها على جيلها، فان ايمانها « بالحرية » ، ذلك الايمان الشفيف الرقراق ، هو بمثابة المدد الروحى الفطرى الاصيل الذى يشحذ ممتها ، ويضمد جراحها ، فى رحلتها الجهادية الشائكة ، نحو قلاع الحق والخير والجمال . والحرية فى رؤية « صافى ناز » لا تقف عند العتبة الخارجيةلبوابة المعتقل ، والذىكابدته اكثر من مرة ، وانما الحرية عندها ، هى تلك الروح اللطيفة التى تتغلغل فى حنايا الانسان ، وتذوب فى ضميره ، لتبعث فيه انطلاقة الابداع الامنة ، وتفجر فيه طاقات البذل والعطاء فى شتى ميادين الحياة ، أو كما تعبر هى بنصها : « تظل الحرية هى معيار الحضارة ، وأساس المدنية والتقدم ، وكلما ازدهرتالحرية ازدهر الانسان، وحين يزدهر الانسان يطلق لحماسه العنان تتفجر امكاناته ورؤاه، ويتدفق التعبير الفنى فى كلاتجاه فياضا حيا نابضا،ويتالق ذكاؤه بالعلم والابتكار، ويغمر الجميع الحب والرضاء » (ص ١١٧) .

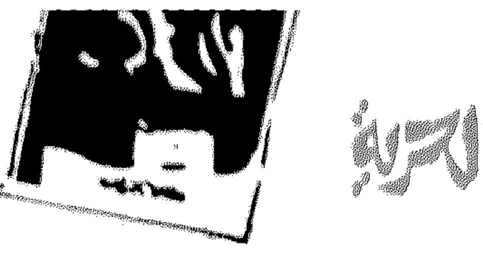
حتى تدينها الشديد ، انما تؤسسه على « الحرية » ، وتنطلق من الحرية نحو « محبة الله » ، ففى رسالة لها قديمه ، كتبت تخاطب مراسلها : « أنت لا تعرف مدى غور الدين لدى ... لا تدرى ان انطلاقى وجسارتى ومحبتى وثورتى وحماسى كله منبثق من نبع الاسلام ، الذى كرمنى الله ففجره داخلى ، وله الحمد ، لعلك تضحك ، ولكنى حزينة ومتألمة ، لماذا نريد أن تفسر تدينى كأنه قصور ، كأنه مهرب، كأنه مصدات رياح ؟ أنا أفضل كثيرا مما تظن، ليس هناك شيء افعله لا أفعله بحرية ، كما انه ليس هناك شيء امتنع عنه ، لا أمتنع عنه بحرية ، أنا أحب الله باختيار وعمق » (ص ١٨٣) .

وعندما تتحدث « صافى ناز » عن ازمة المسرح فى واقعنا المعاصر ، فان تخصصها « الاكاديمى » كناقدة مسرحية ، لا يحول بينها وبين الافاق الرحبة للاشكالية ، فتربط أزمة المسرح بأزمة البناء الاجتماعى ككل ، وترد الجميع الى « شرط الحرية » فى لفتة جميلة بارعة : « مع الحرية يدق المسرح أوتاده ، حيث يجب أن يكون فى قلب الناس وباختيارهم ، ويهب النقد ندا الى جواره ، فكلاهما فرعان لبذرة الحرية الخصبة ، النقد لا يلد المسرح، والمسرح لا يلد النقد ، لكنهما يتولدان سويا من رغبة البناء الجياشة ، ورغبة السعى نحو التواصل مع أمانى الامة » (ص ١١٧) .

***

والشهادات التى سجلتها « صافى ناز كاظم » فى حديثها « عن السجن والحرية » ، لم تخف ـ على صخبها وضجيجها ـ اللفتات الفنية الرفيعة التى حملها لنا كتابها ، سواء فى الاسلوب أو فى « البناء الفكرى » ، ونجتزىء من ذلك بمثالين ـ لضيق المقام ـ يكشفان لنا عن بعض وجوه تلك اللفتات .

ففى استعراض بديع لرائعة



عن السجن والحرية

شكسبير « هاملت » ، تحاول « صافى ناز » أن تصحح المدلول الدينى والاجتماعى لوصف «الشهيد» ، وتكشف عن أوجه المغالطة فيما شاع اخيرا من استعمالات ممجوجة له ، أفقدته قدسيته وبريقه ، حتى تصل بنا الى الربط بين عطاءاتنا التراثية القديمة ، وبين الابداعات الفنية الاجنبية ممثلة فى « هاملت » وفى تذييل جيد على استعراضها «لهاملت» تقول : « واذا كان الناصح من تراثنا يقول « ان لم تكن حسينيا فكن زينبيا » ، بمعنى : اذا لم تكن مستشهدا دفاعا عن الحق مثل « الحسين » ، فكن شاهدا على الظلم مثل السيدة زينب - رضى الله عنها وعن أخيها - راويا للبطولة والفداء الفذ ، فاننا نجد شكسبير بتقديمه لشخصية « هوراشيو » (١) ، كأنه قد استلهم القاعدة نفسها ، عندما بدت وصيته واضحة تقول فى نهاية مسرحية « هاملت » : اذا لم تكن « هاملتيا » ، أى مجاهدا مستشهدا دفاعا عن الحق وفاضحا للفساد ، فكن - على الاقل - « هوراشيا » أى مراقبا ، شاهدا ، راويا للبطولة والفداء » (ص ٩٠) أما على مستوى الاسلوب الفنى ، **فلسنا نبالغ اذا قلنا ان الكثير من لفتاتها فى هذا الكتاب قد جاء شاهدا على موهبة شعرية شفيفة ، ربما تغيب احيانا - أو كثيرا - خلف ركام المعارك ومجاهدات الرحلة ،الا انها - بالرغم** من ذلك - تومض من بين الركام زاهية قوية ، كما اومضت فى تشيدها الى « سناء محيدلى » الرمز الفلسطينى الشهير :

كم كان عمرك يوم أن زوروا ياسمنا
التاريخ ·· ومنعونا البكاء ؟
كنت فى ظهر ابيك غيبا اسلاميا :
يختزن البشارة ،
ويكتنز الالق ،
ويهدينا المسرة ···
آه يا توشيحة النواح الممتدة من « غرناطة » حتى « طشقند » و « سمرقند » :
تجددى فوق كابول ، وتعالى صوب القدس
واجلدى النوم الهاجعين وسط القتلة !

(ص ١٤ ، ١٥)

والحاسة الشعرية واضحة ، فى اختيار الالفاظ ، واختزال الدفعة الشعورية عبر نسق العبارة الخاطفة ، وكذلك فى التقسيم الموسيقى - وليس الكمى - للسطر الشعرى ، كما فى تنويع أواخر الاسطر الشعرية ، بين القطع والامتداد ·

بيد ان هذه اللفتات الفنية الرفيعة ، لا تمنعنا من ان نسجل على كتاب « صافى ناز » الاخير ، استعلاء الفكرة - بوجه عام - على الاسلوب ، ولجوئها - أحيانا - لاستعمال اللفظ الدارج ، وان كان السياق العام ، وما يظله من تداعيات وجدانية حية وصادقة ، ربما جعلنا نلتمس لذلك المخارج ، كما ان قسوة الشهادات التى يسجلها لنا « عن السجن والحرية » ربما استدعت قعقعة السلاح ، لا رقص الكلمات ·

(١) - هوراشيو - : الشخصية الشعبية الحكيمة العاقلة والنبيلة ، التى قدمها شكسبير فى المسرحية كصديق حميم لهاملت ، والتى أختارها هاملت - لتكون راوية قصته ، وشاهدة نضاله ·



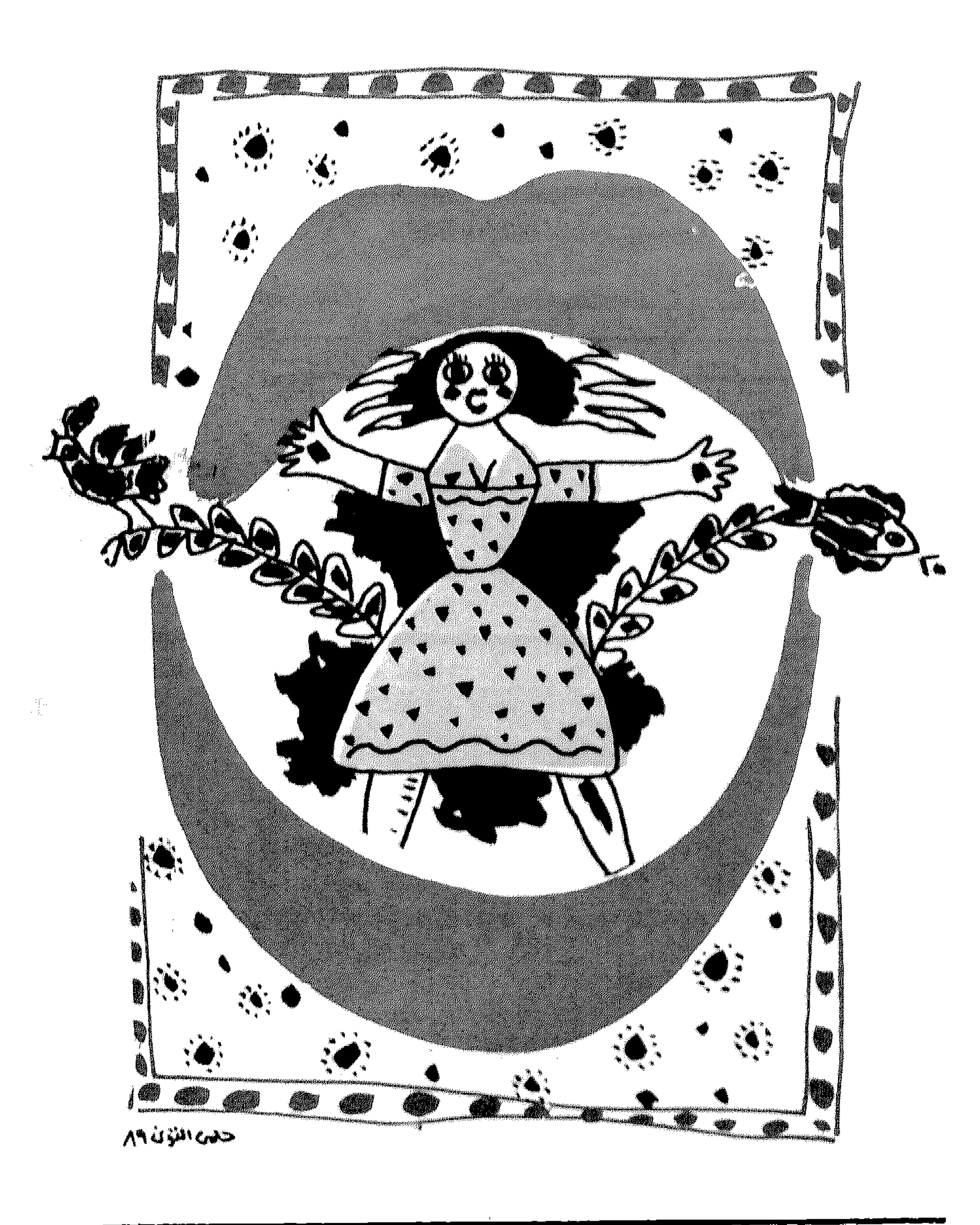
كتاب الهلال
يقدم :
مذكرات
الزعيم احمد عرابي
بقلم : زعيم الثورة العرابية
أحمد عرابي
يصدر
٥ مايو
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم :
امبراطورية الشمس
تأليف : ج. ج بالارد
ترجمة : محمود مسعود
تصدر في
١٥ مايو ١٩٨٩

البوح والشهادة

شعـــر

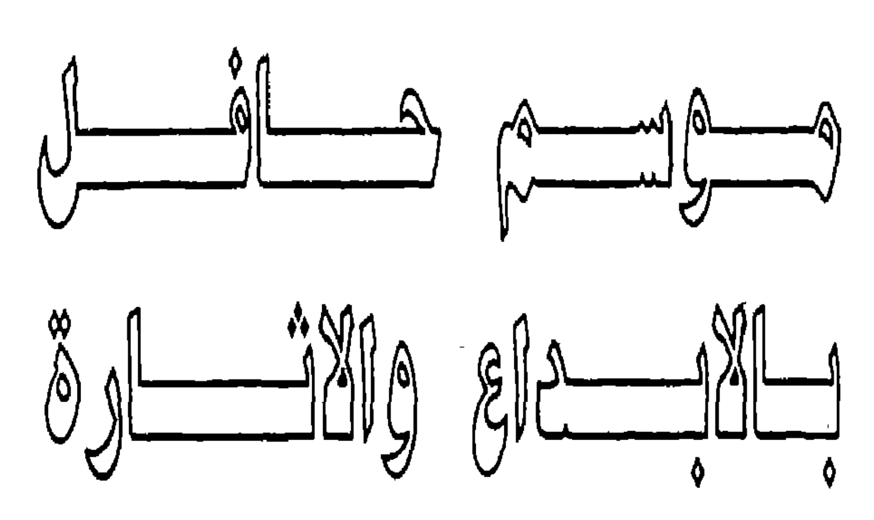
ماجدة بركة

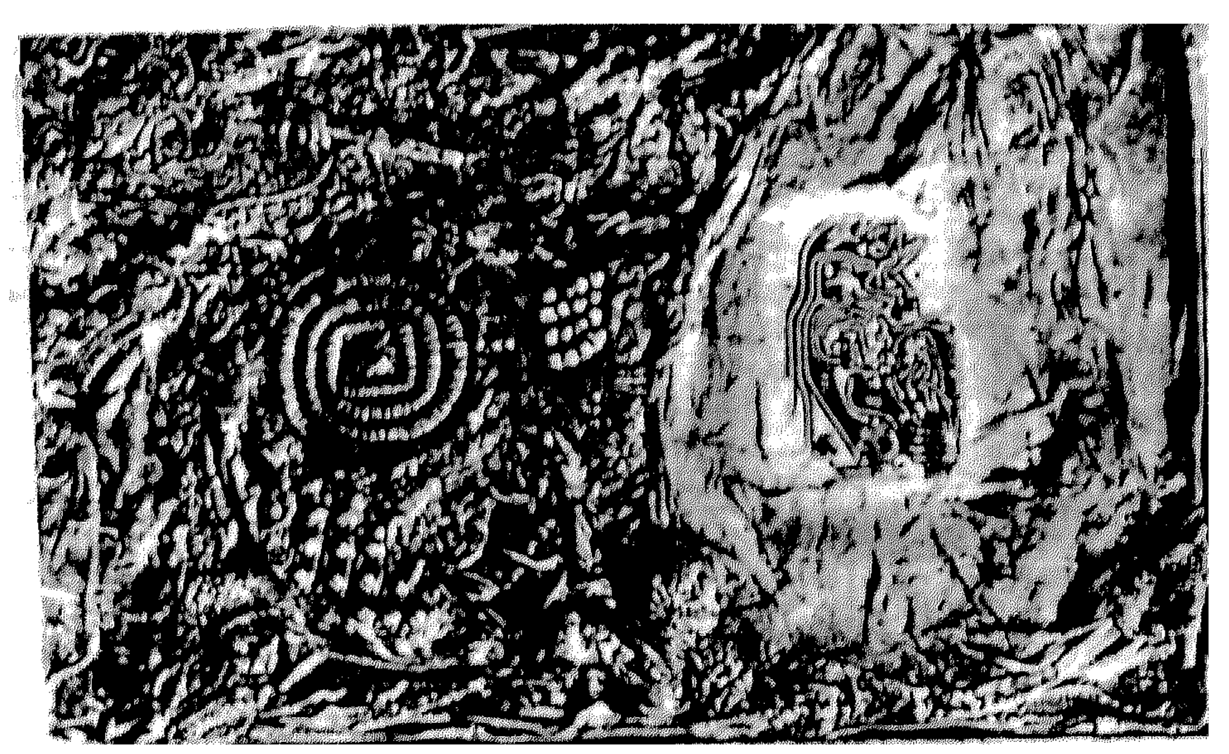
ينغرس المسمار بكفى
أصـــلب
متدثرة فى دمى المسفوح
أحلم كونا
يتولد ، يتدحرج من بطن الجنيه
سوف تكون الكلمــة للصمت
فى هذا الكون المتكدس بالكلمات
ستمارسنى الدنيا وأمارسها بالحق
وتضفرنى فى كل خلاياك
أنتفض سيوفا ٠٠ أنتصب جبالا
اتمطى فيئا فى عين الشمس
ساشكل ضلعى متراسا
فساجهر
أشد وقصتى الاولى معك
بنشيد فى لون خطايانا المحبوبة
بنشيد فى لون الغربة عنك
أو حزنك اذ اغفو
فوق اسنة السنة الناس
او ظلك اذ يتشرب ظلى
ويمارس فى تمرده وتشرده
قبل لقائك قلت :
من يحلمنى فى ليل الاقمار الفضة
اتفجــر نخلة ٠٠ فى قلبــه
فاطاول سقف الدنيا
أهدمــــه
وأهدم كل ضلوع الديناصور الصدئة
فيفور الذهب الكونى وينثال
يملأ حدقاتى بالعسل وصوتى بحنين الموال
فلتصبح كل صبايا الكون
تيجانا كرجال الدنيا
ألقـــاك
يتشربنى الصمت
أشبع من نظرتك المشحونة بالرى
وجلال الســـمت
يسقط من كفى المسمار
فينبت فى كفى المزمار
واحيـــا ،


حلمى التونى ٨٩



محمود بقشيش





لوحة للفنان عبد السلام عيد

شهدت قاعات العرض الشهر الماضى ارتفاعا ملحوظا فى مستوى الأعمال الفنية . ولست أبالغ إن قلت إن كل فنان قدّم أفضل ما عنده ، وفى ظنى ان أحد أسباب تلك الحالة يأتى من مصدرين . أحدهما ذلك الإسهام الفعال لفنانى الاسكندرية ، الذى تمثل فى غزوات فردية وجماعية متلاحقة ، وناجحة ، لقاعات العاصمة ، والثانى يأتى من رد الفعل لعدد من ابرز فنانى القاهرة !..

● ومن السكندريين لمعت أسماء منها : فاروق وهبه . عبد السلام عيد . محمد شاكر .. طارق زبادى . أحمد عزمى . عادل المصرى . بكرى محمد بكرى . عصمت داوستاشى . فاطمة العرارجى . ومن القاهرة شارك "صبرى منصور" بمعرض هام ، أكد به الطريق الذى انتهجه مذ عرفناه : الطريق إلى فن مصرى ، مصاحباً فى رحلته زاده من المفردات الحميمة ، المحملة بالدلالا والرموز ، الموصولة بالحلم ، وبالإضاءة القمرية . الباردة . التى تداعب عماراته الفطرية ، وتستضيف مسوخه البشرية "الأليفة" ! .. يبتكر لكل عناصره أشكالاً وتصميمات لا تلتزم المالوف من أسس التصميم ، وإن احتفظت بتوازن وتماسك واضحين . وقدم "فرغلى عبد الحفيظ" ما يؤكد التوجه نحو نفس الهدف .. أى نحو فن مصرى ، وشارك "صبرى" فى الطابع البنائى العام . السكونى . وإن خالفه فى الطريق إلى تحقيق ذلك . استلهم "فرغلى" الإيحاءات المعمارية لدهشور ، واستعان بخامات ورقية ذات ملمس مخملى ، كما صاحب فى رحلته مفردته الحميمة : العروسة ، وإن أضاف إليها هذه المرة عددا آخر من المفردات مثل السمكة والتمساح ، وتوجه بكل هذا الحشد إلى منطقة تتسع للرمز كما تتسع للشكل الجميل . وشارك فى المعركة الجمالية الفنان "يسرى حسن" الذى ترعاه السيدة "عايده ايوب" وأثار بمعرضه عديداً من التساؤلات .. لم تجد لها إلا إجابة واحدة هى : الدهشة ! فقد فاجأنا هذه المرة بصفة جديدة عليه : صفته كنحات .. للخامات الصلبة . الصعبة .. كالجرانيت والرخام وغير ذلك ، والمدهش اننا لم نسمع بميله إلى النحت فضلا عن ممارسته إياه إلا منذ بضعة اشهر !.. فقد عرفناه مصوراً سيريالياً ، تكشف لوحاته عن تعاطف شديد مع لوحات "سيلفادور دالى" ، وإذا به يفاجئنا بكمية ضخمة من المنحوتات تحتاج إلى سنوات للتنفيذ . وبرغم عدم إعلانه عن سر هذا التحول أو عن الكيفية التى انجز بها هذا الكم الكبير .. فإن منحوتاته تكشف عن بصمة الحنين إلى منحوتات بعينها للفنانين : محمود مختار . محمود موسى . عبد البديع عبد الحى . وربما



أراد لها الفنان "يسرى حسن" أن تكون تلك المنحوتات قراءة إبداعية لبعض منحوتاتهم الهامة .

وشارك فى الحلبة ـ من القاهرة أيضاً ـ فنانون آخرون أمثال : "سيد محمد سيد" الذى قدم مفاجأة أثبت بها أن الموهبة الحقيقية يمكن أن تولد وتتألق بعيداً عن الدراسة المعهدية . ضم معرضه لوحات استلهمها من شكل العمارة الفطرية ، وجسّد بها رؤيته ، وأطلعنا بواسطتها عن عالمه الداخلى الذى يتصارع فيه التشاؤم والتفاؤل ! لهذا امتلأ معرضه بالأطلال والصدوع والسواد ، كما ازدحم بالعمائر المشرقة كل الاشراق . العمارة لديه ، والاطلال بديلان عن حضور الإنسان .. لهذا اختفى الانسان بهيئته المباشرة ، واكتفى بأن كشف لنا عن ظاهره وباطنه بثنائية "العمائر والأطلال" : من الخارج مشرقة ، ومن الداخل حزينة تائهة . تظهر بها سلالم طويلة لا تفضى إلى شىء . وشارك فى تلك الاحتفالية الفنان الشاب "رفقى" برسوم ملونة بالألوان المائية والحبر الصينى ، كشفت عن درجة عالية من المهارة والحساسية ، جسد بهما عالماً كابوسياً .. "ممتعاً" ! .. يضعه بجدارة بين فنانى الصف الأول !

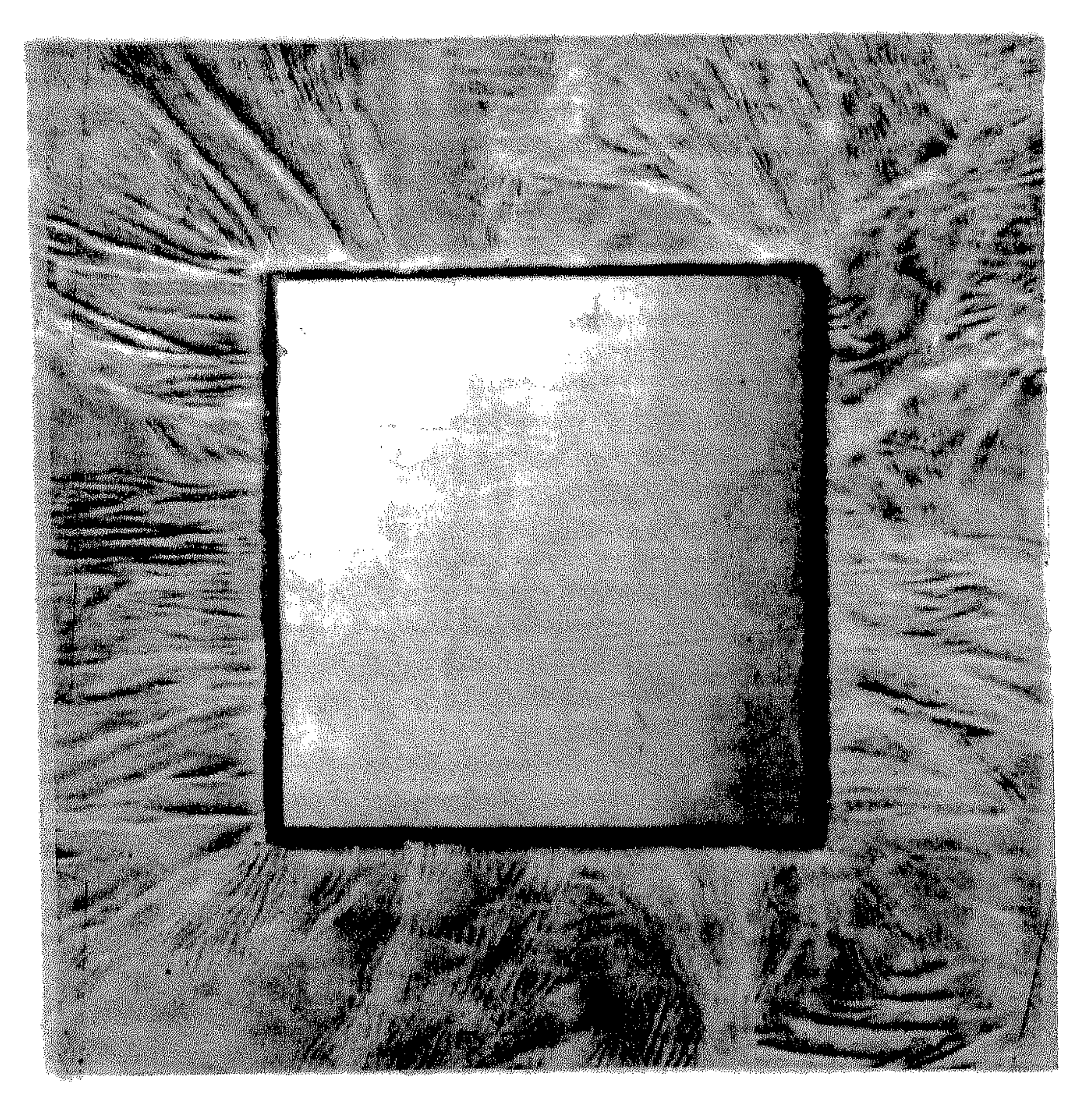
وشارك الفنان "محمد عبله" بكوابيس أخرى مغايرة .. ذات نكهة هجائية مباشرة ، ونبرة زاعقة .. يحتج بها ضد تشوهات الواقع المصرى .. ولم يحفل بأناقة الأداء بل اهتم أساساً بأن يكون صادقاً مع نفسه ، ولم يستخدم غير أقلام الفحم وورق "الكلك" الشفاف .

وقدم الفنان "طه حسين" أكبر تظاهرة فنية تستحق وقفة خاصة لا تسمح بها تلك العجالة ، فقد قدم ثلاثة معارض فى وقت واحد .. فى مجمع الفنون وقاعة "جوته" وذلك بمناسبة بلوغه سن الستين !

إن تلك المعارض وغيرها مما لم اتمكن من متابعتها يحتاج ببساطة إلى إعادة تشديد الدعوة إلى مجلة تشكيلية متخصصة ، تقوم برصد وتقويم تلك الابداعات التى تألقت هذا الموسم .. لهذا لا مفر من الانتقاء : تارة من بين المواهب المرموقة ، وتارة من بين المواهب المغضوب عليها !

● دراما الحبال .. فى معرض عبد السلام عيد

يفاجئنا الفنان السكندرى الكبير "عبد السلام عيد" فى كل معرض بالجديد . المبهر . المحرك لنوازع الخلق . كاشفاً عن قدرات ومهارات هائلة فى التعامل مع وسائط كانت تُعد غير فنية قبل ثورة الفن الحديث . ويركّب ، ويبنى ، ويشكل بشتات



نوال معالج على ابلاكاج .. للفنان عبد السلام عيد

الخامات والملامس وحدة عضوية متماسكة أشد التماسك . وإذا كان الفنان "صلاح عبد الكريم" قد شكل من نفايات تنتمى إلى خامة واحدة هى "الحديد" فقد لجأ "عبد السلام عيد" ـ أحياناً ـ إلى خامات متناقضة كالحديد والخشب والقماش .. غير ان شاعريته تالقت عندما اختار العزف على الملامس المتباينة لأنواع القماش ، وحاورها بالأصباغ المختلفة . واحيت تلك التكوينات العجيبة فى الذاكرة صوراً لبراكين ، وعوالم مبهمة ، مشحونة بايحاءات عميقة تستحيل على قبضة الكلمات . تواجهنا احياناً نوافذ مفتوحة



عن آخرها لتسكب فى عيوننا وحواسنا فضاء عميقاً غامضاً . إن لوحاته تمسك دائماً بما لا يستطيعه غير الشعر ، حيث تذوب وقائع العالم المألوفة ومفجعاته فى خلايا اللوحة .

فى معرضه الأخير ، ومحوره أعمال صيغت بجدائل الحبال البيضاء .. خلتها تحدثنى قائلة : لقد شاهدتم "العُقَد" فى أعمال الزينة مثل "المكرمية" وحبال البحارة ذات الطابع العملى .. اما الآن فهاهى للمرة الأولى فى مصر حبال تشكل فيما بينها اعمالا درامية !.. جاءت من حبكة البناء ، والتنوع ، والتداخل الثعبانى ، والمفاجآت .. فهاهو ذا ملمس ولون الثعبان يتغلغل فى تداخلات الحبال المحبوكة حوله !.. فأى معركة تلك ؟!.. وأى صراع مخيف ؟!.. وفى عمل آخر .. تتمدد الجدائل فى انبساط ، لتسمح بوجود مساحة صريحة ، وخطوط صريحة ، أقرب إلى خطوط المؤلف الموسيقى الذى اكتفى بافتتاحية قصيرة .. تنتظر تفاعلاتها .. منك !.. وهاهى ذى الشجرة . الوارفة . العملاقة . تخطف الأبصار بجلالها .. وتدعوك إلى الخشوع فى حضرتها . وهاهو ذا الإطار الدائرى ، والإطار البيضاوى الذى يحيى فى ذاكرتك أُطر الصور التذكارية القديمة .. ثم هاهى ذى الكرة الأرضية المشتعلة والمعلقة فى فضاء القاعة ، يدعوك إلى الالتفاف حولها .. تستقرىء التضاريس المبهمة ، فلا تجد فى نهاية الأمر إجابة تشفى الغليل !

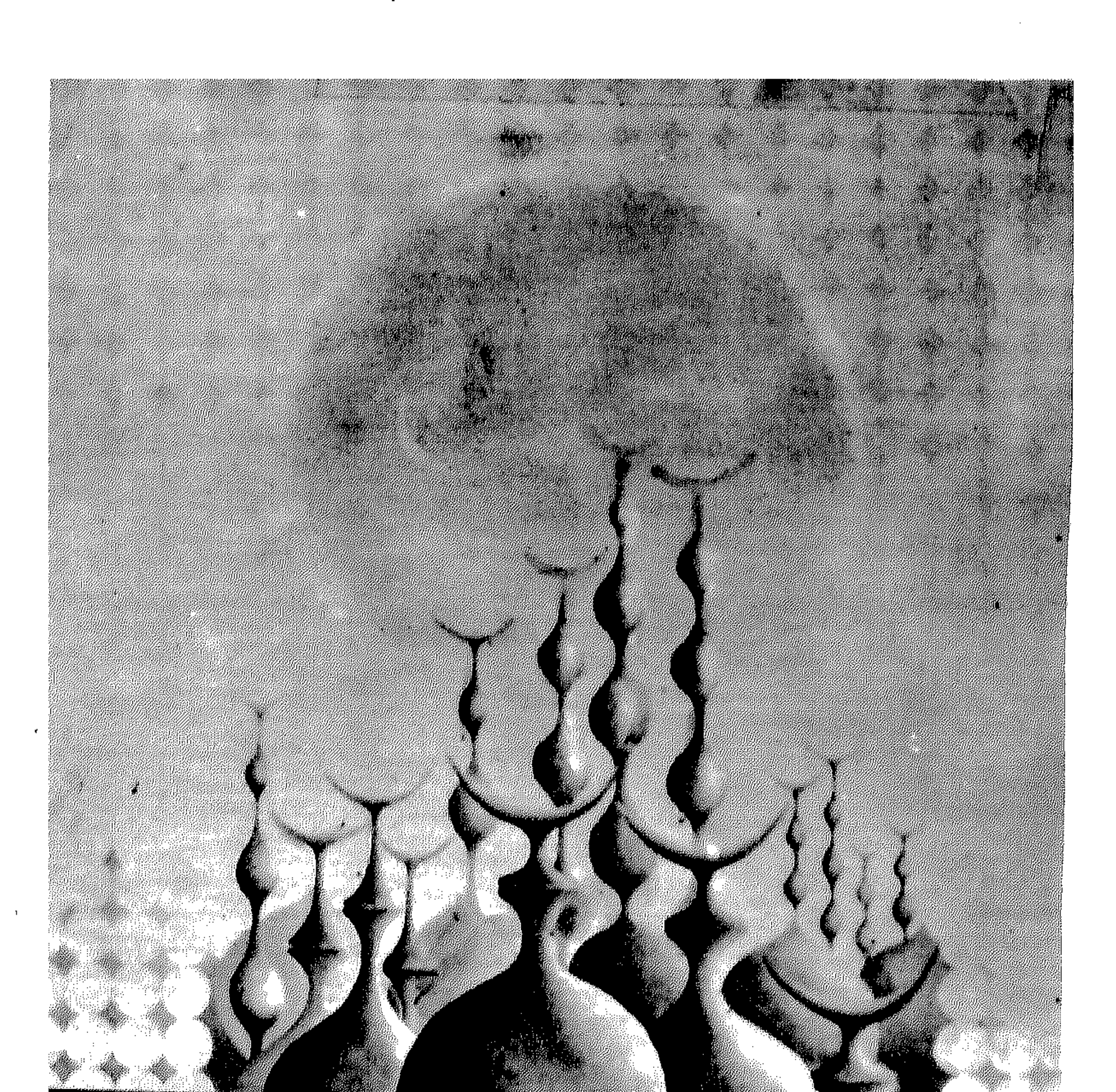
لقد نجح "عبد السلام عيد" فى هذا المعرض فى إيجاد صيغة متماسكة بين العمل الذى يصلح للزينة ، دون أن يفقد الضرورة الدرامية للعمل الفنى الجيد ، كما يحفز بالمستوى الرفيع فى الأداء فنانين آخرين لاكتشاف إمكانات تعبيرية وجمالية كخامات أخرى .

● الجديد فى معرض حسن غنيم

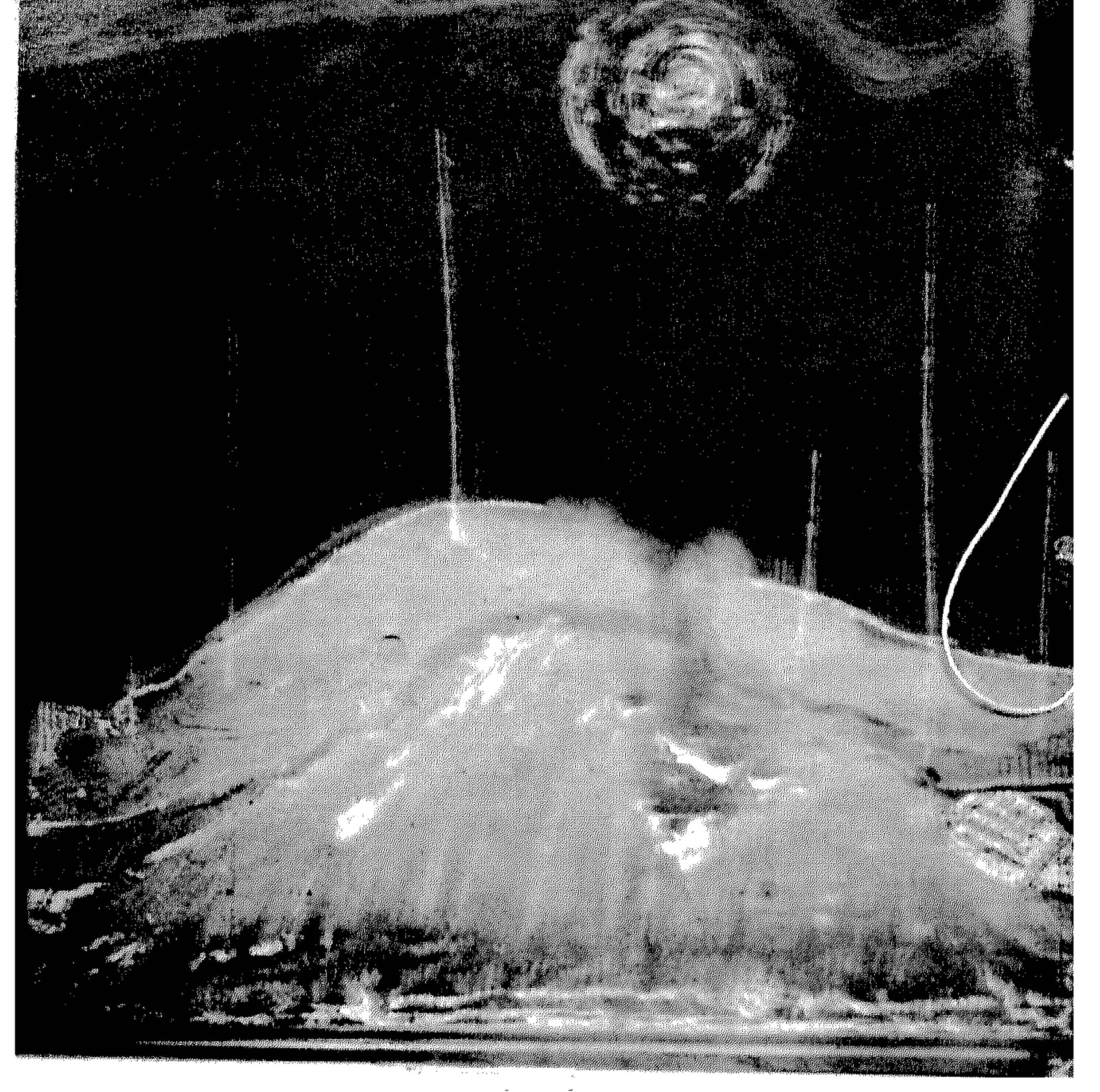
أقام الفنان "حسن غنيم" معرضاً بالقاعة المستديرة بنقابة الفنانين التشكيليين ، وينتمى إلى قافلة الفنانين الذين يستلهمون الفن الاسلامى بأشكاله المختلفة والمتنوعة . استلهم ، فترة ، شكل "المشربية" كما استلهم "الخرط العربى" ، وظهرت المشربية على شكل دوائر تتنامى وتتكاثر أو تتداخل .. وشهدت معارضه تنويعات لا حصر لها من وحدة "الدائرة" .. مضيفاً إليها بعض ما تعلمه من فن "الأوب" . والطريف انه اعترف ذات مرة بان تلك الدوائر وإن أوحت بشكل المشربية فإن مثيرها الحقيقى كان شكل "البرتقال" !.. فقد لفت نظره الشكل الهرمى المنتظم لشكل البرتقال عند أحد الباعة ، فصاح صيحة أرشميدس :

وجدتها !.. فقد فتنه الدور البنّاء الذى تقوم به (وحدة) ثمرة البرتقال . فنقلها بهيئتها المباشرة قبل أن تتعرض لدرجات عن التلخيص بلغت أقصاها فى معرضه الأخير .. فدوائره الأخيرة مجرد مساحات ذات بعدين ، تقترب أو تبتعد تبعاً لدرجاتها الضوئية ، كما تألقت بالألوان الصريحة . الساخنة . دون أن تفقد عبق الإيحاءات الروحية .. التى بررت الكثير من لوحاته السابقة .. خاصة فى المرحلة التى انحاز فيها إلى اللون الأبيض ، حيث غلف عناصر لوحاته بغلالات بيضاء .. أشبه بدخان البخور ! وتظهر فى معرضه الأخير معالم جراة لفتت إليه الأنظار فى صياغة التصميمات .. منها على سبيل المثال لوحة يشقها خط حاسم ، ويقسمها إلى مثلثين متساويين ، ويقوم هذا الخط المحورى بدور الحمالة لنوعين من الخطوط : خطوط مستقيمة تتجه بميل إلى الداخل - أى إلى الخط المحورى المائل - وخطوط مقوسة فى النصف السفلى .. وتم الانتقال برفق بين نوعى الخطوط المتناقضة ، وتجلت فى اللوحة صورة معبدية مؤثرة .

قباب . للفنان حسن غنيم



لحن شرقى   للفنان حسن غنيم



تكوين زيتى .. للفنان راغب اسكندر

● راغب اسكندر .. والتجريد اللاشكلى

هذا هو المعرض الفردى الحادى والعشرين . وشارك فى كل المعارض الجماعية الرسمية فى السنوات العشر الأخيرة على الاقل . واقام العديد من المعارض فى قاعات غير مجهزة للعرض مثل مراكز الشباب ، ومحطة القاهرة للسكك الحديدية ..ورغم هذا الحضور الدائم فهو غائب دائماً .. عندما تكون



هناك نية رسمية لاقتناء أعمال فنية من الفنانين ، وغائب أيضاً عن التمثيل في المعارض الدولية !.. ورغم ذلك فإن إصراره على الانتاج الفني يدعو إلى الدهشة ، واصراره على أسلوبه الفني مستمر !.. إن اسلوبه الفني يمكن إدراجه في إطار "التجريد اللاشكلي" .. وهو يشارك فناني هذا الاسلوب في كونهم صيادين لومضة في العمل الفني الذي يتم انجازه فورياً أو تلقائياً في معظم الأحوال . لهذا تتسم لوحاته بدفء المصادفة السعيدة .. الناشئة من امتزاج الألوان بالألوان ، وبالآثار التي يستحيل على لمسة الفرشاة أن تأتي بها . أما معرضه الأخير فقد كشف عن درجة ملحوظة من الاتقان فاقت معارضه السابقة .

من مجموعة السحر للفنان راغب اسكندر



راقصة كونيه .. للفنان بابلودى جيفنوا

● معرض « بابلو دى جيفنوا »

لقد حررت ثورة الفن الحديث "التصوير الفوتوغرافى" من الطابع الميكانيكى البسيط .. وتحول إلى فرشاة تتحرك بناء على الاسلوب الفنى للموّجه الكامن خلف العدسة !.. وانقلبت الآية .. فبدلاً من حرص فنان عصر النهضة على أن يكون بديلاً عن "الكاميرا" صارت (الآلة) تقلد أكثر الاتجاهات الفنية جموحاً وجنوحاً إلى التجريد والمذاهب التى تتجاوز المألوف للعين !.. وتكاد بعض صور الفنان الاسبانى "بابلو دى جيفنوا" الذى أقام معرضاً بقاعة السلام .. تكاد أن تكون لوحات مرسومة لا مصورة .. عن طريق تمكنه من الحيل المعملية المختلفة .. مثل طبع عدد من الصور السالبة دفعة واحدة .. وغير ذلك من طرق الحذف والإضافة .. ومن اجمل لوحاته تلك التى صورها لراقصات الباليه والجسد الإنسانى العارى .. فقد بلغ بها حد التصور بأنها رسوم مائية . إن اسلوبه الجانح إلى التجريد من شأنه تمديد مساحة الإيحاء .. فراقصة الباليه غريبة . (الذى احتفظ لها بالنيجاتيف) تبدو كما لو كانت راقصة كونية . تطل على عالم فيه الكثير من الوحشة ، وقد يظهر الجسد الإنسانى مبدداً فى الفراغ ولا يحتفظ إلا بما يبقيه فى هيئته الشبحية .



شتات الشقائق

قصـــة :
جمال الغيطانى

ريشـــة :
عادل ثابت

فانتبهت يقظة ، بعد ان وصلت للحظات ..

تخشى مواصلة النوم الى ما بعد الموعد . الا تتمكن من ايقاظه . فى السادسة يجب ان يكون فى المطار . عربة الاجرة ستجيء فى الخامسة . الشـــوارع خالية فى الصباح الباكر ، قدر السائق ساعة للوصول الى المطار ، هذا مـــا حدده عند الاتفاق معه. انه جارهم ، ويســـكن الناصية القريبة ، عين توقيت المفارقة ، تمام الخامسة ، لكنه يجب ان يصحو فى الرابعـــة والنصف ، يغتســـل ،

شتات الشقائق

يصلى ، يرتدى ملابسه، لكن الإهم تناولهما لقمة معا لاخر مرة قبل الرحيل . آخر افطار بصحبته ..

آخر افطار ؟

لماذا ؟ لماذا تقترن النهاية باللحظات المنتظرة قال قال سيىء ينبغى تحاشيه ، صحيح .. انه سيغيب سنة ، لن تراه قبل أثنى عشر شهرا ، سنة ستتبدل خلالها احوال ، تقوم اوضاع وتحيد مصائر ، لكنه سيرجع ، ستراه مرة أخرى ،لماذا يرند خاطرها ، آخر افطار ، آخر مرة .

صحيح .. الغياب صعب ، ولكنها يجب ان تبدى الجلد، الا يذكرها طوال الشهور القادمة دامعة ، يجب أن تبتسم، أما أن تدمع فى حضوره فهذا شؤم غدا ستجلس الى المائدة بمفردها ، ستعد كوبا واحدا من الشاى بدلا من اثنين ، ستضع رغيفا بدلا من رغيفين، ستاكل بمفردها، ستشرب الشاى مطرقة الى الارض .

يا عالم .. متى يلتقى الحى بالحى ؟

فى مثل هذه الساعة غدا ، سيكون هو فى ناحية ، وهى فى ناحية، سينزل أرضا غريبة يطؤها لاول مرة ، وستمسى هى غريبة فى موطنهما ، حذرة ، منقطعة ، فما أبعد الاقارب الذين يعيشون فى الصعيد الاعلى ، وهنت الصلات التى كانت يوما وثيقة ، خاصة بعد رحيل الوالدين .

تقعد عند حافة السرير ، تدنو من ذرى الشجن ، توشك أن تدمع ، تحوش نفسها ، يجب الا يلمح طيف حزن فى عينيها ، يجب الا تحمله هما فوق همومه يكفيه قسر الغربة، ومشقة الرحيل ؟

ثم انها ليست المرة الاولى التى ستبقى بمفردها ، الم يسافر خارج القاهرة مرارا الم تختلف مواعيد خروجهما الى عملهما ؟

لكن .. فرق بين سفر قريب ، ورحيل طويل ، فى رحلاته القصيرة تدرك بشكل ما انه هنا. وهنا تعنى هذه الصالة والشوارع المحيطة والضواحى ، والبلاد التى يمضى اليها يوما أو يومين ان فى بحرى أو فى قبلى ، لكنه غدا سيكون بعيدا ، سيغيب نفسه من البيت ، سنة كاملة لن تسمع صوته الا عبر الهاتف ، هكذا يقضى العقد الموقع بينه وبين صاحب العمل ، عام متصل .. ثم انها يجب عليها اعتياد البقاء بمفردها ، لن يظل معها الى الابد،يوما ماسيذهب الى بيته ، سيتزوج ، يطل عليها بين الحين والاخر ، هى شقيقته الاكبر منه ، التى مال حظها ، وقضى عليها ان تعيش بمفردها ، سيجىء اولاده الصغار اليها ، ستحنو عليهم ، ستجهز لهم الحلوى ، سيملئون البيت صياحا،وضجيجا، ودفئا ، ثم يمضون .

يجب ان تعد لايام وحدة مقبلة ، لكن الايام التالية لرحيله ، الايام الاولى ستكون صعبة ، قاسية ، هذا مفروغ منه، ولا لوم عليها لان قلبها يفيض شجى ، لكنها يجب أن تحجب ، ان تدارى عنه .

تقوم ، يجب ايقاظه بعد قليل ، تقف عند الباب المطل على الصالة الضيقة ، المائدة ، المقاعد الاربعة ، بجوار باب الشقة حقيبة سفره بنية اللون ، مرتفعة ، اقفالها صفراء نحاسية المظهر ، تلمع فى الضوء الخافت ، على حافتيها ورقتان مستطيلتان ، كتب عليهما اسمه وعنوانه ، حقيبة أصغر،

سوداء ، سيحملها بيده، دفعها مرارا قبل نومه ، دعاها لتجرب ثقلها ، سعى الى اشراكها فى كل خطوة ، لم تتردد ، لم تتقاعس ، لم ترجف تأثرا ، بل اقبلت مبدية حماسا مضاعفا ، قالت ان ما يثقلها الكتب ، لكنه وزن معقول ، كلا الحقيبتين اشترياها من الدرب الجديد قرب العتبة الخضراء ، لم يمتلكا الا حقيبة قديمة استخدمها فى اسفاره القريبة ٠

تجتاز الصالة ، تقف أمام باب غرفته الموارب قليلا ، صعب عليها الوقوف على حاله ، نائم مستيقظ ؟ ، الليلة القادمة ستخلو هذه الحجرة منه ، لن تغلقها، ستبقيها مفتوحة ستنظفها يوميا و تفتح النافذة لتهويتها، وترتب ما تركه من أوراق وتنفض الغبار عن الكتب، تعاود النظر الى الحقيبتين ، الى جواز السفر الموضوع على حافة المنضدة ، تطل منه بطاقة الطائرة ،تتجه الى المطبخ، رائحة غاز؟ لكنها احكمت اغلاق الصمام قبل النوم ، اوصاها مرارا خلال الايام الماضية بضرورة اغلاق باب الشقة جيدا، وحبس الغاز ، تفتح الصنبور ، تملأ كوبا ، تفرغه فى البراد المعدنى، كوبا آخر ، اثنين ، بعد ذلك لن تعد الا واحدا ٠٠٠ حتى عودته سالما٠

تشعل الموقد الغازى، النيران حفيف خافت ، بعد أن يغلى الماء تضع الشاى ، تتركه قليلا ، كوب مضبوط ، معطر بالنعناع ، اعتاد شربه قبل خروجه الى عمله ٠

تضع طبق الجبن ، طبق الفول ، الخبز تصلب قليلا ، ستضعه على النيران ، لم تعد تتحرك بحذر ، حان موعد صحوه ، تقف بالباب ٠

ـ انا صاحى ٠٠

ـ صباح الخير ٠٠ الساعة الرابعة والربع٠

يزيح الغطاء ، يشعل الضوء، عيناه مزرورتان

ـ اذن الفجر ؟

ـ اظن الصلاة بدات

تتجه الى المذياع ، ينبعث صدى الفراغ ، انها لحظة الركوع ، او السجود ، لحظة صمت الامام ، شخص ما يسعل ، ترى ٠ من هو؟ الله اكبر ٠٠ تذاع الصلاة من مسجد الامام الحسين ، عاشا بالقرب منه طفولتهما وصباهما، وصدر فتوتهما ٠ بعد انتقال الاسرة الى تلك الضاحية ، وحتى غياب الوالدة ، اعتاداصحبتها اسبوعيا لزيارة ضريح الحبيب الشهيد ، ثم العروج على الصحب من جيران العمر ٠

كانت المرحومة تقول انها لا تستطيع العيش بعيدا عن الحسين ، وافقتمن اجل راحتهما، فالبيت عتيق وضيق ، لكنها من الضرورى ان تطل بين الحين والحين على الاحباب القدامى، جيران العمر ، كانت تقول ان عمرها تفرق هناك على النواصى ، الحوارى ، والمتاجر التى اعتادت شراء حاجاتها منها،اسماعيل الخضرى نصرى الجزار ، عبد الهادى البقال ٠

بعد رحيلها بغتة ، سعت الى الاماكن التى احبتها المرحومة ، الى الارض التى مشت فوقها بعد احدى زياراتها ، قالت لشقيقها انها رأت المتقدمين فى العمر يسعون ، كلهم هناك ٠٠ فلماذا غياب امها المبكر؟ لماذا وهى اصغر سنا من كثيرين مازالوا ٠٠

يومها قال انهما يجب الا يكفرا بالقضاء ، انه اجل ، ولكل اجل كتاب٠

تعرف ان امها رحلت محسورة ، لم تطمئن عليها ، لكم ودت ان تراها فى بيتها ، لكم تمنت أن تداعب احفادها منها ، كثيرا ما عادت اليها بأدوات تجميل ، وقماش جديد ، تتطلع

شتات الشقائق

اليها صامتة ، لم تقل كلمة . لكنها ادركت نظراتها ، وجرى حوارهما بالصمت ، حادا عن الخوض فى أسباب الحظ المائل ، والبخت الوحش ، كانت تقول انها زينة البنات ، فهى هادئة الملامح ، خفيفة الحضور ، متناسقة لم تحد قط ، لكنه الحظ المائل ، وصعوبة الوقت ، وتعثر الاحوال !

لو انها بالقرب منها الان ، لو أن نفسها يتردد فى البيت لاطمأنت ، ولما خشيت الليالى المقبلة ، لكنه الاجل ، لكنه النصيب . لا تستمر . فتتوالى الصور ، وانبعاثات اللحظات الشاردة ، أمر جالب للتأثر . للدمع ، مثير للحنقة ، وهذا ما يجب تحاشيه وتجنبه حتى خروجه وسفره بالسلامة .

يقف فى الصالة ، يجفف وجهه . يتطلع اليها ..

ـ الدنيا برد ..

ـ اخر الليل .. وبرد السنة صعب ..

بعد لحظات تساءلت ..

ـ وهناك ؟

ـ النهار معتدل ، ولكن برد الصحراء شديد ليلا ..

ـ تفرجت على النشرة الجوية فى التليفزيون ، عاصمة البلاد العظمى فيها اثنتا عشرة والصغرى صفر ..

لم تقل انها تساءلت دائما عن جدوى عرض درجات الحرارة فى عواصم الدنيا وهذا يوم يجيء تهتم فيه بطقس بلد لم تره أبدا ، سيسعى شقيقها فى نقطة نائية منه .

ـ انا كتبت ارقام عداد الكهرباء ، علقت الورقة على الباب .. يستحسن هذا دائما ..

تومىء ، طوال الايام الماضية يوصيها ان تنتبه ، الا تفتح الباب لاى انسان الا بعد رؤية شخصه من العين السحرية ، أن تعود من ناحية العمارات بعد نزولها محطة الاتوبيس ، صحيح المسافة أطول لكنها اكثر أمنا من الطريق المجاور لسور النادى ، يردد أن الدنيا صارت وحشة ، والامان شحيح ، تبتسم وتوصيه أن ينتبه هو الى نفسه ، الا يعول هما كل ما اوصاها به ستنفذه بحذافيره .

انه يحوش نفسه عن النطق بوصاياه ، تكرار ما قاله مرارا خلال الايام الماضية ، الان .. والوقت يمر ويدنو يتحاشى معانى لها وثيق صلة بغيبته الطويلة ، بسفره ببقائها وحيدة .. ، يقف مرتديا قميصه ، وبنطلونه ، لم يرتد الحذاء بعد ، اخرجه من تحت سريره ، وضعه أمام المقعد المجاور للمائدة .

ـ تأخرت سهرة التليفزيون أمس ؟

تلتفت اليه ، وضعت طبق الجبن الابيض ، والفول ، وبراد الشاى .. ثم طبق البيض المقلى ..

ـ لم اكمل التمثيلية

ـ لا يضعون فى الاعتبار ذهاب الناس مبكرين الى اشغالهم ..

ـ صحيح .. لكنه يسلى الخلق .. ينظر الى المائدة

ـ غداء او فطار ؟

ـ اسند نفسك اليوم طويل ..

نفس العبارة كانت تقولها المرحومة للوالد عند شروعه فى السفر الى البلدة زمان . كان يركب قطار الثامنة ، يغادر البيت فى السادسة او بعد صلاته الفجر مباشرة .

يجلس الى المائدة

الصغيرة ، يمضغ بسرعة ، هذه لحظات سوف تستعيدها مرارا، من بين كل مرات افطاره لن تتذكر الا تلك اللحيظات ، يتطلع الى الساعة ، لم تصل العربة بعد ، ايقاع الدقائق الان اسرع ، الصمت بالغ مداه ، وثمة طنين غامض مجهول المصدر ، صوت الصمت ذاته .

- تغير طعم البيض

ملاحظة ابداها من قبل مرارا ، تجيبه بنفس الكلمات ..

- من الصعب الحصول على البيض البلدى ..

ثم تقول :

- كل شىء تغير طعمه

يطوف بعينيه حول الصالة ، كانه يدقق معالمها ، يتحاشى مثلها تلاقى نظراتهما . ترى .. اى الصور تتوالى عليه الان ؟ الان بالذات؟ تحجم عن النطق بالسؤال ، اوقات جلوسهما الى بعضهما محدودة ، قصيرة ، تعقب دائما اوقات الطعام ، وهذه المرة تتلمسه ، فبعد ان يفرغ سيفارق مباشرة ، وربما لن يتم شرب كوب الشاى ، كان حديثهما اليومى يدور حول موضوع بعينه ، الان يحومان حول بعضهما، فى لحظة يدنوان ، وفى اللحظة عينها ينأيان . لا تذكر من قال امامها انه يفضل السفر والاهل نيام ، اللحظات الاخيرة مرهقة .

انها ترى لحظات استعادتها هذا الوقت القصير ، الفاصل ، ستذكره متمهلة والحنين اليه يهمى ، يفرقهما ، هو فى ناحية ، هى فى أخرى ، لكم جلس الى المائدة ، لكم تناول افطاره ، لكم رشف الشاى ، لكن هذه اللحيظات بالذات ، هذا الحضور !

محرك السيارة ، يتزايد ، يعلو ، يتوقف

- وصل ..

يقوم ، مستنفرا للاقلاع ، حركته الان أسرع ، لفتاته ، ارتدائه الجاكتة .

- معك تصريح العمل ..

يومىء . يشير الى حجرته

- التوكيل فى الدرج الايمن ..

- ياه .. لا تذكر هذا التوكيل ..

تواجه ابتسامته الهادئة ، ابتسامة تبرر قولا ، او تخفف أمرا لا تود سماعه ..

- الحياة علمتنا أن نحتاط ..

- اذكر خيرا ..

يقول خافت الصوت

- كله خير باذن الله

- دعنى اصحبك

- معقول ؟ وكيف ترجعين من المطار .. الدنيا شتاء والظلام يستمر حتى السابعة صباحا ..

لا تدرى ما يجب القيام به ، تبذل جهدا حتى لا تدمع عيناها ، لن يذكرها باكية ، هو من بقى لها فى الدنيا ، وها هو يرحل، تميل على الحقيبة الكبيرة . يربت كتفها

- ستبقين هنا ..

- لا .. حتى الباب

- طيب .. هذه ثقيلة عليك ..

تصر ، وكانها تشارك بقدر فى حمل عبء الرحيل ، تنزل درجات السلم . هل ازداد اطراقه .

- يكفى هنا

- حتى العربة ..

لكنه يقف امامها ، هذا كاف جدا ، لاداعى لخروجها الى الطريق، برد الدنيا شديدة وملابسها خفيفة ، يمد يده ، يلمس شعرها ، تنحنى ممسكة بيديه ، تقبلهما . تماما كما كانت تفعل عند بدء غياب ابيها فى الزمن القديم الذى لن ينبعث ابدا ..

أوسكار التحريف للتاريخ



والتعصب المقيت !

بقلم :
مصطفى درويش

اوسكار تمثال برونزي صغير ، يقرأ اسمه على صفحات مئات الجرائد والمجلات ، تشاهد صورته على مئات الملايين من الشاشات ، وهو يسلم الى كل من كان من نصيبه الفوز به من مبدعي الافلام على مدار العام السابق ، وذلك في حفل او استعراض كبير يقام في عاصمة السينما « هوليوود » قريبا من نهاية شهر مارس من كل عام .

ومن هنا جاءت شهرته التي تجاوزت وطنه الولايات المتحدة الى جميع ارجاء المعمورة بلا استثناء .

بل لعله الان ، اشهر تمثال في العالم .

ولعل جائزته تفوق في الاهمية والمكاسب المادية جائزة نوبل في اكثر الاحيان .

وغني عن البيان أن « أوسكار » خير داعية لما ينتجه مصنع الاحلام في هوليوود من افلام .

وعادة يجرى التمهيد لاوسكار بجوائز أخرى توزع في احتفالات ومهرجانات سينمائية عديدة تقام في أمهات المدن الامريكية مع بداية العام ، وتعلن نتائجها قبل الترشيح للاوسكار بأيام .

وقد لا اكون بعيدا عن الصواب . اذا ما خلصت إلى القول بأن جوائز الكرة الذهبية ، هي أهم هذه الجوائز جميعا .

● **عادات وتقاليد**

فعندما يفوز فيلم بعدة كرات ذهبية ، يكون ذلك ايذانا بترشيحه للاوسكار ، وبفوزه بها ، هو وبعض مبدعيه في أغلب الاحوال .

هذه الظاهرة التي كادت تصبح تقليدا اراها تتكرر على مر الاعوام .

« فغاندى » ما ان خرج من حلبة الصراع على تلك الكرة فائزا بجوائز افضل فيلم اجنبي ومخرج وممثل وسيناريو ، حتى رأيناه بعد ذلك بأيام مرشحا لعدد كبير من جوائز اوسكار ، ثم فائزا منها بنصيب الاسد .

. نفس الشيء تكرر بعد أربعة أعوام مع « الامبراطور الاخير » (١٩٨٨) عندما كتب له أن يفوز بأربع كرات ذهبية من بينها الكرات المخصصة لافضل فيلم ومخرج وسيناريو درامي

فاذا ما جاءت الليلة الكبيرة .. ليلة اوسكار رأيناه منتصرا على جميع الافلام الاخرى بالضربة القاضية ، متوجا ـ رغم انه فيلم أجنبي ـ بتسع جوائز أوسكار .

وهو عدد لم يفز به أو بأكثر منه في تاريخ الاوسكار الطويل سوى ثلاثة افلام .

لذلك عندما فاز « رجل المطر »



بالكرة الذهبية باعتباره أفضل فيلم درامى منذ ثلاثة أشهر أو يزيد ، كما فاز بها « داستن هوفمان » عن ادائه فى الفيلم المذكور لدور « رايموند بابيت » ، اعتبر هذا الفوز دليلا لا يتسرب اليه الشك على أن « رجل المطر » فيلم مبشر بأوسكار ، وان فوزه بها ، هو ونفر من مبدعيه أمر شبه أكيد ·

وكما كان متوقعا، فقد جرى ترشيحه لثمانى جوائز أوسكار ·

وقبل ليلة توزيع الجوائز بقليل تحمست جريدة « الجيروساليم بوست » الاسرائيلية لكل من الفيلم وصاحبه المخرج « بارى ليفنسون » وبطله « داستين هوفمان » حماسا شديدا ·

وما أن ذاع خبر فوز الفيلم وصاحبه وبطله بالاوسكار الموعود حتى نشرته تلك الجريدة في مكان بارز من عددها الصادر في ٣١ من مارس ١٩٨٩ مباهية الامم بانتساب الفائزين « ليفنسون وهوفمان » الى يهود هوليود ·

والان الى ما يحكيه « رجل المطر » الذى خرج من مضمار اوسكار متوجا بأربع جوائز بينها أوسكار أحسن سيناريو مبتكر « رولند باس » و «بارى مورو » ·

يحكى هذا الفيلم قصة شاب وسيم مهلوى « شارلى بابيت » (توم كروز) يعمل بلوس انجلوس فى تجارة السيارات ·

● الحرمان والعصيان

والحكاية تبدأ به ، وقد تلقى ذات صباح مكالمة هاتفية تخبره بوفاة والده الذى لم يلتق به منذ ان كان شابا يافعا ليس له من العمر سوى ستة عشر عاما ·

وسرعان ما يكتشف ان والده قد اوصى بكل ثروته التى تقدر بثلاثة ملايين دولار الى شخص مجهول لا يعرف من أمره شيئا ·

وبعد قليل ، يعرف ، وهذا هو الاغرب ــ ان ذلك الشخص المجهول اقرب اليه مما كان يتصور ، انه شقيقه الاكبر ·

والسبب فى اخفاء أمره عنه انه متخلف عقليا ، يعيش فى مصحة للمعوقين على الساحل الشرقى ، بعيدا عن الناس ، وما يحمله القرب منهم لمن كان فى مثل حالته من اخطار جسام ·

وعلى كل ، فما ان التقى بشقيقه فى تلك المصحة ، حتى تبين له مقدار تخلفه ·

فكان ان فكر فى خطفه ابتغاء الاستيلاء على ما أوصى له من ملايين ·

ولم يمض وقت طويل ، الا وكان قد اختطفه فعلا ·

وها هو ذا فى طريقه الى الساحل الغربى ، ومعه فى السيارة شقيقة المعوق الذى رفض السفر بالطائرة لانه يهاب الانتقال بين الاماكن معلقا فى الفضاء

● عبقرية الأقلية

وأثناء السفر يكتشف « شارلى »

ان شقيقه عبقرى فى لغة الارقام .
ومن هنا توقفه في « لاس فيجاس» مدينة القمار حيث استغل عبقـرية شقيقه تلك فى الفوز من خلال المقامرة بثروة طائلة فاقت الملايين الموصىبها.

ولقد كان فى امكانه ، لو شاء ،أن يكسب المزيد ، لولا أن أصحاب نوادى القمار فى مدينة الشيطان الاصفر قد تنبهوا لخطورة عبقرية شقيقه المعوق، فحالوا بينه وبين الاســتمرار فى المقامرة .

الاهم من هذا كله ، والذى يريـد الفيلم أن يركز عليه ـ هو ذلك التغير الذى طرأ على شخصية « شـارلى » بفضل تعايشه مع شقيقه الاكبر خلال الرحلة ، واستحالة علاقته به الىحب أكيد .

ففى البدء حين لقيناه فى لقطـات الفيلم الاولى ، كان أنيقا فى ملبسه ، حاد التقاطيع ، جشعا ، طامعـا فى ملايين شقيقه المحروم منها .

غير أنه عند اقتراب الفيـلم من النهاية ، نراه وقد استحال شخصـا أكثر انسانية فى التعامل مع شـقيقه ومع الاخرين .

وفى الحق ، فرجل المطر يسـلط الاضواء لا على « رايمون » المعوق ، وانما على « شارلى » الفتى الطموح، المستلب بعبادة المال .

وهو ، من خلال الاحداث ، يخطـو به نحو الحب شيئا فشيئا ، حتى ولو لم يكن ثمة أمل فى أن يبادله الشقيق المعوق حبا بحب .

● بعد نظر

وهنا ، قد يكون من المفيد أن أذكر ما تصوره أصحاب الفيلم عنـدما اتصلوا « بهوفمان »،لاقناعه بالتمثيل فى « رجل المطر » .



ميلانى جريفيث .. فتاة عاملة

لقد تصوروا من منطلق خاطىء فى تقدير الامور ان الدور المناسب لـه هو دور « شارلى » الشقيق الاصغر .

ولكن « هوفمان » بفضل حاسـته الفنية التى لا تخيب الاماما ، وبفضـل حاسته التجارية التى لا تخيب أبدا ، وقع اختياره على دور « رايمـون » الشقيق المعوق ، وذلك رغم انه أصغر من الدور الاخر المعروض عليه ابتداء .

وأغلب الظن انه لو كان لم يسـمع سوى صوت الطمع فاندفع الىالوقوع فى فخ ايثار الدور الاكبر على الدور الاصغر ، لما فاز بجائزتى الكـرة الذهبية وأوسكار .



يبقى أن أقول ان « رجل المطر » لا يستحق كل الضجة الكبرى التى اثيرت حوله باعتباره فتحا فنيا مبينا، ولا كل الجوائز التى امطروه بها ٠

فهو فيلم قائم على سيناريو مفتعل أشد افتعال ، أحداثه وشخصياته مرسومة حول معان غامضة ليستطيع المخرج أن يقدمها لنا بجلاء ٠

ومع ذلك ، فمما يحسب « لرجل المطر » أن التوقعات القائمة على الاعتقاد الشعبى بأن المرض العقلى لا يعدو أن يكون شكلا من أشكال القداسة فى بعض الاحيان ٠ ومن ثم فقد يكتب « لريمون » المعوق الولى الشفاء ، هذه التوقعات ليتحقق منها شىء بفضل امتناع أصحاب الفيلم عن أن ينتهوا به تلك النهاية السعيدة البلهاء ٠

● شيخوخة مبكرة

ولو انتقلنا بعد ذلك الى الافلام الاخرى التى دخلت بشكل أو باخر فى عداد الافلام الفائزة بالجائزة المشتهاة مثل « الارنب روجر » الذى افتتح به مهرجان القاهرة السينمائى الاخير أو « الفتاة العاملة » لصاحبه « مايك نيولكس » أو « السائح بالصدفة » لصاحبه «لورانس كازدان» أو « حرب الفاصوليا لصاحبه المثل المخرج والمنتج « روبرت ردفورد » أو « فندق ترميوس حياة وأزمنة » كلاوز باربى. لصاحبه « مارسيل أوفلس » أو «المتهمون» لصاحبه «جوناثان كابلان» أو « المسيسيبى يحترق » لصاحبه « الان باركر » ٠

والقينا عليها نظرة طائرة لوجدنا أنفسنا أمام ظاهرة غابت عن انتباهنا طويلا ، هى أن هوليوود قد شاخت ، وليس فى استطاعتها أن تقدم جديدا نافعا ٠

ومهما يكن من أمر هذه الظاهرة ، فقد يكون من المفيد الوقوف عند الافلام الثلاثة الاخيرة ولو قليلا ٠ « فندق ترمينوس » فيلم وثائقى طويل يدور حول جرائم « كلاوز باربى » ذلك الالمانى النازى الملقب « بسفاح ليون» والفيلم عماده لقاءات أجرى فيها المخرج حوارات مع ضحايا هذا السفاح سواء أكانوا من رجال المقاومة الفرنسية أو ممن جرىشحنهم الى معسكرات الموت ومعظمهم من اليهود !!

● جرائم وقحة

أما « المتهمون » فيبدأ ببطلته « سارة توبياس » (جودى فوستر) مندفعة من باب بار الى الشارع وهى ممزقة الثياب ، صارخة فزعا،ملتمسة النجاة ٠

وفى الظلام شاب على الرصيف يرتعد خوفا ، وهو يصرخ فى سماعة التليفون ملتمسا من الشرطة انقاذ هذه المرأة المبتلاة ٠

وسرعان ما نعرف سبب صراخها على هذا الوجه الذى يثير الرعب فى القلوب ٠

لقد اغتصبها شبان ثلاثة أمام أعين رواد البار والعجيب أن أحدا منهؤلاء الرواد لم يحرك ساكنا لحمايتها من الاغتصاب ٠



روبرت   مخرج ومنتج حرب الفاصوليا

واغرب العجب أنهم ـ فيما عـدا قلة صامتة ـ كانوا بمشهد الاغتصاب البشع الذى أمام أعينهم فرحين ، مصفقين بل قل مشجعين ·

ولكن ما الذى حدا بالشبان الثلاثة الى اغتصاب « سارة » هكذا علنا فى محل عام ، وبهذا الشكل المشين ؟

فى تلك الليلة ـ وقبل ذهابها الى البار ـ تشاجرت « سارة » معصديقها الموسيقار الذى يشاركها العيش فى منزل متحرك ·

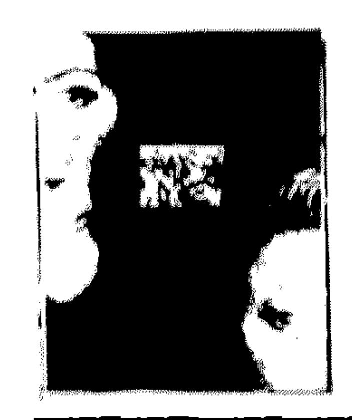
وكعادتها ذهبت الى بار قريب كى تحتسى بضع كئوس ·

لعلها بها تنسى المشاكل ، وتتخفف من الهموم ·

وفى هذه المرة ، وقبل توجهها الى البار بصحبة صديقة تعمل معها على خدمة الزبائن فى أحد المطاعم ،تعاطت أنفاسا من الحشيش ·

وهاهى ذىداخل البار مرتديةملابس فاضحة ، غير مكتفية بعربدة السكر علنا ، بل ذهبت الى أبعد من ذلك بتبادل النظرات مع شاب جذاب ، ما أن دعاها الى مشاركته الشراب حتى قبلت بلا تردد ، وأخذت تتجاذب معه أطراف حديثملوءة الغزل والايحاءات·

وبينما هو محتضنها فى حلبة الرقص يمطرها القبلات ، اذا بهيطلب



منها أمرا لم يكن في الحسبان ·
وكلما رفضت أصر لانه من ذلك الصنف من الشبان الذي لا يقبل من فتاة أن تمتنع وتقول لا وبمساعدة اثنين من رفاقه دفعها الى جهاز لعبة الكرة والدبابيس حيث اقترفت جريمة الاغتصاب ·

● من الجاني ؟!

وهذا السلوك المبتذل من قبل «سارة» في مكان لهو ولعب في تلك الليلة الليلاء ، كان لابد أن يقف عقبة كئود أمام محققة ادعاء « كاترين ميرفي » (كيللي ماكجيلليس) ·
فادعاء فتاة عاملة من الطبقات الدنيا ، تسكر وتعربد وتحشش بأنها قد اغتصبت ، هذا الادعاء لا يؤخذ مأخذ الجد أمام القضاء ·
كل ذلك اضطر المحققة الى اسقاط تهمة الاغتصاب وبدلا منها توجيه تهمة تهديد الارواح والاموال الى الشبان المعتدين ·
وهذا ما أغضب « سارة » التي كانت تتوقع أن تحكي مأساتها أمام المحكمة حتى تنتصف لها العدالة مما وقع على جسدها من اعتداء اثم مهين ·
ولم يكن أمام المحققة حتى تعيد المحاكمة استجابة لرغبة سارة ، بعد أن بدأت تتعاطف معها ، الا حلا وحيدا هو توجيه الاتهام الى الذين شاهدوا الاغتصاب ، ولم يحركوا ساكنا ·
ولن أحكي التفاصيل التي بها استطاعت المحققة أن تضيق الخناق على شهود الجريمة التي ما كانت لترتكب فيما لو اتسم سلوكهم بالمبالاة والاقدام ·
فذلك شيء يطول
وانما اكتفي بأن أقول بأن « جودي فوستر » برزت في دور « سارة » المغتصبة ممثلة عظيمة ، ومن هنا فوزها بجدارة عن أدائها لهذا الدور بالاوسكار ·
وبأن منتجة الفيلم « شيري لانسينج » لم يفتها في حديث لها مع جريدة « دالاس أوبزرفر » ، (٢٠ اكتوبر ١٩٨٨) أن تجري مقارنة بين موقف الجمهور اللامبالي في فيلم « المتهمون » وبين موقف الشعب الالماني غير المكترث بما حدث في المانيا الهتلرية لشعب الله المختار !!
والآن الى الفيلم الثالث والاخير « المسيسبي يحترق » ·

● سود وعبيد

هذا فيلم يعرض لنضال السود من أجل المساواة مع البيض في الولايات المتحدة خلال العام الذي حصل فيه « مارتين لوثر كنج الصغير » على جائزة نوبل للسلام (١٩٦٤) ولكنه يعرض لهذا النضال لا من منطلق أن السود هم الذين كافحوا وضحوا حتى اضطروا الكونجرس الامريكي الى اعادة حقوقهم السليبة في الحرية والمساواة اليهم وذلك بعد رحلة طويلة من المعاناة والعذاب ·
ولكن من منطلق آخر يقلل من

كما عثر على جثة « جيمس شانى» وهو من سود الجنوب ·

والثلاثة ـ وهم مناضلون من أجل الحقوق المدنية ، كانوا قد اختفوا قريبا من فيلادلفيا ـ مسورى قبل اسابيع وبعد العثور علىجثثهمبلربعة شهور القى القبض على تسعة عشر رجلا بتهمة الاشتراك فى قتلهم ·

وخلال عام ١٩٦٧ صدر الحكم على سبعة منهم كان من بينهم نائبالشريف لما ثبت فى حقهمن تآمر علىالمناضلين الثلاثة ابتغاء تصفيتهم بالاغتيال ·

● الخطايا

واحد عيوب الفيلم الجوهرية امتناعه حتى عن التلميح الى عداء رئيس المباحث « هوفر » المتأصل للسود ولزعيمهم « كنج » ، ذلك العداء الذى وصل الى حد التصنت على « كنج » بموافقة « روبرت كيندى» سعيا الى دليل يثبت أنه واقع تحت نفوذ الشيوعيين ، فضلا عن قيام عملاء المباحث بارسال خطاب وشريط تسجيل لعلاقاته الغرامية الى زوجته بأمل دفعه الى الانتحار ·

والاخطر من كل ذلك امتناع مباحث « هوفر » عن تنبيهه الى ماكان قد وصلـالى علمها منتهديداتله بالموت، وذلك الى أن لقى مصرعه برصاصات انطلقت من غدارة أحد غلاة المتعصبين (١٩٦٨) ·

وان شئت أن تعلم شيئا يفيد فى فهم « الميسيسيبى يحترق » الحاصل على أوسكار التصوير ، فاعلم أن صاحبه « باركر » قد سبق له أناخرج مقطار منتصف الليل السريع »(١٩٧٨)، ذلك الفيلم الذى ينفث عداوة عنصرية متوارثة للاتراك ، وبغضاء طائفية متأججة للاسلام ·



داستن هوفمان مع توم كروز فى رجل المطر

دورهم فى هذا النضال الباسل ،يقول انهم كانوا متفرجين سلبيين ينتظرون الخلاص على أيدى رجال · روبرت كيندى » النائب العام أو بمعنى أصح على أيدى بطلى الفيلم «جين هاكمان» و « ويلم دافو » ، وكلاهما محقق من رجال « هربرت هوفر » رئيس المكتب الاتحادى للمباحث ، والذى كان معروفا عنه انه يمقت « مارتن لوثر كنج » مقتا شديدا ·

فبفضل هذين المحققين ـ وكلاهما من البيض ـ عثر على جثتى « مايكيل شفرنر » و « اندرو جرمان » والاثنان من بيض الشمال ·

أقصوصة

بقلم : عبد الحكيم قاسم

نجيب محفوظ

أنا كاتب . أقطن فى ميت عقبة ، وأعمل فى المعاشات فى لاظوغلى ، وأقطع المسافة بين عملى ومسكنى - كل يوم ذاهبا وآيبا - على قدمى . ورئيسى الأستاذ عبد العظيم جبران قالى لى يوما :

- أنت يابنى تصون كرامتك ، بأنك تتجنب الزنقة بين خلق الله فى زحام المواصلات .. ! ارتجفت خفيفا ، لكنى كنت امشى صباحا وأرجع بعد الظهر ، وأفكر فى الكتابة ، مهنة اخترتها واتخذتها سبيلا لمعرفة نفسى والدنيا التى أتقلب فيها . ثم انها معراج لمعرفة نجيب محفوظ ... آه يا سلام .. !

يأتى كل يوم جمعة من الأسبوع ، ساعات بعد الظهر الى مقهى ريش تسرى فى جمعنا نحن الكتاب الحمى ... ننهض من فورنا ، نحيِّ الرجل ونبييه ، وهو يفيض وجهه ابتساما ونورانية ... نعم .. ولكنى لست من

الذين يجلسون يعرفون به ... لا .. إنما على مسافة تريني السحب تغيم تشوب إشراقه وتكدر الجبين . وتمنيت ان اجالسه وحدنا ، أو أن نسير معا في الخلاء ، وينطلق هو في الحديث ، وأنا أسمع ، لكن هذه الأمنية لم تجد لها صرفا بالحقائق في سوق هذه الدنيا .

وامشي راجعا من عملي . وساعات تنفلت قدماى من إرادتي ، وتحملاني الى ريش ، اجلس وحدى الى شرودى واشرد . وذات يوم اذ بى أقدم على القهوة أراه ، نعم هو وقدامه فنجان يجلس وحده . هبته ، وسماء وجهه معتكرة ، وقفت لا أريم ، أأقبل عليه ، أم انصرف عنه ؟ حتى أطلت ابتسامته علىَّ تغالب طبقات من الاعتكار .

هانذا جالس معه وحدنا وهو لايقول ، وأنا لاأجد من سبيل للكلام . وجلسنا صامتين ، تستغرقه شئونه ، وهو شأني الذى يستغرقني . حتى جاء رجل طيب الوجه مليء بالحنان والحدب ، سلم وجلس الينا ، وران الصمت على ثلاثتنا ، غرقنا في غيابة بئره لاتسحبنا من عمقه ضجة المقهى حولنا . يأتي الخادم ، يسحب الفنجان الذى فرغ ، فيشير له السيد بأصبعه فيأتي بواحد جديد ، والصمت مستقر .

حتى سأل القادم علينا ، وعيناه عالقتان بوجه السيد . قال له :

ـ الن تأتي ؟

قال له :

ـ لا .. !

موجزة قاطعة . التفت الرجل لي وقال يحدثني!

ـ إن الرئيس يرتاب في الفيلم ، وحديث ضد الثورة فيه . فقد ارسل السادات ليرى ويقرر .. ! الا يحسن أن يكون هناك مؤلف الكتاب ... ؟ ربما .. !

قال السيد :

ـ لا .. !

موجزة قاطعة . ارتجفت . شرعت بصرى فيه . وانا في عمق الصمت ، ولا أسمع الا صوته . ولا أرى الا وجهه ، قلت له كالهامس

ـ الا تذهب ياسيدى ؟

قال :

ـ إنهم سيحسنون القول .... اذا راى الفيلم .. وسأل .. !

ثم قام : مشى نحيلا تساوق حركة اكتافه خطوه الوئيد . تلفت . عبر الشارع . مضى . دارته البناية خلفها ، لكنني بقيت اراه ، لايتوه مني في غمار الناس ، يمشي وعيني عليه ، في الشارع ، في الميدان ، ثم يعبر النيل الى الضفة الأخرى .





نجيب محفوظ

بقلم : د. أمين العيوطي

● يقدم لنا نجيب محفوظ في قشتمر خمسة فتية نتعرف منهم على أربعة ، نتابع سيرتهم ومصائرهم وما يدثرهم به الدهر على امتداد سبعين عاما ، ويبقى الراوى غفل الاسم والدور ، هو الراوى فحسب الذى يلملم سيرة الشخصيات وينسجها ، ويظل هو مستترا خلفها او بينها يرصد ويقص قصصهم وهو لايكاد يظهر رغم وجوده المحسوس . من خلال عينيه نرى كل شيء ، ومن خلاله يتحرك خيالنا يلاحق معه مآل كل شخصية أو مآلها جميعا . ولعل الراوى في هذا هو كل الشخصيات معا ، وربما كان هذا ما يعنيه بقوله أن "الخمسة واحد والواحد خمسة . منذ الطفولة الخضراء وحتى الشيخوخة المتهاوية ، حتى الموت » فمصيره هو مصيرهم جميعا .. هو لا دور له سوى الروى ، وهو كل الأدوار .

ولعل هذا يعني في التحليل الأخير أن محفوظ قد آثر أن يؤدى دور الراوى الموضوعي المحايد الذى يقف متباعدا عن الشخصيات والاحداث ، ويروى من خلال علمه الاوسع بكافه الاشياء دون ان ياخذ صفا واحدا ضد الآخر ، لايفسر شيئا ، أو يعقب على شيء . واحدا ويدع القارىء يراقب افعال الشخصيات ويستشف دلالتها ، ومثل هذا العمل يكتسب اهميته من انه يحدث تأثيره من خلال دراسته للشخصيات وهي تحاول



ان تجد معنى لحياتها او ان تعطى تفسيرا للعالم من حولها وللأحداث التى تقع منها أو تدور حولها .

الراوى إذن موجود حضورا محسوسا ، وهو ايضا متسام بوجوده فوق الشخصيات والاحداث فى آن واحد . ولعل مادفع محفوظ الى تبنى هذا الخط فى الروى هو اننا لانتابع كل شخصية على حدة ، بل نتابعها كلها معا ، دائما معا ، على امتداد العمل كله ، بحيث كان من اللازم ان يكون هناك عقل مسيطر واحد ، وعين حساسة واحدة تلتقط الأشياء وتلملمها ، وذاكرة واحدة تختزن لتروى ما كان من امر الفتية الأربعة . هم فتية أمن كل واحد فيهم إما بالثراء او التفوق أو الفن او أثر أن ينعم بكل ما أتاحته له الحياة من امكانيات وفرص فضاع وكان أثرا من اثار "الثرثرة" وهم فترة أو مرحلة كل واحد منهم حالة ، وهم كل المجموع هم عمومية يركز عليها محفوظ حدقته الواسعة ليطرح رؤيا . لكننا نستبق الأشياء

هم عمومية اجتماعية فى المقام الأول ، او عمومية طبقية على وجه التحديد ، يجمع بينهم ، رغم اعتراض بعض الاهل الأوسع ثراء ، التفاوت الطبقى . فهم جميعا شرائح من الطبقة الوسطى من ادناها الى اعلاها تضم فيما بينها شمل طبقة باسرها ومحفوظ حريص على تاكيد هذا الجانب عند تقديم شخصيات واحدة تلو الاخرى صادق صفوان ابن موظف الأوقاف الذى يحث ابنه على أن يجعل الشهادة طريقه إلى الوظيفة فلا مستقبل للفقير بغير الوظيفة ، اسماعيل قدرى ابن موظف السكك الحديدية الذى يضع امام عينى ابنه دائما أن مستقبله بيده ، طاهر عبيد ابن الدكتور الارملاوى باشا مدير معامل وزارة الصحة الذى يحتل منزلة اعلى من صديقيه وان كانت ادنى من منزلة حمادة الحلوانى ففيللا الأرملاوى باشا دون السرايات ضخامة وهو دون الحلوانى باشا ثراء ، اما حمادة الحلوانى فإنه يقف على قمة السلم الاجتماعى فابوه نشا نشاة ملكية فى السراى وهو صاحب اكبر مصنع للحلاوة الطحينية فى مصر وسراياه تقف قلعة شامخة . هم فيما بينهم يضمون طبقة وسطى كاملة

● تفرد فى الشخصية وتميز حيوى

هذه السمة تعكس نفسها فى تكوين

قشقر



الشخصيات الاربع ووعيها بالتفاوت الطبقى . كل منهم نتاج البيت الذى خرج منه والبيئة المنزلية التى تربى فيها . صادق ينشا مؤدبا مهذبا يصلى ويصوم ، طاهر عبيد ينشا فى رحاب الفيللا العلمانية المترعة بثمار الفكر والأدب نشاة « وثنية لادينية مجردة" حيث لا ذكر فى البيت للدين او ممارسة للشعائر ، إسماعيل قدرى افقرهم واكثرهم تميزا فى المدرسة يعشق الشعر "ولايكف عن تصور الله فى هيئة جليلة لاحدود لعظمتها" ، وحمادة الحلوانى يتربى فى السراى على الا قيمة للمال الا بالمركز والعلم ويشب لاقيمة عنده إلا للمال والملذات الحسية . وكلهم بلا استثناء تحركهم نوازع طبقية . فما أن يزور صادق صفوان سراى قريب أبيه الباشا الذى بدا حياته من صغار الأغنياء ثم أنشا مصنعا للنحاس "ومد حباله الى الكبراء والسادة والانجليز ثم نال رتبة الباشوية" حتى تبهره حديقتها وسلاملكها وبهوها الازرق فتغذى فى نفسه حب الثراء والصعود . وصادق واسماعيل يتملكها الفخر" وهما يعلنان صداقتهما باثنين من أولاد الذوات . الأرملاوى باشا لايرحب باختيار طاهر لأصدقاء من العباسية الغربية . حمادة باشا الحلوانى رجل المال والاعمال يرى أن يحسن ابنه اختيار أصدقائه فيرد عليه قائلا "جميع أصدقائى من الطبقة التى ينتمى اليها زعيمنا سعد" وطاهر يسال حمادة "كيف يجرى الشجار الزوجى فى طبقتكم ؟" وربما كان فى بعض هذا أشارات مباشرة الى مايحرك وعى الصبية ، لكنه عنصر يدخل فى تركيب شخصياتهم بحيث يقفون جميعا نماذج وانماطا فى تركيبهم النفسى ووعيهم الطبقى ، وأن لم يخل اى منهم من تفرد فى الشخصية وتميز حيوى .

وتشارك البيئة المنظرية الشخصيات فى هذه الخصوصية . بيوتهم تقدم دليلا عليها . فبيت اسماعيل مثله مثل بيت صادق صغير له حديقة خلفية صغيرة يزرع فيها البصل ويسقى الزرع ويجمع الجوافة والعنب ويصطاد الضفادع . وحديقة سراى الحلوانى باشا حديقة مترامية بروائحها الطيبة وخضرتها المغسولة وبيتها الصغير المستقل تتحرك الأغصان خارج نافذته كالمراوح . ولعل عين محفوظ الحاذقة تعرض دلالات هذه البيئة الطبقية فى واحدة من أجمل لوحاته الشعبية حين يصف سطح بيت اسماعيل حيث تربى الأرانب والدجاج التى يتعهدها اسماعيل بالماء والغذاء وتفقد المواليد وجمع البيض وحيث حجرة الخزين عامرة بالسمن والمش

والجبن والعسل الاسود ، وحيث تتاح له أجمل الفرص لدى استقبال بنات الاقارب والجيران

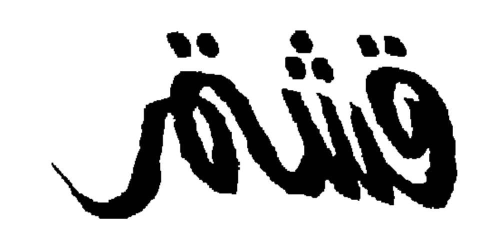
وكلها بيئات تضمها البيئة الاعم ، العباسية في شبابها المنطوى بثكنات الانجليز وسراياتها البرجوازية كالقلاع ، وبيوت الشرائح الادنى الصغيرة مزهوة بجدتها وحدائقها الخلفية ، بيئة تكتنف البيئات الاصغر من كل ناحية بالحقول الخضر والنخيل واشجار الحناء وغابات التين الشوكي ، وتحف بها الصحراء بهوائها الجاف يهب محملا باطياب الحقول . هي بيئة اجتماعية وتاريخية ايضا ، يحملها الراوى بحسه التاريخى الذكى بما كانت عليه الاشياء وما صارت اليه فى سياق حركة تاريخية اكثر عمومية .

هذا الملمح الطبقى التاريخى يكتسب بعدا أعمق من خلال تناول العمل لثلاثة اجيال : جيل الاباء ، وجيل الابناء وجيل الأحفاد ، بل يكتسب بعدا اكثر من هذا عمقا ونحن نتابع مسار الاجيال الثلاثة فى سياق تاريخى بدءا من الثورة الوطنية ضد الاحتلال الانجليزى ، فثورة التحرير بدءا من مرحلة عبد الناصر ، مرورا بمرحلة السادات ، ووصولا الى مرحلة الرئيس مبارك ، وبهذا لايضفر محفوظ المصائر الشخصية فحسب ، بل يجدلها مع المسار التاريخى الاعم بحيث تصبح المصائر الخاصة انعكاسا للمصير العام .

● احداث ثورة ١٩١٩

وجدان الفتية الاربعة تشكله احداث ثورة ١٩١٩ وهم بعد صبية فى التاسعة إذ ينبض حسهم الوطنى لاول مرة وسط اجواء الاضراب ، هدير فناء المدرسة بالخطب الحماسية ، تدفق التلاميذ فى تظاهرة عاصفة ، التقاء الاباء والابناء والامهات فى عاطفة متاججة ، زلزلة الارض ، المنشورات ، اخبار القتال والضحايا التى تغطى على الحياة المدرسية الاعتيادية ، وليس من الغريب فى شىء ان تلتقى الثورة فى الخارج مع الثورة التى تدق اجساد الفتية الاربعة وعقولهم وتنفجر بنذر البلوغ وبشائر النضج . فثورة البلوغ لاتعدو أن تكون مطارق تدق الاجساد الفتية الشابة وتفتح عيونها على أوجه الحياة المتعددة التى تحدد لكل منهم مساره فوسط هدير الاصوات وفرحة الجماهير المميزة تندلع شرارة الشعر المقدسة فى روح طاهر عبيد . وتشمل "اليقظة العقل والقلب والارادة" ، ويدخل مقهى قشتمر حياتهم ليصبح البوتقة التى تصهر فيها حياتهم ، ويدخل حياتهم الجنس والحب والزواج ، وتتعدد معتقداتهم السياسية بين الاسلام المعتدل والوفدية الوطنية والتقدمية والراسمال الخاص والفوضوية .

بل انهم حين يشكلون حياتهم فإن اختياراتهم تتفجر من منابع تشكيلهم الخاص والعام . فإذا كان صادق صفوان ظل طوال عمره يحلم بالثراء فإن اختياره أن يفتتح محل خردوات انما ينبع من رغبة فى توطيد اقدامه فى البرجوازية الصغرى املا فى التدرج الطبقى حتى يصل الى مثله الاعلى فى





الزين باشا يختار طاهر الخارج على كل الطبقات الشعر طريقا . يسلم حظ الأسرة العاثر والأشتراك فى تظاهرة خارج أسوار الجامعة ، اسماعيل قدرى الى عالم الوظيفة فى دار الكتب "موت ابيه غير مجرى حياته وبدد آماله وها هو الجهاد يقضى على البقية الباقية" يغرق حمادة الحلوانى ابن الذوات فى الملذات الحسية والحرية المطلقة . وتصبح مصائرهم لامجرد مصائر شخصية بل مصائر عامة اختارها كل واحد منهم حسب تكوينه النفسى ووضعه الطبقى . بل لعلنا لانبالغ اذا قلنا أن قدر كل منهم كان محدودا سلفا بوضعه الطبقى وبتيار الأحداث العامة ، حتى ليمكن القول أن محفوظ يكشف هنا عن جانب من القدرية الاجتماعية التى تميز المدرسة الطبيعية . فحتى الاختيار الحر يخضع للطريقة التى يشكلنا بها المجتمع .

● بر الأمان

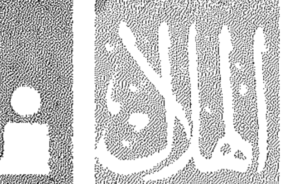
ويرقم محفوظ هذا المسار بعدة احداث مثيرة تنهمر على ركن قشتمر "مصرع أحمد ماهر ، حرب فلسطين ، مصرع النقراشى ، الحرب بين ابراهيم عبد الهادى وبين الاخوان المسلمين ، عودة الوفد ، حريق القاهرة ." يمر عليها مرورا سريعا ، لايقف عندها فهو مشغول فيما يبدو بتاريخ موجز ، هو تاريخ الراوى الذى يتعجل الأحداث ويتعجل مصائر الشخصيات ، ويستبق الزمن الى ٢٣ يوليو الذى يهل على الفتية "كالسحر المبين" حيث يصبح المستحيل ممكنا . لكن يظل الفتية يتقلبون بين الوفدية والثورة ، بين الرفض والقبول ، بين المناخ الذى يتيح لهم تأكيد ذواتهم والمناخ الذى يتهدد فرديتهم ومصالحهم . حمادة الحلوانى "يحتدم حماسه وكأنه احد الضباط الأحرار" لتترامى اليه اشاعة فيتهم الثورة بالعمالة لأمريكا . اسماعيل قدرى يرحب بالأفعال ويرفض اصحابها . طاهر عبيد تشتعل حماسته لها "يرقص طربا ويتغنى بالمجد" وقد وجد فى الثورة حلمه . صادق صفوان الذى ازدهرت تجارته يرى الثورة عدوا سافرا للناجحين ، وابنه الأخوانى يصاحب الثورة ثم ينقلب عليها ويفقد الثقة فى كل شىء فيهاجر الى السعودية . ويظل حمادة الحلوانى يجد من فضائل الثورة انها تمده "بعجائب لايعيش معها الملل" ، ويعيش مثالا للفوضى الكاملة احيانا وللناقم احيانا اخرى . اسماعيل قدرى بوفديته يراها ثورة ذات أهداف جليلة عهد بها الى شلة من قطاع الطرق .

وحين ينجرع الجميع كاس ٥ يونية يتنفس صادق صفوان الصعداء ، فلم يعد يخشى هكا مفترسا فقد اسنانه الحادة وتاتي مرحلة السادات والانفتاح ونصر اكتوبر وينفعل بها كل منهم بطريقته . حتى الشاعر الثورى يبدا باللعب على الطريقة العصرية بكتابة الأشعار لمسارح الانفتاح . ويطغى القطاع الخاص وارتفاع الأسعار ويرتفع اغنياء الانفتاح . وعلى الرغم من انهم جميعا كانوا في نهاية الأمر غير مشاركين أو فعالين ، يرقبون ولايشاركون ، ويجنى منهم الثمرة من يجنى ، والأحداث اكبر منهم ، فإن الطبقة قد استقرت اخيرا وسادت ويستطيع الجميع أن يذهبوا "متوكئين على العصى الى مركز الاستفتاء بين الجانبين لننتخب الرئيس الجديد الذى تعلقت آمالنا بقدر تعلقها بالأمان والحياة أخيرا وصلت الطبقة الى بر الأمان .

ومرة اخرى تؤكد البيئة المنظرية زحف الطبقة فتباع السرايات فى العباسية الشرقية لتقوم على أنقاضها عمائر شاهقة ويبرز حي جديد مكتظ بالسكان والدكاكين "يطوى فى نموه الصاعد الحى القديم بسراياته المعدودة وبيوته الصغيرة الأنيقة وسكانه المعدودين الذين تربط بينهم روابط الأسرة الواحدة فتتساوى العباسية الشرقية والغربية لأول مرة فى التاريخ ، وتختفى الحقول والحدائق والنخلة وغابة التين الشوكي والسرايات والقلاع والهوانم لتحل محلها ، غابات من الأسمنت المسلح وتظاهرات من المراكب المجنونة" لم تستقر الطبقة فقط بل اتسعت دائرتها

ولعلنا نتبين من هذا العرض أن العمل لم يكن يطرح مشكلة شخصية بل مشكلة عامة في إطارها الطبقي التاريخى .

ولعل هذا العرض يطرح ايضا سؤالا . الى اى مدى يمكننا ان نعتبر هذا العمل عملا راوية ؟ هناك راوية حاذق اسر ، لكن هل هناك رواية ؟ هل هناك مثلا حبكة ، أم استغنى نجيب محفوظ عنها رغم انها عمل تقليدى لاتجريب فيه ؟ أن تتبع الخطوط التى نسج منها العمل لاتكشف عن مشكلة تتأزم لتصل الى تسوية مافى النهاية ، فيما عدا تسوية الوضع الطبقى من خلال مايجرى من احداث خارجية فالعمل فى الحقيقة لايعدو أن يكون سجلا لتاريخ حياة يمتزج فيها العام بالخاص ، التاريخ الشخصى من مرحلة الى مرحلة ومن جيل الى جيل بمراحل النضال من مرحلة الى مرحلة ومن نظام الى نظام ، لهذا تتدفق حركة الأحداث كانها تيار يتدفق بين ضفتين ، يمور ويفور ويثور مرة ويجرى مهدهدا مرة اخرى قبل ان يستجمع نفسه ليبلغ نقطة وصول . ولعل هذا هو مايجعل من العمل فى النهاية سيرة حياة أكثر منه رواية .



منتديات

• رأى فى الثقافة •

هذه النزعة الغريبة

تحت حجة تاصيل حركة الحداثة الأدبية يشتم المرء هذه الأيام من كتابات البعض نزعة غريبة نحذر منها قبل ان ندينها .

ولولا تكرار أسماء معينة ، هامشية في ثقافتنا ، باعتبارها الاساس الذى تقوم عليه حركة الحداثة في الأدب المصرى الحديث وهو ما ترمي إليه هذه الكتابات لما كان هذا الهاجس الذى نرجو ان يكون مجرد خيال جامح !

لكن التاكيد على اسماء بعينها ، في هذه الكتابات منذ الأربعينيات وحتى الآن ، وتتويج بعضها باعتبارهم كهنة هذه الحداثة ، دون وجه حق (وهو ماستثبته الأيام) هو الدافع لهذا التحذير .

إننا لا ننكر حق بعض الفئات فى تخوفاتهم تجاه ما يجرى من حركات متطرفة (تضعنا في الواقع جميعا في خانة واحدة) لكن اذا وصل الأمر الى حد التزوير من جهة ، أو الأفتئات على حقوق اسماء ساهمت وتساهم فى الحركة الأدبية فى مصر ، فإن هذا لابد يجعلنا نقف هذه الوقفة محذرين من هذا التمادى فى اتجاه ترسيخ النزعة الطائفية فى مجال الأدب والفن ، بدل النظر الى الواقع الثقافى بعين العدل والحق التى تقتضى التخلى ، خاصة من قبل النقاد ، عن هذه النظرة الضيقة الى نظرة موضوعية لا تندفع الى الجانب الأخر من التطرف ، وإن تسلحت بالتعالم والتقية ، لأن هذه خطوة جديدة ، نقول ونكرر ، فى طريق التهلكة المفروش بالاغراض شبه النبيلة .

● عبده جبير

• إشارات ثقافية •

سينما الفراعنة

يبدو ان المنابر الثقافية الموجودة لا تزال تضيق بكتابات الشباب ، وان هؤلاء الشباب يرون فيما هو قائم بالفعل غربة لا يستطيعون ان يجتازوها بانتاجهم ، وذلك له معنى فقدان الديمقراطية فى هذه المنابر القائمة ، أو لنقل فقدان روح التبنى التى يجب ان يتحلى بها القائمون على هذه المنابر ، وهو ما يجعلنا هنا ، على صفحات

الهلال ندعو الى بحث الأمر بجدية اكبر ممن يهمهم الأمر من المثقفين

فلا يزال عدد كبير من الأدباء والفنانين والشعراء يصدرون مطبوعات على نفقتهم الخاصة ، نجد هذا فى العاصمة ، كما نجده فى الأقاليم . وهى ظاهرة تدعو للنظر .

فمن الناحية العامة لا ينكر احد الآن ان المستويات الأعلى من القيادات لا تضيق ابدا بأى اتجاه او صاحب قلم ، لكن على مستويات اخرى نجد عطبا يمنع هذه الديمقراطية المتاحة من أن تنفذ او تجد تطبيقها الفعلى ، ونعتقد ان هذا التطبيق يحتاج الى اعادة نظر ومناقشة بين وقت واخر لدراسة ماهو موجود من ظواهر وهو مالا يحدث أو يطبق ، وهنا على المجلات الثقافية الموجودة المخصصة للشباب ان تقف وقفة مع الذات لمناقشة هذه الظاهرة ، وتجد لها الحلول ، هنا علينا ان نشير الى دور الثقافة الجماهيريه بالذات ، ثم دور رؤساء تحرير ابداع ، والقاهرة ، وغيرهما من المجلات التى تصدرها المؤسسات العامة الموكلة اليها هذه المهمه .

طبعا هناك مطبوعات عديدة من هذه المطبوعات التى يصدرها البعض من الشباب لا قيمة لها ، لكن هناك مطبوعات جادة وبين اغلفتها نجد مواهب حقيقية لافتة للنظر عرضنا لبعضها فى هذا المكان شهورا وراء شهور ولا شك ان سينما الفراعنة ، على ما فيها من عيوب هى احدى هذه المطبوعات الجادة .



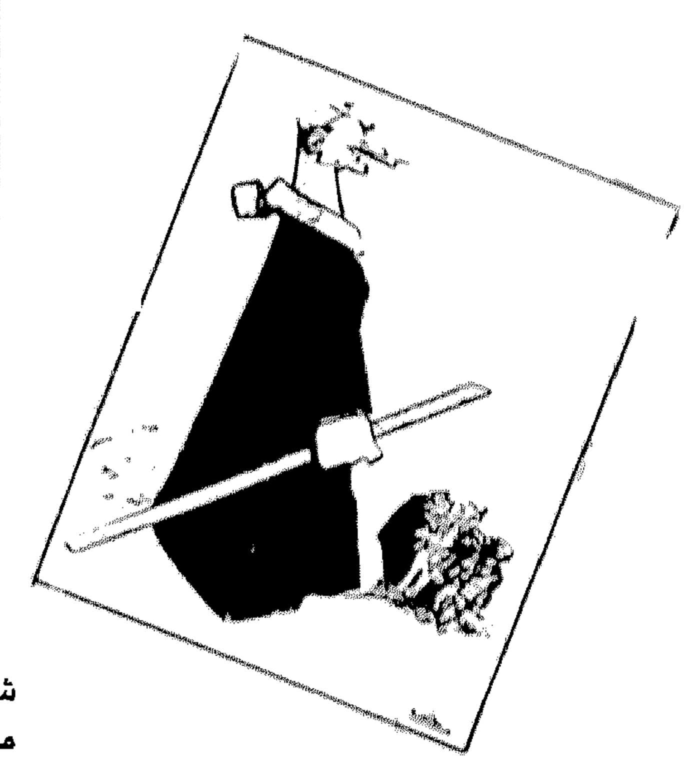


مذكرات «سيد عويس» بالفرنسية

مذكرات الرائد الاجتماعى الكبير الدكتور سيد عويس «التاريخ الذى احمله على ظهرى» التى كانت قد صدرت فى كتاب الهلال فى ثلاث اجزاء صدرت اخيرا ملخصة فى جزء واحد مترجمة الى الفرنسية .

قام بهذه الترجمة «نشوى الأزهرى» ، «والبرت ديلون» ، «والآن رومسيون» ، وصدرت فى ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط عن المركز الثقافى الفرنسى (السيداج) بالقاهرة

• رخا .. وداعا •





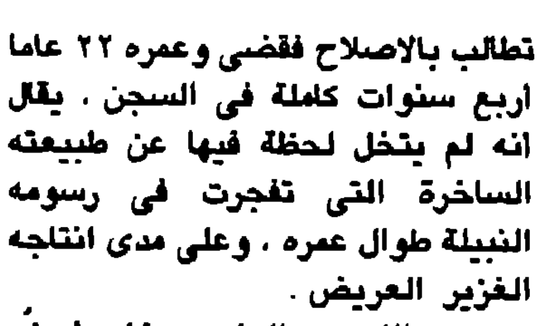
في الثاني عشر من ابريل الماضى رحل عن دنيانا فنان الكاريكاتير الرائد «محمد عبد المنعم رخا» .. الذى كان هو .. «وصاروخان» و«عبد السميع» يشكلون مدرسة فنية رائدة ، يمكن ان نقول عنها بكل ثقة انها مدرسة النقلة الكبيرة لفن الكاريكاتير من أيدى الخـواجات (جـورمانـوس ، برنى ، فانتسيل) وغيرهم الى أيدى المصريين فالعرب .. وهذه النقلة ، نعتقد ان التاريخ سيقف عندها طويلا .

تميز رخا ربما اكثر من صاروخان بقصد واضح فى هذا التمصير ، أو لنقل التعريب ، الذى دفعه لخلق شخصيات من الشارع المصرى استمد مادتها وروحها ، وإن كانت ريشته قد جعلت منها عملا فنيا خالصا ينسب الى صاحبه ويعبر عنه .

ولد محمد عبدالمنعم رخا فى ٧ نوفمبر ١٩١١ بإحدى قرى القليوبية (سنديون) وتلقى تعليمه فى المدرسة الخديوية ذائعة الصيت ، ثم التحق بمدرسة ليـوناردافنشى التطبيقيـة ليتعلم الرسم . عمل فى العديد من المجلات بدءا من مجلة «الفنان» للشيخ يونس القاضى صاحب كلمات نشيد بلادى بلادى ، ومجلة روزاليوسف والستار ثم فى اخبار اليوم التى استمر فيها حتى آخر فترة من حياته .

وكفنان مخلص وجد رخا نفسه فى قلب اتون المعركة الوطنية التى كانت





تطالب بالاصلاح فقضى وعمره ٢٢ عاما اربع سنوات كاملة فى السجن . يقال انه لم يتخل لحظة فيها عن طبيعته الساخرة التى تفجرت فى رسومه النبيلة طوال عمره ، وعلى مدى انتاجه الغزير العريض .

رحم الله عبدالمنعم رخا وأعطى اولى الأمر منا الهمة لاصدار أعماله فى مجلدات تليق بمقامه الرفيع ، وتحفظ انتاجه من التشرذم فى بطون المجلات والصحف ليكون بين ايدى الأجيال الجديدة حتى لا تفقد انتماءها .

● فى الذكرى الثانية والعشرون لرائد الرواية التاريخية محمد فريد أبو حديد ●

فى ١٨ مايو ١٩٦٧ رحل عن ● عالمنا عملاق من عمالقة الادب العربى فى مصر خلال هذا القرن ارتبط اسمه بريادتين : ريادة فن الرواية التاريخية ، وريادة الدعوة لنصرة قضية الشعر المرسل، ذلكم هو الاديب المغفور له محمد فريد أبو حديد . ولد الاديب محمد فريد أبو حديد فى أول يوليو ١٨٩٣ أى بعد عام واحد من مولد مجلة الهلال عام ١٨٩٢ ، وارتبط اسمه فى الدراسات النقدية باسم جرجى زيدان مؤسس دار الهلال اذ يقول الناقد الاستاذ عبد العزيز الدسوقى فى دراسة عن أبو حديد نشرتها الهلال فى يوليو ١٩٧٢ :

« ولا شك أن محمد فريد أبو حديد من ألمع رواد التيار التاريخى فى الرواية العربية الحديثة ، بعد رائده الاول جرجى زيدان ، بل لعله هو - أى أبو حديد - الرائد الاول من الناحية الفنية اذا قصرنا ريادة زيدان على السبق التاريخى ، لان روايات أبو حديد تعتبر من الناحية الفنية شيئا جديدا ... » .

ومع اتساع آفاق انتاجه الادبى الذى شمل مع الرواية القصة وقصص الاطفال والمسرح والشعر والترجمة والتراجم ، لم يهمل أبو حديد فنا فى الكتابة ازدهر فى عصره هو فن المقال ، اذ كانت له اسهاماته الغزيرة التى عرفتها مبكرا مجلة الهلال والسياسة الاسبوعية والسفور .. ولكون محمد فريد أبو حديد - كما أسلفنا - من أول الذين اقتنعوا بأهمية ادخال الشعر المرسل الى آفاق الشعر العربى فقد كرس جانبا كبيرا من مقالاته المبكرة فى صحيفة السفور لشرح نظرية الشعر المرسل وقوانينه وابراز الحجج والبراهين للرد على المعارضين والمهاجمين بضرب الامثلة بنماذجه الكثيرة وألوانه الجديدة ، وقد كتب فى السفور سنة ١٩١٨ عدد ١٧١ وعدد ١٧٣ يقول : « الشعر : الابانة عن نزعات النفس وتصوير العواطف تصويرا يغذى نفوس السامعين أو القارئين بتلك العواطف . والشاعر اذا كان مطبوعا قادرا توصل الى ذلك بغير تكلف ، ولكننا اذا حللنا ذلك التأثير وأردنا معرفة سره ، رأينا أنه ينشأ من أمرين لا ثالث لهما ، الاول وضوح الصورة ، والثانى جمال القالب الذى توضع فيه الصورة وملاءمته لها . أما الامر الاول فتابع لقوة الشاعر ذاته وحدة تصوره ووضوح معانيه فى نفسه الى غير ذلك مما لا يتأتى الا طبعا ، وأما الامر الثانى فهو القالب وذلك هو الوزن والقافية وكل القيود والصور الشعرية المعروفة . ليست الاوزان الشعرية كلها سواء ، أعنى أنها ليست يحل بعضها محل بعض ، وانما هى صور للاهتزاز الداخلى بنفس الشاعر ، أو هى قوالب موسيقية توقع عليها المعانى الشعرية كما توقع الالحان على النغمات الموسيقية المتعددة ، فكل معنى له



محمد فريد ابو حديد

وزن او بعض أوزان لا يمكن أن يكون واضحا قويا الا فيها .

والشاعر اذا قال شعرا ذهب قوله بطبيعته على الوزن الملائم له . هذا من جهة الوزن ، أما من جهة القافية فلا ننكر أن رنة تكرارها تؤثر فى السامع تاثيرا حسنا فى كثيــر من الاحيان ، ولكن التقيد المطلق بهـــا لا معنى له لاسيما اذا كانت القصيدة من ذوات المـــائة أو المـــائتين فان التمسك بالقافية عند هذا لا يكون منه الا غل ذهن الشاعر وتقييده وقد ينشا من ذلك تحوير المعنى الذى يريد التعبير عنه . وقد فك الشعر العربى تلك القيود فتصرف الشعراء فى القافية وذهبوا فى الموشـــحات مذاهب شتى ، وابتدعوا المزدوجات والمرباعيات والمخمسات وغير ذلك . فلم يوفق شاعر عربى الى ابتداع طريقة مثلى يستطاع بواسطتهـــا التخلص من القافية وارسال الشعر كما يرى الغـــربيون . ان الاذن العربية لاتزال على ما ألفت فلو أنها سمعت شعرا مرسلا لنفرت منه ولم تستسغه ، ولكن اذا كان فى الشاعر قدرة جعل الصورة فى شعره واضحة والهى الاذان بهـــا عن اللفظ وعن انتظار القافية ... ولسنا نرى أن الشـــعر المرسل يمكن أن يركب من شطرين بل من شطر واحد . وليس كل وزن لائقا له ، بل لابد من توافر شروط فيه حتى يمـــكن أن تقبلـــه النفس ... » واستمر فى مقال اخر يقول حـــول نفس موضوع الشـــعر المرسل : « واننا نعتذر للقارىء لو اننا أوغلنا به قليـــلا فى اصطلاح الاوزان فقلنا ان أليق الاوزان للشعر المرسل حسب اعتقادنا ثلاثة أوزان :

الاول : الرمل بأنواعه ...

والثانى : السريع ...

والثالث : الخفيف ...

وقد يمكن أن يستعمل المسرح .

وتأييدا لدعوته الى تجربة الشعر المرسل قدم للمكتبة العربية أوبريت ميسون الغجرية . ســـنة ١٩٣١ ومسرحية « خسرو وشيرين » ســنة ١٩٣٤ وترجم مسرحية زهراب ورستم بالشعر المرسل سنة ١٩١٨ وكـذلك مسرحيـــة ماكبث لشكسبير ســــنة ١٩٥٧ .

ومنذ مطلع مشوارد الادبى - الذى يمكننا تحديد بدايته المتبلورة بعام ١٩١٨ - وعلى مدى خمسين عـاما حتى تاريخ وفاته كرس أبو حـــديد حياته الادبية لهدف أن : يعـــرف الانسان المصرى نفسه عربيا عزيزا من خلال تاريخه العظيم لكى يحبه تلك النفس فتثمر وتعطى تاريخــا مستقبليا أعظم .

● رسالة جامعية ●

المثقفون المصريون ودورهم فى السياسة من ١٩٤٥ وحتى الستينيات

نوقشت اخيرا بجامعة عين شمس ـ كلية البنات رسالة الدكتوراه المقدمة من مصطفى عبد الغنى ، وكان المناقشون كل من د . يونان لبيب رزق والاستاذ أحمد بهاء الدين ، ورئيس اللجنة والمشرف د . صلاح العقاد .

بعد ان قدم الباحث ملخصه قدم د . صلاح العقاد الاستاذ أحمد بهاء الدين للحاضرين ، فأكد فى مناقشته « ان مهمة مناقشة هذه الرسالة مهمة صعبة للغاية ، اذ تختلط فيها الأحداث التى يقررها المؤرخ ، والاحداث التى عاشها الانسان ، (الاستاذ بهاء كان احد المثقفين الذين كانوا موضع بحث الدارس) كما اشار الاستاذ بهاء الى ان الرسالة بها كم هائل من الاحداث والاسماء غير انه ركز على كلمة مثقف مع ان الباحث ـ كما اكد بهاء ـ قام ببحث مفصل حول كلمة مثقف ، فإن المشكلة حتى الان تظل انه لايوجد تعريف مانع جامع (اى تعريف علمى لهذا المثقف) فالمثقفون هم طبقة غريبة يختلف حولها ، فكل الملاحظات عن مشكلة المثقف تظل نوعا من الاجتهاد ، كما ان التعريف يقع فى دائرة الذات المعرفة ، فاليسارى يرى ان اليساريين مثقفون واليمينى لايرى غير اليمينيين هم المثقفين .

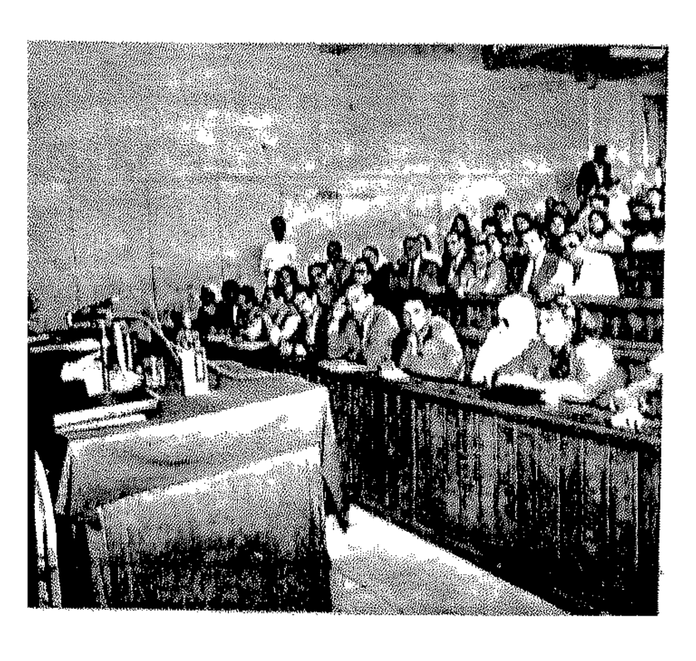
والمشكلة الأخرى التى اشار اليها الاستاذ بهاء هى حين يصبح المثقف فى السلطة كيف ينظر اليه ؟ الرسالة تركز على هذا المثقف غالبا وهو خارج السلطة ، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه ، وهو اذا تحول هذا المثقف خارج السلطة الى داخلها ، اى من محام او اقتصادى الى وزير عدل او وزير اقتصاد على سبيل المثال (كان وزراء الداخلية قبل ثورة ٥٢ من المحامين هل نعتبر ان هذا لم يعد من المثقفين) ؟

اذن ، المثقف داخل السلطة غيره خارجها .. وكذلك اشار الاستاذ بهاء الى ان الباحث وان كان جادا واعيا ، فإنه لم يسلم من كونه كان قاسيا فى الحكم على المثقفين .. كما اشار الاستاذ احمد بهاء الدين الى ان المثقف ليس ضروريا ـ ان يكون هو (المعارض) دائما ، لكنه قد يتحول من مثقف الى حاكم ، وراح يضرب مثلا باسماعيل (باشا) صدقى الذى كان رغم كونه وزيرا ورئيسا للوزراء يحمل افكارا غير متقدمة وهو داخل السلطة ومواقف صدقى التى قد نختلف فيها معه لا تقلل من وجوده داخل دائرة المثقفين ، فإنه ليس من الضرورى ان يظل الموقف التقليدى من المثقف ان يكون هو المثقف التقدمى ، كما انه ليس من الضرورى ان يكون المثقف هو المثقف المعارض .

وراح يضرب بأمثله كثيرة للمثقفين داخل التاريخ المتنبى ، موزار ، جان جاك روسو .. الخ ..

ورغم ان احمد بهاء الدين اكد منذ البداية ان كلمته لاتزيد على كونها (عريضة دفاع) عن المثقفين فإنه راح يبرر مواقف المثقفين المفكرين بعاملين ، احدهما ان المثقف ليس فارسا قويا مدججا بالسلاح ضد السلطة ، وانما المثقف هو ـ بالتأكيد ـ داخل اطار السلطة وتؤثر هى فيه كما راح يبرر موقف المثقفين المنكسر ايضا بعامل السن ، فراح يضرب امثله بموقف طه حسين من ثورة يوليو ، وهو موقف كان قد عراه الباحث لتهاونه مع النظام الجديد ، من ان طه حسين كان قد بلغ من السن ارذله ، فضلا عن مواقفه الفكرية الراديكالية فى شبابه كما راح يضرب امثله بمواقف كل من على عبد الرازق وعبد الرازق السنهورى .. وغيرهما .

ولم يقبل رئيس لجنة المناقشة فى نهاية كلمة بهاء اعتذاره للاطالة ، فقد نقل احساس الحاضرين من ان احدا لم يمل حديث هذا المثقف ، ولا استعراضه الشائق للاحداث ولا دفاعه الجيد عن المثقفين .. ثم راح يقدم د . يونان لبيب رزق ـ المناقش الثانى ـ فراح د . يونان من بداية الكلمة يؤكد انه لن يخرج فى مناقشته عن تقديم مذكرة توضيحية لما قاله الاستاذ بهاء . ثم اشار د . يونان لبيب رزق الى قضية الموضوع « فنحن لا نقدم على اختيار مثل هذه الموضوعات غير التقليدية فهو يتعامل مع شرائح وافراد مازالوا على قيد الحياة ومن هنا ، فقد وقعت بين كاتب ومكتوب عنه ،



احمد بهاء الدين اثناء مناقشة الرسالة

فمصطفى عبد الغنى كاتب الرسالة واحمد بهاء مكتوب عنه .

« واذن الموضوع جديد ـ يستطرد ـ فترة قريبة للغاية كذلك اشار د . يونان الى ان الباحث اهتم بالكليات لا بالجزئيات وهو بهذا كاتب متمرس ، كذلك فان للباحث شخصية مستقلة فهو لم يكن عبدا للمادة التى جمعها وانما طوعها كما اراد ، ايضا يضاف هذه النقلة المريحة كلها انتقل من موضوع الى اخر ، ولعل هذا يعود الى تمرسه للكتابه خاصة الكتابة الصحفية ،

هذا عن الايجابيات ، اما السلبيات ـ اضاف د . يونان ـ فان الباحث استخدم نهج العلوم السياسية اكثر من النهج التاريخى ، خاصة ان الدراسة كانت تناقش فى قسم التاريخ بعين شمس ، وهو مايعنى ان الباحث كانت لديه رؤية معينة لم يقدمها خلال التراكم التاريخى دائما حاول تقديمها خلال المناهج السياسية .

الكتاب : مراكب خوفو حقائق لا اكاذيب
تاليف : مختار السويفى
الناشر : الدار المصرية اللبنانية ٢٨٤ ص ، ٧٠ ج م .

مختار السويفى

مراكب خوفو

حقائق لا أكاذيب

الدار المصرية اللبنانية

يكاد يكون هذا الكتاب واحدا من أخطر الكتب التى صدرت فى السنين العشر الأخيرة . وأكثرها سخونة واهمية ، فهو يتعرض لقضية عامة فى غاية الاثارة من ناحية كونها تكشف كيف يمكن ان يتم تضليل الراى العام من قبل بعض الاعلاميين الذين يستغلون مناصبهم ، وكيف يمكن ان يسود هذا التضليل ، حتى فى مسالة علمية ، «تتكمم» فيها افواه العلماء والعارفين كل هذه السنين الطوال .

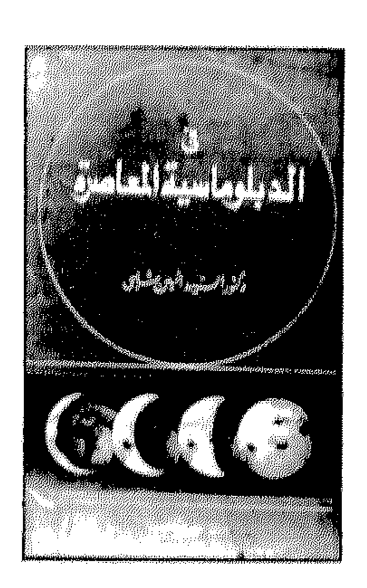
هذه القضية هى مايسميه المؤلف قضية الأدعاء الذى قال به الصحفى المرحوم كمال الملاخ واكتشافه لما أسماه مراكب الشمس ، التى يؤكد السويفى من جهة أنها ليست من اكتشاف الملاخ ، كما انها ليست مراكب الشمس ، وانما مراكب جنائزية .

ويقول عما جاء فى كتابه : لقد قصدت الاطناب فى ذكر أطراف وابعاد تلك الحكاية الطريفة والغريبة ، ولكنى ما قصدت بذلك طرافة او غرابة ، وإنما أردت ان أشير فقط الى بعض الدوافع التى حفزتنى على تجميع كل مالدى من معلومات ووثائق ومراجع تتناول «مراكب خوخو» . بالدراسة الجادة والتمحيص العلمى ، وأن اعارض بها كل ما قيل من تهويمات غير صادقة وغير علمية ، بل وتتعارض تماما مع الضمير العلمى الذى يجب ان يكون هو المعيار الوحيد فى كتابة تاريخ الآثار المصرية .

وهذا الكتاب ، فى حقيقة الأمر - تكريس لهذا الهدف - يقول الكاتب - فقد حاولت بكل جهد ممكن ان اعلى كلمة الضمير العلمى الحق فوق كل اساليب الكذب والانتهازية والبهتان ، وأن اضع الحقائق كاملة امام كل من يريد ان يعرفها ، سواء من دارسى الآثار المتخصصين ، أو هواة التاريخ المصرى القديم ، او الراغبين فى الاستفادة بنور المعرفة واليقين .

ونحن ندعو كل من له راى فى القضية ان يمدنا بما لديه من اجل الكشف عن وجه الحقيقة الجميل .

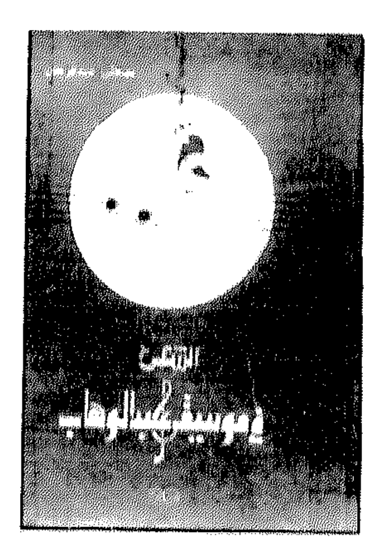
الكتاب : فى الدبلوماسية المعاصرة
تأليف : د . السيد امين شلبى
الناشر : عالم الكتب
٢١٢ ص ، ٧ ج م .



يعرض هذا الكتاب لموضوع الدبلوماسية من وجوهها المتعددة سواء تلك التى تتصل بمفهومها التقليدى كاداة للحوار بين الأمم وقنوات هذا الحوار ، او تلك التى اكتسبتها فى تطورها المعاصر وتعددت بها نطاقها التقليدى الى ميادين اخرى ، اصبحت هى النسيج اليومى للتعاملات الدبلوماسية .

كما يناقش الكتاب تناقض الدبلوماسية كعملية متمدينة تقوم على احترام كل أمة لمصالح وامانى الأمة الأخرى ، وما يستلزمه هذا من حوار رشيد بأدوات رشيدة ، وتبحث فى قنوات العمل الدبلوماسي وتناقش سؤالا مركزيا يتصل بمهمة السفير وهل مازال دوره جوهريا فى ضوء التغيير الذى حدث فى وسائل الاتصالات المباشرة بين الدول .

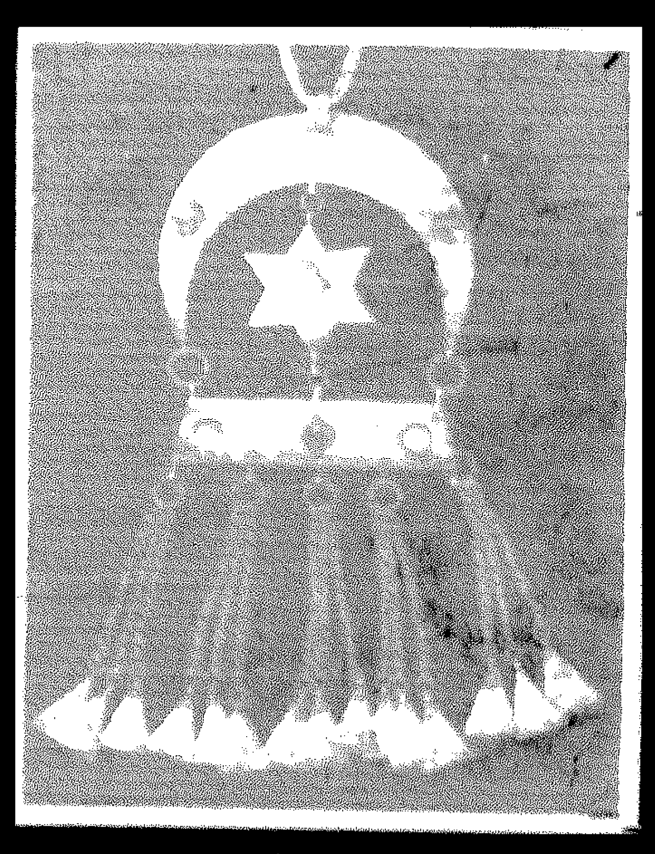
الكتاب : الشعر فى موسيقى عبد الوهاب
تأليف : مصطفى عبدالرحمن
الناشر : أخبار اليوم



جانب من سيرة الموسيقار محمد عبدالوهاب يعرضها الشاعر الغنائى المعروف مصطفى عبدالرحمن مستعينا فيها بسرد الاحداث الكبرى التى قام فيها الموسيقار بعمل الحان كانت مادتها الشعر بدءا مما كتبه له أمير الشعراء احمد شوقى وحتى آخر القصائد التى غناها

يضم الكتاب ايضا اهم ما يخص حياة عبدالوهاب الفنية ولقاءه مع عمالقة الغناء ، والتمثيل والشعراء فى سيرة تنطق بالاحداث وموسوعة تضم أهم النصوص التى غناها الموسيقار الكبير .





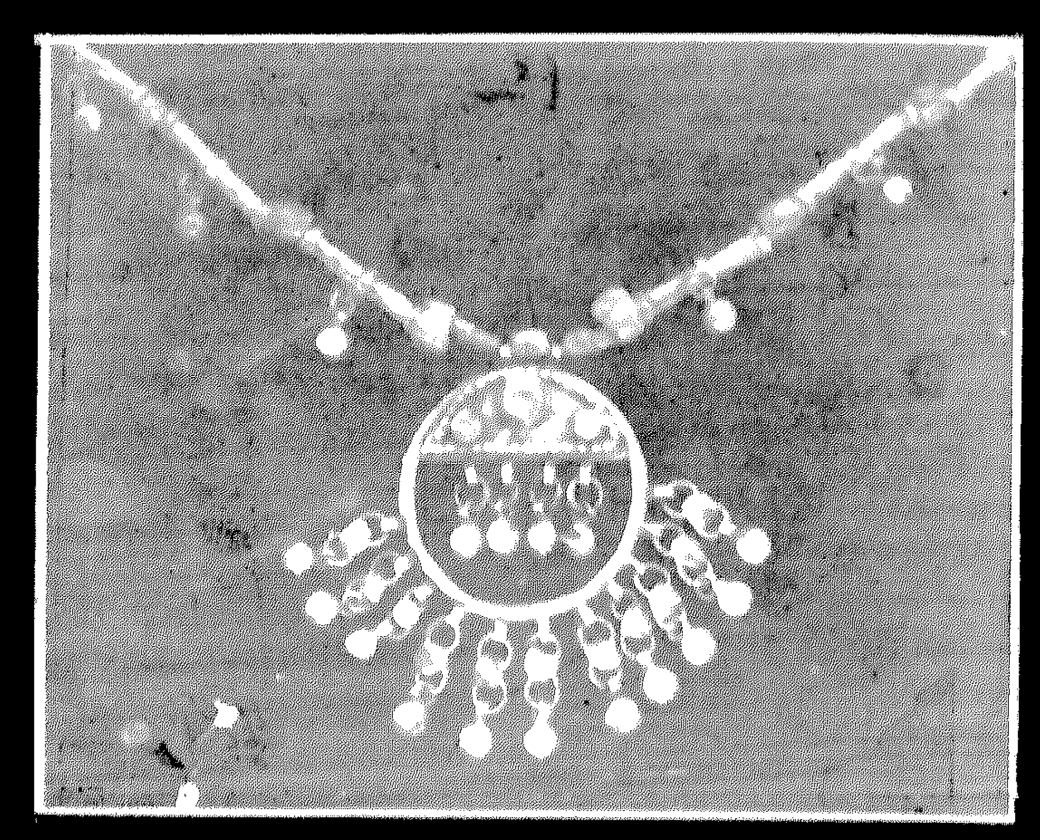
من العصاغ النوبية المشهورة (الهلال) وهى من تاثير المد الاسلامى

سر « الشخاليل » التى تطرد الاشباح

نجوى صالح

اذا اردت ان تقـــرا التاريخ الحقيقى لشعب ، فتابع ما انتجه على مر التاريخ من حلى ..

فــلأن الحلى هى اندر مقتنيات البشر فلا شك ان الانسان قــد تعامل معها ، على مر العصور ، بحســاسية مرهفة فى سباكتها وتصميمها والاحتفاظ بها فى احلى صورة .. ثم توريثها الى ابنائه .. والاجيال اللاحقة له ..



استخدمت الحلى . غالبا . لاغراض درء السحر ومنع الحسد

الحلى النوبية

ولاشك ان الحلى النوبية هى ميراث التاريخ المصرى منذ الاف السنين . لذا فقد حققت صيتا واسعا لما اتسمت به من دقة فى الصناعة .. وحسن فى التصميم . وتفرد فى الشكل . فهى الحلى الوحيدة التى حفظت التاريخ ، فى اشكالها المختلفة . وحافظت على الموروث الشعبى المصرى الذى ظل يسرى فى دماء الشعوب واصولها العتيقة ، مجتازا الوف السنوات دون أن يفقد رونقه وبهاءه .. بل ظل يتبلور يوما ما وراء اخر .. حيث تزداد قيمة هذا الفن من ناحية ومهارة الصائغ المصرى من ناحية أخرى ..

وطوال التاريخ ، فان الحلى النوبية لم تقتصر اهميتها على اغراض الزينة . والتجميل . بل ان الكثير من هذه الحلى قد استخدم لاغراض درء السحر ومنع الحسد . أو استجلاب الحظ . أو بهدف الاخصاب والانجاب .

وقد اشتهرت هذه الحلى فى القرن التاسع عشر باستخدامها فى حفلات « الزار » الشعبية حيث كانت تستخدم شخاليل هذه الحلى من خلاخيل وكردانات فى طرد الارواح الشريرة والشياطين كما كان يكتب عليها بعض التعاويذ من أجل البركة . أو الحفظ من الشرور . فضلا عن الرسوم الرمزية التى تصاغ حول هذه الحلى فى اشكال مختلفة (سمكة ، امرأة ، رجل أو حيوان) حيث يرمز كل منهما الى رمز ما ؟

البيئة مزجت كل العناصر

الجدير بالذكر ان الفنان النوبى قد شغف منذ بداية التاريخ بتسجيل وقائع حياته وافكاره ومشاعره من خلال رسوم مختلفة . يرمز كل منها الى معنى خاص . فهناك رسومات ازلية فوق حوائط البيوت . واخرى منقوشة بالدانتيل الابيض فوق الاسرة وبين غرف المنزل . مما يعكس مدى الاحساس المتفتح لدروب الجمال فى عقل ووجدان هؤلاء البشر الذين يسكنون على مسافة عشرات الكيلو مترات جنوب أسوان .

وقد اكدت الدراسات الانثروبولوجية والاركيولوجية (الاثرية) لهذه المناطق مدى انتماء الكنوز ، وهم يمثلون النسبة الغالبة من السكان ، ثم النوبيين المنتمين الى الاصل العربى ، الى سلالة واحدة وهى السلالة القوقازية . كما اكدت هذه الدراسات ان الغزوات والهجرات المختلفة التى تعرض لها سكان بلاد النوبة على مر العصور ، لم تقض على الخصائص الفيزيقية للسكان الاصليين للنوبة . وهم خليط من سكان عاشوا فى مصر العليا والسودان واثيوبيا حيث نجد أن النوبى ذو لون أسمر جميل وله تقاطيع رقيقة وجميلة . اما المهاجرون الى بلاد النوبة من اماكن بعيدة ، فقد استقروا فى القرى وتزوجوا من النساء النوبيات .

ولم تشهد منطقة النوبة أيا من انواع الهجرة الجماعية ، التى تشتمل على الرجال والنساء معا ، الا فى اضيق الحدود . الامر الذى ادى الى امتصاص المجتمع النوبى لتلك العناصر الغريبة دون التأثير على لغته وثقافته حيث لعبت المرأة الدور الاساسى فى انصهار هذا المجتمع . فهى الام والزوجة والابنة . وهى التى تحافظ على التقاليد النوبية

الاصيلة من لغة وثقافة . وتجعل ابناءها يتشربون العادات القبلية من تلك الامهات

ولاشك ان هذا قد ادى الى تعدد القبائل وكثرتها . واختلاف اصولها القبلية . والتى تعتبر من المميزات الاساسية التى يتمتع بها المجتمع النوبى

حالة من التكيف

ولاشك ان للحلى دورا كبيرا فى الدلالة على طبيعة العلاقات بين الكنوز والنوبيين بصفتهما الابناء الاصليين لبلاد النوبة ، وما بينها من تباعد ونفور متوارثين ، ليس له من مبرر اكيد . رغم كل ما قيل عن اختلاف القبائل واصولها . وغير ذلك من الاسباب الظاهرة . ذلك التباعد الذى يبدو وكأنه يرجع الى اسباب دفينة لا شعورية . قد يفصح عنها استخدام احدهما او كليهما لانماط واشكال معينة من الحلى .

ومن المعروف ان بلاد النوبة قد عاشت فى ظل المسيحية ردحا طويلا من الزمن استمرت حتى القرن الرابع عشر الميلادى . وقد بدا ان الجنوبيين كانوا اشد تمسكا بدينهم القويم ، اكثر من الشماليين ، الكنوز علما بأن سكان الجنوب المعروفين باسم الفاترجا قد جاء اكثرهم من جنوب بلاد النوبة .

ومن هنا تولد النفور بين كلتا الجماعتين : الجماعة الاولى التى كانت اسرع مبادرة نحو الاسلام و (الكنوز) والجماعة الثانية التى اختارت البقاء على دينها القديم (الفاترجا) ، علما ان الجميع الان متمسكون بالاسلام تمسكا كبيرا او يحافظون على شعائره وتعاليمه .

ويبدو ان العامل النفسى قد ترك اثاره فى لا شعور النوبيين الاصليين (الفاترجا) اذ ظهر فى بعض قطع الحلى التى يستخدمونها . فعندما نتأمل «مقصة الرحمن» نجد انها شديدة الشبه بمشبك الصليب الثنائى الذى كان يستخدمه مسيحيو اوروبا الرومانسيكية فى العصور الوسطى وفى العصر البيزنطى . وبخاصة اذا لاحظنا الزخرفة البارزة التى تمثل هذا الصليب تماما . ويظهر هذا التماثل ايضا فى الخط الخارجى لنفس الحلى التى تتحلى بها العروس النوبية . كما ان هناك قطعا اخرى من الحلى لها سمات الحلى المسيحية او البيزنطية لدى النوبيات . وذلك مثل حلية « الرسان » وهى تشبه احد العقود المسيحية البيزنطية ووحدتها على هيئة ثمرة الكمثرى . او على شكل دمعة العين . الا ان هذا الشكل يعود الى تاريخ ابعد من العصر المسيحى . او البيزنطى . بكثير ..

الفن ضمير الشعوب

وقد تم العثور على الكثير من الحلى المتماثلة والمشتركة بين الكنوز والنوبيين مثل « البيبة » و «الساقاء» و « الحكة » و « الشاشا » و «الهلال» وغيرها مما يدل على تقارب المشارب بعد حالة من الانصهار الثقافى والحضارى ادى الى حدوث حالة من وحدة المزاج والانتماء الاقليمى الواحد او كما قال العالم يونج ، أحد أهم كتاب سير الشعوب — والفن الشعبى، ان اللاشعور الجماعى يتوارث ويعيش طويلا فى ضمير الشعوب ، ويظهر فى كثير من الرموز التى يستخدمها افراد هذه المجتمعات او الشعوب . تلك الرموز التى قد تشير فى كثير من الاحيان ، من جانب خفى الى عقيدة قديمة . يحملها اللاشعور الجماعى جيلا بعد جيل رغم انقطاع الصلة فيما بينها . وبين القوم الذين كانوا يمارسونها . وتظهر بشكل واضح فى فنونهم الشعبية .

المائة الأعظم

بقلم : حسين أحمد أمين

جمال الدين الأفغانى

١٨٣٩ - ١٨٩٧ م

فيلسوف وكاتب وخطيب وصحفى ، وصاحب شخصية فذة كانت محورا للعالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر . غير انه كان قبل كل شىء من رجال السياسة ، ينظر اليه محبّوه نظرتهم الى وطنى كبير ، وينظر اليه خصومه على انه مهيج خطير ، ويتفق الكافة على انه اول فصل من فصول الحركات الاسلامية المعاصرة ، ومصدر الالهام للمسلمين فى موقفهم من الحياة العصرية والتجديد ، وصاحب التاثير الأكبر فى الحركات التحررية والدستورية التى قامت بعده فى الدول الاسلامية .



في التاريخ الإسلامي

شمل نشاطه ايران وافغانستان والهند والاقطار العربية وتركيا ، وكذا الغرب الأوروبي . وكان بمثابة المسلم الكامل في عصره فقد جمع الى علمه الاسلامي التقليدي معرفة واسعة بالشئون الاوروبية ، وإلماما بالافكار الحديثة . ومع ذلك فهو لم يخرج بفكر مبتدع ، ولا كان منظما أو مخططا ، ولا خلّف وراءه كتابات ذات قيمة كبيرة في الدين أو الفلسفة الاسلامية رغم تعمقه فيهما . فكتاباه الصغيران "الرد على الدهريين" و "تتمة البيان" في تاريخ الأفغان ، هزيلا الشأن . غير أنه صرف معظم جهده في نشر مقالات سياسية مهيجة للخواطر (خاصة في صحيفة "العروة الوثقى" ومجلة "ضياء الخافقين") ، مثيرا بها وبخطبه وأحاديثه الخاصة والعامة حمية الثوريين السياسيين وعلماء الدين الموقرين على السواء ومنافحا عن الحركات الوطنية المحلية ، وحركة الجامعة الاسلامية ، بحيث يمكن القول بأن القليل القليل من الحركات الاسلامية في القرن العشرين لم يتأثر به .

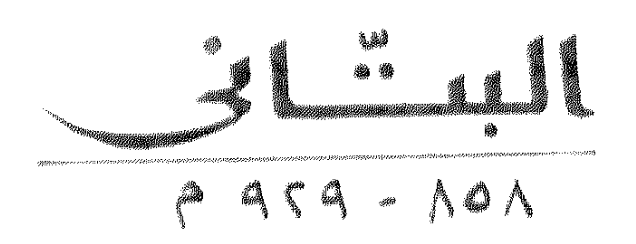
تعود أهميته في المقام الأول الى انه جمع في شخصه شتات العالم الاسلامي وعبر من المشكلات والمصاعب التي يعانيها المسلمون في زمنه ، وراح يعمل ضد تلك المصاعب بطاقة هائلة . وإذ كان أدرى المسلمين بمصيبة إخوانه المسلمين ، فقد راح يحضهم بحماسة وثابة نارية على محاولة فهم وضعهم ، والعزم على إصلاحه وتغييره ، مؤكدا أن انبعاث الاسلام هو مسئولية المسلمين أنفسهم لامسئولية الخالق . فمستقبل المسلمين لن يكون عظيما إلا أن جعلوه هم عظيما .

وعليهم أن ينهضوا وينفضوا عنهم الذهول ، ويعملوا ويتخلوا عن التسليم بواقع الأمور ونبههم إلى آية (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وهي اية ظلت قرونا طويلة لا توحي للمسلمين بأي معنى ، حتى جاء جمال الدين فأنشأ حولها الكثير من الخطب التي دعاهم فيها الى ان يجددوا بأنفسهم التاريخ الدنيوي لمجتمعهم قبل أن يدخل النزع الأخير ، وإلى التحول من حالة الخمول الى مرحلة العزم والتصميم .

وبالرغم من أنه هو نفسه لم يكن لديه برنامج واضح أو فلسفة منظمة ، فقد كان القوة الدافعة للآخرين الى العمل بحماسة بحيث أصبح النشاط الفعال من سمات حركات النهضة الاسلامية منذ ذلك الحين . وقد كان له الفضل

أيضا فى بيان أوجه الخلل الداخلى ، وإيضاح أن العالم الاسلامى كله (وليس هذا الجزء منه أو ذاك) هو المهدَّد ، وأن مصدر التهديد هو الغرب بقوته الديناميكية .. وقد كان المصلحون الاسلاميون قبله يعللون ضعف العالم الاسلامى تعليلا دينيا وقدريا ، فجاء هو يفسره تفسيرا حضاريا ، ويدعو الى الاصلاح الداخلى وتنمية القدرة الدفاعية وتبنى ثمار الحضارة الغربية ، خاصة العلوم والتكنولوجيا ، من أجل استعادة عظمة الاسلام فالغرب لابد أن يقاوَم لأنه يهدد الاسلام ، غير أن مقاومته إنما تكون بتقليده فى جوانبه الايجابية ، وتبنى نظمه الحرة وديمقراطيته .

كان أول مصلح مسلم يستخدم تعبيرى "الاسلام" و "الغرب" كظاهرتين متخاصمتين بالطبيعة ، (وهو تناقض أصبح من معالم التفكير الاسلامى كله منذ ذلك الحين) . وهو من أجل تحرير المسلمين من النفوذ والاستغلال الأوروبيين ، جعل من أهم أهدافه جمع كلمة الأقطار الاسلامية - بما فيها فارس الشيعية - تحت راية خلافة واحدة ، وإقامة امبراطورية اسلامية قوية تستطيع الوقوف فى وجه التدخل الأوربى ولذا فقد دعا بقلمه ولسانه الى فكرة الجامعة الاسلامية ، واستطاع بخطبه الثورية البليغة التى لم يكن يكل أو يمل من إلقائها أن يهيج الخواطر ويلهب الجماهير فى الاقطار الاسلامية قطر بعد قطر ، وأن يوقظ فيها الوعى بما كانت عليه فى الماضى من قوة ووحدة ، وما هى عليه فى الحاضر من ضعف وتفكك .



عالم عراقى هو أكبر علماء الفلك عند العرب وقف نفسه على رصد الأفلاك وهو فى حوالى العشرين ، واستمر على ذلك ، فى دأب بقية حياته وقد عدّه "لالاند" الفلكى الفرنسى الكبير واحدا من اعظم الفلكيين العشرين فى تاريخ البشرية ، ووصفه سارتون فى كتابه "تاريخ العلم" بانه أعظم فلكيى جنسه وزمنه ، ومن اعظم علماء الاسلام .

كان علماء الفلك قبل البتانى يعتمدون فى دراستهم وعملهم على علم الفلك اليونانى - خاصة مؤلفات بطليموس - وعلى علم الفلك الهندى ، وكان النص

النظرى الاساسى عندهم هو كتاب بطليموس المعروف لدى العرب باسم "المجسطى" وقد تبع الفلكيون العرب بطليموس فى اعتقاده بسكون الارض التى تدور حولها ثمانية افلاك ، هى الشمس والقمر والكواكب الخمسة والنجوم الثابتة . وللتوفيق بين هذا النظام وبين الظواهر المرصودة ، أضحى متطلبا وضع نظام من التداوير والحيل الرياضية الأخرى . وبمرور الوقت ادرك العرب أوجه ضعف نظام بطليموس ، فانتقدوه دون أن يخرجوا ببديل مرض له .



وقد تركز نشاط البتانى على ما يسمى بالزيج (اى مجموعة الجداول الفلكية) ، فوضع حوالى عام ٩٠٠ م جداول دقيقة للغاية ، فى حين ظلت ملاحظاته الصائبة عن كسوف الشمس اساسا للمقارنات المعقودة حتى عام ١٧٤٩ . وقد حدد ميل دائرة فلك البروج (اى الدائرة الكسوفية) بـ ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة . وهذا قصارى ما كان يمكن أن يصل اليه محقق من الدقة فى زمن لم تكن الآلات الفلكية قد عرفت او أخترعت فيه ، وهو ما يزيد من قدر البتانى . فقد قام الفلكى (لالاند) بحساب ذلك الميل بعد الف سنة تقريبا من وفاة البتانى فوجد أنه ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة و ٤١ ثانية ، اى بزيادة هذا الفرق من الثوانى حيث أنه أضاف الى تقدير البتانى ٤٤ ثانية للانكسار ، ثم

طرح منها ثلاث ثوان للاختلاف الأفقى ، ولم يكن البتانى قد عمل لهما حسابا .

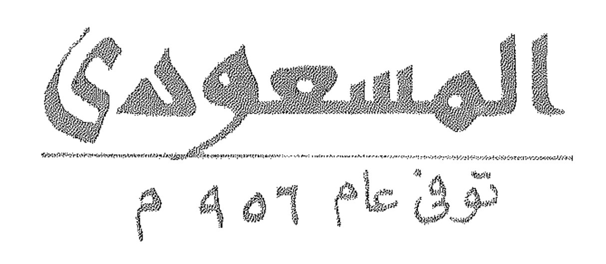
وكتابه "الزيج" الذى ضمنه نتائج رصوده للكواكب الثابتة ، والذى ترجم مرارا الى اللاتينية والأسبانية ، هو أهم تصانيفه . ولم يصل الينا غيره من كتبه الأربعة . وقد كان له أثر كبير لا فى علم الفلك عند العرب فحسب ، بل فى علم الفلك وحساب المثلثات الكرّى فى أوروبا خلال العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة . وقد حدد فى كثير من الدقة طول السنة المدارية والفصول ، والمدار الحقيقى والمتوسط للشمس ، كما فند قول بطليموس بثبات الأوج (أى موضع الأرض فى أقصى ابعادها عن الشمس) : مقيما الدليل على تغيره عما كان عليه أيام بطليموس (فى حين كانت قياسات بعض المعاصرين له مطابقة لما وجده بطليموس) ، وعلى تبعيته لحركة المبادرة الاعتدالية ، واستنتج من ذلك أن معادلة الزمن تتغير تغيرا بطيئا على مر الأجيال . كذلك أثبت ـ عكس ما ذهب اليه بطليموس ـ تغير القطر الزاوى الظاهرى للشمس واحتمال حدوث الكسوف الحلقى ، وصحح البتانى جملة من حركات القمر والكواكب السيارة ، واستنبط نظرية جديدة تشف عن قدر كبير من الحذق وسعة الحيلة لبيان الأحوال التى يرى بها القمر ، وضبط تقدير بطليموس لحركة المبادرة الاعتدالية . وله رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها "دانتورن" عام ١٧٤٩ فى تحديد تسارع القمر فى حركته خلال قرن من الزمان ، وأعطى حلولا رائعة بوساطة المسقط التقريبى لمسائل فى حساب المثلثات الكرّى .

وفى مجال الرياضة ، كان البتانى ـ على القول الأرجح ـ اول من أدخل الجيوب فى الرياضيات ، إذ استعمل (الجيب) بدلا من (الوتر) الشائع عند الاغريق ، وأكمل تعريف الظل وظل التمام (تحت اسم الظل المعكوس والظل المستوى) ووضع جداول لهما ، وينسب اليه اكتشاف قانون جيب التمام فى المثلث الكروى . كما بحث فى بعض المسائل التى تناولها الأغريق بالطرق الهندسية ، محاولا الوصول الى حلول جبرية لها .

لقد كانت النتائج التى وصل اليها فى علم الفلك على الأخص بالغة الخطورة فى تاريخ العلم . وقد حقق كفلكى راصد رياضى اكثر ما كان ممكنا تحقيقه بغير الاستعانة بالآلات الحديثة التى اكتشفت بعد القرن السابع عشر ، وبوسعنا أن نعلل نجاحه الباهر بأمرين :

الأول : استخدامه لمناهج وآلات رصدية أكثر تطورا مما كان لدى الأغريق وبعضها كان مجهولا تماما لديهم .

والثاني استخدامه لوساطة رياضية في حساب المسائل الفلكية هي أرقى مما استخدمه اليونانيون ، وكذا استخدامه لحساب المثلثات الذى لم يعرفوه والذى تسبب جهلهم به فى أضطراب دراساتهم الفلكية والجغرافية ، وفى لجوئهم الى حساب معقد أساسه ملاحظة نسبة اقواس الدائرة الى نصف قطرها .



من ألمع المؤرخين والجغرافيين العرب ، وصاحب كتاب "مروج الذهب" الذى وصفه المستشرق البريطانى سير هاملتون جيب بانه "ليس ثمة فى العربية كتاب اكثر منه إمتاعا ، جمع فيه بين التاريخ والجغرافيا وعلم اصول السلالات البشرية والدين والطب وغيرها جمعا يدل على سعة افقه ، وملأه بنوادر لاتحصى تهيىء للقارىء لذة وتسلية لا حد لهما وهو راى شاركه فيه إرنست رينان .

ولد فى بغداد ، وأحاط فى شبابه إحاطة تامة بكل التراث الأدبى لعصره وبمختلف نواحى العلوم . غير أن ميدانه الحقيقى فيما يبدو كان الرحلات الواسعة - برا وبحرا - التى شملت جميع البلدان من الهند الى المحيط الأطلسى ، ومن البحر الأحمر الى بحر قزوين ، كما أنه من المحتمل أن يكون قد زار الصين وأرخبيل الملايو . وقد كان للسنوات العديدة التى قضاها فى السفر أثرها فى اتساع أفقه ، وبعد نظرته ، وعمق خبراته المستقاة من اتصاله بالشعوب المختلفة ، وتعطشه الشبيه بتعطش الأغريق الى المعرفة من أجل المعرفة ، وفى كافة المجالات ، تاريخية كانت أو جغرافية أو علمية أو فلسفية أو طبية أو دينية .

لم يكن بحكم تكوينه عالما بحّاثة على غرار البيرونى ، ولا متخصصا فى الجغرافيا أو التاريخ ، وإنما كان قبل كل شىء أديبا وناشرا للمعارف على منهج الجاحظ وابن الفقيه ، مع ميل أوضح من ميلهما الى الجدية والى الأسلوب القصصى . فهو قاص بارع ، وفى أسلوبه شبه غريب بأسلوب الصحافة الراقية الحديثة كما كان فى شخصه انموذجا للمراسلين الصحفيين



المعاصرين الجوابين للأرض .

وقد اتسم نشاطه العلمى المتنوع بالموضوعية فى الحكم على الشعوب والأديان . فهو يسأل باهتمام ممثلى مختلف العقائد ، ويفحص كتبهم بانتباه فائق ، ويتعرف جيدا على آدابهم . وكان موقفه محايدا إزاء النصارى واليهود والصابئة . وفى أثناء استعدادات القرامطة للهجوم على بغداد ، شغل

المسعودى نفسه بالاطلاع على كتبهم ، ومحادثة دعاتهم الرافضين لمذهب أهل السنة . وقد بلغ به التعدد الفذ لنواحي اهتمامه درجة الاقبال في همة على جمع المعلومات عن البحر الأسود وبحر قزوين ، ومسألة ما إذا كان يمكن لوحيد القرن أن يمكث سبعة أعوام فى بطن أمه ، وحادث انهيار منارة فاروس المشهورة فى الاسكندرية فى زلزال سنة ٩٥٥م ، وهو في سجستان يورد أول خبر معروف عن طواحين الهواء ، وفي المنصورة بالهند يدرس حياة ثمانين فيلا ملكيا . وكان دائما يسعى الى الحصول على أحدث المعلومات عن البلاد التي لم يتمكن من زيارتها بنفسه .. غير أنه مع ذلك ، ربما بسبب مزاولته لعمله بعجلة فائقة ، تعذر عليه أن يتمكن دائما من تحليل المادة الضخمة المتنوعة التي جمعها من مختلف المصادر والطبقات عن الشعوب نائيها ودانيها .

وقد كان المسعودى مجددا فى ميدانى الكتابة التاريخية والكتابة الجغرافية معا : ففى التاريخ ، تحول عن "الحوليات" التى أرخ فيها أسلافه ـ كالطبرى ـ للحوادث سنة بعد سنة ، الى سردها فى رواية واحدة متواصلة ، ذات طابع أدبى ، استغنى فيها عن الاسناد ، بل وعن ذكر المصادر إلا فيما ندر . كما أنه ـ هو واليعقوبى ـ حققا تحرير الكتابة التاريخية من قالبها الدينى ، وجعلها علما مستقلا . فإن كان الطبرى قبله قد اهتم الى جانب تاريخ العرب بتاريخ إيران القديم ، فقد وسع المسعودى فى تاريخه من نطاق اهتماماته بحيث شمل الى جانب التاريخ الايرانى ، تاريخ اليونان والرومان والبيزنطيين ، بل وحتى تاريخ الكنيسة المسيحية .

وفى الجغرافيا ، احتل المسعودى المكانة الأولى دون منازع بين جغرافيىّ القرن العاشر الميلادى . إذ نقل الكتابة الجغرافية من مجالها التقليدى الذي كان الدافع الأساسى فيه هو خدمة الادارة بتنظيم البريد ووسائل الاتصال وجمع الخراج الى آخره ، الى كتابة مشربة بالروح الأغريقية ، تحوى استطرادات مطولة عن البحار والانهار ، وقبائل العرب والكرد والترك والبلغار ، وهجرات القبائل وطبائع الهنود والزنج ، وتأثير المناخ فى أخلاق وعادات الشعوب ، بل ونجده يتحدث عن فكرة وحدة الشعوب السامية قبل زمن طويل من ظهور هذه الفكرة كنظرية علمية فى أوروبا . فهو إذن يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره ، خاصة فى كتابه "التنبيه والإشراف" اما "مروج الذهب" فمن المؤكد أنه يحوى افضل وأدق صورة للحياة الاجتماعية والثقافية فى عصر الخلافة الاسلامية .

أنت والهلال

● النقد الادبى ●

● اصبح النقد الأدبى الذى تنشره الصحف اليومية غير مفهوم ، رغم كثرة الذين يكتبون هذا النقد ، ويبدو لنا الأمر كأنما فتح القطاع العام "نافذة" لكل واحد من هؤلاء الكتاب والنقاد فى احدى للصحف الكبيرة ليطلع علينا منها بنقده الذى لا يطالعه أكثر من نصف فى المائة من القراء ، لأنه نقد شخصى جدا ، يناجى فيه الكاتب أو الناقد نفسه ، أو يرمى إشارات مقصودة يحاول إيصالها إلى هذه الجهة أو تلك .. وقصارى القول إن نوافذ النقد والأدب فى الصحف اليومية صارت أسوأ من نوافذ بيع مواد التموين فى هذه الايام ، فما رايكم دام فضلكم ؟!

حسن رجب عبدالرحمن
اسيوط

● تعليق الهلال .

ـ ان مواد "التموين الادبى" التى يتلقاها القراء من النوافذ التى تشيرون اليها ، يوجد فيها الجيد والردىء ، وعليك أنت أن تختار الجيد الذى ترضى عنه ، ولا عليك من الردىء برغم كثرته التى تضايقك وتضايق غيرك من القراء .

● موطن العجائب ●

يا زائر الأرض قاصيها ودانيها
عرّج على مصر يستهويك ما فيها
ومتع النفس حينا بعدما بهرت
بحسن آثارنا حتى توفيها
وقف طويلا على اهرامنا لترى
آيات فن تزكى علم بانيها
أيات فن من الابداع شاخصة
هى الأعاجيب فى أسمى معانيها
كم اعجب الناس من اتقان صنعتها
وحيرتهم امور فى نواح[illegible]
وقف على "الاقصر" الشماء حيث ترى
ما ابدعته الأيادى فى مبانيها

كأنما زخرفت بالأمس زينتها
فالنقش زاه كما كانت بماضيها
والناس يدفعهم شوق لرؤيتها
ومن يراها سيمسي من محبيها

عبده محمد سلطان
صقيل - اوسيم - جيزة

• العقاد فى الذكرى المئوية •

• فى ١٢ مارس الماضى مر ربع قرن على رحيل العقاد العظيم الى عالم الخلد ، وفى ٢٨ يونيو القادم تحل الذكرى المئوية لميلاده ، ومع مسيرة العقاد بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ الأدب والفكر العربى ابداعا وتجديدا ، وبانتاجه الخصب اسهم فى ارساء قيم العقل والحرية فى ادبنا وفكرنا المعاصر ، واستشرف افاق المستقبل لوطنه وامته والانسانية .

وقد كان للعقاد رؤيته المستقبلية فى التاريخ والحضارة ومستقبل الانسانية بسطها فى كتابه "القرن العشرون ما كان وما سيكون" عالج فيه قضايا الطعام والطاقة والتعليم والفضاء وحكم التاريخ وغاية النوع والفرد والطوائف والجماعات والاله وخواص المادة والنظرية المادية والايمان والعوالم الاخرى ، وينتهى فى رؤيته المستقبلية الى انتصار الانسانية وانتصار قوة البصيرة وقوة العدل والحرية ، وهزيمة قوة الحديد والنار ، وفى اطار هذه الرؤية المستقبلية يرى ان القرن الحادى والعشرين سوف يأتى من الانجازات العلمية بما يقرب الشقة بين علوم الذرة وعلوم النفس ، وكان يتطلع الى ان يرى اختراعا واحدا هو نتائج التجربة الجديدة فى العلم الجديد "باراسيكولوجى" وينتظر الدلائل العلمية التى تثبت امكان انتقال الحس والشعور بغير وسائل محسوسة .

واذا كانت الدولة قد كرمت العقاد مرتين فى حياته بمنحه جائزتيها التشجيعية والتقديرية ، واذا كان تلاميذه واصدقاؤه قد كرموه عند بلوغه السبعين باصدار كتاب تذكارى هو العقاد : دراسة وتحية فإننا قد حرصنا على ان ننبه الى واجب احياء الذكرى المئوية لميلاد العقاد بالصورة اللائقة التى تتفق ومكانته فى حياتنا الثقافية والفكرية ، فلعل العارفين بفضله ممن بيدهم ان يفعلوا شيئا لاحياء هذه الذكرى يقررون شيئا ، فحق هذا المفكر والأديب الكبير علينا عظيم . ونحن مدينون له بما خلقه لنا من ثروة قومية تشهد له ولنا بقدرة العقل والوجدان المصرى على الريادة والعطاء .. لقد احتفل العقاد برواد الفكر الانسانى ونوابغ

الفكر الغربي واعلام الاسلام واصحاب العبقريات من الشرق والغرب ، فكيف لا نحتفل بذكراه المئوى بالصورة المشرفة اللائقة . لقد شارك العقاد بجهوده الخلاقة فى اعمال مؤسسات ثقافية وادبية كبرى منها المجلس الأعلى للآداب والفنون ، ومجمع اللغة العربية ، والصحافة ، فلماذا لا تتضافر جهود هذه المؤسسات وتبارى فى اعداد برنامج كامل وشامل للاحتفال بذكرى العقاد ، وتظل التبعة الكبرى ملقاة على عاتق وزارة الثقافة كجهة رسمية تهيمن على شئون الفكر والثقافة . واذكر بهذه المناسبة كيف كانت علاقة مجلة الهلال بالاستاذ العقاد ، وكيف انها خلدت ذكراه باصدارها عدد خاص عنه فى ابريل عام ١٩٦٧ باقلام تلاميذه واصدقائه ، ونرجو ان يكون مهرجان العقاد فى ذكرى ميلاده المئوية ، مهرجانا للفكر والادب العربيين واحتفالنا به انما هو تكريم بكل القيم والمعانى النبيلة التى عاش من اجلها مناضلا بقلمه وفكره من أجل احترام انسانية الانسان، وحقه فى الحياة الحرة الكريمة .

عمرو عبدالمنعم حمودة

• حياتى •

سـرت فـى كـل الـدروب
أرتجـى فيهـا طـريـق
سـرت اشكـو مـن غـرام
يـتـلـظـى كـالحـريـق !
حـيـنمـا ضـاع طـريقـى
وتـصـبّـانـى الحـنـيـن
عـشـت بـالحـلـم وعـاشـت
فـيـه أشـواق السـنـيـن
لا تـسـَل أيـن حيـاتـى
أيـن فـى الدنيـا الأمـان ؟
عـمـرى قـد ضـاع منـى
فـى سـراديـب الـزمـان !

وجدى حسن
مدرسة الفسطاط الثانوية ـ القاهرة



• صبح الأعشى •

● امتدح لى أساتذتى كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندى فذهبت أبحث عنه فلم أجد إلا نسخة قديمة ناقصة بعض الأجزاء وطلب البائع

عشرة جنيهات عن كل جزء فعدلت عن شراء الكتاب لأن ثمنه يزيد على مائة وخمسين جنيها ، فمن هو القلقشندى وهل هو عربى أم فارسى ، وما هو كتابه وأين يمكن الاطلاع عليه ؟!

علم الدين محمد الذهبى
الاسكندرية

● تعليق الهلال :

ـ اشترينا ـ والحمدلله ـ هذا الكتاب الموسوعة فى الستينيات بعشرين قرشا للجزء الواحد ، فلم يزد ثمن الكتاب كله على ثلاثة جنيهات او اكثر قليلا ، وكان ذلك فى أيام إحياء التراث العربى فى النصف الأول من الستينيات ..

والقلشقندى كاتب عالم مصرى عربى موسوعى عظيم اسمه ابو العباس احمد بن على القلشقندى ، من قرية قلقشندة التى مازالت تعرف بهذا الاسم .. وتستطيع أن تطلع على الكتاب فى دار الكتب المصرية ، ولا أدرى هل يوجد فى مكتبة الاسكندرية أم لا ..

● فقيد الشعر فتحى سعيد ●

رحل الشعور عن القوافى الهائمة
كيف القصيد بدونه يتنغم ؟
رحل الأريج عن الزهور الحالمة
كيف الزهور بدونه تتنسم ؟
رحل الربيع عن الوجود فاعتمه
كيف الوجود بدونه يتبلسم ؟
نم يا سعيد ودع همومك جانبا
إن الرقاد هناك فيه المغنم
فى البعد مثل القرب أنت معلم
تثرى المشاعر والشعور وتلهم

رفعت عبدالوهاب المرصفى
ـ شبرا ـ القاهرة

● مى القديمة ●

● تنشرون فى « الهلال » بين الفينة والفينة مقالات عن الأديبة الأنسة مى ، ولكن فى الشعر العربى القديم « مى » أخرى لا يتحدث

عنها أحد الآن وهى « مى » التى كان الشاعر ذو الرمة يقول فيها الغزل . فمن هى مى هذه ، وما معنى اسمها واسم «ذو الرمة» ؟!

ليلى حسن شعبان
دمنهور

● تعليق الهلال :

- من الطبيعى ان يتكلم الأدباء فى عصرنا عن «مى» الاديبة المعروفة لأنهم عاصروها ، ولا يتحدثون عن مى التى كان يحبها الشاعر ذو الرمة لانها ماتت منذ ألف ومائتى عام .. ومعنى كلمة «مى» : الخمر ، ويقال ايضا - مية ، بفتح الميم وبعضهم ينطق الميم ثقيلة ضخمة والصواب ان تنطق خفيفة رقيقة .. اما «الرمة» فهى قطعة الحبل ، ويقال إن ذا الرمة كان يضع فى يده أو على كتفه قطعة حبل فنادته مى قائلة : «ياذا الرمة» .. فذهبت مثلا ، وصارت اسما له .. وكانت «مى» هذه امراة عربية عادية تغزل بها ذو الرمة ولم يتزوجها وارجعى إلى كتب الأدب لتعرفى المزيد عنها .

● من انا ●

انا من انا يا مغانى الربيع ... انا من انا ياعصوف الشتاء
وليد الطبيعة أم ربها ... أم ابن السماء بحق الدعاء
اقطرة ماء تجوب البحار ... أم النجم تاه بعرض الفضاء
انا ومضة فى ضياء الوجود ... انا نفخة فى تراب وماء !
صلاة وفجر وحق وإثم ... وخير وشر بحد سواء !
وعمر به امل فى نهار ... وياس عميق بكل مساء !
قليل الوفاء كثير الجهود ... ضئيل السعادة جم الشقاء !
وبالفكر ابنى حياة اغنى ... وبالحب اغلب كل عناء !
بدون حروب تذل الورى ... ودون قتال يسيل الدماء !

ودون وبـــاء وجهـــل وفقـــر
تصيـــر البـــرارى بحـق سماء
فيـــارب هيـىء لنـا رشـدنا
ويارب أنعـم لنـا بالـرخـاء
فنحـــن عبـــادك فـــى ارضنـــا
ونحـن لفضلـك لحـن الـوفـاء

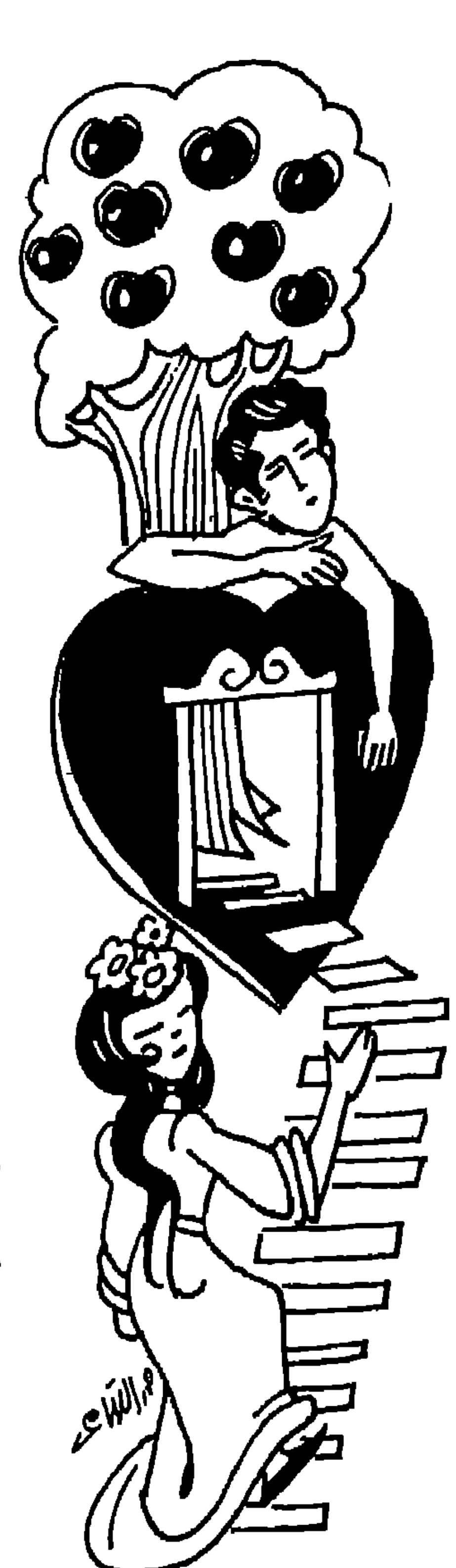
زغلول توفيق
- بني سويف

● عائد من الحج ●

تمسحـــت فيـــه ، وقبـــلته
وبللـــت جبهتـــه بالدمـــوع
والفيـتنى فى انجـذابى اليـه
اغـالـب نفسـى ، فـلا استـطيع
تطـول الـى وجهـه نظـرتى
كانى أرى فيه حلمى الرفيع !
اقول : ادعون لى .. فبى حاجة
إلى دعـوة منـك بعـد الرجـوع
فـدوى دعــاء ، ورنـت صـلاة
تقول : استجب يا إلهى السميع
فـذا مطمــح ، جـئت من اجله
وكـلى ،حـــاء بالا يضيـــع !
إلهـــى ، أقـــدرت يا خـــالقى
مزارى ، لا صنع هذا الصنيع ؟!
لقـد طـال شوقى الـــى عـودة
كهذى ، وقلب ينير الضلوع !!
وقـــوم يقـــولون عنـــد اللـقا
دعـاءك - عجـل ، ففينـا نـزوع
وفـى يـومها سـوف يعلو نـدائى
يقـول : اكتـبن ربنـا للجميـع

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا ث للبنين

● الحلم ●



تدخلين الآن من بوابة التفاح،
والرمل الندى
آه يا هادئة العينين،
يا حلم البحيرات الشهى .
يا ضياء راسيا فى هدأة الميناء،
ما بين الهواء الطفل،
والفجر الفسيح اللؤلؤى
تدخلين الآن من بوابة التفاح
فى قلبى ، ولا أعرف شيئا
أى شىء
وبين الحلم والتهويم
بين القادم المحمول فوق ملاحة،
الخدين والمطر .
توزعت الدنا الأولى ، وضاعت روعة اللحظات
وضاع الهاطل المجنون فوق ملامح الشجر .
قيل ، فى الحلم ، الفسيح المخملى :
أيها العابر من بوابة الليل،
أسميك : حبيبى
أيها التائه فى الرمل الخرافى
اناديك : حبيبى
من ترى يزرع خديك بوعد،
من حكايات الغروب ؟
من ترى آلف عينيك مع الألوان ؟
حتى اننى اذنبت فى عشقك
يا حلو ذنوبى
أيها الداخل فى قلبى
أسميك : حبيبى

عبد الناصر عبد الرحيم أحمد
السويس

● مع الاصدقاء ●

● محمد على الخوربى ـ صنعاء ـ اليمن

قصيدتكم عن "مصر" مست أوتار قلوبنا .. نشكر لكم هذا الوفاء .

● خليل ابراهيم الحاج محمود ـ غزة

ـ ليس لاسم سراج الدين صلة على الاطلاق بالأسماء التاريخية التى ذكرتموها كيف الانتفاضة عندكم ؟! ..

● جميل محمود عبد الرحمن

ـ نأسف لما شعرتم به من ضيق لعدم نشر قصيدتكم داخل العدد ، بالرغم من أن الشعر الذى ننشره فى «انت والهلال» من أجود ما نتلقاه .

● محمد محمد القاضى ـ سرس الليان :

ـ تقولون ان عنوان «المائة الأعظم» الذى يكتب تحته الأستاذ حسين أحمد أمين ، غير صحيح لغويا ، وأن الصواب هو «المائة العظمى» .. وقولكم خطأ ، لأن الأستاذ حسين لا يصف المائة المؤنثة ، بل يصف الرجال الذين يبلغ عددهم مائة رجل ، فهم المائة الأعظم من الرجال ، ولا توجد صلة لغوية بين قولك : "الدول الخمس الكبرى" وبين قول حسين أمين «الرجال المائة الأعظم» ..

. ولم أفهم معنى قولك · «ليس بغائب عنكم جملة الفتنة الكبرى التى جعلها الدكتور طه حسين عنوانا لكتابه المعروف» ..

فما هى الصلة بين المائة الأعظم والدول الكبرى ، والفتنة الكبرى ؟!

إن العرب تؤنث اللفظ أو تذكره للمعنى ، واللغة بحر لا ساحل له ، فلا تقف على الساحل وتتحدث عن البحر ! ..

● زغلول توفيق ـ بنى سويف :

ـ كلمتكم عن «أول ابريل» زجل عامى ، ونحن ننشر ما يكتب باللغة العربية فقط ، لأن الهلال هو رسالة الأقطار العربية بعضها إلى بعض ، ولا تصلح العامية لأداء هذه الرسالة ! ..

● **ونشكر السادة : يوسف عبد العزيز على .. ابو القاسم حسن خليل .. محمد عباس على .. نادية كيلانى « ونرجو ان تكتب على وجه واحد من الورقة » .. سمير يوسف .. عاصم فريد البرقوقى .. ابو بكر محمد محمد حسانين .. عبد الرحيم الماسخ .. محمود عبد المجيد احمد .. يس محمد ضوى .. رفعت محمد بروبى .. رفعت عبد الوهاب المرصفى ..**

ذكريات الاسكندرية

إسكندرية أيها الثغر الجميل أنا هنا .. !
أهفو إلى الماضى البعيد واستعيدك موطنا
يالهف نفسى . كم أحن إليك ، أعشق فيك أمسى
ولكم وكم ناداك عبر حنينه المشبوب حسىّ

● ● ●

أنا إن هجرتك إنما احيا وطيفك فى خيالى
وأظل أسأل هل أراك غدا وأحظى بالوصال
أنا قد أغيب وإنما أستاف « يودك » فى انتشاء
وأمد عينى من بعيد نحو بحرك فى رجاء

● ● ●

أنا فى رباك صبيةٍ تنهلّ من نبع المنى
تغزو الشطوط الشُّقْر تبنى من رمالك مسكنا
أنا فى رباك شجيرة نهلت عصارات الحياة
أخت الأزاهر والحدائق والزوارق والمياه

● ● ●

أنا كالطيور على رباك رفيقة الفجر الندىّ
أحيا مع الحسن المهيمن والجمال العبقرىّ
آه و آه من نسيمك حين يسرى فى ضلوعى
قلبى الذى أَلِفَ الصراع لديك كالحمل الوديع

● ● ●

إسكندرية ! تحت خَطْوك أفرش القلب الأمين
فخذيه فى الحضن الدفىء وكفكفى دمع الحزين
من أجل حبك لم أعد أهوى حياة (القاهرة)
ياقطعة من قلب مصر « وكل قلب الشاعرة »







نيه ١٩٨٩ • الثمن ٧٥ قرشا

اليساريون والسلطة

كيف حول اسماعيل مجرى النيل ؟

أسرار الحريم



شخصية عربية



أحمد بهاء الدين

الهلال
مجلة ثقافية شهرية
تصدرها دار الهلال
أسسها جورجي زيدان
عام ١٨٩٢ ميلادية
السنة السادسة والتسعون . يونيو ١٩٨٩ . شوال ١٤٠٩ هـ
رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد
رئيس التحرير
مصطفى نبيل
محمد أبو طالب
مدير التحرير
عاطف مصطفى
محمود الشيخ
عيسى ديياب

لا اعرف كيف يوجد بيننا الاستاذ احمد بهاء الدين ، ولا يكون له دور اساسى فى حياتنا الثقافية والصحفية ، ولايكون مثلا عضوا فى المجلس الاعلى ، لكى يدلى برأيه فى المهنة التى اعطى لها عمره ، حتى اصبحت افكاره ولمساته جزءا من الصحافة المعاصرة ، وهو يكاد يكون الوحيد الذى عمل فى اغلب المؤسسات الصحفية القائمة ، فقد عمل فى مؤسسات « روزاليوسف ، ودار الـهلال ، وأخبار اليوم ، والأهرام » ، وتولى كافة المناصب من رئاسة تحرير صحف يومية « الشعب ، والأخبار ، والأهرام » ومجلات اسبوعية « صباح الخير ، آخر ساعة ، والمصوّر » .

واختاره الصحفيون نقيبا ورئيساً لاتحاد الصحفيين العرب ، وعرف خلال كل هذه المسئوليات انه الكاتب العقلانى الذى لايحركه الهوى ، ويمثل الضمير العام بكل النقاء والاخلاص .. فكيف لايستفاد بكل هذه الخبرة فى التخطيط لمستقبل الصحافة المصرية .

عندما يختفى عموده اليومى فى الأهرام ، يفتقد القارىء عقلا رائقا وتفكيرا سديدا ، ورؤية شاملة لحياتنا ومستقبلنا ، فهو يكتب ، بقلم فنان ، وعاطفة شاعر ، وعقلانية عالم .

وجمع ، بين الرؤية الكلية والتفاصيل الدقيقة بين الفكر والفن والثقافة ، فملك عقلانية الأستاذ الامام محمد عبده ، وجمال أسلوب توفيق الحكيم ، واستنارة الدكتور طه حسين .

وهو صاحب المدرسة الصحفية التى تبعد عن الاثارة ، ولاينقصها التشويق ..

إقرأ .. احمد بهاء الدين ...
القلم .. والاسلاك الشائكة ص ٣٢





الغـــــلاف :
تصميم الفنان :
محمد ابو طالب

فكر وثقافة

● اسرار الحريم فى الشرق ٨
● الحياة على النيل .. رواية انجليزية فى حب مصر
د . على الراعى ٢٤
● احمد بهاء الدين ... القلم ... والاسلاك الشائكة .... كمال النجمى ٣٢
● القفز على الاشواك .. التعليم .. التربية .. الثقافة .. .. د . شكرى محمد عياد ٣٨
● ثقافة البعد الواحد د . سعيد اسماعيل على ٤٤
● الربيع الديمقراطى فى الدول الاشتراكية
.... عبد الرحمن شاكر ٥٠
● الزيدية .. الدعوة .. الثورة .. الدولة
.... د . محمود اسماعيل ٥٦
● من دفتر الذكريات .. مرة واحدة فى ندوة العقاد
.... د . الطاهر احمد مكى ٨٠
● القاهرة والنيل .... د . سيد كريم ٨٨
● رسالة موسكو .. ماذا جرى فى اجتماعات كتاب اسيا وافريقيا والكتاب السوفييت ؟
يوسف القعيد ٩٨
● رسالة لندن .. توفيق الحكيم فى ميزان النقد الاستشراقى .... د . رشيد العنانى ١٠٤
● ادباء مدمنون .. وماخفى كان اعظم
.... محمود قاسم ١١٢

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية تسعة جنيهات وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات او مايعادلها بالبريد الجوى . وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية . وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة بعاليه عند الطلب .

● البرت إينشتين .. راهب فى محراب العلم
.... د . صلاح خليل ١٦٠

● المائة الأعظم فى التاريخ الاسلامى
.... حسين أحمد أمين ١٧٦

[redacted] دائرة الحوار

● اليساريون والسلطة .... د . فوزى منصور ٦٢

● دفاعا عن الشعر الجديد ...... ابراهيم فتحى ٧٤

[redacted] جولة المعارض

● جولة فى المعرض الساهر محمود بقشيش ١٢٠

[redacted] فنون

● سينما فى أوبرا .. ومفاجآت أخرى
! .... مصطفى درويش ١٢٢

[redacted] قصة وشعر

● ترديد ألمانى ... اقصوصة عبدالحكيم قاسم ١١٠

● نخل سالمة ... قصة .... اليفة رفعت ١٤٢

● محنة الغلاء ... شعر ... محمد أمين الجندى ١٧٤

● الأبواب الثابتة ●

٦
عزيزى القارىء

٣١
أقوال معاصرة

١١٦
العالم فى سطور

١٦٧
لغويات

١٦٨
العالم غدا

١٨٥
انت والهلال

١٩٤
الكلمة الأخيرة
يحيى حقى

دار الهلال

١٦ شر محمد عز العرب
القاهره تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة
خطوط مجلة الهلال ٣٦٢٥٤٨١
رقم التلكس : 92703 Hilal U.N

الثمن

سوريا ٤٠ ليرة ، لبنان ٥٥٠ ليرة ، الاردن ٥٠٠ فلس ، الكويت ٤٠٠ فلس ، العراق ٣٥٠٠ فلس ، السعودية ٥ ريالات ، عدن ١٢٥ سنتا ، البحرين ٨٠٠ فلس ، الدوحة ٦ ريالات ، دبى ٦ دراهم ، لوس انجلوس ٤٠٠ سنت ، ابوظبى ٦ دراهم ، مسقط ١٠٠ بيسه ، تونس ١٤٠٠ مليم ، المغرب ١٥ درهما ، غزة والضفة ٧٥ سنتا ، داكار ٦٠٠ فرنك ، لندن ١٢٥ بنسا ، ايطاليا ٢٥٠٠ ليرة ، نيويورك ٤٠٠ سنت ، البنز الشمالية ٦ ريالات ، كندا ٥ دولارات



٥ يونيو

اثنتان وعشرون سنة تمر فى شهر يونيو الحالى على هزيمة ٥ يونيو المروعة التى تتذكر مصر معها هزائمها التاريخية الكبرى ، مثل هزيمتها فى معركة امبابة أو الأهرام ، أمام الحملة الفرنسية الاستعمارية بقيادة بونابرت سنة ١٧٩٨ ، ثم هزيمة الزعيم احمد عرابى سنة ١٨٨٢ فى التل الكبير وتسليمه مصر للبريطانيين ! .. وقبل هذه وتلك ، هزيمة السلطان قنصوه الغورى سنة ١٥١٧ فى معركة مرج دابق التى فتحت مصر للاحتلال العثمانى

ولقد امكن فى ثلاث سنوات فقط تصفية نتائج معركة إمبابة أو الأهرام التى صاح بونابرت فى جنوده قبيل نشوبها : «ان اربعين قرنا تنظر اليكم من قمم هذه الأهرام» ! .

وانتصرت على الحملة الفرنسية الاستعمارية ثورة الشعب المصرى التاريخية فى القاهرة والاقاليم ، وتوازنات القوى العالمية حينذاك بين الامبراطورية البريطانية والامبراطورية العثمانية ..

ولكن هذه التحالفات نفسها اجتمعت فى معركة التل الكبير لتهزم احمد عرابى وتفتح ابواب مصر ثم السودان ، لاحتلال بريطانى استمر اكثر من سبعين عاما ! .. وفى خلال الحرب العالمية الأولى صارت مصر طريق الانجليز وحلفائهم لاحتلال فلسطين وسوريا ولبنان والعراق ، وتصفية الامبراطورية العثمانية ..

اما معركة مرج دابق فقد فتحت مصر للسلطان سليم ليمتد احتلاله لمصر ، واحتلال خلفائه لها اربعمائة عام تقريبا اوشك الشعب المصرى تحت وطأتها الرهيبة ان ينقرض ويتلاشى من الوجود ! ..

فهل يمكن ونحن نتذكر هزيمة ٥ يونيو ، أن نضم اليها هذه الهزائم الثلاث التاريخية الكبرى ونتائجها التى سجلها التاريخ المصرى بين سنة ١٥١٧ وسنة ١٩٦٧ .. اى فى ٤٥٠ عاما فقط ، بمعدل هزيمة كبرى فاصلة كل قرن من الزمان ؟ !

لا يمكن بطبيعة الحال ان نقارن بين الماضى والحاضر مقارنة حرفية ، فالزمان لا يتوقف ، والدنيا تتغير ، والشروط التاريخية تتبدل وتأتى بقضايا جديدة لا يمكن احصاؤها ..

ولكن ثمة بلا شك تشابها بين المدى الذى بلغته النتائج ـ على اختلافها ـ عقب كل هزيمة من هزائمنا العسكرية الكبرى خلال القرون الأربعة الماضية ..

ففى كل مرة تحكمت نتائج الهزيمة فى مجرى الصراع مع العدو النازى امدا طويلا ، فتطاولت النتائج واتسعت افاقها ومضاعفاتها بعد معركة مرج دابق ، قرابة أربعة قرون ، وشملت مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وليبيا والشمال الافريقى والسودان وما

وانتظار نهاية الصراع !

حوله .. ولو انتصرت مصر فى مرج دابق لتغير تاريخ هذه الأرض العربية الشاسعة خلال اربعمائة سنة !

ولكن هذا الصراع انتكس بعد هزيمة التل الكبير ، ثم نشبت ثورة ١٩١٩ لتجديد الصراع باساليب اخرى ، ثم جاءت ثورة ٢٣ يوليو لتحقيق وتكميل خطوات واهداف ثورة ١٩١٩ والمضى بعدها قدما لتعويض ما فات فى سنوات التوقف ! ..

ومن عجب أن ثورة ٢٣ يوليو التى استكملت جلاء القوات البريطانية وأقامت الاستقلال التام ، قد ارتطمت فى هزيمة ٥ يونيو التى اوقعت مصر تحت احتلال لم يكن يخطر على بال ثوار ٩ مارس سنة ١٩١٩ ولا ثوار ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

حقا .. لقد انسحب المحتلون الاسرائيليون ، فهل انتهى وجودهم ، أم أن عناصر الصراع العربى الاسرائيلى قد نقلها الاسرائيليون المتعصبون امثال شامير وشارون واريئز الى الاعوام القادمة ، وهم جادون منهمكون فى نقلها الى القرن القادم الذى يبشرنا بعض دعاتنا الكرام المتفائلين بأنه سيكون قرن السلام والإخاء البشرى الحميم ؟! ..

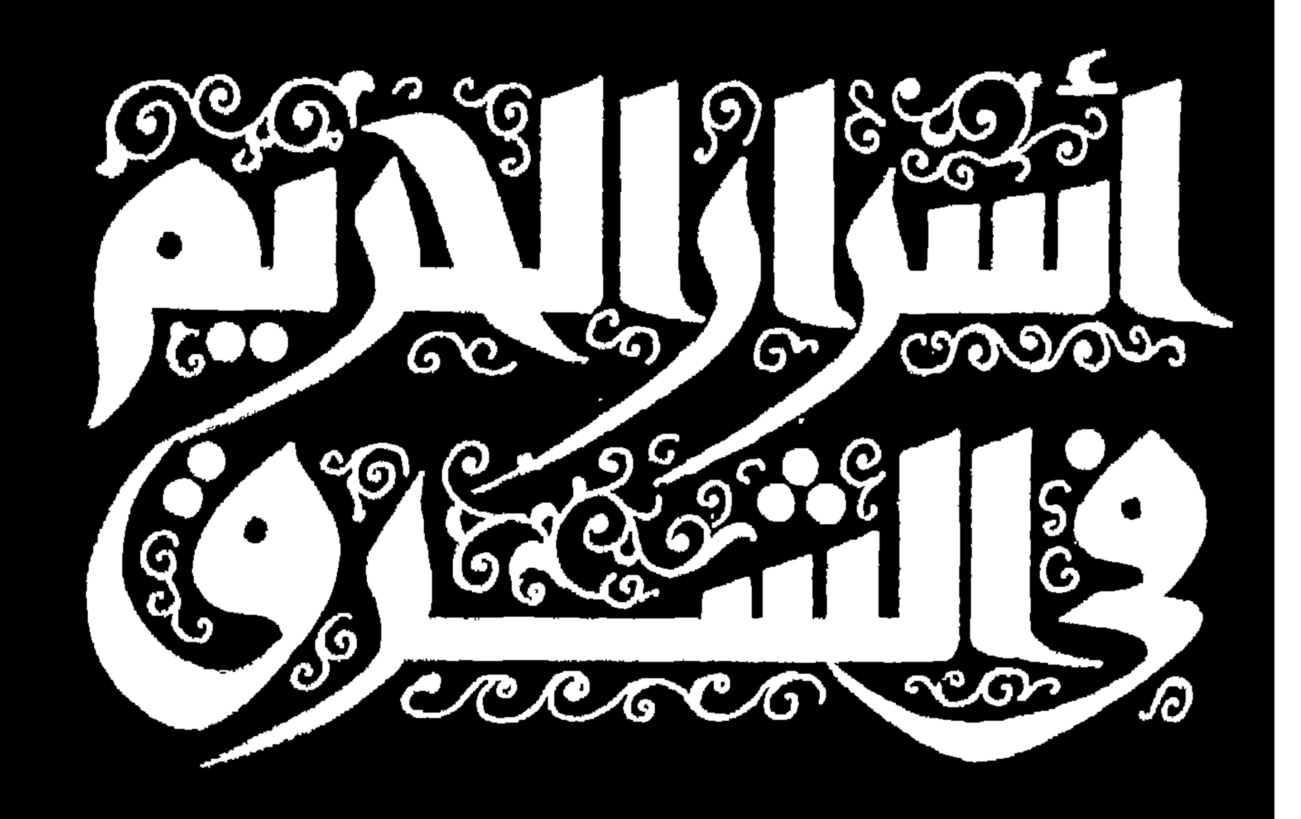
يبدو ان المبشرين بانتهاء الصراع ، لم يكونوا على صواب فيما اعلنوه بالامس ، وليسوا على صواب فيما يقولونه اليوم .

وفى غمرة حسن الظن بالمستقبل ، انخرط بعض المثقفين من جميع الاتجاهات فى التبشير بانتهاء الصراع .. وانضم اليهم .. ويا للعجب وطرافة المفارقة ـ عدد من المتطرفين الدينيين الذين يرون الصراع الحقيقى انما هو بينهم وبين مواطنيهم ومؤسسات بلادهم ، ولا يستطيع هؤلاء الحمقى ان يروا صراعا اخر ولا ان يفهموه .. وهؤلاء المتطرفون لا يبالون ان يركعوا ويسجدوا فرحا بانتصار الاعداء ، وسرورا بهزيمة المواطنين الاقرباء ! ..

أن هزيمة ٥ يونيو ، تمشى بنتائجها من سنة الى سنة .. وسوف يلتقى ابناؤنا فى القرن القادم بما تبقى من هذه النتائج ومضاعفاتها لان جميع عناصر الضعف والفساد والجهل والعجز مازالت تأخذ بخناق المجتمع العربى كله من الاطلسى الى الخليج العربى ومن الانصاف ان نقول ان هذه العوامل قد شملت شعب ٥ يونيو كله لا قواته المسلحة ولا قياداتها فقط ، وباء الجميع بوزر الهزيمة ، من رجل الشارع ، الى رجل القصر .

أن ادارة الصراع فى المستقبل تحتاج الى اناس لا يسجدون فرحا بالهزيمة ، ولا ينتحبون يأسا من الهزيمة ، ولا يخدعهم خمود النار ويلهيهم عن الجمر تحت الرماد .. ذلك الجمر الملتهب الذى تحرص الاطراف الأخرى التى اعماها جنون التعصب على ابقائه ملتهبا !

المحرر



الحريم هى الكلمة السحرية التى يرددها الغرب لكى ينال من صورة الشرق وسمعته عندما يقدم عالما متبرا محاطا بالغموض والتشويق . عالما مليئا بالغرائز والمتعة الحسية . وباعتباره نقطة الضعف فى الشرق ومعيار تخلفه . وموضوع الحريم هو مدخلهم لدراسة وضع المرأة الشرقية فى الماضى والحاضر

وسرعان مايتبين لأى باحث منصف . ان عليه الا يغفل وهو يعالج كل مظاهر الحياة فى القرون الوسطى . مقارنة حياة المرأة فى الشرق بوضعها فى الغرب وعندها سيجد ان الغرب لم يكن يفرق بين الحرائر والجوارى . ولايعتبر المرأة ككائن بشرى تتمتع باى حقوق ويعاملها كناقصة الاهلية .

وفى هذا المقال ننتقل من الديالوج اى الحوار مع الغير . الى المونولوج اى الحوار مع الذات . حتى نتعرف على عالم الحريم فى الشرق وحتى نتخلص مما ترسب فى وجدان الرجل الشرقى من بقايا هذا العصر . ولكى نتخلص مما تبقى من قيود لانطلاقنا نحو افاق المستقبل .

المرأة هى
المرأة تستطيع ان
تحطم كل القيود





يزخر التراث العربى بحكايات الجوارى والحريم ، وتحفل المكتبة الغربية بكتب تقدم عالم الحريم السحرى ، وتسجل الكاميرا بقايا هذا النظام الذى ادركته قبل ان يندثر ، كما تحفل هذه الكتب بلوحات فنية رسمها كبار الرسامين ، وابرز هذه الكتب اطلق عليه HARIM الحريم ، **ويضم هذا الكتاب ماتبقى من الصور واللوحات ، وقد اعدته سيدتان احداهما شرقية والاخرى غربية ، والشرقية هى نادية النازى من المغرب ، والاخرى إيطالية هى انابيل ديوارت .**

ويحفل الشرق بصور الحريم ، كنظام اجتماعى يفصل عالم الرجال عن عالم النساء ، وتتوالى مشاهده فى الدولة الاموية ثم الدولة العباسية وفى مصر الفاطمية والمملوكية . ولكنه تبلور وشهد اوجه فى الدولة العثمانية .

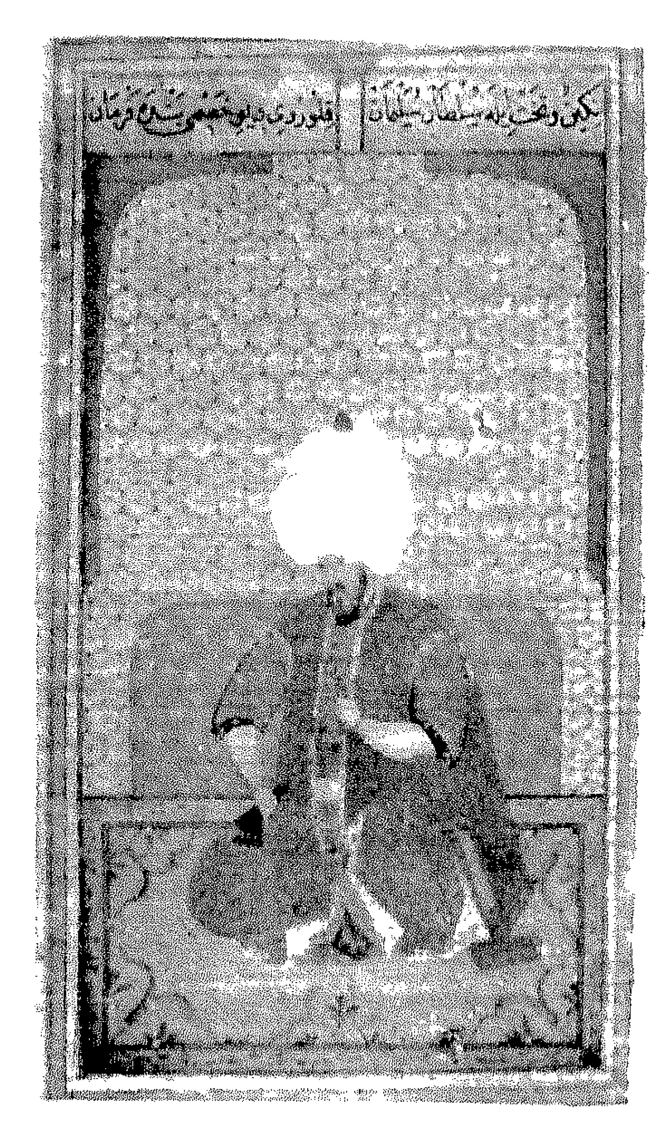
● روكسلانة

لاتصدقوا الغرب عندما يتحدث عن الحريم ، فالمراة هى المراة دائما ، تستطيع بأنوثتها وجمالها ورقتها ان تحطم كل القيود ، وتقفز على كل النظم ، بل وتصل بنفوذها الى عزل واختيار السلاطين .

وقصة روكسلانة التى بدأت كواحدة من حريم السلطان ، خير شاهد على مدى سيطرة المرأة حتى لو كانت داخل قفص من ذهب . لقد نقل قصتها القناصل وسجلتها كتب التاريخ .

فرغم القيود الرهيبة التى فرضت على الحريم ، وبرغم النظام القاسى الذى خضعت له ظهرت فى تاريخ الدولة العثمانية تأثيرات سياسية كبيرة لبعض ساكنات « الحرملك » واكثر القصص اثارة، هى قصة غرام السلطان سليمان القانونى ، اقوى سلاطين الدولة العثمانية ، وروكسلانة التى تعنى باللغة التركية « الروسية » ، فقد اختطف النخاسون روكسلانة من وسط اهلها فى بلاد القوقاز ، وكانت ابنة احد رجال الدين ، ولم ترض بحياتها فى القصر كمجرد جارية ، وهى التى حباها الله ـ علاوة على الطموح والذكاء ـ الجمال والرقة وخفة الروح ، ورهافة الشعور ، وكانت ذات دلال واغراء ، وكان لاغرائها تأثير مدمر على مصالح الدولة فقد هام بحبها السلطان ، وخضع لها ، فاستمدت قوتها وسيطرتها من ضعفه ، ووصل السلطان الى الشيخوخة ، فسيطرت على قلبه وعقله ، وهو يسعى معها الى استعادة ايام الشباب وعنفوان الصبا ، فبلغ نفوذها الذرى ، ووجهت البلاد على النحو الذى تريده ، كل ذلك من مقصورتها ، التى اطلق عليها اسم « القفص » ومحرم عليها الاتصال بالعالم الخارجى وعندما انجبت له البنين والاناث اعتقها واصبحت كلمتها هى الأولى فى شئون الدولة ، بعد ان احتجب السلطان لديها فلم يعد يطيق بعدها ، وحتى تخلى عن احد تقاليد السلاطين فى قيادة الجيوش ، وادركت الدول الأوربية نفوذها ، وعندما رأت الخيوط السياسية تتجمع بين أناملها ، وتجاوزت كل النظم الموضوعة ، أخذت تسعى الى ان يصبح ابنها سليم وليا للعهد بدلا من مصطفى الابن الأكبر للسلطان من زوجة اخرى ، وعملت على افساد العلاقة

بين السلطان وام مصطفى ، وتحرشت بغريمتها وتشابكت معها بالايدى وتركت غريمتها تكيل لها اللكمات وتنزع بعض خصلات شعرها الذى يهيم به السلطان ، وظهرت الخدوش على وجهها الباسم الجميل ، وكان ماحدث الخطوة الأولى من خطة اعدت لها باحكام ، واحتجبت وامتنعت عن السلطان وهى تدرك اثر هذا الاحتجاب وكلما أرسل فى طلبها ، قالت "انها ليست جديرة بالمثول بين يديه ، فهى مجرد لحم يباع ويشترى" وهى العبارة التى وجهتها إليها غريمتها ، وبعد تمنع جاءت الى السلطان على استحياء وخفر ، وعيناها الجميلتان تمتلئان بالدموع ، وروت له سبب تأخرها ، فجن جنون السلطان ونقل الامير مصطفى ولى العهد بعيدا عن العاصمة ، وحاكما على اماسيا وتتابعت الخطة ، فسعت الى عزل الصدر الاعظم ، لما له من تأثير على السلطان ، فهو زوج شقيقته ، وله حظ كبير من العلم والثقافة والنفوذ ، ويقف حجر عثرة أمام أهدافها ، فعزل الصدر الأعظم بل وامر السلطان باغتياله وهو يدخل القصر استجابة لدعوة على العشاء على مائدة السلطان ، ثم وقع اختيارها على احد الباشوات هو رستم باشا ليكون عونا لها فزوجته « محرمة » احدى بناتها الجميلات ، تمهيدا لاختياره صدرا اعظم ، وضربت ضربتها بعد أن أحكمت خطتها ، وادعت ان مصطفى يطالب بتنحية والده الطاعن فى السن عن العرش ، فلم يعد يقود الجيوش ويخوض المعارك القائمة بين الدولة العثمانية ، والدولة الصفوية ، عام ١٥٤٨ ، بل وقيل ان هذه الحرب كانت



السلطان سليمان القانونى

بتدبير روكسلانة ، وانها كانت تتبادل الرسائل السرية مع الشاه .

وسرعان ماتخلص سليمان القانونى من ابنه وولى عهده بقتله ، وتم ذلك بفتوى مزيفة من شيخ الاسلام ابى سعود ، فقد حصل السلطان على الفتوى بان سأله على النحو التالى :

● غاب تاجر ثرى عن العاصمة ، وعهد الى عبده الاشراف على اعماله ، ولم يكد التاجر يسافر حتى سعى العبد لسرقة اموال سيده ، وتدمير تجارته وتآمر على حياة زوجته واولاده ، فما هى العقوبة التى



• الزوجة المخلصة تقدم لزوجها الجوارى الحسان تقربا من الله

تدفق على قصر السلاطين أجمل
الجوارى الحسان من مصادر عديدة





يستحقها هذا العبد ؟ فاجاب شيخ الاسلام ، انه يستحق الاعدام ، فاعدم السلطان ولده عندما دخل على ابيه فى خيمته فانقض عليه ثلاثة من الجلادين وقتلوه امام السلطان الذى اعماه الحب عن عاطفة الابوة .

وقد روى هذه القصة السفير الفرنسى فى اسطنبول ، وعلق عليها المؤرخ الامريكى ليبير LYBYER بقوله : ان هذه الفتوى جعلت السلطان يزداد تصميما على قتل ابنه ، قياسا على ان خيانة الابن لابيه لاتقل عن خيانة العبد لسيده .

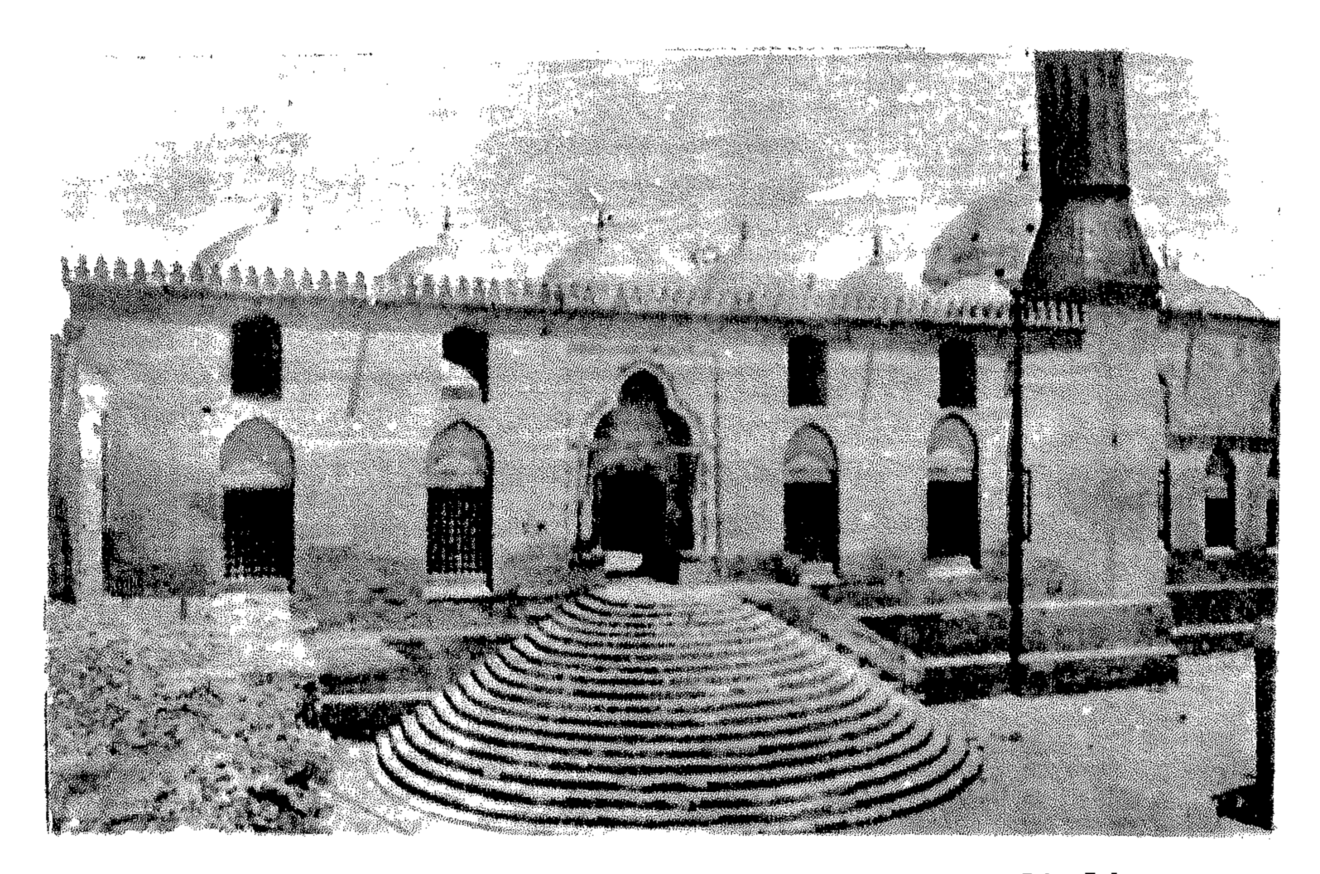
واشعلت هذه الحادثة الحرب الأهلية فى الدولة العثمانية عندما رفض ، الانكشارية سليم ابن روكسلانة كولى للعهد ، وانقسمت البلاد بين مؤيدين لسليم ومؤيدين لاخيه ابى اليزيد .

وتوفيت روكسلانة قبل نهاية الحرب وقبل اطمئنانها على تحقيق هدفها ، وحزن عليها السلطان ، وتقرب لذكراها عندما سار على راس جيشه ، وهو فى شيخوخته لمحاربة ابنه ابى اليزيد ، وهزمه عام ١٥٥٩ وذبحه هو واولاده الخمسة ، وتحقق هدفها بعد وفاتها وتولى السلطان سليم عرش ابيه ، واطلق عليه الاهالى سليم السكير وسليم الروسى نسبة الى امه الروسية .

● اربع نساء

ولم تكن روكسلانة وحدها صاحبة النفوذ المدمر والتى دربت وخرجت من الحريم ، فيذكر المؤرخون ان الدولة قامت فى عهد مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) على اربع دعائم كلها من النساء ، وهن والدة السلطان اى « سلطانة والده » واسمها نور بانو اى سيدة النور ، والتى تمتعت بنفوذ لايقل عن معاصرتها كاترين دى موتشى ملكة فرنسا الوالدة ، والدعامة الثانية هى صفية زوجة السلطان ، التى لايزال فى القاهرة مسجد يحمل اسمها ، وكانت تنتمى الى اسرة نبيلة من فينسيا « البندقية » وكان والدها حاكما على جزيرة كورفو ، وخطفها القراصنة ، عندما كان عمرها اربعة عشر ربيعا ، ودخلت الحريم كجارية ، وانتهت زوجة السلطان وام اولاده ، ولم تنس يوما عائلتها ولا اصلها فعملت على التأثير على السياسة الخارجية للدولة على نحو يخدم مصالح البندقية ، اما الثالثة فعصمت اخت السلطان مراد وزوجة الصدر الاعظم ، والأخيرة سيدة عجوز تسمى جانفيد خاتون ، وهى المسئولة عن الحريم ، معظم الليالى للسلطان وتوفر له اسباب المتعة ، وقيل ايامها ان مشتريات القصر فى الجوارى زادت زيادة لم تحدث من قبل .

وعندما نشب الصراع بين والدة السلطان وزوجته صفية ، احاطت الام ابنها بعدد من الجوارى الفاتنات ، لعله ينصرف عن صفية وهو الشغوف بالنساء والجمال والمتعة ، وتستأثر هى بالنفوذ وينصرف السلطان للهوه ومتعه ، وتحفل أوراق السفراء بتفاصيل هذا الصراع ، فيكتب دى جير مينى السفير الفرنسى



مسجد صفية بالقاهرة .. وصفية من فينيسيا وقد لعبت دورا هاما فى حريم السلطان

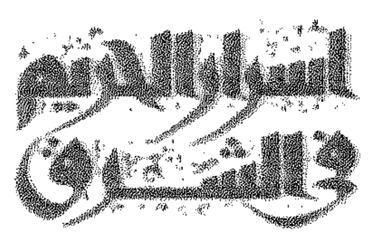
مذكرة لحكومته .. "ان الحريم يقمن بدور كبير ، فى حكم الدولة ، تقودهم السلطانة الوالدة ، وهى تسيطر على الباشوات وتضفى عليهم العديد من مظاهر الرعاية" ، ويعلق الفريد دامبو أحد المؤرخين الفرنسيين ، ان السلطان مراد يعتبر من السلاطين التنابلة ، ويأتى ترتيبه الثانى بعد والده السلطان سليم الثانى .

ولم ينتهِ نفوذ صفية عند موت السلطان فقد ارتقى العرش محمد الثالث (١٥٩٥ ـ ١٦٠٣) وهو احد اولادها ، واطلق عليه الاهالى السلطان نصف البندقى ، وأصدرت صفية بدورها اوامرها بتقديم الجوارى الفاتنات لابنها السلطان ، وتقوم هى بتصريف شئون الدولة بينما ينصرف الابن للفاتنات ، وعند وفاة السلطان ، قام السلطان الجديد ، بتجريد جدته العجوز صفية من كل نفوذها وامر بحبسها ومنع الاتصال بها .

يلاحظ ان التغريب تم من خلال الحريم ، فالسلطانة مرة يونانية ومرة ايطالية وثالثة روسية .

وكثيراً ماينشب الصراع بين اليونانية والروسية على التاثير على الدولة العثمانية .

وجميع السلاطين الذين حكموا بعد محمد الفاتح سنه ١٤٨١ ، تركوا الزواج من الحرائر وانصرفوا الى الجوارى اللائى يمتلىء بهن القصر وتزوج عدد من السلاطين من الأجنبيات ، فكان الحريم السلطانى يضم غالبا زوجة أجنبية إلى جانب الزوجات العثمانيات ، وبدأ الزواج من الأجنبيات منذ عهد عثمان الأول (١٢٩٩ ـ ١٣٢٦) ، واختار عثمان



وحفلت حياتهن بالترف ، يرتدين الثمين من الملابس ويتفنن في الزينة





لنفسه زوجة مسيحية من قيليقيا ، ورشح سيدة يونانية رائعة الجمال زوجة لابنه أورخان وكان يطلق عليها زهرة اللوتس ، ومن وقتها وهناك تقليد للأبناء والأحفاد وهو الزواج من الأجنبيات ، وانجب السلطان أورخان من زهرة اللوتس ابنا تولى العرش هو السلطان مراد الأول (١٣٥٩ ـ ١٣٨٩)، وتزوج مثل أبيه وجده من ابنة ملك بلغاريا بعد حصاره فى نيقوبوليس على نهر الدانوب ، فوافق على أن يزوج ابنته للسلطان مراد ويدفع الجزية ، وعندما تولى العرش أبو يزيد الأول (١٣٨٩ ـ ١٤٠٢) ، أراد أن يتقرب من دولة الغرب ، فتزوج من أوليفيرا ابنة لازار ملك الصرب ، وصار على ذات الدرب مراد الثانى (١٤٢١ ـ ١٤٥١) فتزوج من مارا ابنة أمير الصرب جورج برانكوفتش ، واستمر الحال على هذا النحو ، وهناك مثل آخر صارخ ، عندما تزوج السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧) من سيدة يونانية ، وانجبت منه ولدين تربعا على العرش الواحد بعد الآخر ، وهما مراد الرابع (١٦٢٣ ـ ١٦٤٠) وابراهيم الأول (١٦٤٠ ـ ١٦٤٨) .

وهذه الحكايات الواقعة التى سجلها المؤرخون داعبت فى نفس الوقت خيال الكتاب والفنانين ، وبدا لهم عالم الحريم كأنه سر الأسرار ، ورويت الأساطير عن السلاطين الكبار ، الذين غرقوا حتى اذانهم فى قصص حب الجوارى الحسان ، او كما قالت شهر زاد فى الف ليلة وليلة . « الا تعرف يامولاى ان السلاطين والملوك والامراء . هم عبيد النساء المليحات التى ترى فيهم مجرد ادوات لتحقيق طموحهن ، وكم عدد العشاق الذين احنوا هاماتهم من تاثير سحر النساء ؟ وكم عدد العشاق الذين تخلو عن ثرواتهم واوطانهم وابائهم وامهاتهم من اجل لحظ امرأة ، وكم ممالك ضاعت من اجل امرأة ، فالجنس الناعم اللطيف سيطر دائما على القصور ، ومن اجل الجميلات طرزت احلى المنسوجات وعزفت اجمل الالحان ، ومن اجلهن جاب الرجال العالم يبحثون عن العنبر والمسك ، فالنساء سر الجمال فى الحياة ، يملأن العالم بالبهجة والمتعة .

● مصدر الحريم

الجارية ، هى كل امرأة أخذت اسيرة فى الحرب ، او نقلت غصبا ، من بلاد الاعداء ، ولايجوز ان تسبى المسلمة او تسترق ، كما ان الجارية هى التى تنجبها امة ، او تشترى من الاسواق ، واشتدت ظاهرة الجوارى بروزا فى عهد الدولة العباسية ، وبعد توقف الحروب اتجه الراغبون فى الحصول على الجوارى عن طريق الشراء ، وقد حفلت حياتهن بالترف ، يرتدين الشفيف من الملابس ، ويتفنن فى الزينة ، وفى تعطير اجسامهن ، وابراز محاسنها ، ويتناولن اشهى الاطعمة ويتمتعن بقدر كبير من الاعزاز والاكرام ، ومن اجلهن اهدرت الأموال وقيل عنهن « سلع الجمال والمتعة » وكان عدد الجوارى يفوق الحرائر فى القصور ، ووصلت الجوارى الى بلاط الخلفاء وقصور الامراء والقادة ومنازل الاثرياء ويقدم الجوارى الوانا

مختلفة من الفنون وتنحصر مهمتهم فى بعث البهجة فى قلوب اصحابهن بما يتقنه من الرقص والغناء ، وسعى بعض الخلفاء الامويين وخاصة معاوية إلى إقصاء الجوارى عن النفوذ وحصرهن فى الخدور .

بينما كان الخليفة الاموى الوليد بن عبدالملك هو اول من ابتكر نظام عزل النساء فى مكان خاص سرعان ماتسللت الجوارى الى نسيج المجتمع الشرقى ، واعتقد البعض ان زواجهم من الجوارى يؤدى الى انجاب اولاد اشداء اقوياء وظهور اجيال صاعدة واخذ نفوذ الجوارى يزيد فى بلاط الخلفاء ، واخذ الخلفاء يستجيبون لرغباتهن واصبحن مركز قوة ، وكان هارون الرشيد اول من اسرف من العباسيين فى تقريب الجوارى اليه ، واسهمت الجوارى فى مؤامرات البلاط التى تحاك لخلع خليفة وتعيين اخر .

● جوارى السلطان

كان يتدفق على قصر السلطان العثمانى اجمل الجوارى الحسان ، ويحصلون عليهم من مصادر ثلاثة ، شرائهن من السوق وكان امين جمرك العاصمة يأخذ حاجة القصر السلطانى من الفتيات التى تتراوح اعمارهن بين العاشرة والحادية عشرة ، واسيرات الحروب ، والمصدر الثالث الهدايا التى يتلقاها السلطان ولم تكن هذه الهدايا سوى جوار اية فى الجمال يقدمهن كبار موظفى الدولة ، او حكام بعض الدول الأوربية بعد ان يحضرن دراسات تكسبهن مهارات شتى .

ويأخذ السلطان حاجته من اولئك الفتيات ليكون لديه رصيد نسائى كبير ، ولكى يشبعن كل الأذواق والفنون ، ويصبحن ملك يمين السلطان ويعشن عيشة رغدة ، وينتظرهن مستقبل هانىء .



السلطان محمد الفاتح

● إعداد الحريم

بعد التحاق الجوارى بالقصر تعد لهم دراسات فى الثقافة والسلوك وفى اللغات ، واذا كان لدى الجارية استعداد عقلى اضيفت دراسات خاصة ، ثم دراسات اخرى فى التاريخ والجغرافيا ، والبعض الاخر من ذوى الاستعداد يدرس الموسيقى والغناء والرقص ، وكانت الجوارى تنتظمن فى مجموعات قوام كل مجموعة عشر جوار ، وتشرف رئيسة على كل مجموعة . ومع مضى الايام تزداد الجارية جمالا فى الخلق ، ورشاقة فى



الجسم ، وعمقا فى الثقافة وادبا فى الحديث ورهافة فى الحس ، وكان لابد أن يتحدد مستقبلها عند سن الخامسة والعشرين فيعتقها السلطان ، ويأذن لها كسيدة حرة فى الزواج من احد كبار العسكريين أو المدنيين وكان السلطان هو الذى يختار لها الزوج . وقد تجذب الجارية انتباه السلطان ويعتقها وتنجب منه ولدا او بنتا وتصبح اما لاولاده فيعلو مركزها ، فالحريم السلطانى تعنى مدرسة لاعداد الجاريات ، وزوجات كبار قادة الدولة .

وقد كان هذا النظام قائما فى مصر حتى عصر الخديو اسماعيل ورأينا ان سبعة من قادة الثورة العرابية ، كانت زوجاتهم من حريم الخديو اسماعيل .

● العصر المملوكى

وانتعش نظام الجوارى فى العصر المملوكى فى مصر ، فنظام الحكم قائم على الرق ، وشغف الناس باقتناء الجوارى ودفع الاموال الطائلة ثمنا لهم ، فوصل عدد جوارى الظاهر - بيبرس الى مائتى جارية - ابن اياس - وبلغ عدد جوارى الناصر بن قلاوون اكثر من الف ومائتى جارية وهو الذي بنى لهن القاعات السبع التى تشرف على ميدان القلعة ، اما برسباى سنة ٨٤٥ هـ ، فكان لديه اقل من مائتى جارية .

والذى يحسن قراءة هذا العصر يلاحظ ان الجارية او العبد كان يعتبر احد افراد العائلة ، تحدد الشريعة حقوقه وواجباته ، وسبق المماليك العثمانيين فى زواج سلاطين المماليك للجوارى وكانت الزوجة الأثيرة لدى السلطان الناصر بن قلاوون هى طغاى الجارية ، ويروى ابن تغر بردى فى حوادث سنة ٨٧٠ هـ ايام السلطان خشقدم الذى تزوج جاريته سورجاى الشركسية . وجعلها خون الكبرى صاحبة القاعة .

ويبين مكانة الجارية المقريزى بقوله عند حديثه عن احد حمامات القاهرة . "فى هذا الحمام حصة وقفها الشيخ الضرير برهان الدين على امته" كذلك ماتشير اليه بعض وثائق الوقف من حرص السلاطين وكبار القادة على توفير مورد ثابت للرزق لجواريهم عقب وفاتهم ، مثل ماجاء فى وصية احدى السيدات لزوجها وهى على فراش الموت ، تقول : "ان جاريتى قامت برعايتى فى مرضى كما لو كانت أكثر من امى او اختى ، وارجوك الا تبيعها او ان يشتريها احد والا تهان فى اى صورة" .

● يهود الأندلس

ويذكر المسعودى فى مروج الذهب ان الدولة العباسية اعتمدت على النخاسين الجوابين فى اطراف المعمورة لشراء الجوارى .. وكان يهود الاندلس يتوغلون . فى مجاهل اوربا وينتقلون الى روسيا ، ويحملون من هناك جماعات من الجوارى السلافيات والجرمانيات اللائى عرفن فى بلاد العرب باسم الصقلبيات وقد صادفن سوقا رائجة لبياض بشراتهن ، وطول اجسامهن وبما تحلين به من الجمال ، فترفن فى معيشتهن .. وتوغل بعض النخاسين فى بادية تركستان واشتروا



وارتبط عصر الحريم فى ذهن العالم ، كذبا ، بالترف الحسى

هناك الفتيات من ابائهن ونقلوهن الى سمرقند حيث عنوا بشئونهن وهذبوهن وكان بعض العمال يجعلون فى خراج الاقطاع جماعات من السبايا ، يوجهونهن الى الخليفة ، منهم ابن طاهر الذى اهدى إلى الخليفة المتوكل هدية فيها مائتا وصيفة ووصيفة .

ومن أجل الجوارى غالى البزازون والعطارون فى أسعار سلعهم ، وحيكت المؤامرات ، وتدله بهن العمال والأمراء والقواد والخلفاء ، وتفنن النخاسون فى تزيينهن وتعطيرهن لما يحصل من ورائهن من مال . حتى وصل عددهن فى العصر العباسى ما يفوق كثرة الحرائر ، او كما يقول الجاحظ بمنزلة الشام والتفاخ الذى يتناقله القوم بينهم ، وقد أحصى عدد الرقيق فى قصر الخليفة فإذا به يزيد على ألف ، ويذكر المسعودى أنه كان للمتوكل إثنا عشر ألف سرية ، وعندما انتصر صلاح الدين الأيوبى على الفاطميين وجد فى قصورهم اثنى عشر ألف نسمة كلهم من النساء ، ليس فيهم من الذكور سوى الخليفة وأبنائه ، حتى قال ابن حزم : "لم يل الخلافة فى الصدر الأول من أمة آمه حاشا يزيد وابراهيم ابنى الوليد ، ولا وليها من بنى أمية بالاندلس من أمة حرة أصلاً" .

ومن أغرب ما نقرأه عن هذه العصور ، أن من مميزات الحرائر الكاملات الصفات إهداءهن ازواجهن الجوارى المليحات من



مـالهن الخاص ، وروى عبـدالرحمن الجبرتى عن إحدى زوجات أبيه أنها كانت ، لصلاحها وبرها بزوجها ، تشترى له الجوارى من مالها وتحليهن بالذهب والثياب وتقدمهن لزوجها طلباً للأجر والثواب .

وكلما زادت الجوارى خلاعة ، وتعلمن الفن والغناء وتطيين وتزين ، ازدادت الحرائر تحفظا لكى يتميزن عن الجوارى .

● فى العصر العثمانى

تأخذ الدولة الاسلامية فى العصر العثمانى صورة جديدة مع وصول الاسلام حتى قلب اوروبا ، وبانتقال مركز الحكم إلى تركيا ، ويعتبر البعض هذا العصر ، العصر الذهبى لنظام الحريم ، بعد أن اصبح له قواعد ممكنة ودقيقة ، وله تقاليد كثيرة ومعقدة ، فقد وقع تطور هذا النظام فى ضوء تأثير العادات التركية القديمة ، حتى وصل حريم السلطان إلى عدة مئات ، وكان حريم السلطان اللائى وصلن إلى عدة مئات ، لايخرجن من القصر ، سوى مرة واحدة فى فصل الربيع فى معسكر يقام خارج المدينة ، يصلون اليه فى موكب كبير ومهيب وفى احتفال يحرص الجميع على مشاهدته ، عندما يخرج من القصر ويعبر المدينة ويسير أمامه عدد من الرجال الأقوياء .. يطلق عليه باللغة التركية « بلطجى » ، والذى يحمل عصاه لكى يعرق الناس ويوسع الطريق لموكب الحريم ، بل ويمنعهم من إطالة النظر فى حريم السلطان !

● الحريم السلطانى

اخذ سلاطين آل عثمان بنظام الحريم فى قصورهم ، وكانت أسرة السلطان هى مركز الدائرة والحكم بالنسبة إلى جميع الهيئات والطوائف التى تعمل فى منطقة الحريم ، وكانت تخصص عدة أجنحة فى القصر لسكنى والدة السلطان إذا كانت على قيد الحياة ، ومعها زوجات السلطان ، ثم بنات السلطان وأولاده الصغار ، ثم الجوارى اللاتى يعشن فى القصر ، ويشغل بعضهن عددا من الوظائف فى القصر ، يضاف إلى الجوارى فئتان كثيرتا العـدد من الخصيان البيض والخصيان السود ، وعليهم رؤساء يطلق عليهم رؤساء أو أغوات الخصيان ، ويوكل اليهم حـراسة « الحـرملك » وخدمة ساكناته ، وأجنحة الحريم هذه كانت عبارة عن مبان مستقلة فى عمارة فخمة بها العديد من الحجرات والقاعات المزخرفة ، ويطلق على كل مبنى « دائرة » وكثيرا ما تخصص دائرة لكل سيدة من أم أو زوجات أو بنات السلطان ..

ويعيش الحريم السلطانى وراء الأسوار العالية بعيدا فى عالم السحر والخيال ، ويذكر المؤرخ دوسو أنه واجه مصاعب كبيرة فى الوقوف على تفاصيل حياة الحريم ، وأنه اتصل بعدد من زوجات السلاطين اللاتى غادرن القصر بعد وفاة أزواجهن وكل من كانت لها صلة بالحريم ، وقدم الهدايا خلال اقامته فى اسطنبول مابين عامى ١٧٨٨ ـ ١٨١٨ ، وأن هذا



نماذج من الحريم فى المغرب ..

الجانب من بحثه ، استغرق جهدا طويلا وحصيلة ضئيلة ..

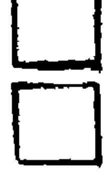
● « الحرملك »

تحاط منطقة الحريم بأسوار عالية تقوم عليها حراسة مشددة ، يصل إليها ممر طويل به اربعة أبواب اثنان من الحديد وبابان من البرونز ، يحتفظ بمفاتيح هذه الأبواب ليلا ونهارا الخصيان السود ، وتعد منطقة الحريم منطقة مغلقة ومحرمة لايسمح لاحد بدخولها أو الأقتراب منها أو النظر إلى ساكناتها الا لرجل واحد هو السلطان والخصيان وحدهم الذين استؤصل من اجسامهم أعضاء التناسل يقومون على خدمتهم ، وبذلك يطمئن السلطان من اى شبهة خطر ، وحدث فى عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) ، ان تجرا مواطن من البندقية وحاول أن يرى الحريم من خلال نظارة مقربة ، فأمر السلطان بشنقه ، ودفع حياته ثمنا لفضوله ، وكرر المحاولة ارمنى كان يعمل مترجما للسفير الفرنسى ، فأسرعت السلطات العثمانية بشنقه قبل أن يتدخل السفير الفرنسى

ويلاحظ ان عزلة النساء هى أحد التقاليد الشرقية ، وتاكدت فى الدولة العثمانية ، ولم يكن يسمح لأية سيدة من زوجات السلطان حتى الخادمات بالخروج من القصر إلا فى حالات نادرة ، حين يصحبها السلطان لزيارة احد القصور الصيفية ، وإذا ارادت ساكنات الحريم التنزه فى حدائق القصر ، كان عليها ان تحصل على إذن السلطان ، وعندما تتخذ سلطات القصر احتياطات لمنع اى شخص من النظر إليها ، واصبحت كلمة « الحريم » .. تعنى الممنوع والمقدس

● السلطان والحريم ●

توجد قصور الحريم وسط حدائق غناء منسقة ، وبها عدد من الساحات المكشوفة ، وكان للسلطان مقصورة خاصة وسط أجنحة الحريم ، وبها غرفة نومه وحمام وقاعة استقبال يؤدى فيها فروض الصلاة ، تصحبه الكايا ـ كبرى موظفات الحريم ـ وهى التى تنظم الأوقات التى يقضيها السلطان مع ساكنات الحريم ليلا ونهارا ـ حتى لا يغفل عن شئون البلاد ـ كما تنظم أوقات تنزهه فى حدائق الحريم ، ويطلق على هذه الزيارات « خلوت همايون » أى الخلوة السلطانية ولدخوله طقوس فلابد ان يلبس صندلا م فضة كى يحدث رنينا على الأرض المكسوة بالرخام .

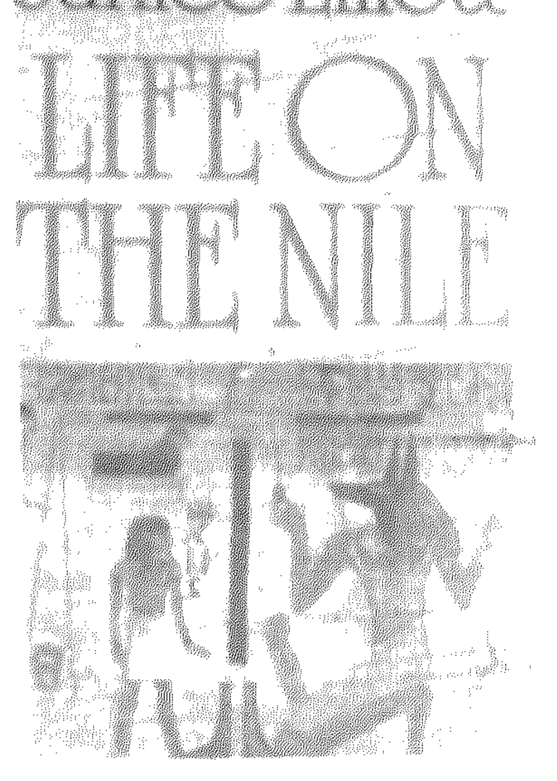


الحياة على النيل

رواية انجليزية فى حب مصر

بقلم : د . على الراعى

حب مصر يضوع ويتالق فى رواية انجليزية معاصرة : « الحياة على النيل» للكاتبة جانيس اليوت .





● نظرت شارلوت الى زوجها ليو وقالت : «هل يعمل «هال» لحساب المخابرات الأمريكية ؟ قال الزوج وهو يتثاءب ، اظن ذلك . وان كنت لا اقطع ، كانت قنبلة قد انفجرت خارج فندق هيلتون النيل . وقال «هال» : ان تنظيم ثورة مصر هو اخطر من تنظيمات الاصوليين . انهم ينادون بعودة ناصر .

وهال هو المثل المجسم للأمريكى ذى النفوذ ـ السرى خاصة ـ الذى يعيش فى دول العالم الثالث . فى مصر يتحدث

بصلف وقحة عن مصر والمصريين مشاكلهم عديده السكان خمسة وستون مليونا فى منتصف الحقبة القادمة مشاكل الاسكان وموارد المياه مشاكل مع دول الجامعة العربية مشكلة اسرائيل . الطبع المصرى . لديمقراطية الصورية . يريدون عودة ناصر . لولا الولايات المتحدة لعاشوا فى صناديق من الكرتون . سكان القبور . النيل شح ماؤه . يخدعون انفسهم ويعلنون براءتهم فى حادث «اكيلى لاورو» . يريدون ان ينشئوا العلاقات مع امريكا والاتحاد السوفييتى ويحتفظون بشرفهم . انظر ما فعلوه بالروس . بنوا لهم السد ، ثم طردوهم من بعد !

ويمضى هال فيقول : صاروخان من ليبيا كفيلان بتدمير خزان اسوان ، ومن ثم تخرج مصر من اللعبة . عندما كانت حرب الخليج مشتعلة كانت الدول العربية ترسل القبلات لمصر . طمعا فى الجيش المصرى طبعا . إن مصر جائعة وهذا موقف يلائم الاصوليين ثم أن بعض الرسميين يتعشقون أمريكا ... وهناك خط اوتوبيس مباشر من هيلتون النيل حتى تل ابيب .

وتسأل شارلوت عميل المخابرات الامريكية هذا : " **مادمت تحتقر المصريين الى هذا الحد ، فلماذا تعيش بينهم ؟**

فيرد : اكتشفت انهم أطفال ، ومن ثم احببتهم ! فتحاوره شارلوت : هذا هو موقف المتفضل . وهو موقف لا يطاق . ولا اظنك تؤمن أنت نفسك بما تقول . ويرد هال : وما هو حالكم انتم ايها الاستعماريون الانجليز القدماء ، تظنون ان المصريين يحبونكم ؟

فترد شارلوت . لا اظن انما اردت أن أوضح أن عهد الامبراطوريات قد ولى

وكانت شارلوت قد سألت «ماكس ستيلر» - يهودى انجليزى انفق سنوات فى بحث عن يوسف الصديق . سألته عن رايه فى هال فقال : ومن يعرف هال حقا ؟ لم أر من قبل رجلا له كل هذا الجمع من المعارف . إن الامريكان هم رومان العصر الحديث . يتبخترون فى العالم كله - لهم طبع بربرى فى قسوته واقوالهم اقوال المنافقين .

وتسأله شارلوت : هل حقا يدعم الامريكيون مصر اقتصاديا ؟

فيقول : نعم . إن للامريكيين اقطاعية تضم معا أبناء اسرائيل وعباد الله المسلمين .

ومن فورنا ندخل فى خضم جماعة من السواح من اجناس مختلفة تمتد من أوروبا الى استراليا ، كلهم جاءوا لمشاهدة آثار الفراعنة فى الصعيد . يستضيفهم الامريكى هال ويرعى شئونهم . يفعل هذا «لمعاونة» السياحة المصرية ان الرسميين المصريين يريدون ان يقنعوا السواح بأن مصر بلد أمن ، فيتقدم لهم هال بفكرة استخدام لافتة المركز الامريكى فى مصر على أن يتساهل المصريون فى إدخال السواح وينفقوا عليهم من أموال المساعدات الأمريكية - ولايدققوا فى المبالغ المدفوعة ، فيخرج هال من عمله هذا بنصيب .

ليس «هال» وحده هو الذى يعادى المصريين . هناك امرأة أوقح منه واشد عداء . الفرنسية اللبنانية المولد : تينا فهمى التى تزوجت من قبطى طبيب القلب ، أهلكت من قبله عددا غير معروف من الأزواج . كانت فى حاشية فاروق .

وتعرفت الى السادات وزوجته . وتعرف من اين تشترى جيهان ملابسها إنها امراة نجت من كل الثورات

تقول شارلوت من اسف أن رؤية السرابيوم قد فاتتنا . فترتعد نينا فهمى وتقول : مكان فظيع رايته فكدت افقد عقلى . توابيت حجرية لموتى الثيران . هؤلاء القدامى وكل هذا الهوس بهم - لم يكونوا إلا مجرد برابرة . والا فما السبب فى الغزوات المتتالية التى اجتاحتهم ؟ وتريدين أن تركبى النيل ؟ ارجوك ، لاتفعلى ابدا . ابدا . ابدا . لاتضعى فيه ولو اصبع قدمك الصغير .

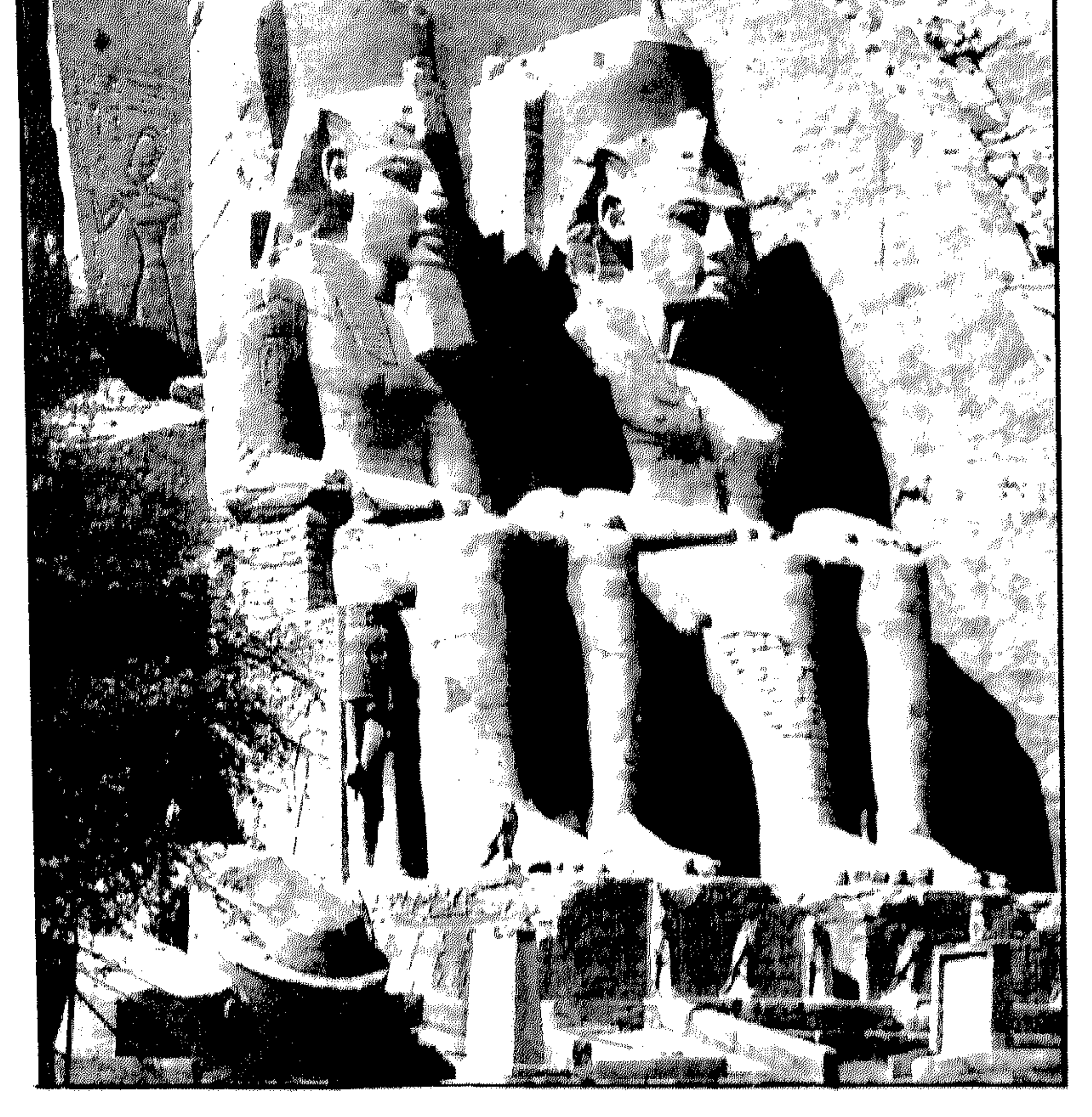
وتسأل شارلوت اهو قذر الى هذا الحد ؟ فتقول نينا : انه مجرور ! غير أننى اتحدث عن البلهارسيا . الدودة التى تدخل جسدك حتى من خلال أصبع صغير ، وتدمر كبدك .

وتصف الكاتبة اجتماعا لوزير السياحة بزوار مصر . رحب الوزير بالسواح ونوه مساعد له بالمشروعات الجديدة : مترو الانفاق ومشروعات الرى ، والمدن الجديدة ومصانع النسيج الصغيرة فى الريف المحيط بالقاهرة وما تقدمه الدولة لها من دعم وفيها يدرب عمال الريف على الصناعات التقليدية وذكر متحدث اخر آثار مصر ، اعرق آثار العالم . والنيل العظيم . ومركز مصر كقائد طبيعى للأمة العربية ، كقوة طبيعية للسلام والاستقرار فى المنطقة يستطيع الشرق والغرب معا ان يعتمد عليها

لايحب مصر ويحنو عليها الا «عديلة» الشابة المتحمسة التى لم تركن لشرائها وفضلت ان تعمل مرشدة سياحية . وهى ابنة اخت نينا فهمى . تركت دراسة السربون ومباهج الاقامة فى باريس ووجهت جهودها لخدمة السياحة فى مصر . إنها تلوم خالتها على الكلام الفظيع الذى تقوله الخالة ضد مصر وتحذر شارلوت من ان تصدقه قائلة ان خالتها ليست مصرية . وان مهنة الارشاد السياحى التى انفقت اربع سنوات فى تعلمها هى مهنة مفيدة ومحترمة .

ويحب مصر ايضا شارلوت التى تصبح شخصية محورية فى الرواية ، بحكم موقفها الموضوعى المشرب بالعطف على مصر : الحديثة والقديمة معا . وبسبب المهمة التى ندبت نفسها للقيام بها فى مصر . ذلك ان شارلوت تعمل فاحصة للنصوص لدى احدى دور النشر . وقد تجمعت لها بحكم عملها خطابات عائلية ونتف من مذكرات ارسلتها وكتبتها سيدة بريطانية تدعى فيبى ، زوجة احد العسكريين الانجليز الملحقين بدار المندوب السامى فى القاهرة . وقد عاش الاثنان فى اوائل العشرينات وحدث ان قتلت الزوجة فى مسكنها فى جزيرة فيله باسوان ، واحيط مقتلها بغموض شديد : هل قتلها بعض النوبيين ، ام نفر من الثوار المصريين الذين كانوا يطالبون باستقلال بلادهم ، ام ترى كان للبريطانيين انفسهم ضلع فى المؤامرة لأسباب سياتى شرحها ؟

تاتى شارلوت الى مصر ، لتحقق فى



معبد رمسيس الثانى فى ابو سمبل

هذا الموضوع ، الشائك . كانت شارلوت قد قرأت الرسائل التى بعثت بها الاديبة البريطانية ليدى دف جوردون الى اهلها من مصر والتى جمعت من بعد على شكل كتاب اصبح احد المصادر الرئيسية لمعرفة الحياة الشعبية فى البلاد ابتداء من ستينات القرن الماضى . وكانت لوسى دف جوردون هذه احدى نجمات المجتمع البريطانى منذ اوائل القرن الماضى . كان ابوها محاميا معروفا واستاذا فى جامعة لندن ، وكانت امها تكثر من حفلات الاستقبال فصادقت الكثيرين من كبار الادباء من امثال ثاكراى وكينجليك وكارليل وديكنز ، ومشهورى الفلسفة ورجال السياسة فى هذا الوسط المثقف نشأت لوسى جوردون ، وكانت جميلة كبيرة الذكاء ، ذات أصالة فى الراى . وقد بلغ من إعجاب الناس بها أن خلدها الادباء فى أعمالهم فهى «الاميرة» فى قصيدة تينسون المعروفة بهذا الاسم . وهى ليدى جوسيلين فى رواية ميريدث

«ايفلن هارنجتون» كما انها تظهر في كثير من المذكرات التي كتبت عن اواسط القرن التاسع عشر .

وقد تزوجت لوسي من سير الكسندر دف جوردون ، وانجبت منه ، وعاشت في لندن تترجم من الالمانية حتى مرضت بالسل عام ١٨٤٩ ، واضطرت الى السفر الى الخارج انتجاعا للصحة ، فامضت شتاء في مدينة الراس ، وجاءت الى مصر عام ١٨٦٢ وظلت فيها حتى ماتت على مركبها في بولاق ١٨٦٩ وسط بحارتها ورجالها الذين احبتهم . وقد دفنت ليدي دف جوردون في مقبرة البروتستانت بالقاهرة .

● حب وعلم نادران

في السنوات السبع التى قضتها لوسى دف جوردون فى مصر تعرفت الى حياة الشعب المصرى من القاهرة حتى اسوان ، وعاشت مع افراده عيشتهم الفقيرة المتقشفة واحبتهم حبا لم يبده قبل احد من الرحالة . لقد أصبحت « الست الانجليزية» واحدة من جمهرة الشعب ، ترعى شئون افراده ، تداوى المريض وتشارك فى حفلات الزواج والختان وتعمل بالزراعة ، وتدافع عن الفقراء بالقول والعمل ، فلما وافتها المنية قالت والاسى يملأ فؤادها : «اننى اعتقد مخلصة ان لدى علما نادرا سيموت معى . ولا غرو، فالعلماء يعرفون ما فى الكتب . اما أنا فأعرف الرجال ، بل أعرف من هو أصعب من هذا : النساء » .

وقد أعجبت مؤلفة الرواية بشخصية لوسى دف جوردون ، فرسمت بوحى منها شخصية فيبى دانكان ، وان كانت جعلتها اكثر انحيازا للشعب المصرى من لوسى دف جوردون . فهذه الاخيرة جاءت مصر قبل ان ترزأ بالاحتلال والاستعمار البريطانيين . لهذا وسعها ان تقدم الحب والعون لأهل البلاد وان تقيم الصداقات مع الكبار والمتواضعين معا ، منحازة طول الوقت الى أهل البساطة من الفقراء والمتواضعين .

أما فيبى دانكان ، فقد صادقت افرادا من المستفيدين بالحركة الوطنية التحريرية الذين هبوا يكافحون الاستعمار البريطانى ، بعد ثورة ١٩١٩ . ووجدت فى حزب الوفد تعبيرا طيبا عن طموح الشعب وتوقه الى التحرر فكان أن تعرفت الى الشابة المناضلة «نيرة» واخيها المكافح احمد ، الذى كانت قوات الملاحقة تطارده فى كل مكان لذلك رصدت فيبى فى مذكراتها قيام اللجنة الوفدية النسائية واستعدادات النساء المصريات لعقد اجتماعات حاشدة للاحتجاج على نفى سعد زغلول الى سيشل كما سجلت احتجاج النساء على سعد واتهامه بقلة الصلابة وتجنب المواجهة مع الانجليز ومضت فى تأييدها للوطنيين الى حد الاجتماع بكل من نيرة وأحمد فى السر . وقد اهدتها نيرة نسخة من قصيدة بول فاليرى : «المقبرة البحرية» وكتبت فى الاهداء : « الى صديقة القلب وصديقة الحرية» وتطلعت نيرة الى يوم تلتقى فيه مع فيبى فى باريس ، بعد أن يكون زوجها قد رقى الى منصب سفير . اذ ذاك سوف تخلع نيرة الحجاب ، وتختار فساتينها من

محلات شانيل . اما أحمد فسيصبح اوزوريس - أى سوف يموت .

ومما يجعل موقف فيبى حرجا بصفة خاصة أن زوجها كان يعمل فى التنظيم السرى للوجود الاستعمارى البريطانى فى مصر وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه العون والتأييد للوطنيين المصريين كان هو يقوم بمهام سرية ، منها التجسس فى السودان لصالح الاستعمار البريطانى . كذلك يبدو أن فيبى قد وقعت فى غرام أحمد الى الحد الذى سمحت لنفسها بأن تعانقه وتقبله . قائلة إن حاجته اليها اكبر من حاجة زوجها . وقد القى هذا الحب على قضية مقتل فيبى كثيرا من الغموض . هل قتلت انتقاما من نشاط زوجها فى التجسس ؟ انتقاما كان المقصود منه الزوج لا الزوجة ؟ هل هو عمل موجه ضد الانجليز من صفوف المناضلين ؟ هل هو جريمة عاطفية ، انتقم فيها زوج من زوجته «لجريمتها» المزدوجة - تصادق المناضلين ، وتحب احدهم وتصرح بهذا فى مذكراتها ؟ هل قتلها الخادم امير ام النوبيون ؟ هل سمحت السلطات البريطانية - عامدة - لأحمد حازم بالهرب ، حتى لايصبح هذا شهيدا فى نظر الثوار . عملت السلطات على التعتيم على مقتل فيبى فى سبيل تحقيق هذا الهدف ؟ احتمال «الجريمة العاطفية» تقول به نينا فهمى ، بينما تؤيد سيدة عجوز تدعى يانسى - هى ابنة فيبى التى انقذت من جريمة القتل ، القول بأن بريطانيا هى التى «قتلت» امها .

● صورة فنية واقعية

تنتهى الرواية وشارلوت عاجزة تماما عن أن تقطع براى . ولكن مؤلفة الرواية تكون قد نجحت فى رسم صورة فنية واقعية واخاذة لمصر اواخر الثمانينات ومصر أوائل العشرينات وأظهرت بساطة وبراعة ظاهرة فى الانتقال من المستوى الزمنى الأول الى المستوى الزمنى الثانى وطوال الرواية تحيط مصر القديمة بالاحداث وتبرزها فى مستوى زمنى ثالث خالد ، لايتغير يحيى فيه رمسيس الثانى واخناتون وزوجته نفرتيتى وبناتها الست ، وتحيط الاضواء بالالهة الصابرة : ايزيس ، ملجا كل حائر ومكروب .

تقول شارلوت قرب نهاية الرواية «المصريون ودودون . غير ان ثمة شيئا غريبا يلفهم جميعا . شعور بأن هناك ستارة غير مرئية تحجب الرؤية . شىء لم تفهمه فيبى نفسها . الانوار تبهرك فى مصر ، ولكن الجانب الآخر من الستارة مظلم . هل هذا لاننا اجانب ؟ الشعور بالغربة هنا اكبر مما نحس فى بلاد كثيرة أخرى »

ومع هذا فقد استطاعت «جانيس اليوت» ان تقترب من مصر والمصريين بروح من الود والتقدير والموضوعية الفنية تستحق التقدير . نداءات عميل المخابرات هال ، تواجهها رغبة شارلوت فى البحث عن الحقيقة - ليس حقيقة اسباب الجريمة وحسب ، بل حقيقة مصر ، مصر الآن ومصر كل العصور . وتنتصب فى وجه العداء لمصر كلمات الشابة المتحمسة عديلة ، ومن اغوار العشرينات تأتى اصداء الحب الكبير الذى احبت به فيبى مصر ، فكان فيه مصرعها . حب آمنت به فيبى رغم جهود من تسميهم «القبيلة» اى السفارة والجالية البريطانيتين ، اللتين

زعمتا انهما تعرفان مصلحة مصر اكثر من المصريين . وفي سبيل حب مصر ايضا ظل الطفل البريطاني هاوارد - قريب فيبي - يرجو ان يزور مصر ، وكبر الطفل وشاب ومات وهو على حب مصر مقيم ، وان لم تتحقق الزيارة .

الى جانب الموضوع السياسى المصبوب فى قالب يشبه قالب الرواية البوليسية ، تزخر الرواية بشخصيات حية كثيرة . لعل ابرزها «نيكى» الروسى البريطانى الذى يعمل وكيلا لمكتب سياحى متواضع والذى كره تولستوى فى صباه واعتبره غولا يهدد حياته وكان جده دائم الحديث عنه قائلا انه وحشى ، مجنون عظمة ، وانه كان وغدا مع زوجته ، فاخذ نيكى يسب تولستوى بأفحش الكلمات طيلة حياته . إنه يعيش عيش الطريد ، ويحن الى روسيا روسيا جده . يعيش فى فقر وتجوال دائم . يلبس البالى من الثياب ولكن قلبه جوهرة تتألق .

يقرأ نيكى سطورا من كتاب الموتى لشارلوت ثم يقول : كان المصريون القدماء شديدى الفزع من الموت ، ومن ثم جاءت الاناشيد والصلوات والشعر والمقابر والمعابد والتحنيط . وتقول شارلوت : أو لعلهم كانوا يحبون الحياة ؟ فيقول نيكى : جائز كلمة الموت الآن أصبحت قذرة . كيف يعيش المرء فى ظل حكم دائم بالاعدام ؟ الحياة قصيرة . فتقول شارلوت المخرج الوحيد ان نعيش كما لو اننا لن نموت ابدا » .

وهناك اليهودى الانجليزى ماكس ، الذى يقوم ببحث عن يوسف الصديق يقول انه انجليزى ويهودى معا ، له جنسيتان تحمس لاسرائيل فى ايامها الأولى ، ولكنها لم تعد الآن البلد الذى يود الاقامة فيه . هى يوتوبيا لطختها الاوحال مات ابن له فى الجولان .

وقرب نهاية الرواية يموت هو ، فيحاول «هال» ان ينقل جثمانه الى اسرائيل . ويرد الصهاينة بالرفض . انهم يريدون يهودا احياء ، ولا يهمهم اليهود الموتى !

ولاترحم شارلوت الامريكى هال ابدا . تندد به فى كل مناسبة . تصفه مرة بممثل الاستعمار الامريكى الذى يلبس ملابس تغسل فتجف فورا . وتراه فى احدى المناسبات وهو يقرع احد المكاتب بقبضته فتقول يستند الى كونه امريكيا ، القوة فى صفه . بماذا يهددهم الآن ؟ بالصواريخ النووية ؟ بالاسطول السادس ؟ بفسخ عقود الكوكاكولا ؟

وتجعل المؤلفة عديلة تقول لشارلوت : حين كان رجال الآثار يأخذون ممياوات الفراعنة من بين شقوق الصخور ان النساء كانت تصطففن على جانب الطريق وتبكين ملوكهن الراحلين ، وهم ينقلون من مواطنهم الى اماكن الغربة .

حب مصر يضوع ويتالق فى هذه الرواية ويمجد ماضيها الزاخر ، ويحنو على كفاحها المعاصر ، ويقف فى صلابة ضد من يحاول الانتقاص من قدرها من امثال الفرنسية نينا فهى التى اكلت خيرها شابة وامراة وشيخة ، و «هال» الذى يعيش بين اهلها يكسب منهم ويضرهم ، ولايرحمهم لسانه السليط المنافق .



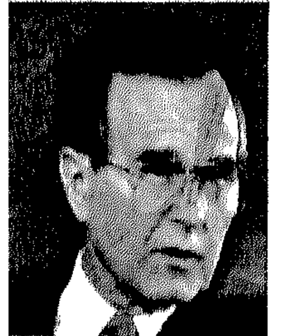

بنازير بوتو

● «ليس هناك فرق بين ان يكون رئيس الدولة امراة او رجلا ، المسالة هى كيف تدار البلاد »

بينازير بوتو
رئيسة وزراء باكستان

● «قررت الاستقالة حتى اتحمل مسئولية انتشار عدم الثقة السياسية»

نوبور تاكشتا
رئيس وزراء اليابان


جورج بوش

● «الحق فى أن يكون المرء غبيا اكثر احتراما فى لندن منه فى أى مكان اخر»

الكوميديان الأمريكى
جاكى ماسون

● «لن اعتذر ابدا نيابة عن الولايات المتحدة»

جورج بوش
رئيس الولايات المتحدة

● «اشعر ان نجاح الفيلم او فشله انما يتقرر قبل ان يبدا التصوير»

الممثل الأمريكى **داستن هوفمان**

● «ارسال السجائر إلى العالم الثالث ان هو الا تصدير للموت والمرض والعجز»

الجراح العالمى **أفريت كوب**

● «نحن بشر نحتاج إلى المعجزات ونامل انها موجودة»
بونوماريف
عالم الذرة السوفييتى

مرجريت تاتشر

● «لم اترك شيئا الا وغيرته»

مارجريت تاتشر
رئيسة وزراء بريطانيا

أحمد بهاء الدين

القلم... والأسلاك الشائكة

بقلم : كمال النجمي

أحمد بهاء الدين هو الكاتب الصحفي المصري العربي الثائر الذي لم تنقطع ثورته طوال اربعين عاما في سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم لكل الأمة العربية .. ولكنه حرص دائما على توضيح معالم ثورته هذه والوقوف بها عند حدود اسوار الاسلاك الشائكة المقامة في البلدان الناطقة بالضاد حول الصحافة والصحفيين ، وحول كل حرف مطبوع ، أو صوت مسموع ! ..

● إن قلمه الثائر كثيرا مايلامس أشواك السور ، ولكنه لايفكر ان يقفز فوقه ، لأنه يكتب في صحف علنية لا في منشورات سرية ، وهو يلتزم حدود النشر في اتساعها وضيقها متذمرا ، ولكن في تسليم للمقادير ، مع قدرة فائقة على القفز بالتعبير اللبق فوق المحاذير ..

هذه الصورة للاستاذ بهاء الدين ، هي في الأصل من لمسات ريشته ، نقلنا خطوطها بامانة ، لانها ـ كما تبدو لنا ـ هي صورته التي تحكيه قلبا وقالبا ، وتحدد ملامحه كاتبا صحفيا ، ومفكرا سياسيا ، وداعية للحرية والديمقراطية والتقدم من ابرز دعاة هذا المضمار في الصحافة




احمد بهاء الدين وابراهيم عامر

المصرية والعربية طوال النصف الثانى من القرن العشرين ..

لكن هذه الصورة ـ على صدقها ـ لاتفصح عن فضيلة نادرة يتحلى بها هذا الكاتب الداعية ، وهى « الثبات على المبدأ » .. فهو من الكتاب القلائل الذين لم تزحزحهم تقلبات الدنيا عن توجهاتهم المبدئية ، فلبث منذ اشتغل بالكتابة الصحفية يقبض بيده على الجمر فى سبيل الا يتنكر لطريقته ورؤيته وفكره ..

ما اشبهه فى هذا المجال باساتذة الصحافة المصرية القدماء الذين كان « الثبات على المبدأ » فضيلة فيهم ، تدل على مرونتهم كما تدل على فكرهم وعلمهم ، ولاتتناقض مرونتهم وسماحتهم وتقبلهم للمتغيرات وتعبيرهم عنها بدقة وبراعة ..

ولما انتقل من « روزاليوسف » إلى « اخبار اليوم » لم ينزع رداء « الاحرارية » السياسية والفكرية ، ويدخل فى ثوب « اليمينية » التى كانت تمثلها اخبار اليوم حينذاك ، بل استمسك بفضيلته التى تدل على مرونته ، وواصل فكره وعمله بلا أدنى تبديل ، حرا مستقلا ، فردا فى حريته واستقلاله ..

وبعد تأميم الصحافة احتفظ باستقلاله ، وثابر على دعوته الى الحرية والديمقراطية والتقدم من وراء اسوار الأسلاك الشائكة ، بدون ان تثبط الاسوار عزيمته فيتنازل عن شىء من جوهر دعوته ، وان كان قد خلع القديم ولبس الجديد مرة بعد مرة ..

وفى سنة ١٩٦٤ اصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بتعيينه رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال ورئيسا لتحرير مجلة المصور ، فتحولت « المصور » الى منبر

أحمد بهاء الدين

القلم ... والأسلاك الشائكة

للحرية والديمقراطية والتقدم ، وكاد بهاء الدين أن يكون فى تلك الأيام أقل الصحفيين الكبار حديثا عن الرئيس والثورة والاشتراكية ، مع أن الرئيس والثورة والاشتراكية لم تكن كلمات يحاب الحديث عنها ، ولكن فضيلة هذا الكاتب ومروءته أبتا عليه أن ينسى أنه يكتب من وراء أسوار الأسلاك الشائكة ، وأن الحرية والديمقراطية غائبتان وإن كان التقدم حاضرا ..

وفى تلك السنة أفرج عبد الناصر عمن كانوا فى سجونه من الماركسيين واليساريين ، وعمل بعضهم فى دار الهلال وكتبوا فى مجلة « المصور » .. فأذكر أننى كنت أتأمل كتاباتهم وكتابات بهاء وأسأل نفسى : كيف يكون بهاء الدين رزينا حصيفا صادقا الى هذا الحد فى تأييد النظام ونقده ، بينما ينطلق القادمون من سجون عبد الناصر إلى تأييده بلا قيد ولاشرط تقريبا ؟! ..

لعل عذرهم أنهم جاءوا من وراء الأسوار ، فشعروا انهم أصبحوا فى سعة من الحرية ، فلهجت ألسنتهم بتلك الأمداح العجيبة ، وخيل اليهم ان عبد الناصر الذى يبنى الاتحاد الاشتراكى ، يبنى فى الوقت نفسه « صرح الاشتراكية » ! ..

إن كثيرا من محبى الاشتراكية ودعاتها أيامئذ فقدوا قدرتهم على الرؤية ، ولكن بهاء الدين الذى كان اشتراكيا أيضا ـ وإن لم يكن ماركسيا ـ لبث هادىء التفكير ، ثاقب البصر ، مدركا لما يجرى حوله بكل تفاصيله ، وبلا تزويق أو تلفيق ، وبكثير من التوتر والرغبة فى قول مالا يقال ..

ولقد كان بصره الثاقب يريه أحيانا مالا يستطيع أن يراه الكثيرون ، ففى سنة ١٩٥٥ ، عرضت احدى دور السينما فى القاهرة فيلم « سقوط برلين » السوفييتى الذى يؤدى فيه ممثلون بارعون أدوار ستالين وتشرشل وروزفلت وغيرهم . فكتب بهاء يبدى دهشته من « تقديس » شخصية ستالين فى هذا الفيلم ، ويبين أن تقديس الزعيم مخالف لمبادىء الاشتراكية والديمقراطية ، وكأنما أراد بهاء أن يقول للذين كانوا يقدسون الزعيم عبدالناصر إنهم مخطئون ! ..

كانت كلمة بهاء عن تقديس ستالين ، اول كلمة تنشر باللغة العربية فى هذا المعنى ، ولم يسبقه أحد إلى التنديد بتقديس أو عبادة شخصية ستالين ولم يكن أحد يعرف أن خروشوف سيقف بعد عام كامل فى مؤتمر الحزب ليقول هذا الكلام نفسه ! ..

لم يكن يهمنى فى ذلك الوقت هجوم بهاء على تقديس الفرد أو الزعيم ، ولكنى كنت قد شاهدت فيلم « سقوط برلين » فأعجبنى كعمل فنى رائع عن الحرب العالمية الثانية ، فكتبت كلمة فى مجلة « العالم العربى » التى كان سيد قطب قد ترك رياسة تحريرها وتسلمها منه زميلنا اسعد حسنى رحمه الله ..

ناقشت فى كلمتى مسألة شخصية ستالين كما ظهرت فى الفيلم وقلت إن

السوفيت يرونها هكذا فلا شأن لنا بما يرون ، وانما الشأن كله بما تضمنه الفيلم من روعة فنية .

ويبدو أن كلمتي ـ كعادتي في الكتابة ايام الشباب ـ كانت على شيء كثير من الحدة ، فامتشق بهاء قلمه ورد عليها بمقال ضخم جعل له عنوانا هائلا هـو : « الإرهاب » .. وتحدث في هذا المقال ماشاء عن الإرهاب الذي يشنه « بعضهم » على المفكرين المستقلين أمثاله ! ..

اذهلني هذا المقال فأنا لم اكن قط منتميا إلى حلقة فكرية أو سياسية أو فنية ، وكنت مستقلا فردى النزعة مثل بهاء ، فسألت صديقي أسعد حسنى عما وراء هذا المقال العنيف ، فاتصل بصديقه المرحوم الصحفي الفنان حسن فؤاد ووجده خالي الذهن من كل شيء ، فاتصلت بصديقنا الأستاذ محمد عودة ، فصحبني الى بهاء في مكتبه بدار روز اليوسف حيث تبين له انني مثله رجل شديد الاستقلال اكتب في الحدود التي تتيحها الأسوار الشائكة وإن كنت احاول أحيانا أن أقفز فوقها ! ..

فانظر ـ أعزك الله أيها القارئ ـ كيف أدرك بهاء بقوة بصيرته واستقلال رأيه أن السوفييت غارقون في تقديس الزعيم ، وذلك قبل أن يعلنوا هم براءتهم من تقديسه بعام على الاقل .. وانظر كيف ادرك أن « الإرهاب الفكرى » يمكن أن يواكب الدعوة إلى الاشتراكية ، وذلك قبل أن يقول عبد الناصر حرفا واحدا عن الاشتراكية ! ..

● **إن هذا الاستقلال الذي حافظ عليه بهاء قبل الثورة ثم في عهد عبد الناصر ، كان خليقا ان يورده موارد لايسيغ ماءها ، لولا ان بهاء كانت له دائما ـ كما قدمنا ـ قدرة فذة على القفز بالتعبير اللبق فوق جميع المحاذير ..**

وأذكر أن المرحوم أنطون الجميل باشا رئيس تحرير الأهرام حتى سنة ١٩٤٨ كان يلقب الصحفي الكبير المرحوم محمد التابعي « بالكاتب اللبق » .. حين ينشر بعض مقالاته في الأهرام ، وإنما أراد انطون الجميل باشا ـ وكنت اعرف اساليبه لصلتي به ـ أن يتجنب تلقيب التابعي بالكاتب الكبير ، فهدته لباقته المبدعة الى تلقيبه بالكاتب اللبق ! ..

ولكن بهاء الدين ، الكاتب اللبق ، هو ايضا كاتب كبير ، وانه ليبلغ في كتابته أجواء في البلاغة لايبلغها الا أكابر الكتاب الذين انفقوا أعمارهم في دراسة العربية واستيعاب اسرارها ..

وهو لايبلغ هذا الحد من البلاغة باساليب قديمة ، بل باساليب باللغة الحداثة ، ولايبلغه بقوة اللفظ ، بل يبلغه بقوة الروح ، كانه جمال الدين الافغاني الذي كان يبلغ بقوة روحه في الكتابة مالا تتيحه لسواه من ائمة العربية قوة الفاظهم وبراعة اساليبهم ..

ولبلاغة بهاء جاذبية خاصة ، هي التي لفتت اليه حتى غير البلغاء ، اعني الزعماء والرؤساء ، ومنهم الرئيسان جمال عبد الناصر وأنور السادات ..

ومع ذلك لم تستطع جاذبية قلم بهاء أن تبعده عن الخيل التي تجمح عادة في طريق المارين بطريق السلاطين ، فناله من جماحها اذى كبير ، يعجب له كل العجب من يعرف قصته ! ...

فإن بهاء رجل هادئ لاتثيره الأمور بسهولة ، ومع ذلك لم يصمد في الطريق

أحمد بهاء الدين

القلم... والأسلاك الشائكة

السلطانى ، وناله منه ارهاق شديد أدى إلى ارتفاع السكر والضغط وجلطة فى أحد الشرايين قبل بضعة عشر عاما حتى اقترح عليه الأطباء أن يتقاعد طلبا للراحة وهو فى تلك السن الصغيرة ..

ولكنه لم يتقاعد ، وعاد إلى ثورته الدائمة فى سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم ، جالسا القرفصاء ، سعيدا بجلسته ، يوشك أن يبتسم ، وان كان جالسا على سطح صفيح ساخن ..

واقتضت لباقته أن يصمت فى أواخر عهد الرئيس السادات رحمه الله ، فلا يكتب مدحا ولاقدحا ، ولكن الصمت لم يكن مقبولا ، وكان المطلوب هو التأييد الصريح ، وإلا فلا كتابة ولاصمت .. وكان ذلك كما قال بهاء فى بعض أحاديثه : « أخطر صور الرقابة التى عرفتها مصر » ..

ولم يستطرد بهاء بطبيعة الحال ليقول إن هذه الصورة البالغة الخطورة من صور الرقابة ، كانت موجودة أيضا فى عهد الرئيس عبد الناصر ، وإن السادات إنما ورثها عن عبد الناصر كما ورث أمورا خطيرة أخرى ! ..

● **وكانت هذه هى الأزمة الثانية التى تنتاب بهاء فى عهد الرئيس السادات ، بعد أزمته سنة ١٩٧٢ عندما نقله السادات مع تسعين صحفيا الى مصلحة الاستعلامات ، فلما اعترض بهاء على هذه الاهانة التى لحقت به ـ وهو الصحفى الكبير الذى يتردد اسمه من المحيط الى الخليج ـ كما لحقت بزملائه التسعين الأبرياء .. جاءه خطاب الفصل من العمل ! ..**

ظل بهاء مفصولا من العمل الى ماقبل حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ إذ أعاده السادات الى العمل ، وطلب إليه أن يشترك فى كتابة « ورقة أكتوبر » المشهورة ! ..

● استأنف الكاتب اللبق الكبير عمله ، واشترك فى ورقة أكتوبر ، ثم وجد نفسه رئيسا لتحرير الأهرام ، وحوله زملاؤه الذين كانوا مفصولين معه من مصلحة الاستعلامات ومن الصحافة المصرية جملة وتفصيلا ..

ولبث مدة بين العمل والاستشفاء ، ثم هاجر إلى الكويت طلبا للاستجمام والعمل الهادىء فى بلد هادىء ومجلة شهرية ليس وراءها هزات سياسية ولايرتفع سور الأسلاك الشائكة حولها إلى أعلى من قمة الرأس ! ..

وهكذا مضى إلى تلك الرحلة الطويلة ذلك الرجل الذى لم يذهب فى صباه الى اية رحلة مدرسية ، ولو حتى الى الأهرام وابى الهول ، وتعززت بهجرته فكرة تعدد مراكز الاشعاع الثقافى فى العالم العربى ..

ولكنهم قالوا : إنما ذهب فى رحلته تلك يطلب الثراء فى بلاد البترول ! ..

ولو كان الثراء مطلب بهاء لبادر اليه قبل ذلك بعشر سنوات أو عشرين ، وكانوا يلحون عليه فى الذهاب اليهم ، ولو كان الثراء مطلبه لظفر به منذ كان مرشحا للوزارة فى عهد « الوحدة » بين مصر وسوريا ، فأبى له افتقاره إلى



الرئيس مبارك يتحدث الى بهاء الدين ولويس عوض

« الإنتهازية » أن يدخل من باب الوزارة ، وهو باب يفضى بمن شاء الى الثراء ! ..

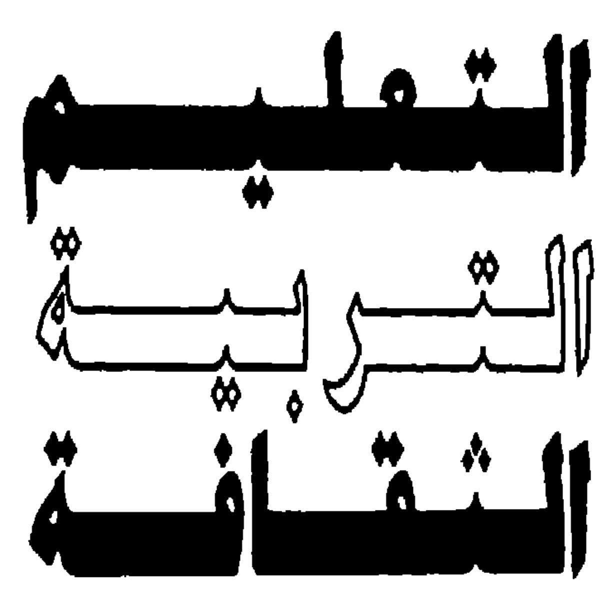
● إن احمد بهاء الدين قد بلغ الآن المكانة التى تجعله فى عيون قرائه ومحبيه أشبه بالضوء المعلق فى الفضاء ، يراه الناس يلمع من بعيد ، كأنه رمز للمعانى التى تجسمت فى اسمه الذى رن فى أسماعهم وبرق فى عيونهم عشرات السنين ، بلا انقطاع حتى عند انقطاعه ..

واسمه فى أية صحيفة مصرية أو عربية شهادة لها بأنها استطاعت ان تقنعه ، وأن توفق بين أوضاعها وبين استقلاله الدائم وعمله الدائب فى سبيل الحرية والديمقراطية والتقدم ولو عن طريق لباقته البليغة التى تتجاوز الشكل الى الجوهر ، وتأخذ كل قارىء ـ مهما يكن اتجاهه ـ صديقا لها ، مقتنعا بها أو متحفظا عليها ! ..

وقد قيل فى بداية ظهور بهاء الدين وشهرته انه ابن النجاح السريع الذى يشبه ضربة الحظ ..

وقد مضت على ذلك خمسة وثلاثون عاما ، وانتهت ضربة الحظ الأولى ، وبقى كوكب النجاح يدور بنفس سرعته ! ..

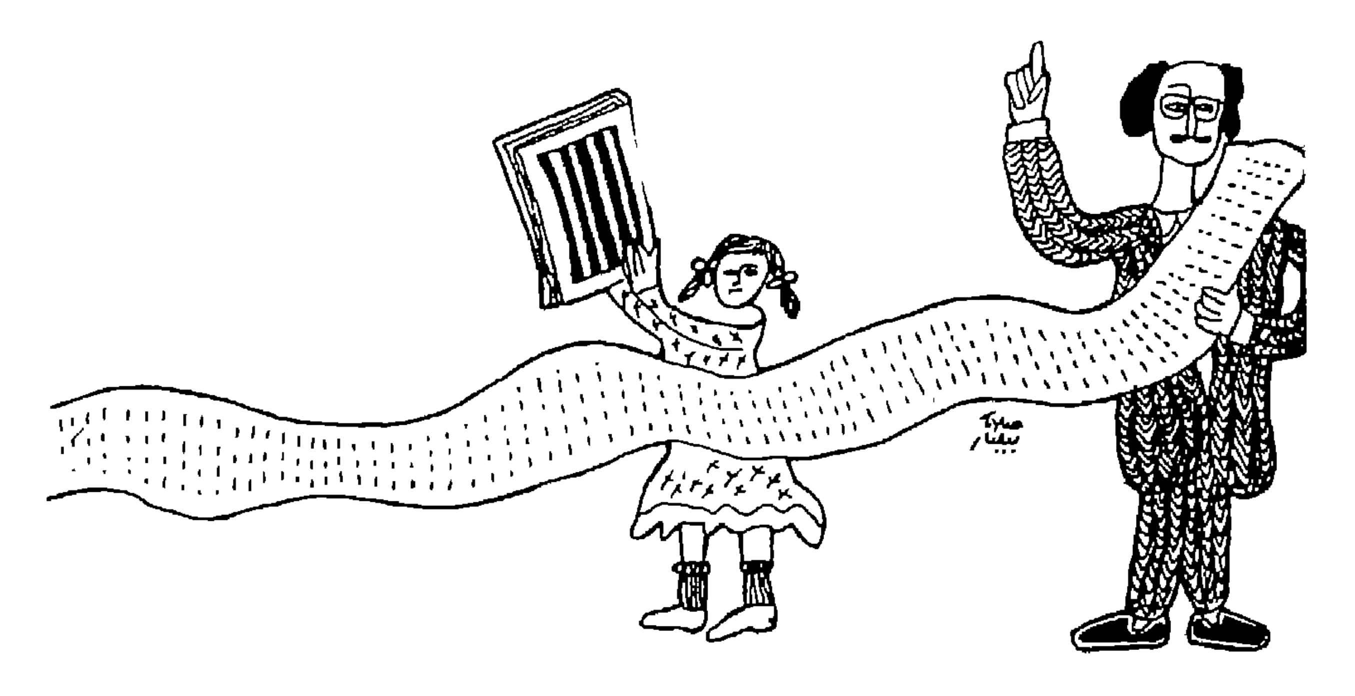
بقلم: د. شكري محمد عياد



اخشى أن اكون قد اوقعت نفسى فى "حقل اشواك" غير عادى ، حين زعمت انى اتحدث عن «فلسفة» للتعليم ، بل غلوت فذهبت إلى ان هذه "الفلسفة" يجب ان تسبق كل حديث عن مشكلات التعليم ، وفاتنى ان اعتذر للفلاسفة ، واساتذة الفلسفة ، والمفكرين ، واصحاب الأيدلوچيات ، لأن ما تبجحت فسميته "فلسفة" ليس فيه شىء مما يعرفونه بذلك الأسم المهيب ، وإنما هو كلام عادى بين اناس عاديين ، لايبصرون إلا مايرونه باعينهم ، ولايألمون إلا لما يوجعهم ، ولايتوقون إلا لما يهيىء لهم فى حياتهم الشاقة المضنية قليلا من الراحة ، وبعضاً من الأمل فى المستقبل . وحسبهم من الفلسفة ان يفكروا فيما يبصرون فى الأساليب التى تمكنهم من تحقيق مايطمحون اليه .

● على اننى لاادعى السذاجة ، فقد قرات - مثل غيرى - من هذه الفلسفات والإيديولچيات ماوسعنى أن اقراه ولكننى كنت وإياها دائما كالزائر فى البلد الغريب ، مهما ظن أنه اتقن لغة أهله فهو لا يعرف من لحن كلامهم ماهو الصق بدخائل نفوسهم ، واخص بأعراف مجتمعهم ، وأبعد جذورا فى اعماق تاريخهم . أما عقلى فلا ينشط واعصابى فلا تهتز إلا لصيحة فى شارعى أو ضجة فى بيت جارى . عندئذ فقط يمكننى أن أربط ماأراه أو أسمعه بأسبابه القريبة أو البعيدة ، ولو كان من هذه الأسباب مايرجع إلى أولئك القوم الأبعدين فى البلد الغريب .

وأول جرائمى فى حق الفلسفة



والإيديولوجيات أنى أدرت ظهرى للرجعية والتقدمية معاً ، وتجاهلت الأفكار السلفية والقومية والاشتراكية كأنها غير موجودة ، وهذه هى هموم المثقفين فى عالمنا العربى ، لايصلح الحديث عن التعليم او غير التعليم بدون الخوض فيها ، حتى لو اعتذرت بأن الذى ألهاك عنها هو هموم أخرى تشغل المثقفين وغير المثقفين ، مثل اننا أصبحنا نشترى الثلاجات ولانجد من يصلحها ، وأن ابن أخيك المتخرج فى كلية الآثار يذهب ليعمر الصحراء وهو لايفهم شيئا فى الزراعة ولايجد عمالاً زراعيين .

وجريمتى الثانية ـ ولا أدرى هل لحظها احدكم أو لا ، فقد أقدمت عليها فى مقالاتى السابقة خفية كأى مجرم حقيقى ـ هى أننى أرفض الخلط بين التعليم والتثقيف ، بـل وحتى بين التعليـم والتربية ! وأتبجح أكثر ـ أيها الفلاسفة والمفكرون ـ فأقول أن هذا ركن أساسى فى "فلسفتى" التعليمية !

فأنا ازعم أن "التربية" عمل لاتنفرد به المؤسسة التعليمية ، ومادامت غير منفردة به ، فتخصيصها به ، دون سائر مؤسسات المجتمع ، مجافاة للواقع ، تستتبع حصر التكليف فى هذه المؤسسة ، وحطه عن غيرها ، إذا كنا متفقين على أن "التربية" تتناول الشخصية كلهـا ، وأن قوام الشخصية سلوكيات معينة ، تستند فى قوتها وصلاحها إلى دوافع راسخة ، فمن يستطيع الزعم بأن هذه الشخصية تبنى فى المدرسة وحدها ، أو أن للمدرسة من الآثر فى بنائها أكثر مما لسلوك الأبوين والمحيط الأسرى المباشر ، أو أكثر مما للنادى أو للشارع ، أو أكثر مما لوسائل الترفيه أو أجهزة الإعلام ، وعلى رأسها التليفزيون الذى يجلس أمامه معظم الأطفال مددا تقرب مما يقضونه فى

المدرسة أو تزيد عليه ؟ وهذه الأجهزة تستخدم شيئا من الفن ، والفن ممتع ، ولايخلو من مضمون ، فهو يقدم دروسه بطريقة سهلة محببة ، وتأثيره فى الأخلاق عظيم .

وامر التليفزيون ، وقريبه الفيديو ، يستلزم وقفة خاصة نظراً لما يقدمانه من "فن" فهذا الفن عادة فن ردئ ، مسلوق ، يتعمد الإثارة ، لأنها أسهل طريقة لإقبال المشاهدين عليه ، ولايبالى بالتأثير السيىء الذى يتركه فى نفس المشاهد ، ولاسيما إذا كان سهل الانقياد لجهله او صغر سنه ، واقبح الأشياء ان يدعى مدع أن هذا "فن" وان الأخلاق لادخل لها فى الفن ! على اننا نكتفى غالبا بان نترك المسائل تمر ، ولا من يسأل ولا من يجيب ، ثم يشكو الأباء والأمهات من ان الطفل ابن الاربعة - مثلا - قد اصبح عدوانيا بشعاً لأنه يقلد "جرند يزر" !

على اننا لانخص اجهزة الإعلام كما لانخص المدرسة فالتربية اعم من ذلك ، لأنها ترجع إلى ضوابط السلوك التى يترتب عليها الاستحسان او الاستهجان ، وهى من شان المجتمع كله ، ومدارها على التمييز بين الحرية الشخصية والواجب الاجتماعى ، وهذا بالضبط هو ماينقصنا . فحدود الحرية الشخصية عندنا هى الاستطاعة أو كون الفرد آمنا من تدخل الآخرين لمنعه ، وحدود الواجب هى قدرة جماعة أو فرد على فرض سلطانهم على الآخرين ، وقد اساء بعض الناس تصور القاعدة الشرعية "الامر بالمعروف والنهى عن المنكر" فاقتحموا على الناس مجالسهم ليقوموا مايرونه معوجاً من سلوكهم (والامر يتعلق غالباً بنوع من فرط الحساسية نحو كل ما تشتم منه رائحة الجنس) ، ولكنك إذا زجرت طفلاً لأنه يتلف شجرة على جانب الطريق وجدت من ينظرون إليك بشىء من الدهشة ، وربما الاستنكار .

فامر الاستحسان والاستهجان او المعروف والمنكر ودرجاتهما وكيفياتهما يحتاج اولاً إلى تحديد أصل يضبطهما ، ثم إلى معرفة الصلاحيات التى يرجع إليها فى الحكم بهما وتقدير قيمتهما ، والجزاء عليهما بحسب درجاتهما وإذا كان تقرير ذلك كله والعمل بمقتضاه مرهوناً بارتقاء المجتمع كله فمن المستحيل ان تضطلع المدرسة به كله أو بمعظمه . بل إن مجتمع المدرسة سيكون صورة من المجتمع الخارجى بخيره وشره ، لايزيد عنه - ربما - إلا ببعض الأوامر والنواهى التى يمكن أن تبدو مضحكة ، وتحيل الشخصية النموذجية للمعلم إلى أحد اثنين : إما مثال للبلاهة وإما أستاذ فى النفاق .

● نوع من التثقيف !

هذا عن مهمة "التربية" . وتبقى مسألة "الثقافة" .

منذ ايام رأيت حفيدتى ، وهى تلميذة فى السادسة الابتدائية "الملغاة" تدفع إلى خالها كتابا كبير الحجم قائلة له "سمع لى" "آفاق التنمية الاقتصادية فى مصر" .

قلت ماشاء الله لابد أن هذا مقال في الأهرام وهل كل ما ينشر في الأهرام مثلاً يصلح للأطفال في المرحلة الابتدائية ؟ ولكن الموضوع كان درساً من دروس "العلوم الاجتماعية" . وهذا نوع من "التثقيف" المفروض على تلاميذ المرحلة الاولى . والأمر لا يخرج عن احد احتمالين : إما أن الموضوع وأمثاله مما يناسب مدارك الأطفال في هذه السن ، وفي هذه الحالة يكون لنا أن نتساءل : لماذا لايقدم – وبصورة أكثر – تشويقاً ، في برامج الأطفال أو الشباب في الإذاعة والتليفزيون ؟ وإما أن يكون موضوعاً بعيداً عن اهتمامات الأطفال ، وهنا يكون حشو أذهانهم به مضيعة للوقت والجهد ، ومدعاة للنفور من التعليم .

نعم ، ينبغي ، منذ هذه السن أن يعرف الطفل وطنه وعالمه ، أن يعرفهما بقلبه ووجدانه قبل عقله . وفي هذا يمكن أن يفيد التليفزيون أكثر مما يفيد مقرر العلوم الاجتماعية ، ويمكن أن يفيد كتاب مصور جميل أكثر مما يفيد التليفزيون ، لاسيما وأن الكتاب يقرأ ولا يشاهد فحسب ، وأن التلميذ قد لايكون في بيته جهاز تليفزيون ، ولا المدرسة أيضاً ، ولكن المدرسة يمكنها ولاشك أن تملك نسخاً كثيرة من كتاب كهذا ، بحيث تكفي لأن يحتفظ به التلميذ مدة معقولة .

ولماذا أخص منهج العلوم الاجتماعية ؟ إن منهج المرحلة الابتدائية في جملته منهج مزدحم وتقدير الازدحام عندي لايرجع إلى مدة المرحلة بل إن الغرض منها ، أقول هذا لأن اختصار هذه المدة من ست سنوات إلى خمس أثار ضجة كبيرة . فكيف بي أقترح إنقاصها إلى أربع ؟ المسألة لاترجع إلى أني موعز إليّ من قبل وزارة التربية والتعليم ، بل إلى أني أرى أن مهمة "التثقيف" أصبحت تضطلع بها مؤسسات أخرى ، ويمكن أن تزاد كفاءتها من هذه الناحية بحيث تتفوق على المدرسة كثيراً ، ويمكن أن يتكامل عملها مع عمل المدرسة – من حيث المادة والوقت – بحيث تتفرغ المدرسة لعملها الأساسي وهو إكساب المهارات وتنمية العقل . وتنمية العقل تنحصر في التدريب على مواجهة المواقف الجديدة وحل المشكلات . ولاشك أن هذا يقتضي النظر إلى التليفزيون على انه جهاز للتثقيف الشعبي قبل كونه جهازاً للترفيه .

والهدف التعليمي للمرحلة الابتدائية هو إكساب مهارة القراءة والكتابة وتلحق بهما مبادىء الحساب ، أي أن يملك الطفل الوسيلة الأساسية للمعرفة ، أن يحسن استخدام الاختراع الأول والأعظم لانتقال المعرفة البشرية . هذا الغرض وحده – إذا تحقق على الوجه الأكمل – كسب كاف ومقدمة كافية – وضرورية أيضاً – للمراحل التالية . وهو يحتاج إلى مضاعفة الجهود والاعتمادات لتحقيقه (لأن العبرة ليست بعدد السنين) . وأول ذلك : الكتب الجيدة الجميلة التي تجعل القراءة متعة منذ هذه السن الغضة .

ولاتقتصر جريرة خلط التثقيف بالتعليم على إطالة أمد المرحلة الأولى بدون داع ، مع عجز هذه المرحلة عن الوفاء بغرضها الأصيل وهو إتقان القراءة والكتابة ، فقد كان لهذا الخلط في المراحل التالية تأثير أشد ضرراً وحسبك أنه فتح أبواب

المدارس على مصاريعها لحرب الدعاية بين النظم العربية المختلفة .

● تشرذم فكري !

وابادر إلى القول بأنني لااقصد بهذه الآراء في التعليم (ولابد أن الحقها بفلسفة التعليم مادامت منطلقة من المبادىء) قصد الغلو او الاثارة . ومن ثم فأنا لااماري في ان سيطرة الدولة على التعليم تؤدي بالضرورة (حتى لو كان هذا شراً لابد منه) إلى أن تنعكس إيديولوجية الدولة على التعليم ، كما انني لااماري في كون "التثقيف" عنصراً لا يجب إغفاله من التعليم ، بل اقول مع القائلين وادعو مع الداعين إلى ان "الثقافة" هي طابع الحياة الاجتماعية وان الوعي بها والعمل على ترقيتها في شتى المؤسسات حاجة لازمة لترقية هذه الحياة ، ولاانسى كذلك جهود رجال التعليم نحو توحيد مناهج التعليم العام في الاقطار العربية المختلفة . ولكن هذه الجهود التي دعت إليها ضرورات عملية لم تمنع التشرذم الفكري عوضاً عن أن يحد منه

واقول إن قدراً من "التثقيف" ضروري في التعليم قبل غيره من المؤسسات . ولكن القدر الذي لاخلاف عليه بين النظم ولا بين التيارات والمذاهب . هل يمكن ان ننسى شيئا أسمه "المناهج القومية" في جامعاتنا المصرية ـ لاادري ماذا صنع الله به الآن ، ولعله الغي او ادخل على مفهومه شيء من التعديل حتى خرج عن غرضه الأصلي وهو الدعاية السياسية الصريحة ، ولكن هل يستطيع اي تعديل ان يجعل لهذه المواد فائدة أو معنى ، وهي التي تدرس دائما على حساب مواد التخصص المهني أو التثقيف الحقيقي ؟ بل إن تأثيرها يتجاوز هذه الاضرار السلبية إلى ضرر إيجابي إن صح هذا التعبير . فقد ساهمت في إشاعة لغة خطابية فضفاضة في جميع الموضوعات التي تمس الحياة العامة ، والتي نحتاج اشد الحاجة إلى ان نعالجها بلغة علمية موضوعية .

وقد كان رد الفعل التلقائي إزاء هذه "المواد القومية" هو أن ظهرت لدى طائفة اخرى من الدول مادة تعليمية سميت "الثقافة الاسلامية" . ولايزال اصحاب هذه الثقافة الاسلامية حائرين في تحديد الموضوعات التي يمكن أن تدخل تحتها . فالثقافة الاسلامية لا تعني العلوم الدينية من فقه وتوحيد وتفسير وحديث ، ولاتعني التعرف إلى منجزات الحضارة الاسلامية في العلوم الطبيعية والفنون العلمية أو الفنون الجميلة ، ولكنها يمكن ان تعني هذا كله مختلطاً بعضه ببعض في سياق هجوم على "التغريب" تارة ، وعلى "القومية" تارة ، وعلى "الاشتراكية" او "الشيوعية" تارة أخرى .

وقد اصبحت "للثقافة القومية" و "الثقافة الاسلامية" أدبيات ضخمة ، اغلبها إن لم تكن كلها غثاء كغثاء السيل ، لم تنتفع منها "الثقافة القومية" أو "الثقافة الاسلامية" الحقيقيتان بشيء ، ولكن أثرهما الفادح ظاهر بخرق العيون والآذان بشتى الوان التطرف الفكري . ولانقول إن فرض هذه المواد على مناهج التعليم من قبل الدول المهيمنة عليه هو

الذى أوجد التطرف الذى عادت تلك الدول (على اختلاف تصنيفاتها الإيديولوجية) تشكو من وجوده مجتمعاً فى كل منها ، لانقول إن الدولة زرعت بيدها ذلك النبات السام الذى عادت تحصده ، لكننا نقول إن الدولة ، وسلطانها على الأفكار فى عالمنا المتخلف ، من خلال التعليم وغيره ، ولايعلو عليه سلطان ، كانت من أقوى العوامل ، إن لم تكن أقواها على الإطلاق ، فى خلق هذه الفوضى الفكرية التى بدات جعجعة بلا طحن ثم عادت رحى تطحن الأبرياء .

● تكوين المواطن الصالح

والغريب أنك لاتجد فى أمة من أمم الغرب ، وهى العريقة فى أيديولوجياتها السياسية وتقاليدها الاجتماعية ، من يعنى بإدخال مثل هذه المواد فى مناهج التعليم . فهل يعنى ذلك أنهم فى غير حاجة إليها ، لتمكن آثارها لديهم ، وأننا فى حاجة إليها لننعم بآثارها فى حياتنا ؟ لانبخل بحسن الظن على من مالوا إلى هذا النوع من التفكير ، إبتداء بمن جعلوا تكوين "المواطن الصالح" غرضاً من أغراض التعليم ـ ناسين أن هذه العبارة يمكن أن تنفتح عليهم فى يوم قريب أو بعيد باب الاتهام من خصوم التغريب (فهى عبارة مترجمة عن قيم التربية وقيم الحياة فى أمم الغرب) إلى من رأوا فى مواد "الثقافة القومية" تمكينا لعرى الوحدة العربية ، ومن رأوا فى مواد "الثقافة الإسلامية" دفاعاً عن أصالة الحضارة الاسلامية . ولكننا نقول إنه قد آن الأوان لكى ينتفع الفريقان من تجاربهم . وإن أول درس يجب استخلاصه من هذه التجارب هو أن حدة الفكر لاتفرض فرضاً من قبل الدولة ، ولكنها تصاغ شيئاً فشيئاً من خلال الحوار . حيث لايصح إلا الصحيح ، وأن الوحدة العربية لاتبنى بتكوين جيل من ماضغى الألفاظ ، الببغاوات التى لاتحسن إلا الكلام ، بل لا تحسن حتى الكلام ، وإنما تبنى بالاشتراك فى ميادين الإنتاج ، وتبادل المنافع والخبرات ، وتدعيم العلاقات الإنسانية ، القائمة أصلا على تقارب الأمزجة والأفكار ، بالاحترام المتبادل والأمانة فى التعامل ، وأن الأصالة الإسلامية ليست كلاما يقال ، ولكنها واقع ظهر قديماً فى شتى مناحى الحياة ولن يكون لها وجود فى عالم اليوم إلا إذا ظهرت مرة أخرى فى أسلوب الحياة .

والتعليم الذى تسيطر عليه الدولة ، وهو سبيلها لبناء المستقبل ، ومعيار توجيهها نحوه ، يجب أن يكون موجها نحو بناء إنسان عربى قادر على تحقيق هذه المهام . غير أننى أصبحت على شبه يقين من أن الشعوب العربية هى اليوم أكثر وعياً وتقدماً من حكوماتها . ولذلك أرى أن للمبادأة الفردية والجماعية دوراً مهماً فى إخراج التعليم من ضائقته الحالية ، التى ترجع فى أساسها إلى ضيق الأماكن ، أو ضعف مستوى المعلمين أو الطلاب ، بل ـ ومعذرة للإلحاح ـ إلى انعدام الفلسفة .

ثقافة

البعد الواحد

بقلم: د. سعيد اسماعيل على

ارايت الى ذلك الطفل الصغير فى شهور عمره الاولى، يواجه عالمه بنظرات زائغة مشتتة، لاتكاد تستقر على اتجاه، واذا تناول شيئا، لم تتسق حركة يده مع حركة عينيه ؟.

ثم .. ارايته بعد ذلك، عندما يتجاوز عاميه الاول والثانى، كيف يولع بقذف الاشياء وخاصة من عل ولا يفتأ محاولا وضع اصبعه او اى شىء يستطيل بعض الشىء فى الفتحات المختلفة سواء فى وجهه مثل فمه او انفه، او اذنيه، او فى باب او فى جدار ؟

انه فى الحالة الاولى، يفتقد تلك (الابعاد) التى تعطى الاشياء شكلها وحجمها وموقعها .. الاشياء تبدو امامه مسطحات بلا ابعاد !

لكنه فى حالته الثانية، يكون قد وعى وادرك تلك الابعاد، فيغرم باختبار الاشياء حتى يعى حجمها وشكلها وموقعها (الحقيقى) فيضع قدميه على طريق النمو العقلى والتطور الفكرى .

هكذا تبدو الثقافة عند الامم والشعوب فى مختلف الازمنة والعهود، كائن حى، يخضع الى حد كبير لكثير من قواعد النمو ومبادىء التطور .

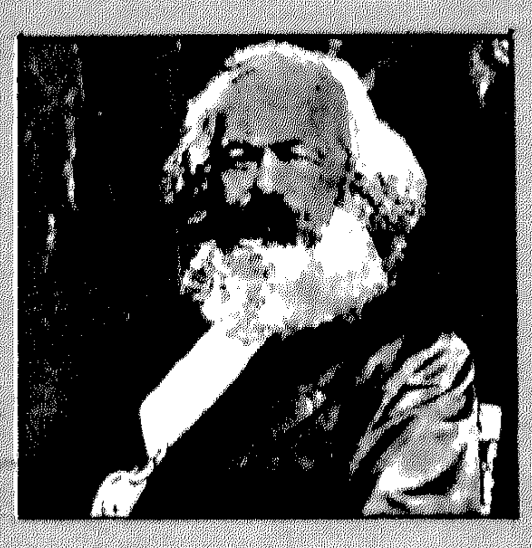
● ومن عجب، اننا مع هذه الدرجة التى صرنا اليها من التقدم والتطور، تلك الدرجة التى جاوزت احلامنا السابقة، مازلنا نشاهد ثقافات تقف عند ذلك المستوى الاول ذى البعد الواحد فى تناولها للعديد من القضايا والمشكلات، فلا يرى اصحابها سائر ابعادها حتى يمكن ان يتوفر لديهم الوعى المستنير بحجمها وشكلها الحقيقى ! ولكن كيف ؟

ارايت الى هذه القائمة الطويلة من (الثنائيات) : المجتمع والفرد – الجسم والروح – الجبر والاختيار – الحرية والنظام – الشكل والمضمون – الكم والكيف .. الخ

كم من عهود وعصور ... وكم من صفحات وموجات اثير .. وكم من ايام وليال انفقها الانسان مفكرا ،



ديكارت



كارل ماركس

وباحثا ، ومتحدثا ، ومحاورا فيها : فتارة نجد هذا ينتصر لذلك الطرف ، وتارة نجد ذاك ينتصر للطرف الاخر .. وكل فى فلك يسبحون ؟

وبالطبع ، فعندما يحكم مفكر بأن الانسان – مثلا – « مسير » فقط ، واننا لا نملك من أمرنا شيئا ، وما نحن الا ريشة فى مهب الريح و « المكتوب على الجبين » لابد أن تراه العين ، وما الحياة فى جملتها الا أرحام تدفع وأرض تبلع ... هذا الذى ينظر الى تلك القضية من هذه الزاوية ، لابد ان يجد الطرف الاخر فى رأيه ثغرات يمكن أن يهاجمه منها ليجد أدلة وشواهد تؤكد وجهة نظره هو من حيث وجود حرية الاختيار لدى الانسان . لكنه هو بدوره ، عندما يرفض «كلية» وجهة النظر الاولى القائلة «بالتسيير» الجبرى ، يقع فى ثغرات أخرى ، يمكن لخصمه أن يهاجمه من خلالها .. وهكذا الامر فى سائر القضايا .

انها صورة من صور الثقافة ذات البعد الواحد التى تصر على النظر الى الامور من زاوية واحدة، دون ان تبصر الحقيقة ذات الابعاد المتعددة .

ولو شئنا الاستمرار فى هذا المثال لنؤكد تعدد الابعاد ، لتبين لنا أن هناك مجالات لا قبل بالفعل للانسان بتقرير أمره فيها .. فلم يكن لى خيار فى أن أولد من زوجين اسمهما كذا وكذا ، وهما والدى ، ولم اختر أن أولد مصريا ، وأن تكون اللغة الام لى هى اللغة العربية . وولادتى مصرية ، من الطبيعى أن تحيطنى بكم هائل من المؤثرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والجغرافية التى تلعب دورا كبيرا فى تشكيل شخصيتى بما تحمله من بصمات واتجاهات وقيم .. وكل هذا كان يمكن أن يتخذ مسارا آخر لو ولدت فى فرنسا أو استراليا أو الولايات المتحدة الامريكية أو الاتحاد السوفييتى أو غير هذه وتلك من البلدان الاخرى ... وكل هذا لابد أن « يكون » ويوجه ارادتى بطريق غير مباشر وأحكامى على مختلف القضايا والمسائل !

● نظام حياة

وكذلك لم اختر أن اكون مسلما ، وأن تكون النشأة الاولى فى بيئة ريفية

ثقافة

البعد الواحد

لهـا تقاليدها وعاداتها وانماطها المعيشية ونسـقها القيمى ، كما أن الاسلام « نظام حياة » يشيع فى جوانب حياة المسلم كما غير قليل من المعايير والاتجاهات وزوايا الرؤية والحكم على الامور ٠٠

ولست انا الذى اخترت ان اكـون « رجلا » لا « انثى » ولهذه الصفة أو تلك نمط كامل من الحياة يفترق الى حد كبير عن الاخر وخاصة بالنسبة للثقافة العربية الاسلامية ٠٠

ولست انا الذى اخترت لون عينـى ولون بشرتى ، وأن يكون طولى كذا أو كذا ، وهذا وذاك أيضا له دوره لـذى لا ينكر فى تكوين الشخصية ٠٠٠

هل يستطيع أحـد أن ينكر هـذه الابعاد « الحتمية » ٠ التى لابد ان يكون لها تاثيرها فى توجيه الارادة الانسانية ؟

لا أظن ٠٠٠

لكننا نجد انفسنا امام حقيقة أخرى تفرض نفسها ، وتلك هى أن الايمان بالله وباليوم الاخر وما يرتبط به من « حساب » يفترض بالضرورة ، حرية الارادة ، لان هناك ارتباطا وثيقا بين « المسئولية » (و « الجزاء » ، اذ كيف يثاب انسان أو يعاقب على ما لم تكن له حرية ارادة اختياره ؟

بل انك اذا نظرت الى القـوانين الوضعية ، فسوف تجدها جميعا قد اقيمت على قاعدة (المسئولية) : فالذى يسرق ، أو يقتل ، أو كذا وكذا من الاعمال التى تشكل انحرافا واضحا له عقابه الذى يتناسب مع جنس وقدر الانحراف المرتكب وكيف تستطيع ان تنكر أننى أنا الذى اخترت تعـلم الفلسفة فى كليـة الاداب بجـامعة القاهرة ، ثم اخترت بعد ذلك دراسـة العلوم التربوية والنفسية بجامعة عين شـمس ؟ واننى اخـترت زوجـتى واصدقائى ٠٠ الى غير ذلك من محيط ضـخم من الافعـال التى اتحمـل مسئوليتها ؟

● صور متناقضة

وانظر بعد ذلك الى قضية أخـرى تثير الكثير من الجدل لدى كتـابنا المعاصرين ، الا وهى « تجربة ثـورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ » ٠٠

فلو جمعت ما كتب عنها ، وهو كـم كثير ، فسوف ترى عجبا حقا ٠٠

لكن الملاحظة الهامة هنا ، انك ستجد ما كتب ينقسـم الى قسمين اثنين لا ثالث لهما ٠٠٠ ستجد قسما ينهـال عليها بالسهام والنبال احيانا ، وفى الغالب يسلط عليها المدافع والقنـابل والبوارج والغواصات ٠٠٠ فهى فى نظر أصحاب هذا القسم (قتـلت) و (شردت) و (نهبت) و (أذلت)٠٠ الى غير ذلك من الفـاظ ومصطلحات تجتمع حول دلالة واحدة ، وهى أن هذه الثورة كانت (كارثة تاريخية) !!

فاذا اتجهـت الى القسم الاخر ، فسوف تجد صورة مناقضة للصـورة السابقة تمـاما ، ستجد الورود والرياحين ، والبسمات والابتهـالات ، والبركات وطيب الامنيات ، فهى فى نظر اصحاب هـذا القسم هى التى « حررت » الانسان العربى لا فى مصر وحدها وانما فى معظم انحاء العالم العربى ، وهى التى طاردت الاستعمار

وكافحته في كل مكان ، وهي التي حاولت ان تقف للصهيونية بالمرصاد وهي التي قضت على وسائل وصور الاستغلال الاجتماعي والاحتكار الاقتصادي الى غير ذلك من الفاظ ومصطلحات، تشير كلها الى دلالة واحدة ، وهي أن هذه الثورة ، كانت ذروة النصر العربي وصفحة مشرقة من صفحات التاريخ !

وليس هنا مجال التقييم الحقيقي لهذه الثورة ، وليس هذا هو هدفنا ، ولكن ما نسعى الى التنبيه اليه هو ان كلا من الطرفين ينظر الى (القمر) من ناحيته هو فقط متجاهلا ان هناك جهة اخرى تكون مع الاولى حقيقة القمر ·· هؤلاء يقفون تجاه وجهه المنير ، وهؤلاء يقفون تجاه وجهه المظلم ··

فريق لا يرى من هذه الثورة الا افعال الاجهزة الامنية وخاصة المخابرات وما شهدته السجون والمعتقلات ، وما تم من مصادرات وتاميمات وفرض حراسات وهزيمة مدوية في يونية سنة ١٩٦٧ ·

وفريق اخر تنجذب عيناه الى تلك الشعوب العربية التي كانت محتلة فتحررت والى تلك المشروعات الانتاجية العملاقة كالسد العالي والحديد والصلب وغير هذا وذاك ··

ومن المناقشات التي تدور بين الفريقين ، تجد لهجة « التكفير » هي السائدة : انه التفكير ذو البعد الواحد !!

ولو دققنا النظر في اقوال وحجج المعارضين ، فاننا لا نستطيع أن نسايرهم في منطقهم الى مدى بعيد ، اذ مما لا شك فيه أن قوى الاستعمار والصهيونية خططت كثيرا لاغتيال زعيم هذه الثورة الراحل جمال عبد الناصر ، والذي يقرأ الوثائق الخاصة بهذه الفترة يلمس بغير غموض أو لبس ، أن الكثير من التحركات الاستعمارية وخاصة من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا انما كانت تستهدفه هو بصفة خاصة ، فاذا ما استحضرنا الى الذهن تلك المقولة المنطقية التي تقول « عدو عدوى صديقي » ·· نستطيع التيقن أن هذا العداء الاستعماري والصهيوني المحموم تجاه زعيم هذه الثورة انما يدل دلالة قوية على اتجاه هذه الثورة على طريق التحرير والبناء لصالح الامة العربية ·

لكننا من ناحية اخرى لا نستطيع ان نمنع أنفسنا من الاسى عندما يدفع الحب والاعجاب والتقدير بالانصار الى الدفاع عن عدد من الانحرافات الواضحة وخاصة فيما يتعلق بالقضية الديمقراطية في صورتها الفكرية · وان حب الثورة وتقديرها والاخلاص لها لا يقلل منه أبدا الاعتراف بالاخطاء والانحرافات ، والا فان انكار هذا انما يعني تفكيرا لا تاريخيا ، لان التجربة التاريخية لاى ثورة من الثورات طوال مختلف القرون والعهود لا تدل أبدا على أن أيا منها قد سلم من الانحراف ومن الخطأ ، والا فبماذا نفسر عدم القدرة على الاستمرار ؟ صحيح ان البعض قد يسارع برفع راية العوامل الخارجية المضادة ، ومع اقرارنا بدورها الفعال ، الا أننا نؤكد من جانبنا أن العوامل الداخلية هي الاكثر فاعلية والاكثر حسما ·

ونستطيع أن نسير على نفس المنوال بالنسبة لقضايا أخرى مماثلة ···

وهناك صور أخرى من صور التفكير ذى البعد الواحد ، الا وهى التي ينبدى فيها القول بالعامل الواحد في تفسير الظواهر الانسانية على وجه العموم ان هذا اذا جاز بالنسبة للظواهر



البعد الواحد

المادية غير الحية بحيث ان الحرارة التي تسببت في تمدد هذه القطعة من الحديد أو ما شابه ذلك، فانه لا يجوز بالنسبة للظواهر الانسانية والظواهر الاجتماعية !

ان مصادر الفكر تحفظ لنا عددا غير قليل من المذاهب ذات البعد الواحد ، فهذا مذهب يؤكد فيه أصحابه انها جملة الظروف الاقتصادية وحدها، ومذهب ثالث يرى انها تكمن في العرق والسلامة والجنس ... وهكذا .

ولا شك انك اذ تقرأ الامثلة التي يسوقها أصحاب كل مذهب ، تلمس فيها وجاهة رأى ، وآيات صحة وصواب ، ذلك لانهم وقفوا عند (زوايا) و (مواقف) بعينها قد يصدق عليها تفسيرهم ، لكنك عندما تقلب البصر اكثر فاكثر ، سوف تواجه بامثلة اخرى لا يقوى أى مذهب بمفرده على تفسيرها .

● اختلاف الاراء والاحكام

وليس هناك مجال مناقشة هذه المذاهب ، فهذا باب يطول الحديث فيه، اذ يحتاج ، لا الى صفحات اخرى ، وانما يحتاج الى بحوث ودراسات عديدة تستغرق شهورا واعواما ، ويكفى أن نشير هنا الى ذلك المثال الشهير الذى ساقه (أبو حيان التوحيدى) من اننا امام الحقيقة ، كمجموعة من العميان ، التفوا حول (فيل) دون ان يعرفوا مسبقا ، انه كذلك ، ثم طلب من كل واحد منهم ان يقول رأيه فيما هو أمامه ، فمد كل منهم يده الى الموضع الذى أمامه من الفيل ، وبناء على ذلك قال انه كذا ...

وبطبيعة الحال ، فمواضع الايدى قد اختلفت ، ومن ثم ، اختلفت الاراء والاحكام ! فكل منهم صادق بالقياس الى موضع خبرته ، لكنه يكون غير صادق لو نسى (محدودية) ادراكه وحكم بانه قد الم بالظاهرة من جميع اطرافها ، ويحكم بان رأيه هو وحده ، الصواب ، وان الاخرين غير ذلك !

ان الحقيقة هى (جماع) تلك (الاراء) لكنها ليست مجرد حاصل (جمع) ، والا لجمعنا - مثلا - عينى الفيل بجوار ذيله ، واقدامه الاربعة بجوار بعضها على خط افقى واحد . أن هناك موازين ومعايير ونسبا وعلاقات ، يحتاج التوفيق فيها جهودا فكرية طويلة ، وتجارب وخبرات واجتماع عدة عقول .

ان النظرة الفاحصة لكثير من مظاهر (الكون) تؤكد بجلاء ووضوح، انه « منظومة » كبرى ، يرتبط بعضها ببعض ، لا ارتباط تجاور مكانى أو تتال زمانى ، وانما ارتباط تفاعل وجدل .. ارتباط علاقات وظيفية ... هذه المنظومة الكبرى نفسها تتكون من مجموعات شتى من المنظومات الاخرى، التى يضم كل منها منظومات فرعية ايضا ... وهكذا حتى نصل الى الذرة .

وليس هذا القانون بقاصر فقط على الظواهر الكونية ، وانما هو ايضا كذلك بالنسبة للظواهر الاجتماعية (البشرية) بحيث يتحتم علينا التفكير فيها بنظرة (شبكية) تكاملية . وبقدر ما تكون ثقافتنا على الطريق بهذه النظرة بقدر ما تتجاوز مرحلة الطفولة

ذات البعد الواحد ·

ومع ذلك ، تتبقى أمامنا معضلة تحتاج الى تفكير ···

فاذا كنا نقول بأن التفكير ذا البعد الواحد انما يعبر عن (طفولة فكرية) فما القول فى تلك الحقيقة التى تقول ان عددا غير قليل من المذاهب والفلسفات والنظريات العلمية والفكرية الكبرى هى التى يشيع لديها القول بهذا البعد وحدة أو ذاك · أليس أفلاطون وديكارت ـ مثلا ـ هما اللذان قالا بأن الفكر هو الحقيقة الجوهرية فى عالم الانسان ·· وسار وراءهما عدد كبير من الفلاسفة والمفكرين التاليين ؟

أليس كارل ماركس هو القائل بالعامل الاقتصادى ، وفرويد بالعامل الجنسى الى غير هؤلاء من شوامخ الفكر واعلامه ؟

اننا مع تسليمنا بعظمة هؤلاء وغيرهم وشموخهم الذى لا ينكر . الا اننا لا نعفيهم من خطأ المنهج ، ودليلنا الاساسى هو أن أيا منهم ـ كما سبق أن أشرنا ـ لم يستطع بنظرته أن يقدم « المفتاح » الذى يفتح به أسرار الكون والحياة ويدعم هذا ايضا اننا ـ على وجه التقريب ـ ومنذ القرن العشرين ، لم نر مثل هذا النموذج من المفكرين المغرمين بتصور القدرة على تفسير مظاهر الحياة الانسانية بالقول ببعد واحد ···

لقد ذهب هذا الزمن وولى ، لانه زمن الطفولة الفكرية البشرية حتى ولو كانت قد امتدت قرونا عبر قرون ··

واذا كان هذا قد زال بالنسبة لاعلام الفكر الكبار ، الا ان هذا النمط من التفكير مازال يمارس « جماعيا » فى بعض المجتمعات وبعض الثقافات مما يدل على ان هناك « جيوبا » ثقافية مازالت تعيش مرحلة الطفولة الفكرية ذات البعد الواحد ·

ونحن نرتكب جريمة كبرى فى حق اطفالنا وشبابنا عندما نقدم لهم الكثير من المعلومات والمعارف فى ظل مثل هذا المنطق البدائى ، ونظرة واحدة الى مقررات التاريخ ـ مثلا ـ التى تدرس فى مختلف المدارس العربية ستجد أن ثلاثة أرباع كل منها على الاقل تكرس للتاريخ السياسى وحده اهمالا للتاريخ الاجتماعى والاقتصادى والفنى بل ان التاريخ السياسى نفسه ، لا نرى فيه الا سيرة الحكام الذين يتربعون على قمة السلطة السياسية ، أما حركة الشعوب نفسها أما حركة الثورة ومواقف القوى المعارضة فتلك يهال عليها تراب الصمت والنسيان ، واذا أشير اليها ، صورت على انها « عصيان » و « تمرد » لا على انها تمثل وجهة نظر أخرى ·

وهكذا تنشأ أجيال لا ترى بالنسبة للرأى الا بعدا واحدا ، وتنشأ أجيال تتوهم ان التاريخ ملك فقط « للناس اللى فوق » أما « الناس اللى تحت » فهؤلاء يلقون فى سلة المهملات ···

ان صحة الجسم وسلامته ، السبيل اليهما « تنويع » العناصر الغذائية ، فالجسم لو عاش على عنصر واحد مهما كانت قيمته ، يصاب بالهزال والمرض ···

كذلك الشان بالنسبة للثقافة ، انما يغذيها ويحفظ لها الحيوية والاستمرار والازدهار أن تتنوع العناصر المغذية لها ··· ان تتعدد الاراء وتختلف الافكار وتتباين وجهات النظر!

الربيع الديمقراطى
فى الدول الاشتراكية

لماذا هاجمت الاذاعة البريطانية بوريس يلتسين ؟

بقلم : عبدالرحمن شاكر

لاشك أن شهر مارس من هذا العلم (١٩٨٩) ، سوف يدخل التاريخ باعتباره شهر التحول الديمقراطى فى الاتحاد السوفييتى ، بعد اثنين وسبعين عاما من الحكم المطلق للحزب الشيوعى . فبالرغم من أن هذا الحزب لا يزال هو الحزب الوحيد المسموح بقيامه حتى الآن فى الاتحاد السوفييتى ، فإن سلطانه لم يعد مطلقا ، بل عليه قيد شديد من مؤتمر الشعب ، الذى جرت الانتخابات له فى مارس المذكور ، وسقط فيها عدد من مرشحى الحزب ، بل من أبرز قياداته فى المدن الكبرى موسكو ولننجراد وكييف ، ونجح عدد من المستقلين عن الحزب ، بل المغضوب عليهم من دوائره الرسمية ، وفى مقدمتهم بوريس يلتسين ، قائد الحزب السابق فى موسكو ، والذى عزل من منصبه ، ونحى عن موقعه فى المكتب السياسى للحزب ، ويدور التحقيق معه حزبيا ، للتاكد مما أذا كان قد خرج على الخط السياسى العام للحزب ، بتاييده للحوار حول إمكان قيام تعدد حزبى فى الاتحاد السوفييتى ، وهو التحقيق الذى لو ادين فيه يلتسين فربما يعاقب بالطرد من عضوية اللجنة المركزية للحزب ، وربما من صفوف الحزب كلها !

● على أنه من المحتمل أن يتوقف هذا التحقيق الآن ، بعد فوز يلتسين الساحق فى الانتخابات ضد المرشح الرسمى للحزب .

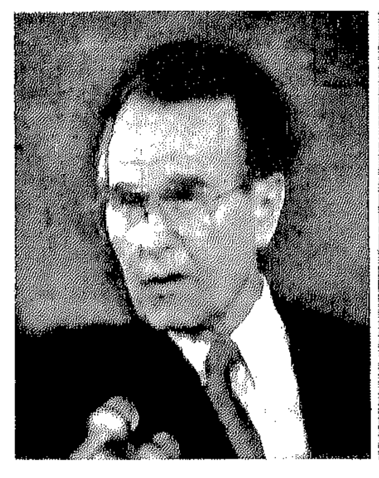
ولم يكن فوز يلتسين فقط رغم سخط الحزب الشيوعى عليه ، هو علامة الديموقراطية الوليدة فى ربيع موسكو الديموقراطى فحسب ، بل إن وقفة الجماهير إلى جانبه قبل الانتخابات ، وبشكل صريح هى علامة أخرى لا تقل اهمية عن نتيجة الانتخاب ، التى يشهد الجميع أنها كانت غاية فى النزاهة ، فهذه



بوريس يلتسين



جورباتشوف



جورج بوش



لينين

ماوتسى تونج



رئيسه جورباتشوف

الجماهير قد تظاهرت من أجل يلتسين ثلاث مرات ، المرة الأولى كانت بالرغم من القانون الذى يحرم التظاهر دون إذن من السلطات . والمرتان الأخريان كانتا بإذن ، لأن المتظاهرين أدركوا من سلوك الحكومة أنها لا تنوى قمع الجماهير المتحمسة لمرشحها بالرغم من أن بعض المتكلمين فى هذه المظاهرات قد استبقوا التحقيق الحزبى الذى كان يدور مع يلتسين ، وأعلنوا أنهم يؤيدون مطلبه فى قيام نظام تعدد الأحزاب فى الاتحاد السوفييتى بدلا من نظام الحزب الواحد ، ولعل ذلك يكون بالفعل هو الخطوة الديموقراطية التالية التى يمكن أن يشهدها الاتحاد السوفييتى .

ولكن اغرب ما فى موضوع بوريس يلتسين هذا ، هو التعليقات التى انطوت عليها بعض منابر الغرب البارزة ، فبالرغم من أنها بطبيعة الحال كانت تتوقع فوز يلتسين ، ولم يكن من غير المعقول أن تبدو متحمسة للمرشح الرسمى للحزب الشيوعى السوفييتى ، فانها لم تقصر فى الهجوم على يلتسين فى تصويرها لشخصيته ، على نحو ربما لم تقدم عليه

الربيع الديمقراطى
فى الدول الاشتراكية

الدعاية الحزبية ضده ، والتى تظاهرت ضدها جماهير موسكو ! فقد تطوعت هيئة الاذاعة البريطانية بوصف يلتسين قبل ظهور نتيجة الانتخابات ، بأنه شخصية غوغائية !! فلماذا كان هذا الموقف العدائى من اول وأبرز مرشح يتحدى سلطة الحزب الشيوعى السوفييتى فى اول انتخابات ديموقراطية تجرى فى هذه الدولة الكبرى ؟ اكبر الظن عندى أن السبب فى ذلك هو أن يلتسين يتحدى الطبقة الجديدة وسياستها وأسلوبها فى الحياة ، فهو يدين مسئولى الحزب الذين يستخدمون فى تنقلاتهم السيارات الفارهة وسط شعب يعانى من الوقوف فى الطوابير ، وكان يلتسين ذاته ، حينما كان يشغل موقعه كرئيس للجنة الحزبية فى موسكو ، يستخدم مترو الانفاق فى تنقلاته أسوة بالشعب الكادح سواء بسواء !

هذا فى رأيى هو مصدر سخط الغرب على بوريس يلتسين ، ووصفهم له بالغوغائية ، بل ربما يرون أن تيار بوريس يلتسين على هذا النحو من التفكير ، يمكن أن يوصف بأنه شيوعى أكثر تطرفا من الحزب الشيوعى الحاكم ذاته ! والواقع ان الاصلاح الديمقراطى ، الذى يقوده ميخائيل جورباتشوف هو سلاح ذو حدين ، وملاءة الديموقراطية التى يبسطها شيئا فشيئا تحت اسمى "البيروسترويكا" أو إعادة البناء ، والجلاسنوست أى المكاشفة والمصارحة . هذه الملاءة إنما يتنازعها طرفان كلاهما يحاول الاستئثار بها :

١ ـ الأول منهما هو جماهير العاملين ، الذين يعبر عنهم أمثال يلتسين ، والذين يعتبرون أن الطبقة الجديدة من البيروقراطية الحكومية والحزبية هى التى تحرمهم من مستوى المعيشة الأفضل . وتستأثر به لنفسها ، وهؤلاء يرون أن مزيدا من الديموقراطية يعنى مزيدا من العدل الاجتماعى أو الاشتراكية .

٢ ـ أما الفريق الثانى ، فهم الذين يتطلعون إلى الديموقراطية ، باعتبارها عودة الى النظام الرأسمالى فى الغرب ، الذى يعنى مزيدا من التفاوت الطبقى وليس العدل الاجتماعى ، وخاصة أن سياسة البيروسترويكا فى بعض جوانبها تدعو إلى إطلاق يد القطاع الخاص فى بعض جوانب الاقتصاد السوفييتى على غرار ماكان معمولا به أيام السياسة الاقتصادية الجديدة التى اتبعها لينين بعد حروب التدخل .

وواضح ان الغرب ومنابره الإعلامية تقف بشدة ضد الاتجاه الأول ، ومع الاتجاه الثانى ، بل إن نجاح الاتجاه الأول الذى يعبر عنه يلتسين سوف يكون كارثة بالنسبة للغرب ، فقد كانت دعايته ضد النظام الاشتراكى عادة تنصب على خلوه من الديموقراطية ، فإذا مانجح هذا النظام فى التخلص من الاستبداد واكتساب الديموقراطية دون أن يتخلى عن طبيعته الاشتراكية ، بل أن يحقق شعار (مزيد من الديموقراطية ومزيد من الاشتراكية) الذى يدعو إليه جورباتشوف فى كتابه عن البيروسترويكا ، فمعنى ذلك أن

الاشتراكية سوف تعلو سمعتها إلى مدى لا يحلو الغرب الرأسمالي بالقدرة على النيل منها !

● جورباتشوف .. مع من

لا يكاد يخلو تعليق على نتيجة الانتخابات الأخيرة في الاتحاد السوفييتي من التساؤل عن موقف ميخائيل جورباتشوف ذاته من نتيجة هذه الانتخابات ، خاصة ، أنه يجمع بين الصفتين ، أو أنه "ذو الرياستين" حيث يجمع إلى صفة السكرتير العام للحزب الشيوعي ، صفة رئيس الدولة ، وهو في النهاية واضع النظام الجديد ، الذي يتضمن قدرا من المواجهة بين الحزب الشيوعي الحاكم ، والهيئة الجديدة المنتخبة تحت اسم مؤتمر الشعب ، التي لم تعد ، ولن تعود كما كانت في الماضي . مجرد قفاز حزبي يملى عليها الحزب مرشيحه ، بل أصبحت كما دلت الانتخابات الأخيرة ، مجلسا نيابيا حقيقيا ، يمكن أن يسقط في الانتخاب له من يرشحه الحزب ، مهما تكن مكانته في الحزب أو الدولة ..

فريق من المعلقين ، يرى أن جورباتشوف سعيد بنجاح بوريس يلتسين ، الذي يوصف بأنه جورباتشوفي أكثر من جورباتشوف وأن معنى نجاح يلتسين أن يمضي جورباتشوف في إصلاحاته بخطى أكثر وثوقا في مواجهة معارضيه من المحافظين ، بالرغم من أن جورباتشوف قد خذل يلتسين في معركته الحزبية وتركهم (أي المحافظين) يسقطونه من المكتب السياسي للحزب ، وبالمقابل فإن يلتسين . الذي يقول إنه يريد لاصلاحات جورباتشوف أن تتم بايقاع أسرع ، لم يتردد في أن يوجه النقد إلى زوجة جورباتشوف ويأخذ عليها حرصها الزائد على الاناقة على نحو لايتاح لكل زوجة سوفييتية !

فهل يكون يلتسين عونا لجورباتشوف على المضي في اصلاحاته ام يكون بمثابة احتياطي له ومرحلة لم يحن اوانها بعد في الحلول محله بسياسة اكثر اصلاحا مما يطيق جورباتشوف ؟ ذلك مالا يمكن التكهن به حاليا ، على أنه يكفي بالنسبة لجورباتشوف أن يكتفي بالتزام ما يريده الشعب السوفييتي وليس الحزب الشيوعي سواء في ذلك التطور بالديموقراطية إلى حد إقرار تعدد الأحزاب ، أو الحد من شراهة الطبقة الجديدة ، لقد قال جورباتشوف تعليقا على الانتخابات إن الشعب السوفييتي قد قال كلمته ، وهي أهم من كلمة الحزب ، وبالتالي من أي كلمة تطلقها أبواق الدعاية الغربية !

المائدة المستديرة

ولعل من أهم الأصداء الدولية لفوز يلتسين ومن على شاكلته في الانتخابات السوفييتية هو ما حدث في بولندا والصين في الأسابيع التالية لتلك الانتخابات .

ففي بولندا عقد اجتماع المائدة المستديرة ، ما بين السلطات الحكومية بزعامة الحزب الشيوعي ، ونقابة تضامن العمالية المستقلة ، التي كان نشاطها محظورا لعدة سنوات ، وتم اللقاء بين ياروزلسكي رئيس الحكومة وسكرتير عام الحزب الشيوعي ، وليخ فاونسا زعيم نقابة تضامن ، الذي هو اكثر استقلالا عن

الربيـــع الديمقـرطـــى
فى الدول الاشـتراكية

الحزب من يلتسين ، بحيث يعلن ولاءه المذهبى للكنيسة الكاثوليكية التى يتبعها ، وأسفر هذا اللقاء عن اتفاق بين الطرفين على أن توسع الحكومة صدرها للمعارضة بشكل رسمى ، فتم الاعتراف القانونى بنقابة "تضامن" المستقلة ، وافرج عن المسجونين السياسيين من انصارها ، واتفق على أن تخصص نسبة ٣٥ ٪ من المقاعد النيابية فى الانتخابات المقبلة للمعارضين والمستقلين وعلى رأسهم نقابة تضامن ، ومعنى هذا الاتفاق ان نقابة تضامنت تقبل استمرار الحزب الشيوعى فى الحكم ، ولا تسعى فى الوقت الحاضر على الأقل للتخلص من حكمه ، شريطة ان يكون للمعارضة دورها فى مراقبة أعمال الحكومة ، وحريتها فى التعبير عن ذلك بشكل رسمى ، سواء من داخل المجلس النيـابى ، أو عن طريق صحـافتهـا المستقلة .. فليس عن طريق الحكم وحده تؤدى المعارضة دورها فى توجيه سياسة الدولة ، وانما فى مواقع المعارضة ذاتها يمكنها أن تكشف عن كثير من أوجه الفساد والقصور فى الاعمال الحكومية ، وتجبر السلطات على تعديل مسارها خشية الافتضاح أمام الرأى العام من جمهور المواطنين . وهذا الاتفاق الذى تم فى بولندا ، لا يخرج عن كونه صورة من الديموقراطية ، وإن اختلفت فى مظهرها عن اقرار الحزب الشيوعى فى المجر ، وبرلمانها ، تعدد الأحزاب وهو الصورة التقليدية للديموقراطية . وقد وجد الغرب نفسه مضطرا إلى الاعتـراف بهذه

الحقيقة . فلقد قرر الرئيس الأمريكى بوش ان يزور كلا البلدين ، وأن يقدم مساعدات اقتصادية لبولندا ، بعد أن كانت العقوبات الاقتصادية مفروضة عليها من الولايات المتحدة من أيام كانت خاضعة لقانون الطوارىء فى مواجهة الاضطرابـات العمالية التى قادتها منظمة تضامن . ومفهوم أن الرئيس الأمريكى يريد بزيارته أن يجعل من التطور الديموقراطى فى كلا البلدين الاشتراكيين بولندا والمجر مدخلا إلى مزيد من الاخذ بالاساليب الراسمالية فى الاقتصاد وبالتالى التقارب مع الغرب ، ولكننى لن انسى كلمـات المهندس البولندى الذى قابلته فى مدينة تشتاكوفا البولندية عام ١٩٨٢ ، والذى استقال من الحزب الشيوعى وانضم إلى نقـابة تضامن ، حيث قال لى : "إننا لن نرد الاراضى إلى الاقطاعيين ولا المصانع إلى الراسماليين ، ولكننا سئمنا اشتراكية البلدان المتخلفة ، الاشتراكية التى تقوم على القهر ، ولا تستفيد منها إلا فئة محدودة ، وهى أعضاء الحزب الحاكم .. وإننـا نريـد اشتـراكيـة حقيقيـة .. وديموقراطية حقيقية (١) .

● ٤ مايو من جديد :

أما الصين فقد شغلت العالم لمدة اسبوعين على الاقل بمظاهرات الطلبة فى مدنها الرئيسية وذلك بمناسبة وفاة "هو باو بنج" السكرتير السـابق للحزب الشيوعى والذى كان قد عزل من منصبه بسبب اتهامه بالميول الليبرالية ! وقد



ياروزلسكى



زنج سياوبنج

استلهموا منها ، وخاصة فى يوم ٤ مايو ذكرى المظاهرة التى قامت فى نفس اليوم فى علم ١٩١٩ بقيادة شوان لاى من جامعة بكين العريقة ضد النظام الاستبدادى الذى كان قائما فى الصين آنذاك .. واليوم وبعد سبعين عاما يخرج الطلاب من ذات الجامعة ثائرين ضد استبداد الحزب الشيوعى ، الذى كان شوان لاى أحد زعمائه ومرؤوسيه وقادة الثورة الصينية بزعامته ، وحكام الصين باسمه .. بعد أن أدى الاستبداد إلى الفساد ، رغم الانفتاح الاقتصادى الذى قاده دنج سياو بنج ، بعد وفاة ماوتسى تونج ، والذى يستهدف تحديث الاقتصاد الصينى . ولكن مظاهرات الطلبة ، بزعامة اتحادهم المستقل ، على غرار نقابة تضامن العمالية المستقلة فى بولندا ، تقول بكل وضوح : إن الانفتاح الاقتصادى لا جدوى منه إذا لم يصاحبه انفتاح سياسى ، يسمح بحرية التعبير من خلال الصحافة والاجتماعات والمنظمات المستقلة ، بل حتى المظاهرات .. وهذه كلها أدوات الديموقراطية التى لاغنى عنها ، لكى تصبح الاشتراكية حقيقة ، وليست حكرا لبعض الأفراد أو الفئات فى مواقع الحكم .. لذلك تضمنت مطالب الطلبة فى مظاهراتهم التى صفق لها العمال وهلل لها الصحفيون ، الكشف عن ثروات وارصدة لزعماء الحزب وأسرهم ، وكثير منهم قد تورط مع الانفتاحيين الجدد فى أعمال مشبوهة تستهدف الاثراء الشخصى على حساب المصلحة العامة (١) ، فى الوقت الذى تزداد فيه أحوال العمال والفلاحين تدهورا ويعانى الشباب المتعلم من البطالة ، ولم ينس الطلبة فى بعض مظاهراتهم أن يعلنوا أنهم يريدون الاستمرار للنظام الاشتراكى بقيادة الحزب الشيوعى ، ولكنهم يريدون لهذا النظام أن يخضع للرقابة الشعبية عن طريق الاصلاحات الديموقراطية على غرار مايدعو اليه يلتسين فى الاتحاد السوفييتى ، وانصار نقابة تضامن فى بولندا . إنها إصلاحات ديموقراطية لصالح الاشتراكية ، وليست ضدها !.

---

(١) راجع مقال [هل تولد الدولية الخامسة فى مدينة مقدسة] مجلة الهلال عدد مارس ٨٣

حقائق جديد عن :



الدعوة .. الثورة .. الدولة

بقلم : د. محمود اسماعيل

■■ عن الشيعة الزيدية كتب الكثير .. تستوى فى ذلك كتابات القدماء ودراسات المحدثين .. لكن اغلب ما كتب انصب على الجوانب الاعتقادية من جانب مؤرخى الفرق قديما ودارسى الفلسفة الاسلامية حديثا . ومن ثم اغفل هؤلاء الجانب السياسى فى تاريخ الزيدية ... بينما جاءت اخبار هذا الجانب السياسى عرضا فى حوليات القدماء وكذا فى دراسات المؤرخين المحدثين ، وذلك ضمن رصدهم العلم لحركات المعارضة ضد الامويين ومن بعدهم العباسيين . وبالتالى نفتقر الى دراسة متكاملة عن التاريخ السياسى للشيعة الزيدية .

وهدف هذه الدراسة اكثر طموحا من مجرد وضع المعالم العامة لهذا التاريخ السياسى اذ تصبو الى تقديم هيكل هذا التاريخ المتكامل فى ضوء الفكر الزيدى عموما والفكر السياسى منه على وجه الخصوص .

هذا هو الجديد الذى نبشر به استنادا الى :

جدة المنهج الذى يجمع بين رؤية المؤرخ ونظرة دارسى الفكر فى وحدة لا تقبل التجزئة بحيث يستهدف فى النهاية تقديم التاريخ السياسى لا بوصفه حقائق على شكل أحداث ووقائع . بل ينشد البحث عن الوشائج الداخلية بين تلك الوقائع ليقف عليها ويقدمها فى صورة مجموعة من الأفكار الواضحة المحددة .

كما يستند الكاتب فى هذا الصدد الى عدد من النصوص الجديدة التى لم توظف سلفا فى بحث الموضوع ، رغم



حقائق جديدة عن :

الزيدية

وجودها ومرور الدارسين عليها مرور الكرام على اساس ان دارسي المذهب لم يحفلوا بالمعلومات خارج هذا الاطار . كما ان دارسي التاريخ لم يقتربوا من النصوص المتعلقة بالمذهب واعتقاداته إلالماما .

وننوه بان اشكاليات عويصة تعتور سبيل الباحث ، لعل من اهمها الاختلاف البين في رؤى المصادر فالصراع بين السنة والشيعة عقيديا وسياسيا وعسكريا انعكس على الكتابات التاريخية ، بحيث اصبح ما يكتبه الخصوم عن الخصوم ضربا من الكذب والافتراء .

● معارضة العباسيين !

وتتجلى تلك المقولة خاصة اذا ما ادركنا ان تدوين التاريخ الاسلامي جرى في العصر العباسي الذى شكلت فيه فرقة الزيدية اهم قوى المعارضة للعباسيين والخلاف بين فرق الشيعة نفسها يعود الى نفس النتيجة خصوصا اذا ما تعلق الأمر بموضوع «الامامة» خصوصا والفكر السياسي بوجه عام . ناهيك عن صعوبة استخلاص الحقائق واستجلائها بالنسبة للمذهب الزيدى بشعبه المختلفة .

ويزداد الامر صعوبة إذا وقفنا على اختلاط فكر ودعوة وتاريخ الزيدية السياسي بفكر ودعوة وتاريخ فرقة اخرى هى فرقة المعتزلة .

لكن سلامة المنهج قمينة بتذليل هذه الصعاب وفك طلاسم تلك الاشكاليات .

* * *

معلوم أن الزيدية فرقة شيعية ، وأن المذهب الشيعى نشأ من خلال جدل وصراع سياسى ـ اجتماعي فى صدر الاسلام حول قضية «الإمامة» . ومعلوم ايضا أن وصول الامويين الى الخلافة «مغالبة» ، ادى إلى تصدر الشيعة قوى المعارضة ومن خلال هذه المعارضة ولد المذهب الزيدى في ظروف عصيبة بعد استشهاد الحسين وفشل الشيعة الكيسانية ولجوء العلويين عموما إما إلى المهادنة الحذرة او العمل السياسى السرى بالاشتراك مع العباسيين .

ينتسب الزيدية الى الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على ابن ابى طالب . وقد نشأ فى المدينة وتقلب ما بين الكوفة والبصرة داعيا لنفسه حين ازمع اتباع الأسلوب الثورى لتحقيق مشروعه السياسى .

والجديد الذى نود اثباته فى هذا الصدد ان الثورة كانت مسبوقة بدعوة ، وأن الدعوة استندت الى اساس «اديولوجي» ، وتلمس هذا الأساس يكمن فى طبيعة الفكر السياسى الزيدى عموما ومشكلة الامامة على وجه الخصوص .

ومما يسترعى النظر أن هذا الفكر افاد من اخطاء التجارب العلوية السياسية السابقة ، فجنح نحو الاعتدال والوضوح خاصة بصدد الموقف من مسالة «الأمامة» ، فبينما عول الشيعة عموما على مبدأ «النص والتعيين» ، جعلها الزيدية «شورى» فى ولد الحسن والحسين .. وصدق ابن

جوزوا «إمامة المفضول مع وجود الافضل

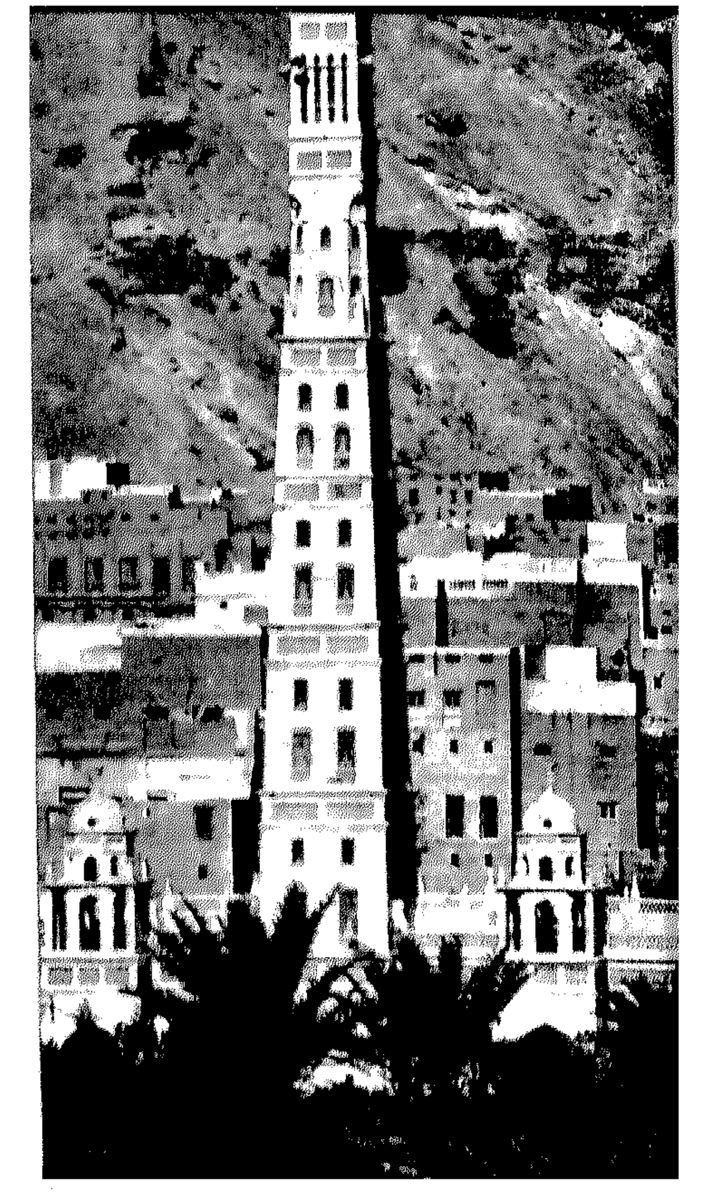
● الاعتدال العملى

هكذا اتسم الفكر السياسي الزيدى بالاعتدال استهدافا لأغراض عملية فحواها جذب المزيد من الاتباع والانصار وتوجيههم للكفاح المسلح تحقيقا لاغراضهم السياسية . ولم يجد الزيدية غضاضة فى الافادة من الفكر السياسي لبعض المذاهب الاخرى كاهل السنة والخوارج والمعتزلة على نحو خاص .

وموضوع التاثر بالاعتزال قمين بوقفة متانية لانه من الأمور التى يستهدف الكاتب برهنتها .

فمعلوم ان واصل بن عطاء افاد من علم الائمة العلويين كما افاد بدوره زيد ابن علي مؤسس المذهب الزيدى ، إذ يؤكد الشهرستانى انه تتلمذ على واصل ، ولا غرو فقد تاثر الزيدية بالمعتزلة فى مسالة «الامامة» من حيث اشتراط عدالة الامام ، كذا مجاراتهم فى الدعوة « بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .. وإن كان جولد تسيهر يرى أن هذه الافكار «علوية» اصلا إذ سبق أن بسطها على بن ابى طالب سلفا . ومهما يكن من أمر ، فإن التمازج والتداخل بين الفرقتين حقيقة واقعة ليس فقط على الصعيد الفكرى بل امتدت إلى العمل السياسى ، دعوة وثورة ودولة .

وفيما يتعلق بالدعوة الزيدية ، تثار اشكالية جديدة ، فحواها هل كانت الدعوة لزيد مستقلة ، ام انها اندرجت في سلك الدعوة العباسية ، وماذا كان موقف المعتزلة من الزيدية والعباسيين



احد المساجد المرتفعة (١٥٠) قدما عن الارض في جنوب اليمن ـ المدينة بها ٣٠٠ مسجد

خلدون حين قال : «ساق الزيدية الامامة على مذهبهم باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص » . وحجتهم انها « لا تستحق على وجه الارث ولاجزاء على الأعمال » كما رفض الزيدية مقولة «التقية » وأوجبوا ان يكون الامام عالما زاهدا شجاعا غير خوار ولا جزوع . عليه أن يشهر سيفه وعلى جماعة المسلمين ان يعرفوه ليمكنهم اجابته ونصرته . لذلك لم يقولوا «بعصمة» الامام ، ومن ثم

حقائق جديدة عن :

الزيدية

ابان مرحلة الدعوة ؟

الدعوة عند الزيدية ـ منذ البداية ـ شرط من شروط الامامة . فكسب الانصار وتجنيد الجيوش ومباشرة الحرب يجب أن تسبقه دعوة وإعداد . ومعلوم أن زيدا اعلن ثورته علي الأمويين سنة ١٢٤هـ . وهذا يعني أن الاعداد والدعوة للثورة تم قبل ذلك وفي وقت كان العلويون من الكيسانية والحسينية قد اندرجوا في الدعوة السرية التي تزعمها العباسيون ابتداء من عام ١٠٠ هـ .

ونحن نرى ان الزيدية قاطعوا هذه الدعوة لانهم لا يعترفون اصلا بإمامة الكيسانية ، كما انهم لم يعترفوا بقيادة العباسيين للدعوة التي آلت اليهم بعد تنازل أبي هاشم بن محمد بن الحنفية . والوقائع تثبت ان دعوة زيد كانت مستقلة وان رسله توجهوا الى البصرة والكوفة والموصل .. دون أن تكون لهم صلة بالدعاة العباسيين . وأنه كان يتوخى الحذر من الأمويين والعباسيين سواء بسواء .. لقد الحت دعوته على الجانب الاجتماعي . ذكر الطبرى أن زيدا كان يدعو «الى كتاب الله وسنة نبيه وجهاد الظالمين والدفاع عن المستضعفين وإعطاء المحرومين ، وقسمة الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصرة أهل النبى » .

ولعل ذلك كان من أسباب إقبال جماهير الموالي على الدعوة الى جانب عرب الحجاز الذين حرموا من العطاء . كما انه كان من وراء تاييد الفقهاء كالامام مالك والامام أبى حنيفة فضلا عن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة .

ويبدو أن هذا الاقبال الى جانب قطع خط الرجعة على الكيسانية والعباسيين ـ يفسران قيام زيد بالثورة على عجل قبل الاعداد الكافى لها .

وبعد فشل ثورة زيد سنة ١٢٤ هـ وكذا ثورة ابنه يحيى من بعده سنة ١٢٥هـ التامت الدعوتان : الزيدية «والعلوية ـ العباسية » حين آلت زعامة الزيدية الى محمد النفس الذكية خاصة بعد اتفاق كل الاطراف على ترشيحه للخلافة بعد نجاح الثورة . لكن بعد نكوص العباسيين واستئثارهم بالخلافة عاد الزيدية للاستقلال بدعوتهم وذلك بمؤازرة المعتزلة .

لقد تعاطف المعتزلة مع ثورة زيد بينما كانوا فى نفس الوقت يقيمون دعوة اعتزالية مستقلة . إذ نعلم أن واصل بن عطاء ألف كتابا عن «الدعوة» وانفذ دعاته بالفعل إلى خراسان واليمن والجزيرة وارمينية وبلاد المغرب . فلما آلت زعامة الزيدية إلى محمد النفس الذكية انخرطت دعوة المعتزلة فى دعوته واعطوها دفعة قوية فى معظم اقاليم العالم الاسلامى .. ولقد افادت دعوة الزيدية من خبرات وتجارب دعوات زيد والعباسيين والمعتزلة من حيث إحكام أساليب الاستتار والبراعة فى الاتصال وبفضل تكوين نظام بريد خاص وتطوير الفكر السياسى ـ بتجويز «التقية » والقول «بالمهدوية »



تطورت الدعوة السرية الزيدية وتحولت الى مرحلة الثورة

ولقد اغنانا الطبرى والاصفهانى عن الخوض فى تفصيلات ثورات الزيدية . ونكتفى ببيان طابعها الاجتماعى والوقوف على اسباب فشلها فى قلب الدولة الامر الذى حدا بها الى معاودة الدعوة فى الاطراف والنجاح فى إقامة دول زيدية مستقلة .

● الثورة الاولى

انطلقت الثورة الزيدية الاولى فى الكوفة عام ١٢٤ هـ بزعامة زيد بن على . وبرغم كثرة اتباعها وانصارها من العرب والموالى وبرغم تاييد الفقهاء ، آل مصيرها الى الفشل والجديد الذى يمكن قوله أن اعتراف الزيدية بإمامة « المفضول » كان يعني ضمنا الاعتراف بخلافتى ابى بكر وعمر ، وهو امر عمل عمله فى بث الفرقة بين العلويين واشياعهم فعزف الكثيرون عن المشاركة فى الثورة وآثروا الانضمام للدعوة العباسية .. هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فبرغم تعاطف العباسيين مع الزيدية نكاية فى الامويين فقد خشوا سبقهم الى الانتصار والاستئثار بالسلطة وبالتالى حرمان العباسيين من الخلافة . لذلك لم يدخروا وسعا فى وضع العراقيل امام ثوار الزيدية .

بالمثل تنفس العباسيون الصعداء بفشل ثورة يحيي بن زيد بخراسان سنة ١٢٥هـ ، وربما كانوا من وراء اغتياله وجذب الزيدية الى الدعوة العباسية . فلما نجحت الثورة العباسية سنة ١٣٢هـ فى القضاء على الامويين تفاقم الخلاف بين خلفائهم وبين العلويين الزيدية بزعامة محمد النفس الذكية . إذ تنكر العباسيون لشعار «الدعوة للرضا من آل محمد» واحتكروا الخلافة لانفسهم .

وقد ادى ذلك إلى اندلاع حرب كلامية تطورت الى حرب حقيقية وذلك بعد اضطهاد العلويين الزيدية الذين اقاموا فى الحجاز . فلم يتورع الخليفة المنصور عن قتل أبناء عمومته أمام ناظريه بعد فشله فى استمالتهم بالأموال والمناصب .

لذلك عجل محمد النفس الذكية بالثورة فى الحجاز والعراق فى آن واحد . لكن جيوش الخلافة العباسية قمعت الثوار فى عنف وقسوة .

حقائق جديدة من :

الزيدية

● الفشل الثاني

إن استقصاء اسباب فشل الثورة الزيدية الثانية يثبت الوقوع في اخطاء استراتيجية . فإعلان الثورة من الحجاز عجل بمصيرها المشئوم وذلك لعجز الحجاز عن امداد الثورة بالرجال والاموال والعتاد . كما ان قيامها في العراق بزعامة ابراهيم - اخ النفس الذكية - جعلها لقمة سائغة للجيوش العباسية الجرارة . فإذا اضيف الى ذلك آفة الانشقاق بين العلويين .

آلت زعامة الزيدية الى عيسى بن زيد وعلى بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي . اما عيسى قد لجا الى الكوفة مؤثرا الموادعة الى حين - فلما ازمع العصيان سجنه الخليفة المهدى حتى مات .

اما على بن العباس فقد اخطا حين اتخذ من بغداد مقرا لدعوته السرية . اذ اكتشف امره ودس اليه المهدى من دس له السم .

وبالرغم من ذلك استمرت الدعوة الزيدية بزعامة الحسين بن على بن الحسن بن الحسن بن علي . وفي عام ١٦٩ هـ تحولت الدعوة إلى ثورة بالحجاز ابان خلافة الهادى . وبرغم الحاح الثوار على «العدل الاجتماعي» آل مصيرهم الى الفشل ايضا للوقوع في ذات الاخطاء الاستراتيجية السابقة . دارت الدائرة على الثوار وامعن العباسيون في الزيدية قتلا ولم ينج من المذبحة الا يحيى عبدالله الذى هرب الى بلاد الديلم واخوه ادريس الذى هرب الى بلاد المغرب .

● دولة الادارسة

عندئذ آزر المعتزلة إدريس بن عبدالله ومهدله الدعاة امر الهرب الى مصر فافريقية فبلاد المغرب الاوسط ليستقر به المقام في المغرب الاقصى .. واعلان قيام دولة الادارسة سنة ١٧٢هـ لم يات عفوا .. انما مهد له الدعاة من المعتزلة - وحسبنا ان هؤلاء الدعاة قد جندوا مائة الف معتزلى يحملون السلاح . وان زعيم قبيلة «أوربة» الذى اخذ البيعة لادريس كان شيخا معتزليا .

وإذ قدر للعباسيين النجاح في اغتيال ادريس الأول فإنهم عجزوا عن اسقاط دولة الأدارسة التى اصبحت من اهم دول بلاد المغرب آنذاك ولعبت دورا هاما في بث الحضارة الاسلامية .

ولسوف يتعرض الادارسة لاخطار الفاطميين وأموى الاندلس لكن ذلك لم يحل دون استمرارية نفوذهم في المغرب الاقصى بل وحتى في بلاد الاندلس عندما تأسست إمارة بنى حمود - من نسل الأدارسه - زمن ملوك الطوائف .

اما في الشرق الاسلامي : فبرغم قضاء العباسيين على الامارة الزيدية بطبرستان . فإن المذهب الزيدى لم يندثر بل علا نجمه بعد قيام إمبراطورية البويهيين الذين كانوا شيعة زيدية . كما ترسخ المذهب الزيدى في بلاد اليمن على نحو خاص ولا يزال انصاره يشكلون السواد الاعظم من اليمنيين المحدثين .



اليساريون والسلطة

● كفارات ناقصة وليست نقدا ذاتيا
● قراءة جديدة لكتاب «السادات» القنـــاع والحقيقـــة

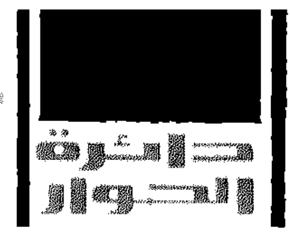
بقلم: د. فوزى منصور

ليس هذا المقال مجرد تعليق على كتاب «السادات : القناع والحقيقة» الذى كتبه المرحوم الدكتور محمد عبد السلام الزيات ونشر أخيرا ..

ولكن هذا المقال فى حقيقته استعراض مستفيض لرأى كاتبه الدكتور فوزى منصور حول موقف اليسار المصرى عامة ، والمثقفين اليساريين خاصة ، من التعاون مع الرئيس الراحل انور السادات بعد ١٥ مايو ١٩٧١ الذى استبعد فيه الرئيس الراحل جميع العناصر السياسية التى كانت معدودة من «اليسار الناصرى» .. حينذاك .. ويشير الكاتب الى ما كان من الآثار البعيدة المدى للتباعد والحساسية بين اليسار «الناصرى» واليسار «الماركسى» وعجز الفريقين معا عن تحويل مجرى الاحداث فى تلك الأيام ..

والدكتور فوزى منصور فى هذا المقال يعبر عن رايه ، كما يعبر عن أفكار مجموعة من المثقفين اليساريين حول ١٥ مايو والحقبة التى اعقبته حتى وفاة الرئيس السادات .

ولعل هذا المقال يفتح الباب واسعا لمناقشة موضوعية ، يدلى خلالها كل الاطراف برايهم حتى لاتندثر الحقيقة التاريخية .



من بين كافة أعضاء مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو كان أنور السادات الوجه الوحيد المعروف على نطاق واسع قبل قيام الثورة . ولدى المعنيين بقضايا النضال الوطنى والاجتماعى او المشاركين فيه من ابناء جيلى ، كانت ملامحه قبل الثورة واضحة سهلة القراءة لايخفيها قناع ، وبقيت هذه الملامح بعد قيام الثورة ثابتة الوضوح لايفلح قناع فى اخفائها ، وانتقلت المعرفة بها الى دوائر اوسع فأوسع من الذين اجتذبتهم الثورة الى المشاركة فى العمل السياسى أو حتى مجرد متابعته .

وقد ساعد على ذلك طبيعة المهام التى تولاها فى حياة عبد الناصر والتى وضعته تحت النظرة المجهرية لآلاف العيون الفاحصة : رئاسة جريدة الجمهورية ؛ سكرتارية المؤتمر الاسلامى ، رئاسة مجلس الأمة .. الخ .

كما ساعد على ذلك الكتب الاربعة وعشرات المقالات التى كتبها الرجل فى مستهل الثورة يمجد بها نفسه ويبعث ماضيه ، لكنها كانت فى الحقيقة تشى به من حيث لايريد .

● القناع والحقيقة

وقد ساعد على زيادة التحفظ العام على السادات أو على الأقل عدم أخذه مأخذ الجد حتى بين الناصريين ، بل وبخاصة بين الناصريين المخلصين ، تظاهر الرجل




عبد الناصر هيكل

نحو شخص عبد الناصر . والشواهد والروايات عن هذه العلاقة متواترة وكانت معروفة فى وقتها : ابتداء من خطابات الولاء التى كان يقدمها بين يدى عبد الناصر فى كل افتتاح لمجلس الأمة ، حتى عرف بين أقرانه ومن دونهم باسم «صح ياريس» ، وأصبح عبد الناصر يضيق ذرعا بذلك ويتندر عليه .

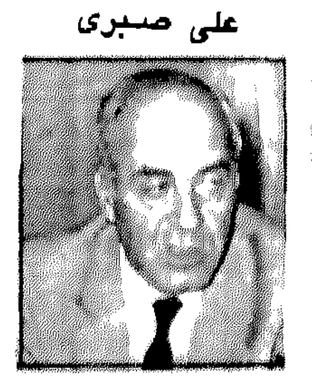
هذه العلاقة لايصح ان تخلط على نحو ما يفعل كتاب المرحوم الأستاذ الزيات تفسيرا لتعاون البعض مع السادات فى التحضير لأحداث ١٥ مايو وفى العمل معه بعد هذه الأحداث بأنهم توسموا فيه الولاء لعبد الناصر ، ومن باب أولى لايصح أن نخلط بالولاء للناصرية ، وبوجه أخص لايقبل هذا الخلط من المخالطين لشخص السادات القريبين منه ، فلم يكن الرجل ممثلا قديرا ، ولو كان فلم يخلق بعد الممثل الذى يستطيع أن «يلبس» دورا هو غير مقتنع به ٢٤ ساعة فى اليوم ويظل

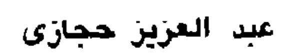




على صبرى

عزيز صدقى







يواجه به مختلف المواقف والأشخاص على نحو ما يذهب إليه تفسير «القناع والحقيقة» الذى أصبح يروج له أخيرا .

وفى الكثير من الذى كتب عن السادات ، وفى الأكثر من القصص والحكايات والنوادر التى كانت تروى عنه ، ما يؤكد ان «ناصرية السادات» فى حياة عبد الناصر لم تكن لتخدع : لا من يريد أن ينخدع بها . فأحمد بهاء الدين يروى عنه (فى كتاب «محاوراتى مع السادات») أنه فى أواخر الخمسينات ، قمة أعوام التحرر الوطنى فى أفريقيا وقيادة مصر الناصرية لحركة التحرر ، وبعد أن قام السادات «بتمثيل» مصر فى احتفالات ومؤتمرات التحرر المنعقدة في غرب أفريقيا ، رد على سؤال له عما اذا كان سيعود الى القاهرة مباشرة «كلا اريد أن أذهب الى مكان لااسمع كلمات الاستعمار والامبريالية وما الى ذلك ، انا ذاهب الى النمسا فهى أجمل مكان فى العالم واحب مكان الى قلبى » . وقد حاول الأستاذ بهاء الدين ما وسعه الجهد الاحتفاظ بمسافة بينه وبين السادات والابتعاد عن العمل المباشر معه لمعرفته « بأن السادات له ظاهر وباطن» .

وكتاب «السادات : القناع والحقيقة ، يمتلىء بالقصص والأحداث التى شهدها المرحوم الزيات بنفسه أثناء عمله مع السادت أمينا عاما لمجلس الأمة فى حياة عبد الناصر ، والتى نفى عن السادات تماما كل ما تقف كلمة الناصرية تعبيرا عنه ، ولعل أخطرها جميعا وانبهاره الدائم

اثناء رحلته الى امريكا فى عام ١٩٦٦ « بالحياة الامريكية وبالثراء الأمريكى ، وبالفخامة والضخامة الأمريكيتين واجراء المقارنات بين عدد السيارات فى الدول الاشتراكية التى زارها وعدد السيارات فى الدول الراسمالية وخاصة امريكا ، كان هذا مقياس الرفاهية لديه ، ثم موقفه من هزيمة ٥ يونيو الذى تحول فى تتابع سريع خلال خمسة أيام يحكى قصتها الزيات من اللامبالاة المطلقة الى السلبية المترقبة الحاسبة لتوازنات القوة ثم الى القيام بدور لحساب عبد الناصر على «صديقه» الحميم وولى نعمه أيضا عبد الحكيم عامر (ص ٦٨ ـ ٨٢) .

ورغم هذه الشواهد وغيرها مما يرويه المرحوم الزيات فإنه ساهم مساهمة فعالة فى نجاح انقلاب مايو ٧١ (الاستيلاء على مبنى الاذاعة والتليفزيون فى ليلة الخميس ١٣ مايو وتعبئة مجلس الأمة وراء الانقلاب «وتطهيره» من المعارضين فى يوم الجمعة ١٤ مايو) واحتاج الأمر لقرابة عامين من التعاون الوثيق مع السادات بعد الانقلاب ، كأمين أول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، ثم نائب لرئيس مجلس الوزراء ، لكى يدرك الزيات مغزى هذه القصص والأحداث التى كان شاهدا عليها فى الستينيات وأول السبعينيات ويربط بينها ، ويعيد اكتشاف ما كانت قد اكتشفته لنفسها مئات الآلاف من جماهير الطلبة والعمال والمواطنين العاديين وتظاهرت ضده فى القاهرة والاسكندرية وحلوان وغيرها وعرضت صدورها لرصاص السلطة وخاطرت بدخول سجونها ومعتقلاتها احتجاجا عليه : وهو أن السادات بطل ١٥ مايو لم يكن اشتراكيا ولا ناصريا ولا نصيرا جديدا للديمقراطية .

لم يكن لى شرف معرفة المرحوم الزيات معرفة شخصية ، لكن النتيجة التى يمكن استخلاصها من قراءة كتابه هى أنه كان ولا ريب رجلا حسن النية طيب القلب نبيل المقصد الى أبعد الحدود ، والا لما كان قد ضمن كتابه كل هذه الأحداث والاسرار التى ترجع الى عهد ما قبل ١٥ مايو وتكشف عن حقيقة الرجل الذى سانده ولما أكد فى كتابه أن عبد الناصر كان يكرر انه « ليس حوله من اشتراكى غير على صبرى» ـ الرجل الذى كانت أحد أهداف الانقلاب الزج به فى غياهب السجون وكان السادات شخصيا يرغب فى اعدامه . وليس أدل على سلامة طوية الزيات وحسن نيته من تفسيره الخاص ـ الحرفى ـ لوصية عبد الناصر التى كان يلح بها عليه ، خصوصا عندما كان السادات يتورط فى فضيحة أو أخرى « ازاى سبته ـ أوعى تسيبه يازيات خليك دايما معاه .. » (صفحة ٩٨ و ٧٩) .

● حماية العمق الداخلى لمصر

لكن ـ لكى نعود إلى تساؤلنا السابق ـ لماذا أحتفظ عبد الناصر بالسادات حوله رغم علمه بنواقصه ، ورغم ما كانت تسببه له هذه النواقص من حرج كان يدعوه من

حين لآخر الى الشكوى العلنية منه أو إبعاده ؟ ذلك تساؤل لانستطيع الاجابة عنه ، لكن ربما كان بعض التفسير هو أن عبد الناصر ، بأسلوب حكمه المتميز القائم على التوازنات المتحركة الى الأمام لكن المحسوب دائما بدقة فائقة كان يشعر بالحاجة الى شخص ذى اقدمية رئاسية معينة ، يستطيع دائما أن يطمئن - لا الى ولائه ، فهذه كلمة كبيرة ، ولا الى اقتناعه بمبادئه فلم يكن عبد الناصر ليخدع عن حقيقة الخطابات التى كانت تكتب ليلقيها السادات أو التظاهرات التى يقوم بها - ولكن الى تأييده الأعمى لكل ما يريد وتنفيذه دون تردد لكل ما يعهد اليه به من مهام .

والروايات تتعدد فى تفسير اختيار عبد الناصر للسادات نائبا له .

والمرحوم الأستاذ الزيات يشير فى كتابه الى قصة تعجل عبد الناصر اختيار السادات نائبا له دون أن يؤيدها أو يفندها ، لكنه يضيف اعتبارا آخر هو أن الرئيس عبد الناصر أراد أن يضغط على الاتحاد السوفييتى لتقديم أسلحة وطائرات وطيارين سوفييت لحماية العمق الداخلى لمصر ضد الغارات الاسرائيلية التى كانت قد اتخذت فى ذلك الوقت أبعادا شديدة الازعاج والاذلال ، وكانت وسيلة الضغط هى التلويح بالتنازل عن الحكم لرئيس يكون مواليا لأمريكا بل ويمكن أن يستسلم لها ، ويتساءل الزيات عمل اذا كان عبد الناصر يعد لشىء مثل هذا عندما بادر الى تعيين السادات نائبا له قبل شهر واحد من محادثاته التاريخية مع السوفييت . هذا التساؤل فى حد ذاته يكفى للافصاح عن ادراك الرجلين - عبد الناصر والزيات - لمدى استعداد السادات للقيام بهذا الدور الذى بدأ السادات فعلا فى الاعداد له بعد أقل من تسعة شهور من هذا التهديد ، عندما تولى رئاسة الجمهورية بصفة مؤقتة ، ثم أخذ فى تنفيذه بعد ذلك بأقل من عام ونصف ، عندما قام بالانقلاب الذى أطلق يده فى مصير مصر بعد أن قضى على القوى التى كان يمكن أن تقف فى طريق توجهه الجديد .

● تساؤلات ذات بال

على أن ظروف خلافة السادات لعبد الناصر ليست هى ما يعنينى بالدرجة الأولى فى هذا المقال ، وهناك بالقطع العديدون - بعضهم تكلم والبعض الآخر لم يقل بعد كلمته - ممن هم أقدر منى على تحقيقها . إنما الذى يعنينى الآن هو موقف اليسار من هذه الخلافة فى فترة الريبة أو الشك ، ابتداء من وفاة عبد الناصر وخلافة السادات المؤقتة له ؛ ثم بعد ١٥ مايو ، فذلك الموقف هو الذى يلح على الخاطر دائما عند قراءة كتاب المرحوم الأستاذ الزيات ، ويزداد هذا الالحاح عند قراءة المقدمة التى كتبها له الدكتور فؤاد مرسى .

وبالنسبة لليسار الناصرى فإن موقفه بعد ١٥ مايو لايثير فى الذهن تساؤلات ذات بال به لقد كان ١٥ مايو هو اداة السادات للخلاص منه جملة وتفصيلا ؛ وبعد الانقلاب القى بغالبية قادته ورموزه فى السجون وابتعد من لم يسجن منهم عن التعاون مع السادات ما استطاع الى ذلك سبيلا (ومن الواضح أننى لا أدخل فى



عداد اليسار الناصرى أو غير الناصرى) اشخاصا مثل الدكتور عزيز صدقى الذى استخدم صلاته الوثيقة بقيادات القطاع العام الصناعى صبيحة ليلة ١٥ مايو لاخراج عشرات الآلاف من العمال فى مظاهرات تلقائية للتأييد تذكر بالمظاهرات التى نظمها طعيمة والطحاوى فى مارس ١٩٥٤ ، أو مثل الدكتور عبد العزيز حجازى الذى ورث فيما بعد رئاسة الوزارة واشرف على اصدار أول قوانين الانفتاح ، او غيرهما من وزراء العهد الناصرى الذين كانوا يتصدرون قوائم «التنظيم الطليعى الاشتراكى» وكان استوزار عبد الناصر لهم بعد هزيمة ١٩٦٧ ومظاهرات الشباب فى ١٩٦٨ إحدى العلامات الهامة على أن عبد الناصر قد ارتأى أن السبيل الى حماية الجبهة الداخلية هو إعطاء المزيد من الضمانات والسلطة لقوى اليمين والوسط أو الى التكنوقراطيين والبيروقراطيين (وأغلبهم من أساتذة الجامعات) الذين غالبا ما يتخفى وراءهما اليمين والوسط أما هيكل فهو لغز امة وحده يعز عن التوصيف ..

كذلك لايثير موقف اليسار الناصرى فى الفترة من وفاة عبد الناصر إلى ١٥ مايو سوى تساؤل وحيد : لقد كان هذا اليسار يملك كل شىء ، الشرعية الدستورية والسياسية (عن طريق أغلبيته الساحقة فى قيادات مجلس الأمة والاتحاد الاشتراكى والسلطة) ولم يكن يخرج عن سيطرته سوى قلعة «الاهرام» التى كان يتحصن فيها هيكل وبدأ يطلق منها قذائفه المتتابعة عليهم وعلى التراث الناصرى وعلى إمكان الانطلاق لتحرير الأرض بالقوة المسلحة . وكان اليسار الناصرى يعرف عن شخص السادات وتوجهاته كل شىء . لماذا إذن لم يتقدم هذا اليسار بمرشح منه لرئاسة الجمهورية وقد كان ذلك متاحا له دستوريا ثم لماذا ، بعد أن اختير السادات لرئاسة الجمهورية على اساس الالتزام بالمؤسسات الدستورية والشرعية القائمة ثم بدأ ـ رغم ذلك ـ على

ضياء الدين داود



ابراهيم سعد الدين



د . فؤاد مرسى



الفور فى تخريبها والالتفاف حولها ، انحصر دور اليسار فى رد الفعل لمبادرات السادات الهجومية الخاطفة والمتعددة الاتجاهات وانتهى به الأمر الى فقدان كل شيء وهو الذى كان يبدو كما لو كان يملك كل شيء ؟

هذا التساؤل الهام لقى محاولات متعددة للاجابة عليه ـ ربما كانت أهمها حتى الآن كتاب « غروب يوليو» للأستاذ احمد حمروش وكتاب «انقلاب ١٥ مايو» للأستاذ عبدالله امام ، ويأتى الآن من الجانب الذى ساعد فى التحضير لـ ١٥ مايو وتعاون معه فترة من الوقت قبل أن يكتشف الطريق المردع الذى كان قائده يدفع البلاد اليه ، كتاب المرحوم الاستاذ الزيات ليوثق احداثا فيه كانت من قبل غامضة أو موضع الحدس والاشتباه .

يبقى بعد ذلك موقف اليسار الماركسى قبل ١٥ مايو وأثناءه وبعده . وغنى عن الذكر ان أحدا فى هذا اليسار ، وبوجه خاص قياداته ، لم يكن بأى وجه من الوجوه غافلا عن ماضى السادات السياسى قبل الثورة أو طبيعة موقعه ومواقفه أو عن حقيقة أن السادات «له ظاهر وباطن» على حد تعبير الأستاذ بهاء الدين . وعلى مدى سنوات خمس كانت احدى النوادر التى يسلى بها الف مسجون ومعتقل من اليسار الماركسى امسياتهم هى كيف أرسل السادات فى أواخر ١٩٥٨ احدى سيارات السلطة الفاخرة لكى تحمل الى منزله فى الهرم واحدا من كبار كتابهم ومفكريهم لكى يناقشه ـ وسط مظاهر الاكرام والحفاوة البالغة ـ فى حل تنظيمهم . ولما عجز الكاتب الكبير عن الاقتناع طرده السادات قرابة الفجر من المنزل شر طردة وتركه يبحث فى الظلام عن وسيلة مواصلات تعود به الى القاهرة .

وفى السنوات القليلة السابقة على وفاة الرئيس عبد الناصر والشهور التالية لوفاته كانت الغالبية العظمى من اليسار الناصرى الموجودة فى السلطة تتخذ موقف الحذر الشديد ، إن لم يكن التباعد ، من اليسار الماركسى ـ وكان السيد على صبرى بوجه خاص شديد الحساسية ـ ولا اريد استخدام كلمة العداء ـ لكل من لصقت به «شبهة» الماركسية ، ربما باستثناء فرد أو اثنين لم يكن منهما كاتب هذه السطور . واذا كانت قد جرت ـ بتوجيه من الرئيس عبد الناصر ـ محاولات للاستفادة من الماركسيين فى عدد من المجالات المعروفة ، فقد كان ذلك يجرى فى نطاقات محددة المعالم مرسومة بدقة شديدة ، ولم يكن يسمح أبدا بتجاوزها . ويكفى للتمثيل على ذلك أن مديرى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ـ وقد كان أحدهما فى وقت من الأوقات عضوا فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ـ وكذلك الماركسيين من بين أساتذته لم يسمح لهم قط بالحصول على عضوية الاتحاد الاشتراكى . ورغم ذلك فلم يكن الماركسيون بوجه عام غافلين عن حقيقة الصراع الذى بدأ يدور بين قيادات اليسار الناصرى من جهة وبين أنور السادات من جهة اخرى ولا عن اين يجب أن يكون موقعهم منه .



وصحيح ان قائدا ماركسيا مشهودا له بالاخلاص كتب بعد وفاة عبد الناصر يؤيد ترشيح السادات لرئاسة الجمهورية وسايره على ذلك آخرون ؛ لكن هناك آخرين يعرفهم كاتب هذه السطور حذروا من ذلك بمختلف الطرق ، وحمل بعضهم الأستاذ ضياء الدين داود رسالة بهذا المعنى إلى اللجنة التنفيذية العليا والحوا على ضرورة ترشيح السيد على صبرى للرئاسة رغم علمهم بمواقفه المستقرة على التباعد الشديد عنهم . وعندما تصاعدت المواجهة بين اليسار الناصرى والسادات فى ابريل ومايو لم يكن هناك شك فى الجانب الذى يقف فيه غالبية الماركسيين .

وفى ١٠ و ١١ مايو ١٩٧١ دار أحد الماركسيين البارزين على عدد من زملائه ينبههم الى الانقلاب الوشيك الوقوع ويحذرهم من احتمال أن يلجأ السادات إلى ادخال اثنين من الماركسيين البارزين الوزارة «كمحلل» لكى يخفى طبيعة الانقلاب ، واستخدم فى وصف من يقبل القيام بدور المحلل هذا عبارة تسمح بها كتب الفقه الشرعى لكن تجفل من كتابتها الأقلام المعاصرة .

وفى الأيام السابقة مباشرة على الانقلاب اقبل بعض قادة اليسار الناصرى على التشاور مع أفراد من اليسار الماركسى . ويذكر كاتب هذه السطور أنه قد دُعى لمقابلة الأمين العام للاتحاد الاشتراكى ـ وكانت المرة الأولى التى يدعى فيها الى مكتبه رغم أنه كان مديرا للمعهد العالى للدراسات الاشتراكية ـ فى ١٢ او ١٣ مايو ١٩٧١ مع الدكتور ابراهيم سعد الدين حيث دار حوار حول ما يمكن عمله لانقاذ الموقف البادى السوء دام ساعتين بين جدران مغلقة ، وعبرنا وقتئذ عن رأينا بصراحة كاملة مستخدمين عبارات شبيهة بما استخدمه الفريق أول محمد فوزى بعد ذلك فى كتاب حرب الثلاث سنوات فى مجال عرضه لأسباب هزيمة ٦٧ وقلنا أنه رغم وضوح الحق والشرعية والسلطة والقوة اللازمة فى جانب اليسار الناصرى فقد كان هناك وعلى مدى شهور «فشل فى أسلوب ونظام تعبئة القوات وعدم ممارسة لعملية القيادة والسيطرة» ورغم توقعنا للهزيمة فقد حاول البعض منا التصدى بطريقة مختلفة للانقلاب حتى بعد أن وضح نجاحه ، وكان ذلك من أسباب القبض على ابراهيم سعد الدين .

وانا أذكر هذه الوقائع الآن لأن من الشائع فى الكتب الصادرة عن هذه الفترة أن يقال تصريحا أو تلميحا إن الماركسيين أيدوا انقلاب السادات وتعاونوا معه بعد الانقلاب كوزراء وقيادات فى الاتحاد الاشتراكى ؛ وانت المقدمة التى كتبها الدكتور فؤاد مرسى لكتاب المرحوم الأستاذ الزيات لتعطى انطباعا مشابها وتفسر الظروف التى حدث فيها هذا التعاون .

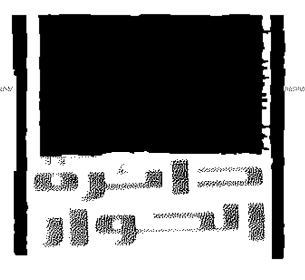
وينبغى التذكرة ابتداء بانه لم يكن هناك فى ذلك الوقت تيار ماركسى موحد يعبر عن مجموع الماركسيين ، فعقدهم كان قد انفرط بعد خروجهم من السجون والمعتقلات فى منتصف الستينات واتجهوا اتجاهات شتى وتكونت ، من ضمن ما تكون ، مجموعات أو « شلل» كان لكل منها كما يقول فلاحونا «بدويها» الذى تلوذ به من أعمدة السلطة الناصرية : فى «الأهرام» وعلى اطراف الاتحاد الاشتراكى ، وغير ذلك ، واقتصر التعاون مع السادات بعد ١٥ مايو فى الأساس على المجموعة التى تحلقت حول هيكل والأهرام ، وكان هيكل الوسيط الأول بينها وبين السادات . أما الباقون وخاصة بين الشباب فقد اتخذوا منذ البداية موقف المعارضة الفعالة أو على الأقل التباعد .

● الانفصام بين الفكر والسلوك

ولست أريد أن أعرض الآن لموقف ـ أو لمواقف ـ الماركسيين الذين تعاونوا مع السادات بعد انقلابه ، لكننى أجد ضروريا أن أعرض للأسباب التى فسر بها الدكتور فؤاد مرسى ـ فى مقدمة كتابه المرحوم الأستاذ الزيات ـ صراحة أو ضمنا تعاونه مع السادات بعد ١٥ مايو ، كأمين لبرنامج العمل الوطنى بأمانة الاتحاد الاشتراكى التى أعيد تشكيلها ، ثم كوزير للتموين والتجارة الداخلية حتى أقال السادات وزارة عزيز صدقى فى مارس ١٩٧٣ أجد ذلك ضروريا بسبب موقع الدكتور فؤاد مرسى المتميز فى حركة التحرر الوطنى والاشتراكى فى مصر ، ولأنه كان ولايزال من أكثر أبناء جيلى عطاء على كل مستويات العمل السياسى ومن ابعدهم عن البحث عن أبهة المناصب والألقاب والنجومية الكاذبة ، وعن الانفصام بين الفكر والسلوك والانغماس فى ألعاب العلاقات العامة الرخيصة ومن ثم ينبغى أن تؤخذ الاسباب التى تقدم بها بكل الجدية اللائقة بقائلها .

ونحن نستبعد بداهة من هذه الأسباب فكرة الانخداع عن باطن السادات بالقناع الذى كان يخصفه على وجهه ، أو باعث الاستجابة الى «نداء الديموقراطية» الذى جعله السادات بإيحاء من الأستاذ هيكل محور بيانه الأول على الأمة بعد الانقلاب ، عندما لاحظ هيكل أن مشروع البيان الذى كان السادات قد عرضه عليه أتى خلوا من أى ذكر لها ومركزا على مؤامرات مراكز القوى واجترائها عليه وعلى مشروعات اتحاده ومبادراته مع الأمريكان ، فذلك كله ، إن صح أن أحدا انخدع به فلن يكون هو الدكتور فؤاد مرسى بخبرته السياسية الواسعة وقدرته على التحليل السليم للأشخاص والأحداث ، وبوجه خاص تحليل الظروف المجتمعة والسياسية التى تجعل تطبيق الديمقراطية أمرا واردا .

كذلك أود أن أستبعد من المناقشة الحاح الأصدقاء كسبب لقبول تحمل هذه المسئولية أو تلك ففى العمل السياسى يتحمل كل انسان فى النهاية وحده مسئولية قراره المتعلق بموقعه الشخصى ، ومسئولية تقديره الخاص لاحتمالات النجاح فى «الاستمرار فى صد محاولات الردة» التى جعلها الأصدقاء اساسا لاقناعه بالبناء .



لكن هذه العبارة الأخيرة يمكن أن تقدم مفتاحا لفهم هذه الظاهرة الفريدة . ظاهرة قبول قائد يسارى بارز لمبدأ التعاون الوثيق مع قائد ١٥ مايو الذى كان ماضيه ، وكل الدلائل التى تحققت فيما مضى من فترة حكمه ، تدل بشكل قطعى على دوره المقبل .

فى مثل هذا الجو ، كيف يمكن لاقلية محدودة جدا ، معلقة من عرقوبها كما يقولون ، ودون أن يكون لها أدنى سبيل - كيف يمكن لها أن تعمل على «الاستمرار فى صد محاولات الردة» ؟

ان المقدمة التى كتبها الدكتور فؤاد مرسى ترصد لنا وسائل ثلاث ، أولها ادارة الزيات كأمين أول للاتحاد الاشتراكى الجديد معركة الانتخابات لاتحاد العمال التى جرت فى ظل حرية كبيرة وأسفرت عن تشكيل نقابى أقرب ما يكون الى تمثيل الحركة النقابية .

وثانيها هو الاشتراك فى كتابة واعداد البيانات التاريخية التى تصدر باسم السادات معبرة عن استمرار الثورة وتحقيق طموحات الشعب فى خلق ديمقراطية حقيقية .

والثالثة هى - بعد الاقرار بالفشل فى خلق حركة جماهيرية واعية من داخل الاتحاد الاشتراكى - أن الدكتور فؤاد مرسى نجح «بمعونة الزيات فى استصدار قرار باجماع الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى بدعوة الرئيس السادات لتشكيل حكومة قوية تعد البلاد للمعركة ورشحنا عزيز صدقى لرئاسة هذه الحكومة . وحمل الزيات القرار الى السادات لكنه لم يأخذ به الا بعد شهور وعندما ازداد تدهور الأوضاع الداخلية فى يناير ١٩٧٢ على أن هذه الوزارة ، كما نعلم ، قد وقفت شاهدة ، دون علم مسبق ، على طرد الخبراء السوفييت ، وبقيت بعيدة كل البعد عن قنوات اتصال السادات السرية والعلنية مع أمريكا ، وتصاعدت فى عهدها مظاهرات الطلبة والعمال احتجاجا على التقاعس عن دخول المعركة .

ولست فى وضع يمكن من التعليق على المظهر الأول من مظاهر «الاستمرار فى مقاومة محاولات الردة» اذ لست أعلم الآن ما اذا كانت القيادات النقابية الجديدة اكثر قدرة أو أقل من سابقتها على الدفاع عن مصالح العمال والمشاركة فى النضال الوطنى التحررى والاجتماعى .

كذلك لست بحاجة الى التعليق على «انجاز» تشكيل وزارة عزيز صدقى «القوية» .

ويبقى الانجاز الثالث ، وهو كتابة برنامج العمل الوطنى الذى لم ينفذ ، وبيان ١٠ يونيو وهو - كما يقول الدكتور فؤاد حرفيا بيان تاريخى مشهود ألقاه السادات من التليفزيون ليبدد أوهام الثورة المضادة التى كان يعد لها ويتزعمها (ص ٢١ من المقدمة) . أيضا لست أعرف ما اذا كان استنطاق الحكام برامج وبيانات كتبها لهم سياسيون تقدميون لكنهم لم يشتركوا حتى فى مناقشتها مع من كتبها لهم ، ويقول فيها الحكام بلسانهم عكس ما يظنون ، وقد

يرفضون بعد ذلك مجرد الاشارة اليها فى خطاباتهم اللاحقة هو من قبيل صد محاولات الردة أم التنكرية التى تساعد على نجاحها ...

ذلك سؤال ثقيل ، ربما يخفف بعض الشىء من وقعه أننى لا أبرىء نفسى ، فقد فعلت شيئا مشابها فى الستينات وان يكن على مستوى اكثر تواضعا ، ولم اكن أعرف وقتئذ أن ما أكتب سوف يضاف اليه ملحق يحتوى على إجراءات عملية تتناقض معه ، وندمت على ما فعلت ، وتبت عن ذلك أبد الدهر ، ولا أزال ادعو الله أن يتقبل توبتى .

● التحول الاشتراكي ودفعه إلى الإمام

إن التساؤل الحقيقى الجدير بالبحث هو ما إذا كان اشتراك التقدميين ـ ولو بمشاركة اسمية ـ فى حمل المسئولية مع قادة الثورات المضادة أو حتى فى الحكومات المحافظة أو الرجعية أدعى الى تحقيق أهداف هؤلاء أم اهداف أولئك ، خصوصا إذا كان هؤلاء التقدميون غير مرتبطين حزبيا أو جماهيريا بقوى اجتماعية تستطيع أن تمدهم بقوة من عندها .

وينبغي عدم المبالغة فى تقييم أثر تعاون بعض الماركسيين مع السادات فى تصفية الثورة ان قوى الثورة المضادة كانت قد بدأت تتجمع ومن داخل نظام عبد الناصر الثورى ذاته قبل ذلك بوقت طويل : منذ الخطة الخمسية الأولى ، عندما ركز برنامج التصنيع على إشباع نهم البورجوازية الجديدة باشكالها المختلفة الى سلع الرفاهية الاستهلاكية قبل أن يعد الآلات والمواد اللازمة لصناعتها ، وعندما ألقى فى الوقت ذاته عبء تمويل هذا النمط المشوه للتصنيع على جموع الشعب وعلى القروض والمعونات الخارجية لا على هذه الطبقة الناشئة .

وزادت قوى الثورة المضادة تجمعا وانضمت اليها قوى جديدة فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ ، عندما رفض النظام الناصرى الاخذ باقتصاد الحرب وحرب التحرر الشعبية وتطهير أجهزة السلطة وعندما التف حول قضية الديموقراطية .

لكن حتى فى هذه الظروف فقد بقى خيار السير الى التحول الاشتراكى ودفعه الى الأمام قائما بل ومفتوحا ، ولم يحسم الأمر نهائيا لصالح الثورة المضادة الا بتولى السادات السلطة واجهازه على القوى الناصرية .

وفى هذه الظروف الجديدة التى حسم فيها الأمر فإن تولى بعض رموز اليسار بعض المناصب فى اعقاب الانقلاب لم يكن له أثر يذكر على سرعة تقدم قوى تصفية الثورة لا بالابطاء ولا بالتعجيل ، فهذه السرعة كانت تحكمها حسابات أخرى بعيدة كل البعد عن مجال تأثير بعض الوزراء الهامشيين فى الحكومة أو الابناء فى الاتحاد الاشتراكى .

لكن الآثر الهام الباقى على المدى الطويل الذى تركته هذه المشاركة هو تأثيرها على نمو وتماسك ومصداقية اليسار بوجه عام واليسار الماركسى بوجه خاص . ذلك هو ما نرجو أن نتلقى دراسة وافية ، عنه من الدكتور فؤاد مرسى .



دفاعا عن الشعر الجديد

بقلم : ابراهيم فتحى

يحذرنا الأستاذ كمال النجمى (الهلال مايو ١٩٨٩) من إنتاج « الشعارير » وادعاءاتهم الفكرية على السواء ، ويرجع بعض ضعف شعرهم إلى نقص معرفتهم بالأوزان وبحورها الكاملة وتفعيلاتها .

ولا جدال فى ان الجهل بتاريخ الشعر العربى ، وبتاريخ الدراسات العروضية نقيصة ، فلم يسبق ان خدم الجهل احدا · ولكن المطابقة بين حركة الابداع الشعرى من جهة والمحاولات « العملية » لوصف هذه الحركة من جهة أخرى لا تنهض على اساس ،بل لقد سار الابداع الشعرى فى طريق خلق نماذج متعددة غنية للايقاع،على حين سارت الدراسات العروضية أو لعلها توقفت عند القوالب الميتة المعقدة بغير طائل ·

ولم تقدم الدراسات العروضية بعد النشأة العبقرية لهذا العلم فى القرن الثانى الهجرى جديدا يسهم فى الوعى بالايقاع الشعرى واضاءة الطريق أمامه ، بل كان الامر على النقيض من ذلك · فالعروضيون حولوا ما اكتشفه الخليل من وحدات الايقاع الى أطر متحجرة نهائية عاجزة عن التطور وعن ادراك التجربة الايقاعية الفعلية للشعر العربى ·

وقد بلغ من سوء سمعة العروض ، ان قال الجاحظ عنه ساخرا من عقمه: العروض علم مستبرد ، ومذهب مرفوض ، وكلام مجهول ، يستكد العقول بمستفعلن وفعول ، من غير فائدة ولا محصول (١) ·

فلم يكن العروض ، ولم تكن أوزانه « جزءا أصيلا جوهريا من اللغة العربية ، ولم تتقدم الاوزان المتكاملة، الشعر العربى خلال مراحل متعاقبة طويلة من حياة الإمة العربية ،

---

(١) نقلا عن د. « محمد بدوى المختون » دراسة نظرية تطبيقية فى علمى العروض والقافية ـ القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٤ .

فالدراسات العروضية التي خنقت اكتشافات الخليل في مهدها وتحولت الى « احكام عرفية » ، وتشريعات لتقييد حركة الابداع كانت علامة على التكلف ، ويقول أبو فراس الحمداني:

تكلفوا المكرمات كدا
تكلف النظمبالعروض

كما يقول ابن حجاج :

مستفعلن فاعلن فعول
مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا
من قبل أن يخلق الخليل

فالنظم بالعروض بدلا من التدفق الايقاعى الشعرى بحق كان ايسر طريق لخلق زحام من المتشاعرين ، « والمتشاعر » هو الذى« يتعاطى مقول الشعر كما جاء فى مختار الصحاح ، وهو اقل من الشعرور أى غير النابه من الشعراء كما جاء فى المعجم الوسيط .

ويقول شوقى واضعا المسالة وضعها الصحيح :

والشعر ان لم يكن ذكرى وعاطفة.
أو حكمة فهو تقطيع وأوزان .

المقائمة السوداء :

وفى كتب العروض نجد قائمة « اصحاب السوابق » من الخارجين على القانون الخليلى ، وهى قائمة تضم امرأ القيس والمرقش الاكبر ، والمهلهل وعلقمة بن عبيدة ، وعبيد ابن الابرص من الجاهلين ، ومن المحدثين أبا العتاهيه (وهو يقول انا فوق العروض) والبحترى وأبا الطيب المتنبى (٢) .

فقصيدة امرىء القيسالتى مطلعها
عيناك دمعهما سجال
كان شانيهما أو شال

قلما يخلو بيت منها من حذف فى بعض تفاعيله أو زيادة ومثلها قصيدة المرقش الاكبر :

هل بالديار أن تجيب صمم
لو كان رسما ناطقا كلم

فهى من وزن « السريع » وخرجت شطور بعض أبياتها على هذا الوزن كالشطر الثانى من هذا البيت :

ما ذنبنا فى أن غزا ملك
من آل جفنة حازم مرغم

فانه من وزن الكامل

وهناك مئات الامثلة دون أن نكون امام مؤامرة ضد البحور الكاملة والالتزام الدقيق بها عند « العدميين والفوضويين والموجوديين والمهدجين والالغازيين والدجالين والجاهلين من جميع الاتجاهات » .

ان بحور الخليللم يعتبرها تلاميذه المتفتحون مقدسة نهائية فالاخفش لم يقف عند اضافة بحر المتدارك الذى اعتبر البحر السادس عشر من بحور الشعر ، بل تعدى ذلك الى انكار بحرين من البحور التىرصدها الخليل

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣ ، د. شوقى ضيف : العصر الجاهلى ـ ص ١٨٢ ـ ١٨٥ .

لانهما فى رأيه لم يردا عند العرب وهما المضارع والمقتضب (٣) .

ويذهب كثير من الباحثين الى أن البحور الستة عشر ليست كلها جاهلية أو أموية ، فهناك بحور لم ينظم فيها الجاهليون مثل المضارع والمقتضب والمجتث والمتدارك ، فهى بحور استحدثت فى العصر العباسى مع غيرها من ضروب الايقاع وبعد ذلك قام الابداع الشعرى بتوسيع الاطار الموسيقى للشعر ، فما كان يعتبره الخليل بحورا مهملة حاول الشعراء تجسيدها .

وما معنى هذه البحور المهملة ؟ ان الخليل قدم أحيانا صورا مثالية للبحور لا وجود لها ولم يقف عند الصور الواقعية ، وهو يقدم لبحر « الوافر » مثلا صورة هى : مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن على حين أن وزنه فى الاستعمال هو « مفاعلتن مفاعلتن فعولن»(٤).كل ذلك بالاضافة الى الفنون المستحدثة (القوما ، والكان كان ، والدوبيت ، والسلسلة ثم الموشحات . وقد رصد المستشرق الالمانى هارتمان ١٤٦ وزنا أو بحرا من بحور الشعر العربى التى رصدها الخليل والاخفش (٥) ، ليست هى البحور « المتكاملة » اننا حتى لو سلمنا بالاسس النظرية للخليل لما كنا مضطرين الى تقديس عدد معين من البحور أو قوالب متحجرة لها ، ووضع من يخرجون عليها فى قائمة المارقين .

مشكلات فى اسس نظرية الخليل :

حينما وجد الخليل البيتين التاليين فى قصيدة لعنترة :

انى امرؤ من خير عبس منصبى
شطرى ، واحمى سائرى بالمنصل
واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت
الفيت خيرا من معمم محول

(منصبى : اصلى والمنصل : السيف تلاحظت نظرت من يقدم على العدو) .

وجد أن البيت الثانى من بحر الكامل ، وعلى الرغم من أنه وجد البيت الاول مختلف التركيب(مستفعلن ٦ مرات بدلا من متفاعلن) فانه لم ينسبه الى الرجز التام بل الى الكامل أيضا . وانتهى من ذلك الى صياغة نظرية مؤداها أن بحر الكامل يمكن ان يكتسب عبر الزحاف (أى حين يدخله الاضمار وتصبح تفعيلته متفاعلن بتسكين التاء بدلا من تحريكها فى الاصل ، اى تصبح مساوية لمستفعلن) صورة جديدة « قانونية »على الرغم من استحالة التمييز هنا بين هذه الصورة من الكامل وبحر آخر هو الرجز ان مطلع معلقة عنترة الشهيرة .

يا دار عبلة بالجواء تكلمى
وعمى صباحا دار عبلة واسلمى

يمكن اعتباره مثالا لمتفاعلن (بالتسكين) ٦ مرات أو مستفعلن ٦ مرات ويظل معلقا بين بحرين (٦)

فالاطار النظرى للخليل ليس هو الواقع الفعلى للايقاع فى الشعر العربى ، بل هو محاولة أولية لدراسة جوانب جزئية منه ، شديدة الجزئية ،

(٣) د. عبد العزيز نبوى : الاطار الموسيقى للشعر ـ القاهرة ص ٣٢٧ .
(٤) على يونس : النقد الادبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد ، هيئة الكتاب ١٩٨٥ ـ ص١٦ .
(٥) مصدر سابق .
(٦) د. كمال ابو ديب : فى البنية الايقاعية للشعر العربى ـ بغداد ،

تقف عند الانتظام في توالى الحركة والسكون ولا تتعداه الى موسيقى الشعر عموما ، تلك التى تتوفر بتتابع وتناوب وحدات زمنية محددة ، ثم ايقاعات تحدد مفاصل هذه الموسيقى، كذلك فضلا عن الانسجامات الصوتية وطرق التعبير الصوتى التى تنبع من طبيعة حروف اللغة ومخارجها واجتماع بعضها الى بعض في اللفظة أو الفقرة وكل هذه الخصائص التى يدركها الشاعر باذنه ويدركها الدارس بتحليله (٧)

وعلى الرغم من ذلك فان نظام الخليل فيه الكثير من العيوب حتى في مجال القدرة على اكتشاف النسق الصوتى في توالى الحركة والسكون ان تفعيلاته وبحوره اى وحداته الكبيرة المركبة لا تصف الا انماطا معينة قليلة من التتابعات الكامنة اتخذت أطرا واضحة ، وقد أخفق نظامه في ان يستوعب قصائد جاهلية عديدة فتركها خارج نظامه (قصيدة عبيد بن الابرص الشهيرة) واعتبر قصيدة تقبلها العرب واحبوها وعنوا بها شذوذا على الايقاع العربى فتصور الخليل للايقاع على أنه يتألف من وحدات كبرى منعزلة لا تتفاعل بل هى نهائية التشكيل محددة الابعاد ، انما هو تصور جامد (٨)

ترديد آراء العقاد :

وننتقل الى شعر « التفعيلة » وكان العقاد يعتبره نثرا ويطلق عليه لشعر « السايب » .

ومن اغرب الاشياء ما ذهب اليه الاستاذ كمال النجمى من أن « النقاد سبقوا بتوجيهاتهم النقدية خطوات الشعراء فى الخمسينيات ، فسار النقاد فى المقدمة والشعراء فى المؤخرة وانعقدت بين هؤلاء وهؤلاء علاقة زيلية جعلت الشعر التفعيلى فى نشأته مقودا باقلام النقاد لا باقلام الشعراء . فكان هذا اول اسباب ضعف هذا الشعر وفسولته ، ثم تدهوره وذهاب ريحه » !!

واذا امسكنا بالقضية السابقة من ذنبها ادهشنا أن نقرأ أن اشعار صلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطى حجازى ، وأمل دنقل والبياتى يمكن ان توصف بالضعف والفسولة وللاسف لم يتكرم علينا الاستاذ النجمى باسماء « الفحول » المعاصرين من شعراء البحور المتكاملة ولا باعمالهم القوية البعيدة عن الفسولة (لم افهم سياقا للفسولة هنا فالفسل هو المرذل الجبان) ولو فعل لما وجدنا الا متشاعرين . ولكن الاستاذ النجمى خير من يعرف أن اولى المحاولات لتحديد طريقة الوزن فى الشعر الجديد جاءت من شعراء ، من امثال بدر شاكر السياب فى تعليق على قصيدة «هل كان حبا» جاء فيه وهى من الشعر المختلف الاوزان والقوافى ... تجمع بين بحر من البحور ومجزوءاته اى ان التفاعيل يختلف عددها من بيت الى اخر ، ومن «نازك الملائكة» فى مقدمة « شظايا ورماد »

ثم مقدمة السياب لديوان « اساطير » (١٩٥٠) ، ونازك الملائكة شاعرة ناقدة ولها كتاب شهير

---

(٧) د. محمد مندور : قضايا جديدة ـ بيروت ١٩٥٨ ـ ص ٨٨ .
(٨) د. كمال أبو ديب : مصدر سابق ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .

«قضايا الشعر المعاصر» تعددت طبعاته ومن ابرز دارسى الشعر الجديد كذلك شاعر ناقد هو د . عز الدين اسماعيل فى كتابه المعروف « الشعر العربى المعاصر » . ولم يعرف عن الاستاذ محمود العالم (وهو شاعر ايضا) كثرة الكتابة التفصيلية فى مسالة التفعيلة ولم يحاول تنظيرها بل سجل ظاهرة الشعر التفعيلى ومر عليها دون توكيد خاص ، ولم يقل ابدا بأن تحطيم البحور والاوزان هو تحطيم لصنم قديم يقف فى طريق الفكر الجديد بل دعا الى تطور فى بنية القصيدة العربية يلائم العصر .

ونقف قليلا عند قول الاستاذ النجمى، « كنت اول من كتب فى مسالة الاوزان المتكاملة والتفعيلات منذ اربعين عاما تقريبا .. لم يسبقنا احد فيما نعلم الى الاتساع فى نقد الشعر التفعيلى شكلا وموضوعا » .

وللاستاذ النجمى فضيلة انه لا يذهب مع المرحوم عباس العقاد الى النهاية ، ولا يناصب شعر التفعيلة العداء أو يعتبره غير موزون .

ولكن الاساس الفكرى واحد فالعقاد لا يعتبر التفعيلة اساسا للوزن لان « التفعيلة ليست بنيانا عروضيا متكاملا » فهى تكتسب الوزن من البحر . فتفاعيل بحر الطويل فعلا (فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن والشطر الثانى مثله) قد تحل فيها « مفاعلن » محل مفاعلين الاخيرة ، وتحل فعول محل فعولن الاولى ، فهى تتغير على حسب الوزن .. والعقاد يشبه التفعيلة بحجر البناء ، فمن قال ان التفعيلة هى تصميم البيت فهو كمن يقول ان الحجر الواحد هو تصميم المنزل . فلابد من « تصميم » يجمع بين التفعيلات .

(كتاب اللغة الشاعرة) . وهذا الرأى للعقاد كان يردده منذ بدأت اولى محاولات ما يسمى بالشعر المرسل بعد الحرب العالمية الاولى واظنه أسبق واكثر تحديدا وتفصيلا

ومن الواضح ان رأى الاستاذ العقاد يقع فى دور منطقى ، فنحن لا نعرف انتساب القصيدة الى بحر الا من تفعيلاتها ، ثم نحن لا نعرف التفعيلة الا من البحر ، وهكذا .

اما ما يطرا على « التفعيلة » من تعديل فى واقع الامر فى مواضع منها فلا يكون لاغراض شعرية فى الكثير من الاحوال بل لضرورات مستكرهة . فالبحر ليس وحدة عضوية فى أساسه بل يعتمد على الاضافة الكمية للتفعيلات كل ما هناك ان شعر التفعيلة لا يتقيد بعدد خاص من هذه التفعيلات فى الشطر الواحد .

ويرد « على يونس » (مصدر سابق) على كل الاعتراضات ومنها اعتراض الاستاذ العقاد الذى يردده الاستاذ النجمى

فليس الانتظام الهندسى الرتيب شرطا اساسيا فى الموسيقى الشعرية

ويذهب د . عز الدين اسماعيل الى ان النظام الدقيق فى الشكل الخليلى

مباشر ظاهر للحواس وهو فى صرامته ثابت جامد

اما النظر (فى شعر التفعيلة ، فهو ليس اطارا فوسفوريا) فهو نظام داخلى ينبع من داخل القصيدة وليس شيئا تصوريا خارجيا مفروضا (٩) .

التجارب الجديدة .. الفنية فى الايقاع .

وانا أعتقد ان الشعراء المجددين النابهين (اى ليس منهم شعرور) على الرغم من اختلافى مع الكثير من « بياناتهم » شعراء مجيدون دفعوا بالشعر الى الامام شعراء « اضاءة » « اصوات » وغيرهم .

ان النسق الايقاعى فى الشعر الجديد عموما لا يقف عند الاطار الخارجى ، اطار توالى الحركة والسكون ، بل هو النسق المهيمن الحاكم ، يؤثر فى المستويات الدلالية والصرفية والصوتية باحجمها ، فانتظام النموذج الصوتى له مكانة مركزية حاسمة .

ولهذا الايقاع خاصية تكاملية تتغلغل فى جميع مستويات القصيدة (مستوى الفكر والانفعال والادراك الحسى) ، وتتجسد كلها فى البناء الايقاعى اللغوى .

فالتواتر والتكرار فى اصوات لغوية محددة عند اختيار الكلمات يجعل لهذه الاصوات فاعلية بنائية تضيف الى الروابط الدلالية للكلمات تنظيما يجمع بين كلمات لا ترتبط من حيث المعنى ، ويصبح للتنظيم الصوتى دلالة مباشرة وتعمل التضايفات الصوتية على تدعيم التماثل فى المعنى .

وفى شعر المجيدين من شعراء الفصحى والعامية نجد التوزيع الموسيقى اللفظى مثل تكرار الصوت والكوكبات الصوتية المتفاوتة واشكال التجنيس المختلفة وفقا لعدد الحروف الساكنة او المتحركة المكررة او عناقيدها ووفقا لنسق تكرارها

وثمة لقاء بين الحركة الايقاعية الصوتية والبناء النحوى والترتيب المنتظم للكلمات او التماثل الاعرابى لتركيب الجمل وقد تنشا التنويعات الايقاعية من التوتر بين النبض الايقاعى وطراز التركيب النحوى .

وهناك طرز للتنغيم والترنيم مثل اللازمة المتكررة والسؤال المتكرر فى مواضع عكسية .

وهناك ايضا العلاقة بين التنغيمات الاستفهامية وتنغيمات النداء والتعجب والارتفاع التدريجى فى علو الصوت عند افعال الامر وفى التعجب وتناوبه المنتظم مع انخفاض الترنيمات عند مفاجأة النفس .

ويمكن ان نجد نظاما مكتملا من التنغيم فى تضايف الصوت والمعنى (دراسة فى الاعمال الكاملة للشاعر سيد حجاب) .

وما سبق اشارة موجزة تكررت كثيرا عن الطاقات الموسيقية فى الشعر الجديد

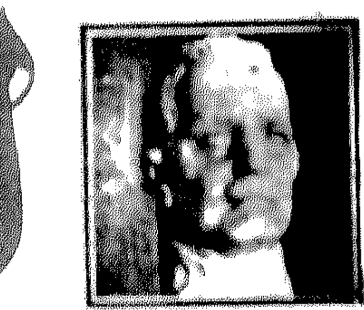
وفى الختام ان دراسة البحور الخليلية واجب مفترض من اجل تطوير الشعر .

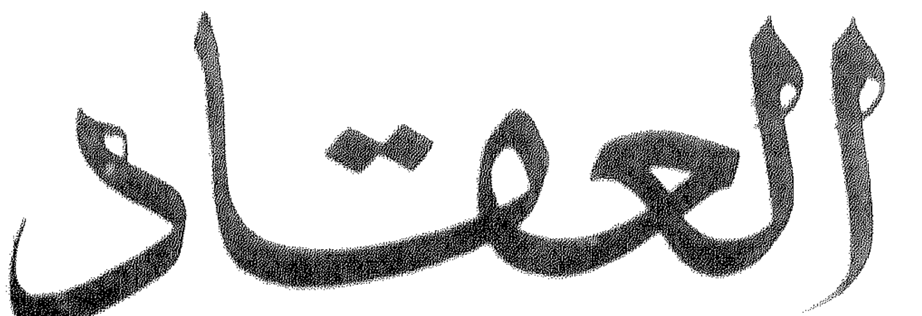
---

(٩) د . عز الدين اسماعيل : الشعر العربى المعاصر ص ٨٦-٨٢ — على يونس : النقد الادبى وقضايا الشكل الموسيقى فى الشعر الجديد ص ٣٧٩ — ١٨٨ .

مرة واحدة فى ندوة

العقاد





بقلم : د . غالي شكري

□ لم يكن عباس العقاد يتمتع بشعبية ملحوظة بين أوساط الشباب خلال الحرب العالمية الثانية ، أو غداة انتهائها عام ١٩٤٥ .

يومها كانت القاهرة تموج بعشرات الحركات السرية ، من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، ويتناثر النشاط الثقافي عبر المدينة كلها ، ويأخذ أشكالا مختلفة ، يعكس الاتجاهات السرية ويكون صدى لها أحيانا ، ومرتبطا بها فى الخفاء أحيانا ، ومستقلا عن الجميع فى أغلب الأحيان □

كان اليساريون يرفضون العقاد بقوة ، لانه يقف شامخا وعنيدا وجبارا فى مواجهة الدعوات التى تؤمن بان للادب رسالة اجتماعية ، وتدعو إليها ، وتتحرك فى ساحة النقد الادبى على هدى منها ، وكان الدكتور محمد مندور اوضح هؤلاء الدعـاة ، وأعمقهم ، واشدهم تاثيرا ، وقد سبقه فى هذه الدعوة سلامة موسى ، ولكن هذا الاخير كان كاتبا ومفكرا ولم يكن ناقدا ادبيا ، وانحصرت دعوته فى مجال السياسة وبين المفكرين انفسهم ، ولم تتجاوز الجانب النظرى إجمالا ، والقى عليه ظلالا قاتمة حددت دوره ، وصرفت عامة الشباب عنه ، انه كان يصدر احيانا عن روح قبطية خالصة ، مما دعا احمد رشدى صالح ان يهاجمه فى مجلة الفجر الجديد ، وكانت لسان حال إحدى الفصائل الشيوعية يومها ، فى مقال له بعنوان « التهتك فى التفكير : سلامة موسى يناقض نفسه » ، لانه تخلى عن منهجه الاشتراكى ، وعن تفسير القضايا والمشكلات ماديا ، وردها إلى التعصب الدينى وحده .

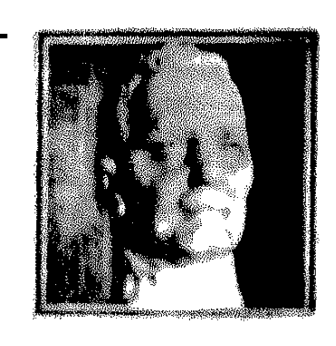


جلسة اسبوعية كانت تعقد صباح كل جمعة فى بيت العقاد

وقد التف حول محمد مندور ، وكان عائدا لتوه من مبعثه الى فرنسا ، اولئك الذين يؤمنون بمذهبه ، ووجدوا فى مقالاته فى الرسالة والثقافة مذاقا جديدا ، ونكهة عصرية ، لم يعهدوهما من قبل فيما يكتب غيره ، وبدا آخرون يسيرون على دربه ، وقامت بينه وبين العقاد معركة صاخبة على صفحات الرسالة عام ١٩٤٣ حول مفهوم الأدب ورسالة الأديب ..

وكان اليمينيون يقفون من العقاد ايضا موقفا مناهضا ، لانه درس الرسول بشرا سويا فى كتابه ، عبقرية محمد ، ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٢٤ ، وهم يرونه رسولا نبيا ، ولم يكونوا يرضون منهج العقاد فى الفكر والحياة ، لانه كان علميا عقليا ، وهم لايرتضون من اى مفكر إلا أن يكون مقلدا ، يقرأ ويسمع فيؤمن ويوافق وأن يفهم الاسلام كما يفهمونه ، وشتان بين الفهمين .

وحين وقع الصدام بين حكومة محمود فهمى النقراشى والاخوان المسلمين دافع عن موقفه بقوة ،



في ندوة العقاد

واشتط في الدفاع وغالي حين اغتال الأخوان النقراشي ، وكتب يومها في جريدة السياسة ، لسان حال الحزب السعدي ، مايمكن أن نعتبره امتهانا لفكر حتى قرائه والمعجبين به ، فضلا عن خصومه وكارهيه .. فقد زعم أن حسن البنا كان متوسط القامة ، أقنى الأنف ، أبيض مشربا بحمرة ، يعمل والده في صناعة الساعات وإصلاحها ، واحترفها الابن أيضا ، وانه من مدينة السويس أصلا ، وكل هذه علائم تدل على أنه ينحدر من أصول يهودية ، ولليهود تاريخهم العريق في التخفي والتخريب !

إلى هذا الحد من السفسطة والاستهانة بعقول القراء كان يكتب العقاد أحيانا !

فإذا تركنا القضايا المتصلة بالجمعيات الدينية إلى الأحزاب السياسية ، نجد العقاد قد أخذ جانب السعديين ، وأصبح المحرر الأول في جريدتهم « السياسة » واتخذ منها ، أو من جريدة « الكتلة » ، منبرا للأطراء على الملك في المناسبات المتصلة بعيد ميلاده ، أو عيد جلوسه على العرش ، والهجوم العنيف على الوفد ، وكان اكثر الاحزاب شعبية ، وأقربها إلى قلوب المصريين رغم ضيقهم الشديد به حاكما خلال سنوات الحرب ، ويحمدون له تطرفه في مواجهة الانجليز ومواجهة القصر الملكي على السواء ، وهما قطبا الفساد ومصدره في مصر ماقبل الثورة .. ومع أنه لا يمكن القول بان العقاد كان ملكيا ، لكن عناده في خصومة الوفد أركبه الشطط كما ركبه الأخوان ، فكتب في مجلة روز اليوسف مقاله الشهير ، في صفحتها الأولى ، وبعنوان على عرض الصفحة كلها : « ملك ديمقراطي وسوقة مستبدة » .

ورغم أن سلطات الملك دستوريا اقل بكثير جدا من اي رئيس دولة او جمهورية جاء بعده في حكم مصر ، وبخاصة حين تكون في الحكم وزارة الأغلبية الوفدية ، فلا تهادنه ولا تصانعه ، فآخر مايمكن أن يوصف به انه كان ديمقراطيا ..

ومع حرص الوفد في ممارسة الحكم على أن تكون الوزارة التي يؤلفها وفدية خالصة ، وله تجاوزاته التي يمكن أن تقع فيها اية حكومة وبخاصة في سني الحرب ، وتحت الأحكام العرفية ولايمكن الدفاع عنها شعبيا ، فإن آخر مايوصف به رجاله انهم كانوا سوقة ومستبدين .

وفي مثل هذا المناخ تحولت حتى حسنات العقاد إلى سيئات في نظر الجماهير ، وحين أصدر كتابه « هتلر في الميزان ».. عام ١٩٤٠ ، وهو دراسة علمية جيدة لطبائع الاستبداد والطغيان ، والكوارث التي يمكن أن يؤديا إليها ، واتسم بنظرة مستقبلية اثبتت الأيام صدقها ، لم تذكر العامة له إلا انه هاجم هتلر عدو الانجليز ،

وهؤلاء أعداء مصر الألداء ، وإذن فهو لم يكتبه عن اقتناع وعقيدة ، وانما ملبيا رغبة أعداء هتلر ، وبعد ان قبض الثمن .. والحق أن العقاد أبعد مايكون عن العمالة ، وأن يخط حرفا لايؤمن به ، وكراهيته للاستبداد والدكتاتورية بلا حدود ، وحين كتب الزيات ، وهو مبدع فنان اكثر منه مفكرا عقليا ، يثنى على هتلر في مجلته الرسالة بعنوان : « العظيم المنتظر » رد عليه العقاد في الرسالة نفسها ، وفي الأسبوع التالي ، بعنوان : « ماكل منتظر عظيم » ، وثابت انه لم يستفد من « هتلر في الميزان » ماديا ، ولو أراد لكان له ما اراد ..

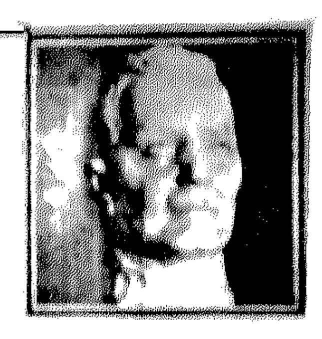
كان ذلك مناخ القاهرة فيما يتصل بالعقاد حين هبطتها للمرة الاولى ، صباح الخامس من شهر أكتوبر عام ١٩٤٤ ، فتى صعيديا ، غرا ساذجا ، متيقظ المشاعر والأحاسيس ، نهما إلى المعرفة والحركة ، يطمع ان يكون مثقفا وكاتبا ، وأن يتردد على دور الصحف والمجلات ، وأن يتعرف إلى كبار الأدباء والكتاب .

لم أرتح إلى العقاد سياسيا شأن غيرى من الشبان ، ولم أهضم في هذه السن الفتية كتبه ، أو أسغ أسلوبه ، أو أفهم مواقفه ، فأدرت له ظهرى قارئا ومعجبا ومهتما به أو مفكرا فيه ..

وتوالت الأحداث يومها صاخبة : اغتيل أحمد ماهر رئيس الوزراء في مبنى البرلمان ، ومن بعده محمود فهمى النقراشي في مبنى وزارة الداخلية ، وكان وزيرا لها ورئيسا للوزراء ، والخازندار رئيس محكمة الاستئناف ، واللواء سليم زكى حكمدار القاهرة (مدير الأمن) ، ذهبت بحياة هذا الأخير قنبلة القاها عليه طالب في كلية الطب ، وهو يحاصر كلية طب قصر العينى بفرقته المدرعة ، ونزلت الحكومة نفسها إلى الشارع تقتل المواطنين ، فاغتالت حسن البنا المرشد العام للأخوان المسلمين أمام مبنى جمعية الشبان المسلمين ..

يومها كان الشبان هم صناع الحياة العنيفة ، ومحور السياسة الوطنية النظيفة ، وكانت الجمعيات والمنشورات ، سرية وعلنية ، تغطى كل جوانب العاصمة ، وتتجاوزها الى المدن الكبرى ، ولم تكن المنظمات والأحزاب كلها مريحة ، أو توحى جميعها بالثقة ، وكان علينا ان ننضم بدءا الى التى يستهوينا ظاهرها ، حتى إذا سبرنا غورها وعرفنا حقيقتها تجاوزناها الى غيرها : الاخوان المسلمون ، وشباب محمد ، ومصر الفتاة ، والوفد ، والكتلة الوفدية ، وجبهة مصر ، والأحرار الدستوريون ، والسعديون ، والحركات الشيوعية المتعددة ، والمتصارعة فيما بينها .

على انه يحمد للعقاد يومها وسط كل الذى لا نتفق معه فيه ، أنه كان عدوا لدودا للصهيونية ، وأدرك أخطارها منذ اللحظة الأولى ، وكتب موعيا قرابة مائة مقالة ، فيما بين انتهاء الحرب العالمية ١٩٤٥ إلى قيام الثورة ١٩٥٢ ، في جرائد الكتلة والأساس ومجلة الرسالة ، وصنع ذلك حتى قبل أن يسفر الخطر الصهيونى للجميع ، وقبل أن



فى ندوة العقـــاد

يغتصب الصهيونيون فلسطين ، وقبل ان تدخلها الجيوش العربية مجتمعة ، وتهزم كلها ، فى ١٥ مايو ١٩٤٨ ، على حين لزم الصمت كثيرون ، فلم يكتب طه حسين - مثلا - كلمة عن الخطر الصهيونى ، وكان يومها كاتبا ملء السمع والبصر ، ونفس الشىء يقال عن توفيق الحكيم وآخرين .

وذات يوم من اوائل صيف عام ١٩٥٢ ، وكنت طالبا فى دار العلوم ، واعمل محررا فى جريدة الكتلة ، جاءنى صديقى ، وزميلى فى العمل ، المرحوم محمد العرمان ، وكان طالبا فى كلية اللغة العربية ، ومن زعماء الصعايدة فيها ، وكانت ساحات الازهر يومها تشهد صراعا من لون آخر بين الصعايدة والبحاروة ، يستخدمون فيه العصى والنبابيت والشوم ، ويسقط ضحاياه جرحى فتستدعى لنقلهم الاسعاف الى المستشفيات ، وانبانى انه لقى العقاد فى جريدة الأساس وتعرف عليه ، واستاذنه فى ان نحضر ندوته .

لا اذكر فى اى تاريخ يقع اليوم الذى مضينا فيه إلى الندوة ، ولكنه على التاكيد بعد أن ألف حسين سرى

العقاد يتوسط مجموعة من الادباء ومن بينهم جاذبية صدقى وكامل الشناوى

وزارته التي استمرت فترة قصيرة لم تزد على خمسة عشر يوما واختار فيها كريم ثابت المستشار الصحفي للملك وزيرا ، لأن العقاد في ندوته هذه تحدث عن ثلاثتهم ، الملك ، وحسين سرى وكريم ثابت ، وسبهم سبا قبيحا ، بكلمات، لاتكتب ، وتقع تحت طائلة قانون العقوبات !

وصلنا في الساعة العاشرة صباحا .

وأخذنا مكاننا على استحياء ، وما لبثت الحجرة أن امتلأت ، وكان العقاد يتوسطها ، شامخا مهيبا .

وطوال الساعات التي قضيناها كان العقاد وحده هو الذي يتحدث ، وللآخرين حق السؤال فحسب ، يجيء في صورة مستفهم عما لايعرف ، ولايحمل تحديا أو استنكارا ، أو يعكس احساسا زائدا بالذات . !

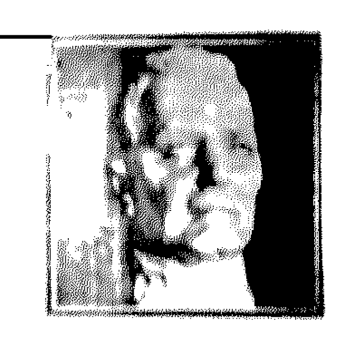
كان الحديث في الندوة ذا شجون ، يدور حول أى شيء بلا ترتيب أو اعداد ، من سياسة وأدب واجتماع وتاريخ وفكاهة وفلسفة وذكريات صحفية وأدبية أو حتى في الطب والعلم ، ويتحدث العقاد في كل هذا بطلاقة وافرة ، تواتيه ذاكرة قوية ، واطلاع واسع وفي لهجة ودود سمحة ، ويضفي على من يقدر من الشخصيات العامة المعاصرة له ثناء محسوبا ، وكان إعجابه بالإمام محمد عبده لا حد له ، ويجمال الدين الافغاني ، ويرى أن السباعي بيومي استاذ الأدب العربي في دار العلوم في تلك الأيام خير من هضم الأدب العربي في عصوره المختلفة وتمثله ..

وياويل الذين لايرضى عنهم ، انه يسلقهم بلسان حاد ، وينعتهم باسوأ الألقاب ، ويضفي عليهم احط الصفات ، فإذا تحدث عن طه حسين فهو « اعمى الكلب » ، أو عن الملك فهو « ابن .. » والحق بامه صفة ، او صفات ، لايستطيع قلم أن يخطها دون حرج ..

وكان على أية حال مبهرا فيما يقدم من معلومات وحقائق وتحليل ، وأعترف أنني بهرت بعد لحظات من جلوسي ، ربما لانني كنت مجرد طالب في دار العلوم ، واذكر يومها انه افاض وهو يتحدث عن كثير عزة ، الشاعر الأموى الغزلي الشهير ، وكنت أعرف أنه وفد إلى مصر في عهد واليها عبد العزيز بن مروان ، ولكن في ندوة العقاد فقط ، يومها ، عرفت أنه كان واليا ، أو محافظا إن شئت ، على أسوان .

ثم عرض للاسماعيلية مذهبا ، وجاء ذكرها بمناسبة الحديث عن اغاخان ، وان اتباعه يزنونه فضة أو ذهبا أو ماسا ، حسب سنه ، ثم يهدونه ملايين ، وقد تتبع اصولها ، وفسر التناقض الواقع بين سلوك الأغا والتعاليم الاسلامية ، وانهم يرون العامة وحدهم ملزمين باداء الطقوس الدينية لتهذيب عاداتهم وسلوكهم ، اما الخاصة فهم معفون منها ، ويورد قول فيلسوف يوناني ، ضاع مني اسمه ، حين حدثوه عن نبي ظهر في المشرق يدعو إلى الاصلاح : نحن قوم مهذبون ، فلا حاجة بنا إلى نبي ..

ويرى الدين ضرورة لامناص منها لكبح جماح العامة ، وضبط سلوكهم .



فى ندوة العقــاد

ثم اثيرت قضية المساواة بين الرجل والمراة وتحدث العقاد فى ذلك طويلا .. وخلاصة ماقال انهما غير متساويين خلقة ، فلايمكن ان يتساويا عملا ، وأن تكوينهما الجثماني مختلف .

وكان معنا فى الندوة طالب فى قسم الفلسفة فى كلية الاداب بجامعة فؤاد الاول حينذاك ، ما إن سمع راى العقاد فى المراة حتي أخذ يتململ فى جلسته ، وحين سمع تعبير « امتصاص الألم » لم يستطع ان يكتم دهشته ، وأنه يسمع التعبير للمرة الأولى فى حياته ولايفهم له معنى ، ولايوافق العقاد فيما يقول

وانفجر العقاد الهادىء كالبركان ، وبصوت مرتفع اخذ يـوجه إليـه الحديث : الا تعرف معنى امتصاص الألم ياجاهل ، في الدولاب الـذى وراءك ، فى الصف الثالث الكتاب الرابع من اليمين ، فى الفصل الثالث منه ، شرح لمعنى امتصاص الألم ..

ومضى العقاد فى هياجه : اسمع ياجدع يامهزأ !

إنت « مش كد » العقاد ، انت هنا لتتعلم شيئا لاتتعلمه فى الجامعة ، ولاتجده فى الكتب ، وانا لو أردت أن اجادلك بالباطل لغلبتك .

وران على المجلس اندهاش مكتوم ، ولفة صمت ثقيل ، ولحظ العقاد هذا فتوجه بالحديث إلى الجميع : إن غايتى من هذه الندوة أن اكسر حدة العزلة مع الكتب طوال الأسبوع ، بحوار يصلنى بالناس ، فياتى شخص مهزا كهذا ويثيرنى ، ويفسد على متعة الجلسة ، انا لست مستعدا لأن أتلف أعصابى مع مثل هذه المخلوقات .

ولم تستجب ملامح الأغلبية لهذا التفسير وبخاصة أولئك الذين يردون الندوة للمرة الأولى مثلنا ، فظلوا فى دهشتهم ، فواصل قوله : أنا عارف ، ان ثـلاثة أربـاعكم شيـوعيـون .. أو متعاطفون مع الشيوعية ، ومفتونون بما يرفعه دعاتها من شعارات المساواة بين الرجال والنساء ..

وصمت الشاب تماما ، وانقشع عجب الحاضرين تدريجيا وعادت الجلسة إلى طبيعتها ، وراح العقاد يهاجم أولئك الذين يربطون الأدب والفكر بغايات اجتماعية ، لأن الفكر أسمى من ان يسخـر للدعـوة إلى مـلء بطـون الجائعين ، وانه اهون عليه أن يقصف قلمه ، ويلزم داره ، قبل أن يسير فى طريق هؤلاء المخدوعين ..

استمر الحوار من طرف واحد فى الحقيقة ، او إن شئت حديث العقاد ، وكان ذا شجون حقا ، حتى بلغت الساعة الواحدة تقريبا ، عندها بدأ الرواد ينفضون واحدا وراء آخر ، وبقيت جماعة فى عدد أصابع اليد لتتناول مع العقاد طعام الغداء ..

بقيت طوال الندوة مستمعا ، ولم اشارك شأن بعض روادها بأى سؤال ، ولكنها تركت فى نفسى اثرا عميقا ،

ولحظت أن الرجل يؤمن بدور العبقرية فى تغيير مسار التاريخ ومجراه ، ويرى نفسه على التاكيد عبقريا وهو كذلك بحق ، ولعل هذا الاحساس كان وراء تأريخه للعبقريات من كل جنس ولون وملة عربية واسلامية ومسيحية وبوذية وبلا دين .

ويجىء رايه هذا فى مواجهة اتجاه فرنسى فى علم الاجتماع تزعمه إميل دور كايم ، ١٨٥٨ ـ ١٩١٧ ، يرى ان الظواهر الاجتماعية تفرض نفسها ، وملزمة للأفراد ، وان المجتمع لايتقبل من الظواهر إلا مايرتضيه ، وأنه الذى يخلق الزعماء والقادة ، فهم أداته وليسوا صانعيه ، وكان يبشر بهذا المذهب يومها ، ويتعصب له ، استاذنا الدكتور على عبد الواحد وافى .

وقد خلت الندوة من العنصر النسائى تماما ، ولست أدرى ما إذا كان ذلك صدفة أم أن هذا طابعها ، وهل تغير هذا الطابع فيما بعد ، أم استمرت المرأة غائبة عنها .

لم يكن احد فى الندوة يبدى رأيا ، أو يرفع صوتا ، أو يشارك ايجابيا فى حوار ، وإنما الواحد يسأل ، والكل يسمع ، وماكتب الآخرون غير هذا فهو محض خيال ، وعنتريات مفتراة ..

كانت مرة واحدة ، لم أعد بعدها إلى ندوة العقاد ثانية ، فقد قامت ثورة ١٩٥٢ ، وشغلتنا بأحداثها ، وشغلنا بها ، ثم سافرت فى بعثة ، وحين عدت منها كان العقاد قد رحل عن دنيانا ..



العقاد .. ثورة كتب ..

واحسب أننى وقفت فيها على سر اتجاه العقاد وعظمته ، وبدون حضورها كان العقاد سوف يبدو لى فى الجانب الاكبر من تفكيره وسلوكه سرا مغلقا .

لم اشارك العقاد يومها أيا من آرائه ، ولكنى اكبرت فيه من تلك اللحظة ايمانه بالفكر ، واعتزازه بالثقافة ، وشموخه وكبرياءه . وخرجت من عنده مؤمنا بان مثله ، كأى بشر ، يخطىء ويصيب ، ولكنه لايباع ولايشترى فى سوق النخاسة الفكرية ، وما اكثر الذين حملوا أمانة القلم على أيامه وبعدها وباعوه بثمن بخس .. دراهم معدودة ، وكانوا فيه من الخاسرين ..

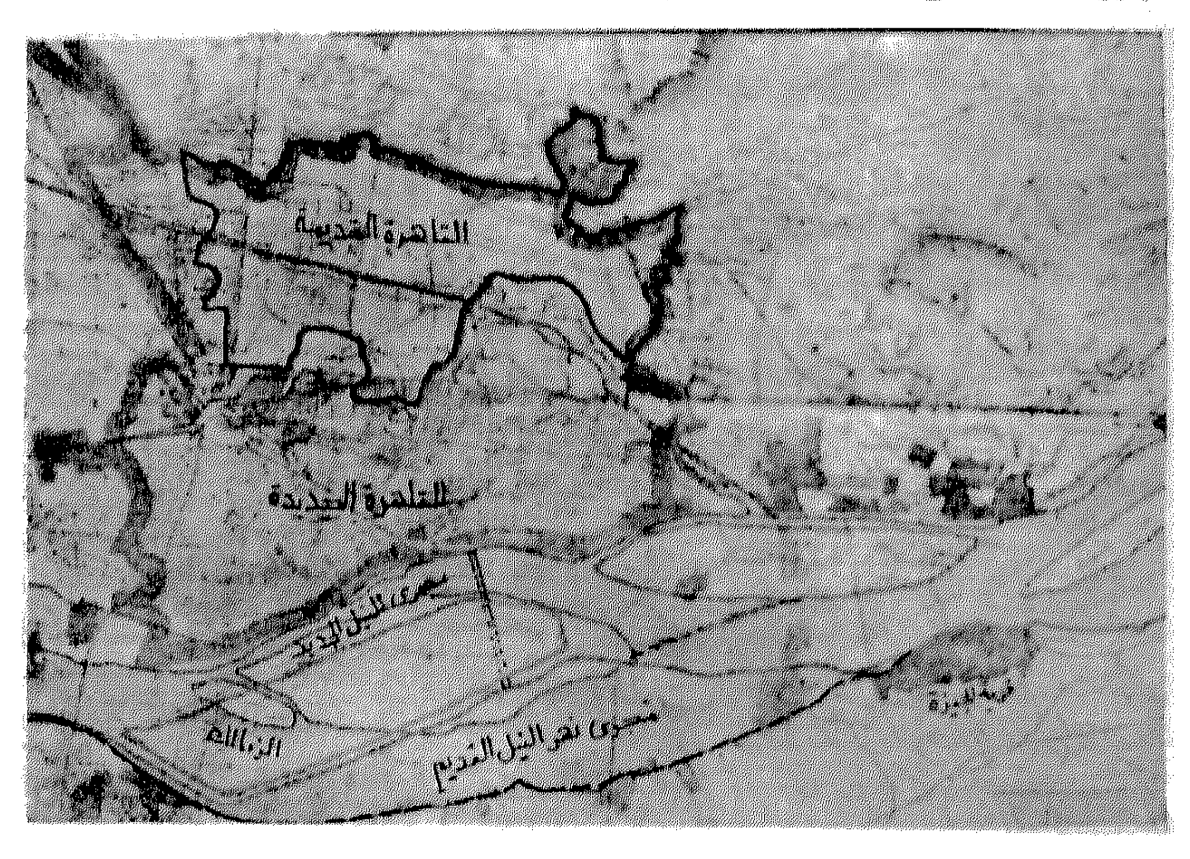


القاهرة والنيل

بقلم: د. سيد كريم

●● لايعرف الكثيرون انه تم تغيير مسار نهر النيل في القرن الماضي ، كجزء من تجميل القاهرة ، عندما نجح المهندسون في نقل الخيال الى واقع حي ، ونقل مجرى النهر من موقعه منذ آلاف السنين ، الى موقع جديد يخترق القاهرة ، وتحتضنه القاهرة ويكتب تاريخها الحديث .

ومن يومها عاش النيل في القاهرة ، فاحتضنته وارتبط بتخطيطها ، واصبح جزءا منها ، يهبها الحياة ، وتزدحم عمارتها على ضفتيه ، فكما يشق نهر السين باريس ، اصبح نهر النيل يشق القاهرة ...



● نقل مجرى نهر النيل : أكبر المشروعات العمرانية في القرن الماضي !

● مسار نهر النيل كان يمر بحديقة الحيوان وحديقة الأورمان ، ويصل إلى بولاق الدكرور والعجوزة وامبابة !!

القاهرة والنيل

● تبدأ قصة تحويل مجرى نهر النيل إلى عام ١٨٦٣ عندما تولى الخديوى اسماعيل الحكم . كانت القاهرة عاصمة البلاد نموذجا لمدينة من مدن العصور الوسطى التى تطوقها الاسوار وتحاصرها البوابات يبلغ عدد سكانها ٢٧٠ الف ساكن . تمتد حدودها من سفح المقطم والقلعة شرقا وتنتهى حدودها الغربية عند مدافن العتبة الخضراء والازبكية والمناصرة التى حاصرت امتدادها وحرمتها من الاتصال بالنيل او الوصول اليه . كانت المنطقة التى تفصلها عن مجرى النيل تتكون من سلسلة من المستنقعات ومجموعة من التلال تمتد عدة كيلو مترات حتى تصل الى شاطئه .

لم يكن النيل فى موضعه الحالى بل كان مجراه الرئيسى يشق طريقه فى المنطقة الغربية ممتدا من قرية الجيزة القديمة التى تقع عند نهاية كوبرى عباس الحالى ويسير محازيا لشارع الدقى الحالى مارا ببولاق الدكرور والعجوزة وامبابة .

● كان لنشاة اسماعيل باشا فى باريس وتشبعه اسباب الحياة الاوروبية بل اشدها تطرفا وهى الحياة الفرنسية الباريسية الأثر الأكبر فى توجيه تفكيره فكانت رائده فى كل ماقام به من مشروعات اصلاحية وعمرانية .

كانت باريس مدينة النور التى تعلم فيها وقضى فترة شبابه فى اجواء ارجائها قد اصبحت حديث العالم عندما وضع المهندس العالمى « هلوسمان » تخطيطها الجديد . ذلك التخطيط الذى جذب انظار العالم واقتدى به خبراء التخطيط فى اعادة تخطيط كثير من العواصم والمدن الكبرى فى أوروبا وامريكا .

عندما عاد اسماعيل باشا الى مصر هاله ماوصلت إليه عاصمة بلاده من الانحلال وماتعرضت له القاهرة من حملة ضارية ومغرضة تبنتها صحافة الغرب عندما انتشر وباء الملاريا وحميات الامراض المعوية لاعتماد القاهرة على مياه الشرب التى ينقلها « السقاءون » من البرك والمستنقعات الراكدة والتى تختلط بمياه المجارى . فاستهدفت الحملة نهر النيل الذى يتغنى المصريون بالشعار الذى وصف به اميل لودفيج النيل بقوله :

«من شرب من ماء النيل مرة عاد اليه ثانية» فحرفوه فى حملة دعايتهم بقولهم من شرب من ماء النيل مرة عاد الى بلده للعلاج . كما وصفوا مدينة القاهرة بانها المدينة التى يعيش سكانها داخل الناموسيات .

كان لتلك الحملة التى استمرت بضع سنوات اثارها فى امتناع الكثير من زيارة مصر سواء للسياحة او التجارة .

فعندما تولى اسماعيل باشا الحكم كان اول عمل فكر فيه ليبدأ به حكمه هو اعادة تخطيط القاهرة وتعميرها من جهة ثم رد الاعتبار لنهر النيل الخالد الذى اطلق عليه المصريون القدماء نهر الحياة ليعيد الحياة لتخطيطها الجديد .

ولكى يحقق الحلم الذى طالما راوده ان يرى فى القاهرة صورة لباريس التجأ اسماعيل باشا الى صديق شبابه الامبراطور نابليون الثالث طالبا منه ان يعاونه فى اعادة تخطيط القاهرة واعادة تعميرها بتكليف المهندس هاوسمان الذى قام بتخطيط باريس ليصنع تخطيط القاهرة الجديدة . وطلب اسماعيل باشا من هاوسمان ان يعكس تخطيط القاهرة وتعميرها صورة باريس اجمل عواصم العالم . فحقق هاوسمان له حلم امنيته وتظهر القاهرة فى زيها الجديد الذى يعكس معالم باريس بتخطيطها وعمارتها وحدائقها وميادينها وقصورها ، بل زودها التخطيط بالمرافق العامة من شبكات للمجارى ومياه الشرب ورى الحدائق والانارة بالغاز لأول مرة فى تاريخها العمرانى واطلق عليها العالم اسم « باريس الشرق » . كانت فكرة نقل النيل ليشترك فى تخطيط القاهرة وتعميرها ضمن قائمة الرغبات التى قدمها اسماعيل باشا لمهندس التخطيط والمحفوظة بالمكتبة العامة بباريس .. وصفها احد الكتاب المعاصرين بانها « البوم الذكريات » ذكريات شبابه المرتبطة باماكن خاصة ومعالمها العمرانية وطلب ان يخصص لكل منها مكانا تحتله فى التخطيط الجديد منها على سبيل المثال حديقة لوكسمبرج الباريسية الشهيرة لتصبح حديقة الازبكية بجميع معالمها وأسوارها واشجارها ومسرحى الأوبرا والكوميدى فرانسيز (الأوبرا والكوميديا وميدان كل منهما وغابة بولونيا (حدائق الاورمان) وغيرها مما ورد فى قائمة الرغبات) .

كان على راس قائمة الرغبات نقل نهر النيل ليتوسط تخطيط القاهرة الجديدة اسوة بنهر السين الذى يخترق باريس وتحتضنه المدينة بجناحيها واصبح جزءا منها تتعانق احياء المدينة وعمرانها على ضفتيه .

فحقق تخطيط القاهرة معجزة نقل مجرى نهر النيل من موضعه النهائى لينبض بالحياة فى قلب القاهرة الجديدة فيتوسط تخطيطها كما يتوسط نهر السين تخطيط باريس .

● كان نهر النيل كما هو مبين فى احدى خرائط الحملة الفرنسية القديمة ويظهر بها مجراه القديم الذى يمتد من مدينة الجيزة القديمة ويمتد بمحازاة شارع الدقى الحالى مارا بمناطق حدائق الأورمان والجامعة والدقى والعجوزة وبولاق الدكرور وامبابة .

بينما المنطقة الشرقية منه ومن شواطئه كانت عبارة عن سيالة ضيقة تنحسر عنها المياه اكثر فصول السنة لارتفاع منسوب قاعها وقد بدأ العمل فى اجراء عملية التحويل مع البدء فى تخطيط المدينة نفسها فى أواخر عام ١٨٦٣ .

اشتمل التخطيط لعملية التحويل اقامة حاجز خرسانى بالقرب من مدخل كوبرى عباس الحالى كمصد لتغيير اتجاه تيار مياه الفيضان ليتجه الى الشرق فى اتجاه مدينة القاهرة واقيم جسر ترابى بامتداده ليسد جزءا من مدخل المجرى القديم . كما أقيم حاجز خرسانى أو مصد مماثل فى موقع فندق شبرد الحالى ليغير اتجاهه مرة اخرى

القاهرة والنيل

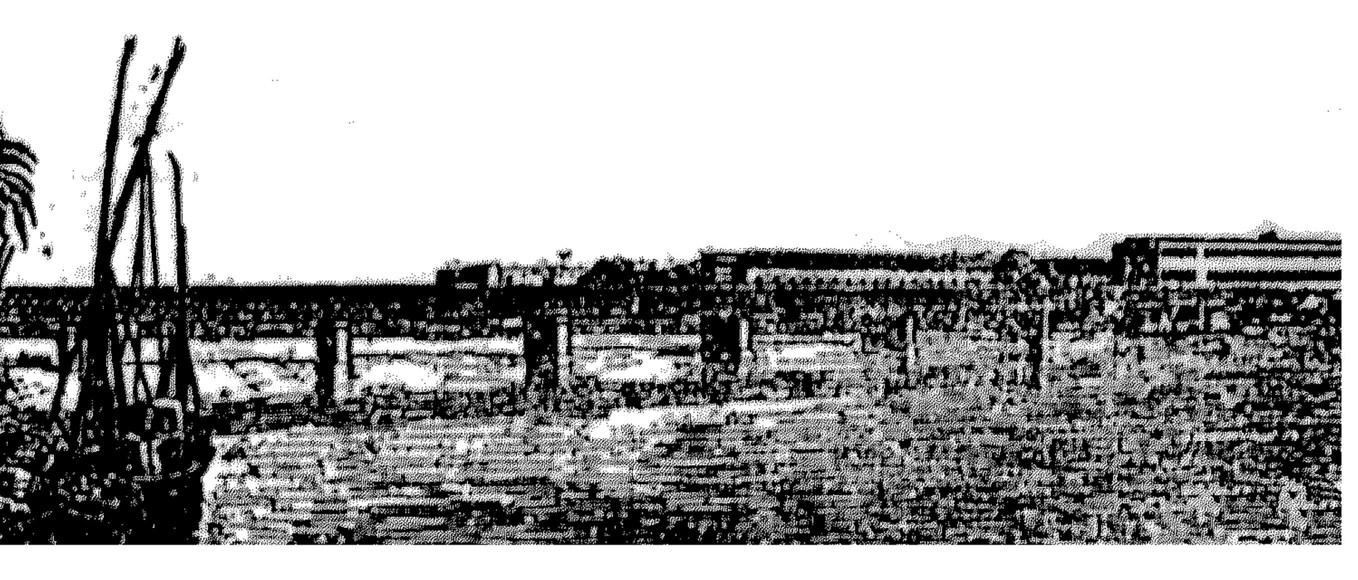
ليعود الى مجراه الاصلى عند منطقة امبابه وبولاق ولاتزال اثار تلك المصدات الخرسانية موجودة الى الآن .

لقد ساعد ارتفاع منسوب الفيضان المفاجىء وقوة اندفاع مياه تياره ، ساعد على تحقيق المعجزة فحفر النيل مجراه بنفسه في عام واحد وتمت عملية التحويل واتخذ نهر النيل موقعه الجديد فى التخطيط المرسوم له فى اواخر عام ١٨٦٥ اى ان عملية التحويل بالكامل استغرقت ١٨ شهرا .

● عندما تم تحويل مجرى النيل تخلف عن المنطقة الغربية من مجراه القديم الذى انحسر عنه الماء ، اراض واسعة بين شارع الجيزة الحالى وكورنيش النيل بخلاف المجرى نفسه فتقدمت احدى الشركات القومية بالاشتراك مع احدى الشركات الفرنسية التى ساهمت فى تحويل مجرى النيل . تقدمت باستعدادها لردم المجرى القديم والمستنقعات المتخلفة عنه وبلغ ارتفاع الردم فى معظم الاجزاء مايزيد على الثلاثة امتار اما المنطقة فقد طمت ارضها بتحويل مياه الفيضان عليها وتركها حتى يرسب ماتحمله من طمى .

وقد تم الاتفاق بين الحكومة والشركة التى قامت بعملية الردم وتسوية الأراضى أن تقوم الشركة بتسليم الحكومة الأراضى المخصصة للمشروعات العامة المحددة بالتخطيط وهى الأراضى التى اقيمت عليها غابة الأورمان وحديقة الحيوانات والجامعة ودور الاحصاء والمساحة والمدارس وغيرها من المشروعات العامة على ان تمنح الشركة بقية الأراضى لاستغلالها للاستثمار العقارى مقابل ماقامت به من

كوبرى قصر النيل (رسم مأخوذ من شريحة فيلم قديم)



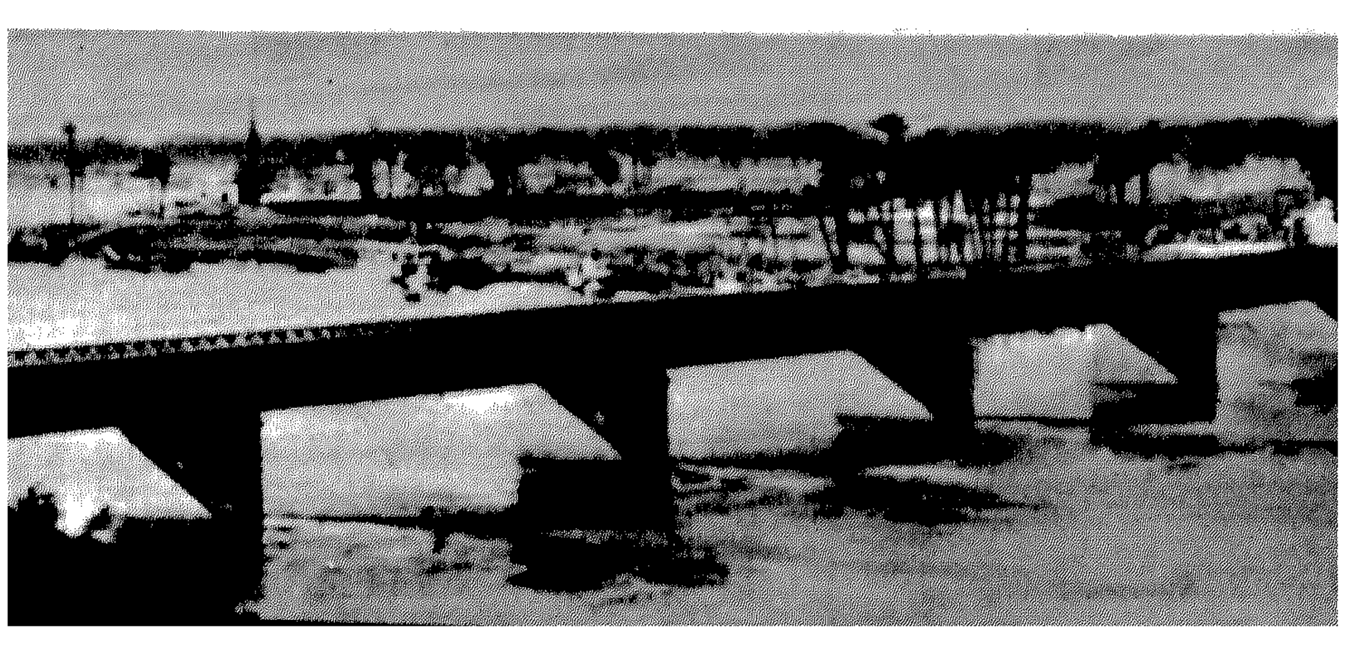
اعمال لردم الأراضى وتمهيدها وتخطيطها . وهى الشركة التى اطلق عليها اسم شركة تقاسيم اراضى الجيزة والروضة ولازالت تحتفظ به الى الآن .

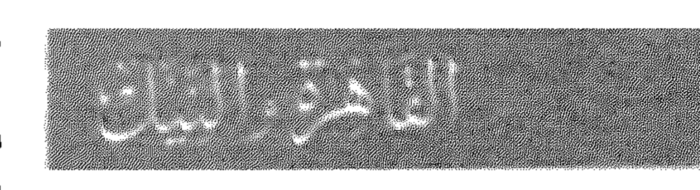
● فى مقدمة المشروعات التى اشتمل عليها تخطيط الأراضى التى تخلفت من ردم مجرى النيل مشروعات اقامة « اورمان » أو غابة مماثلة لغابة بولونيا المشهورة خارج باريس ، وقام برسمها وتخطيطها المهندس باريل بك .. وتبلغ مساحة حديقة الاورمان ٤٦٥ فدانا . كانت تشمل حدائق الاورمان الحالية وحديقة الحيوانات وتمتد إلى سراى الجيزة بمبانيها الفخمة والتى كانت تقع موضع مخازن الترام القديمة بشارع المدارس وقد جلب باريل بك أشجار حديقة الاورمان وحديقة الحيوانات بمختلف انواعها النادرة من آسيا ولوربا وامريكا ومعظمها من الأنواع التى استوردت خصيصا لغابة بولونيا الباريسية وحديقة الأزبكية .

● كما كان من نتيجة حفر النهر لمجراه الجديد ان تراكم الطمى والرمل بالمنطقة الشمالية من الجزيرة وهى منطقة الزمالك الحالية التى تحولت الى شاطىء سياحى بلغت مساحته الفى فدان فلتخذه سكان القاهرة مصيفا ومكانا للنزهة والاستجمام والترفيه فاصدر اسماعيل باشا قرارا بالا تقام به اية مبان او منشات ثابتة سوى "الزمالك" والزمالك لفظ البانى معناه العشش او كبائن الشاطىء . ومنه اتخذت الزمالك اسمها الذى يطلق عليها الآن .

اما الجزء الجنوبى من الجزيرة فقد تحول الى مجموعة من الحدائق والبساتين لتزويد قصور القاهرة بما تحتاج اليه من اشجار ونباتات للزينة ولم يقم عليها من المبانى سوى قصر الجزيرة الذى يقع فى طرفها الشمالى المطل على منطقة الزمالك الذى اقيم عام ١٨٦٨ لنزول الامبراطورة اوجينى زوجة نابليون الثالث بمناسبة زيارتها

اول صورة فوتوغرافية اخذت لكوبرى قصر النيل ـ عام ١٩١٠





لمصر لحضور احتفالات افتتاح قناة السويس وزيارة القاهرة «باريس الشرق» التى وعدت اسماعيل باشا بزيارتها عند اتمام تخطيطها وظهورها فى ثوبها الجديد - وسراى الجزيرة هى التى تحولت الى فندق ماريوت حاليا.

● بانتقال مجرى النيل الى موضعه الجديد ليتوسط القاهرة وتمتد حدودها العمرانية الى ضفته الغربية لتغطى مساحات شاسعة من الأراضى التى كانت تغمرها مياه مجراه القديم ليشملها التخطيط وتصبح جزءا من القاهرة الجديدة نفسها، كان من الضرورى وصل الضفتين ببعضهما ووصل شرايين المرور بينهما بالكبارى اسوة بالكبارى التى تعبر نهر السين بباريس. كان عبور نهر النيل القديم يتم على قنطرة من القوارب المتراصة والمصفوفة بعضها بجانب بعض والممدودة عليها ألواح خشبية أو فى المعديات الصغيرة التى لاتصلح للاستعمال فى المجرى الجديد لعمق قاعه واشتداد تياره. فاشتمل التخطيط الجديد اقامة أول كوبرى يعبر نيل القاهرة ويعانق ضفتيه ويعد فى نفس الوقت أول كوبرى أقيم على نهر النيل من منبعه إلى مصبه وكان يعتبر وقت انشائه من أجمل قناطر العالم من حيث هندسته وجماله كما ورد ذكره فى جميع المراجع الهندسية المعاصرة. كان طول الكوبرى ٤٠٦ أمتار وعرضه ١١ مترا وله فتحتان ملاحيتان يدار الجزء المتحرك منهما باليد وبنيت اسسه ودعائمه بالدبش العادى محوطا بطبقه من الحجر الجيرى الصلب. قامت بصنع هيكله المعدنى وتنفيذه شركة «فيف ليل» الفرنسية التى قامت بتنفيذ احد كبارى باريس التى تعبر نهر السين فى وقت معاصر. بدات العمل فى انشاء كوبرى النيل عام ١٨٦٩ واتمته خلال عام ونصف.

ولما استحضر الخديوى اسماعيل المثالين لصناعة تماثيل ميادين القاهرة كلف أحدهم بعمل أربعة تماثيل لأربعة من السباع الضخمة فصنع اجمل صنع من البرونز واقيم كل اثنين منهما على مداخل الكوبرى من جهتيه المتقابلتين واطلق العامة على اسماعيل باشا اسم «ابو السباع».

ولما كانت الجزيرة يفصلها عن الشاطىء الغربى القناة التى تخلفت من النهر بعد ردم مجراه وكان يطلق عليها اسم «البحر الاعمى» الذى لاتصل اليه المياه الا وقت الفيضان. فقد رؤى اقامة قنطرة او كوبرى صغير كاستمرار لكوبرى قصر النيل لوصوله الى الشاطىء الغربى فقامت احدى الشركات الانجليزية باقامته وتنفيذه عام ١٨٧١ وهو الكوبرى الذى لازال يطلق عليه إلى اليوم «كوبرى الانجليز» ويطلق عليه العامة اسم الكوبرى الأعمى نسبة الى سيالة البحر الأعمى التى أقيم فوقها.

● فى مقدمة المشروعات التى تدخل ضمن اطار الاعجاز الفنى من ناحية التخطيط والانجاز التى ارتبطت



إحدى الخرائط القديمة لمدينة القاهرة تبين مواقع المدينة وحدودها القديمة قبل إعادة تخطيطها لتمتد إلى شاطئ النيل الذى انتقل إليها وتصل مساحتها على شاطئه الشرقى إلى ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية بخلاف تخطيط الشاطئ الغربى وضمه إليها



القاهرة القديمة كانت تحددها اسوارها القديمة وبوابات داخلها . تمتد حدودها من القلعة والمقطم شمالا الى الازبكية جنوبا .

PORT EL MAKS

CANTON EL MAKS

المقس

BIRKET BATN EL BAKARA

بركة بطن البقرة

BAB EL FOUTOUH

باب الفتوح

PLACE BEIN EL KASREIN

بين القصرين

PALAIS MOUEZZ

BAB EL FARADJ

باب الفرج

BAB ZOUEILEH

باب زويلة

AL AZHAR

الازهر

BAB EL MAHROUK

باب المحروق

١٠٩١ م

٩٦٧ م

2



احدى الخرائط القديمة لمدينة القاهرة - عام ١٨٦٩ - اثناء الاحتفال بافتتاح قناة السويس

بتحويل مجرى النيل وتعمير شاطئه الغربى مشروع مدخل القاهرة الغربى او طريق الاهرام الذى يصل القاهرة باهرامها الاثرية الخالدة احدى عجائب الدنيا السبعة والتى كانت تعتبر رمزا سياحيا لمصر وتصورها المطبوعات وهى تطل على النيل كانها جزء من القاهرة نفسها كما يربط طريق الاهرام او مدخل القاهرة الغربى بكل من الوجهين القبلى والبحرى عن طريق الصحراء الغربية .

وامتد تخطيط القاهرة ليشمل إنشاء طريق الأهرام الذى تم ردمه بارتفاع اربعة امتار عبر الاراضى المنخفضة والمستنقعات التى كانت تغمرها مياه الفيضان وتعزل الأهرام عن القاهرة وتم انشاء الطريق بعرض عشرين مترا وردمه بارتفاع اربعة امتار فى زمن قياسى عالمى لايتعدى ثلاثة اسابيع . كما تم رصفه وغرس الأشجار الباسقة على جانبيه خلال ثلاثة اشهر تم افتتاحه بعدها رسميا .

وقد علقت احدى الصحف الفرنسية العالمية على ذلك الانجاز الخيالى بقولها عند الافتتاح الرسمى لطريق الأهرام بقولها « ابناء بناة الأهرام يقومون بانشاء طريق لزيارة الاهرام طوله عشرة كيلومترات وعرضه عشرون مترا ويرتفع اكثر من اربعة امتار تم رصفه وزراعة جانبيه بالأشجار العالية فى ثلاثة اشهر حتى يمكن افتتاحه مع افتتاح قناة السويس ويقوم ضيوف مصر بزيارة اهرامها الخالدة .

رسالة موسكو

بقلم: يوسف القعيد

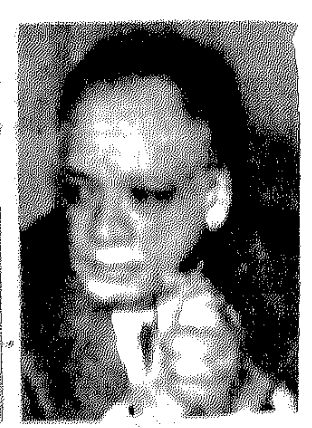
ماذا جرى
فى اجتماعات كتاب اسيا وأفريقيا
والكتاب السوفييت ؟

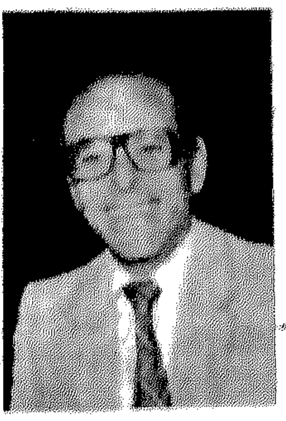
●● « ذوبان الثلوج » هو عنوان المناخ الذى تمر به موسكو هذه الأيام .. وهو عنوان لما يجرى حتى فى ميادين السياسة والفكر والادب ، فى شوارع موسكو ، يذوب ثلج الشتاء الماضى ، فعلا وعلى اسلس واقعى ، وفى العقول والقلوب والضمائر مطلوب ان تذوب ثلوج زمان بريجنيف ، بل إنه حتى ثلوج ستالين مطلوب ان تذوب أيضا فى هذه الأيام ، ورغم تراكم ثلوج أكثر البلدان محافظة فى هذا العالم . فإن حرارة فكر جورباتشوف هى وحدها المطلوب منها ازالة كل هذه الثلوج ..

● « ذوبان الثلوج » عنوان رواية صدرت من قبل للروائى إيليا اهرنبورج عن فترة مماثلة لما يجرى الآن فى بلاد السوفييت . كانت الثلوج فى المرة السابقة ، هى ثلوج ستالين . والآن اضيفت إليها ثلوج بريجنيف . ما أكثر الثلوج فى بلاد الثلج والضباب ..

●● وصلت إلى موسكو فى السادسة صباحا ، كان العالم كله دائرة واسعة من اللون الابيض ، فى الجو ضباب جميل ، والأرض والاشجار والاشياء والمبانى مغطاة بالثلج ، وهذا حال يثير الاحساس بالشجن .

فى قصص الكتاب السوفييت وصف يتكرر دائما ويقول ، إنه ما ان ينزل ثلج الشتاء حتى يتسلل الاحساس بالكآبة إلى


لطفى الخولى


عبد العزيز حمودة


ادور الخراط


يفجينى سيدروف

النفوس . وما أن يبدأ ذوبان الثلوج ، حتى تأتى مقدمات الفرح الانسانى .

وبالنسبة لى ، كقادم من بلاد حارة ، تسبح فى العرق والسخونة والغبار ، فإن هذا الجو يبدو قريبا من الاحلام .

من الصعب ان تعرف فى موسكو الآن ، اين ينتهى الشتاء ولا اين يبدأ الربيع ، الشتاء يولى وان كانت علاماته تفرض نفسها ، تتشبث بالبقاء ، ومقدمات الربيع موجودة هنا وهناك ، وهذه الأيام نفسها عنوان لرواية جميلة ، من عيون الأدب هى « ذوبان الثلوج » ..

كنا اربعة ، لطفى الخولى الأمين العام لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، والدكتور عبد العزيز حمودة عميد آداب القاهرة ، وسكرتير عام اتحاد الكتاب المصريين - وان كان لم يسافر معنا بأى صفة لها علاقة بالاتحاد المصرى - وادوار الخراط ، الروائى والكاتب المعروف . واحد مؤسسى التضامن الاسيوى الافريقى واتحاد وكتاب آسيا وافريقيا منذ السنوات الاخيرة من الخمسينيات وحتى الآن .. وكاتب هذه السطور . وهكذا مثل الوفد مدارس وأجيالا واتجاهات مصرية مختلفة .

كنا نشكل وفد اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، المسافر لعقد اجتماع تشاورى مع اتحاد الكتاب السوفييت .. يسبق اول لقاء دولى موسع لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا والذى من المتوقع ان يعقد فى القاهرة فى خريف هذا العام .. مع افتتاح المقر الجديد للاتحاد .

عقدنا ثلاثة اجتماعات مع الجانب السوفييتى ، وكان تأثير عملية إعادة البناء التى يقودها جورباتشوف واضحا حتى فى ميدان اتحاد الكتاب السوفييت نفسه .. فالوجوه التى تعاملنا معها ، من الجانب السوفييتى كانت جديدة تماما علينا وعلى هذا الميدان .

وهذا الأجتماع مقدمة لاجتماعات أخرى سيعقدها الاتحاد مع الاتحادات الوطنية فى اليابان والهند .. وغيرها من

الاتحادات المؤثرة والأساسية .. فى دائرة اسيا وافريقيا ..

حضر هذه الاجتماعات من الجانب السوفييتى ، فلاديمير كاربوف .. السكرتير الأول لاتحاد الكتاب السوفييت الحالى .. وكان قد خرج لتوه من معركة الانتخابات البرلمانية الجديدة منتصرا .. ويفجينى سيدروف .. النائب الأول للسكرتير العام للاتحاد .. والمسئول عن الاتصالات مع آسيا وافريقيا .. وهو عميد معهد جوركى فى موسكو .. واحد الاسماء الطالعة فى سماء الدراسات والبحوث الأدبية فى الاتحاد السوفييتى .. واوليك سيفرجين المسئول فى الاتحاد عن العلاقات الخارجية .. وكاميروف حكيموف من سكرتارية الاتحاد .

● إنجازات مصرية ..

كان هذا هو اللقاء الأول ، منذ المؤتمر الثامن والذى عقد فى تونس فى ديسمبر الماضى ، وكان من الطبيعى أن نتوقف أمام ما تم انجازه فى هذه الفترة .. فقد عاد اتحاد كتاب آسيا وافريقيا إلى مصر بعد عشر سنوات من الأغتراب وكانت هناك مهام محددة أمام الاتحاد فى مصر لكى ينجزها خلال هذه الفترة ..

ورغم قصر الفترة الشديد .. فإن هناك ماتم فعلا .. فقد وافقت القيادة السياسية المصرية على تخصيص مقر تاريخى للاتحاد ، هو عبارة عن كرمة بن هانىء ، فيللا أمير الشعراء العرب احمد شوقى ، ذلك أنه بعد العودة من تونس ، كانت حالة الاتحاد القديم بما فى ذلك المقر حاله يرثى لها . وكان من الصعب وراثة الاتحاد القديم . بكل مافيه .. وكان لابد من العثور على مكان جديد تماما يجرى تأسيسه بشكل جيد وقد قدمت الحكومة المصرية اكثر من مقر ، جرى اختيار فيللا شوقى لما تمثله من مكانة أدبية هامة ، ليس مصريا فقط ولكن على مستوى العالم كله ، وعلى الرغم من الظروف المالية الصعبة فى مصر .. وعدم حلول موعد الميزانية ، فان مصر قدمت للاتحاد مبلغ خمسين الف جنيه للبدء فى العمل فورا .. وذلك لحين حلول موعد الميزانية القادمة فى منتصف هذا العام .

من القضايا التى جرى العمل فيها بجدية ايضا تطبيع العلاقات مابين اتحاد كتاب آسيا وافريقيا واتحاد الكتاب فى مصر .. باعتبار ان الأتحاد المصرى ليس عضوا فى الاتحاد الدولى . بل وقد نشأ فى ظل نقل الأتحاد الدولى من مصر .. جرى عقد سبعة إجتماعات بدأت بالأجيال الشابة فى مصر ، وانتهت بالكتاب الكبار وتبلورت هذه المناقشات حول فكرة تأسيس رابطة لكتاب آسيا وافريقيا فى مصر ، تعمل هذه الرابطة فى ظل اتحاد الكتاب المصرى ، ومن داخله . وان كانت عضوية اتحاد الكتاب المصرى ليست شرطا لعضوية هذه الرابطة . وذلك نظرا لوجود عدد كبير من الكتاب المصريين ليسوا اعضاء فى الاتحاد .. ويجرى العمل حاليا من اجل اتخاذ الخطوات الأساسية لتأسيس هذه الرابطة فعلا ..

وجرى عقد لقاء مع ادباء عرب من كافة الدول العربية ، كانوا فى زيارة لمصر ، لحضور معرض القاهرة الدولى للكتاب .. حيث تم بحث القضايا العربية للاتحاد .

خاصة قضية عضوية الاتحاد والروابط الادبية .. فى دول الخليج العربى فى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا حيث أن كافة الدول الموجودة فى اسيا وافريقيا اعضاء فى الاتحاد باستثناء اسرائيل فى اسيا وجنوب افريقيا فى افريقيا اللذين ليسا اعضاء ولايمكن ان يكونا اعضاء فى هذا الاتحاد وكذلك فأن دول : الكويت ، البحرين ، قطر ، الأمارات العربية المتحدة ، سلطنة عمان . المملكة العربية السعودية ليست اعضاء فى الاتحاد .. وقد أقيم الاتصال الأول من اجل بحث خلق وانشاء هذه العضوية التى لم تكن موجودة من قبل .

ذهبنا الى موسكو ومعنا مشروع ميثاق جديد للاتحاد . ذلك ان الاتحاد نشأ فى سنة ١٩٥٨ . كابن شرعى لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا . وفضلا عن أن العصر قد تغير تماما . وأولويات العمل فى القارتين قد تبدلت كذلك فإن التنظيم الأبن قد كبر وترعرع واصبح كيانا مستقلا تماما .. له دوره الثقافى المختلف عن الدور الأول .. الذى كان سياسيا فى الأساس . وبرنامج للعمل خلال سنة ١٩٨٩ . وخطة للعمل حتى المؤتمر التاسع للاتحاد والذى يعقد بعد خمس سنوات من الآن .. واتصالات تمت مع جهات دولية سواء نادى القلم الدولى . أو معهد العالم العربى فى باريس . او فكرة الانفتاح على امريكا اللاتينية . باعتبار ان فكرة اسيا وافريقيا فقط قد تجاوزها ايقاع الزمن نفسه ..

وكذلك فكرة عن بدء الاتصالات مع الصين لدخول الاتحاد التى جمدت عضويتها فيه منذ الخلاف السوفييتى الصينى الشهير وحتى الآن .. كذلك كان هناك تصور كامل حول الظروف المالية للأتحاد سواء من حيث المطلوب لتأسيس مبنى الاتحاد الجديد .. والذى يتطلب حوالى ربع مليون جنيه مصرى .. لابد من وجود نسبة منها بالعملة الصعبة من الاشتراكات السنوية للدول الأعضاء .. ذلك ان الاتحاد لكى يبدأ بداية قوية وفعالة ومؤثرة لابد وان تكون له ميزانية مالية ثابتة من خلال موارد مالية ثابتة أيضا ..

● افتتاح علمى

كانت هناك حالة من الاعجاب بالانجاز المصرى وسرعته وحسمه .. ماكان أحد يتصور انه يمكن ان يتم هذا كله فى شهور : يناير ، فبراير ، مارس فقط .. كان الحديث فى مؤتمر تونس دائما عن العقبات البيروقراطية فى كافة دول العالم الثالث .. والذى يعوق اى قدرة على العمل .. ويؤخر هذا العمل بقدر الامكان كلما امكن ذلك التأخير . ولكن كان هناك انجاز مصرى ..

لم يكن هناك استغراب أو دهشة .. ذلك ان بناة الأهرام .. ومشيدى السد العالى يمكنهم عمل المعجزات ، كذلك فإن مصر ، فى الاساس ترى نفسها دولة دور ، وانها تقدم لهذا الدور الكثير بصرف النظر عن كافة ظروفها التى ربما كانت صعبة فى بعض الاحيان .. وربما قاسية ..

كنا قد ذهبنا بتصور أن يكون افتتاح المقر الجديد للاتحاد فى خريف هذا العام .. وانه لابد من الانتهاء من كافة

التجهيزات واعادة البناء من الآن وحتى أغسطس القادم ..

وان يجرى الاحتفال بالافتتاح على مستوى عالمى يليق بمكانة مصر ودورها .. والاتحاد والمكان الذى جرى تخصيصه لهذا الاتحاد .. والا يقتصر الامر على افتتاح المبنى ..

وان تعقد ضمن فعاليات الافتتاح ندوة دولية كبرى عن الشعر الأفريقى الأسيوى . حيث يجرى تكريم عدد من عمالقة الشعر فى القارتين : بوشكين من الاتحاد السوفييتى واحمد شوقى من مصر .. وأوجستينوانتيو من انجولا وطاغور من الهند .. وميخائيل نعيمه من لبنان .. وابو القاسم الشابى من تونس وفايز احمد فايز من الباكستان .. وجميل الزهاوى من العراق ..

وان يتم الاحتفال على النحو التالى :

١ ـ ان يلقى فنانون من هذه البلدان أشعارهم بطريقة جديدة ومبتكرة فى الأداء والتقديم خاصة لأجيال جديدة ربما لاتعرف الكثير عن هؤلاء الشعراء .. ولم تجد الفرصة بعد متابعة شعرهم بالقراءة والاطلاع ..

٢ ـ مناقشة عدد من الدراسات عن تطور الشعر الحديث فى افريقيا وآسيا ..

٣ ـ أن تجمع مواد الندوة وتصدر فى كتاب بلغات الاتحاد الاربع الرسمية وهى : العربية ، الانجليزية ، الفرنسية الروسية .

٤ ـ أن يحفظ سجل صوتى وبصرى للندوة (على شكل شرائط كاسيت وفيديو) .

● قضايا الترجمة ●

تقرر ايضا ، عقد ندوة ، قبل نهاية العام عن هموم الترجمة وقضاياها ، بالنسبة لآداب القارتين .. حيث انه من الملاحظ ان علاقات القارتين الأدبية انما تتم عبر لندن وباريس ..

وأننا فى الوطن العربى نعرف آداب اسيا وافريقيا مترجمة إما الى الانجليزية والفرنسية اولا .. حسب لغة المستعمر السابق لهذه الدولة او تلك .. وهكذا تتأخر كثيرا عملية التعارف والتلاقى ..

المتصور والمتوقع لهذه الندوة ان تعقد فى المغرب وان تناقش قضايا ومشاكل الترجمة الحالية لأداب آسيا وافريقيا .. سواء من اللغات الوطنية الى غيرها .. او إلى اللغات العالمية .. وكذلك القضايا العلمية والعملية التى تطرحها عملية ترجمة الأدب باعتباره نصوصا ابداعية من الصعب دائما ترجمتها بدقة مع الابقاء على الجوهر الأساسى للعملية الأبداعية .. فى النص ..

الندوة لن تقتصر على بحث القضايا العلمية .. ولكنها ستكون معنية بوضع خطة لترجمة آداب وابداعات الثقافة الافريقية الأسيوية من اللغات السائدة واليها .. مباشرة او عن طريق اللغات التى لها ذيوع دولى . وجمع المعلومات عن هذه الترجمات . تمهيدا لانشاء بنك معلومات يعمل بالكمبيوتر فى هذا الميدان ..

وقد اكتشفنا وجود اربعة مجلدات فى موسكو عن ترجمات مابين الأدب العربى والأدب السوفييتى فى العصر الحديث وحده .

وبحث تذليل العقبات أمام الترجمة .

وانشاء لجنة دائمة افريقية آسيوية على ان يحضر هذه الندوة من ١٥ إلى عشرين باحثا من المتخصصين فى الموضوع والمترجمين والنقاد والدارسين القائمين بابحاث ودراسات فى هذا الموضوع .

● طموحات ●

تصور الاتحاد للعمل لم يتوقف عند حدود هذا العام ، الذى يعد العام الأول فى عمره . بعد العودة الى مصر ، حيث ثبت بالدليل القاطع ان خروجه من مصر .. أدى إلى مايمكن ان يكون وفاته نهائيا .

هناك فكرة لعمل دراسة ميدانية عن « علاقة الكتاب الأفريقيين والأسيويين بوزارات الثقافة فى بلادهم » ..

وذلك من خلال القيام بدراسة ميدانية عن انشاء ونشاط وزارات الثقافة فى مصر ، المغرب ، نيجيريا ، الاتحاد السوفييتى ..

والعمل على وضع ميثاق للدفاع عن حقوق الكتاب الافريقيين والآسيويين وحمايتهم من العدوان على هذه الحقوق وذلك سواء بالاضطهاد أو الاعتقال بسبب كتاباتهم .. وكذلك مصادرة كتبهم .

وان يجرى خلال ذلك محاولة توقيع بروتوكولات للتعاون مع وزراء الثقافة فى الدول الاسيوية والأفريقية وقد تمت اتصالات أولية مع وزراء الثقافة فى مصر وتونس والمغرب وهناك حالة من الترحيب من وزراء الثقافة فى هذه الدول فعلا ..

وفى ميدان الاتصالات هناك خطة شاملة لتنظيم تبادل المطبوعات والزيارات وإلقاء المحاضرات بين الأمانة العامة فى القاهرة .. وكافة التنظيمات فى دول اسيا وافريقيا ..

وكذلك توسيع نطاق التعاون والعمل مع اليونسكو والجامعة العربية ، والالكسو ونادى القلم الدولى .. وقد بحث الاتصال معه .. خلال وجود الدكتور إدوارد سعيد من مصر اخيرا .. وانشاء واستئناف العلاقات مع الدول التى كانت لها عضوية منتسبة أو العضوية بدرجة مراقب من قبل .. مثل :

فرنسا ، انجلترا ، السويد ، الولايات المتحدة الامريكية ، استراليا ، كوبا ، شيلى .. يوغوسلافيا ، رومانيا وغيرها من الدول التى تقبل ميثاق الاتحاد وشروطه واهدافه التى يسعى من اجل تحقيقها ..

موارد الاتحاد المالية تأتى من اشتراكات الأعضاء وهذه الموارد تلعب الدور الأساسى فى الوفاء بها مصر باعتبارها دولة المقر .. والاتحاد السوفييتى والدول الكبيرة فى الاتحاد ، ولكن فى المرحلة الجديدة .. ومن أجل السعى إلى اتحاد قوى يقوم بدور حقيقى ولايعتمد على الهبات من أحد ، تقرر ان يكون هناك اشتراك سنوى ، لكافة اشكال العضوية ، بما فى ذلك العضوية الفردية فى الاتحاد ، وان يكون هذا الاشتراك إجباريا ، ولابد من صدور قرار واضح بالاعفاء من دفع الاشتراك فى حالة عدم القدرة على الدفع او وجود حالة استثنائية تبرر هذا الاستثناء .. والا يتم التوسع فى مثل هذه الاعفاءات .. ذلك ان العمل الحقيقى يتطلب دائما تمويلا حقيقيا لايعتمد على الصدفة أبدا ..

توفيق الحكيم

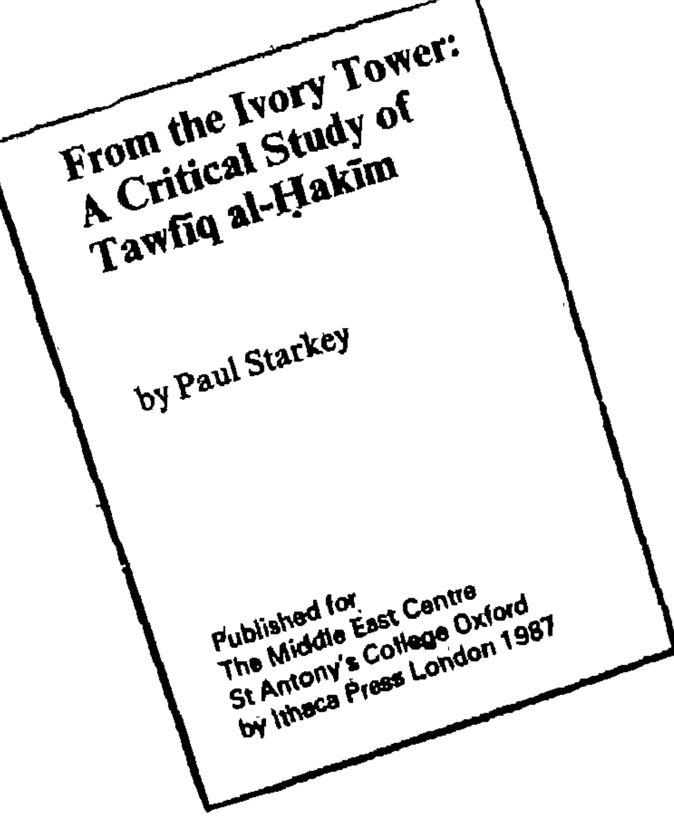
فى ميزان النقد الاستشراقى

بقلم : د. رشيد العنانى

مراجعة لكتاب « من البرج العاجى : دراسة نقدية لتوفيق الحكيم »
تأليف : بول ستاركى . نشر : مطبعة إثاكا بلندن
From the I vory Tower : a Critical Study of Tawfiq al — Hakim , by Paul Starkey · (London : Lthaca Press)

يحظى الادب العربى الحديث بقدر لا بأس به من الاهتمام من قبل الدوائر الجامعية المتخصصة فى الغرب . وهو اهتمام يتبدى فى حركة للترجمة بطيئة وانتقائية ولكنها متواصلة ، وحركة للدرس والنقد اكثر بطئا وامعانا فى الانتقاء ولكنها ملحوظة . وقديما كان اهتمام المستشرقين ينصب على درس الاسلام والادب العربى القديم وكانوا يدرسون اللغة العربية فى معاهدهم الاكاديمية كما لو كانت احدى اللغات الميتة مثل اللاتينية أو اليونانية القديمة . فلما انتصف القرن الحالى وتصاعدت حركة التحرر الوطنى فى البلاد العربية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وبرزت الى الوجود مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى وتدفق النفط من الآبار العربية جالبا معه ثروة تفوق الخيال وتكالبا على استغلال هذه الثروة من الاقتصاد الغربى ـ جعلت كل هذه العوامل (وغيرها) الغربيين يكتشفون أن للعرب لغة حية متوثبة وأن لهم أدبا حديثا ناهضا جديرا بالدرس والنقل والنقد . وهكذا فان اهتمامهم بأدبنا المعاصر ـ الى جانب كونه اهتماما




From the Ivory Tower:
A Critical Study of
Tawfiq al-Ḥakīm

by Paul Starkey

Published for
The Middle East Centre
St Antony's College Oxford
by Ithaca Press London 1987

توفيق الحكيم .. هل كان فى برج عاج ؟

ادبيا اكاديميا ـ هو أيضا محاولة من جانبهم لفهم الانسان العربى الحديث حضاريا وسياسيا الفهم الضرورى للتعامل معه تعاملا ناجحا ، سواء كان هذا التعامل فى مجال الصداقة او العداء • ولهذا فانه يتعين على القراء والباحثين العرب أن يتصدوا لما يكتب فى الغرب عن أدبهم بالرصد والترجمة والتمحيص •وليس صحيحا أن نقول اننا فى غير حاجة الى أن يدرس المستشرقون أدبنا لنا ، فبعض هذه الدراسات جيد من الناحية الموضوعية الى جانب انها كلها ـ بجيدها ورديئها ـ مرآة ممتازة لصورة الذات لدى الآخر (أى لصورتنا كحضارة عربية لدى حضارة أخرى كثيرا ما نجد انفسنا فى حال صدام معها) ، وهى لذلك فرصة لمطالعة الفكر العربى بعقول الآخرين ، أو للنظر الى ذواتنا من خارج ذواتنا •

وقديما اهتم عباس العقاد وغيره بتفنيد الاراء الاستشراقية فى الاسلام واهتم طه حسين وغيره بفحص ارائهم فى الادب العربى القديم وذلك حين كان اهتمام المستشرقين منصبا على الاسلام وأدب العرب الاقدمين فحسب • أما اليوم وقد أصبحوا يهتمون أيضا بأدب العرب المعاصرين فجدير بنا أن نهتم باهتمامهم مشيدين بما نراه صائبا فيه ومنبهين لما نجده مجانبا للصواب •



من الكتب التى تستحق الالتفات اليها كتاب جديد من تأليف الدكتور بول ستاركي ، مدرس الادب العربي الحديث بجامعة « درام » DURHAM بشمال بريطانيا ٠ والكتاب كان فى الاصل أطروحة دكتوراه قدمت قبل عشر سنوات لجامعة اكسفورد ويصارحنا المؤلف فى المقدمة أن الكتاب هو ذاته الاطروحة بلا زيادة ولانقصان فيما عدا بعض التعديلات الشكلية الطفيفة هنا وهناك ٠

كتاب الدكتور ستاركي ليس أول كتاب يتناول توفيق الحكيم بالدراسة فى اللغة الانجليزية على أية حال فقد سبقه بنحو ثماني سنوات كتاب اخر هو « توفيق الحكيم : كاتب مصر المسرحي »من تأليف ريتشارد لونج»٠ الا أن كتاب ريتشارد لونج كتاب أملته العاطفة والحماس اكثر من الرغبة فى التقييم الموضوعي ٠ فكاتبه معجب أيما اعجاب بالحكيم وكتاباته وفكره وهو يصارحنا فى مقدمة كتابه أن دراسته تلك « ليست عملا من أعمال النقد الادبى وانما هى محاولة لوصف حياة الحكيم وكتاباته معا ٠٠» ولذلك فاننا لا نجاوز الحق ان قلنا ان الدراسة الجديدة للدكتور ستاركي هى أول محاولة منهجية شاملة لتقييم توفيق الحكيم فى اللغة الانجليزية ٠ على أنه مما يؤسف له أنها على الرغم من أنه يفصلها عن الكتاب السابق ما يقرب من عقد كامل وأنها صدرت فى أعقاب وفاة الحكيم بعد أن اكتملت أعماله اكتمالا لا اضافة له ، فانها لا تلتفت الى انتاج الحكيم فى السنوات العشر الاخيرة من عمره ٠ وهو انتاج قد لا يكون وفيرا ، الا أنه جدير بالرصد والنظر ٠

ولنبدأ بتهنئة المستفريد٠ ستاركي تهنئة حارة صادقة على الجهد الهائل الذى بذله فى وضع هذا الكتاب ٠ فانتاج الحكيم عظيم الكم ، شديد التنوع ٠ فثم ما لا يقل عن مائة مسرحية وأربع روايات وعشرات القصص القصيرة ومئات المقالات التى تتناول من الموضوعات كل شىء يرد على البال ٠ كما أن تجاربه الشكلية والموضوعية فى الفن المسرحى تتراوح تراوحا مذهلا ما بين المسرحيات الاجتماعية والمسرحيات الفلسفية ،وما بين اعادة طرح موضوعات المسرح اليونانى القديم وتجاريب مسرح العبث فى القرن العشرين ٠ الا أن د٠ستاركي استطاع أن يشق لنفسه دربا واضح المعالم وسط هذا الدغل الحكيمى المخيف الذى ينذر المقبلين عليه ان أمامهم طريقا قد لا تكون منه أوبه ٠ وهو ينجح من خلال مثابرة لا يدركها الكلال وتحليل ثاقب لا تعوزه الجرأة فى الرصد والمقارنة والاستنتاج فى رسم خريطة فكرية نافعة لانتاج الحكيم واضعا يده على بعض المفاتيح الاساسية لعالم توفيق الحكيم ٠ فعنده مثلا أن الحكيم رومانسى النزعة يميل الى تغليب العاطفة على العقل فى التصدى للحياة وأن شخوصه الفنية تتعس فى حياتها بقدر ما تبتعد عن هذا المثال ٠ وعنده أيضا أن التجاذب الصراعى المتواصل بين الواقع والخيال فى الوعى البشرى هو جزء أساسى من رؤية الحكيم الفنية للحياة٠

يشير المؤلف كذلك الى بعض التأثيرات الاوروبية على فكر الحكيم وأسلوبه الدرامى ويخص بالذكر المسرحى البلجيكى « ماترلينك » والايطالى « بيراندللو » والالمانى

« برخت » وبعض كتاب مسرح العبث (وهو في كل هذا مسبوق من قبل النقاد العرب) ، على انه لا يفيض في هذا ، فدراسته ليست دراسة مقارنة ، وانما هي دراسة علمية « تيمية » HEMATIC تعنى بتحليل الشواغل الموضوعية الاساسية لدى الحكيم ، كما تهتم أيضا في القسام الثاني بمشاكل الشكل الفني ومدى اصابة الحكيم أو اخفاقه في هذا الجانب .

لا شك اذن في أن كتاب « من البرج العاجي » يمثل دراسة دسمة لا يندم القارئ على ما ينفقه فيها من وقت ، الا أنها ككل دراسة جادة لا تخلو من نقاط خلافية . كما انها أيضا للاسف - وعلى عكس المألوف في الدراسات الرزينة - لا تخلو من نبو في التعبير واستعلاء في النبرة الكتابية . ونسوق هنا مثلا للتدليل على هذين المثلبين معا . يقول المؤلف في معرض التعليق على مسرحية « الملك أوديب » التي يقدم فيها الحكيم طرحا جديدا للاسطورة الاغريقية القديمة التي تناولها « سوفوكليس » في مسرحيته الشهيرة ، والتي يبرز فيها الحكيم الاثر المدمر لمعرفة الحقيقة على حياة البشر - يقول ما ترجمته « تثير هذه المسرحية مرة أخرى التساؤل عن امكانية أن ننسب بجدية صفة « مثقف » الى كاتب ينبذ الواقع ويفضل عليه عالما وهميا يقوم على انصاف الحقائق » ! (ص ٨٤) ولسنا ندرى ما هو تعريف الكاتب « للمثقف » ذلك التعريف الذي لا يتسع لواحد من صانعي النهضة الادبية العربية الحديثة ، الا أننا على يقين أن تعبيره هذا غير « مثقف » بالمعنى العربي الاصيل للكلمة ، أى « غير مهذب » ! على أننا اذا اغضينا عن العجرفة الواضحة في ذلك التعليق ، لوجدنا انه على أى حال ينطوى على خلط يؤدى الى مجافاة الحكم الصائب ، والخلط هنا واقع بين الحكيم الرجل وبين رؤياه الفنية . فهو قد يطرح رؤيا فنية مثالية رومانسية مؤداها ان الحقيقة نكبة على الانسان وان العيش في براءة الجهل بها قد يكون أجلب للسعادة وأدعى للبال الهنيء ، ونحن كقراء أو نقاد قد نواكب الفنان في رؤياه هذه او نخالفه مفضلين مبدأ العيش في حقيقة تعسة على العيش في كذبة سعيدة . الا أن هذا لا علاقة له باعتبار الفنان مفكرا مثقفا أو لا ، فالفنان يستمد صفة الفكر والثقافة ليس من محتوى رؤياه ، وانما من واقع أنه قادر على صب هذه الرؤيا في قالب فني .

وقد كنا نحب أن نغضيَ على سوء تعبير الكاتب ذلك باعتباره زلة قلمية ، غير أن الكتاب للاسف زاخر بأمثاله . وهكذا نرى الكاتب يحمل على الحكيم بسبب ما يسميه بـ « انعدام الروح البناءة في مسرحه الناقد للمجتمع وعزوفه الواضح عن أن يزيد على تصوير الاوضاع القائمة ... » (ص ١٦١) وكأن الفنان الخالق في عرف د. ستاركى ينبغى عليه ان يكون مصلحا اجتماعيا او سياسيا صاحب برنامج عملي لحل المشكلات الاجتماعية ! ونرى المؤلف ينثر في غير حرص ولا تدبر نعوتا من قبيل « سطحى » ، « سخيف » ، « ملتوى الاسلوب » ، « مغرب » على أعمال الحكيم . ونراه ينبذ جانبا مسرحيات بأكملها في جملة أو جملتين (« مصير

مرصار » على سبيل المثـــال !) باعتبارها دون مستوى النقد ·

ويقع المؤلف في خطأ اخر حين ينعى على الحكيم ان شخصياته غالبا مـــا تكون « رموزا لمفاهيم عقلانيـــــة » (٢٠٦) اكثر منها شخوصا حيـة · ولكنه يفوته أن هذا طبيعى مالوف فى النوع المسرحى الذى ينتمى اليه الكثير من أعمال الحـــــكيم ، وهو نوع (المسرحية) ذات الاطروحة » كمـــا تسمى فى المصطلح النقدى الغـــربى Thesis Play ، أو « المسرحيـــة الذهنية » كما سماها الحكيم نفسه · وهو النوع المسرحى الذى يندرج فيه على سبيل المثال كثير من أعمـــال الكاتب الايرلندى « جورج برناردشو » ·

ومن امثلة التحـــامل لـــكاتبنا المستشرق على الحكيم ما يقـــوله فى معرض التعليق على عمله المستقبلى التجريبى « بنك القلق » فهو يـرى أن فكرة الكتاب ــ أى فكرة مصرفيتعامل فى القلق وليس فى المال هى فكـــرة « سخيفة » ، مع أن امثال هذه الافكار يمتلىء بها القصص والمسرحيـــات الغربية وخاصة من النوع الذى اصطلح على تسميته « بالخيـال العلمى » أو Science Fiction ، ولا يترفع عنه كبار الادباء ، وليس من يصفـــه « بالسخافة » أما التجريب الشـــكلى الذى لجأ اليه الحكيم فى هذا الكتاب من ناحية مزجه بين شـــكلى الرواية والمسرحية مداولا فصول الكتاب بيــن هذا وذاك ، وسبتدعا لفظة مركبة هى « مسرواية » للاشارة الى الشـــكل الجديد ــ هذه التجربة لو قام بـــها كاتب غربى كبير ، لقامت له الدنيـا ولم تقعد تصفق وتهلل وتدعـــــوه بالمجرب الاكبر والمبدع الاعظم والمجدد الاسبق ، ولظهر له اتبـــاع ومريدون ومقلدون ومحاكون · لكن مستشرقنـــا ــ الذى هو وليد حضارة أنفق فنانوها وأدباؤها القسم الاعظم من هذا القرن يجربون ذات اليمين وذات اليسار فى الاشكال الفنية والقوالب الادبيـــــة ، وفى كثير من الاحيان يجربون بـــلا هدف سوى التجريب فى حد ذاتـه ــ ليس لديه ما يقوله تعليقا على هـــذه التجربة الحكيمية سوى انها تبدو بلا هدف واضح ! ص ٢١٥ ·

علاوة على ما تقدم فانه من قصور العلم بتطور الحركة المسرحية فى مصر الزعم بأن الحكيـــم كان تأثيره على الجيل التالى من المسرحيين فى أضيق الحدود · (ص ١٧٥) فالتأثيـــــر نوعان اما مباشر أو غير مبـاشر · فاذا بدانا بالتأثير غير المباشر ، فانه من المنافى للمعقول أن ينكر تأثيــــر الرجل الذى كان له فضل اكتســـاب الاعتراف لفن الكتابة المسرحيـــــة باعتبارها أحد الفنون الادبيـــــة المحترمة الصالحة للقراءة والـــدرس والتأمل وقبله كان المسرح فنا ترفيهيا أدائيا بعيدا عن الادب · كمــــا أن التأثير غير المباشر يكون أيضا بخلق مناخ فكرى جدلى حى تثار فيه قضايا الفن والادب والنقد ·· الخ وتنـاقش بما يوفز واعية الاجيال الناشـــئة للتفكير والابداع · وهذا مجـال اخر كان للحكيم فيه تأثير فى غيـر حاجة الى اثبات · فـــاذا ما انتقلنا الى التأثير المباشر ، والمقصود به تأثيـر الافكار أو الاساليب الفنية ، فيكفى أن نذكر تأثير الحكيم فى الفريد فـرج ،

أحد أعلام جيل المسرحيين التالي عليه. وهو تأثير يعتز به ويقر الاستاذ فرج في غير موضع (مقدمته لمسرحيته « الزير سالم » مثلا) . وهو تأثير يبدو في استخدامه للتراث الشعبي في طرح قضايا عصرية ، وفي اهتمامه بالقضايا الفلسفية في مسرحياته وفي سلاسة الحوار عنده ، الى غير ذلك . ولكن الفريد فرج لا ذكر له اطلاقا في كتاب د . ستاركي ، وانما هناك نفي لتأثير الحكيم على الاجيال التالية !

يفتتح د . ستاركي خاتمة كتابه بطرح سؤال بصدد التقويم النهائي والشامل لتوفيق الحكيم يقول بالنص « هل حقق لنفسه مكانا دائما في تاريخ تطور الادب العربي الحديث ؟ أم أنه متحذلق ، مفكر في الوزن الخفيف مقدور لشهرته وتأثيره أن يكونا قصيري الاجل ؟ » ص ٢٢٦ وغني عن القول أن نبرة السؤال ذاته الى جانب ما عرضناه فيما تقدم من نماذج التناول المستخف لاعمال الحكيم تفيد بمضمون الاجابة المنتظرة من كاتبنا المستشرق وخاصة أنه من وسط البحر الكتابي الزاخر الذي خلفه الحكيم لا يجد المؤلف في الختام الا رواية واحدة ومسرحيتين يسبغ عليهم من عليائه النقدي احتمال اجتياز اختبار الزمن . أما الرواية فهي « يوميات نائب في الارياف » ، وأما المسرحيتان فاحداهما « يا طالع الشجرة » والاخرى هي المسرحية الصغيرة أحادية الفصل « أغنية الموت » . وكان الله بالسر عليما !

ان الدراسة موضوع هذه المراجعة على جديتها والجهد المبذول فيها تفشل في ادراك المغزى التاريخي لاسهامات توفيق الحكيم في النهضة الادبية العربية الحديثة وهي كذلك يفوتها قراءة البعد الانساني الشامل واللازماني في الكثير من أعماله وهو بعد يضعه في مصاف الكتاب العالميين.

وتميل الدراسة كذلك الى تسخيف المضمون الفكري لاعمال الحكيم والى التركيز على ما تراه اخفاقا في المعالجة الفنية . وينبغي أن نوضح هنا أننا في حكمنا هذا على الكتاب لا نتحدث عن جزئيات الكتاب مما قد نختلف فيه مع المؤلف أو نتفق فالرأي الموضوعي المبرهن عليه حق كل ناقد. وانما نتحدث عن الروح العامة السائدة في الكتاب ، وهي روح متحاملة متعجرفة ، غضيضة عن المحاسن ، متفتحة على النقائص ، ولا يمكن تفسيرها الا على أنها ضرب من الاستعلاء الحضاري الذميم الذي يتجاوز التلميح الى التصريح حين يقول الكاتب المستشرق في سياق التعليق على مسرحية « اشواك السلام »

ـ وهي مسرحية يتناول فيها الحكيم مشكلة السلام العالمي ـ انها تمثل « معالجة ساذجة مما يتميز به كتاب العالم الثالث ـ للمشكلات الدولية.. » ص ١٠٤ وهكذا في جملة واحدة يسم الكاتب توفيق الحكيم والعالم العربي والعالم الثالث كله بالسذاجة !

اذا كانت الدراسات الادبية الرصينة التي يكتبها الخاصة للخاصة ليست بمنجاة من روح الاستعلاء الحضاري فما ابعد اليوم الذي تزول فيه هذه الروح من المجالات الاخرى في العلاقات بين العرب والغرب !



اليوم من أيام مهرجان الفيلم في برلين الغربية الميدان مضاء بالانوار الباهرة ، لافتات مكتوبة بحروف براقة ضخمة ، كابسة على أرواح الخلق ،ينكسون رءوسهم ويمضون في اتجاه دار العرض الرئيسية • واجهتها مزينة بصور الممثلين بحجومهم الطبيعية ، تنعقد فيما بينهم مشاهد مثيرة ، ويكادون يتكلمون بالمقولات الرنانة ، ولكن احدا لا يسمع منهم وعلى الارض تشغى الدنيا بالناس •

ضيوف العروض من الناس الالمان،كل صحب زوجته ، او صحب صاحبته ليطرفها بفيلم من افلام المهرجان ، يقفون في صفوف طويلة ينتظرون دورهم للحصول على تذكرة الدخول ، يقفون صابرين وبعضهم يتسكع قدام لوحات عرض الصور او يستمتعون بقرطاس من الايس كريم ، كل له شان في الاستمتاع بمسائه لكن كلهم باسمون مهذبون

وناس صناعة الفيلم، فاتنون في ملابسهم العجيبة ، يسكركعون بالضحكات ، فيهم كثير من الاجانب ، وعلى

الاخضر سود وسمر وصفر حتى شابت البيدر الالماني بحبات سمراء غالبه ، ويلاحقهم جيش من رجال الاعلام ، يحملون الات التصوير وكشافات الضوء وسماعات اجهزة التسجيل ، يقتربون بحذر وكثير من الحشمة من رجال السينما ويسالونهم

هكذا يدور المهرجان وكثير من التفاصيل نسيت ـ على السده بصحبته ورباطه ، اذ انشق الميدان الغارق في الضوء عن رجل اسود هائج ، شرب حتى ما عاد يميز الاحوال والتزام الادب ، دار يبرجس هنا وهناك ، يفيض الرغاء من فمه ، يقرض يديه ويرفعهما ، ويشتم ويسب ويصدم الناس بكتفيه ، بظهره ويدوس عليهم اذا مضى متقدما ٠

الناس الالمان يؤمنون اشد الايمان بتقسيم العمل ، فليس من شأن اى منهم ان يوقف الرجل الاسود ، انما يخشون ان يصدمهم ، يعكر مساءهم ،يتحاذرون يكتمون شتائمهم ضد الاجانب ، ويصبرون وهم يتلفتون ينشدون رجل الشرطة ، فلا ياتى ابدا ، والرجل الاسود يصرخ ويعلن عن هويته « انه مناضل فى بلدة كذا ، وكم ضرب الاوربيين برصاص وكم عمل كذا وكذا ٠٠٠! »

ثم يصرخ هنا وهناك ٠

الناس جاءوا الليلة فهذا المكان ليس مقصد لشباب النازى الذين يمشون جماعات متخزبين جماعات متحزبين متعصبين ، كيف يعرفهم الناس ؟ بحلاقة رءوسهم وتكشيرة عميقة على وجوههم ، وطول قاماتهم ومشيتهم العسكرية ! ليس هذا المساء ، ولا هذا المكان مهوى لهم ، الا واحد يمضى صارما بين الجمع تتقدمه جهامته ٠

فاذا رآه الاسود تحفز ، وهو حدج الاسود بنظرة يتطاير منها الشرر ويريد أن يلزمه الادب ، فاذا راى الاسود قصده اقبل عليه وصرخ فيه وانقض عليه ينشب فيه اظافره ويضربه فى كل مكان من جسمه بيديه ورجليه ٠

اذ ذاك انفكت عزائم النازى وطار جريا من الاسود وراءه كنسر حتى اتجاه الى ما تحت امام الاسود ، وطار صور العرض لدار سينما خاصة بالافلام العارية صورة العرض لامراة متهتكة ، تاتى بحركات مبتزلة ، والولد النازى متكوم عند اقدامها ، والاسود يركله ، ثم نظر للمراة، وضحك لها وهو يرفع يديه مقبوضتين،ويصرخ فيها بكل قوة ! والمراة لا تبالى به ٠

رست عربة الشرطة جنب الرجل الاسود ونزل منها جندى برلينى هادئا راسخا يعرف عمله ، وعلى بعد خطوات منه وقف زميله ويده على مسدسه ، نصب الشرطى حول الاسود شبكات نظراته ، اوقعه كحيوان فى فخ صياد ، ارتعب الاسود والشرطى زاد تمكنه من فله ٠ طلب منه جوازه، اخرجه وهو يبربر بلغته القومية والشرطى لايهتم بذلك ، وضع الجواز فى جيبه وساله ان كان ضرب هذا الرجل ؟ ويبين الكلمة والكلمة يهمس فى جهاز الارسال المعلق فى جنبه ٠ قال له الاسود انه هو الذى بدا بالعدوان ! امره الشرطى بركوب العربة وهو محاط بشبكة نظراته حتى احكمت عليه ٠ صحبته الى داخل العربة ٠ فى اثناء ذلك جاءت عربة الاسعاف حملت النازى٠ ومضت العربتان وغدا بلا صوت وعاد المهرجان يصل الى اوجه من غير ازعاج بعد ٠

أدباء مدمنون

وما خفي.. كان أعظم!

بقلم: محمود قاسم

« راس بلا سيف .. تستحق قطع السيف »

قول مأثور يردده ، ويؤمن به الكثير من الناس الذين يميلون الى تعاطى المكيفات بكافة انواعها المسموح منها والممنوع .. كما ان هؤلاء الناس يرددون الكثير من الكلمات المتشابهة كأن نقول ان راسا ما « عمرانه » أو « متكلفة » .. وهي مقولات تعنى في اغلب معانيها ان المرء الذى يملأ رأسه بالكيف افضل مائة مرة من هؤلاء الذين لايتعاطون شيئا ..

ولدى بعض الكتاب منظورهم الخاص ، بأن رءوسهم يجب ان تكون فى حالة « عمار » دائم ولذا فهم يملأونها بشتى انواع الكيف . بحجة ان هذا يساعد كثيرا فى ان يجيء ابداعهم افضل .. وتاليفهم اكثر صدقا .. وايضا تحت زعم ان الكتابة حالة انسانية .. خاصة جدا .. تلزمها اجواء غير عادية ..

ولأن الكتابة • وتناول المخدرات، يتمسان ، غالبا ، في مكان مغلق ، فيكون المرء في حالته الخاصة • وذلك بخلاف الكثير من الاعمال الانسانية الاخرى ولذا فان لبعض الادباء طقوسهم الحياتية الخاصة • وهي كثيرا ما ترتبط بتناول عقاقير الكيف بمختلف أنواعها وتأثيراتها •

واذا كانت الكتابة ، فى اغلب الاحيان ، شرفا يتباهى الكاتب وهو يعلن عنه ، ثم وهو يراه معروضا ، أو منشورا على الناس • فان تناول المخدرات هو ، فى أغلب الاحيان أيضا ، عمل غير مشرف للكاتب • يتناقض في رأى القراء والجمهور مع الفضيلة التى ينشدها الادب والفن • ولهذا فانه رغم كثرة الادباء الذين يتعاطون المخدرات فى السر • فان القليل من هؤلاء الادباء قد أعلنوا عن تجربتهم فيهذا المضمار •• وظلت علاقة الاديب بتعاطى المخدرات حالة من الطقوس السرية التى لم تعلن بنودها ، ولا وقائعها ••

حتى أن عدد مجلة « لير » الذى صدر فى شهر فبراير الماضى، المخصص عن علاقة الادب بتعاطى المخدرات ، لم يضم فى قوائمه سوى الكتاب الذين كتبوا صراحة انهم تعاطوا المكيفات

لفترة قصيرة أو طويلة ٠٠ ولم تقترب المجلة قط من كاتب تحوم حوله شبهات التعاطى سـواء من الذين على قيد الحياة ٠ أو الذين رحلوا عنها ٠٠

● ازدواجية الكاتب المدمن

والكتابة عن علاقة الاديب بتعـاطى المخدرات بالغة الحساسية ٠ ولذا فان مجلة « لير » فى عـددها المذكور قـد نشرت نصـوص قانون العقـوبات الواجبة التنفيذ على المتعاطى ٠٠ مهما كانت هويته ٠٠ والكاتب هو بشر ٠٠ وتسرى عليه كافة القوانين ٠٠ وأكـد الناقد بيير أصولين ان المخدرات لم تكن أبدا ، أمرا شرطيا للابداع المتمـيز ٠ الا فى حالة واحـدة هى الهلوسة ، ويقصد بها تعـاطى عقار

فالكاتب هو اكثر الناس علما بمـدى خطورة المخدرات ، ولذا فهو فى حالة ازدواجية من الدكتور جيكل ومسـتر هايد ٠ وقد جعلـت هذه الظـواهر الكثير من القراء يفقـدون عـامل المصداقية لدى الادبـاء ٠٠ وبدأوا ينظرون الى أدب الكاتب الذى أصـابه داء الكيف على انه حالة هلوسة ٠٠ ليس من الضرورى معايشـته ٠٠ أو تصديقه ٠٠

وحسبما نشرت مجلة « لير » ٠ فان الادباء الذين تعاطوا المخدرات ينقسمون زمنيا الى ثلاثة اقسام ٠ أدباء مـن القرون الماضية ٠ واخرون من القـرن العشرين رحلوا عن عالمنا ٠ أما القسم الثالث فهم من الادباء الذين لا يزالون على قيد الحياة ولم يتوقفوا يوما عن الابداع ٠

من القسـم الاول هنـاك الشـاعر شـارك بودلـير والكاتب جى دى موباسان أما من القسم الثانى فهناك الدوس هكسلى ، وهنـرى ميشو ، وترومان كابـوت ٠ وجان كوكتـو ٠ وجان بول سارتر ٠ وأرتو ٠ وكوينيسى اما اشهر الادباء الذين لايزالون عـلى قيد الحياة فهناك الروائى والفيلسوف الالمانى ارنسـت يونجر ، وبرتـران ديلكور ٠ وفرانسـواز ساجان ٠ وفيلليب سوللر ٠ ومازينف ٠ ولوسيان بوادر ٠٠ واخرون ٠٠

فرانسواز ساجان اصابتها الغيبوبة من التعاطى عام ١٩٨٦ (صورة نادرة)



أدباء مدمنون

ولكل كاتب من هؤلاء الادباء حالته الخاصة • فمنهم من اقتصرت علاقتـــه مع تناول المخدرات على العقـــاقير المنشطة ومنهم من أسلم كيفـه ، بكثرة، للخمور ، ومنهم من تعاطى الحشيش والافيون • ومنهم من شم الهيروبيين • أو حقــن بالمورفين أو عقار

كما أن علاقة كل منهم بما يتعـاطاه تتفاوت من كاتب لاخر •• فهنـاك من يتناول المخدر لزوم الابداع •

ولعل الشاعر الرجيم شارل بودلير هو اشهر الادبـــاء الذين كتبوا عن تجربتهم مع الحشيش • وذلك من خلال كتابه الشهير « الجنات الصناعية » الذي جاء فيه « اريد ان اثبـت أن الباحـــثين عن الفردوس يصـــنعون سعيرهم • ويبنـــونه بســـواعدهم ، فيؤكدون أن النجاح يخفي وراءه دائما اشياء معتمة » •

أما أكثر التجارب اثارة بين كاتــب وبين المخدرات • فهي تجربة الكاتـــب الامريكي ترومان كابوت • فقد بـــدا تدخين الماريجوانا في عام ١٩٦٨ • أي بعد أن نشر كتابه الشهير «مسبق الاصرار والترصد » بعامين • كما كان يتناول عقار ، والذي كـــان العقار المفضل للكثير من الشباب في أوروبا والولايات المتحـــدة في تـــلك السنوات ، وهو نفس العقار الذي أدعت غادة الســمان انها تنـــاولته في أحد كتبــها •

ومن المعروف ان كابوت لم يـــكن شخصا سويا • رغم ابداعه المتميز • ورغم وقوفه ضد جـــرائم العنــف •

ورغم كتاباته عن علاقة الجرائم بالدافع النفسي • الا أنه كان شاذا • وقد وصل به الادمان في أواخر حياته انه كثيرا ما تصرف بشـــكل غير طبيعي أمـام الناس • وســـــقط يوما من الاعياء أثناء بث برنامج تلفازي ، على الهواء في عام ١٩٧٨ • وقد مات الكاتب مـن اثر تعاطي المخدرات بشكل مكثف • ففي اواخر أيامه كان يذيب حبـــوب الفاليوم في مشروب الفودكا • ورغم ان أسباب وفاته لم تعلن رســميا حتى الان • فـــان باحثـــا امريكيا نشر كتابا في العام الماضي اكد فيه أن كابوت قد تناول قبل وفاته بقليل شرابا وضع فيه ستة انواع من الحبوب المخدرة •

وفي كتابه « أبواب الحســية » الذي نشره الدوس هكسلي في عام ١٩٥٤ تحدث عن تجربته مع ادمان الخمور • كما كان يتناول مشروب المســـكالين الذي يحدث هلوسات مكثفة • ويقـول في كتابه « انا مدين لمشروب المسكالين لانه اعطاني القدرة على رؤية الاشياء، والعيون مغلقة • وقد مكنني هذا مــن مراقبة اعماقي اكثر • لم يكن سـوى نوع من الهروب بعيدا عن الواقع • ومع ذلك فقد قربني هذا المشروب اكثر من الواقع » •

وفي بداية حياته ، كان جان كوكتو يتعاطى الافيون بشكل مكثف • ولـم يكن يخفي هذا ابدا • وعلل ذلك بانـه مصاب بأمراض عديدة وان الافيـون هو العلاج الاوحد لهذه الامراض • الا انه توقف عن التعاطي تماما عقـــب وفاة صديقه ، وأيضا عشيقه ، ريمون راديجيه • وســـجل تجربته هذه في كتابه « افيون » عام ١٩٣٠ • وقال) « الافيون هو فصل من فصول الصحة • ومدمن الافيون لا يعـــاني الكثير من

تغييرات الزمن . ولا تصيبه الانفلونزا ابدا . لا يعاني قط سوى من حاجته للمخدرات . فهو لا يقيس حياته الا بقدر تعاطيه للمخدرات » .

هذه هي حالات أشهر الادباء الذين رحلوا عن عالمنا من أصحاب الكيف . اما الادباء الذين لا يزالون على قيد الحياة فاغلبهم من المغمورين . وتعتبر فرانسواز ساجان حالة خاصة . حيث بدأت في تعاطي حقن المورفين في نهاية سنوات الخمسينات . وما لبثت ان دخلت المصحة للعلاج . وفي عام ١٩٦٤ نشرت مقالا عن وقائع علاجها في المستشفى . وفي العام التالي جعلت من بطلة روايتها « خفقات قلب » مدمنة مثلها . وفي عام ١٩٦٩ اعلنت في حديث اجرته معها « المجلة الادبية الفرنسية » ان الشيء الوحيد الذي تؤمن به هوان عليها ان تتخلص من سطوة الافيون . فهو بالغ الخطورة .

وقد تم القبض على ساجان مرتين . الاولى في عام ١٩٨٦ . والثانية عام ١٩٨٨ . وحول هذه التجربة كتبت : « حدث ان كنت اتعاطى القليل من الكوكايين مثلما يفعل بعض الناس . وقد جرني هذا الى المحاكم . وانا ارى أن هذا شيء ادعى للهلوسة » .

● غادة اكثر جراة

اما الاديب فيليب سوللر ، فهو من انشط الكتاب المعاصرين . فهو غزير الانتاج . ثرثار بطبعه . وقد اوقعته ثرثرته في مأزق حين صرح يوما لاحد الصحفيين انه مدمن . ومنذ ذلك الحين سقط عنه وجه القديس البريء . ويقول الكاتب عن هذه التجربة ان كل شيء بدأ عام ١٩٦٨ . وانه قبل ان يتعاطى على سبيل ارضاء الفضول . وانه حاول ان يفعل نفس الشيء الذي مارسه من قبل كل من اندريه مالرو ، وآرتو ، وبودلير . ومنذ ذلك الحين وهو يتعاطى الحشيش بصفة منتظمة : ثلاث مرات اسبوعيا . كما جرب عقار . وتقول مجلة لير ان سوللر يعرف ان عمله ككاتب قد يسمح له بتعاطي المخدرات من اجل تجريب احاسيس لم يشعر بها الاخرون « انها تعطي تاثيرا خاصا . وتسمح بمشاركة الافكار والكلمات بسرعة اكبر . وتجعل اكثر الاشياء جدية وكانها هزلية » .

هذه هي حالات اشهر الكتاب العالميين مع المخدرات . الا انه من الصعب الحديث عن تجربة الكاتب المعاصر في هذا المضمار . فالاشارة الى الاسماء ضمنيا او صراحة قد تعتبر بمثابة بلاغ ضد كاتب . ولكن هذا لا يلغي ان هناك الكثير من الادباء والمبدعين في مصر والعالم العربي يتعاطون الكيفات بانواعها المتعددة . واذا كان الكثير من الادباء قد كتبوا عن الادمان وكانه من تجارب الاخرين . فان قليلين من الادباء هم الذين عبروا عن تجربتهم الحية في علاقتهم بالمخدرات .. ومن اكثر هؤلاء الكتاب جراة : غادة السمان التي افردت مقالات ابداعية عديدة حول تجربتها في تعاطي عقار ونشرتها في احد كتبها . وحسبما نعتقد فانها التجربة الاكثر اثارة . فقد راحت الكاتبة تكتب مقالاتها وهي واقعة تحت تاثير العقار .

هذه هي حالات بعض الادباء الذين ادمنوا المخدرات في العالم .. وهي حالات لكتاب عرف عنهم الادمان .. وفي راينا ان ما خفي كان اعظم ..



العالم في سطور

باريس

• موسوعة الغد •

هاهو ذا المجلد الأول من الموسوعة الفلسفية العالمية يخرج الى الناس في العالم المتكلم باللغة الفرنسية مطبوعا في ابهى حلة مع مقدمة للفيلسوف «بول ريكور» ، وبثمن لايزيد عن الف وخمسمائة فرنك ، اى ما يعادل سبعمائة وخمسين جنيها مصريا .

وتعتبر هذه الموسوعة عند اكتمالها في اربعة مجلدات خلال ثمانية عشر شهرا ، اهم عمل مدرسي في حقل الفلسفة يرى النور منشورا خلال القرن العشرين .

وغني عن البيان ان إعداد موسوعة بمثل هذه الضخامة ، وبمثل هذا الطموح الى تجديد مشروع «ديدرو» و «داليمبير» اللذين مهدت موسوعتهما الى الثورة الفرنسية قبل مائتى عام - هذا الاعداد لم يكن بالامر اليسير .

لقد اقتضى بذل جهد شاق دام اكثر من عشرة اعوام

وفي الحق ، فليس ثمة قاموس او موسوعة فلسفية له ما لهذه الخريطة الفرنسية للفكر العالمي من اتساع الافق وشموخ البناء

والجديد في الموسوعة لاينحصر في طرق عرض المواد ، وانما يتضمن كذلك الموضوعات المطروحة للبحث .

فلاول مرة تجيء موسوعة وعلى كل المستويات (المشاكل ، المفاهيم ، الاعمال ، النصوص) برؤية عالمية تشتمل التقاليد الثقافية غير الغربية ، فضلا عن عرض لأشكال الفكر النابعة من ثقافات شفهية لم يكتب لها التدوين .

وتبريرا لاضافة كلمة العالمية الى العنوان تعرف الموسوعة نفسها بانها - وفي المقام الاول - انفتاح على الآخر ، وعلى العالم .

فهي في الجوهر انما تقوم اساسا على الاعتراف بكل آخر .

فالقرار بالتخلى ، حسب تسمية محرر الموسوعة «اندريه جيكوب» ، عن «المركزية الغربية» ، انما يعتبر شرطا مسبقا لضمان خروج الموسوعة منطوية على الثقافات الانسانية بكل اشكالها وتنوعاتها .

والمجلد الأول «العالم الفلسفي» - وعدد صفحاته ألفان - مكون من جزءين رئيسيين متكاملين .

ويناقش الجزء الاول من خلال مقالات تبلغ الخمسة والتسعين عدا ، جميع المشاكل الاساسية للفلسفة المعاصرة ، بدءا من الميتافيزيقيات والصوفيات والجماليات ، وانتهاء بالقضية الحتمية التى تثار عند اى طرح لمشاكل الفلسفة الا وهي «لماذا الفلاسفة ؟» .

ومما يدل على جدية هذه الموسوعة العملاقة تخصيص الصفحات الاخيرة من المجلد الاول وعددها مائة وستون صفحة لسرد نقدى (بيبلوجرافيا) بالكتب المتصلة بالموضوعات المنشورة ، وخمسة فهارس من بينها «فهرس الفهارس» الذى عدد مداخل جميع الموسوعات الفلسفية الرئيسية بدءا من القرن الماضى وحتى يومنا هذا .

موسكو

● القيصر والملك

تزامن قبول اليزابيث الثانية ملكة انجلترا لدعوة «جورباتشوف» بزيارة الاتحاد السوفييتي مع زعم رجل شرطة سابق «جيلي ريابوف» العثور على الهيكل العظمي لآخر قياصرة روسيا «نيكولاس الثاني»

فقبل عشرين عاما التقى هذا الشرطي بابن الكابتن «ياكوف يوزفسكي» الذى كان رئيس الفصيلة المنوط بها حراسة القيصر واسرته، تلك الفصيلة التي قتلت دون امر صادر لها بذلك القيصر وزوجته «الكسندرا فيودروفنا» وابنه الوحيد «اليكس» وبناته الاربع «اولجا» ، «تاتيانا» ، «ماريا» و «انستاسيا» وثلاثة من الخدم وكلبا (١٦ يولية ١٩١٨)

وبفضل المعلومات التي استمدها الشرطي من هذا اللقاء توجه مع نفر من الاصدقاء الى المكان المقول بان الجثث قد دفنت فيه على وجه الاستعجال.

وكانت المفاجاة عندما عثر هو ورفاقه - بعد حفر لم يدم طويلا - على هياكل تساوي في العدد جثث



نيكولاس الثاني

افراد اسرة قيصر روسيا الاخير ومرافقيه

ولقد تبين له من فحص اسنان الجماجم ان اصحابها هم افراد تلك الاسرة التعيسة التي ضللتها الاقدار كثيرا وعبثت بها دائما.

وحجة «ريابوف» ، وهو يكتب حاليا قصصا بوليسية مثيرة - انه ما كان باستطاعة احد ابان فترة الركود ان يصدق على اكتشافه رسميا.

ولو صحت الرواية ، فان كل ما قيل مرارا عن نجاة «انستاسيا؟ احدى بنات القيصر ، يصبح ، والحالة هذه ، مجرد سخف وباطل.

يبقى ان اقول لن هذه الرواية قد تلعب دورا في رد اعتبار النظام السوفييتي عند الاسرة المالكة الانجليزية.

فبيت وندسور لاينسى ، ولا يغفر للبلاشفة جريمة قتل قيصر روسيا الاخير واسرته.

ومما ينسب الى الملك جورج الخامس انه قال لرئيس وزرائه «رامزى ماكدونالد» ، عقب اعادة العلاقات الدبلوماسية مع روسيا انه يامل «الا يضطر الى مصافحة قتلة اقاربه» (١٩٢٤)

بعد ذلك بخمسة اعوام ، وبمناسبة رفع التمثيل الدبلوماسي مع روسيا الى درجة سفارة ، تمارض الملك تجنبا لاستقبال السفير «سوكولنيكوف» .

واثناء حفلة في حديقة وندسور وبخ الملك رئيس وزرائه (ماكدونالد مرة اخرى) .. لماذا؟

لانه بالاحتيال والمناورة انتهى به الى مصافحة وزير الخارجية السوفييتي «مكسيم ليتفينوف» (١٩٣٣)

ومع ذلك ، فقد جاء في سيرة الملك جورج الخامس التي كتبها «كينيث روز» ، ان الملك هو الذى حال دون هروب قيصر روسيا الى بريطانيا (١٩١٧)

فعندما استجاب رئيس الوزراء «لويد جورج» لطلب الحكومة المؤقتة في بتروجراد (لينينجراد) استضافة القيصر واسرته في بريطانيا ، اذا به يفاجا برفض الملك لاستجابته لا لشيء سوى تخوفه على شعبيته فيما لو استضاف اسرة القيصر المعزول.

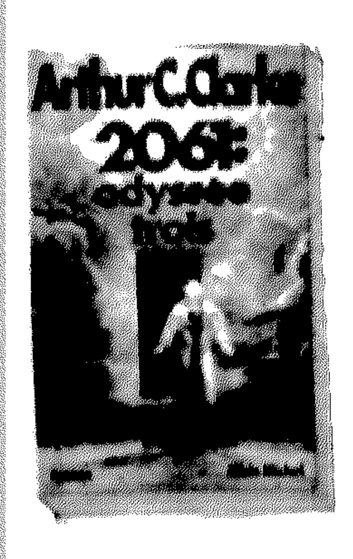
نيويورك

• ظاهرة الاوديسا .. فى الفضاء •

« ٢٠٦١ اوديسا الفضاء »

هل هى استثمار لنجاح متميز حققته الروايات السابقة ؟ ام انها رواية جاءت فى موعدها المحدد ؟ هذا هو السؤال المثار حاليا فى عالم ادب الخيال العلمى . بعد ان صدرت رواية «٢٠٦١ اوديسا الفضاء» للكاتب الامريكى ارثر كلارك .

والحكاية كلها غريبة منذ بدايتها فى منتصف الستينات . عندما اشترك كلارك مع المخرج السينمائى ستانلى كيوبريك فى كتابة سيناريو فيلم «٢٠٠١ اوديسا الفضاء» .. اهم ما تميز به هو انه اول فيلم من نوعه تناول الصراع الفكرى بين الانسان ومخلوقاته من عقول الية وحاسبات إليكترونية .. وقد حقق الفيلم نجاحات كبيرة على كافة المستويات الفنية والتجارية ، واعتبر من كلاسيكيات النوع . وسرعان ما فكر كلارك فى الاستفادة من هذا النجاح ، فراح يكتب الفيلم فى شكل



رواية . اى انه راح يحول وقائع السيناريو الى صياغة ادبية فى كتاب .

ونجح الكتاب مثلما نجح الفيلم .. الا ان كلارك لم يكتف بهذا النجاح وحده فقام بعد سنوات بنشر كتاب آخر عن الظروف التى احاطت بتاليف كل من الفيلم والرواية تحت عنوان «كيف كتبت اوديسا الفضاء» .. وفى بداية الثمانينات احس بالحنين الى الأوديسا .. والى نفس النجاح . فنشر روايته «٢٠١٠ اوديسا الفضاء» التى تعتبر محاولة جديدة لادارة الصراع بين البشر وبين المخلوقات الحديدية

وسرعان ما التقطت السينما الرواية ، اى ان الحال قد انقلب هنا ، واخرجها بيترهايمز عام ١٩٨٣ فى فيلم جيد .. لكنه لم يطال ابدا فيلم كيوبريك .

وفى محاولة للاستفادة من النجاحات المتوالية التى حققتها رواياته قدم كلارك فى الشهر الماضى الجزء الثالث من هذه الكتب التى تدور احداثها فى عام ٢٠٦١ من خلال صراع جديد مشابه للصراعات القديمة . واذا كان كلارك قد سبق اقرانه فى هذه النقطة فان محاولته تكرارها سوف يضعف من حيويتها .. واهميتها .

تجىء اهمية كلارك فى انه أحد ابرز العلماء الذين يكتبون ادب الخيال العلمى .. حيث انه فى المقام الاول من رجال العلوم . فقد حصل على دكتوراه فى العلوم الطبيعية . وتمكن من اختراع العديد من الاجهزة العلمية الدقيقة . وكانت رواياته بمثابة تطبيق لافكاره ودراساته .

وكلارك من مواليد لندن فى عام ١٩١٨ . ومن اهم رواياته فى ادب الخيال العلمى «المدينة والنجوم» و «الصف العميق» و «ابناء ايكاروس» ..

باريس

• القديمة احلى •

تحت عنوان الاختيار الابدى ، نشرت مجلة


ستندال

لوبوان الفرنسية في عددها الصادر في اول مايو الماضي نتائج الاستطلاع الذى اجرته المجلة بين مائة شخص من اعضاء الاكاديمية الفرنسية .

وقد جاءت نتائج هذا الاستطلاع في منتهى الغرابة وبدا ان العالم قد توقف ، بالنسبة لهؤلاء الاعضاء ، منذ خمسة وثلاثين عاما .. ولانه من المفروض ان هذه الاكاديمية تضم صفوة رجال الفكر في فرنسا فإنه يهمنا ان نطالع كيف يفكر أهل الصفوة .

انحسرت قراءات هؤلاء الاعضاء ومعارفهم على الابداع البشرى الذى ظهر قبل عام ١٩٥٥ . فاذا كان الانجيل هو الكتاب المفضل لدى ٢٣٪ منهم . فان الكتب التي حازت على اعلى نسبة اعجاب هي : « ذكريات من وراء القبر » لشاتو بريان . و « البحث عن الزمن الضائع » لبروست .. واعتبر الاستفتاء ان شاتو بريان وبروست وستندال هم اعمدة الثقافة . حيث حققت روايتا «الاحمر والاسود » و «ديربارم » اعلى درجات في الاعجاب . اما الكتاب المعاصرون في راى الاكاديمية فهم البيركامى وروايته «الطاعون » وجورج برنانوس وروايته «يوميات قسيس في الارياف » .

وبالنسبة للأدب العالمي فقد انحصر إعجاب اعضاء الاكاديمية بثلاثة أدباء : هم هيمنجواى وتولستوى ودوستويفسكى . واعتبرت رواية «الحرب والسلام » بمثابة اهم رواية عالمية على الاطلاق .

وفي الفن التشكيلي حقق كل من رمبرانت ، وجويا ، وفينش المكانة الأولى من بين الرسامين الكلاسيكيين . اما في الفن الحديث فقد حقق كل من بيكاسو ومونيه وجوجان كافة درجات الاعجاب .

حتى الافلام ونجومها . فإن اعضاء الاكاديمية قد حبسوا انفسهم في الماضي . حيث نالت الافلام القديمة وحدها كل الاعجاب مثل «الوهم الكبير » لرينوار و «ابناء الفردوس » لكارنيه .. وطريق الذهب لشابلن . «وذهب مع الريح» لفلمنج وأعتبر أن نجوم الاربعينات هم وحدهم الجديرون بالاعجاب مثل لوى جوفيه . وجان جابان وريمو بطل فيلم «زوجة الخباز » .

واعتلى باخ وبيتهوفن وموزار منصة الموسيقيين الكلاسيكيين المفضلين لدى اعضاء الاكاديمية . وفازت اعمال موزار وحده من اوبرات في الاستفتاء مثل « دون جوان » و «الناى السحرى » و «زواج فيجارو » .

يالها من نتائج .. ويالة من اسلوب في التفكير والاعجاب .. ولعل هذه النتائج تثير الكثير من الاسئلة والاجابات .. ليس في فرنسا او اوروبا وحدها .. ولكن ايضا في مصر .

مدريد

● اهلا .. بعصر التزييف ●

وسط جنون الاسعار التي بيعت بها لوحات بعض الفنانين الكبار في السنوات الأخيرة ظهرت في اسواق مزادات الفن التشكيلي ظاهرة جديدة

وغريبة تحت اسم «لوحات حقيقية مزيفة» . وهي تلقى انتشارا كبيرا وسط الشباب من الفنانين . وايضا بين هواة جمع اللوحات ممن لا يستطيعون دفع اثمان كبيرة لشراء اللوحات ..

تنحصر هذه الظاهرة في أن هناك بعض الفنانين ، واغلبهم من الشباب ، يستخدمون مواهبهم الخارقة في تقليد لوحات كبار الفنانين .. ويعرضون هذه اللوحات للبيع في صالات المزادات دون ان يخفوا قط انها لوحات مقلدة ..

والجديد في هذه الظاهرة هي ظهور فنانين «مقلدين» متخصصين .. بمعنى الا يرسم الفنان المقلد سوى لوحات فنان واحد بعينه . فيتخصص في رسم هذه اللوحات دون غيرها .. ولاشك ان هذا سيساعده اكثر على الاتقان في التقليد .

وفي الشهر الماضي ، اقيم معرض للوحات المزورة التي رسمها كل من كيكي ولولو بيكاسو وهذه هي اسماء مستعارة لاثنين من الشباب المقلدين الذين تخصصا فقط في تقليد لوحات بابلو بيكاسو .

وفي هذا المعرض قدم



لوحة تقليد عن بيكاسو



بيكاسو

الفنانان مجموعة كبيرة من اللوحات التي ظلا يرسمانها طوال عشر سنوات . ولاقت المعروضات اقبالا ملحوظا من جمهور المعرض سواء الذين جاءوا للمشاهدة او الشراء .. فليست هناك اختلافات تذكر بين ما رسمه بيكاسو . وبين ما رسمه الشابان اللذان اختارا ان يحملا اسمه واكد خبراء التزييف انه لو لم يذكر كيكي ولولو اسميهما فوق اللوحات لكان اكتشاف امرهما صعبا .

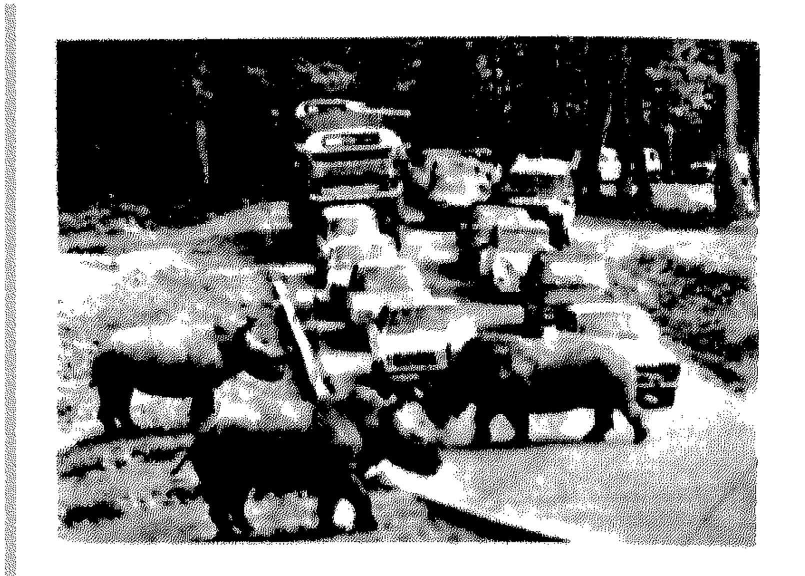
الاشخاص الوحيدون الذين ازعجتهم هذه الظاهرة هم ورثة بيكاسو . وعلى راسهم ابنته بالوما التي تقول انها قد التقت بالفنانين منذ سنوات . وقامت بتشجيعهما لأن هذا احياء لذكرى ابيها . اما الآن فقد وصلت الحالة الى مرحلة خطرة فلا شك ان الاقبال على المعرض سيجعل هواة شراء اللوحات يفضلون ان يذهبوا الى الاقل رخصا .. وسيؤثر هذا بالتالي على اسعار لوحات بيكاسو العملاق .

نيروبي

● الخرتيت ●

الكلام هنا ليس عن الخرتيت الذي ابتدعه خيال الاديب الفرنسي المنحدر من اصل روماني «اوجين اونيسكو» في مسرحيته العبثية التي بنفس الاسم .

وانما الكلام عن خرتيت من لحم ودم يعيش وسط



غابات افريقيا السوداء ومهدد مع حيوانات اخرى بالفناء

فمن المعروف ان ثمة كارثة كبرى تلوح في افق القارة تهدد عزيز مملكة الحيوان

والسبب الصيادون الذين يطاردون الحيوانات الممنوع صيدها ابتغاء الربح السريع

حقا ما يزال الجاموس البرى موجودا بوفرة .

ولكن الاسود والفهود والافيال يتناقص عددها على نحو يثير القلق والاسى .

وثمة خطر حقيقي من انقراض الخرتيت خلال سنوات معدودات .

ولو حدث هذا فستنتج عنه ماساة اقتصادية وبيئية تصيب بعض دول افريقيا .

فمثلا السياحة اكبر مورد للعملات الاجنبية في كينيا ، وذلك بفضل سبعمائة الف سائح قاموا خلال العام الماضي بزيارتها وانفقوا اربعمائه مليون دولار .

والاكيد ان هذا العدد الكبير لابد منخفض فيما لو حدث واختفى الخرتيت .

فتعليقات السواح في دفاتر زوار الاراضي المفرزة للصيد وللاستمتاع بالحيوانات على الطبيعة ، تؤكد ان الخرتيت له مقام كبير عند السواح .

فهو من حيث درجة التفضيل ياتي تاليا مباشرة لملك الغابة .. الاسد .

ولكن الاحباط غالبا ما يصيب السائح المتعلق بوحيد القرن .

فلقد كانت غابات افريقيا مرتعا لخمسة وستين الف خرتيت اسود قبل عشرين عاما الا قليلا .

والآن هذا العدد قد تقلص الى اربعة الف خرتيت فقط لاغير .

أما الخرتيت الابيض فلا يعيش في امن وأمان الا في قلب غابات جنوب افريقيا .

وهم يقتلون الخرتيت لا لشيء سوى قرنه الذى يباع بثلاثين الف دولار في اليمن الشمالية حيث تصنع منه مقابض الخناجر .

ويحصلون على نفس السعر في بعض انحاء شرق اسيا حيث يباع مسحوقا بوصفه دواء فيه شفاء للنفس من امراض عديدة لعل اهمها العجز الجنسي .

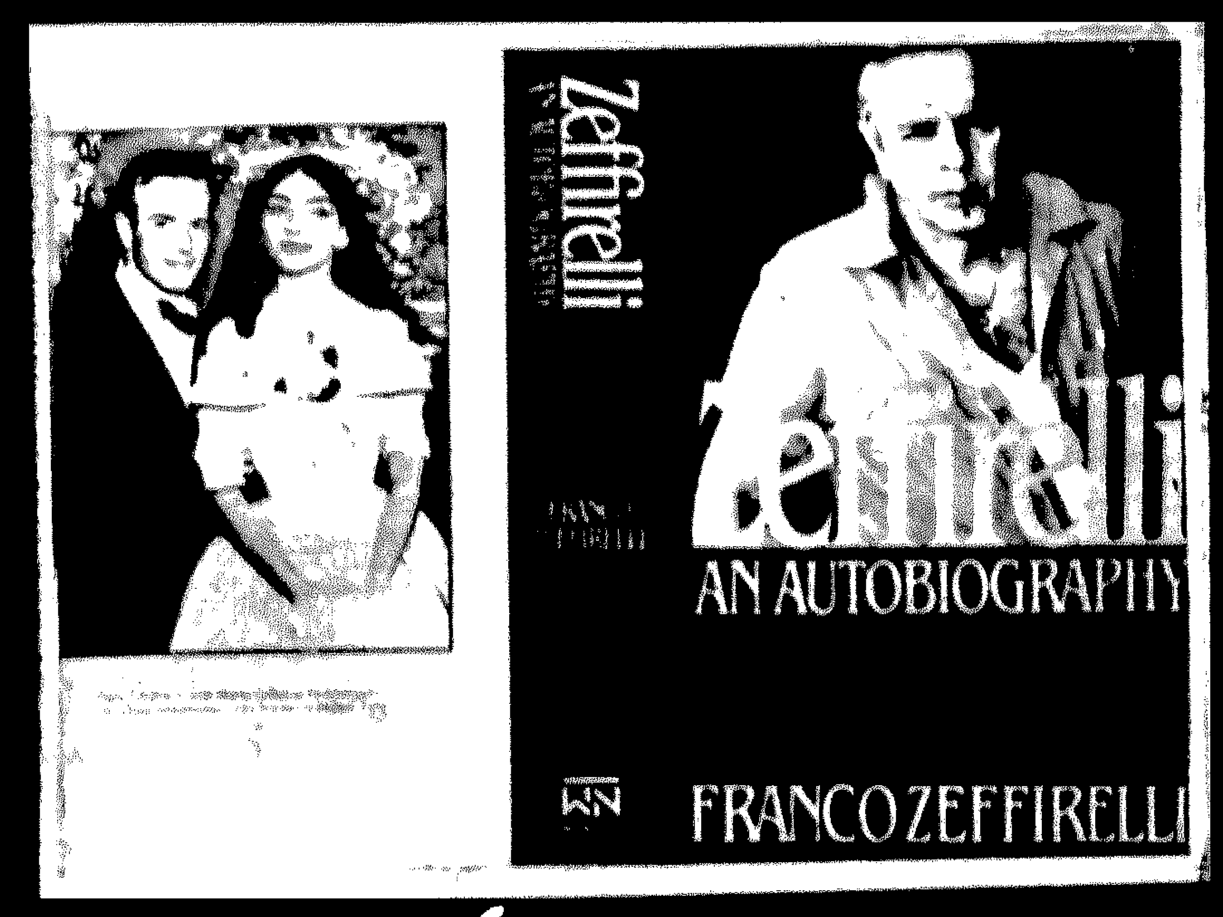
وحماية للخرتيت من الفناء لجات الحكومة الكينية الى اجراءات مشددة تقوم في جوهرها على اسس التخلص من اللصوص المعتدين بالقتل .

اى انه في سبيل حماية الحيوان يقتل الانسان وهذا مأزق سياسي ولاشك .

ومن هنا التفكير في وسائل حماية للخرتيت اقل دموية ، من بينها جعل وحيد القرن بلا قرن .

حقا السياح يفضلون الاستمتاع بالخرتيب كما هو في الطبيعة اى بقرن وحيد .

ولكن اليس «خرتيت» بدون قرن خيرا من لا شيء ؟



سينما في أوبرا.. ومفاجآت أخرى!

بقلم : مصطفى درويش

لاول مرة نذهب إلى دار الاوبرا الجديدة لا لنرى مسرحا تتحرك عليه شخوص حية . وانما لنرى شاشة فضية تشع اطيافا تنطلق من حناجرها الحان سماوية .

ولعلها المرة الاخيرة التي يتاح لنا فيها ان نرى هذا النوع من الاطياف فى حضور مبدعه ،فرانكو زيفريللى ، مخرج المسرح والاوبرا والسينما على امتداد العالم الفسيح .

فلقد جاء مصر قبل اسابيع ابن فلورنسا المنعون من اليسار الايطالى . ومعه جميع الافلام التى استوحاها من اعمال اوبرالية . وهى اربعة لا تزيد . وذلك ليشارك بنفسه فى عرضها احتفالا بافتتاح دار الاوبرا

ولم تكن هذه اولى زياراته لمصر ، فهو كثير التردد عليها دائم الحنين اليها

وحسبما جاء فى كتابه «زيفريللى .. سيرة ذاتية ، كانت آخر مرة استنشق فيها هواء مصر عقب توقيع معاهدة كامب دافيد بقليل

فى تلك الايام صعد المخرج الى صعيد مصر فى رفقة «صادق بن عمار» ابن شقيق زوجة الرئيس التونسى السابق «الحبيب ابو رقيبة» وقتذاك . بحثا عن مكان تصور فيه احداث فيلم مستوحى من اوبرا عايدة

● جنات عدن

«وفى يوم سعيد ، تركنا القارب وسرنا خلف مرشدنا بعيدا عن النهر لعدة ساعات

وفجأة فشينا اذ بصفوف متراصة من النخيل تحيط بنا من كل جانب

لقد دخلنا مزرعة نخيل ليس لها مثيل عمرها مئات السنين ، نخيلها ضخم متراص فى صفوف متوازية تمتد فى كل اتجاه اميالا

حقا لقد كان واحدا من اكثر المناظر الاخاذة التى وقع عليها نظرى .

وفورا تأكدت ان هذا هو بالتحديد المكان الذى كثيرا ما تخيلته فى احلامى .

كان ثمة طريق مركزى واسع . يتقاطع معه طريق آخر

انه المكان الامثل لتصوير موكب النصر عندما يعود جيش فرعون بقيادة «راداميس» وفى اسره «عايدة» مدفوعا بها الى مصيرها المحتوم

وعلى كل ، فما أن عاد هو «وطارق» الى القاهرة سعيدين بما اكتشفا ، حتى هيأ لهما والد «طارق» - وهو صديق حميم للرئيس السادات وحرمه - لقاء اولا مع حرم السادات فى وزارة الثقافة ، اعقبه لقاء ثان معها هى وزوجها فى مقرهما الرسمى حيث عبرا عن رغبتهما الشديدة فى انهاء عزلة مصر عن اوروبا الناجمة عن الاستمرار غير المجدى للنزاع العربى مع اسرائيل

ورأيا فى عايدة وسيلة لتوثيق الصلات الثقافية فيما بين شمال افريقيا وباقى حوض البحر المتوسط» (ص ٣١٣)

وشاءت الاقدار الدامية لمشروع «عايدة» الا يرى النور لا لشىء سوى اغتيال السادات ظهر السادس من اكتوبر لعام ١٩٨١ .

وبدلا من عايدة اتفق «زيفريللى» مع «طارق» على أن يقوم الاخير بتمويل فيلم اوبرالى آخر «لاترافياتا» (المرأة الضالة) وهو بدوره مستوحى من اوبرا «لجيسيبى ڤيردى» مبدع عايدة .

● انغام وهيام

والآن ماهو سر العلاقة الحميمة بين «زيفريللى» وبين الاوبرا ، **تلك العلاقة التى كان من ثمارها قيامه باخراج حوالى ستين عملا اوبراليا على خشبة اعظم مسارح العالم الغنائية ومع اشهر نجوم النغم امثال «ماريا كالاس» و «جوان سوزرلاند» و «بلاسيدو دومنجو» .**

وكذلك قيامه باخراج اربعة افلام مستوحاة من أعمال اوبرالية ، وهو عدد

سيمفونيات اوبرا.. ومغامرات اخرى!

يكاد يصل الى نصف ما اخرجه من افلام طوال مسيرته مع السينما ؟

جاء فى سيرته الذاتية انه كان لا ينام ـ وهو فى المهد صبيا ـ الا على انغام اوبرالية تدندنها له امه او جدته او خالته .

وعن تأثير العادات المكتسبة فى الصغر قال «ليوناردو دافنشى » العلامة الفلورنسى العظيم فى بعض ما كتب «لا شفاء للمرء من طفولته »

وفى الحق ، فان النغمات التى سمعها «زيفريللى » . وهو صغير ـ لم يشف منها حتى يومنا هذا .

واغلب الظن ان عشقه للاوبرا اثر من آثارها ومظهر من مظاهرها .

ولو تتبعنا حياته الفنية لوجدناه دائم التنقل بينها وبين المسرح والسينما

وتفسيرا لهذا يقول «انا متزوج الفنون الثلاثة ، انتقل بينها بحرية »

ومما يلاحظ على انتاجه فى دنيا الاطياف انه جد قليل .

فهو على امتداد واحد وعشرين عاما لم يبدع سوى احد عشر فيلما .

وليس صدفة ان مشواره السينمائى المستقل قد بدأ بفيلمى « ترويض النمرة » (١٩٦٧) و «روميو وجولييت » (١٩٦٨) ، فكلاهما يعبر عن تعلقه الشديد بشكسبير ، ذلك التعلق الذى انتهى به مخرجا لفيلم «عطيل » (١٩٨٥)

اما فيلماه الثالث والرابع «فرانشسكو وطريق الشمس » ، (١٩٧٢) و «مسيح الناصرة » (١٩٧٨) فكلاهما يعكس تشوقه الى الفكاك بالروح من سجن الارض صعودا الى السماء .

والعجيب انه فور الانتهاء من «مسيح الناصرة » تغير حال «زيفريللى » فى السينما ، فاذا بنا نراه منتكسا الى الارض فى فيلمين تجاريين «البطل » (١٩٧٩) و « حب دائم » (١٩٨١)

ولقد حقق اولهما ـ وهو بكائى زاعق فى ميلودراميته ـ ارباحا طائلة لهوليوود ، فاقت الخيال .

وفى المرحلة الحالية من رحلته مع الاطياف نراه ، وقد اهتدى الى معشوقته الاوبرا وامكانية الانتقال بها الى لغة السينما .

فإذا به يخرج أربعة افلام مأخوذة جميعا عن أعمال اوبرالية ايطالية شهيرة وهى «الشرف الريفى » لماسكانى ، و «البلياتشو » لليون كاڤاللو و «لا ترافياتا » او «غادة الكاميليا » و «عطيل » .

وفيلما خامسا «توسكانينى الصغير » زاخرا بالمشاهد الاوبرالية لانه يدور حول حياة المايسترو الايطالى الشهير .

وكان متوقعا للافلام الاوبرالية الاربعة ان تفشل ، وان يكون فشلها من النوع الذريع ، لا لشىء سوى أن الاعمال الاوبرالية اذا ما علبت فى افلام قصت اجنحة حريتها ، وفقدت الكثير من قدرتها على الابهار .

فوق هذا ، فجميع الاعمال الاوبرالية التى جرى ترجمتها الى اعمال سينمائية لم يكتب لها نجاح ، او كان حظها منه اقل القليل .

ولكن حدث امر لم يكن فى الحسبان .
اقبل الجمهور العادى ، ولاول مرة فى تاريخ السينما على مشاهدة افلام عمادها الغناء الاوبرالى ... فما السبب ؟

لان المخرج وكاتب السيناريو «زيفريللى» استطاع أن ينجو بافلامه الاربعة وبخاصة «غادة الكاميليا» و «عطيل» من عبودية المسرح ، فلم يجعلها مجرد اعمال اوبرالية مصورة ، وانما ابدعها افلاما متحررة من الجمود ، محلقة دون قيود .

وفضلا عن هذا ، فقد كان موفقا فى اختيار صاحب الصوت الذهبى «دومنجو» لاداء الادوار الرئيسية فى الافلام الاربعة ، وبالذات فى دور «عطيل»

كما صادفه التوفيق فى اختيار مغنيتي السوبرانو «تيريزا ستراتسى» و «كاتيا رينتشياريللى» الاولى لاداء دورى «فيوليت» غادة الكاميليا و «ندا» فى «البلياتشو» .

والثانية لتقمص شخصية ديدمونة التى راحت ضحية نار غيرة ««عطيل»


جريتا جاربو .. غادة كاميليا

● ربة الجمال

وهنا وقفة لابد منها عند أجمل هذه الافلام الاربعة وهما «غادة الكاميليا» و «عطيل»

لم يكن الامر سهلا مع هذين الفيلمين فقد سبق «لجريتا جاربو» أن ادت دور «غادة الكاميليا» وكان اداؤها له مثاليا غير قابل للتكرار

ولقد جاء ضمن ما جاء فى كتاب «جاربو» لصاحبه الناقد الانجليزى «الكسندر ووكر» تفسير لظاهرة اتقانها تمثيل «غادة الكاميليا» على وجه ليس له مثيل لا من قبل ولا من بعد انه ، وقبل وقوفها امام الكاميرا لتصوير مشاهد الفيلم باشهر ، اصيبت شقيقتها الصغرى بداء السل ، كما اصيبت هى الاخرى بداء كادت من الامه تبحث عن الخلاص فى غرفة العمليات باحد المستشفيات .

وها هى ذى بعد كل هذه الآلام والاوجاع تعود من السويد وطنها الى هوليوود ، كى تلعب دور «غادة الكاميليا» تلك الغادة التى عاشت معذبة بالحب ، وماتت ضحية داء السل يتسلل الى صدرها ويجعل منه بقايا شريدة وبحثا عن سر اجادة «جاربو» الدور واتقانها له يقول

سينما في أوبرا..
ومفاجآت أخرى!

«جورج كوكور» مخرج الفيلم أنه لاحظ اثناء الاخراج نضج ادائها على نحو اصبحت معه قادرة على التعبير عن العواطف المتأججة الداخلية بحد ادنى من حركات خارجية متحكم فيها ولعل مشهد موت «غادة الكاميليا» بين احضان حبيبها «ارمان دوفال» (روبرت تايلور) في ختام الفيلم دليل على براعة «جاربو» في التمثيل باقل القليل من الحركات .

فها نحن أولاء نراها ، وقبل أن تسلم الروح ، تفتح العينين ، بدلا من اغماضهما كما هو معتاد في مشاهد الموت سينمائيا .

والأكيد انها بهذا الانقلاب المدهش في تصوير اللحظة الأخيرة من معاناة فقدان الحياة ، قد نجحت في التعبير مرئيا عن حركة الروح وهي على وشك التحرر من اسر الجسد .

وعلى كل ، فهذه الوقائع تعني فيما تعنيه ان «جاربو» قد اضافت قطعة من نفسها اثناء قيامها باداء دور «غادة الكاميليا»

● العيون والدموع

وهي بذلك تكون قد اعطت شيئا ثمينا الى الفيلم ، لعله السبب في عجز السينما العالمية عن صنع « غادة كاميليا » اخرى على مدى خمسين عاما الا قليلا

ولكن ها هي ذي «تيريزا» السوبرانو المنحدرة من اصل يوناني تؤدي نفس الدور تمثيلا وغناء في فيلم «زيفريللي» على نحو يفوق اداء «جاربو» في بعض الاحيان

وعن تأثير تقمصها لشخصية الغادة العليلة على الجمهور في حفل العرض الاول للفيلم بنيويورك (٢٠ ابريل ١٩٨٣) كتب «زيفريللي»

« في ظلام السينما بدأت اتبين رويدا رويدا ان ثمة صوتا شبيها بمدّ بعيد آت من المتفرجين كانوا يبكون جهارا ، ولم يكن البكاء مقصورا على النساء .

وفي الضوء الخافت ، كنت أستطيع أن أراهم يبحثون عن مناديلهم سعيا الى التحكم في عواطفهم .

وعدت اتطلع الى الشاشة حيث «فيوليتا» تسعى جاهدة إلى اقناع «الفريدو» واقناع نفسها بأنها لا تودع الحياة ، بانها تستطيع أن تنهض ، وبانهما يستطيعان العيش معا مرة ثانية .

وعندئذ عرفت أن «تيريزا» قد استطاعت ـ ورغم كل العقبات ـ ان تبدع «فيوليتا» التي كنا جميعا نحلم بها .

تطلعت الى عيونها الواسعة السوداء وهي تتوسل وقتا ، اى وقت به تعيش ، به نحب وعندئذ اكتشفت انني بدوري كنت ابكي » !!

ومشكلة مشابهة واجهت «زيفريللي» قبل اخراج «عطيل»

فقد سبق لاثنين من جهابذة الفن السابع في العالم الامريكي «اورسون ويلز» (١٩٥٢) والسوفييتي «سيرجيني يوتكينفتش» (١٩٥٦) ان ابدعا فيلمين

ماخوذين عن مسرحية عطيل ، ذلك الرجل الذى لم يعشق بتعقل ، والذى دفع الغيرة عن نفسه جهده ، فلما تمكنت منه تمادى فيها الى النهاية الفاجعة .

ومن ناحية اخرى كان «زيفريللى» لايدرى الى اين سيشرد به خياله فى تناول الاوبرا المستوحاة من مسرحية المغربى الذى تجاوز الحد فى الحب ، وماذا ستوحى به هذه الصورة او تلك الاغنية وعلاوة على هذا ، فقد كان من اصعب الامور العثور على من يستطيع الجمع بين اجادة الغناء والتمثيل .

ومهما يكن من شيء فقد وفق «زيفريللى» كل التوفيق عندما اختار التينور الشهير صاحب الصوت الذهبى «دومنجو» والسوبرانو «ريتشياريللى» للدورين الرئيسيين .

وعندما اسند دور «ياجو» الحاقد للمغنى الباريتون من بورتوريكو «جوسيتنو دياز» .

وصادفه نفس التوفيق عندما صور بعض الاحداث الدامية فى قلعة «هيراكليون» بجزيرة كريت ، وصور البعض الآخر فى قصر بارليتا الساحر بربوع ايطاليا

ومما يعاب على اخراج «زيفريللى» لعطيل تعديه على الاوبرا بحذف عشرين دقيقة منها .

ورغم هذا نستطيع أن نقول إن الفيلم حافظ على روح اوبرا «فيردى» ، لاسيما المشهد الاخير منها ، ذلك المشهد الذى يقطر الحانا وجمالا وسحرا .

وهنا وقفة لابد منها .

● الموت حبا

فى هذا المشهد الحزين نرى «ديدمونة» ، وقد بدات تحس ان الحب بينها وبين زوجها «عطيل» والذى اودعته خير ما فيها ، هذا الحب يغلبه الموت قليلا .. قليلا .

فاخذت تنشد انشودة قديمة تعبر بها عن سوء بختها .

«غنوا على الصفصافة .. ليصنع تاجى من صفصافة خضراء .. لا تلوموه على الجفاء .. افديه»

ثم ودعت وصيفتها «اميليا» زوجة «ياجو» بصوت خافت فيه نغمة الفراق الاخير .

ولا تكاد تهدأ العاصفة خارج القصر ، وتنتهى «ديدمونة» من صلاتها وتذهب إلى الفراش حيث تستسلم الى النوم ، حتى يظهر «عطيل» عازما اطفاء نورها لان «موتها محتم والا خانت رجالا آخرين» ! !

وها هو ذا يقبلها ، فاذا ما استيقظت طلب اليها أن تعد نفسها للموت ، وأن تفكر فى خطاياها

● نوم العقل

وعبثا تحاول اثبات براءتها مما يصفها به .

عبثا تحاول انكار انها اهدت الملازم الشاب «كاسيو» المنديل الذى كان عطيل قد اهداها اياه .

عبثا تحاول تأجيل القتل إلى الغد او نصف ساعة بلا مزيد .

ولا يكاد يزهق روحها ، حتى تعود الوصيفة لتكتشف موت سيدتها مخنوقة ، ولتكشف عن كيد وغدر زوجها الحاقد ،

سينما في أوبرا.. ومفاجآت أخرى!

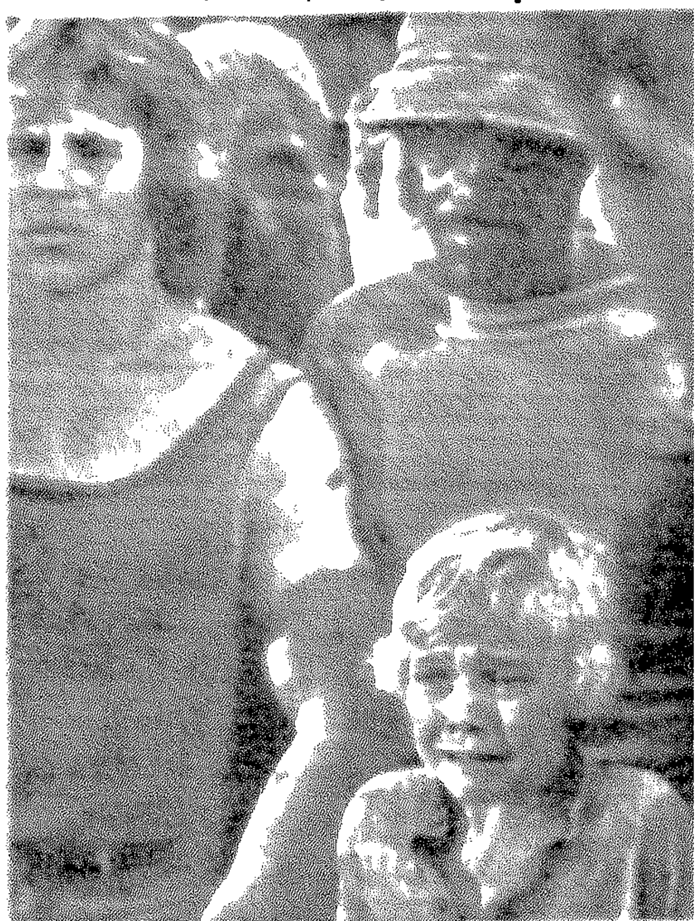
وعن طهارة «ديدمونة» التي كانت «اصدق من ابرار السماء»

وفي لحظة الحقيقة هذه، وبعد فوات

الاوان، لم يكن امام «عطيل» سوى أن يقول نراحة البال ولسائر الاشياء التي

تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخرة - يقول لها جميعا وداعا.

البطل .. اكثر افلام المخرج نجاحا تجاريا



بل ويقول للحياة نفسها وداعا الى الابد بان يغمد خنجرا في قلبه، فيسقط بجوار جسم «ديدمونه» الرقيق.

وها هو ذا يزحف نحوها ليموت في قبلة فاذا ما فارق الحياة راينا يده ويد «ديدمونه» لا تلتقيان.

وكيف تلتقيان، وقد كان من امرهما ما كان؟

حب ثم استماع لوشوشات الشيطان، فغيرة كلها خناجر وسموم ونار ودمار تذهب بعقل عطيل الى تفضيل «ديدمونة» ميتة على «ديدمونة» غير نقية.

بيقى أن اقول ان «عطيل» كان الفيلم الوحيد من بين افلام «زيفريللى» الاربعة الذى لم يكتب له العرض فى دار الاوبرا لماذا؟

لانه استبان فى آخر لحظة ان الاخوين الاسرائيليين «جولان» و «جلوبس» هما منتجا «عطيل»

وفي اعتقادي انه لو كان قد استبان لأولي الامر في دار الاوبرا ان «مجموعة كانون» التي كان يتحكم فيها هذان الاخوان قد انتقلت جميع اصولها بما فيها عطيل الى الممول الايطالي «جيان كارلو باريتي» لاختلف الامر كثيرا، ولما حرمنا من الاستمتاع برائعة فيردى المستوحاة من مسرحية شكسبير مترجمة إلى لغة الاطياف.



كتاب الهلال
يقدم :
القيصر الأصفر
بقلم : د. عبد الغفار مكاوى
يصدر
٥ يونيه
١٩٨٩
روايات الهلال
تقدم :
أحمد وداود
بقلم : فتحى غانم
تصدر فى
١٥ يونيه ١٩٨٩



محمود بقشيش

جولة فى المعرض الساهر!

لهذا لم يفاجأ المشاهد . المتابع . بما يثير التأمل او الحوار ورغم ذلك فانى اجد بعض العذر فى اضطرار بعض الفنانين الى اعادة عرض اعمالهم على جمهور الفن فى القاهرة (وهم الفنانون والنقاد وطلبة الكليات الفنية وبعض اصحاب قاعات العرض الخاصة .. الى قلة نادرة من المثقفين) ولا يشكل كل هؤلاء الا هامشا ضئيلا فى بنيسة المجتمع المصرى ، فمهما اعاد الفنان تقديم اعماله وبالغ فى الاعادة فلن يزيد مشاهدوه فى احسن الحالات على بضع مئات .. ولا سبيل الى توسيع هذا الهامش وتعميقه الا بتدخل وسائل الذيوع والتأثير وفى مقدمتها « التليفزيون » ، والالحاح على ذاكرة المشاهد والقارىء حتى ينتبه الى ان هناك مبدعين غير الذين يلتقى بهم من نجوم السينما والكرة . واذكر ، بالمناسبة ، اننى عندما كنت مشاركا فى بينالى بغداد الدولى الثانى ان سألنى سائق تاكسى عن أسماء الفائزين !.. وظننتها مصادفة .. غير انى وجدت اهتماما بهذا المعرض فى مواقع مختلفة داخل مدينة «بغداد» ومع مستويات ثقافية متباينة .. وبالطبع فان هذا لا يمكن ان يتحقق على المستوى الشعبى لولا الغطاءان الاعلامى والاعلانى المؤثر .. اللذان جعلا من الفنان التشكيلى نجما متألقا ومعروفا على مستوى المتذوقين وغير المتذوقين فى نفس الوقت .

● الفنانون

شهدت بداية الستينيات بداية تألق الفنان « منير كنعان » عندما قدم أول معارضه وقد قوبل وقتها بما لم يشهده معرض من قبل من جدال ، تراوح بين الرفض الكلى او القبول المتحفظ ، غير أن تلك الصدمة تركت آثارها فى اجيال لاحقة ، ربطت انتاجها بما يمكن تطبيقه من صيحات النموذج الاوربى فى الفن . وعلى الرغم من خروجه على ملامح المنهج « الدادى » ـ العبثى ـ الذى ظهر فى معرضه الاول فانه التزم بالاسلوب « التجريدى » حتى الآن ، وقد بقى من تلك المرحلة ما يكشف عن تعلق بالقيمة الملمسية ، للعناصر ، ورجحت هذه القيمة فى شطر من اعماله للدرجة التى توارى فيها « الشكل » كما فى مرحلة « الجداريات » ، وكانت لوحات

اقيم بقاعة السلام بالزمالك معرض لستة من الفنانين البارزين فى الحركة التشكيلية المصرية هم : منير كنعان ـ ابو خليل لطفى ـ سعيد عبدالرسول ـ حسين الجبالى ـ جاذبية سرى ـ مصطفى الرزاز . وجاء المعرض مصاحبا للسهرات الثقافية الرمضانية فاطلق عليه عنوان : "المعرض الساهر" .. وقد راعى منظمو المعرض . فيما يبدو . ان يضم ثلاثة من الفنانين التشخيصيين ، وثلاثة من الفنانين التجريديين . ويبدو ان المعرض قد اعد على عجل ، فلم يتمكن المسئولون من طبع "كتالوج" كما ان الأعمال قد عرضت من قبل مرات ومرات .

للفنان كنعان (كولاج + لمسات ملونة)





تلك المرحلة اقرب الى ان تكون صورا فوتوغرافية لحوائط قديمة متآكله ، او مجتزءات من حوائط حقيقية ، ويشبهه في هذا فنان عراقي هو « شاكر حسن ال سعيد » وان اختلفا في ان « شاكر » حريص على توثيق جدارياته بالاحتفاظ بكتابات ابناء الحارة ورسومهم على الجدران الدالة على بيئة بعينها ووطن بعينه ·
وفي شطر اخر من اعمال الفنان « كنعان » نراه قد تخفف من المبالغة والتركيز على عنصر من عناصر التشكيل ، وفتح الطريق الى اشكال واضحة المعالم ذات طابع هندسي ، واذا كانت مرحلة الجداريات غير مقطوعة الصلة بجدران الحواري والازقة الشعبية فان مرحلة « الهندسيات » كانت اعلانا صريحا على تلك القطيعة ، وانفلاتا الى عالم التأمل الجمالي · الشكلي · الخالص وقد شارك في هذا المعرض بلوحات تنتمي الى هذا الجانب · واللوحات جميعها تنويعات على شكل الـ « × » ، وهذا الشكل بطبيعته مسيطر على سطح اللوحة المربع ، ويحتم وجود أربعة مثلثات متلاصقة · وظهر عنصر « الملمس » في علاقات مختلفة تثرى مسطح اللوحة عن طريق لصق شرائح ورقية قام بتلوين بعضها قبل « القص واللصق » وتكشف لوحات « كنعان » عن براعة واخلاص كما تكشف عن اختيار لعالم « المباريات الشطرنجية » اطارا لفنه ·

ويقدم الفنان « أبو خليل لطفي » ما يؤكد « ميله » الى النهج التجريدي واقول « ميل » لا « انحياز » ·· لان المشاهد يلتقي احيانا بأشكال لبشر او طيور او حيوانات وان ظهرت جميعا كأطياف ، ذائبة ، واذا كانت لوحات « كنعان » تثير في النفس ضمن ما تثير يقظة لاعب الشطرنج فان لوحات « ابو خليل لطفي » تجذبنا وتغرينا بأن نحلم ، وان نلوذ بذواتنا ، وتمهد لنا طرق اختراق طبقات الوانه الكثيفة · المتداخلة لنلتقي بأطياف حلمية مبهمة الرموز ، تارة ، وواضحة تارة أخرى ، لكنها في كل الاحوال تفتح الطريق امام الخيال ، يصعب ترجمتها الى كلمات ·· غير ان لوحات « ابو خليل لطفي » تكشف عن عين مثقفة أحاطت باساليب الفن المعاصر واختارت خليطا خاصا تلمح فيه التجريد ، والسريالية ، والاسلوب البصري ، الى غير ذلك من الاساليب وفي « كتالوجه » الخاص يدفع عن نفسه شبهة « السيريالية » فيقول :
(المحاولات ليس لها علاقة بأسلوب الاخراج السيريالي الاكاديمي ·· بل تستهدف خلق مواقع دخول واختراق ومواقع خروج على شكل فتحات ، تستهدف اثارة حضور غامض يعطي للصورة وجودا حيا خاصا بها · في بعض الحالات فان الحضور الغامض ربما يسترجع خبرات لا واعية عنيفة) وتبدأ ملامح «الهوية» مع ثالث التجريديين : الفنان الحفار « حسين الجبالي » وتكشف لوحات « الجبالي » عموما عن ميل استلهام

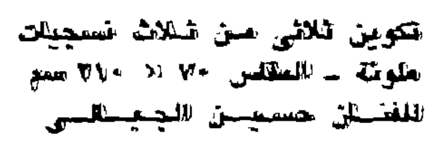
نمر البحر (مقاس ٩٢ × ٩٢ سم)
زيت على توال للفنان ابو خليل لطفى





استكشاف اللانهائي للفنان
ميو خليل لطفي (١٩٧٧)





تكوين ثلاثي من ثلاث نسجيات
ملونة ـ المقاس ٧٠ × ٢١٠ سم
للفنان حسين الجيلالي



بعض ملامح الزخارف الاسلامية والحروف العربية ، وشغل كل فراغ اللوحة ، ومثل كل المشاركين فى المعرض فانه ينصرف عن البعد الثالث الوانه رزينه . وعلى الرغم من ان الثلاثة يجذبونك الى كل ما هو ذاتى وفردى فانك واجد اختلافات واضحة فى اختياراتهم ، وان كان « ابو خليل لطفى » اكثرهم غوصا فى هواجس الذات ، واكثرهم اقلاقا لروح المتلقى، وعندما نصل الى لوحات الفنان « سيد عبد الرسول » نكتشف اننا خطونا خطوتين : الاولى خطوة مؤكدة الى ملامح قومية ، والثانية خطوة الى رموز مشتركة ، وان لوحساته تستلهم مادتهامن المألوف من الموضوعات مثل : صيد الاسماك ورقص الخيول وحاملات الجرار وما الى ذلك من الموضوعات ، وغير انها مؤداة بطريقة تكشف درجة تعلق الفنان بالجداريات المصرية القديمة حيث تصطف العناصر صفوفا صفوفا ، وهو كما اشرت ضمنا من قبل يتخفف من البعد الثالث (عمق اللوحة) .

وعلى الرغم من ان الفنان يستلهم مادته من الواقع ـ كما قلت ـ فانه يتوجه بها الى منطقة التجميل والتزيين ، لهذا يختار من الاوضاع الانسانية والحيوانية اكثرها جمالا .. فما اجمل شكل « الحصان » الذى يرسمه ولا يمل تكراره دون ان يصيبه أو يصيبنا الملل ! .. اما التسليم اللونى فى لوحاته فهو معزوفات بارعة لفرشاة دقيقة تذرى مسطح اللوحات بتحركاتها المحكمة والمتنوعة .

ما تكاد تغادر عالم « سيد عبد الرسول » الرقيق وتزور لوحات « جاذبية سرى » حتى تكتشف انك قد سقطت فى عاصفة هوجاء او بحر متلاطم لاحد له ! .. واذا كان « ابو خليل لطفى » يطلق على مسطح اللوحة تعبير « شاشة الاحلام » فان مسطحات لوحات « جاذبية سرى » فى هذا المعرض ساحات للمعارك ، كل العناصر فى حالة اشتباك محتدم : بين الساخن والبارد من الالوان ، بين لمسات الفرشاة وسكين الالوان الحادة والمعترضة ، وامعانا فى بث التوتر فى كل جزئيات اللوحة فانها تنفى البعد الثالث ، فيختلط المألوف بغير المألوف ، ويتداخل المشخص فى المجرد وبشكل كل هذا « حالة » لا تملك ازاءها الا ان تشارك الفنانة توترها لكن كيف ترى الفنانة نفسها ؟ كتبت « جاذبية سرى » فى كتالوج معرضها الذى اقيم من قبل فى قاعة مشربية (واللوحات المعروضة فى قاعة السلام منتخبات من معرضها السابق) نثرا شعريا تصور به رؤيتها الفنية . تقول :

جذع امراة ويد طفل ووجوه ممسوحة
تخلق خلقا طبقات فوق طبقات
الوان مكهربة تتدفق فى مبنى قديم
كان جسدا
فى لجاج البحر وعجينة الطين
وجلباب ينطوى تحت قبة
بينما تحتضن الفتيات الفضاء الاخضر
فتسمع الوتريات والارغول حتى الافق
طبقات فوق طبقات
تستبيح الخوض فى فضاء اللوحة
فتنغرس فى لحم البيوت سيقان بضة



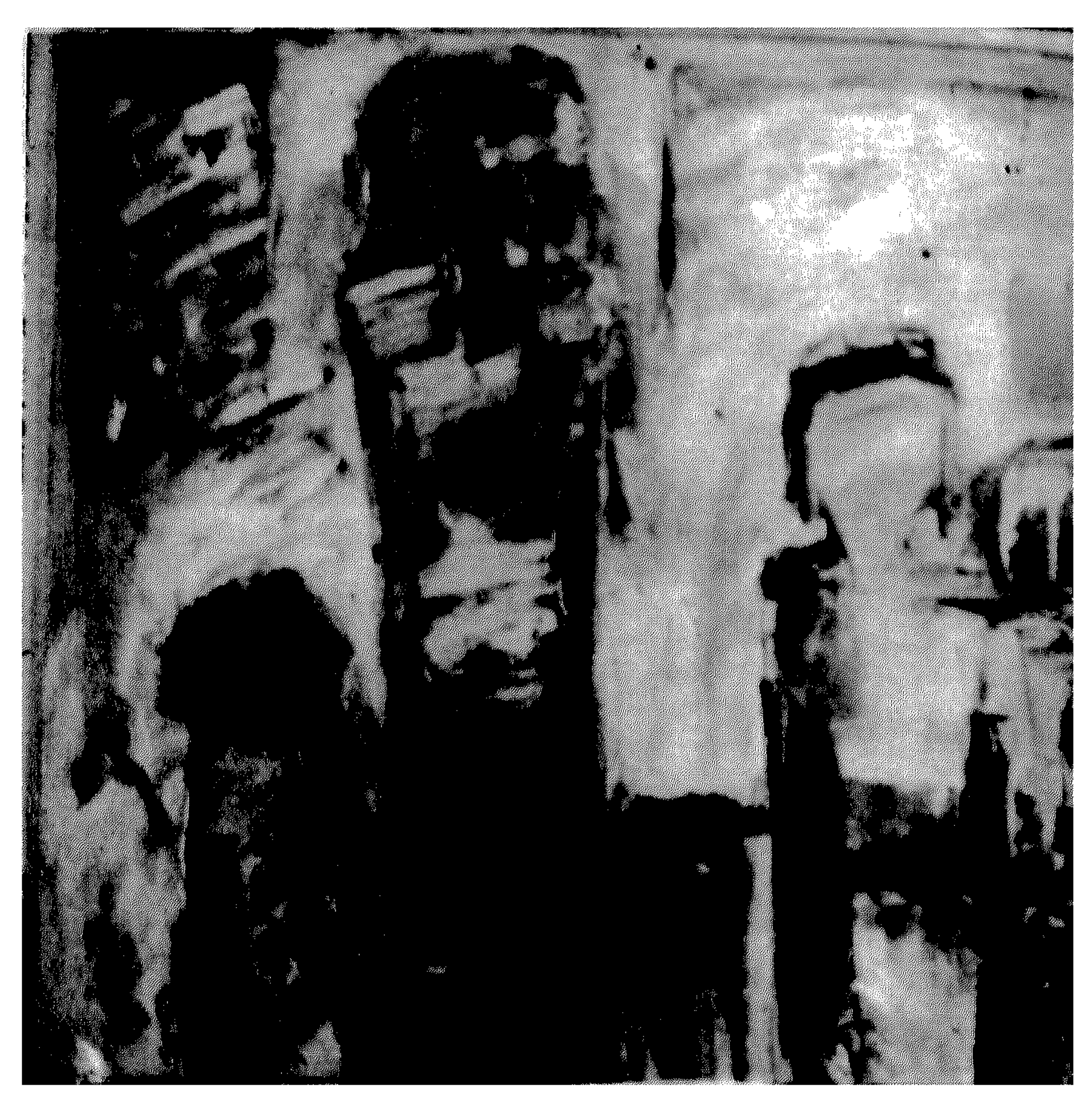
رقصة الخيل للفنان سيد عبد الرسول (زيت على توال)



وتنبت للنوافذ شوارب
كهاجس علي اللوحة
اصفر شاحب هو قمر الزمان
فى اعمق الاعماق
حيث الخوض فى المكان محرم

فنتـازيـا الطـائـر
والحصـان والفـارس
للفنان مصطفى الرزاز





يقسر وبيوت (زيت على توال) للفنانة جاذبية سرى

ويقدم الفنان « مصطفى الرزاز » لوحات تناقض عالم « جاذبية سرى » .. فمعالم الاشكال عند « الرزاز » واضحة ومحددة ومرسومة بعناية وسلاسة واناقة . لهذا كان عنصرا « الخط » و « المساحة » ركيزة محورية فى صياغة اللوحات ، واتسمت الوانه بالصراحة والاقتصاد معا ، ولمساته بها بلاغة الايجاز ، فبلمسات قلائل يتجلى الايحاء بالاستدارة والشفافية ، ويشكل حوارا مرهفا بين المساحات اللونية الصريحة ونقيضها من العناصر التى تشكل مفرداته المألوفة: الطائر والحصان والانسان ، وتظهر محورة ومختصرة بالشكل الذى يسمح باسترسال الخطوط اللينة والمنحنيات الرقيقة . تتسم لوحاته بالاناقة والرقة والرموز الخاصة .

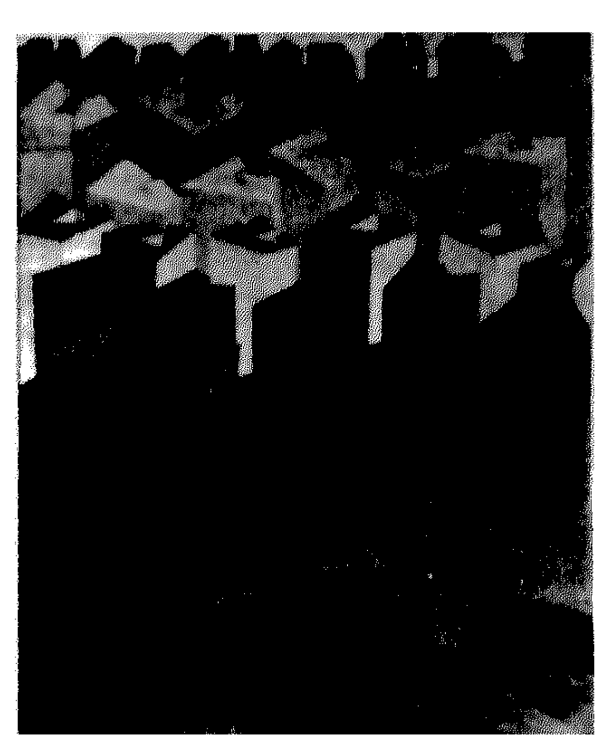


مظاهرة كونية « مقاس ٥٠ × ٧٠ سم » اكليرلك على قماش للفنان : احمد عبدالكريم

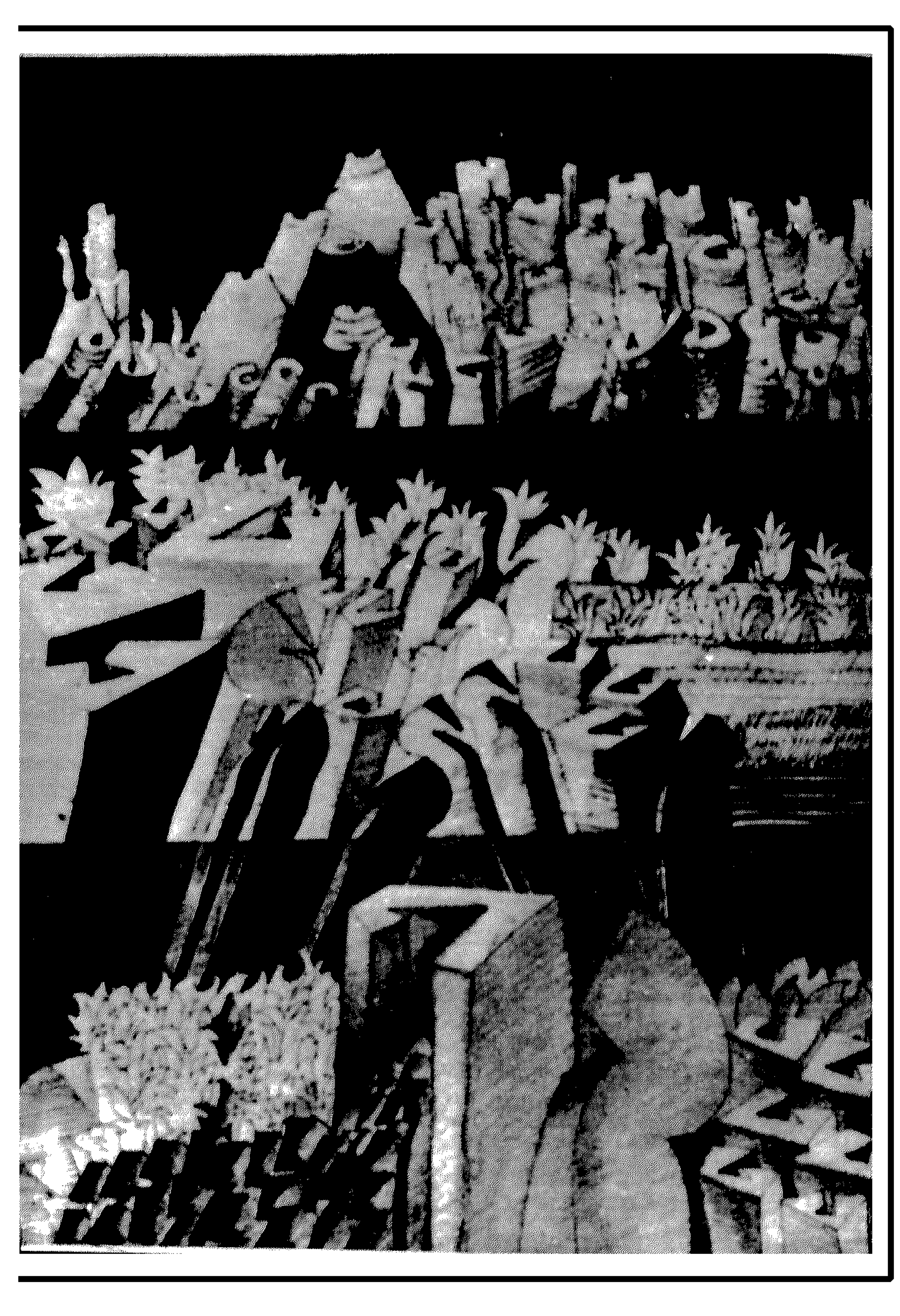
جولة فى معرض أحمد عبدالكريم

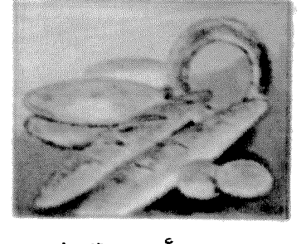
أقيم بمجمع الفنون الجميلة بالزمالك معرض للفنان الشاب « احمد عبد الكريم » فى مجال الرسم بالحبر الصينى والجواش · كشف معرضه عن درجة ملحوظة من درجات التخلص من آثار ابداعات وآراء اساتذته ، واكتسبت مفرداته ملامح جديدة ·· عندما خرج بها من اطار الاجترار الذهنى ، المقفل ، الى رحابة مثيرات الطبيعة الجمالية والتعبيرية· عودنا منذ معرضه الاول على مفردات تمثل بدائل دالة على اصولها

بيوت . للفنان احمد عبد الكريم



الواقعية ، ومفرداته ـ او بمعنى ادق مفردتاه الرئيسيتان المشتقتان من اصول واقعية هما : الانسان والبيوت، انسان اشبه بشاهد القبر · مسطح · ورقى · وعماراته مقفلة على مثلثاتها الحادة · خالية من النوافذ··غير انه كان يخلع عليها من الالوان البراقة ما يلطف ، او يراوغ ايحاءاتها المأساوية ، وعلى الرغم من اعتراف الفنان بأنه لم يعمد الى ايحاءات سوداء فان لوحاته الاخيرة قد تحدته (!) بعد ان خلصها من قناع الاصباغ البراقة واكتفى بالاسود ، وخلع عنها اناقتها الزخرفية السابقة ففضحت مكنون الايحاء المأساوى كان من نتيجة صلحه المتحفظ مع الطبيعة ظهور مفردات جديدة مثل : النخيل والنبات وفزاعة الطيور · حاول فى معرضه الاخير استلهام « الواقع المرئى » غير انه لم يستلهمه او يستنطقه حرا من قيد المحفوظات بل تمسك بكل ما هو محفوظ ، واقام علاقة بين محفوظاته وبين اشكال لم يجد لها شكلا افضل من شكلها الطبيعى مثل اشكال النخيل وفزاعة الطيور ·· مما احدث كسرا فى سياق الاسلوب الفنى ، وحاول ان يثرى مسطحات لوحاته بعناصر متعددة فسقط فى الثرثرة ، واقتربت لوحاته من طابع الصور التوضيحية ، والاهم هو تفتت وحدتها البنائية ·





نخلة سالمة

قصة بقلم : أليفـــة رفعت

ريشة الفنانة : سميحة حسنين



مدلية بسـاقيها على جانبى حمارها ، ورنين أجراس خلخالها الفضى يشخلل برتابة رفسات الحمار على قارعة الطريق الترابى ، لم تلتفت سالمة وراءها والغروب الساكن يلفها . ومن خلال برقع حال لونه ، وبقيت دوائر شديدة السـواد مكان جنيهات ذهبية كـانت مصفـوفـة وانتـزعت ، وعروسه المرجانية مرتكزة على أنفها تمتمت :

هيه .. الله جاب .. الله أخد :

ذات جولة للحاج جابر الحنـدوس فى صحراء الشواشنة طلبـا لصيد الغزال ، وجد نفسه بين أغنـام راعيـة صغيـرة جدائلها السوداء الطويلة تتدلى بلا عـدد على أكتافها ، ونطاقها الصوفى المشدود على جلبابها الأسود يبرز خصرا نحيلا ونهدين مكورين فى أناقة ، ويتدلى من أنفها حلقة فضية تكاد تلامس شفتيها تمتد حتى ذقنها خطوط وشم يضفى سحرا خاصا على طابع الحسن الخالص فى استدارته . تسمر فى مكانه منتشيا بخمـر اسمرارها ، كأن شعاع الشمس الذهبى يشرق من خـلال صفاء إهابها . تفرقت أغنامها تثير زوابع رملية صغيرة وعلا نـ

الكلب . صرخت الفتاة محتجة وهي تهش الحصان بسواعدها . وضحك الحاج للعيون السوداء الوامضة بهياج الغضب ، من الحصان الثابت في وقفته يرفض أمرها وهي المسيطرة على قطيعها كله ، ترعاه كل نهار بمشارف مضارب قومها . حملقت فيه بعيني قطة متوحشة ، سرعان ماارتخت أهدابها لما اصطدمت بوسامة الوجه الطيب المهيب . وفتنها جسده الراسخ على حصانه كوتد متين . عادت تبادله النظر وهو يمسح على لحية وشارب خطهما شيب الخمسين بأصابع رشيقة ، فطالت بينهما نظرة تداخلت فيها نفساهما تداخلا عميقا ، وانطلقت من عينيها زغاريد صامتة تعبر عن فرحتها بالعثور على الفارس الجدير بها . واجتهدت في السيطرة على النبض الراعش بجسدها وهي تعاني من حياء العذراء أمام أول نظرة تجتاح جسدها من رجل يفتش عن ينابيع أنوثتها . ابتسم لها ابتسامة حلوة ولوى بعنان حصانه ومضى .

رجعت سالمة سارحة ، وفي الليل تقلبت مسهدة على فراشها المصنوع من الجريد بحشيته اللوف . ركلت الكليم الصوفي المغزول قديما بيدي أمها لاتطيق غطاء على ساقيها . سطعت في مخيلتها صورة أصابعه ، فتمنت لو أنه يربت عليها يهدىء الحرارة المنبعثة فيها من نظراته المكتسحة بنفس الرقة التي كان يربت بها لحيته . وكما كانت تفعل أمها قبل أن تنام عندما كانت صغيرة . نظرته أشعرتها أنها كبرت فعلا ، فتذكرت جاسر ابن عمها المفروض أن يتزوجها متى كبرت وتذكرت شحوب وجهه وهو ينظر لرجرجة صدرها حين يخض قربة اللبن قبالتها ، وارتعاشة شفتيه بشعر شاربه الخفيف كزغب الكتكوت . ابتسمت لشعورها بسطوتها عليه ، واندهشت لشعور الوجل والاضطراب من سطوة الغريب عليها بنظرته السريعة . وتحيرت في السبب الذي جعلها تخفي مقابلتها له عن أبيها ، وقد تعودت مصارحته بكل مايصادفها في يومها

ترى ؟ لو أن أمها كانت لاتزال تحيا ، هل كانت ستفضي بسرها الصغير لها ؟ وبم كانت ستنصحها ؟ هل كانت ستنهاها عن حب فلاح غريب عن عشيرتهم البدوية ؟ تقلبت معذبة . أتراه يعود ؟ حتى لاح الفجر كانت مسهدة معذبة مستمتعة في الوقت ذاته بشعورها الجديد وبالحدث الذي أيقظ أنوثتها .

قامت ترعى غنمها متجولة شاردة تتطلع متلفتة للآفاق ، وفي الأصيل خفق قلبها وهي تراه مقبلا عليها رامحا بحصانه حتى توقف أمامها بشوق تطلعت إليه ترقب الأصابع تتخلل اللحية وهو يقول :

- اسمك ايه ياصبية ؟

- وانت ياخي ايش بتكون ؟

- أنا الحاج جابر الحندوس من أعيان الشواشنة . رايدك يامليحة .

- أبه .. أنا سالمة بنت شيخ العربان عمران . قبيلتي من الهوارة الأشراف . روح كلمهم يإما : تروح لحالك ولاتشغل بالي الله يهديك .

ابتسم ومال بحصانه ناحية الخيام تلكأت تلملم غنمها حتى عادت بها من وراء الساتر الذي يفصل

خلوتها عن باقى الخيمة وقفت مسبلة الأجفان وأبوها يمرق اليها .

ـ الحاج جابر الحندوس من اعيان الشواشنة خطبك ياسالمه ، وأنا وهبتك له . إيش قولك ؟ ابن عمك جاسر جاهل وفقير حاتعيشى معاه عيشة ضنا . لكن الحاج مليان وحصن حصين ليكى من بعدى يابنيتى . وفتحى عينك ، حاتواجهى عيشة حضر وليكى ضراير على ذمته مابعرف حا تصبرى عليهم والا إيش حايكون حالك ياسالمة ؟

ـ الرأى رأيك الزين والشورة شورتك صح يابوى . إن شاء الله باصبر وباطول رقبتك .

ضحك الشيخ وقال وهو يخرج من عندها :

ـ على بركة الله .

عاد الحاج جابر فى الأصيل التالى ووراءه خادم يسحب حمارا محملا بأشولة السكر والأرز وصناديق الشاى مهر العروس الذى طلبه أبوها . ونحرت القبيلة الذبائح وأولموا فأكل الجميع وعندما دارت أقداح الشاى عقدوا القران فأصبحت حليلته من لحظتها . ارتدت ثوبا أسود مطرزا وأسدلت على وجهها النقاب فلم يظهر غير عينيها الكحيلتين وأردفها الحاج وراءه على حصانه ورمح بها بين زغاريد القوم . سلك الدروب بين تلال الرمال المتحركة دوما بمهارة خبير بالصحراء وفخاخها ووراء التلال كانت الشمس تغرب . وحيدان فى العتمة الصموت سار بهما الحصان واثقا ، والرياح الخفيفة تحمل لأنفها رائحة عباءته المعطرة بالمسك مختلطا بأريج رجولته . أسندت سالمة جبهتها على ظهره وشعور بالأمانُ والطمأنينة يغمرها . تبختر الحصان على الطريق المدكوك بالحجارة الجيرية الموازى لشاطىء بحيرة قارون فلذعت أنفها رائحة المياه الملحية الحريفة وتطلعت بشغف لطائر النورس وهو يحط على المياه يلتقط الأسماك ويعود للتحليق . ثم تثاقل خطو الحصان وهو يميل إلى الطريق الترابى المؤدى للبلدة ثقل الهواء على أنفاسها برطوبته ، وشعرت بالنبات يسدل ستارا كثيفا على رحابة الأرض الطليقة . وهما يمران بين البساتين والحقول . وتفتت الصمت الذى ألفته فى الصحراء لضجة المخلوقات الخفية المتعايشة بين أشجار الموالح والزيتون ، ووشوشة الطير فى أعشاشه ، والمياه الغرينية المنسابة فى القنوات المتفرعة من بحر يوسف .

قفز الحاج بحصانه مجتازا القنوات قفزات جعلتها تشد ساعديها حول خصره وتزداد التصاقا به محاذرة الوقوع . والحاج واقع تحت جاذبية الصدر المحتك بظهره أشار بيده قائلا :

ـ كل الأراضى دى ياسالمة على مدى الشوف أرضى .

فوجئت أنه بكل هذا الثراء ، ولكنها لم تعلق كان تفكيرها منصبا على ليلتها وما سيجرى بها .

بدأ الطريق يضيق ويلتف متعرجا حول بيوت لها اسوار من الطين وسعف النخيل ، يخرج منها دخان الخبيز والطبيخ . وأصوات ساكنيها . شعرت أن عيونا كثيرة ترقبهما ولكنها لم تبال ، فهى عيون فلاحين لا أكثر

عند بيت كبير تحوطه الأسوار والأشجار توقف الحاج . فتح خادم الباب



الخشبى الكبير وأخذ بعنان الحصان وهو يغض من بصره لحريم الحاج . قفز الحاج وانزلها من على صهوة الحصان وتركها ومشى ناحية مندرة واسعة حيث ينتظره الرجال . تلفتت سالمة تشاهد الحديقة الواسعة التى تحوط الدار بأشجار الليمون والبرتقال ذات الأزهار العطرة ، وسرعان ماتقدمت لها فلاحة تقود بيدها وهى تقبلها قائلة :

- محسوبتك حسنات خدامتك . منورة ياست العرايس .

شدت سالمة يدها بسرعة وحسنات تطلق الزغاريد . قادتها إلى سلم جانبى يفضى إلى الطابق العلوى المخصص لحريم الحاج . ارتقت السلم المضاء بفوانيس نحاسية حتى بلغت شرفة دائرية حولها أبواب مغلقة يحوطها شيش خشبى مخرم . التقط نظرها الحاد عيونا تتلصص من وراء الشيش فى الجهة المقابلة لغرفتها وهى تدلف إليها . أدركت أن زوجاته الأخريات يترصدنها بحب استطلاع . وجدت فى غرفتها سريرا نحاسيا فرش بملاءة وردية وفى الجانب الآخر من الغرفة الواسعة فرشت سجادة عجمية كبيرة رصت عليها الوسائد القطيفة الملونة حول مائدة عربية واطئة عليها صينية نحاسية وعلقت فوقها لوحة من القطيفة الحريرية لصورة الكعبة الشريفة بأستارها السوداء وحولها يدور الطائفون بملابسهم البيضاء .. خلعت سالمة ثوبها الأسود وبقيت بقميص داخلى برتقالى اللون منقوش بزهور زرقاء وبنفسجية لها أوراق عريضة شديدة الخضرة . وتدلت على أكتفاها العارية جدائلها بلا عدد وظهرت سيقانها من بين كرانيش الدانتيل البيضاء مدملجة بخلاخيلها الفضية وأقدامها عليها نقوش بالحناء .

عادت حسنات بالطعام وبنرجيلة الحاج فجهزت مجلس العشاء واحضرت طبقا نحاسيا به جمرات الفحم والماشة وبراد شاى مغلى بالقرنفل . وسرعان مادخل الحاج ونسيا الدنيا . لأيام وليالٍ مرت سريعا حولها خلالها لأنثى تعرف كيف تمتعه . ثم قال ذات صباح :

- لابد ياسالمة بقى التفت لرزقنا وأراعى مصالحنا . وانتى عارفة إن الله أمر بالعدل بين النسوان . من هنا ورايح حابات عند كل واحدة فيكم ليلة .

ابتلعت غصة الغيرة تحاول استساغة فكرة مشاركة أخريات لها فى حبيبها . ربت على كتفها مهدهدا وقبلها محتضنا لها على صدره حتى هدأت مستسلمة للأمر الواقع . قال هامسا :

- الأيام اللى قضيناها سوا خليتك عزيزة عليه ياسالمة .

ابتسمت وقد أستردت نفسها وقالت :

- أيه .. الشجرة اللى ماتضلل على أصحابها تستاهل الجز ياخى . أخرج فى حفظ الله وارجع تلاقينى على عهدك .

خرج وأقفلت الباب عليها وجلست فى الغرفة الخالية وحيدة . الصقت كفها المخضبة بالحناء على خدها ، مستندة عليها وهى تشعر بالخوف والتعاسة والوحشة . وثقل الهواء الرطب المحمل بأريج الليمون على أنفاسها ، وسرحت بأنظارها تطوف حول

الكعبة من الطائفين . شعرت أن رجلها كان معبدها فى السجود فى الليالى الفائتة . كانت تسجد على جسده تعتلى مئذنته فتسبح روحها فى مسرات اللذة العميقة . شعرت كأن وثنها قد انهار فى طرفة عين وتركها للوحدة والضياع .

فكرت كيف ستقضى الأيام التى سيغيبها ؟ ومع مَنْ مِن نسائه سيقضى ليلته القادمة ؟ استبد بها الفضول واضنتها الغيرة لتعرف . ولكن كيف وهى لم تفارق غرفتها أو ترى واحدة منهن منذ قدمت ؟ كانت حسنات تجلب الطعام فى أوقاته وتضعه على المائدة ثم تأتى بإناء الفحم يرصه الحاج على فوهة نرجيلته ويلقى فى وسط التبغ بقطعة سوداء تتصاعد بدخان أزرق يملأ الغرفة فتنتشق له سالمة وهى تشرب من قدح الشاى . قامت فصفقت أربعا وصدرها ضائق للاشارة بأنها الرابعة . اتت حسنات على التو :

– نعم ياستى ؟

– باريد شاى بالقرنفل .

ابتسمت حسنات فى دهشة وظلت واقفة . قالت سالمة :

– إيش فيها ؟ مابيشربوا الحريم الشاى ؟

– لا .. بيشربوا على كيفهم بس بالنعناع . الشاى بالقرنفل مع الحاج بس .

– هاتى شاى والسلام . أيه ... وحضرى الحمام .

ذهبت حسنات وجاءت بالماء الساخن ووضعته بجانب الطشت فى الحمام الملحق بغرفة النوم . كانت تجهزه كل صباح لهما . فيدخل الحاج يستحم أولا وتدلك له ظهره سالمة ثم تستحم بعده ولكن هذا الصباح ستدخله وحيدة ، مرة أخرى لتهدىء من حرارة جسدها . خرجت فجلست تحتسى كوب الشاى من قدح مذهب الحواشى . جلست حسنات على طرف السجادة تنتظر سيدتها حتى تفرغ من تناوله . قالت سالمة بعد أن جاهدت طويلا لتتحكم فى صبرها :

– الحاج حايبات عند مين الليلة ؟

– عند الحاجة زكية بنت عمه طبعا . هى الأولنية . إنتى لسه ماعرفتيهمش . لكن حايزوروكى العصرية علشان يباركوا ليكى .

– أيه ... يزوروني ليش ؟ خبريني يابنيه كيف الاقيهم ؟

– سايقة عليكى النبى ياستى ماتقولى لحد إنى قلت لك على الستات حاجة ، أحسن ينقطع عيشى .

– ليكى الأمان يابنية . السر فى بير . انتى تبعى طول ما أنا فى البيت ده .

– إن شاء الله حتعمريه على طول ياست الستات . شوفى بقى . مرات الحاج الأولانية بنت عمه الحاجة زكية ، ست أميرة وطيبة لكن بختها قليل . فى ولادتها الأولى مات العيل والحكيم شال بيت الولد . ومن ساعتها وهى تشتكى دايما . أما التانية ست سميرة الصعيدية تلاقيها رفيعة وعصبية ومن ساعة ماخلفت الصبيان وهى مناخيرها فى السما ولا حد بيعرف يكلمها . والتالتة الست فكيهة الاسكندرانية تخينه قوى كما الفيل ومخلفة خمس بنات زى القمر وهى المستولية على المطبخ تعمل طواجن سمك لذيذة يحب الحاج ياكل من إيدها . لكن ماتخافيش انتى اللى فيهم سنيورة صغيرة ونفسك حلوة .

قامت سالمة فأعطتها شالا أحمر هدية لها

وصرفتها وجلست تفكر مرة أخرى . يقينا قد شاهدنها يوم أقبلت بزيها البدوى . فكيف سيشاهدنها اليوم وبأى زى تقابلهن ؟ هل تتغندر وترتدى قميصها المنزلى ؟ أم ترتدى زيها البدوى أفضل وأحشم ، ؟ تناولت طعام الغداء ساهمة وشاى العصر سارحة فى انتظارهن . أرتدت ثوبها البدوى وأسدلت برقعها الذى أصبحت توشيه بضعة جنيهات ذهبية هدايا الحاج لها . يوم الصباحية أعطاهم لها وهو يقول لها أشترى بهم حليا وملابس . ولكنها فضلت تعليقهم ببرقعها وقد ضحك طويلا لفكرتها . وقال لها يوما « أن الحلقة الفضية المعلقة بأنفها تفتنه » ولكنها تخاف سخرية ضرائرها منها . واعتراها الخوف وهى تستمع لصوت النساء وهن يقبلن لحجرتها فوجئت بدخول نسوة كثيرين وعيال وبنات وامتلأت الحجرة بالزوار . جلست بينهم صامتة متهيبة . وعندما تمالكت نفسها والخدم يتبعن السيدات بالهدايا ويضعنها على المائدة أمرت حسنات أن تحضر الشاى وهى تقول للزوار :

- اهلا بالأضياف الكرام ومرحبا .

- هىء هأ هىء شاى إيه ياعروسة ؟ إحنا حانشربوا الشربات .

وجسدها السمين يترجرج مع ضحكاتها قالت فكيهة وتلفتت تتغامز مع الجالسة بجوارها . وعلت ثرثرتهن وهن يصفن أنواع الأكلات وآخر مشترواتهن من الحرائر والأقمشة الغالية متباهيات . ثم أخذن ينهشن سيرة نساء البلدة واحدة بعد أخرى متندرات بأخر أخبارهن . ظلت سالمة جالسة بينهن تستمع لهن فى عجب ولاحظت أن سيدة مسنة متشحة بطرحة بيضاء منصرفة هى الأخرى عن لغوهن عرفت فيها الحاجة زكية . وفى التو تفتح لها قلبها فهشت فى وجهها مبتسمة وبادلتها الحاجة تحيتها الودود . ظلت تنتظر نهاية حديثهن ممتعضة تتفحصهن واحدة واحدة .

فكيهة بقميصها الستان المقور ، الفاضح للأخدود العميق بين النهدين الضخمين كضروع العنزة ، ومؤخرتها العظيمة المفروشة على الوسادة وذراعيها السمينتين اللتين انغرزت فيهما الأساور الذهبية تطرقع بلبانتها متشدقة لتظهر سنها الذهبية . ترى كيف يتناولها الحاج ؟ وهل من المعقول أن تعتليه بكل هذا الشحم ؟ ورائحتها التى تفوح بالدهن والطبيخ ، الا يتقزز منها الحاج ؟ ثم عادت تجول بعينيها بين الوجوه مفتشة عن سميرة حتى التقت بعينين كحيلتين حادتى النظرة فى وجه هضيم شاحب . ملتفة بروبها المنزلى المنقوش جالسة مربعة السيقان يبدو عرقوباها الناتئان وتشيح بيدها أثناء الكلام فتبرز العروق فى أصابعها المعقوفة المصبوغة بالنيكوتين . كانت تقول :

- كل النسا واصل بتقرب منى لاجل رجالى بدهم يجوزوهم لبناتهم . لكن الرجال طالبين العلام .

ردت عليها فكيهة

- ياختى صادقة ، مش حانكدبوكى فى قولك . أصل الحاج غنى والكل يود يناسبه هىء هأ هىء .

فقالت سميرة وعيونها تبرق هياجا :

- قصدك ايه ياحرمة ؟ رجالى رجال يتوزنوا بالذهب من غير فلوس

الحاج والله إن حد هوب ناحية بناتك لاجل مايأخدوا بدل لبناتهم ....

- فشرتي دي بناتي ملظلظة والنعمة بتتمر فيها مش زيكي انتي يامعضمة يامهكعة يامخلعة هيء هأ هيء .

أشارت بيدها الحاجة زكية تأمرهم بالسكوت . فمرت لحظة صمت . قامت الحاجة زكية فنهض الجميع وقالت :

- إبقى تعالى ياسالمة زوريني في أوضتي ، أصلي - يابنتي - صحتي على قدي ومابنزلش المطبخ مع الستات . إلا إذا كنتي بتحبي المطبخ وعايزة تساعديهم .

- هيء هأ هيء .. خيمة ابوكي ياعروسة كان فيها مطبخ ؟

لاذت سالمة بالصمت الصبور وقررت ألا تدخل في معركة كلامية . ردت سميرة :

- والله يافكيهة إن كان المطبخ حايخليها من صنف الجاموس الأبيض يبقى من لطف الله إن ابوها ماعندوش مطبخ .

- إنتي حاتلمي لسانك ياشابة والا نأدبوكي ؟

تدخلت الحاجة زكية مرة أخرى فقالت :

- عيب ياجماعة ، الحاج لو درى يزعل . شرفوه قدام الضيوف وكل واحدة تروح لحالها .

كورت فكيهة قبضتها وصحنتها في باطن كفها الأخرى قائلة :

- والنبي ياحاجة زكية علشان خاطرك بس حانسيبها كده مهرية ومفلقة "مني . أه .. أصلها متكادة مني أكمن الحاج بيخرج من عندي وشه منور مش ليلتها يبقى شايل عبد القادر على كتافه وقرفان ؟

وسالمة مستمرة في صمتها فكرت أنها قد اهتدت لعلامات تعرف بها اين كان يقضي ليلته ولما انفردت بنفسها عادت الغيرة تنهشها وظلت طويلا مسهدة قبل أن يواتيها النوم .

في الصباح أفاقت على الواقع المر . أن ثلاثة ضرائر أخريات يقاسمنها رجلها . شعرت بالاختناق وأن الحيطان تضيق عليها وعادت تفكر في تحذير أبيها . لم تقدر من قبل مدى الألم الذي ستقاسيه ، وشكت في قوة تحملها . وصبرها على الانتظار حتى يعود اليها ليلة يرجع فيها بعدها ليتقلب بين احضان الأخريات . وتحيرت كيف ستقضي الأيام وماذا ستفعل فيها وتقضيها في الانتظار الممل . ؟

قامت فارتدت ثوبها البدوي وأسدلت برقعها وفتحت الباب . أطلت من الشرفة من بين خروم الشيش المنجمة . ارتفعت اليها ضجة النساء في المطبخ ولعب العيال حول مرجيحة متدلية من فروع شجرة توت غليظة وحمل اليها الهواء عبير شجيرات الورد والفل والياسمين واعواد الريحان حول النافورة فكرت أن تهبط وتحاول الاشتغال مع النساء بأي عمل . ولكنها تراجعت سريعا عن الفكرة عندما تناهى لسمعها صوت فكيهة بلهجتها الاسكندرانية . ثم ظلت تراقب العيال في لهوهم طويلا وودت لو تشاركهم لعبهم ولكنها خافت من السخرية . أشتاقت لعنزاتها ولأبيها ولقومها . مشت في الشرفة المبلطة تتأمل صور المشايخ معممين يحملون بعض سمات الحاج فعلمت انهم اقاربه ومن بينهم صورة له نفسه معمم يرتدي ملابس شيوخ الأزهر . وهي تمر

على ابواب الغرف المفتوحة لاحظت أنها تشبه غرفتها . ولمحت فى إحدها الحاجة زكية تجلس بفراشها .

دخلت عليها ووجدت أن غرفتها تطابق غرفتها هى الأخرى غير أن هناك رفوفا كثيرة مرصوصة بالكتب . قالت الحاجة :

- أهلا ياسالمة . اتفضلى يابنتى .

- صباح مبارك ياحاجة .

- يسعد صباحك يابنتى اقعدى . حاكمل الحزب اللى بأقراه وافضى لك حالا .

جلست سالمة تنصت للسيدة وهى تقرأ القرآن من المصحف بصوت رخيم متلفعة بوشاحها الأبيض . اكبرتها فى نفسها وشعرت بحبها يزداد فى قلبها وفكرت أنها طريقة حسنة لأن يقضى المرء وقته فأرهفت السمع تحاول الفهم . اقفلت السيدة الكتاب وهى تقول :

- صدق الله العظيم . بتعرفى تقرى ياسالمة ؟

- لا ... هوانتى رحتى الأزهر مع الحاج ؟

- لا ... رحت الكتاب وانا صغيرة . انا اعلمك علشان تتقربى من ربنا أكتر . بتصلى ياسالمة ؟

- لا ... ايه .. أمى ماتت وأنا صغيرة وكنت بارعى الغنم لكن باسبح الخالق كما يذكره الطير فى السما والوحش فى الفلا ..

- اعتبرينى أمك تمام . لو كان ابنى عاش كان يمكن بقى فى عمرك او اكبر . وبعدها حجيت مع الحاج لبيت الله .

ده راجل طيب قوى ياسالمة يستاهل كل خير . وانا بنفسى اللى خطبت له سميرة وكانت حلوة وهى صغيرة لكن العصبى مسكها من ساعة الحاج ما اتجوز فكيهة . أصله بيخاف ربنا وعمره ما انكشف على حريم فى الحرام . لما واحدة تعجبه بيتجوزها وده حقه . لكن اطمنى .. انتى الجديدة الغالية وسيبك من الغيرة احسن يابنتى بتمقت وتطقق العقل . لما تلاقى نفسك زهقانة سبحى واذكرى الله . الدنيا ماتساويش نعيش فيها متنكدين . وابقى تعالى اقعدى معايا .

- والله كلامك زين ياخالة . احسبينى بنتك تمام . وانتى كل اهلى فى البيت ده وربنا يخلى الحاج .

- بعد هذا الحديث الهادىء شعرت سالمة بشىء من الأمان فرجعت لغرفتها . وفى الأصيل كان الملل قد استبد بها . شعرت بحنين غامض لشىء فى باطنها العميق على وشك أن يتفجر . ظلت ساهمة للحظات ثم قامت فأسدلت ثوبها وبرقعها ونزلت على السلم مهرولة لاتبالى .

توقفت تستنشق نسائم العصر وتراقب العصافير وهى تحوم حول أفنان شجرة التوت وضياء الشمس يميل للحمرة . ويضيىء بعض سحابات صغيرة كأنها مصابيح معلقة على صفحة السماء . وشعرت بحنين لصدر الحاج لتأوى اليه كما تأوى الطيور لاعشاشها . اجتازت الساحة بخطوات سريعة ووقفت تلهث بباب المندرة الداخلى . رأته يجلس فى الصدارة على أريكة من الحرير الأخضر وفوق الجدران نقشت حروف قرآنية بماء الذهب . وبين ذهول الحاضرين تقدمت حتى وقفت أمامه . قالت وعيناها تلمعان فى ثورة :

- اعطينى الاذن بالخروج ياحاج ماعدت

اتحمل الحبس بين الحيطان .
- ياعلوان شد البردعة الحرير على الركوبة البيضة وجهزها للجماعة .
- بهدوء أعطى الحاج الأمر واشاح عنها وواصل حديثه مع الرجال . تراجعت سالمة بخطوات مضطربة وسرعان ما نسيت الحرج وهى تقفز على ظهر الحمار مسرورة تهز ساقيها لتحثها على البرطعة . وضحك العيال من حولها وخلاخيلها تشخلل .

رمحت طويلا بين الغيطان حتى شعرت بالسلام يغمرها . وتحت نخلات متشابكة لونت شمس الأصيل أطرافها توقفت . قفزت من فوق ظهر الحمار وتطلعت للأعالى فى اشتياق . وكما كانت تفعل قبل زواجها ، رمت بشبشبها وشلحت طرف برقعها وثوبها ولفت ساعديها تحتضن النخلة وثبتت أقدامها على نتوء الجذع وصعدت عليها واحدة بعد واحدة حتى وصلت لقمتها بخفة القرود . اقتلعت بيدها وأسنانها فرع سعف لين وحملته فوق كتفها تميل عليه بعنقها وهبطت جذلة . ركبت حمارها وعادت لغرفتها .

فى خلال اليوم الثالث لغياب الحاج كانت قد ضفرت الياف الغصن وصنعت منه مرجونة صغيرة لها غطاء لطيف من الصبر ظلت طوال يومها تجدل منهمكة فى العمل حتى تطرد الأخيلة الشيطانية التى تتصور لها الأوضاع التى يمارسها الحاج مع نسائه . ولم تستطع تخيله مع الحاجة زكية . وتساءلت هل يمارس الجنس كل ليلة كما يفعل معها ؟ وحتى الأصيل كانت قد فرغت من عملها وأتمته وأفلحت فى طرد الهواجس فخرجت متجولة بحمارها تحمل مرجونتها فساومت عليها تاجر فى أطراف البلدة على الطريق الزراعى حيث يمر المسافرون فباعتها له ووضعت الثمن فى جيبها فخورة بكسبها ورجعت بين الغيطان تجتلى سحر الكون فكأنه صفحة من كتاب جامع يفضى اليها بأسراره . وفكرت بما فى الكتب من كنوز المعرفة تمنت لو تعرفها . رجعت وفى نفسها شوق نهم . اقتربت من المصحف الموضوع على مسند خشبى مزركش . قلبت صفحاته تحاول فك رموز الخط ثم قبلته فى خشوع واعادته مكانه . فى المساء أحضرت حسنات النرجيلة والطعام والشاى . فكرت وهى تتجمل أنها لو راقبت تنقلات النرجيلة بين الغرف لعلمت اين يقضى الحاج ليلته . مشطت شعرها بزيت الزيتون وقد حلت ضفائرها وارتدت قميصا زاهى اللون وتعطرت بالعنبر . وانتظرت رجوع الرجل . عاد وفى جيبه جنيه ذهبى ثبتته فى برقعها . راقبها فى عجب وقال :
- أنا ليه عتاب معاكى ياسالمة ، كيف تدخلى مجلسى بين الرجال ؟ دى فضيحة . والحريم كمان مايخرجوش للغيطان إلا إذا كانوا من الشغالات الغلابة . لكن انتى بقيتى هانم مراتى . ثم أنا عايز افهم لما انتى مش ناقصك حاجة ومش عارفة تعملى بالفلوس إيه غير أنك تحطيها فى برقعك ، لزومه إيه تجرحى ايديكى فى الخوص وتبيعيه كمان ؟
- أبه .. أبه .. أنا ياسيدى بنت الصحرا مانا هانم ومالى طاقة على

الحبس مع الحريم وسماع كيدهم ومسخرتهم طول النهار .

- طيب ياسالمة مافيش مانع تخرجى مدام محتشمة . لكن لزوم المراجين وبيعها إيه ؟ كل حاجة بتحصل بأدرى بيها فى الحال .

- أيه .. أيه .. والله ياشيخ ماعيب إلا العيب . واليد البطالة نجسة . لكن مثل الله مابيعطينى باعطى الغلابة من عرق جبينى . لانت أسارير الحاج وجلس بجوارها يسترضيها قائلا :

- معاكى حق فى دى كمان ياسالمة . السيدة صفية زوجة الرسول كانت تغزل الأثواب وتنسجها وتبيعها وتتصدق على الغلابة وسموها أم المساكين . عندى نخل فى الحوض الشرقى . روحى خدى منه مابدا لك وخلى حسنات تبقى معاكى تشيل عنك الخوص .

- والله يازين كل مابتعطينى كل مابطمع فى حنيتك .

- أطلبى روحى فداكى ياغالية .

- الأولة ، تعلمنى الصلاة والقراية فى كتاب الله . والتانية تخرج معى . عندنا البدوى يخرج مع حليلته يرمح بها فى أرض الله الواسعة ولاملام .

ضحك الحاج طويلا . جلس على حشية مسترخيا فجلست بجواره وخلعت عنه عمامته وقبلت رأسه وداعبت خصلات شعره كما كانت تفعل بدميتها التى صنعتها لها أمها من القماش . مسح على لحيته وقال :

- الأوله نقدر عليها . أعلمك الصلاة وأشترى لك راديو تسمعى فيه القرآن . أما القراية والكتابة فالحاجة زكية تعلمك لأنها عايزة وقت طويل وانا مش فاضى ياحبيبتى . لكن التانية دى مستحيلة . يخلصك اهل البلد يمسخرونى بعد شيبتى دى ياسالمة وانا مركزى كبير فى وسطهم ؟ ترضى يتندروا عليه ؟

نأت عنه جانبا وهى تشعر بخيبة أمل . احضر المصحف وقرأ لها آيات من سورة النساء تحضهن على طاعة أزواجهن . نسيت غضبها وأقبلت معه على الطعام وارتشاف الشاى وهو يدخن نرجيلته وأويا الى الفراش .

وهكذا مرت الأيام بسالمة وهى لاتشعر بوطأتها . تخرج مع حسنات تهرول بجوارها وهى راكبة حمارها . وتذهب بدلا عنها للتاجر لبيع السلال . والمراجين التى تقضى وقتها فى صناعتها . وتزور الحاجة زكية فى غرفتها تقضى معها الساعات بغير ملل تعلمها القراءة والكتابة فى لوح اردوازى . وتتحاشى تحرش المراتين الأخرتين بها ، تتناول مايبعث اليها من أصناف الطعام فى رضا . وعندما تحين ليلتها تقضيها مع الحاج فى مداعبات متصلة .

وجاء الصيف وأثمرت أشجار الفاكهة وطالت ساعات الأصيل ، مما أتاح لها أن تطيل ساعات مكوثها بين الغيطان حتى ألف الناس ذلك ولم يعد أحد يستنكره . حتى فكيهة أصبحت حلوة اللسان بعد أن حملت للمرة السادسة وتمنت أن يكون الجنين ولدا هذه المرة . وفى أخر الصيف أعلنت سميرة أنها حامل هى الأخرى فرجع الشجار يدب بينها وبين فكيهة .

وكانت سالمة أحيانا تتندر عليهما فى حديثها مع الحاجة زكية ولكن الحاجة كانت تأمرها بالكف

عن الخوض فى سيرة الناس قائلة :

- إنتى ست محسنة ياسالمة فما تضيعيش عملك الصالح بالكلام فى سيرة الناس .

والواقع أن سالمة كانت تحاول التنفيس عن الشعور الجديد الذى بدأ يعذبها وخوفها من أن تكون عقيما لن تلد بنتا ولا ولدا . وكانت تكثر من الصدقات والدعاء . ولقد أسرت لها حسنات أن ضرائرها يسحرن لها ليوقعن البغضاء فى قلب رجلها وحتى لاتلد . ورغم أنها بفطرتها السليمة كانت تشك فى صحة ماتقوله حسنات ، إلا أنها كانت تسمح لها قبيل كل صلاة جمعة بأن ترش الماء بالرجلة الخضراء على عتبة غرفتها وتطلق البخور وتفرق النذور . تخاف إمكانية التأثير على الحاج بالقول وهو أمر من السحر إذا لم تنجب .

ولكن الحاج رغم أنه يحب كثرة الذرية ويفاخر بها ، إلا أنه كان رجلا متدينا تعلم بالازهر الشريف فى شبابه وإن لم يكمل تعليمه مات والده فاضطر للرجوع للبلدة لادارة أملاكه .

ومر الشتاء وهى تترقب كل دورة شهر أن تعلن البشرى بلا جدوى . وفى اخر الربيع التالي ولدت فكيهة بنتا سادسة وزغردت سميرة نكاية بها مطمئنة الى انها مازالت بصبيانها اكثرهن نصيبا فى إرث الحاج خصوصا بعدما ولدت للمرة الرابعة فجاء المولود ذكرا . وذات ليلة قال الحاج :

- إيه رأيك يا سالمة تخلى الداية تكشف عليكى يمكن تقولك على وصفة مفيدة . ؟

- ابه .. ابه .. أنا ياخوى مابنكشف على مخلوق وكل شىء بارادة الله .. إيش بإيدها الداية ؟ بتخلق ؟

عندما حل أول رمضان تغيرت الأحوال فى البيت الكبير . فلم تعد تسمع اصوات مشاحنات النساء ولا ضجة لعب العيال ولاحركة عمل الأجراء . وأجل الحاج أعماله خاليا الى ربه معتكفا بالمندرة طوال النهار والليل . حتى إذا ارتفع أذان المغرب خرج الى أهله يشاركهم تناول جرعة ماء وتمرة يغيروا بها ريقهم .. وفتح باب المندرة من ناحية الطريق ، وخرج الخدم بصوانى الطعام يدعون المارين الأغراب لطعام الحاج . وتحت شجرة التوت وحتى حافة النافورة تبسط سجاجيد الصلاة . ووقف الحاج يؤم افراد عائلته من الرجال والعيال والخدم ووراءهم تقف النساء مع خادماتهن مصطفا ليؤدى الكل صلاة المغرب جماعة ، حتى اذا انتهوا طويت السجاجيد سريعا وفرشت الحصر ورصت فوقها الوسائد حول طبالى تحمل صوانى الطعام . فتربع حولها افراد العائلة يدنون جانبهم الايمن من الصوانى وياكلون بأصابعهم ماتصل اليه من اصناف الاكل ويروح الشيخ يداعبهم متفكها فى سماحة ويحثهم على التهام الكنافة وارتشاف اقداح قمر الدين .

وفى انتظار صلاة العشاء والتراويح راحوا يجولون متسامرين بالساحة حتى يهضم الطعام وعندما ارتفع اذانه كانت الحصر والوسائد قد جمعت وبسطت سجاجيد الصلاة مرة اخرى فاصطفوا وراء الحاج يستمعون لصوته المرتجف خشوعا وهو يقيم الصلاة مكبرا وتاليا للذكر الحكيم

.. ادوا الصلوات كلها بنشاط بسجداتها الكثيرة . يكتمون الضحك كلما تأوهت فكيهة من ثقل ردفيها . وقال الحاج لها :

– ابقى اقعدى فى اخر الصف جنب الحاجة زكية وصلى وانتى قاعدة . ربنا مش عايزنا نشقى ونتعب فى الصلاة .

وبعد هذا رجع الحاج للمندرة حيث ينتظره الرجال ليقيم الذكر حلقات تتلو حلقات ويستمعون للتواشيح الدينية والمدائح النبوية يصل صداها للنساء وهن فى غرفاتهن فى انتظار طعام السحور ، وعندما يحين موعده تفرق عليهم الخادمات سلاطين الزبادى فيأكلن وينزلن مرة اخرى للساحة فى انتظار صلاة الفجر وبعدها يأوين لمضاجعهن حتى ميعاد صلاة الظهر فينزلن يصلين وراء الحاج . وبعدها تفرغ سالمة لعملها فى غرفتها وتنشط فكيهة وبناتها وسميرة بالمطبخ اما الحاجة زكية فتجلس فى فراشها تقرأ ماتيسر من ايات الله .

هكذا مرت ايام رمضان سريعا وحل العيد فأدى الحاج الزكاة وفرق العيدية على افراد العائلة كلها والتهموا تلال الكعك والغريبة التى تفننت فى صنعها فكيهة .

وفى الليل والحاج يسامر سالمة قال لها :

– ياسالمة انا بقى عندى اسم الله عليهم محروسين محمد ، وابو بكر ، وعمر ، وعثمان ونفسى بقى تجيبيلى على

– بالله ياقرة العين يكفينى اعيش جارك ، خليهم يخلفوا الصبيان والبنات وانا متهنية بقربك .

– لكن ياسالمة انتى لاهيه عن الدنيا ومش دريانة ان الشرع يديكى ربع التمن فى املاكى من بعد موتى . وده شىء بسيط مايكفيش . لكن لو بقيتى ام على يكتر نصيبك وتعيشى بعدى فى امان . سميرة وفكيهة عاملينه سبق مابينهم كل واحدة عايزة تخلف اكتر من التانية علشان يكبر نصيبها فى الميراث . وانتى ولاهمك .

– ابه .. ابه .. الله وحده هو اللى عنده الامان ياخى وهو الرازق .

– طيب يا ام على انا حاكتب الحوض الشرقى باسمك من الصبحية .

استهوت الفكرة سالمة فاحاطت عنقه بذراعيها وقالت :

– والله لاحوطه بسور وازرع النخل فيه صفوف صفوف ، واطلق على مرعاه غنم مالها عدد .

– بس ده بده مال كتير ، وانتى عارفه ضرايرك بيقولوا عليكى ايه ؟

– واعية لقولهم ومابيهمنى . طول مانت معايا والدنيا فى ايدى والكل عبيدى . وانا مدخرة من صنع يدى مال ، والجنيهات الدهب تنفع .

– لا ياسالمة خللى جنيهاتك مزينة برقعك وانا اديكى كل مايلزمك . بس خايف عليكى ، فلاحة الارض عمل صعب مايقدر عليه الا الرجال .

ابه .. ابه .. انا بدوية حرة فى البيت حرمة وفى الغيط راجل .

ضحك الحاج من كلماتها وقد قالتها فى مباهاة وحركات اختيال لتصرفه عن التفكير فى كلام ضرائرها وتأثيره عليه . وكثيرا ماردن قولهن امامها انها راعية غنم فقيرة . فسميرة من اسرة صعيدية عريقة ، وفكيهة ابنة تاجر ثرى اسكندرانى وزكية قد

سلمته أملاكها يديرها منذ أول زواجهما وكثيرا ما راقبت فكيهة فى عجب وهى تختلس المؤن والأقمشة الغالية وتكدسها بغرفتها متكالبة على زينة الحياة الدنيا بعد أن ايقنت من أنها هى وبناتها الست سيرثن أقل من سميرة وأولادها الأربعة .

وكثيرا ما غالبت هواجسها أن يفلحن فى الكيد لها عند زوجهن فيطردها ويطلقها بعد أن أصبحت متيمة به لاتستطيع تصور حياتها خالية من وجوده تتمنى من أعماق قلبها أن يهبها « على » يربطه بها أكثر . لكن لحكمة لاتدركها لم تلد للآن ، وشكت فى أنه ربما يكون الحاج هو السبب وقد أصبح كهلا تهن قواه رويدا مع الأيام . فلم يسعها إلا أن تسبح بغراس الجنة . قالت التسبيحة فى صوت مسموع :

ـ لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

ـ ونعم بالله يا أم على . إننى ست صبورة وصالحة وبتغلى عليه مع الأيام أكثر وأكثر . ودى كانت صناعة الانبياء . وإذا ذكرت الحديث المروى عن أبى هريرة للنسوان لما كتر غمزهم عليكى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ـ "مابعث نبيا إلا رعى الغنم" . فقال له أصحابه « وأنت ؟» قال : « نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة .»

ابتسمت فى رضا ونامت فى أحضانه .

. . . .

منذ أصبح الحوض الشرقى ملكها وهى تخرج من الصباح الباكر حتى آخر النهار ، تراقب الرجال وهم يخططون الأرض ويحرثونها بفؤوسهم ومحاريثهم تهيب بهم أن يتقنوا عملهم . كانوا يتضررون أولا من أن تقودهم امرأة . ولكنهم احترموها ونفذوا أوامرها بعد أن تيقنوا من علمها بما تفعله . كانت لاتنى طوال ليلتها بعد أن يقضى الحاج وتره منها ، أن تسأله مستفهمة عن كل ما يتطلبه العمل . ثم جاءت بشتلات النخيل وزرعتها صفوفا مختلفة الأنواع . وغرست صبار التين الشوكى حول الأرض سياجا يحميها بأوراقه العريضة الشوكية الداكنة الخضرة . ونبتت حول القنوات المشقوقة أعواد الفلية والنعناع الجبلى . وعند الشادوف الذى يرفع بدلوه الماء من القناة الرئيسية الموصلة بالترعة ، اقامت خصا من الطين وسعف النخيل ، وسقفته بجذوع النخل القديم وفرشته بالحصير وحشية من اللوف فجعلته خلوة لها تقضى بها صلواتها وتراقب الرجال . وتعمل ايديها فى الخوص المراجين والسلال وهى تستمع من الترانزستور الى القرآن الكريم . تتقوت بالتمر وجرعات من اللبن تحلبه بنفسها من العنزات التى أطلقتها بلا عدد فى الأرض حتى تعود آخر النهار للبيت ويصحبتها خادمتها حسنات . وأصبحت أحاديثها متنوعة للحاج عن غنمها . فالكبش الأسود غاضب أبدا لايكف عن الشجار والمناطحة والنعجة الصفراء ذات العينين الوديعتين مسكينة قاست طويلا حتى وضعت ثلاث معزات صغيرات يلتقمن أثداءها بشراهة ولايكففن عن الرضاعة وهى مستسلمة لهن بكل حدبها . يستمع اليها الحاج ويود لو يفاتحها فى

أمر على ولكنه يعود ويمسك فلا جدوى من الكلام . فإيمانها بمشيئة الله يبطل كل حججه خصوصا أن السنوات تمر ولم تعد نساؤه الأخريات تنجبن . وبينما كانت تقوى جذوع نخلها وأولاد الحاج يكبرون ويلتحق الذكور منهم بالجامعات وبعض البنات يتزوجن كان الحاج يكبر ويشيخ وتهن قواه . حتى إذا أهل شهر رمضان الرابع عشر لزمت الحاجة زكية غرفتها وقد اشتد عليها المرض فكانت أم على تقضى بجوارها الليل تمرضها وتسهر على راحتها وتقرأ لها القرآن من المصحف بعد أن اصبحت تجيد القراءة وكثيرا ما ترك الحاج حلقة الذكر وصعد ليعودها فيشترك معها في بعض ساعات من السهر ويتجاذب معهما الحديث عن معانى الآيات والحكمة من العبادات . وقالت الحاجة زكية ذات ليلة أمام الحاج وأم على :

- أنا ياحاج وهبت ليلتى لحبيبتك سالمة السيدة . سودة بنت زمعة وهبت ليلتها للسيدة أم المؤمنين عائشة لما عرفت حب الرسول لها . وأنا عجزت وعيانة ياحاج . ووصيتى لك تاخد بالك منها .

- ياسلام على طيبة قلبك ياحاجة . ربنا يشفيكى وأنا ماليش بركة غير بأم على انتى عارفة إن نخلها بقى بيجيب ايراد كويس بيساعدنى على طلبات الحيلة اللى عماله تتقل عليه ؟

- المال مالك ياحاج وربنا يدى العافية للحاجة . والله هى فى غلاوة امى تمام .

قالت ام على ومالت على الحاجة تقبل جبينها .

وبعد العيد اصبح الحاج يقضى ليلتين مع ام على وليلتين مع زوجتيه الأخرتين . وكان لايزال مالكا لقواه الجنسية يمارس كل ليلة الحب مع أم على . وقد نشب فى صدره سعال مزمن من أثر المكيف ولكنه لم يكف عن تدخين نرجيلته . ومع ذلك لم تهدأ الغيرة فى صدر أم على فى الليالى التى يقضيها مع زوجتيه الأخرتين . كذلك لم تكفا عن الشجار والمكايدة رغم تقدم العمر بهما .

وفى ذلك اليوم الذى لسع دبور أحمر أم على فى وجهها وتسبب فى تورم عينها ، كاد الحاج يجن



خوفا عليها . وحملها على حصانة وهرع بها لطبيب الوحدة الصحية . وظل بعد ذلك ملازما لها يقرأ لها فى الكتب يسليها حتى نزعت الرباط عن عينها وعادت تذهب لعملها وألف الناس بعد ذلك أن يشاهدوا الحاج وهو يمر على نخل أم على يشاركها رعايته لساعات بخصها ويرجعان سويا فى الغروب يتهادى بحصانه حتى لايسبق حمارها ، تجرى وراءهما حسنات تحمل اناء لبن أو قفة بلح . وأحيانا كانت أم على تهدى إحدى الجديان للبيت فينحر وتدخل المطبخ تشرح لفكيهة كيف تنقع جذله فى اللبن قبل شيه . وقد اطمأنت تماما لحب زوجها لها ولكن الغيرة لم تهدأ وكانت تتذكر حديثا للسيدة عائشة تقول فيه أن من تتحمل غيرة الضرائر وتصبر فهى فى مصاف الشهداء . فكانت تتخلص من عذابها فى التفانى فى عملها . اقامت فى ناحية من أرضها تعريشة بسعف النخيل واستضافت بناتا وأولادا صغارا تعلمهم صناعة السلال يتكسبون منها مما جعل اهل البلدة يكبرونها ولايجدون فى سلوك الحاج معها شيئا غريبا .

وتجرأت أم على بعد ان أصبح الحاج لايقوى أياما على النزول للمندرة ، على أن تدخلها بدلا منه وتدير العمل نيابة عنه . حتى تعود أن تجلس بجواره تساوم التجار طويلا حتى ينزلوا على إرادتها ويوافقوا على السعر الذى تطلبه ودائما كان برقعها مسدلا على وجهها الذى انضج جماله مر السنين وأصبح البرقع مرشوما بصفوف من الجنيهات الذهبية بلا عدد مما كان يضفى عليها طابعا خاصا مختلفا عن باقى حريم البلد . كما أصبح نخل أم على شهيرا من معالم البلدة التى يفاخر بها أهلها الزوار . ويخرج الأهالى للتنزه عنده طائفين حوله .

وفى الشتاء توفت الحاجة زكية فحزن الجميع عليها وأعلنت الدار الحداد . وافتقدت أم على المسامرة مع صديقتها الوحيدة . كما سافرت سميرة لأولادها بالقاهرة لترعى مصالحهم . وبعد الأربعين صنعوا فطير الرحمة وتصدقوا على روح المرحومة فى المقابر وقرءوا على قبرها القرآن . وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى خرجت فيها فكيهة متلفعة بملاءتها بصحبة أم على . وفى أول الصيف بدأ المرض يثقل على الحاج الذى بدى مهدما . فاستأذن فكيهة فى أن يرقد أيام مرضه بغرفة أم على . فكانت أم على تختطف ساعات قصيرة فى إدارة اعماله ورعاية نخلها ثم تعود لتقبع بجوار الشيخ المريض تحنو عليه كأنه طفلها وتدلله وتلح عليه حتى يرضى أن يتناول بعض الطعام والدواء .

وفى رمضان التالى لم يستطع الحاج الصوم وكان يصلى بفراشه وهو جالس . وعندما قارب من الواحد وسبعين سنة وافاه الأجل ومر به الطائف وهو متوسد لصدر أم على . أسندت الراس الحبيبة على الوسادة وقامت فصلت عليه صلاة الميت وتذكرت نهيه النساء عن العويل واللطم عند موت الحاجة فأمرت الموجودين بالخشوع للموت . وارتفع صوت المرتل بالقرآن يضفى حرمة مهيبة على اللحظة الرهيبة التى تمر بهم . وبعد جنازته وخلو البيت منه أحست بالغربة

وطال بها النهار كدرب لانهائى فى صحراء قاحلة .

ويموت الحاج اشتعل الشجار واتخذ شكلا حادا بين النساء والأولاد على قسمة الأرض واتخذت أم على منهم مكانة القاضى فرضوا بحكمها بعد ان أعلنت تنازلها عن حقها فى البيت والأثاث والميراث . كما أعلنت أنها تهب نخلها للبنات يرثنه بعد موتها .

خلعت أم على من برقعها صفوف الجنيهات الذهبية واسلمتها لمحمد اكبر أولاد الحاج ليبيعها لها ويرتب رحلة تحج بها لبيت الله الحرام . وحين رجعت كانت قد تحولت لامرأة وقور تدرك حكمة الوجود . يخط شيب الأربعين فوديها وجدت ان الشجار مازال يدب بين فكيهة وسميرة فنصحت فكيهة بأن ترحل ببناتها للاسكندرية حتى تجد لهن الأزواج اللائقين وتترك ادارة ميراثهن لأخيهم الكبير . فوافقت فكيهة ورحلت وهدأ البيت . وفى اليوم التالى أعلنت أم على عزمها على المكوث نهائيا ببستانها بين الأولاد الذين اتخذتهم تحت رعايتها وبين قطيع غنمها الحبيب الى قلبها . لم تصدق سميرة أن البيت أصبح لها وحدها حتى راقبتها وهى تخرج راكبة حمارها بعد أن ودعت حسنات .

....

لم تلتفت أم على وراءها والغروب الساكن يلفها :

- "هيه اللــه جاب ... اللــه خد" .

ومن خلال نفس الطريق الذى أحضرها منه الحاج لبيته منذ سنوات طويلة ماضية ، وكانت وقتها فتاة صغيرة جميلة ترتدى ثوب الزفاف تحت ثوبها البدوى وبرقعها وتركب وراء الحاج على حصانه محتضنة خصره ، الآن ترجع أرملة ترتدى ثوبا باهتا أسود وبرقعا حال لونه وبقيت دوائر شديدة السواد مكان الجنيهات الذهبية المنزوعة وعروسه المرجانية مرتكزة على أنفها . مرت حياتها بين الرحلتين كخيط سريع من الذكريات . صعد حمارها نفس التعرجات بحوافره . فكرت أن الأعوام القادمة من عمرها لن تكون لها معنى أكثر من انتظارها حتى تتوسد الثرى فى سلام . وبين الرحلتين كانت الأعوام كلها سعادة ، فابتسمت للخاطرة . أمامها شاهدت ارض المقابر حيث يرقد حبيبها . نظرت عبر المصاطب الطينية المطلية بالجير والشواهد الحجرية المقامة عليها وتمتمت :

- السلام عليكم يا أهل المقابر ، أنتم السابقون ، ونحن اللاحقون .

عندئذ استدار الحمار تلقائيا ، واتخذ طريقه نحو الحقول ناحية النخل الذى تقف صفوفه مستقيمة خلف الأسوار الشوكية والتى اشتهرت « بنخل أم على » والتى ازمعت أن تكرس باقى حياتها وأيامها القادمة عندها .

- أبه ... أبه .. كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام "صدق الله العظيم" .

بينما كانت تقول ذلك بصوت عال ، أسرع الحمار فى خطواته وكأنه يعرف أنها نهاية رحلاته . وفى نفس اللحظة وفى سرعة مفاجئة اختفى قرص الشمس وراء الأفق مخلفا أشباح النخيل الداكنة ناشرا خلفها مسارات رائعة قرمزية على صفحة السماء بلون الدم



راهب فى محراب العلم

بقلم : د. صلاح خليل

« ان من المميزات الشجعة لهذا العصر - الذى عادة ما يوصف بانه عصر المادية - انه يختار ابطاله دائما من بين هؤلاء الافراد الذين تقسع اهدافهم بالكامل فى دائرة الفكر والروح» .

« البرت اينشتين »

يعتبر البرت اينشتين (١٨٧٩ - ١٩٥٥) واحدا من اشهر العلماء الذين عرفتهم البشرية ، حيث يحتل مكانة فريدة فى التاريخ الحضارى لبنى الانسان ، وليس الهدف من هذه السطور تعريف القارىء بهذا العالم العظيم بقدر ما هى محاولة لالقاء الضوء على التكوين العقلى لهذا الرجل الفذ ، واظهار مدى تميزه بالنسبة لعلماء الفيزياء الذين عاصروه واضافوا ايضا الكثير الى علم الفيزياء .

وربما يكون ما لفت نظرى الى هذا الرجل ، ليس اكتشافاته العلمية، وليست نظريته الشهيرة عن النسبية وليس حصوله على جائزة نوبل فى الفيزياء ، ولكن هذا الرجل كان يتحدث عن العلم والفيزياء ، كما يتحدث رجل الدين عن العقيدة والايمان ، لقد كان اينشتين يقول فى تواضع « أن الفضل لا يرجع له فى اكتشافاته العلمية ، لانه كان يحس ان ما كان يتوصل اليه يكاد يشبه الوحى أو الالهام » .

اينشتين .. عملاق فى عصر العمالقة

برز اسم « اينشتين » كاعظم عالم فيزياء عرفته البشرية فى فترة ازدحمت بظهور عمالقة من العلماء فى نفس المجال ، فقد عاصر وجود مارى وبيير كورى مكتشفى الراديوم، والعالم العظيم ماكس بلانك - مكتشف قوانين الاشعاع والتى كانت أساسا لنظرية الكم quantum theory

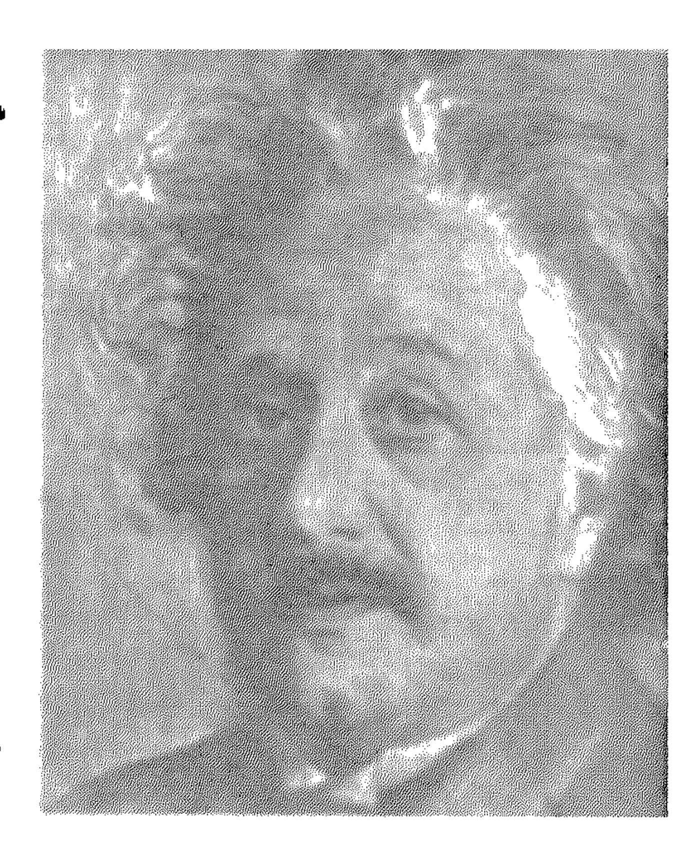
كان رجلا عاديا او مثقفا ، اما باقى هؤلاء العلماء ، فلا يعرفهم سوى المتخصصين فى الفيزياء . لماذا اذن يعتبر اينشتين أعظم عالم فيزياء فى عصره مع وجود كل هؤلاء العمالقة فى نفس الحقبة من الزمن ؟ .

اينشتين .. لمحة من تاريخ حياته

ولد اينشتين - فى المانيا فى ١٤ مارس عـــام ١٨٧٩ - ودرس فى المانيا وسويسرا وكان تلميذا مجتهدا (رغم ما يشاع خطأ انه لم يكـن تلميذا بارزا فى دراسته) وتخـرج أينشـتين فى الجـامعة الفيدرالية بسويسرا بدرجة فى الفيزياء ، ولاقى بعض الصـعوبات فى بداية حياته العلمية ، فلم يتمكن من الحصـول على عمل فى مجال اكاديمى الا بعد مرور اكثر من تسع سـنوات من حصوله على درجته العلمية الاولى ، ولكن رغم ذلك ، استمر فى ابحاثه مسـتقلا بنفسه - وهذه احـدى خصائصه - فحصل على الدكتوراه من الجامعة الفيدرالية بزيورخ ، عام ١٩٠٥ ، وفى نفس السنة نشرت له ٣ أبحاث فى الفيـزياء (هذا ليس معدلا عاديا للنشر) ويمكن تلخيص تلك الاوراق العـلمية المبكـرة له كالاتى :

● كانت الورقة الاولى له عمـا يسمى « بالحـركة البراونيـة » وفيها تعرض أينشتين لبعض عناصر النظرية الذرية والتى كانت فى ذلك الوقت مجرد فروض مشكوك فيها .

● اما الورقة الثانية - فقـد تناول فيها اينشتين أفكارا جديدة عن الفضاء والزمن وأسماها « النسبية الخاصة » ورغم اهمية هذه الورقةفانه



البرت اينشتين

وعاصر ايرنست رذرفورد - والـذى مهـد بعبقريتـــه الى فهم تركيب الذرة فى أوائل هذا القرن ، وعاصر أيضــا - نيلز بوهر - العــالم الدانمركى الذى صــاغ بنظرياته ما امكن به تفسير تجارب رذرفورد - وعاصر اينشتين أيضا - لويس دى بروجلى - مكتشف الطبيعة الموجية للمـادة - وعـــاصر ايضـــا العبـاقرة الثلاث - هيـــزنبرج وشرودينجـر وديراك - مؤسـسى النظرية الحديثة للمادة والمعـروفة باسم الميكانيكا الموجية WAVEMECHANICS هؤلاء هم عمـالقة علم الفيزياء - الذين عاصرهم « اينشتين » ، وبرز اســمه بينهم ، بل انه سبقهم فى الشهرة ، فالكل يعرف اينشتين سواء

ألبرت اينشتين

لم يستوعبها الا عدد قليل من علماء الفيزياء النظرية فى ذلك الوقت .

● تناولت الورقة الثالثة الخاصية الازدواجية للاشعاع وقد أظهرت هذه الورقة التفكير العلمى الناضج لهذا العالم الشاب .

وعلى الرغم من تجاهل معظم العلماء (العاديين) المعاصرين له فى ذلك الوقت لاعماله المنشورة ، لاسباب سوف نعود لها مرة أخرى ، فان قليلا من علماء الفيزياء (الكبار) استطاعوا تفهمه وتقديره، ومن هؤلاء العلماء ، العالم الكبير - ماكس بلانك - وغيره ، والذين بدأوا فى ضمه الى المجتمع العلمى فى ذلك الوقت وفى عام ١٩٠٩ ، منحته جامعة زيوريخ - التى تخرج فيها درجة الاستاذية ، وترك أينشتين وظيفته العادية خارج الجامعة ، الى جامعة زيوريخ . وفى عام ١٩١٣ ، تلقى دعوة من الاكاديمية الملكية البروسية للعلوم لشغل وظيفة رئيس قسم الفيزياء بمعهد بحوث كايزر ويلهم التابع لجامعة برلين ، ولم يكن هناك اكثر من هذا الشرف يمكن أن تمنحه له المانيا .

واستمر اينشتين فى أبحاثه الخاصة بطبيعة الاشعاعات واستطاع اضافة الكثير الى فهم اعمق لتركيب الذرة ، وفى عام ١٩١٥ - ١٩١٦ - جاءت صياغته الثانية للنظرية النسبية - والمعروفة باسم النسبية العامة ، وبظهور هذه النظرية ومعادلات اينشتين الجديدة عن حركة الشمس والكواكب ، تقوضت أركان معادلات نيوتن ، وفى عام ١٩١٩ ، استطاعت مجموعة من العلماء الانجليز اثبات بعض ما تنبأ به « اينشتين » فى معادلاته الجديدة - وذلك عن طريق بعض القياسات الفلكية ، واحدث ذلك ضجة عالمية جاءت لاينشتين بشهرة فائقة تربع على أساسها على عرش الفيزياء النظرية فى ذلك الوقت ويعتبر عام ١٩١٩ عام بداية الشهرة العالمية لاينشتين The low of pholo electric effect

وحصل اينشتين على جائزة نوبل فى الفيزياء عام ١٩٢١ وذلك عن ابحاثه فى مجال التاثير الضوئى الكهربى

واعماله فى مجال الفيزياء النظرية والغريب أن « النظرية النسبية » لم تؤخذ فى الاعتبار عند منح اينشتين جائزة نوبل فى الفيزياء .

● اينشتين .. اضواء على فكره .. عالم ام فيلسوف ام صاحب رؤية

وفى عام ١٩٣٢ غادر « أينشتين » المانيا نهائيا الى الولايات المتحدة الامريكية حيث انضم الى جامعة « برنستون » وتوفى هناك فى ١٨ ابريل عام ١٩٥٥ .

على الرغم من صعوبة القاء الضوء على فكر أينشتين واثبات تفرده فى هذه السطور القليلة ولكننا سنحاول ابراز اهم معالم فكر هذا العالم العظيم وبيان انه كان « عالما » غير عادى على اقل افتراض .

تدل الكتابات العديدة التى كتبت عن أينشتين بواسطة طائفة من العلماء الذين عاصروه أو عملوا معه أن هناك شيئا فى بنائه العقلى يميزه عن العلماء العاديين ويجعله عالما لا نظير له ، ومما يؤكد هذا الاعتقاد كتابات اينشتين نفسه وطريقة توصله لنظرياته العلمية التى اكتشفها ، ولنتناول ذلك بشىء من التفصيل :



اينشتين . قبيل وفاته . وقد استسلم لخبير في قياس
تموجات المخ . لقياس مخه لمعرفة سر عبقريته

من المعروف ان عالم الفيزياء التجريبي يتوصل الى عدة نتائج مبنية على التجربة ، ثم يأتى دور عالم الفيزياء النظرى لمحاولات ايجاد صيغ رياضية تتفق مع تلك النتائج العملية، فاذا كان محظوظا ، فانه يتوصل الى صيغة رياضية شاملة تناسب نتائج عدة تجارب معملية والى هنا ينتهى دور كل من عالم الفيزياء التجريبى والنظرى • والمثال على ذلك .. ما فعله « اسحق نيوتن » حيث استخدم القياسات الفلكية التى حصل عليها « كبلر » وصاغ نيوتن منهما قانون جاذبيته الشهير •

« اما نقطة بداية اينشتين فقد كانت مختلفة تماما ، فهو لم يتبع في التوصل الى نظريتيه في النسبية الترتيب الشائع الذى شرحناه انفا ، فلم تكن هناك نتائج او ملاحظات تجريبية فى حاجة الى صيغة رياضية لوصفها ، ولم تكن وراء نظرية أينشتين قياسات جاذبية أو فلكية جديدة ، لقد قامت نظرية أينشتين على اسس تخمينية بحتة • « احس اينشتين ان هذه الاسس انما تقوم على اكثر من مجرد علاقات صدفة ، وانها لابد وان تقوم على مبادىء اساسية تحكمها ، وبهذا التفكير توصل اينشتين بمنطق رياضى قوى الى معادلاته المشهورة عن الجاذبية، لقد كان ما توصل اليه اينشتين فى ذلك الوقت ـ نوعا من السحر الاسود ، ان الاقتراب المعتاد هو عمل التجارب أولا ثم محاولة صياغة النتائج ـ ولكن اينشتين جاء ليعكس الامور ، متبعا ما حاوله الاقدمون لفهم الطبيعة على أساس من الاستدلال المنطقى وذلك قبل ظهور المدرسة التجريبية ، وقد نجح اينشتين فيما فشل فيه الاقدمون » •



لقد كانت النظــرية النســبية الخاصة اكتشافا مدهشا - في ذلك الوقت - فتح بابا جــديدا للفكر الانسانى وغير العـديد من المفاهيم عن الفضاء والزمن ، وقــد توصل اليها أينشتين وهو بعد فى السادسة والعشرين من عمــره ، ثم جاءت الصياغة الثانية للنظرية النسبية وهى النسبية العامة - بعــد عشر سنوات من الصياغة الاولى للنسبية الخاصة - لتغيــر المفــاهيم مرة أخرى ، حيث استطاع أينشتين هــذه المرة ادماج كل من الفضاء والمادة والزمن فى علاقات مترابطة ٠

ومن الجدير بالذكر فى هـــذا المقام ، الاشارة الى أن « أينشتين » لم يكن فقط صاحب النظــرية النسبية ، ولكنه اكتشف أيضــا العـديد من الاساسيات فى الفيزياء النظرية مثــل ابحـــاثه فى طبيعة الاشعاعات والتاثير الضوئى للكهربية وغيرها ، ان أشعة الليـزر والميزر اللتين مكنتا الانســان من ارســال ضوء الى القمــر والحصول على استجابةمرتدة منه ، واللتين بفضلهما أستطاع الانسان ايضا احداث ثقب دقيق فى اكثر المواد صــلابة وهى الماس ، ان هذه الامكانيات انمــا قامت على اعمال ونظريات وضعهـا أينشتين - كالمعادة - قبل أن تجـد تطبيقا لها بزمن طويل ٠

فاذا عــدنا الى اوراق اينشتين العلمية وجــدنا انه كان قادرا على التعبير عن نفسه بلغة رصينة راقية ، وكانت اوراقه تتميز - الى جــانب خصوصيتها وتميزها اللغوى - انها لم تكن تحتــوى على الكثيــر من الصياغات الرياضية ، لقد كان بهـا الكثير من التعبيرات اللغوية والشرح بالكلمات ، والاقل من التعبيــرات والمعادلات الرياضية وفى النهاية ، ياتى الاســتنتاج ، والـذى يبـدو بوضوح انه تم التوصل اليه بسهولة ومنطق لا يمكن ضحده كما تدل على ذلك طريقة صياغته ٠

والغريب انه كان يتوصــل الى ما يتوصل اليه من نتــائج دون الاستعانة باية مراجعأخرى وكأنه اتى باستنتاجاته وكانها وحى أوحىاليه ذلك قائلا فى تواضع ، ان ما توصل اليه من اكتشافات لا يمكن ارجاعــه الى فضل له ولكن الى ما كان يوحيه اليه عقله ، ولعل ذلك سبب استخدام لفظ تضمينات

فى وصف طريقة توصل أينشتين الى العديد من اكتشافاته ٠

ولعل ذلك ما جعله فى البداية - موضع شك العديد من العلمــاء المعاصرين له ، أن رجلا يكتب بهـذا الوضوح ثم بالقليل من التعبيــرات الرياضية التخصصية لا يمكن اخـذه بجدية ، هكذا كان يظن بعضهم ، فقد كان غريبا عليهم ان يتم التوصـــل الى تلك الاستنتاجات الهامة ، وبهذه القوة فى الحجة ، بدون مشقة واضحة بالاضافة الى عدم الاستعانة بمراجع اخرى ، ولكن هذا كان رأى العلمــاء « العاديين » الذين كان العلم بالنسبة لهم « حــرفة » وليس « عقيــدة » يؤمنون بها ويخلصون ويتفرغون لها كما كان العلم بالنسبة للقليل جدا من العلماء «الحقيقيين» مثل «أينشتين» لقد مارس «أينشتين» « لعبة العلم » اذا جاز هذا التعبير طبقا لقواعــد اخرى ، تختلف عن القواعــد التى مارس بها معظم معاصريه من العلماء نفس اللعبة لقــد كان « العــالم ،

بالنسبة له هو المهم وليس « اللعبة » التي يلعب بها مع « العالم » .

« لقد كان لاينشتين اقتراب مختلف تماما - وكان هذا الاقتراب موجها الى الاكتشاف الاعمق والشامل لغوامض العالم الذي نعيش فيه ، ولعل هذا الاختلاف في طريقة التفكير، هو ما فصل اينشتين في المراحل المتقدمة من عمره عن العديد من زملائه علماء الفيزياء ، بل لقد اصبح « اينشتين » في نظر البعض منهم ليس عالما في الفيزياء ، بل عالما لما وراء الطبيعة Mitaphrstcist ولكن على الرغم من ذلك ، فان اينشتين ظل محتفظا بهيبته العلمية حتى آخر لحظة في عمره ، وكان دخوله أي قاعة من المحاضرات ، لحضور مناقشة علمية ، مصحوب دائما بموجة صمت واجلال ونظرة احترام لم يحظ بها احد من العلماء في هذا العصر ، اما بالنسبة لاينشتين ، فلم يكن يعبأ كثيرا بتلك الحواجز الظاهرية التي تقسم بين مختلف الانشطة الابداعية للعقل البشرى ، ولعله كان يشبه في ذلك سلفه العظيم - الفلكي العالم «كبلر» من حيث تقارب الاحساس والتفكير لقد كان اينشتين في رأى الكثيرين ينتمي الى تلك الطائفة من البشر اصحاب الرؤية - الفنانين والكتاب والشعراء ، لقد كان ينتمي الى هؤلاء اكثر من انتمائه الى العلماء المحترفين

وفي رأى كاتب هذه السطور ، فان ذلك يعنى ببساطة انه كان عالما ذا رؤية متكاملة للعالم من حوله ، وقد انعكس ذلك على طريقة توصله لاكتشافاته كما انعكس على طريقة كتابته لابحاثه وقدرته اللغوية الفريدة على التعبير عن نفسه ، وقد تميزت مناقشاته أيضا ، كما يؤكد الذين عملوا معه عن قرب بوضوح رؤيته الى جانب استخدامه لالفاظ غريبة على التعبير العلمي الجاف ، فكان يتكلم عن « جمال » « وتناسق » بعض نظريات الفيزياء ، وكانت تناولاته العلمية تختلط دائما مع حسه الفني وحبه للموسيقى ، وكان يؤكد دائما على اهمية القدرة على التخيل فقد كتب في احدى المقالات عن العلم « ان القدرة على التخيل اكثر اهمية من المعرفة ذاتها » ، وكان احيانا ينتقد المعالجة الاحتمالية ★ Probabilistic لبعض نظريات الفيزياء - رغم انتشارها واستخدامه هو لها في العديد من اعماله قائلا .. « ان الخالق لا يلعب النرد » ، وكان يؤمن ايمانا قويا بالخالق الجبار ، وكان يقول : ان هذا العالم لا يقوم على عشوائية رياضية بل انه قائم على رياضة عالية التنسيق خاضعة لحكمة كونية لخالق قادر عظيم .

اينشتين والقنبلة الذرية

أن القارىء لماكتب عن « اينشتين» واتجاهاته السياسية ، يلمح باستمرار وصفه بانه كان انسانا مسالما ينادى بالسلام ويؤمن بالتعايش السلمي بين الشعوب ، فلقد

★ تغير فكر اينشتين بالنسبة للمعالجات الاحصائية والاحتمالية لمشاكل الفيزياء في المرحلة المتقدمة من حياته

ألبرت اينشتين

كان اينشتين احد المنادين بالحكومة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، كما كان على رأس المنادين بالاستخدام السلمى ، والسلمى فقط للطاقة الذرية، ولكن موقفه اثناء الحرب الثانية كان مختلفا بعض الشيء ، ويبدو أن كراهيته لالمانيا النازية ، وخوفه من سيطرتها على العالمدفعاه الى اتخاذ موقف مختلف عما كان ينادى به قبل وبعد الحرب ، ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ـ قبل اينشتين ان يعمل « مستشارا » للبحرية الامريكية قسم الاسلحة ، ويذكر له قوله فى ذلك : « ان القوة المنظمة لا يمكن مقاومتها الا بالقوة المنظمة ٠٠ انى اسف لذلك ولكن لا يوجد حل اخر»، اما موقفه من القنبلة الذرية ، فمن المعروف انه قبل ، بناء على اقتراح من اثنين من العلماء (ليوزيلارد ويوجين فيجز) ان يوقع على خطاب موجه الى الرئيس الامريكى «روزفلت» لتوجيه نظر الاخير الى اهمية الاسلحة الذرية واستخدام الطاقة النووية فى الحرب ، ثم عاد وكتب اليه مرة اخرى عام « ١٩٤٠م »، وبصرف النظر عن مدى تاثير هاتين الرسالتين على قرار الرئيس«روزفلت» ببدء الابحاث الخاصة بالقنبلة الذرية، وما قيل ان الرسالة الثانية لاينشتين وجدت مقفولة على مكتب روزفلت بعد وفاته فان كتابة هذه الرسائل توضح موقف اينشتين من هذا الموضوع ، وقد ذكر اينشتين فى سنين لاحقة فى هذا الخصوص ٠٠ ما يظهر ندمه على توقيع هذه الرسائل ٠٠ فقد قال « لو اننى كنت اعلم ان الالمان لن ينجحوا فى انتاج قنبلة نووية لما رفعت اصبعا ٠ » ، ويبدو أن كراهيته لالمانيا النازية كانت دائما وراء مواقفه من العسكرية والحرب اثناء الحرب العالمية الثانية ٠

واخيرا فهناك الكثير فى حياة هذا العالم العظيم لم يتسع المجال لذكره هنا ، خصوصا عن حياته ومحاولاته العلمية فى الفترة الاخيرة من حياته ، ولكن ماحققه اينشتين خلال عمره الحافل يكفى ان يكون مادة للبحث العلمى لعدة سنين قادمة ، لقد أثبت اينشتين ـ عظمة العقل البشرى وامكانياته اللامحدودة، واستطاع برؤيته الشاملة للعالم من حوله وتاملاته العميقة ان يضيف الكثير من المعرفة لاسرار الكون من حولنا ، لقد فعل ذلك ، بايمان عميق بخالق هذا الكون ، والذى كان يؤمن بوجوده فى كل خطوة يخطوها نحو اكتشاف روائع خلقه

اينشتين ـ الموسيقى للروح ـ والعلم للبشرية ـ





● سمعت السيد وزير الاوقاف اخيرا يقــول فى خطبة مذاعة : « طفلان توأم » ٠٠ والصواب « توأمان » ٠٠لانهما اثنان ، والواحــد « توأم » ولا يوصف المثنى بصفة المفرد ٠٠ والجمع « توائم » ولا تستطيع أن تقول : « أربعــة توأم » كما لا تستطيع أن تقول : « اثنان توأم » ٠٠ وهذا الخطأ شائع جدا فى الصحف وأجهزة الاعلام ويقع فيه كثير مـن المتحدثين والكاتبين ، فلزم التنبيه والتنويه ! ٠٠٠

● تقول العامة : « استحكمت فينا شدة الايام » ٠٠ أما « الادباء » فيقولون : « تحكمت » بدلا من « استحكمت » ويظنون أن العامة عــلى خطأ ، ولكن العــامة والادباء ـ جميعا ـ على صواب ٠٠ وقديما قال الامام الشافعى عن نوازل الايام وشدائدها :

ضــاقت فلما اســتحكمت حلقـــاتها
فرجــت وكنـــت اظنهـــا لا تفــرج

كأنما العامة فى قولهم « استحكمت » يتبعـون « مذهب الامـــام الشــافعى » ! ٠٠

● العامة تسمى شارب الرجل « الشنب » ٠٠ وانما الشنب هــو الاسنان أو بياضها وعذوبتها ، ويسمى الشعر الذى فوق الشفة العليــا للرجل شاربا لانه يشرب الماء مع الشفتين ، والجمع « شوارب » ٠٠ وكانت عادة الناس قديما احفاء الشوارب ٠٠ أى : حلقها ، مع ابقــاء اللحيــة والفرة ٠٠ قال المتنبى يهجــو كافورا وحاشيته بمصر قبــل الف ســنة :

اغــــاية الدين ان تحفـــوا شــواربكم
يا امــة ضحكت من جهلهـــا الامم ؟!

● وتقول نساء العامة حين يتشاتمن : « جاتك نايبــة » ٠٠ أى « جاءتك نائبة » وهى « المــصيبة » وجمعها « نوائب » و « نائبات » ٠٠ والمذكر « نائب » ٠٠ قال الامام الشافعى ايضا :

وما اكثــر الاخـــوان حــين تعـــدهم
ولــكنهم فى النائبــــات قليـــــل

وللاسماء والافعال والمصادر فى هذه المادة اللغوية معــان اخــرى كثيرة مختــلفة ٠٠٠

● مياه عذبة للعرب ●

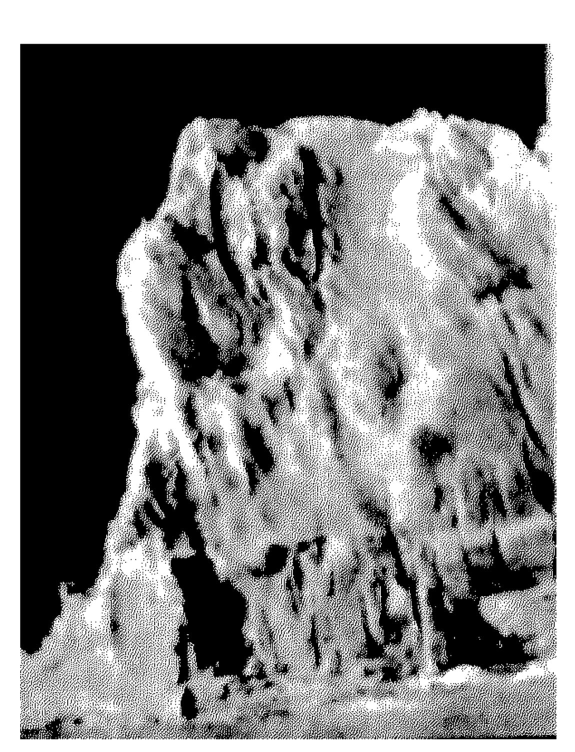
يعانى معظم البلدان العربية من نقص فى المياه العذبة ، فكثير من أنهارها تتعرض للجفاف ، ونسبة الامطار المتدنية ، واحتياطيات المياه الجوفية المحدودة ·

وفى سنة ١٧٥٠ دفع تيار المياه الى شواطىء فرنسا جبلا جليديا هائلا من جرونيلند ، واستمر ذوبان هذا الجبل ما يقرب من العام ·· ويومها ذهبت الافكار الى الاستفادة من جبال الجليد لتلبية حاجات الانسان ·· لكن احدا لم يأخذ هذه الافكار مأخذ الجد لسنوات طويلة· غير أن تفاقم النقص فى المياه العذبة دفع الاختصاصيين فى كل البلدان المتقدمة الى دراسة امكان الاستفادة من الجبال الجليدية ، وفى عام ١٩٧٧ عقد أول مؤتمر عالمى حول هذا الموضوع ، ومنذ ذلك الحين تتوالى الحلقات الدراسية التى تبحث فى الجوانب العملية المختلفة للاستفادة من هذه الجبال ·

وقد صدرت أخيرا دراسة طريفة عن فريق ضم مهندسين وهيدرولوجيين وجيوفيزيائيين وخبراء فى الطاقة والبرمجة والدبلوماسية وشؤون البيئة · وبين التقرير أن نقل جبال الجليد أرخص من عمليات تحلية مياه البحر ، التى أنفق عليها الامريكيون وحدهم ما يقرب من ١٥ مليار دولار ، دون أن يتوصلوا الى النتائج المنشودة ·· اذ يزيد من صعوبة الامر ضرورة انشاء شبكة من المحطات الذرية الخاصة بتحلية مياه البحر لن يزيد الانتاج السنوى للواحدة منها على حجم جبل جليدى متوسط (١٠٠ مليون طن من المياه) ·

وبينت الحسابات أن تكلفة الحصول على متر مكعب من الماء العذب من الجبل الجليدى أقل من ٥٠ ــ ٦٠٪ من تكلفة التحلية ·· والدخل الصافى من جبل جليدى واحد ، حتى وان ضاع ثلثا حجمه فى الطريق ، يتراوح بين ٣٠ و ١٢٠ مليون دولار ·· هذا مع العلم أن الجليد ماء مصفى ، الامر الذى يمكن من استعماله فى الرى بعد خلطه بمياه البحر ··

والطريف أن احتياطيات مثل هذا المصدر لاتنضب اذ تحوى الانتاركتيد



٧٠ ـ ٧٥٪ من مجمل الماء العذب في كوكبنا • وانه يسبح في كل مائة كيلو متر مربع من مياهه زهاء ٦٠ ـ ٨٠ جبلا جليديا بالمقاييس التي تصلح لعملية النقل (٢٠٠×٥٠٠×١٠٠٠ متر) •

وقد وضعت خطط متكاملة تبدأ برصد احداثيات الجبال الجليدية الطوافة ، حتى « تصطادها » سفن مجهزة خصيصا وتنقلها خلال خمسة شهور عبر المحيط الهندي الى خليج عدن ، حيث يمكن اذابتها هناك وتوزيعها على بلدان الجزيرة العربية •

وقد ابتكرت مجموعة من الاجراءات الوقائية لتجنب خسائر الذوبان في الطريق تصل الى ٩٠٪ ـ وذلك بتقليل سرعة الانتقال لتقليل الاحتكاك وباستخدام ستائر تصون الغاطس من الاحتكاك ، وضخ خليط المياه الذائبة ومياه البحر وتخزينه في اوعية خاصة بالسفن الناقلة •

وبلغ تفاؤل المجموعة التي اجرت الدراسة حدا دفعها الى التفكير في تخزين ما يفيض ـ من المياه المنقولة ـ عن الحاجة الاتية ، في الابار الفارغة حتى تظهر الحاجة الى استخدامها •

• سرطان الثدي •

عجز الباحثون خلال ربع القرن الاخير عن رسم صورة علميةواضحة تبين مدى فائدة العقاقير في علاج النسوة اللاتي أصبن بسرطان الثدي •

لهذا اسهمت مؤسسة أبحاث السرطان العالمية ، ومجلس الابحاث الطبية البريطاني ، وصندوق حملة أبحاث السرطان ، في تنظيم دراسة عالمية مكثفة (اجريت على ما يقرب من ٣٠ الف امرأة) واشرف عليها نخبة من الباحثين في عدد من اقطار العالم • وقد أشارت الدراسة الى الدور المتميز الذي تلعبه بعض العقاقير في انقاذ أو اطالة حياة الالاف ممن أجريت لهن عمليات جراحية خاصة بسرطان الثدي • وقد علقت مؤسسة الابحاث على النتائج : « انها نتائج متواضعة لكنها نتائج حقيقية ، وهي تقدم البرهان النهائي على امكان تحسين العقاقير لفرص بقاء المريضات على قيد الحياة ، بما لا يقل عن خمس سنوات بعد العملية الجراحية » •

ومن الجدير بالذكر أن نسبة من النسوة استطعن قهر جبروت السرطان •• وان لم يتوصل الباحثون الى الكيفية التي تم بها ذلك بعد ، فانه بات مرجحا أن بين العوامل المساعدة على ذلك التحلي بشخصية متفائلة مرحة ، تتعايش مع الظروف اليومية بشكل واقعي ، وتواجه المنغصات برحابة صدر ، آملة في تجاوزها •

والمشكلة الرئيسية فيما يخص سرطان الثدي انه لا يتم تشخيصه للمرة الاولى الا بعد انتشار الخلايا السرطانية الخبيثة في أجزاء أخرى من الجسم ومن هنا أهمية الفحوص الذاتية والطبية المنتظمة •

وربما كان الاجدى فى نهاية المطاف العمل بالحكمة القائلة أن الوقاية خير من العلاج ، وفى هذا الصدد على المرأة تجنب التعامل مع المواد المسببة للسرطان (مثل دخان السجائر والرماد العالق بالمشويات والطعام المحروق) وتجنب التوتر والاجهاد وعدم اهمال معالجة الامراض لعدم ارهاق جهاز المناعة واللياقة البدنية تقوى المناعة كما هى الحال مع العلاقات الاجتماعية ·

● باربى واطفالنا ومستقبلنا ●

منذ وقت بعيد باتت العروسة الدمية الرفيق المفضل لبناتنا الصغار ·· وكانت العروسة تصنع يوما من الجبس الرخيص ، ثم باتت تصنع من البلاستيك غير القابل للكسر ·· ومع الزمن اكتشفوا قيمة أن تحاكى الدمية الاصل لتوهم الطفلة أن لعبتها شبه أدمية ·· وامعانا فى محاكاة الواقع جعلوا العروسة ناطقة تقول بابا فى وضع ، وماما فى وضع اخر ، وسرعان ما صنعوا عرائس تغنى وتضحك وتمشى بل وتبكى وتبلل ملابسها الداخلية ·

وحتى هنا والامر مما يمكن فهمه حتى بمعايير الترويج التجارى ، لكنى أستأذن فى الحديث عن غير الطبيعى باقتطاف هذه السطور من اعلان ، « والان باربى الساحرة تتحرك : وجهى لها دعوة لحضور حفلك القادم لترى كيف تقوم بلمسة واحدة بحركات تنال اعجاب



صديقاتك ، ستقوم باربى وحدها برفع ذراعيها حتى لتبدو وكأنها تمشط شعرها ·· أليست فاتنة حقا ! » ·

بالطبع لان نجمة فقط مثل باربى ترتدى فستانا وحزاما براقين وجونلة طويلة ومعطف فرو على كتفيها ·

الحق ان باربى ستجعل من حفلك حديثا متداولا فى المدينة ·

باربى تتألق بفتنتها الرائعة ، وهى تحب أن تؤدى أيضا كل ما تحلمين بأدائه ·· تجرب ارتداء فساتين جديدة ، وتفرش بيتها ، تنزل فى مياه بركتها ، أو تسوق سيارتها الجديدة ، وحتى توجد لديها فرقة موسيقية خاصة بها (باربى وراقصو الروك) · انه عالم حافل بلعب باربى ومستلزماتها ·· اختارى منه » ·

هكذا ابتكر الامريكيون « باربى » عروسة عصر الفضاء التى تبدل ثيابها وسيارتها حسب الموضة ، وجعلوا لها صديقا اسمه كين وفرقة رقص و ·· واصبح عليك أن تشترى لابنتك العروسة ، فالسيارة ، فاثاث البيت ، فالصديق ففرقة الروك ·

مفهوم أن يفعل ذلك أناس

يستثمرون ما يقرب من ٣٠٠ مليون دولار سنويا فى شئون « باربى » • لكن الغريب هو أن نتقاد – أكبر توزيع لهذه التحفة فى منطقة الشرق الاوسط بالقطع – الى مثل هذه العوالم الخبيثة المدمرة ، التى تختار لاجيالنا القادمة قيمهم وتربى فيهم عادات استهلاكية قاتلة و ••

والاغرب اننا نفعل ذلك بدافع الحب لبناتنا العزيزات •• والله زمان يا حب ، ويا عرايس كان يصنعها الاطفال بأيديهم ، ويجهزون لها كل ما تحتاج اليه بايديهم •• والله زمان يا قيم ايجابية نفجرها بثرواتنا •

• بريطانية تعرض طب الفراعنة •

صدر فى بريطانيا (باللغة الانجليزية) كتاب « الاعشاب والتوابل فى حضارة مصر القديمة »، ضمن مطبوعات المتحف البريطانى • وقد الفت الكتاب العالمة الدكتورة ليز مانيش المهتمة بشئون مصر القديمة ، التى أصدرت من قبل كتابا مسهبا عن تقاليد العلاقات بين الجنسين فى مصر القديمة •

وترى المؤلفة أن هناك رابطة قوية بين استخدام قدماء المصريين للاعشاب والتوابل وبين ما شاع فى الحضارات التالية عن أستخدامها ، فعلى سبيل المثال ترتبط الاستخدامات الحالية لنبات الشوفان فى علاج أمراض القلب باستخدام قدماء المصريين لعصيدة الشوفان فى نفس الغرض •

وقد نوهت الباحثة الانجليزية بالقيمة الصحية الرفيعة المستوى للنظام الغذائى الذى كان قدماء المصريين يتبعونه ، بما يحوى من فاكهة وخضر والياف •• وقد امتدت الميزات الصحية لهذا النظام حتى الى القوة التى كانت تتمتع بها أسنان قدماء المصريين رغم تعرضها للتآكل نتيجة للاحتكاك بالاتربة والرمال التى تختلط بغذائهم •

ومن رأى ليز مانيش أن الملك الصغير توت عنخ أمون كان مهتما بالاعشاب التى تؤثر على الخصوبة، وقد عثر على بعض منها فى مقبرته بالفعل •

وقد صنفت ليز مانيش استخدامات الاعشاب والتوابل وفق الابواب العلاجية المختلفة ففى باب علاج المسكنات والمهدئات مثلا فصلت الحديث عن الشبت وفيما يخص علاج امراض القلب والاوعية الدموية نوهت ، كما سبق أن أشرنا ، بتأثير الشوفان الذى يتسبب فى تخفيض نسبة الكلسترول الموجودة فى الدم •

ونوهت الكاتبة بقيمة البلح والتين الغذائية بالذات اذا مزجا بالعسل والشمندر والشوفان •

ترى ما مدى اهتمام المصريين انفسهم بدراسة الجوانب المختلفة فى حضارة مصر القديمة ؟ وسؤال اكثر الحاحا : ترى ما هو صدى الافكار التى تحويها مثل هذه الكتب فى طبنا الحديث ؟ ومما نقصده هنا طب « اساتذتنا دكاترتنا » المصريين المتغربين لا طب العطارين والشوارع الخلفية •

• حكايات طبية •

• انقلاب •

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن رجلا كان يعيش ببغداد اسمه راضى النجار انقلب حاله فاصبحت رأسه مكان القدمين ، وعظمت ساقاه فارتفعت مكان الرأس · من بعد انقلاب الوضع ، انقلبت حياته وصارت جحيما لا يطاق ، مع أنه كان من قبل انسانا راضيا ·· مرضيا عنه ليس بالسعيد ولا بالمتكدر ، ولكنه المطمئن ، يمضى بلا عواقب او نزاعات تفزعه · كان يرى زوجته جميلة الجميلات وفى انفها المفلطح شموخا وعظمة ، وفى عينيها الضيقتين لمة الذكاء ، وفى فمها الواسع قدرة على افتراس الطعام ·· وارسال الكلمات ·· اما معاملتها له فهى غاية النبل الانسانى سواء كانت تداعبه أو تسبه ، سواء لاطفته بوضع ساعدها عليه مربتة أو دبته على ظهره مزمجرة مهددة · ذلك لان لها طريقة فى نطق الالفاظ وتدليلها ، وتحريك الجسد وتليينه أعمته عن كل عيوبها ·

كان يرى فى الاسطى صاحب دكان النجارة التى يعمل بها واحدا من أصحاب الضمائر العليا والكوامن الانسانية النادرة ، برغم انه يهضم حقه فى الاجرة ويسىء معاملته ويهدده بالطرد من حين الى اخر ·· لامتلاك الاسطى وسائل تعزيز المحبة كان يلب فى جيبه مبلغا من المال عند الاعياد والمواسم ، أو يشاركه من حين الى اخر الطعام الشمسى الذى ياتى اليه بالمحل ، ويحوى الكثير من اللحم · اما خليفة المسلمين فكان يرى فيه العادل ·· الظاهر ·· الراشد ·· المأمون ·· الكامن برغم الابهة التى كان يحيى بها والقصور التى كان يشيدها على الطريق لترييح جسده المرهق اثناء سفره وتجواله فى بلاد المسلمين · غير مهتم بتدهور حال الرعية وازدحامهم فى طوابير الخبز · ذلك لان الخليفة كان صاحب لسان معسول وفصاحة فى الخطابة ، يبلور الامل بالرخاء

بلغنى أيها الملك السعيد ذو الرأى الرشيد أن الداء الذى أصاب النجار هو اتساع الشعب الهوائية ، وان هذا الاتساع يعود الى :

١ ـ اسباب خلقية تعود الى غياب حركة الاهداب بالشعب الهوائية والجيوب الانفية مما يعرضهما للالتهاب الميكروبى · أو قد تعود الى سمك الافرازات بالشعب الهوائية فتسد تلك الممرات ·

٢ ـ انسداد الشعب الهوائية بالافرازات المخاطية الناتجة من النزلات الشعبية الحادة أو الاجسام الغريبة القادمة من الخارج مع الشهيق مما يؤدى الى ازدياد ضغط الهواء قبل مكان السد (لعدم تمكنه المرور نحو التفرعات الطرفية)

٣ ـ الالتهابات المختلفة بالشعب الهوائية الناتجة عن النزلات الرئوية والحصبة والسعال الديكى والدرن

وفى جميـــع تلك الاحوال تدمر الغضاريف والعضلات المبطنة لجدر الشعب الهوائية ممـــا يؤدى الى اتساعها ، وتفقد الاهداب ـ الطاردة للاجســـام الغريبـــة والميكروبات والافرازات ـ مما يؤدى الى الالتهاب الميكروبى وتراكم الصديد بداخلها ٠ هذه التغيرات غالبا ما تكون بالفص السفلى للرئة لصعوبة طردالافرازات منها بعكس الفص العـلوى الذى تتحـــرك منه الافرازات بمسـاعدة الجاذبية باتجاه الشعب المتصلة به٠ لذلك ياتى المريض يشكو من الكحـة والبلغم الصديدى الذى تزداد كميته تبعا لتغير وضعه ٠ غالبا ما تكـون كمية البلغم كبيرة قد تصل الى ربع أو ثلث لتر يوميا ٠

العـلاج الطبى لهـــذا المرض استخدام المضادات الحيوية للقضاء على الميكروبات ، واللجـــوء الى الجاذبية لطـــرد كميـــات البلغم والافرازات المتكومة بداخـل الشعب الهوائية المتسعة طالما أن تلك الشعب عاجزة عن طردها لضعف عضلاتهـا وفقدانها الاهداب أو لعدم فاعليـــة حركتها الطاردة ٠ طالمـــا أن تلك التغيرات غالبا بالفص السفلى فان الطبيب ينصـــح مريضة بأن يجعـل جذعه فى مستوى أقل من جســـده لتتحرك الافرازات بفعل الجـــاذبية نحو الخارج فيتخلص منها الجسم٠

هذا ما فعله راضى النجـــار بأن صنع سريرا خصيصا جعـــل موضع القدم عاليا وموضع الرأس منخفضا فبـــدأ يتخلص من كميـــات البلغم الجاثمة على صدره ، وبدأت نظرة عينيه للأمور تستقيم فراى ضيق عين زوجته دون الذكاء ، والانف المفلطح البعيد كل البعـــد عن اللؤلؤ ، وأن لسانها سوط مؤذ وأن ذراعها اقوى من القدوم الذى يستخدمه٠لم يتحمل الاستمرار معها فى الحياة اكثر من عدة ايام حتى طردها من منزله ٠

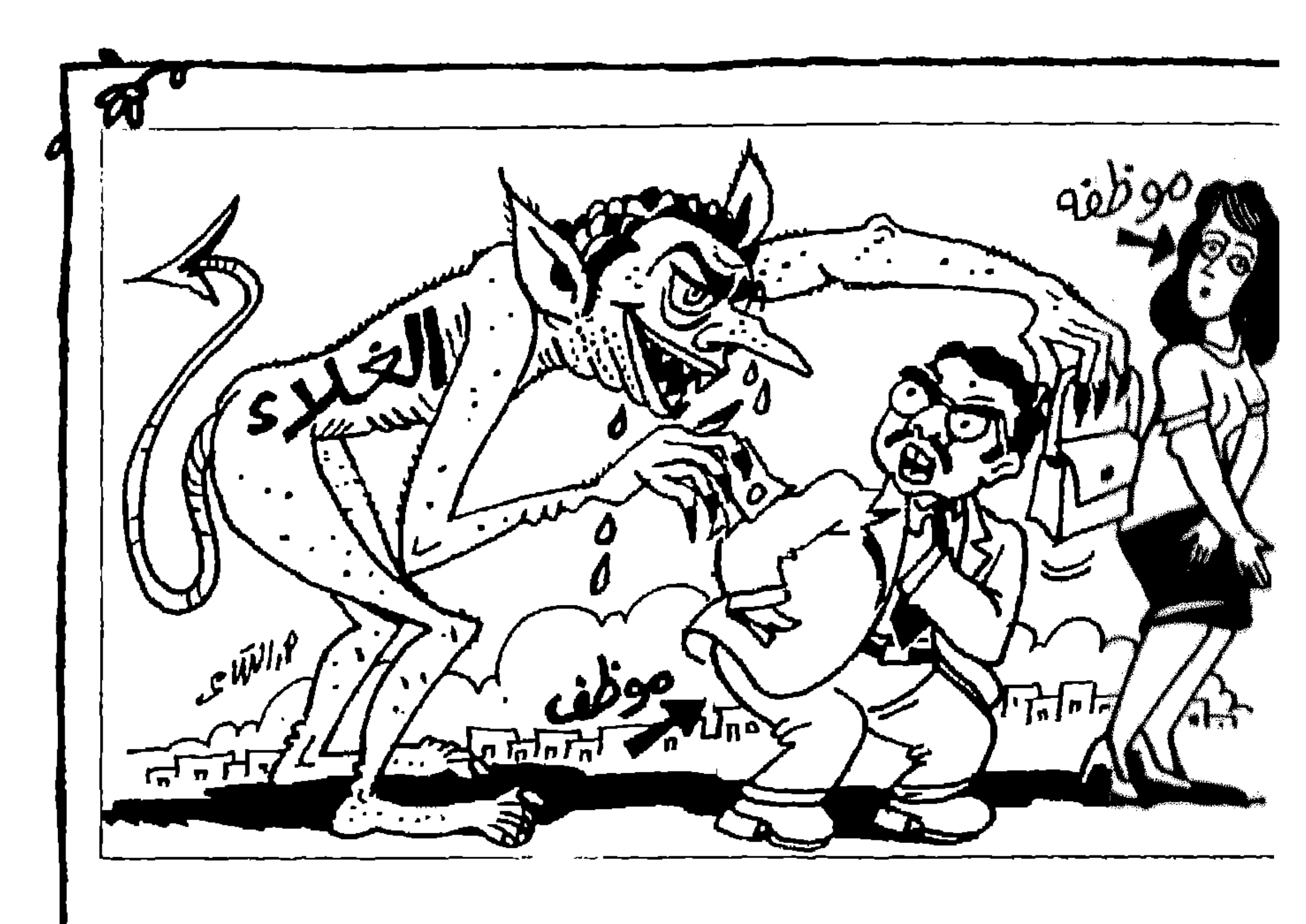
مضت عـــــدة أيام حتى نصحه الطبيب أن يزيد من انحدار السرير اكثر فزاد من ارتفاع ساقيه عنـــد القدم ، وازدادت كمية البلغم وازداد اعتدال الدنيا أمام عينيه ٠ عنـــد زيارة الاسطى له اكتشف أن زيارته تلك وان الاموال التى يمنحهـــا له ليست سوى مخـــدر ليســتمر فى استغلاله ٠ قال له الحقيقة فى وجهه « أنت رجل مستغل لا تعرف ربنا ٠٠ أريد حقى فىالاجرة كاملا » ٠ وانتهت المشادة بطرده من العمل ٠

اراد راضى النجار ايهـــا الملك الســـعيد أن يعرف الحقيقة كاملة فترك السرير ورفع ساقيه علىالحائط وارتكـــز براسه على الارض ، وبدأ يهاجم الخليفة « انه يصرف أموال المسلمين على لذاته » « انه الظالم ٠٠ الجبار ٠٠ الجائر » بدأت الناس تلتف حـــوله وتردد ما يقوله ، اختفى فى يوم وعاد مشوه الوجه ٠٠ ممزق الثياب ٠٠ مكسور الضلع ٠٠ يعرج فى سيره ٠٠ توقف عن وضع الانقلاب وعاد الى حيـــاته الاولى المطمئنة فرد زوجته ، رجع الى عمله مع الاسطى ، شارك فى مدح الخليفة ٠٠ لم تمض فترة طويلة حتى أصيب باحدى مضاعفات مرضه ٠٠ خراج بالمخ ٠٠٠ مات بعدها ٠

د ٠ هاشم قاسم



ما للغلاء ازال الله غمته   احال ايامنا كربا واهوالا !! ..
حتى غدونا ولا غير الغلاء لنا   من الهموم مصابا يشغل البالا
سحقا له من غلاء لا قيود له   من القوانين تحمينا اذا مالا
سحقا له من غلاء كاد يسلبنى   عقلى ، ويطحننى غما وبلبالا
ياتى على راتبى كالوحش ينهشه   فى لحظة ، لم يدع لى منه مثقالا
اذاقنى غصص الحرمان اجرعها   صابا ، وغللنى بالدين اغلالا
والدين كالصل لا ينفك يلدغنى   لدغا يعذبنى هما واذلالا
ماذا اقول لارباب الديون وقد   اصبحت فى ظنهم لصا ومحتالا ؟
اكاد اصعق من خوفى ومن خجلى   اذا لمحت بباب الدار بقالا
وخلفه من ذئاب الدين شرذمة   وكلهم ببذىء السب قد صالا
فمن رآنى وهم حولى ، راى شبحا   أحاله الذعر والتهديد تمثالا
مسمرا فوق ارض الياس منذهلا   كمن راى فجاة جنا ورئبالا
يا للغلاء الذى اهوى بنخوتنا   دينا ودنيا ، واقوالا وافعالا



ويلاه من محنة نكراء عاتية … نصلى لظاها الذى يزداد اشعالا
لولا الغلاء لما استشرى الفساد، ولا … تحول الناس ذؤبانا واغوالا
باعوا ضمائرهم فى سوق حاجتهم … ورب ذى حاجة قد ضل واحتالا
فلا ترى غير غشاش ومختلس … ومرتش وقح فى سلبه المالا
وتاجر فاجر !لاطماع محتكر … أحاله الجشع الممقوت نشالا
لا يتقى الله فى سعر ، وفى سلع … ساءت صنوفا ، وميزانا ، ومكيالا
والناس من ياسهم خرس اطاح بهم … هم تنوء به الاجيال اثقالا
بحت حناجر شكواهم ، فلم يجدوا … بعد التصبر الا الوهم والالا
بينا نرى عصبة صاروا ملايرة … قد شمروا بعد نهب المال اذيالا
هم اللصوص الالى طاروا بما سرقوا … من قوت شعب ، يعانى البؤس النكالا
وهذه محن تخشى عواقبها … ان لم تجد مسعفا طبا وحلالا
يارب رحماك من هذا البلاء . فقد … ضقنا باياميه السوداء احمالا
فمن سواك لدى الجلى نلوذ به … يفرج الكرب مهما جل اوهالا ؟

المائة الأعظم

بقلم: حسين أحمد أمين

البيروني

٩٧٣ - ١٠٤٨م

اعظم عالم فى التاريخ الاسلامى ، قد اتفق اهل المشرق والمغرب على أن ((يمثل اكثر من اى اديب آخر عبقرية العلوم الاسلامية)) . كما يمثل كتابه ((تحقيق ما للهند)) مع كتاب الشهرستانى ((الملل والنحل)) قمة البحوث العلمية الموضوعية الدقيقة فى التراث العربى ..

كتب عنه ياقوت فى « معجم الادباء » ان يده لم تكن تفارق القلم، ولا عينه النظر ، ولا قلبه الفكر ، الا فى يومى النيروز والمهرجان من السنة · وقد أجازه السلطان لما صنف « القانون المسعودى » بحمل فيل من العملات الفضية ، فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه · ويروى أن القاضى كثير بن يعقوب زاره وهو فى فراش الموت ، فسأله البيرونى عن حساب الجبرات الفاسدة · قال القاضى اشفاقا عليه: أفى هذه الحالة ؟ فرد البيرونى : « يا هذا ، أودع الدنيا وأنا أعلم بهذه المسألة خير من أن أموت وأنا جاهل بها ! » فما خرج القاضى من عنده الى الطريق حتى سمع الصراخ عليه ·

ألف فى ميادين عديدة من المعرفة ، وترجم الكثير من الكتب الهندية الى العربية ، ومن المترجمات العربية عن اليونانية الى اللغة السنسكريتية · وقد ضاعت معظم مؤلفاته ، غير انه خلف لنا ثلاثة من روائع الكتب ·

في التاريخ الإسلامي



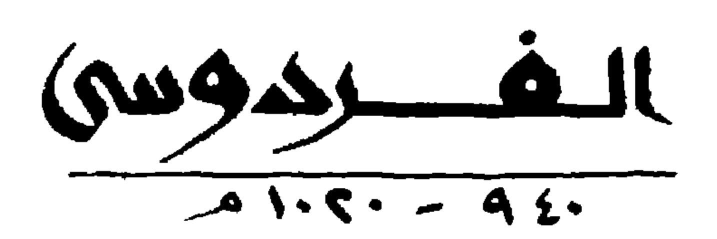
كتاب « الآثار الباقية من القرون الخالية » في التاريخ المقارن . وهو يتضمن حديثا عن الامم والاديان المختلفة وعادات الشعوب وأعيادها ولمحه من تاريخها .

وكتاب « القانون المسعودي » ويحوى جميع علوم العرب الفلكية .
وكتاب « تحقيق ما للهند من مقولة » ويحوى وصفا رائعا للحياة الروحية والفكرية في الهند ، هو في مادته وتحليله العلمي فريد في الادب العربي ، خاصة وقد اثبت فيه استطاعته أن يرتقى فوق التعصب القومي والديني . وقد جاء هذا الكتاب ثمرة جهد دام ثلاثة عشر

عاما قضاها البيرونى فى الهنـــــد يتعلم السنسكريتية ، ويدرس الادب الهندى ، ويراقب حيـــاة الهنــــود وعاداتهم ·

وألف البيرونى وهو فى العقـــد الثامن من عمـــره كتابا باســـم « الجماهر فى معرفة الجواهر » فى الاحجار الكريمة ومواطنها ومنافعها وقيمتها وأوزانها النوعية ، خالف فيه تماما ما هو مألوف فى كتب علم التعدين عند المسلمين ، وتجاهل كل ما ذكروه عن الخواص الســـحرية للاحجـــار ، فى حين أورد شروحا نقدية لما كتبه السابقون عليـــه من العلماء فى هذا المجال · والواقع ان البيرونى احـــد قلة من العلمـــاء المسلمين الذين لم تكن اقتباساتهم عن الكتب الاخرى مجـــرد نقول ، بل جاءت هذه الاقتباسات جزءا لايتجزأ من الموضوع الذى يعالجه ·

وله كتب أخـــرى فى الرياضيات والفلك والصيدلة والفلسفة والشعر والتاريخ : حقق فى كل ميدان منهـــا انجازات علمية اكيدة وهامة ·



الفـــردوسى

٩٤٠ - ١٠٢٠م

شاعر الفـــرس اللحمى الاكبر ، ومؤلف ملحمتى « الشاهنامة » (التى يبلغ طولها ثمانية اضعاف طول الياذة هوميروس) ، و « يوسف وزليخا » (التى تدانى الالياذة فى الطول) · وهما كتـــابان يعتبرهما الفرس أعظم الروائع ·· وقد ظل اسلوب الفردوسى مثلا يحتذى فى شعر الفرس اللحمى برمته ، ثم فى شعر الاتراك ايضا ··

لقد ظلت الاساطير المتصلة بملوك الفـــرس وأبطـــــالهم ، حتى عصر الفردوسى ـ تنقل بطريق الرواية فى المقـــام الاول ، وان كانت لهـــذه الروايات جـــذور فى مؤلفات نثرية فهلوية نقل عبد الله بن المقفع بعضها الى العربية ، واستعان بها مؤرخون فرس وعرب كالطبرى · وفى عـــام ٩٥٧ م عهد ابو منصور المعمرى الى عدة مؤلفين ان يجمعوا هذه الاساطير والروايات كلهـــا ، وان يعيـــدوا صياغتها فى كتاب واحـــد باللغة الفارسية الحديثة · وقد جاءت اول محاولة لاخراج هذه الثروة الادبية

فى ثوب فنى جديد بهـا من قبـل الشاعر دقيقى الذى لمع فى بلاط نوح ابن منصور السامانى . غيـر أن دقيقى هذا قتل ولما ينظم من الملحمة غير نحو الف بيت .. وفى حوالى عام ٩٩٠ اخذ الفردوسى هذه المهمة على عاتقه ، فاتم الشاهنامة (اى كتاب الملوك) فى احـد عشر عاما وهو فى الحادية والستين . وهـو كتاب يكشف عن روح الاسـلوب الملحمى الفارسى فى قمة اكتماله ، وعن عبقرية شعرية فريدة ، رغم نمطية الكتاب ورتابته .

وقد رفع الفردوسى ملحمته هـذه الى السـلطان محمود الغزنوى الذى مجده الفردوسى فى مواطن كثيرة من كتابه ، واصفا اياه بانه اشد الملوك باسا وأرأفهم بالعبـاد .. وطال انتظار الشاعر للجائزة المرجوة من هذا البطل الحربى الذى استولى على الحكم فى خراسان ، وفتح خوارزم فى الشرق ، وجيورجيا (الكرج) فى المغرب ، والهند فى الجنوب . غير ان هذا القائد العسكرى لم يكن بقادر على ان يفهم شيئا من شعر الفردوسى .. فلم تخرج منه الى الشـاعر العظيم غير جائزة تافهة . وكـان جواب الفردوسى ان نظم هجـاء لاذعا لمحمود الغزنوى قدم به لملحمته



الخالدة ، ثم أسرع بالهرب خوفـا من بطشه قاصدا بلاط بهاء الدولة البويهى فى بغداد ٠

وفى العراق اتم الفردوسى ملحمته الاخرى « يوسف وزليخا » وهـو فى حوالى الثمـانين من العمر ٠ وهى سن لم تحل دون تميز هـذه الملحمة بالنضارة النادرة ، والسهولة والرشاقة اللتين تجرى فيهما أبياتها٠ ومع ذلك فانها تعتبر عنـد الفرس دون الشاهنامة جودة ومكـانة ٠٠ ولم يلبث الفردوسى أن ضاق ذرعـا بالحياة فى بغداد واشتد حنينه الى بلده ، فأوفد من استرضى له السلطان محمود الغزنوى الذى عفا عنه وسمح له بالعودة الى « طوس » حيث توفى حوالى عام ١٠٢٠ م ٠

السلطان محمد الثانى

١٤٢٩ - ١٤٨١ م

فاتح القسطنطينية الذى بلغت الجيوش العثمانية فى عهده حدود البندقية ما ان تولى العرش ١٤٥١ فى أدرنة (عاصـمة الدولة العثمانية) ، حتى طالبـه الامبراطور البيزنطى فى القسطنطينية بمضاعفة مبلغ الجزية السنوية التى كان والده مراد الثانى يدفعها للبيزنطيين ٠ وكان رد محمد على هـذه المطالبة هو المبادرة بتشييد قلعة ((روم ايلى حصار)) المنيعة على بعد سبعة كيلو مترات من ابواب القسطنطينية عنـد أضيق نقطة من البوسفور ٠ وعندما بعث الامبراطور بسفرائه اليه للاحتجاج على هـذا العمل ، كان رد محمد أن قطع رءوسـهم، وكان ذلك ايذانا بقيـام الحرب ٠٠

ولم تستطع حصـون العـاصمة البيزنطية أن تثبت أمام هجمات جيش السلطان محمد الذى دخلها عام ١٤٥٣ وهـو فى الرابعـة والعشرين من العمر ٠ وقد توجه فور دخوله الى كنيسة أيا صوفيا الشهيرة واستولى عليها رسميا باسم الاسلام ، وجعلها جامع العاصمة الرئيسى ٠ فأما القبلة فقد ادخلت على تصميم هذا البنـاء الكنسى بواسطة محراب اصطنع فى



وسط جناح الكنيسة الجنوبى ، واقيم المنبر الى يمين المحراب ، كما بنيت فى الخارج مئذنة اضاف اليها خلفاؤه ثلاث مآذن آخرى ·

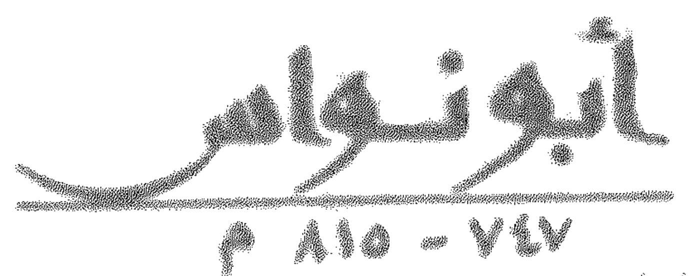
واذ أضحت القسطنطينية (استنبول) منذ ذلك الحين عاصمة للدولة العثمانية ومقرا للسلطان ، عمل محمد الثانى على زيادة عدد سكانها بعد أن كان قد تقلص وتناقص بسبب هجرة المسيحيين منها عقب الهزيمة وقبلها · فدعا النازحين الى العودة مؤمنا اياهم على انفسهم واموالهم ، فلما رجعوا اليها سمح لهم بالاشتغال بالتجارة ، واعتمد عليهم فى اتصالاته بالدول الغربية ، وتمكن عدد غفير منهم من الوصول الى مراكز رفيعة بالدولة كذلك فقد تدفق عدد ضخم من المسلمين الاسيويين الى العاصمة الجديدة (التى ما لبث أن خضع لها معظم المسلمين فى العالم) لكى يستغلوا مزايا المدينة التجارية ذات الموقع الجغرافى الفريد ، ولكى يفيدوا من الاوقاف التى انشأها هناك محمد الثانى لخدمة العلم وطلابه · وسرعان ما أصبحت استنبول المركز الفكرى الاول فى العالم الاسلامى ·

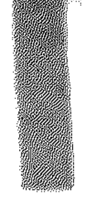
واهتم محمد الفاتح بتشييد منشآت جديدة فى عاصمته · فعهد الى المهندس اليونانى خريستو دولوس ببناء الجامع المعروف باسم الجامع المحمدى فى قلب العاصمة ، وهو أروع آثار العمارة العثمانية وأدناها الى الكمال · ثم بنى عشرة مساجد أخرى زود كلا منها بمكتبة

حافلة بكنوز من كتب التراث الفكرى العربى والفارسى والتركى ، والحقت بهذه المساجد معاهد للتعليم تتسع لسكنى الاساتذة والطلاب ، وكـذا المستشفيات والخانات والحمامات والابار والمطاعم للفقراء • كما أعاد السلطان بناء الاسوار المحيطة بالعاصمة (وهى التى تهدمت أثناء حصاره اياها) ، وانشأ أحواضا لبناء السفن ، ودور صناعة ومخازن للسلاح فى الميناء ، كما شرع عام ١٤٥٤ فى تشييد قصر له على ربوة مرتفعة داخل المدينة •

وقد كان من أهم أهدافه العسكرية تعزيز سيطرة العثمانيين على شبه جزيرة البلقان (خاصة فى الشمال) تمهيدا للانطلاق منها لحرب المجر أخطر أعدائه فى أوروبا وأقربهم من حدود دولته • فكان لابد له من أجل ذلك أن يستولى على بلاد الصرب حتى يضمن لجيشه قاعدة ثابتة فيها وقد تم له ما أراد حين استولى عام ١٤٥٨ على بلغراد ، ثم على البانيا كلها عام ١٤٦٨ • واذ استشعرت البندقية الخطر الاسلامى الذى بات يتهددها أعلنت الحرب على الدولة العثمانية ، فـاذا بجيوش محمد الثانى تصل الى حدودها ، وترغم البندقية على عقد صلح معها عام ١٤٧٩ تنازلت البندقية بمقتضاه عن جميع ممتلكاتها فى البانيا •

وقد توفى محمد الفاتح بعد هذا الصلح بنحو عامين وهو فى الثانية والخمسين • والواقع أن هذا السلطان يمثل العثمانى القديم ، بكافةفضائله ونقائصه ، أصدق تمثيل •• فهو صاحب همة جبارة وسعى دائب الى أهداف جديدة ، اقترنا للاسف بوحشية تعدت حدود القسوة حتى بمقاييس ذلك العصر ، خاصة فى معاملته لاسرى الحرب الذين كان يقطع أجسادهم نصفين بالمنشار •• غير أنه كان فى نفس الوقت راعيا للعلوم الاسلامية وللكتاب والشعراء مغدقا عليهم الهبات السخية ، شديد الاهتمام بمتابعة مظاهر النهضة الاوروبية التى تفتحت أكمامها فى ايطاليا ، حريصا على جمع المخطوطات التاريخية والادبية ، عظيم الافتتان ببقايا التراث الهيلينى من فنى النحت والمعمار فى اليونان (وهو افتتان دفعه الى الموافقة على منح أثينا استقلالها الداخلى) •• وقد تخطى محمد الثانى التحريم الاسلامى لفن التصوير بأن عهد الى الفنان البندقى الكبير بلينى أن يرسم له صورة زيتية لاتزال الىيومنا هذا محفوظة فى أحد متاحف البندقية





احد فحول شعراء العرب ، وهو اعظمهم عند جُل دارسى الأدب العربى من الافرنج . ويعده النقاد العرب ممثل شعراء المدرسة الحديثة ، ويحلونه بين المحدثين مكانة امرىء القيس بين القدامى .

فمع بداية العصر العباسى فتح العرب الأقحاح الطريق للموالى الذين يجيدون العربية ويتمتعون بموهبة شعرية كبيرة ، حتى يخوضوا ميدان الشعر . ولم يلبث هؤلاء أن أهملوا القوالب القديمة من أجل التوفيق بصورة واقعية بين المعنى والمبنى . فلم يلتزموا بنظم القصائد الطويلة ، أو البكاء التقليدى على الأطلال ، أو وصف الناقة والحل والترحال فى الوادى ، وجددوا فى المعانى وفى قوالب النسيب . وقد أسفر الصراع بانتصار المحدثين ، بفضل بشار بن برد وأبى نواس وابن الرومى خاصة .

ولد أبو نواس فى الأهواز بلاد فارس ، ونشأ فى البصرة ثم تبدى وخالط العرب الخلص ففصح لسانه ، حتى قال عنه الجاحظ « ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس ، ولا أفصح لهجة ، مع حلاوة ومجانبة للاستكراه » غير أنه مع سلامة لغته ، أكثر من استخدام الكلمات الأعجمية والعبارات الدارجة المعاصرة . وزل فى الأخطاء التى كانت شائعة من قبل بين أسلافه . وهى لغة سهلة سلسلة ، عبر بها عن معان



جديدة فيها نكتة حلوة وتعتبر مرآة لنفسه ولعصره خاصة فيما يتعلق بالاستهتار بالمعاصى .

فأما مدائحه فقليلة القيمة ، استخدم فيها القوالب التقليدية ، عكس مراثيه التى نلمس فيها عاطفة عميقة وحزنا مؤثرا . وفى أشعاره الغزلية من العاطفة والشاعرية الصادقتين بقدر مافيها من الاباحية والتبذل . وهو أجود مايكون فى تغنيه بالخمر واللواط ، يتغنى بمباهجهما فى جرس متجدد دوما . وقد صور مغامراته فى هذين الميدانين فى واقعية ساخرة ، ولم يتورع عن السخرية بنفسه أو ببدنه الذى هده المرض ، أو الاقرار بخطاياه فى صراحة ملحوظة ، طالبا لائميه أن يتركوه وشأنه إذ أن لومهم لايغريه إلا بالمزيد ، مبينا اعتزامه الا يصلح منهاجه حتى اللحد . وكان يباهى بأنه لم يترك شيئا مما يغضب الرب إلا الشرك به . والواقع أن أشعاره المنافية للاسلام ليست نابعة عن أسس عقلية وإنما عن حبه للمتعة التى رأى أحكام الاسلام تحول بينه وبينها . وكان يعقد آماله على مغفرة الله ، ويعد نفسه أهون شأنا من أن يؤاخذه الله بأعماله وله فى الزهد قصائد رائعة يرى البعض أنه كتبها فى شيخوخته بعد توبة منه ، بينما يرى آخرون أنها غير كافية للبرهنة على هذه التوبة ، وأنها نظمت عبر سنين طويلة ، وفى أحوال نفسية عارضة .

فأما قصائده فى حب النساء فقليلة إذا قيست بما كتبه فى عشق الغلمان . وقد قيل إنه لم يقع إلا مرة واحدة فى حب فتاة جارية تدعى جنان .. وبالرغم من الاشارات الجمة فى شعره إلى أبطال التاريخ الفارسى ، وبما نلمسه من تأثير كبير للحضارة الفارسية فى هذا الشعر فإنه من الصعب أن نسميه شاعرا شعوبيا ، خاصة أن آثاره لايستشف منها غير العناصر الثقافية للعصر العباسى التى انتشر فيها شيئا فشيئا أثر الطابع الايرانى . وتكاد تكون شعوبية أبى نواس مقصورة على ثورته على الادب القديم .

وينتظم ديوانه للمرة الأولى فى تاريخ الأدب العربى بابا خاصا يحتوى على طرديات مبتكرة (أو قصائد الصيد) تصف كلاب الصيد والصقور والخيل وضروبا شتى من الصيد فى أسلوب بدوى . وهو باب أنعشه أبو نواس وبعثه ثم نماه من بعده ابن المعتز .

هذا ولم يقم أبو نواس بمهمة جمع أشعاره ، ولذا فقد ضاع الكثير منها (خاصة تلك التى كتبها فى مصر) . ومن ناحية أخرى عزى إليه باطلا كثير من الأشعار ، ولا سيما فى الخمر وفى اللواط . ومازلنا إلى اليوم فى حاجة إلى طبعة من ديوانه جيدة التحقيق تستأصل منها الأشعار المدسوسة عليه كما أننا فى حاجة إلى سيرة جديدة له تستأصل القصص المخترعة عن مجونه ، خاصة تلك الواردة فى ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص الشعبى ، وهى قصص أساءت إلى صورته عند القراء العرب وجعلته أقرب إلى العربيد المتهتك أو مضحك البلاط .

أنت والهلال

● الليدي تشاترلي ●

● أود أن أشكركم من أغوار قلبي حول ردكم الكريم لرسالتي في مجلة الهلال لشهر فبراير ١٩٨٩ في (أنت والهلال) فهذا يدل على اهتمامكم الفائق بكل ما يرد الى المجلة ..

اشتريت العدد ٤٨٣ من روايات الهلال (عشيق الليدى تشاترلي للروائي الانجليزى دى اتش لورانس وفرحت فرحا عظيما اذ ستتاح لي فرصة قراءتها لاول مرة في اللغة العربية وشرعت بتصفحها فلفت ناظرى شيء ادهشني الا وهو أسم الرواية في لغتها الاصلية (THE FIRSTLADY CHATTERLY) حينئذ تذكرت أن هذا الاسم غير الاسم الذي تحمله النسخة الاصلية باللغة الانجليزية والتي املكها في مكتبتي المتواضعة فسارعت الى احضارها فالفيت أن الاسم هو (LADY CHATTERLEY'S LOVER) انظر الحذف والاضافة في هذين الاسمين فجاءت الترجمه العربية صحيحة كما في النسخة الاصلية ، واذا شئنا ترجمة أسم الرواية كما ورد في العدد لجاء على هذا النحو : (السيدة تشاترلي الاولى) وانا لا اطلب أن تكون الترجمة حرفية للرواية ولكنني أتساءل : من اين اضاف مترجمنا الدكتور أمين العيوطي كلمتين : (THE FIRST.) وحذف كلمة (Lover) .

وهل قام بترجمتها من نص اخر غير النص الانجليزي وباجتهاد ذاتي وضع لها هذا الاسم .. فاين هنا دور الناشر ورئيس التحرير في التدقيق والمراجعة وكيف غاب عن دار روايات الهلال والتيتتمتع بسمعة طيبة في وطننا العربي من سنوات طويلة أن تمر عليها هذه الهفوة مرور الكرام وأرجو أن لا تقع سلسلتنا صاحبة الشهرة الحميدة والرفيعة تارة أخرى في مثل هذه الهنات وان كانت بسيطة.

النسخة الاصلية الكاملة والتي في حوزتي صدرت أول طبعة منها في ١٩٢٨ عن دار « PENGUIN BOOKS. تحت رقم ١٤٨٤ ومع مقدمة طويلة بقلم « RICHARDHOGART. » وكذا توطئة قصيرة للناشرين حول حرية اعادة نشر الرواية وفي الصفحة ما قبل الاخيرة وردت قائمة بالاعمال الكاملة للمؤلف والتي صدرت عن نفس الدار ايضا ، وانا لا اعلم لماذا لم يترجم الدكتور أمين كل هذا اذا كان ترجمها من اللغة الانجليزية ، ولو فعل ذلك لكان للرواية مذاق رائع وادى الامانة الادبية على اكمل وجه ..

أرجو أن اقرأ ردكم النزيه في « الهلال » في صفحة (انت والهلال) وساكون لكم شاكرا اذا لبيتم ذلك ومع جزيل الشكر والتبجيل .

اخوكم : القارىء سعيد عبد الله سعيد
صندوق بريد ٧٣٠١ المنصورة ١٠٧
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ـ عدن

أنت والهلال

● تعليق الهلال :

ـ نشكر الاخ المفضال الاستاذ سعيد عبد الله سعيد على هـذه البرقية ، وقد اتصلنا بالدكتور أمين العيوطي فكتب الرد التـــالى موجها الى الاخ سعيد :

« ردا » على برقيتكم الكريمة اقول : لعلكم قرأتم فى نبـــذة الغلاف أن د ٠ هـ ٠ لورانس كتب هذه الرواية بثلاث صـــيغات فيما بين ١٩٢٥ـ١٩٢٨ ٠ ولعلكم طالعتهم فى نفس النبذة أن روايات الهلال تقدم الصياغة الاولى ٠ وهذه الصياغة تحمل عنوان « الليـــدى تشاترلي الاولى » ، وهى اخر ما نشر من هذه الصياغات بعد نشر الصياغة الاولى أولا ثم الصياغة الثانية بعد ذلك ٠ وقـد آثرنا ان نختار للصياغة العربية العنوان الاكثر شهرة ٠ وقد كان هناك تنويه عن هذا أيضا فى نبذة الغلاف لم تتسع له المساحة٠ فيما عدا هذا، يا اخى العزيز ، لم يكن هناك اى اجتهاد ذاتى ، بل حرص عـلى ترجمة تكاد تكون حرفية آخذين فى الاعتبار مدى استعداد شرائحمن قراء العربية لتقبل الكلمات « ذات الحروف الاربعة » ، وحرصاايضا على الامانة الادبية٠ ولعلك تجد فى هذا بعض ما يطمئنك ويرضيك ٠

● النسبة الى الاعداد ●

● ما هو النسبة الى الاعداد أمثال عشرين وثلاثين وأربعين ، ولماذا يختلف الكتاب والادباء فيها الان ؟!

لطيفة عبد الرب الزيات
الاسكندرية

● تعليق الهلال

ـ بعد الاختلاف الكثير ، أقـر المجمع اللغـوى ، أو مجمع اللغـة العربية فى مصر أن يقال : العشرينات ، والثلاثينات ، والاربعيناتـ تخفيفـا من قولهم العشرينيات والثلاثينيات الخ ٠٠ لان القول الذى أقره المجمع أخف على اللسان والسمع ، واكثر شيوعا ، ولكنالقول الاصلى صحيح طبعا ، والمجمع لا يلغيـه ، ولكنـه يقـر الى جانبـه القول الآخر ويقول بصحته ! ٠٠

● قرية الشاعر الجرنوس ●

● فى عدد يونيو ١٩٨٧ من « الهلال » كتب السـيـد رجب عبد الحكيم بيومى من كلية دار العلوم نبذة يقـول فيها انـه ليس

صحيحا ما ذكرته الهلال في بعض مقالاتها من أن قرية الجرنوس التي ولد فيها الشاعر خالد الجرنوسي ، هى احدى قرى مركز بني مزار بمحافظة المنيا ، وأن الصحيح هو أن قرية الجرنوس تابعة لمركز مغاغة ·· ولما كنت من قرية الجرنوس التي ولد فيها الشاعر خالد الجرنوسي ، فانني أقول ان هذه القرية تابعة فعلا لمركز بني مزار كما ذكر الهلال بالضبط ، ولكن الامر التبس على السيد رجب عبدالحكيم لان هناك قرية اسمها « دير الجرنوس » تابعة لمركز مغاغة وهي غير قرية الجرنوس التابعة لبني مزار كما لا يحتاج الى بيان ·· وقد تأخرت في ارسال هذا التصحيح لانى لم أطلع على تلك النبذة في حينها ·

السيد / رمضان البورصلى
الجرنوس - بني مزار

● الطفل الكبير ●



في ساحة الذكرى أجول
أتنشق الماضي الخجول !
اتحسس العمر الطرى ··
واود لو عدت الصبي
أسترجع الايام جذلي
تتوافد الاحلام سكرى
العمر يسرى ذاهبا ··
سقيا لايام الصبا ··
لم يبق لي منها سوى
ذكرى ·· وان طال النوى !

يوسف عبد العزيز
قنا - كلية الآداب

● توفيق يوسف عواد ●

● كتب فقيد الادب العربي توفيق يوسف عواد جميع الاجناس الادبية القصة والرواية والشعر واحتفلت الاوساط الادبية في لبنان منذ ستة أشهر بمرور خمس وسبعين سنة على ميلاده وبمرور خمسين عاما على صدور مجموعته القصصية الاولى « الصبي الاعرج » ·

ونجد في مجال القصة : الصبي الاعرج ، قميص الصوف ، العذارى ، مطار الصقيع ، وفي مجال الرواية : الرغيف ، طواحين بيروت ، وفي مجال الشعر : قوافل الزمان ، وفي مجال السيرة

الذاتية : حصاد العمر ، وآخر ما صدر له : غبار الأيام ، فرسان الكلام ·

وترجمت بعض كتبه الى الانجليزية والالمانية والروسية ·

ولقد قرأ بعض أمهات الكتب «التراث» المعروفة مثل الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني وجميع أعمال أدباء الرابطة القلمية ومنهم جبران ، ميخائيل نعيمه وايليا أبو ماضي ونسيب عريضه وتوطدت صداقته بالادباء المصريين وقرأ للادباء محمد تيمور ، محمود تيمور وابراهيم عبدالقادر المازني والعقاد وطه حسين والملاحظ في أدب توفيق يوسف عواد أن جميع أبطال روايته ثائرون ·

ولقد نظم الشعر في سن الرابعة عشرة وقصائده يضمها كتاب حصاد العمر وقوافل الزمان والذى ينظم الشعر يجب أن يكون عالما بأسرار الكلمات فلكل كلمة سرها ·

رجب عبد الحكيم بيومي الخولي
ليسانس لغة عربية

● معنى هذا البيت ●

● أحفظ من قديم شطرين من شعر المتنبي في أمثاله السائرة الحكيمة ، وهما عن السفن ، يقول في الاول : « تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن » ·· وفي الثاني « ان السفينة لا تجرى على اليبس »· فما هو الشطر الاول لكل بيت منهما ، وما هو الغرض من هذين المثلين ؟!·

ابو النور شوقي سليم
أسيوط

● تعليق الهلال :

ـ الشطر الاول من بيت للمتنبي يقول فيه :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه
تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أما الشطر الثاني الذى تذكره فهو للامام الشافعي وليس للمتنبي ، يقول فيه الشافعي :

تبغي النجاة ولم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجرى على اليبس

ومعنى البيت الاول باختصار : أن المرء يتمنى شيئا ولكن الزمن لا يساعده على بلوغه ، بل يعرقل مسعاه ، كما يعرقل ركود الرياح في البحر جريان السفن ·· ويستبدل بعضهم بقوله « تأتي الرياح » كلمة « تجرى الرياح » وهو تحريف لا يتفق والمعنى الذى اراده المتنبي ·· ومعنى البيت الثاني : ان من اراد بلوغ النجاة في الاخرة

فعليه سلوك الطريق المؤدية للنجاة والاخذ باسبابها ، وضرب الشافعى لذلك مثلا : سفينة تجرى على الارض لا على الماء ، فلو جرت فى الماء لبلغت وجهتها ، ولو رست على الارض اليابسة لما تحركت من مكانها ! ..

● رثاء أم ●

مضت فى سكون ودون انتظار
وليس لنا فى القضاء اختيار
بومضة عين نرى نقلة
من العيش نحو الموات المثار
فمن بعد صوت ، ونور حياة
ووعى انتباه وضوء النهار
تجىء الليالى خبيئة سر
وفى طيها وخزات كبار
فيارب رتب لها نومة
وهيىء لها مرقدا لا يضار
بقدر الجهاد الذى قدمته
الن جنبها فى كريم الجوار
وكم فى الحياة من الخيرين
لهم فى الدعاء هدى واصطبار
بناء الحياة على دعوة
ترجى ، وعمر كثير الثمار
وما مات مستبصر فى الورى
له فى الدنا حسنات كبار

عبد العزيز بيومى على
مدير بالمدارس الثانوية سابقا



انا شاعر ..
استلهم الاشعار من قلب معنى ..
انا عازف ..
استنطق الكلمات الحانا تغنى ..
استعذب الاشعار من شتى الدنان ..
لا أرتوى شعرا وفنا ..
قطر القصيد يذوب فى الشريان ..
اضواء ومعنى ..
يا ايها الواحى ... تانى ..



فالشعر اكسير ··
ومن لا ينهل الاشعار جن ·

رفعت عبد الوهاب المرصفي
١٠٨ شارع شبرا القاهرة



• أقصوصة : • المرتب •

● نظر الى الاتوبيس الذى مال على جانبه الايمن وهو يسير ·· لاول مرة لا تضيق عيناه ·· لا يغمغم بصوت كالفحيح ·· ينظر الى المناكب التى تتدافع ، يبتسم وهو يختلق لها الاعذار ، ينظر الى اصحابها على انهم اناس مثله يعانون ·

لحظات مرت قبل ان يغيب الاتوبيس عن عينيه ·· مد يده يطمئن على جيوبه ··· كان يتساءل كيف اندفع وسط تلك الكتل البشرية الى عرض الطريق ·· ابتسم ثانية ·· أكمل المسير ·

لا بأس من العودة الى البيت ·· لابد أن يبدأ من الان ·· أن يكون لحياته برنامج جديد ·· ان يقدم لوالدته النقود ، وليكن نصف راتبه·· لابد أن تشعر انه موجود ··· ان تنظر اليه باكبار ·· ان تركن اليه فى وقت الضيق ·

ولابد لوالده الشيخ الذى يرى فى عينيه ما لا يقال ، والذى يتحدث صمته بما يريد ان تعود ابتسامته · لابد أن تعود الحياة اليه من جديد · وتلك الرجفة أن لها أن تغيب ، وأن يزول الانطواء والشرود لقد حقق ابنه الحلم ، امتدت حياته فى ولده ··· لابد اذن أن يستريح ·

أخوه الصغير أيضا لن يذهب الى المدرسة بدون كراسات ، لن يضربه المدرس أو يلومه أمام الجميع ·· سيأخذ الدرس الخصوصى الذى تحدث عنه ·· سيقف على قدم المساواة مع الزملاء ··· والدته لن تزجره ·· لن تحادثه بصوت خافت أو تشرح له ما لا يعيه ··· هو أيضا لن ينسى نفسه اليوم ·· سيدور على المحلات ، يشاهد بنفسه ويختار ما يريد ، ولا بأس من اصطحاب بعض الاصدقاء معه ، لابد أن يشاركوه الاختيار ··· اليوم من حقه أن يشعر بكيانه ، بوجوده ، بكرامته · اليوم من حقه أن يشعر بشىء من الفخار ، لقد وصل الى جيبه أول راتب من عمله الجديد ·

نظر الى الناس ، الى اسفلت الطريق ·· الى الخطوط البيضاء ذات الاسهم ··· الى الاشارات الضوئية التى تلألأ نورها الاخضر ··· الى الشمس المتدفقة النور ·· تبادل ابتسامة ودية مع شخص ما ··· مد يده الى جيوبه يطمئن عليها · لم ينتبه الى احمرار اشارة المرور ·

محمد عباس على
الاسكندرية

● يا ابن العصر ●

هل تعجب أن أبصرت الصدق له عينان ..
أم تعجب من اشراقة وجنات الانسان .
يا ابن العصر وأطياف المجهول ..
جسم الانسان تمزقه سكين ..
فيصبح أوصالا تبحر عن أوصال ..
لا يعرف بعضا من اسم أو رسم أو عنوان ..
ويطوف .. يطوف .. هنا وهنا ! ..

ابو بكر محمد محمد

● مقبرة الأدب الحديث ●

طلول لا تحج . ولا تزار
ولا لوم على ولا اعتذار

فلا قصد هناك ولا قصيد
ولا نقد هناك ولا حوار

ولا شرف هناك ولا شريف
ولكن ثم الهة صغار

ابو جهل توسطهم والفتى
بجهل لا يشق له غبار

وصور نفسه فى الصدر منها
له قرنان : كبر واغترار

وقال : انا المدير فصفقوا لى
فصفقت المقاعد والجدار !!

مزابل يعرف الخنزير فيها
« بسمنته » ونفس لا تغار

وقالوا : نفحة هى من (ابوللو)
فهل اصل الغراب هو الكنار ؟!

ابوللو ما اصابك يا ابوللو ؟
فاستذ نفسه فيك الحمار ؟!!

(...)

● ملحوظة :

جاءتنا هذه الابيات المنشورة اعلاه ، بلا اسم ولا عنوان ، فنسأل ناظمها : لماذا حجب اسمه وعنوانه ؟! وهل ظن اننا سلمتنع عن نشر كلامه ؟

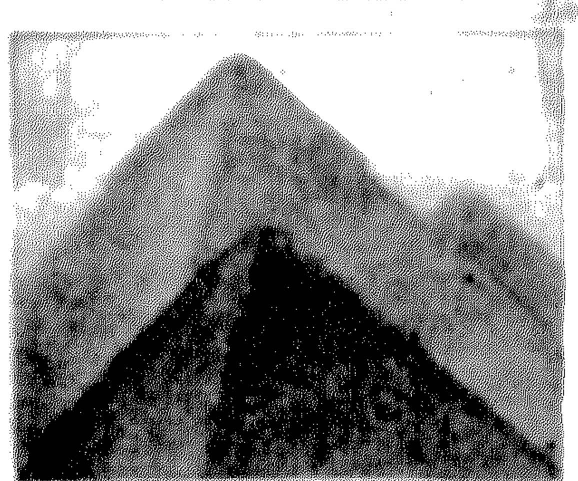
اثارنا المصرية بين الهلال و «تايم» الأمريكية

بعد ان نشرت مجلة «تايم» الأمريكية موضوعها عن اهرامات الجيزة «الزمن الصعب لأهرامات الجيزة» في ١٥ مايو الماضى ، سيقوم الإعلام المصرى ويقعد تمشيا مع عقدة التغريب ! ذلك بينما مرت مرور الكرام دراسة عالم جليل هو الدكتور رشدى سعيد عن نفس الموضوع نشرتها الهلال في عدد مارس الماضى ، ربما كانت هي الأعمق والأبقى وإن كانت بالتأكيد تعى الظروف المصرية على نحو اعمق .

أردت أن الفت النظر إلى الدور الهام الذى تلعبه «الهلال» في إلقاء الضوء على القضايا الحيوية التى تشغل بالنا ، وتحتاج إلى تأصيل في الدراسة والتناول .

عادل محمد منصور
ميت محمود - دقهلية









● كريمة ثابت - أسيوط :

- عندما كنا فى مقتبل العمر مثلك كنا اكثر منك ميلا الى الغضب والاحتداد والاعتداد بانتاجنا من الشعر والنثر ، ولهذا لم نغضب منك ، ولكننا أردنا أن ننصح لك فقط ، فهذا واجبنا ، ونحن نرحب برسائلك دائما ، ونرى أن المسافة بين أشعارك وبين صفحات الهلال باتت قريبة ان شاء الله ..

أنت والهلال

● **عبد الهادى الصيفى : ـ**

ـ أعجبتنا تجربتك فى نظم تفعيلات على شكل هرم ، فالسطر الاعلى أو القمة كلمة واحدة ، تحتها كلمتان ، فثلاث كلمات ، فاربع ، فخمس ، فست ، الى سبع او ثمان او أكثر ، حتى يتكون هرم راسخ من الكلمات فوق الورق ·· ان هذه يا عزيزى لعبة حسابية شعرية ظريفة حقا ، وربما تنتشر فى العالم كله ، مع أن العالم ملىء بالعاب فى الشعر والنثر والفن أشد من هذه غرابة ! ·

● **عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :**

ـ قصيدتك التى عنوانها « التجربة الاولى » وتقول فيها : « كنت طفلا مع صحبه فى بلاد الشجر » لم نفهم أوزانها ولم نتبين فيها كلاما له وزن واضح الا قولك مثلا : « فللسمكات اشتهاء يناغم أحلى ليالى السمر » ·· وقصائدك تكون أحيانا واضحة الوزن ، وأحيانا مبهمة ومضطربة الاوزان !·

● **السادة : أنور حافظ ·· عاطف نجم ·· فرج على ·· محمود بطوش ··**

ـ المشكلة فى قصائدكم هى الاوزان ·· فلا يمكن للكلام أن يكون شعرا عربيا الا بالوزن ، سواء كان تفعيليا أو مقفى ·

● **حسين علام ـ سوهاج :**

ـ أنت تسمى نفسك « القصاص الكبير » وتضع هذا اللقب على رأس الاقصوصة التى أرسلتها الينا ، ولكن غيرك يعطيك هذا اللقب اذا استحققته ، أما أقصوصة « المخبول » التى أرسلتها الينا ، فليست أقصوصة ، بل مجرد لفتة بسيطة ، والاغلاط النحوية واللغوية فيها كثيرة مثل قولك : ذهب المخبول لشراء « رغيفان » ولم يجد المخبول « مكان » ينام فيه ، وقد وضعتم كسرتين تحت « مكان » والصواب أن تضع فتحتين فوق الالف التى بعد النون ، أما « رغيفان » فصوابها « رغيفين » ·· فبالله عليك هل هذه معلومات « قصاص كبير » عن النحو ؟!

● **عصام عبد المنعم زيان سريع ـ أبو قرقاص :**

ـ نحن نحاول بقدر الامكان طبع الاصدارات القديمة من روايات الهلال وكتاب الهلال ·

● **فاطمة الزهراء ـ الجزائر :**

ـ معذرة فلم نستطع قراءة بقية اسمك ، كما انك تكتبين ان عمرك ٨٥ سنة (هكذا قرأناه) وتكتبين أن مهنتك طالبة ، ولم نستطع أن نقرأ الكلمة التى بعد « طالبة » ، فهل أخطأنا فى قراءة السن ؟ ·· ثم اننا لم نستطع قراءة اسم البلد والشارع ـ نرجو كتابة كل هذه الاشياء بخط واضح أو بالالة الكاتبة حتى نفهم ما تريدين ، ونرحب برسائلك دائما ··

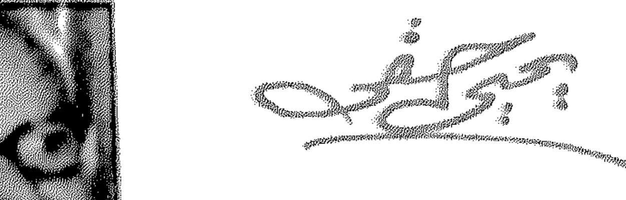
وسط الزحام

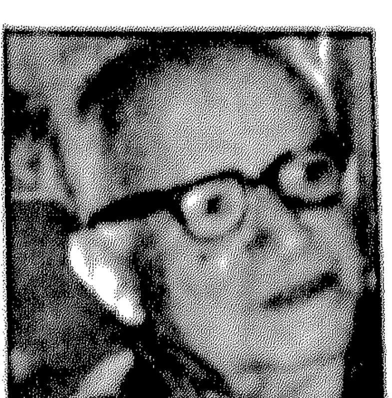
من أخطار التضخم السكانى ايضا انه يجعل من المتعذر قيام تجمع القوى المحبة للخير بين افراد الشعب لأنها تكون مبعثرة شبه تائهة . كانت جمعية الرفق بالحيوان ذات مكانة مرموقة أيام صباى حين كنا ١٢ مليونا ، الآن ونحن خمسون لا أسمع عنها خبرا ولا أدرى هل هى موجودة أم اختفت . وهذه القوى المحبة للخير تمثل مايسمى بالرقابة الشعبية التى ترمق جوانب الغلظة والقسوة التى يتعرض لها الإنسان والحيوان اننى احلم بسفور مثل هذه القوى عندنا لتراقب مثلا ماذا يحدث فى مذابح الحيوان ، هل يعامل برفق ام يتعرض لافظع انواع القسوة .

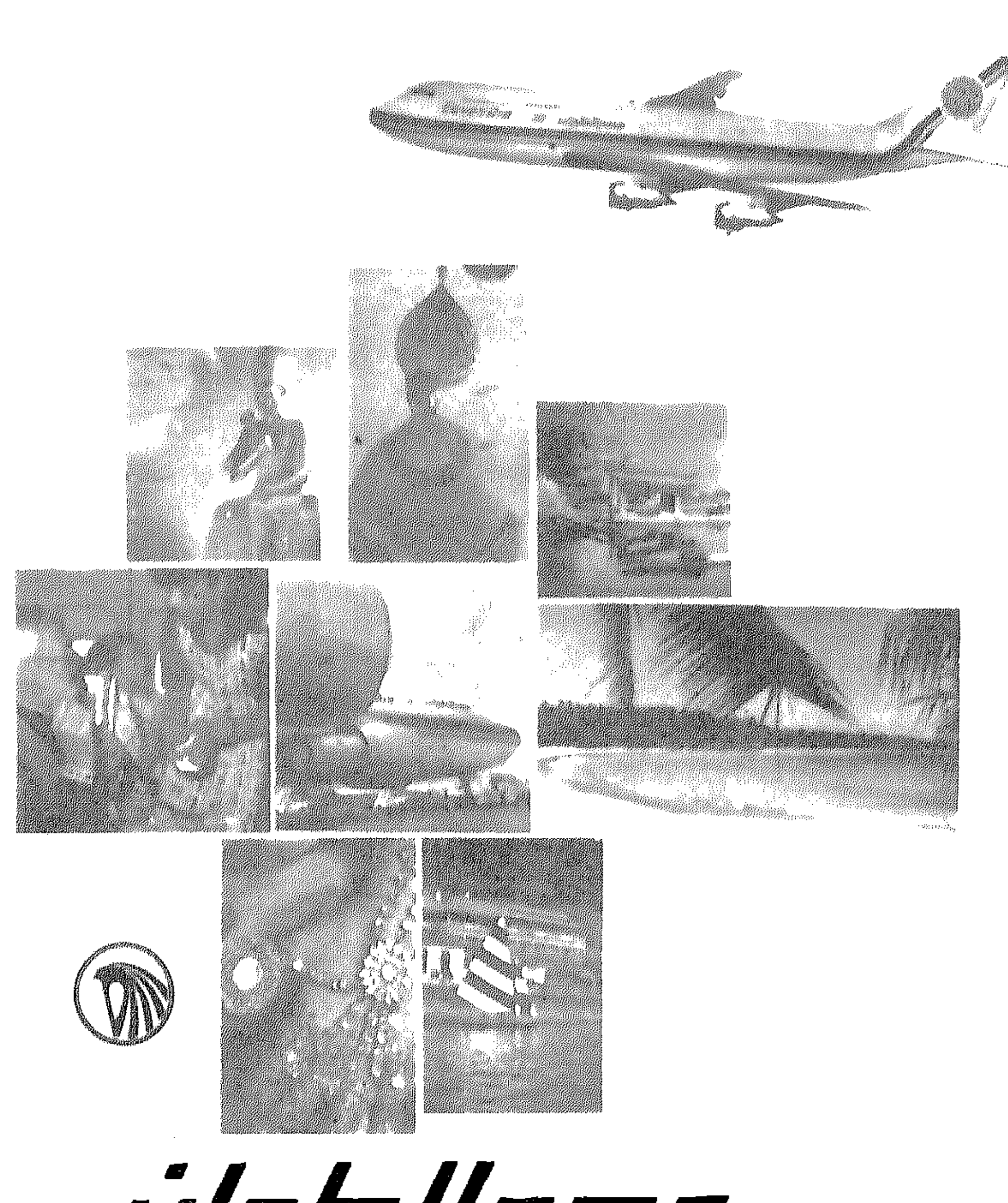
امر على دكاكين الدواجن والأرانب ، فارى الدجاجة بمجرد ذبحها تلقى فى صفيحة وينتزع ريشها وهى نصف حية ، والأرنب يسلخ جلده وهو لايزال يرتعش .

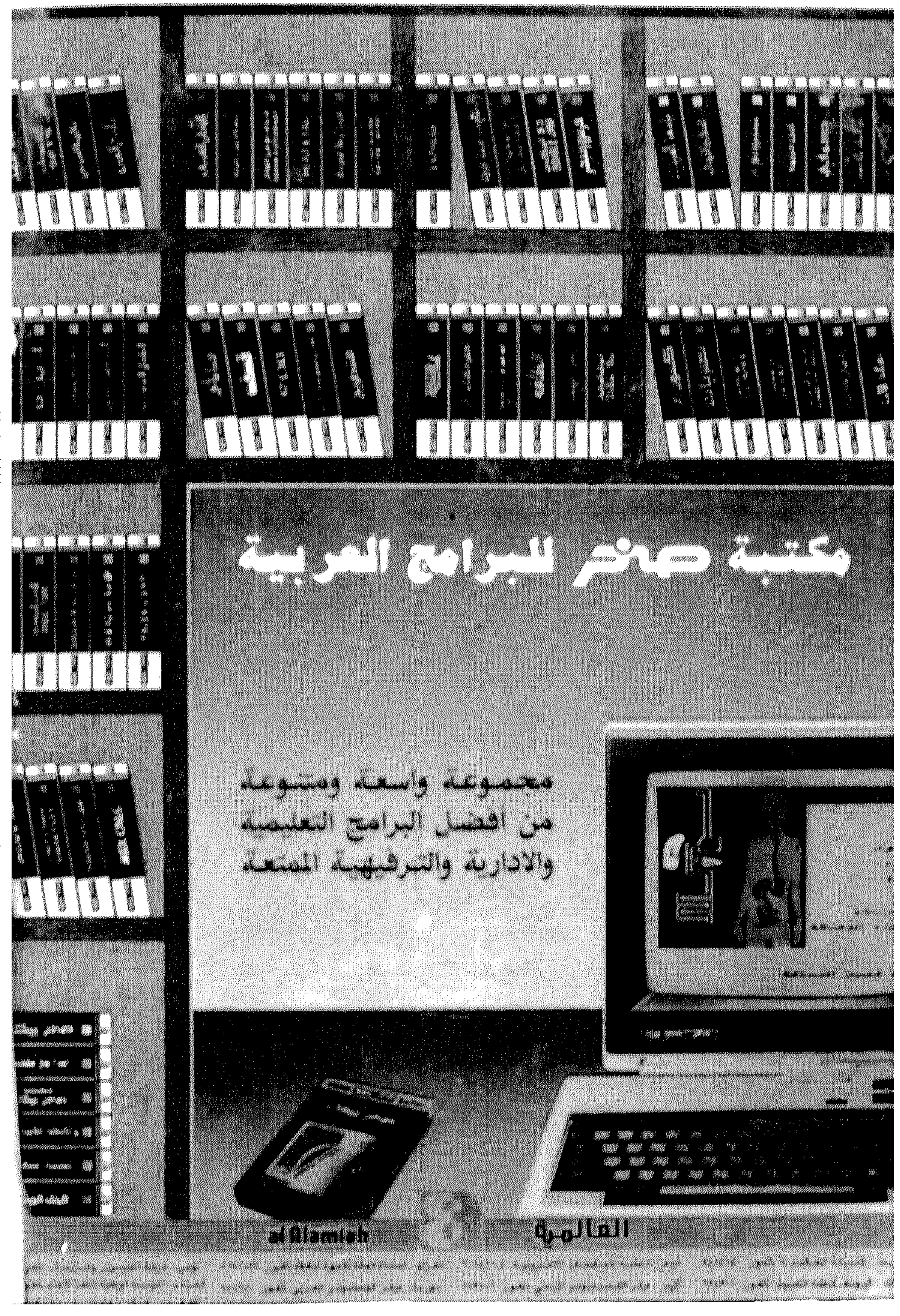
تراقب هذه القوى ايضا ماذا يجرى فى مستشفى الأمراض العقلية ، انه ليس بمصحة بل مقلب فيه قمامة .. اتتبع بوجل توالى حوادث القتل ، داخل هذا المستشفى بين المرضى ان تراقب ماذا يحدث فى المؤسسات التى يزج فيها الصغار المنحرفون حين تقفل أبواب العنابر بدون حارس عليهم بالليل فلا نعلم ماذا يمكن ان يحدث بينهم .. بل أذهب إلى حد زيارة السجون .. حقا ان القانون يطلب من الهيئة القضائية أن يزور احد افرادها السجون ليتاكد اولا من أن كل سجين دخل فى حكم قضائى .

اقول هذا لأننى اعود بالذاكرة الى ماقبل ٦٠ عاما حين كنت اعمل معاونا للإدارة بمدينة منفلوط ، كنت يومئذ احقق فى مخالفة بسيطة ، واردت انتظار شاهد فقلت للجندى الواقف امامى خذ هذا المتهم وضعه فى الحجز ، لا أدرى ماذا حدث بعد ذلك من اننى انهمكت فى مشاكل اخرى ونسيت هذا الرجل كل النسيان ، وبعد اسبوعين مررت بالصدفة بغرفة الحجز فوجدت هذا الرجل جالسا فى صبر ومسكنة لايدرى ماذا حدث له ، فانخلع قلبى من جريمتى بحبس هذا الرجل مدة اسبوعين بلا سبب .









مكتبة صخر للبرامج العربية
مجموعة واسعة ومتنوعة
من افضل البرامج التعليمية
والادارية والترفيهية الممتعة
al Alamiah
العالمية